موسوعة النابلسي للعلوم الإسلامية

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي

العقيدة الإسلامية

شرح أسماء الله الحسنى

١٩٩٦ م

الدرس١٠ - اسم الله : "الملك" .

بسم الله الرحمن الرحيم

إن من أسماء الله الحسنى : **الملك** ، وإن لله تسعةً وتسعين اسماً من أحصاها دخل الجنة قال تعالى :

هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾

(سورة الحشر)

وقال تعالى :

مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾

(سورة الفاتحة)

وعند السادة الشافعية يجب أن تقرأ في الركعة الأولى : **مالك يوم الدين ،** وفي الركعـة الثانية: **ملك يوم الدين** ، وقد ورد هذا الاسم في آية أخرى قال تعالى :

فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٥٥﴾

(سورة القمر)

وفي آية رابعة قال تعالى :

قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾

(سورة آل عمران)

وفي آية خامسة قال تعالى :

فَسُبْحَـٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾

(سورة يس)

تعريف **الملك** :

القدرة على التصرف إذاً هو من أسماء الذات ، وهو من أسماء الأفعال، فيمكن أن يكون من أسماء الذات ومعناه : القدرة على التصرف ، ويمكن أن يكون من أسماء الأفعال ومعناه المتصرف .

حديث قدسي : "**أنا ملك الملوك ، ومالك الملوك ، قلوب الملوك بيدي ، فإن العباد أطاعوني حولت قلوب ملوكهم عليهم بالرأفة والرحمة ، وإن العباد عصوني حولت قلوب ملوكهم عليهم بالسخط والنقمة ، فلا تشغلوا أنفسكم بسب الملوك ، وادعوا لهم بالصلاح ، فإن صلاحهم بصلاحكم**" .

الله : **ملك** بل **مالك الملوك** ومعنى هذا أن أي شيء يملك مالكه الله سبحانه وتعالى ، وقال بعض العلماء : **الملك** هو الذي يحكم ولا يملك، **والمالك** هو الذي يملك ولا يحكم ، والله سبحانه وتعالى **مالك وملك** .

أحياناً يملك الإنسان الشيء ولا ينتفع به وليس من حقه أن يتصرف فيه، وأحياناً ينتفع فيه ويتصرف فيه ولا يملكه ، وأحياناً يملك الشيء وينتفع به ويتصرف فيه وليس المصير له ، مثال بيت يملكه ملكاً حراً شرعياً يسكنه ، فإن صدر قرار استملاك يصبح مصيره ليس له ، إذاً إذا قلنا إن الله سبحانه وتعالى هو **مالك** الملك : يملك الشيء ويتصرف به ومصيره إليه ، فتكون أعلى درجات الملكية هي ملكية الله سبحانه وتعالى .

سئل أعرابي يملك قطيعاً من الغنم ، لمن هذه ؟ قال : لله في يدي ، فالمؤمن الصادق : بيته ومتجره ، سيارته ، خبرته ، مكانته ، شهاداته ، يراها بملك الله عز وجل . مثال : أعلى طبيب في اختصاصه، إذا تجمدت خثرة في دماغه ، يفقد ذاكرته فمصيره إلى مستشفى المجانين، إذاً من **مالك الملك** ؟ الله سبحانه وتعالى .

هذه العين التي ترى بها ، من **مالكها** ؟ الله سبحانه وتعالى ، هذه الأذن، هذا اللسان ، هذه الحركة ، هذه القوة ، أي من لوازم الأيمان : أن ترى أن كل شيء بحوزتك هو **ملك** لله عز وجل سمح لك أن تتصرف به . لمن هذا القطيع يا فلان ؟ لله في يدي ، وبيتك لله في يدك ، ومتجرك لله في يدك ، وسمعتك ومؤلفاتك وعقلك وذكاؤك لله في يدك .

الآن إذا قلنا : فلان **ملـك** ، نقصد بها حقيقةً أم مجازاً ، العلماء قالوا : لا يمكن أن يملك حقيقةً إلا الله ، وأي وصف للملكية لغير الله فهو وصف مجازي وعلى سبيل المجـاز فقـط ، لأن **الملك** هو الذي يستغني في ذاته وصفاته عن كل موجود ، فهل من ملك يستغني في ذاتـه عن كل موجود ؟ ألا يشرب ، ألا يستنشق الهواء ، ألا يأكل ، ألا يشعر بحاجة إلى النوم ، ألا يخاف ، ألا يحزن ، ألا يتمنى أن يكون له أعوان كثر ، إذاً أي إنسان مفتقر في وجوده وفـي صفاته إلى إنسان آخر ، لا يمكن أن يكون ملكاً حقيقياً ، **الملك** الحقيقي هو الله عـز وجـل ، وإذا سمينا فلاناً ملكاً فهو من باب المجاز .

الملك الحقيقي الذي يستغني في ذاته وصفاته عن كل موجود ويحتاجه كل موجود ، بل لا يستغني عنه شيء في شيء لا في ذاته ولا في صفاته ، فهو **ملك** في ذاته ، في وجـوده ، في صفاته ، مستغنياً عن كل شيء ، بحاجة إليه كل شيء ، هذا هو الوصف الدقيق **للملك** ولا ينطبق إلا على الله عز وجل ، إذاً **الملك** الحقيقي هو الله ، وكل من يصف نفسه أنه **ملـك** أو **مالك** هذه الدار أو **مالك** هذه الدكان أو **مالك** هذه التجارة أو صاحب هذه الشركة هذا من بـاب المجاز ، أعرف حجمك الحقيقي رحم الله عبداً عرف حده فوقف عنده .

الله سبحانه وتعالى : **مالك** مملك ، الشخص الذي لا يستطيع أن يملكك فلـيس ملكـاً ، فمن لوازم هذا الاسم أن الله مالك مملك ، والدليل قال تعالى:

قُلِ ٱللَّهُمَّ مَـٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾

(سورة آل عمران)

والملك الحقيقي الذي يملك هواه ولا يملكه هواه ، والذي أُعتق من أَسرِ نفسه وليس ملكاً لنفسه ، قال تعالى :

۞ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾

(سورة يوسف)

هذه الآية دقيقة جداً : سيدنا يوسف يصف بأن الله قد آتاه **الملك** : أي **ملكٍ** آتاه ! لعلكـم ظننتم أنه كان أميناً على خزائن الأرض ، أغلب علماء التفسير قالوا : لا ، بل آتـاه **الملـك** الحقيقي فهذا **الملك** الذي يؤتيه الله لمن يشاء ملك زائل ، وليس فضيلة يفتخر بها ، فمـا هـو **الملك** الحقيقي ؟ هو أنه ملك نفسه ، لمجرد أن قال: معاذ الله حينما دعته امرأة ذات منصـب وجمال، حينما قالت هيت لك قال معاذ الله ، قال علماء التفسير : هذا هو **الملـك** الحقيقـي ، **الملك** الذي لا يزول ، **الملك** الذي تسعد به إلى الأبد، أن تملك نفسك ولا تملكك ، أن ينقاد لك هواك ولا تنقاد له ، إذا انقاد لك هواك وسيطرت عليه فأنت **ملك** ، إذا سيطرت علـى نفسـك فأنت **ملك** ، إذا ملكت زمام نفسك فأنت **ملك** ، إذا سيطرت على شهواتك فأنت **ملك** ، إذا قدت نفسك إلى طريق الخير والسعادة فأنت **ملك** أما إذا قادتك نفسـك إلـى الضـلال والشـهوات والمعاصي والآثام أنت مملوك ، إذا قادك عقلك أنت **ملك**، إذا قادك هـواك فأنـت مملـوك ، وشتان بين أن تكون **ملكاً** وبين أن تكون مملوكاً .

أحد أكبر زعماء أوروبا في الحقبة السابقة والذي حقق انتصاراً سـاحقاً فـي الحـرب العالمية الثانية له كلمة لا أنساها ، قال : ملكنا العالم ولم نملك أنفسنا ، نحـن ضـعاف أمـام أنفسنا . شخصية كبيرة تغريه امرأة تعمل معه ، تنهار نفسه أمام فتنتها . إذاً أنت مملوك ، كل أهل الدنيا عندهم نقطتا ضعف مدمرتان : المال والنساء ، أي يملك أشياء كثيرة وله اطـلاع واسع ، له قدرات عجيبة ، ومع ذلك المرأة والدرهم والدينار تمتلكه ، إذاً هو مملـوك. لـذلك فالنبي عليه الصلاة والسلام قال :

عن أبي هريرةَ قالَ : قالَ رسولُ الله صلى اللهم عليه وسلم : تَعس عبد الدينَار وعبد الدرهم ...*

(سنن ابن ماجة)

ـ مملوك هو في خدمة المال ولم يجعل المال في خدمته ، المال أصلاً مسخر لك لكنك سخرت له فأنت عبد له ،- **تعس عبد الفرج تعس عبد البطن تعس عبد الخميصة** . إذاً أنت مملوك ، إذا قرأتم هذه الآية ترنموا بها : **رب قد آتيتني من الملك** ، **الملك** الحقيقي أن تملـك نفسك لا أن تملكك ، أن ينقاد لك هواك لا أن تنقاد له ، أن تسيطر على شهواتك ، أن تكـون مع الحق حيث كان الحق ، أن تكون وقافاً عند كتاب الله ، أن تعترف بالحق الـذي لغيـرك عليك وإن كان مراً ، هذه هي البطولة الحقيقية ، هذا ما اتجه إليه معظم المفسرين فـي قولـه تعالى :

۞ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾

بعضهم قال : **الملك**: الذي ملك قلوب العابدين فأقلقها ، الحقيقة أن الإنسان منذ أن عرف الله عز وجل ، أو منذ أن بدأ في معرفة الله ، دخل في دوامة الحب ، أصبح مشغولاً ، أصبح عظيماً بعد أن كان تافهاً ، يعني أن المؤمن قلق لا ينزاح عنه قلقه حتى يلقى الله عز وجـل ، هل اللهُ راض عني ؟ هل عملي وفق ما يرضي الله ؟ هل الله يحبني ؟ هل في عملي إخلاص ؟ هل في عملي زيغ ؟ هل هناك ما أرجوه غير الله عز وجل ؟

وملك قلوب العارفين فأحرقها ، **الملك** من إذا شاء ملك ومن إذا شاء أهلك :

إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾

(سورة البروج)

إذا أعطى أدهش ، وإذا حاسب فتّش ، أعطانا قبل سنوات أمطاراً غزيرة دهشـنا بهـا سبعين ضعفاً عن إنتاج السنوات السابقة من القمح وإذا انحبست أمطار السـماء ، فَمـن فـي الأرض كلها يستطيع أن يصدر قراراً بإنزال المطر ! ولو اجتمعت الأمم كلها ، المجالس كلها ، والقيادات كلها، وإذا انحبست الأمطار مات الزرع وتبعه الضرع وتبعه الإنسان .

فنحن عبيد لأننا مفتقرون لماء السماء :

قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍ ﴿٣٠﴾

(سورة الملك)

اللهُ سبحانه وتعالى . **الملك** من إذا شاء ملّك وإن شاء أهلك ، **الملك** الحق من لا ينازعه معارض ، لا خصومات لا معارضون لا مشَوشون منتقدون ، ولا يمانعه ناقد فهو في تقديره منفرد ، وبتدبيره متوحد ، ليس لأمره مرد ولا لحكمه رد، **والملك** من دار بحكمه الفلك .

ذكر الله تعالى في آية واحدة خمسة بنود للملكية ، قال تعالى :

قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٢٦

(سورة آل عمران)

العلماء فسروا **الملك** أنه **ملك** الآخرة كما فسروه **ملك** الدنيا ، فإذا كنت مؤمناً، مستقيماً ، صادقاً مخلصاً ، لك عمل طيب فأنت **ملك** ، ولكن من ملوك الدار الآخرة يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم ؟ والإمام علي يقول: "الغنى والفقر بعد العرض على الله" ، وقال "تؤتي **الملك** من تشاء " ولكن من تشاء ؟ إذا قال الله عز وجل : "والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم "! ما معنى يهدي من يشاء ؟ يعني من شاء الهداية هداه الله، " ويضل من يشاء ": من شاء الضلالة أضله الله ، فالهداية والضلالة أصلهما هداية جزائية أو ضلال جزائي مبني على هداية أو ضلال اختياري، قال تعالى :

وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ لِمَ تُؤۡذُونَنِي وَقَد تَّعۡلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡۖ فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ٥

(سورة الصف)

تؤتي **الملك** من تشاء : تؤتي الهداية من شاءها ، وتنزع **الملك** ممن تشاء: رفض الدين ، رفض رحمة رب العالمين ، رفض وعده العظيم ، أراد الدنيا، أراد شهواتها ، ينصرف الإنسان إلى الملاهي ، إلى شهواته، إلى دور اللهو ، إلى معاصيه ، إلى انحرافاته .

بالمناسبة **ملك** الدنيا : يؤتيه الله لمن يحب ولمن لا يحب ، وأما **ملك** الآخرة فلا يأتيه إلا لمن يحب.

المعنى الثاني : **ملك** الدنيا ، الله سبحانه وتعالى يقول :

وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٥﴾

(سورة الأنعام : من الآية ١٦٥)

من ملكك هذا البيت ؟ الله سبحانه وتعالى ، لمن كان هذا البيت ؟ لفلان ، كيف باعـه ؟ ضاقت به الأمور فباعه ، من الذي جعلك خليفة له في هذا البيت ؟ الله سبحانه وتعالى ، هـذا العمل من ولاّك إياه ؟ الله سبحانه وتعالى، لماذا عزل فلان ؟ بحكمة الله وتقديره ، إذاً المعنى الآخر : تؤتي **الملك** من تشاء ، المعنى الدنيوي ، الله سبحانه وتعالى يقـول : " **وهـو الـذي جعلكم خلائف الأرض** " ما الحكمة ؟ لماذا أعطى فلاناً ومنع فلاناً ؟ وملك فلاناً ونـزع مـن فلان ؟ لماذا رفع فلاناً وخفض فلاناً ؟ الجواب : " **ليبلوكم أيكم أحسن عمـلاً** " يمتحنك بالغنى وبالفقر ، بالصحة وبالمرض ، بالقوة وبالضعف ، قال فإذا كان هذا العبد متمرداً فما الجواب ، قال : " **إن ربك سريع العقاب**" قال فإذا كان طائعاً فما الجواب ؟

وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾

(سورة طه : الآية ٨٢).

إذاً : جعلكم خلائف الأرض ، ووزع الحظوظ توزيع ابتلاء وسوف تُوزع في الآخـرة توزيع جزاء إذاً هو **مالك الملك :** إما أن يملكك ملك الآخرة أو ملك الـدنيا أو ملـك الآخـرة والدنيا :

ما أجمل الدين والدنيا إذا اجتمعا وأقبح الكفر والإفلاس بالرجل

" وتعز من تشاء وتذل من تشاء " دخلنا في باب العز والذل ، هنالك شيء دقيق جـداً : إذا أعزك الله سخر لك أعداءك ، وإذا أراد الله أن يذل عبداً ما ، أذله أقرب النـاس إليـه ، " ومن يهن اللهُ فما له من مكرم " :

اجعل لربك كل عزك يستقر ويثبت

فإذا اعتززت بمن يموت فإن عزك ميت

إذاً من لوازم أن الله **ملك** أنه هو الذي يعز وهو الذي يذل ، فكن مع العزيز ،

أطع أمرنا نرفع لأجلك حجبنا فإنا منحنا بالرضا من أحبنا

ولذ بحمانا واحتمي بجنابنـا لنحميك مما فيه أشرار خلقنا

بيدك الخير ، إذاً فالذل خير ، ونزع الملك خير ، ولكن يسمى شراً مـن وجهـة نظـر الإنسان.

تولج الليل في النهار ، تصريف الكون ، تسيير الكون ، الأرض تدور حـول الشـمس بمدار اهليلجي بيضوي ، من يجعلها على مسارها تماماً؟ هل في الكون كله قوة تسـتطيع أن تجعلها على مسارها لو خرجت ؟ إنها إن خرجت انتهت وجذبتها كواكب أخرى !!

۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾

(سورة فاطر)

يمسكها على مسارها ، إذا خرج القطار عن سكته ، طفل رضيع أو نملـة صـغيرة أو ذبابة حقيرة هل بإمكانها أن تعيده إلى السكة ؟ **ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده** ، من جعل الأرض تسير في الثانية ٣٠ كم ؟ من جعلها تدور في الساعة ١٦٠٠ كم ؟ من جعلهـا بهذا الحجم ومن جعل بعدها عن الشمس بهذه المسافة ؟ هذا من اسم الله : **الملك** .

تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ۖ وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ ۖ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾

(سورة آل عمران: الآية ٢٧)

ظاهرة النبات ، ظاهرة توالد الإنسان ، تكاثر الحيوان ، تكاثر النبات، **تخرج الحي من الميـت** : بذرة الزيتون تبدو لك قطعة من الخشب كامن فيها شجرة بقوة هذه البـذور ، هـذه أنماط الحياة ، دورة الحياة ، الشجرة يابسة في الشتاء كأنها خشب يأتيها الربيـع فـإذا هـي خضراء .

مرة طلب سيدنا عمر من سيدنا عمرو بن العاص أن يصف له مصر وكـان بليغـاً ، قال: يا أمير المؤمنين مصر طولها شهر ، وعرضها عشر ، يعنـي طولهـا مسـيرة شـهر وعرضها مسيرة عشرة أيام ، يخط وسطها نهر ميمون الغَدوات مبارك الروحات ، يا أميـر

المؤمنين بينما هي عنبرة سوداء - ترابها أسود اللون لخصـوبته - إذا هـي درة بيضـاء - طواف النيل - إذا هي زبرجدة خضراء ، فتبارك الله الفعال لما يشاء، وصـف مصـر فـي الشتاء وفي فيضان النيل وفي الربيع والصيف، وصف طولها ووصف عرضها .

إذاً من معاني **الملك** أنه يقلب النهار، ويخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ، ومن معاني أنه يخرج الميت من الحي والحي من الميت : أن الكافر قد يلد مؤمناً وأن المؤمن قد يلد كافراً :

وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَـٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَـٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَـٰلِحٍ ۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَـٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾

(سورة هود : الآيتان : ٤٥- ٤٦)

آخر بند في الملْكية : " **وترزق من تشاء بغير حساب** " ، قد يرزق الإنسان الضعيف ، وقد يفقر القوي الذكي ، لذلك التجار يقولون ليس عند الله تاجر ذكي ، ومن دعـاء المـؤمنين على الكافرين " اللهم اجعل تدميرهم في تدبيرهم " فالكافر يدبر فإذا هو يدمر نفسه . ولا ينفع ذا الجد منك الجد .

هناك سؤال : هل يملك العبد بالتمليك ، لو أنّ إنساناً ملكك شيئاً هل تملكه، كيف نناقش هذه الفكرة ؟ مالك هذه الدار ، هذه المركبة ، تملك بالمكنيك كاملَ أربعٍ وعشرين قيراطاً ، هذا كلام نقوله نحن ، وليس هناك غلط كبير في هذا الكلام ، العلماء قـالوا بـالحرف الواحـد : الأصح أن الإنسان لا يملك ! لماذا ؟ لأن استقلاله بالتصرف في الغير فرع من كونه مسـتقلاً في نفسه ، فإذا كان العبد لا استقلال له في نفسه وذاته البتة ، فكيف يكون مستقلاً في تصرفه بالغير . ولهذا قال ربنا عز وجل معلماً رسولاً ومن بعده عباده :

قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ ۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٨﴾

(سورة الأعراف)

إذا كان النبي لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً ، أفيملك النفع والضر للآخرين ؟ الجواب لا . من باب أولى ، إذا كنتُ عاجزاً عن هداية ابني ! فهل بإمكاني أن أهدي ابنك ؟ مستحيل! فلذلك فالكلام القطعي والثابت أن الله سبحانه وتعالى هو **الملك** الحقيقي وأن الإنسان إذا ملك فملكيةُ مجازية فمثلاً قد يقول لك مستخدم في وزارة الخارجية : والله عينا فلاناً سفيراً ! هذا كلام مجازي ، إن الذي عين فعلاً ، ليس المستخدم بل الوزير. أما في الحقيقة المطلقة: الذي ملك هذا الإنسان هذا المنصب ، هو الله سبحانه وتعالى .

العبد مثلاً متى يكون مسافراً ؟ إذا سافر سيده ، متى يكون مقيماً ؟ إذا أقام سيده ، هل للعبد استقلال في حركته عن سيده ؟ لا ، إذاً كلام قطعي: يجب أن تشعر وأنت تملك أوراق الملكية للبيت أن هذا البيت ملك الله عز وجل . في أية لحظة يمكن أن تبيعه ، قد يتعطل جهاز بالجسم ، فيقال لك : هذه العملية تكلفتها ٨٠٠ ألف ليرة ومصاريف سفر وإقامة ، وبالعملة الصعبة ، والنتيجة بيتك ثمن للعملية ، فتعرضه للبيع ، **فسبحان مالك الملك** ومثل آخر : كُلْية تكلفة زراعتها ١٠٠٠٠٠٠ ليرة ، وكل شيء تملكه ثمن لهذه العملية، صمام القلب كلفته ٥٠٠ ألف ليرة ، فالإنسان إذا عافاه الله فهو غني وغني بالمعنى الحقيقي .

هناك موضوع دقيق بعض الشيء ، وقبل الوصول إليه ، يقول تعالى :

﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَمَن رَّزَقْنَٰهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا ۖ هَلْ يَسْتَوُۥنَ ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾

(سورة النحل)

إذا كان العبد مملوكاً لا يقدر على شيء ، فهل يكون مالكاً ؟ أي متصرفاً في ملك الآخرين ، هذا مستحيل ! لكن ما بال الآية الكريمة تقول :

﴿فِى بِضْعِ سِنِينَ ۗ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ۚ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ

﴿٤﴾

(سورة الروم)

فتبصر يا أخي المؤمن ، الأمر دائماً بيد الله فكيف نفسر قوله تعالى

يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا ۖ وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ﴿١٩﴾

(سورة الانفطار)

الآن ، الأمر لله وفي آية أخرى : لله **الأمر من قبل ومن بعد** وفي آية أخرى :

ثُمَّ رُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ۚ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَـٰسِبِينَ ﴿٦٢﴾

(سورة الأنعام)

وفي آية أخرى :

وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٧٠﴾

(سورة القصص)

وفي الدنيا لمن الحكم ؟ أليس الحكم لله ؟ بلى ، مثال آخر :

وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾

(سورة هود)

وكما يقول الله تعالى :

صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥٣﴾

(سورة الشورى)

بيد من كانت إذاً ؟ هنا العلماء وقفوا وقفة رائعة قالوا : الحقيقة أن الأمر بيد الله من قبل ومن بعد والحقيقة أن الحكم لله دائماً والحقيقة أنه إليه يرجع الأمر كله دائماً . لكن الكفار الغافلون الشاردون الضعاف يرون أن الأمر بيد زيد أو عبيد في الدنيا والحكم بيد فلان والأمر بيد فلان أما إذا كان يوم الدين كل الخلائق قاطبة ترى أن الأمر بيد الله وأن الحكم لله وأنه إلى الله تصير الأمور ، فالبطولة أن ترى هذا الشيء في الوقت المناسب .

إذاً حتى الكفار والشاردون وحتى أعتى الكفرة سوف يرون أن الأمر بيد الله وأن الحكم لله وأنه إليه يرجع الأمر كله . ولكنهم في الدنيا لا يرون الله عز وجل ، يرون أولياء من دونه . يرون مراكز قوى في الحياة هم يعبدونها من دون الله . ويوم القيامة يرون الحقيقة .

إذاً القضية قضية وقت فقط ، إما أن ترى الحق في الوقت المناسب قبل أن يفاجئك الموت أو لابد أن تراه يوم القيامة فيكون حسرة أية حسرة إذاً البطولة لا أن تنتظر إلى أن ترى مع الآخرين الحقائق ، البطولة أن ترى الحقيقة في الوقت المناسب كي تستفيد منها .

هناك شيء آخر : لماذا لا يكون العبد مالكاً مطلقاً ؟ قيل : لأنه لا يستغني عن كل شيء : فلو فرضنا أنّ ملكاً عظيماً يستغني عن كل أفراد رعيته ، فهل يستغني عن الهواء أو عن الماء أو عن الطعام أو عن الزواج؟ لذلك حين طلب هارون الرشيد الخليفة العباسي الذي ترامت أطراف دولته إلى أقاصي الدنيا . كأس ماء قال له وزيره وكان ذكياً يا أمير المؤمنين بكم تشتري هذا الكأس لو منع عنك ، قال : بنصف ملكي ، قال : فإذا منع إخراجه ، قال : بنصف ملكي الآخر ، قال إذاً ملكك يساوي كأس ماء .

في بعض متاحف القاهرة ملك من فراعنة مصر الكبار اسمه توت عنخ آمون كشفت مقبرته بأكملها ، كما دفن معه طبعاً من الذهب والحلي والأغراض مالا سبيل لوصفه ، ولكن وقفت عند نقطة واحدة : أن هذا الملك مات شاباً في الثامنة عشرة من عمره ، حيث إنّ التابوت قصير جداً والجثة قصيرة جداً ، قلت وقتها سبحان الله ! مهما كان الإنسان مالكاً ولديه من الثروات ما لديه تبقى الحياة بيد الله عز وجل ، فمصر كلها كانت بيده ، مقدرات مصر كلها بيده ، ومع ذلك توفاه الله في الثامنة عشرة من عمره ، فالمقبرة عامرة بالذهب وبشتى أنواع الحلي وبشيء تحار به العيون ومع ذلك مات في سن مبكرة فما أغنى مالُه ولا رد الموت ملكه . إنه ملك، ولكنّه عارية .

قال بعض الأمراء لبعض الصالحين وقد التقيا يوماً سلني حاجتك ؟ فقال له الصالح : إلي تقول! قال الأمير: نعم ، قال الصالح : لي عبدان هما سيداك . قال الأمير : ومن هما ؟ قال الصالح : الحرص والأمل؛ الحرص على الدنيا والأمل المديد هما عبدان عندي وهما

سيداك ، فقد غلبتهما وغلباك ، وملكتهما وملكاك. فالإنسان يكون ملكاً إذا سيطر على شهواته .

بعض الصالحين قال : كنت أمر بعسفان فوقع بصري على امرأة جميلة ، فمـال إليهـا قلبي فاستعنت بالله واتقيت ومررت ، فلما نمت تلك الليلة رأيت يوسف عليه السلام في المنـام فقلت له : أأنت يوسف ؟ قال: نعم ، فقلت الحمد لله الذي عصمك من امرأة العزيز ، فقال لي: والحمد لله الذي عصمك من العسفانية ، هذا هو **الملك** الحقيقي عندما تطيع الله عز وجل .

سيدنا يوسف لما مر بالقصر كان عبداً في القصر ثم صار ملكاً ، جارية تعرفـه عبـداً ورأته في موكب الملك ، فقالت سبحان الذي جعل العبيد ملوكاً بطاعته وسبحان الـذي جعـل الملوك عبيداً بمعصيته، فالحقيقة هي : من تحقق من ملك سيده كأنه ملك كل ملك سيده .

حكي عن شفيق البلخي أنه قال : كان ابتداء توبتي أن رأيت غلاماً في سنة قحط يمزح زهواً والناس تعلوهم كآبة ، فقلت له : يا هذا ما هذا المرح ؟ ألا تستحي ؟ أما ترى مـا فيـه الناس من المحن ؟ فقال لا يحق لي أن أحزن ولسيدي قرية مملوكة أدخر فيها كل ما أحتاج ، فقلت في نفسي: إن هذا العبد لمخلوق ولا يستوحش لأن لسيده قرية مملوكة، فكيف يصـح أن أستوحش أنا وسيدي مالك الملوك فانتبهت وتبت - الغلام لقنه درساً في التوبة - إذاً بعضـهم يقول دبر أو لا تدبر ، فالمدبر هو الله سبحانه:

كـن عـن همومـك معرضـا ... وكـل الأمـور إلى القضا
وابشر بخير عاجـــــــل ... تنسى به ما قد مضـــى
فلرب أمر مسخـــــــط ... لك في عواقبه رضـــى
ولربمـــا ضاق المضيـــق ... ولربما اتسع الفضـــا
الله يفعل ما يشـــــــاء ... فلا تكن معترضـــــا
الله عودك الجميـــــــل ... فقس على ما قد مضـــى

ولربّ نازلة يضيق بها الفتى ذرعاً

نزلت وعند الله منها المخرج
ضاقت فلما استحكمت حلقاتها
فُرجت وكنت أظنها لا تُفرج

سمعت أنه نزلت في إيطاليا العام الماضي أمطارٌ في ليلة واحدة تعـادل أمطـار العـام بأكمله وفي لحظة واحدة فإن الله عز وجل قادر على أن يرزقنا مطراً غزيراً يصبح المعدل فوق المعدل الطبيعي . ولو تأخر المطر، فالأمر بيد الله عز وجل ، لكن لا تنسوا أن تقنين الله عز وجل تقنين تأديب لا تقنين عجز .

من آداب الإيمان بأن الله هو **الملك** ، أن يكون العبد بما في يدي الله أوثق منه مما في يديه إذا أردت أن تكون أغنى الناس فكن بما في يدي الله أوثق منك مما في يديك ، إذا أردت أن تكون أقوى الناس فتوكل على الله ، إذا أردت أن تكون أكرم الناس منزلةً فاتق الله .

الحاتم الأصم كان صائماً يوماً فلما أمسى قُدم إليه فطوره فجاء سائل فدفع ذلك الفطور إليه فَحملَ إليه في الوقت ذاته طبق عليه كل ألوان الأطعمة فَأتاه سائل آخر فدفع إليه كل ذلك ، ففتح بصره فإذا دنانير في الوقت نفسه بين يديه ، فلم يتمالك أن صاح : الغوث من الخَلف . وكان في جيرانه من يسمى "خلفاً " فتسارع الناس إليه وقالوا يا أخي لم تُؤذى الشيخ وما زالوا به حتى جاءوا به إلى الشيخ وقالوا هذا خَلَف جاءك معتذراً ، فقال إني لم أعنيه إطلاقاً إنما عجزت عن شكر الله عز وجل على ما يعاملني به من الخلف فكلما أنفقت شيئاً أعطاني الله خيراً منه .

أحد الصحابة وهو عبد الرحمن بن عوف قالت عنه السيدة عائشة أخشى أن يدخل الجنة عبد الرحمن زحفاً لكثرة ماله ، فقال هذا الصحابي الجليل والله لأدخلنها خبباً (ركضاً) وما عليّ إذا كنت أُنفق مائة في الصباح فيؤتيني الله ألفاً في المساء .

قال من عرف أن **الملك** هو الله وحده : آنَفُ أن أتذلّلُ لمخلوق ؛ فإذا عرفتَ ما في إلاّ الله **ملك** أنفت أن تتذلل لمخلوق ، وقال بعضهم : أيجمل بالحر أن يتذلل للعبيد وهو يجد من مولاه ما يريد ، أطلب تعط ، كن لي كما أريد أكن لك كما تريد ، أيليق بك وقد عرفت أن الله هو **الملك** ولا ملك سواه أن تتذلل لسواه ، من عرف الله لم يحتج إلى عون المخلوقين وفتنتهم وبذا تستغني عن الناس ، والاستئناس بالناس من علامات الإفلاس.

بشر الحافي رأى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب في النوم فقلت: يا أمير المؤمنين عظني فقال لي : "ما أحسن عطف الأغنياء على الفقراء طلباً للثواب وأحسن من ذلك تيه الفقراء على الأغنياء ثقة بالله" ، وإذا وثقت بالله عز وجل الله لا يخيبك ، من جلس إلى غني فتضعضع له ذهب ثلثا دينه.

قيل لبعض الشيوخ أوصني ، فقال : كن ملكاً في الدنيا تكن ملكاً في الآخرة ، فقال وكيف أفعل ذلك ؟ قال : ازهد في الدنيا تكن ملكاً في الدنيا ، استغن عن الرجل تكن نظيره واحتج إليه تكن أسيره ، أحسن إليه تكن أميره ، وإما كن ملكاً في الدنيا تكن ملكاً في الآخرة .

سئل حسن البصري : بم نلت هذا المقام ، قال : باستغنائي عن دنيا الناس وحاجتهم إلى علمي .

قال سفيان بن عيينة : بينما أنا أطوف بالبيت إذ رأيت رجلاً وقع في قلبي أنه من عباد الله الصالحين ، فدنوت منه فقلت : هل تقول شيئاً ينفعني الله به ، فلم يرد عليّ جواباً ، ومضى في طوافه فلما فرغ صلى خلف المقام ركعتين ، ثم دخل الحجر فجلس فجلست إليه،

فقلت يا سيدي هل تقول لي شيئاً ينفعني الله به ، فقال هل تدري ماذا قال الله عز وجلُ : وقـد سمع نداء الحضرة الإلهية : أنا الحي الذي لا أموت هلمّوا إليّ أطيعـوني أجعلكـم أحيـاء لا تموتون - **عند ربهم يرزقون** - .

الإنسان أول ليلة في قبره يقول الله عز وجل له : " **عبدي رجعوا وتركوك وفي التراب دفنوك ولو بقوا معك ما نفعوك ولم يبقَ لك إلا أنا وأنا الحي الذي لا يموت** " قال ألم تسـمع ربك يقول : **أنا الحي الذي لا أموت فإن أطعتموني جعلتكم أحياء لا تموتون في جنة عرضها السموات والأرض ، أنا الملك الذي لا أزول هلموا أطيعوني أجعلكم ملوكاً لا تزولون ملوك الدار الآخرة أنا الملك الذي إذا أردت شيئاً قلت له كن فيكون، هلموا أطيعوني أجعلكم كـذلك أي كلما دعوتموني أجبكم ، كلما سألتموني أعطيتكم أنا عند ظنكم:" ولـئن سـألني أحـدكم لأعطينه ولئن دعاني لأجيبنه" .**

هذه بعض التعريفات والآداب والحدود في شأن اسم الله **الملك** .

والحمد لله **رب العالمين.**

الدرس ٠٢ - اسم الله : "القدوس" .

بسم الله الرحمن الرحيم

مع الدرس الثاني من دروس جامع العثمان ، موضوع الدرس اليوم اسم من أسـماء الله تعالى ، وهو **القدّوس** ، تحدثنا قبل أسبوعين ، عن اسم **الملك ،** قال تعالى :

هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾

[سورة الحشر]

يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾

[سورة الجمعة]

وقبل أن نمضي في الحديث عن هذا الاسم الجليل ، أود أن أقف وقفة يسـيرة عنـد مقدمة ضرورية :

كلكم يعلم أن الجماد كائن يشغل حيزاً ، له طـول وعـرض ، وارتفـاع ووزن .. تعلمون ما الحجم ؟ .. هناك نقطة ، النقطة ليس لها حجم ، فإذا تحركت شكلت خطاً ، فإذا تحرك الخط شكل سطحاً ، فإذا تحرك السطح شكل حجماً .. نقطة ، خط ، سطح ، حجم ..

الجماد يشكل حجماً ، يعني له طول ، وعرض ، وارتفـاع ، ووزن أمـا النبـات ، فيشكل حجماً ، وينمو ، أما الحيوان فيشغل حيزاً ، وينمو ويتحرك ، أما الإنسان فيشـغل حيزاً ، وينمو ويتحرك ، ويفكر ، ففي اللحظة التي يعطل فيها الإنسان فكـره ، وعقلـه ، يكون قد انتهت إنسانيته ، وعاد إلى طور البهيمية .. يعني من كانت حياته طعاماً وشراباً ، ومتعاً مباحة وغير مباحة ، وعملاً ومالاً ، دون أن يفكر في الذي خلقه ، في الذي أوجده ، أين كان ، أين سيكون ، ما المصير ؟ فما قيمة الإنسان الذي يعطل فكره أو يستخدمه فـي غير ما خُلق له ؟ ..

يعني : من الممكن أن تشتري حاسوباً بعشرات الملايين ، وتضع على هذا الحاسوب حاجاتك ، ثم تجعله كالطاولة ، أليس هذا غباء شديداً؟ !.. أن تستخدم جهازاً بالغ التعقيد ، يقدم لك خبرات كثيرة لو أعملته ، تستخدمه كطاولة ؟ ..

فأما الذي يعطل عقله ، أو يستخدمه في غير ما خُلق له ، فهذا الإنسان ألغى إنسانيته ، وتحركت فيه حيوانيته ..

قلت هذه المقدمة ، من أجل أن تعلموا أن الله سبحانه وتعالى أودع في الإنسان قـوةً إدراكية ..فما الذي يجب أن يدركه بها ، ما الموضوع؟.. هنا السؤال .

قرأت قبل فترة ، أن ما يطبع في العالم في اليوم الواحد ، لا يسـتطيع الإنسـان أن يقرأه في أقل من خمسين عاماً ، إذاً هناك موضوعات لا تُعد ولا تُحصى .. ما الذي آخذُ ، وما الذي أدع ؟ .. ما الذي أقرأ ، وما الذي لا أقرأ ؟ .. ما الذي أطلع عليه ، وما الـذي أهمله ؟ هذا سؤال خطير .

إذاً لابد من الاصطفاء ، لابد من أن تصطفي الموضوع الخطير والمعنى الخطير ، الذي له علاقة بمصيرك .

يعني إنسان في مكتبة ، أربعة جدران فيها كتب من الأرض وحتى السقف ، وبعـد أيام عنده فحص مصيري ، إن نجح في هذا الامتحان سوف يترتب على نجاحه مكتسـبات كثيرة ، في هذه المكتبة كلها كتاب واحد مقرر ، له علاقة بهذا الامتحان ، إذاً من البـديهي أن يدع كل هذه الكتب ، وأن يقرأ هذا الكتاب .

إذاً فالإنسان أُودع فيه قوة الإدراك ، أُودع فيه العقل :

" لما خلق الله العقل ، قال أقبل فأقبل ، ثم قال أدبر فأدبر ، قال وعزتي وجلالي مـا خلقت خلقاً أحب إلي منك ، بك أعطي وبك آخذ " .

إن سألتموني عن أعظم شيء خلقه الله في الكون ، أقول لكم العقل لأنه مناط التكليف ، لولا هذا العقل الذي أودعه فيك ما كلفك ، والعقل وسيلة معرفة الله عز وجل .

قلنا في درس سابق ، إن المشكلة : بما أن النفوس من طبيعة واحدة فلو أن أي إنسـان بعيد عن الله عز وجل عرف ما عرف المؤمن لأقبل على الله كما يقبل المـؤمن ، لـو أن أي

إنسان عرف ما عرفه رسول الله لأحب الله كما أحبه رسول الله ، النفوس واحدة ، والـدليل ، قال تعالى :

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾

[سورة النساء]

من طبيعة واحدة ، من جبلة واحدة ، من خصائص واحدة ، مادامت طبيعة الـنفس واحدة التفاوت إذاً في ماذا ؟ .. في العلم ..

لذلك قالوا : يفعل الجاهل في نفسه ما لا يفعله عدوه به ..

مزارع عنده حقل ، مزروع نبات له ريع كبير ، قُدرت هذه المساحة المزروعة بهذا النباتَ وريعها في الموسم الواحد يزيد عن مائتي ألف ليرة من البيوت المحمية ، فاشـترى دواء كيمائياً ، وحله من دون تعليمات الصانع ، ورشه .. كل هذا النبات مات من فـوره ، وخسر الموسم كله فهذا الإنسان الجاهل ، إذ لم يقرأ التعليمات ، فعل في نفسه ما لا يفعلـه عدوه به.

إذاً الأزمة أزمة معرفة ، أزمة علم .. المشكلة الأخطر ؛ أن الإنسان حينمـا يأتيـه الموت سيعرف كل شيء ، وسينكشف له كل شيء ، وسيرى الحقيقة ، وسوف ينكشف له الغطاء .. لقد رأى فرعون ما رآه سيدنا موسى ، ولكن بعد فوات الأوان ..

المشكلة أن المعرفة ينبغي أن تكون في الوقت المناسب ، يعني ينبغي أن تعرف مـا يناسب في الوقت المناسب ، ينبغي أن تصطفي من كل المعـارف والمعلومـات الشّـيء المناسب ، وأن تعرفه في الوقت المناسب.

والسؤال الجديد الآن : لماذا يجب أن نعرف الله ؟ .. أليس هو غني عن المعرفـة ؟ قال تعالى :

إِن تَكْفُرُوٓاْ أَنتُمْ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٨﴾

[سورة إبراهيم]

" .. يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وَإِنْسكم وجِنكم كانُوا على أَتْقى قَلْبِ رجلٍ واحد منْكُم ما زاد ذَلِك في ملكي شَيئًا يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإِنْسكم وجِنكم كانُوا على أَفْجر قَلْبِ رجلٍ واحد ما نَقص ذَلِك من ملكي شَيئًا .. " .

[أخرجه مسلم الترمذي]

لماذا نعرف الله ؟ .. نعرفه من أجل أن نعبده ، ولن تعبده إلا إذا عرفتـه ، ولمـاذا نعبده ؟ .. من أجل أن نسعد به ، من أجل أن يتحقق الهدف من خلقنا ، قال تعالى :

إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾

[سورة هود]

إذاً نعرفه ، فنعبده ، فنسعد به .. ولهذا قال ربنا عز وجل :

وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾

[سورة الذاريات]

وإياك أن تغفل عن هذه الآية أبد دهرك !

العبادة كما تعرفون : طاعة طوعية ، ممزوجة بمحبة قلبية ، أساسها معرفة يقينية ، تفضي إلى سعادة أبدية ..

من بين ملايين ملايين ملايين ملايين ملايين إلى أن ينقطع نفسي .. من بين ملايين ملايين الموضوعات ، ما الموضوع الأكثر أهميةً ؟ أن تعرف الله عز وجل ، لأنـه كمـا يقول الله سبحانه ، لمن يوضع في القبر أول ليلة :

" عبدي رجعوا وتركوك ، وفي التراب دفنوك ، ولو بقوا معك ما نفعوك ولم يبـق لك إلا أنا ، وأنا الحي الذي لا يموت " .

يجب أن تعرفه لأن المصير إليه ، لأنك راجع إليه ، لأنك ستأتيه فرداً تتخلى عن كل شيء، كل المكتسبات التي حصلتها في العمر ، تفقدها في ثانية واحدة ، ليس لك إلا الله !

" يا قيس ، إن لك قريناً يدفن معك وهو حي ، وتدفن معه وأنت ميـت فـإن كـان كريماً أكرمك ، وإن كان لئيماً أسلمك ، ألا وهو عملك".

إذاً من بين ملايين ملايين الموضوعات ، ليس منها موضوع أكثر أهمية ، مـن أن تعرف الله عز وجل ، عرفت أنه خالق ، وعرفت أنه رب ، وعرفت أنه الإلـه الحـق ، وعرفت طرفاً من أسمائه الحسنى ، وهذا الـدرس بفضـل الله ، وتوفيقـه ، فيـه جولـة متواضعة ، حول اسم جليل من أسماء الله الحسنى ، ألا وهو اسم **القدّوس .**

تعلمنا في الجامعة ؛ أن المدرس الناجح هو الذي يستطيع أن يتكلم حديثاً ، بأسـلوب طلي جذاب ممتع ، غني ، لفترة طويلة من دون تحضير يعني معلومات عقلها ، تَمثلهـا ، تفاعل معها ، عاشها ، أصبحت في قلبه أصبحت تجري مع دمه ، فـإذا أراد أن يـتكلم ، فاللسان طليق والموضوع جذاب ، إذاً ألا ينبغي إن سئلت ، ماذا تعرف عن الله؟ عن الذي خلقك عن الذي أنعم عليك بنعمة الإيجاد ؟ قال تعالى :

هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ لَمۡ يَكُن شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا ١

[سورة الإنسان]

الذي أنعم عليك بنعمة الإمداد ، أعطاك الهواء ، أعطاك المـاء أعطـاك الغـذاء ، أعطاك الأهل ، أعطاك الأولاد ، أعطاك العقل ، تجني به المال وأنعم عليك مـرةً ثالثـة بنعمة الإرشاد ، هداك إليه ، لو أنك سئلت ماذا تعرف عن الله ؟ .. ألا ينبغـي أن يكـون الحديث عن الله سلساً جذاباً ممتعاً طلياً ؟ هنا السؤال ..

فحينما عزمت وبالله التوفيق على أن أجعل كل درسين ، درساً في أسماء الله الحسنى ، هذا هو القصد ، أن نعرف الله عز وجل ، لأن المعرفة لابد من أن تنعكس انضباطاً في السلوك والتزاماً عند حدود الشرع ، أنا لا أصدق أبداً أن يتعلم الإنسان شيئاً لا ينفذه ، لأن الإنسان حينما يقرأ يتفاعل ، وحينما يتعلم يتمنى أن يقطف ثمار هذا العلم ..

الاسم الجليل من أسماء الله الحسنى هو اسم **القدوس** ، ورد هذا الاسـم فـي آيتـين قرآنيتين ورد في قوله تعالى في سورة الحشر ، الآية الثالثة والثلاثين :

هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾

[سورة الحشر]

وورد في قوله تعالى :

يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾

[سورة الجمعة]

في سورة الجمعة الآية الأولى .

القُدوس : على وزن فُعول ، وهو من القدس ، والقُدس : الطهارة والتقـديس هـو التطهير، والأرض المقدسة : الأرض المطهرة ، وسميت الجنة حظيـرة القُـدس ، لأنهـا مطهرة من آفات الدنيا ، وسمي سيدنا جبريل روح القدس ، لأنه طاهر من العيـوب فـي تبليغ الوحي ، وفي قوله تعالى حكايةً عن الملائكة :

وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾

[سورة البقرة]

ما معنى ونقدس لك ؟: يعني يا رب نحن نطهر أنفسنا ، ونقدسها كي نكـون أهـلاً للإقبال عليك ، وهذه مهمة الإنسان في الدنيا ، يجب أن يقدس نفسه كي ينال مقعد صـدق عند مليك مقتدر .

كلكم يعلم إذا دعي إلى حفل كريم ، أو إلى لقاء خطير ، أو إلى مقابلة كريمة ، كيف يعتني الإنسان بمظهره بثيابه ، بألوان ثيابه ، بكل حركاته وسكناته ، فلذلك الملائكة يقولون :

ونَحن نُسبح بحمدك ونُقدس لك قَالَ إِني أَعلَم ما لا تَعلَمون

هل تصدقون أن مهمة الإنسان في الدنيا ؛ أن يطهر نفسه كي تغدو مؤهلة لتكون في جوار الله في الجنة ، لأن الله طيب ، ولا يقبل إلاّ طيباً .

" **عبدي طهرت منظر الخلق سنين ..**(الإنسان يدهن بيته ، يقول مدخل يحتاج إلى تعديل يرتب غرفة الاستقبال ، يزين مركبته ، يزين لباسه لماذا ؟ .. هذا منظر الخلق .. يقول الله عز وجل في الحديث القدسي :

" **عبدي طهرت منظر الخلق سنين ، أفلا طهرت منظري ساعة** " والقلب منظر الرب . **ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك** ..

إذاً يجب أن يكون شغلك الشاغل أن تطهر نفسك ؛ كي يسمح لك أن تكون مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين يوم القيامة ، وحسن أولئك رفيقاً .

النقطة الدقيقة في هذا الدرس ربما تحتاج إلى شرح ، جاء في تعريف هذا الاسم الجليل أن **القدوس** هو المنزه عن كل وصف ، من أوصاف الكمال ، هنا المشكلة .. ؟ ما هذا الكلام يا أستاذ ؟ !. جواب هذا الكلام أن الإنسان حينما أدرك ذاته ، رأى في نفسه كمالات ونواقص العلم كمال ، الحلم كمال ، الصبر كمال ، السمع ، البصر ، الإرادة ، الحياة هذه كمالات .. الجهل نقص ، العمى نقص ، الصمم نقص ، الخرس نقص اللؤم نقص ، الحقد نقص ، الضجر نقص .. الإنسان رأى أن هناك كمالات ، وهناك نواقص ، فلما أراد أن يثني على الله عز وجل نسب إلى الله عز وجل الكمالات التي يعرفها هو إنّ الله سبحانه وتعالى **القدوسٌ** منزه عن الكمالات التي يتصورها الإنسان من عنده ، كل ما خطر ببالك عن الله بخلاف ذلك ، قال تعالى :

فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ جَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا وَمِنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ أَزۡوَٰجٗاۖ يَذۡرَؤُكُمۡ فِيهِۚ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١

[سورة الشورى]

الله عز وجل ليس كالأب ، ولا كالمعلم ، أعظم من ذلك ، الله رحيم كما يرحم الأب ابنه لا .. فالأب أحياناً يرحم ابنه رحمة من دون علم فيورده المهالك ، الله رحيم عليم .

لذلك لما أراد الإنسان أن يثني على الله عز وجل فقد أثنى عليه بصـفات الكمـالات البشرية ، قال : الله سبحانه وتعالى **قدوس** منزه عن كل وصف من صفات الكمال البشري ، هو أعظم من ذلك ، هو منزه عن صفات كمال الناس ، ومن باب أولى منزه عن صفات النقائص ، بل إنه منزه عن كل صفة تُتصور للخلق ، كل شيء تصوره الإنسان عـن الله عز وجل فهو منزه عن هذه الصفات .

ومن معاني الله أكبر ، أنه كل ما عرفتَ عن الله عز وجل ، فالله أكبر مـن ذلـك ، أكبر مما عرفت ، هذا معنى ، منزه ومقدس عن كل صفة يمكن لإنسـان أن يتصـورها ، منزه ومقدس عن كل صفة تشبه صفات الإنسان وتماثلها ، ولولا أن الله سـبحانه وتعـالى سمح للإنسان أن يصفه بصفات كمال البشر ، لكان وصفه بصفات كمال البشر ذنبـاً مـن الذنوب ، تقول : الله رحيم ، تقول : الله عادل ، الله لطيف ، الله حليم ، إذا قلت : الله حليم يعني يأتي في بالك أن الإنسان قد يحلم ، قد يستفز فلا يغضب ، هكذا .. هو **قدوس** عـن هذه الأوهام ، وعن هذه الصفات .. فهل صارت واضحة هذه ؟ أقبلتموها؟

رجل من العارفين بالله ، قال لعارف آخر : يا فلان ألا تشتاق إلى الله عز وجـل ؟ ومنْ أمتع ما في الحياة مذاكرة العلم . عارف بالله سأل عارفاً بالله آخر : ألا تشتاق إلى الله ؟ .. قال لا والله لا أشتاق إليه .. أعوذ بالله ما هذا الكلام ؟ قال لا والله لا أشـتاق إليـه ، قال: ما هذا الكلام؟ أجابه ، متى غاب عني حتى أشتاق إليه ؟ .. متى غاب عني ؟

وآخر يسأل يا إمام متى كان الله ؟ قال ومتى لم يكن ؟ .. متى لم يكن حتى تقول لي متى كان الله ؟ .

الآن مرحلة أخرى **القدوس** هو المنزه عن كل وصف يدركه الحس عن كل تصـور يتصوره الخيال ، أو يسبق إليه الوهم ، أو يختلج به الضّمير ، أو يقضي به التّفكير .. أمّا أن تقول منزّه عن العيوب والنّقائص ، فإنّ هذا يقترب من باب قلّة الأدب مع الله عزّ وجل أو من باب ترك الأدب .

بربك لو كنت في حضرة إنسان عظيم ، وقلت أنت : يا سيدي حدّثتُ الناس عنـك ، قال ماذا قلت لهم ، قال : قلت لهم إن جنابك لست بكاذب! ما هذا ؟ أيقبل هذا ؟ هل تمـدح ملكاً بأنه ليس كاذباً ، قال : هذا من ترك الأدب ، ألم تر في الملك شيئاً إيجابياً ، نفيت عنه الكذب ، وهناك قاعدة : إنّ نفي الشيء أحد فروع تصوره ، إذا نفيت عن جهة نقيصةً، إذاً بالإمكان أن تقع منه هذه النقيصة ، نفي الشيء أحد فروع تصوّره ، إذن من تـرك الأدب أن تقول : الله سبحانه وتعالى منزّه عن النقائص ، منزّه عن العيوب ، هذا من ترك الأدب .

من تعريفات اسم **القدوس** أن القدوس من تقدست عن الحاجات ذاته. أمّا أنت فمحتاج ، أنت فقير ، كل شخصيتك ، وعلمك وذكائك وقوة هيمنتك على الناس ، وجلدك ، وعلمك ، كل هذه الصفات تتلاشى أمام شربة ماء .

قال له : يا أمير المؤمنين بكم تشتري هذا الكأس إذا منع عنك ، قال بنصف ملكي ، قال فإذا منع إخراجه قال : بنصف ملكي الآخر .

أنت محتاج إلى الهواء ، فلو منع منك الهواء ..

هذا الذي كان يقطع الصحارى ، يجتاز الصحراء على ناقـة عليهـا زاده وطعامـه وشرابه تعب من السفر ، جلس ليستريح ، أفاق فلم يجد الناقة وعليها طعامـه وشـرابه ، وهو في عرض الصحراء ، فأيقن بالهلاك ، من شدة البكاء أخذته سنة من النـوم ، أفـاق فرأى عن بعد شجرةً ، فأشرق في نفسه نور من الأمر ، هرع نحو الشجرة ، فـإذا إلـى جانبها بركة ماء شرب منها حتى ارتوى ، ثم تولى إلى الظل ، فإذا كيس مملوء ، ففرح به فرحاً عظيماً، وهو يحسب أن فيه خبزاً ، ولكنْ يا للأسف ، لقد فتح الكيس فلم يجد فيه إلا لآلئ ، فصاح وا أسفاه هذه لآلئ ، اللآلئ لها قيمة في المدينة ؟ لو كان في الكيس خبـز ! أما وقد منع منك الخبز يقول وا أسفاه هذه ليرات ذهبية . ماذا أفعل بها في الصحراء ؟

في الحرب العالمية الثانية كما سمعت ، الرغيف بيع بليرة ذهبية .

إذاً فالإنسان ضعيف ، مفتقر إلى الهواء ، مفتقر للماء ، مفتقر للخبز مفتقر إلى الأهل ، مفتقر لمن يؤنسه ، مفتقر لمن يحبه ، أنت فقير في الأصل ، قال تعالى :

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾

[سورة فاطر]

القُدوس : من تقدست عن الحاجات ذاته ، صمد ، وتنزهت عن الآفات صفاته .

والقدوس من تقدس عن مكان يحويه ، لا يحويه مكان ، وعن زمان يبليه .

قال لي أخ كريم ، كان أستاذي قال لي سبحان الله ، أنا من خمسين عاماً أنشط مـن الآن طبعاً ، الإنسان في الستين غيره بالثلاثين غيره بالعشرين ، بالسبعين ، يعني الـزمن يبليه ، يحتاج إلى قطع غيار كثيرة يحتاج إلى نظارات ، وأسنان ، وشعر أحياناً ، يحتـاج إلى قطع غيار .

والقدوس من تقدس عن مكان يحويه ، وعن زمان يبليه ، وهو عزيز لا يرتقي إلى تصويره وهْمٌ ، ولا يطمع في جواز تقديره فَهْم ، ولا تنبسط في ملكه يد من دون تقدير .

هو **قدوس** في ذاته ، لكنه يقدّس عباده الطائعين .

أقول لك هذه الكلمة ، فلان مقدس ، المقدس هو الطاهر ، تقديس بلا طهـارة كـلام فارغ ، فلان مقدس يعني مستقيم ، يعني عفيف ، يعني طاهر يعني سليم الصدر ، نوايـاه طيبة ، ليس في قلبه غل ، ولا حقد ، ولا غش ولا تخونه عينه ، ولا يسبقه لسـانه ، ولا يعطي أذنه للكلام غير المقبول لا يقدس الإنسان إلاّ إذا تنزه عن النقائص .

قال : **القدوس** من قدس نفوس الأبرار عن المعاصي ، وأخذ الأشرار بالنواصي .

القدوس من قدس قلوب أوليائه ؛ يعني كل إنسان له قلـب صـنوبري لا أعتقـد أن إنساناً على وجه الأرض ما له قلب ، لكنْ هناك قلب كالجوهر وقلب كالحجر .

وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾

[سورة الأعراف]

لكن الإنسان كلما اقترب من الله عز وجل ، صار ذا قلبٍ كبير ، ذا قلـب صـافٍ ، قلبٍ ممتلئ حباً لله عز وجل .

يعني فرق كبير جداً بين قلب وقلب ، قلب يلامس السماء رفعـة ، وقلـب يلامـس الحضيض ضعةً ، قلب كالجوهر صفا ماؤه ورقّ ، وقلب كالكدر القلوب أنواع ، والقلـب بيت الرب ، ومحصلة إيمانك كله هذا القلب :

يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾

[سورة الشعراء]

وهذا الدرس بفضل الله عز وجل ، هدفه أن يسير الإنسان إلـى قلـب سـليم ، وأن يتعاهد قلبه.

قال : **القدوس** من قدس قلوب أوليائه عن السكون إلى المألوفات الإنسان مسـتهلك ، طعامه، وشرابه ، وبيته ، وأولاده ، ورزقه ، ودكانه ومتجره ، ومعملـه ، ووظيفتـه ، ومكانته وصحته ، وقلبه ، وشرايينه ومعمله .. مستهلك ، هموم الدنيا تستهلكه ، لكن قلب العابد مستَهلك وليس مستَهلَكاً ، يستهلك الدنيا بمعرفة الله ، ولا يسـمح لهـا أن تسـتهلكه المؤمن يقود هواه ولا ينقاد له ، المؤمن يسيطر على نفسه ، ولا يسمح لها بالسيطرة عليه ، المؤمن يحتكم إلى القيم ، ويحكمها ، ولا يسخرها ولا يسخر منها ، المؤمن لـه مرتبـة أخلاقية لا يهبط عنها ، وله مرتبة علمية لا يزيغ عنها ، وله مرتبـة جماليـة ، هكـذا ، المؤمن شخصية فذة .

قال : **القدوس** من طهر نفوس العابدين بإبعادهم عن دنس المخالفات واتباع الشهوات ، و**القدوس** من طهّر قلوب الزاهدين من حب الدنيا و**القدوس** من طهّر قلوب العارفين مما سواه .. طهر قلوب العابدين وطهّر قلوب الزاهدين ، وطهر قلوب العارفين .

فالعابدون متصفون بطاعة الله ، مقبلون على عبادته ، متحرقون إلى الإقبال عليه .

والزاهدون مقيمون على الاكتفاء بوعد الله ، معرضون عما يوجب التهمة من ضمان الله.

إذا أردت أن تكون أغنى الناس فكن بما في يدي الله أوثق منك ممّا في يديك .

إذا أردت أن تكون أكرم الناس فاتق الله ، إذا أردت أن تكون أقوى النـاس فتوكـل على الله ربنا عز وجل قال :

فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۖ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ ﴿٧٩﴾

[سورة النمل]

وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾

[سورة آل عمران]

مشاعر القهر ، مشاعر الخنوع ، الذل لا يعرفها المؤمن الذي يعرف أن أمره كلـه بيد الله ، وأن الله صاحب الأسماء الحسنى والصفات العلى .

لذلك النبي الكريم كان إذا ألم به خطب فماذا كان يقول :

لا إله إلا الله الرحمن الرحيم ، لا إله إلا الله العليم الحكيم "

لا إله إلا اللهُ كل شيء بيدك يا رب وأنت رحمن رحيم ..

لذلك لا يحزن قارئ القرآن ، قارئ القرآن لا يمكن أن يحزن ، لأن الأمر كله بيـد الله ، كن فيكون ، ليس عند الإنسان محلات أقفرت ، وشواغر خَليتْ ، والمـلاك وظائفـه تعبأت ، هذه المرتبة انحجزت . المهمة أخذها ثلاثة ، وبقي مائة موظف قاعـدين ، عنـد الإنسان كل أمر محدود ، وكله مقنن ، أما ربنا عز وجل ففضله واسع عظيم .

العارفون إذا قاموا قاموا بالله ، وإن نطقوا نطقوا بالله ، وإن سكتوا سـكتوا بـالله ، فكيفما دارت أوقاتهم ، وتغيرت أحوالهم ، فالغالب على قلوبهم ذكر الله .

مؤمن أنت عاهدت الله عز وجل ، في السراء والضراء ، في الغنى والفقـر ، فـي الصحة والمرض ، في عمل وبلا عمل ، في زواج وبلا زواج لك بيت أو بلا بيت :

مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾

[سورة الأحزاب]

قال بعض العارفين : أذاقنا الله مما أذاقهم شمة ، إنه ولي كل نعمة .

طعم القرب ، من ذاق عرف ، الحديث شيء والذوق شيء ، قل ألف مليون قطعة نقد ممكن ، أملكها ، شيء ثانٍ ، كلمتها سهلة ، الحديث عنها سهل أما أن تملكها شيء آخر .

وبعد ، فكيف نقيم علاقتنا بهذا الاسم ؟ قالوا : من عرف هذا الاسم طهر نفسه عن متابعة الشهوات ، الله **قدوس** ، هو منزه ؟ .. يستحيل إلا أن يكون مقدساً فإذا كنت تَطمع أن تكون مع الله دائماً ، فعليك أن يكون إقبالك على الله ، حقيقة واتصالك بالله حباً وذكراً ، وبذا يحبك الله ، الله **قدوس** ، **القدوس** يحب **المقدس** .

إذاً من عرف هذا الاسم فلابد من أن يطهر نفسه عن متابعة الشهوات يعني مرتبة الإحسان: اعبد الله كأنك تراه ، خوفاً ، حباً ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك .. حال المراقبة .

قال من عرف هذا الاسم طهر نفسه عن متابعة الشهوات ، وطهر ماله عن الحرام والشبهات ، ومن عرف هذا الاسم طهر وقته عن دنس المخالفات .. احرص على أن يراك حيث أمرك ، وأن يفقدك حيث نهاك في وقت مجلس العلم أين أنت ؟ في بيت الله .. في وقت صلاة الجمعة أين أنت ؟ .. فيما بين الفجر والشمس أين أنت ؟ على السرير أم على مصلاك ، يجب أن يراك حيث أمرك ، وأن يفقدك حيث نهاك، في هذه الطرقات المزدحمة بالنساء الكاسيات العاريات ، هل أنت في هذا الطريق؟ لا والله ، هو في بيت من بيوت الله.

احرص على أن يراك حيث أمرك ، وأن يفقدك حيث نهاك .

قال : من عرف هذا الاسم طهر وقته عن دنس المخالفات ، وطهر قلبه عن مسالك الغفلات، طهر روحه عن فتور المساكنات .

وأن تعتريه المساكنات يعني أن يركن إلى الزوجة ، يركن إلى أولاده، أنه يأثرهم على مرضاة الله عز وجل .. يقولون : خليك قاعد معنا الآن ، حاجتك دروس ، أما شبعت دروساً ، يركن إلى الأهل والأولاد ، يركن إلى نزهة أعاقته عن مجلس علم ، لكن من عرف هذا الاسم طهر نفسه عن متابعة الشهوات ، طهر ماله عن الحرام والشبهات ، طهر وقته عن دنس المخالفات ، طهر قلبه عن مسالك المخالفات ، طهر روحه عن فتور المساكنات ، طهر سره عن الملاحظات والالتفاتات .. فلان يراني ؟ .. دخل المسجد ليصلي لقي إخواناً في المسجد ، قام بكسل ليصلي ، لله يقول أنا خاشع .. لا .. لا تلاحظ

الخلق أبداً ، لاحظ الخالق ، هؤلاء لا ينفعونك إطلاقاً ، أنت لك عند الله مكانة ، لا يرفعها مدح المادحين ، ولا يخفضها ذم الذامين .

أقول لك هذا المثل وأردده كثيراً : معك كيلو معدن ، هو ذهب ، ظنه الناس تنكـاً ، خير إن شاء الله ، ثمنه موجود ، لو كان معك كيلو تنك ، بذكاء بارع ، وطلاقة لسـان ، وقدرة إقناع أقنعت الناس أنه ذهب، خير إن شاء الله ، لا إن قنعوا بأن التنك ذهب تربح ، ولا إن اتهموك بأن ذهبك تنك تخسر ، خيرك منك وشرك فيك .

قال : هذا الذي عرف اسم **القدوس** لا يتذلل لمخلوق ولا يذل نفسه التي بها ربه بـل يسمو بها يعني اضرب مثلاً ، وإن كان لا علاقة وشيجة له بالدرس ، أحد أصحاب رسول الله صافح النبي عليه الصلاة والسلام بيده اليمنى ، بعد أن صافحه وأشرقت روحه ، قـال والله لا أمس بها شيئاً غير شريف ، يعني عاش ثمانين عاماً وما مس بيمينه ذكره ، لماذا ، لأنه صافح بهذه اليمين رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فصارت يده عند نفسه مقدسة .

طيّبْ هذه النفس التي عبدت ربها ، هذه النفس التي أقبلت عليه سبحانه ، أيليق بهـا أن تتذلل لمخلوق ؟ .. وقد عرفت اسم القدوس ، هذه النفس التي تقدسـت بمعرفـة الله لا يمكن أن تتذلل لمخلوق ، لذلك من جلس إلى غني فتضعضع له (أي تمسكن له) ذهب ثلثـا دينه.

اجعل لربك كل عزك يستقر ويثبت
فإذا اعتززت بمن يموت فإن عزك ميت

ويعاب أن تشكو الرحيم إلى الذي لا يرحم .. لذلك سيدنا إبراهيم ماذا قال حينما جاءه سيدنا جبريل ؟ قال له ألك عند الله حاجة ، وقد أوقدوا ناراً عظيمة ، وألقَـوه بهـا ، يـا إبراهيم ألك عند الله حاجة ، قال : علمه بحالي يغني عن سؤالي .. **قلنا يا نار كوني بـرداً** لو لم يقل الله: سلاماً لماتَ من البرد ، قال سلاماً لو لم يقل على إبراهيم لصارت النار منذ أن وضع هذا النبي العظيم بهذه النار حتى الآن لصارت لا تحرق وفقدت خصيصـتها . ولما عدنا نستفيد منها ، بضع كلمات ، **يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم** لو لم يقـل على إبراهيم لكانت النار لا تحرق أحداً إلى يوم القيامة ، ولما وجدت في طـبخ وسـيلة ، ولما تمكنت من صهر حديد ، ولما نعمت في تدفئة مركزية ، أو حلمت بمدفأة تـدفأ بهـا انتهى .

قُلْنَا يَـٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَـٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَـٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾

[سورة الأنبياء]

نعم برداً وسلاماً على إبراهيم فقط ! يعني إذا كان الله معك فمن عليك ، المؤمن لـه معاملة خاصة عند الله عز وجل ، والدليل :

وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَـٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَـٰتِ أَن لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَـٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾

[سورة الأنبياء]

فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَـٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُـْۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾

ولديك قانون :

وكذلك ننْجِي المؤْمنين

والله هذه الآية وحدها ، تملأ النفس إشراقاً ، تملأ النفس طمأنينةً تملأ النفس عـزة ، تملأ النفس كرامةً ، " **وكذلك ننجي المؤمنين** ".

قال : هذا الذي عرف اسم **القـدوس** كيف يتذلل لمخلوق بهذه النفس التـي تقدسـت بمعرفة الله عز وجل ؟ مستحيل أن يذلّ نفسه إلاّ لله سبحانه

وهذا الذي عرف اسم القدوس لا يعظم مخلوقاً بالقلب الذي به شهده .. هـذا القلـب عظم الله عز وجل أن يعظم مع الله أحداً ؟ .. مستحيل إلا أن يعظم أولياءه ، لأن المـؤدى واحد .

يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾

[سورة التوبة]

يعني إرضاء رسول الله هو عين إرضاء الله .

قال : هذا الذي عرف اسم **القدوس** يجب أن لا يبالي بما فقده بعدما وجـده .. هـل فهمتموها .. إنها واضحة .

أحد الصالحين عرف الله عز و جل ، تقدست روحه بمعرفة الله ، وذاق طعم قربه ، ولكن بيته صغير ، بيته قبو أجرة ، وظيفته متواضعة ، معاشه قليل ، زوجته وسط ، لـه جيران متعبين ، يا رب ماذا فقد من وجدك ؟ ثم يقول والله ما نقصنا شيء ، هنا البطولة ، إذا عرفته فعلاً لا ترى أنك خسرت شيئاً أبداً .

مرض مزعج ألم به ، وهذه مشيئة الله ، رضيت بقضاء الله ، لذلك طعم القرب ينسي كل شيء .

فليتك تحلو والحياة مريـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـرة وليتك ترضى والأنام غضاب
وليت الذي بيني وبينك عامـ ـ ـ ـ ـ ـ ـر وبيني وبين العالمين خـ ـراب
إذا صح منك الوصل فالكـ ـ ـل هيـ ـن وكل الذي فوق التراب تـراب

فلو شاهدت عيناك من حسننا الذي
رأوه لما وليت عنا لغيرنـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـا
ولو سمعت إذناك حسن خطابنـ ـ ـ ـا
خلعْتَ عنك ثياب العجب وجئتنا

لذلك هذا الذي عرف اسم **القدوس** لا يبالي بما فقده بعدما وجده .

قرأت مرةً عن سيدنا الصديق رضي الله عنه ، كلمةً لا أنساها ، ترى ذات يوم أحـد الناس يندب حظه ، يقول : زوجتي كبيرة ، يقول لك : من سني أخذتها كيف هذه الغلطـة غلطتها؟ ما الذي صار ؟ . سيدنا رسول الله أخذها أكبر منه بخمس عشرة سنة ، في سـن أمّه بالضبط .

سيدنا الصديق ما ندم على شيء فاته من الدنيا قط ، أحدهم لقـي جـوهرة ثمنهـا ثلاثمائة مليون ، ونسي أن يأخذ الصدفات من على شاطئ البحر ، جمع قليلاً من الأصداف وشيئاً من أحجار ذات لمعان ، ألوانُها غريبة ، لقي جوهرة ثمنها ثلاثمائة مليـون ونسـي الصدفات. هل يندم ؟ لنْ يندم أبداً ..

الآن : ولا يرجع قبل الوصول إليه بعدما قصده ..

على الطريق مشى ، ثم انتكس ، لِم ملّ ، ولماذا ؟ إنه لا يملك بيتاً ، يريد بيتاً يملكُه ، ماشى على الطريق إلى الله عز وجل. غير متزوج ، لم يلبث أن تـزوج انقطـع عـن مجالس العلم ، وجد ركونه إلى بيت وزوجة أكثر راحة وأدنى سعادة .

انظر لهذه الكلمة ما أدقها : ولا يرجع قبل الوصول إليه بعدما قصده.

أنت قصدت الله عز وجل ، يجب أن لا يثنيك شيء ، لا مشكلة ولا خطر ، ولا وهم ، ولا تهديد ، ولا فقر ، أبداً ، هذا هو الصدق ..

قال : من آداب من عرف هذا الاسم أن تسمو همته ، إلى أن يطهره الله من عيوبه .

عنده عيوب في نفسه ، المشكلة ـ يا إخوان ـ أن عيوب الجسد تنتهي مشكلتها عند الموت ، مهما كانت من آفات ، وأمراض ، مثلاً أحدهم يده مصـابة ، والآخـر بصـره ضعيف وثالث آلام في ظهره ، إذا جاء ملك الموت ينهي كل المشكلات ، ولم يعد لأحد من هؤلاء مشكلة أبداً .

كل أمراض الجسد تنتهي عند الموت ، وكل أمراض القلب تبدأ عند المـوت النـاس نيام إذا ماتوا انتبهوا ..

اللؤم الذي فعله إنسان في الدنيا مخدّر ، أما إذا استيقظ عند الموت فحالـه سـاعتئذٍ يكشفها معنى الحديث الشريف التالي ، والآيات بعده :

إن العار كما ورد في الأحاديث الشريفة في الجامع الصغير :

" إن العار ليلازم المرء يوم القيامة ، حتى يقول يا رب لإرسالك بي إلى النار أهون علي مما ألقى ، وإنه ليعلم ما فيها من شدة العذاب ".

آلام النفس ، آلام الندم ، الشعور بالخيبة ، الشعور بالخسارة الكبرى

قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَـٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا۟ وَٱتَّخَذُوٓا۟ ءَايَـٰتِى وَرُسُلِى هُزُوًا ﴿١٠٦﴾

[سورة الكهف]

قال : من آداب من عرف هذا الاسم ، أن تسمو همته إلى أن يطهره الله من كل عيوبه ، وأن يطهره عن دنس كل عاهاته ، في جميع حالاته ويطهر قلبه من كل كدراته ، وأن يرجع إلى الله تعالى بحسن الاستجابة في جميع أوقاته .

قال : فإن من طهر لسانه عن الغيبة ، طهر الله قلبه عن الغيْبة عنه ويصبح قريباً منه ، ومن طهر لله طرفه عن النظر بالريبة ، طهر الله سره عن الحجاب .

إذا الإنسان حجب بصره عن المحرمات ، يكشف الله عن بصيرته فإذا أطلق بصره حجب عن بصيرته .

وإذا طهر لسانه عن اغتياب الناس ، يقربه الله إليه ..

يعني ملخص هذا الدرس :

ونَحن نُسبح بِحمدك ونُقَدس لَك قَالَ إِني أَعلَم ما لَا تَعلَمون

يعني نطهر أنفسنا كي نستحق أن نكون معك يا رب ، في جنتك مع أوليائك ، مع المؤمنين، مع الأنبياء مع الصديقين ، مع الشهداء ، مع الصالحين .

قال : حكي عن إبراهيم ابن الأدهم ، أنه مر بسكران ، مطروح على قارعة الطريق ، وقد تقيأ ، فقال في نفسه بأي شيء أصابته هذه الآفة وقد ذكر الله بهذا الفم ، هذا اللسان ذكر الله، هذا الفم ذكر الله ،هو ممتلئ زبداً قيئاً ، ملقى على قارعة الطريق ، وكان إبراهيم شيخاً جليلاً عظيماً ، فجاء بنفسه وغسل فمه ، فلما أفاق السكران أُخبر بما فعله معه إبراهيم ابن الأدهم ، فخجل الرجل السكران من الله تعالى ، وتاب، وحسنت توبته فرأى

إبراهيم في المنام كأن قائلاً يقول له ، يا إبراهيم طهرت فمه من أجلنا ، فطهرنا قلبه مـن أجلك ..

تأثرت من هذه القصة ، يعني مثلاً لك ابن يأسان منه ، حاولت أنْ يصلي ولو صلاة شكلية، جهدت حتى جعلته يصلي هذه الصلاة الشكلية ، لعل الله عز وجل يتفضـل عليـك فيطهر قلبه.

أنت كن عند الأمر والنهي وعلى الله الباقي ، قف في الصلاة متخشعاً لعل الله يتجلى عليك، حاول أن تصلي مع أولادك لعل الله سبيل الرشاد ، طهر ظاهرهم لعـل الله يطهـر باطنهم لك الظاهر وعلى الله السرائر .

قال يا إبراهيم لقد طهرتَ فمه من أجلنا فطهرنا قلبه من أجلك .. القصة لها تتمـة ، دخل مسجداً مرة ، ورأى رجلاً يبكي بكاء مراً ، ويتهجد وينادي ربه ، ويدعوه ، أعجبتـه هذه الصلاة وهذا التهجد وهذا الخشوع قال : من أنت يا فلان ؟ من الرجل ؟ قال إن الذي هداني أخبرك بحالي ما قال لك يا إبراهيم طهرت فمه من أجلنا فطهرنا قلبه من أجلك ، إن الذي هداني أخبرك بحالي ..

لا تيأس ، لو رأيت الإنسان في أقل درجات المعصية أو في أشدها، الصلحة مع الله ممكنة بلمحة ..

" **إذا رجع العبد إلى الله ، نادى مناد في السماوات والأرض أن هنئوا فلانـاً فقـد اصطلح مع الله** " .

يا أيها الإخوة الأكارم :

أختم درسي بهذه الكلمات فاحفظوها :

إن للحسنة ضياء في الوجه ، ونوراً في القلب ، وسعةً في الرزق وقوةً في البـدن ، ومحبة في قلوب الخلق ..

ألا يتمنى أحدنا أن يكون كذلك ، وجه كالشمس منير ، قلب مستنير سعة في الرزق ، قوة في البدن ، محبة في قلوب الخلق .

أحد العلماء بمصر عاش مائة وثلاثين سنة .. رجل من علماء دمشـق رحمهـم الله تعالى ، عاش ستاً وتسعين سنة ، ويروي عنه تلامذته أنه كان مستقيم القامة ، حاد البصر ، مرهف السمع ، أسنانه في فمه ، خدوده متوردة ، قوي البنية ، كلما سـئل ، مـا هـذه الصحة ؟ يقول يا بني حفظناها في الصغر، فحفظها الله علينا في الكبر .

اللهم متعنا بأسماعنا وأبصارنا ، وقوتنا ما أحييتنا .

قال : وإن للسيئة سواداً في الوجه ، وظلمة في القلب والقبر ، ووهناً فـي البـدن ، ونقصاً في الرزق ، قال عليه الصلاة والسلام :

" **قد يحرم المرء الرزق بالذنب يصيبه** " .

ونقصاً في الرزق ، وبغضاً في قلوب الخلق ، والذنب ـ أيها الإخـوة ـ والسـيئة سبب هوان العبد على ربه ، وسقوطه من أعين خلقه .. هان الله على الناس فهانوا عليه .

آخر نصيحة ، اتق الله باجتناب المحرمات تكن من التوابين ، وتورع عـن اقتحـام الشبهات تكنْ من المتطهرين ، وازهد فيما زاد عن قدر الضرورة تنجـو مـن الحسـاب الطويل ، وأقبل على خدمة مولاك تنل الثواب الجزيل .

اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً .

كلمة قصيرة ـ أيها الإخوة الأكارم ـ لا يجوز أن تقف على قولـه تعـالى فويـل للمصلين أليس كذلك ؟ المعنى فاسد ، كما أنه لا يجوز أن تقف على قوله تعالى عند قوله " مالا يفعلون" بل لا بد من تمام الآية الأخيرة :

إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ
وَذَكَرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا ظُلِمُواْۗ وَسَيَعۡلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ
أَيَّ مُنقَلَبٖ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾

[سورة الشعراء]

إذاً الشعر مضمونه يقيّمه ، فإذا كان في مدح رسول الله ، مثلاً :

انظر لتلك الشجرة ذات الغصون النضرة

كيف نمت من حبة وكيف صارت شجرة

فابحث وقل مـ ـ ـ ـ ـ ـ ـن أخرج منها الثمـ ـ ـ ـ ـ ـ ـرة

ذلك هو الله الذي أنعمه منهمـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـرة

ذو حكمة بالغـ ـ ـ ـ ـ ـة وقدرة مقتـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـدرة

هذا الشعر ، فالشعر كما قال العلماء كلام حسنه حسن ، وقبيحه قبيح ربنا عز وجـل حينما وصف الشعراء وصف شعراء الجاهلية وغيـرهم الـذين تغزلـوا فأفحشـوا وآذَوْا واستثنى من بينهم الشعراء الذين آمنوا وأحسنوا المقالة كحسان بن ثابت الذي وقف شـعره دفاعاً عن الإسلام ورسوله صلى الله عليه وسلم . واقرأ أواخر سورة الشعراء .

والحمد لله **رب العالمين**

الدرس ٠٣ - اسم الله : "السلام" .

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الأخوة المؤمنون :

مع الدرس الثالث من دروس أسماء الله الحسنى والاسم الجليل من أسماء الله الحسـنى **السلام** ، ياأيها الإخوة الأكارم ورد هذا الاسم في نص القرآن الكريم في قوله تعالى :

هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾

(سورة الحشر : الآية ٢٣)

وورد أيضاً في قوله تعالى :

وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٥﴾

(سورة يونس : الآية ٢٥)

دعوة الله كلها ملخصة بدار السلام و ورد في قوله تعالى :

وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩١﴾

(سورة الواقعة : الآية ٩٠-٩١)

وورد في قوله تعالى :

وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴿١٥﴾

(سورة مريم : الآية ١٥)

هذه الآيات التي وردت في كتاب الله عز وجل وورد فيها اسم **السلام** ، ما معنى هـذا الاسم؟ يقول العلماء : هذا الاسم معناه أنه جل جلاله ذو **السلامة** ، ذو **السلام** أي ذو **السلامة** كأن تقول الرضاع من الرضاعة ، هذا الاسم أساسه اللغوي **السلامة** ومعنى **السـلامة** أي أن ذاته جل جلاله **سلمت** من كل عيب و**سلمت** صفاته من كل نقص و**سلمت** أفعاله عن الشـر ، ولكن لابد من وقفة دقيقة عند العبارات **سلمت** ذاته من كل نقص ، و**سلمت** صفاته مـن كـل عيب ، و**سلمت** أفعاله من الشر ، أليس في الأرض شرور ؟ فكيف يقول العلماء في شرح هذا الاسم العظيم من أسماء الله تعالى : **سلمت** أفعاله من الشر ؟ .

في الإجابة على هذا السؤال ، وأنا أعلق أهمية كبرى على هذه النقطة ، لأنك إذا فهمتها فهماً صحيحاً أحسنت الظن بالله عز وجل وحسن الظن بالله ثمن الجنة ، **سلمت** أفعالـه عـن الشر المطلق ؟ ما هو الشرالمطلق الذي نفعله لذاته ؟ أي إذا كان في الإنسان التهاب حاد في الزائدة الدودية ألا يمسك الطبيب الجراح المشرط الذي نرجوه أن يجري لنا هذه العملية !! ألا يمسك هذا الطبيب المشرط ويشق اللحم وينفر الدم ويخدر هذا الإنسان فبعد أن ينتهي مفعـول التخدير ألا يتألم هذا الإنسان ، هل أردنا أن نجرحه حباً بجراحته ؟ هل أردنا أن نقطـع هـذا اللحم حباً بإيقاع الأذى ؟ أم أن هذا الطبيب الرحيم البارع أمسـك المشـرط وفـتح الـبطن ليستأصل هذه الزائدة الملتهبة وفي استئصالها يكون الشفاء والراحة، فإذا جاء إنسان لـيطعن إنساناً آخر بالسكين بلا سبب وبلا ذنب نقول: هذا فعل الشر المطلق أي أوقع فيه الأذى لذات الأذى ، أما حينما يفتح جدار البطن ليستأصل هذه الزائدة الملتهبة فهذا ليس شراً مطلقاً ؛ هـذا هو الشر الذي من أجل الخير، هذا هو الألم الذي من أجل الراحة ، هذا هو فتح الجلد الذي هو من أجل راحة النفس ، فلذلك حينما نقول : من معنى اسم الله **السلام** أنه ذو **السلام** و**السـلام** من **السلامة** كما أن تقول الرضاع من الرضاعة .

إذاً أفعال الله ذاته منزهة عن كل عيب ، صفاته منزهة عن كل نقص ، أفعاله منزهـة عن الشر المطلق ، حينما توقع الشر لذات الشر فهذا شر مطلق.

يا أيها الأخوة الأكارم ،

يجب أن تعتقدوا ويجب أن تؤمنوا أنه ليس في الكون كله شر مطلق ، أتمنى علـى الله عز وجل أن يمكنني من توضيح هذه الحقيقة .

ليس في الكون شر مطلق . أما هناك شرور لا يعلمها إلا الله؟ لكن هذه الشرور لا بـد منها من أجل إحداث النتائج الطيبة ، خلق الإنسان ليسعد إلى الأبد فإذا إنحرف عن هدفه فـلا بد من تصحيح مساره، لا بد من معالجته ، لا بد من دفعه ، لا بد من ردعه ، لا بد من فعـل شيء يدفعه إلى هدفه النبيل ، فالذي يؤمن بأن هناك شرور إنما تقع لذاتها فهذا لا يعـرف الله أبدا ، لقول الله عز وجل :

قُلِ ٱللَّهُمَّ مَـٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾

(سورة آل عمران : الآية ٢٦)

مثلا : هل في الأرض كلها أب إن رأى ابنه مارسَ انحرافا اقترف ذنبا خطيرا ، أخـذ شيئا ليس له ، أخذ مالاً ليس له ، كذب كذبة كبيرة اعتدى على أخيه ، هل في الأرض كلهـا أب يقف مكتوف اليدين ؟ ألا يعالجه ، ألا يوبخه ، ألا يضربه ، ألا يحذره ، ألا يقرعـه ، و هل في الأرض كلها أب يأتي إلى ابنه الحبيب الذي لم يفعل شيئاً إطلاقا ويوقع به الأذى حبـا بالأذى ، هذا الأب منزه عنه ، الأب العادي الذي لا يملك من الرحمة والحكمة شيئاً منزه عن هذه الصفة .

إذاً الشر المطلق لا وجود له في الكون ، وما أصاب من مصيبة فبما كسـبت أيـديكم . وكلما كان الانحراف أشد كان العلاج أقصى .

شيء آخر . هذا أول تعريف جل جلاله من أسمائه **السلام** ، **سلمت** ذاته مـن العيـوب و**سلمت** صفاته من النقص و**سلمت** أفعاله من الشر المطلق إن كل شر تراه أعينكم هـو شـر موظف لمصلحة الإنسان البعيدة لا القريبة ، مثال للمصلحة القريبة : شر قد يفقد الإنسان ماله كله وقد أصيب بمرض عضال ، فذهب المال في العلاج فهذا الفقـد للمـال وهـذا المـرض العضال في نظر صاحبه شر خطير . ولكن حينما يخلق الإنسان لسعادة أبدية ويكـون هـذا العلاج في خدمة عودته إلى الله عز وجل وأنفق المال لهذه الغاية النبيلة فهذا هو الخير البعيـد .

المعنى الثاني من أسماء الله أنه **سلام** أي ذو **السلامة** لعباده ليس في الوجود كله سلامة إلا معزوة إليه .

الآن أدخل معكم في موضوع ؛ والله الذي لا إله إلا هو أتمنى من كل قلبي أن نسلك معا في فهم أسماء الله الحسنى فهما بمنهج واضح جدا ، دعنا من التعاريف النظرية ؛ دعنا مما قاله العلماء ، وما أجَل ما قالوه عن اسم الله **السلام** ، أنت كإنسان هل تستطيع أن تكتشف في هذا الكون حوادث آيات ، أدلة ، تؤكد أن الله **سلام** ؟ أنا سعيت ببعض الشواهد المنتزعة من حياتنا من أجسامنا مما حولنا لأؤكد لكم أن هذا الكون كله ماهو إلا تجسيد لأسماء الله الحسنى ، وما هو إلا مظهر لصفاته الفضلى.

مثلا : الإنسان إذا كسرت عظامه كيف تلتئم ؟ لا أحد يعرف إلا أن الخلية العظمية حينما تصاب بالعطب ، والعظام حينما تنمو في بدايتها تنمو إلى أن تصل إلى حد رسمه الله لها لأن الله عز و جل **باسط وقابض.**

و من رحمة الله بنا أن الإنسان ينمو فإذا بلغ في نموه الحد المعتدل المقبول يقف النمو ، وهناك مرض خطير جدا هو أن الإنسان ينمو دون توقف مرض العملقة ينمو بلا توقف ، فرحمة الله عز وجل توقف نموالعظام عند هذا الحد ، لكن خلايا العظام تنمو فإذا وصلت الحد الذي رسم لها تقف عن النمو . وقال العلماء : هذه الخلية العظمية تهجع وتنام ، قد يمضي على نومها أربعون عاما فإذا كسرت عظمة إنسان استيقظت هذه الخلايا وأعادت بناء ذاتها والتأمت مع أخواتها ونحن لا ندري ، لو أن العظم لا يلتئم ماذا ننفل ؟ لو أن عظم الإنسان إذا انكسر لا يلتئم ماذا نفعل ؟ فالتئام العظم يجسد اسم الله **السلام** ، الله عز وجل خلقك في أحسن تقويم وخلق في طبيعة الجسم إمكانية الترميم والإلتئام والشفاء .

أنت إذا سرت على قدميك اللطيفتين ماالذي يضمن لك أن لا تقع؟ جهاز للتوازن أودعه الله في أذنك الداخلية ثلاث قنوات فيها سائل ، فيها أهداب ، فإذا مالت على أحد محوريك ارتفع السائل في مكان دون الآخر وهذه الأشعار الدقيقة أحست بالميل فأعطت أمرا إلى الدماغ كي تعود إلى ما كنت عليه ، لولا هذا الجهاز الذي أودعه الله في الأذن الداخلية لاحتاج الإنسان إلى قدم قطرها سبعون سنتمتر ، يحتاج إلى مركز استناد واسع ، إذاً من أجل **سلامتك** جعل الله لك هذا الجهاز جهاز التوازن في الأذن ، نعم من أجل **سلامتك ،** ومن أجل **سلامتك** أنت أيها الإنسان جعل الله هذه الخلايا العظمية تهجع مديدا ثم تستيقظ لتلتئم .

الله سبحانه وتعالى أودع في الإنسان ، في عظامه ، من الداخل أعصاباً حسية بالغة الحساسية لماذا ؟ لماذا في نقْي العظام أعصاب حس ليس لها معنى ، فإذا كسر العظم تُبقي العظم على حالته لأن إبقاؤه على حالته هو ثلاثة أرباع العلاج ، فجعل الله في نقي العظام ذلك العصب الحسي البالغ الحساسية من أجل سلامتك لأن اسمه **السلام** .

وأعصاب الحس في الأسنان من أجل أن تبادر إلى طبيب الأسنان فتعالج أسنانك قبل أن تفقدها كلها ، فهذا العصب الحسي البالغ الحساسية في أسنان الإنسان من أجل سلامة الأسـنان وهو تجسيد لاسم الله **السلام** .

جهاز المناعة ، وهو حديث العالم اليوم ، جيش عظيم أودعه الله في الـدم : الكريـات البيضاء بعض هذه الكريات تستطلع أحوال العدو وبعض هذه الكريات تصنع المصل المضاد بناء على استطلاع الكريات المستطلعة وبعضها تأخذ هذا السلاح المضاد الحيوي وتقاتل بـه الجرثوم وأنت لا تدري. من أجل **سلامتك** أودع الله فيك جهاز المناعة ، هذه الكريات البيضاء التي بعضها لإستطلاع بنية العدو ومراكز ضعفه وبعضها لتصنيع المصول وبعضها لمحاربة الجرثوم إذا دخل معتديا على جسم الإنسان ، وما مرض الإيدز الذي هو شغل العالم الشـاغل إلا ضعف في جهاز المناعة ، فمن أجل ماذا خلق الله جهاز المناعة في الإنسان ؟ مـن أجـل سلامتك . إذاً هذا يجسد اسم الله **السلام** .

القلب : جعل الله عز وجل فيه مركز تنبيه كهربائي خاص به ، ما من عضلة في جسم الإنسان إلا وتأتمر بعصب حسي وعصب محرك، الإنسان عصب حسي ينقل إحساس المحيط إلى الدماغ وعنده عصب محرك ينقل أوامر الدماغ إلى العضلات وهذه من بديهيات التشريح ، كل عضلات الجسم تتحرك بأمر الدماغ لذلك الشلل من أين ؟ من الدماغ ، إذا تضيق شريان في الدماغ في منطقة الحركة يصاب الإنسان بالشلل ، إلا عضلة القلب إلا هذه العضـلة فقـد زودها الله جل جلاله بمركز توليد كهربائي خاص بالقلب ؛ لأن القلب خطر جدا ، المشكلة أن هذا المركز مركز التوليد إذا تعطل فهناك مركز آخر يعمل بعده مباشرة والدول المتقدمة جدا عندها أجهزة توليد كهرباء احتياط فلو أن مراكز التوليد الأساسية أصابها خلل أو عطب تعمل المراكز الإحتياطية، في القلب ثلاثة مراكز توليد كهرباء خاصة بالقلب إذا تعطل الأول يعمل الثاني وإذا تعطل الثاني يعمل الثالث ، لماذا خلق الله هذه الإحتياطات ؟ من أجل **سلامت**ك .

قال لي طبيب متخصص في الكليتين : لو أننا جئنا بمبضع الجراح واستأصـلنا الكليـة الأولى وجئنا إلى الكلية الثانية واستأصلنا تسعة أعشارها بالمبضع ، إن عشر الكليـة الثانيـة يكفي لتصفية دم الإنسان ، إذا الله عز وجل من أجل سلامتك أعطى كليتيك عشرين ضعفا عن حاجتك، هذا من أجل **سلامتك** ، فإذا قرأت اسم الله " **السلام** " أي زودك بوسائل **السلام** هـذا من معاني إسم الله العظيم جل جلاله .

الأوعية أوردة وشرايين لحكمة أرادها الله عز وجل . جعل الشرايين في داخل الأعضاء والأوردة في الظاهر ، لإن الشريان موصول بالقلب مباشرة فإذا أصابه جرح فقد الإنسان دمه كله لأنه مثل المضخة ، لو أن إنساناً فُتح شريانه هل تدري ما يكون . اصـغ لطبيـب الآن : وقال لي طبيب جراح أوعية : في أثناء بعض العمليات حينما يفتح الشريان وإلى أن نُغلقَـه

بملقط فإن الدم يصل أحيانا إلى سقف الغرفة لشدة الضغط، فهذا الشريان الذي أودعه الله فـي الإنسان حفاظا عليه وضمانا **لسلامة** صاحبه جعله في الداخل وجعل الأوردة فـي الخـارج ، فعندما تأخذ أبرة في العرق كما يقولون هذه ليست في الشريان ولكن في الوريد، مـن صـمم الشرايين في الداخل والأوردة في الخارج ؟ إسم الله **السلام** ضمانا **لسلامت**ك .

عندما يجوع الإنسان لدرجة يكاد يموت جوعا ، أنت كإنسان عندك مواد غذائية ؛ عندك مثلا بقول حبوب وعندك دهون ، فأنت مهما أوتيت من علم عظيم هل بإمكانك أن تحول هـذا القمح إلى مواد دهنية إلى لحم ؟ هذا شيء فوق طاقة الإنسان ولكن الجسم مزود بآلية عجيبـة جدا، بإمكانه أن يحول المواد النشوية إلى مواد دهنية عند الحاجة ، فهذه المرونة في تحويـل المواد من أجل **سلامت**ك والإنسان عندما يجوع يستهلك شحمه وحينما يجوع بعد ذلك يستهلك عضلاته ، في بعض حالات المجاعات العضلات تستهلك العضلة ، لا يبقى في يده إلا جهازه العظمي وعليه الجلد ، العضلات المخططة هذه تستهلك تؤكل ، ماذا قال هذا الفتى الشاب لعبد الملك ابن مروان حينما دخل عليه فقال عبد الملك ابن مروان: حينما رأى الصغار في مجلسه غضب وقال لحاجبه : ما شاء أحد أن يدخل علي حتى هؤلاء الصبيان ، فقال له : "أيها الأمير إن دخولي عليك لن ينقص قدرك ولكنه شرفني : أصابتنا سنة أكلت الشحم -أذابت الشـحم- وأصابتنا سنة أكلت اللحم وأصابتنا سنة ذقت العظم ، أول شيء في الإنسان يسـتهلك شَـحمه وبعد ذلك تُستهلك عضلاته إلا عضلة القلب ، من صمم هذا التصميم ؟ الإنسـان إذا أردت أن تميته جوعا يستهلك كل عضلاته إلا عضلة القلب ضمانا لسلامته.

بل إن في مخزون الإنسان الغذائي مخزون لا يستهلك إلا عند المجاعـات ، الإنسـان يجوع ، ما معنى أنك جائع ؟ يعني مخزونك في الكبد نقص ، المخزون الغذائي في الكبـد لا في الشرايين لو فحصت دم إنسان جائع لوجدت النسب كلها نظامية في دمه ، ولكن المخزون في الكبد هو الذي نقص ، هذا كله من أجل **سلامة** الإنسان هذا معنى " ذو **السلامة** "

شيء آخر : الإنسان أحيانا ينام ، وزن جسمه الذي فوق عظمه يضغط على العضلات التي تحت العظم هذا الضغط يسبب ضيق في التروية أودع الله في الإنسـان مراكـز تنبيـه للإحساس بالضغط فإذا تنبهت هذه المراكز لضغط الجسم عليها ولضـيق الأوردة والشـرايين وضعف التروية ، الدماغ يأمر الجسم وأنت نائم بالتقليب من شق إلى شق وهذا معنـى قولـه تعالى:

وَتَحۡسَبُهُمۡ أَيۡقَاظٗا وَهُمۡ رُقُودٞۚ وَنُقَلِّبُهُمۡ ذَاتَ ٱلۡيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِۖ وَكَلۡبُهُم بَٰسِطٞ ذِرَاعَيۡهِ بِٱلۡوَصِيدِۚ لَوِ ٱطَّلَعۡتَ عَلَيۡهِمۡ لَوَلَّيۡتَ مِنۡهُمۡ فِرَارٗا وَلَمُلِئۡتَ مِنۡهُمۡ رُعۡبٗا ﴿١٨﴾

(سور الكهف : الآية ١٨)

والتقليب ذات اليمين وذات الشمال ، مرة إلى اليمين ومرة إلى الشمال لئلا تقع من على السرير ، هذا من أجل **سلامت**ك .

وأنت نائم هذا الريق هذا اللعاب في الفم إذا ازداد أعطى تنبيها إلى الدماغ والدماغ أمر البلعوم فتجعل هذا اللعاب في المعدة وأنت نائم ، هذا من اسم الله **السلام** .

أتمنى عليكم الآن أن نحاول أن نفهم أسماء الله الحسنى لا من خلال التعريفات النظرية التي أوردها بعض العلماء ولكن من خلال التفكرات اليومية لعل الله سـبحانه وتعـالى يفـتح عليكم بهذا المجال ، أي كلما فكرت في إسم من أسماء الله الحسنى ، الأدلة لا تعد ولا تحصى ، الله عزو جل جعل أخطر عضو عندك هو " الدماغ " أين وضعه ؟ في الجمجمة ، ماذا جعل فيه ؟ أغشية بعضها فوق بعض ، وماذا جعل بين الدماغ وبين الجمجمة ؟ سائل ، ما وظيفـة هذا السائل؟ هذا يمتص الصدمات ، إذا تلقى إنسان ضربة على رأسه أو وقع على جمجمته ، وإذا فسرنا الضربة بارتجاج في السائل ، هذه الضربة أو هذا الضغط يوزع على سطح السائل كله ، فإذا هو عشر الميليمتر فلا يتأثر ، فالله جعل الدماغ في صندوق محكم وجعل الصندوق له مفاصل ثابته ، هذة المفاصل الثابته تمتص بعض الصدمات، لولا هذه المفاصل المنكسـرة لكان الإنسان لأقل ضربة تنكسر جمجمته ، أما هذه المفاصل فإنها تتمفصل تمفصلاً متكيفاً مع شدة الضربة ، فكلما تعرضت الجمجمة لصدمة تتداخل العظام مع بعضها ثم تعود لمكانهـا ، هذا من أجل **سلامتك.**

أين جعل النخاع الشوكي ؟ في العمود الفقري أخطر شيء في الإنسان .

أين جعل القلب ؟ في القفص الصدري .

أين جعل الرحم ؟ في الحوض :

ثُمَّ جَعَلۡنَٰهُ نُطۡفَةٗ فِي قَرَارٖ مَّكِينٖ ﴿١٣﴾

(سورة المؤمنون : الآية ١٣)

الرحم يقع في الوسط الهندسي تماما من جسم المرأة .

أين جعل معامل كريات الدم الحمراء وهي أخطر معامل في جسم الإنسان ؟ فـي نقْـي العظام، أترون كيف هي **السلامة** .

أين وضع العين ؟ في المحجر ، العين جعل لها محجراً يقيها الصـدمات ولـو تلقـى الإنسان ضربة على وجهه فالضربة لا تصل إلى العين ، لأنها في حصن في كوة المحجـر ، فالعين في المحجر والدماغ في الجمجمة والنخاع الشوكي في العمود الفقري والقلب في القفص الصدري ومعامل كريات الدم الحمراء فيْ نقي العظام والرحم في الحوض ، ما هذا الإحكـام البديع ؟

لماذا جعل الله عز وجل أنف الصغير الرضيع قاسيا ؟ لئلا يتطامن فيختنق الطفل ، كلما كبر الطفل أصبح هذا الغضروف لينا ، هذا من حكمة الله عز وجل ، هذا الرحم إذا تقلص من أجل سلامة المرأة ماذا يحصل يتقلص تقلصا لطيفا . هذا هو الطلق ، فإذا خرج الطفـل إلـى خارج الرحم تقلص الرحم تقلصا حادا قاسيا لماذا ؟ قال : لأن الطفل حينما خرج من الـرحم تقطعت عشرات ألوف الأوعية الشعرية فلو تقلص تقلصا لينا لماتت الأم من النزيف، يمسـك الطبيب أو القابلة يجس الرحم فإذا كان صخريا تعد الولادة سليمة ، لو أن هـذين التقلصـين عكسا لماتت الأم ولمات وليدها ، لو جاء التقلص عنيفا لاختنق الوليد ولو جاء رخوا لماتـت الأم ، فمن أجل **سلامة** الأم و**سلامة** وليدها كان التقلص الأول لينا متزامنا متسارعا والتقلص الثاني عنيفا حادا قاسيا من أجل سلامة المرأة ووليدها.

والله أيها الأخوة الأكارم لو بقينا ساعات طويلة أياما عديدة وأشهراً مديدة وسـنوات لا تنتهي ما انتهينا من إسم الله " **السلام** " إذا أردنا أن نأخذه من خلق الإنسان ومن خلق الحيوان .

هذه الحوينات ، أحد إخواننا الأطباء جزاه الله خيرا ذكر لي قبل أيام أن هـذا الحـوين الذي خلقه الله في الخصيتين ، هذا يتم خلقه خلال ثمانية عشر يوما هذا الحوين و يخزن فـي الخصيتين ويعطل فاعليته ، فإذا خرج ليستقر في الرحم حينما يبدأ بالإنطلاق من مكان تخزينه تبدأ فاعليته ، ولولا هذه الصفة لكان كل الرجال عقيمين ، يأتي العقم لأن هذا الحيوان له عمر وعمره عشر ساعات فإذا صنع في الخصيتين ولم يستهلك يموت ، إذاً يصنع ويـتم صـنعه ويخزن وتُعطل فاعليته فإذا انطلق من تخزينه ليستقر في الرحم بدأت فاعليته وعـاش عشـر ساعات إلى أن يستقر في البويضة ، هذا تصميم مَن ؟ تصميم الله عز وجل .

فأنا أتمنى عليكم وقد دخلنا في دروس أسماء الله الحسنى أتمنى عليكم أن ننحو في فهـم هذه الأسماء منحى يوازي التعاريف النظرية والشواهد العملية و أن نفكر تفكيرا ذاتيا حرا في بعض مظاهر خلق الإنسان وخلق الحيوان وخلق النبات ، هذه الشجرة التي عمرها خمسـين سنة وأنت تأكل منها زيتوناً كل سنة لها تصميم ، تصميمها أنك إذا غبت عنها ولـيس هنـاك

مطر في السماء تستهلك ماء أوراقها ، فإذا استهلكت ماء أوراقها كأنها تقول لك : يا صاحبي أنا عطشى تجد أوراقها ذبلت ، إذا ترك أحدنا شجرة دون سقي أول ماء تستهلكه ماء أوراقها فتجد الأوراق قد ذبلت ، فإذا لم تسق تستهلك ماء أغصانها فإذا لم تسق تستهلك ماء فروعها فإذا لم تسق تستهلك ماء جذعها فإن لم تسق تستهلك ماء جذورها وهذا آخر ماء تستهلكه.

لو أن الآية عكست في تلك الشجرة وتركت الشجرة دون سقي أسبوعين لماتت ، لأنها بدأت باستهلاك ماء الجذر ويبس الجذر ومن ثم ماتت الشجرة ، إذا من صمم أن هذه الشجرة يجب أن تستهلك ماء أوراقها أولا من أجل أن تسقيها ؟ هذا تصميم الله للشجرة .

هذا النسغ الصاعد . هناك أوعية صاعدة وأوعية هابطة في الشجرة، فحينما تنمو هذه الشجرة تنمو عرضا ربما نموها العرضي ضيق من أوعيتها . لذلك هذه الأوعية ذات الحيوية البالغة للشجرة مدعمة بألياف حلزونية لئلا ينمو القشر ولحاء الشجرة على حسابه ، من صمم هذا؟ الله سبحانه وتعالى . هذه البذرة التي جعلها الله عز وجل آية تقاوم سنوات وسنوات ، أخذوا قمحاً من الأهرامات و زرعوه فنبت ، بذرة القمح كائن حي فيها رشيم يعيش هذا الرشيم ستة آلاف عام تقريبا زرعت فأنبتت ، الذي أراه أن أي شيء في الكون من النبات إلى الحيوان والماء، فالماء : إذا جمد الماء لو زادت كثافته لغاصَ في أعماق البحار ولانتهت الحياة من على سطح الأرض ، لكن الماء العنصر الوحيد في الكون الذي إذا بردناه قلت كثافته وزاد حجمه قَطَفا، لو أنه عكس ما هو عليه الآن لأصبحت البحار كلها متجمدة ولانعدمَ البخر وانعدم المطر ومات الزرع ومات الحيوان وتبعه الإنسان ، خاصة واحدة إئت بالماء برده ينكمش إلى درجة أربعة فوق الصفر مئوية تنعكس الآية ويزداد حجمه ، هذا من اسم **السلام** من أجل سلامتنا ، وحينما يزداد حجم الماء هو الذي يفتت التربة فالتربة أساسها صخري بهذا الماء أصبحت مفتتة إذاً فاقرأ معي قوله تعالى :

وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجۡعِ ﴿١١﴾ وَٱلۡأَرۡضِ ذَاتِ ٱلصَّدۡعِ ﴿١٢﴾

(سورة الطارق : الآية ١١-١٢)

إذاً ازدياد حجم الماء عند التبريد هو الذي جعل الصخر ترابا من أجل سلامة الحياة ، فإذا أردنا أن نعرف أسماء الله الحسنى من هذا المنحى من هذا الطريق طريق رائع جدا وواسع جدا وفي متناول كل منكم ، أي واحد منكم بإمكانه بدءاً من كأس الماء إلى رغيف الخبز إلى أعضائه وأجهزته وخلاياه وأنسجته عليه أن يعرف أن إسم الله **السلام** واضح في خلقه بل في طعامه وشرابه ، ربنا عز وجل قال :

ٱلَّذِى خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًاۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلۡقِ ٱلرَّحۡمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍۖ فَٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ هَلۡ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴿٣﴾

(سورة الملك : الآية ٣)

كله متقن :

قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَىۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾

(سورة طه : الآية ٤٩ـ ٥٠)

هجرة الطيور من أجل سلامتها ، تقطع الطيور سبعة عشر ألف كيلومتر، تطير بعـض أنواع الطيور ستاً وثمانين ساعة دون توقف ، هل في الأرض كلها طائرة بإمكانها أن تطيـر ستاً وثمانين ساعة من دون تزود بالوقود ؟ غير ممكن " أعطى كل شيء خلقه ثم هدى ".

ذكرت بعض الأمثلة ، بعضها من خلق الإنسان وبعضهامن خلق النبات وبعضها مـن خلق الحيوان ، السمكة زودها الله بجهاز تعرف فيه أين هي من سطح المـاء ، إذا أمسـكت سمكة تجد في ثلثها الأعلى خط تحت الحراشف هذا خط مفرغ من الهواء . هي في أعمـاق البحر كلما هبطت نحو الأسفل إزداد الضغط على هذا الخط ، وهذا جهاز الضغط فـي كـل الغواصات ، كل سمكة جهزها الله بجهاز ضغط ، تعرف أين هي من سطح الماء كلما نزلـت تعرف عمق ما وصلت إليه من أجل سلامتها .

أنظر إلى كل الحيوانات الأهلية التي هي من حولنا ترى أن سلامتها عجيبة هذا كله من إسم السلام . إذاً إما أنه سلمت ذاته من العيب وسلمت صفاته من النقص وسلمت أفعاله مـن الشر أو أنه ذو سلامة لخلقه ، فليس في الوجود كله سلامة إلا وهي معـزوة إليـه أو سَـلَمَ المؤمنون من عذابه أو هو ذو سلامة على أوليائه .

قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَىٰٓۗ

(سورة النمل : الآية ٥٩)

سلمت ذاته وسلم خلقه من كل أذى ومن كل ضرر .

العلماء قالوا : إن سلام ذاته من العيوب والآفات فهذا الإسم من صفات التنزيه و سلامه على أوليائه فهذا الاسم من أسماء الذات فإن أعطى السلامة للمؤمنين فهذا من صفات الأفعال ،وسلامه إذاً إما من صفات التنزيه وإما من صفات الذات وإما من صفات الأفعال .

من معاني هذا الإسم أن ذكر الله عز وجل يورث الأمن والطمأنينة والسـلامة والـدليل قوله تعالى :

أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾

(سورة الرعد : الآية ٢٨)

في القلب وحشة ، في القلب خوف ، في القلب قلق لا يسكن هذا القلق ولا تسكن هـذه الوحشة ولا يأنس إلا بذكر الله ، وأنا أقول لكم هذه الكلمة: إبحثوا عن كل شيء ، لـيس فـي الأرض كلها شيء يمنحكم سعادة إلا أن تذكروا الله .

إن القلوب لتصدأ صدأ الحديد ، قيل : وما جلاؤها ؟ قال : ذكر الله وتلاوة القرآن .

إذاً من أسماء الله السلام إنك إذا ذكرته شعرت بالسلام ، إنـك إذا ذكرتـه زال عنـك الخوف ، إنك إذا ذكرته زالت عنك الوحشة ، إنك إذا ذكرته أنست به، إنك إذا ذكرته اطمأننت .

البعيدون عن الله عز وجل يأكل قلوبهم الخوف ، يختل توازنهم ينسحقون لأنهم أشركوا بالله ما لم ينزل به عليهم سلطاناً فألقى الله في قلوبهم الرعب ، أما علامة المؤمن فهو مطمئن .

إذاً من أسماء الله السلام إذا ذكرته يمنحك السلام ، إذا ذكرته يمنحـك الإطمئنـان ، إذا ذكرته تشعر بالقرب منه إذا ذكرته تشعر أنه يدافع عنك وأنك في رعايته وفي حفظـه وفـي تأييده وفي توفيقه وفي رعايته يدافع عنك .

من معاني إسم السلام أنك إذا إتصلت بالله عز وجل طهرت نفسك من العيـوب وهنـا ندخل في معانٍ دقيقة ، وأول معنى أن ذاته جل جلاله تنزهت عن كل عيب وصفاته تنزهـت عن كل نقص وأفعاله تنزهت عن كل شر ، أي شر ؟ هذا الشر المطلق أما الشر الهـادف ؟ فهذا علاج والعلاج دائما مر ، من المعاني الأخرى : أنه ذو سلامة أي يمنح السلامة لعبـاده إما في خلقهم كما تحدثنا قبل قليل وإما في نفوسـهم فـذكر الله يـورث الأمـن والطمأنينـة والسلامة.

والآن فالإتصال بالله ينقي النفس من عيوبها من البخل من الشح من الحقد من الضغينة من الحسد من الكبر هذه الصفات الذميمة التي يشقى بها الإنسان إذا اتصلْتَ بالله عـز وجـل تتنزه أنت عنها ، إذاً هو ذو سلام في جسمك أعطاك أعضاء وأجهزة وأعطاك خلايا وأنسجة ودقة بالغة في جهازك العظمي والعصبي والعضلي والدوران والشرايين والأوردة وإذا كنـت خائفا وذكرته بث في قلبك السلام فإذا إتصلت به طهرك من كل العيوب والنقـائص جعلـك طاهر النفس من أسمائه السلام .

شيء آخر : الله سبحانه وتعالى يهدي عباده سبل السلام ، كل إنسان له بيـت وأسـرة فممكن أن يكون في بيته خصام فيه شحناء فيه بغضاء فيه طلاق فيه أحيانا ضرب لزوجته ، هذا البيت فيه شقاق فيه ضغينة فيه حقد فيه مشاجرة فيه نفور ، فإذا اتبعت توجيهات القـرآن الكريم ومنهج النبي يهديك الله سبل السلام في بيتك فترى البيت وديعاً فيه طمأنينة فيه راحـة نفسية فيه مودة فيه مؤاثرة فيه محبة لأنك اتبعت ما جاء به النبي إذا دخلت إلى بيتـك فسـلم على أهلك بقولك السلام عليكم فيذهب الشيطان ، إن الشيطان كما قلت لكم سابقا يدخل بيتا فإذا دخل صاحب البيت ولم يسلم قال لإخوانه : أدركنا المبيت ، فيكون طوال هذه الليلة مشـاكل ، فإذا جلسوا إلى الطعام ولم يسموا الله قال: أدركناالعشاء ، فإذا دخل صاحب البيت فلـم يسـلم وجلس إلى الطعام ولم يسَم اللهَ قال الشيطان لإخوانه : أدركنا المبيت والعشاء في هذا البيت ، وبعد اللهُ السلام يهديهم سبل السلام فقد أمرك أن تختار المرأة الصالحة فلما اخترتهـا لأنهـا صالحة سعدت بها وأسعدتها فإذا آثرت الجمال على الصلاح شقيت بك وشقيت بهـا ، طبعـا آثرت الجمال وحده ، إن الجمال مطلوب ولكنك إن آثرته وحده على صلاحها أو على دينهـا شقيت بجمالها .

بعملك : إذا أنت تعاملت بالربى وتراكبت عليك ديون ضـخمة وظهـرت المشـكلات وتوقف البيع فجأة وعليك سندات فأفلست ، لو أنك اتبعت السنة النبوية وأمر الله عز وجل لما وقعت في مشكلة في دخلك .

إذاً في تجارتك يهديك سبل السلام في زواجك يهديك سبل السلام في علاقاتك بجيرانـك يهديك سبل السلام هذا معنى السلام ، فأنت إذا طبقت القرآن الكريم أوصلك في كل موضوع في كل حقل وفي كل جانب إلى السلام والله يدعو إلى دار السلام وهي الجنة ، فالسلام مريح جدا فإنك تعيش في طمأنينة وتعيش براحة وتحس أن الله خالق الكون معك لا يتخلى عنك ولا يسلمك إلى عدوك يدافع عنك ويحفظك ويؤيدك وينصرك لكنك دفعت الثمن قال تعالى :

وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مَعَكُمْ ۖ لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم
بِرُسُلِى وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ
عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ
فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١٢﴾

(سورة المائدة : الآية ١٢)

إذاً من معاني السلام أن ذكر الله يورث الأمن والسلام من معاني السلام أن الإتصـال بالله عز وجل يكسب السلامة من العيوب والنقائص والأدران والحماقـات والحقـد والحسـد والضغينة والعلو في الأرض والكبر . هذه الصفات الذميمة المهلكة إذا اتصلْتَ بالله عز وجل نقّاك منها .

من معاني السلام أنك إذا طبقت شرعه يهديك سبل السلام كقوله تعالى :

إِنَّ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ

(سورة الإسراء: الآية ٩)

أي إذا طبقت الشرع يعطيك السلامة في الدنيا ، وإذا أقبلت علـى الله يعطيـك سـلامة النفس ، وإذا أطعته في كل مناحي حياتك يعطيك سلامة الآخرة ، قال الله تعالى :

هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَـٰمُ

(سورة الحشر : الآية ٢٣)

تصاحب أحيانا شخصاً شريراً أو تشاركه في بعض أعمالك فيدمر لك حياتـك ، وقـد يتزوج إنسان إمرأة شريرة وفي هذا السياق حدثني شخص قال لي : إنه رآهـا فـي الملهـى فأعجبته فتزوجها ، بعد أن تزوجها نشب خلاف بينه وبينها ليست منضبطة ، أنت مـن أيـن أخذتها ؟ من أين تزوجتها ؟ فذهبت إلى بيت أهلها ، استرضاها فلما استرضـاها أبـت إلا أن تسجل عليه مبلغ مائة ألف ليرة لترجع إليه ، رجعت إليه شكلا وأقامت عليه دعوى واتفقت مع المَبلغ ، وأخذت التبليغ من مبلغ المحكمة ولم تبلغه لزوجها ومضت مدة الدعوى وأصبح الحكم قطعيا ، ثم سيق الزوج إلى السجن بتهمة التخلف عن دفع المهر المقـدم .هكـذا مجريـات القضاء ، فلما علم ذلك حاول قتلها وقتل أمها وأختها في ليلة واحدة وقتل نفسه ، إصابتهم لـم تكن قاتلة أخذوا للمستشفى ونَجَونَ الثلاث من الموت الأم وابنتها وأختها وهو أصـبح تحـت

الثرى ، ليس للإنسان سلام إذا تزوج إمرأة أعجبته من مكان ساقط فدمرته . قصة واقعة هنـا في دمشق قبل ستة أشهر .

أما إذا التزم أحدنا شرع الله عز وجل فإنه سبحانه يبارك له في زواجه وفي عمله وفي رزقه وفي صحته وفي أولاده يهديهم سبل السلام

إِنَّ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ

(سورة الإسراء: الآية ٩)

فَمَنِ ٱتَّبَـعَ هُـدَاىَ فَلَا يَضِـلُّ وَلَا يَشْـقَىٰ ﴿١٢٣﴾

(سورة طه : الآية ١٢٣)

يجب أن تعرف أن السلامة كلها أن تكون مع الله . السلامة كلها أن تكون وفق أمر الله . السلامة كلها في معرفة الله السلامة كلها في عبادته السلامة كلها في فهم كتابه السلامة كلها في تنفيذ شرعه السلامة كلها في الإلتزام بما أمر .

الآن وردت كلمة السلام في القرآن بمعنى آخر قال الله تعالى :

وَٱللَّـهُ يَدْعُـوٓاْ إِلَـىٰ دَارِ ٱلسَّـلَـٰمِ

(سورة يونس : الآية ٢٥)

ما هي دا رالسلام ؟ الجنة ليس فيها نغص ولا حسد ولا فيها مرض ولا فيها قلـق ولا فيها خوف ولا فيها منازعة ولا فيها حروب ولا فيها شيء من هذا كله .

وَٱللَّـهُ يَدْعُـوٓاْ إِلَـىٰ دَارِ ٱلسَّـلَـٰمِ وَيَهْـدِى مَـن يَشَـآءُ إِلَـىٰ صِـرَٰطٍ مُّسْـتَقِيمٍ ﴿٢٥﴾ ۞ لِّلَّـذِينَ أَحْسَـنُواْ ٱلْحُسْـنَىٰ وَزِيَـادَةٌ ۖ

(سورة يونس : الآية ٢٥ـ٢٦)

هذه دار السلام ،هذا معنى آخر .

السلام ورد في آية أخرى قال :

وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَـٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَـٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَـٰبِ ٱلْيَمِينِ

(سورة الواقعة : الآية ٩٠ـ٩١)

الله سبحانه وتعالى يخبرك عن سلامة هؤلاء ، يقولون : نحن في صـحة جيـدة وفـي سعادة كبرى ، أصحاب اليمين في سلام هم في الجنة .

ورد أيضا في قوله تعالى :

وَسَـــلَـٰمٌ عَلَيۡـــهِ يَـــوۡمَ وُلِـــدَ وَيَـــوۡمَ يَمُـــوتُ وَيَـــوۡمَ يُبۡعَـــثُ حَيًّا ﴿١٥﴾

(سورة مريم : الآية ١٥)

قال بعض العلماء واسمه سفيان إبن عيينة : أوحش ما يكون العبد في ثلاثة مـواطن ، يوم ولد . كان في الرحم مسروراً ومرتاحاً من المتاعب والمشاكل وخرج إلى الدنيا ، طبعـا هو انتقل من مكان ضيق إلى مكان واسع ولكي يألف الدنيا يبكي فورا ، أوحش ما يكون العبد في ثلاثة مواطن :

وَسَـــلَـٰمٌ عَلَيۡـــهِ يَـــوۡمَ وُلِـــدَ وَيَـــوۡمَ يَمُـــوتُ وَيَـــوۡمَ يُبۡعَـــثُ حَيًّا ﴿١٥﴾

يوم يموت يدع كل شيء زوجته وأولاده وبيته وغرفة نومه ومكتبته ومركبته ومحلـه التجاري وعنده يوم في الأسبوع يجتمع فيه مع أصحابه له أصدقاء وأصحاب ، لـه رغباتـه وميوله توقف قلبه يأخذونه إلى القبر ، خروج بلا عودة وترك كل ماذكرناه آنفاً .

هو الذي زين البيت ورتبه وعنده مكتبته الخاصة وغرفته الخاصة يضع فيهـا حاجاتـه الشخصية بعض الهدايا المهداة إليه يتمنى أهله أن يفتحوا درجه فلا يسمح لهـم فـي حياتـه وعندما يسلم الأمانة يفتحون الدرج ويأخذون السيارة ويفتحون المحـل ويرتبـون ويبيعـون ويشترون هكذا تجري الوقائع فلذلك **ويوم يموت ويوم يبعث حيا**

قالت : يارسول الله أيعرف بعضنا بعضا يوم القيامة ؟

قال :

نعم يا أم المؤمنين إلا في ثلاثة مواطن ، عند السراط وعند الحشر وإذا الصحف نشرت .

أي تقع عين الأم على ابنها تقول له : يا ولدي ألم أجعل لك بطني وعاء وصدري سقاء وحجري وطاء هل من حسنة يعود علي خيرها ، يقول : آه يا أماه إنني أشكو مما أنت منـه

تشكين لا أستطيع ، سيدنا يحيى : وسلام عليه يوم ولد ، أصعب يوم لديه ومثل ذلـك ويـوم يموت ويوم يبعث حيا . فأمنه الله إذ قال : وسلام عليه

فإن الإنتقال من بيت لبيت صعب قد ألف جيرانه وألف إخوانه وأحبابه والإنتقال إلـى بيت آخر شيء صعب فلذلك

وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴿١٥﴾

(سورة مريم : الآية ١٥)

الآن ورد كلمة سلام في القرآن بمعنى آخر قال :

وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾

(سورة الفرقان : الآية ٦٣)

شاهد شخص سيدنا علياً في المنام فقال له : سلاما سلاما ، استيقظ الشخص وهو سعيد جدا، وروى ما رأى على أحدهم فقال له : تفسير منامك أنك جاهل لقوله تعالى :

وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾

(سورة الفرقان : الآية ٦٣)

مامعنى " سلاما" ؟ هناك أشخاص أصلحهم الله صالحون إذا خاطبهم شخص يقولون له سلام ، ما سلام هذه ؟ العلماء قالوا معنى سلام : تكلموا كلاما لا عيب فيه لا خطأ فيه لا جهل فيه لا قسوة فيه لا تطاول فيه لا إهانة فيه لطيف رقيق . إن كلمة " سلام " وحدها لا تفيد ذلك الشخص الذي لعله أساء وأخطأ بل على الصالحين أن يعظوه وينصحوه .

وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ

(سورة آل عمران : الآية ١٥٩)

لا غلط فيه ولا جهل ولا مبالغة ولا كذب ولا تدليس ولا إحتيال ولا غـش ولا معـاني مبطنة.

وَإِذَا خَـاطَبَهُمُ

ٱلْجَـٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَـٰمًا ﴿٦٣﴾

(سورة الفرقان : الآية ٦٣)

ليس معنى ذلك : قل له سلام ، قالوا : كلاما سليما من كل عيب من كل خطأ من كـل جهل من كل قسوة من كل تطاول من كل عدوان من كل إهانة هذا معنى "سلاما" .

أيها الأخوة :

وبعد ، فما واجب المؤمن بالنسبة لهذا الإسم ؟ المؤمن الحق من سلم مـن المخالفـات الشرعية سرا وعلنا ، وبرئ من العيوب ظاهرا وباطنا ، قال الله عز وجل :

وَذَرُوا۟ ظَـٰهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُۥٓ

(سورة الأنعام : الآية ١٢٠)

ومن كان سليما من الذنوب بريء من العيوب ولتكن على هذا النحـو علاقتنـا بأسـم السلام ، ليتحقق لنا معنى الآية الكريمة :

يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾

(سورة الشعراء : الآية ٨٨ـ٨٩)

القلب السليم القلب البريء من الشك والشرك ،

زعم المنجم والطبيب كلاهما لا تبعث الأموات قلت إليكما

إن صح قولكما فلست بخاسر أو صح قولي فالخسار عليكما

وإن شاء الله لا نكون على غلط ، أما قول الشاعر فليس إيماناً وإنما هو ارتياب وشـك :

إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟

(سورة الحجرات : الآية ١٥)

فالسليم من برئ قلبه من الشك والشرك ومن النفاق والشقاق والرياء والمداهنـة ومـن سلمت نفسه من الشهوات وسلم عقله من الشبهات ، لا شبهات في عقله ولا شهوات في نفسـه وألقى الشك والشرك والنفاق والشقاق والرياء والمداهنة جانباً بل تحت قدميه .

الآن هذا واجب المؤمن من حيث اسم السلام أما ما حقه على الله هذه أهم نقطـة فـي الدرس:

أنت آمنت وفكرت في الكون وتعرفت إليه واستقمت علىأمر الله وحضرت مجالس علم وضبطت شهواتك وضبطت جوارحك وغضضت من بصرك عن محارم الله نزهت أذنك عن سماع الغناء لم تختلط مع النساء الأجنبيات وكنت ملتزماً ولم تخالف الشرع فما لك عنـد الله بعد إسمعوا ما قال العلماء في هذا الموضوع قالوا :

أي عبد طبق أمر الله عز وجل وأقبل عليه فحق المؤمن على الله أن يسلّمه . من ماذا ؟ قال : أن يسلمه في الدنيا من المؤذيات وأن ينيله ما فيها من الخيرات لك عنـد الله حـق ، هناك مصائب خطيرة جدا و أنت مؤمن والمؤمن حساس وربنا عز وجل بعلاج لطيف بينـك وبينه ينبهك ، ويكف عنك العذاب المهين العذاب الأليم العذاب العظيم كما يدفع فقراً يكاد يكون كفرا أو شقاقاً أو خيانة زوجية أو قتلاً ، فالمؤمن حينما يستقيم علـى أمـر الله يسـلمه مـن المؤذيات وينيله من الخيرات ،

الدنيا كلها متاع وخير متاعها المرأة الصالحة

زوجته صالحة ، أولاده أبرار ، رزقه في بلده سمعته طيبة نظيفة وأخلاقه عالية محمود السيرة ومحبوب هذه من ثمرات الإستقامة ، الله عز وجل اسمه السلام يسلمك من المؤذيـات ويمنحك الخيرات هذه سلامة الدنيا .

فما سلامة الدين ؟ اللهم أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا ، قال : سلامة الدين في ثلاثة مقامات ، في مقام الشريعة ومقام الطريقة ومقام الحقيقة .

في مقام الشريعة يسلم عقلك من البدع والشبهات ويسلم قلبك من الهـوى والشـهوات ، لايوجد في عقلك بدع ولا أغلاط كبيرة لا عقيدة زائغة ولا عقيدة فاسدة يسلم عقلك من البـدع والشبهات ويسلّم نفسك من الشهوات ومن الهوى .

وأما في مقام الطريقة فعقله أمير على شهوته وعلى غضبه وليس أسيراً لهما . عقله هو الأمير ينقاد هواه لعقله ولا ينقاد عقله لهواه هذا سلامة في مقام الطريقة .

وأما سلامتك في مقام الحقيقة فلا تلتفت إلا إلى الله .

اذاك المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده

قال بعض العلماء : كيف يسلم الناس من لسانه ويده وهو لم يسلم من نفسه فهو أسـير نفسه وأسير شهواته .

والحمد لله رب العالمين

الدرس ٤٠ - اسم الله : "المؤمن" .

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الأخوة المؤمنون :

مع الدرس الرابع من دروس أسـ ـ ـماء الله الحسـنى ، يا أيها الأخوة الأكـارم : أن تؤمن بوجود الله عز وجل يعني أنك لم تفعل شيئاً ، لأن الشيطان نفسه ماذا قال حينما خاطب الله عز وجل ؟ قال: " رب فبعزتك " فعبارة الشيطان تدل على إيمانه بالله ، ورغم ذلك فهـو رأس الكفر كله . فأن تؤمن بوجود الله فقط من دون أن تتعرف إلى أسمائه ، إلى ربوبيتـه ، إلى ألوهيته ، إلى أسمائه الحسنى ، إلى صفاته الفضلى ، إلى مناحي عظمته ليس كافيـاً ، أن تؤمن بالله خالقاً وكفى الأمر ليس كافياً أيضاً ، فإن ربنا سبحانه وتعالى قال :

وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾

(سورة العنكبوت : الآية ٦١)

إذاً من لوازم الإيمان بالله ومما يجب على المؤمن ، أن يتعرف إلى أسماء الله الحسنى ، أي أحياناً تعرف أنّض فلاناً جار لك غير كاف لكن تحب أن تعرف عنه تفصيلات ، تعـرف عنه شيئاً من علمه ، وشيئاً من أخلاقه ، من أعماله ، من تفوقه ، هذا فيما بين النـاس ، فـلا تكون المعرفة صحيحة إلا إذا عرفت الصفات و الأسماء ، فلذلك من لوازم الإيمان بالله عـز وجل أن تتعرف إلى أسمائه الحسنى وصفاته الفضلى .

في الدرس الماضي وفي درس اسم السلام بينت لكم بعض النواحي التي تبرز عظمـة هذا الاسم و كلفتكم أن تفكروا بهذا الاسم بالذات وأن تأتوني بآيات دالة على اسم السـلام : إن من خَلْق الإنسان أو من خلق المخلوقات الأخرى أو من النبات أو من عوامل الطبيعة ، فهـل عند أحدكم شيء من هذا القبيل ؟

جعل الدماغ في صندوق عظمي تحقيقاً لسلامته ولو جعله كرة متصلة ما الذي يحدث ؟ عند أول صدمة تنكسر الجمجمة ، أما عندما جعل هذه الجمجمة عدة قطع وجعل العلاقة فيمـا

بين هذه القطع مفاصل متحركة ثابتة أي هناك تمفصل لا يزيد عن نصف ميلي فأية صـدمة أصابت الرأس . فهذه الفواصل الدقيقة تمتص الصدمات وتنجو الجمجمة .

ولو جعل الدماغ في هذه الجمجمة مباشرة لانتقلت له الصدمات !! ماذا جعـل الله عـز وجل تحقيقاً لاسم السلام ؟ جعل سائلاً بين الجمجمة وبين الدماغ وهذا السائل يمتص الصدمة من جهة ويوزعها على كافة سطح الدماغ عندئذ لا تؤذيه ، هذا من اسم السلام ، الحقيقة ؛ أن الكون كله تجسيدُ وإظهار لأسماء الله الحسنى ، كل أسماء الله تبدو لك من خلال الكون، ذات الله عز وجل لا نستطيع أن ندركها لقول الله عز وجل :

لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَـٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾

(سورة الأنعام : الآية ١٠٣)

أن ترى ذات الله مستحيل ، لكنك تستطيع أن تتعرف إلى ذاته من خلال خلقه ، فالكون يدل على المكون ، و النظام يدل على المنظم ، والتسيير يدل على ألمسير ، والماء يدل علـى الغدير ، والأقدام تدل على المسير ، والبعر يدل على البعير ، أفَسماء ذات أبـراج ، وأرض ذات فجاج ، ألا تدلان على الحكيم الخبير ؟

يا أيها الأخوة الأكارم لماذا يجب أن نعرف الله ؟ كي نعبده ، ولماذا نعبده ؟ كي نسـعد بقربه في الدنيا و الآخرة لأن الله سبحانه وتعالى في الأصل خلقنا ليسعدنا ولا نسعد إلا به ولا نستطيع أن نقبل عليه حتى نسعد ، ولا نسعد إلا إذا كان عملنا طيباً ، ولن يكون عملنا طيباً إلا إذا تعرفنا إلى عظمته ، لذلك قال ربنا عز وجل في وصف بعض أهل النار :

إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾

(سورة الحاقة : الآية ٣٣)

أي يجب أن تعرف عظمة الله ، إن لم تعرف عظمة الله لابد من أن تختـرق حـدوده ولابد من أن تتجاوز أوامره ، أما إذا عرفت عظمة الله عز وجل وكنت أضرب لكـم أمثلـة كثيرة منها : جاءك أمر مكتوب والتوقيع للعريف فلان بسبعة واحدة ، إن احترامك لهذا الأمر على قدر هذه السبعة وإذا كان سبعتين قد يكون الاحترام أكثر ، وإذا كان ثمانيـة واحـدة أو ثمانيتين أو نجمة كُلما علت الرتبة يصبح الاهتمام أكبر ، فكيف إذا كـان قائـد الفرقـة

أعطاك أمراً مثلاً . فالقصة كلها يجب أن تعرف من هو الله ، كي تطيعه وتقبل عليه وترجـو ما عنده ، وتخاف وعيده ، لن تخاف وعيده ولن ترجو ما عنده ولن تقبل عليه ولن تسعى إليه ولن تستسلم لقضائه ولن ترضى بحكمه إلا إذا عرفته ، إذا عرفته رضيت بقضـائه ورأيـت حكمةً ما بعدها حكمة ، ورأيت علماً ورأيت رحمة ورأيت لطفاً ورأيت عطفاً ورأيت عـدلاً ، فكلما عرفته كلما استسلمت له وأقبلت عليه وخضعت له وائتمرت بأمره وانتهيت عن ما نهى عنه ، أقبلت على عبادته وخدمت عباده ، فنحن يجب أن نعرف الله ، أما أن تقولوا : الله خالق الكون ، هذه معرفة بسيطة لا تقدم ولا تؤخر ، وهذه المعرفة لا تحجزك عن محارم الله ، هذه المعرفة في مجموعها لا تحملك على طاعة الله ، تقول الله خالق الكون ولك مخالفات كثيرة ، تقول الله خالق الكون ولك انحرافات كثيرة ، تقول الله خالق الكون ولـك طموحـات دنيويـة كثيرة ، أما إذا عرفت من هو الله وهذا هو الهدف من هذا الدرس وأن تزداد معرفتنا بالله لأنه كلما ازدادت هذه المعرفة كلما ازداد الخشوع والطاعة والخوف والإقبال والاستسلام و الرضا والانصياع والفداء والتضحية والإخلاص ، أي إن حجم عملك بحجم معرفتك وحجم سـعادتك بحجم عملك أي إن الدين كله يمكن ينضغط بثلاث كلمات : معرفة ، طاعة، سعادة ، على قدر معرفتك تطيع الله عز وجل وعلى قدر طاعتك تسعد به .

إذاً هذه الأسماء الحسنى لا ينبغي أن نعرف تعريفاتها الدقيقة فقط بل يجـب أن نملـك عشرات بل مئات بل ألوف الأدلة النابعة من الكون على هذه الأسماء ، لـذلك مـن علامـة معرفتك بالله عز وجل أن ينطلق لسانك في الحديث عن أسمائه ساعات طويلة ، حـدثنا عـن اسم اللطيف أو عن اسم الرحيم أو عن اسم الملك أو عن اسم القدوس أو عن اسـم السـلام ، فالذي أرجوه وأتمناه على الله عز وجل أن يملك أحدكم بحثاً ذاتياً وأن يكون له جولات في هذا الكون ليكتشف من هذا الكون الأدلة الناصعة على أسماء الله والأولى أن نبقى نجول في كـل فترة أو في كل حين مع اسم من أسماء الله الحسنى ، فيا أيها الأخ الكريم : إن وجود الـدماغ في هذا الصندوق العظمي هذا من اسم السلام ، و النخاع الشوكي في العمود الفقري من اسـم السلام ، ومعامل كريات الدم الحمراء في نقي العظام من اسم السلام ، والقلب داخل القفـص الصدري من اسم السلام والعين في محجر العين من اسم السلام و الرحم في حوض المـرأة من اسم السلام والجلد من اسم السلام والشريان في داخل العضلات والوريد في خارجها مـن اسم السلام وأول مولد كهربائي في القلب والثاني والثالث فإن تعطل الأول يعمل الثـاني وإن تعطل الثاني يعمل الثالث هذا من اسم السلام وكلما سد شريان فُتح شريان آخر هذا من اسـم السلام و التئام العظام بعد طول نوم من اسم السلام و التئام الجروح من اسم السلام هذه أدلـة كثيرة في خلق الإنسان ، ومثال آخر من عالم النبات : الشجرة إذا انقطع الماء عنها تسـتهلك ماء الأوراق أولاً ثم ماء الفروع ثم ماء الأغصان ثم ماء الجذع ثم ماء الجذر من اسم السـلام

ولكل حيوان ما يقيه الحر والقر صوف الخروف من اسم السلام ، أي أتمنى عليكم أن يجـول هذا الفكر في الكون حتى تنتهوا من هذه الجولات إلى معرفةً عميقةً أو إلى مزيد من معرفـة أسماء الله الحسنى .

ولو تكلم آخر على اسم السلام ، فقال هناك قصة سيدنا موسى أيضاً من أفعال الله عـز وجل عن اسم السلام لقوله تعالى :

وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾

(سورة القصص : الآية ٧)

لكان هذا المتكلم مصيباً ومنبهاً لغيره ومعلماً .

وهذه آية قرآنية تؤكد أيضاً اسم السلام الموجه لسيدنا إبراهيم قوله تعالى:

لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴿١١﴾

(سورة الرعد : الآية ١١)

هذا الحفظ أيضاً من اسم السلام .

والآن ننتقل في هذا الدرس إلى اسم آخر من أسماء الله الحسنى وهو **المؤمن**.

يا أيها الأخوة الأكارم :

لا يرضى ملك من الملوك أن يسمى أحد أفراد رعيته باسمه وهو من بني البشر يأكـل كما نأكل ويشرب كما نشرب وينام كما ننام وله جسم ويعطش ويجوع و يغضـب ويثـور و يمرض ويموت أي فرقَ بين الملك وبين أحد الرعايا عنده من حيث التكوين الجسمي . ومـع ذلك تأبى عزته و تَأبى كبرياؤه أن يسمي أحد من أفراد رعيته اسمه باسمه ، ولكن الله سبحانه وتعالى سمانا بعد أن عرفناه وطبقنا أمره سمانا **مؤمنين** والمؤمنون جمع **مؤمن** وسمى نفسـه **المؤمن** وذلك بقوله تعالى :

هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ
ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾

(سورة الحشر : الآية ٢٣)

لكن هذا الاسم يحتاج إلى وقفة ، الله عز وجل **مـؤمن** ، ولكن **مـؤمن** بمـاذا ؟ نحـن **مؤمن**ون بالله ، ونحن **مؤمن**ون برسول الله ، **مؤمن**ون باليوم الآخر ، الله عز وجل **مـؤمن** بماذا ؟ قالوا : **المؤمن** اسم فاعل من فعل أمن يأمن أمناً وأماناً ، فعل أمن له معنيان : المعنى الأول التصديق فعندما يقرأ الإمام سورة الفاتحة وعند انتهائه يقول المصلين جميعاً آمين أي يا رب نحن نصدق ما قال هذا الإمام ونحن معه ، فإما من التصديق وإما من الأمن ، فعل أمـن إما من التصديق وهناك آية تؤكد على ذلك قال تعالى :

قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ ۖ
وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾

(سورة يوسف : الآية ١٧)

هذا من التصديق ، وأما المعنى الآخر فمن الأمن قال تعالى :

ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ﴿٤﴾

(سورة قريش : الآية ٤)

فاسم الله تعالى **المؤمن** مأخوذ من التصديق أو من الأمن ؟ وكيف نفهـم هـذا الاسـم بالمعنى الأول ؟

الحقيقة الإنسان قد يعرف ذاته وقد لا يعرف ذاته ، فإذا لم يعرف ذاته وخاض في شيء ولم يكن من مستواه يخسر خسارة كبيرة، نقول : آه لو عرفت ما عندك لما دخلت في هذه الورطة ، فهذا الذي يقدم على شيء ليس في مستواه لا يعرف حقيقة ما عنده لا يعرف حقيقة إمكاناته، هذا لا يعرف ذاته أما هناك من يعرف ذاته حق المعرفة فتأتي الأفعال كلها وفق ما عنده هذا مثل ضربته لكم لتوضيح الحقائق فمن أول معاني **المؤمن** أن الله سبحانه وتعالى يعرف ذاته ويعرف أسماءه ويعرف كل ما عنده هذا معنى أول .

المعنى الثاني : أن الله سبحانه وتعالى يصدق رسله ، بعث النبي محمداً رسولاً ، صدقه أي جعل الناس يصدقونه بالمعجزة ، بعث موسى نبياً وصدقه ، أي جعل الناس يصدقونه بالمعجزة ، أرسل سيدنا عيسى رسولاً فأعطاه معجزة كي يصدقه الناس بها ، إذاً المعنى الثاني صدق . أي كل شيء وعد الله به المؤمنين يأتي فعله مصداقاً لوعده ، وعدك بالحياة الطيبة فإذا عشت الحياة الطيبة فقدَ صدقك بمعنى أن فعله جاء مصداقاً لوعده ، أن يأتي فعل الله عز وجل مصداقاً لوعده يصدق أنبياءه أي يعطيهم الدلائل يجعل الناس يصدقونهم يعطي **المؤمن** دلائل ، أنت أيها الأخ الكريم تقرأ القرآن ماالذي يجعلك تتشبث به وتتعلق به وتتمسك به ؟ لأن الأحداث التي تعيشها تأتي كلها مصدقة لهذا القرآن، إذا استقمت في البيع والشراء شعرت براحة ووفر الله لك دخلاً طيباً وساق الناس إليك وإذا كنت أميناً رفع الله اسمك بين الناس ، فأي وعد وعدك الله به إذا أنت طبقت ما أنت مأمور به تأتي الحوادث كلها لتصدق لك هذا الوعد أو لترى أن هذا الوعد صادقاً ، فمن معاني المؤمن أنه يجعل أنبياءه مصدقين يدعمهم بالمعجزات يجعل قرآنه مصدقاً بمعنى أنك إذا آمنت به وعملت عملاً صالحاً أذاقك الحياة الطيبة ، ماالذي جعلك تصدق بكلامه هذه الحياة الطيبة ، المعيشة الضنك تجعلك تصدق بهذه الآية ، إذا اهتديت بهدى الله عزوجل في كل مناحي حياتك ترى أن الحوادث كلها تصدق ما جاء به القرآن الكريم ، إذاً الله عزوجل **مؤمن** أي يجعل عباده مصدقين ، لأن أفعال الله عز وجل كلها تأتي مصداقاً لوعده ولوعيده ، قال :

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾

(سورة الحج)

لابد من أن تشعر بأن هناك حالات كثيرة تواجهك قَيقَيض الله لك إنساناً لا تعرفه يـدافع عنك بإلهام من الله عزوجل ، وحينما يقول الله عزوجل :

قَالَ ٱهۡبِطَا مِنۡهَا جَمِيعَۢاۖ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ ١٢٣

(سورة طـــه : الآية ١٢٣)

تشعر أنك مهتد وأن لك رؤية صحيحة وأن لك بصيرة نافذة وأن تفسـيرك للحـوادث صحيح لأنك اتبعت أمر الله عزوجل فجاءت الحوادث مصداقاً لما قاله الله عزوجل .

هذا معنى من معاني **المؤمن** ، الحقيقة كما قلت قبل قليل أروع ما في الدين أنه يعطيك تفسيراً للكون والحياة والإنسان ، ومهما عشت ومهما تبدلت الظروف ومهما ظهرت معطيات جديدة ومهما ظهرت أحداث جديدة كلها ضمن تأويل الله عز وجل لهذا الكون والحياة والإنسان ، فأنت حينما تقرأ القرآن لن تُفَاجأ بحادث لم يرد معك بالقرآن ، لو مـثلاً أعطيـتَ تفسـيراً لظاهرة من الظواهر قد تُفاجأ بعد حين أن هناك حدثاً أبطل نظريتك ، وما أكثر ما جاء العلـم بنظريات ثم جاءت الحوادث فأبطلتها ، أما إذا قرأت القرآن وهو من عند الله عزوجل لن يأتي حادث يكذب ما قرأت في القرآن، هذه نقطة دقيقة جداً فالقرآن جاء قبل أربعـة عشـر قرنـاً والعلم تطور تطوراً كبيراً جداً ، ومعطيات القرآن صحيحة وثابتة منذ أن خلقت البشرية وإلى ما قبل خمسين عاماً في كفة ومنذ خمسين عاماً إلى الآن حدث تطور علمي رهيب جداً تجـده في الكفة الأخرى ، ومع كل هذا التطور فليس في العلم حقيقة تخالف هذا القرآن .

معنى ذلك أنك إذا قرأت القرآن تطمئن ، الأمور وحوادث الكون والمجرات والأنـواء والنبات والحيوان والإنسان كل هذه الحركات تأتي مصدقة لكلام الله عزوجل ، فالله **مؤمن** أي كلامه يجعلك تصدقه لأن أفعاله تصدق كلامه ، هذا معنى من معاني **المؤمن** .

وإليك معنى آخر : هو أن الله سبحانه وتعالى يهب الأمن للإنسان ، كيف ؟ هنا المعنى الدقيق ، فلو أن الحديد تارة يكون قاسياً وتارة يكون ليناً تُنْشئُ البناء وأنت خائف ، لعل هـذا الحديد بعد حين يصبح ليناً فيتداعى البناء ، لقد جعل الله للحديد خصائص ثابتـة دائمـاً فـإذا وضعت هذا الحديد مع الأسمنت وأَشَدت البناء وأنت في الطابق التاسع تنام مطمئن ، ماالـذي جعلك تطمئن ؟ ثبات صفات الحديد لو أن صفات الحديد تبدلت لانهار البناء .

فيمكن أن نقول : ثبات خصائص المواد هو الذي يهب الأمن للنـاس ، ثبـات حركـة الأرض هذا الجامع شُيد منذ سنوات عديدة فلو أن هناك اهتزاز أثناء الدوران كل هذه الأبنيـة سوف تنقض وتقع ، فالأرض تتحرك بسرعة ٣٠ كيلو متر بالثانية وهناك سكون رهيب ومن أجل أن تعرف قيمة السكون الحركي تأتي الزلازل أحياناً على مدينة بأكملها ويصبح عاليهـا سافلها بثوانٍ قليلة ، إذاً حركة الأرض مع سكونها واستقرارها مصداقاً لقوله تعالى:

أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾

(سورة النمل : الآية ٦١)

أعطاك الأمان ، اشتريت بيتاً في الطابق العاشر ، تعرف أنه بيت مستقر ، أما لو كـان هناك اهتزاز ينتهي الأمان كله . ثم إنك لو اشتريت بذوراً تنبت نوعاً من النبات ، ولا تستقيم الحياة لو لم يكن ثبات ، وقمت بزراعة البطيخ مثلاً وكان الإنتاج بندورة لاختلطات الأمـور وفسدت الحياة ، فثبات البذور حيث كل بذر له خصائِصه نعمة ومنّة وأمان ، هناك شيء آخر غير الثبات ، هناك آلاف الأنواع لكل نبات: هذا النوع إنتاجه مديد ، وهذا النوع إنتاجه مبكر ، وهذا النوع إنتاجه صناعي ، هذا للنقل ، هذا للاستهلاك ، هذا للمائدة ، هذا يقاوم أمـراض معينة فحتى البذر نفسه له خصائص و الخصائص ثابتة ، ماالذي يهبـك الأمـن وأنـت تزرع ؟ ثبات الخصائص .

إذاً يمكن أن نقول إن ثبات خصائص المواد هو الذي يهب الإنسان الأمـن ، الشـمس تشرق دائماً من الشرق لا يوجد مفاجآت لا يوجد دعاء شروق ، يارب الشمس لم تظهر اليوم أظهرها لنا! طمأنك ، الشمس دائماً تشرق ودائماً تغيب و الأرض دائماً تدور ويكفي أن تأخـذ ورقة من التقويم وأن تقرأ : الفجر الساعة الخامسة وثماني عشرةَ دقيقة و الشـمس السـاعة السادسة وثلاثين دقيقة ، هذه منذ متى ؟ منذ خمس أو ستين عاماً و لمئة سنة قادمـة ولألـف سنة قادمة ولمئة ألف سنة قادمة إلى أن تنتهي الدنيا ، دقة ما بعدها دقة على مستوى الـدقائق والثواني .

أرض بأكملها تدور حول الشمس وهناك نجوم تضبط عليها الساعات هـذه السـاعات الشهيرة في العالم . يقول القائل ضبطتها على "بيغ بن" ، هذه الساعات الشهيرة كيف تضبط ؟ إذا كانت هذه الساعات التي في أيدينا تضبطها على هذه الساعة الشـهيرة ، وهـذه السـاعة الشهيرة كيف تضبطها ؟ تضبط على حركة نجمٍ من النجوم .

إذاً ثبات الدوران ، ثبات السرعة ، ثبات الحركة، ثبات الزاوية ، هذا يعطـي الإنسـان النظام الثابت يجعل فيه الأمن ، إذاً من الممكن أن نقول : صفات المـواد الحديديـة ثابتـة ، شخص اشترى سواراً ذهبياً ودفع ثمنه عشرين ألفاً ، بعد فترة تبدل نوع المعدن أصبح تَنَكاً . والله هذه مشكلة ، الذهب ذهب والتنك تنك والحديد حديد والفضة فضة و القصـدير قصـدير والألمنيوم ألمنيوم ، ثبات صفات المعادن هذه تهب الأمن للإنسان هذه نعمة لا نعرفها نحـن لأنها مألوفة ، يقولون : شدة القرب حجاب لأن هذه النعمة مألوفة جداً كأنها لم تكن مع أنهـا نعمة عظيمة ، من أسماء الله عزوجل أنه **مؤمن** فهو **مؤمن** إذا قرأت كتابه جاءت الحـوادث كلها مصداقاً لكلامه و**مؤمن** يهب الأمن للإنسان عن طريق ثبات صفات المواد .

ثبات الأنظمة ، قانون الحركة ثابت ، التمدد ثابت، قوانين الجسم كذلك تجد طبيباً فـي آخر الدنيا يصنع دواء يستعمل في طرف آخر من أطراف الدنيا هذا الدواء يـؤثر فـي هـذا الجسد ما معنى ذلك ؟ أي أن كل أجساد بني آدم من بنية واحدة ، فهناك أمن وأمـان . مـثلا القلب ؛ تجد طبيباً ذهب إلى أمريكا درس عن القلب ، لو ذهب إلى إفريقيا إلـى آسـيا إلـى أوقيانوسيا إلى أوروبا إلى أي مكان في العالم وفتح قلباً وجد شـرايينه وأعصـابه ومراكـزه الكهربائية كلها بدقة تامة . هذا الثبات يكفي أن تُشَرح إنساناً واحداً فكل إنسـان إذا عالجتـه تكون بنيته وأعصابه وأوردته وشرايينه و عضلاته وفق هذا النموذج ، ومع هذا أيضاً ثبـاتُ الأنظمة ثباتُ خصائص المواد ، أحياناً الله عز وجل يعطي للمواد مضادات ، النـار محرقـة والماء يطفئ النار ، أي أعطاك لكل شيء خطر ما يقضي عليه، كل شيء ، الأدوية ! وبـاء نباتي هناك أدوية بإمكانها أن تقضي على هذا العنكبوت أو على هذا الفطـر أو علـى هـذه الحشرة ، فالله عزوجل من أسمائه **المؤمن** أنه يهب الأمن للإنسان .

الألم سماه العلماء جهاز إنذار مبكر ، فالإنسان يتلف سنه جزئياً فيتألم ألماً شديداً فيذهب إلى الطبيب فيصون هذا السن ، لو لم يكن هناك عصب لما كان هناك وقاية لهذا السـن ، إذاً الألم من أجهزة الإنذار المبكر. فكل خطر من أخطار الدنيا جعل الله له وقاية .

الإنسان إذا استعان بالله عز وجل يقيه من زلات المعاصي لقوله تعالى :

إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾

(سورة الفاتحة :الآية ٥)

لذلك قال الأمام الشافعي : "**والله لو أن السماء من نحـاس والأرض مـن رصـاص والخلق كلهم عيالي لما خشيت فقرا** " ، والحقيقة لو أردت أن ترى الفرق الجوهري بين حياة المؤمن وحياة غير المؤمن ، لوجدت أن الصفة الأساسية الأمن قال تعالى :

وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا ۚ فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾

(سورة الأنعام : الآية ٨١)

تجد قلوب أهل الدنيا فارغة ، عرضة للمخاوف ، عرضة للمقلقات ، عرضة للـذعر ، للخوف ، لتوقع المصيبة ، لكن ربنا عز وجل إذا آمنت به ملأ قلبك اطمئنانـا ، مـلأ قلبـك استقراراً ، ملأ قلبك رضى بقضائه ، ملأ قلبك معرفة بكماله ، هذا كله من أسماء **المؤمن** .

وهناك أمر آخر : كيف تأمن عذاب الله في الآخرة ؟ أعطاك الكون وأعطـاك العقـل وأعطاك الفطرة وأعطاك الشهوة وأعطاك الاختيار وأعطاك القوة وهذه كلها مقومات النجـاة في الآخرة ، أحيانا تشعر أن الله عز وجل إذا أقبلت عليه تأمن القلق وتأمن المـرض وتـأمن الضيق وتأمن التعب وتأمن الخوف فالله سبحانه وتعالى مصدر أمنٍ وأمانٍ للبشـر ، بعـض الجهات تُقْلقك ولكن اسم الله **المـؤمن** ، أي إذا سرت معه واتبعت أمره فأنت في أمن وسـلام هذا المعنى الذي يليق بالله عز وجل فيما يتعلق ب**المؤمن** ، هو يعرف ذاته .

يوجد إنسان لا يعرف إمكاناته بالضبط فقد يقدم على شيء ثم يندم يقول لم أكن أعلـم ، لكن ربنا عز وجل أسماؤه كلها حسنى وصفاته كلها فضلى وهو يعرفها كلها هذا المعنى الأول ، **مؤمن** بذاته . كيف أنت **مؤمن** به هو **مؤمن** بذاته .

من الناس من يدري ويدري أنه يدري فهذا عالم فاتبعوه ، منهم من يدري ولا يدري أنه يدري فهذا غافل فنبهوه ، ومنهم من لا يدري ولا يدري أنه لا يدري فهذا شيطان فاحـذروه ، ومنهم من لا يدري ويدري أنه لا يدري فهذا جاهل فعلموه .

أنا أريد منهم من يدري ويدري أنه يدري ، أن اللهَ عز وجل **مؤمن** ، والمعنى الثاني من التصديق أي شيء وعدك الله سبحانه وتعالى به في القرآن فزوال الكون أهون على الله من أن تأتي الأحداث مخالفة لما وعدك به ، وعدك بالنصر والنصر واقع لا محالة ، وعدك أن يدافع عنك ، وعدك أن يحفظك ، وعدك أن يرزقك ، وعدك أن يطمئنك، وعـدك بـالأمن وعـدك بالتمكين وعدك بتمكين دينك وعدك بالاستخلاف وعدك أن يكون معك ، قلت لكم فـي درس سابق أتمنى على الله عز وجل أن تستنبط من كتاب الله الآيات التي هي ثمار الإيمان في الدنيا ، فكلما قرأت آية رأيت الحوادث جاءت لتحققها ، إذاً فكلام الله حق ، الأفعال كلهـا تصـدق كلام الله عز وجل هذا المعنى الثاني .

المعنى الثالث أنه يهب الأمن ، وبشكل بسيط نذكر العين فإذا قدت مركبتك في النهـار تشعر بأنك مطمئن لأن الرؤيا بعيدة جدا ، أما في الليل فيوجد الانبهار والأضواء فتشعر بقلق . فالقيادة في الليل يرافقها القلق وفيها مفاجآت فالضوء الموجود في المركبة لا يكشـف كـل شيء وأمده محدود فكلما كانت الرؤية أطول كان الأمن أكثر إذاً أعطاك العـين كـي تـرى طريقك ، أعطاك الأذن فإذا وجدت حركة في الليل فالأذن تكشفها . إذاً السمع المرهف أحـد وسائل الأمان ، العين أحد وسائل الأمان ، الشم إذا أصدر الطعام رائحة كريهة معنى هذا أن الطعام فاسد فجعل الأنف فوق الفم كي يحصل لك الأمن الغذائي ، أعطاك يداً تدفع بها الضر ، أعطاك رجلاً تنتقل بها من مكان إلى آخر هذه كلها لتوفير الأمن لك ، وهذا معنى آخر من معاني المؤمن .

الحقيقة كل درس كما تلاحظون نسأل أنفسنا هذا السؤال ، يارب أنت **مـؤمن** أنـا مـا علاقتي بهذا الاسم ؟ أنت **مؤمن** كل الحوادث وكل الأفعال جاءت مصداقا لقرآنك شيء مريح هذا معنى والشيء الثاني وهبتني الأمن يارب ، وهبتنا الحواس ، وهبتنـا الأجهـزة ، ثبـات خصائص المواد وثبات الأنظمة ، قال لي طبيب قلب منذ يومين : لو كان قلب إنسـان نحـو اليمين وقلب إنسان آخر نحو اليسار وقلب بمكان آخر ، درس هذا الطبيب القلب بأمريكا نحو اليسار وعند إجراء العملية وجد القلب على اليمين هذه لم يدرسها ! قَيْنِيةٌ واحدة للبشر كلهـم حتى على مستوى الأعصاب الدقيقة جدا وهذا يعطينا قدرا كبيرا من الأمن ، وكما قلت قبـل قليل الأرض في دورتها حول نفسها دورانُها ثابت ، في شـروقها وغروبهـا ثابـت ، لكـن الأمطار لم يجعلها ثابتة جعلها متبدلة هذا من أجل أن لا ننساه من أجل أن نصلي له من أجل أن نتوب من ذنوبنا ، ربنا عز وجل ثبت أشياء وحرك أشياء ، ثبت دورة الأرض حول نفسها ودورتها حول الشمس وثبت الشروق والغـروب وثبـت القمـر وثبـت الأنظمـة والبـذور والخصائص والبنى هذه كلها ثبتها و جعل الرزق بيده، فجعل الرزق وسيلة كي تعود إليه كي تقبل عليه كي تتوب من ذنبك هذا معنى .

السؤال الجديد : أن **المؤمن** ماذا ينبغي له أن يتخلق من أخلاق الله ؟

كما قال ورد في الحديث :

" تخلقوا بأخلاق الله " .

أنت **كمؤمن** قالوا : أول شيء يجب عليك أن تفعله أن تأتي أفعالك كلها مصداقا لأقوالك ، أنت **كمؤمن** حينما يكون هناك ازدواج ، شيء داخلي وشيء خارجي ، شيء تعتقده وشـيء تقوله موقف داخلي ربنا عز وجل ماذا قال :

وَذَرُواْ ظَٰهِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَبَاطِنَهُۥٓۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡسِبُونَ ٱلۡإِثۡمَ سَيُجۡزَوۡنَ بِمَا كَانُواْ يَقۡتَرِفُونَ ﴿١٢٠﴾

(سورة الأنعام)

ظاهرك : أنت مستقيم : صلاة ، صوم ، حج ، زكاة ، لكن **باطنك** أحيانـاً : الحسـد ، الغيبة ، الكبر ، النميمة ، الكذب ، الحقد ، الضغينة هذه كلها من **بـواطن الإثـم** ، إذاً أنـت ك**مؤمن** يجب أن يأتي عملك مصداقا لقولك بالضبط ، يجب أن تكون موحداً ، فلا يوجد ظاهر وباطن ، ولا يوجد سريرة وعلانية ، ولا يوجد موقف غير معلن وموقف معلن ، أنت **مـؤمن** يجب أن تأتي أفعالك كلها مصداقا لأقوالك ، إذا أردت أن تتخلـق بـأخلاق الله وإذا أردت أن تكون بالمستوى الراقي يجب أنت تكون أفعالك كلها مصداقا لأقوالك هـذه واحـدة ، الشـيء الثاني يجب أن يأمنك الناس :

عن أبي شُريحٍ أن النبي صلى الله عليه وسلم قالَ : والله لا يؤْمن واللـه لا يـؤْمن والله لا يؤْمن ، قيلَ ومن يا رسولَ الله ؟ قالَ : الذي لا يأْمن جاره بوايقَه .

(صحيح البخاري)

هناك أشخاص مخيفون إذا تكلمت كلمة مثلاً لن تنام الليل خوفاً من عاقبتها يقال لأحدهم مثلا ابن حرام ، و**المؤمن** مصدر أمن لا يمكن أن يأتيك من طرفه ضرر أو أذى أو مكيدة أو غدر أو قنص ... أبداً ، فهو مصدر أمان ، تنام ناعم البال مطمئن النفس مرتاح الضمير حتى ولو زلت قدمك أمامه ولو تكلمت بكلمة غير لائقة أمامه لا يتخذ منك موقفاً ، وفـي الحـديث القدسي يؤذيني ابن آدم ، كيف يؤذيه ؟ يؤذيني إذ يسب الدهر وأنا الدهر أقلبه كيف أشاء ومع ذلك تجد الناس يعصونه جهرا ويسترهم والعبد ينسى وربي لا ينسى يعصونه جهراً ويسترهم ويرزقهم ويحفظهم أحياناً هذا شأن الله مع عباده، فأنت ك**مؤمن** أول صفة من صفاتك يجب أن يأتي فعلك مصداقاً لقولك وأن تلغي من حياتك الازدواجيـة : الظـاهر والبـاطن ، العلانيـة

والسريرة ، أن تكون في جلوتك كخلوتك ، هذا المعنى الثاني أن يأمن كل النـاس جانبـك ، مثلاً زوجتَ ابنتك لمؤمنٍ لا تخاف أن يجيع ابنتك ولا تخاف أن يظلمها ولا تخاف أن يفضحها ولا تخاف أن يضربها ، المؤمن ما يأتي من جانبه كله خير ، إن شاركتَ مؤمناً مرتـاح ، لا تخاف أن يلعب بالحسابات ، يعمل لنفسه حساب خاص يعقد صفقة من وراء ظهرك لا تخاف ، أصلحت جهازاً عند مؤمن لا تخاف أن يبدل هذه القطعة بقطعة أخرى وأنت لا تدري ، يأخذ القطعة الجيدة ويعطيك القطعة السيئة ، يكذب عليك ، **المؤمن** مأمون الجانب في صنعته ، في حديثه ، في عمله ، في مهنته ، في حرفته ، في زواجه ، في شراكته ، هكذا المـؤمن يـؤمن جانبه،

عن أبي هريرةَ قالَ : قالَ رسولُ الله صلى الله عليـه وسـلم المسـلم : مـن سـلم المسلمون من لِسانه ويده والمؤمن من أمنَه الناس على دمائِهم وأموالِهم *

(سنن الترمذي)

لا تخاف أن ينكر عليك المبلغ ولا يخطر لك هذا أبداً ، لا تخاف أن يقول لك ليس لـك عندي شيء ولو لم يكن معك وصل فذمته دقيقة جداً ويخاف الله عزوجل ، إذاً أنت ك**مـؤمن** تؤمن بقوله تعالى:

هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾

(سورة الحشر : الآية ٢٣)

فالله مصدر أمان للعباد في أفعاله وفيما أعد لهم في الآخرة قال تعالى :

لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾

(سورة الحجر : الآية ٤٨)

فأنت **مؤمن** إذا قيل لك هذه جهنم ، تتقيها بالتفكر بالكون وبطاعة الله عز وجل ، وفـي الإقبال عليه في خدمة الخلق وبالبذل والتضحية وبأداء الصلوات وبصيام رمضـان ، فجعـل لجهنم وسائِلَ تأمن عذابها ، وكذلك **المؤمن** مأمون الجانب ، جارك يطمئن لك ، زبـون لـك يطمئن لك تنصحه لا تكذب عليه لا تغشه ، أتعطيه الحاجة وقد انتهى مفعولها وزورت التاريخ ؟ لا ، أنت مأمون ، الأنبياء مأمونون على رسالة السماء ، و**المؤمن** مأمون على ما أتمن به ،

ابنتك أمانة عندك، زوجتك أمانة ، أولادك أمانة ، وهكذا ، لكن الشيء الذي أتمناه علـيكم أن تدعو الناس إلى الله عزوجل بحيث يأمنوا عذابه يوم القيامة حيث قيل : هذه صـنعة الأنبيـاء وهذا أعظم أمن ، ولو فرضنا شخصاً خائفاً أمنته من الذي يخيفه ، قلت فلان دعه لي يعنـي أنك أجرتَه ، شخص خائف لا يملك أجور عملية جراحية ، قلت له تَكْلَفَتُها سأدفعها لك اطمِئن . شيء جميل ، فأنت ممكن أن تمنحه الأمن في الدنيا . لكن إن لم يكن مستقيماً يموت ولجهنم مصيره ، فأعظم عمل تفعله أن تؤمنه من عذاب النار ، أي أن تعرفه بالله عـز وجـل فـإذا عرف الله واستقام على أمره وعمل الصالحات دخل الجنة ، إذاً أعظم عمل تفعله في الدنيا أن تدعو الناس إلى الله عزوجل وإلى طاعته كي يأمنوا من عذابه يوم القيامة ، إن عذاب الـدنيا صعب جداً ولكن إذا أفضى بك عذاب الدنيا إلى جنة عرضها السماوات والأرض مقبول . أما أخطر شيء أن يقع الإنسان في النار لذلك أعظم عمل كما قلت قبل قليل وهي صنعة الأنبيـاء أن تكون سبباً لنجاة الناس من النار ، إن الله عزوجل هو ال**مؤمن** وسمى عبـاده الطـائعين مؤمنين قال تعالى :

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ كَـٰفِرِينَ ﴿١٠٠﴾

(سورة آل عمران : الآية ١٠٠)

هو ملك الملوك ومع ذلك سمح لك أن تسمي نفسك **مؤمناً** وهو **مؤمن هـ ـؤمن** بذاته أولاً ثانياً تأتي أفعاله كلها مصدقة لأقواله ، فأنت إذا قرأت القرآن لا تخشى المفاجآت لا تخشى أن تأتي الأحداث خلاف القرآن فتنفضح أمام الناس لا ، لا تخشى إذا اعتقدت بما قاله الله عزوجل أن تأتي حقيقة علمية في المستقبل تكشف لك زيف هذه الآية . أعوذ بالله هذا شيء مسـتحيل لأن الله عز وجل مؤمن أفعاله تأتي مصداقاً لأقواله ، المعنى الثالث يهبـك الأمـن : إن فـي حواسك وإن في أجهزتك و إن في أعضائك ، إن في طعامك شرابك وإن في الهواء . الشيء الثمين موفور إن في ثبات خصائص المواد إن في ثبات طريقة النبات إن في بنية الأشياء إن في عملها في كل شيء.

الآن أنت ك**مؤمن** يجب أن تأتي أفعالك مصدقة لأقوالك ويجب أن يأمن الناس جانبك ، أي أنت مأمون لا يوجد مفاجآت من قبلك ولا غدر ولا إيقاع ولا فعل شيء من خلف ظهـور الناس ، أو تغدر بهم أو تفاجئهم بموقفك لا فالمسلمون على شروطهم .

نسمع كل يوم آلاف القصص عن غدر الناس بعضهم لبعض ، نسمع مئات القصص عن خيانة الشركاء لشركائهم ، عن خيانة الأزواج لأزواجهم ، عن أفعال يندى لها الجبين ، عـن مقالب وغدر وإيقاع الأذى فليس هذا من أخلاق **المؤمن** لأن **المؤمن** جانبه مأمون .

عن أبي شُريحٍ أن النبي صلى الله عليه وسلم قالَ : والله لا يؤْمن واللـه لا يـؤْمن والله لا يؤْمن ، قيلَ ومن يا رسولَ الله ؟ قالَ : الذي لا يأْمن جاره بوايقه .

(صحيح البخاري)

الآن آخر شيء ، كيف نوفق بين اسم **المؤمن** وأن الله سبحانه وتعالى يقـذف الخـوف في قلوب العباد ، هو مصدر أمن للخلق وفي الوقت نفسه قد يملأ قلوبهم خوفا :

فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ ۖ قَالَ رَبِّ نَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢١﴾

(سورة القصص :الآية ٢١)

هنا السؤال دقيق جدا فالإنسان إذا أمن اطمأن للدنيا ونسي الله عز وجل وركن إليهـا ، أعجبه ماله أعجبته قوته أعجبته مكانته أعجبه بيته ، وشعر أن الدنيا مديدة وأنه فـي مركـز قوي هذا أمن للدنيا ، ما علاجه ؟ أن يقذف الله في قلبه الخوف ، فإذا خاف هذا العبد والتجـأ إلى الله عز وجل عندئذ يطمئن بالله ، أي يخيفك كي يؤمنك ويفقرك كي يغنيك ويمنعـك كـي يعطيك ويضرك كي ينفعك ويذلك كي يعزك .

أسماء الله عز وجل المزدوجة قال العلماء : لا ينبغي إلا أن تذكر مثنى مثنـى ، أخـذ منك بعض صحتك يقول الله عز وجل :

عن أبي هريرةَ قالَ : قالَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : إن الله عز وجل يقُـولُ يوم القيامة : يا ابن آدم مرضتُ فلم تعدني ، قالَ : يا رب كيفَ أعودك وأنْتَ رب العالمين ، قالَ : أما علمتَ أن عبدي فُلانًا مرض فلم تعده ، أما علمتَ أنك لو عدتَه لوجدتَني عنْـده ،

(صحيح مسلم)

فإن أخذ بعض صحتك فيعوضك عن هذه الصحة التي أخذها بشيء من رحمته ، تزور المريض فتجد نفسه صافيةً جداً ووجهه متألقاً إنه قريب من الله عز وجل ، أخذ صحته قلـيلا وأعطاه الرحمة مقابلها ، فيأخذ ليعطي ويبتلي ليجزي يضر لينفع ويذل ليعز ويخفض ليرفـع ويمنع ليعطي ويخيف ليطمئن ، يخوفك فإذا ابتعد الإنسان عنه وشرد على شرعه يمتلئ قلبـه خوفا وهذا الخوف هو الدافع هو الذي يدفعه إليه ، تخاف فإذا اقتربـت مـن ظلـه شـعرت

بالطمأنينة إذاً نريد من الأخوة الأكارم بعض الأدلة من الآيات الكونية من خلق الإنسان ومـن خلق الحيوان ومن خلق النبات شيئاً يبعث الطمأنينة في القلب ، من فعل الله عز وجـل أنـه يبعث في قلب عباده الطمأنينة .

وأنا أنصح لكم أن هذه الأسماء الحسنى كتعاريف : موضوع صغير جدا . كأدلـة مـن الكون فهي موضوع كبير جداً ، موضوع له آفاق واسعة لا تنتهي لأن الكون كله يؤكد أسماؤه الحسنى فكلما عودت هذا الفكر أن يجول في الكون ليستنبط نمت قدراته وإمكاناته مـثلا لـو سألنا الأخوان الآن عن اسم اللطيف هل عندك دليل من خلق الإنسان على اسم اللطيف . فمثلا سقوط السن من الطفل الصغير بمنتهى اللطف . الهواء يحمل طائرة تحمل ثلاثمائـة راكـب ووزنها ثلاثمائة وخمسون طن ، الهواء بيننا لا يحجب رؤية لا يعيق حركة لا تحـس بثقلـه الهواء لطيف ومع أنه لطيف له وزن كبير جدا والدليل أنه له وزن كبير يحمل أوزاناً كبيرة . طائرة ثلاثمائة وخمسون طن ترتفع في الهواء فالهواء شيء لطيف وذو قوة اركـب مركبـة وأخرج يدك من نافذتها تشعر بقوة كبير جدا ومع ذلك الهواء لطيف فالهواء يؤكد اسم اللطيف ، والماء شفاف لا لون له ولا طعم له ولا رائحة له نفوذ يتبخر بدرجات دنيا يعينك على كـل حاجاتك هذا يؤكد اسم اللطيف ، فيجب أن يكون عندنا لكل أسم أدلة كثيرة جـدا ومشـاهدات وآيات ووقائع وبينات وعلامات على هذا الاسم ونحن كلما مشينا في هذا الطريق تَوسع الأفق وازدادت عظمة الله في أعيننا وازداد خشوعنا له وازدادت طاعتنا له وإقبالنا عليه وهذا هـو سر الإيمان ، الإيمان شيء يستقر في القلب وينطق به اللسان وتؤكده الأعمال ، الإيمان لـه ثلاث مظاهر : قناعة في القلب وإقرار باللسان وعمل بالأركان ، تجـد **المـؤمن** أخلاقـاً ، **المؤمن** عفيفاً ، **المؤمن** صادقاً ، **المؤمن** أميناً ، **المؤمن** رحيماً ، **والمـؤمن** عنـد وعـده ، **المؤمن** نظيف ، **المؤمن** لا يبتغي رفعة . وصفات **المؤمن** صارخة ، هذا من ناحية السلوك ، أما لو شق على قلبه فتجد الطمأنينة والأمن والراحة النفسية والاستسلام لله والرضاء بقضـاء الله والتوكل على الله عز وجل ، لسانه ينطق بذكر الله ولسانه يبعث الأمن بالناس ويطمئـنهم ويبث فيهم الحقائق ويدلهم على الله عز وجل فلذلك اسم **المؤمن** هو الله الذي لا إلـه إلا هـو الملك القدوس السلام المؤمن ، ثلاثة معانٍ .

الخلاصة :

يعرف ذاته ، وأفعاله تأتي مصدقة لأقواله ، فأنت إذا آمنت بالله وقرأت كتابه لن تفاجـأ بحوادث مخالفة لما في كتابه ، الشيء الثابت يهبك الأمن من خلال خلقه ومن خـلال أفعالـه فأنت **كمؤمن** ينبغي أن تكون على صفتين أولاً أن تكون أفعالك مصدقة لأقوالك وثانياً أن يأمن الناس جانبك وإذا رأيت نقيض الأمن وهو الخوف ، فهو من أجل أن يخيفك كي يؤمنك يأخـذ منك كي يعطيك يخفضك كي يرفعك يذلك كي يعزك وهكذا

والحمد لله رب العالمين

الدرس ٥٠ - اسم الله "المهيمن" .

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الأخوة المؤمنون :

مع الدرس الخامس من دروس أسماء الله الحسنى الاسم المقرر اسم **المهيمن** .

يا أيها الأخوة الأكارم:

من منهج تدريس أسماء الله الحسنى نقاط ثلاثة :

النقطة الأولى : الحديث عن تعريف هذا الاسم .

النقطة الثانية : تطبيقاته العملية .

النقطة الثالثة : علاقة المؤمن به .

فمن معاني **المهيمن** الرقيب الشهيد الذي يعلم السر وأخفى ، يعلم خائنة الأعين ، يعلـم ما تخفي الصدور ، يعلم ما ظهر وما بطن ، يعلم ما تعلن وما تسر ، يرى الأشياء ويرى مـا خلف الأشياء ، يرى الظاهر ويرى الباطن .

ومن لوازم اسم **المهيمن** القدرة التامة على تحقيق مصالح ذلك الشيء علماً وقدرةً ، في بني البشر من يعلم ولكنه لا يقدر ، وفي بني البشر من يقدر ولكنه لا يعلم ، ومن لوازم اسـم **المهيمن** صفة ثالثة المواظبة والاستمرار، قد تعلم ولا تقدر حيث يقول العوام : " **العين بصيرة واليد قصيرة** "، وقد تقدر ولا تعلم . فالإنسان القوي والذي يتمتع بأعلى درجات القوة ولكنـه لا يعلم موجود ، وقد تعلم وتقدر وهذا النوع في بني البشر نادر الوجود أن تعلـم وأن تقـدر ولكن لا تضمن المستقبل. قد تكون على علم بما يجري تحت يديك على علم بما يجري حولك وأنت واثق بأن يدك تطول كل هذا الذي تحت سلطانك ولكن لا تدري ماذا يكون في المستقبل، أما إذا قلنا **المهيمن** اسم من أسماء الله الحسنى فمن لوازم **المهيمن** أنه يعلم ، ولا نهاية لعلمه لاشيء يخفى عليه ، فلو أن طبيباً فحص مريضة تشكو له من بعض أعضـائها ، و اسـترق النظر إلى عضو آخر فهذه خيانة وليس في الأرض كلها من يعلم هذه الخيانة إلا الله ، يعلـم خائنة الأعين ، أي يعلم السر ، علم ما كان وما يكون وما سيكون وما لم يكن لو كان كيـف كان يكون ، يعلم السر وما يخفى عنك ، يعلم الجهر وما تعلنه ، يعلم السر وما تخفيـه عـن

الناس ، يعلم ما هو أخفى من السر ما يخفى عنك ، يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منهـا وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم في خواطركم في صراعاتكم في نواياكم فـي طموحاتكم في حركاتكم في سكناتكم في سركم في جهركم في بواطنكم في علانيتكم يعلم كـل شيء ، بالمناسبة لن يستطيع الإنسان أن **يهـيمن** إن لم يعلم بتلـك المعلومـات والملابسـات المحيطة بموضوعه قبل كل شيء ، لا يستطيع إنسان أن **يهيمن** على شيء ما مهما كان ضيقاً إن لم يعلم بكل ذلك يقولون : تقص الحقائق ، يقولون : يث العيون ، كيف تملك القرار إن لم تملك الحقيقة ؟ **المهيمن** يعلم .

ولكن ما نفع العلم إذا كنت لا تقدر ها أنت تعلم ولا تقدر ، **المهيمن** يعلم وقادر على كل شيء لا يعجزه شيء ولا نهاية لتعلقات قدرته ، كل الممكنات أي كل ما سوى الله من ضـمن قدرته ، ولكن قد تملك قد تعلم وقد تملك ولكن لا تعلم ما سيكون في الغد ، قال تعالى :

يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبۡرَةٗ لِّأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ ﴿٤٤﴾

(سورة النور: الآية ٤٤)

وقال تعالى :

إِن يَمۡسَسۡكُمۡ قَرۡحٞ فَقَدۡ مَسَّ ٱلۡقَوۡمَ قَرۡحٞ مِّثۡلُهُۥۚ وَتِلۡكَ ٱلۡأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيۡنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمۡ شُهَدَآءَۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٠﴾

(سورة آل عمران :الآية ١٤٠)

من لوازم **المهيمن** طبعاً أسوق لكم هذه الفكرة لتأكيد المعنى ، فـالنبي عليـه الصـلاة والسلام كان إذا سافر يقول :

"اللهم أنت الرفيق في السفر والخليفة في الأهل والمال والولد ".

هل تعتقدون أن هذه الصفة يمكن أن تكون في إنسان ما ، وأن يكون معك فـي السـفر وفي الوقت نفسه أن يكون خليفتك في بيتك وأهلك وأولادك ، مستحيل إما أنه معك وإما أنـه في بيتك ، لذلك قالوا هاتان الصفتان لا تجتمعان إلا لله عزوجل ، هو معك بالحفظ والرعايـة

والتوفيق والتسديد والنصر والتأييد وهو في البيت مع أولادك معية علم وقدرة ورعايـة فـي غيبتك يحفظهم من كل مكروه يحفظهم من كل حادث ، هو معك وهو خليفتك في البيت .

أقول لكم من النادر أن يجتمع لإنسان العلم والقدرة ، لذلك في المجتمعات البشرية أفراد تفوقوا في العلم ولكن يدهم قصيرة ، وأفراد تفوقوا في القدرة ولكن علمهم محدود ، لكن لو أنه ، فرضاً ، اجتمع لإنسان وهذا شيء نادر جداً كمال العلم مع كمال القدرة ولا بالخمسين مليون قد يوجد إنسان فيه كمال العلم مع كمال القدرة لكن ينقصه رؤية المستقبل ، قد يأتي من هـو أقوى منه فينتزع ما بيده ، قد يأتي من هو أذكى منه ، قد يأتي من هو أخبث منه فيأخذ ما بين يديه .

إذاً قد يجتمع العلم والقدرة ولا تملك المستقبل ولكن إذا قلت الله **مهيمن** معنى ذلك أنـه يملك العلم الكامل :

وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ﴿١٤﴾

(سورة الحجرات : الآية ١٦)

والقدرة الكاملة لا نهاية لتعلقات علمه ولا نهاية لتعلقات قدرته وليس في الكـون جهـة أخرى تشاركه في الحكم قوله :

مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيّٖ وَلَا يُشۡرِكُ فِي حُكۡمِهِۦٓ أَحَدٗا ﴿٢٦﴾

(سورة الكهف : الآية ٢٦)

لو كان في الكون آلهة غير الله لفسدتا ، إذاً لذهب كل إله بما خلق ولَعَلا بعضهم علـى بعض ، لا يوجد جهة أخرى تنافس أو تسيطر أو تقاوم أو تنازع أو تفسد ، لـذلك إذا اتكلـت على **المهيمن** فهو الذي يعلم كل شيء وقادر على كل شيء وليس كمثله شيء .

ومن باب الموازنة : فالإنسان قد يملك ولا ينتفع ، قد يملك يبتاً ثمنه أربعون مليون ليرة لكنه مؤجر قبل عام السبعين مثلاً يملكه ولا ينتفع به ، وقد ينتفع ببيت لا يملكه ، وقد ينتفع به ويملكه فجأة صدر قرار استملاك مصيره ليس بيده ، أما إذا قلنا :

وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴿١٨٩﴾

فالكون كله ملكُه ملكا وتصرفاً ومصيراً .

أيها الأخوة الأكارم ، جزء أساسي جداً من إيمانك بالله أن تعـرف أسـماءه الحسـنى وصفاته الفضلى ، وقد يسأل سائل عن هذا الحديث المتواتر هل هو حديث صحيح قاله النبي ؟ :

" **إن** لله **تسعة وتسعين اسماً من أحصاها دخل الجنة** ".

نعم إنه صحيح ومتواتر ، إياك أن تفهم كلمة أحصاها أنه عدها ، إياك أن تفهـم كلمـة أحصاها أنه قرأها أو حفظها أو عدها لا، أحصاها فهمها ونال نصيبه منها ، إن لاحظتم فـي دروس سابقة كل اسم من أسماء الله الحسنى أنت كمؤمن لك منه نصيب فإن لـم يكـن لـك نصيب من هذا الاسم فكأنك ما أحصيت هذه الأسماء لأن النبي علي الصـلاة والسـلام روي عنه قوله :

" **تخلقوا بأخلاق** الله ".

فالمهيمن علم لا نهاية له وقدرة تامة ومواظبة واستمرار هذا معنى **المهـيمن**، ولكـن هناك أربعة معانٍ فرعية تضفي على هذا المعنى شيئاً نفيساً جداً :

المعنى الأول : إذا كان الله هو **المهيمن** ففي معاني هيمنته الحب والشفقة ، أحياناً تقف الأم حول سرير ابنها المريض وهي تلاحظ حركاته وسكناته ، هذه الوقفة الحانيـة المشـفقة وقفة علم وقفة سيطرة ولكن بدافع نبيل بدافع الشفقة والعطف والحنان ، فإذا قلنا فلان **مهـيمن** بدافع الحقد وبدافع العنجهية والغطرسة والقوة والانتفاع والمناجزة وما إلى ذلك ، فهذا استبداد وبطش إن وصف الإنسان بأنه **مهيمن** لها معنى أما إن وصف الله عزوجل بأنه **مهيمن** فمـن معاني **هيمنة** الله عزوجل حبه وعطفه على عباده ، النبي عليه الصلاة والسـلام رأى امـرأة تقبل ابنها فقال عليه الصلاة والسلام :

" **أتلقي هذه المرأة بولدها إلى النار** ؟ قالوا : معاذ الله ، النار حق وإحراقهـا حـق ولهيبها حق ، ولكن هذا شيء متعلق بذات الله عزوجل ، قال : **والذي نفس محمـد بيـده** لله **أرحم بعبده من هذه بولدها** " .

فهيمنة الله عز وجل **هيمنة** عطف وحب وشفقة ورحمة وحرص على سعادتك وعلـى آخرتك وعلى مستقبلك ، هذا المعنى الفرعي الأول علم وقـدرة واسـتمرار ، أمـا المعـاني الفرعية للهيمنة : الحب والشفقة .

فلان **مهيمن** على هذا المستودع أي أمين عليه لا يدع حاجة تخرج منه بلا علـم وبـلا تسجيل وبلا مراقبة وبلا محاسبة ، **هيمنة** الأمانة . ولندع المعنى الأول هيمنة الشـفقة كـالأم على ابنها .

والمعنى الثاني : **هيمنة** الأمانة ، لذلك من معاني **المهيمن** الحافظ :

قَالَ هَلۡ ءَامَنُكُمۡ عَلَيۡهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمۡ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبۡلُۖ فَٱللَّهُ خَيۡرٌ حَٰفِظٗاۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٦٤﴾

(سورة يوسف : الآية ٦٤)

ومعنى **مهيمن** أنك إذا كنت مع الله عزوجل واعتقدت بوجوده وأردت أن تحاور إنساناً فأنت المنتصر ، الحوادث كلها تأتي مصدقة لك ، كل إنسان يطرح نظرية أو يطرح فرضية أو يطرح مذهباً أو يطرح فكرة أو يطرح تفسيراً أو يطرح تحليلاً أو يطرح عقيدةً ، الوقائع تثبت العقيدة التي جاء بها القرآن ، فإذا كنت أنت مع القرآن فأنت **المهيمن** وأنت المنتصر .

أن تقول مثلاً :

يَمۡحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرۡبِي ٱلصَّدَقَٰتِۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿٢٧٦﴾

(سورة البقرة)

يمحق الله الربا ، هذه آية كريمة وهذه عقيدتك ، فالمرابي يقول لك العكس : أيعقل أن أجمد المال من دون أن أضعه في مصرف لأتقاضى عليه فائدة مجزية أعيش بها ، أنت كمؤمن تطرح أن الله عزوجل يمحق الربا وهذا المعرض الكافر يطرح نظرية أخرى وهي أن الإنسان لا بد من أن يستثمر ماله ، الأيام تدور والوقائع تتجدد فإذا بهذا المرابي يمحق ماله ، من الذي **هيمن** في هذا الموضوع ؟ أنت، أنت اعتقدت أن المرابي يمحق ماله ، الأيام أكدت هذه الحقيقة فأنت **المهيمن** ، أنت تعتقد أن الإنسان إذا غض بصره عن محارم الله أورثه الله حلاوة في قلبه وانعكس هذا في حياته الزوجية ، يقول لك آخر : لا هذه العين يجب أن تستمتع ، فهذا الجمال لمن خلق ؟ لنا ، فلا بد من إطلاق البصر وأن تملأ العين من هذه المناظر الحسنة الجميلة ، تقول له : لا هذا أمر إلهي وهذه آية قرآنية ، تدور الأيام فإذا بهذا الذي يمضي نهاره كله في الطرقات يملأ عينيه من الحرام قد أصيب بمرض ارتخاء الجفون ، من الذي **هيمن** في هذا الموضوع ؟ أنت ، أنت الذي **هيمنت** جاءت الوقائع تؤكد ما تعتقد من أن هذا أمر إلهي ، أنت إذا اخترت فتاة لم تخترها إلا لدينها وعفافها وشرفها وصلاحها وأسرتها الصالحة وآثرت دينها على الجمال وعلى المال وعلى الحسب وعلى النسب وعلى الوجاهة في الدنيا ، أنت انطلقت من أن هذا العمل هو طاعة لله عزوجل قال سبحانه :

وَلَا تَنكِحُواْ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ۚ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ۗ وَلَا تُنكِحُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُواْ ۚ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ۗ أُوْلَٰٓئِكَ يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ وَٱلْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِۦ ۖ وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٢١﴾

(سورة البقرة : الآية ٢٢١)

هو انطلاق من شهوته وقال : الزوجة يجب أن تكون ملْءَ العين جمالاً وفتنة كما أحـب كما أشتهي ولا قيمة لقلة دينها ، تدور الأيام هذا الذي اختار المرأة الصالحة لصلاحها ودينهـا ترى حياته الزوجية مستقرة وسعيدة ومفعمة بالمودة والمحبة ، تتنامى سعادته ويبارك الله لـه في هذه الزوجة ويأتيه الأولاد ، أما الذي آثر الجمال على الدين حياته قطعة من جحـيم مـن الذي **هيمن** في الموضوع ؟ المؤمن ، لذلك ربنا عز وجل يقول:

تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْأَخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾

(سورة القصص)

إذن هذه صحيحة من معاني **المهيمن** أن **هيمنة** الله عزوجل **هيمنة** حـب وشـفقة وأن **هيمنة** الله عزوجل **هيمنة** حفظ وأمانة .

ومن معاني **هيمنة** الله عزوجل أن الله عزوجل يصدقك بأفعاله ، أي شيء تعتقـده ورد في القرآن الكريم . ومن معاني أن الله **مهيمن** أنك أنت المنتصر ، وكلامك هـو الصـواب ، واعتقادك هو الصحيح ، والأفعال تأتي مصدقة لك ، هذا معنى **المهيمن** كاسم من أسـماء الله الحسنى ، إذاً **الهيمنة** العلم الكامل ، العلم التام والقدرة التامة والاستمرار والمواظبـة ، هـذه المعاني الأساسية ، أما المعاني الفرعية **هيمنة** حب لا **هيمنة** غطرسة وعنجهية وسيطرة كمـا يكون الإنسان ، و**هيمنة** محافظة على **المهيمن** عليه ، أمين مستودع لا تأخذه فـي الله لومـة لائم ، و**هيمنة** تصديق لكل ما جاء به القرآن ، هذا الجانب النظري من معنى **المهيمن** ، علم وقدرة واستمرار ، شفقة وحفظ وتصديق .

والآن بعض الأمثلة : هناك وقائع وشواهد وحقائق تعمق مفهوم هذا الاسم ومدلولاته .
سيدنا موسى حينما قال الله له ولأخيه هارون :

ٱذۡهَبَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ
يَخۡشَىٰ ﴿٤٤﴾

[سورة طه]

فرعون وما أدراكم ما فرعون الذي ذبح أبناء بني إسرائيل واستحيا نساءهم من يجـرؤ على أن يخاطبه ، وعلى أن يبين حقيقة دعواه الزائفة في أنه إله ، من يجرؤ ؟

قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفۡرُطَ عَلَيۡنَآ أَوۡ أَن يَطۡغَىٰ ﴿٤٥﴾ قَالَ
لَا تَخَافَآۖ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾ فَأۡتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ
فَأَرۡسِلۡ مَعَنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبۡهُمۡۖ قَدۡ جِئۡنَٰكَ بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكَۖ
وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلۡهُدَىٰٓ ﴿٤٧﴾ إِنَّا قَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡنَآ أَنَّ ٱلۡعَذَابَ عَلَىٰ مَن
كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٤٨﴾

[سورة طه]

إنني معكما أسمع وأرى وفرعون بيدي ، إذاً إذا آمنت أن الله هو **المهيمن** تستسلم يرتاح قلبك ، تطمئن نفسك ، يستقر فؤادك ، ترتاح أعصابك ، الأمر بيد الله بعلمه وبقدرتـه ، كـل الخلق بيده ويعلم السر وأخفى .

سيدنا رسول الله عليه الصلاة والسلام حينما كان عند يهود خيبر وائتمروا أن يلقوا عليه حجرا فيقتلوه ويرتاحوا منه بزعمهم ، من الذي أخبره أن يتحول عن هذا المكـان ؟ الله عـز وجل هم اتفقوا في غرفة محكمة الإغلاق ، اتفقوا على ذلك والله عز وجل أخبـره ، معنـى **مهيمن** هنا أنه علم ما يقولون .

عمير ابن وهب خرج مع صفوان ابن أمية وقال له عمير : أتمنى لو أذهب إلى المدينة فأقتل محمدا وأريحكم منه ، لولا ديون ركبتني ولولا أولاد أخشى عليهم العنـت ، فقـال لـه صفوان فورا : أما الديون التي عليك فهي علي بلغت ما بلغت وأما أولادك فهم أولادي فامض لما أردت ، سقى سيفه سمّاً ووضعه على عاتقه وامتطى راحلته وتوجه إلى المدينـة ، لقيـه عمر ابن الخطاب فقال : هذا عدو الله عمير ، قيده بحمالة سيفه وساقه إلى النبي عليه الصلاة

والسلام وقال : يا رسول الله هذا عدو الله عمير جاء يريد شرا ، الله **مهيمن**، قال : يا عمـر أطلقه فأطلقه، فقال له النبي : **ادن مني يا عمير** دنا منه ، قال له : **سلم علينا** ، قال : عمـت صباحا يا محمد ، قال له: **قل السلام عليكم** ، قال : لست بعيد عهد بالجاهلية هذا سلامنا ، قال له : **ما الذي جاء بك إلينا** ، قال : جئت لأفك أخي من الأسر ، فقال : **وهذا السـيف الـذي على عاتقك** ، قال : قاتلها الله من سيوف وهل نفعتنا يوم بدر، فقال له: **ألم تقل لصفوان لـولا ديون ركبتني وأولاد أخشى عليهم العنت لذهبت وقتلت محمدا وأرحتكم منه** ، فقال : أشهد أن لا إله إلا الله ، الله عز وجل **مهيمن** هذه المؤامرة التي أحيطت بكل أجواء الحذر والحيطـة أبلغها الله عز وجل للنبي عليه الصلاة والسلام .

هذه المرأة التي جاءت تشكو النبي عليه الصلاة والسلام وتقول : يا رسول الله إن فلان تزوجني وأنا شابة ذات أهل ومال وجمال فلما نثرت له ما في بطني وتفرَقـتْ أهلـي عنـي وذهب مالي وكبرت سني قال : أنت علي كظهر أمي ، ولي منه أولاد إن تركتهم إليه ضاعوا وإن ضممتهم إلي جاعوا ، فبكى عليه الصلاة والسلام رقة لها وعطفا وشفقة ورحمة وقال: **ما أظنك إلا قد بِنْتِ منه** ، هذا طلاق فقال الله عز وجل :

قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَـٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿١﴾

(سورة المجادلة)

فكان عمر ابن الخطاب عملاق الإسلام كلما مر بهذه المرأة كان ينزل عن دابته إجلالا لها ويقف أمامها بأدب ويستمع لها ، فقال له أحدهم : أنت أمير المؤمنين وتستمع لهذه المرأة ؟ قال : كيف لا أستمع لها وقد استمع الله لها من فوق سبع سموات ، معنى هذا أن الله **مهـيمن** ويسمع كل شيء .

سيدنا موسى قال : أنا رسول الله ، قالها فرعون ، وكلمة فرعون تعني في وقته أعظـم إنسان وأعظم دولة دولته ، وأعظم حضارة حضارته وقال أنا ربكم الأعلى وجمـع السـحرة كلهم ووعدهم بالعطايا وبالمناصب من أجل أن يقهروا سحر موسى كما يَدّعون قال تعالى :

قَالَ بَلْ أَلْقُوا۟ ۖ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن
سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾ فَأَوْجَسَ فِى نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾
قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلْقِ مَا فِى يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا
صَنَعُوٓا۟ ۖ إِنَّمَا صَنَعُوا۟ كَيْدُ سَٰحِرٍ ۖ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾

(سورة طه)

من انتصر ؟ سيدنا موسى ، الله **مهيمن** على كل شيء .

هذه كلها شواهد قرآنية على اسم **المهيمن** ، علم وقدرة واستمرار ، هيمنة شفقة وهيمنة حفاظ وهيمنة تصديق .

سيدنا إبراهيم جاءه جبريل وقد أوقدوا ناراً عظيمة ، جمعوا حطباً أيام وأسابيع أوقدوها وأركبوه بأرجوحة كي يسقط في وسطها ، هم مسيطرون **مهيمنون** ، بيدهم كل شيء ألسنتهم تردد مَن أشد منّا قوة ، "أولم يعلموا أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة "، جاءه جبريل فقال : يا إبراهيم هل لك من حاجة ؟ قال : منك لا ، قال جبريل من الله ، قال : علمه بحالي يغني عن سؤالي . ثلاث كلمات ، قلنا :

يا نار - الله **مهيمن** - كوني بردا ، بردا كان مات من البرد ووجدوه مجمدا ، قال: وسلاما وقال : على إبراهيم ، لو لم يقل على إبراهيم لعدم وجود النار في الأرض فتصبح النار لا تحرق إلى يوم القيامة ، ثلاثة كلمات

قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا
فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾

(سورة الأنبياء)

من **المهيمن** ؟ الله عز وجل .

ألم يقل : علمه بحالي يغني عن سؤالي .

أُم موسى ، أعطني أُماً تستطيع أن تضع ابنها فلذة كبدها في صندوق وتلقيه في اليمّ ، الله عز وجل أمرها بأمرين ونهاها عن نهيين وبشرها بشارتين :

وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾

(سورة الأنبياء)

أرضعيه وألقيه في اليم . هذان أمران ، " ولا تخافي ولا تحزني " وهـذان نهيـان ، البشارتان : إنا رادّوه إليك وجاعلوه من المرسلين ، فهذا الصندوق من سَيرَه إلى شط فرعون ؟ يعلم ويسيطر ، وحينما فتح الصندوق من ألقى حبه في قلب امرأة فرعون ؟ الله عز وجل ، إذاً الله **مهيمن** .

هذه القصص كلها تؤكد أسماء الله الحسنى ، سيدنا يونس لا أعتقد مهما ضـاقت بكـم الأمور في الدنيا ، لا أعتقد أن هناك مصيبة على وجه الأرض ، تفوق أن تكون فـي ظلمـة بطن الحوت مع ظلمة البحر مع ظلمة الليل ، في ظلمة بطن الحوت ، فإذا فتح الحـوت فمـه جمع أربعة أطنان من السمك كوجبة عشاء معتدلة ورضعته ثلاثمائة كيلو غرام من الحليـب فتكون ثلاث رضعات ألف كيلو غرام ، كل يوم يحتاج إلى طن حليب ، والحوت تقريبا وزنه مائة وخمسون طناً ، فجوفه غرفة، فسيدنا يونس نبي عظيم . فجأة يجد نفسه في ظلمة بطـن الحوت وفي ظلمة الليل وفي ظلمة البحر

وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَـٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَـٰتِ أَن لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَـٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾

(سورة الأنبياء)

يا ترى هل في بطن الحوت جهاز فاكس أو جهاز تلكس أو هاتف أو إشارة أو كبل ماذا يوجد ؟ لا يوجد شيء ، فنادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين :

فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَـٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُنجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾

(سورة الأنبياء)

ألا ترتاح نفسك إلى هذه القصة ؛ التي ختمت ببشارة لكـل مـؤمن : "وكـذلك ننجـي المؤمنين " ففي أي عصر وأي زمان وفي أي مصر وفي أي ظرف مهما كـان شـديدا ، الله **مهيمن**، أنت كن مع **المهيمن** وارتح مطمئناً إلى سلامة المصير .

انظر إلى الطفل الصغير وهو في حضن أمه لا يتكلم بشـيء إطلاقـا ، الأب يتمـزق لتأمين المازوت ولتأمين الأدوات المدرسية والابن مرتاح يريد المجموعة الفلانيـة والفلانيـة والفلانية يعطي الطلبات وهو مرتاح ، والأب يتمزق لتأمين هذه الأغراض فإذا كان الشـخص مع **المهيمن** فهو على كل شيء قدير .

سيدنا زكريا لم يتكلم ، على موضوع **المهيمن** قال :

إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ﴿٣﴾

(سورة مريم)

جرب ابقَ صامتاً واطلب من الله طلباً بصدق وبإخلاص والطلب معقول مـن خيـري الدنيا والآخرة ، واجهد أن تبقى صامتا من دون أي كلمة بداخلك ، تجد أن الله اسـتجاب لـك معنى هذا أنه سمعك وعلم سرك القضية لا تحتاج لرفع الصوت

إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ﴿٣﴾

(سورة مريم)

نداؤه الخفي اخترق السبعَ الطباق فاستجاب الله لسيدنا زكريا لأن الله **مهيمن** .

في غزوة حنين ، أصحاب النبي الذين خاضوا معـه بـدرا وأحـدا والخنـدق و..... أصحاب رسول الله وهم ساكتون لم يتكلموا إطلاقا ويوم حنين :

وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ۙ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ

(سورة التوبة:الآية ٢٥)

لن نغلب اليوم من قلة عشرة آلاف صحابي ومعهم رسول الله بعد أن فتحوا مكة ودانت لهم الجزيرة من طرفها إلى طرفها الآخر ومع ذلك :

فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾

(سورة التوبة)

الله **المهيمن** ، علم إعجابكم بأنفسكم فألقى في قلوبكم الخوف وقلوبكم في يدي الله . إمّـا أن يملأها خوفا وإما أن يملأها طمأنينة ، القلب بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلبه كيـف يشاء ، الله **مهيمن** .

الأمر كله بيد الله ، سيدنا رسول الله بغار حراء و سيدنا الصديق إلى جانبه قـال: يـا رسول الله لو نظر أحدهم إلى موطئ قدمه لرآنا ، فقال : **يا أبا بكر ما رأيك باثنين الله ثالثهما** ، وفي المرة الثانية أصعب فقال له : لقد رأوني أي لقد وقعت عين أحد المطاردين على عين أبي بكر عين بعين فقال : لقد رأوني ، قال : **يا أبا بكر ألم تقرأ قوله تعالى :**

وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا۟ ۖ وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٩٨﴾

(سورة الأعراف)

الله **مهيمن** ، دعوة إسلامية عظيمة حفظها الله بخيوط العنكبوت ، وهذا من عظمة قدرة الله عز وجل أنه يحفظ أعظم شيء بأتفه سبب ، الله **مهيمن** ، وأحيانا يهلك إنسان بأتفه سبب ، يحفظه بأتفه سبب ، ليظهر لك كمال قدرته عز وجل .

في غزوة الأحزاب ، الجزيرة العربية كلها اجتمعت على حرب محمد عليـه الصـلاة والسلام واليهود خانوا عهده معه وانكشف ظهره وبقي للإسلام ساعات ، بقي الإسلام قضـية زمن إلى أن قال أحدهم: أيعدنا صاحبكم أن تفتح علينا بلاد قيصر وكسرى وأحدنا لا يأمن أن يقضي حاجته ، الله عز وجل أرسل رياحاً عاتية أطفأت نارهم واقتلعت خيامهم وقلبت قدورهم وكفى الله المؤمنين القتال ، الله **مهيمن** ، كل شيء بيده ، الرياح بيده وصدق الله العظيم :

وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ۚ

(سورة المدثر)

منخفض جوي يمنع الرؤية ... بيده ، رياح عاتية يعطل حركـة الآليـات ... بيـده ، القلوب ... بيده ، يلقي فيها الخوف أو عدم الخوف بيده ، كل شيء ... بيده ، باخرة من أضخم البواخر في العالم بنيت عام ألف وتسعمائة واثنتي عشرة ، وقد بنيت طبقتين فلو ثقبت طبقة فالجدار الآخر يمنع غرقها ، بنيت بلا زوارق نجاة ثقة بأنها لن تغرق ، طبعـت نشـرة وكُتب في هذه النشرة : إن القدر لا يستطيع إغراق هذه الباخرة ، من أفخر البواخر في العالم . قيل : فيها من الأثاث ومن الثريات ومن الفضيات ما لا سـبيل إلـى وصـفه ، المطـاعم والصالات والأبهاء والغرف والمسابح أي هي مدينة عائمة ، وفي أول رحلة من رحلاتها ركب فيها أغنى أثرياء أوربا ، ويقال بأن حلي النساء تقدر بمئات الملايين ، وفـي عـرض البحر ارتطمت بجبل ثلجي فشقها شطرين، وأرسلت إشارات الاستغاثة فظن كل من حولها من البواخر أن هذه الإشارات تعبير عن احتفالات تدشين السفينة وغرق جميع ركابها ، وقبل سنة

كما أذكر قرأت بحثا في مجلة العربي عثروا على مكانها ورأيت صورا لها في قاع البحر هذه الباخرة التيتانيك ، قال وقتها أحد القساوسة : هذا درس السماء إلى الأرض.

قبل سنوات ، دولة متقدمة جداً ممن يقول أهلها : مَن أشد منّا قـوة ، صـنعوا مركبـة فضائية من المقرر أن تبقى في الفضاء سنة تقريبا ، سبعة روّاد فضاء مع امرأة ، والخطة أن تحمل هذه المرأة في الفضاء من أحد الرواد وأن تبقى في الفضاء تسعة أشهر وأن تلـد فـي الفضاء ومعهم موَلد في المركبة ليكون أول مولود يولد في الفضاء ، وسَموا هـذه المركبـة تشالنجر أي المتحدي ، بعد سبعين ثانية من إطلاقها أصبحت كرة من اللهب . من **المهيمن** ؟ ألم يقوموا بالعد التنازلي ، ألم يضبطوا الأجهزة جهازاً جهازاً ، أين **المهـيمن** ؟ الله سـبحانه وتعالى ، كن مع **المهيمن** وارتح بالاً .

صديق لي حدثني أنه زار بستان في أحد أطراف دمشق والبستان مؤلف مـن قطعتـين لأخوين شقيقين ، وكان قمح الأخ الأول نامياً نمواً عجيباً ، وقمح الآخر نموه ضـئيل جـدا ، وهذا الصديق يعرف الله عز وجل فجاء للأول واستحلفه لماذا بستانك هكذا ؟ قال: والله أعتني به كما يعتني أخي ببستانه ، بل إن الذي يقوم على البستانين مرابع واحد ، ما السر؟ قال : لي أخ آخر متوفى وله أولاد أيتام ونويت في قلبي أن أعطي أولاد أخي الأيتام نصف غلـة هـذا البستان ، والثاني على عكس الأول ، هذه القصة تؤكد أن الله علم نية هذا البستاني فضـاعف له غلته وعلم نية هذا فأنقصها هذا الآخر معنى **المهيمن** يعلم ويفعل .

وكذلك صديق آخر حدثني عن مجموعة مزارع في أطراف دمشق وهنالك بعض الرعاة الذين عندهم قطعان غنم يأتون لهذه المزارع لتشرب الغنم ، فيطردون هذا الراعي مع غنمه ، من هذه المزارع مزرعة واحدة تستقبل أي راع وتسقي الغنم بنفس طيبة ، أقسم لي رجـل في هذه المنطقة أن سبعة مزارع جفت آبارها إلا هذا البئر حصرا والعائد لهذه المزرعة، ولم يكتف بأنه سمح للرعاة بل بنى أحواضاً كي ترتاح الغنم في أثناء شربها ، لقد اشترى أحواضاً إكراماً لمن ؟ الله **مهيمن** : النبع بيده وتشالنجر بيده وتيتانيك بيده والسحاب بيده والبواخر بيده والحوت بيده ، كل شيء بيده ، فأحيانا الإنسان يكون في مكان فاقداً حريته وهو في مكان ناء يخرج فيه ثعبان ، وهذا الإنسان مؤمن على الأعم الأغلب تجد الثعبان واقفاً ولا يتحـرك ولا ينقض عليه ، أحياناً تجد كلباً عقوراً بقي بلا طعام أياماً عديدة فإذا واجه إنساناً تقياً يقف مكبلا مَن **المهيمن** ؟ الله عز وجل .

الله عز وجل يقول :

ٱللَّهُ خَـٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾

(سورة الزمر)

يقول لك سيطرة ، الله هو المسيطر ، كل شيء خلقه اللهُ مسيطرٌ عليه ، ولم يخلق شيئاً وتركه هملاً ، لذلك :

ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ٦٢

(سورة الزمر)

أحيانا الحريق ، ينشب حريق في بعض أسواق دمشق ويأكل الأخضـر واليـابس فـي معظم الحوانيت إلا حانوتاً واحداً ، تلتف النار حوله ولا تحرقه بيده النار .

قبل خمسين عاماً في هذه البلادة جاء جراد أكل الأخضر واليابس ، يقول لي رجل توفي رحمه الله كان مكلفاً بضبط هذا الأمر ومراقبة أصحاب البساتين في جمع الجراد قال : رأينـا الأشجار بلا قشر، الجراد أكل أوراقها وثمارها وقشرها الخارجي ، ولكننا فوجئنا ببستان كأنه روضة من رياض الجنان ، دخلنا عليه وطلبنا صاحبه ، قلنا ما هذه؟ فقال : أنا أستعمل دواء ، فامتلأنا غضباً وغيظا منه ، معك دواء وتمنعه عن المسلمين ، قال : يا سيدي هذا الدواء لا يستعملونه ، هو الزكاة أنا أزكي عن هذا البستان .

هذه مشاهدات من واقع الناس وحياتهم . آلاف وملايين كل شيء بيد الله عـز وجـل ، فالبطولة أن تعرف الله أن تعرفه هو **المهيمن** ، إذا عرفته **مهيمنا** انقطعت آمالك ممن سواه ، لا تتوسل لغيره ، أنت فيما بينك وبينه في منتهى الخضوع في منتهى التذلل في منتهى الافتقار . إذاً أنت في جانبك الأمن كله .

أما مع الناس عزيز ، إذا لم تعرفه **مهيمنا** وظننت بأن زيدا **مهيمنا** تصبح أمـام زيـد كالطفل الصغير ، تبالغ في التذلل له ويبالغ في إهانتك تبالغ في الخضوع له ويبالغ في دوسك بقدمه لذلك

" من جاس إلى غني فتضعضع له ذهب ثلثا دينه ".

السؤال الآن أنت كمؤمن وهذه الفقرة الثالثة ، الفقرة الأولى التعاريف النظريـة لاسـم **المهيمن** ، كمال العلم وكمال القدرة والاستمرار ، **وهيمنة** الله **هيمنة** حـب وشـفقة ورحمـة **وهيمنة** حفاظ **وهيمنة** تصديق ، ثلاث فقرات بالتعريف وثلاث إضاءات على هذا التعريـف ، هذا القسم النظري والقسم العملي شواهد :

أخ كريم أصيب قلبه بآفة ، والأطباء هنا بدمشق أجمعوا أنه لا بد له من إجراء عمليـة في بلد أجنبي ، ذهب إلى هناك وهو على طاولة الفحص ، اغرورقت عيناه بالدموع وقـال : يارب هذا القلب من صنعك وأتمنى أن لا يفتح وبكى ، أجري الفحص الأول ، الوضع سليم ، هذه القصة منذ اثنتي عشرة سنة ، وإلى الآن بأتم صحة ، هذا الدسام التاجي الشريان الأبهـر

والشريان التاجي ، الشرايين الفرعية التي كانت مسدودة من الذي قام بفتحها ؟ يد من فتحتها ؟ الله **مهيمن** على قلبك .

وهذه الكُلْية توقفت عن العمل ، لماذا توقفت ؟ من أوقفها ؟ ومن حركها ؟. الله **مهيمن** ، تأكد أن الأعصاب والكليتين والقلب والرئتين والشرايين والمعدة والأمعاء والقنوات الدائريـة والسمع والبصر واللسان كل أعضائك بيد الله :

قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾

(سورة آل عمران)

هذه الخلايا من الذي يمنعها من أن تنمو نمواً خبيثاً ؟ الله عز وجل ، ليس هنالك سـبب واضح للسرطان حتى الآن ، إنسان بأتم قوته وبأتم صحته وبأتم نشـاطه ، غـذاء منـتظم ، رياضة حركة ، فجأة نمو خبيث في جهة بجسمه ، عظمَ الله أجركم .

من **المهيمن** على هذه الخلايا ؟ يمنعها من أن تنمو نمواً خبيثا أو أن لا تنمو ، الله عـز وجل .

حتى الزوجة بيد الله عز وجل ،الإمام الشعراني يقول :

" **أنا أعرف مقامي عند ربي من أخلاق زوجتي** "، أياما تجدها مَلَكاً . سبحان الخـالق، ملكاً من السماء ، وأياماً تفكر بهذه الساعة المشؤومة التي تعرفت بها عليها ، بيد الله عز وجل يلين قلبها أو يقسو قلبها ، يجعلها مطواعة أو عنيدة بيد الله عز وجل .

حتى الأولاد : حالهم الشيء نفسه ، وزبائنك ومتجرك ورؤساؤك في الدائرة ومتبوعوك ومركبتك إذا أثنيت عليها وأثنيت على صانعها ونسيت الله أثناء حديثك عنهـا تقطعـك فـي الطريق أمرها بيد الله عز وجل ، أما الزلازل الجراثيم النبي قال :

" **لا عدوى** "

لكن هناك عدوى ، ما معنى هذا الحديث ؟ أي إياك أن تعزو هذا الفعل إلى زيد أو عبيد ، يجب أن يعزى المرض إلى الله عز وجل ، فإذا أذن الله تفعل هذه الجراثيم فعلهـا وإن لـم يأذن لا تفعل أبدا .

هذا القسم العملي وبقي القسم التطبيقي الأخير .

المؤمن إذا أردناه أن يتخلق بأخلاق الله يجب أن يعرف أحوال نفسه ، يعـرف نفسـه ، هل هي مريضة فيها انحراف وفيها كبر وفيها عجب وفيها غرور وفيها تجـاوز للحـدود ؟

إيمانه بالله كاف أم غير كاف ؟ يجب أن يعلم ، أحوال قلبه ، أحوال نفسه ، أن يعلـم دخلـه وإنفاقه للمال ، تعامله مع الآخرين جوارحه مدى انضباطها ، من تخلق المـؤمن بـأخلاق الله المهيمن أن تعلم أنّ أحوالك مرضية عند الله أم غير مرضية ، مستقيم أم غير مستقيم ، يوجـد بدخلك شبهة ، يوجد بعلاقاتك حرمة ، يوجد تقصير بالحقوق يجب أن تعلم ، ولن تعلم إلا إذا حضرت مجالس العلم لأن العلم بالتعلم ، هذه حرام يا أخوان وهذه حلال ، هذا يجوز وهـذه صفة مذمومة وهذه صفة ممدوحة ، فأنت من حضور مجالس العلم تعلم فإذا تعلمت فقد حققت ثلث اسم **المهيمن** ، الآن يجب أن تسعى كي تطهر نفسك من آفاتها ، الجوارح من المعاصـي ، القلب من السوّى ، تطهير القلب مما سوى الله ، تطهير الجوارح من معاصـي الله تطهيـر الفكر من عقائد زائغة من خرافات من أوهام ، من خزعبلات ، من حيل ، من تزوير ، يجب أن تطهر عقلك من كل عقيدة زائغة ، وتطهر جوارحك من كل معصية وعليك أن تطهر قلبك مما سوى الله ، هذا من تطبيق اسم **المهيمن** ، أي أنه راقبَ قلبَـه وأشـرف علـى أغـواره وأسراره واستولى على تقويم صفاته وهيئاته وقام بحفظها على الدوام ، تصرفاته ، نوبـات نوبات ، في يوم الجمعة مرتاح أو منشرح ، السبت تفسد أخلاقي والأحد لا أصلي تأتي الجمعة أنت غير متخلق بأخلاق الله ، عندك اتجاه نوبي .

يجب أن تعلم أحوالك ، يجب أن تقوّم أفعالك ، يجب أن تثبت على هذه الاستقامة التامة ، أنت عاهدت الله عز وجل العلم والإصلاح والثبات .

الأرقى من ذلك أن تدعو إلى الله وأن تعلم أحوال إخوانك أن فتسعى إلى تقـويمهم وأن تبقى على عهدك مع الله من خلال تعاملك معهم .

أن تصلح نفسك من معاني قوله تعالى :

يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١﴾

(سورة الأنفال)

أصلح نفسك ، كيف تصلحها إن لم تعرف أمراضها إن لم تعرف انحرافاتهـا، إن لـم تعرف تقصيرها ، إن لم تعرف أدرانها إن لم تعرف مشكلاتها ، إن لم تعـرف مخالفاتهـا . المعرفةُ أساس ، إذاً تحتاج إلى علم كي تعرف ، وإلى إرادة كي تُصَحح ، وإلى صـدق كـي تستمر ، إذا فعلت هذا فقد تخلقت بأخلاق **المهيمن** .

وبعد ، مادام الله يراقبك ، فما موقفك أنت ؟ الحياء من الله ، من تطبيقات اسم **المهيمن** أن تستحي من الله ، الله يراقبك يجب أن تستحي منه ، الله قوي يجب أن تتوكـل عليـه ، لا شريك له يجب أن تثق بالمستقبل :

لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوۡمٍ سُوٓءٗا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴿١١﴾

(سورة الرعد :الآية ١١)

ثلاثة تطبيقات يجب أن تعلم أحوال قلبك وأحوال نفسك وأحوال عقيدتك تصوراتُك قَيمك يجب أن تصححها ، لا بد من حضور مجالس العلم ، يجب أن تملك إرادة قوية كـي تصـلح اعوجاجك ، كي تقيم جوارحك على طاعة الله ، يجب أن تملك الصدق كي تستمر على هذا ، علم وإرادة وصدق هذا أول تطبيق .

ثاني تطبيق : مادام الله شهيداً عليك يجب أن تستحي منه

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾

(سورة النساء)

ومادام الله مسيطراً يجب أن تتوكل عليه ، إذا أردت أن تكون أقوى الناس فتوكل علـى الله ومادام الله لا شريك له وقال لك :

لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوۡمٍ سُوٓءٗا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴿١١﴾

(سورة الرعد :الآية ١١)

إذاً يجب أن تثق بالمستقبل ، وأن الله عز وجل مادمت لمْ تغيّر لن يغيّر ، مادمت علـى طاعته قائما فأنت من خير إلى خير ومن درجة إلى درجة ومن منزلة إلى منزلة ومن رقـي إلى رقي ، هذا اسم **المهيمن** أرجو الله سبحانه وتعالى أن أكون قد وفقت إلى توضيح تعريفاته وتطبيقاته وشواهده .

والحمد لله **رب العالمين**

الـ ـدرس ٠٦ - اسم الله : " العزيز " .

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الأخوة المؤمنون : مع الدرس السادس من دروس أسماء الله الحسنى ، الاسم اليوم اسم **العزيز** ، وهذا الاسم يا أيها الأخوة كثيرا ما يرد في نهاية الآيات وهو **العزيـز** الحكـيم ، وقد كنت بينت لكم من قبله أن الإيمان بالله بوجوده لا يكفي ، يجب أن تؤمن بوجوده ، ويجب أن تؤمن بوحدانيته، وحدانيته في ذاته وفي صفاته وفي أفعاله ، ويجب أن تؤمن بكماله ومـن الإيمان بكماله أن تتعرف إلى أسمائه الحسنى وصفاته الفضلى .

إذاً أن يجول فكرك أو أن تستمع إلى حديث عن أسماء الله الحسنى هذا جزء أساسي جداً من الإيمان ، فأنت مثلاً إذا تعرفت إلى إنسان رأيته أمامك موجودا فهل عرفته ؟ سألته عـن اسمه قال لك اسمه . هل عرفته ؟ لا تعرفه إلا إذا وقفت على شمائله وعلى صـفاته وعلـى أخلاقه وعلى علمه وعلى ذكائه وعلى منجزاته ، فلا تكون معرفة الله صحيحة ولا تامة إلا إذا عرفت أسماءه ، هذه المقدمة أسوقها من أجل أن تتأكدوا من قول النبي عليه الصلاة والسلام :

عن أبي هريرةَ رضي الله عنْه أن رسولَ الله صلى الله عليه وسـلم قـالَ : إن لِلـه تسعةً وتسعين اسما مائةً إلا واحدا من أحصاها دخَلَ الْجنةَ *

(صحيح البخاري)

ومعنى إحصائها إذا عرفتها وعرفت مضامينها ، عرفت ما ينبغي أن تفهمها وما تـدل عليه ، عرفت ما ينبغي أن تكون أنت عليها ، عرفت أبعادها ، إذاً درسنا اليوم عن اسم **العزيز** .

ورد هذا الاسم في آيات كثيرة من هذه الآيات ، قال الله تعالى على لسان سيدنا عيسى :

إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ

﴿١١٨﴾

(سورة المائدة)

لو أن الإنسان نسي كيف يتم الآية وقال : إن تغفر لهم فإنك أنـت الغفـور الـرحيم ، تتناسب هكذا ولكن الآية " **وإن تغفر لهم فإنك العزيز الحكيم** " ، لأن الإنسان مهما علا شأنه ، إذا أراد أن يغفر لأحد زلته ربما حوسب ، ربما سئل لماذا عفوت عن فلان ؟ لماذا لم تكلفه ؟

لماذا تساهلت معه ؟ لكن الله سبحانه وتعالى إذا غفر فهو العزيز " **إن تعذبهم فـإنهم عبـادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم** "

هذه الآية الأولى ، آية أخرى :

وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾

(سورة الجاثية)

آية ثالثة :

يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَـٰكِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾

(سورة المنافقون)

آية رابعة :

سُبْحَـٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾

(سورة الصافات)

آية خامسة حينما قال الشيطان :

قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾

(سورة ص)

اسم **العزيز** ورد في آيات كثيرة جدا ، اخترت لكم من بين الآيات الكثيرة هذه الآيات .

الآن ما معنى هذا الاسم من حيث اللغة ؟

<u>المعنى الأول :</u> العزيز الذي لا مثيل له ، ولا مشابه له ، ولا نظير له ، من فعـل عـز يعز ، تقول : عز الطعام أي أصبح قليلا أصبح نادرا ، عز هذا الاختصـاص ؛ اختصـاص **عزيز** : أي نادر ، خبرة عزيزة أي نادرة ، معنى عز يعز أي ندر وجوده أو لا مثيل له ولا مشابه له ولا نظير له ، اسم **العزيز** بهذا المعنى من أسماء التنزيه ، الأسماء مصنفة: فهنـاك اسم تنزيهي وهناك اسم ذات وهناك اسم صفات وهناك اسم أفعال . فأسماء الله الحسنى إمـا

أن تكون أسماء لذاته وإما أن تكون أسماء لصفاته وإما أن تكون أسماء لأفعاله . فعز يعز أي ندر يندر .

بشكل أوسع **العزيز** الذي لا مثيل له ولا ند له ولا نظير له . إذا كان الشيء نادرا قليـل الوجود ليس متوافرا مع إمكان توافره نسميه **عزيزا** ، فكيف بالذي يستحيل علـى العقـل أن يصدق أن له نظيرا ، إذاً ، الله سبحانه وتعالى لا مثيل له ولا ند له ولا مشابه له إذاً هو **عزيز** وهذا المعنى الأول .

<u>المعنى الثاني :</u> العزيز هو الغالب الذي لا يغلب ، الإنسان إذا غُلب ليس **عزيزا** يصـبح ذليلا وقد يبالغ المنتصر بإذلاله ، قد يجري بعض التصرفات ليبالغ بإذلاله ، فالغالب الـذي لا يغلب يسمى **عزيزا،** والعرب تقول من أمثلتها : من **عز** بز ، أي من **عز** : من انتصر أخذ ما راق له . و**عزني** في الخطاب أي غلبني في الخطاب ، إن هذا أخي له تسع وتسـعون نعجـة ولي نعجة واحدة فقال : اكفلنها و**عزّني** في الخطاب ، أي غلبني . فالقاهر الذي انتصر وقد يغلب يسمى **عزيزا** فكيف بالقاهر الذي لا يمكن أن يغلب ، من باب أولى فالله سبحانه **عزيـز** بالمعنى الثاني ، والدليل:

وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٢١﴾

(سورة يوسف)

أنت تريد وأنا أريد فإذا سلمتَ لي فيما أريد كفيتك ما تريد ، وإن لم تسلم لي في ما أريد أتعبتك فيما تريد ثم لا يكون إلا ما أريد ، قال تعالى " **والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون** " ، لو علم الناس أن الله غالب على أمره لأطاعوه ولاتكلوا عليه ولأقبلـوا عليـه ولتركوا سواه .

<u>المعنى الثالث :</u> المعنى الثالث القوي الشديد ، **العزيز** هو القوي الشديد ، من عز يعـز ندر يندر ، عز يعز غلب يغلب ، عز يعز قوي يقوى ، والآية الكريمة :

إِذۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهِمُ ٱثۡنَيۡنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزۡنَا بِثَالِثٖ فَقَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَيۡكُم مُّرۡسَلُونَ ﴿١٤﴾

(سورة يس)

يقول : لك **التعزيز** ، بعد أن تلقي الدرس **تعززه** بالتدريبات ، مرحلة **التعزيز** أي ترسيخ المعلومات و تمكينها هذا المعنى الثالث .

المعنى الأول **العزيز** الذي لا مثيل له ولا ند له ولا مشابه له هذا من أسـماء التنزيـه ، المعنى الثاني الغالب الذي لا يغلب هذا من أسماء الصفات ، والمعنى الثالث القوي الشديد هذا من أسماء الصفات أيضا ، فالقادر الذي قد يضعف يسمى عند الناس **عزيزا** ، فكيف بالقـادر الذي يستحيل أن يضعف من باب أولى ، إذاً الله سبحانه وتعالى عزيز بهذا المعنى الثالث .

<u>الآن يوجد معنى رابع</u> دقيق جدا وربما كان المؤمنون في أمس الحاجة لفهم هذا المعنى ، المعنى الرابع : **العزيز** بمعنى **المعز** ، كأن تقول : الأليم بمعنى المؤلم ، كأن تقول : جـرح أليم أي جرح مؤلم ، من معاني وزن فعيل بأنه بمعنى اسم الفاعل مفْعل . ف**العزيـز** بمعنـى **المعز** هذه من صفات الأفعال . أربع معاني لأسم **العزيز** ، الأولى من أسماء التنزيه والثانيـة والثالثة من أسماء الصفات والرابعة من أسماء الأفعال ، هو الذي **يعز** :

قُلِ ٱللَّهُمَّ مَـٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾

(سورة آل عمران)

آخر ملوك الأندلس عندما غادر الأندلس بكى ، فقالت له أمه عائشة : ابك مثل النسـاء ملكاً مضاعاً لم تحافظ عليه مثل الرجال ، فما قيمة الإنسان إذا تخلى الله عنه ؟ فقال تعالى :

أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴿١٨﴾

(سورة الحج)

جزء كبير جدا من حياتك متعلق بكرامتك ، فإذا كنت مع **العزيز أعزك** الله :

اجعل لربك كل **عزك** يستقر ويثبت

فإذا **اعتززت** بمن يموت فإن **عزك** ميت

هذه هي المعاني اللغوية لكلمة **عزيز** أو لاسم الله ال**عزيز** ، لكـن هنـاك تعريـف أدق وأجمل : **العزيز** الذي يقل وجوده وتشتد الحاجة إليه ويصعب الوصول إليه في وقت واحـد ، قد يقل وجود شيء ما ولكن لا تشتد الحاجة إليه ، يوجد معدن نادر جدا مع أنه نـادر قليـل الوجود لسنا بحاجة ماسة إليه ، عندئذ لا يسمى هذا المعدن **عزيزا** ، **العزيز** يجب أن تتـوافر فيه صفات ثلاث : أن يقل وجود مثله ، وأن تشتد الحاجة إليه ، وأن يصعب الوصول إليـه ، قد تشتد الحاجة إلى شيء ولكنه غير نادر كالهواء ، كلنا في أمس الحاجة إليه ولكنه متوافر ، قد تشتد الحاجة إلى الماء والماء موجود في بعض البلاد بكثرة .

إذًا لابد أن يكون **العزيز** يقل وجوده وتشتد الحاجة إليه ويصعب الوصـول إليـه ، إذاً شيء **عزيز** يقال : **عزيز** المنال لا يدرك ولا ينال جانبه ، هذه الصفات للشيء الـذي يقـل وجوده وتشتد الحاجة إليه ويصعب الوصول إليه ، هذه الصفات لها صـفات نقصـان ولهـا صفات كمال ، كلما كثر وجوده قلت **عزته**، وكلما قلت الحاجة إليه قلت **عزته** ، وكلما سـهل الوصول إليه قلت **عزته** ، الآن كلما قل وجوده إلى أن يصبح واحدا ، هذه صفة كمـال فـي **العزيز** يقل وجوده ويقل وجوده حتى يصبح واحدا هذه أعلى صفة ، وتشتد الحاجة إليه .

الإنسان أحيانا قد يحتاجه الناس ، قد يحتاجه بعض الناس ، كلما كثر الـذين يحتاجونـه أصبح **عزيزا** ، فإذا احتاجه كل الناس هذا شيء نادر ، لا يوجد إنسان يحتاجه جميع الناس ، قد تجد ملكاً و تجد إنساناً يعيش في أطراف مملكته يعمل راعياً ، مع أنه أحد رعايا هذا الملك لكنه ليس بحاجة إليه ، يأكل ويشرب في خيمته من نتاج هذا الغنم الذي يملكه .

كلما اشتدت الحاجة إلى الشيء أصبح **عزيزا** ، كمال هذه الصفة شيء دقيـق جـدا أن يحتاج إليه كل شيء في كل شيء ، أنا قد أحتاج للطبيب عند المرض ، ولكن لا أحتاجه عنـد النوم أنا أحتاج إلى سرير ، قد أحتاج إلى هذا المدرس إذا كـان ابنـي ضـعيفاً فـي مـادة الرياضيات فأنا بحاجة إليه ، أما أن يحتاجه كل شيء ليس كل النـاس فقـط لا بـل النـاس والحيوان والنبات والجماد والذرات والمجرات أي يحتاجه كل شيء في كل شيء .

دققوا كل شيء في كل شيء . إذاً الله سبحانه وتعالى **عزيز** لأن قيام الشيء به ، قيـام المادة هذه مادة فيها نواة وفيها كهارب وفيها دوران لولا أن الله سبحانه وتعالى تجلى عليهـا لتوقفت ، كن فيكون زل فيزول :

ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ﴿٢﴾

(سور آل عمران)

أي أن قوام كل شيء به ، وهو مصدر حياة كل شيء .

إذا الله سبحانه وتعالى لا نقول تشتد الحاجة إليه ، يحتاج إليه كل شيء في كل شـيء ، الشبكية مائة وثلاثون مليون مستقبل للضوء ما بين مخروط وعصية عشرة طبقات ، العصب البصري تسعمائة ألف عصب ، ما هذه المادة التي تتغير ماهيتهـا إذا جاءهـا الضـوء ، إذا تغيرت ماهيتها تولد عن هذا التغير تيار كهربائي ينقل الصورة إلى الدماغ ، أنت محتـاج لله عز وجل في عينك وفي أذنك وفي لسانك وفي دماغك وفي شراييناك ، وأي شيء لم يبخل الله سبحانه وتعالى عليه يصبح لاشيء ، فأنت قائم بالله ، عظامك عضلاتك المخططة والملسـاء أعصابك وأجهزتك كلها تعمل بالله ، فلو أن الله سبحانه وتعالى حجب عنها تجلياتـه لأصـبح الإنسان جثة هامدة ، إذا يحتاجه كل شيء في كل شيء .

أول صفة . الذي يقل وجود مثله أما كمال هذه الصفة إلى أن يصـبح واحـدا، تشـتد الحاجة إليه ، كمال هذه الصفة يحتاجه كل شيء في كل شيء ، يصعب الوصول إليه لا يمكن أن تحيط به ولا الأنبياء لا يعرف الله إلا الله ، أن تصل إليه اتصال عبودية ممكن استقم على أمره واعمل الصالحات تصل إليه وهذا هو الوصول هذا هو الاتصال .

شاب خطب فتاة ابنة عالم هذا العالم قال له : مهر هذه الفتاة أن تحضر هـذه الـدروس فحضرها فاستغرق فيها فنسي الفتاة ، أرسلت له كتابا : يا فلان نسيتنا ، فقال : يا وصال كنت سبب الاتصال فلا تكوني سبب الانفصال .

يمكن أن تصل إليه ، أن تصل كعبد أن تستقيم على أمره أن تفعل الصالحات أن تـذكره كثيرا أن تخدم عباده كثيرا ممكن ، أما أن تصل إليه وصول إحاطة وإدراك كامل هذا مستحيل ولا الأنبياء لا يعرف الله إلا الله .

فإذا خطر في بالك ما معنى **العزيز** ؟ فإن معنى **العزيز** : هو الفرد الذي يحتاجـه كـل شيء في كل شيء ويستحيل الوصول إليه ، وصول إحاطة وإدراك أما وصول عبودية فممكن .

قال بعضهم : **العزيز** من ضلت العقول في بحار عظمته وحـارت الألبـاب دون إدراك نعمته وكلت الألسن عن وصف كمالاته ووصف جماله . النبي عليه الصلاة والسلام لخـص هذه الكلمات فقال :

عن أَبِي هريرةَ عن عائِشَةَ قالتْ : فَقَدتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ليلـةً مـن الْفراشِ فَالْتَمستُه فَوقَعتْ يدي على بطْنِ قَدميه وهو في الْمسجِدِ وهما منْصوبتَانِ وهو يقُولُ : اللهم أَعوذُ بِرضاك من سخَطك وبِمعافَاتك من عقُوبتك وأَعوذُ بِك منْك لا أُحصي ثَنَاء عليْك أَنْتَ كَما أَثْنَيتَ على نَفْسك *

(صحيح مسلم)

والله أيها الأخوة الشيء الثابت أنه من عرف الله زهد فيما سـواه ، إذا عرفـت الله لا يمكن أن تتضعضع لمخلوق ، وعندها لا ترى مع عزة الله عزيزا ، ولا ترى مـع قـدرة الله قديرا ، ولا ترى مع حكمة الله حكيما .

ابن آدم اطلبني تجدنـي فإذا وجدتني وجدت كل شيء
وإن فتك فاتك كل شيء وأنا أحب إليك من كل شـيء

فلو شاهدت عيناك من حسننـ ـ ـا الذي رأوه لما وليت عنا لغيرنـا
ولو سمعت أذناك حسن خطابنا خلعت عنك ثياب العجب وجئتنا
ولو ذقت من طعم المحبـ ـة ذرة عذرت الذي أضحى قتيلا بحبنـا
ولو نَسمتْ لك من قربنا نسمـ ـة لمت غريبا واشتياقا بقربنـ ـ ـ ـ ـ ـ ـا
فما حبنا سهل

الله **عزيز** .

هذا الذي يتوهم بسذاجة أنه بركعتين وليرتين يدخل الجنة إنسان سـاذج غبـي ، ومـن يخطب الحسناء لم يغله المهر :

قَال سمعتُ أَبا هريرةَ يقُولُ : قَالَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : من خَافَ أَدلَـج ومن أَدلج بلغَ الْمنْزِلَ أَلا إِن سلْعةَ الله غَالِيةٌ أَلا إِن سلْعةَ الله الْجنةُ *

(سنن الترمذي)

قال تعالى :

لَن تَنَالُواْ ٱلۡبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيۡءٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٞ ﴿٩٢﴾

(سورة آل عمران)

وقتك الثمين ، زبدة وقتك ، قوتك يجب أن تصرفها في سبيل الله ، مالك الذي جمعتـه بكدك وعرق جبينك يجب أن تنفقه في سبيل الله، ألا إن سلعة الله غالية ، الله **عزيز** بـالمعنى الطبيعي الفطري الله **عزيز** .

الآن من هو **العزيز** من العباد في ضوء هذا التعريف ؟ الأنبياء **أعزة** لماذا ؟ لأن الخلق كلهم بحاجة إليهم إلى علمهم ، النبي **عزيز** لأن ربنا عز وجل أودع فيه سره أودع فيه علمـه أودع فيه النبوة ، هو طريق إلى الله هو باب الله ، فالأنبياء **أعزة** لأن الله جعلهم أبواب رحمته وأبواب فضله وأبواب إحسانه وأبواب أنواره ، لهذا عين إرضاء رسول الله هو عين إرضـاء

الله ، ولهذا قرن الله اسم نبيه مع اسمه فالنبي **عزيز** لأن الناس جميعا في أمس الحاجة إليه في أمر دينهم ودنياهم .

الملك **عزيز** : إذا كان ملك بيده مقدرات الأمور كلها ، بيده كل شيء ، فالناس جميعـا يقصدونه كبيرهم وصغيرهم ، جليلهم وحقيرهم ، فكلما اشتدت الحاجة إليك فأنت **عزيز** ، لكن المؤمن إذا اشتدت الحاجة إليه يكون **عزيزا** لكنه متواضع ، ولكن غير المـؤمن إذا اشـتدت الحاجة إليه يصبح لئيما .

يا أيها الأخوة الأكارم سئل الإمام الحسن البصري : بِم نلت هذا المقام ؟ قبـل الإجابـة أقول لكم هذه الكلمة من القلب : لا يمكن أن تعرف الله وأن تطيعه ، ثم تكون ذليلا لأحد أبداً ، لا يمكن لأن الله عز وجل يقول : "

وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ

وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾

(سورة المنافقون)

أنت مع العزيز وتذل بعد ذلك - لا - لن يكون هذا أبداً ، ألا تقرأ في الدعاء يوميا كل صلاة صبح : سبحانك إنه لا يذل من واليت ولا يعز من عاديت ؟

لا يوجد مؤمن تَعرفَ إلى الله عز وجل واستقام على أمره واصـطلح معـه إلا أراه الله معاملة خاصة يشعره أنه غال عليه وأنه يحبه قال تعالى :

فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ۖ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾

(سورة الطور)

أحيانا تدعوه فيستجيب لك ، تدعوه فيصرف عنك السوء ، تدعوه فيلقي حبك في قلـوب الخلق ، تدعوه فيلين قلوب أعدائك ، تدعوه فيلبيك ، تسأله فيعطيك ، تقسم عليه فيبرك .

فإذا الحسن البصري سؤل بما نلت هذا **العز** ؟ قال : بشيئين ، باستغنائي عن دنيا الناس وحاجتهم إلى علمي .

لا تكون **عزيزا** إذا كنت طماعاً ، حينما تطمع تصبح ذليلا ، لمجرد أن تطمع فيما عنـد الناس تصبح ذليلا .

لذلك الناس إذا طمعت فيما عندهم كرهوك ، ورب **العزة** إذا طمعت فيما عنده أحبك .

لا تسألن بني آدم حاجة وسل الذي أبوابه لا تغلق

الإنسان إن سألته حاجة غضب منك ، ورب العزة إن لم تسأله غضب منك ، لذلك النبي عليه الصلاة والسلام قال :

عن جنْدبٍ عن حذَيفَةَ قَالَ : قَالَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : لا ينْبغي لِلْمـؤْمن أن يذل نَفْسه قَالُوا وكَيفَ يذل نَفْسه قَالَ يتَعرض من الْبلاء لِما لا يطيقُ *

(سنن الترمذي)

وقال : " **ابتغوا الحوائج بعزة الأنفس ، فإن الأمور تجري بالمقادير** " ، " **ارفع رأسـك يا أخي لقد موت علينا ديننا** " .

أبو جعفر المنصور دخل عليه أبو حنيفة في قضية فأعجبه أن يأتيه هذا العـالم الجليـل الفقيه الكبير ، قال : يا أبا حنيفة لو تغشيتنا دائما ، نحن في استقبالك نعتز بك وأهلا بك ، قال : ولِم أتغشاكم وليس لي عندكم شيء أخافكم عليه وهل يتغشاكم إلا من خافكم على شيء ،ليس لي عندكم حاجة .

كلما قطعت طمعك من الناس **أعزك** الله ، وكلما مرغت جبهتك في السجود لله **أعزك** الله .

أحد الخلفاء طلب عالماً من علماء المسلمين الكبار أن يأتيه لكي يعظه ، فـذهبوا إلـى الإمام مالك فقالوا : إن الخليفة يطلبك يا مالك ، قال : لست بحاجة إليه ، إن كان بحاجة إلـي فليأتني ، قال الأمام مالك : العلم يؤتى ولا يأتي ، فلم بلّغوا هارون الرشيد مقالة مالك قـال : صدق أنا سآتيه فلما جاءه قال : أبلغوه لا أسمح له أن يتخطى رقاب الناس يعني على الخليفـة أن يجلس حيث انتهى به المجلس ، كان عليه الصلاة والسلام يجلس حيث ينتهي به المجلس ، بل إن الأبلغ من ذلك دخل عليه أعرابي ، فما عرف من النبي ؟ قال : أيكم محمد ؟ ما هـذا التواضع ليس له مكانة خاصة ؟ أيكم محمد ؟ قال له : لقد أصبت أنا ، فلمـا جـاءه هـارون الرشيد وأجلسوه على كرسي ، قال : من تواضع لله رفعه ، ومن تكبر وضعه ، فقال الرشيد : خذوا هذا الكرسي ، العالم **عزيز** يجب أن تزهد فيما عند الناس ، يجب أن تكون بعيـدا عـن دنياهم، يجب أن تعمل اكسب رزقك بيدك .

شخص سأل : كيف الطريق إليه ؟ قال : لو عرفته لعرفت الطريق إليه ، كلمة بليغة .

إذا عرفت الله تعرف بالفطرة ماذا يرضيه ، وكيف تقبل عليه ، وكيف تسـتقيم علـى أمره ، وكيف تضحي من أجله ، وكيف تؤثره على كل شيء ، قال له : كيف الطريق إليـه ؟ قال : لو عرفته لعرفت الطريق إليه ، قال له : لم أفهم كلامك ، كيف أعبد مـن لا أعرفـه ، فقال : كيف تعصي من تعرفه ، إنك تعصيه :

تعصي الإله وأنت تظهر حبه هذا لعمري في المقال بديع

لو كان حبك صادقا لأطعتـــه إن المحب لمن يحب يطـيـع

قل شخص متى عرفت الله ؟ قال : والله ما عصيته منذ عرفته .

اسمعوا مني هذه الكلمة ، والله الذي لا إله إلا هو لو تعلمت علم الثقلين بنية أن تكون ذا شأن في المجتمع وعصيت الله فيما بينك وبينه ، فأنت لا تعرفه ، لا تعرفه ، لا تعرفه .

من لم يكن له ورع يصده عن معصية الله إذا اختلى ، لم يعبأ الله بشيء من عمله أبدا ، لا تنظر إلى صغر الذنب ولكن انظر إلى من اجترأت عليه ، فلمجرد أن تعصي الله عز وجل يجب أن تعلم علم اليقين أنك لا تعرفه أبدا .

لو تخيلنا إنساناً يحمل أعلى شهادة شرعية ، وله مائة مؤلف وهـو ذو منصـب دينـي خطير ، ودخلت عليه امرأة و تأمل فيها وملأ عينيه منها ، وعنده مستخدم علـى البـاب ، لا يقرأ ولا يكتب لكنه قرأ قوله تعالى :

قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾

(سورة النور)

فغض بصره عنها فهذا عند الله عالم ، والأول الذي ملأ عينيه من الحرام جاهـل ، لأن النبي عليه الصلاة والسلام يقول :

عن مسلم عن مسروق قالَ : كفَى بالمرء علما أن يخْشَى الله وكفَى بالمرء جهـلا أن يعجب بعلمه *

(سنن الدارمي)

دع هذه الكلمة في ذهنك دائما : لمجرد أن تعصيه فأنت لا تعرفه .

قيل : ما الأدب الذي يجب أن يتحلى به المؤمن حيال هذا الاسم ؟ الله **عزيز** ما موقـف المؤمن حيال هذا الاسم ؟

قال : المؤمن إذا عرف **العزيز** لا ينبغي أن يعتقد لمخلوق إجلالاً ، أديب جدا مع الناس ، لكنه لا يمكن أن يعتقد لمخلوق إجلالاً ، أي يجب أن تحقر الأقدار سوى قدره ، وأن تمحـو الأذكار سوى ذكره ، قال عليه الصلاة والسلام : " **من تضعضع لغني ذهب ثلثا دينه** " .

لماذا ؟ قال : لأن الإيمان ما وقر في القلب وأقر به اللسان وصدقه العمل ، فإذا أجلالـت غنياً لغناه ، أجللته وانحنيت له وأثنيت عليه بما ليس فيه فقد أذهبت ثلثي دينك ، والإيمان ثلاثة أشياء : الإيمان ما وقر في القلب وأقر به اللسان وصدقه العمل ، فإذا كان العمـل الظـاهري تعظيم لإنسان لا يعرف الله وعظمته لأنه غني ، فالنتيجة إذاً ذهب ثلثا دينك واذكر

" **من تضعضع لغني ذهب ثلثا دينه** " .

لذلك فالنبي عليه الصلاة والسلام يقول : " **شرف المؤمن قيامه بالليل ، وعزه استغناءه عن الناس** "

عند المؤمن **عزة** لو وزعت على أهل بلدة لكفتهم ، يرى أنه عبد لله وأن الله لن يضيعه ولن يسلمه ولن يتخلى عنه .

عندنا قاعدة ثابتة أنه إذا عظم القلب الرب صغُر الخلق في عينه ، فإذا كـان الله لـيس عظيما في عينه كبر الخلق في عينه . هذا امتحان ، فلان يقولها بملء فمه: يفعل ويتـرك ، وعنده قدرة على كذا وكذا وكذا . فأنت لا تعرف الله إذاً ، مادمت تُجِله كل هذا الإجلال فإنك لا تعرف الله ، لأن الله عز وجل لو جمد قطرة من دمه في أحد شرايين مخه لأصبح مشلولا ، لو أن الله عز وجل جمد بعض الدم في شرايين قلبه لمات بسكتة قلبية وقضى مـن فـوره ، والإنسان كلما ارتقى إيمانه كلما التفت إلى الله قال تعالى :

فَنَذَرُ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ﴿١١﴾

(سورة يونس)

إذا عرفت أنه **المعزّ** ، أي لو اجتمع الناس جميعا على أن يرفعوك درجة لا يستطيعون ، أما إذا رفعك الله عز وجل درجة أو أكثر لا يستطيع أهل الأرض أن ينزلوك . ومعلـوم : إذا عرفت أنه **المعز** لم تطلب **العز** إلا بطاعته .

قال بعضهم : لو اجتمع الخلق على أن يثبتوا لأحد **عـزاً** فوق ما يثبته اليسير من طاعته لما قدروا ، لا **تُعزّ** إلا بطاعة الله ، **أعز** أمر الله **يعزك** الله ، قال : لو اجتمع الخلـق علـى أن يثبتوا لأحد ذلاً أكثر من اليسير من المعصية لم يقدروا ، يوجد عامل واحد يرفعك ويخفضـك هو الطاعة والمعصية ، كلما أطعته ازددت **عزا** وكلما هان الله عليك هنت عليه ، ويجـب أن تفهموا أن حال المسلمين اليوم : هان الله عليهم فهانوا على الله .

أحيانا يقع الإنسان في خطأ كبير . يظن أن هؤلاء الذين يحسبون في العالم الإسـلامي يظنهم مسلمين . والمسلم له صفات ، فإذا أحسن بهم الظن وهم تـاركو الصـلاة ويكـذبون ويأخذون ما ليس لهم عدواناً وقد يفعلون المعاصي كبيرها وصغيرها ، هان الله عليهم فهـانوا على الله ، هاتان الكلمتان تلخصان كل ما يجري من أحوال المسلمين ، هان الله عليهم فهـانوا على الله .

على مستوى فردي إذا استقمت على أمر الله وإذا اعتمدت عليه وتوكلت عليـه ، فـالله سبحانه وتعالى يعاملك معاملة خاصة أما إذا عصاه مجموع الأمة فالله سبحانه وتعالى لا بـد من أن يؤدبهم لأنه إذا عصاني من يعرفني سلطت عليه من لا يعرفني .

رجل ذهب إلى الحج ، كان له شأن كبير رافقه عشرات الخدم والحشم ، فكـان هـؤلاء الخدم في أثناء الطواف يبعدون الناس عنه تعظيما له ، حج وطاف وسعى وانتهى حجه وعاد إلى بلده ، راوي هذه القصة قال : وبعد حين وعند جسر في بغداد رأيت رجلا يشبه هذا الذي رأيته يطوف لكن رأيته في حالة زريه قميئة يمد يده للناس ، يا ترى هذا فلان هو هو. لـيس هو ، دخل الشك في قلبه ، فتقدم منه فقال : مالك تنظر إلي ، قال : كأنك تشبه فلاناً ، قـال : أنا هو ، فقلت له : ما الذي جعلك في هذه الحال ؟ قال : إني تكبرت في موضـع يتواضـع الناس فيه ، الطواف حول الكعبة ليس فيه كبر ، أنا فلان أنا علان أنا حجمي المـالي كـذا لا يوجد كبر في هذا الموقف ، في هذا الموقف أنت عبد لله عز وجل ولو كنـت ملكـا ، قـال تكبرت في موضع يتواضع الناس فيه فوضعني الله في موضع يترفع الناس فيه .

الإنسان كلما أحاط نفسه بهالة من الكبر والاستعلاء هان وحطه الله جزاء وفاقاً ، صفتان لا تقربهما الكبر والظلم ، إن الله سبحانه وتعالى يغفر عشرات الـذنوب بسـهولة إلا ذنبـين يبطش بصاحبهما الكبر والظلم ، اثنان لا تقربهما : الإشراك بالله أي الكبر والإضرار بالناس أي الظلم .

الآن عندنا مشكلة . وهي ليست مشكلة . ولكن هكذا سميتها : كيف يقول الله عز وجل :

مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا ۚ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّـٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ۚ وَٱلَّذِينَ يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَمَكْرُ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ ﴿١٠﴾

(سورة فاطر :الآية ١٠)

أي **العزة** كلها له . هو **العزيز** ، ونقرأُ آيةً أخرى : " **ولله العزة ولرسوله وللمـؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون** " ، يبدو أن هناك تناقضا بين الآيتين . هكذا يبـدو، الجـواب : إذا ابتغيت **العزة** بالإقبال على الله والاعتزاز به فأنت **عزيز** ، لكن حينما قال الله عـز وجـل : " **فلله العزة جميعاً** " أي مهما أردت **العزة** بغير الله فأنت ذليل ، إذا أردت **العـزة** وأن تكـون **عزيزا** عن غير طريق طاعة الله ، عن غير طريق الاستقامة على أمره ، عن غيـر طريـق **إعزاز** أمر الله ، فأنت ذليل .

سيدنا يوسف : كلكم يعلم أنه كان عبدا في قصر ملك مصر ، كان عبداً وكان يـؤمر ، ووضع في السجن ثم أصبح **عزيز** مصر ، مرة خرج في موكبه فرآه أحد العبيد وكان يعرفـه أنه كان عبدا مثله ، ثم أصبح **عزيز** مصر فقال : سبحان من جعل العبيد ملوكـا بطاعتـه ،

وجعل الملوك عبيدا بمعصيته . ولعله يقصد امرأة العزيز التي هانت بعـد فعلتهـا واتهامهـا ليوسف حتى غدت كالعبيد هوانا

وقد نسمع ونقرأ عن إنسان كان في أعلى درجات **العز** فلما بنى **عزه** على معصـية الله جعله الله في أسفل السافلين .

إذاً شيء آخر سيدنا يوسف عندما قال :

قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَاىَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾

(سورة يوسف)

جعله الله **عزيز** مصر .

والله سمعت قصة ، لولا أن صاحبها حي يرزق ، لما استطعت أن أصـدقها : شـاب حديث السن عنده مكتبة صغيرة في حي من أحياء دمشق وهي قصة قديمة جدا ، فيبدو أن فتاة ساقطة تحرشت به وأغرته فأغلق محله وتبعها ، وكان هذا الشاب لسبب معين قد حج في سن مبكرة ، وقبل سنوات وبينما وهو في طريق متابعته إياها تذكر حجته فقال : لا والله لا أفسـد هذه الحجة ، فركب الحافلة وعاد أدراجه إلى البيت . أي خشي الله وأطاعه ، في اليوم التـالي جاءه أحد وجهاء الحي من جيرانه فقال له : يا فلان هل أنت متزوج ، فأجابـه : لا والله يـا سيدي ، قال له : عندي فتاة مناسبة أبعث أهلك ليروها ، فقال : ظننت أن له فتاة فيها علة لأنه هو الذي عرضها ، قال : بعثت بأهلي ليخطبوها فرأوها في أحسن حال فوافقت ، وما هي إلا أشهر حتى جعلني شريكه في عمله التجاري وأغلقت المحل السابق وبعته ، طبعا العم تـوفي لكن الرجل لا يزال حي يرزق من كبار التجار ، أنت قلت

مَعَاذَ ٱللَّهِ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَاىَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾

(سورة يوسف)

قس على هذا كل شيء ، مبلغ كبير فيه شبهة قل :

مَعَاذَ ٱللَّهِ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَاىَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾

(سورة يوسف)

يأتيك أضعاف مضاعفة ، ما ترك عبد شيئاً لله إلا عوضه الله خيرا منـه فـي دينـك ودنياك ، أي شيء تدعه في سبيل الله لا بد من أن يعوضك الله خير منه في دينـه ودنيـاه ، أتحب أن تكون **عزيزا** ؟ أتحب أن تكون مكرما ؟ أتحب أن تكون محترما ؟ أتحب أن تكـون

مبجلا ؟ بالغ في طاعة الله ، كلما أطعته كلما رفعك وكلما خالفت أمره كلما وضعك ، فإذا هان عليك هنت عليه وإذا عظمت شعائره عظمك .

فالذي ذهب إلى المدينة وزار قبر النبي عليه الصلاة والسلام يعلم ماذا أعني بهذا الكلام ، ما من مخلوق على وجه الأرض **أعزه** الله عز وجل كرسول الله ، لو أن إنساناً في حرم النبي عليه الصلاة والسلام ودخل الملك لا يراه ملكا ، في الحرم النبوي لو دخل الملوك مجتمعين لا ترى أنهم ملوك في حضرة النبي عليه الصلاة والسلام ، كان إذا دخل عليه العبد وأصابته رعدة يقول :

" **هون عليك ، إنما أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد بمكة** ".

أناس يأتونه من أطراف الدنيا فإذا اقتربوا من مقامه يبكون وقد مضى على وفاته ألف وأربعمائة عام ، ما هذا السر ؟ هل في الأرض كلها مخلوق **أعزه** الله كرسول الله ، خذ صحابته سيدنا الصديق ماذا كان يفعل ؟ له جيران فقراء وكان يحلب لهم الشياة ، فلما صار خليفة للمسلمين حزن أهلُ هذا البيت لأن منصبه الرفيع يمنعه أن يحلب لهم الشياة ، في اليوم الذي تلا تسلمه منصب الخلافة طرق الباب ، قالت الأم لابنتها : يا بنيتي افتحي الباب ، قالت : يا أمي إن بالباب حالب الشاة جاء اليوم أيضا جاء ليحلب الشاة ، ما هذا التواضع ؟ وما من صحابي **أعزه** الله وذكر اسمه في القرآن كسيدنا الصديق .

ملخص الدرس ، قانون ، علاقة طردية . كلما زدته طاعة وتعظيما زادك **عزا** ، وكلما تساهلت بأمره قلت : لا تدقق ، إن الله غفور رحيم ، الدين يسر ، أنت مشددها كثيرا ، افعل ما تشاء ، كلما تساهلت في طاعته خفضك الله عز وجل وصرت لا شأن لك .

أي هؤلاء الذين علموا الناس ، الأئمة الكبار كالإمام الشافعي وأبو حنيفة والصحابة الكرام اسم كل واحد منهم على كل لسان ، بذكرهم تتعطر المجالس عظموا الله فخلّد ذكراهم .

سيدنا موسى في أوج عزه وفرعون يهون و يغرق . يقول الله عز وجل :

﴿ وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ فَأَتۡبَعَهُمۡ فِرۡعَوۡنُ وَجُنُودُهُۥ بَغۡيٗا وَعَدۡوًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدۡرَكَهُ ٱلۡغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ءَآلۡـَٰٔنَ وَقَدۡ عَصَيۡتَ قَبۡلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿٩١﴾

(سورة يونس)

وصدق الله العظيم .

وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ

(سورة الحج)

سيدنا إبراهيم أرادوا به كيدا فقلنا :

قُلْنَا يَـٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَـٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾

(سورة الأنبياء)

هذا هو **العز** . عز الله لإبراهيم وموسى ويوسف كما علمت .

النبي عليه الصلاة والسلام ، ما من مخلوق **أعزه** الله كرسول الله ، وسيدنا الصـديق ، وسيدنا عمر قال : كنتُ عميراً فأصبحتُ عمر فأصبحت أمير المؤمنين ، كان وقّافا عند كتاب الله فرفعه الله سبحانه .

وكذلك سيدنا عثمان ، سيدنا علي ، وبالمقابل أبو جهل ما نهايته ؟ ما سمعته ؟ ما قيمته ؟ أبو لهب ، هؤلاء صناديد الكفار أين هم ؟ أما عكرمة ابن أبي جهل حينما تاب إلى الله تاب الله عليه فأصبح سيدنا عكرمة مع أنه له جاهلية وله موقفه المعادي لرسول الله .

لا أريد أن أطيل عليكم ، فما من مخلوق على وجه الأرض إلا ويحب وجـوده ويحـب سلامة وجوده ويحب كمال وجوده ويحب استمرار وجوده ، وجزء كبير جدا من وجـودك أن تكون مكرما أن تكون **عزيزاً** ، أن تكون مرهوبا ، أن تكون سليما من كل هون ، وما مـن شيء يسبب لك الهوان كالمعصية أبدا .

فالعفيف **عزيز** ، وحينما يطمع الإنسان بأعراض الناس ينظر إلى نسائهم نظرات ريبـة يصبح ذليلاً ، الإيمان عفة عن المطامع عفة عن المحارم .

الإيمان عفة ، عفة عما في أيدي الناس وعفة عن أعراضهم ، لهذا غض البصر مـن لوازم المؤمن ، المؤمن محصن من أن يتبع شهوته ، وكلما غض بصره زاده الله عزا وكلمـا غض بصره زاده سعادة بأهله ، خلق من خلق الله ؛ يخلق سعادة بين الـزوجين المـؤمنَين لا يمكن أن تكون إلا بطاعة الله ، يعيشان حياة ثرة غنية موفقة لأنها أطاعت ربها فيـه وأطـاع ربه فيها .

فمطلب **العزة** مطلب عام ، ما من مخلوق إلا ويتمنى أن يكون **عزيزا** ، والعـزة ثمنهـا الطاعة وهذا الكلام موجه إلى الشباب ، اصبر على الحرام يأتك الحلال ، لا تفكر ولا تسـمح

لخاطرك أن تَرد عليه معصية وسوف توفق في عملك توفق في زواجك ، سوف يجعل الله لك مخرجا ، سوف ترزق من حيث لا تحتسب ، سوف يرفع الله لك شأنك .

بعض الناس يموت فيسير في جنازته شخص أو شخصين هواناً لشـأنه لمعصـيته ، و يموت عالِمٌ فيسير في جنازته مليون ، أعزه الله ، لماذا أعزه ؟ لأنه أعز أمر الله ، أعز أمـر الله يعزك الله .

هذه حقائق ثابتة أيها الأخوة ، فكل من يبتغي العزة بغير الله أدركه الهـوان ، فلـو أن الإنسان اتخذ الله ولياً لأنجح وأفلح :

وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾

(سورة هود)

إذا ركنت لإنسان منحرف ، رأيته قويا ، رأيت عنده الدنيا ، رأيت أنك إذا أطعته جاءك خير كثير ، إذا ركنت إليه إذا نسيت الله عز وجل لن يأتيك الذل إلا من طرفه ، لـن يأتيـك الضيم إلا منه تأديبا لك :

اجعل لربك كل عزك يستقر ويثبت

فإذا اعتززت بمن يموت فإن عزك ميت

أحيانا يعتز الإنسان بقريب له ، له شأنه يفاجأ أن هذا القريب يتخلى عنه ، يدخل عليـه فيتجاهله ، يعرض له قضية فيقول : لا أستطيع ، أنا لا أخالف القوانين أبدا ، هـذا جـزاء الذي ركن إليه . " **اطلبوا الحوائج بعزة الأنفس فإن الأمور تجري بالمقادير** " .

مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾

(سورة فاطر)

وبعد فالقصص التي يمكن أن تروى في موضوع **العزة** والذلة أكثر مـن أن تحصـى ، وما من واحد منكم إلا من خلال معارفه وأقربائه ومحيطه وبيئته يعرف آلاف القصص ، هذا الشاب الذي استقام على أمر الله رفعه الله في الدنيا قبل الآخرة :

وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾

(سورة الرحمن)

قال معظم المفسرين : " جنة في الدنيا وجنة في الآخرة ، والدنيا قبل الآخرة .

وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ۖ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾

(سورة الطور:الآية ٤٨)

آخر حديث : " **من ابتغى أمراً بمعصية كان أبعد مما رجا وأقرب ممـا اتقـى**" . أي شيء أردت أن تناله من خلال معصية يجب أن تعلم علم اليقين أن هذا الشيء بعد عنك ، وأي شيء إذا أردت أن تناله عن طريق الطاعة فاعلم علم اليقين أنه اقترب منك " **من ابتغى أمرا بمعصية كان أبعد مما رجا وأقرب مما اتقى** " ، أي بالتجارة لا تكذب تربح وتـربح وأنـت صادق ، إذا كنت محاميا لا تكذب يأتيك دخل وفير وأنت صادق وأنت مخلص . هـذا الـذي يعصي الله لينال الدنيا جاهل لا يعرف الله عز وجل

يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾

(سورة الأحزاب)

الله عز وجل مما وعد به المؤمن أن يحفظه ، مما وعد به المؤمن أن يدافع عنه ، ممـا وعد به المؤمن أن يرزقه ، مما وعد به المؤمن أن يعزه والـدليل " **ولله العـزة ولرسـوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون** "

انظر لو قال الله : العزة للمؤمنين لكان من الممكن أن يفهم ولغير المؤمنين قـد تكـون عزة أما عندما قال : لله العزة ، وجاء الاسم المجرور مقدماً على العزة فأفاد القصر والحصر ، العزة وحدها إذاً لله فإذا أردتها فكن مع الله

كن مع الله ترى الله معك واترك الكل وحاذر طمعـك
وإذا أعطاك من يمنعـــــــه ثم من يعطي إذا ما منعـــك

أطع أمرنا نرفع لأجلك حجبنـــا فإنا منحنا بالرضى من أحبنـا
ولذ بحمانا واحتمي بجنابنـــــا لنحميك مما فيه أشرار خلقنـا

والحمد لله رب العالمين

الـ ـدرس ٠٧ - أسم الله : " الجبار " .

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الأخوة الأكارم : مع الدرس السابع من دروس أسماء الله الحسنى والاسم في هـ ـذا الدرس هو اسم **الجبار** فالله سبحانه وتعالى ذكره في آية :

هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾

(سورة الحشر)

والإنسان أحياناً تتداخل عنده صفات الإنسان مع صفات الخالق فلابد من التوضيح بـ ـأن هناك صفات إذا نسبت وإلى الخالق فهي صفات كمال أما إذا نسبت إلى المخلوق فهي صفات نقص ، فإذا وصفنا إنساناً بأنه جبار فهذه صفة نقص فيه لأن وجوده مستعار وجوده مـ ـن الله عز وجل ، خلق الإنسان ضعيفاً ، خلق الإنسان عجولاً ، خلق الإنسان هلوعا ، هذا الإنسـ ـان الذي يوصف بأنه **جبار** هل بإمكانه أن يضمن استمرار حياته إلى ثانيـ ـة واحـ ـدة ؟ عشـ ـرات الأشخاص كل يوم يموتون بسبب وبلا سبب ومع تقدم العلم أصبح يقول الطبيب سكته دماغية أو سكته قلبية أو هبوط مفاجئ في وظائف الكليتين أو تشمع الكبد ونحن بـ ـين أظهرنـ ـا أشخاص كثيرون كانت لهم آمال طويلة جداً كل هذه الآمال تبددت لأن خللاً طفيفاً جداً أصابهم .

لي قريب كان في صف رابع في الطب وكان من أذكى الطلاب ومن أصـ ـحهم جسـ ـماً ومن ألينهم عوداً يتمتع بصفات نادرة ومن أسرة ميسورة ، فجأة شـ ـعر بـ ـوهن فـ ـي جسـ ـمه وبضعف وبدا اصفرار في وجهه ، الطبيب الأول قال هناك فقر في الدم ، وكذلك أكد الطبيب الثاني ، ليس لهذا الفقر أسباب ، شاب في ريعان الشباب متفوق جداً وذكي جداً على مشارف التخرج من أسرة ميسورة أي فقر دم هذا ؟ ثم اكتشف في النهاية أن في طحاله نشاطاً زائـ ـداً

الطحال أيها الأخوة مستودع للدم ومعمل احتياطي لكريات الدم ومقبرة لكريـ ـات الـ ـدم الميته ففي الثانية الواحدة يموت في جسم الإنسان مليونان ونصف كرية دم هذه الكريات التي

ماتت تذهب إلى الطحال وفي الطحال وبطريقة اقتصادية تُهدم هذه الكريات وتعاد إلى أصـل تكوينها: حديد وهيموغلوبين ، الحديد يرسل ثانية إلى معامل كريات الدم الحمراء فـي نقـي العظام ليعاد تصنيعه والهيموغلوبين يذهب إلى الكبد ويشكل الصفراء ، أُخذت خزعـة مـن طحال هذا الشاب أرسلت إلى بلد غربي متقدم كان الجواب أن الطحال يقوم بنشاط زائد يأخـذ الكرية الحمراء الميتة ويحللها ويأخذ الحية ويحللها ، فأصبح هناك نقص مستمر في كريـات الدم الحمراء وانتهى أجله ومات في ريعان الشباب ، فإذا قال أحدنا أنا! من انت ؟ فالطحـال ولأنه عمل بنشاط أكبر أنهى حياة الإنسان .

شخص آخر أصيب بمرض نادر فقر دم لا مصنع أي معامل الكريات الحمـراء تكـف ذاتياً عن صنع الكريات ينتهي الإنسان ، وأحياناً هبوط مفاجئ في وظائف الكليتين ، وأحيانـاً تشمع في الكبد الإنسان لا يطيق الحياة بلا كبد أكثر من ثلاث ساعات ، وأحياناً نقطة دم تتجمد في بعض شرايين المخ في مكان يصاب بالصمم ، في مكان يصاب بالعمى ، في مكان يصاب بفقد الذاكرة، في مكان يصاب بالشلل ، فهذا الذي يقول : أنا هو أحمق لمجرد أن يقول أنـا ، أما إذا وصف الإنسان بأنه **جبار** هذه صفة ذم في الإنسان لأن وجود الإنسان فيه افتقار إلـى الله عزوجل ، وجود الإنسان تابع لمشيئة الله ، قوة الإنسان تابعة لمشيئة الله ، محاكمة الإنسان تابعة لمشيئة الله ، عقل الإنسان تابع لمشيئة الله ، فإذا قلنا فلان **جبار** فإننا نصمه بالحمق لأنه يدعي ماليس له ، يدعي حجماً ليس بحجمه، يدعي قوة ليست بقوته ، أما إذا وصـفنا خـالق الكون الواحد الأحد الفرد الصمد الحي القيوم الذي لاراد لحكمه إذا وصفنا خالق الكون بأنـه جبار فهذه صفة مدح وصفة تنزيهية من جهة وصفة من صفات الذات لله عزوجل.

لا يحق للإنسان أن يتكبر ، أما ربنا عزوجل تكبره لأنه كبير فعلاً لأنه عظيم لأنه قوي لأنه خالق لأنه رب لأنه مسير.

هذه مقدمة أردت منها أن تتقبلوا أن يتصف إنسان بصفة فنعدها ذماً وأن يوصف خالق الكون بهذه الصفة فنعدها مدحاً .

نحن في حياتنا عندنا شيء من هذا القبيل يوصف الرجل بأنه كريم مـدحاً وتوصـف المرأة بأنها كريمة ذماً لأن المرأة إذا بذلت من مال زوجها دون إذنه وأتلفت ماله هذه صـفة ليست صفة مدح ، أحياناً نصف إنساناً بالتعقل وهو في موقع ، وقد يكون هـذا التعقـل فـي موضع آخر صفة ذم .

على كلٍ كلمة **الجبار** لها معانٍ عدة :

المعنى الأول : **الجبار** هو العالي الذي لاينال ، نقول نخلـة جبـارة لشـدة ارتفاعهـا لانستطيع قطف ثمرها ، نقول ناقة جبارة يصعب ركوبها ، والله سبحانه وتعالى يقـول فـي قرآنه الكريم :

قَالُواْ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوۡمٗا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَا حَتَّىٰ يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا فَإِن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ﴿٢٢﴾

(سورة المائدة)

أي عظماء أقوياء أشداء ، أما إذا قلنا فلان **جبار** يعني لا يتواضع متعاظم متكبر لاينقاد إلى أحد ، مثل هذا الإنسان لابد من أن يقصمه الله عزوجل قصماً ، لذلك ترون وتسمعون كل وقت وكل حين عن **جبار** من جبابرة الأرض قصمه الله عزوجل وجعله في أسفل سافلين لأن الكبرياء من صفات الله عزوجل و العظمة من صفات الله عز وجل فلا يحق لإنسان ضـعيف منازعة الله هذه الصفات .

الجبار : نفهم اسم **الجبار** بالمعنى الأول هو الله عزوجل

فمن الجهل والتنطع والتطاول على حضرة الله عزوجل أن تظن أنه بإمكانك أن تفهم كل شيء عنه ، هذه فكرة مغلوطة ، عين العلم به عين الجهل به وعين الجهل به عين العلم بـه ، والعجز عن إدراك الإدراك إدراك ، إذا قلت لا أعلم عن الله إلا في حدود ضيقة جداً فأنـت عالم ، أما إذا أردت أن تقنع الناس ببساطة أن بإمكانك أن تعرف كل شيء فهذا دليل عجـز ، هذا المعنى الأول من معاني اسم **الجبار** الإله العظيم الذي لاتناله الأفكار ولا تحيط به الأبصار ولا يصل إلى كنهه عقول العقلاء وهو من صفات التنزيه .

المعنى الثاني : العوام يعرفونه فلان **جبر** خاطر فلان ، ياجبار الخواطر **جابر** عثـرات الكرام ، قول مشهور : ما عبد الله في الأرض بأفضل من **جبر** الخواطر ، **جبـرت** العظـم ، **المجبر** جبر العظم ، **الجبار** بهذا المعنى هو المصلح للأمور ، كلما حصل أمر حصلت مشكلة إن سلم شيء، تهدم شيء ، افتقر إنسان تضعضع إنسان ، يأتي خالق الكـون وهـو **الجبـار** فيرأب الصدع ويلم الشمل ويغني الفقير **ويجبر** الكسير ويعطي المحروم ويرفع الذليل ، لـذلك كلما جئت الله عز وجل خاضعاً منكسراً **جبرك** ، كلما جئته مـن بـاب الخضـوع والتـذلل والإنكسار **جبر** كسرك ولم شعثك ورأب صدعك وقوى ضعفك وأغنى فقرك وأعز ذلك .

أما **الجبار** فهو كثير **الجبر** نوعاً وكماً ، تقول مثلا : **جبار** لإنسان أعطى مائة رجل فقير لم تقل له **جابر** بل **جبار** لأن عطاءه شمل مائة إنسان وإذا أعطى إنسان عطاء كبيـراً لوحـده أيضا **جبار** فإما لمبالغة النوع أو لكثرة العدد ، على كلٍ **الجبار** هو المصلح إن **جبـر** الفقيـر أغناه وإن **جبر** المريض شفاه وإن **جبر** الذليل أعزه وإن **جبر** الضعيف قواه وإن **جبـر** الخائف أمنه ، ف**الجابر** هو المصلح و**الجبار** كثير الإصلاح كماً ونوعاً هذا المعنى الثاني .

إذاً قل يا **جبار** ، يقول التجار : يا**جبار** ، لأن بيع البضاعة عند التاجر **جبر** وربنا عـز وجل ما ذكر من صفات التجارة إلا صفة واحدة فقال :

قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ
وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ
أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ
ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾

(سورة التوبة)

ما من منظر يتفتت له قلب التاجر كأن يرى بضاعته مكدسة في المستودع ولا أحـد يسأله عنها ، لذلك الله عز وجل حينما ذكر التجارة ذكر الشيء المؤلم عند التاجر ، يا **جبـار** أي يا رب أجعل هذه البضاعة نافقة وحبب الناس بها واجعلهم يقبلون عليها .

الدعاء الشهير الذي دعاه النبي عليه الصلاة والسلام : " يا **جابر** كلّ كسير " .

لذلك يقول عليه الصلاة والسلام : " **الحزانى في كنف الله ، إن الله يحب كل قلب حزين ، الحزانى معرضون للرحمة** "

إذا كنت في خصومة وكنت أنت القوي واستعملت قوتك في الظلم فلست رابحا ولسـت منتصرا لأن هناك **جبارا** أعلى سوف يقصمك ، أما إذا كنت الجانب الأضعف هنـاك **الجبـار** الذي سيرحمك .

شريكان يتخاصمان أحدهما أقوى من الثاني القوي يطرد الضعيف ويبقى في المحل ليس هذا ربحاً ولا ذكاءً ولا شطارةً ولا قدرةً لأن الله مع الضعيف والله هو **الجبار** ، س**يجبر** كسر الضعيف وهو **الجبار** سيقصم الظالم .

زوجان تخاصما أحدهما تجاوز حدوده ، هنيئاً لمن كان الأضعف هنيئاً لمن كان المظلوم ، لأن الله مع المظلوم في الزواج وفي الشراكة وفي أي تعامل .

أب غني ترك أرثاً كبيراً وترك أولاداً أحد أولاده قوي والآخرون صغار في السن دون السن القانونية ، بذكاء أو بحيلة أو باحتيال الكبير استطاع أن يأخذ معظم الثروة له وحده وأن يخص إخوته الصغار بشيء قليل ، الله **جبار** ، فمازال أحد إخوته الصغار يوفقه الله عز وجل ويمده ومازال الله عز وجل يضعف هذا الأخ الكبير ويفقره ويسد الطرق فـي وجهـه إلا أن اضطر الكبير أن يبيع الصغير كل ما أخذه من أبيه غصبا ، ثم اضطر الكبير أن يعمل عنـد

الصغير ومثل هذه القصص كثيرة جدا في كل الأسر ، دائما الظالم ، فالله **جبار** على الظالمين **جبار** للمظلومين ، **جبار** على الأقوياء **جبار** للضعفاء ، **جبار** على المتكبرين **جبار** للمتذللين .

فالجبار المصلح لكل الأمور ، المظهر لدين الحق ، الميسر لكل عسير ، **الجـابر** لكـل كسير وهذه صفة من صفة أفعال الله عز وجل صفة فعل .

المعنى الثالث للجبار : **الجبار** بمعنى أنه **جبـره** على كذا أي أكرهه على ما أراد بمعنى **أجبره** ، الله عز وجل **جبار** مشيئته هي النافذة ، أنت تريد وأنا أريد هكذا يقول الله عز وجـل في الحديث القدسي: " **أنت تريد وأنا أريد ، فإذا سلمت لي فيما أريد كفيتك ما تريد ، وإن لم تسلم لي فيما أريد أتعبتك فيما تريد ثم لا يكون إلا ما أريد** ".

فرعون قال : أنا ربكم الأعلى ، وما أرى لكم من إله غيري ، رأى في المنام أن طفـلاً من بني إسرائيل سوف يقضي على ملكه ، كان حريٌ به أن يتوب إلى الله عز وجل وأن يعود عن غيه وعن ظلمه وعن كبره وعن ادعائه ، خطر في باله أن يقتل كل أبناء بني إسـرائيل وهكذا فعل ، لا تستطيع قابلة في عصره إلا أن تخبر رجاله عن مولود ذكر ولد لبني إسرائيل فإذا أخفت قتلت هي مكانه ، يذبح أبناءهم .

أما هذا الذي سيقضي على ملكه رباه في قصره **الجبار** الله عز وجل قهره وهو يغرق ، قال تعالى :

۞ وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ فَأَتۡبَعَهُمۡ فِرۡعَوۡنُ وَجُنُودُهُۥ بَغۡيٗا وَعَدۡوًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدۡرَكَهُ ٱلۡغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ٩٠ ءَآلۡـَٰٔنَ وَقَدۡ عَصَيۡتَ قَبۡلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ٩١

(سورة يونس)

أخوة يوسف أرادوا به كيدا فجعلوه في غيابة الجب ، ما الذي حصل ؟ دخلوا عليه قال : أنا يوسف وهذ أخي قد من الله علينا إنه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسـنين ، ما الذي حصل ؟ والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون .

الله **جبار** فقد أحبط مسعى إخوته الذين أرادوا أن يجعلوه في غيابـة الجـب أرادوا أن يقتلوه ثم صار عزيز مصر ، إذاً الله **جبار** .

قوم إبراهيم أرادوا أن يحرقوه وأن ينتهوا من هذه الأسطورة والأمر بيدهم وهم أقوياء وجاؤوا بالنار وأوقدوها وأضرموها وألقوا ابراهيم عليه السلام وكان من الممكن أن يتفلت من أيديهم ، كان من الممكن أن لا يعثروا عليه ، كان من الممكن أن تأتي أمطار غزيرة تطفئ نارهم، كان من الممكن ألا يعرفوا من كسر هذه الأصنام لكن أراد الله عز وجل أن يعرفوا أنه كسرها وهو فتى وأن يعترف بفعلته وأوقدوا النيران وأشعلوها وألقوه فيها ، الله **جبار** قال تعالى:

قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾

(سورة الأنبياء)

النبي عليه الصلاة والسلام أئتمروا على قتله ، قاطعوه نكلوا بأصحابه ثم دخل عليهم فاتحاً وهم رهن إشارة منه ، لو أعطى إشارة لقتلوا جميعاً قال : ماتظنون أني فاعل بكم قالوا : أخ كريم وابن أخ كريم قال : اذهبوا فأنتم طلقاء ، الله **جبار** .

في الخندق ضاق الأمر إلى أن ظن أصحاب النبي أن الأمر قد انتهى حتى قال بعض الضعفاء منهم مايعدنا صاحبكم ، أيعدنا صاحبكم أن تفتح علينا بلاد قيصر وكسرى وأحدنا لا يأمن أن يقضي حاجته مالذي حصل ، هبت الرياح العاصفة فقلبت قدورهم واقتلعت خيامهم وأطفأت نارهم قال تعالى :

وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾

(سورة الأحزاب)

الله **جبار** أمره هو النافذ لا ينفذ في ملكه إلا أمره أبداً ، بعضهم قال : هذا شجر الكينا إن حمل إجاصاً فأنا سأترك هذا العمل وقد قهر ووضعوا له هذا الثمر على هذا الشجر ، فلا ينفذ في ملك الله عز وجل إلا مشيئته ، وإلا إرادته أبداً .

أول معنى **الجبار** الشيء العالي الذي لايدرك من أسماء التنزيه فمن المستحيل أن تحيط بالله عزوجل حتى الأنبياء لم يعرفوا الله ، عرفوا جانباً من الله عزوجل عرفوا طرفاً من

كمالات الله ، لكن لا يعرف الله إلا الله . هذا أول معنى المعنى الثاني **الجبار** المصلح الضعيف **يجبره** الكسير **يجبره** المظلوم **يجبره** الفقير **يجبره** هذا المعنى الثاني ، أما المعنى الثالث هـو الذي **يجبر** جميع الخلق على مشيئته إرادته أبداً .

والله لقد سمعت قصة من أخ كريم في المسجد قال لـي : إن رجـلاً معروفـاً بـالغنى الفاحش خطب ابنته مهندس ، شاب أخلاقه عالية ذكي دخله دخل مهندس ، فهذا العم يعمل في تجارة ناجحة جداً ورائجة جداً ويحصل منها مئات الملايين ، تباحث الغني مع زوجته قائلاً : هذا المهندس فقير ليس في إمكانه أن يعيش مع ابنتنا رفض لفقره ، لكـن رفـض باسـتعلاء ورفض بكبر ، بقدرة قادر هذه التجارة الرائجة أساسها قانون هذا القانون أوقف العمل بـه ، فجأة توقفت تجارته ، فجأة أصبح تحت طائلة المطاليب هذا العم الغني تراجعت تجارته شـيئاً فشيئاً إلى أن أصبح بحاجة إلى مصروف يومه ، وأن يكون وسيطاً في أن يطلب ابنتـه مـرة ثانية هذا المهندس الذي وفقه الله عزوجل ففتح مكتباً ، ثم كان أن وافق هذا العم على تـزويج ابنته من هذا المهندس، ثم عمل العم عند هذا المهندس موظفاً ، هذه قصة والله وقعت في هذه البلدة ولكن لا أذكر الآن تفصيلاتها الدقيقة ، القصة قديمة من عشر سنوات سمعتها ، لكن هذا العم الغني المتعجرف المتكبر اضطر أن يعمل موظفاً عند صهره المهندس ، الله **جبار** .

إمرأة قالت لضرتها التي لا تنجب موتي غيظاً في بطني جنين وعلى يدي طفل وأمامي ولد، من يصدق أن هؤلاء الأولاد الثلاثة ماتوا تباعاً ، وأن التي لا تنجب رزقهـا الله خمسـة أطفال ذكور ؟ ! الله **جبار** ، هذا الاسم بالتجارة ظاهر كثيراً ، بالعلاقات الزوجية يظهر كثيراً ، دائماً الضعيف المظلوم المقهور الكسير الحزين المستضعف الله عزوجل معه دائمـاً يؤيـده وينصره ويوفقه ، كلما بلغني أن شريكين تخالصا ، أقول أعرف من هو المظلوم من مسـتقبل الشريكين، فالذي وفقه الله عزوجل هو المظلوم والذي قصمه الله هو الظالم دائماً .

الزوجان طلقت امرأة من زوجها هو يدعي أنها زوجة سيئة وهي تدعي أنه زوج سيء أحياناً ، في المستقبل إذا وفقت بزوج صالح أكرمها و وربط هو بزوجة سيئة أزعجته معنـى ذلك أنه كان ظالماً لها .

والقصة التي تعرفونها أن رجلاً مع زوجته ، طرق الباب طارق فتحت الباب فوجـدت سائلاً وكان الزوج يأكل مع امرأته دجاجاً ، رغبت أن تعطيه شيئاً من الطعام فنهرهـا وقـال اطرديه ، دارت الأيام طلقت هذه من زوجها وخطبها إنسان ميسور الحـال وهمـا جالسـان يأكلان هذا الطعام نفسه ولحكمة بالغة طرق الباب فانطلقت لتفتح الباب فاضطربت قال زوجها من الطارق ؟ قالت سائل قال لماذا اضطربت هي قصة قد تكون رمزية قالـت أتـدري مـن السائل إنه زوجي الأول الذي أمرني أن أطردك .

وفي كل زمان وفي كل مكان وفي كل عصر وفي كل مصر تجري مثل هذه القصص . غني يفتقر فقير يغتني ضعيف يقوى قوي يضعف ، كم من إنسان كان في قبضة إنسان ، يذيقه ألوان الإهانة والعذاب ، فجأة وقع هذا القوي في قبضة المستضعف فإذا أقبلت الدنيا عليك فلا تتكبر .

والحقيقة كما أن الله عزوجل يعطي المال بشكل كبير فيدهش ، وبإمكانـه وبقدرتـه أن يأخذه دفعة واحدة فيدهش .

التقيت بإنسان أتعامل معه زرته في محل في حي الدويلعة قال لي والله يا أستاذ كنـت صاحب معمل ألبسة جاهزة عندي ثلاث سيارات ، واحدة للمعمل وواحدة للسفر الطويل وزنها كبير مريحة وواحدة للبلدة ، وعندي حديقة لها ثلاثة موظفين يعملون بها وما دخل بيتي فـي حياتي الفاكهة إلا بأكبر كميات ، وخدام في البيت ، رأيته في الدكان ينام على طاولة التفصيل ، ويأكل علبة لحم ليس عنده صحن يضع فيه هذا اللحم يفتحها علبة سردين ويأكـل منهـا ، رأيته بأم عيني وحدثني عن قصته التي لا تصدق كيف كان وكيف أصبح ، وهي قصة طويلة حتى أهله طردوه من البيت ، فاضطر أن ينام في هذا المحل ، وأن يأكل هذا الطعام الله **جبار** يقصم كل **جبار** .

أحياناً يكون زوج **جباراً** على زوجته الأكل دون ملح يضرب المائدة بقدمه ينكب الطعام كله، ينفلج يحتاج زوجته لا تصغي له فتنعكس الآية .

كان هناك طبيب **جبار** لا يوجد في دمشق غيره وهذه القصة منذ سبعين عاماً تقريباً ، لا يخرج من العيادة إلا بـليرة ذهب وعربة لتنقله لعدم وجود المركبات في زمنه ، وكان طبيبـاً نسائياً ولا يهمه أحد ، المرأة التي تلد فقيرة ، كانت أم غنية تملك المال أو لا تملكه ، ذكر لي بعضهم أن فقراء الناس كانوا يضطرون لبيع الفراش من تحتها ، ولادة عسرة وطبيب وحيـد في البلد ولا يخرج من بيته إلا بـ ليرة ذهب وعربة .

بنى بناء بأرقى أحياء دمشق ، والآن البناء موجود ومزخرف بالحجار من أندر الأبنية ، بعدما بناه أصيب بالفالج تحمله أهله عدة أيام ثم أمرت الخانم زوجته أن يوضع في قبو البنـاء فوضعوه في القبو ، وكانت تبعث له الطعام مع الخادمة فيسألها الخانم فتقول له : قلت لها ولم تأتي ، وقد طلبها أول مرة والثانية والثالثة ولم تأتي فتقول له الخادمة : هذا طعامـك أمامـك ماذا تريد من الخانم . ثماني سنوات مشلول ويقدم له الطعام لكن رائحته الكريهة فاحت ، نقل إلى بيت بعيد ليبقى هذا البناء أنيقاً وبعيداً عنه ، وهو الذي بناه ، قصته مشـهورة جـدا الله **جبار** ، لم يكن يرحم المرأة الفقيرة فتبيع الفراش من تحتها والإنسان **يتجبر** ويـتحكم بالنـاس أحيانا بعلمه حيث يقول لا يوجد غيري في هذا الاختصاص ، وأحيانا يكون رجل بحاجة إلـى

هذا المخبر إلى هذا الطبيب فيعلم أنه إنسان محتاج فيتحكم به والله **جبار** مع الضـعيف ضـد القوي مع المظلوم ضد الظالم مع الفقير ضد الغني الظالم وليس كل غني ظالماً .

المعنى الثالث : الجبار: **جبره** على كذا أي أكرهه على ما أراد .

الجبار : هو الله عز وجل الذي **أجبر** الخلق على ما أراد وحملهم عليه ، أرادوا أم لـم يريدوا أحبوا أم لم يحبوا أي لا يجري في سلطانه إلا ما يريد ولا يحصل في ملكه إلا ما يشاء ينفذ مشيئته على سبيل الإ **جبار** ولا تنفذ فيه مشيئة أحد ، سبحان من تنزه عن الفحشاء فأجابه عالم آخر : قال سبحان من لا يجري في ملكه إلا ما يشاء ، فبعد المعنى الدقيق **للجبار** هل لكم علاقة مع غير الله عز وجل ، هل يوجد جهة غيرالله عز وجل أهل لأن تسأل أن تخاف ؟

أحد العارفين قال : " يا رب عجبت لمن يعرفك كيف يرجو أحداً غيرك ، وعجبت لمن يعرفك كيف يستعين على أمر بأحد غيرك ، وعجبت لمن يعرفك كيف يلتفت لأحد غيرك ".

بعضهم قال : **الجبار من لا يرقى إليه وهم ولايشرف عليه فهم ولا يلحقه إدراك ، ينفذ أمره في كل شيء ولا ينفذ فيه أمر شيء ، من أصلح الأشياء بلا إعوجاج وأمر بالطاعة بلا إحتياج** ، هذا من تعاريف اسم **الجبار** .

إذا كان الإنسان **جباراً** بالمعنى المذموم لا بد من أن يقصمه الله عـز وجـل ، ويمكـن للإنسان أن يتخلق بهذا الخلق من زاوية واحدة فقال : من لم يكن أسيراً لحب المال والجـاه ، فكل إنسان يحب المال هذه نقطة ضعف فيه أصبح ضعيفاً مفتاحه المال ، وآخر تعظّمه فيلـين معك هذا يحب الجاه ، فكل إنسان أسير للمال أو الجاه ضعيف ، فإذا تنزه الإنسان عن حـب المال وحب الجاه أصبح **جبـاراً** بالمعنى الذي يليق بالإنسان ، لم يعد إنساناً تستطيع أن تملـك مفتاحه ، فتصل إلى ما تريد عن طريق نقطة ضعفه .

فالمؤمن الجبار لا يوصل إليه لا بالمال ولا بالمديح ، لا تصل إليه إلا بالحق .

في كل شخص مهما كان قوياً نقطتا ضعف المال والنساء ولا يوجد إنسان يتآمر علـى إنسان إلا بهاتين النقطتين ، إما بامرأة تغريه فيسقط وإما بمال يأخذه حرامًا فيسقط ، فإذا كان الإنسان محصناً من المال والنساء لا يستطيع أعداؤه النيل منه .

ف**الجبار** من الناس الذي **يجبر** الخلق بهيئته وصورته على أن يقتدوا به ، يفيـد ولا يسـتفيد ويؤثر ولا يتأثر هذا هو النبي عليه الصلاة والسلام ، أي بلغ من الكمال درجة يفيد الخلق كلهم ولا يستفيد يؤثر فيهم ولا يتأثر غني عن المال .

قال له : لمن هذا الوادي ؟ ، فقال له : هو لك . قال : عجبت لك أتهزأ بي !! ، قـال : هو لك ، قال : أشهد أنك رسول الله تعطي عطاء من لا يخشى الفقر ، قال : لو كان موسـى حيا ما وسعه إلا إتباعي .

إذاً **الجبار** إذا أمكن لإنسان أن يكون كريما فعليه أن يتنزه عن حب المال وعـن حـب المديح والجاه .

والحمد لله رب العالمين

الـ ـدرس ٠٨- أسم الله : " المتكبر " .

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الإخوة الأكارم : مع الدرس الثامن من دروس أسماء الله الحسنى .

أيها الإخوة : لا بد من أن نعرف الله ، و معرفة أسمائه الحسنى وصفاته الفضلى جزء من معرفته ، إنه موجود وإنه واحد وإنه كامل ، لابد من معرفة أسـمائه الحسـنى وصـفاته الفضلى لقول النبي عليه الصلاة والسلام:

عن أَبي هريرةَ رضي الله عنْه أَن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قَالَ : إِن لِلّه تسعةً وتسعين اسما مائَةً إِلا واحدا من أَحصاها دخَلَ الْجنةَ *

(صحيح البخاري)

ولكن الحقيقة أن الله سبحانه وتعالى لا يعرفه إلا الله هذه حقيقة يجب أن تكون بين أيدينا ، لا يعرف الله إلا الله ونحن إذا أردنا أن نعرفه كمن يأخذ مخيطا ويغمسه في ميـاه البحـر ثم لينزعه فلينظر بم يرجع ؟ هذا تشبيه ورد في الحديث الشريف قال عليه الصلاة والسلام : "ما أخذت الدنيا من الآخرة إلا كما يأخذ المخيط إذا غمس في مياه البحر "

فإذا كانت معرفة الله سبحانه وتعالى بحراً فمعرفة الإنسان لله عز وجل لا تزيد عن مـا يحمل المخيط إذا غمس في مياه البحر ، ولكن كما قال الإمام علي كرم الله وجهـه : " أخـذ القليل خير من ترك الكثير"

سؤال : هل بالإمكان أن نضرب بعض الأمثلة كي نتعرف إلى الله عز وجل ؟ أيجـوز أن نضرب أمثلة منتزعة من حياتنا من أجل توضيح بعض الحقائق ؟

يجوز ولله المثل الأعلى ، سآتيكم بالدليل ، الدليل هو أن الله سـبحانه وتعـالى أراد أن يعرفنا بذاته فضرب المثل فقال :

ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ ۖ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم
مِّن شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ
كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ
﴿٢٨﴾

(سورة الروم)

ربنا سبحانه وتعالى من أجل أن يعرفنا بأنه لا إله إلا الله ولا شريك له ولا أحد يشركه في حكمه ضرب هذا المثل ، إذاً يمكن أن أستخدم بعض الأمثال لمعرفة أسـماء الله الحسـنى والسبب أن اسم اليوم هو المتكبر ، وكلمة المتكبر إذا أطلقت على إنسان تنفر النفس منـه ، ولكن المتكبر هو الله سبحانه وتعالى ، فمن أجل أن أوضح لكم هذا الاسم أنا مضطر إلـى أن أضرب بعض الأمثال :

إنسان بحاجة ماسة إلى مئة ألف ليرة ليجري بها عملية جراحية تحدد مصيره بالحياة ، لابد من أن تجرى هذه العملية ولا بد من هذا المبلغ ، ولا يملكه ، توجه إلى رجل من أقربائه فقال : أمعك هذا المبلغ ؟ قال له : نعم معي هذا المبلغ وهو كاذب ، وتوجه إلى إنسان آخـر من أقربائه وسأله السؤال نفسه قال : أمعك هذا المبلغ ؟ قال : نعم معي وهو صادق ، فالذي قال : نعم معي هذا المبلغ ولا يملكه هذا الكلام يكون ناقصاً ، ويدعي ما ليس له ، والثاني لو أنه قال لقريبه لا ليس معي شيء وتواضع يعد ناقصاً ، يجب أن يقول معي هذا المبلغ وخـذ هذا المبلغ .

فالتكبر في الله كمال وفي العبد نقص لأن الله خالق الأكوان بيده ملكوت كل شيء كـن فيكون وإليه يرجع الأمر كله لا نهاية لعظمته لا نهاية لكماله لا نهاية لعلمه لا نهاية لقوتـه ، فإذا تكبر الله سبحانه وتعالى أي عرف أنه عظيم وهذا ينقلنا إلى اسم آخـر مـن أسـماء الله الحسنى وهو اسم المؤمن يعرف نفسه ، إذا كنت تحمل أعلى شهادة في اللغة العربية وجلـس إلى جانبك إنسان يحمل الإعدادية وقرأ النص أمامك فإذا في قراءته أغلاط كثيرة ، وأنت مهما كنت متواضعا ألا تعرف أنك في اختصاصك متفوق وتحمل الدرجة العلمية وأن هذه القـراءة كلها أغلاط ؟ نعم .

إذا بادئ ذي بدء إذا قال الجبان : أنا شجاع فهذه صفة نقص في حقه ، وإذا قال البخيل : أنا كريم فهذا الكلام نقص في حقه ، وإذا قال الجاهل : أنا عالم فهذا نقص في حقه ، أما إذا

قال العالم : أنا عالم وسأجيبك عن سؤالك رحمة بك هذا كمال ، وإذا قال الشجاع : أنا شجاع وسأدافع عنك هذا كمال ، وإذا قال الكريم : أنا كريم وخذ هذا كمال .

فعندما نقول : إن الله متكبر فهو من أسماء الكمال ، وعندما تقول : فلان متكبر فالتكبر صفة نقص في الإنسان ، هذه الحقيقة الأولى في هذا الدرس ، أي الإنسان إذا قال : المتكبـر الجبار المنتقم ينبغي أن يسأل أهل الذكر .

المتكبر هو الذي يرى الكل حقيراً بالإضافة إلى ذاته ولا يرى العظمـة والكبريـاء إلا لنفسه ، فينظر إلى غيره نظر الملوك إلى العبيد .

الله خالق السموات والأرض بيده ملكوت كل شيء إليه يرجع الأمر كله إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون ، فإذا كان الله متكبراً فهو يعرف ذاته وهذا يتصل باسم آخر من أسـمائه الحسنى ألا وهو المؤمن .

ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال :

عن أبي هريرةَ قالَ هناد قالَ : قالَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : قالَ اللـه عـز وجل: الْكبرياء رِدائِي والْعظَمةُ إِزارِي فَمن نَازعني واحدا منْهما قَذَفْتُه في النارِ *

(سنن أبي داوود)

وفي رواية أخرى قصمته ولا أبالي .

بعض العلماء يقول : " المتكبر من الكبرياء والكبرياء هو الملك " قال تعالى :

قَـالُوٓاْ أَجِئْتَنَـا لِتَلْفِتَنَـا عَمَّـا وَجَدْنَـا عَلَيْـهِ ءَابَآءَنَـا وَتَكُـونَ لَكُمَـا ٱلْكِبْرِيَـآءُ فِـى ٱلْأَرْضِ وَمَـا نَحْـنُ لَكُمَـا بِمُـؤْمِنِينَ ﴿٧٨﴾

(سورة يونس)

فالمتكبر هو الملك الذي لا يزول سلطانه والعظيم الذي لا يجري في ملكه إلا ما يريـد وهو الله الواحد القهار هذا معنى من معاني المتكبر .

معنى آخر المتكبر من الكبير والعظيم لقوله تعالى :

فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَئًا وَءَاتَتْ كُلَّ وَٰحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ ٱخْرُجْ عَلَيْهِنَّ ۖ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾

(سورة يوسف)

ومعنى أكبرنه أي عظمنه ومعنى قطعن أيديهن كما قال العلماء جرحن أصابعهن .

الله متكبر أي كبير ليس لكبريائه نهاية وهو عظيم ليس لعظمته غاية ، هذا المعنى الثاني من معاني المتكبر ، والمعنى الثالث المتكبر هو الذي تكبر عن ظلم العباد والمتكبر هو الذي انفرد بالكبرياء والملكوت وتوحد بالعظمة والجبروت والمتكبر هو الذي بيده الإحسان ومنه الغفران والمتكبر الذي ليس لملكه زوال ولا لعظمته انتقال .

أيها الأخوة الأكارم : من معاني المتكبر العظيم ذو الكبرياء وأصل التكبر الامتناع وعدم الانقياد ، الله سبحانه وتعالى طليق الإرادة ، والمتكبر هو الذي تكبر عن كل نقص وترفع عن كل نقص وتعظم عن كل ما لا يليق به المتعالي عن صفات خلقه أيضا ، كل هذه التعريفات لاسم المتكبر والله سبحانه وتعالى كما قلت قبل قليل لا بد من أن نعرفه لأننا إذا عرفناه أطعناه فقال تعالى :

وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾

(سورة فاطر)

لا يصح عملنا إلا إذا عرفناه ولا نسعد في الدنيا والآخرة إلا إذا صح عملنا . ثلاث فقرات لا بد من أن نعرفه فإذا عرفناه أطعناه وإذا أطعناه سعدنا بقربه في الدنيا والآخرة .

إذا المتكبر المتعالي عن صفات خلقه كامل في ذاته ، كامل في صفاته ، كامل في أفعاله . النبي عليه الصلاة والسلام يقول :

وساقَ الْحديثَ بِمثْل حديث هشَامٍ عن قَتَادةَ وزاد فيه وإن الله أوحى إِلَي أن تَواضعوا حتى لا يفْخَر أَحد علَى أَحد ولا يبغِ أَحد علَى أَحد وقَالَ في حديثه وهم فيكُم تَبعا لا يبغُون أَهلا

ولا مالا قُلْتُ فَيكُون ذَاك يا أَبا عبد الله قالَ نَعم والله لَقَد أَدركْتُهم في الْجاهليـة وإن الرجـلَ لَيرعى علَى الْحي ما بِه إلا ولِيدتُهم يطَؤُها *

(صحيح مسلم)

وفي الحديث القدسي يقول الله عز وجل :

" أحب ثلاث وحبي لثلاث أشد ، أحب الطائعين وحبي للشاب الطـائع أشـد، وأحـب المتواضعين وحبي للغني المتواضع أشد ، وأحب الكرماء وحبي للفقير الكريم أشـد وأبغـض ثلاث وبغضي لثلاث أشد ، أبغض العصاة وبغضي للشيخ العاصي أشد ، وأبغض المتكبـرين وبغضي للفقير المتكبر أشد ، وأبغض البخلاء وبغضي للغني البخيل أشد " .

هل تصدقون أيها الأخوة أن النبي عليه الصلاة والسلام يقول :

عن علْقَمةَ عن عبد الله عنِ النبِي صلى الله علَيه وسلم قَالَ : لا يدخُلُ الْجنةَ من كَـان في قَلْبِه مثْقَالُ ذَرة من كبرٍ

(صحيح مسلم)

لماذا ؟ قال : لأن الكبر يتناقض مع العبودية لله عز وجل ، أنت عبد وهـو رب فـإذا نازعته رداءه وإزاره قصمك ولا يبالي كما ورد في الحديث الشريف ، الحديث الآخر يقـول عليه الصلاة والسلام :

أَن رسولَ الله صلى الله علَيه وسلم قَالَ : من تَواضع لِلّه درجةً رفَعه الله درجةً حتـى يجعلُه في عليين ومن تَكبر علَى الله درجةً وضعه الله درجةً حتى يجعلُه في أَسفَل السافلين *

(سنن ابن ماجة)

النبي عليه الصلاة والسلام حينما دخل مكة دخلها مطئطئ الرأس حتى كادت عمامتـه تلامس عنق بعيره تواضعا لله عز وجل ، دخل عليه رجل أخذته رعدة فقال :

" هون عليك يأخي إنما أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد بمكة " .

تكبره وكبرياؤه ورفعته وعلاه ومجده وثناؤه وعلوه وبهاؤه كل ذلك إخبار عن إستحقاقه لنعوت الجلال وتنزهه عن النقائص والآفات .

قال أحد العارفين بالله في المناجاة قال : يارب بماذا أتقرب إليك ، فوقع فـي قلبـه أن ياعبدي تقرب إلي بما ليس في ، فقال : يا رب وما الذي ليس فيك ، قال : الـذل والإفتقـار وهو من أقرب الأبواب إلى الله عز وجل ومن أنجحها أن تأتيه طائعاً

أطع أمرنا نرفع لأجلك حجبنـ ـ ـا فإنا منحنا بالرضى من أحبنـ ـ ـ ـا
ولذ بحمانا واحتم بجنابنـ ـ ـ ـ ـا لنحميك مما فيه أشرار خلقنـ ـ ـ ـا
وعن ذكرنا لا يشغلنك شاغـ ـ ـ ـل وأخلص لنا تلقى المـ ـ ـسرة والهنا

وسلم إلينا الأمر في كل ما يـ ـ ـكن فما القرب والإبعاد إلا بأمرنـ ـ ـ ـا
كن مع الله ترى الله معـ ـ ـ ـ ـ ـك واترك الكل وحاذر طمعـ ـ ـ ـ ـ ـك
ثم ضع نفسك بالذل لـ ـ ـ ـ ـ ـه قبل أن النفس قهرا تضـ ـ ـ ـ ـ ـعك

أحد العارفين بالله يقول بعد أن صلى العشاء والصبح في وقته دون أن يصلي قيام الليل : لأن أبيت نائما وأصبح نادماً أحب إلي من أن أبيت قائماً وأصبح معجباً ، دخل في الكبـر ، ولو لم تذنبوا لخفت عليكم ما هو أكبر ؟ العجب .

طبعا لا يعرف اسم المتكبر إلا من جال فكره في الكون ، يقول بعض العلماء : " إن في الكون من المجرات ما يزيد عن مليون مليون مجرة ، وفي كل مجرة ما يزيد عـن مليـون مليون نجم ، وأن بين الأرض والقمر ثانية ضوئية واحدة والضوء يقطع في الثانية ثلاثمائـة ألف كيلومتر ، وبين الأرض والشمس ثماني دقائق وبين الأرض وأقرب نجم ملتهـب أربـع سنوات ضوئية " ، فإذا أردنا أن نقطع هذه المسافة بسيارة لاحتجنا إلى ما يقرب إلى خمسـين مليون عام ذلك إذا الإنسان ركب مركبة واتجه نحو أقرب نجم ملتهب في الكون إلى الأرض ، يحتاج إلى ما يقارب خمسين مليون عام ، فما قولكم بنجم القطب الذي يبعد عنا أربعـة آلاف سنة ضوئية ضرب ألف أي خمسين مليون ضرب ألف أي خمسين ألف مليـون عـام لـنجم القطب أربعة آلاف سنة ضوئية، أربعة سنوات أربعة آلاف فما قولكم بالمرأة المسلسـلة تلـك المجرة الصغيرة التي تبعد عنا مليون سنة ضوئية فما قولكم بأحدث مجرة أكتشفت تبعد عنـا ستة عشر ألف مليون سنة ضوئية ، قال تعالى :

﴿ فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٞ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾

(سورة الواقعة)

يقول الإنسان : أنا ، من أنت ؟ هذه المسافات أي هذه المجرة كانت في هذا المكان قبل ستة عشر ألف مليون سنة ضوئية وهي الآن لا يعلم مكانها إلا الله .

قلت لكم من قبل أن بين الأرض والشمس مئة وثمانية وخمسين مليون كيلـو متـر وأن الشمس تكبر الأرض بمليون و ثلاثمائة ألف مرة وأن في برج العقرب نجماً صـغيراً أحمـر اللون متألقاً اسمه قلب العقرب يتسع للشمس والأرض مع المسافة بينهما هو المتكبر .

أيها الأخوة الأكارم : الكون مظهر لأسماء الله الحسنى وصـفاته الفضـلى لا تدركـه الأبصار ولكن الكون بين أيدينا وهو يجسد ويظهر عظمة الله عز وجل قال تعالى :

سَنُرِيهِمْ ءَايَـٰتِنَا فِى ٱلْـَٔافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾

(سورة فصلت)

من منا يصدق أن في اللقاء الزوجي الواحد يوجد ثلاثمائة مليون حـ ـوين ينطلـ ـق مـ ـن الرجل وعلى كل حوين خمسة آلاف مليون معلومة وهذا الرقم دقيق جدا هذه المورثات لاترى إلا بالمجهر ، خلايا الدماغ مئة وأربعون مليار خلية سمراء اللون لم تعرف وظيفتها بعد ، في الشبكية مئة وثلاثون مليون عصية ومخروط من أجل تحقيق الرؤية الدقيقة ، فـ ـي العصـ ـب البصري تسعمئة ألف عصب .

من منا يصدق أن الإنسان إذا ذهب إلى شمال الأرض إلى القطب المتجمد الشمالي حيث الحرارة سبعين تحت الصفر بإمكانه أن يرتدي معطفاً جيداً وأن يضع الأشياء التي تقيه البـ ـرد وليس بإمكانه أن يغطي عينيه؟ فإذا لامس الهواء الخارجي ماء العين تجمد ، من وضع فـ ـي ماء العين مادة مضادة للتجمد ؟ هو المتكبر لم ينس هذه ، إذا عاش الإنسان هناك بـ ـلا هـ ـذه المادة يفقد بصره فورا هو المتكبر ، تفكر في خلق الله قال تعالى :

إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَـٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَـَٔايَـٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَـٰذَا بَـٰطِلًا سُبْحَـٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾

(سورة آل عمران)

من منا يصدق أن في دماغ الإنسان جهاز بالغ التعقيد يحسب تفاضل وصول الصـ ـوتين إلى الأذنين ، يصل الصوت إلى الأذن اليمين إذا كان الصوت من اليمين قبل الأذن اليسار بـ ـ واحد على ألف وست مئة وخمسة وعشرين جزءاً من الثانية وهذا الجهاز في الدماغ يحسـ ـب هذا التفاضل ويعرف الإنسان جهة الصوت ولولا هذا الجهاز لما عرفت جهة الصوت أبدا هو المتكبر.

أسماء الله عز وجل لا يمكن أن نعرفها إلا من خلال الكون من خلال هذه الآيات الدالة على عظمته ، كل منا عنده مستودع للوقود السائل ، فسعة المتر المكعب خمسة براميل مـن منا يصدق أن القلب يضخ في اليوم الواحد ثمانية أمتار مكعبة وأن قلب الإنسان الذي يعـيش في عمر متوسط يضخ مايملأ أكبر ناطحة سحاب في العالم ،

أتحسب أنك جرم صغير وفيك انطوى العالم الأكبر

من منا يصدق أن في الكبد وظائف تزيد عن خمسة آلاف وظيفة وأن الإنسان دون كبد يعيش ثلاث ساعات فقط ، إذا أردت أن أمضي في الحديث عن معجزات الله عز وجل وعـن إعجاز الله في خلقه فالأمر لا ينتهي لكن الله تعالى لخص هذا كله حيث قال :

وَفِـىٓ أَنفُسِـكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِـرُونَ ﴿٢١﴾

(سورة الذاريات)

أنت معك جهاز إيضاح معك وسيلة إيضاح مستمرة لو أمضيت في حياتك الدنيا تفكـر في عظمة خلق الإنسان كما عرفت الله عز وجل .

هذا الذي يتكبر وهو من بني البشر كم هو ظالم لنفسه ؟ الله سبحانه وتعالى تلطف بنـا قبل أسابيع حينما جاءت هزة أرضية خفيفة جداً ، لو أنها كانت أشد لكانت أخبارنا في الآفاق ، ثمانون ألف قتيل سبعون ألف جريح تحت الأنقاض ، أبنية متهدمة هكذا جاءت نصف درجـة ريختر لو كانت خمس درجات ريختر لم نكن الآن موجودين في هذا المجلس ، على أي شيء نتكبر ، نحن بلطف الله عز وجل ، هزتان أرضيتان لا تبقي ولا تزر فعلام الكبر ؟ مدن رائعة مدن جميلة جدا أصبحت أثراً بعد عين في ثوانٍ فعلام الكبر ؟

حينما انحبست أمطار السماء وأصبح كأس الماء مهددا هددنا بكأس الماء ، هـل فـي الأرض كلها جهة تستطيع أن تتخذ قراراً بإنزال الأمطار إلا أن الله سبحانه وتعالى تلطف بنا وأكرمنا وأرانا من آياته هو المتكبر من نحن ؟ هذه المركبة التي سموها إشـلنجر المتحـدي إسمها فيه سوء أدب مع الله عز وجل ، فيها سبع رواد فضاء معهم رائدة فضاء أيضا لينجـب ولد في الفضاء ، الخطة كانت أن تحمل هذه المرأة من أحد هؤلاء الرجال وأن تنجب مولـودا في الفضاء ، ماهي إلا سبعون ثانية حتى أصبحت كرة من اللهب ، علام الكبر ؟ من أنت ؟ أنت كن فيكون زل فيزول لا شيء ، لذلك :

ومالي سوى فقري إليك وسيلة فلإفتقاري إليك فقري أدفـ ـع

ومالي سوى قرعي لبابك حيلة فإذا رددت فأي باب أقـ ـرع

وأنت في أعلى درجات العبودية مفتقر إلى الله عز وجل ، وأنت في أوج قوتـك وأوج صحتك وأوج علمك يجب أن تكون مفتقرا إلى الله سبحانه وتعالى ، إذا أقدمت على عمل فقل : اللهم إني تبرأت من حولي وقوتي والتجأت إلى حولك وقوتك ياذا القوة المتين .

من منا يصدق (أنا أقول لكم هذه الأمثلة على أن الإنسان لا يصح له أن يتكبر فإذا تكبر فهو أحمق) نقطة من الدم لو تجمدت في بعض شرايين المخ في مكان يصاب بالشلل ، كـان معززاً مكرماً خفيفاً وضيعاً أصبح ملقاً على السرير أقرب الناس إليه يتمنى موته ، على ماذا الكبر ؟ هذه النقطة لو تجمدت في مكان آخر لفقد الإنسان ذاكرته ، حدثني أخ ابن أحد إخوتنا الكرام توفي والده وقبل وفاته فقد ذاكرته ، خرج من معمله وبيته في المهاجرين وبقي يبحـث عن بيته نصف ساعة لم يعرف بيته ، من أنت بلا ذاكرة ؟ تفقد معلوماتك لا تبقى طبيبا .

دخل ابن على أبيه وهو صيدلي قال : من أنت ؟ قال : أنا ابنك يـا أبتـي ، قـال: لا أعرفك ، فإذا كانت نقطة ما في مكان آخر فقد ذاكرته، بمكان ثالث أصبح لا يبصـر ، كـل مافي الدنيا من جمال فقده ، لا ألوان ولا جبال خضراء ولا بحار زرقاء ولا طفله الجميل لقد انتهى كل الجمال .

سمعت أن أحد الأدباء كان كفيف البصر وكان يقضي الصيف في النمسا في أجمل مكان ، أنا أقول والله لو قضى الصيف في الصعيد في غرفة مكيفة كالنمسا تماما لأنه لا يرى شيئاً .

فالإنسان إذا غض بصره عن محارم الله وإذا باتت هذه العين خاشعة لله أغلب الظن أن الله سبحانه وتعالى لا يفجعه بها ، ألم تسمعوا قول النبي عليه الصلاة والسلام :

عن عثْمان رضي الله عنْه عنِ النبِي صلى الله علَيه وسلم قَالَ : خَيرِكُم من تَعلم الْقُرآن وعلمه*

(صحيح البخاري)

أحد علماء دمشق الكبار علّم ثلاثة أجيال ، كان يرى أحداً في الطريق يقول له : يـابني كنت أنت تلميذي وكان أبوك تلميذي وكان جدك تلميذي . بدأ بالتعليم في الثمانية عشر عامـا من عمره وتوفي في الثامنة والتسعين ، وكان مستقيم القامة حاد البصـر مرهـف السـمع و أكرمه الله بأن زوجته عاشت مثله ، كان يقال له : يا سيدي ما هذه الصحة ؟ يقول : يا بنـي حفظناها في الصغر فحفظها الله علينا في الكبر ، من عاش تقياً عاش قوياً ، ألا تحب أن يكون خريف عمرك رائعاً جداً ؟ إذا أردت أن تكون كريما على الله فاتق الله ، إذا أردت أن تكـون أقوى الناس فتوكل على الله ، إذا أردت أن تكون أغنى الناس فكن بما في يدي الله أوثق منـك بما في يديك .

انظر إلى معامل كريات الدم الحمراء في نقي العظام هناك مرض خطير اسمه فقر الدم اللامصنع ، هذه الخلايا هذه المعامل في نقي العظام تصنع في كل ثانيـة مليـونين ونصـف

المليون كرية دم حمراء ، أحيانا تتوقف عن العمل بلا سبب وهذا المـرض إسـمه فقـر دم اللامصنع لماذا الكبر ؟ أنت مليون خطر يهددك ، ماذا تفعل ؟

أعرف إنساناً كان من أولي اليسار وله مكانة مرموقة في البلد فقد بصره دخل عليه أحد أصدقائه قال له والله : يافلان أتمنى أن لا أحمل هذه الدكتوراة وأن لا أكون في هذ المنصـب وأن لا أكون في هذه البحبوحة وأن أقبع على الرصيف أتكفـف النـاس وأن يـرد الله إلـي بصري ، هذه نعمة يجب أن نحفظها بطاعة الله عز وجل .

من أين يأتي هذا الورم ؟ الإنسان بكامل صحته فجأة تضطرب الخلايا في نموها فتكون القاضية !! هاتان الكليتان أحيانا تتوقفان فجأة عن العمل مرض إسـمه هبـوط مفـاجئ فـي وظائف الكليتين ، كل أسبوع مرتين في المشفى غسيل دم وشـيء لا يحتمـل ... إذاً عـلام التكبر؟ هل تملك كليتيك ؟ هل تملك قلبك ؟ هل تملك دسامات القلب ؟ هـل تملـك الشـريان التاجي المغذي للقلب ؟ هل تملك أن تبقى الأوعية في الدماغ واسعة لا تضيق ؟ هـل تملـك أعصاب الحس أن لا تتلف ولا تلتهب ؟ هل تملك أن لا تتكلس مفاصل الإنسان فيصبح قطعة واحدة ؟

هناك أمراض كثيرة جدا فعلام التكبر ؟ هل تملك هذا اللسان ؟ وأنت نائم يزداد لعابـك في فمك فيذهب تنبيه إلى الدماغ بأن كمية اللعاب في الفم قد ازدادت يجب تفريغهـا ، فيـأمر الدماغ لسان المزمار فيفتح الفتحة عن الرئتين إلى المري فيسقط اللعاب في المري وأنت نـائم ، وأنت نائم يقلبك الله ثمان وثلاثين مرة وأنت لا تدري ذات اليمين وذات الشمال لكي لا تقـع عن السرير هذه نعم الله عز وجل ، تأمل فيها تحب الله عز وجل وتبادر إلى طاعته ، لا تنظر إلى صغر الذنب ولكن انظر على من اجترأت .

فهذا ثقب البوتال في القلب لو لم يسد ماذا نفعل ؟ يحتاج الابن لمليون ليرة أجرة عمـل جراحي ، فتحة بين الأذينين هكذا قال لي بعض الأطباء فتأتي جلطة تغلقها ، يد مـن داخـل القلب؟ يد من جاءت وأغلقت هذه الفتحة ثقب بوتال ، لو بقيت مفتوحة يبقى الطفل أزرق اللون لأن الدم ينتقل من أذين إلى أذين ولا يتصفى عن طريق الرئتين .

الإنسان يأتيه مولود كامل فيقول : يا رب لك الحمد ، لو فيـه زرقـة ويحتـاج لعمـل جراحي يكلف مليون ليرة ماذا نفعل ؟ علام الكبر ؟

الله عز وجل قادر أن يجعلك تبيع بيتك ومتجرك من أجل عملية جراحية واحدة ، علام الكبر ؟

أنا أؤكد على موضوع الكبر في حق الله كمال وفي حق العبيد نقصان .

أعرف صديقاً لي توفي بمرض اسمه نقص في الصفيحات الدموية ، الإنسان مـن دون صفيحات دموية ينزف دمه كله من ثقب أبرة ، يوجد في الدم هرمـون للـتجلط وهرمـون

للتميع من توازن هرمون التميع والتجلط يبقى هذا الدم بهذا الشكل السائل ، لو زاد هرمـون عن هرمون لأصبح الدم وحلاً في الأوعية ولو زاد الثاني أصبح الدم مائعا ، من الذي نظم ؟ وأنت نائم ومرتاح ، ربنا عز وجل لم يوكل الأمر إليك ، فكرت بموضوع لـو أن الإنسـان يكاف بالتنفس ، لايستطيع أن ينام فيلغى النوم كليا ، تكلمت مع أخ طبيب فقـال لـي : هـذا مرض يقع أحيانا ، من تعطل ؟ مركز التنبيه النوبي في البصلة السيسائية ، يوجـد دواء الآن راق جدا ومرتفع الثمن جدا يجب أن يأخذ كل ساعة حبة طوال الليل ، فيضـع المنبهـات ، ويستيقظ كل ساعة يأخذ حبة ثم يعود إلى النوم ، أهذه حياة ؟ وأنت لا تدري أنت نم وارتح ، التنفس بأعيننا والقلب والرئتين والحركات ، فالحديث عن إعجاز خلق الإنسانيطول ، فالإنسان كلما إزداد علماً ازداد تواضعاً والدليل قول الله عز وجل : " إنما يخشى الله من عباده العلماء " . فالعلماء وحدهم ولا أحد سواهم يخشى الله عز وجل ، فكن عالماً أو متعلماً أو مسـتمعاً أو محباً ولا تكن الخامسة فتهلك .

يقول الإمام الغزالي : " العلم لا يعطيك بعضه إلا إذا أعطيته كلك فإذا أعطيته بعضك لم يعطك شيئاً ". فما من قيمة اعتمدها الله عز وجل بين خلقه إلا قيمة العلم ، هناك مجموعة قيم يتفاضل بها الناس فيما بينهم المال والصحة والوسامة والقوة والذكاء أما قيمة العلم اعتمدها الله عز وجل في القرآن فجعلها قيمة وحيدة للترجيح بين خلقه فقال :

أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾

(سورة الزمر)

ورد في بعض الأحاديث : " تبارك الذي قسم العقل بين عبـاده أشـتاتا ، إن الـرجلين ليستوي عملهما وبرهما وصومها وصلاتهما ويختلفان في العقل كالذرة جنب أحد ، وما قسم الله لعباده نصيباً أوفر من العقل واليقين "

لذلك ما من يوم ينشق فجره إلا ويقول : يابن آدم أنا فجر جديد وعلـى عملـك شـهيد فتزود مني فإني لا أعود إلى يوم القيامة ، والسيدة رابعة العدوية سئلت : من الإنسان ؟ قالت : هو بضعة أيام كلما انقضى يوم انقضى بضع منه .

فالمتكبر هو الله وهي صفة كمال فيه ، والإنسان إذا تكبر صفة غباء وجهل ونقص فيه .

والحمد لله رب العالمين

الـ ـ درس ٠٩ – أسم الله : " الغفار " .

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الأخوة المؤمنون : مع الدرس التاسع من دروس أسماء الله الحسنى والاسم اليـ ـوم اسم الغفور، هذا الاسم أيها الأخوة ورد في القرآن الكريم في صيغ ثلاث : الصـ ـيغة الأولـ ـى ورد هذا الاسم على صيغة غافر قال تعالى :

غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ ذِي ٱلطَّوۡلِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ إِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ٣

(سورة غافر)

وورد أيضا على صيغة ثانية وهي الغفور ، غافر وغفور قال تعالى :

وَرَبُّكَ ٱلۡغَفُورُ ذُو ٱلرَّحۡمَةِۖ لَوۡ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُواْ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلۡعَذَابَۚ بَل لَّهُم مَّوۡعِدٞ لَّن يَجِدُواْ مِن دُونِهِۦ مَوۡئِلٗا ٥٨

(سورة الكهف)

وقال تعالى :

وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلۡوَدُودُ ١٤

(سورة البروج)

وقال تعالى :

۞نَبِّئۡ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ٤٩

(سورة الحجر)

وقال تعالى :

﴿ قُلْ يَـٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾

(سورة الزمر)

إلى آخر الآيات التي ورد فيها هذا الإسم على صيغة غفور .

الصيغة الثالثة وردت غفار على وزن فعال قال تعالى :

وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾

(سورة طه)

وقال تعالى :

فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّـٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَـٰرًا ﴿١٢﴾

(سورة نوح)

ألا هو العزيز الغفار ، غافر وغفور وغفار وردت هذه الأسماء كلها في القرآن الكريم ، هذه الأسماء كلها مشتقة من مصدر واحد وهو المغفرة .

قال بعض العلماء : " الإنسان إذا عصى الله عز وجل وصف في القرآن بأنه ظالم ووصف في القرآن بأنه ظلوم وبأنه ظلام " فقال تعالى :

ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ وَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞ وَمِنۡهُمۡ سَابِقُۢ بِٱلۡخَيۡرَٰتِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ ٣٢

(سورة فاطر)

وقال تعالى :

إِنَّا عَرَضۡنَا ٱلۡأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلۡجِبَالِ فَأَبَيۡنَ أَن يَحۡمِلۡنَهَا وَأَشۡفَقۡنَ مِنۡهَا وَحَمَلَهَا ٱلۡإِنسَٰنُۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومٗا جَهُولٗا ٧٢

(سورة الأحزاب)

وقال تعالى :

۞قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ٥٣

(سورة الزمر)

فالمسرف ظلام على صيغة المبالغة ، فإذا كان العبد ظالما فالله غافر وإذا كان ظلوما فالله غفور وإذا كان ظلاما فالله سبحانه وتعالى غفار ، بأية صفة أتى بها العبد المعصية فهناك اسم لله عز وجل يقابل هذه المعصية .

النقطة الدقيقة في هذا الاسم أن صفات الإنسان متناهية ، معنى متناهية : الإنسان فعل هذا الذنب ذنب له حجم ، فعل هذه المعصية أخذ هذا المبلغ ارتكب هذه المخالفة مهما تكن المعاصي والذنوب فإنها متناهية تنتهي عند حد لكن مغفرة الله عز وجل ليست متناهية لا حدود لها وغير المتناهي يغلب المتناهي ، إذا لا يقنط من رحمة الله عز وجل إلا الكفور لا يقنط من رحمة الله عز وجل إلا الجهول لا يقنط من رحمة الله عز وجل إلا الجحود .

إذا كان ذنبك متناهياً ومغفرة الله عز وجل ليست متناهية فمن الغباء والحمق والجهـل والجحود وقلة العلم أن تيأس من رحمة الله ، لذلك اليائس كافر اليائس جاهل اليائس جاحد .

شيء آخر في هذا الاسم أن الآيات التي وردت في هذا الإسم وردت مرة على صـيغة الماضي قال تعالى :

قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ ۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ۗ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩ ﴿٢٤﴾ فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ ۖ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٢٥﴾

(سورة ص)

ومرت أيضا على صيغة الفعل المضارع قال تعالى :

إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾

(سورة النسا ء)

وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾

(سورة آل عمران)

ووردت بصيغة الأمر ، قال تعالى :

رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعۡنَا مُنَادِيٗا يُنَادِي لِلۡإِيمَٰنِ أَنۡ ءَامِنُواْ بِرَبِّكُمۡ فَـَٔامَنَّاۚ رَبَّنَا فَٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرۡ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلۡأَبۡرَارِ ﴿١٩٣﴾

(سورة آل عمران)

ووردت بصيغة المصدر قال تعالى :

ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾

(سورة البقرة)

وَيَسۡتَعۡجِلُونَكَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبۡلَ ٱلۡحَسَنَةِ وَقَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِمُ ٱلۡمَثُلَٰتُۗ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغۡفِرَةٖ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلۡمِهِمۡۖ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿٦﴾

(سورة الرعد)

أي يغفر لك ما مضى ويغفر لك الآن ويغفر لك في المستقبل وهو ذو مغفرة ، بأي زمن شئت هو غفار ، لأي ذنب فعلت هو غفار ، إن كان الإنسان ظالما فالله غافر وإن كان ظلوما فالله غفور وإن كان ظلاما فالله عز وجل غفار وإن فعل الذنب في الماضي غفر الله لـه وإن فعله الآن يغفر الله له وماسيفعل من ذنب في المستقبل فإن الله عز وجل يغفر بعـد الـدعاء ، بأي شكل بأي زمن فإن الله سبحانه وتعالى غفور رحيم .

أسوق هذا الكلام ليعلم الأخ المؤمن أنه لا يقنط من رحمة الله عز وجل إلا اليـائس إلا الجاهل إلا الجاحد إلا الكافر .

ولكن أيها الأخوة الأكارم : إذا توهم أحدكم أن غافراً اسم فاعل أما غفور صيغة مبالغة لاسم الفاعل أما غفار صيغة مبالغة المبالغة لاسم الفاعل ، (الحقيقة التي أتمنى أن تكون بـين أيديكم هو أن أسماء الله عز وجل لا تتفاوت أبدا)

إذاً كيف جاء هذا الاسم على هذه الصيغ ؟ هنا السؤال .

إذا الإنسان تناول الطعام يقال له في اللغة ؟ آكل ، إذا جلس إلى الطعام فأكـل خمسـة أرغفة يقال له أكول على وزن فعول (وباللغة العامية أكيل) يقال له أكول إذا تنـاول كميـة كبيرة ، إذا تناول وجبة خفيفة ولكن أكل في اليوم خمس مرات يقال له: أكـول ، إذا صـيغة المبالغة ماذا تفيد؟ تفيد النوع وتفيد العدد ، الحقيقة الأولى أن أسماء الله عز وجل لا تتفاوت ، كلها في مستوى واحد لأن الله عز وجل مطلق .

الإنسان كان في مستوى وارتقى إلى مستوى أعلى ثم ارتقى إلى مستوى أعلى ، كـان ظالماً فعل ظلماً أشد أصبح ظلوماً فعل ظلما أشد صار ظلاماً ، أمـا هـذا المعنـى لا يليـق بحضرة الله عز وجل أبدا . لو أن فلاناً ارتكب سيئة غفرها الله له فهو غافر ، فلان آخر غفر الله له فلان ثالث غفر الله له فلان عاشر غفر الله له العباد كلهم لو أذنبوا غفر الله لهم ، جاءت صيغة غفار لا من حيث النوع ولكن من حيث العدد ، لو فرضنا قلت فلان ليس أكـولا إذا نفيت عنه أنه أكول هل نفيت عنه أنه يأكل ؟ لا . إذا قلت : وما ربك بظلام للعبيد ، قد يقـول قائل معلوماته محدودة وأفقه ضيق الله ينفي عن نفسه مبالغة الظلم ولا ينفي عن نفسه الظلم ، فإذا قلت عن إنسان ليس أكولاً ليس معنى هذا أنه ليس آكلاً ، قال : هذا لا يليق بحضـرة الله عز وجل لأن صيغة المبالغة بأسماء الله لا تعني الكم بل تعني العدد ، فكل عبـاده لـو أنهـم أذنبوا فالله عز وجل غفور ، فصيغة فعول تعني المبالغة لافي المعنى لكن في العدد والـدليل قوله تعالى :

مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ

﴿٤٦﴾

(سورة فصلت)

الظلام في حق الله تعني أنه لا يظلم جميع عباده ينعمون بعدالته .

شيء آخر : المغفرة في اشتقاقها اللغوي تعني الستر ، فمثلا الغفر وبر الثـوب ، وبـر الثوب يستر اللحمة والسدى ومغفر الرأس الشعر يستر جلد الرأس ، فباللغة معنى الستر ولكن ربنا عز وجل كما يتضح لكم ذكر بعض المعاصي فقال مثلاً عن سيدنا موسى :

قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ

﴿١٦﴾

(سورة القصص)

سيدنا النبي عليه الصلاة والسلام :

لِّيَغۡفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ وَيَهۡدِيَكَ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا ﴿٢﴾

(سورة الفتح)

فلا يستقيم معنى المغفرة بمعنى الستر لكن يستقيم بمعنى الصفح والعفو والستر والصفح يلغيان الشيء بمعنى واحد فالمعنى الأول المغفرة الصفح العفو أي عدم إيقاع العقوبة ، أي الله عز وجل غفور يمكن أن يعفو عنك فلا يوقع عليك العقاب .

المشكلة الأساسية هو أننا إذا قرأنا القرآن نقرأ بعضه وننسى بعضه الآخر، قال تعـالى :

۞قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾

(سورة الزمر)

لا ينبغي أن تقف عند هذا المكان في الآية قال تعالى :

وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَأَسۡلِمُواْ لَهُۥ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلۡعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾

(سورة الزمر)

أي غفور لمن أقبل ، غفور لمن تاب ، غفور لمن رجع ، غفور لمن أناب ، غفور لمن أصلح ، غفور لمن استغفر ، أما أن يقيم الإنسان على معصية وينوي أن يبقى عليها ويقـول الله غفور رحيم هذا من السذاجة والجهل وعدم الفهم :

۞نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾

(سورة الحجر)

أي إما أن تأتيه طائعا وإما أن يدفعك إلى أن تأتيه ، ربنا عز وجل قال في بعض الآيات أن الله تاب عليهم ليتوبوا ويوجد آيات تابوا فتاب الله عليهم ، ما معنى توبة الرب إذا سبقت توبة العبد ؟ وما معنى توبة الرب إذا تأخرت عن توبة العبد ؟

قال بعض العلماء : " إذا سبقت توبة الرب توبة العبد أي أن الله عز وجل ساق له من الشدائد والمحن والمصائب ما دفعه إلى التوبة فما أكثر التائبين على أثر مصيبة نزلت بهم " ، الله عز وجل تاب على العبد قبل أن يتوب أي ساق إليه الشدائد والمحن والبلايا بحيث يحمله على التوبة وإذا قال الله عز وجل :

ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴿١٣﴾ وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمْهِيدًا ﴿١٤﴾

(سورة المدثر)

حيثما جاءت كلمة ذرني يعني يا محمد إن لم يستجب فلان لك دعه لي أنا أسوق له من الشدائد ما أحمله على التوبة وهذه آيات دقيقة جدا فالله عز وجل من رحمته بنا يسوق لك إنساناً لطيفاً يقدم لك نصيحة هادئة لطيفة بينك وبينه يدعمها بالآيات والأحاديث والقصص فأنت إما أن تستجيب وإما أن لا تستجيب ، فإن لم تستجب فالله سبحانه وتعالى عنده من الوسائل والأساليب والأدوية والطرائق والمضايقات والشدائد ما يدفعك إلى بابه دفعا، فأيهما أرقى لك أن تأتيه طائعا أو أن تأتيه بعد العصى ، هذا ما فسره النبي عليه الصلاة السلام :

" عجب ربكم من قوم يساقون إلى الجنة بالسلاسل ، كل بني آدم يدخلون الجنة إلا من أبى، قالوا : ومن يأبى يا رسول الله ، قال : من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى ".

فأنت أخوف ما يجب أن تخاف منه أن تدعى إلى الله عز وجل دعوة هادئة لطيفة فيها ستر بينك وبين أخ كريم ينصحك بغض البصر، بتحرير الدخل ، بترك الظلم ، بترك العدوان ، فإن لم تستجب فالله سبحانه وتعالى كفيل أن يسوق للإنسان من الشدائد ما يحمله على التوبة

، هذا معنى التوبة إذا سبقت توبة الرب توبة العبد " تاب عليهم ليتوبوا " ، أما إذا جاءت توبة الرب بعد توبة العبد فهي قبول التوبة " تابوا فتاب الله عليهم " أي قَبِلَ توبتهم .

إذا الإنسان إذا قرأ عن المغفرة قال :

عن أبي ذَر عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما روى عن الله تَبارك وتَعالَى أنه قَالَ يا عبادي إني حرمتُ الظلْم علَى نَفْسي وجعلْتُه بينَكُم محرما فَلا تَظَالَموا يا عبادي كُلكُم ضال إلا من هديتُه فَاستَهدوني أهدكُم يا عبادي كُلكُم جائِع إلا من أَطْعمتُه فَاستَطْعموني أُطْعمكُم يا عبادي كُلكُم عارٍ إلا من كسوتُه فَاستَكْسوني أَكْسكُم يا عبادي لَو أن أَولَكُم وآخركُم وإِنْسكُم وجِنكُم قَاموا في صعيد واحد فَسَأَلُوني فَأعطَيتُ كُل إِنْسانٍ مسأَلَتَه ما نَقَص ذَلك مما عنْدي إلا كَما ينْقُص الْمخْيطُ إِذَا أُدخلَ الْبحر يا عبادي إِنما هي أَعمالُكُم أُحصيها لَكُم ثُم أُوفيكُم إِياها فَمن وجد خَيرا فَلْيحمد الله ومن وجد غَير ذَلك فَلا يلُومن إِلا نَفْسه "

(صحيح مسلم)

هذا معنى هذا الحديث القدسي أن الإنسان إذا عاد إلى الله طواعية ضمن حفظ الله له وتأييده وإكرامه فإذا أبى ولم يستجب عندئذ سيأتيه العذاب من حيث لا يشعر لذلك ربنا عز وجل يقول :

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾

(سورة الأنفال)

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمۡ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلۡتُمۡ إِلَى ٱلۡأَرۡضِۚ أَرَضِيتُم بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبۡكُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا وَيَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيۡـٔٗاۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾

(سورة التوبة)

إن لم تأته طائعا دفعك إلى بابه دفعاً .

بعض العلماء قال : " النبي عليه الصلاة والسلام قال حينما توجه إلى ربه قال: يـامن أظهر الجميل وستر القبيح ".

دققوا في هذا الدعاء : يامن أظهر الجميل ، وستر القبيح ، أي قبيح هـذا ؟ خـواطرك تأتيك خواطر لا يعلمها إلا الله خاطر قبيح جدا خاطر معصية ، قد يأتي في بالـك خـاطر لا يرضي الله عز وجل ، لكن ألا ترى أن الله سبحانه وتعالى جميل الستر كل خواطرك محجوبة عن الخلق ، لك أن تفكر بما تشاء ولك أن يخطر على بالك ما تريد وأنت عند الناس في أعلى مكانة، لذلك قال بعض الشعراء :

والله لو علموا قبيح سريرتي لأبى السلام علي من يلقاني
ولأعرضوا عني وملوا صحبتي

شريكان إذا اطلع الأول على مايدور في خلد الثاني لفك معه الشركة ، لو اطلع الـزوج على ما يدور في بال زوجته لطلقها ، لو اطلعت الزوجة على مافي ذهن زوجها لتركته ، لـو اطلع الأب على مايدور في بال ابنه عند تفكيره يموت أبيه لكرهه أعطني يدك لتقبيلها وفـي باله خاطر آخر ، لو اطلع الأب على ما يجول في خاطر ابنه لأبعده عنه . فالله عـز وجـل ستار جميل الستر هذا معنى قول النبي عليه الصلاة والسلام حينما دعا ربه قال : يامن أظهر الجميل وستر القبيح.

أي أنت في حصن حصين كل خواطرك الداخلية كـل المشـاعر كـل الأفكـار كـل الطموحات ، هذه كلها مستورة ، فهذا من معنى المغفرة أي ستر عن الناس العيوب الفكرية ،

وشيء آخر الإنسان دون جلد قبيح جداً ، لو رأيت إنساناً على مستوى العضلات فقط مخيف ، إنها عضلات متداخل بعضها ببعض ، لو رأيت عضلات الوجه وحدها لوليت مـن الإنسـان فراراً، عشرات العضلات المتداخلة والمستقيمة والمائلة لكن يأتي هذا الجلد فيجعـل الوجـه جميلاً ، فربنا عز وجل ستر العضلات بالجلد ، ويوجد فتحات بالجسم كلها مستورة وما تـراه هو المنظر الأنيق المهفهف هذا من معنى : يامن أظهر الجميل وستر القبيح ، الوجه الجميل

والمعنى الثالث أن المؤمن في الجنة يستر الله عنه ذنوبه ، لو أن المؤمن اطلـع علـى جاهليته لاحترق ، شيء فوق طاقة البشر لأنه مع الكمال المطلق ، لو أن مؤمناً تاب إلى الله توبة نصوحاً وغفر الله له إذا تذكر ما فعل في الجاهلية يحترق ، فمن رحمة الله بالمؤمن أنه يستر عنه عيوبه وهذا ما فسره بعض العلماء في سر فناء الجسد ، إن هذه الصور في الذاكرة فإذا فني الجسد بقيت النفس النفس طاهرة مقبلة مطهرة معطرة مرتبطة بالكمال الإلهي ، أحـد المؤمنين له جاهلية وتاب مادام حياً يرزق إذا تذكر جاهليته وكيف كان وفي أي مستوى كـان في أي منطق في أي مخالفات في أي معاصٍ يحترق ، يحرقه كماله ، هذا في الدنيا .

قالوا لابد للمؤمن من ذلة أو قلة أو علة ما الذلة ؟ هذه ذلة الجاهلية التي كانت قبـل أن يتوب إلى الله عز وجل ، لو أن الإنسان تاب من معصيته وشفيت نفسه منها إذا تذكرها تحرقه في الدنيا ، فمن رحمة الله للمؤمن أنه في الجنة يستر الله عنه ذنوبه كلها ، أبدا لا يرى شيئاً . ربنا عز وجل في سورة غافر قال :

غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ ذِي ٱلطَّوۡلِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ إِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ٣

(سورة غافر)

قال بعض المفسرين : " غافر الذنب إكراما وقابل التوب إنعاما وشديد العقاب بالكافرين وذي الطول أي ذي العطاء الكبير للسابقين والمقربين ".

الحقيقة ثلاثة أسماء من أسماء الله الحسنى للمؤمنين وأسم واحد للكافرين ، فربنـا عـز وجل غافر الذنب وقابل التوب ذي الطول شديد العقاب ، فقال : غافر الذنب لمن ظلـم نفسـه وقابل التوب للمقتصد وذي الطول للسابق ، فبعض المؤمنين مقصـرون مخـالفون بعضـهم مستقيمون بعضهم متفوقون، فربنا عز وجل للمقصرين غافر الذنب وللمقتصدين قابل التـوب وللسابقين ذي الطول وللكافرين شديد العقاب ، لماذا كانت صفة واحدة من صـفات الله عـز

وجل للكافرين لأن النبي عليه الصلاة والسلام يقول : " الكفر ملة واحدة فماذا بعد الحـق إلا الضلال "، الكفر واحد أما الإيمان مراتب .

قال : هذا الوحشي الذي قتل سيدنا الحمزة ، هل تعتقدون بوجودعمل أشنع وأبشع وأقذر من أن يأتي وحشي عبد مقابل أن يعتق فيأتي بحربته ويبقر بها بطن سيدنا الحمزة عم النبـي فقال بعد أن فعل ما فعل وعرف قبح جريمته هرب إلى الطائف وندم على فعلته وكتـب إلـى النبي عليه الصلاة والسلام فقال : يا رسول الله هل لي من توبة ؟ قاتل عم النبي وعم النبـي عليه الصلاة والسلام من أحب الناس إليه سيدنا الحمزة سيد الشهداء ، " الله عز وجل بعمـرة أو بزيارة المدينة المنورة له قبر قرب جبل أحد " فقال : يا رسول الله هل لي من توبة ؟ قال : فنزل قوله تعالى :

إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾

(سورة النساء)

قال : لعلي لا أدخل تحت هذه المشيئة " ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء " قال فنزل قوله تعالى :

وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا يَزۡنُونَۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ يَلۡقَ أَثَامٗا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفۡ لَهُ ٱلۡعَذَابُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَيَخۡلُدۡ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلٗا صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿٧٠﴾

(سورة الفرقان)

قال : لعلي لا يكون عملي صالحاً فنزل قوله تعالى" قل يا عبادي الذين أسـرفوا علـى أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً " أي لو جئتني بمـلء السـماوات

والأرض خطايا غفرتها لك ولا أبالي لا الله أفرح بتوبة عبده من الضال الواجد والعقيم الوالد والظمآن الوارد .

عندنا بعض التفسيرات اللطيفة لقوله تعالى " قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسـهم " الله عز وجل لم يقل قل يا عبادي الذين فسقوا ، قل يا عبادي الذين زنوا ، قل يا عبادي الذين شربوا الخمر ، قل يا عبادي الذين قتلوا ، بل قال : يا عبادي " يا عبادي الذين أسرفوا علـى أنفسهم " فيها تلطف فيها ستر ، فيها ستر لحالهم ، تذوق الكلمات القرآنية " قل يا عبادي الذين أسرفوا ".

الشيء الثاني كلمة " قل يا عبادي " يوجد في الآية شيء جميل جدا أي هذا العبد أضافه الله إلى ذاته ، والله تحببا لعباده تسلية وتطمينا لهم وإكراما لهم نسبهم إلى ذاته " قل يا عبـادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله " فزينتهم بنسبتهم إلى ربهم وقبحهم لا يعقل أن يغلب نسبتهم إلى ربهم لذلك حينما يقول لك الله عز وجل "قل ياعبادي " يجـب أن تفتخـر يجب أن تطير إلى السماء حبا به وإقبالا عليه .

الشيء الآخر " قل يا عبادي الذين أسرفوا " لم يقل في معصية ربهم لا ، أسرفوا علـى أنفسهم أي هذه المعاصي ما أضروا بها أحداً أضروا بها أنفسهم ذات الله منزهة عن كل أذى .

" لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم ما نقـص من ملكي شيء "

فـ " قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم " لا على الله عز وجل ، ذات الله منزهة ، " لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً " دقق في الآية " إنه هو الغفور الرحيم " ، أي هو الغفور إن أذنبت أو لم تذنب ، هو الغفور دون أن تذنب ولو أنك أذنبت فهـذه هـي صفته الثابته هذه صفته القديمة والسرمدية والأبدية ، قال وأما قوله تعالى :

﴿ نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾

(سورة الحجر)

قال مر النبي عليه الصلاة والسلام ببعض الصحابة فرآهم يضحكون فقال عليه الصلاة والسلام : أتضحكون والنار بين أيديكم ، فحزنوا جدا ، ثم رجع القهقرى فقال : جاءني جبريل عليه السلام وقال : يقول الله تعالى : " نبئ عبادي أني أنا الغفور الرحيم ".

أيها الأخ الكريم لا تكون في حالة نفسية صحيحة إلا إذا جمعت بين الخوف والرجاء ، فإذا غلب الخوف حالة مرضية وإذا غلب الرجاء حالة مرضية وازن نفسك ، يوجد في الـدم هرمون التجلط وهرمون التميع إذا غلب هرمون التجلط رأيت الـدم كالوحـل فـي الأوردة

والشرايين فيموت الإنسان فورا ، وإذا غاب هرمون التميع سال الدم كله من ثقب صغير ، في كلا الحالين الإنسان ميت ولا بد من التوازن الدقيق بين التجلط وبين التميع وبعلاقتك مع الله عز وجل يجب أن يكون هناك توازن دقيق جدا بين الرجاء والخوف ، فأكثر الناس يقول : لا تدقق ولا تعقدها الله غفور رحيم هذا رجاء أبله ، لو قرأت القرآن لوجدت أن الله سبحانه وتعالى يقول كثيراً ثم إن ربك للذين تابوا وآمنو وعملوا الصالحات إن ربك من بعدها لغفور رحيم ، إذا راجعت القرآن الكريم ودققت الآيات التي وردت من بعدها ، تجدها آيات كثيرة :

وَٱلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ثُمَّ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِهَا وَءَامَنُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعۡدِهَا لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿١٥٣﴾

(سورة الأعراف)

فالتفاؤل والرجاء دون توبة دون استقامة تفاؤل أبله أحمق ، والخوف إلى درجة الإنسحاق واليأس من رحمة الله هذا يأس قاتل ولن تسعد مع الله عز وجل إلا إذا جمعت بين الخوف والرجاء قال تعالى :

فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَوَهَبۡنَا لَهُۥ يَحۡيَىٰ وَأَصۡلَحۡنَا لَهُۥ زَوۡجَهُۥٓۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾

(سورة الأنبياء)

قُلۡ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ تَدۡعُونَهُۥ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةٗ لَّئِنۡ أَنجَىٰنَا مِنۡ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٣﴾

(سورة الأنعام)

قال نبئ يا محمد : " نبئ عبادي أني أنا الغفور الرحيم "

قبل العباد جاءت شفاعة النبي وبعد العباد جاءت رحمة الله والعبد بين شـفاعة وبـين رحمة هذا من باب التطمين ، ويقال أن أحد الخلفاء دخل عليه ولد ابنه وولد ابنته فقال لهما : أنتما ابن من ؟ فانتسب ابن بنته إلى أبيه وانتسب ابن ابنه إليه هكذا يروى وليس هذا الموقـف كاملا ، ملأ حجر ابن ابنه بالجواهر وملأ حجر ابن ابنته بالسكاكر ، لأنـه انتسـب إليـه ، مغزى القصة أن الإنسان إذا قال : يا رب أنت ربي لا إله إلا أنت يا رب ليس لي أحد سواك ، فانتسابك يرفعك عند الله عز وجل وربنا عز وجل أكرمك بهذا النسب فقال : " قل يا عبادي " فالذي يقرأ القرآن يجب أن يتذوق كيف أن الله سبحانه وتعالى نسب العباد إلى ذاته ويوجـد أيضا تكرير قال تعالى : "نبئ عبادي أني أنا الغفور الرحيم " .

في الآية تكرار ، بـ أنا ، إني أنا ، الياء ضميرالمتصل بأني هو نفسه أنا إنـي أنـا ، لماذا التكرار؟ للتطمين ، " إني أنا الغفور الرحيم " .

بعضهم قال : " غافر الذنب " يمحو هذه السيئة من دفتـر أعمالـك ، وأمـا الغفـور يمسحها عند الملائكة وأما الغفار ينسيك أنت هذا الذنب ، فإما أن تمحى من دفترك وإمـا أن ينساها الملك وإما أن تنساها أنت ، هذا منتهى الكرم أن تأتي يوم القيامة وليس لـك جاهليـة وليس لك ذنب كمال في كمال ، لذلك تسعد في جنة الله التي عرضها السموات والأرض إلـى أبد الآبدين .

إذا تاب الإنسان في سن مبكرة هذا رائع جداً ، ولكن إذا عرف الله في سن متأخرة فـلا مانع فضل الله كبير ، وفي الحديث القدسي يقول الله عز وجل للعبد إذا تقدم سـنه : " عبـدي كبرت سنك وانحنى ظهرك وضعف بصرك وشاب شعرك فستحي مني فأنا أستح منك ".

والقصة التي أتلوها عليكم كثيراً ولا أنساها أحد شيوخ الأزهر الكبار رأى خطيب مسجد شاباً فتمنى أن يكون مثله عمره خمسة وخمسون عاما رجل من صعيد مصر أمي لا يقرأ ولا يكتب لكن لا تنسوا أن مراتب الله العليا لا لمن سبق ولكن لمن صدق ، فسـاق دابتـه إلـى القاهرة وسأل عن الأزعر وهو يقصد الأزهر ، فالذي سأله رجل صالح قال له : ياأخي إسمه جامع الأزهر وليس جامع الأزعر فتح الله عليك فتوح العارفين ، القصة سـمعتها مـن أحـد العلماء ثم قرأتها في كتاب والقصة ثابته وتكاد لا تصدق ، هذا الإنسـان الأمـي الصـعيدي الجاهل الذي تمنى على الله أن يكون عالماً وشيخاً جليلاً وساق حماره إلى الأزعر وصوبه له هذا البائع توجه إلى هذا المسجد وتعلم القراءة والكتابة وحفظ القرآن ومـا زال يتقلـب فـي مراتب العلم حتى عاش ستة وتسعين عاماً ولم يمت إلا وهو شيخ الأزهر ، قصة ثابته لعـل اسمه زكريا الأنصاري أحد شيوخ الأزهر السابقين ، في الخامسة والخمسين فهذا العبد الرجل تاب إلى الله في سن الشيخوخة فإذا ناجى ربه يقول : يا رب لقد أبطأت فـي المجـيء إليـك تأخرت كثيراً

وإذا تاب المرء وذاق طعم التوبة يقول لك : قلبي محروق ، كيف أمضيت هذا العمـر في معصية الله عز وجل ، بعد أن ذاق طعم الطهر طعم القرب طعم الإقبال علـى الله طعـم العمل الصالح طعم العلم طعم الشرف يقول : ياليتني عرفت الله قبل هذه السن ، في المناجـاة يقول : يا رب لقد أبطأت في المجيء إليك ، فوقع في قلبه أن يا عبدي لا تقل هكذا إنما أبطـأ في المجيء إلي من مات ولم يتب ، مادام قد بقي يوم واحد فإنك تستطيع التوبة ، مادام القلب ينبض الأمل كبير ، كلما بكرت كلما كان أفضل لكن إنما أبطأ في المجيء إلي من مات ولـم يتب .

نحن كعبيد ما علا قتنا بهذا الاسم ؟ الله غفار وأنت ؟ ألا تنسى أخطاء الآخرين أبدا ولا تغفرها .

قال العلماء : حظ المؤمن من اسم الغفار أن يستر من غيره ما يستره الله منـه ، أدق حق يعنيك من اسم الغفار أن تستر من إخوانك المؤمنين وغير المؤمنين ما ستره الله منك .

امرأة زنت في عهد سيدنا عمر وأقيم عليها الحد ثم تابت وجاء مـن يخطبهـا ، فجـاء أخوها إلى عمر ابن الخطاب رضي الله عنه فقال : يا أمير المؤمنين جاء من يخطب أختـي أفأخبره بذنبها وإقامة الحد عليها ، غضب عمر رضي الله عنه أشد الغضب ، قال : والله لو أخبرته لقتلتك .

فأنت كمؤمن لك أخ صديق ذات قدمه وقع في معصية علمتها أنت لا ينبغي أن تذكرها لأحد إذا كنت مؤمناً وعرفت اسم الغفار ، كما أن الله غفر لك وتاب عليـك يجـب أن تغفـر لإخوانك وأن تستر ذنوبهم ، والحديث الذي تعرفونه جميعا : " الذنب شؤم على غير صاحبه ، إن ذكره فقد اغتابه " .

لك أخ وقع في ذنب إن تكلمت عن ذنبه فقد اغتبته وإن عيرته ابتليت به وإن رضـيت منه هذا الذنب شاركته في الإثم ، إذا أحدنا بلغه أن أخاه أكل مالاً حراماً يكفي أن يقول جيد ما فعل استطاع أن ييسر معيشته بهذه الكلمات يأثم معه ، فثناؤه على معصيته ، واستحسانه لعمله مشاركة في الإثم ، واحتقاره بقوله كيف فعل هذا سوف يبتلى بهذا الذنب لأنه عيره به وذكر معصيته للناس استغابة له هذا على من لم يفعل الذنب فكيف بالذي فعل الذنب .

فمن تغافل عن المقابح وذكر المحاسن فهو ذو نصيب عظيم من هـذا الشـيء ، عـود نفسك أن تكون إيجابيا عود نفسك أن تذكر في الناس النواحي الإيجابية المحاسن ، في تعاملك مع الناس تغافل عن عيوبهم وأبرز محاسنهم ، يحبوك ومن الناس من يتغافل عـن المحاسـن كلها .

النبي عليه الصلاة والسلام قال : " اللهم إني أعوذ بك من جار سوء إن رأى خيرا كتمه وإن رأى شراً أذاعه ، اللهم إني أعوذ بك من إمام سوء إن أحسنت لم يقبل وإن أسأت لم يغفر "

من أقبح العادات في الإنسان أن يستر الجميل ويذكر القبيح وأن يستر المحاسن ويظهر القبائح أما المؤمن يتغافل عن القبائح ويبرز المحاسن، النبي الكريم قال : الشرف معوان .

عندك ابن تعرفه صادقاً أثنى على صدقه ، من الآباء من يبحث أين الغلـط فـي ابنـه ويقول : أنت كذا وأنت كذا ، دوماً يزرع اليأس في ابنه ، ألا يحمل ابنك أية ميزة ، قـال : يارسول الله ماذا ينجي العبد من النار ؟ قال : ايمان بالله ، قال : أمع الإيمان عمل ، قال : أن يعطي مما أعطاه الله ، قال : فإن كان لا يملك ، قال : أن يعين الأخرق ، قال : فإن كان لا يستطيع ، قال: فليأمر بالمعروف ، قال : فإن كان لا يحسن، قال : أما تريد أن تدع لصاحبك من خير ؟

لا يوجد إنسان كله أخطاء ولا ميزة له ، عندك موظف كله سوء؟ أنا مسرور من أمانتك اطمئن ، شخص دخل على النبي عليه الصلاة والسلام دخل على المسجد ليلحق ركعـة مـع رسول الله فركض وأحدث ضجة وجلبة وصخباً وضجيجاً وشوش على الصـحابة صـلاتهم فالنبي الكريم هكذا علمنا فقال له :

عن أَبِي بكْرةَ أَنه انْتَهى إِلَى النبِي صلى الله عليْه وسلم وهو راكع فَركع قَبلَ أَن يصـلَ إِلَى الصف فَذَكر ذَلِك لِلنبِي صلى الله عليْه وسلم فَقَالَ زادك الله حرصا ولا تَعد *

(صحيح البخاري)

قال : "نثر الريح على الماء زرد " أحد الشعراء الأمراء فلم يتمكن من إكمال البيـت ، وراءه جارية قالت له : " ياله درعا منيعا لو جمد " أعجب بذكائها وشاعريتها فتزوجها ، ثـم أصبح هذا الإنسان ملكاً من ملوك الأندلس وهو ابن عباد تزوجها وعاش معها حياة في أبهـى قصوره ، اشتهت مرة حياة الفقر فأرادت أن تسير في الطين فجاء بالمسك والكافور فجبلهمـا بماء الورد وقال : هذا طين دوسي فيه ، ثم جاء ابن كاشفين من إفريقيـة وحـارب ملـوك الطوائف وقضى عليهم وأودعهم في السجن ، وساءت حاله وله قصيدة تبكي الإنسان ، النتيجة قالت له مرة هذه الجارية التي أصبحت ملكة وأكرمها إكراما ما بعده إكرام قالت له مرة : ما رأيت منك خيراً قط ، فأجابها : ولا يوم الطين ؟

عندك زوجة عندك ابن دوما تلومه وتذمه ألا يحمل أية ميـزة ، لقـد حطمتـه ، هـذه الزوجة ألا تحمل أية ميزة أليست شريفة إذا ذهبت إلى عملك ألست مسـتريحا مـن عفتهـا

وشرفها ، فالإنسان لا يغفل عن ميزات الناس ، النبي الكريم رأى صهره مع الأسرى ، أتى ليقاتل رسول الله صهره زوج ابنته لم ينس أنه صهر ممتاز فقال : والله ما ذممناه صهرا .

أرقى شيء عند الله عز وجل أن تكون منصفاً حولك زوجة أولاد إخوان أصحاب وجيران وأتباع وموظفين ، أنت تعلم ميزاتهم دوما وتعرفها حق المعرفة يحبونك جميعا ، عندئذ يتقبلون منك أية ملاحظة وأي نقد ، قال له : " زادك الله حرصا ولا تعد ".

فأنت كمؤمن عليك أن تتخلق بأخلاق الله عز وجل ، يوجد قصة رائعة جدا عندما جاء عكرمة مسلماً بالله ماذا قال النبي الكريم ، قال : " جاءكم عكرمة مسلما ، فإياكم أن تذموا أباه . من أبوه ؟ أبوه أبو جهل أعدى أعداء النبي قال : " فإن ذم الميت يؤذي الحي ولا يبلغ الميت".

أنت كمؤمن يجب أن تظهر الجميل وأن تستر القبيح ، أما تصيد الأخطاء وتصيد العيوب ليس هذا من أخلاق المؤمن هذا من أخلاق أهل الدنيا .

يروى أن سيدنا عيسى عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام مر بجيفة ولا أعتقد أنه يوجد في الأرض أبشع لا في المنظر ولا في الرائحة من الجيفة ، فقال أصحابه : ما أنتن ريحها، فقال عليه الصلاة والسلام : بل ما أشد بياض أسنانها أنظروا ما أجمل أسنانها ، لعل مغزى هذه القصة ، لن تكون أباً ناجحاً ولا معلماً ناجحاً ولا داعياً ناجحاً ولا تاجراً ناجحاً ولا مدير معمل ناجحاً ولا مدير مستشفى ناجحاً إلا إذا عرفت ميزات الذين حولك ، ذكرتها وقدرتها بعدئذ وجه لهم ما شئت من النصائح فيقبلونها منك ، أما إذا غفلت عن ميزاتهم وتتبعت أخطاءهم فهذا مما يبعدهم عنك .

على كلٍ هذا الاسم من أسماء الله الحسنى وكما تعلمون لا يعرف الله إلا الله هذه بعض الآيات والأحاديث التي وردت حول اسم الغفار ويجب أن يدفعنا اسم الغفار جميعا إلى طلب المغفرة من الله عز وجل .

اللهم إنك عفو كريم تحب العفو فاعف عنا يا كريم ، هذا الدعاء كان من أحب الأدعية إلى النبي عليه الصلاة والسلام

والحمد لله رب العالمين

الدرس ١٠ - اسم الله : "القهار" .

بسم الله الرحمن الرحيم

قبل أن أبدأ باسم جديد من أسماء الله الحسنى وهو اسم **القهار** ـ الغفار و**القهـار** ـ لابد من وقفة قبلها عند حقيقة ثابتة في الإنسان وهي أن الإنسان آتاه الله قوةً إدراكية تتمثل بحواسه وتتمثل بفكره وتتمثل بقلبه ، فالحواس تشعر والفكر يدرك والقلب يعقل ، الحواس الخمس مشتركة بين الإنسان وغيره من المخلوقات ، هناك حيوانات ترى وتسمع وتـدرك ببعض الحواس التي وهبها الله إياها المحيط الخارجي ، ولكن الإنسان وحـده ميـزه الله بالفكر، ويسميه بعضهم العقل ، ولا خلاف في ذلك ، هذا خلاف لفظي ، هذا الـذي فـي الجمجمة هو الفكر ، ربنا عز وجل أشار إليه في آيات كثيرة ، قال :

تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾

[سورة الإسراء]

إذا جاء الفؤاد مع السمع والبصر فهو الفكر ، كل أولئك كان عنه مسؤولاً ، وأعطى الله الإنسان قلباً يعقل به ، والدليل قوله الله تعالى :

أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَـٰرُ وَلَـٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾

(سورة الحج)

الآن ما الفرق بين الإحساس والإدراك والعقل ؟

الإحساس : أن ترى الضوء بعينك أو أن تسمع الصوت بأذنك أو أن تشم الرائحـة بأنفك أو أن تشعر بالحرارة بجلدك ، هذا هو الإحساس.

ولكن قد يضع طفل يده على أفعى يرى لها ملمساً ناعماً ، يروق له منظرها يـروق له ملمسها الناعم وهي أفعى ، لو كان في سن أكبر وعرف ما الأفعى لكان له موقف آخر ، إذاً هو رآها بعينه ولمسها بيده وما أدرك حقيقتها .

إذاً فرق بين الإحساس والإدراك ، فالإدراك عن طريق الفكر ...يمكنـك أن تقـرأ مقالة عن مضار التدخين وتدخن ، الإدراك أحياناً لا يكفي للابتعاد عن الشيء ، لكن فـي بعض الحالات إذا وصل الإدراك إلى درجة عقل القلب أبعاده عندئذ تكف عن هذا العمل . الفرق الدقيق بين العقل وبين الإدراك ، هو أن الشيء إذا كان ضاراً وابتعدت عنه معنـى ذلك أنك عقلته ، قد تدرك ولا تتخذ موقفاً، أما إذا عقلته لابد من أن تتخذ موقفاً مـن هـذا الشيء، دائماً مع العقل موقف عملي ، ومع الفكر إدراك ، والإدراك قناعة .

تحرك الإنسان أحياناً شهواته لا قناعاته ، فمعظم الناس يعرفون الحلال والحـرام لأن الحلال والحرام كما قال عليه الصلاة والسلام بين الحلال بين والحرام بين ، يعرفونه بعقولهم يعرفونه بفطرتهم ويعرفونه بما يلقى عليهم من مواعظ وخطب ودروس دينيـة ، فلماذا يفعل الناس الحرام ؟ لأنهم ما عقلوا خطورته .

الحواس : تشعر تحس ، والفكر يدرك والقلب يعقل ، المعول عليه هو القلب ، حينما تأخذ موقفاً عملياً ، معنى ذلك أنك عقلت الحقيقة، والدليل قال الله تعالى :

وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ
يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيۡءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْۚ وَإِنِ ٱسۡتَنصَرُوكُمۡ
فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيۡكُمُ ٱلنَّصۡرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوۡمِۭ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٞۗ وَٱللَّهُ بِمَا
تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ٧٢

[سورة الأنفال]

دليل آخر ، قال الله تعالى :

فَإِن لَّمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَكَ فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهۡوَآءَهُمۡۚ وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ
هَوَىٰهُ بِغَيۡرِ هُدٗى مِّنَ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٥٠

[سورة القصص]

فالإنسان لا يمكن أن يسمى عاقلاً إلا إذا تُرجمت أفكاره إلـى ممارسـات ، إلا إذا تُرجمت أفكاره إلى سلوك إلى مواقف ، فالذي ينجي الإنسان يوم القيامة لا قناعاته ولكـن تصرفاته وانضباطه والتزامه واستقامته وفعله وتركه .

إذاً بالحواس نحس ، بالفكر ندرك ، بالقلب نعقل ، هذه الحواس وذاك الفكـر وذاك القلب هي القوة الإدراكية في الإنسان ، و لو أغفلنا جانباً الإنسان الإدراكي لصار بهيمـة من البهائم فالإنسان لولا العلم لكان كالبهيمة تماماً .

الحقيقة الثانية التي أتمنى عليكم أن تعقلوها هو أن العلم في الإسلام ليس هدفاً بذاته قال عليه الصلاة والسلام :

" تعلموا ما شئتم فوالله لن تؤجروا حتى تعملوا بما علمتم " .

قد يحصل انحراف في طلب العلم فيصبح العلم هدفاً بذاته ، أما المؤمن دائماً يـرى أن العلم لذاته غير مطلوب ، ولكن العلم مطلوب لغيره ، تتعلم من أجل أن تعمل من أجل أن تطبق وهكذا قال عليه الصلاة والسلام :

" تعلموا ما شئتم فوالله لن تؤجروا حتى تعملوا بما علمتم "

وفي حديث آخر :

"كل علم وبال على صاحبه ما لم يعمل به " .

في ضوء هاتين المقدمتين .. الإنسان فيه قوة إدراكية تتمثـل بـالحواس وبـالفكر وبالقلب، والعلم في الإسلام ليس هدفاً لذاته بل هو وسيلة لتطبيق منهج الله عز وجل .

والحقيقة الثالثة هو أن في الإنسان جانب انفعالي ، وفيه جانب إدراكي فيـه جانـب مادي، الجانب المادي : مشترك بين الحيوان والإنسان ، الإنسان يأكل والحيوان يأكـل ، والإنسان يتعب وينام والحيوان يتعب وينام ، بل إن أكثر الحيوانات تتفوق على الإنسـان في بعض الخصائص .

اسم **القهار** : مر معنا سابقاً أن أسماء الله الحسنى لا تتغير في مستوياتها ، الطبيـب أحياناً يكون لديه معلومات محددة فيعالج مريضاً في ضوء معلوماته ، وبعد ما يأخذ شهادة أعلى أصبحت معالجته أدق في ضوء ما كسبه من علم جديد فكلما ارتقى علمـه ارتقـى مستوى معالجته ، إذا انطبق هذا على الإنسان فإن هذا لا يجوز أن ينطبق على أسماء الله الحسنى فأسماء الله الحسنى لا تفاوت فيها ، فكيف يأتي اسم غير مبالغ بـه ك**القـاهر** ، لقوله تعالى :

وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۖ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾

(سورة الأنعام)

يَوْمَ هُم بَـٰرِزُونَ ۖ لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌ ۚ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿١٦﴾

(سورة غافر)

وردت **قاهر** ووردت **قهار** ، فكيف نوفق بين أن الله عز وجل أسماؤه لا تتفاوت وبين أن يأتي اسم غير مبالغ به واسم مبالغ به ، هنا المشكلة .

قلت لكم من قبل أن الإنسان إذا أكل طعاماً يسمى آكلاً ولا يُسمى أكولاً إلا إذا أكل وجبة كبيرةً جداً أو إذا أكل مجموعةً من الوجبات المبالغة تكون تارةً بالنوع وتارةً بالعدد .

فأسماء الله الحسنى إذا وردت بصيغة المبالغة فالمقصود منها التكرار وليس النوع لأن مستوى أسماء الله الحسنى لا تتبدل ، الإمام أبو حامد الغزالي قال ليس في الإمكان أبدع مما كان ، هو يقصد أنه ليس في إمكاني أبدع مما أعطاني .

فالله عز وجل حكيم في خلق النملة وفي خلق المجرة ، حكيم في خلق أصغر المخلوقات وفي خلق أكبرها ، عليم بكل شيء أسماؤه من حيث المستوى ثابتة لا تتبدل فإذا تبدلت فبحسب المخلوقات لا بحسب الخالق ، ولكن إذا ورد اسم مبالغ به فهو لمبالغة التكرار.

الإنسان أحياناً يحارب عدواً ويقهره ، وقد لا يتمكن أن يقهر عدواً ثانياً أو ثالثاً .

أما إذا قال : ربنا الواحد **القهار** فيعني أن كل المخلوقات مقهورة بالنسبة إليه .

لمن الملك اليوم لله الواحد **القهار** .. على وزن فعال .. وهو **القاهر** فوق عباده .

وقال تعالى :

وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾

[سورة يوسف]

والله غالب على أمره ، هذا مغزى قصة سيدنا يوسف ، هذا المغزى موجز القصـة بأكملها في تفصيل هذا المغزى .

قصة أخرى يتجلى فيها اسم **القهـار** ، سيدنا موسى مع فرعون ، فرعون الذي أراد أن يذبح أبناء بني إسرائيل جميعاً ليمنع حدوث رؤيا قد رآها وهي أن طفـلاً مـن بنـي إسرائيل سوف يقضي على ملكه ، فالله عز وجل **قهره** بأن الطفل الذي سيقضي على ملكه رباه في بيته ، والحقيقة كل أفعال الله عز وجل تصدر عن أسمائه أو أن أفعاله كلها فيهـا أسماؤه كلها وهذا ما يدعو إلى تفسير بعض الآيات التي ورد الحديث فيهـا عـن ذات الله بضمير المفرد وبعض الآيات التي ورد الحديث فيها عن ذات الله بضمير الجمع .

إِنَّا نَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٣﴾

إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلًا ﴿٢٣﴾

إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ﴿١٤﴾

[سورة ق ـ سورة الإنسان ـ سورة طه]

إذا جاء مفرداً فللتعبير عن ذات الله ، وإذا جاء جمعاً فللتعبير عـن أن أسـماء الله الحسنى جميعها واردةٌ في أفعاله ، ونحن عندما نقسم أنه سميع ، لطيف ، بصير ، قدير ، قوي ، حكيم ، هذا تفصيل دراسي مدرسي أما الأسماء متداخلة في بعضها بعضاً ، أحياناً ربنا عز وجل يجمع أسماءه في أسماء موجزة ، فمثلاً :

تَبَـٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَـٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾

[سورة الرحمن]

فالجلال صفة تشعر بالعظمة والإكرام ، صفة تشعر بالعطاء ، فأنـت فـي حياتـك اليومية قد تتعامل مع إنسان تعظمه ولا تحبه ، وقد تتعامل مع إنسان تحبه ولا تعظمـه ، والبطولة أن تجمع بين التعظيم والمحبة ، فربنا عز وجل بقدر ما هو في جـلال ورفعـة وعظمة وعلو شأن وكبرياء وجبروت و**قهر** وقدرة وغنى بقدر ما هو رحيم لطيـف ودود كريم عفو غفور هناك أسماء متعلقة بالجلال وهناك أسماء متعلقة بالإكرام ، وقـد وردت هذه الأسماء في آيتين ، قال الله تعالى :

تَبَـٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَـٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾

[سورة الرحمن]

أحياناً في موضوع الاستقامة ربنا عز وجل يذكر اسمين فقط ، مثلاً قال الله تعالى :

ٱللَّـهُ ٱلَّـذِى خَـلَقَ سَبْعَ سَمَـٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّـهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّـهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًا

[سورة الطلاق ـ آية ١٢]

اختار من كل أسمائه القدرة والعلم ، لأنك لن تستقيم على أمـره إلا إذا أيقنـت أن علمه يطولك وأن قدرته تطولك ، ففي موضوع الاستقامة أنت بحاجة إلى أن تؤمن باسمي العلم والقدرة ، من أجل أن تستقيم وأن تعظم لا بد مـن أن تـؤمن باسـمه ذي الجـلال والإكرام .

فاسم **القهار** إما أن يرد مباشرة ، وهو **القاهر** فوق عباده .. لمن الملك اليوم ، فيقول الله عن خلقه لله الواحد **القهار** .

هناك آية دقيقة جداً ، يقول الله عز وجل :

صِرَٰطِ ٱللَّـهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّـهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥٣﴾

[سورة الشورى]

الإنسان يعجب !! هذا كلام الله فلما يقول الله : **ألا إلى الله تصير الأمور** ، فهي أين كانت ؟ بيد من كانت ؟ المعنى المستنبط من هذه الآية أنها لم تكن بيده مـن قبـل والآن أصبحت بيده ، إذا قلنا صار الأمر في هذا الموضوع إلى زيد يعني أن زيداً لم يكن الأمر بيده من قبل ؛ فالواقع أن معظم الناس في عمى عن الحقيقية ، فعامة الناس يرى أن الأمر بيد الأشخاص ، وأن القرار بيد فلان وصاحب المتغيرات فلان وفلان يفعل ، إذا رفعـك فلان يرفعك إلى السماء ، وفلان إذا غضب جعلك في أسفل سافلين، هذا كله شرك ، هـذا وهم الأعمى ، لكن يوم القيامة جميع المخلوقات ترى أن الملك لله الواحد **القهار** ، لكن في الدنيا لا يرى هذه الرؤيا إلا المؤمن أما في الآخرة فهذه الرؤية عامة شاملة .

بآيات وبشكل صريح ، قال الله تعالى :

وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٨﴾

يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَ ۖ لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌ ۚ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿١٦﴾

[سورة الإنعام ـ سروة غافر]

وهذا الاسم ورد بشكل غير مباشر ، فقال :

وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾

[سورة يوسف]

يعني أمره هو النافذ ... الحديث القدسي :

" عبدي خلقت لك السماوات والأرض ولم أعيى بخلقهن أفيعييني رغيف أسـوقه لك كل حين ، لي عليك فريضة ولك علي رزق، فإذا خالفتني في فريضتي لم أخالفك في رزقك، وعزتي وجلالي إن لم ترض بما قسمته لك فلأسلطن عليك الدنيا تـركض فيهـا ركض الوحش في البرية ثم لا ينالك منها إلا ما قسمته لك ولا أبـالي ، وكنـت عنـدي مذموماً ..." .

أنت تريد وأنا أريد ، فإذا سلمت لي فيما أريد ، كفيتك ما تريد وإذا لم تسـلم لـي فيما أريد أتعبتك فيما تريد ثم لا يكون إلا ما أريد "

هذا الحديث القدسي يعطي معنى **القهار** ، أمر الله هو النافذ ، الأمور تدور وتدور .

هناك أشخاص يقرؤون بعض الكتب ، التي تتحدث عن مكر اليهود في العـالم ، يقول لك هذا المخطط يهودي ..

اليهود بشر يخططون يمكرون من أخبث خلق الله مكارون خداعون ولكن الفعـل ليس إليهم ، الفعل فعل الله ، فإذا آمنت بأنهم فعالون وأن كل ما يجري فـي العـالم مـن تخطيطهم لقد ألهتهم وأنت لا تدري ، لكن أحياناً يقع في الأرض شيء مما خططوه ، فالله عز وجل قد يستخدم نيتهم الخبيثة في تأديب بعض العباد بدليل قوله تعالى:

وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّى بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٢٩﴾

[سورة الأنعام]

حينما تقول : فلان يفعل ووقعت في الشرك وأنت لا تدري ، والصواب أن تقـول : **والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون** .

" أنت تريد وأنا أريد فإذا سلمت لي في ما أريد كفيتك ما تريد وإن لم تسـلم لـي فيما أريد أتعبتك فيما تريد ثم لا يكون إلا ما أريد".

القهر في اللغة يعني الغلبة ، **قهره** أي غلبه ، أو صرف الشيء عن طبيعته طبيعـة قوية قهرية ، وجعلته ضعيفاً على سبيل الإلجاء ، قال تعالى :

فَأَمَّا ٱلۡيَتِيمَ فَلَا تَقۡهَرۡ ﴿٩﴾

[سورة الضحى]

ودائماً وأبداً هناك أسماء إذا سمي الإنسان بها فهي صفة ذم ، وإذا كانت من أسماء الله فهي اسم من أسماء الله الحسنى

إنسان بحاجة إلى مساعدة وتوجه إلى إنسانين: الأول غني ممتلئ ، والثاني فقير ، فقال له : أنا أعطيك أنا أمنحك ، هو لا يملك شيئاً كذب عليه ، فهذا نقص بحقه ، فلو قال له أنا لا أملك شيئاً أنا فقير ، فالكمال بحقه أن يكون صادقاً ، أما الغني لو قال لـه أنـا لا أملك شيئاً أنا فقير وهو يملك وبإمكانه أن يعينه فقد كذب وهذا نقص في حقه ، فالمتكبر إذا لجأ إليه العباد يعطيهم كل حاجاتهم ، ، قال الله تعالى :

﴿٨﴾ فَأَمَّا ٱلۡيَتِيمَ فَلَا تَقۡهَرۡ ﴿٩﴾ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنۡهَرۡ ﴿١٠﴾ وَأَمَّا بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثۡ ﴿١١﴾

والقهار على وزن فعال مبالغة من **القاهر** فيقتضي تكثير **القهر** التكثير العددي لأن التكثير النوعي لا يليق بحضرة الله تعالى .

كلكم يعلم أن لله عز وجل أسماء ذات وأسماء صفات وأسماء أفعال ، قال العلماء : **القهر** قدرة على وصف مخصوص ، كما أن الرحمة إرادة علـى صـفة مخصوصـة ، **والقاهر** هو القادر على منع غيره أن يفعل بخلاف ما يريد ، يعني صفة لله عز وجل فـي ذاته ، قدرة على نحو مخصوص يمنع الآخرين عن أن يفعلوا ما يريدون ، مشـيئته هـي النافذة ، أنت تريد وأنا أريد والله يفعل ما يريد ، ما شاء الله كان وما لم يشأ لـم يكـن ، والاسم **القهار** له علاقة وشيجة بالتوحيد ، الذي كما يقول العلماء ، ما تعلمت العبيد أفضل من التوحيد .

فإذا قلنا أن اسم **القهار** هو قدرة على نحو مخصوص من أسماء الذات ، وإذا قلنـا هو فعل يمنع الآخرين عن أن يفعلوا ما يريدون فهو من أسماء الأفعال .

القهار ، قال بعض المحققين إنه **قهار** للعدم ، فالعدم ما سوى الله عز وجـل ، مـا سوى الله كان عدماً فأوجده الله فهو ممكن ، وهذا الشيء الموجود بقدرة الله عز وجـل لا يستمر إلا بقدرة الله ، قال الله تعالى :

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَاۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنۡ أَمۡسَكَهُمَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ﴿٤١﴾

[سورة فاطر]

السماوات والأرض هذا تعبير قرآني عن الكون ، الكـون كلـه كواكـب ونجـوم ومجرات ، الكون كله يتحرك وإذا لم يكن يتحرك لأصبح الكون كله كتلة واحدة ، والدليل أن هناك قوى التجاذب بين الكواكب والنجوم والمجرات والمذنبات ، قوى التجاذب تقـول إن النجم الأكبر يجذب الأصغر ، وهذا الجذب يتناسب مع الكتلة ومع مربـع المسـافة ، والقانون معروف " جداء الكتلتين مضروب بمربع المسافة " هذه قوة الجذب ، قوة الجذب لا ترى بالعين كما لو جئت بمغناطيس ووضعت مسماراً وحركت المغناطيس يتحـرك المسمار ، فهناك قوة وجذب، وقوى التجاذب هذه أودعها الله في الكون لحكمة بالغة فلو لم يتحرك الكون لأصبح الكون كله كتلة واحدة ، يعني الكوكب الأكبر جذب الأصغر ، فمـا الذي يمنع ؟ فمثلاً أمسك وعاء ماء وأدره دائرية فإنك تستغرب ، إذا كان في الأعلى وفيه ماء فلماذا لا ينزل الماء فقوة النبذ تمنعه من النزول ، وكثير من الآلات أساسـها القـوة النابذة كتجفيف الثياب في الغسالات ، وآلات عصر الفواكه .. إذاً مع الدوران ينشأ قـوة نابذة ، هذه القوى النابذة تكافئ القوى الجاذبة ، فلولا أن الكون يتحرك لأصبح كله كتلـة واحدة .

الأرض تدور حول الشمس منذ ملايين السنين فلم تنجذب إلى الشمس قال الله تعالى :

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَاۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنۡ أَمۡسَكَهُمَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ﴿٤١﴾

معنى أن تزولا ، يعني أن تنحرف عن مسارها ، والذي **قهر** هذه النجـوم وجعلهـا

تبقى على مسارها ؟ الله عز وجل ، فالله عز وجل **قهار** للعدم ، فهذا الشيء الذي خلقـه أصله لا شيء إذاً هو أصله العدم سبقه العدم وينتهي إلى فناء ، كل شيء يسبقه العـدم وينتهي إلى فناء فهو ممكن، أما الله سبحانه وتعالى فهو واجب الوجـود ، لا أول لـه ولا آخر له ، هو الأول بلا بداية والآخر بلا نهاية .

ربنا سبحانه وتعالى **قهار** للعدم بمعنى أن هذا الممكن ممكن بقدرة الله وممكن بإمداد الله وممكن بتسيير الله ، وفي أي لحظة يوقف الله عز وجل عن هذا الممكن تجليه وإمداده ينعدم الممكن، هذا معنى قوله تعالى

ٱللَّـهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ

[سورة البقرة ـ آية ٢٨٥]

يعني قيام كل شيء في الكون بالله عز وجل ، أول معنى من معاني **القهـر** أن الله عز وجل **قهر** الممكن وجعله قائماً جعله مستمراً جعله موجوداً ، قال الله تعالى :

﴿٤٨﴾ قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَـٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾

[سورة طه]

لو ترك وحده لكان معدوماً ، فكأن جوهر الممكن أنه العدم ولولا قدرة الله القـاهرة في الممكن لما كان هذا الممكن موجوداً، إذا فالكلمة الدقيقة " كن فيكون ، زلْ فيزول " .

فأنت وجودك بالله عز وجل ، والدليل أجهزة الإنسان ، دماغه مثلاً مئة وأربعـون مليار خلية ، الإدراك الإحساس الذاكرة المحاكمة التصور التخيل الغدد الصماء ، كل هذه الأجهزة أساسها أن الله عز وجل يتجلى عليك ، وينقطع التجلي عن الإنسان عند الموت ..

وازن بين إنسان في أوج نشاطه يتحرك يفكر يحاكم يتصرف يرى يسمع يشم يلمس يأخذ مواقف ينشئ مشاريع ، يترك بصمات في المجتمع وبين جثة هامدة ، الفـرق بـين الجثة الهامدة وبين هذا الإنسان الممتلئ نشاطاً وحيويةً هو التجلي الإلهي هو **القهـار** ، الله عز وجل **قهر** المادة فجعلها تفكر وتسمع وتعقل وترى وتشم وتبصر وتمشـي وتتحـرك وتغضب وتفرح وتحزن ، لو أن إنساناً وضع على ميزان قبل أن يموت بدقائق ومات فلا يخسر عند الموت شيئاً من وزنه ، هي قوة الله عز وجل هذه الروح .

قال بعض المحققين **القهار** للعدم والوجود لأن الممكن لو ترك وحده لكان معـدوماً فكأن ماهية الممكن تقتضي العدم إلا أنه سبحانه وتعالى منزه **يقهر** هذه الحالة ويبدل العدم للوجود.

مثلاً الشمس عمرها خمسة آلاف مليون سنة هذا عمر مديد وللشمس طاقة لا تخبو، هل عندنا على الأرض مصدر طاقة لا يخبو ، شخص ملأ خزان الوقود بعد مئتي كيلـو متر ينتهي ، ملأ مستودع الوقود بمنزله بعد حين ينتهي ، كل شيء ينتهي، أما هذه الشمس من خمسة آلاف مليون عام لا تنتهي ، هذا **المعنى الأول .**

المعنى الثاني ، إن أصغر كوكب في الفلك أضعاف جرم الأرض ثم إن هذه الأفلاك مع ما فيها من كواكب يمسكها الله تعالى بقدرته معلقةً في الهواء كما قال تعالى :

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَاۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنۡ أَمۡسَكَهُمَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ﴿٤١﴾

بعض العلماء يقولون بالحياة أربع مواد أساسية هي الماء والهواء والنار والتـراب وهذه كلها متنافرة والله سبحانه وتعالى بقوته **القاهرة** ألف بينها ، من معاني **قهره** أنه ألف بين المتنافرات ، فأنت لا تستطيع أن تجعل البحر يحترق ، والبحر ماء لكن ربنا عز وجل قال **والبحر المسجور** ، أسجر النار يعني أشعلها ، كيف ؟ أنت بالماء تطفئ النار لكن هذا الماء هدروجين وأكسجين ، الهدروجين من أشد العناصر احتراقاً والأكسجين مـن أشـد العناصر مساعدةً على الاحتراق ، حينما تشوي لحماً لماذا تهوي ؟ تحرك الأوكسجين فوق الفحم يزداد توهجه فالأكسجين يعين على الاشتعال والهدرجين يشتعل ، والمحصـلة مـاء يطفئ النار ، فالله عز وجل بقدرته يجعل من هذا البحر ناراً ، فمن معاني **قهـر** الله عـز وجل أنه يؤلف بين الأشياء المتنافرة ، وهذه العناصر الماء والهواء والنار والتراب كلهـا متنافرة ومع ذلك تأتلف في المخلوقات .

شيء آخر ، إن الروح جوهر لطيف ، روحاني نوراني والبدن جوهر كثيف مظلـم وبينهما منافرة عجيبة ومع ذلك أسكن الله الروح في هذا الجسد ب**قهره** .

مثلاً إن كان لديك معدن تريد لصقه يقال لك إن هذا المعدن لا يلتحم بلحام ألمنيـوم يحتاج إلى لحام خاص ، فهل يلتحم الألمنيوم بلحام حديد طبعاً لا لأنهما متنافران ، فـالله عز وجل جعل الروح نورانية خفيفة سماوية وجعل الجسم منشد للأرض ومع ذلك ألـف بينهما في هذا الإنسان ، فالإنسان جسد ونفس أحياناً تتلألأ نفسه يبدو هذا على وجهه أحياناً

تظلم نفسه ، يبدو هذا على وجهه . فالإنسان كائن فيه عنصر سماوي وعنصـر أرضـي لكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه ، ، قال الله تعالى :

ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمۡ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلۡتُمۡ إِلَى ٱلۡأَرۡضِۚ أَرَضِيتُم بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾

[سورة التوبة]

يعني اتجهت نحو الأرض اتجهت نحو الشهوات نحو الدنيا..

من معاني **القهار** أن الله تعالى يذل الجبابرة والأكاسرة تارةً بالأمراض ، فترى ملكاً من كبار الملوك عقيماً وهو يحب زوجته، فهو يدفع ألوف الملايين على أن تنجـب فـلا تنجب .

ملك ثانٍ يصاب بمرض ، ولا يشفى فيه ولو بذل الغالي والرخيص ، فمن معـاني **القهار** أن الله **قهر** العباد كلهم بالموت ، لا نبي ولا رسول ولا قوي ولا غني ولا صحيح ولا مريض ولا فقير ولا رفيع ولا وضيع ولا ملك ولا وزير ، إلا ويموت " إنـك ميتـاً وإنهم ميتون" وحتى ملك الموت يأتي دوره يقال له مت يا ملك الموت فيذوق طعم الموت ، والنبي عليه الصلاة والسلام يقول سبحان الله إن للموت لسكرات .

الله تعالى يذل الجبابرة والأكاسرة تارةً بالأمراض وتارة بالنكبات وتارةً بـالموت ، قصة النمرود مع سيدنا إبراهيم مشهورة ، لما أراد أن يذل إبراهيم وربه ، فأرسل الله لـه أضعف مخلوق من مخلوقاته وهي البعوضة فدخلت من أنفه إلى جيوبه وبدأت تتحرش به فكان يرجو كل داخل عليه أن يضربه على رأسه ، فبالضرب يسكن ألمه قليلاً ، فالإنسان ضعيف .

إن العقول **مقهورة** عن الوصول إلى كنه صمديته والأبصار **مقهورة** عن الإحاطـة بأنوار عزته ، فإياك أن تقول أنا أدرك الله لأن من معاني الإدراك الإحاطة ، فإذا أمسكت شيئاً صغيراً تعرف طوله وعرضه ووزنه ، عقلك يصل إلى الله لكنك لا تستطيع أن تحيط به لأن الله عز وجل لا يعرفه إلا الله ، قال الله تعالى :

وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا ٨٥

وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ

[سورة الإسراء ـ سورة البقرة ـ آية ٢٥٥]

بالقدر الذي يشاء ، فعقل الإنسان **مقهور** عن إدراك كنه صمديته فالإنسان العاقل لا يطمع أن يجيب عن كل سؤال متعلق بالله عز وجل فليس معناه أنه جاهل .

سأل إنسان آخر عن البحر فقال هذا البحر كم لتر ؟ نظر إليه وقال هذا بسيط ثمانية وستون مليون وسبعمائة وستة وستون لتر ، هذا يكون جاهلاً ما دام أعطى رقماً ، قال لك كم لتر حجم هذا البحر ؟ ليس لديك حجوم ولا مقاييس ولأعماق البحار ، فلو سُـئلت كـم حجم هذا البحر فإذا أعطيت رقماً فتكون جاهلاً وإذا قلت لا أدري فتكون عالماً ، كلمـة لا أدري هي العلم وكلمة أدري هي الجهل ، لذلك قالوا عين العلم بالله هو عين الجهـل بـه وعين الجهل به عين العلم به ، فكلما قلت أدري وكل سؤال له عندي جواب وأنا أعلم كل شيء فهذا دليل قطعي على أنك لا تعلم ، هذا ما يتعلق بذات الله عز وجل .

ربنا **قهار** فهناك حوادث لا تعلم كنهها فقل سبحان الله لا أدري ما حكمتها .

وبلد يقع فيها زلزال قتل فيه تسعون ألفاً ، هناك حكمة ولكن لا أعرفها فعقلي قاصر عن إدراك الحكمة ، ليس من المفروض أنه كلما وقع أمامي مشكلة أن أعطـي التفسـير البسيط، قد يكون التفسير البسيط ساذجاً ، فإذا قلت أنهم أصيبوا بسبب بمعاصيهم ، فهـذا كلام إلى حد ما مقبول ولكن أحياناً المؤمن يُبتلى فالمؤمن له معاملة خاصة له ابتلاء ترقية درجات، فالأكمل أن لا تدعي أنك تعرف كل شيء ، تعرف جناياه فمثلاً مرض الإيدز إن قلت أنه بسبب انحراف السلوك الأخلاقي عقاب عاجل للعصاة للفجار ممكن ، لكن هنـاك أشياء صعب تفسيرها ، فمثلاً : لماذا هذا الشعب فقير ؟ لعل الله عز وجل اقتضت حكمته ذلك .

<u>المعنى السابع والشامل</u> ، إن جميع الخلق **مقهورون** في مشيئته ، كمـا قـال الله تعالى:

وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ

[سورة الإنسان]

مثلاً عندك مائة جهاز في البيت كهربائيات ، وعندك مفتاح الكهرباء الأساسي فـإذا أغلقته فسوف تقف كل الأجهزة ، البراد والغسالة فالقوى المحركة بيد الله عز وجـل ، لا يستطيع إنسان أن يتحرك إلا بمشيئة الله ، إذاً هو **القهار** ، قال الله تعالى :

وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ

وبالجملة لا ترى شيئاً سواه إلا **مقهوراً** له تحت أعلام عزته ذلـيلاً فـي ميـادين صمديته، هناك معاني أخرى **للقهار** ، بعض العلماء يقول : " **القاهر هو الذي قهر نفوس العابدين** " ، ولله المثل الأعلى تكون فتاة جميلة جداً والخاطب غارق إلى قمة رأسـه فـي حبها ، فتتحكم فيه لجمالها صاحب القوة كقوة المال ، يتحكم في الضعاف ، لذلك ، قـال الله تعالى :

وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾

[سورة البقرة]

كل القوى مصدرها من الله عز وجل ، إذا أقبلت على الله تسعد أضعاف ما يسـعد من أحبوا أناساً من بني جنسهم ، إذا أقبلت على الله تغنى أضعاف ما يحس به الأغنياء في الدنيا، إذا أقبلت على الله تشعر بقوة أضعاف ما يشعر بها الموالون للأقوياء ، لهذا قيـل " **إذا أردت أن تكون أقوى الناس فتوكل على الله ، وإذا أردت أن تكون أغنى الناس فكـن بما في يدي الله أوثق منك بما في يديك ، وإذا أردت أن تكون أكرم الناس فاتق الله** " .

القاهر الذي **قهر** نفوس العابدين فحبسها على طاعته ، العباد لما أقبلـوا علـى الله وصلوا سعدوا فحبسوا أنفسهم على طاعته ، فالله **قهرهم** بجماله **قهـرهم** بكمالـه **قهـرهم** بتجليه ، فالمحب لم يعد يريد من الدنيا شيئاً .

فما مقصودهم جنات عـدن ولا الحور الحسان ولاالخيام
سوى نظر الحبيب فذا مناهم وهذا مطلب القوم الكـرام

شاب تعرف على فتاة في دمشق فخاف أهله أن يقع في شباكها فأرسلوه إلـى بلـد أجنبي بعيد جداً ليدرس في الجامعة وأعطوه قسط الجامعة وكان مبلغاً كبيراً ، أنفق كـل هذا المبلغ على مخابرات هاتفية ليتصل بها ، فهي قهرته بجمالها .

فلو عرفت الله عز وجل ل**قهرك** جماله ولقهرك كماله ، **القاهر** هو الذي **قهر** نفوس العابدين فحبسها على طاعته ، و**القاهر** هو الذي **قهر** قلـوب الطـالبين فآنسـها بلطـف مشاهدته .

حظ المؤمن من اسم القهار ؟

إذا عرف المؤمن **القهار** فمتى ذلك أنه عرف حجم عبوديته ، من عرف نفسه عرف ربه ومن عرف ربه عرف نفسه ، كلمة سأفعل كذا وكذا وسأعطي وسأمنع ، هـذا كلـه يبتعد عنه المؤمن لأنه يتنافى مع اسم الله **القهار** .

ولكن يمكن أن يكون المؤمن **قهاراً** بمعنى خاص ، أن **يقهـر** شـهوته وأن **يقهـر** متعلقات شهوته ، لأن شهوته هي أعدى أعدائه ، فإذا **قهر** ميله وشهوته وهواه معنى ذلك انتصر على ذاته ، وهذا معنى قوله تعالى :

فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ﴿١٠﴾

[سورة الليل]

فكل إنسان ينساق مع شهواته وميوله وأهوائه ، يتكلم كلاماً لا يرضي الله عز وجل يغتاب الناس يأخذ ما ليس له ، وأي حركة يتحركها الإنسان دون منهج الله عـز وجـل معنى ذلك ينساق مع شهواته مع رغباته إذاً هو ما طبق في نفسه اسم **القهار** .

إذاً أن تقهر شهوتك التي هي أعدى أعدائك إن فعلت هذا قد حققت في نفسك هذا الاسم العظيم ، بهذا الاسم تعرف ربك وبهذا الاسم تتخذ السبيل الى طاعته ومحبته ومرضاته .

والحمد لله رب العالمين

الـ ـدرس ١١ – أسم الله : " الوهاب " .

بسم الله الرحمن الرحيم

مع الدرس الحادي عشر من أسماء الله الحسنى ، والاسم اليوم الوهاب .

يا أيها الإخوة الأكارم :

بادئ ذي بدء ، الإنسان عقل وقلب ، بعقله يعرف الله وبقلبه يحبه ، وهذا الاسم اليـوم متعلق بالحب ، وقبل أن أشرح معنى الوهاب لغةً واصطلاحاً أضرب لكم مثلاً منتَزعـاً مـن حياتكم اليومية ، قد يوجد شاب فقير جداً يعاني من شظف العيش ومن خشونة الحياة ، لـو أن إنساناً اختاره زوجاً لابنته ، ابنته مهذبة متعلمة مؤمنة طيعة ، ومنحه منزلاً ومنحـهَ متجـراً ومنحه مركبة، ألا يمتلئ قلب هذا الشاب حباً وحمداً وشكراً لهذا الرجل الذي أنعم عليه بكـل هذه النعم ؟ هذا شأن الإنسان .

" يا داوود ذكّر عبادي بإحساني إليهم فإن النفوس جبلت على حب من أحسـن إليهـا وبغض من أساء إليها " .

القصد من معرفة اسم الوهاب أن تحب الله عز وجل ، لأنه لا إيمان لمن لا محبة لـه ، ليس الإسلام حقائق ندركها وحسب ، بل هو حقائق ومشاعر ، أن يكون العقل مدركاً لوجـود الله ولعظمته ولأسمائه الحسنى وأن يكون القلب مفعماً بحب الله ، سأضع بـين أيـديكم هـذه الحقيقة: أقول لكم إن الذي يحرك الإنسان حبه أكثر مما يحركه عقله ، فالإنسان بدافع الحـب يقدم الغالي والرخيص والنفس والنفيس ، بدافع الحب يقدم كل شيء ، بدافع العقل قد يقتنع وقد يعتقد وقد يوقن ولكن لا يتحرك.

لذلك فالدعاة إلى الله يجب أن يخاطبوا العقل والقلب في وقت واحد ، ربما إذا أحدثوا في العقل القناعة فهذا نصف النجاح ، أما إذا أحدثوا في الإنسان بالإضافة إلى قناعة العقل موقفـاً أساسه الحب فهذا كل النجاح ، أنت قبل كل شيء إنسان لك عقل ولك قلب ، العقل إذا أعملْته في الكون عرفت الله ، وإذا أدركت النعم الإلهية أحببته بقلبك ، وإذا أحببت الله فقـد أحسـنت الاختيار، لا يسمى الإنسان إنساناً إلا إذا أحب .

مرةً كنا في الجامعة وقد أحيل أحد الأساتذة إلى التقاعد وأقيمت له حفلة طيبـة وهـو أستاذ علم النفس ، قال هذه الكلمة و لا أنساها :

" الإنسان الذي لا يشعر برغبة أن يحب و لا يشعر برغبة أن يحب فليس مـن بنـي البشر "

لا يمكن أن تُسمى إنساناً إذا كان قلبك صخراً ، أو إذا كان قلبك جلموداً .

إذاً لا بد من أن تُحب ، الشيء الذي يلفت النظر هو أن أصحاب النبي عليهم رضـوان الله، لماذا فعلوا المستحيلات ؟ لماذا باعوا أنفسهم لماذا قدموا كل شيء ؟ أحدنا لو جرحت يده أو أصبعه لصاح ولضمدها ولاعتذر عن لقاءآته ولأخذ إجازةً ... سيدنا جعفر تأتيـه ضـربة سيف تقطع يمينه فيمسك الراية بشماله ، تأتيه ضربة سيف أخرى تقطع شماله فيمسك الرايـة بعضديه إلى أن يخر شهيداً ، ما هذا الحب ؟!

الخنساء قبل أن تُسلم ملأت الدنيا صخباً وعويلاً على أخيها صخر ، فلما توفي أولادها الأربع ، استشهدوا في القادسية ، ما زادت على أن قالت :

" الحمد لله الذي شرفني بقتلهم ، وأرجو الله أن يجمعني معهم في مستقر رحمته ".

خُبيب بن عدي وهو على مشارف القتل ، صلبه المشركون في جذع نخلـة ، تمهيـداً لرميه بالسهام ، قال له أبو سفيان : أتحب أن يكون محمد مكانك ؟ .. الكلام الشائع الآن : " ألف أم ولا أمي " .. أتحب أن يكون محمد مكانك ؟ .. قال : " والله ما أحب أن أكـون فـي أهلي وولدي وعندي عافية الدنيا ونعيمها ويصاب رسول الله بشوكه " ما هذا الحب ؟ اقـرؤوا تاريخ الصحابة أيها الإخوة تجدوا العجب العجاب ، تجدوا شيئاً لا يوصف .

سيدنا الصديق وهو خليفة رسول الله ، من أعماله الطيبة أنه كان يحلب شياه جيرانـه ، يبدو أنه قد توفي الزوج وليس عندهم من يرعى شؤونهم ، فكان يقوم بخدمة حلب شـياههم ، فلما صار خليفة ظن الجيران أنه سينقطع عن هذه الخدمة ، طُرِقَ الباب فتحت البنت ، قالـت الأم : يا بنيتي من الطارق ؟ فقالت البنت : يا أمي جاء حالب الشاة ... ما هذا ؟ رئيس دولة ، خليفة رسول الله .. الذي ظهر من الصحابة في عهدهم شيء لا يصدق ، أساسـه الحـب ، لأنهم أحبوا الله عز وجل .

وأنا أقول لكم : الذي يبذل ويضحي ويقف عند حدود الله ويتجشم المشاق في سـبيل الله الذي حركه هو الحب ، والذي يسعد هو الحب ، لن تَسعد إلا إذا أحببت الله عز وجـل ، والله سبحانه وتعالى بابه مفتوح .

هناك شخصيات يفتح بابها لأناس دون أنـاس ، يقبلـون أناسـاً ولا يقبلـون آخـرين يستَرضون وقد لا يرضون ، و لكن سبحانه وتعالى بابه مفتوح لكل الخلق .. " إذا رجع العبد العاصي إلى الله ، نادى مناد في السماوات والأرض أن هنئوا فلاناً فقد اصطلح مع الله " .

إذا تأملنا في اسم الوهاب بحسب فطرتنا وبحسب جبلتنا القصد أن يمتلئ قلبنا حبـاً لله ، فإذا امتلأ قلبنا حباً لله رأينا من معاملة الله لنا ، رأينا من تجليه على قلوبنا رأينا من التوفيق ،

رأينا من السداد ، رأينا من الرشاد ، رأينا من الشعور بالتفوق ، رأينا من الشعور بالفلاح مـا لا سبيل إلى وصفه .

إذاً الإيمان أساسه الحب ، " ألا لا إيمان لمن لا محبة له " ، هذا القلب متى يضطرب ؟ من علامة المؤمن أنه إذا ذُكر الله وجل قلبه:

إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ
ءَايَـٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَـٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾

(سورة الأنفال)

هذا من علامة القلب ، فالإنسان لا يجامل نفسه ولا يتملّق نفسـه، بـل يتعهـد قلبـه ويتفحصه، ويسأل نفسه السؤال الحرج ، أنا من أُحب ، دائماً دعوى الحب كثيرة فكل يـدعي وصلاً بليلى ، لما كثُر دعاة المحبة طالبهم الله بالدليل ، قال الله تعالى :

قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ
وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾

(سورة آل عمران)

نحن غارقون في النعم ، لاحظْ نفسك لو ركبت سيارة عامة وبجانبك صديق دفع عنـك ثلاث ليرات ونصف ، تشكره و تبالغ في شكره وتخجل وقبل أن تنزل تدعوه إلى البيت ، لأنه دفع عنك ثلاث ليرات ونصف .. راقب نفسك ، لو أن إنساناً قدم لك هدية فإنك تذوب خجـلاً أمامه ، تعبر عن امتنانك وعن شكرك وعن محبتك وتوعده بزيارة وتدعوه لأنه قدم لك هدية ، هكذا النفس البشرية .

" يا داود ذكر عبادي بإنعامي عليهم فإن النفوس جبلت على حب مـن أحسـن إليهـا وبغض من أساء إليها " .

فما الفرق بين المؤمن والكافر ؟ الكافر يبقى في النعمة والمؤمن ينتقل منها إلى المـنعم .. معقول أن تدخل إلى بيت وأنت في حال جوع شديد ترى طعاماً نفيسـاً ألوانـاً منوعـةً ، أطعمة فاخرة ، مقبلات ، طعام من الدرجة الأولى ، وراءه الحلويات وراءه الفواكه ، تأكـل بنهم وتنتهي من الطعام وتتجه نحو الباب وتخرج ، هذا شأن الإنسان ؟ ، لا حظ نفسك لو أن أحداً دعاك إلى طعام فقبل أن تنتهي من الطعام تقول له أكل طعامك الأبرار أو تقول له نعمة

دائمة أو أكرمتنا أكرمك الله ، والله يديم عزك والله يبارك فيك ، تتفـنن بالعبـارات ، تـذوب خجلاً .. لماذا إذا جاءتك نعمة من إنسان تذوب خجلاً وإذا أنعم الله عليك بنعم لا تُقدر !!!

أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾

(سورة البلد)

ترى ابنك الصغير ترى أهلك ترى إخوانك ترى الغابات ترى الأشجار ترى الأزهـار ترى من تحب ترى معالم الطبيعة ترى الألوان ترى الأشخاص ، تسير في الطريق مرتاحـاً مطمئناً ، الطريق واضح أمامك ، تقرأ ، تطلع تُطالع تنظر تستمتع :

" ألم نَجعلْ له عينَين(٨)ولسانًا وشَفَتَين(٩) " .

مرةً دخلت إلى عند إنسان لا يتكلم ويعمل في بخ (طلي) الأثاث وأردت أن أتكلم فأشار إلي أن أتحدث مع الصانع ، فتكلمت مع الصانع ، نظرت فرأيت لغة جديدة بينهما ، فقال لـه يريد أن يبخ غرفة نوم بالإشارة قال للصانع هل يريد مواد مستوردة أم تصنيع محلي ، وأنـا ألاحظ هذا الحديث الطويل بالإشارة ، ، قال الله تعالى :

أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾ وَهَدَيْنَـٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ

(سورة البلد)

تتكلم وتعبر عن مشاعرك وعن أحوالك وعن قناعاتك ، تقول أنا اليوم قرأت مقالة كذا ، تعبر عن تفسير آية عن قصة ممتعة ، تتصدر المجالس تتحدث مع أهلك وأولادك ..

" ألم نَجعلْ له عينَين(٨)ولسانًا وشَفَتَين(٩)وهديناه النجدين(١٠) " .

علمونا في الجامعة في التربية أن الإنسان حينما يولد لا يملـك إلا منعكسـاً واحـداً ، والمنعكس كما تعلمون ربنا عز وجل خلقه تام ، صنْع الله الذي أتقن كل شيء ، لو فرضنا أن أحدهم مسك بجمرة لفافة ، تسحب يدك قبل أن تفكر ، فإذا جاء تنبيه عصبي بالحرارة يـأتي الأمر لا من الدماغ بل من النخاع الشوكي ، هذا يسمونه المنعكس الشرطي اكتشفه عالم يدعى " بابلوف " ، فالإنسان حينما يولد ليس لديه إلا منعكس شرطي واحد ، ولولا هذا المنعكس لما كنا في هذا المسجد ، لما عاش إنسان لمجرد أن يولد الطفل يعطى ثدي أمه يضع شفتيه علـى ثدي أمه ، يحكم شفتيه على الثدي ، ولو سمح للهواء أن يمر لا يستطيع الرضاعة لابـد مـن إحكام شفتيه على حلمة الثدي وبعدئذ يسحب الهواء ، هذا منعكس معقّد جـداً ، حينمـا يولـد الإنسان يكون مزوداً بهذا المنعكس .

وما سوى ذلك من المفاهيم من التخيلات ، يقول لك الطفل الصغير عن كل رجل أبوه ، بعد حين يقول عمو ، فصل بذهنه مفهوم الوالد ومفهوم العم ، أول فترة كل رجلٍ أب وبعـد ذلك يظهر عنده مفهوم الرجل ، إنسان يفصل مفهوم الرجل عن مفهوم العم والوالد ، كيـف تنشأ هذه المفاهيم ؟ يقول شجرة يتصور الطفل معنى الشجرة ، لا يتصور برتقالة ولا جوز ، يتصور مفهوم مجرد ، شجرة ، لو تتبعنا كيف تتشكل في الدماغ المفهومات والمصـطلحات ، كيف يتعامل الإنسان ويفكر ، كيف يتعامل بالرموز ، عالم قائم بذاته .

مائة وأربعون مليار خلية سمراء لم تعرف وظيفتها بعد في الدماغ فالدماغ عاجز عـن فهم ذاته . فالفرق بين المؤمن والكافر أن المؤمن ينتقل من النعمة إلى المنْعم ، وغير المؤمن من الكفار والفُساق والفُجار يستمتعون بالنعم أعلى استمتاع ولكنهم غفلوا عن المنعم وعَفْلَـتهم عن المنعم سوف تودي بهم إلى النار إلى أبد الآبدين . أما المؤمن فيفكر من أين هذه النعمة ، كل أخ منكم يدخل إلى بيته يلقى زوجة و إنسان لها مشاعر لها تفكير ، تجد الطعـام جـاهزاً والبيتَ نظيفاً، هذه هدية من الله عز وجل .

الإنسان في ساعة غفلة يقول أنا تزوجت وأنا كديت وسعيت بكد يميني وعرق جبينـي وأسست هذا البيت وفرشْتَه وجمعت مهراً واخترت فلانة هذه هي الغفلة عن الله عز وجـل ، هذه الزوجة هدية قدمها الله لك ، وهذا الطفل الذي يملأ بيتك سروراً وسعادةً من جعله بهـذه النفسية اللطيفة؟ من جعله بريئاً من جعله ساذجاً ؟ لو كان الطفل الصغير يتعامل معك تعامـل الكبير لن تحبه ، إذا تكلمت معه كلمة ، يخاصمك شهراً .. قد تؤنبه وتوبخه وبعد قليل يقبـل عليك ويقبلك ، من جعل الطفل بهذه النفسية من الصفاء بهذه الذاتية ، من جعل الطفـل بهـذا الحب الذي أودعه الله عز وجل بقلبه لأمه وأبيه .

في علم النفس تجربة هي أن حياة الإنسان النفسية أساسها الدماغ هكذا يقول العلمـاء ، فوجدوا طفلاً دماغه سائل ، حالة نادرة ، فصار يبكي فلما جاءت أمه سكت ، معنى ذلـك أن في الإنسان نفساً ، هذه النفس حتى الآن لا يستطيع أحد أن يكشف حقيقتها ، أساساً " الإنسـان ذلك المجهـ ـ ـول " عنوان كتاب شهير محوره أن العالم الآن ما عرف إلا شيئاً طفيفاً عـن طبيعة الجسد ، أما طبيعة النفس لا تزال سراً مجهولاً ، قال الله تعالى :

وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾

(سورة الإسراء)

طبعاً هذه المقدمة ، يعني إذا تحدثنا عن اسم الوهاب ورأيت النعم التي وهبـك الله إياها يجب أن يكون منعكس هذا الدرس حباً ، والحب من علامته الطاعة :

تعصي الإله وأنت تظهر حبـه ذاك لعمري في المقال شنيـع

لو كان حبك صادقاً لأطعتـه إن المحب لمن يحب مطيـع

الآيات الكريمة التي ورد فيها اسم الله الوهاب :

رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾

(سورة آل عمران)

لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾

(سورة الشورى)

وَإِنِّى خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِىَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴿٥﴾

(سورة مريم)

وهب ، فعل ماض ، يهب فعل مضارع ، هب فعل أمر ، معقول أن إنساناً يأمر الله عز وجل ، علماء البلاغة قالوا ، الأمر إذا كان من أدنى إلى أعلى فهو دعاء :

هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ ۖ قَالَ رَبِّ هَبْ لِى مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٨﴾

(سورة آل عمران)

فإذا كان من مساوٍ إلى مساوٍ هذا التماس ، مثلاً .. أنت موظف من المرتبة الأولـى جالس إلى الطاولة وأمامك بالغرفة نفسها موظف بالمرتبة الأولى لستَ رئيسه ولا هو رئيسك قلت له رجاء ، أعطني المسطرة مثلاً ، هذا ليس أمراً ولا دعاء هذا التماس ، فمن مساوٍ إلى مساوٍ التماس ، لكن لو وجهت أمراً وأنت معلم إلى طالب أو من ضابط إلى ذي رتبة عاليـة إلى مرؤوسه فهذا اسمه أمر " الأمر ـ الالتماس ـ الدعاء " وهناك أمر إباحة ، قال الله تعالى :

وَكُلُواْ
وَٱشۡرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلۡخَيۡطُ ٱلۡأَبۡيَضُ مِنَ ٱلۡخَيۡطِ ٱلۡأَسۡوَدِ
مِنَ ٱلۡفَجۡرِۖ ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيۡلِۚ

(سورة البقرة ـ من الآية ١٨٧)

رجل استيقظ في السحور ليس جائعاً فإذا لم يأكل يكون قد عصى؟ لا قال العلماء هـذا أمر إباحة :

وَإِذَا حَلَلۡتُمۡ فَٱصۡطَادُواْۚ

(سورة المائدة : من الآية ٢)

لا أريد الصيد هذا أمر إباحة . وهناك أمر ندب :

وَأَنكِحُواْ ٱلۡأَيَـٰمَىٰ مِنكُمۡ وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنۡ عِبَادِكُمۡ وَإِمَآئِكُمۡۚ إِن يَكُونُواْ
فُقَرَآءَ يُغۡنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ٣٢

(سورة النور)

وهناك أمر وجوب :

وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ٥٦

(سورة النور)

وهناك أمر تهديد :

وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا
لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمۡ سُرَادِقُهَاۚ وَإِن يَسۡتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٖ كَٱلۡمُهۡلِ
يَشۡوِي ٱلۡوُجُوهَۚ بِئۡسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتۡ مُرۡتَفَقٗا ٢٩

(سورة الكهف)

اكفر وانتظر ماذا يحصل لك ، مثلاً تقول الأم لابنها اكسرها لترى تقول له اكسرها ، قالت له اكسرها أمر تهديد ، فالبلاغة ضرورية جداً لفهم كلام الله .

" رب هب لِي " .. معنى هب لي هذا دعاء ، وهب يهب هب ، صـاروا حـرفين ، وهب فعل معتل الأول بالواو أيام يأتي الأمر حرف واحد، وقى يقي ق ، قاف : هذه القـاف فعل أمر وقَى يقي ف ، وأى يأي إ همزة ، فعل أمر .

سؤال : ما اسم الفاعل من هدا الفعل وهب ؟ .. واهب ، لكن ربنا وهـاب ، وهـاب صيغة مبالغة لاسم الفاعل .

أعطاك رجل قلم حبر ، هذا اسمه واهب .. وإذا أعطاك مركبة قال لك هذه هدية ، هذا لم يعد في نظرك واهب بل وهاب ، عندما يكون العطاء كبيراً نقول وهاب ، وإذا كان العطاء يومياً متنوعاً أو كبيراً نستخدم صيغة مبالغة اسم الفاعل "إِنكَ أَنْتَ الْوهاب "

ماذا وهبنا الله ؟ ، أول شيء وهبنا الله إياه هو نعمة الوجود ، بقيود النفوس فـلان بـن فلان مقيم في مكان كذا " عمارة نارنجة خانة ٦٧ " فأنت موجود ، لك اسم في السجلات ، من وهبك نعمة الوجود ، الله عز وجل .

إذاً أنت متمتع بوجودك متمتع بصحتك متمتع بالطعام بالشراب متمتع بزواجك متمتـع ببيت، لك عمل لك شأن اجتماعي ، كلك ، وجودك من وهبك إياه ، الله عز وجل وهبك نعمة الوجود ، أوجدك وأمدك بكل شيء . فمثلاً ، كيف نتعامل مع الحجر بالحديد ؟ نريد أن نضع لسان " دلاية " بالحجر لغَلق الحديد ، إذا حفرت الحجر ، وأدخلت الدلاية تنزل ، لكن ربنـا خلق لنا معدناً نصهره بدرجة قليلة ، نصبه في الحفرة وحينما يبرد يتوسع ويثبت الحديد .

مرةً لفت نظري حديقة ألغيت وقد ثبتوا سور حديد على الحجر ولمـا أرادوا إلغاءهـا قصوا الحديد قصاً ، سألت نفسي سؤالاً لماذا قص الحديد لماذا لم ينزع ، فلما سـألت قـالوا قصه أهون ألف مرة من نزعه لأنه مثبت بالرصاص ، فلـو أن الله عـز وجـل مـا خلـق الرصاص ، هل تستطيع أن تُعامل الحديد مع الحجر .

ولاحظْ طبيب الأسنان يضع لك حشوة الضرس لونها أسود ، ففيها رصاص ، تتوسع . وخلق لك جبساً ، تصنع إسفيناً في الحائط ، تُدخل خشبة مع جبس ، فعندما يبرد الجبس يتوسع

، كل شيء يبرد ينكمش ، لكن الله خلق مواد ومعادن على البرودة يزداد حجمها ، هذا خلـق وإمداد.

خلق ماء ، لا لون له ولا طعم ولا رائحة له ، لو كان الماء لونه زهر ، لضاق الإنسان بحياته ، لو كان الماء حلواً ، لأصبح الطعام وكل شيء حلواً ، لو كان الماء لزجـاً ، بمـاذا يغسل الإنسان جسده وأشياءه، تصور ماء كالقطر ... فقد جعله الله سائلاً لا لون ولا رائحـة ولا طعم ، لو كان الماء يتبخر بدرجة مائة .. تنظف البيت ، بالشتاء يبقى للصيف حتى يبخر ، فالماء يتبخر بدرجة أربعة عشر ، اسفح كأس ماء في غرفة بعد ساعتين يتبخـر ، والمـاء يغلي بدرجة مائة لو كان يغلي بدرجة خمسمائة مثل الزيت لحرق الطعام في الطبخ .

من أعطى الماء خواصه ؟ يغلي بدرجة مائة يتبخر بدرجة أربعة ، له سيولة عجيبـة يسري في أدق المسامات ، لا لون له لا طعم لا رائحة "إنك أَنْتَ الْوهاب "..

أنتحدث عن الكون كله ، نتحدث عن العين عن الأذن ، جاؤوا بإنسـان وضـعوا لـه بصيوان أذنه شمعاً لم يعرف من أين يأتي الصوت ، هذا الصيوان لو أنـك درسـته دراسـةً هندسية ، فيه سطح بكل اتجاه ، من أين يأتي الصوت يواجه سطح يعكسـه علـى الـداخل ، ولتتأكد ضع يدك فوق الصيوان ترى أن الصوت قوي عندك ، فالصـيوان يتلقـى الأمـواج ويعكسها إلى الداخل.

من أعطاك ذاكرة صوتية ، فتعرف الأصوات وتتعرف عليها حتى على الهـاتف ؟ وإذا سحقت قطعة زجاج تحت الباب ، تنزعج وتخرج من جلدك فهذا اسمه الضـجيج وتطـرب لصوت العصفور وهذا اسمه النغم . "إنك أَنْتَ الْوهاب " .

من جعل الطعام ذا رائحة طيبة ، لو جعل الله الطعام المفيد رائحته كريهة والطعام غير المفيد رائحته طيبة ، اللحم إذا تفسخ له رائحة لا تقابل "إنك أَنْتَ الْوهاب " كيفما تحركـت ، وجودك ، المواد التي حولك ، حواسك .

من وهبنا الشمس ؟ تدفع ثمن البيت مائة ألف زيادة إن كان قـبلاً والبيـت الشـمالي أرخص بمائة ألف ، الشمس ، هذه الشمس لا تنطفئ قالوا إن عمرها خمسة آلاف مليون سنة ، وطمأننا العلماء قالوا ستبقى خمسة آلاف مليون سنة أخرى ليس لنا مشكلة مع الشـمس ، " إنك أَنْتَ الْوهاب " .

من جعل القمر في السماء تقويماً ، لتعلموا عدد السنين والحساب وكل شـيء فصـلناه تفصيلا، "إنك أَنْتَ الْوهاب " .

من جعل الرياح تتحرك ، تنشط ، وتُنعش الإنسان ، تتبدل الأجواء حينما يكـون فيهـا تلوث أو غبار أو روائح كريهة ، تحريك الرياح من نعم الله العظمى . تخزين المياه :

وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ ﴿٢٢﴾

(سورة الحجر)

مرةً أجرينا حساب فلو أراد كل إنسان أن يخزن احتياجه من الماء عن سنة تقريباً لاحتاج إلى خزان يعادل مساحة بيته تماماً ، فإذا كان بيتك مائة متر مربع فإنك تحتاج إلى خزان مائة متر مكعب ، قال الله تعالى : " وما أَنْتُم لَه بِخَازِنِين " .

تخزين المياه بالينابيع شيء لا يصدق ، صنعوا خزان ماء في نبع الفيجة ، قادوا تقليداً التخزين الطبيعي ، تحت الأرض أربعمائة متر عمقاً لا ضوء ولا صوت ولا شيء ، من خزن هذه الأمواه ؟ ، (أمواه جمع مياه). " إنك أَنْتَ الْوهاب " .

تعريف الهبة ؟ .. إذا قال رجل لآخر وهبتك هذا الكتاب بمائة ليرة هذا الكلام في الشرع عقد بيع ، ما دام قال له وهبتك هذا الكتاب بمائة ليرة ، فهذا عقد بيع ولا عبرة لكلمة وهبتك . وإذا قلت بعتك هذا الكتاب بلا ثمن ، هذا عقد هبة ، ما تعريف الهبة إذاً ، " تمليك بلا عوض " لذلك بعض الناس حتى يتهربوا من ضريبة انتقال الملكية ، صاروا يقبضون الثمن سراً والعلن هبة ، فانتبهت الدولة ووضعت ضريبة على الهبة ، فهذا ليس هبة ، هذا بيع غير مصرح به ، الهبة تمليك بلا عوض .

إذا رجل عنده ابن متدين خلوق بار بوالديه خدوم لطيف مهذب ، فإذا قال أنا تعبت في تربية ابني كثيراً ربيته وعلمته وحرصت عليه ، هذا الكلام صح أم خطأ ؟ أنا أقول لك إن هذا الكلام خطأ ، قال الله تعالى :

وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾

(سورة الإنعام)

فيعني بلا عوض ، فإذا أعطاك الله ولداً بلا عوض فهذا هبة من الله وقد تكون أعظم إنسان ، يأتيك ولد يحيرك يجعل حياتك شقاء ، وكثير من الأشخاص في أعلى مستوى من العلم ابناؤهم ضالون ، سمعت عن إمام بالمسجد النبوي إذا ذُكر بابنه يموت من البكاء ، ابنه منحرف انحرافاً شديداً، ليس باليد ، فإذا وهب الله لرجل ابناً صالحاً مطيعاً باراً فلابد أن يقبل

الأرض شكراً لله عز وجل ، فلا يعزيها لذكائه " أنا أب ناجح أنا فوق رأس أبني " إذا كـان الابن منحرفاً فمهما كنت رقيباً عليه قد يتفلت منك ، فكلمة : " ووهبنَا لهُ إسـحاقَ ويعقُـوب " تعني أنه هذا عطاء بلا عوض فأنت لم تقدم شيئاً أنت تلقيت هذه الهبة من الله عز وجل .

إذاً الهبة عبارة عن التمليك بغير عوض ، والوهاب صيغة مبالغة من وهب ، بناء على هذا التعريف هل يصح أن نقول إن فلاناً وهب فلاناً أتصدق إنساناً في الأرض يعطي شـيئاً بلا عوض ، لنفرضه مؤمناً كبيراً فعوضه الثواب من الله عز وجل ، يطمع برضاء الله عـز وجل ، يقدم شيئاً بلا مقابل ؟ ينطلق إلى خدمة الناس بلا مقابل ؟ يسعف المريض بلا مقابل ، يدرس حسبة يخطب حسبة ، يخدم بيت الله حسبة ، يقول لا أريد شيئاً ، أأنت مصدق أنـه لا يريد شيئاً ؟!

لو رجل قال لمعلم ، علم فلاناً دروساً خاصة ، وخذ على كـل درس مليـون ليـرة ، تأخذها مني ، ولا تأخذ شيئاً منه ولما ذهب أخذ من الطالب مائة ليرة ، فلما أخذ مائـة مـن الطالب فَقَد حقه عند الأول .

فالذكي لا يطلب الأجر من الناس ، بل يطلب الأجر من رب الناس فهل تصدق إنسـاناً يطلب شيئاً بلا عوض ، أعلى عوض أن تطلب رضاء الله عز وجل ، أن تطلب جنتـه ، أن تطلب ما عنده ، أن تطلب توفيقه ، إذاً لا بد من عوض .

فلا يصح أن نقول فلان وهب إلا مجازاً ، لكن الإنسان أحياناً يهب شيئاً وبنيته المديح ، فهذا هو العوض ، ثناء الناس عليه هو العوض أحياناً ينتخي أمام الناس فيدفع مبلغاً ضـخماً لجمعية خيرية ، ويتمنى أن يشيد الناس به ، يقول أنا دفعت ، أنا دفعت ، يريد لوحة رخامية ، يريد أن يقرأ اسمه ليعرف صاحب السبيل ، أو صاحب الخير ، لماذا هذا الكـلام ، يريـد عوضاً ، إذاً تمليك بلا عوض ، لا يصح إلا من حضرة الله عز وجل.

وشيء آخر إذا وهبك إنسان شيئاً فمن هو الواهب الحقيقي ، فمن ألقى في قلبـه أعـط فلاناً ؟ الله عز وجل .

أحد العلماء الأجلاء في طرابلس الشام ، يسكن في بيت أجرة ويبدو أن صاحب البيـت أراد أن يخرجه من البيت والقانون معه ، فأقام عليه دعوى واستحق الحكم ، والعالِم ليس لـه بيت وهو رجل صالح ، والقصة غريبة جداً ، فأحد كبار أغنياء طـرابلس رأى فـي المنـام رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال له اشترِ لفلان بيتاً ، وهذا الرجل ميسور الحال فما صدق ، بحث عنه حتى وجده ، فقال له انتق أي بيت .

لا تظن أن إنساناً يعطي شيئاً إلا والله عز وجل ألقى في قلبه الدافع ... أحياناً تكون أمام موظف يقول لك موافق ، فإذا أردت الحقيقة فهذه من الله ، فإذا كان الله يريد أن يؤدبك يخلـق لك ألف عقبة ، تحتاج المعاملة إلى توقيع ، تحتاج إلى تصديق من السفارة السورية في الدولة

الفلانية قال لي رجل : ثمان وثلاثين شاحنة أنزلوا بضاعتها لأنها غير مصدقة من السـفارة السورية في الدولة الفلانية .

فإذا عاونك إنسان يجب أن تعتقد اعتقاداً جازماً أن الله عز وجل ألقـى فـي روع هـذا الموظف أن يتساهل معك ، ألقى عطفاً عليك في قلبه ألقى رغبةً بمساعدتك .

بناء على هذا ألا أشكر الموظف ؟ فإذا أحدهم قدم لك خدمةً ولم تشكره فهذا من الكفـر لأنه أيضاً خدمك باختياره ، لذلك قال عليه الصلاة والسلام :

عن أبي سعيد قَالَ قَالَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من لم يشْكُرِ الناس لم يشْكُرِ الله

لأن هذا الإنسان خدمك وهو واعٍ وعاقل وخدمك بمحض اختياره، لكن الله عـز وجـل ألقى في روعه ودفعه لخدمتك ، فيجب أن تشكر الله أولاً على أنه ألقى في قلبـه رغبـةً فـي خدمتك وأن تشكر هذا الإنسان ثانياً على أنه خدمك مختاراً والنبي الكريم يقول صلى الله عليه وسلم :

عنِ ابنِ عمر قَالَ قَالَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : منِ استَعاذَ بِالله فَأعيذُوه ومن سأَلَكُم بِالله فَأعطُوه ومنِ استَجار بِالله فَأجِيروه ومن آتَى إِلَيكُم معروفًا فَكَافئُوه فَإِن لم تَجِـدوا فَادعوا لَه حتى تَعلَموا أَن قَد كَافَأْتُموه *

يعني يعرف المسلون يعرفون كلمة الله يجزيك الخير وأكثر الله خيرك ، وإن شاء الله ما نحترمك هذا كله كلام فارغ ، قدم لك إنسان خدمة يجب أن تقدم خدمة مقابلهـا أمـا إذا كنت عاجزاً لا تملك ، فالآن مقبول منك أن تقول جزاك الله عني خيراً ، وهذه كبيرة جـداً ، إذا كنت فعلاً عاجزاً عن رد جميله عاجزاً عن مقابلة هديته بهدية ، عاجزاً عن مقابلة خدمتـه بخدمة ، إذا كنت فعلاً عاجزاً وقلت له جزاك الله عني كل خير مقبولة منك .

إياك أن تظن أن القضية تمر بكلمة تقولها " أكثر خيرك فضلت " أيكفي هذا هكذا علمك الإسلام ، إنسان خدمك تقابله بكلمة أكثر الله خيرك ؟ كله دين عليك .

تعلمت هذا من موقف لسيدنا ربيعة ، فسيدنا ربيعة خدم النبي عليه الصلاة والسـلام . بعد أيام قال له يا ربيعة سلني حاجتك ، قلت سبحان الله نبي الله ، رسول الله ، ألا يستحق أن تقدم له خدمات بلا مقابل ، لقد رآها ديناً عليه ، هذا هو الكمال .

ولا تذكر أفعالك الطيبة ولا تنس كل فعل طيب أُسدي إليك ، فإذا خدمت إنساناً فالكمال يقتضي أن تنسى هذا المعروف وكأنك ما فعلته أنت فعلتَه مع الله عز وجل ، ، قال الله تعالى :

إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾

(سورة الإنسان)

أما إذا خدمك أحد خدمة فإنه يعد جريمة إذا نسيت الفضل منه " من لم يشكر الناس لـم يشكر الله " مع اعتقادك أن هذا الذي جاءك عن طريق فلان من الله عز وجـل ، أولاً ألهمـه ثانياً سمح له ، ثالثاً مكنه ، فلو ألهمه وما سمح له ، " يقول لك العين بصيرة واليد قصـيرة " وأحياناً إنسان يحب أن يخدمك ، لا يقدر ، يقول لك " لم أستطع " هو راغب فـي خـدمتك ، ألهمه ولم يسمح له ، فإذا إنسان قدم لك خدمة فهذه يجب ألا تُنسى . كما قال عليـه الصـلاة والسلام : " من أسلم على يد رجل فله ولاؤه "

الإنسان يعطيك حاجة تنتهي بانتهاء الحياة ، أما إذا ساق لك الله الهدى عن طريق إنسان ، فهذا أعطاك شيئاً يستمر معك إلى أبد الآبدين فربنا عز وجل قال :

ذَٰلِكَ ٱلَّذِى يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ۗ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٢٣﴾

(سورة الشورى)

فإذا شرب الإنسان من نبع لا يبصق فيه .

أعلمه الرماية كل يـ ـ ـوم فلما اشتد ساعده رماني
وكم علمته نظم القوافـ ـي فلما قال قافيةً هجانـ ـي

فإذا ساق الله له الهدى عن طريق إنسان ، لا يتنكر للفضل لا يتنكر للجميل ، لا يقول ما استفدنا ، فأنت لم تستفد لوحدك ، هذا من لوازم الإيمان .

فالذي ألقى في روع الإنسان أن يخدمك هو الله والذي مكن هذا الإنسان أن يخدمك هـو الله، الملهم هو الله والفعال هو الله .

ينادى له في الكون أنا نحبه فيسمع من في الكون أمر محبنا

ألم يمر معك أن إنسان خدمك وتعجبت لماذا خدمك ، لا يوجد معرفة سابقة معه ، قـد لان معك ، يسر لك أمرك ، تساهل معك ، ألم يمر معك هكذا حادث ، الله ألهمه ، هو الملهـم وهو الممكّن وهو الفعال ، إذاً موقفك السليم الموحد ، بادئ ذي بدئ ، أن تقول يـا رب لـك الحمد .

السيدة عائشة رضي الله عنه لما نزلت الآيات بتبرئتها قال لها أبوها قومي إلى رسـول الله.. قالت لا والله لا أقوم إلا إلى الله . فالنبي صلى الله عليه وسلم لم يقل شيئا ، الأصـل الله

عز وجل برأها ، ثم قامت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . رجلٌ قال ما شاء الله وشئت ، قال أجعلتني مع الله نداً ؟ ما شاء الله فقط .

قال بعض العلماء : " الوهاب من يكون جزيل العطاء والنوال ، كثير المن والأفضال " ، طبعاً المن هو العطاء ، قال بعضهم : المن يفسد المن ، جناس تام ، يقيني بالله يقيني ، إذا ملك لم يكن ذا هبة فدعه فدولته ذاهبة ، المرء تحت طي لسانه لا تحت طيلسانه ، هـذا كلـه جناس تام، وقد مر بالقرآن الكريم جناس :

وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا۟ غَيْرَ سَاعَةٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَانُوا۟ يُؤْفَكُونَ ﴿٥٥﴾

(سورة الروم)

ساعة .. ساعة . قالوا الوهاب من يكون جزيل العطاء والنوال ، كثير المن والأفضال واللطاف والإقبال يعطي من غير سؤال ولا يقطع عن العبد فضله في كل حال .

والوهاب من يعطيك بلا وسيله وينعم عليك بلا سبب ولا حيلة.

والوهاب هو الذي يعطي بلا عوض ويميت بلا غرض .

نحن عبيد لله عز وجل ، وكل ما نحن فيه فضل من الله عز وجل فيجب أن تعلم علـم اليقين أن كل نعمة أصبحتَ بها فمن الله ، وكلكم يعلم أن الشكر ثلاث مراتب ، أول مرتبة أن تعلم أن هذه النعمة من الله هذا أحد أنواع الشكر ، وأن يمتلئ قلبك حمداً لله هذا نوع آخر ، وأن تنطلق لخدمة العباد وهذا أرقى أنواع الشكر ، بالقرآن في آيات متعاكسة ، تفهـم هكـذا وهكذا، قال الله تعالى :

هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴿٦٠﴾

(سورة الرحمن)

يعني ياعبدي إذا استقمت على أمري وخدمت عبادي ودللتهم علي وراعيتهم ونصحتهم وعاونتهم وتكرمت عليهم ، فقد أحسنت لعبادي هل أنساك من إحساني ، هل جزاء إحسانك يا عبدي إلا أن أُحسن إليك ؟! الله شكور .

المؤمن إذا ما عاين من الله معاملة طيبة جداً ورآها أنها نظيـر استقامته وإخلاصـه وخدمته ، يكون عنده خال كبير وإخلاصه ضعيف جداً ، من علامة الإيمان أن ترى من آيات الله الدالة على فضله ، أنت خدمت عباده ، والله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه .

هناك آية ثانية ، قال الله تعالى :

لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ سُوٓءٗا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٖ ﴿١١﴾

(سورة الرعد)

القصص التي تؤكد أن الله وهاب كثيرة جداً في كل مكان وكل زمان لكن قصة وقعت لأحد إخوتنا الكرام يعمل في عمل دخله بالشهر ثلاثة آلاف ، له آخ مؤمن فقد عمله ، فقد دخله كلياً ، فشكا له همه ، فقال له تعال واعمل معي وخذ نصف الربح ، وهو دخله ثلاثة آلاف ، أقسم لي وهو صادق ، أول شهر ربح عشرة أمثال الدخل السابق ، عشرة أمثال " إنك أَنْتَ الْوهاب ".

لذلك أنفق بلالاً ولا تخشَ من ذي العرش إقلالاً .

لكن إياك أن تؤثر الخلق على الله ، فتنفق من دينك إكراماً للناس فهذا ليس هبة ، لا ينبغي أن تُؤْثر جهة دون الله على الله ، والخير كله في المؤاثرة .

الشبلي أحد العلماء سأل بعض أصحاب أبي علي الثقفي ، قال أي اسم من أسماء الله تعالى يجري على لسانك ، قال الوهاب ، لأنه أحد هبات الله عز وجل هو وجودك .

حظ الإنسان من هذا الاسم أن يبذل مما آتاه الله عز وجل ، من علمه من خبرته من وقته من عضلاته من جهده من مكانته من جاهه ، هذا الذي يستفاد من هذا الاسم .

والحمد لله رب العالمين

الـ ـ درس ١٢ – اسم الله : " الرزاق " .

بسم الله الرحمن الرحيم

مع الدرس الثاني عشر من دروس أسماء الله الحسنى والاسم اليوم هو الرزاق . ورد هذا الاسم في قوله تعالى :

إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾

(سورة الذاريات)

والرزاق كما تعلمون صيغة مبالغة ، وإذا جاء اسم الله عز وجل بصيغة المبالغة فمعنى أنه يرزق العباد جميعاً مهما كثر عددهم ويرزق الواحد منهم رزقاً وفيراً لا حدود له ، إما على مستوى مجموع المرزوقين ، وإما على مستوى كمية الرزق ، لذلك لم تأت الرازق بل أتت الرزاق ، لأنه يرزق كل العباد ويرزق العبد الواحد كل شيء ، إذا أعطى أدهش .

وورد هذا الاسم في قوله تعالى على شكل فعل مضارع :

وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ

(سورة العنكبوت الآية ٦٠)

ومن دعاء سيدنا داود عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام ، اللهم يا رازق البغاث ، (للبغاث قصة) ، والبغاث فراخ الغراب ، أضعف أنواع الطير ، والمثل العربي الشهير : "إن البغاث بأرضنا يستنسر" ، لشدة ضعفنا صار البغاث وهو أضعف الطيور صار أمامنا كالنسر .

هذا البغاث فرخ من فراخ الغراب فإذا انفقأت البيضة عنه خرج البغاث أبيض كالشحمة ، يعني قطعاً من الشحم ، فإذا رآه الغراب أنكره لبياضه ، لأن الغراب أسود اللون ، فيسوق الله تعالى له بعض الحشرات يتغذى عليها إلى أن ينبت ريشه ويسود لونه عندئذ يتعرف عليه الغراب .

فمن أغرب هذه القصص أن فراخ الغراب وهي البغاث عبارة عن شحمة بيضاء لا تقوى على شيء والله سبحانه وتعالى يسوق لها الرزق ، إذاً ورد في بعض الأدعية يا رازق البغاث في عشه .

الحقيقة الرزق من الخطأ والسذاجة أن تحصره في الطعام والشراب قال :

فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّاۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيۡهَا زَكَرِيَّا ٱلۡمِحۡرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزۡقٗاۖ قَالَ يَٰمَرۡيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَاۖ قَالَتۡ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴿٣٧﴾

(سور آل عمران)

فقال العلماء: " رزق الأبدان بالأطعمة ورزق الأرواح بالمعرفة "، والمعرفة أشرف الرزقين فإذا خصك الله بدخل وفير أكلت به أطيب الطعام وخص عبداً آخر برزق المعرفة فاعلم علم اليقين أن العبد الآخر أكثر حظوةً عند الله منك لأنه منحه رزق النفوس رزق الأرواح وهي المعارف ، قال الله عز وجل :

وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ وَٱسۡتَوَىٰٓ ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٤﴾

(سورة القصص)

هذا هو الرزق .. وقد ورد في بعض الأحاديث : " أبيت عند ربي يطعمني ويسقيني " وكأن النبي عليه الصلاة والسلام استعمل كلمة الطعام والشراب للرزق الروحي وهو أشرف أنواع الأرزاق .

يا أيها الإخوة الأكارم .. بشارة : من أسباب سعة الرزق الصلاة .. ما الدليل .. قال الله عز وجل :

وَأۡمُرۡ أَهۡلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصۡطَبِرۡ عَلَيۡهَاۖ لَا نَسۡـَٔلُكَ رِزۡقٗاۖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُكَۗ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلتَّقۡوَىٰ ﴿١٣٢﴾

(سورة طه)

استنباط من الآية لطيف جداً ، فإذا أردت أن يزداد رزقك لن أقول لك صل فأنت مصلٍ إنما أقول لك أتقن صلواتك ، فالخشوع من فرائض الصلاة لا من فضائلها ، وربنا عز وجل حينما أثنى على المؤمنين ، قال الله تعالى :

قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾

(سورة المؤمنون)

ومن آداب العبودية أن يرجع العبد إلى ربه في كل ما يريد ، في الأشياء النفيسة وفي الأشياء الخسيسة ، هذا من آداب العبد مع الله عز وجل ، أن يرجع إليه في كل شيء خسيساً كان أو نفيساً ، أي إن الله يحب من العبد أن يسأله شسع نعله إذا انقطع .. ضيعتَ مفاتيح البيت قل اللهم يا جامع الناس ليوم لا ريب فيه ، اجمع بيني وبينهم ، اسأله الأشياء الخسيسة كما تسأله الأشياء النفيسة .. إذا أضعت مكان موعد اللقاء مثلاً..

ذكر لي أحد الأخوة توجه إلى المدينة المنورة ونسي العنوان الذي سوف يتوجه إليه فدعا الله في الطريق فساقه إلى البيت بشكل يسير بينما إنسان آخر بقي عشر ساعات ضائعاً عن مكان البيت .

إذاً اسأله الأشياء الخسيسة كما تسأله الأشياء النفيسة ، وهذا من تمام العبودية لله عز وجل.

الدليل .. سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام ماذا سأل الله ، قال رب أرني أنظر إليك ، فهذا من الأسئلة النفيسة من أرقى الأسئلة ، ولما جاع قال : " إِني لِما أَنزلْتَ إِلَي من خَيرٍ فَقير "، وهذا دليل على أن العبد يجب أن يسأل ربه كل شيء .

سيدنا علي رضي الله عنه يقول : " لستَ مطالباً بطلب الرزق ولكنك أمرت بطلب الجنة " فما الذي فعلته ، تركت ما أمرت بطلبه وطلبت ما أُمرت بتركه ، هذه مشكلة الناس ، والله سبحانه وتعالى ضمن لهم الرزق بأدلة كثيرة ، قال الله تعالى :

إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿٥٨﴾

(سورة الذاريات)

ٱللَّـهُ ٱلَّـذِى خَـلَقَكُمْ ثُـمَّ رَزَقَكُـمْ ثُـمَّ يُمِيتُكُـمْ ثُـمَّ يُحْـيِيكُمْ ۖ هَلْ مِن شُـرَكَآئِكُم مَّـن يَفْعَـلُ مِـن ذَٰلِكُـم مِّـن شَـىْءٍ ۚ سُـبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَـىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٠﴾

(سورة الروم)

وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَـٰدَكُم مِّنْ إِمْلَـٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾

(سورة الأنعام)

وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَـٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَـٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴿٣١﴾

(سورة الإسراء)

أدلة كثيرة .. قال الله تعالى :

﴿٢١﴾ وَفِـى ٱلسَّـمَآءِ رِزْقُكُـمْ وَمَـا تُوعَـدُونَ ﴿٢٢﴾ فَـوَرَبِّ ٱلسَّـمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّـهُۥ لَحَـقٌّ مِّثْـلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُـونَ ﴿٢٣﴾

(سورة الذاريات)

إذاً ربنا سبحانه وتعالى طمأننا بأنه تكفل لنا رزقنا ، ومع ذلك يجهد الناس ويبيعون دينهم بعرض من الدنيا قليل من أجل الرزق ، " خلقت السماوات والأرض ولم أعي بخلقهن أفيعييني رغيف أسوقه لك كل حين ، لي عليك فريضة ولك علي رزق ، فإذا خالفتني في فريضتي لم أخالفك في رزقك " . تكّفل لنا بالرزق وأمرنا أن نسعى للدار الآخرة ، فقال:

وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَـٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾

(سورة النجم)

ماالذي يحصل ، إن الذي كُلفت في طلبه توانيت في طلبه والذي ضمنه لك سعيت إليه .

إذاً أقبلوا على ما كُلفتم ودعوا ما ضمن لكم ، سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام يقول فيما تروي بعض الكتب : " لا تغتموا لبطونكم ".

إنسان توفي أخوه وترك لهم خمسة أولاد ليس له مورد رزق ، فصار يبكي ، ثم التقى بشيخه فقال له ما بالك يا ولدي ، قال توفي أخي وترك لي خمسة أيتام ، قال ألم يترك لهم شيئاً ، قال بلى شيئاً يكفيهم سنة قال جيد حينما تنتهي هذه المؤونة ابدأ بالبكاء . وتروي المقولة إن هذا الرجل توفي قبل أن ينتهي الرزق بثلاثة أشهر .

أعرفُ شخصاً سيهدم منزله ، لسبب تنظيمي ، فضاج وزمجر وأرعد ، وتمزق وبكى واستعطف ، وقد وعد وعداً قطعياً بتأمين بيت لائق له ، رغم كل الوعود والمواثيق بقي مضطرباً وضجِراً ومات بعد أشهر عدة قبل أن يهدم بيته .

الإنسان لا ينبغي له أن يهتم للشيء أكثر مما ينبغي .

قال بعض العلماء : " الرازق من غذّى نفوس الأبدان بتوفيقه ، وحلى قلوب الأخيار بتصديقه " ، دائماً الرزق رزقان رزق الأبدان ورزق النفوس ، وقال عليه الصلاة والسلام : " إذا أحرزت النفس قوتها اطمأنت "

وبعض العلماء فسر القوت برزق الأرواح ، يعني إذا صليت صلاةً وأعجبتك ، إذا صليت وبكيت إذا قرأت القرآن وخشع قلبك تطمئن فمعناها أنك قريب من الله عز وجل ، وأن هناك حياة ونبض ، وأن هناك شيئاً من الإخلاص حتى خشعت ، إذاً إذا أحرزت النفس قوتها اطمأنت، بالمعنى الأول والمعنى الثاني .

قال بعض العلماء : " الرزاق من خص الأغنياء بوجود الرزق "، ترى الغني أن المال بين يديه كثير ، يأكل ما يشتهي يشتري أجمل بيت يقتني أجمل أثاث ، يذهب إلى أي مكان يشاء ، يختار أجمل مركبة ، يختار أجمل الثياب ، يختار أجمل المصايف . قال : " الرزاق هو الذي خص الأغنياء بوجود الرزق ، وخص الفقراء المؤمنين بشهود الرزاق ".

أعطاك طعاماً وأعطى الغني طعاماً وشراباً وبيتاً ودخلاً ومركبة وأعطى الفقير المؤمن شهود الرزاق ، إما أن تجد الأرزاق وإما أن تشهد الرزاق ، المجموع ثابت ، هناك نظرية رائعة جداً ، معناها لو جمعت كل شيء أعطاك الله إياه وجمع الآخَر كل شيء أعطاه الله إياه

لكان مجموع الاثنين واحداً ، فإذا أخذ منك بعض البحبوحة عوضك عنها ببعض التجلي، وإذا أغرقك في النعيم المادي حرمك من نعيم القرب .

فهناك توازن يعبرون عنه بأن المجموع واحد والمجموع ثابت ، وهناك نظرية أخرى ليست في المعنويات في الماديات ، فلو أعطى الإنسان علامة للزوجة والبيت علامة والدخل علامة ولوظيفته علامة ولصحته علامة ولوسامته علامة ، تجد أن معظم الناس ينالون مجموع علامات واحد لكن متفاوتة فيما بينها ، مثلاً ثمانية على الزوجة اثنان على الأولاد خمسة على الرزق فالمجموع خمس عشرة ، اثنتان على الزوجة ثمان على الأولاد خمس على الرزق المجموع خمس عشرة ، عشر على الرزق ثلاث زوجة اثنان على الأولاد المجموع خمس عشرة، فلو دققت ترى من له دخل أقل من حاجته هو منعم براحة البال التي لا يحلم بها من آتاه الله زرقاً وفيراً ، يؤكد هذا قوله عليه الصلاة والسلام : " خذ من الدنيا ما شئت وخذ بقدرها هماً ومن أخذ من الدنيا فوق ما يكفيه أخذ من حتفه وهو لا يشعر " .

شيء آخر عن الرزق ، الزرق أيها الإخوة في أدق تعاريفه هو ما ينتَفع به : المال ينتفع به ، العلم ينتفع به ، الخلق ينتفع به ، شعور القلب بالطمأنينة ينتفع به ، في أدق تعاريف الرزق، الرزق ما ينتفع به .

جاء رجل إلى حاتم الأصم ، فقال من أين تأكل ، فقال من خزائنه فقال الرجل أيلقي الله عليك الخبز من السماء ، فما هذا الكلام ، قال لو لم تكن الأرض له لألقى علي من السماء الخبز، يرزقني من الأرض " هكذا تجد أن الإنسان حينما يطلب الرزق من الله عز وجل فالله يسوق له الرزق، يلتقي بإنسان صدفة يسأله أتعمل ، يقول لا ، يقول له هناك عمل .

الموضوع طويل وله آلاف الشواهد ، قد ترزق من حيث لا تحتسب قد ترزق بسبب تافه جداً قد ترزق بنظرة ، قد ترزق برسالة جاءتك خطأً قد ترزق ببضاعة كاسدة .

سمعت أن أحد تجار البزورية في الحرب العالمية الثانية باع السكر بزيادة قليلة فجاءت الضابطة فأغلقت المحل بالشمع الأحمر ، إلى أن انتهت الحرب تضاعف السعر مائة ضعف فاغتنى إلى ولد ولده كما يقولون، فقد ترزق بشيء مزعج ، فالله عز وجل هو الرزاق ذو القوة المتين .

الشيء الدقيق أنك إذا علمت أن الله هو الرزاق ذو القوة المتين أفردته بالقصد ، الناس أحياناً يتجهون إلى زيد إلى عبيد إلى فلان إلى هذه الجهة يطمعون ليأخذوا ، ولكن إذا علمت أن الله وحده هو الرزاق تفرده بالقصد ولا تسأل أحداً سواه ، تكسب العزة والكرامة والطمأنينة والحظوة عند الله عز وجل .

قيل لإنسان آخر من أين تأكل قيل من خزائن ملك لا تدخلها اللصوص ولا يأكلها السوس ، خزائن الله عز وجل مفتوحة وخزائنه مملوءة وخزائنه فيها كل شيء ، والدليل . قوله تعالى :

وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾

(سورة الحجر)

من أسخف النظريات أن يقول الإنسان إن موارد الأرض تشح ، إن الأرض مهددة بمجاعة، إن ازدياد السكان ازدياد هندسي ، "مالتوس" يقول الانفجار السكاني سيوقع الناس بمجاعة كبيرة ، هذه كلها كلمات من لا يعرف الله عز وجل ، لأن كل تقنين أو تقتير أو تقليل في الرزق هو تقليل وتقنين من نوع التأديب لا من نوع العجز ، والإنسان وحده إذا قنن فعن عجز أما الإله إذا قنن فلغاية التأديب فقط .

امرأة أحد العارفين بالله قيل لها كيف يرزقك زوجك قالت زوجي ليس رزاقاً بل كيال .

فمن الأخطاء الشائعة أخطاء في التوحيد ، يقولون فلان معيل ، أي عنده عائلة كبيرة ، والصواب فلان معال وليس معيل ، المعيل هو الله عز وجل ، والناس كلهم على مائدة الرحمن .

كما قلت قبل قليل إن الله عز وجل خص الأغنياء بوجود الأرزاق وخص الفقراء بشهود الرزاق ، فمن شهد الرزاق ما ضره ما فاته من الأرزاق ، من علامة المؤمن أنه إذا عرف الله ووصل إليه ما تألم على شيء فاته من الدنيا قط ، إذا تألمتَ ألماً شديداً وإذا احترق القلب حرقة لاذعة على شيء فاتك من الدنيا فهذه علامة أنك لا تعرف الله وأنك ما وصلت إليه ، فلو وصلت إليه لما تألمت ولما حزنت على شيء فاتك من الدنيا إطلاقاً ، وقد قيل إن سيدنا الصديق رضي الله عنه ما ندم على شيء فاته قط ، أحياناً تجلس مع إنسان تحس قلبه يحترق ندماً لأن هذه الأرض باعها ثم أصبح سعرها مائة ضعف ، متألم ألماً شديداً ألماً لا حدود له - بل إن معظم الأمراض اليوم أمراض القلب والشرايين أمراض المعدة وأمراض الأعصاب وأمراض الأوعية ، هذه الأمراض أكثرها بسبب الآلام والندم ، دائماً يتألم ، أما إذا شهدت الرزاق ما ضرك ما فاتك من الأرزاق .

ومن عرف أن الرزاق واحد قصده ولم يسأل أحداً سواه ، كلكم يعرف القصة التالية أن أحد خلفاء بني أمية طلب عالماً جليلاً ليلتقي به ، فالتقى به ، فأراد هذا الخليفة أن يكرم هذا العالم، قال له سلني حاجتك ، فقال والله إني لا أسأل غير الله في بيت الله ، فهذا بيت الله أستحي أن أسأل أحداً سواه ، فلما التقى به خارج المسجد قال له سلني حاجتك ، قال والله ما

سألتها من يملكها أفأسألها من لا يملكها ؟ فلما أصر عليه ، قال أطلب منك الجنة ، قال هذه ليست لي ، قال إذاً ليس لي عندك حاجة .

هذا العز عزة التعفف ، فما أجمل أن يعطي الغني الفقير ، والأجمل من ذلك أن يتعفف الفقير عن مال الغني وأن يقول الحمد لله .

قال بعض العلماء : " كما أن الله لا شريك له في خلقه ، لا شريك له في رزقه ، كما أنه لا إله إلا الله ، أيضاً لا رازق إلا الله .

يقولون دائماً إذا أعطى أدهش .

ولو كانت الأرزاق تجري مع الحجى هلكن إذاً من جهلهن البهائم

ترى إنساناً ذكياً جداً رزقه قليل وقد تجد إنسان في منتهى البساطة والسذاجة رزقه وفير ، فمعناها الرزق له عامل آخر غير عامل الذكاء وعامل السعي ، لكن تأكدوا أن للرزق علاقةً بالاستقامة ، العوام يفهمون أن هذا الرزق مكتوب ولا حيلة لأحد في كسبه ودفعه ، هذا الكلام صحيح من جانب واحد ، فالله يقول :

وَأَلَّوِ ٱسْتَقَـٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَـٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾

(سورة الجن)

وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَـٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَـٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَـٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾

(سورة الأعراف)

" قد يحرم المرء بعض الرزق في المعصية " حديث شريف .. إذا أردنا أن نوضح هذه الحقيقة ، مثلاً إذا رأيت أن ابنك ليس أهلاً لتملك المال، فإنك تعطيه الحد الأدنى ، تعطيه مبلغاً يسيراً يكفي حاجاته الضرورية ، أما إذا كان ابنك من أهل الصلاح ، ورعاً واستقامةً واتزاناً وحكمةً تقول له أبق معك الخمسمائة ليرة لا شيء عليك ، أما خمسمائة لولد آخر يذهب لأماكن لا ترضي الله عز وجل تعطيه ثمن شطيرة ثمن ركوب سيارة ، الحد الأدنى .. لذلك قال الله تعالى:

۞ وَلَوۡ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزۡقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٖ مَّا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرُۢ بَصِيرٞ ٢٧

(سورة الشورى)

الفكرة خطيرة وهامة جداً ، التقنين تقنين تأديب لا تقنين عجز ، أو الأصح من ذلك التقنين تقنين حكمة لا تقنين حاجة .

يروى في بعض الكتب أن سيدنا موسى عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام ، سأل الله في مناجاته ، قال يا رب إني تعرض لي الحاجة الصغيرة أحياناً ، أفأسألها منك أم أطلبها من غيرك ، أي أن الإنسان أحياناً يحتاج شيئاً بسيطاً ، فمرةً حدثني طبيب ناشئ أول ما فتح عيادة له ووالدته مريضة في دمشق وهو في بلد آخر ، يحتاج لمبلغ معين، فقال يا رب أريد المبلغ الفلاني، فعلى خلاف العادة أتاه مريض وراء مريض .. إلى أن اجتمع المبلغ بكامله .

الإنسان أحياناً عليه دفع .. ليقل يا رب ليس عندي فأعطني ، عود نفسك الطلب من الله فإذا رأيت الزوجة متصلبة برأيها فقل يا رب .. رأيت الشريك مزعج .. فقل يا رب لطفه .. وجدت الابن منحرف .. يا رب أدبه .. وجدت العمل مزعج .. فقل يا رب بدله لي ، عود نفسك أن تسأل الله عز وجل كل شيء . قال يا رب إني لتعرض لي الحاجة الصغيرة أفأسألها منك أم أطلبها من غيرك ؟ فأوحى الله تعالى إليه ، لا تسل غيري .

أحياناً الإنسان مع أخيه المؤمن يقول إكراماً له : إياك أن تسأل أحداً غيري ، كلما سنحت لك حاجة تعال إلي وخذها مني ، هذه منتهى المودة ، فإنك إذا أحببت إنساناً حباً شديداً ، فإنك لا ترضى أن يبذل ماء وجهه لغيرك ، فإنك تقول له إياك وأستحلفك بالله أية حاجة تعرض لك فأت إلي ، وكأن الله عز وجل لشدة حرصه علينا وحبه لنا قال لا تسأل غيري .

يحكى عن حماد بن مسلمة أنه قال ، كان في جواري امرأة أرملة لها أيتام ، وكانت ليلة ذات مطر ، فسمعت صوتها ، تقول يا رفيق أرفق بحالي ، قال فخطر ببالي أنها أصابتها فاقة ، فصبرتُ حتى احتبس المطر ، فحملتُ معي عشرة دنانير ، وقرعت عليها الباب ، فقالت : حماد بن مسلمة؟ " يبدو أنه معروف بالصلاح " فقلت نعم حماد ، كيف الحال ، فقلت في خير وعافية، احتبس المطر ودفي الصبيان ، فقال خذي هذه الدنانير وأصلحي بها بعض شأنك .. عندها بنية صغيرة ، صاحت هذه البنية ، لا نريد يا حماد أن تكون بيننا وبين الله ، ثم قالت لأمها لما رفعت صوتك بإظهار السر علمت أن الله يؤدبنا بإظهار الرفق على يد مخلوق .

أحياناً ينالك الخير من الله مباشرة ففيها عز ، لا أحد له عليك منة وأحياناً أنت تشتكي ، فإذا اشتكيت لمؤمن قد يرق لك قلب هذا المؤمن لكن الآن سيأتيك العطاء لا من الله مباشرة عن طريق هذا المؤمن فإذا اشتكيت إلى كافر يشمت بك وقد يعطيك ، لكن هذا منتهى الإهانة أن يعطيك عن طريق كافر ، فإذا كان هناك منظر يهز أعمق مشاعري أن أرى مؤمناً يتذلل أمام كافر ، يبذل ماء وجهه ، يتشكى ، يتطامن يتضعضع ، والآخر يشعر أنه لو الإيمان ينفع لما اشتكيت إلي ، كأنه يشمت بك .

فمن اشتكى لمؤمن فكأنما اشتكى إلى الله ، ومن اشتكى إلى كافر فكأنما اشتكى على الله ، وأرقى أنواع الشكوى أن لا تشتكي ..

قَالَ إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٨٦﴾

(سورة يوسف)

أحدهم شعر بآلام بجسمه آلام لا تحتمل ، لو قال لزوجته أو لبناته أو لأولاده ، فإنهم يتعاطفون معه ويتأثرون ، من يستطيع أن يوقف هذا الألم ؟ الله وحده .

هناك أشخاص يصبرون يكابرون ، لا يحبون أن يشركوا أحداً في مصيبتهم ، هذا مستوى من المستويات ، ولكن لا مانع إذا اشتكى الرجل لزوجته ، هذا ليس موضوع حلال وحرام ، ولكن هذا كلما رقت النفس وشفت ، ترى أن الله عز وجل هو وحده يشتكى إليه ، " قال يا إبراهيم ألك حاجة ؟ قال منك ؟ قال لا من الله ، قال علمه بحالي يغني عن سؤالي ".

فالله يراك ، ويعرف وضعك ودخلك يعرف ألمك يعرف مرضك يعرف مشكلتك مع زوجتك، يعرف مشكلتك مع شريكك ، يعرف بعد بيتك، يعرف سوء الموصلات ، يعرف أنك أوصلت فلان والوقود غالٍ .

فالله يعرف كل شيء . فالله يقدر الليل والنهار ، فكلما شفت نفسك وكلما أقبلت على الله تستغني به عما سواه ، تشعر بعزة النفس فالمؤمن يمتلئ عزة يمتلئ إيماناً وغنى ونشوة وعزة وكرامة .

تحدث لي أن شخصاً مهماً يدنّي نفسه لعرض من الدنيا قليل ، فمرة نظرت فوجدت أمام أحد المصارف ازدحام كبير ، أكثر من خمسمائة شخص الساعة الثانية والنصف ، بأشد أيام الحر ، فسألت ما القصة ، قالوا هناك تسجيل على السيارات ، الساعة السادسة مساء ، فهم واقفون من الساعة الثانية بدورهم .

الإنسان أمام مصالحه وأمام المكاسب الدنيوية يتجشم المشاق ، لكن أمام عباداته وأمام الأعمال الصالحة ، فدائماً يميل إلى الراحة والى الكسل ، " قالت لأمها يا أمي ، لما رفعت صوتك بإظهار السر علمت بأن الله يؤدبنا بإظهار الرفق على يد مخلوق " . هناك دعاء بهذا

المعنى " يا رب ارحمني رحمة من عندك " ، من عند الله مباشرة ، أحياناً ربنا يؤدب ولكن تأديب فيه ستر ، آلام داخلية والمظهر ليس به شيء ، وأحياناً مرض جلدي كلما التقيت مع إنسان " يقول لك خيراً إن شاء الله ما هي القصة ، أين تعالجت ، أنت تريد بالناقص كلمة ، يعطيك الناس كلمة زائدة ، أحياناً الإنسان لا يحب أن تنتشر مشكلته بين الناس ، ولكن الله أحياناً يرسل مشكلة من شأنها أن تنتشر ، وأحياناً ربنا يؤدب الإنسان تأديباً داخلياً ، تأديباً مباشراً " .. يا رب اغفر لي مغفرةً من عندك " أي يا رب إذا أردت أن تؤدبني فأدبني سراً ، أي بينك وبين الله "، كيف ترى ، هذا العقاب من هذا العمل ..

حدثني شخص أثق بإيمانه وأعلم أنه يغض بصره عن محارم الله سافر إلى أوربا ، قال في مطار لارنكا في قبرص ، طائرة سويدية نزل منها نساء بزي واحد وعدد كبير جداً ، قال كيف خانتني عيني ونظرت لا أدري ، وبعد ذلك ركب سيارة أجرة ثم دفع للسائق أجرة بعملة أجنبية ، فالسائق ساقه إلى مخفر شرطة ، فدخل وتكلم مع عناصر الشرطة ، خرج اثنان فأخذوه ووضعوه في قفص صغير ، هو شخصية مهمة جداً وذاهب إلى مؤتمر ويتقن لغتين ، فما هذا الذي وقع فيه ، قال والله بكيت ، فوقع في قلبه نداء " لماذا نظرت إليهن " .

فأحياناً الله عز وجل يغفر لك مباشرة من دون سجن ومن دون إهانة وأحياناً هناك عذاب مهين .

مرةً رأيت في الطريق شخصاً يرتدي أجمل الثياب وعمره من فوق الخمسين سنة ، تقاول مع الشرطي ، من أجل المرور ، فجاء الضابط فلطمه لطمتين على وجهه ، فالآن كلما أذكر المشهد أمام الناس يرتدي بدلةً كحلي وأزرار معدن وأنيق جداً ، قلت إن الله عز وجل عنده عذاب مهين وعنده عذاب أليم وعنده عذاب عظيم ، وذلك في الآخرة ، بالدنيا عذاب أليم عذاب مهين ، هناك آلام للسرطان لا تحتمل ، وآلام نوبات الرمل لا تحتمل، فالله قال : " وإِذَا مس الإِنْسان " ، المس عندما يلمس الإنسان المكواةَ احتياطاً يبلل يده بلعابه ويضع إصبعه على المكواة بأقصر زمن ممكن وبأبعد مكان ممكن ، هذا هو المس ، فربنا إذا مسنا بألم لا نحتمل فكيف إذا سلطه عليه ، فالإنسان ضعيف .

بعضهم تسمو هممهم فلا يطلبون من الله إلا الحوائج النفيسة يقولون يا رب ارزقني الجنة، يا رب ارزقني أن أعرفك ، يا رب لا تمتني قبل أن ترضى عني ، دائماً طلباتهم متعلقة بالجنة والمعرفة وفهم القرآن وإتمام التفسير ، وهناك أشخاص يقولون يا رب يخرج المستأجر من داري ، يا رب .. فناس يطلبون أشياء نفيسة وناس يطلبون أشياء خسيسة ، هذا اجتهاد .

هناك من يقول " لا أطلب من مولاي غير مولاي ، وأما الحقير أطلبه من الحقير " أي لا أطلب من الله إلا الله ، وإذا كان شيء حقير أطلبه من إنسان عادي .

يحكى أن امرأة يحيى بن معاذ قالت ليحيى لقد رأيت العجب العجاب إن بنيتي طلبت مني شيئاً تأكله مع الخبز ، فقلت لها سلي من الله قالت ابنتها " إني أستحي من الله أن أسأله ما آكل " هذا اجتهاد آخر، لك أن تأخذ بالأول أو بالثاني ، ولكن الحديث الشريف :

عن ثَابِت الْبنَاني أَن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قَالَ : لِيسأَلْ أَحدكُم ربه حاجتَه حتى يسأَله الْملْح وحتى يسأَله شسع نَعله إِذَا انْقَطَع *

وهناك تعليق ، أن هذه الصبية الصغيرة تستحي أن تسأل الله مباحاً وهذا الشيخ الطاعن في السن لا يستحي أن يعصي الله .

والله هناك منظر لا يصدق إنسان في الستينات يلعب الطاولة في القهوة تارك للصلاة ، وإنسان متصابٍ بالخمسينات يتزين أمام الفتيات أو واقف على محل أو على شرفة أو على طريق ينظر إلى النساء أو على مقهى رصيف جالس ينظر إلى النساء ، شيء عجيب ، قال عليه الصلاة والسلام في بقية هذا الحديث " ... وأُبغض العصاة وبغضي للشيخ العاصي أشد".

إن الله عز وجل يرزق الأرواح والسرائر كما يرزق الأشباح والظواهر ، أؤكد لك إذا أنت صليت صلاة صحيحة ، أو إذا أكرمك الله بالحج مثلاً ، وقف في عرفات وبكى حتى انتشى ، يبقى أحياناً شهراً في نشوة هذا البكاء ، أو هذا القرب أو هذه الرحمة ، إذا صلى فرض صلاة وشعر أن هذه الصلاة جيدة ، هذه الصلاة التي أرادها الله عز وجل شعر بخشوع فتح الله عليه في فهم ما تلا من قرآن ، هذه أرزاق ، إذا صام رمضان صياماً مقبولاً وشعر أن صيامه كان صحيحاً ، ليس فيه معاصيٍ ، كان منيباً إلى الله فيه ، وصلى التراويح بنشاط ، يقول لي بعض الإخوة الأكارم لو كان التراويح خمسين ركعة نحن في سرور طبعاً صيامه صحيح مستقيم أثناء النهار ، أكل قليلاً ، نام قليلاً عصراً ، جاء إلى التراويح نشيط.

قال إن الله يرزق الأرواح والسرائر كما يرزق الأشباح والظواهر وأرزاق القلوب الكشوفات والمعاني كما أن أرزاق الأجساد الغذاء والأحاظي، جمع حظوةً ، الكشوفات أي أن المؤمن يرى مالا يرى الآخرون عنده رؤيا ، عنده شعور ، يعرف جوهر الحياة ، يعرف أين كان وإلى أين المصير ، يعرف أثمن ما في الحياة .

أحياناً الإنسان يضيع وقته بأشياء تافهة وأحياناً يمضي وقته بأشياء ثمينة ، وهذا أيضاً رزق ، هناك نقطة ثانية ، وهي عكس الرزق ، فكما أن الله عز وجل يضيق على العبد رزقه ، قال الله تعالى:

﴿١٤﴾ فَأَمَّا ٱلۡإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكۡرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ
أَكۡرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيۡهِ رِزۡقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَهَٰنَنِ
﴿١٦﴾ كَلَّاۖ بَل لَّا تُكۡرِمُونَ ٱلۡيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلۡمِسۡكِينِ
﴿١٨﴾ وَتَأۡكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكۡلٗا لَّمّٗا ﴿١٩﴾ وَتُحِبُّونَ ٱلۡمَالَ حُبّٗا جَمّٗا ﴿٢٠﴾

(سورة الفجر)

تراه ذكياً ، يحمل شهادة عليا ودخله قليل ، ليس له وظيفة ولا عمل هذا بتقدير الله عز وجل ، فكما أن الله عز وجل ، يضيق على العبد رزقه المادي أحياناً يضيق عليه رزقه الروحي، يصلي صلاة لا معنى لها جوفاء ليس فيها خشوع ، يشرد في الصلاة ، قال لي شخص ، إذا كنت غلطان بالمحاسبة لا أذكرها إلا في الصلاة ، هناك أمر غير مسجل يصلي فيلقاها في الصلاة ، قال لي بالصلاة كل المشكلات تأتي إلى خاطري ، معناها هناك سد ، كما أن الله عز وجل يضيق على العبد رزقه المادي أحياناً يضيق عليه رزقه الروحي ، هذا التضييق له تفسيران، الأول أن هناك معصية هناك مخالفة هناك تقصير هناك حقوق لم تؤدها ، هذا الحجاب ، كل معصية لها حجاب ، وهناك تفسير آخر ، قد تكون مستقيماً على أمر الله لكن هذا التضييق سببه التعطيش وصلتَ لمرتبة أنت راغب بأن تبقى فيها ، والله عز وجل أراد لك أن ترتقي عن هذه المرتبة ، فكيف تنتقل من مرتبة إلى مرتبة ، يحجب الله عنك الأحوال والمواجيد والتجليات ، تضج تقلق ، تخاف تشمر وتعمل الصالحات ، تصعد درجة ، تعيش فيها فترة لا بأس بها ثم تألفها وترضى بها، لكن الله لا يرضى لك هذه الحالة المستمر ، يحجب عنك الأحوال ، فلا صلاتك صلاة ولا ذكرك ذكر ولا تلاوتك تلاوة ، قلب متصحر ، مالٌ فيه ضيق واشمئزاز ..

هو مستقيم ، ولكن لا يوجد أحوال ولا سرور ولا تجليات ولا مشكلة تنطلق إلى العمل الصالح فترفع مستوى عملك الصالح فتقفز قفزة إلى أن تبلغ أعلى درجة أرادها الله لك بهذه الطريقة ، إذاً هذا تفسير قد يضيق الله على عبده رزق الأرواح .

قال أحدهم دخلت على داوود الطائي فرأيته منبسطاً ، أحياناً ترى إنساناً طليقاً مسروراً مرحاً وجهه فيه تألق ، على خده تورد في عينيه لمعان ، طليق اللسان ، حركاته خفيفة ، هذه صفات المنتشي دائماً وقبل أن أتابع القصة لي هذه الملاحظة ، أنت كمؤمن ، إن سعدت بقربك من الله عز وجل فأنت مؤمن ورب الكعبة ، إذا كانت نشوتك وسرورك وطلاقتك وراحة نفسك وجدتها بإقبالك وقربك ، فهذه علامة إيمانك ، أما إذا تألقت عيناك وتورد خداك

وانطلاق لسانك لأرباح حققتها أو لمكسب وصلت إليه فهذه علامة أخرى ، فمن أنت ؟ أمن أهل الدنيا أم من أهل الآخرة ؟ إذا سرك عطاء البشر فأنت من أهل الدنيا ، أما إذا سرك عطاء الله عز وجل فأنت من أهل الآخرة .

قال دخلت على داود الطائي فرأيته منبسطاً ، وكنت إذا دخلت عليه أراه منقبضاً ، المؤمن إذا أنكر قلبه وضعفت صلته بالله عز وجل يصبح كاليتيم ، تراه هادئاً ، خير إن شاء الله ، ما في شي ، قال الحسن البصري إذا تلوت القرآن وذكرتَ الله عز وجل وصليت ولم تجد شيئاً فاعلم أنك محجوب ، قال الله تعالى :

كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾

(سورة المصففين)

ذاك حجاب الآخرة ، ولكن في الدنيا حجاب ، إذا شعرت أنك محجوب انتبه وابحث عن السبب ، لعلك مقصر لعلك معتَد بنفسك لعلك مستغنٍ عن الله لعلك وقع في نفسك سوء ظن بالله وأنت لا تدري لعلك وقعت في سوء ظن بالنبي عليه الصلاة والسلام وأنت لا تدري ، فإذا شعرت أن بينك وبين الله حجاب فابحث عن السبب وإياك أن يزداد الحجاب، والحجاب يرق ويثخن ، فإذا كان الحجاب كثيفاً فالمشكلة خطيرة جداً ، كما قال سيدنا عمر " تعاهد قلبك " ، يعني راقب قلبك راقب أحوالك راقب طمأنينتك ، لو أن إنساناً استيقظ بعد صلاة الشمس فإذا لم يشعر بانقباض فحالته خطيرة جداً ، لكن إذا شعرت بانقباض شديد وألم وشعور بالخزي والعار من الله عز وجل وشعور بالضياع أما إذا قال مثل بعضها، شو صار ، أيضاً هي مشكلة كبيرة جداً ،

" دخلت على داوود الطائي فرأيته منبسطاً ، وكنت إذا دخلت عليه أراه منقبضاً فقلت أي شيء حالك ، فقال سقاني البارحة شراب أُنسه فأردت أن أجعل اليوم يوم عيد " ، يعني صار له صلة بالله أقبلَ على الله ، شعر بنشوة الاتصال ، هذا أجمل ما عنده فقال أردت أن أجعل ذلك اليوم يوم عيد لذلك إذا رجع العبد إلى الله نادى مناد في السماوات والأرض أن هنئوا فلاناً فقد اصطلح مع الله .

نشوة المؤمن في تقربه من ربه ، أقول لكم هذه الكلمة ، يعني إذا سعد الإنسان في الدنيا فهذه علامة خطيرة ، يجب أن تسعد بالله ، وحقيقة ثانية لا يمكن أن تسعد إلا بالله ، إذا سعد إنسان بما سوى الله !! فالقرآن أليس كلام الله ؟ ربنا عز وجل قال :

وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾

(سورة طه)

سأل رجل ما بال الملوك ، كل شيء عندهم ، الأغنياء ، فأجاب عالم آخر قال : ضيق القلب ، المعيشة الضنك للأغنياء أو للأقوياء ضيق القلب في قلوبهم من الضيق والتبرم والشقاء ما لو وزع على أهل بلد كفاهم ، لذلك فالله عز وجل قد يعطيك الدنيا ويأخذ منك راحة قلبك ، وقد يعطيك راحة القلب ويسلب الدنيا منك ، فالعبرة أن يكون قلبك غنياً بالله عز وجل .

قال سقاني البارحة شراب أنسه فأردت أن أجعل من ذلك اليوم عيداً فقلت أتأذن لي أن أحمل لك طعاماً حتى تفطر ، فقال لست أشير إلى هذا وشتان بين شراب يدار على الكف وشراب يكون في موجب لطف وروية كشف ، هناك شراب مادي وهناك شراب معنوي .

إذاً الرزاق هو الله عز وجل ، والآن ما علاقتنا بهذا الاسم ، وهذه مهمة جداً ، أول شيء أن ترضى بقسمة الرزاق بدأً من أمك وأبيك أنت ابن فلان وفلانة ، هذا تقدير الله عز وجل ، أنا أبي ليس مثل أبي فلان انظر إلى أبي فلان راق جداً ، أخلاقه عالية أنا أبي شرس أبي قاس أبي جاهل ، أبي فقير ، انظر إلى رفيقي أبوه غني أبوه مثقف ثقافة عالية ، أبوه راق .

يجب أن ترضى بوالديك لأن هذا منتهى الحكمة ، ويجب أن ترضى بشكلك ، فالله أقامك بهذا الشكل ، طول زائد ، قصر ، وسامة ، دمامة صحة ، ضعف ، هكذا أقامك الله ، فإذا اعترضت على الله فلست مؤمناً يجب أن ترضى عن اختيار الله لك من أي رجل وامرأة كان وجودك وبأي شكل كان وجودك ، وعن رزقك وعن زوجتك ، فالله اختار لك هذه الزوجة ، أكثر الأشخاص غير المؤمنين يمضي كل حياته في عذاب يقول ما توفقت في هذه الزوجة ، فالله اختارها لك ، علم فيك خيراً فضمها إليك لعلك تهديها إلى الله ، انظر إلى المؤمن عنده حسن ظن بالله ، لو أن الله ساق له ولد سيئ لا يتبرم ، يقول لك الله عز وجل هكذا اختار ، لو زوجه امرأة سيئة ، وفي القصة .. قال له أحدهم طلقها قال والله لا أطلقها فأغش بها المسلمين .

هذا يعني أن ترضى عن رزق الله لك ، والمعنى الثاني أن تجعل يدك على مالك وأن تجعل مالك خزانة ربك ، يدك على المال يد الأمانة لا يد الملك ، قال الله تعالى :

وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا ﴿٦٧﴾

(سورة الفرقان)

إذاً أول معنى من معاني الرزق أن ترضى بما قسمه الله لك ، وإذا رضيت بما قسمه الله لك تكن أغنى الناس ، المعنى الثاني ، أن تجعل مالك مال ربك وأنت عليه أمين ولستَ مالكاً .

والحمد لله رب العالمين

الـ ـدرس ١٣ – اسم الله : " الفتّاح " .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، أيها الإخوة المؤمنون مع الدرس الثالث عشر من دروس أسماء الله الحسنى ، ودرس اليوم اسم الفتاح .

الفتاح على وزن فعال ، وصيغة فعال من صيغ مبالغة اسم الفاعل وحينما يصاغ اسـم الله عز وجل الفتاح أو أي اسم آخر ، حينما يصاغ صياغة مبالغة فالمعنى أن الله عز وجـل يفتح كل الأبواب أو يفتح ما استعصى من الأبواب ، إما مبالغة تكثيـر أو مبالغـة نـوع قـد يستعصي باب .

قد يصاب الإنسان بمرض عضال ، الأطباء جميعاً أعطوا قـرارهم ، لا شـفاء لهـذا المرض، لا أمل يرجى من هذا المريض ، لا بد أن يموت بعد أيام لا تُجدي معه العمليـة ولا أن يسافر إلى بلاد الغرب ولا أن يفعل ولا أن يترك ، باب الشـفاء أُغلـق وأُرتـج وتـواتر الإغلاق وتواترت آراء الأطباء .

أعرفُ صديقاً لي أنجب مولوداً بولادة عسرة ، سحب الجنين من رحم الأم بآلة تستخدم في الولادة العسرة ، حينما وضع الجهاز على رأسه وسحب أصيب دماغه بخلل ، فصار هذا الطفل الصغير كلما مضى وقت قليل انتفض ، فسأل صديقي أول طبيب قال له ، هذه إصـابة بالدماغ، لابد من أن يكون هذا الطفل أعمى ، أو أبله أو مشلولاً ، قلنا هذا الطبيب حديث عهد بالعلم ، فسألنا أعلى طبيب أطفال في دمشق فقال الكلام نفسه، ما أضاف ولا أنقص ، سـألنا طبيباً ثالثاً ورابعاً وخامساً أُدخل مستشفى الأطفال ، وهذا الكلام ما تغيـر ، لأن الاختلاجـات أساسها إصابة الدماغ وإصابة الدماغ لا تُبرأ ، لأن الخلية العصبية لا تنمو " قاعدة".

لو أن الأعصاب تنمو لمات الإنسان ألماً ، فمن رحمة الله بالإنسان أن أعصابه لا تنمو ، فالأطباء جميعاً أجمعوا على أن هذا المولود لابد أن يكبر ويبقى أبله أو مشلولاً أو أعمـى ، وصدقوني أن أباه كان يتمنى أن يموت طفله، لأن موت الطفل الصغير أهون بكثيـر مـن أن يكبر على هذه الحالة ، ثم أُخذَ إلى طبيب ، وهذا الطبيب على شيء من الإيمان ، قال لعل الله يشفيه ، فأجرى تخطيطاً للدماغ ، وأعطى الدواء وما هي إلا ستة أشهر حتى عـاد الطفـل

كطفل سوي لا شيء يقلق في صحته ، والآن عمره اثنتا عشرة سنة ويتحرك ويلعب ومتفوق في دراسته ، لماذا اسمه الفتاح ، لقد أغلقوا كل الأبواب ، وربنا عز وجل فتح باب الشفاء .

المعنى البسيط إما أنه يفتح كل باب ، يفتح لك باب الرزق يفتح لك باب العمل ، يفـتح لك باب الزواج ، يفتح لك باب الراحة النفسية ، يفتح لك باب التوفيق ، يفتح لج باب الطمأنينة ، يفتح لك باب العمل الصالح ، يفتح لك باب الدعوة إلى الله .. أو أن أحـد الأبـواب التـي استعصت على كل طبيب يفتحه الله عز وجل .

إذاً فتاح صيغة مبالغة اسم الفاعل الفاتح ، الفاتح والفتاح ، يفتح ما أغلق من الأبواب أو ما استعصى من الأبواب ، أو يفتح كل باب، قال الله تعالى :

مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾

(سورة فاطر)

يفتح رحمته ، وما يمسك فلا مرسل له من بعده ، يعني إذا أمسك ليس في الأرض كلها قوة تستطيع أن تفتح ، وإذا فتح ليس في الأرض كلها قوة تستطيع أن تغلـق ، قـوى الأرض مجتمعةً ليس في إمكانها أن تفتح ما أغلقه الله ولا أن تغلق ما يفتحه الله ، قال تعالى :

" ما يفْتَحِ اللهُ لِلناسِ من رحمة فَلا مُمسك لَها وما يُمسك فَلا مُرسلَ لَهُ من بعـده وهُـو الْعزِيزُ الْحكِيمُ "

إذاً الأمر بيد الله وحده ، وإذا أيقنت أن الأمر بيد الله وحده لا بد من أن تتجه إليه ، هذه الآية تترك صدى طيباً جداً في نفس المؤمن ، ما يفتح الله للناس من رحمة فلا مرسل لهـا ، علاقتك محصورة مع الله عز وجل ، ما سوى الله أشباح ، لا تستطيع أن تقدم أو أن تـؤخر ، بل ما قولكم ، إن النبي عليه الصلاة والسلام وهو سيد الخلق وحبيـب الحـق وهـو النبـي الرسول الذي يوحى إليه ، وهو أكرم الخلق على الله قال الله تعالى قل لهم يا محمد : لا أملك لنفسي نفعاً ولا ضراً ، فإذا كان النبي عليه الصلاة والسلام ، لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضـراً ، فلأن لا يملك لنفسه فلغيره من باب أولى ، الله هو الفتاح .

يعني دائماً كلمة يرددها السلف الصالح كلما التقوا بإنسان متوثب متفتح مقبـل ، يقـال لهذا الشاب " فتح الله عليك فتوح العارفين " فهي كلمة منوعة ، الله يفتح لك بـاب رزق ، الله يفتح لك باب علم الله يفتح لك باب كشف ، الله يفتح لك باب قرب ، الله يفتح لك باب رُقـي ، الله هو الفتاح ، والكلمة الشهيرة " فتح الله عليك يا ولدي فتوح العارفين " .

الآية الأولى إذاً ، قوله تعالى : " ما يفْتَحِ اللهُ لِلناسِ من رحمة فَلا مُمسك لَها وما يُمسك فَلا مُرسلَ لَهُ من بعده وهُو الْعزِيزُ الْحكيمُ "

الفتاح له معنى آخر مستنبط من قوله تعالى :

قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا ۚ وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا ۚ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۚ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا ۚ رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ ﴿٨٩﴾

(سورة الأعراف)

أحياناً الأمور تشتبك ، قوى تتصارع ، فلان يدعي أنه على حق فلان يكيل التهم للآخرين بغير حساب ، الآخرون يكيلون له الصاع صاعين ، ترى الحياة صراعات تبادل تهم ، تبادل تهاترات ، توزيع ألقاب سيئة أو راقية ، هذا يقول الشيخ محي الدين سلطان العارفين وهؤلاء يقولون الشيخ الأكبر ، فمن هو الحكم ، رجل عالم جليل عارف بالله ، بعضهم وصفه بأنه سلطان العارفين ، هؤلاء الصوفيون ، وغير الصوفيين في الطرف المقابل ، وصفوه بأنه الشيخ الأكبر ، فمن هو الْحكم ؟ من عنده قول الحق ؟ من الذي يعرف حقيقة هذا الإنسان بالضبط هو الله عز وجل ، فمعنى الفَتْح هنا معنى آخر معنى الحُكْم "ربنَا افْتَح بينَنَا " .

يعني كل يدعي أنه على حق ، كل يكيل للطرف الآخر التهم ، هو مؤمن والآخرون كفار، هو مستقيم والآخرون منحرفون ، هو قريب والآخرون ضالون ، هذا على مستوى دين واحد ، فكل دين يتهم الأديان الأخرى بأنها أديان ليست من عند الله ، أو أديان منحرفة ، واللا دينيين يتهمون أصحاب الأديان بالتخريف والغيبية والضعف ، الدينيون يتهمون غير الدينين بأنهم كذا وكذا ، فمن هو الحكم ، من هو الذي له الكلمة الفاصلة ، من هو الذي يقول أنتم على حق وأنتم على ضلال ، الله عز وجل هو الفتاح ، هذا المعنى الثاني مستنبط من قوله تعالى : " ربنَا افْتَح بينَنَا وبين قَومنَا بِالْحق وَأَنْتَ خَيرُ الْفَاتحين ".

ما علاقتك بهذا المعنى من هذا الاسم ، يعني إن كنت على حق لا تخف لأن الله هو الفتاح، قد يقول الناس عنك الأقاويل ، قد يتهمونك بتهم لا أساس لها من الصحة ، إذا كنت على حق لا تخف ، ولا تنس قوله تعالى :

فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۖ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ ﴿٧٩﴾

(سورة النمل)

قُلِ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾

(سورة الأنعام)

إذا آمنت أن الله وهو الفتاح هو الحكم هو الذي يرفع ويخفض هو الذي يكشف الحقـائق هو الذي يُجلي الأمور ، هو الذي يزيل الالتباس هو الله عز وجل ، إذا آمنت بأنه هو الفتـاح فلا تقلق ، ولو أن الناس أساؤوا فهمك ، لو أن الناس أساؤوا الظن بك ، لو أنهم اتهموك تهـم باطلة لأسباب تافهة لا تخف ، من عرف نفسه ما ضرته مقالة الناس فيه .

ما الذي يُقلق الإنسان اليوم ، يقلقه أنه متمزق بين جهات عديدة تصـور موظـف لـه عشرة أصحاب عمل ، شركة فيها عشرة شركاء في معمل كبير وهو موظف عندهم ، لـو أن هؤلاء الشركاء متفقون متفاهمون ، فعلى الرغم من ذلك كل شريك سيعطي هـذا الموظـف أمراً مناقضاً للآخر ، الأول تعال ، الثاني اذهب ، الأول كن غداً في المكتب الثاني سـافر ، الأول تأخر بعد الغداء ، الثاني تعال بعد الظهر واذهب باكراً ، هذا إذا كانوا متفاهمين ، فكيف إذا كانوا متخاصمين ، فكيف إذا كانوا شركاء متشاكسين ، فالحياة لا تطاق أن يكون لك فيهـا شركاء كثيرون .

الإنسان المشرك أو غير المؤمن أو ضعيف الإيمان حياته ممزقة بين أن يُرضي رئيسه وبين أن يُرضي مرؤوسه ، بين أن يُرضي زوجته ، إن أرضى من حوله في العمل تغضب امرأته ، وإن أرضاها يغضب شركاؤه ، وإن أرضى جيرانه يغضب الله عـز وجـل ، وإن امتنع عن حضور هذه الحفلة أغضب أقرباءه ، حياة كلها تمزق ، لكن المؤمن يعلم أن الفتـاح هو الله ، هو الحكم ، إذا يرضي جهة واحدة ويستريح ، ولا تنسوا قوله تعالى :

فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾

(سورة الشعراء)

أحد أكبر عذاب النفس أن تشرك بالله ، أن تدعو مع الله إله آخر ليس معنى أن تـدعو مع الله إله آخر أن تقول هذا الفلان إله فقط ، بل أن تعامله كما تعامل الإله ، أن تعتمد عليـه

أن تتكل عليه ، أن تُعلّق عليه الآمال ، أن تطيعه وتعصي خالق الكون ، هذا معناه أنك اتخذته إلهاً، هذا المعنى الثالث .

المعنى الأول : " ما يفْتَح اللهُ لِلناسِ من رحمة " الأبواب المغلقة كثيرة ، يقـال لـك ، الأبواب كلها مغلقة ، الطرق كلها غير سالكة، كلما اتجهتُ إلى جهة أُغلاق الباب في وجهـي ، هذا تعبير يستعمله عامة الناس ، من هو الفتاح هو الذي يفتح لك الأبواب المغلقة أو الأبواب المستعصية ، أو الأبواب الكثيرة ، وحينما يطْهُر الإنسان حينما تصبح سريرته سليمة ، حينما يستحق الإكرام تأتيه الدنيا وهي راغمة ، " أوحى ربك إلى الدنيا أنه من خدمني فاخدميه ومن خدمك فاستخدميه ، الحديث القدسي معروف " خلقت لك السماوت والأرض ولم أعي بخلقهـن أفيعييني رغيف أسوقه لك كل حين ، لي عليك فريضة ولك علي رزق ، فإذا خـالفتني فـي فريضتي لم أخالفك في رزقك ، وعزتي وجلالي إن لم ترض بما قسمته لك فلأسلّطن عليـك الدنيا تركض فيها ركض الوحش في البرية ، ثم لا ينالك منها إلا ما قسـمته لـك ولا أبـالي وكنت عندي مذموماً ".

إذا كنت في المستوى الذي يستحق الإكرام ، إذا سرت في موجبات رحمة الله عز وجل تأتيك الدنيا وهي راغمة لذلك هذا الحديث الذي لا أنساه ، قال عليه الصلاة والسلام :

قَالَ خَرج زيدُ بنُ ثَابِت من عنْد مروان بِنصف النهارِ قُلْتُ ما بعثَ إِلَيه هذه السـاعةَ إِلا لِشَيء سأَلَ عنْهُ فَسأَلْتُهُ فَقَالَ سأَلَنَا عن أَشْيَاء سمعنَاها من رسُول الله صلى اللهُ عليـه وسـلم سمعتُ رسُولَ الله صلى اللهُ عليه وسلم يقُولُ من كانَت الدنْيا همهُ فَرقَ اللهُ عليه أَمرهُ وجعلَ فَقْرهُ بين عينَيه ولَم يأْته من الدنْيا إِلا ما كُتب لَهُ ومن كانَت الآخرةُ نيتَهُ جمع اللهُ لَـهُ أَمـرهُ وجعلَ غنَاهُ في قَلْبِه وأَتَتْهُ الدنْيا وهي راغمةٌ *

ما تعلق أحد بحب الدنيا إلا أُصيب منها بثلاث ، شغل لا ينفك عناه ، وأمل لا يُـدرك منتهاه وفقر لا يُدرك غناه ، لكن المؤمن قال الله :

وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَـٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ ۖ وَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ﴿٣﴾

(سورة هود)

متاع المؤمن متاع حسن ، معه راحة نفسية ، ومعه أمل بجنـة عرضـها السـماوات والأرض، ولكن متاع الكافر معه قلق ، معه شعور بالمستقبل المجهول ، شعور بأنه مُقدم على مجهول ، ولا سيما الموت حينما قال الله عز وجل دعاء إبراهيم :

وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ
مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ
أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾

(سورة البقرة)

أجابه ربنا ومن كفر ، فأمتعه قليلاً ثم أضطره إلى عذاب النار وبئس المصير ، ماالفرق إذاً بين متاع المؤمن ومتاع الكافر ؟ متاع المؤمن معه راحة نفسية معه شـعور أن الله عـز وجل ادخر له شيئاً في الآخرة ، أما الكافر وهو في قمة استمتاعه في الدنيا يشعر بقلـق مـن مجهول أقله الموت ، أقله أن تسلب منه هذه النعمة ، لذلك الدعاء الذي أدعوه أنا ، اللهم إنـا نعوذ بك من عضال الداء ومن شماتة الأعداء ومن السلب بعد العطـاء ، أصـعب شـيء أن يسلب منك شيء قد نلته من الله عز وجل ، فالله عز وجل ، من إكرامه للمؤمن يجعـل خيـر عمره آخره يتعبه في أول حياته ولكن يريحه في آخره ، أما أهل الدنيا يعزُهم فـي مقتبـل حياتهم ثم يأتي العقاب والذل والهوان والفقر ، فالدعاء الشريف :

" اللهم اجعل خير عمرنا آخره وخير أيامنا يوم نلقاك ، نلقاك وأنت راض عنا " .

" ربنَا افْتَح بينَنَا وبين قَومنَا بِالْحق وَأَنْتَ خَيرُ الْفَاتحين "

" ما يفْتَحِ اللهُ لِلناسِ من رحمة فَلا مُمسك لَها وما يُمسك فَلا مُرسلَ لَهُ من بعـده وهُـو الْعزِيزُ الْحكيمُ "

۞وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾

(سورة الأنعام)

الآن ما علاقتك بهذا الاسم ، هذه الآية إذا فهمتها كما أراد الله عز وجل ، فلو أنه قال ومفاتح الغيب عنده ، هل حدث شيء ، هو قال وعنده مفاتح الغيب ، هل يستفاد معنى دقيق جداً من تقديم عنده ، لو قال ومفاتح الغيب عنده فقد تكون عند غيره أيضاً ، أما إذا قال : " وعِنْدَهُ مفَاتِحُ الْغَيبِ " فالتقديم فيه قصر ، فالغيب لا يعلمه إلا الله ، وعنده مفاتح الغيب العوام يقولون كلمة ، " الذي عند الله ليس عند العبد " ، مر وقت قال الناس فيه لا يوجد أمطار جفاف دائم ، العام الحالي بعض مجاري نهر بردى زرعت ، في الغوطة لأن الناس استيأسوا من أن ترجع هذه المياه إلى مجاريها ، جفاف مستمر ، فجأة جاء بردى بشكل مخيف وبكميات مخيفة " وعنده مفاتح الغيب " لا أقول لك كذب الناس ، فلو قال الطبيب لم يعد هناك أمل في المريض ، فلا تصدق ، لأن :

إن الطبيب له علم يدل بـ ـ ـه إن كان للناس في الآجال تأخير
حتى إذا ما انتهت أيام رحلتـ ـه حار الطبيب وخانته العقاقيـ ـر

على حسب عمر الإنسان ، فإذا انتهى عمره وقال الطبيب لا يوجد أمل ، فلا يوجد أمل ، أما إذا كان يوجد بقية في حياته فلا .

أذكر طبيباً قال لمريض أربع ساعات ينتهي ، اشترى أهله السواد وكتبوا النعوة ، ثم شفاه الله عز وجل ، هذا الإنسان عاش ثلاثين سنة والطبيب مات بعد اثني عشر عاماً " وعِنْدَهُ مفَاتِحُ الْغَيبِ " ، ليس من باب التكذيب ، ولكن يتكلم الإنسان بحسب علمه ، أما ما سيكون لا يعلمه إلا الله عز وجل ، فمثلاً : هناك بلاد بالشرق آمنة مطمئنة رخاء مال ، بترول ، غنى ، من يصدق أنها تلتهب في الحرب ، ليس في الحسبان .

لبنان في عام ١٩٧٤ كانت جنة الله في الأرض ، الأمن والرخاء والبذخ والترف ، كل ما في العالم في هذا البلد ، من يصدق الذين زاروها الآن قاعاً صفصفاً لا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً .

" وعنْدهُ مفَاتحُ الْغَيبِ " هناك تفسيرات إلهية ، نحن نفهم التفسيرات الأرضية ، على أنه صراع ، حرب أهلية ، مشكلة عربية ، دولية ولكن هناك فهماً دينياً آخر ، قال الله تعالى :

وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾

(سورة النحل)

دائماً اعتمد التفسير القرآني للأحداث ، هناك تفسير معين ، هناك تفسير من زاوية معينة ، تفسير عربي ، تفسير دولي ، هناك تفسيرات كثيرة جداً حتى هناك تفسير نسائي لأحداث لبنان ، قال " أصابها عين " أما يجب أن تعتمد التفسير الديني ، قال الله تعالى : " وضرب اللهُ مثَلا قَريةً كَانَتْ آمنَةً مُطْمئنةً يأْتيها رِزقُها رغَدا من كُل مكَانٍ فَكَفَرتْ بِأَنْعُمِ الله فَأَذَاقَها اللهُ لِباس الْجُوعِ والْخَوف بِما كَانُوا يصنَعُون "

لبنان وغير لبنان ، شرقاً وغرباً شمالاً وجنوباً . " وعنْدهُ مفَاتحُ الْغَيبِ لا يعلَمُها إِلا هُو ويعلَمُ ما في الْبر والْبحرِ وما تَسقُطُ من ورقَة إِلا يعلَمُها ولا حبة في ظُلُمات الأَرضِ ولا رطْبٍ ولا يابِسٍ إِلا في كتَابٍ مُبِينٍ " هذه الآية إذا فهمتَها تكذب الدجالين ، والكهان والسحرة والمنجمين والأفاكين ، تسمع الآن في كل بلاد متقدم جداً أن هناك فلكي أو عراف يأتيه كبار الشخصيات يسألونه عن مستقبلهم المالي مثلاً ، أو الإداري أو السياسي ، فلو قرؤوا هذه الآية لامتنعوا عنهم وعلموا كذبهم.

" وعنْدهُ مفَاتحُ الْغَيبِ لا يعلَمُها إِلا هُو ويعلَمُ ما في الْبر والْبحرِ وما تَسقُطُ من ورقَة إِلا يعلَمُها ولا حبة في ظُلُمات الأَرضِ ولا رطْبٍ ولا يابِسٍ إِلا في كتَابٍ مُبِينٍ "

انتهى الأمر ، لمجرد أن تسأل إنساناً عن الغيب فأنت لا تعرف الله لمجرد أن تطرح سؤالاً على كاهن تأكد أنك لا تعرف الله ، والدليل قوله عليه الصلاة والسلام " من أتى كاهناً فصدقه فقد كفر بما أنزل على محمد " ، كل هذا القرآن تكون كافراً به لآن الله عز وجل قال :

قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ إِنِّي مَلَكٌۖ إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّۚ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ٥٠

(سورة الأنعام)

قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ١٨٨

(سورة الأعراف)

٢٥ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ فَإِنَّهُۥ يَسۡلُكُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ رَصَدًا ٢٧

(سورة الجن)

" وعنْدهُ مفَاتحُ الْغَيبِ لا يعلمُها إلا هُو ويعلمُ ما في الْبر والْبحرِ وما تَسقُطُ من ورقَة إلا يعلمُها ولا حبة في ظُلُمات الأرض ولا رطْبٍ ولا يابِسٍ إلا في كتَابٍ مُبِـينٍ " هـذا موقـف الإنسان المؤمن ، هذه الآية خطيرة جداً ، فلو قرأت مقالة تتحدث عن تنبؤات عـام كـذا ، أو الأعوام الميلادية يخرج الصحفيون وبعض المفكرين يتنبؤون بما سيكون في المستقبل ، مثـل هذه المقالات لا تقرأ لأنه " وعنْدهُ مفَاتحُ الْغَيبِ لا يعلمُها إلا هُو " إلا إذا كان تنبـوء لا مـن باب الجزم بل من باب التكهن ، إنه احتمال أن العالم مقبل على أزمة معينة مقبل على كـذا ، ولكن عنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو ، هذه الآية إذا فهمتها استرحت .

قالوا " ما مضى فات ، والمؤمل غيب ، ولك الساعة التي أنت فيها " أنت لا تملـك إلا وقتك الحاضر ، في هذا الوقت بالذات بإمكانك أن تتوب . كان يحضر عندنا في الجامع أخت كريمة ، في جامع النابلسي ، منذ ستة عشر عاماً ، ولها صهر بعيد عن الدين بُعداً شديداً ، بل إنه ينكر وجود الله عز وجل ، فكانت تدعو ابنتها أن تدعو زوجها لهذا الدرس فسمعت أنهـا

دعته أكثر من عامين ، أن يحضر ولو درساً واحداً ، قال مرة دخلت ابنتهـا علـى الـدرس ففرحت فرحاً شديداً ، قالت لها زوجك معك قالت نعم ، كادت لا تصدق ، هذا الرجل حضـر درسين وبعدها أصابته أزمة قلبية ، ونقل إلى المستشفى على شكل إسعاف ، وهو على الحمالة ، قال لأولاده ، كل شيء قلته لكم في الماضي باطل ، الحق هو ما جاء فـي القـرآن ... لا أنسى هذه الكلمات ، ربى أولاده على شاكلته على أنه لا إله، حضر درسين ووافته المنيـة ، وهو على فراش الموت قال لأولاده ، وله ولد مهندس ، قال كل شيء قلته لكم باطل ، الحـق ما جاء في القرآن، نرجو الله أن يقبله . " وعِنْدَهُ مفَاتِحُ الْغَيبِ لا يعلَمُها إِلا هُو ويعلَمُ ما فـي الْبر والْبحرِ وما تَسقُطُ من ورقَة إِلا يعلَمُها ولا حبة في ظُلُمات الأَرضِ ولا رطْبٍ ولا يـابِسٍ إِلا في كتَابٍ مُبِينٍ "

ما مضى فات والمؤمل غيب ولك الساعة التي أنت فيها ، لماذا قال بعض العلمـاء إن الحج على الفور ، من أين انطلقوا ، لأن الإنسان لا يعرف متى يموت ، ما دام الحج فرضـاً على المستطيع ، فحينما تصبح مستطيعاً يجب أن تحج ، لأن العمر ليس بيدك ، قال صلى الله عليه وسلم:

عنِ ابنِ عباسٍ قَالَ قَالَ رسُولُ الله صلى اللهُ علَيه وسلم تَعجلُوا إِلَى الْحج يعني الْفَرِيضةَ فَإِن أَحدكُم لا يدرِي ما يعرِضُ لَهُ *

من مرض من مشكلة ، من موت مفاجئ . قال الله تعالى :

قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٦﴾

(سورة سبأ)

كلمة فتح باللغة تعني أن هناك شيء مغلق ، فهل تقول لإنسان افتح هذا البـاب وهـو مفتوح، كلمة ليس لها معنى ، فأنت لا تقول افتح إلا لما هو مغلق ، كل شيء أُغلق في وجهك يجب أن تذكر اسم الفتاح ، حتى لو ضاعت مفاتيحك ، لو ضاعت محفظتك ، لو ضاع شـيء ثمين ، أغلق عليك مكانه .

حدثني أخ قال كنت ذاهباً إلى ميناء اللاذقية لتخليص بضاعة ، ومعي مستندات كثيـرة جداً، وهناك أشخاص كلفوني بإيصال مستندات إلى بعض الموظفين هنـاك ، محفظـة كلهـا مستندات ، ذهبت إلى الكرنك لأركب ، تفقدت هذه المحفظة الممتلئة بهذه المستندات لبضـاعة وصلت إلى اللاذقية فلم أجدها ، أقسم بالله أن الدم جف في عروقه ، قال : اصـفر وجهـي ، بضائع بالملايين له ولزملائه ، قال وقفت على مدخل الكرنك وأدعو يا فتـاح ، قـال وقفـت ساعة كاملة لا يوجد عندي حل ، وألغيت سفري ، فما عدت أذكر السيارة التي أقلتنـي إلـى الكرنك ، ثم بدعاء شديد، وبدعاء فيه إلحاح ، وقفت أمامي سيارة ، قلـت اذهـب لا أريـد

الركوب ، قال له السائق ألست الذي ركبت معي قبل قليل ، قال له خذ هذه المحفظة ، ببركـة الدعاء ، عادت المحفظة ، هو لم يعد يتذكر أي سيارة ركب ، والسائق بيد الله عـز وجـل ، والسائق إذا أراد الله عز وجل يلهمه أن يعود ، يلقي عطفاً في قلبه ، يلقي خوفاً من الله ، قال لي بعد ساعة ، وقفت أمامي السيارة ، وظننتها تعرض علي الركوب معها قلت لها إذهـب ، قال لي ألست الذي ركب معي قبل ساعة قلت له بلى أليست هذه محفظتك قلت بلى .

فإذا آمنت بالفتاح فكل شيء مغلق عليك تقول يا فتاح يا عليم، فليس قول بـلا معنـى كقول بعض العوام وهو متبرم من إنسان يقول له يا فتاح يا رزاق يا كريم ، ليس هذا المعنى ، في معنى آخر ، مع الأسف الشديد هذه الكلمات الدينية الراقية الآن تستخدم استخداماً آخر ، فإذا غضب أو ضجر يقول أشهد أن لا إله إلا الله منك ، متى يتشهد حينما يغضب وإذا رأى إنساناً يغضب يقول له صل على النبي ، قد يسب النبي صلى الله عليه وسـلم ، فـإذا رجـل أمامك يغلي غضباً فلا تقل له صل على النبي ، إلا إذا كان مؤمناً ، فإن كان مؤمناً يقول لـك اللهم صل على النبي، يهدأ فعلاً ، أما رجل بلا دين يغضب تقول له صل على النبي لا يفهـم معناها . فيا فتاح يعني يا فاتح ما أغلق ، ضيعت حاجة ، هذه الوظيفة تحتاج واسـطة ثقيلـة وأنت ليس لك واسطة ، يا فتاح ، افتح مغلاق هذا الأمر ، افتح قلب فلان ، ألـق فـي قلبـه عطفاً علي ، ألق في قلبه تفهماً لي، ألق في قلبه إنصافاً .

إذاً كلمة فتح معناه هناك شيء مغلق ، وفاتح اسم فاعل ، فتاح صـيغة مبالغـة لاسـم الفاعل ، صيغة مبالغة لِلْكم والعدد ، للكم والنوع ، فقضية مستعصية جداً تدعو بيا فتـاح يـا عليم ، أبواب كثيرة ، يا فتاح يا عليم . ومنه قوله تعالى :

فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾

(سورة القمر)

معناها كانت مغلقة ، يقولون منخفض متمركز في قبرص اتجاهه إلى القطر ، توقـع هطول أمطار غزيرة ، تتلبد السماء بالغيوم ولا تنزل أمطار ، مرة ثانية ، بعد يومين ، توقـع هطول أمطار ، توقع هطول أمطار ، أول جمعة ثاني جمعة ، وثالث جمعـة ورابـع جمعـة مضى أيلول تشرين ثاني لم ينزل أمطار ، توقع هطول أمطار لا يوجد أمطار ، بعدها توقـع هطول أمطار بإذن الله بعدها : " فَفَتَحنَا أبواب السماء بِماء مُنْهمرٍ"، معناها أن السماء مغلقـة ومفتاحها بيد الله عز وجل ، والفتح في الحرب الظفر ، قال الله تعالى " فَفَتَحنَا أبواب السماء بِماء مُنْهمرٍ".

البلاد المفتوحة ، كانت مغلقة محصنة ، جيوش ، قوى ، فتحت الأبواب كلها فتحـت للمسلمين ، أصبحت بلاداً إسلامية ، هذه البلاد كانت للرومان فتحت للمسـلمين . " فَفَتَحنَـا أبواب السماء بِماء مُنْهمرٍ " .

إذاً من معاني الفتاح ، هو الحاكم بين الخلق ، لأنه كلما استغلق أمر خلافـي بيـنهم يفتحه الله عز وجل .

عندنا شيء آخر ، هناك فتح لكبار المؤمنين ، أي أن المؤمن أحياناً يفـتح الله عليـه يلقي في قلبه نوراً ، يلقي في قلبه معرفة ، يسميها بعض العلماء الكشف ، يكشـف الله عـن بصيرته ، يرى الحق حقاً والباطل باطلاً ، يسميها علماء آخرون الإراءة ، قال الله تعالى :

وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾

(سورة الأنعام)

أحياناً تشعر أنك لم تكن ترى فأصبحت ترى ، رؤيا قلبية ، أحياناً يرى الإنسـان أن الكذب يربحه هذا أعمى البصيرة ، إلى أن يرى أن الصدق وحده هو الذي ينجيه ، هذه رؤيـا قلبية ، يرى أن الاستقامة في الحياة هي سبب الكرامة ، هذه رؤيا ، بعض الناس يكذب ويغش ويخدع ، ويظن نفسه ذكياً ، لأنه أعمى القلب ، فما هو الفتح بالمعنى الجديد ؟ الفتح أن يفـتح الله على بصيرتك ، أن يكشف الله على بصيرتك ، أن يجعل بصيرتك صافيةً ترى بها الخير خيراً والشر شراً .

إذا بعض العلماء قالوا : " الفتاح الذي فتح قلوب المؤمنين بمعرفته ، وفـتح علـى العاصين أبواب مغفرته ، فإن كان عاصياً فالله عز وجل يفتح له بـاب المغفـرة ، وإن كـان مؤمناً يفتح له باب معرفته ".

أنت إذا سألت نفسك قبل خمس سنوات هل أنت في نفس المستوى أم شعرت أن لـك رؤية جديدة لك بصيرة نافذة ، لك إدراك أعمق، لك قيم أمتن ، هذا هو الفتح ، كلما كشف لك بعض الحقائق فتح عليك ، إلى أن يفتح عليك الفتح المبين الذي لا معصية بعده .

المؤمن يتفاوت مع المؤمن باليقظة والغفلة ، فهناك مؤمن أغلب وقته في غفلة ، مؤمن بالله ولكن في غفلة ، أما المؤمن الأرقى ، أكثر وقته مع الله عز وجل ، دائماً يدعوه ، يستعيذ به يرجوه ، يهتدي بهديه يستلهمه ، والله عز وجل يتجلى على قلبه ، يلقي في قلبه نوراً يلقي في قلبه معرفةً ، هذا معنى الفتح .

فالفتح يستخدمه العلماء كثيراً ، " فتح الله عليك ، جاءه الفتح،

إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١

(سورة النصر)

أيضاً العوام ، إذا فتح محل بالحمراء ، وألبسة نسائية ، والنساء كاسيات عاريات مائلات مميلات ، وعنده موظفون غارقون في شهوة النساء ، يكتب على محله التجاري :

إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١

(سورة الفتح)

هذا هو الفتح ؟ أن تربح ، أن تبيع النساء الكاسيات العاريات وأن تدير معهن أحاديث أكثرها يدعو إلى الزنى ، هذا هو الفتح المبين ؟ هذا الذي يشتري بآيات الله ثمناً قليلاً .

الله عز وجل فتح للنبي مكة المكرمة ، فتح له دخل الناس في دين الله أفواجاً .

إذاً الفتاح الذي فتح قلوب المؤمنين بمعرفته وفتح على العاصين أبواب مغفرته ، وقيل الفتاح الذي يعينك في الشدائد وينيلك وجوه الزوائد . يعينك في الشدة وفي الرخاء يرفعك ، يعطيك عطاءاً زائداً، إذا هو فتاح .

بعضهم قال الفتاح هو الذي يفتح أبواب الخير على عباده ، ويسهل عليهم ما كان صعباً ، هذا الفتح يكون تارة في أمور الدين ، يقول لك كتاب أقرؤه ولا أفهم عليه ، صعب ، بعد حين فتح الله على قلبه فيقرأ ويفهم ، يقرأ ويتعمق ، يقرأ ويستمتع ، يقرأ ويحملق ، يقرأ ويحفظ ، يقرأ ويتكلم ، الحكمة أجراها الله على لسانه ، أول الأمر يقول لك كتاب لا أفهمه كأنني أنحت في صخر ، ما هذا الكتاب ، أقرأ القرآن لا أفهمه إطلاقا ، أقرأ الحديث لا أفهمه ، ثم جاء وقت آخر بدأ يفهم بدأ يتعمق بدأ يطرح سؤالاً ، بدأ يأخذ الجواب ، بدأ يحفظ ، بدأ يتمتع ، بدأ يدعو .

إذاً الله هو الفتاح ، يفتح عليك أبواب العلم ، يفتح عليك أبواب لسانك بالحكمة ، فإذا أخلصت لله أنطق الله لسانك بالحكمة ، أول أنواع الفتح يفتح عليك في أمور الدين وهو العلم ، ويفتح عليك في أمور الدنيا، تكون فقيراً فيغنيك ، تكون ضعيفاً فيقويك ، تكون مظلوماً فينصرك على أعدائك ، تكون مكروباً فيزيل هذه الكربة ويحل محلها الفرحة ، لذلك فالإنسان إذا كان بعيداً عن الله عز وجل لا يمكن أن يسعد ، قال الله تعالى :

وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾

(سورة طه)

الانقباض ، سل أهل الدنيا ، سل أصحاب مئات الملايين ، سل مـن يملكـون ألـوف الملايين، سل من أوتي قوةً لا حدود لها ، من أوتي مالاً لا حدود له ، سلوهم ، أستحلفكم بالله ، قد يقولون نحن أشقى الناس قال الله تعالى : " ومن أعرض عن ذكْري فَإِن لَهُ معيشَةً ضنكًا ونَحشُرُهُ يوم الْقيامة أعمى " .

ماذا يعني فتاح ، يفتح لك باب الأنس به ، يفتح لك باب الإقبال عليه يفـتح لـك بـاب الرضوان ، يفتح على قلبك باب الرضى ، ترضى تكون ساكناً في بيت غرفة ونصف تحـت الأرض ، تقول الحمد لله ، تدخل على رجل بيته خمسمائة متر ، ثمنه ثلاثون مليون ليـرة ، يقول لك السوق مسموم ، السنة خسران كذا مليون ، يعني خف ربحه كذا مليون عنده مال إلى ولد ولده، تراه معكراً ، أما الفقير فتح الله عليه باب الرضى ، فتح الله عليه باب السكينة بـاب الشكر، الصحة طيبة الحمد لله، أنا أسعد الناس ، وهذا الذي ما عرف الله عز وجل دائماً فـي ضيق في ضنك في سخط على الله عز وجل .

إذاً يفتح لك باب الدين بفتح العلم على قلبك ، أو يفتح لك باب الدنيا إن كنت فقيراً يفـتح لك باب الغنى ، إن كنت ضعيفاً يفتح عليك باب القوة إن كنت مريضاً يفتح عليك باب الصحة ، إن كنت مكروباً يفتح عليك باب الفرحة . قال بعض الشعراء : يا فاتحاً لي كل باب مرتَج ، "المرتج أي المغلق " الله عز وجل يفتح الأبواب المغلقة يفتح الأبواب المرتجة .

يا فاتحاً لي كلَ بابٍ مرتجٍ إني لعفوٍ منك عني مرتج
فامنن علي بما يفيد سعادتي

قيل الفتاح هو الذي يفتح على النفوس باب توفيقه ، يجب أن تعلم أن في القـرآن آيـة واحدة لا ثاني لها ، وهي قوله تعالى :

وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾

(سورة هود)

قال بعض العلماء " لا يمكن أن يحدث شيء في الكون إلا بتوفيق الله تعالى " فحينما اخترعوا " التشالنجر " المتحدي ، أرادوا أن يجربوا تجربة فريدة ، أن يخرج إلى الفضاء الخارجي في تسعة أشهر أو سنة سبعة رجال وامرأة كي تنجب المرأة وهي في الفضاء ، وأعدوا لكل شيء عدته ، ولكل جهاز جهازان ، وقد ضبط الجهاز بعد تنازلي دقيق جداً وأطلقت المركبة إلى الفضاء وسماها أهل الدنيا المتحدي " الشلنجر " هذه المركبة بعد سبعين ثانية ، أصبحت كتلةً من اللهب ، فالله ما فتح عليهم ، أغلق عليهم باب التوفيق ، فلذلك " وما تَوفيقي إلا بِالله " .

فإذا فتحتَ محلاً تجارياً ، إن أسست معملاً ، إن أسست مدرسة ، إن أزمعت الزواج ، قُل يا فتاح ، ولا تقل أنا خبير سأستخدم كل خبرتي سأستشير ، سأسأل محامياً .

أعرف رجلاً ، متبرماً دائماً ، مشمئزاً دائماً ، جمع وطرح وضرب وجد أنه إذا باع معمله، وبيته ، ومحله التجاري في الحريقة بكذا مليون القصة قديمة ، ويضعها في بنك في أوربا بالمائة ثمانية عشر ، يعيش ملكاً في أوروبا ، ثم نفّذ الخطة ، باع المحل وباع المعمل وباع البيت وباع السيارة ، ثم أخذ تأشيرة خروج ، وذهب إلى أرقى بلد في العالم بالسويد ، في باله أن يضع الأموال بالبنك ويشتري بجزء منها بيت وسيارة فخمة ، ثم يعيش على فوائد المبلغ في بحبوحة ، كيف ؟ إن وضع المبلغ في البنك يحتاج إلى وثيقة معينة ، والمبلغ كبير جداً فوضعه باسم آخر ، إما قريب أو صديق هناك ، وفي اليوم التالي سأله تأدية المبلغ قال له من أنت؟ لا أعرفك ، كل ثروته ضاعت بساعات ، لتأمين وثيقة معينة ، وفي اليوم التالي أنكره ، فأين الذكاء ؟!

هذه أبقَها في بالك ، مع الله لا ينفع ذكاء " لا ينفع حذر من قدر " ولكن ينفع الدعاء مما نزل ومما لم ينزل ، " وما تَوفيقي إلا بِالله " لن يقع شيء إلا بأمر الله .

علاقتك بهذا الدرس أن تسعى أن جاهداً كي يفتح الله على قلبك باب العلم ، والشيء الثاني أن تفتح أنت على العباد باب خيراتك ، لا تكن قابضاً ، فكن باسطاً .

والحمد لله رب العالمين

الـ ـدرس ١٤ – اسم الله : " العليم " .

بسم الله الرحمن الرحيم

مع الدرس الرابع عشر من أسماء الله الحسنى ، والاسم اليوم اسم **العليم** .

يا أيها الاخوة الأكارم : بادئ ذي بدئ أسماء الله كلها حسنى وكل اسم قـائم بذاتـه ولا يتعلق اسم باسم ومع ذلك فبعض الأسماء أكثر تأثيراً في نفوس العباد مـن بعـض الأسـماء الأخرى ، فاسم **العليم** كما قال عز وجل :

ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾

(سورة الطلاق)

إذاً ربنا عز وجل اختار من بين أسمائه كلها اسمين **العليم** والقدير لأن الإنسـان لـن يستقيم على أمر الله إلا إذا أيقن أن علم الله يطوله وأن قدرته تطوله ، واسم **العليم** مهم جداً في طريق الإيمان ، لأنك إذا أيقنت أن الله **يعلم** ظواهر الأمور وبواطنها ، **يعلم** سـرك وجهـرك يراك في خلوتك وفي جلوتك في حضرك وفي سفرك ، يعلم نواياك كلها ، **يعلم** ما يدور فـي خلدك ، ما يجري في نفسك ، ما تتمناه ما تصبو إليه ما تشتهيه إذا أيقنت أن الله يعلم لزمـت جانب الاستقامة .

إذاً أكثر أسماء الله الحسنى تأثيراً في استقامتك اسم **العليم** ، وأكثر أسـماء الله الحسـنى تأثيراً في استقامتك اسم القدير ، والآية الكريمة تؤكد هذا المعنى : " **الله الـذي خَلَـقَ سَـبعَ سَمَاوَات وَمن الأرض مثْلهن يَتَنَزلُ الأمر بَينَهن لِتَعلموا أن اللهَ عَلى كُل شَيء قَدير وَأن اللهَ قَد أَحَاطَ بِكُل شَيء علما** "

من تعاريف **العلم** أن تكون هناك علاقةٌ ثابتةٌ بين شيئين ، مقطوع بصحتهما عليها دليل ، مطابقة للواقع ، لكن **علم** الله عز وجل يختلف اختلافاً كلياً عن **علم** البشر ، أضـرب لكـم بعض الأمثلة :

الله سبحانه وتعالى محيط بكل شيء **علماً** ، في ظاهر الأشياء وفي بواطنها ، في دقيقها وفي جليلها ، في أولها وفي آخرها ، في فاتحتها وفي عاقبتها ، ومع ذلك **فعلم** الله عز وجـل من طبيعة أخرى .

مثالاً آخر : لو أن رجلاً عبقرياً اخترع آلة وجاء من بعده أجيال ودرسوا هـذه الآلـة وعرفوا دقائق صنعها واكتشفوا العلاقات فيما بين أجزائها واكتشفوا القوانين التي على أساسها بنيت هذه الآلة ، علم الجيل اللاحق يختلف عن علم العبقري الـذي اختـرع الآلـة ، فعلـم المخترع هو سبب وجود الآلة ، علم المخترع سبق الآلة ، لكن علم الدارس جاء بعد وجـود الآلة وجاء استنباطاً من دقائقها ، هذا المثل ضربه الإمام الغزالي رحمه الله تعالى في كتابـه (إحياء علوم الدين)، فأنت علمك مستنبط من الوجود من القواعد التي قعدها الله ، من القوانين التي قننها الله ، من السنن التي سنها الله ، من الخصائص التي خص الله بها الأشـياء ، **علـم** البشر مكتَسب ، مكتسب من الوجود من قوانينه من قواعده من سننه من علاقاته الثابتة ، من خصائص الأشياء ، لكن **علم** الله هو الذي قنن القوانين ، هو الذي خصص الأشياء بخواصـها ، هو الذي سنن السنن ، ففرق كبير بين أن تكتشف علاقةً ثابتة في شيء موجـود وبـين أن تخلف هذه العلاقة ، بين أن توجدها من العدم بين أن توجدها من قبل أن تكن موجودة ، هـذا الفرق ...! **فعلم** البشر لاحقٌ للوجود ، كسبي، **وعلم** خالق البشر سابق للوجود وسببي .

مثل آخر : حينما ينشئ مهندس في العصور القديمة جسراً ، وحينمـا يـأتي الصـيف يتصدع هذا الجسر ، بسبب أن الحديد تمدد ، إذاً يكتشفون أن هذا الحديد يتمدد بالحرارة ، هذا القانون اكتشف ، فلما اكتشف ، في المراحل القادمة إذا صنعوا الجسر أو أنشئوا بناء يضعون فواصل تمدد ، نقول **علم** البشر كسبي **وعلم** الله قديم .

وضعوا وقوداً سائلاً في شاحنة ، هذا الوقود خاص بالطائرات ، هذه الشـاحنة سـارت تحت الشمس المحرقة ، فاشتعل هذا الوقود بفعل الشمس المحرقة ، إذاً هذا الوقود يمكـن أن يشتعل من دون أن تمسه النار بفعل حرارة الشمس الملتهبة ، إذاً سيصنعون الآن لهذه الشاحنة التي تحمل الوقود السائل الخاص بالطائرات طبقة ثانية لتكون عازلاً لحرارة الشمس .. **علـم** البشر مكتسب ...!

أنا أضرب لكم بعض الأمثلة ، لكن يجب أن تعلموا أن كل حقيقة وصل الإنسان إليهـا إنما هي عن طريق التجارب ، وعن طريق الخطأ والصواب ، وأكبر دليل إذا دخلت معرض سيارات وتأملت سيارة صنعت عام ألف وتسعمائة واثني عشر ، ووازن بينهـا بـين سـيارة صنعت في عام ألف وتسعمائة وتسعين ، ترى البون شاسـعاً ، العجـلات مـن دون هـواء الإضاءة بالفوانيس، علبة تبديل السرعة غير موجودة سرعة واحدة للمركبة ، تشغيل المركبـة

من أمامها " بالمناويل " وازن بين مركبة صنعت قبل مائة عام تقريباً وبين مركبة صنعت قبل عام تتأكد أن **علم** البشر **علم** كسبي ، بينما **علم** الله **علم** أزلي .

إذاً **العلم** هو سبب وجود الأشياء ، تعلق **علمه** وتعلقت إرادته ، وتعلقت قدرتـه بهـذا الشيء فكان ، إذاً **علمه** سبق هذا الشيء ، بل أن **علمه** سبب لوجود هذا الشيء ، بينما علـم البشر لاحق للوجود .. هناك جبال وهناك أنهار وهناك بحيرات ، عرفنـا خصـائص الميـاه عرفنا خصائص الهواء صنعنا الطائرة وفق خصائص الهواء ، صنعت الباخرة وفق قـانون أرخميدس ، الذي اكتشف .. إذاً كل معلومات الإنسان وكل علم الإنسان مستنبط من القواعـد التي قعدها الله ومن القوانين التي قنَنَها الله ومن السنن التي سنها الله ومن العلاقات الثابتة التي ثبتها الله ، ومن الخصائص التي خص الله بها الأشياء ، إذاً يجب أن تتأكد أنـه مـن الخطـأ الفاحش أن تظن أن علم الله كعلمنا .

أنت كإنسان يحكمك المكان والزمان ، أنت وسط المكان والزمان تتحرك على أرض من مكان وفي ظرف من زمان ، أنت يغلّفك المكان والزمان ، لكن الله عز وجل ، خالق المكـان والزمان ، فخالق المكان والزمان لا يسأل عنه متى كان لأنه خالق الزمان ولا أين هو لأنـه خالق المكان ، **علم** ما كان وعلم ما يكون **وعلم** ما سيكون **وعلم** مالم يكن لو كان كيف كـان يكون ... هذه واحدة .

أردنا أن نبين الفرق الجوهري بين علم الإنسان وبين **علم** الرحمن ، **علم** قديم ، **علم** يعد سبب وجود الأشياء ، تعلق **علمه** وإرادته وقدرته بوجود هذا الشيء فكان هذا الشيء ، وتعلق **علمه** وإرادته وقدرته بتخصيص هذا الشيء على شكل معين فكان هذا الشيء على شكل معين ، وما القضاء والقدر في حقيقته إلا أن **علم** الله تعلق بشيء فكان كما أراد الله عز وجل .

لكن الآن أدخُل معكم في مثل آخر ، الحقيقة هذا الموضوع موضوع واسـع جـداً ولا يعقل أن تكفيه خمسون دقيقة لتوضيحه ، كل هذا الكون أثر من **علم** الله عز وجل ، فأنـت إذا اطلعت أو قرأت أو تأملت في المركبة الفضائية التي صنعها الإنسان ووصل بها إلى القمـر ، هل تصدق أن **علم** البشر منذ أن وجد **علم** على أرض البشر ، إنما ساهم هذا العلم كلـه فـي صنع هذه المركبة، كيف عرفوا أن هذه المركبة يجب أن تنطلق بسرعة كافية كي تتفلّت مـن الجاذبية الأرضية ، وكيف درسوا حركة القمر وأن هذه المركبة يجـب أن تنطلـق بزاويـة مدروسة دراسة من أعلى عقول علماء الرياضيات بحيث أنها تصل إلى القمر في مكانه الجديد بعد أيام ثلاثة هي التي استغرقتها المركبة في الوصول إلى القمر إذاً هناك **علم** الفلك **وعلـم** الرياضيات ، وكيف درست شروط الحياة على سطح الأرض وكيف توافرت كل هذه الشروط على سطح القمر .. البزة التي ارتداها رجال الفضاء كلفت ستة عشر مليون دولار ، كي توفر لهم الضغط المناسب والهواء وضخ الهواء ليتكلموا ، طبعاً لا أذكُر هذه التفصيلات إلا لأبـين

لكم أنك إذا رأيت مركبة انطلقت من الأرض ووصلت إلى القمر ، فيجب أن تعلم **علم** اليقين أن **علم** الرياضيات منذ أن وجد وفي أرقى تطوراته ساهم في إيصال هذه المركبة إلى القمر وأن علم الفيزياء في أعلى تطوراته : " النظرية النسبية والفضاء الأحدب والخطوط المنحنية ، والسرعة والتسارع والجاذبية " كلها ساهمت في إيصال هذه المركبة إلى القمر ، **وعلم** الكيمياء **وعلم** وظائف الأعضاء **وعلم** الفيزيولوجيا ، **وعلم** الطب : " الضغط المناسب وضربات القلب المناسبة ، الأوعية المناسبة " ، وكيف أن هذا الإنسان يعيش في جو انعدمت فيه الجاذبية ، يعني شيئاً ليس لنا أن نفصل فيه في هذا الدرس ولكن لنعلم أن مركبة الفضاء تشف عن **علم** كبير جداً هو **علم** البشر كلهم مجتمعين في أعلى مستوى .

وإذا رأيت حقلاً من النفط وسط بحر الشمال اكتُشف ، قد تسأل كيف اكتُشف هذا الحقل ، بأي جهاز وعلى أي مبدأ ، على مبدأ الليزر على مبدأ المغناطيس ، على مبدأ الموجات ، على أي مبدأ ، وحينما اكتشف هذا الحقل في قعر بحر الشمال كيف وصلوا إليه ؟ .. كيف غطسوا في الماء خمسة آلاف متر ؟ .. وكيف وصلوا إلى أرض البحر ، وكيف حفروا خمسة آلاف متر أخرى ؟ .. وكيف هذا الماء المالح لم يدخل في البئر ، وكيف أنزلوا هذه المواسير وهذا الأنابيب، وكيف أفرغوا ماء البحر من هذه الأنابيب ، وكيف حقنوا الإسمنت السائل ، ألا تشعر أن هؤلاء الذين أنشؤوا منصةً على بحر الشمال ، تهبط عليها طائرات هليوكبتر وفيها شبه مدينة بيوت ومكاتب وإدارات كلها عائمة على البحر ودرسوا تلاطم الأمواج وارتفاع الأمواج وعمق الأمواج ، وتيارات البحر والملوحة وعلاقة الحديد بالملوحة ، ومع ذلك في ليلة عاصفة هبت أمواج عاتيةٌ فحطمت هذه القاعدة ، إذاً الدراسة غير كافية .

تصنع طائرة تسقط بلا سبب ، إذاً لابد من خلل في صنعها ، ضربت هذين المثلين ، قد تجد مثلاً ساعة صغيرةً مبرمجةً لمئتي عام تشعرك بأوقات الصلوات الخمس في أي بلد تشاء .. أنت في دمشق تضبطها على دمشق ، فإذا هي تشعرك وقت صلاة الصبح وصلاة الظهر والعصر والمغرب والعشاء ، وقد برمجت لمائتي عام وفي كل مدن العالم ولا يزيد حجمها عن هذه الساعة ، ألا تشعر أن الذي صنعها على مستوى رفيع من **العلم** .

أطلعني أخٌ على جهاز كمبيوتر صغير بحجم الكف ، فيه خمسة وثلاثون ألف معلومة ، يتسع لعشرة آلاف رقم هاتف ، ولخمسة وثلاثين ألف معلومة وعنوان ، ولك أن تستدعي هذه الأرقام بأقل من لمح البصر بحركة واحدة ، إذا ضغط على أول حرف من اسم الشخص الذي تبحث عن رقم هاتفه يظهر على الشاشة ، ألا تشعر " والله الذي لا إله إلا هو ما أردت من هذه الأمثلة أن ألفت النظر إلى صانعيه وإلى المخترعين " ولكن والله الذي لا إله إلا هو مرة ثانيةً أن أعظم جهاز تطّلع عليه أن أعظم آلة تطلع عليها ، يقول لك هذه آلة تعمل ذاتياً ، هذه الآلة ألكترونية ، هذا المجهر الالكتروني يكبر خمسة آلاف مرة ، ترى النملة الصغيرة

وكأنها فيل كبير ، ترى المسام في الجلد وكأنها كهوف ، ترى قطعة من جلد الإنسان وكأنهـا غابات الأمازون، هذا التكبير خمسة آلاف مرة ، هذا الحاسوب المعقد الذي فيه خمسـمائة ـ ستمائة ألف معلومة .

مرةً أحد الأخوة الأكارم أطلعني على كمبيوتر فيه القرآن الكريم ، أي سـؤال اسـأله ، سألته كم مرة وردت : **لكم** ، والأنعام خلقها لكم ، فأجابني فوراً أنهـا وردت مائـة وثمـاني عشرة مرة ، فسألته أين الآيات فجاءت الآيات وراء بعضها بعضـاً ، تحـب أن تطبعهـا ، بضغطة زر تطبعها على ورق .. سألته بسورة قاف ، ما هو أكثر حرف تكرر فيها ، وكنـت أظن أنها القاف ، فكان الجواب لا ليس بقاف ، كله ديسك لا يزيد عن حجم الكف ، فأنت أمام كمبيوتر أمام حاسوب ، أمام منصة نفط أمام طائرة ، أمام مركبة فضاء .. تذهل .!! .

هل تصدق أن كل هذه الآلات وكل هذه المخترعات لا يمكن أن تكون إلا شـيئاً بـدائياً جداً أمام جسمك ، فهذا الدماغ أربعة عشر مليار خلية استنادية خلية قشرية فيهـا المحاكمـة والتصور والتذكر والتخيل ، فيها السمع والبصر والحس باللمس والضغط ، فإذا ذهبتُ أتحدث لكم عن جسم الإنسان والله الذي لا إله إلا هو لا شك أنكم ترون أن أعقد آلة صنعت لا ترقى إلى آلة بدائية أمام هذا الجسم البشري .

فأنت أمام آلة صغيرة قد تعظم الآلة لصغر حجمها ولعظم مفعولها وقد تعظـم الآلـة لضخامة كتلتها ، ألم تَشْده لمجرة تبعد عن الأرض ستة عشر ألف مليون سـنة ضـوئية وأن الضوء يقطع في الثانية الواحدة ثلاثمائة ألف كيلومتر ؟ ، ألم تشده حينما تعلم أن في رأسـك ثلاثمائة ألف شعرة وأن لكل شعرة عصباً ووريداً وشرياناً وغدة دهنيـة وغـدة صـبغية ألا تدهش ؟ ، ألا تُدهش إذا علمت أن في الدماغ مائة وأربعين مليار خلية استنادية لـم تعـرف وظيفتها بعد ؟ ، ألا تدهش إذا علمت أن في الشبكية مائة وثلاثين مليون مخروط وعصية وأن العصب البصري يمر فيه تسعمائة ألف عصب ، بالدماغ بالأعصاب ، بالقلب الذي يضخ فـي اليوم ثمانية أمتار مكعبة دون كلل أو ملل ، الكليتان اللتان يمر فيهما الدم فـي اليـوم خمـس مرات ويقطع مائة كيلومتر ، في الغدة النخامية التي إذا رأت خطراً أعطت أمراً إلى الكظـر والكظر يصدر أربعة أوامر ، أمر إلى القلب ليسرع في نبضه ، وأمر إلى الرئتين لتسرعا في وجيبهما وأمر إلى الأوعية كلها كي تضيق لمعتها ويتوفر الدم للحركة والهجوم ، والى الكبـد كي يطلق كميات السكر في الأوعية .

هل اطلعت على تركيب جسمك ؟ ، جسم الإنسان يتفق مع أحدث نظريات الميكانيـك ، هل تعلم أن عنق الفخذ يتحمل وزناً يزيد عن مئتي وخمسين كيلو لكل عظم ، الإنسان بإمكانه أن يتحمل خمسمائة كيلو قبل أن تنكسر أضلاعه ، ولو ذهبت ساعات طويلة أتحدث عن جسم الإنسان وساعات طويلة عن النبات ، الورقة ، قرأت مرةً في كتاب والله اقشعر جلدي ، قـال

إن أعظم معمل صنعه الإنسان لا يرقى إلى هذه الورقة ورقة ، إنها معمل ، تأخـذ ثمانيـة عشر معدناً محلولاً في الماء هذا النسغ الصاعد ، في الورقة مادة اليخضور ، فـي الورقـة الفوتون الطاقة الشمسية ، في الورقة الآزوت ، في الورقة شلات الحديد ، مـع هـذا النسـغ الصاعد تصنع الورقة النسغ النازل ، هذا النسغ يصنع الثمار ويصنع الأزهار .

هل عند الإنسان طاقة يحقن سائلاً تارةً يصبح خشباً تارةً صاجاً تارةً إسـفنجاً تـارةً ، معقول..! السائل واحد والمواد مختلفة ، قرأت مرةً أن هذا النسغ الصاعد يجري في أوعية ، الشجرة إذا نمت عرضاً ربما ضاقت لمعة الأوعية فضعفت التروية ، إذاً هذه الأوعية مدعمة بألياف حلزونية لئلا تضيق لمعتها إذا نمت الشجرة .

هذا في النبات ، الطيور : الطائر يرى ثمانية أمثال الإنسان ، وبعض الكـلاب تسـتمع بدقة تزيد عن مليون ضعف سمع الإنسان .

ماذا أقول عن الأسماك مليون نوع من السمك ، عن الحوت الذي يزيد وزنه عن مائـة وخمسين طناً ، والذي فيه من اللحم ما يزيد عن خمسين طناً من اللحم وخمسين طناً من الدهن ، وتسعين برميل زيت ورضعتُه الواحدة تزيد عن ثلاثمائة كيلو ، ثلاث رضعات ، طن فـي اليوم، وجبته الصغيرة أربعة طن ، " تسكيت جوعة " .

ماذا أتحدث عن الأسماك الجميلة التي ترونها في أحواض الأسماك .. هذا كله **علـم** الله عز وجل ، قوانين علاقات أعمال دقيقة ، هذا الماء يتمدد بالحرارة ، شأنه شأن أي عنصـر ، فما الذي يحدث إذا بردناه إلى درجة خمس عشرة ثم عشر ، خمس ، أربع ، يحدث المستحيل تنعكس الآية قرأت مقالة في مجلة العلوم حول آلية عكس هذه الخاصة أن الماء قبل الدرجـة زائد أربعة يتمدد بالحرارة وينكمش بالبرودة ، كيف تنعكس الآية في هذه الدرجة ، والله قرأت هذه المقالة مرتين وشعرت بصداع في رأسي لتعقيد الموضوع ، من قنن هذا القانون ؟ ، كـل حياة البشر مبنية على هذه الخاصة ، لو أن الماء استمر بانكماشه مع التبريد لانتهت الحياة من على سطح الأرض ، لأن البحار كلما تجمدت غاصت هذه الكتل إلى الأعمـاق لأن الشـيء عندما يتجمد وينكمش تزداد كثافته ، خلال فترة من الزمن تصبح البحار كلها متجمدة ، ينعدم التبخر تنعدم الأمطار يموت النبات يموت الحيوان يموت الإنسان .

فقبل أن تقول الله **يعلم** أو لا **يعلم** ، هناك موضوعات كثيرة جداً ، كل هذا الكون مظهر **لعلم** الله عز وجل ، أنا أردت أن أمثل أن منصة النفط في بحر الشمال لو أنك زرتها بطائرة ، وهبطتَ على سطحها رأيت مدينة ، بيوت مكاتب أجهزة اتصال ، مطار ، وهذه منصة عائمة على سطح الماء ، والأنابيب تصل إلى خمسة آلاف متر ، وتحت سطح البحر إلـى خمسـة آلاف متر أخرى كيف وصلوا إلى النفط هناك وكيف ضخ هذا النفط ، ألا تشعر أنـك أمـام عقول جبارة صممت هذه المنصة .

إن ركبت أكبر طائرة اختُرعت حتى الآن ألا تشعر أن هؤلاء الركاب الخمسمائة كأنهم في مدينة يركبون والمقاعد وثيرة يأتيهم الطعام ساخناً ، يحلقون فوق ارتفاع يزيد عن ثلاثـة وأربعين ألف قدم ، وكيف أن هذه الطائرة يحملها الهواء والهواء ترونه هل يحمل طائرة ، كم هي القوانين معقدة جداً في الطائرة ، نحن نتصور بسذاجة بأن جناح الطائرة فيه بترول فيـه الوقود ، فلو أن الجناح مجوف وفيه بترول كما تظن ، بمجرد أن تميل الطائرة كي تدور يميناً تسقط ، فلا بد من حواجز وسط هذا الجناح كثيرة جداً وثقوب صـغيرة ومضـخات تضـخ البترول إلى الجهة المعاكسة ، هذا الجناح الحرارة في أعالي الجو خمسون درجة تحت الصفر وهناك بخار ماء .

مرة جلست مع طيار حدثني عن دقائق الطائرة الشيء الذي لا يصدق ألا تشعر أن هذه الطائرة وراءها عقل كبير ودماغ عظيم وعلوم كثيرة ودقة متناهية ، إذا كنت أمـام طـائرة تشعر بالتعظيم لمخترعها ، وأمام باخرة ، يقال لك هذه الناقلة تحمل مليون طن ، قوة محـرك دفتها أربعة آلاف حصان ، تحريك الدفة فقط ، غير تحريك الناقلة ، فما قولك بهذا الكـون ، قال تعالى:

﴿ فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٞ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾

(سورة الواقعة)

هناك أشخاص مساكين ما عرفوا من **علام** الله عز وجل إلا أنه **يعلام** أو لا **يعلام** ، يعنـي هذا الاسم العظيم الذي يمكن أن تمضي كل حياتك في الوقوف على دقائقه ، ضـغَطَه بكلمـة واحدة .

سوف نبدأ إن شاء الله تعالى الحديث عن هذا الاسم في بعض التفصيلات ، قبـل كـل شيء أسماء الله الحسنى توقيفية ، بمعنى أنه لا يجوز أن تشتق أنت اسماً من عندك ، فالله عز وجل قال :

إِنَّهُمۡ يَكِيدُونَ كَيۡدٗا ﴿١٥﴾

(سورة الطارق)

فلا يجوز أن تقول أن الله كائد ..

وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾

(سورة الأنفال)

لا يجوز أن تقول الله ماكر ، أسماء الله الحسنى توقيفية ، لا نذكر منها إلا ما ورد في الكتاب والسنة وما أجمعت عليه الأمة ، هل يجوز أن يقال الله معلم ؟ لا .. هل يجوز أن يقال الله علامة ؟ لا .. أعوذ بالله ما أحد قال هذا الكلام ، أجمعت الأمة على أنه لا يجوز أن تقول الله معلم ، مع أن الله قال **علمه** شديد القوى ، و**علمك** ما لم تكن **تعلم** ، **علام يعلم** معلم ، فلا يجوز أن تقول الله معلم ، أجمعت الأمة على أن أسماء الله توقيفية ، لا يجوز أن تَذكر منها إلا ما ورد في الكتاب والسنة وما أجمعت عليه الأمة .

هل يجوز أن يقال الله عارف ؟ لا .. الله يعرف ، لا لأن كلمة عارف ويعرف وعرف ، أقول أنا عرفت الشيء بعد أن جهلته ، فكلمة يعرف يسبقها جهل ، لا يليق بالله عز وجل أن تقول هو يعرف ، بل هو **يعلم** ، لأن كلمة **يعلم** لا يسبقها جهل ، ليس قبل **العلم** جهل ، **فالعلم** قديم عند الله عز وجل .

هل تقول الله فطن ؟ لا يكون ، هل تقول الله عاقل ؟ لا ، هل تقول الله ذكي ؟ أعوذ بالله ، إذاً أسماء الله تعالى توقيفية لا يجوز أن تخترع اسماً ولا أن تشتق اسماً إلا أن يرد في الكتاب والسنة وإلا أن تجمع عليه الأمة .

الفرق الدقيق جداً بين **علم** الله **وعلم** البشر ، إن **علم** الله سبحانه وتعالى بالأشياء غير مستفاد من الأشياء بل الأشياء مستفادة من **علم** الله ، **وعلم** العبد بالأشياء مستفاد من الأشياء .

أقول لكم هذه الكلمة ، شرف العبد العالم بسبب أن **العليم** اسم من أسماء الله الحسنى ، تقول إنسان **عالم** أو **عليم** أو **علامة** ، من أين جاءه الشرف ، لأن الله **عليم** ، للإنسان اسم لا أقول يشبهه حاشا لله ، ليس كمثله شيء ، لكن تقول الله **عليم** وهذا الإنسان **عالم** ، من هنا جاء شرف **العلم** ، أي أنت كما قال النبي تخلقت بأخلاق الله ، إن الله **عالم** يحب كل **عالم** .

الآن عندنا سؤال ، ما هو أشرف **العلوم** ، أو كيف تكتسب **العلوم** شرفها ؟

إذا كان عند أحد **علم** بطريقة كسر أقفال المحلات ، هل تحس أن هذا **العلم** شريف ؟ هذا سارق .

إذا عنده **علم** بوسائل تزوير العملة ، عنده أجهزة معقدة وآلات تصوير ملونة وورق خاص ، ودارس ، وعنده كتب وعمل دورات ، هل تُعظم هذا **العلم** ، تزوير العملة مثلاً .

علم تهريب مخدرات مثلاً ، أعوذ بالله ، أحياناً يسلك المهربون في المخدرات أسـاليب وطرائق يعجز عن فهمها الأذكياء ، وقال لي بعضهم إن تهريب المخدرات بنسبة عشر بالمائة يكشف صدفة أو بإخبار ، لأن هؤلاء المهربين على مستوى رفيع جداً ، فهل تُعظم هذا **العلم** ؟ . لا بل تحتقره .

فلان **يعلم** أمراض القلب لأن الناس بحاجة إليه ترى أن هذا **العلم** مفيد ، فهو أعلـى ، إذاً فمن أين يكتسب **العلم** شرفه ؟ من شرف **المعلوم** ، فكلما شُرف المعلوم شُرف **العلم** .

إذا كان عند أحد معلومات دقيقة عن المغنيين والمغنيات ، وعن أوقات استيقاظهم وعن أوقات نومهم وعن مساجهم وعن أغذيتهم وعن قضاء أيام عطلاتهم ، فهل تحترمه .

أريد أن أؤكد أنه لا يرتفع **العلم** إلا إذا ارتفع **المعلوم** ، إذا اعتمدنا هذا المبـدأ فـأعظم العلوم ما هو ؟ ، **العلم** بالله .

فضل كلام الله على كلام خلقه كفضل الله على خلقـه ، **تعلمنـا** الفيزيـاء والكيميـاء والرياضيات والطب والهندسة والفيزيولوجيا والمورفولوجيا والى ..الخ ، وعرفنا الله ، هـذه كلها مخلوقات والله هو الخالق ، إذاً أشرف **علم** أن تعرف الله لأن شرف **العلم** مـن شـرف **المعلوم** ولا موضوع **للعلم** أعظم من ذات الله عز وجل .

والآن أن تعرف الطريق الموصل إلى الله ، **علم** شريف ، أن تعرف أمـر الله ، **علـم** شريف، أن تعرف الأحكام الشرعية التي استنبطت من القرآن ، **علـم** شـريف ، أن تعـرف أمراض القلب وكيف يسمو هذا القلب إلى ربه ، هذا **علم** شريف ، إذاً أشرف **العلوم** أن تعرف الله ، ويليها في الدرجة **العلوم** الموصلة إلى الله .

إذاً في الكون حقيقة واحدة هي الله ، وأي شيء يوصلك إليه فشرفه من شرف غايتـه ، إذا **تعلمت** العربية كي تفهم كلام الله بدقة ، فشرف هذا **العلم** مقتبس من شرف الهدف النبيل .

نتابع الموضوع : الإمام الغزالي كما قلت لكم في أول درس ألقيته في هذا المسـجد ، قال : " هناك **علم** بالله **وعلم** بأمره **وعلم** بخلقه "، **العلم** بأمره وبخلقه علمان شأنهما كشأن أي **علم** يحتاجان إلى مدارسة إلى كتب إلى إلقاء إلى دروس إلى حقائق إلى حفظ إلـى تـذكر ، وهذه **العلوم** تبقى في الذاكرة لكن **العلم** بالله من طبيعة أخرى هذا **العلم** ثمنه من غير طبيعته ، **العلم** بالله لا يأتي بالمدارسة بل يأتي بالمجاهدة ، ولا يبقى في الدماغ بل يسمو بالنفس ، ثمنـه باهظ ونتائجه باهرة جداً ، إذاً **العلم** بالله أشرف **العلوم** وأقول لكم مطمئِناً لكم ، إن دروس هذا المسجد بالذات أسماء الله الحسنى ، وأرجو الله سبحانه وتعالى أن يوفقني إلى إتمام أسـماء الله الحسنى كلها .

إنه أشرف **العلوم** أن تعرف الله ، أن تعرف اسم القدير اسم **العليم** اسم العزيـز اسـم الحكيم اسم الغفار اسم القهار اسم الملك اسم القدوس السلام المؤمن المهيمن ..الخ

أن تعرف الله وأن تكون في المستوى الذي يريده الله ، أن تكون مخلصاً محباً مستقيماً عالماً ورعاً متوكلاً ، فالفضل لله عز وجل . درسا هذا المسجد درس يتعلق بـذات الله ودرس يتعلق بقلب الإنسان ، ماذا ينبغي أن يكون عليه هذا القلب ، من **علم** وإخلاص وحب وتوكـل وصدق واستقامة ، فكأن دروس هذا المسجد خلاصة **العلوم** كلها ، لأن معرفة الله أشرف **علم** ، وأن تكون في المستوى الذي يرضى الله عنه أشرف **علم** أيضاً ، فـدرس فـي أسـماء الله ودرس في مدارج السالكين في إياك نعبد وإياك نستعين .

الآن إلى بعض التفصيلات :

أولاً : ورد **العلم** في القرآن بمعنى إثبات **العلم** لله ، أحياناً تسأل : فلان **عالم** أم غيـر **عالم** ؟ لا بل **عالم** ، قال تعالى :

إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٣٤﴾

(سورة لقمان)

إثبات **علم** :

وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ

(سورة البقرة آية ٢٥٥)

إثبات **علم** :

لَّـٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ ۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ ۖ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٦٦﴾

(سورة النساء)

وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ جَعَلَكُمۡ أَزۡوَٰجٗاۚ وَمَا تَحۡمِلُ مِنۡ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلۡمِهِۦۚ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٖ وَلَا يُنقَصُ مِنۡ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِي كِتَٰبٍۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ﴿١١﴾

(سورة فاطر)

إذاً هناك آيات كثيرة محورها إثبات **العلم** لله ، " إن الله **عالم** يحب كل **عـالم** " ، " **وَلا يحيطُونَ بِشَيء من علمه إلا بِمَا شَاءَ** " .

الشافعي لما دخل عليه **عالم** تقليدي يريد أن يسفهه أمام تلاميذه ، فقال يا غـلام هـذا الذي تقوله ما سمعناه من أين جئت به ، ما قاله أحد ، قال يا سيدي أتعلمت **العلم** كله ، فـإن قال نعم أصبح جاهلاً ، لقول الله عز وجل :

وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٨٥﴾

(سورة الإسراء)

قال هذا **العلم** من الشطر الذي لا تعرفه .

من يحيط **بالعلم** ، يظل المرء **عالماً** ما طاب **العلم** فإذا ظن أنه قد **علم** فقد جهـل ، إذا قالَ إني **عالم** فأنت جاهل بكل تواضع ، بكل صراحة لذلك أنا أتمنى من إخواننا الكرام الذين لهم رغبات علمية جامحة ويحضرون مجالس **علم** ويحرصون على فهم كلام الله وعلى فهـم السنة المطهرة ، أتمنى عليهم إذا تحدثوا عن أنفسهم أن يقولوا نحن طلاب **علم** هكذا الأدب ، ولقد سمعت هذه الكلمات من علماء كبار يقول : " أنا طالب **علم** " .

مرة ألف أحد الناس كتاباً كتب عن نفسه أنه أحد علماء دمشق .. كان الأجداد ، السلف الصالح يقولون عن أنفسهم ، الفقير إليه تعالى ، غفر الله له ذنبه آمين ، وهناك أشخاص أحقر الورى أيضاً .

إذاً وردت بعض الآيات في القرآن بمحور إثبات **العلم** لله ، يقول لك رسول الله أمي .. عميد جامعة من الجامعات ، طُلب منه إحداث ماجستير في كليـة الشـريعة ، فقـال رئـيس الجامعة لماذا الماجستير أنتم يا طلاب الشريعة نبيكم أمي ، فأجابه عميد الكلية ولكنه يـوحى

إليه وحينما يوحى إلينا نستغني عن كل الجامعة ، لذلك قال **العلماء** الأمية صفة كمال في حق رسول الله ، وصفة نقص في حق غيره ، إذا قلت عن إنسان هو أمي يعني جاهـل ، أمـا إذا قلت عن النبي الكريم هو أمي يعني هو تنزه عن **علم** البشر ، تنزه عن ثقافة عصره ، تنـزه عن معطيات الأرض ، **وعلمه** الله .

أحياناً يكون أحد الناس خريج جامعة يقول لك أنا معي بورد ، فلان معه إف . آر . إس من إنكلترا ، فلان معه أكريجيه من السوربون ، يعطيها اسم مفخم يمطها قليلاً أو بورد ، هذا هو الافتخار ب**المعلم** معناها ، فإذا افتخرنا بأن فلاناً أستاذنا ، نحن **علمنا** فلان نحن **علّمنـا** فلان ، اجلس مع المثقفين يفتخرون بأساتذتهم ، فمن **علم** النبي ؟ ، الله سبحانه وتعالى خـالق الكون **علّمه** .

يا أيها الأمي حسبك رتبةً في **العلم** أن دانت لك **العلماء**

يأتي إنسان عبقري ذكي جداً يأخذ خمسين حديثاً من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم يدرسهم ويحللهم ويدرس صياغتها بلاغتها مضامينها أبعادها مدلولاتها ، يمـنح درجـة الدكتوراه ، فهم خمسون حديثاً عن رسول الله ، أصبح دكتور في الشريعة ، يقول أنـا معـي دكتوراه ، يكتب الدكتور في الشريعة ، حتى يعرف الناس قدره .

إذاً : يا أيها الأمي حسبك رتبةً في **العلم** أن دانت لك **العلماء** ،

الأمية في حق رسول الله كمال ، وفي حق غيره نقص ، قال الله تعالى :

وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾

(سورة العنكبوت)

الآن وردت آيات **العلم** في محور آخر ، هذا المحور أن الله **عالم** قال الله تعالى :

﴿٢٥﴾ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾

(سورة الجن)

إِنَّ ٱللَّهَ عَٰلِمُ غَيۡبِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٣٨﴾

(سورة فاطر)

المحور الأول أثبتنا **العلم** لله ، المحور الثاني وصفنا ربنا بأنه **عالم** ، المحور الثالث الله **علاّم** ، كلمة **علام** على وزن فعال ، صيغة مبالغة يعني كثير **العلم** ، لنوضحها لكم ، نقـول فلان كاذب ، يعني هو في هذا القول كاذب ، يعني في حياته كلها تكلم كذبة واحدة يسمى فـي اللغة كاذب أما إذا كان يكذب كلما تنفس يقال له كذّاب ، إذاً صيغة كذاب تعنـي التكـرار ، التكثير ، المبالغة ، وأحياناً الذي يكذب كذبةً كبيرة جداً يقال له كذاب ، رجـل كـذاب كبيـر وعنده عبد كلما كذب فضحه يقول له كذب ليس كذلك القصة ، فضاق به ذرعاً واشترى لـه عباءة ، فجلس في مجلس قال عندي أرض من بيروت إلى الشام ، فخلع العبد العباءة ، ولمـا رآه خلعها قال لكن عرضها متر واحد ، قالوا له ضيقتها فقال هذا الذي ضيقها علي .

فلو أن الإنسان كذب في حياته كذبة واحدة يقال له كاذب ، أما إذا كذب كلما تنفس يقال له كذّاب ، مر بنا سابقاً أن صيغة المبالغة تعني النوع أو الكم إما أنها كذبة كبيرة جـداً وإمـا أنها كذبات كثيرة ، إذاً صيغة فعال تعني الكثرة أو الضخامة ، تعني مبالغة العـدد أو مبالغـة النوع ، فإذا قلت إن الله **علام** الغيوب يعني كل الغيوب **يعلمها** ، الله عز وجل مطلق **يعلم** كل غيب ، **يعلم** مصير كل إنسان ، وما تسقط من ورقة إلا هو **يعلمها** ، فتصور نفسك في حقـل زيتون في الخريف وكلما هبت نسمات من الرياح تساقطت أوراق الزيتون ، فيها آية قرآنية :

۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۚ وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا وَلَا حَبَّةٖ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ وَلَا رَطۡبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ﴿٥٩﴾

(سورة الأنعام)

علم ما كان **وعلم** ما يكون وعلم ما لم يكن لو كان كيف كان يكون .

المحور الرابع **الأعلم** :

وَكَذَٰلِكَ أَعۡثَرۡنَا عَلَيۡهِمۡ لِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيۡبَ فِيهَآ إِذۡ يَتَنَٰزَعُونَ بَيۡنَهُمۡ أَمۡرَهُمۡۖ فَقَالُواْ ٱبۡنُواْ عَلَيۡهِم بُنۡيَٰنٗاۖ رَّبُّهُمۡ أَعۡلَمُ بِهِمۡۚ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِمۡ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيۡهِم مَّسۡجِدٗا ﴿٢١﴾

(سورة الكهف)

سيدنا الصديق مدحه أشخاص ، اسمعوا ماذا قال ، هذا الصديق، هذا الـذي لـو وزن إيمان الخلق مع إيمانه لرجح ، **قال اللهم أنت أعلم بي من نفسي وأنا أعلم بنفسـي مـنهم ، اللهم اجعلني خيراً مما يقولون ، واغفر لي ما لا يعلمون ، ولا تؤاخذني بما يقولون** ، هذا موقف الصديق حينما مدح .

إذاً الله عز وجل أثبت **العلم** لذاته ، ووصف نفسه بأنه **عالم** وأنه **علام** وأنه **الأعلم** لكـن لا يصح أن تقول معلم ، قال تعالى :

قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ لَا عِلۡمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمۡتَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٣٢﴾

(سورة البقرة)

ٱلرَّحۡمَٰنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ﴿٤﴾

(سورة الرحمن)

وَعَلَّمَكَ مَا لَمۡ تَكُن تَعۡلَمُۚ وَكَانَ فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ عَظِيمٗا ﴿١١٣﴾

(سورة النساء)

فَوَجَدَا عَبۡدٗا مِّنۡ عِبَادِنَآ ءَاتَيۡنَٰهُ رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا وَعَلَّمۡنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلۡمٗا ﴿٦٥﴾

(سورة الكهف)

ملاحظة على الهامش :

إذا قال الله عز وجل وعصى آدم ربه ، قال **العلماء** لا يجوز أن تقول آدم عاصٍ، ليس لك الحق أن تشتق من فعل وعصى آدم ربه اسماً لسيدنا آدم ، وإذا قال الله عز وجل :

قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ﴿٢٦﴾

(سورة القصص)

قال لا يجوز أن تقول موسى أجير ، طبعاً هناك تعليلات لطيفة

أمر الله عز وجل لسيدنا آدم في الجنة أمر إرشادي وليس أمراً تكليفياً ، والمعصية على حقيقتها لا تكون إلا من أمرٍ تكليفي ، فحينما أكل هذا النبي العظيم سيدنا آدم ، أكل التفاحـة ، لم يخالفْ أمراً تكليفياً بل خالف أمراً إرشادياً ، فربنا قرب إلينا ما حدث قال :

فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ ۚ وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾

(سورة طه)

ليس لك أن تقول آدم عاصٍ ، ولا أن تقول موسى أجير ، هذه على هامش الموضوع ، أيضاً ما ورد في حق الأنبياء يجب أن يكون كما ورد من دون تبديل أو اشتقاق أو تغيير .

آخر شيء **العالم والعلام والأعلم والمعلم** ، كل هذه الأسماء مع أنها وردت في القرآن الكريم إلا إنها لم ترد في أسماء الله الحسنى ، لم يرد في أسـماء الله الحسـنى إلا **العلـيم** ، **والعليم** صيغة مبالغة أيضاً تفيد المبالغة في العدد وفي النوع .

آخر شيء أتمنى عليكم أن تقفوا عنده وقفة متأنية ، ماذا نستفيد من اسم **العلـيم** ، ورد في بعض الكتب أن الله عز وجل يقول ، " إن لم تعلموا أني أراكم فالخلل في إيمـانكم ، وإن علمتم أني أراكم فلم جعلتموني أهون الناظرين إليكم " ؟ .

إذا كنت لا تعلم أن الله يراك فهذا ضعف في الإيمان كبير ، وإذا كنـت تعلـم أن الله يراك فهذه حجة واهية عذر أقبح من ذنب ، إذا علمت أن الله يراك لِم جعلت الله عـز وجـل أهون الناظرين إليك ، قال الله تعالى :

يَسۡتَخۡفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسۡتَخۡفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمۡ إِذۡ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرۡضَىٰ مِنَ ٱلۡقَوۡلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٠٨﴾

(سورة النساء)

لذلك اعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك ، وقال بعض **العلماء** : " إن حـال المراقبة أن تشعر أن الله معك دائماً وهذا الشعور يورثك الخشية والاستقامة ، ونعود إلى أول آية طرحناها في هذا الدرس :

" **الله الذي خَلَقَ سَبعَ سَمَاوَات وَمن الأرض مثْلهن يَتَنَزلُ الأمر بَينَهن لِتَعلموا أَن اللهَ عَلى كُل شَيء قَدير وَأَن اللهَ قَد أَحَاطَ بِكُل شَيء علْما** " ولن تستقيم على أمره إلا إذا أيقنت أن علمه يطولك وأن قدرته تطولك **والحمد** لله **رب العالمين**

الـ ـ درس ١٥ – اسم الله : القابض الباسط " .

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الإخوة الأكارم : مع الدرس الخامس عشر من دروس أسماء الله الحسنى ، والاسم اليوم **القابض الباسط** .

الحقيقة أن إخوةً كثيرين جداً ممن تابوا إلى الله توبةً نصوحاً وممن اصطلحوا مع الله ، دائماً يسألون هذا السؤال ، فيقولون أحياناً نشعر بالسعادة والغبطة والسرور والانشراح بحيث نرى أنفسنا في الجنة وتأتي علينا ساعة أخرى فنشعر بالانقباض والضيق بحيث نتمنى الموت فما تفسير هاتين الحالتين ؟ الحقيقة إن الإجابة على هذا السؤال المتكرر الذي يعانيه كل مؤمن في هذا الدرس .

فمن أسماء الله تعالى أنه **القابض والباسط** و أول ملاحظة لا يجـوز أن تقـول إن الله **قابض** فقط ، لأنك إذا قلت **قابض** فمعنى ذلك أنك تصفه بالمنع والبخل و لكن إذا قلـت إنـه **قابض باسط**، فمعنى ذلك أنك وصفته بالقدرة والحكمة ، وإذا جمعت بين الاسمين فقد وصفت الله سبحانه وتعالى بالقدرة والحكمة ، لأن الله عز وجل يقول :

مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنًا فَيُضَـٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضۡعَافًا كَثِيرَةً وَٱللَّهُ يَقۡبِضُ وَيَبۡصُۜطُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾

(سورة البقرة)

وهكذا إذا أردت أن تعالل ، **يقبض ليبسط** و يضر لينفع و يمنع ليعطي ويـذل ليعـز ، فأنت سائر في طريق الصواب .

و الشيء الثاني معنى **القبض** باللغة هو الأخذ ؛ **والبسط** هو التوسيع والنشر ، وهـذان الشيئان وهذان الأمران يعمان جميع الأشياء ، فكل أمرٍ ضيقه الله عز وجل فقد **قبضه** ، وكـل أمر وسعه فقد **بسطه** ، وإلى بعض أبواب **القبض والبسط** . اليمن : الرزق ، قال الله تعالى :

ٱللَّهُ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ وَيَقۡدِرُ لَهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ٦٢

(سورة العنكبوت)

أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ٣٧

(سورة الروم)

فلا تقل فلان ذكي وثان عنده خبرات في التجارة رائعة جداً وثالث خطط ورابع مقتدر وآخر صاحٍ ، فالله عز وجل **يقبض ويبسط** و يرزق ويسلب ويعطي ويمنـع ، فـإذا أراد أن يرزقك ألهمك الوسائل والأساليب والموضوعات والمواقف والتحركات المناسبة للـربح ، وإذا أراد أن **يقبض** وكنت غنياً فقد سرت في طريق الإفلاس وأنـت لا تـدري ، وإذا أراد أن لا يرزقك لحكمة أرادها سد في وجهك كل الأبواب ، إذ تكون ذكياً جداً ففي هذا العمـل تسـلم المحل وفي هذا العمل تفك الشراكة ..

فإذا قال الله عز وجل : " **وَالله يَقْبِض وَيَبسطُ وَإليه تُرجَعونَ** " أو قال الله عز وجل : " **االلهَ يَبسطُ الرزقَ لِمَن يَشَاء وَيَقْدر** " فاعلم علم اليقين أن الله هو الرزاق ، وهو الذي يسلب الرزق والعوام يقولون إذا أعطى أدهش وإذا حاسب فتش ، لكن أيها الأخ الكريم إياك أن تظن أن **البسط** عند الله عز وجل فيه معنى الإسراف ، وأن **القبض** فيـه معنـى البخـل، وهـذان المعنيان يجب أن لا يردا عليك إطلاقاً ، فإذا تحدثت عن أن الله **يقبض ويبسـط** ، فلـيس إذا قبض قبض بخلاً ولا إذا بسط بسط إسرافاً ، بل **يقبض** عن حكمة و قـدرة و علـم و تقـدير **ويبسط** عن إكرام وتوسعة وامتحان، فبسطه إكرام أو امتحان وقبضـه معالجـة أو وقايـة ، والدليل قول الله تعالى :

۞ وَلَوۡ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزۡقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٖ مَّا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرُۢ بَصِيرٞ ٢٧

(سورة الشورى)

هذا المعنى الأول متعلق بالرزق ، والمعنى الثاني متعلق بالسحاب قال الله تعالى :

ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَـٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَـٰلِهِۦ ۖ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٨﴾

(سورة الروم)

هذا السحاب ينتشر في السماء كما يشاء الله عز وجل ، وقد **يقبضه** عن قوم **ويبسطه** لقوم، مطرة واحدة في منطقة ثمانون مم في ليلة واحدة ومنطقة مم واحد ، معنى هذا **قبض** عن هؤلاء **وبسط** لأولئك.

والمعنى الثالث ، **يقبض ويبسط** في الأنوار والظلال ، قال تعالى فيما يتحدث عن الليل والنهار :

ثُمَّ قَبَضْنَـٰهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٤٦﴾

(سورة الفرقان)

أين النهار إذا جاء الليل ، وأين الإشراق والوضوح ، وأين الليل إذا جاء النهار : تكون في وحشة وفي خوف وفي قلق ، فتشرق الشمس فتحس بالراحة ، وبالأنس والطمأنينة ، إذاً **يقبض ويبسط** ، يقبض النور ويبسطه .

والمعنى الرابع أن الله عز وجل **يقبض** الأرواح ، فإذا **قبض** روحه أماته ، وإذا **بسطها** أي أحياه ، فالأرزاق والسحب والظلال والأنوار والأرواح **يقبضها ويبسطها** ، و المعنى الخامس الأرض أيضاً **يقبضها** الله عز وجل قال الله تعالى :

وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ مَطْوِيَّـٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾

(سورة الزمر)

فبسط الأرض : أنه جعل الدنيا صالحة لحياتنا ، **وقبضها** : أي ينهي عملها ووظيفتها .

والمعنى السادس أن الله سبحانه وتعالى يأخذ الصدقات أي يقبضها لذلك قـال عليـه الصلاة والسلام :

" عن أبي هريرةَ قالَ : قالَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : إن العبد إذا تصدقَ مـن طيبٍ تقبلها الله منه وأخذها بيمينه ورباها كما يربي أحدكم مهـره أو فصـيله وإن الرجـلَ ليتصدقُ باللقْمة فتربو في يد الله أو قالَ في كف الله حتى تكُون مثْلَ الجبل فتصدقُوا "

(مسند الإمام أحمد)

لكن الموضوع الحساس الذي نحتاجه جميعاً هو أن الله سبحانه وتعالى **يقبض** القلـوب **ويبسطها** ... والخوف والرجاء للمستقبل ، فأنت دائماً تخاف من الله عز وجل أو ترجوه ، و **القبض والبسط** للحاضر فأنت الآن في حالة **قبض** أم في حالة **بسط** ؟ .. فإذا قلت لا أعرف فمعنى ذلك أنت خارج المدرسة ، وخارج التعليم كله ، فاسأل طالباً كم أخذت بالرياضيات ، و كم أخذت باللغة العربية ، فإذا قال لا أعرف فمعنى ذلك أنه خارج المدرسة كليـاً ، فـالمؤمن الصادق بين حالتي **القبض والبسط** .

والحقيقة إذا **قبض** الله عنك الأحوال الطيبة ، شعرت بالوحشة و بالضيق ، وبالحرمان ، و شعرت أنك مردود ، ثم شعرت أنك مرفوض ، ضن الله عليك بالتجلي ، فقد تلوت القرآن وما شعرت بشيء وقمت إلى الصلاة وما شعرت بشيء ، ثم أردت أن تذكر الله عز وجل فما شعرت بشيء ، فهذه الحالة ما اسمها ،إنها حالة **قبض** ، إذ تحس أن الله عظيم وأن الله جـل جلاله كبير ومتعال ، ومن أنت حتى يتجلّى الله عليك فالله عز وجل مربٍ ، فـإذا **بسـط** الله للإنسان الأحوال والسرور والانشراح والأنس وإذا استمر هذا الحال الطيب فتراه بعد حـين يقصر في عباداته ويتهاون في صلواته ، ويتكاسل في أعماله الصالحة ، أمـا حينمـا يـأتي **القبض** ، فيأتي مع القبض الضجر و الضيق ، فتقول " يا رب لماذا أنا على هـذا الحـال " ، فيأتي مع **القبض** الخوف ثم القلق .

إذاً فربنا عز وجل يعالج المؤمن ، ولكن هذا الكلام أقوله للمستقيم أما غيـر المسـتقيم فتأتيه حالة انقباض لا معالجة بل نتيجة طبيعية لمعاصيه ، وكل معصية معها انقباض ، حتى أن علماء النفس الأجانب ، قالوا : إن المنحرفين يشعرون بكآبة .

والآن يسمي علماء النفس الأمراض الشائعة الوبائية فـي الشـباب بـأمراض الكآبـة وأسبابها الانحراف عن الفطرة العالية التي فطروا عليها ، وكل إنسان مفطور فطرة عاليـة فإذا انحرف عنها وأساء وتعدى وبنى متعه الرخيصة على حقوق الآخرين فيشعر بالانقبـاض والكآبة ، وهذه خارج درسنا فأنا أتحدث عن المؤمنين المستقيمين الورعين ، إذ أحياناً تصيبهم حالة الانقباض ، وهذه حالة نسميها علاجاً من الله عز وجل ، فالله عز وجل يقلب المؤمن بين

القبض والبسط ، فتراه أحياناً متفائلاً ، طليق اللسان واضح السرائر ، بشوش الوجه ، وتشعر به أنه مبسوط ، و أنه سعيد ، يمشي واثقاً من مشيته ، ويتحدث واثقاً من حديثـه ، و هـذه الحالة اسمها حالة **البسط** ، فالله عز وجل تجلى على قلبه باسم الجميـل ، إذ جملـه فـأحس بالجمال، والسعادة .

ولكن هنا يوجد منزلق ، فعندما يشعر المؤمن أنه قريب من الله ومتفوق وفالح وناـجح وفائز والناس مساكين ضعيفون ، ضعيفو الهمة والعزيمة ، ومقصـرون ، وغـارقون فـي المعاصي، وبعيدون منقطعون ومطرودون ملعونون ، وهو وحده في سعادة ، وهذا الشـعور بالانبساط يأتـي معه أحياناً انزلاق ، وعجب ، أو كبر أو تعالٍ أو استطالة على الآخـرين ، فالعلاج حالة أخرى مضادة وهي **القبض** ، فترا بعد أيام مستكيناً فتقول له خير فيقول الحمد لله ، لقد كان يمشي قفزاً على الطريق ، ويقول الحمد لله ، وهو الآن متضايق ، ويعرف السبب إذ لا يوجد معصية.

و الدرس موجه للمؤمنين ، فإذا كان الكلام لغير المؤمنين فنقول له لما عصيت الله عز وجل أشعرك بالضيق وخالفت فطرتك شعرت بالكآبة وهذا مرض ، ولا يوجد إنسان يرتكب إثماً أو معصيةً إلا ويشعر أن الأرض لا تسعه على اتساعها ، قال الله تعالى :

وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ وَضَاقَتۡ عَلَيۡهِمۡ أَنفُسُهُمۡ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلۡجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيۡهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ لِيَتُوبُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾

(سورة التوبة)

فهؤلاء الذين أمر النبي عليه الصلاة والسلام أصحابه أن لا يكلموهم ضـاقت علـيهم الأرض بما رحبت ، وظنوا ألا ملجأ من الله إلا إليه فحالة **القـبض** للعاصـي والمنحـرف والمقصر.

و لو فرضنا أن الوالدة الجليلة طلبت منك حاجةً في منتصف الليل "دواء " مثلاً ، فقلت لها لا أستطيع فإنني أشعر بحاجة للنوم ، أو ليس هناك صيدلية تفتح أبوابها ، فهذا الشـعور بالذنب يورث كآبة ، وهذا موضوع آخر ، فإذا قصر الإنسان في أداء واجباتـه ، أو ارتكـب معصية أو إثماً أو خرج عن خط الاستقامة أو اغتاب ، أو أطلق لسانه في أعراض الآخرين ، أو أكل ما ليس له ، أو نظر ما لا يحق له أن ينظر ، فإذا وقع في معصية أو مخالفة يشعر بالقبض ، وهذا **القبض** ليس موضوع درسنا اليوم ، هذا قبض المعصية.

وأنا أقول إن الإنسان إذا أطاع الله عز وجل وشعر بأنه تفوق وفاز وأن الله يحبـه وأن الله يقربه وأن الله تجلى على قلبه وأنه قد ينزلق في هذا الحال ، حال **البسط** ، فيستعلي علـى الناس فيعتز بنفسه ، ويعجب ، وعندئذ علاج هذا الانزلاق حالة مضادة هي **القبض** ، فتـراه ساكتاً ، أو يتلعثم لسانه ، فيشعر بضيق ، إذ يقوم ليصلي فما يشعر بطمأنينة و يقرأ القرآن فما ترتاح نفسه ، فهذه الحالة علاج رباني لمن أعجب بنفسه ، و تاه على عباد الله ، و اسـتطال باستقامته ، هذه حالة **القبض** .

أما **البسط** ، فحينا يتألم ويتضايق ، ويشعر بالوحشة ، ويتصحر قلبه ، فقد ينزلـق مـع **القبض** إلى حالة مرضية وهي اليأس ، فإذا شارف اليأس جاءت حالة مضادة وهي البسـط ، فاعلم أيها الأخ الكريم أنك بين حالتين ، **القبض والبسط** ، لأن الله هو **القابض** وهو **الباسـط** فإذا كان **القبض** يناسبك **قبضك** إذ **قبض** الأحوال عنك ، وضيق عليك الدنيا و أشعرك بالسـأم والضجر ، وبالوحشة والبعد إذ أبى أن يتجلى على قلبك ، وإذا اقتربت مع **القبض** إلى اليـأس تجلى على قلبك فأشعرك بالقرب والأنس والسرور والانشراح ، فأنت أيها المؤمن بين حـالتي **القبض والبسط**، فما العلاج ؟ العلاج أنك إذا استحققت من الله حالة البسط ، فإياك أن تنزلـق منها إلى الغرور أو إلى الاستعلاء أو الإعجاب أو أن تستطيل على عباد الله .

إذاً مع **البسط** هناك منزلق هو الإعجاب " لو لم تذنبوا لخفت عليكم ما هو أكبر " ، فمـا الذي هو أكبر ؟ " العجب " ، وإذا أصابتك حالة **القبض** ، فما ينبغي أن تنزلق منها إلى اليأس .

إذاً : رب العالمين هو رب النفوس إذ يربي الأجساد بإمدادها بالمواد ويربي النفـوس بتقليبها من حال إلى حال ، قال الله تعالى :

﴿٢١٢﴾ فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ
﴿٢١٣﴾ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ
مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢١٦﴾
وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾
وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾

(سورة الشعراء)

فأنت أيها المؤمن تتقلب من حال إلى حال ، من حالة بسط إلى حالة **قبض** ، وإلى **بسط** وإلى **قبض** ، فأنت موضوع عناية الله عز وجل تربيته ، فلذلك استسلم .

أما إذا جاءك **القبض** إثر معصية أو مخالفة أو عـدوان أو انحـراف ، فهـذا **قـبض** المعصية وهذا موضوع آخر ، فأية معصية وراءها إحساس بالكآبة وهذه هي الفطرة .

وربنا عز وجل لِم أودع فيك العقل ؟ .. لتعرفه ! ولِم أودع فيك هذه الفطرة العاليـة ؟ .. لتعرف خطأك .

فبالعقل تعرف ربك وبالفطرة تعرف خطأك ، إذ يأتي **الانقباض**

وعن النواس بن سمعان الأَنْصارِي قَالَ : سَأَلْتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم عـن الْبِر والإِثْمِ فَقَالَ : الْبِر حسن الْخُلُق والإِثْم ما حاك في صدرِك وكَرِهتَ أَن يطلع عليه الناس *

(صحيح مسلم)

واعلم أن معك ميزاناً ، إذا كذب الإنسان أو اعتدى أو خان أو نظر نظرة لا تحق له أو استطال بلسانه أو فإن يشعر ب**الانقباض** ، وهذا إذا كان فيه إحساس .

و أحياناً تنطمس الفطرة ، ويتعطل الميزان ، فهذا الإنسان لا يعي الخير : عـن أَبِـي هريرةَ أَن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قَالَ : إِن الْمؤْمن إِذَا أَذْنَب كانَتْ نُكْتَةٌ سوداء فـي قَلْبِه فَإِن تَاب ونَزع واستَغْفَر صقلَ قَلْبه فَإِن زاد زادتْ فَزَاك الران الذي ذَكره الله في كتَابِه (كَلا بلْ ران علَى قُلُوبِهِم ما كانُوا يكْسبون)

(سنن الترمذي)

فالمعاصي تلو المعاصي والمخالفات والانغماس في الدنيا والتطـاول علـى خلـق الله وترك العبادات وترك الذكر ، و ينتهي بقلب مغلف :

خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَـٰرِهِمْ غِشَـٰوَةٌ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٧﴾

(سورة البقرة)

إن ختم حكمي ، فإذا امتلأ القلب من حب الدنيا ، فليس هناك محل لشيء آخر فيه ، إذاً ختم القلب ختماً حكمياً ، **فالقبض** والضيق والوحشة الناتجة عـن المعاصـي هـذه علاجهـا الطاعات والتوبة أما **القبض** الذي ليس له سبب ظاهر لمن يمشي في طريق الإيمـان فهـذا القبض معالجة إلهية لطيفة ، وقد قال العلماء في عدة مصادر " إنه على المـؤمن أن يصـبر حتى تنجلي هذه الحالة بتقدير الله عز وجل ".

وهناك تعريف لطيف جداً **للقابض** للقشيري ، يقول : " **القابض** الذي ملك زمـام كـل شيء "، ومن معاني **القابض** القدير ، فأحياناً أنت لا تستطيع أن تدس الحزن بقلب إنسـان إذا كان سعيداً، ولو كلمته لا يبالي بكلامك ، لكن ربنا عز وجل قدير ومعنى قدير أنه ملك زمـام كل شيء **يقبض ويبسط** كيف يشاء **يقبض** العقل فلا يفهم يقول لك ما فهمت .

دخل طالب مغرور على امتحان ، وهو صديق لي ، فجاء سؤال مؤتمر بـرلين فـي التاريخ، قال بقيت ساعة وأنا أفكر أين عقد هذا المؤتمر؟ وهو اسمه مؤتمر برلين عقد فـي برلين ..! ، أحياناً يرى الشيء على خلاف ما هو عليه في الامتحانات ، فالإنسان إذا اعتـز بعقله وتاه بذكائه يرتكب حماقات يترفع عنها الحمقى ، ليريه الله عز وجل أنه هو **القـابض** ، **يقبض** عنك الفهم ، **ويقبض** العقل فلا يفهم **ويقبض** القلب فلا يغنم ، تراه يقول : " ضاق قلبي " ، هذه المشاعر ليس لها سبب واضح ، فالبيت واسع والزوجـة ممتـازة والأولاد أصـحاء والدخل يسير فلا مشكلة ، ويقول:

"يضيق قلبي ، وأكاد أموت ضيقاً " فتقول له قلبك بيده ، القلب بين أصبعين من أصابع الرحمن ، هو الذي يسعدك وهو الذي **يقـبض** عنك كل سعادة . وقد ملك زمام كل شيء ، إذْ **يقبض** العقل فلا يفهم ، **يقبض** القلب فلا يغنم

وهناك قلب كبير ، مفعم بالسعادة والرضى وبالإشراق الربـاني وقلـب متصـحر ، كالصخر لا يرحم ولا يلين ولا يتأثر ولا يبكي **وإن يقبض** القلب فلا يغنم **ويقبض** الصدر فلا يفرح ، **ويقبض** الرزق فلا يمنح، " فيقول أرمي بالطلب يميناً فيرتد شـمالاً " ، وهـذا أحـد الشعراء المهجريين ترك لبنان إلى بلاد المهجر إلى أمريكا ، فقال :

أغرب خلف الرزق وهو مشرق وأقسم لو شرقت راح يغرب

يعني فإذا أراد الله عز وجل ألا يرزقك لو ذهبت إلى أقصى الدنيا لو ذهبت إلى بـلاد الغنى وإنك تعيش فيها فقيراً ، وقد يرزقك في بلدك في أصعب الظروف ، لأنه هو الرزاق ، هذا هو الإيمان .

قال : **ويقبض** الروح فلا تفرح ، فيأتي " التشاؤم والسوداوية " ويقبض النفس فلا تمرح ، ولا يفر من حكمه وقضائه خلق من خلقه ، حكيم في فعله وتقديره ، لذلك قال ربنا عز وجل :

وَأُمْلِى لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ ﴿١٨٣﴾

(سورة الأعراف)

كلمة متين هذه صفة الأجسام التي تتحمل قوى الشد ، وأما القساوة فصفة الأجسام التـي تتحمل قوى الضغط ، فالماس قاسٍ أما الفولاذ المصفور فمتين ، ولذلك فبعض الحبال العظيمة تحمل الجسور الكبيرة فالتل فريك مثلاً على أي شيء يحمل ؟ علـى حبـال مـن الفـولاذ المصفور فالفولاذ المصفور من أمتن المعادن والماس من أقساها ، وربنا عز وجل وصـفَ كيده بأنه متين ، وكأن الله عز وجل شبه كيده بحبل متين لا يمكن أن يقطع والكافر مربوط به ، ولكن هذا الحبل مرخى فالكافر يتوهم أنه طليق ، فهو يتحرك ويـؤذي ويـتكلم ويتـبجح ويتفلسف ويتحدى ويتطاول، ويوقع الأذى بزيد وعبيد وهو يظن أنه يفعل ما يشاء وهو علـى كل شيء قدير ، في لحظة واحدة يشد الله الحبل فإذا هو في **قبضته** ، وهذا الحبل لا يمكن أن يقطع ، وهذا معنى قول الله عز وجل "**وَأُملي لهم إن كيدي مَتين** ".

و معنى **القابض** يمكن أن يغلق عليك عقلك ، وأن يجعل قلبك متصحراً وأن يصـير نفسك سوداوية المزاج متشائمة ، وهناك حالات كآبة تدفع أصحابها إلـى الانتحـار ، لكـن المؤمن بالله عز وجل في منجىً من ذلك

رأي آخر للقشيري ، قال " **القبض والبسط** حالان يهذب الله بهما الذاكرين "، ألم يقـل النبي الكريم " أدبني ربي فأحسن تأديبي " .

فأحد إخواننا الكرام عنده معمل متواضع ، وأخ من إخوان المسجد علم أن هذا المعمـل لفلان ، في اليوم التالي ذهب إليه ، وهو معمل يصنع ألبسة ، يبيع في الجملة خمسمائة إلـى ألف اثني عشرية ، وهذا الأخ دخل إلى هذا المعمل وطلب منه ست قطع فكأن هـذا الطلـب أهان صاحب المعمل ، فقال أنا لا أبيع مفرقاً ، فقال له شكراً ، وانصرف خجـلاً ، فيقـول صاحب المعمل لقد مرت ثلاثة وعشرون يوماً وما دخل معملي إنسان ليشتري ! أما الآن فأبيع ولو قطعة واحدة و هذا تأديب الله عز وجل ! تتكلم كلمة في غير موضـعها فيحجبـك عنـه أسبوعاً فتغلي ضجراً فإذا كان هناك تقصير أو تجاوز ، فيأتي **القبض** ، وما **القبض** إلا دليـل على أن الله رفضك ، أي رفض عملك ، ورفض التصرف ، فما أقبل على قلبك و ما تجلّـى عليك ، وهذا لمن عنده حساسية بالغة .

وهناك ميزان تزان به السيارات ، تصعد فوقه فيسجل عشرين طناً ، وهذا الميـزان لا يزن أوقية بن ، ولا خمسة غرامات ذهب ولا ماسة ثلاثين قيراطاً ، وإذ وضعت عليه كيسـاً وزنه مائة كيلو فلا يتحرك ، وهناك أشخاص عندهم ميزان غير حساس ، " وهو لا يفكر بربه أبداً " ، وهذا الإنسان ليس موضوع درسنا .

أما المؤمن فبعد اللطف التام والوجهة إلى الله عز وجل يملك حساسية مفرطة ، فـإذا شعر أن قلبه في الصلاة غير مقبل يشعر أن هناك شيئاً ، فلعله قال كلمة ، أو خطر في بالـه خاطر لا يليق ، أو أساء الظن بالله عز وجل ثم لعلّه تكلّم كلمة في غير محلهـا مـع إنسـان فانكسر قلبه .

ولذلك أقسم ربنا عز وجل في القرآن الكريم ، بالنفس اللوامة ، فهناك نفس مطمئنـة : هي نفس الأتقياء الصديقين ، أهل الإحسان ، وهناك نفس أمارة بالسوء : هي نفس العصـاة ، أما نفس المؤمن فلوامة ، وهي دائماً في حساب مع نفسه عسير وفي مفاجأة ، لعلـي تكلمـت كلمة ، أو منعت هذا العطاء عن فلان ، أو هل تألم فلان مني ؟ فهو دائماً في حالة حساب مع نفسه شديد ، وهذا معنى النفس اللوامة .

قال : **القبض والبسط** حالان يهذب بهما عباده الذاكرين ، ويفتح بهما عليهم أبواب العلم والحكمة ، فإذا هجم **القبض** على أحدهم فإنه يهجم على صدره من أبـواب الجـلال وحكمـة الكبير المتعال ، وتكثر الخواطر فيشتد الخوف ، ويتذوق العبد جلال الله عز وجـل ، فتمنـع الذات الإلهية عن العبد وتحس بالجلال ، وإذا اشتد عليه هذا الحال أي لطف الله به فعند ذلـك المقدار الذي يطيقه ينفرج صدره **بالبسط** ، وإذا هجم عليه حال **القبض** وشعر بالخوف فـالله عز وجل حكيم لا يسحقه بل يعطيه قدراً من **القبض** يطيقه وعندئذ يأتيه حال **البسط** ، وهـذا كلام يتوجه إلى أناس لهم خبراتهم مع الله ولهم صفاؤهم ولطفه ولهم صدقهم و حرصهم على طاعة الله بل لهم ورعهم وعندئذ يصبح قلبهم ميزاناً دقيقاً وحساساً ، ونرجو من الله عز وجل أن نملك هذا الإحساس .

أما قلنا: هناك ميزان لا يتأثر ولا يتحرك ولا بمائة كيلو هذا معد ليزين حجماً كبيـراً ووازناً ، كسيارة شاحنة ، أما وهناك ميزان ، ترى عنده الصائغ يغلق المروحـة أثنـاء وزن الذهب لأن الهواء الصادر عنها يغير كفة الميزان وهناك ميزان لو وزنت به ورقة في وزن دقيق ، ثم كتب على الورقة كلمة واحدة رجحت الكفة ، بوزن المداد ، فكلما ارتقى المـؤمن يدق ميزانه ، فقل لي ما مستوى ميزانك أقل لك من أنت .

الميزان دائماً له حس زائد ناقص درجة ، ولو فرضنا عندنا ميزان حرارة غال جـداً وقسنا عليه ميزان حرارة رخيصاً يفرق درجة ، نقول حس هذا الميزان زائد ناقص درجـة ، وحس هذا الميزان زائد ناقص غراماً ، فكلما اشتد الحس قل الخطأ ، والمؤمن كلمـا ارتقـى أصبح عنده ميزان دقيق جداً في محاسبته نفسه ، والكلمة التي أقولها دائماً ، " من حاسب نفسه في الدنيا حساباً عسيراً كان حسابه يوم القيامة يسيراً ، ومن حاسب نفسه فـي الـدنيا حسـاباً يسيراً كان حسابه يوم القيامة عسيراً " .

وعن موضوع **القابض الباسط** ، فأصحاب عليهم رضوان الله قالوا يا رسول الله غـلا السعر فسعر لنا ، فقال عليه الصلاة والسلام: " إن الله هو الخالق **القابض** الباسط المسعر " .

والذين ضمنوا المشمش في الغوطة قدروه بسعر عشرين واشتروه بهذا السعر وباعوه بخمس ، والإنتاج كان غزيراً جداً ، والكمية الكبيرة خفضت الأسعارفإذا قال النبـي الله هـو المسعر، فالكميات بيد الله . ومرةً في الجزيرة أنتج الكيس ثمانين كيس قمح ، والعادة عشرة ، أو خمسة عشر ، وكل سنة يخرج موسم بكميات مذهلة ، مرةً الزيتون ومرة البطاطـا ومـرة البصل و ترى الأسعار تنخفض إلى أرقام خيالية ، فالله هو المسعر ، والله **القـابض يقـبض** فتكون الكميات قليلة ـ فالأسعار عالية ، ف**يبسط** ـ فتكـون كميـات كثيـرة ـ فالأسـعار منخفضة ، وإن الله تعالى هو الخالق **القابض الباسط** المسعر .

وقال بعضهم : **القابض** الذي يكاشفك فيقيك ، **والباسط** الذي بجلاله يكاشـفك بجمالـه فيبقيك، فأنت بين أن يقيك وبين أن يبقيك ، وهو **القابض الباسط** ، **والقـابض** الـذي **يقـبض** الصدقات من أربابها فيربيها **والباسط** الذي **يبسط** النعمـة وينميهـا ويهنيهـا ، إذ **يقـبض** الصدقات **ويبسط** النعم.

والقابض هو الذي يخوفك من فراقه ، **والباسط** الذي يؤمنك بعفوه وإطلاقه ، والإمـام الغزالي يقول : " **القابض الباسط** من العباد من ألهم بدائع الحكم وأوتي جوامع الكلم "، فمثلاً ، أنت داعية فإذا حدثت الناس عن رحمة الله و كرمه وعطائه وعفوه ، وقلـت لا تخـافوا يـا إخواني فالقضية سهلة والله غفور رحيم ، ولا يسعنا إلا عفوه وكرمه ، ومن نحن أمام عفـو الله إذا جعل كل دعوته الجانب المشرق ، ألا يكون حكيماً .

والإمام الغزالي كان يكتب كتاباً فوقفت دويبة فانتظرها حتى شربت من مداد القلم فلما مات رآه أحد تلاميذه وقال ياسيدي ما فعل الله بك ، قال رحمنـي الله بهـذه الدويبـة التـي انتظرتها حتى شربت ، وكل عمله ليس له قيمه ، إذ يلتبس عليك الأمر ، فمثل هذا الكلام ليس فيه حكمة. فأنت ما علاقتك **بالقابض الباسط** ؟

تحدثنا عن الله عز وجل كيف **يقبض** الأرواح **ويبسط** الحياة **ويقبض** الأرزاق ويوسعها ويقبض القلوب .

والآن السؤال أنت مؤمن فما علاقتك بهذا الاسم ؟ أي إذا دعوت إلى الله عـز وجـل يجب أن تجري موازنة دقيقة بين أن تطمع الناس برحمة الله وبين أن تيئسهم مـن عقابـه ، فاليأس مرض والطمع مرض ، فإذا ذكرت الجانب الرحماني فقط وعفوه وكرمـه وتجـاوزه وحلمه ، ولم تذكر عذابه وعقابه وإيلامه وما عنده من عذاب مقيم فلست محسناً ولست حكيماً في ذلك ، إذاً اجمع بين **القبض والبسط** حتى في دعوتك إلى الله عـز وجـل، لأن الإنسـان بحسب ما تلقمه وبحسب ما تغذيه ، وماذا قال النبي عليه الصلاة والسلام :

عن عبدالله بن عمر رضي الله عنْهما أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قالَ عـذبت امرأةٌ في هرة حبستْها حتى ماتَتْ جوعًا فَدخَلَتْ فيها النار قالَ فَقَالَ والله أعلَم لا أنْت أطْعمتها ولا سقَيتها حين حبستيها ولا أنْت أرسلْتها فَأكَلَتْ من خَشَاش الأرض*

(صحيح البخاري)

ومعنى ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم قد خوفنا ، وقال مرة :

عن أبِي هريرةَ قالَ قالَ رجلٌ يا رسولَ الله إن فُلانَةً يذْكر من كثْرة صلاتها وصـيامها وصدقَتها غَير أنها تُؤْذي جِيرانَها بِلسانها قالَ هي في النارِ قالَ يا رسولَ الله فَإن فُلانَةَ يـذْكر من قلة صيامها وصدقَتها وصلاتها وإنها تَصدقُ بِالأثْوارِ من الأقط ولا تُؤْذي جِيرانَها بِلسانها قالَ هي في الْجنة *

(مسند الإمام أحمد)

وعن أبِي هريرةَ قالَ جاء رجلٌ إِلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فَقَالَ يـا رسـولَ الله أرأَيتَ إِن جاء رجلٌ يرِيد أَخْذَ مالِي قالَ فَلا تُعطه مالَك قالَ أَرأَيتَ إِن قاتَلَني قالَ قاتلْه قالَ أَرأَيتَ إِن قَتَلَني قالَ فَأَنْتَ شَهيد قالَ أَرأَيتَ إِن قَتَلْتُه قالَ هو في النارِ *

(صحيح مسلم)

إنه أسلوب مخيف ، إذ قال عن الذين ماتوا في الحرب وذلك هم في النار، قيـل فقـد مات في الحرب و الجهاد ، قال هو في النار ، كي يدعو أصحابه إلى أن يحاسبوا أنفسـهم ، فماذا أردتُ من هذا الجهاد ، لعلي أردت سمعةً ، أو جاهاً ، أو غنائم ، فأنت تقـرأ أحاديـث النبي فتعجب ، فأحياناً تخاف خوفاً شديداً لسبب تافه وأحياناً تسمع النبي عليه الصلاة والسلام ، يطمئنك ويبشرك ويلقي عليك من رحمة الله عز وجل الشيء الكثير .

فأنت الداعية اقتد بالنبي عليه الصلاة والسلام ، وهناك دعاة كل حديثهم عـن جهـنم و دعاة كل حديثهم عن الجنة وعن الحور العين ، فهؤلاء بهذا الحديث فقد أخطأوا وهؤلاء بهـذا الحديث فقد أخطأوا، وكما أن الله **قابض باسط** فيجب أن تكون مرةً في دعوتك تخوف عبـاد الله من معصيته ومرةً تحببهم في طاعته .

وإليكم دليلاً آخر ، ورد في بعض الأحاديث القدسية : " أن سيدنا موسى قال يا رب أي عبادك أحب إليك حتى أحبه بحبك ، قال يا موسى أحب عبادي إلي تقي القلب ، نقي اليـدين ، لا يمشي إلى أحد بسوء ، أحبني وأحب من أحبني وحببني إلى خلقي ، فقال يا رب إنك تعلـم أني أحبك وأحب من يحبك فكيف أحببك إلى خلقك ، قال يا موسى ذكرهم بـآلائي ونعمـائي وبلائي " .

هنا الدقة : " ذكرهم بآلائي "، بهذه الآيات الدالة على عظمتي كي يعظموني وذكـرهم بنعمي كي يحبوني ، وذكرهم ببلائي كي يخافوني ، إذاً لا بد من أن يجتمع في قلب المـؤمن تعظيم لله من خلال الكون ، ومحبةٌ له من خلال النعم ، وخوفٌ منه من خلال النقم .

و أحياناً يريك ربنا إنساناً مصاباً بمرض خبيث ، أو توقف كليتين فحياته جحيم ففـي كل أسبوع تُغسل فيه الكليتان مرتين فيشعر منه بانقباض شـديد وهنـاك أمـراض وأوبئـة وأمراض عضالة ، وفقر شديد ، والله عز وجل قد يمنع حتى يندفع الفقير إلى أن ينقـب فـي القُمامة ، والله بعيني هذه رأيت أناساً كثيرين يبحثون في القمامة عن شيء يأكلونه ، ألم يقلْ : " إذا أعطى أدهش وإذا حاسب فتش " .

" يا موسى ذكرهم بآلائي ونعمائي وبلائي " ذكرهم بآلائي كي يعظموني ، إنما يخشى اللهَ من عباده العلماء ، وذكرهم بنعمائي كي يحبوني ، وذكرهم ببلائي كي يخافوني " .

وهناك حالات كثيرة ، يتجاوز فيها الإنسان وحده ، فيؤذي مخلوقاً من مخلوقات الله عز وجل ، فربنا عز وجل يدفعه الثمن باهظاً ، فمن حوله يرتدعون ، ويخافون ، فإذاً هذا الـبلاء بلاء ردعي ، وهذا الإكرام إكرام تشجيعي ، ولكن العطاء الكامل يوم القيامة ، قال الله تعالى :

كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾

(سورة آل عمران)

أما ربنا إذا أكرم إنساناً في الدنيا فهذا إكرام تشجيعي له ولغيره وإذا عاقب إنساناً فهـو عقاب ردعي له ولغيره ، فإذاً يجب أن يكون في القلب حب لله عز وجل وخوف منه وتعظيم له.

الحمد لله رب العالمين

الـ ـ درس ١٦ – اسم الله : " المعز المذل " .

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الإخوة المؤمنون مع الدرس السادس عشر من دروس أسماء الله الحسنى ، والاسم الذي هو مناط هذا الدرس هو المعز والمذل ولهذا الاسم مقدمة مهمة أرجو أن تكون واضحةً في أذهانكم .

أولاً الإنسان حينما فطره الله عز وجل ؛ فطره على أسس ، من هذه الأُسس أنه خَلَقَ فيه دافع الجوع ، وهذا الدافع هو سبب بقائه وسبب استمرار الحياة بالنسبة إليه ، لولا هذا الدافع لترك الطعام والشراب وانهار جسمه ومات من دون أن يشعر بحاجة إلى تناول الطعام ، فدافع الطعام والشراب هو الذي يدفعه دائماً إلى التزود بالطعام والشراب حفاظاً على وجوده أو حفاظاً على حياته ، هذا الدافع الذي أودعه الله بالإنسان معروف لدى الجميع .

أما بقاء الجماعة ، بقاء الجنس البشري يحتاج إلى دافع آخر ، إنه دافع الجنس ، فما أودع الله في الرجل وفي المرأة على حد سواء من أن يتجه كل منهما إلى الآخر إلى أن يتم الاتصال وقد شرع الله له الزواج ، هذا دافع آخر يدفع الإنسان إلى الحفاظ على بقاء النوع ، فالطعام والشراب يضمن بقاء الفرد بينما دافع الجنس يضمن بقاء النوع .

لكن علماء النفس وجدوا أن في الإنسان دافعاً قوياً جداً لا يقل عن دافع الطعام والشراب ولا يقل عن دافع الجنس ، هو دافع ما يسمى بالشعور بالأهمية ، أو تحقيق الذات أو تأكيد الذات ، ويمكن أن نسميه في هذا الدرس العزة ، فكل مخلوق لو توافر له الطعام والشراب ولو توافرت له الزوجة ، يشعر أنه لا بد من أن يكون مهماً ، لابد من أن يعتز لابد من أن يعتز ولو بجسمه ولو بماله ، ولو بنسبه ولو بخبرته ولو بحرفته ولو بقدرته على الأذى ، ولو بجبروته ، هناك دافع فطري يدفع الإنسان على الاعتزاز ، أن يؤكد ذاته ، أن يشعر الآخرين بأنه إنسان خطير ، بأنه متفوق أو بأنه عزيز.

السؤال الأول : لماذا أوجد الله في الإنسان دافع الطعام والشراب؟ الإجابة سهلة ، حفاظاً على بقاء الفرد ، ولماذا أوجد الله في الإنسان دافع الجنس ؟ حفاظاً على بقاء النوع وإعمار الأرض .

أما لماذا خلق الله في الإنسان دافع الاعتزاز ؟ دافع تأكيد الذات، دافع الشعور بالأهمية ؟ فالإجابة عنه أيضاً سهلة ، هذا عون من الله عز وجل للنفس البشرية لعل هذا الدافع يقيها من الانحراف .

الإنسان أحياناً يخاف على سمعته ، يخاف على شرفه ، يخاف على مكانته ، يخاف على مرتبته ، يخاف على درجته أن تُخدش وأن تُمرغ بالوحل ، أن يتحدث الناس عنه بالمكروه ، بما هو مكروه ، يخاف أن يفتضح ويخاف أن يسقط من عين الناس ، لولا هذا الدافع ، دافع الاعتزاز لهانت على كل إنسان معصيته ، لهان سقوطه ولهان عليه انحرافه ولهان عليه انغماسه في الوحول ، طبعاً ليس معنى هذا أنه ليس في بني البشر من هانت عليه نفسه ، الفطرة قد تشوه والعزة قد تمرغ بالوحل ، هذه حالات شاذة وحالات استثنائية ليست مناط الحكم ، نحن حينما نقول الإنسان هكذا نقصد في الأعم الأغلب وفي الخط العريض ، أما في كل حكم هناك استثناءات وحالات خاصة في الطرف الأول والطرف الثاني لكن معظم الناس ، مثلاً لو أن طفلاً في مدرسة رأى قلماً وأعجبه وضع القلم في جيبه، صاحب القلم اشتكى ، المدرس سأل ، لا أحد يجيب لو فرضنا أن هذا المدرس منع الطلاب من الخروج من الصف، وفتش الطلاب واحداً واحداً ، وضبط هذا القلم في جيب أحد الطلاب ، لو أن هذا الطالب في الصف الأول أو في الحضانة أو في أي صف ، يشعر هذا الطالب وقد كشف أنه سرق قلماً وكذب ، يشعر بآلام لا توصف يشعر بخجل شديد يشعر إن كان فصيحاً يتمنى أن الأرض تبتلعه ، ما هذا الشعور ؟ هذا شعور الاعتزاز الذي أودعه الله في الإنسان .

أودع الله في الإنسان هذا الشعور من أجل أن يبتعد عن المعصية ترفعاً واعتزازاً وتأثماً ، فنحن بادئ ذي بدء نقول أودع الله عز وجل في الإنسان دافع الطعام والشراب ودافع الجنس ودافع الاعتزاز الأسماء المتنوعة ، الشعور بالأهمية أو تأكيد الذات أو إثبات الذات أو دافع الإعتزاز.

لو جلست إلى أي إنسان يقول لك أنا لي موقف لا ينسى ، هذا يقول لك أنا فعلت كذا ، أنا في مصلحتي الأول ، صنعتي متقنة ، ما من إنسان إلا يعتز إما بحرفته أو بمهنته أو بماله أو بصحته أو بقوته أو بنسبه أو بكذا وكذا .

إذاً ما أودع الله في الإنسان هذا الدافع إلا من أجل أن يقيه السقوط إلا من أجل أن يقيه الإنحراف ، إلا من أجل أن يقيه الفضيحة ، قصة أرويها لكم سريعاً :

رجل منحرف متبذل متحلل من كل قيد اقتنى آلة تصوير فيديو وصور نفسه مع امرأته ، بأوضاع متبذلة وأعاد الشريط إلى مكتب إعارة أشرطة بالخطأ ، الشريط الذي صور فيه زوجته وضع خطأً في علبة من نوع الإعارة فلما أعاد الأشرطة فوجئ صاحب هذا المكتب بشريط جديد، طبع منه نسخ كثيرة ووزعه ، إلى أن وصل الشريط إلى أخ هذا الإنسان ، نظر فإذا أخوه وإمرأة أخيه في أوضاع متبذلة يندى لها الجبين، أعلم أخاه ، هذا الإنسان صحته جيدة ودخله وفير مطمئن في بيته، اضطر هذا الإنسان إلى أن يبيع بيته في دمشق وأن

ينتقل إلى حمص فراراً من الفضيحة ، ما الذي حرك هذا الإنسان ؟ اعتزازه هذه فضيحة كبيرة جداً ، الأشياء الخاصة تصبح منشورة بين الناس .

لهذا النبي ماذا قال ؟ قال : "طوبى لمن وسعته السنة ولم تستهوه البدعة" ، هذه بدعة وهناك أحاديث كثيرة جداً تؤكد على الناس ، هذه العلاقات الحميمة الخاصة لا ينبغي أن يتحدث بها فكيف إذا صورت ؟ فما الذي يجعله أن يهجر ؟ جعله يهجر دمشق ، الفضيحة ، وقد يندفع الإنسان إلى الإنتحار إذا شَعر بالفضيحة ، قصص كثيرة جداً ، يكتشف أنه تلاعب أو أنه سرق وسوف يفضح على الملأ وعلى صفحات الجرائد، قد ينتحر .

إذاً : لا تستخفوا بهذا الدافع ، دافع الإعتزاز دافع الشعور بالأهمية، دافع العزة ، دافع تأكيد الذات ، دافع إثبات الذات دافع كبير جداً وخطير وما أودعه الله في الإنسان إلا رحمة بالإنسان وما أودعه الله في الإنسان إلا حصناً له ، ما أودعه الله في الإنسان إلا سياجاً منيعاً يحول بينه وبين السقوط .

الآن ربنا سبحانه وتعالى من أسمائه المعز ومن أسمائه المذل والحقيقة أنت تكون عزيزاً لمجرد أن طبقت أمر الله ، مثلاً حينما تغض بصرك عن محارم الله حينما لا تخلو بإمرأة أبداً حينما لاتكذب ، حينما لا تقول ما ليس في قلبك لا يستطيع الناس أبداً أن يضعوك في موضع ذليل، لو أن إنسان دخل إلى بيت صديقه وصديقه ليس في البيت ، ولو كان بريئاً يتحدث الناس عنه ، يجرحه الناس ، إذاً أنت لمجرد أن تُطبق أمر الله عز وجل ، لمجرد أن تكون نزيهاً عفيفاً مستقيماً مطبقاً للشرع تكتسب عزة الشرع ، هذه أول نقطة ، يعني أنت عزيز لأنك مطيع لله عز وجل واسم الله المعز حينما أمرك بهذا المنهج حصن سمعتك .

النبي عليه الصلاة والسلام ، لا ينطق عن الهوى ، قال :

" لا يخلون رجل بامرأة " .

فأنت ما دمت مطبقاً لهذا الحديث لا يستطيع أحد في الأرض أن ينال منك ولا أن يتهمك ولا أن يمرغك في الوحل ، ولا أن يلهج بين الناس بحديث شنيع عنك ، لأنك طبقت أمر الله عز وجل ، في تطبيق أمر الله عز وجل حفاظ على سمعتك وعلى كرامتك وعلى عزتك وعلى مكانتك وعلى شأنك .

إذاً : أول فكرة بالدرس إذا طبقت أمر الله عز وجل إذا استقمت على أمره ، إذا وقفت الموقف الشرعي في كل موقف فأنت عزيز ، النبي صلى الله عليه وسلم علمنا أشياء كثيرة ، كان مع زوجته صفية رضي الله عنها ، مر صحابيان جليلان في الطريق ، قال على رسلكُما ، هذه زوجتي صفية ، البيان يطرد الشيطان ، فأنت إذا دخلت أو خرجت إذا وضحت وبينت هذه حرام، هذه حلال ، هذه تجوز ، هذه لا تجوز ، لا أدخل لبيت ليس فيه رجل حتى لو كنت من أصحاب الحرف ، إذا وجدت أنه في الدخول لهذا البيت لإصلاح صنبور الماء ،

خلوة ، أنت كمؤمن لا تدخل والك أن تضحي بأجر ذلك اليوم حفاظاً على سمعتك وعلى عزتك وعلى كرامتك ، هذا هو المعنى الأول ، أي بمجرد أن تُطبق أمر الله عز وجل فأنت عزيز أمين فالأمين عزيز ، عفيف العفيف عزيز ، صادق الصادق عزيز تصور نفسك تكلّمت بكلام فيه كذب في مجلس فدخل رجل يعرف الحقيقة ، فقال ما الموضوع ، ما الموضوع ، فقال أصحابك ، والله فلان حدثنا كذا وكذا ، ينظر إليه ، يقول أنت فعلت هذا ، كنت معك أنا وقتها ، ما الذي يحصل؟ .. يذوب ..

إذاً لن تكون عزيزاً إلا إذا كنت صادقاً ، لن تكون عزيزاً إلا إذا كنتَ عفيفاً ، لن تكون عزيزاً إلا إذا كنت أميناً ، والدليل ، لو أن ابنك رجاك أن تُجيب أصدقاءه على الهاتف أنه غير موجود وهو موجود وكذبت، لو أن أحداً في بني البشر لا يمكن أن يطلع على هذه الكذبة ، فابنك موافق وهو الذي طلب منك ، تشعر أن هناك ضعفاً في شخصيتك ، تشعر بانهيار جزئي ، لا ، قل له إبني مشغول ، أو إبني مشغول بالدراسة يعتذر عن لقائك ، هذا الصح ، فأنت لن تكون عزيزاً إلا إذا كنت مستقيماً على أمر الله، العفيف عزيز الأمين عزيز ، المستقيم عزيز ، الصادق عزيز ، المخلص عزيز ، الواضح عزيز.

أما أي إنحراف يتبعه ذُل الفضيحة ، كشف أنك لست بصادق ، جاءك الذل ، كشف أنك لست بحكيم جاءك اللوم ، كشف أنك لست بأمين جاء سحب الثقة منك ، كُشفَ أنك لست بعفيف تشكك الناس فيك .

إذاً من أسماء الله المعز أنه أنزل على نبيه كتاباً وأنطقه ببيان ، ونظّم نظاماً ، وقنن قانوناً ، وسن سنَناً ، وشرع شرائع إذا طبقتها بحكمة وبحذق وبدقة ، أول ثمرة من ثمارها أنك تعيش بين الناس عزيزاً ، لا يستطيع أحد أن يلوك سمعتك بلسانه ، لا يستطيع مفتر أن يفتري عليك ، لا يستطيع متهم أن يتهمك ، لا يستطيع لأنه لا يوجد دليل ، أما إذا هناك انحرافات ، هناك اختلاط هناك أماكن غير صحيحة ، أماكن مشبوهة ، علاقات غير صحيحة هناك تداخلات قد تكون بريئاً، ولكن الناس يمضغونك بالأفواه ، هذا المعنى الأول أن الله عز وجل يعزك من خلال شرعه، يكفي أن تطبق شرعه فأنت عزيز وإذا كنت عزيزاً حققت ثلث وجودك ، أول ثلث الطعام والشراب ، ثاني ثلث الزواج ، ثالث ثلث تحقيق الذات تأكيد الذات الشعور بالعزة ، وكما تعلمون سابقاً أنه لا يجوز أبداً أن تقول الله مذل ، الله معز ومذل ، بل إن الأصوب أنه يذل من أجل أن يعز .

مثلاً : أذكر أحد إخواننا الأكارم عنده محل تجاري ، وعين موظف ، ذلك الموظف ضعيف الوازع الديني ، ضعيف الانضباط ، من الصباح الساعة الثامنة وحتى الساعة الحادية عشر ، وحده في المعمل فقد يأتي شخص يشتري منه حاجات بخمسمائة ليرة أو بألف ليرة ، وهو زوج حديث وزوجته لها طلبات كثيرة ، ضعف أمام نفسه فمن حين لآخر يضع مبلغ في

جيبه دون أن يعلم صاحب المحل ، صاحب المحل بالفراسة بالحاسة السادسة شعر أن المحل فيه نقص بالبضاعة وفيه نقص في الغلة ، فماذا فعل صاحب المحل ، رجا صديقاً له أن يأتي محله التجاري الساعة التاسعة ويشتري حاجات بخمسمائة ليرة ويدفع ثمنها نقداً ويذهب ويعود في الساعة الخامسة ليرجع البضاعة ، فجاء صاحب المحل في الساعة الحادية عشر ، وسلم على موظفه الكريم وسأله ماذا جرى في هذه الساعات الثلاث، قال له لا شيء ، قال جاء أحد واشترى قال لا، حينما دخل هذا الشخص الساعة الخامسة وصاحب المحل وراء الطاولة والموظف ، أمام الطاولة يريد أن يرجع البضاعة قال له أية بضاعة هذه قال له اليوم اشتريتها صباحاً الساعة التاسعة ما أعجبتني أسعارها غالية، قال له هل اشترى ؟ قال : نعم ، ماذا حصل له ، قال لي : والله لو نظرت إلى وجهه لرأيت دماً، ولا ترى جلداً ، دم وجهه .

ألم يذله الله ؟ لماذا أذله ؟ ليحمله على التوبة ، فإذا تاب واستقام على أمر الله صار عزيزاً ، فالله عز وجل لا يضع الإنسان في موضع ذليل إلا من أجل أن يعالجه كي يعزه ، لذلك الله عز وجل هو المعز وهو المذل ، وينبغي أن تقرأ هذين الاثنين معاً ويبغي أن تعتقد جازماً انه إذا أذل فمن أجل أن يعز ، لكن البطل لا يحتاج إلى أن يذل كي يعز .

قلت لكم سابقاً الإنسان ممكن أن يكشف الحقائق بنفسه ، ولكن قد يكشفها بعد فوات الأوان ، وقد يكشفها وقد دفع حياته ثمناً لها ، وقد يكشفها وقد دفع سعادته الزوجية ثمناً لها .

إنسان تزوج امرأة ، دفعها إلى أن تعمل خارج البيت طمعاً براتبها دفعها إلى التحرر ، دفعها إلى الإختلاط ، فهو إنسان عصري ، إنسان متفتّح العقل ، إنسان واثق من زوجته إنسان .. إنسان .. إنسان ، يقول بعد ذلك ، حينما دفعها إلى الانفتاح وإلى الاختلاط وإلى التبذّل وإلى أن ترتدي ثياباً وفق أحدث الصرعات ، صار اهتمامها به قليلاً ، صار غيابها عن البيت كثيراً ، اتصالاتها عديدة ، فوجئ أنها اشترت بيتاً آخر ، من دخل خاص جاءها ، فوجئ أنها استغنت عنه، فقال بالحرف الواحد: أنا يلزمني ذبح على هذا التصرف الذي فعلته مع زوجتي ، يحبها لكنها دفعها نحو التحرر فأحبت غيره ، وانساقت مع غيره ، واستغنت عنه ، هذا الإنسان بربكم لو أن في دمه كريات حمراء وبيضاء وهو كذلك أنا أقول مع كل كرية حمراء وبيضاء كرية ثالثة يؤمن أنه كان مخطئاً في عمله ، لكن متى عرف أنه مخطئ بعد فوات الأوان ، بعد أن ضحى بسعادته الزوجية ، بعد أن ضحى بأم أولاده ، بعد أن افتقر إلى العش الإسلامي في البيت .

أنا لا أريد هذه التجربة ، أنا لا أريد أن تكون حكيماً بعد أن تدفع الثمن باهظاً ، أنا لا أريد أن تكون حكيماً بعد أن تدفع معظم حياتك ثمناً لهذه التجربة ، أما إذا اتبعت كتاب الله وسنةَ رسوله في مقتبل حياتك فأنت تهتدي برأي الخبير ، بحكم الخبير العليم ، أي بين أن تستعمل هذه الآلة وفق هواك ، يصيبها العطب ، تُصلح العطب ، تدفع الثمن باهظاً يهبط

مستواها ، يهبط مردودها، لو أنك استعملت تعليمات الصانع لُصنتَ هذه الآلة وأخذت منها أكبر مردود ، لذلك لو أنك عرفت الحقيقة بعد فوات الأوان ليست هذه بطولة ولكن البطولة أن تعرفها في الوقت المناسب .

إذاً : يمكن أن تكون عزيزاً إذا إتبعت كلام الله ، ويمكن أن تكون عزيزاً إذا أذلك الله عز وجل إثر انحراف وبعدها تبت من هذا الذنب ، فأنت بين أنت تكون عزيزاً بعد ذل وبين أن تكون عزيزاً بعد علم، تعلّم وكن عزيزاً ، وإياك أن تدفع ثمن عزتك ذلاً ومهانةً وإيلاماً .

قيل : الاسم المعز والمذل إسمان من أسماء الله تعالى ، وصفتان من صفات فعله ، نحن عندنا أسماء ذات وأسماء صفات وأسماء أفعال ، الله عز وجل له ذات وله صفات وله أفعال ، إذاً له أسماء ذات وله أسماء صفات وله أسماء أفعال ، فمعظم العلماء يؤكدون أن اسم المعز والمذل من أسماء الأفعال ، هما إسمان من أسمائه تعالى ، وصفتان من صفات فعله ، فإعزازه للعبد يكون في الدنيا والآخرة ، لكن إياك أن تغتر بعز الدنيا ، قد يكون عز الدنيا استدراجاً ، لذلك قال عليه الصلاة والسلام :

ألا يا رب نفس طاعمة ناعمة في الدنيا، جائعة عارية يوم القيامة. ألا يا رب نفس جائعة عارية في الدنيا، طاعمة ناعمة يوم القيامة. ألا يا رب مكرم لنفسه وهو لها مهين. ألا يا رب مهين لنفسه وهو لها مكرم. ألا يا رب متخوض ومتنعم فيما أفاء الله على رسوله، ما له عند الله من خلاق. ألا وإن عمل الجنة حزن بربوة. ألا وإن عمل النار سهل بسهوة. ألا يا رب شهوة ساعة أورثت حزنا طويلاً .

أحياناً ترى شخصاً حياته ناعمة جداً ، منزل واسع مفروش بأجمل الأثاث ، التكييف التدفئة، الديكور الجبصين ، الثريات ، كل شيء بأعلى مستوى ، مركبته ، مكتبه ، دخله ، تجارته ، مكانته ، ثيابه الأنيقة من أعلى مستوى ، ما شاء الله ، هذا طاعم شارب ناعم ، وقد يكون مكانه في النار ، وقد تجد إنسان خشن الثياب خشن الطعام خشن الشراب، منزله ضيق ، حياته من الدرجة الخامسة ، لكنه طائع لله عز وجل ، العبرة في النهاية ، "ألا يا رب نفس طاعمة ناعمة في الدنيا جائعة عارية يوم القيامة ، ألا يا رب نفس جائعة عارية في الدنيا طاعمة ناعمة يوم القيامة".

لكن : " ألا يا رب مكرم لنفسه وهو لها مهين ، ألا يا رب مهين لنفسه وهو لها مكرم " أحياناً الإنسان بدافع من عزته الباطلة يعصي الله ليحافظ على مكانته ، فلو كُنت بين أُناس فُجار، بين أُناس منحرفين وأردت أن تماشيهم في معصيته حفاظاً على مكانتك عندهم ، أنت أكرمت نفسك أمامهم، ولكنك سوف تجعلها في الوحول يوم القيامة ، " ألا يا رب مكرم لنفسه وهو لها مهين ، ألا يا رب مهين لنفسه وهو لها مكرم " .

قد تضع نفسك في الدنيا حفاظاً على دينك وحفاظاً على استقامتك، وحفاظاً على مرضاة ربك وحفاظاً على آخرتك ، وحفاظاً على اتصالك بالله، قد تضع نفسك في موضع صعب جداً ، قد تقول لا أفعل وهناك ضغط كبير أن تفعل ، قد تقول لا أفعل وهناك إغراء كبير أن تفعل ، حينما ترفض تأتيك عبارات التقريع والسخرية والتعليقات واتهامات ، " ألا يا رب مهين لنفسه وهو لها مكرم " .

قد تكون عضواً في لجنة يعرض عليك كذا وكذا ، تقول لا أفعل هذا ، حينما ترفض أن تفعل هذا ، تُعزل من هذه اللجنة ، ويأتيك اللوم الشديد ويقال لك إنك مجنون ، ضيعت فرصة العمر في أن تكون غنياً ، "ألا يا رب مهين لنفسه وهو لها مكرم " .

النبي عليه الصلاة والسلام ، قال إذا أردت إنفاذ أمر تدبر عاقبته، مرة قرأت بحثاً لطيفاً ، سألوا مائة زوج في بلد غربي ، لماذا لا تخون زوجتك ؟ هذا اسمه استبيان في علم النفس ، يعني هذا الذي لا يخون زوجته ما الذي دفعه إلى ذلك ؟ فجاء الجواب متنوعاً ، بعضهم قال لا أستطيع يعمل معها في مكان واحد فهي تراقبه ، فقال هذا أسخف جواب هو يتمنى ولكنه لا يستطيع .

أحياناً لا يستطيع تحمل الإثم ، ولو أنه بينه وبين نفسه ، إذا الإنسان فعل عمل شنيع ، ولم يعلم به أحد ، يواجه نفسه الآن ويواجه اللوم الداخلي ، يواجه التحقير الداخلي ، يواجه السقوط الداخلي ، فجاء بعض الأجوبة ، إنني لا أستطيع تحمل هذا الإثم ، وجاء جواب آخر إنني أكره الخيانة ، الثاني لو أنه تحملَ ألم الشعور بهذا الإثم لفعلها ، لكن ابتغى راحة نفسه ، لكن الثالث قال أنا أكره الخيانة ، هذا أرقى جواب .

فالإنسان حينما يضع نفسه أحياناً بمواطن صعبة حفاظاً على عزته البعيدة ، أساساً هو الأغبياء دائماً يعيشون وقتهم ، الأغبياء يعيشون لحظتهم، يعيشون ساعتهم ، أما الأذكياء يعيشون مستقبلهم ، فإذا أردتَ أن تعمل فحص ذكاء ترى إنساناً يعيش وقته ، يهمل صحته ، يهمل واجباته، تأتيه المتاعب تأتيه الهموم ، تأتيه الأمراض ، لكن الإنسان الأعقل ، النبي صلى الله عليه وسلم قال : الكيس من دان نفسه وعملَ لِما بعد الموت والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني .

كان في العصور العباسية أديب اسمه ابن المقفع ، ألّفَ كتاب كليلة ودمنة ، هذا الكتاب مترجم عن اللغة الفارسية ، كتاب فيه قصص حيوانات ، ولكن فيها مواعظ بالغة ، من هذه القصص أنه حدث عن سمكات ثلاث ، قال كيسة وأكيس منها وعاجزة ، كانت في غدير يعني غدير ماء ، فيه سمكات ثلاث كيسة ، يعني عاقلة ، وأكيس منها أعقل وعاجزة ، هذا الغدير له فتحة يتصل بها مع نهر ، قال اتفق أن مر بهذا المكان صيادان ، فأبصرا الغدير وأبصرا ما فيه من السمك ، فتواعدا أن يرجِعا ، ومعهما شباكهما ليصيدا ما فيه من السمك ، قال فسمع

السمكات قولهما " القصة رمزية طبعاً " ، أما أكيسهن ، يعني أعقلهم ، فإنها إرتابت وتخوفت " كلمة خطيرة سيأتي الصياد ليصطادني ويأكلني " أتبقى مستسلمة مرتاحة جالسة ؟ أما أعقلهم فإنها إرتابت وتخوفت وقالت العاقل يحتاط للأمور قبل وقوعها ، هذا العاقل ، خذ هذه القاعدة " العاقل يحتاط للأمور قبل وقوعها " ، والأقل عقلاً حين وقوعها والأحمق بعد وقوعها ، هذه الكيسة قالت العاقل يحتاط للأمور قبل وقوعها ولم تعرج على شيء حينما سمعت هذه الكلمة لم تفعل شيئاً حتى خرجت من المكان التي يدخل منه الماء من النهر إلى الغدير فنجت وإستراحت وأراحت وانتهى الأمر ، هذا العاقل .

وأما الكيسة الأقل عقلاً ، بقيت في مكانها حتى عاد الصيادان ، يعني بسذاجة سوف أخرج من هنا حين يقدمون ، فلما أرادت أن تخرج من حيث خرجت رفيقتها فإذا بالمكان قد سد ، أول شيء فعله الصيادان أنهما سدا المكان ، فقالت فرطت وهذه عاقبة التفريط ، لكنها لم تستسلم ، غير أن العاقل لا يقنط من منافع الرأي ، ذكية ولكنها أقل ذكاء من الأولى، ثم أنها تماوتت ، فطفت على وجه الماء منقلبةً تارةً على بطنها وتارة على ظهرها، فأخذها الصياد فوضعها على الأرض بين النهر والغدير فوثبت في النهر فنجت " ولكن تحطمت أعصابها ، دفعت ثمناً باهظاً "، وأما العاجزة ، فلم تزل في إقبال وإدبار حتى صيدت وأكلت "تراه ملبك عم يحوص " العاقل قبل وقوعها ، الأقل عقلاً مع وقوعها ، العاجز بعد وقوعها .

أحياناً الله عز وجل يعز الإنسان استدراجاً ، يعني إن فعلت كذا نضعك في هذا المكان نعطيك هذا الشيء ، شيء مغري ، هذا الشيء يرفعك بين الناس ، مبلغ كبير جداً تحل به كل مشاكلك ، تأخذ بيت فخم تأخذ مركبة تزهو بين الناس ، نضعك في هذا المكان ، بهذا العمل يصبح لك هيمنة على الآخرين نقويك نرفع شأنك ، فقط افعل هذا ، هذا عز ولكن هذا العز استدراج ، إياك أن تفعل ، قل الله الغني ، لو كنت في دائرة مظلمة لو كنت في زوايا النسيان وكنت طائعاً للواحد الديان فأنت العزيز وأنت الرابح .

قال : فأما في الدنيا فقد يكون العز بالمال وبالحال ، بالمال ، وبالجمال ، وبالغنى ، وبالقوة، وبالأعوان والأولاد ، وبالزوجات ، وبالمناصب ، وبمتع الدنيا ، وبالبيوت وبالبساتين ، أحياناً الإنسان يكون عنده مقصف جميل ، يدعو أصدقائه ، ما شاء الله ما هذا الجمال يشعر بعز، أنا عندي هذا المقصف أو عندي هذا البستان ، فالإنسان يعتز بأشياء كثيرة ببيته أحياناً يعتز ، قال هذا عز الدنيا .

إجعل لربك كل عزك يستقر ويثبت فإذا

إعتززت بمن يموت فإن عزك ميت

فحينما تعتز بشيء فانٍ فإن عزك باطل ، إما بشخص ميت ، أو بمتاع الدنيا لذلك من علامات قيام الساعة أن المرء في آخر الزمان قيمته متاعه فقط ، كل مكانتك من ثمن بدلتك ، " سان لوران ، خير إنشاء الله، صرت عظيم ، كل مرتبتك من مساحة بيتك ، من مكان بيتك " ، فالإنسان حينما يستمد عزه من الدنيا فقد وقع في متاهة كبيرة .

قال بعض العارفين : " عز الدنيا بالمال وعز الآخرة بالحال " لك حال فيه طهر ونقاء واستقامة وشوق ومحبة وقرب ، هذا عز الآخرة أما المال عز الدنيا .

قيل أن فتحاً الموصللي ، كان قاعداً ، فسئِلَ عمن يتابع الشهوات كيف صفته ، وكان بقربه صبيان ، مع أحدهما خبز بلا إدام ، ومع الآخر خبز وإدام ، فقال الذي لم يكن له إدام لصاحبه أطعمني مما معك فقال بشرط أن تكون كلبي ، فقال صاحبه نعم ، فجعل خيطاً في عنقه يعطيه اللقمة في فمه ويجره من عنقه كما يجر الكلب ، فقال فتح الموصللي للسائل أما أنه لو أنه رضي بخبزه من دون إدام ولم يطمع في إدام صديقه لم يصر كلباً له .

قصة بليغة ، قصة ثانية أو حديث ورد على لسان سيدنا داود أوحى الله تعالى إلى داود أن يا داود حذر وأنذر أصحابك أكل الشهوات فإن القلوب المعلّقة بشهوات الدنيا عقولها عني محجوبه.

وحكي عن بعضهم أن دخل على تلميذ له فقدم التلميذ خبزاً قفاراً ولم يكن له إدام ، فأخذ يتمنى بقلبه أن ليت كان له إدام يقدمه إلى أستاذه فقام الأستاذ وقال تعال معي ، فحمله إلى باب السجن ، فرأى الناس يضربون ويقطعون ويعذبون ، فقال الأستاذ لتلميذه ترى هؤلاء الذين لم يصبروا على الخبز وحده ماذا حل بهم ، يعني سرقوا .

وقيل إن رجلاً خرج من السجن وفي رجله قيد يسأل الناس ، قال أعطوني كسرة خبز ، فقال له أحدهم لو قنعت بالكسرة لما وضع القيد في رجلك .

قصة رمزية ، يروى أن رجل وقف بباب أمير ، فرأى خادماً يدخل بلا استئذان ، يعني علم أن عفة هذا الخادم هو سبب هذا الحجاب المرفوع بينه وبين الأمير ، يعني لا شيء يدق أعناق الرجال كالطمع لا شيء يذل الرجال كالطمع .

الله عز وجل معز ، معز إذا طبقت شرعه ، ومعز إذا استغنيت به عمن سواه ، لذلك يقول عليه الصلاة والسلام :

عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا يحل لمؤمن أن يذل نفسه ، قالوا: يا رسول الله وما إذلاله نفسه ؟ قال : يتعرض من البلاء لما لا يقوم له .

" اطلبوا الحوائج بعزة الأنفس؛ فإن الأمور تجري بالمقادير"

التخريج (مفصلا): تمام وابن عساكر عن عبد الله بن بسر

وأخرج الطبراني في الأوسط عن سهل بن سعد قال جاء جبريل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا محمد، عش ما شئت فإنك ميت، واعمل ما شئت فإنك مجزى به، واحبب من شئت فإنك مفارقه، واعلم أن شرف المؤمن قيام الليل، وعزه استغناؤه عن الناس.

فالعزة التي هي اسم من أسماء الله أيضاً صفة أساسية من صفات المؤمنين، لقوله تعالى :

يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾

(سورة المنافقون)

إذا كنت مؤمناً حقاً فأنت عزيز لأنك مع العزيز ولأنك على شرع العزيز ولأنك مفتقر للعزيز ومعتمد على العزيز والعزيز لن يخيب ظنك .

قال بعضهم إعزاز الله لعباده يكون بصحة قناعتهم فإن الذل كله في الطمع .

إذاً : المعز والمذل اسمان من أسماء الله الحسنى لصفتين من صفات أفعاله ، وموقف العبد من هذين الاسمين أنه إذا طبق أمر الله صار عزيزاً ، حكماً ، بمصطلح الفقهاء تحصيل حاصل ، يعني أمر الله فيه بذور عزة المطبق ، والله عز وجل بأمره التكويني يعزك إذا اعتززت به واعتمدت عليه وأخلصت له وأقبلت عليه ولم تشرك به والمعز والمذل اسمان يجب أن نلفظهما معاً ، والأصوب أن نقول يذل ليعز ، وهذا ملخص الدرس .

والحمد لله رب العالمين

الدرس ١٧ - اسم الله : "الخالق" .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، الله خالق كل شيء فاعبدوه فمع الاسم السابع عشـر مـن أسماء الله الحسنى وهو اسم **الخالق** ، بادئ ذي بدء يقول الله عز وجل :

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾

(سورة البقرة)

يفهم من هذه الآية أن **الخالق** وحده ولا أحد سواه ينبغي أن تعبده فإذا توجه الإنسان إلى غير **الخالق** فقد ضل سواء السبيل ، و**الخالق** وحده هو الذي إذا عبدته سعدت بعبادتـه ، وإذا عبدته نجوت من عذابه ، وإذا عبدته أفلحت في حياتك وفُزت بعد مماتك ، ودخلت الجنة وسعدت فيها إلى الأبد ، قال الله تعالى " **يا أيها الناس اعْبدوا ربكُمْ الذي خَلقَكُمْ والذين مـنْ قبلكُمْ لعلكُمْ تَتقُون** " .

في المعنى المألوف اليوم أن الصانع وحده هو الجهة الوحيدة التي يمكن أن تعطـي تعليمات التشغيل ، فمثلاً لديك آلة ، فما الجهة المخولة والوحيده التي لهـا الحـق أن تُصـدر تعليمات التشغيل ؟ إنه الصانع، فلو أن آلة ثمينة تملكها واتّبعت في تشغيلها جهةً غيـر جهـة الصانع فقد أفسدتها وأعطبتها وأضعفت مردودها وخسرتها ، فببساطة بالغة يقول العقـل : لا يعبد إلا الصانع، أي لا يتبع إلا الصانع ، ولا يطاع إلا الصانع " **ياأيها الناس اعْبـدوا ربكُـمْ الذي خَلقَكُمْ** " السؤال المفرود لماذا ؟ ألا يعلم من **خلق** ، فهو عليم خبير حكيم يعرف طبيعـة هذه النفس ، وما يصلحها و يفسدها ، وما يسعدها و يشقيها ، وما يرفعهـا و يخفضـها ، و يطمئنها ويخيفها إنه هو الخبير ، قال الله تعالى :

إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾

(سورة فاطر)

أي إنسان واعٍ ملك جهازاً له قيمته يحـرص علـى سـلامته ويسـأل الخبـراء المتخصصين دون غيرهم ، فقد تشتري سيارة وتراها ذات مظهر أخّاذ ولكن تخاف أن يغـدر بك البائع ، وتسأل قبل شرائها عن خبير ، فتقول له : انظر لي هذه السيارة ما قوتها ؟ ومـا طبيعة محركها ؟ وما وضعها العام ؟ وما سلامة هيكلها ؟ إذاً أنت في أمورك التـي تتعامـل معها يومياً تبحث عن الخبير، وتبحث عن العليم ، وربنا عز وجل قال :

" **إِنْ تَدْعوهمْ لا يسْمعوا دعاءكمْ ولوْ سمعوا ما اسْتَجابوا لكمْ ويوْم الْقيامة يكْفُرون بِشـرْككمْ ولا ينبئُك مثْلُ خَبِير** " ، فمثلاً في الحياة الزوجية ، قال الله تعالى :

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا۟ ٱلْعِدَّةَ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ ۖ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ ۚ لَا تَدْرِى لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا ﴿١﴾

(سورة الطلاق)

أولاً نهى الرجال عن أن يخرجوا زوجاتهم من بيوتهن إذا طُلّقن ، ونهى النساء عن أن يخرجن من دون إذن أزواجهن إذا طلقن طلاقاً رجعياً ، لأنه عليم بطبيعة النفس البشرية ، فالرجل والمرأة كلاهما ذو ميل فطري نحو صاحبه ، والنفس الفائرة قد تهدأ فورتها بعد حين ، فإذا ابتعدا عن بعضهما ، تفاقمت الأمور ودخلت جهات كثيرة على خط العلاقة الزوجية ، وربما أفسدته ، فإذا بقيت الزوجة في بيت زوجها فأكبر مشكلة في يومين أو ثلاثة تتضـاءل بإذن الله ، أما إذا خرجت الزوجة إلى بيت أهلها غاضبة فأصغر مشـكلة تغـدو كبيـرة إذا تناولتها ألسنة كثيرة ، فتفسد ما بقي صالحاً ، فلذلك هذا قانون وضـعه الخبيـر ، و الصـانع والعليم ، والخالق ، قال :

ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٞ لِّلۡغَيۡبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُۚ وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهۡجُرُوهُنَّ فِي ٱلۡمَضَاجِعِ وَٱضۡرِبُوهُنَّۖ فَإِنۡ أَطَعۡنَكُمۡ فَلَا تَبۡغُواْ عَلَيۡهِنَّ سَبِيلًاۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيّٗا كَبِيرٗا ﴿٣٤﴾

(سورة النساء)

فإذا كنت أفضل علماً وخلقاً وورعاً و تقى وقد أنفقت من مالك على زوجتـك فلـك القوامة، وإذا أردت أن تُفلح في إصلاح ما انخرق بينكما فعد إلى كتاب الله ففيه الخير والفلاح ، لقول الله عز وجل :

إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَهۡدِي لِلَّتِي هِيَ أَقۡوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ أَجۡرٗا كَبِيرٗا ﴿٩﴾

(سورة الإسراء)

ففي أي موضوع ... حتى في شأن صحتك ، وعلاقتك الخاصـة جـداً ، و كسـب رزقك ، وفي شأن شيخوختك ، عليك بهذا القرآن ففيه الهدى :

روى ابن عدي في الكامل عن أنس : " من تعلم القرآن، متعـه الله بعقلـه حتـى يموت"

وقد استرعى نظري أحد الأطباء وهو يعالج مريضاً مصاباً بتضيق شرايين الدماغ ، فصار إلى الحركة البطيئة ، فقال هذا الطبيب عليكم أن تحدثوه ، قلت وما السر في ذلـك ، قال إذا حدثتموه اضطر أن يجيب ، فإذا أراد أن يجيب تنشـطت خلايـا الـدماغ وتوسـعت الشرايين في الدماغ قلت يا سبحان الله لقد صدق النبي عليه الصلاة والسلام ، حين قال: " من تعلم القرآن متعه الله بعقله حتى يموت " .

فدماغ المصلي و قارئ القرآن ، و العابد لله عز وجل ، في نشاط دائم ، هـل أذّن الظهر؟ وهل دخل الوقت؟ و كم ركعة ؟ أول ركعة ، الثانية ، الثالثة ، الأولى مـع قـراءة ، الثالثة بلا قراءة ، فهو في نشاط دائم فإذا قرأ القرآن هنا إدغام وهنا إظهار وهنا إخفاء وهنـا

قلقلة وهنا مد طبيعي ، فالذهن متقد دائماً يحاول أن يفَهم معاني الكلمات ومعـاني الآيـات ، فالإنسان إذا قرأ القرآن فهو في نشاط دماغي دائم ، إذاً "من تعلم القرآن متعه الله بعقله حتـى يموت " . قال تعالى :

قَالَ ٱهۡبِطَا مِنۡهَا جَمِيعَۢاۖ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ ١٢٣

(سورة طه)

لا يضل عقله ولا تشقى نفسه .

قُلۡنَا ٱهۡبِطُواْ مِنۡهَا جَمِيعٗاۖ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٣٨

(سورة البقرة)

ونحن في الصفحات التالية ندور حول آية واحدة " **يا أيها الناس اعْبدوا ربكُمْ الذي خَلقَكُمْ والذين منْ قبلكُمْ لعلكُمْ تتقُون** " .

فأنت ليس لك حق أن تتبع إنساناً بعيداً عن الله عز وجل ، إياك أن تستشـير فـي أمورك شخصاً بعيداً عن كتاب الله ، مقطوعاً عن الله عز وجل ، لقوله تعالى :

وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ٢٨

(سورة الكهف)

وَٱتَّبِعۡ سَبِيلَ مَنۡ أَنَابَ إِلَيَّۚ

(سورة لقمان ، من الآية ١٥)

إذاً : الجهة الوحيدة في الكون التي تستحق أن تطيعها وأن تعبدها هو **الخالق** جـل وعلا، قال الله تعالى " **يأأيها الناس اعْبدوا ربكُمْ الذي خَلقكُمْ والذين منْ قْبلكُمْ لعلكُمْ تَتقُون** " .

وقد ذكرت من قبل أن الإنسان إذا تولى جهات أخرى يصاب بهزات تبعثره وخيبـة أمل ، وإحباط ، لأن أية جهة أخرى قد لا تعطيك الحقيقة ، أو قد تعطيك الحقيقة مزورة ، أو تنقل إليك فكرة مغلوطة لا يؤكدها الواقع ، وولا يخفى على أحد أن طمأنينة المرء وسـعادته تكمن في أن يعتقد ما صح نقله ، وما قبِلَه العقل ، وما أكدتُه الفطرة ، وما أيده الواقع ، واقـعٌ ونقل وعقل وفطرة ، هذا هو الحق فإذا انطلقت أيها القاريء الكريم في حياتك وفي حركتـك اليومية وفي نشاطك من نقل صحيح و عقل راجح ومن واقع دقيـق و فطـرة سـليمة ، وإذا اجتمعت لديك هذه الخطوط الأربعة في دائرة واحدة فأنت مع الحق ، والذي يكون مع الحق لا يخيب ظنه ولا يحبط عمله ولا ينقطع رجاؤه ولن يفاجأ بحدث لم يكن متوقعاً .

ومن الآيات التي تتحدث عن اسم **الخالق** ، قول الله عز وجل:

هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَـٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾

(سورة الحشر)

فكلمة : " الله " علَم على الذات ، أي أن الله سبحانه وتعالى هو الـذات الموجـودة الواحدة الكاملة ، وأسماء الله الحسنى على كثرتها تعود إلى أصول ثلاثة ، الله موجـود ، والله واحد ، والله كامل .. فالله موجود واجب الوجود ، والله واحد ، واحد في ذاتـه وواحـد فـي صفاته وواحد في أفعاله ، أما وإن الله كامل فأسماؤه كلها حسنى وصفاته كلها فُضلى ، لـذلك لا غرابة إذ صاح أحد العارفين " يا رب لا كرب وأنت الرب " فالله موجود واجب الوجـود ، واحد ، ليس من جهة ثانية.

أصعب ما في الحياة أن يتبعثر الإنسان بين جهتين ، فيكون له رئيسان ، هذا يأمره بكذا وهذا يأمره بكذا ولقد حدثني أحد الأصدقاء فقال: معمل يملكه ثلاثة شـركاء ، والثلاثـة إخوة ، فالعمال تمزقوا ، فهذا الأخ يعطي أمراً ويجب أن ينفّذ ، وذاك الأخ يعطي أمراً آخـر ويجب أن ينفّذ ، والأخ الثالث يعطي أمراً ثالثاً قد يتناقض أو قد لا يتسع وقت هذا العامل لتنفيذ الأوامر الثلاثة ، فضطرب الأمور ، وقد ذكر الله عز وجل هذا في كتابه الكريم ، فقال

ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلۡ يَسۡتَوِيَانِ مَثَلًاۚ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ٢٩

(سورة الزمر)

و لماذا يشقى بعض الناس في الحياة ؟ لأنهم موزعون بين جهات عديدة ، إذ عليه أن يرضي زوجته ، وأن يرضي أمه ، و أن يرضي من فوقه في العمل ، وأن يرضي فلاناً الذي تهدده ، فهو يتبعثر لكن المؤمن يرضي جهة واحدة وهذه الجهة الواحدة هي القوية وبيدها كل الجهات ، ومن هنا قال عليه الصلاة والسلام : " اعمل لوجه واحد يكفك الوجوه كلها " .

اسألوا الأطباء فمعظم الأمراض لها أسباب نفسية ، ومعروف عند عامة النـاس أن القرحة أساسها أزمات نفسية ، وأمراض القلب في معظمها مردها إلى أزمات نفسيه ، كـذلك وهناك أمراض تُصيب الجهاز العصبي أسبابها أزمات نفسية أيضاً ، والأمراض النفسيه فـي أصلها مشكلات يعانيها الإنسان ، كما أن لدي معلومات حديثة مفادها ؛ أن هنـاك دراسـات تؤكد أن معظم الأمراض العضوية لها أسباب نفسيه ، وحينما يحاول الطب أن يفصـل بـين الأمراض العضوية والنفسية يقع في ضلال كبير ، حتى إن بعض أصدقائي حدثني أنه ذهـب إلى بلد غربي لإجراء عملية جراحية في قلبه ، فقال : دخلت علي ممرضة ذات مستوى رفيع ، نسقت الأزهار في غرفتي وبينما هي تُنسقها سألتني ، ما مرضك ؟ قلت لها : عملية دسام في القلب ، قالت : من الذي سيجري لك هذه العملية ؟ قالت : فلان ، فدهشـت ، وقالـت : فلان ؟! قلت : نعم ، قالت: فلان قبل أن يجري لك هذه العملية ، أجرى عشرة آلاف عمليـة مماثلة وكلها ناجحة ولم يخفق في واحدة ، قال والله اطمأننت وارتحت ، ما دام هذا الطبيـب الذي اخترته ليجري هذه العملية من أمهر الأطباء في هذه البلدة ومن أشهرهم ومن أنجحهـم وقد أجرى عشرة آلاف عملية دون أن يخفق في عملية واحدة ارتاحت نفسي ، لكنـه فـوجئ وهو يسدد قائمة الحساب ، أن القائمة تتضمن مبلغاً كبيراً مقابل رفع معنويات المريض عـن طريق هذه الممرضة ، وهي ليست ممرضة بل هي عالمة نفس ، وظيفتها أن ترفع معنويـات المريض ، ومن أجل أن تستفيد العضوية من ثقة الإنسان في الشفاء كانت هذه العملية .

فقلت سبحان الله ، النفس مهمة جداً ، وأنا أؤكد أن أكثر الأمراض بالقلب أو بالشرايين ، أو بضغط دم وعائي ، أو ضغط دم عصبي ، أطباء كثيرون ينصحون مرضاهم بنزهة وبأن يبتعد عن بلده وعن مشكلاته ، فمثلاً يكون ذا تجارة وهناك صعوبات ، وبضاعة مصـادرة ، وأسعار تنخفض ، عندها يوعز الطبيب بكلمة واحدة أن أخروا الإجـازة ، ليتحسـن الهـدوء النفسي للمريض . فالضغط له علاقة بالنفس ، والقلب والأعصاب ، والمعدة كلها لها علاقـة

بالنفس ، وهذا الارتباط الدقيق بين النفس والجسد هو أحدث ما يبحث عنه الطب اليوم ، فلماذا كان المؤمن سعيداً ؟ لأن علاقته مع جهة واحدة ، ولا يحتاج معها إلى حلف يمين ، لا يحتاج معها إلى إيصال، ولا إلى شاهد ، فالله مطّلع ، على ظاهرك وباطنـك و حقيقتـك ونياتـك و مطامحك ، وألخص الأمر كله بالعبارة الدقيقة التالية : الإيمان صحة وعافية ، والمؤمن تبـدو صحته طيبة ، والسبب لأنه موحد قال الله تعالى :

فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾

(سـورة الشعراء)

جهة واحدة تستحق العبادة ، كما أنها تستحق الطاعة ، و الحـب، والإخـلاص وأن تعمل لها ، وأن تفني شبابك من أجلها ، وأن تبذل كل عمرك في سبيلها ، هي الذات الإلهية ، لذلك لما قال ربنا عز وجل :

وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ ﴿٥٦﴾

(سورة المدثر)

أي هو أهل أن تفني شبابك من أجله ، وأن تمضي كل حياتك في خدمته ، وأن تنفق مالك في سبيله ، وأن تبذل كل ما تملكه في رضاه، وألخصها بكلمة واحدة : تضحية صـادقة لكنها مجزية .

ولذلك فالإنسان عندما يستهلك نفسه استهلاكاً دنيوياً وينحدر إلى خريف العمر وهو قادم على حياة مجهولة ، لا يملك من نقدها شيئاً وقد أمضى حياته كلها في أشياء لا تنفعه في آخرته ، فهو في ضياع ؛ فندائي صدى لنداء الله سبحانه "**يأيها الناس اعْبدوا ربكـمْ الـذي خَلقَكُمْ** "

الجهة الوحيدة التي تستحق الطاعة والعبادة والإخلاص والحب هـي الله ، فأنـا لا أعتقد أن في الأرض رجلين تحابا كسيدنا الصديق وسيدنا رسول الله ، ومع ذلك ماذا قال عليه الصلاة والسلام قال : لو كنت متخذاً من العباد خليلاً لكان أبو بكر خليلي ولكن أخ وصاحب في الله ، أما العلائق فكلها مع الله وحده .

فأقول لكم سر السعادة أنك تعمل لوجه واحد ، فتُرضي جهةً واحدة وتبحـث عـن **خالق** عظيم فتصفيه كل نفسك ، قال الله تعالى :

هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَـٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾

(سورة الحشر)

ف**الخالق** هو الله ، صاحب الأسماء الحسنى والصفات الفضلى علم علـى الـذات .
وفي آية أخرى قال الله تعالى :

ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَـٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾

(سورة الأنعام)

فالله سبحانه ؛ يحتاجه كل شيء في كل شيء فاعبدوه فلنلاحظ أن أمر العبادة يأتي في الأعم الأغلب في القرآن الكريم بعد اسم **الخالق** ، " **اعْبدوا ربكُمْ الذي خَلقَكُمْ** " ، " **خَـالِقُ كُل شَيْء فَاعْبدوه** " .

ومن ثم تطالعنا حقيقة أخرى : هو وحده **الخالق** " ، قال الله تعالى :

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ هَلْ مِنْ خَـٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣﴾

(سورة فاطر)

عندما تَحاور سيدنا إبراهيم مع النُمرود قال إبراهيم : ربي الذي يحيي ويميت ، فرد عليه متنطعاً : أنا أحيي وأميت :

أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾

(سورة البقرة)

فكان النمرود الغباء كله ، والضلال والضياع والكفر .

وحينما تشح الأمطار وتنحبس السماء ، أقول لمن حولي : هل في الأرض كلها جهة بإمكانها أن تجتمع وأن تتخذ القرار بإنزال المطر ؟ لا . فليس لأحد حيلة إلا أن يجأر بالدعاء إلى الله عز وجل ، والضراعة لاستنزال رحمة الله سبحانه وتعالى ، إذاً هو الله **الخالق** .

" ذَلِكُمْ الله ربكُمْ لا إله إلا هو خَالِقُ كُل شَيْء فَاعْبدوه وهو على كُل شَيْء وكيلٌ "

" يأأيها الناس اذْكُروا نعْمةَ الله عليْكُمْ هلْ منْ خَالِق غيْر الله يرْزقُكُمْ منْ السـماء والأرْض لا إله إلا هو فَأنى تُؤْفَكُون "

أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾

(سورة يس)

أما صيغة " **الخلاّق** " ، فهي صيغة مبالغة لاسم الفاعل يعني كثير الخلـق وعظـيم الخلق، إذ ترى مجرة بعدها عنّا ستة عشر ألف مليون كيلو متر ، وقلـب العقـرب ، يتسـع للأرض والشمس مع المسافة بينهما ، وأربعة أخماس الكرة الأرضية بحراً ، وبعض أعماقـه عشرة آلاف متر ، إنه شيء مخيف ، واصعد إلى بعض الجبال جبال الهمالايا مثلاً ، يهولـك ارتفاعها . وانظر إلى بعض الحيوانات ، فالحوت الأزرق، مائة وخمسون طناً ، ودمه تسعون برميلاً من زيت السمك ، يستخرج من حوت واحد ، من اللحم خمسون طناً ، ومـن الـدهن خمسون طناً تقريباً وأحشاؤه خمسون طناً ، فهل من **خالق** غير الله ؟

" **بلى وهو الخَلاقُ العليم** "

الأمازون ثلاثمائة ألف متر مكعب في الثانية ، يمتد مجرى هذا النهر في البحر بما يزيد عن خمسة وثمانين كم دون أن تختلط مياهه بمياه المحيط هذا **خلق** الله فأروني ماذا **خلق** الذين من دونه ، ترى محرك ماء بسيطاً يملأ الفضاء صخباً وضجيجاً ، وقد يفسد عليك نزهتك و إذا كنت في مزرعة وتحتاج إلى ماء و أدرت المحرك فإنه يفسد عليك سكون المزرعة وجمال الطبيعة ، قال الله تعالى :

وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾

(سورة النمل)

كتل السحاب تتحرك محملة بألوف الأطنان ومع ذلك تمر بلا صوت ، بل فيها الهدوء والبشرى قال الله تعالى :

وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ

(سورةالروم : آية " ٤٦ ")

وقال الله تعالى :

ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾

(سورة المؤمنون)

وهذه الآية ذات معانٍ كثيرة فمن بعض معانيها أن الإنسان أحياناً يصنع شيئاً يكون في البداية بسيطاً لكنه كلما ارتقى علمه وارتقت خبرته يكمل عمله ، وأكبر دليل انظر إلى مركبة صنعت في عام ألف وتسعمائة وإلى مركبة صنعت في عام ألف وتسعمائة وتسعين ، فإنه لا يوجد نسبة للمقابلة الأولى ، فانوسان في الأمام ومستودع زيت وسراج ، تفتح باب البلور وتُشعل الفانوس بالثقاب ، من أجل أن ترى طريقك في الليل ، والعجلات من دون هواء (صب كامل) ، والتشغيل من الخارج بالمحرك ، وحركة واحدة والمزمار ، هذه صناعة عام

ألف وتسعمائة ، وبعض نماذجها للآن في المتاحف ، وانظر إلى مركبة عام ألف وتسـعمائة وتسعين فتفهم شيئاً كثيراً من أن الإنسان ارتقت صناعته وتكاملت أعماله ، لضعف خبرته ، إذاً فخبرته مكتسبة ، لكن انظر إلى **خلق** الإنسان ، فهل هناك إنسان معـدل ؟ إنسـان نمـط تسعين أو ثمانين ، هذا " S " وهذا بدون " S " ، ليس إلا نوع واحد وبدون أي تعـديل ، لأن علم الله قديم وأن خبرته قديمة ، فما من مرة حمل أب ولده من يده فانخلعت يده ، فالصـنعة متقنة ، والأربطة محكمة تماماً تحمل الجسم بالكامل ، قال سبحانه :

هَـٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ

(سورة لقمان : من آية " ١١ ")

وقال تعالى :

بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّـٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾

(سورة يس)

" **فَتَبارك الله أَحْسن الْخَالِقِينَ** " فإذا كنت تريد أن تعمل موازنة بين ما يصنعه الإنسـان وبين صنعة الواحد الديان فإنك ترى فرقاً كبيراً ، فأنجح طبيب أسنان إذا أراد أن يقلع لطفـل سناً فلابد من إبرة تخدير باللثة ويبكي ويبشتم الطفل ويتمرد ، وأبوه يهدئه أما عندما يقلع الله ضرساً لطفل صغير كيف يقلعه ؟ يسقط مع الأكل ، فقد ذاب جذر السن شيئاً فشـيئاً وانقطـع العصب ، " **فَتَبارك الله أَحْسن الْخَالِقِينَ** " اعمل موازنة ، ولتر الأشياء بحجمها الحقيقي ، فآلة التصوير تحتاج إلى تحميض فيلم ، يقال لك غداً ، ونظرك الأشياء لا يحتاج إلى تحمـيض ، تنظر فتشاهد حالاً بالألوان وبالحجم الطبيعي مع الحركات ، صوراً متحركة ملونة ! فأنت إذا نظرت بالعين المجردة ، رأيت مائة إنسان أمامك دفعة واحدة وكل إنسان له لون عندك ، بينما إن صورت في فيلم مائة رجل تقريباً يظهرون بلون واحد ، فالعين المجردة تفرق بين درجتين إلى ثمانمائة ألف درجة باللون الواحد ، فلو درجنا اللون الأخضر ثمانمائة ألف درجـة نجـد العين السليمة تفرق بين كل درجتين .

إذاً : " **فَتَبارك الله أَحْسن الْخَالِقِينَ** " ، ميز بين آلة التصوير وبين العين ، تر فرقـاً كبيراً جداً فمتى أُخذت المسافة والسرعة والفتحة؟ هناك فتحة وسرعة ومسافة ، فعينك بشكل عفوي وبشكل آلي تقيس المسافة، والعضلات الهدبية تضغط على الجسـم البلـوري ضـغطاً بحيث يتقوس تقوساً يجعل الخيال على الشبكية هذه المطابقة ، وهي من أعقد العمليـات فـي العين ، فكل إنسان ينظر إلى شيء دون الستين متراً يحتاج إلى مطابقة ، فالمطابقة ؛ أن هـذا الشيء لو اتجه نوره إلى العدسة لوقع الخيال إما بعد الشبكية أو قبلها ، فحتى يقع خيال ظـل

الشيء على الشبكية لا بد من أن نعدل احديداب الجسم البلوري إما ضغطاً أو بسـطاً ، فهـذه العضلات الهدبية فيها علم كبير جداً تُرى كم ميكروناً تضغط حتى يقع الخيال على الشبكية ؟ أعتقد أن عملية مطابقة العين من أعقد العمليات في جسم الإنسـان " **فَتَبـارك اللـه أَحْسـن الْخَالِقِينَ** " .

إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾

(سورة الأعراف)

طائرة تُباع من مصنع لدولة ما ، فالمصنع لا علاقة له بحركة الطائرة ، ها هي ذي تقصف مدينة ، وتنقض على قرية ، والمعمل باعها وانتهى أمره ولا علاقة له بها ، لكن ربنا عز وجل ما من شيء **خلقه** إلا وأمره بيده ، قال سـبحانه : " **إِن ربكُـمْ اللـه الـذي خَلَـقَ السماوات والأَرْض في ستة أَيامٍ ثُم اسْتَوى على العَرْش يغْشي اللَّيْلَ النهـار يطْلُبـه حثيثًـا والشمْس والقَمر والنجوم مسخرات بِأَمْره أَلا له الخَلْقُ والأَمْر تَبارك الله رب العالَمين** "

والحقيقة أن القرآن الكريم كتاب العمر ، وهو الكتاب المقرر ، وأنـا أتمنـى علـى القراء الكرام إذا قرؤوا القرآن ومرت بهم كلمة **الخلق** فليبحثوا عن العلاقة بينها وبين ما قبلها وما بعدها، على جناح السرعة ، " **هو الله الْخَالِقُ** " **خالق** الكون هو الله رب العـالمين علـم على الذات صاحب الأسماء الحسنى والصفات الفضلى ، **خالق** كل شيء ، أي لا **خالق** آخـر **خلق** أي شيء ، هو **خالق** كل شيء فاعبدوه ، هذا المعنى الإيجابي ، أما المعنى السـلبي ، " هل من **خالق** غير الله؟" " **بلى وهو الْخَلاقُ الْعليم** "، يعني **خلق** الجبال و**خلق** المجرات .

أي إما كثرة **الخلق** عدداً ، وإما عظمة **الخلق** نوعاً ، وهذا معنى **الخلاّق** ، " **فَتَبارك الله أَحْسن الْخَالِقين** " ، يعني عليك إجراء موازنة بين ما يصنعه الإنسان وما يصنعه الواحـد الديان ، " **أَلا له الْخَلْقُ والأَمْر** " مما يطمئن الإنسان أن الذي **يخلقه** الله عز وجل يبقى رهـن أمره ، فأنت اطمئن أن كل من حولك وما حولك بيد الله عز وجل .

ومن ثم ندخل في بعض التفاصيل ، ولنبدأ في تفسير كلمة **الخلق** ، **الخلق** في اللغة جاء بمعنى الإيجاد والإبداع والإخراج من العدم إلى الوجود ، سوف نتناول الآيـات بشـكل تفصيلي، الآية الأولى : " **ثُم خَلَقْنَا النطْفَةَ علَقَةً فَخَلَقْنَا الْعلَقَةَ مضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمضْغَةَ عظَامـا**

فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْماً ثُمَّ أَنشَأْنَاه خَلْقًا آخَرَ فَتَبارك الله أَحْسن الْخَالِقِين " هذه الآية تقتضي كثرة **الخالقين** ، وثَبتَ بالدلائل العقلية والسمعية أنه لا موجِد إلا الله تعالى ، فوجب حملُ **الخلق** في هذه الآية على " التقدير " ، أما أنت فتصنع من خشب ومن جلد مقعداً ، فتكون قد قدرت كمية الخشب ونوعه وجودته ونوع الجلد ومتانته ولونه ونسقت بينهما على شكل كُرسـي ، فأنـت حينما صنعت هذا الكرسي لم توجده من عدم ولكن صنعته من مواد موجودة "**فَتَبارك اللـه أَحْسن الْخَالِقِين** " هذا مما تقتضيه هذه الآية.

والآية الثانية "**إِن مثَلَ عيسى عنْد الله كَمثَل آدم خَلَقَه منْ تُرابٍ ثُم قَالَ لَـه كُـنْ فَيكُون** " فالتراب موجود قبل الخلق ، والخلق هو "التقدير " ، أي قدر كميـة تـراب معينـة بنوعيتها وخصائصها وطريقتها وأسلوبها معين ، فهنا من خلال آيات كثيرة جداً يأتي **الخلـق** بمعنى التقدير.

فالآية الأولى : "**فَتَبارك الله أَحْسن الْخَالِقِين** " ، والآية الثانية: "**إِن مثَـلَ عيسـى عنْد الله كَمثَل آدم خَلَقَه منْ تُرابٍ ثُم قَالَ له كُنْ فَيكُون**" ومعلوم أن المراد من قولـه " **كُـنْ فَيكُون** " هو الإيجاد من العدم ، إذاً : **خلقه** من تراب ثم قال له كن فيكون، إذاً الإيجـاد مـن العدم شيء **والخلق** شيء آخر .

بل إن بعض العلماء يفسر قوله تعالى " **لَه الْخَلْقُ والأَمْر** " أي **خلق** : قدر ، ثم أمر : كن فيكون يعني أوجد من عدم .

والآية الثالثة على أن **الخلق** هو " التقدير " ، فهناك سبب ، لأن الله عز وجل يقول " **هو الله الْخَالِقُ الْبارِئُ الْمصور لَه الأَسْماء الْحسْنَى يسبح لَه ما في السماوات والأَرْض وهو الْعزيز الْحكيم** " .

الخالق ، ولله المثل الأعلى ولكن للتقريب ، مهندس على الطاولة وعلى الورق صمم بناء ، وعلمه كله وضعه في هذه الخارطة ، الخارطة تضم : خارطة الأساسـات ، فالطـابق الأول والطابق الثاني والدعائم الإسمنتية ، والشُرفات وكله على الورق ، فالخلق تقديرٌ "**الْخَالِقُ الْبارِئُ** "، أما البارئ فهو الإيجاد من عدم ، كن فيكـون ، والآن جـاء دور المتعهـد فحفـر الأساسات وصبها خرسانة ، وأشاد الطابق الأول فوضع الإسمنت السائل فوق الحديد المسـلّح إلى أن قام البناء ، **فالخلق** هو التقدير ، والبارئ هو الذي أوجد من عدم .

لكن البناء على الهيكل منظره قبيح جداً ، فلابد من عمل آخر وهو إعطاء هذا البناء الشكل المقبول ، فجاء دور الطيان ثم البلاط بالسيراميك ، وأتى دور عامل الكهربـاء وزينـا الشرفات ، والجدران من الداخل والخارج ، فصار البناء جميلاً جداً ، فبين أن تضع العلم كله في أصل البناء ثم أن تبنيه وتعطيه صورةً محببة وهذا ما جاء في كتاب الإحياء حول تفسـير قوله تعالى " **هو الله الْخَالِقُ الْبارِئُ الْمصور** " ، المصور إعطاء الصورة الخارجية ، فالـذي

عنده أطلس تشريح ، يرى فيه إنساناً كله عضلات ، وهو منظر مخيـف فعضـلات الوجـه بالعشرات ، ويرى إنساناً كله أعصاب ، وآخر كله أوعية وهناك صورة هيكل عظمي، وانظر إلى الإنسان في آخر وضع بعد كسوته بالجلد تجده جميلاً وانزع الجلد عنه فهنـاك المنظـر المخيف ، فربنا أعطاه صورة جميلة ، **هو الله الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمصور** " .

وإن شاء الله تعالى لنا عودة أخرى لهذا الموضوع لأنه متعلـق **بالخـالق** البـارئ المصور، و بشكل موجز فا**لخالق** هو المقدر ، والبارئ هو الذي يوجد من عدم ، والمصـور هو الذي يعطي الصورة المناسبة لكل مخلوق ، فهذا الإنسان خلق بعلم ، فالقلب والعظام كلها خلقت علم ، وبعد العلم هناك إيجاد ، وبعد الإيجاد هناك صورة أعطاهـا الله هـذا المخلـوق كالبناء تماماً ، وكجواب على سؤال يفرد نفسه وهو : ما الفرق بين خلق وفطر ؟

فأقول موضحاً أن الفرق بين **الخلق** والفطر : " **الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السماوات والأَرْضِ** " فالحال واضح كثيراً ، لاحظ الطفلة الصغيرة ما الذي تفعله ؟ دع بنْية جسـمها وأعضـائها وأنسجتها وأشكالها وخطوطها، فلها بنْية خاصة ، وميول خاصة ، دعني أطلق عليهـا البنيـة النفسية ، فهي تميل إلى تربية الأولاد ، فقد تضع وسادة على يدها وتربت عليها ، أما الطفـل فقد يركب قضيباً يتخذه كحصان يعدو به ، فلماذا اختار الطفل لعبة الحصان ؟ واختارت الفتاة مخدة (وسادة) جعلت منها رمزاً لوليد على يدها ، يعني البنى النفسية هي الفطْرةُ .

ترى الإنسان أنه يخاف :

۞ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾

(سورة المعارج)

وَيَدْعُ ٱلْإِنسَـٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ ۖ وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ عَجُولًا ﴿١١﴾

(سورة الإسراء)

خُلِقَ ٱلْإِنسَـٰنُ مِنْ عَجَلٍ ۚ سَأُوْرِيكُمْ ءَايَـٰتِى فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴿٣٧﴾

(سورة الأنبياء)

يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾

(سورة النساء)

البنى النفسية ، يا داود ذكر عبادي بإحساني إليهم ، فإن النفوس جبلت على حـب من أحسن إليها وبغض من أساء إليها .

هذه بنية نفسيه ، وبنى جمع بنية ، وللبنية النفسية خصائص ، فالغنمة لها خصائص بجسمها وعضلاتها وجلدها وصوفها ، وهذه البنية الجسمية . ولها خصائص بنفسيتها ، يقال " مثل الغنمة " أي مطواعة ، ذلولة ، قال الله تعالى :

وَذَلَّلْنَٰهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾

(سورة يس)

فأنت ترى أنها تنساق مع صاحبها إلى حيث يريد وكيفما يريد، وطبيعة الغنم أنهـا تجتمع مع بعضها بعضاً فلا يستطيع راعٍ أن يجمع خمسين كلباً مع بعضها فكل واحد في جهة أما قطيع الغنم فمع بعضه ، هذه بنى نفسيه ، انظر إلى البقرة ، وانظر إلى الجمل ، يقال لـك الجمل حقود ، والحصان وفي ، فخصائص نفس المخلوق من الفطرة ، أما خصائص جسـمه فمن **الخَلْق** ، أعود فأكرر : إن الشيء المتعلّق بجسمه وبأعضائه وبتشريحه وبوظائفـه هـذا متعلق **بالخلق** ، وأما الذي يتعلق بخصائص نفسيته فهذا من الفطرة لذلك قال تعـالى " **فطْـرةَ الله التي فَطَر الناس عليْها** " ، فالثعلب ماكر ، والجمل حقـود ، وهكـذا كـل حيـوان لـه خصائصه ، وهناك حيوانات أهلية وحيوانات متوحشة ، وحيوانات مفترسة ،و حيوانات وديعة ، وربنا قال " **وذَلَّلْنَاها لهمْ فَمنْها ركُوبهمْ ومنْها يأْكُلُون** " .

والخلاصة إذاً : " **الْحمْد لِلّه فَاطرِ السماوات والأَرْض** " فهذا يبرز أن الله سـبحانه أعطى كل مخلوق خصائص نفسية في التعامل مع الآخرين ، وأما **الخلق** فيبرز الخصـائص المادية التي جعلها لكل مخلوق، **والخلق** تقدير ، والبرء هو الإيجاد من عدم ، والتصوير هـو إعطاء الشيء الصورةً التي أرادها الله سبحانه له .

والحمد لله **رب العالمين**

* * *

الدرس ١٨ - اسم الله : "البارئ المصور" .

بسم الله الرحمن الرحيم

مع الاسم الثامن عشر من أسماء الله الحسنى ، ألا وهـو "**البـاريء المصـور** " إذ حديثنا في الصفحات السابقة عن اسم **الخالق** الذي ورد في القرآن الكريم مقترنـاً مـع اسـم **البارئ والمصور** ، فقد درجت الكتب التي تتحدث عن أسماء الله الحسنى علـى أن تشـرح الأسماء الثلاثة معاً في سياق واحد ، وقبل أن أنتقل إلى اسم الله **البارئ المصور** لابـد مـن وقفة قصيرة مع اسم **الخالق** فتتساءل كيف يقول الله عز وجل :

فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾

(سورة المؤمنون)

وكيف يقول في آية أخرى :

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡۚ هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ ﴿٣﴾

(سورة فاطر)

في الآية الأولى يثبت الله عز وجل أن هناك خالقين كثيرين لكن الله أحسنهم ، وفي الآية الثانية يقول هل من خالق غير الله ؟ هو ينفي عن طريق الاستفهام الإنكاري أن يكـون في الكون خالق غير الله .

فالإنسان حينما يقرأ القرآن قراءة أولية ، ولا يتعمق في العلم ولا يسأل أهلَ الذكر ، وحينما يقف عند آية من الآيات المتشابهة ولا يحاول أن يسأل عنها فقد يشعر أن في القـرآن تناقضاً ، ولذلك فهؤلاء الغربيون أو المستشرقون الذين درسوا ما في الشرق من أديان ومـن ثقافات ، هؤلاء قالوا إن في القرآن تناقضاً ، وهذه نظرة ساذجة أولية لا تقف على قـدميها ، فالعلماء المحققون قالوا : " إذا قال الله عز وجل : **تبارك الله أحسن الخـالقين** " يعنـي ؛ أي إنسان أخذ مواد أولية من الأرض وصنع منها شيئاً ، وعزي الخلق عندئـذ إلـى الإنسـان ، فتعريفه كما يلي :الإنسان خالق إذ يصنع من شيء موجود شيئاً على مثال سابق "، فإذا قلت " **فَتَبَارَكَ اللهُ أَحسَن الْخَالِقِينَ** "، فهؤلاء الذين يصنعون نماذج في بعـض محـلات الألبسـة ، ويضطرون إلى صنع تماثيل يضعون عليها الألبسة ، فهذا التمثال إن كان من شـمع أو مـن

جبس أو من أية مادة ، اجعله إلى جانب إنسان من لحم ودم ولاحظ الفرق بينهما فهذا إنسـان فيه حياة وله فكر وقلب ومشاعر وهو ذكي يستنبط ويحاكم ويفكر ويتفاعل ويغضب ، ويخاف ويرجو وله أوعية وشرايين وأعصاب ، وعضلات ودماغ وجهاز عصبي ، فإذا وازنت بين من يصنع هذا التمثال كي توضع عليه الألبسة ، وبين من يخلق هذا الإنسان من لحـم ودم ، فقُل " **فَتَبَارَكَ اللهُ أَحسَنُ الخَالِقِينَ** " .

وإذا رأيت وردةً طبيعية تفوح برائحة زكية ، فأنت تشعر أن قلبك قد هفا إليها ، وإن باقة ورد تُضفي على المكان أنساً وفرحاً وسروراً ، وإذا دعي الإنسان إلى عقـد قـران رأى الأزهار . وهذه النباتات الطيبة الرائحة بألوان مختلفة دقيقة جداً ، ولا تعرفون قيمة التلـوين إلا من خلال صنع الحكيم .. فالفراشات والأزهار هي الأساتذة لمهندسي التلوين ، فلو نظرت إلى مركبة حديثة جداً ، فإنك تجد ألوانها مقتبسة إما من زهرة أو من فراشة ، يقول العـوام " هذا أصفر غير راكز " وهذا لون زهر جميل جداً بينما يمكن تدريج اللون الواحد إلى ثمانمائة ألف درجة والعين البشرية تفرق بين كل درجتين ، وإذا وضعت في بيتـك وردا صـناعياً ، فبعد أسبوع تضيق ذرعاً به ، ولا أعتقد إنساناً إلا بعد فترة أمسك بهذا الورد ووضعه في سلة المهملات ، إذ لا يحتمله ، رغم منظره الجميل وحجمه الكبير وألوانه الزاهية فالفرقُ كبير بين الورد الطبيعي والورد الصناعي ، وانظر إلى عين صنعت لتكون وسيلة إيضاح، و إلى العين البشرية ، ففيها مائة وثلاثون مليون عصية فالعصب البصري مؤلف من تسعمائة ألف عصب ، فوازن بين آلة تصوير وبين العين ، فالعين الواحدة في الثانية تلتقط عشرات الصور ولابـد من أن تمحى الصورة الأولى لتأتي مكانها الصورة التالية ، و لو أن الصورة تنطبع في العين وتبقى فالرؤية تستحيل كما أنها ترى الحركات والسكنات حتى إن الذي اخترع السينما ، قامت لديه على مجموعة صور تُعرض تباعاً في زمن قصير بحيث تتوهم أنها متحركة، لا . إنمـا هي صور ثابتة وجامدة ، فكذلك العين لابد من أن تنطبع هذه الصورة علـى الشـبكية أولاً ، وبعد ذلك تُمحى وتأتي الصورة التي تليها وهناك عتبة للرؤية ، وهذه العتبة تُريـك الأشـياء متحركة ، فإذا وازنت بين العين وبين آلة تصوير ، وبـين وردة طبيعيـة و وردة صـناعية وتمثال من شمع وإنسان حقيقي فمجال الموازنة كبير جداً ، فـإذا أردت أن تـرى صـنعة الإنسان فلاستخراج خمسة إنشات من الماء حينما تكون في بستان تسمع صوت المحرك يصم الآذان ، أما حينما يهطل المطر مدراراً بكميات كبيرة جداً فلا صوت ولا صخب ، قال ربنـا عز وجل :

وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾

(سورة النمل)

فالجبال تمر في سرعة السحاب بلا صخب ولا ضجيجها ، فإذا قرأت قوله تعالى :

فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾

(سورة المؤمنون)

إذا فلا غرابة أن يسمى الإنسان **خالقاً** لأنه صنع من شيء موجود شيئاً على مثـال سابق، فإذا قلت " **هَلْ من خَالِق غَير الله ؟!** " تفهم من هذه الآية أنه إذا عزي الخلق إلـى الله فالمعنى أن يخلق الله شيئاً من لا شيء على غير مثال سابق ، وشتان بين الخلق علـى غيـر مثال سابق وبين من دأبه التقليد على مثال سبق ، وعند الله لحم ودم وعظم وعصب وروح ، وعند الإنسان صناعة متينة .

فليس في الكون كله إلا الله يستطيع أن يصنع شيئاً من دون شيء على غَيـر مثـال سابق، أما إذا قلت الإنسان يخلق لشيئاً فتجد حقيقته واضحة في قول الله عز وجل :

أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ

(سورة آل عمران من الآية ٤٩)

أجل . كهيئة الطير وليس طيراً ، ومن طين ، لا من لحم ودم وروح ، إذاً لا تناقض بين الآيتين إذ قال تعالى في الأولى : " **فَتَبَارَكَ الله أَحسَن الْخَالِقِينَ** " بينما قـال تعـالى فـي الثانية : " **هَلْ من خَالِق غَير الله** " .

ولكن الشيء الذي يلفت النظر وسبق لي أن أوضحته أن في القرآن الكريم كلمـات إذا جاءت مجتمعة فلها معنى ، وإذا جاءت منفصلة عن بعضها فلها معنى آخـر ، مـثلاً : الفقراء والمساكين ، هاتان الكلمتان إذا اجتمعتا تفرقتا ، وإذا تفرقتا اجتمعتا ، أي إذا ذكـر الله في القرآن كلمة المساكين فقط ، فالمقصود عندئذ : الفقراء والمساكين ، أمـا إذا ذكـر كلمـة الفقراء والمساكين معاً فالفقراء صنف والمساكين وبناءً عليه إذا وردت كلمة **خـالق** وحـدها معزوة إلى الله عز وجل فهو الذي يوجد من العدم على غير مثال سابق ، أما إذا قال الله عـز وجل : هو الله **الخالق البارئ المصور** ، صار " **الخلق** " هو التقدير ، و" **البرء** " هو الإيجـاد من عدم و " **التصوير** " إعطاء الصورة .

وبعد ، فقد يسأل سائل : ما علاقتنا بهذه الأبحاث المتعلقة بأسماء الله الحسنى ؟ إنـه وقت مناسب جداً لأن أجيب على هذا السؤال ، فالإجابة : أنك إذا عرفت أن الله **خالق** فقـط ، فهذا تعرفه العامة كذلك إذ لو سألت عامةَ الناس : من **خلق** الكون ؟ لقالوا : الله ، ولكـن لـو سألتهم: ماذا تعرفون عن الله ؟لوجموا ، وهذا ما لابد من بحثه . فأن تعزو **خلق** الكون إلى الله ، هذه قضية أقر بها إبليس ، والدليل قال :

قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾

(سورة ص)

فاعترف إبليس أن الله رب وعزيز ، ولكن الاعتراف والإقرار لا يكفي ، بل المهـم هو: ماذا تعرف عن الله عز وجل ؟ وبذلك يظهر إيمانك بالله ودرجة إيمانك به ، ولدينا مقياس دقيق وصائب، فهذا الإيمان إذا حملك على طاعة الله فهو كاف كي تنجو به من عـذاب الله ، أجل إذا حملك إيمانُك على طاعة الله فنَم قرير العين واطمئِن لأنه ينجيك أما إذا كان بحجمٍ لا يكفي أن يحملك على طاعة الله فلذلك الضلال المبين أقول لكم كما قال عليه الصلاة والسلام : **عَن أَبِي هرَيرَةَ أَن النبِي صَلى الله عَليه وَسَلَمَ قَالَ قَالَ رَبكُـم عَـز وَجَـل لـو أَن عبَـادي أَطَاعوني لأَسقيتُهم المَطرَ بِالليل وَأَطلَعتُ عَليهم الشمسَ بِالنهَار وَلَمَا أَسمَعتُهم صَوتَ الرعـد وَقَالَ رَسولُ الله صَلى الله عَليه وَسَلَمَ إِن حسنَ الظن بِالله عَز وَجَل من حسن عبَادَة اللـه وَقَالَ رَسولُ الله صَلى الله عَليه وَسَلَمَ جَددوا إِيمَانَكُم قيلَ يَا رَسولَ الله وَكَيفَ نُجَدد إِيمَانَنَـا قَالَ أَكثروا من قَول لا إِلَهَ إِلا الله** *

(لتفرد به أحمد)

إذاً ، إذا اكتفيت أيها القاريء الكريم بمعرفة الله فالطريق أمامـك لازال طـويلاً ، وليس المهم أن يعرف المرء ربه ولا حجم هذه المعرفة بل المهم مردودها ، والمـردود هـو الطاعة لله عز وجل ، ولذلك قال بعض العلماء :

إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ

(سورة فاطر من الآية ١٠)

" إليه يصعد الكلام الطيب ما الذي يجعله يصعد إلى الله عز وجل ؟ بالعمل الصـالح الذي يرافقه ، فلو أن الكلام الطيب خلا من عمل صالح لما صعد إلى الله عز وجل " .

إذاً : فالذي يرفعك هو عملك الصالح ، وعملك الصالح أساسه حجم معرفتك ، فمـن الممكن أن نُعطي الإيمان كما يقولون حجماً مادياً لنتبين الحقيقة ، فلو وضعنا الإيمان في كفة ،

ووضعنا الشهوات في كفة ورجحت كفة الشهوات فالإيمان لا يكفي ، والصراع قائم لا محالة .

وربنا عز وجل حينما وصف النبي عليه الصلاة والسلام قال :

وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾

(سورة القلم)

فالنبي متمكّن من أخلاقه ، وقد انعدم أي صراع لديه ، أما إذا كان حجـم إيمانـك بحجم شهواتك ، أو كان وزن الإيمان الضاغط عليك كوزن شهواتك الضـاغطة عليـك ، أي كان الوزنان متساويين فقد دخلت في الصراع بينهما حتماً ، أما إذا كان حجم إيمانـك أكبـر فتنجو من الصراع وتكون من الفائزين وتقترب من معنى التمكن من الخُلُقْ العظيم.

وإذا كان حجم الشهوات أكبر فقد ولج المرء باب مدخل ثانٍ ، ونبدأ عندئذ بالسؤال التالي : لماذا أودع الله فينا الشهوات ؟ .. فلنتصور أولاً أن الإنسان ليس فيه شهوات بل عنده عقل فقط وعقله يأمره أن يتجه إلى الله ، فأين العبودية لله ، لا تبدو عبوديتـك ولا حبـك ولا إخلاصك ، ولا طاعتك ، بل كل حقيقة الحياة الدنيا التي أساسها الابتلاء لا تظهر ، إذا لـيس لدى المرء شيء من الشهوات فلحكمة أرادها الله عز وجل ، أودع فيك أيها الإنسـان شـهوةً وأعطاك عقلاً ، فالعقل له نداء والشهوة لها نداء ، فإذا غَلَب نداء الشهوة فسينطبق على هـذا الإنسان قوله تعالى :

حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا
فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّآ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ
يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾ فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا
يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ
خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ
﴿١٠٣﴾ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ ﴿١٠٤﴾

أَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٠٥﴾ قَالُواْ رَبَّنَا
غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا
فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴿١٠٧﴾ قَالَ ٱخْسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾

(سورة المؤمنون)

أي غلبت علينا شهوتنا ، التي أشقتنا ، فسماها بنتائجها ، غلبت علينا شـهواتنا التـي كانت سبب شقائنا ، وكنا قوماً ضالين ، **رَبنَا أَخْرِجنَا منْهَا فَإن عدنَا فَإنـا ظَـالمونَ * قَـالَ اخْسَئُوا فيهَا وَلا تُكلمون .**

إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِى يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ
خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِى
وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١١٠﴾ إِنِّى جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓاْ أَنَّهُمْ هُمُ
ٱلْفَآئِزُونَ ﴿١١١﴾

(سورة المؤمنون)

إذاً لابد من معرفة أن في الإنسان دافعاً شهوانياً ووازعاً عقلياً فإذا غلب العقل على الشهوة نجا ، وإذا غلبتْ الشهوة على العقل هلك ولحكمة أرادها الله أنـت ممـتحن دائمـاً ، ممتحن بين أن تنام وبين أن تُصلي ، فالعقل يقول لك قم فصل ، والجسم يقـول اخلُـد إلـى

الفراش فأنتَ متعب ، تسمع أذان الفجر ، فيقول لك العقل قُم فصل هذا وقت الصلاة والصلاة خير من النوم ، ويقول لك الجسد ابقَ مستريحاً فقد سهرت طويلاً وأنت إنسان متعب ، وعليك أن تقوم إلى عملك نشيطاً ، فتصلي قضاءً ، لاحظ نفسك دائماً فأنت بين نداء الشـهوة ونـداء العقل فإذا غَلَب عقلُك نجوت وسعدت ، وإذا غلبت شهوتك أهلكت نفسك وشقيت .

لذلك هذا ما قاله الإمام علي كرم الله وجهه " **ركب المَلَك من عقل بلا شهوة وركب الحيوان من شهوة بلا عقل ، وركب الإنسان من كليهما فإن سما عقله على شهوته أصـبح فوق الملائكة ، وإن سمت شهوته على عقله أصبح دون الحيوان** " .

وما تراه عيناك في الدنيا من انحراف النـاس وسـقوطهم فـي مهـاوي الرذيلـة وانغماسهم في الملذّات المحرمة ، إنما هي معركة انتصرت فيها الشهوة :

وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾

(سورة النازعات)

فلماذا وجدت أسماء الله الحسنى ؟ كي يكون أمر الله عز وجل عظيماً مستمداً مـن عظمة الله ، لا حظ نفسك لو كنت في ثُكنة ، فجاءك أمر من عريف ، فالأمر له وقع عندك ، لو جاء من عريف أول لكان له لوقع آخر ، وكلما ارتفعت الرتبة كان وقع الأمر أشد ، فلـو جاءك أمر من قائد الجيش لبادرت إلى التطبيق خوف العقاب والمسؤولية، فإذاً المشكلة أن أمر الله بين الناس مبذول ، والقرآن موجود والعلماء يشرحون كل أمر فلماذا يعصي الإنسـان الله عز وجل ؟ لأنه لا يعرف حقيقة الآمر ، فلو عرفه لَطَبقَ الأمر ؛ فإذا عرفنا أسماء الله الحسنى وعرفنا عظمة الله عز وجل عندئذ يعظُم عندنا أمره وإذا عظّمنا أمره بادرنا إلـى تطبيقـه ، فلذلك : أرجحكم عقلاً أشدكم لله حباً .

عَنْ مسْلمٍ عَنْ مسْروق قَالَ كَفَى بِالْمرْء علْمًا أَنْ يخْشَى الله وكَفَى بِـالْمرْء جهْـلا أَنْ يعْجـب بِعلْمه *

وحينما نتلو قوله تعالى :

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾

إذاً لماذا تعبدونه ؟ لأنه الذي خلقكم ، وهو سبحانه **خالق** ورب ومسـير فيجـب أن تؤمن أنه **خالق** ورب ومسير ويجب أن تؤمن أنه واحد في **خلقه** ، واحد في ربو بيته ، واحد في تسييره ، فوحدانية **الخلق** ووحدانية الربوبية ، ووحدانية التسيير ، هذه هي التي إذا أيقنـت بها وعملت لتحقيقها وبمقتضى ما أمرك هذا الخالق نجوت وارتقيت .

وبالمناسبة ، ففهم الاسم شيء وأن تعيشه شيء آخـر ، أي إذا فهمـت أن الله هـو **الخالق** بمعنى أنه **خلق** الأشياء من غير شيء على غير مثال سابق ، فقد تنطلق فـي الحيـاة مؤمناً بأن كل ما يجري من فعله وبإرادته .

وأسماء الله الحسنى منها ما يكون على صيغ مبالغة اسم الفاعل فتعني الكثرة النوعية والعددية ، لكنك إذا انطلقت في الحياة العملية، ورأيت زيداً وعبيـداً ، وحـوادث وأفعـالاً ، ونسيت أن الله هو الذي **يخلق** كل هذا ويفعله وتجري به إرادته ، فعندئذ نقول لك أنت فهمـت معنى **الخالق** ولكن لم تعش هذا الاسم ولم تفكر به . وبعد فإن السعادة الكبـرى الحقيقيـة ، ليست في فهم تعريفات هذه الأسماء ولكن في أن تعيشها ، ولا يمكن لك ذلك إلا إذا اجتهـدت وجاهدت نفسك وهواها ، وفي ممارسة العمل الصالح وبذل الغالي والرخيص والنفس والنفيس وعندئذ تُقبِل على الله عز وجل ، وإذا أقبلت عليه فهو يلقي فـي قلبـك المعرفـة والسـكينة والطمأنينة ، وعندئذ ترى الله في كل شيء .

لا أريد أن يبقى الدرس كما يقولون أكاديمياً ، أي معلومات وتعريفـات أمـلأ بهـا صفحات الكتاب ، بل أريد أن يعيش أحدنا هذه الأسماء ، وهذا ينقلنا إلى أن المعلم يختلف عن المربي فالمعلم إنسان يلقي على الناس حقائق ، وأدلة ، ومعلومات منظمة ، ومبوبة ، ومرتبة، ومصنفة مع أدلة قطعية ، ونقلية ، وعقلية ، وواقعية ، و فطرية ، والبحث منظم ومبوب ، و ومبرمج ، فهو والله موضوع لطيف ، ولكن الذي يسعى إلى أن يصطبغ بصبغة هذا العلـم ، والذي يسعى ؛ ليكون في مستوى هذه الأسماء ؛ وأن تمتزج بها نفسه لا أن يفهم تعريفاتها فقط ، هو المربي ، فأنت أيها القاريء الكريم حاول إذا علّمت الناس أن تكون مربيـاً ؛ لأن كـل مرب هو في الأصل معلم ، لكن المعلم وحده لا يكفي لملء فراغ النفوس والأفهام ، فالكلمـة الأخيرة إذاً ترتكز حول اسم الخالق بين أن تفهم تعريفه النظري ، أو أن تفهم هذا الاسم ، وأن تعيشه مدى الحياة .

لقد ضربت على هذا مثلاً ، مفاده أن الإنسان إذا قرأ قوله تعالى :

وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾

(سورة الأحزاب)

وهذا أخ مستقيم على أمر الله ، وله صديق غارق في معصية الله لكن هذا الصديق ذو بحبوحة كبيرة ، ويغبطه صديقه المستقيم على ماله ورخائه وصحته الجيدة ، بينما المستقيم يعاني من كذا وكذا ، ويذكره إخوة له صادقون معه : أنت مستقيم وهو غير مستقيم وتقول هنيئاً له !! . فإذاً هذا وإن قرأ هذه الآية مرات ومرات : " **وَمَن يطع اللهَ وَرَسوله فَقَد فَازَ فَوزا عَظيما** " ، ولم يعش مفهومها ولا تأثر بمعناها فما فهم منها شيئاً .

إن الفرق كبير جداً بين أن تفهم أسماء الله الحسنى بحدودها وتعريفاتها والفرق بينها وبعض الأدلة وأقوال العلماء فيها ، وبين أن تعيش هذه الأسماء ، فإذا تأملّت الكون وعرفت الله عز وجل وبذلت جهداً كبيراً في طاعته ، وفي التقرب إليه فقد عاد عليك ذلك بالخير الكثير ، وهو أن الله يملأ قلبك غنى ، ونفسك بصيرةً ، وترى عندئذ ما لا يراه الآخرون ، وتسمع ما لا يسمعون فهذا هو التمييز ، فإذا أردنا أن نُقرر حقيقة وهي أن هذه الأسماء الحسنى ينبغي ألا نكتفي بفهم مدلولاتها وحدودها ، وأبعادها وتعريفاتها وما تعنيه في المعاني العامة والخاصة ولكن ينبغي أن نعيشها ونمتزج بها .

ولابد من أن يكون هناك اتصال بالله عز وجل ، حتى تعيش، أيها القاريء الكريم ، هذه الأسماء وحتى تشعر أنك مع الله دائماً ، وإذا كان الله معك فمن عليك ، هذا الذي قاله الإمام الغزالي ، ومن ثم فلتعلم أن هناك علماً بأمر الله وعلماً بخلق الله ، وآخر بالله .

العلم بأمر الله وبخلق الله يحتاج إلى مدارسة كتابٍ نقرؤه ونحفظه ونفهمه : أي نعيد ونكرر ونتذكر ونكتب ، ثم نؤدي فحصاً ونأخذ شهادة فهذه المدارسة عن طريق الكتاب والقراءة والمراجعة والفهم والتلقي والإلقاء وما شاكلَ ذلك ، هذه المدارسة تؤدي إلى حفظ المعلومات ، ولكن أين تُحْفَظ ؟ إنها تُحْفَظ في الدماغ ! .

ولكن المجاهدة ، وغض البصر ، إنفاق المال ، وبر الوالدين والصدقة النافلة غير الزكاة ، وقيام الليل ، وإتقان الصلوات ، وكثرة الذكر وتلاوة القرآن فهذه اسمها مجاهدة للنفس وطاعة لله ، ثم إذا عزفْتَ عن رحلة لا تُرضي الله وعن حفلة لا تُرضي الله ، وطعام شهي جداً ولكن حوله حوله مجتمع اختلاط وقُلت : معاذَ الله ، فهذه هي المجاهدة للنفس لردها عن سبل الهوى ، أي أن تُجاهد نفسك وهواك ، ومن شأنها أن تصلك بالله ، وإذا اتصلت بالله عز وجل جاءتك أنواره وسكينته ، وجاءتك السعادة ، والبصيرة النافذة ، فالإنسان المؤمن

شخصية فذة ، أي يتمتع برؤية صحيحة ، فيرى حقائق الأشياء ، وبواطنَها ، و مـا تنطـوي عليه و أبعادها الحقيقية و خلفياتها الغائبة عن معظم الناس ، فهذه البصيرة خاصة بالمؤمنين ؛ لأن الله سبحانه وتعالى ألقى في قلوبهم النور والدليل :

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤۡتِكُمۡ كِفۡلَيۡنِ مِن رَّحۡمَتِهِۦ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ نُورٗا تَمۡشُونَ بِهِۦ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٢٨

(سورة الحديد)

أجل ، هذه خاصة بالمؤمن ، فإن الله يعطي السكينة أصـفياءه المـؤمنين بقـدر ، والمؤمن شخصية فذة ، و حينما يجاهد نفسه وهواه يأتيه الجواب ، وتأتيه ثمرات جهـاده ، وهي نور في قلبه ، وبصيرةٌ نافذة ، فقلب واثق بالله عز وجل ، وكلام سديد ، وتفكير صحيح ، وموقفٌ متوازن فهو شخصيةٌ واثقة بالله لا تنهار سريعاً لأنه حصل على هذه الثمار ، وأفاد مما فيها .

ولذلك فمعرفة الله عز وجل طريقها المجاهدة ، لكن معرفة شرعه أو معرفة خلقـه فطريقها المدارسة ، فبين المدارسة والمجاهدة بون شاسع ، والمدارسة لا تُكلّف كثيـراً فقـد تحتاج إلى طاولة وكتاب وقلم ، وقد تكون أنتَ في واد والكتاب في واد ، ولهـذا فقـد يأخـذ الإنسان أعلى الشهادات وهو غارق في أحط الشهوات ، أما إذا جاهد نفسه وهواه فقد اصطبغ بصبغة الله عز وجل ، أي شَعر في نفسه سمواً وعن شهواته تنائِياً وتصعيداً ، وفـي ميولـه شرفاً فتُصبح هذه مقدسة ، وفي تفكيره دقة، وفي كلامه سداداً ، وفي مواقفه أخلاقاً وشرفاً .

إذاً كل ثمار الدين تأتي من معرفة الله ، ومعرفة الله ثمنها المجاهدة ، فالذي يتمنـى أن يعيش هذه الأسماء ، لا أن يعرف مدلولاتها وأحكامها وأبعادها ومعانيهـا الدقيقـة بشـكل نظري فقط فعليه أن يعيش هذه الأسماء بشكل عملي ، وأحياناً المؤمن يرى يد الله تعمل فـي الخفاء ، فكل شيء يشاهده أو كل قصة يسمعها أو كل حادث يراه ، إنما يفهمه فهماً من خلال شعوره أن الله يرقبه ويصحبه ، وأن الله **خالق** كل شيء.

إذاً : أردتُ في خضم الحديث عن أسماء الله الحسنى أن أقف وقفة قصـيرة حـول الجدوى التي تُعلق عليها الآمال من معرفة أسماء الله الحسنى ، فالمعلومات النظريـة قضـية سهلة جداً ، فأي إنسان حتى من غير المسلمين ، بإمكانه أن يقرأ و يحفظ ، و يكتب ، و يجيب

و يأخذ شهادة بهذا الموضوع ، أما أن تُجاهد نفسك وهواك كي تعقد مـع الله صـلة ، فهـذه الصلة إذا انعقدت أتاك منها كل خير ، ولذلك يقول النبي :

عنْ أَنَسٍ أن رسولَ الله صلى الله عليْه وسلم قالَ الْحسد يأْكُلُ الْحسنَات كما تأْكُلُ النار الْحطَب والصدقَةُ تُطْفئُ الْخَطيئَةَ كما يطْفئُ الْماء النار والصلاةُ نُور الْمؤْمنِ والصيام جنةٌ من النارِ *

(انفرد به ابن ماجة)

" والصلاة طهور " .

" والصلاة حبور " .

أما أنها طَهور ، فمستحيل للمصلي أن يحقد أو يتكبر أو يكون ذا أثـرة أو يكـون مستعلياً ، وأنا أقول دائماً : للإعراض عن الله أعراض! ومنْ أعراض الإعـراض التكبـر ، والعلو والإستكبار والعنجهية والغطرسة وحب الذات ، والدناءة أحياناً ، وأن تأخذ ما ليس لك ،و أن تتمنى أن تكون فوق الناس جميعاً ، هذه كلها أعراض الإعراض ، فإذا حصل اتصـال بالله عز وجل ، عدتَ إلى حجمك الحقيقي ، حجم العبودية، وشعرت أن الله عز وجل عليـك رقيب وأن الله معك ، وفي الحديث الشريف :

عنْ أَبِي هرَيْرةَ قالَ كان النبِي صلى الله عليْه وسلم بارِزًا يوْمًا لِلناسِ فَأَتَاه جِبْرِيلُ فَقَـالَ مـا الإِيمان قالَ الإِيمان أَنْ تُؤْمن بِالله وملائِكته وكُتُبِه وبِلقَائِه ورسله وتُؤْمن بِالْبعْث قالَ ما الإِسْلام قالَ الإِسْلام أَنْ تَعْبد الله ولا تُشْرِك بِه شيْئًا وتُقيم الصلاةَ وتُؤَدي الزكاةَ الْمفْروضـةَ وتَصـوم رمضان قالَ ما الإِحْسان قالَ أَنْ تَعْبد الله كأَنك تَراه فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَراه فَإِنه يراك *

(متفق عليه)

والنبي عليه الصلاة والسلام كان إذا نظر في المرآة يقول :

عنِ ابْنِ مسْعود أَن رسولَ الله صلى الله عليْه وسلم كان يقُولُ اللهم أَحْسنْتَ خَلْقـي فَأَحْسـنْ خُلُقي *

(انفرد به أحمد)

فإذاً ليشكر الإنسان الله عز وجل على أن أعطاه قواماً ورأساً فيه سمع وبصـر وفـم ولسان وأنف ، وهذا الخَلْقُ السوي الكامل من نعم الله عز وجل كذلك حتى إذا جـاءه مولـود ورآه كامل الخلْقَة فهذا من فضل الله عز وجل أيضاً ، وهذا هو معنى **المصـور** ، أي جعلـه صورةً حسنةً ، فلو أن الوجه الحسن ـ كما قال عليه الصلاة والسلام ـ رجل لكـان رجـلاً صالحاً ولو أن الوجه السيئ رجل لكان رجلاً سيئاً .

إذاً : لازلنا في الحديث عن أن معرفة أسماء الله الحسنى من حيث إنهـا معلومـات فهذا وجه ، ومن حيث أن تسعى ؛ لأن تعقد صلة مع الله عز وجل وجه آخر ؛ لأنك عندئـذ تعيش هذه الأسماء ، وحينما تعيشها تشعر بعظمة هذا الدين ، والإنسان وقتـه ثمـين جـداً ، والعمر لا يحتمل تجارب كثيرة خاطئة ، قال عليه الصلاة والسلام لرجل كيف أصبحت يا زيد قال أصبحت أحب الله ورسوله ... والحديث طويل : وكأني بأهل الجنة يتنعمـون ، وبأهـل النار يتصايحون ، وأصبحت بعرش ربي بارزاً .. قال عبد نَور الله قلبه بالإيمان عرفت فالزم .

فالإنسان معني ، أن يرى بعينيه أن هذا الكون من خلق الله وأن الله سبحانه وتعالى ربه، وأن الله سبحانه وتعالى مسيره ، وأن كل شيء وقع أراده الله ، وأن الله عز وجـل أراده لحكمة بالغة ، ولو لم يكن هذا الشيء لكان نقصاً في الحكمة وكان الله سبحانه وتعالى ملومـاً من عباده يوم القيامة ، قال تعالى :

وَلَوْلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَـٰتِكَ وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾

(سورة القصص)

فأسماء الله الثلاثة **الخالق والبارئ والمصور** ، أسماء متلازمة متآلفة في غايتها تجمع بينها آصرة واحدة هي العلاقة الوشيجة لعملية الخلق ؛ خلقاً وبرءاً وتصويراً **والمصور** ؛ أن الله عز وجل أعطى كل شيء **صورته** ، ليس معنى **الصورة** الشكل الخـارجي بـل القَـوام الكامل :

ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٦٤﴾

(سورة غافر)

لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾

(سورة التين)

فمعنى **التصوير** يعني أعطاك الشكل الكامل طولاً وعرضاً وارتفاعاً وعمقاً ، فالنملة لها صورة ، والفيل والحوت والإنسان ، وكل مخلوق له **صـورة** ، والله سبحانه وتعالى هـو **المصور**، يقول الله عز وجل :

هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦﴾

(سورة آل عمران)

وهذا من معاني اسم **المصور** ؛ وأيضاً فهذا الجنين في بطن أمه حينما تشق عينـاه ويشق سمعه ، ويعطى رأسه حجماً ، وجسمه حجماً وله جلد و أعضاء وحركات ، فهذا مـن **التصوير** ، وليس هناك فصل بين **الخلق والتصوير** إلا فصل نظري ، ف**الخلـق والتصـوير** يتمان في وقت واحد .

والحمد لله **رب العالمين**

* * *

الدرس ١٩ - اسم الله : " اللطيف " .

بسم الله الرحمن الرحيم

مع الاسم التاسع عشر من أسماء الله الحسنى والاسم هو **اللطيف** ، وقبل أن نبدأ بتعريف هذا الاسم لابد من مقدمة قصيرة : فعندما يعرض الإنسان لمعالجة بحث فينبغي أن نعود إلى الأهداف الكبرى ، يحددها أولاً كأن يشير إلى : الهدف العام من بحثه ، وإلى الهدف الخاص ، لأن الباحث أحياناً تَزِل قدمه وينحرف عن الهدف الكبير ، وتشغله فروع البحث فتستأثر باهتمامه وينسى الغاية الأهم في معالجته للبحث المعني به ، وقد تضيع الفكرة الرئيسية على القارئ . ونحن هنا مع أحد أسماء الله الحسنى ، فالبحث هام والغاية سامية ، وحذرنا من الانسياق وراء الفروع قائم إن شاء الله .

إن شرف العلم من شرف المعلوم ، وهذه الحقيقة أكررها كثيراً في كتابي ، فإذا درست موضوعاً حقيراً أو تافهاً أو سخيفاً ، فهذه الدراسة ، وتلك التمحيصات والتحقيقات والمتابعات بجملتها سخيفة لماذا؟ لأن الموضوع تافه و كلما شرفَ الموضوع شرفَ العلم .

والسؤال الملح دائماً : هل يوازن خالق مع مخلوق ؟ أو قديم مع حادث ؟ أو كامل كمالاً مطلقاً مع ناقص ؟ لا . وحينما يتعرف المرء إلى أسماء الله الحسنى يتعرف إلى خالق الكون ، وقد يسأل سائل وما علاقتي بأسماء الله الحسنى ؟ فأقول الجواب أتى به رسول الله عليه الصلاة والسلام حين قال : " تخلقوا بأخلاق الله " .

قال تعالى :

وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ

(سورة البقرة آية ٣٠)

فأنت أيها الإنسان خليفة الله في الأرض ، ولن تُحققَ هذه الخلافة إلاّ إذا تخلّقتَ بأخلاق الله عز وجل ، فإذا عرفنا جانباً من أسماء الله الحسنى فينبغي أن نتساءل وما ما حظ المؤمن من معرفة هذا الاسم؟ وما حظه من معرفة اسم **العزيز** ؟ أقول : حظه أن يكون أنت **عزيزاً** ، وابتغوا يا عباد الله العزة عند الله .

عن حذَيفَةَ قَالَ قَالَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لا ينْبغي لِلمؤْمنِ أن يذل نَفْسه قَالُوا وكَيفَ يذل نَفْسه قَالَ يتَعرض من الْبلاء لِما لا يطيقُ *

(أخرجه الترمذي وابن ماجة وأحمد)

" ابتغوا الحوائج بعزة الأنفس فإن الأمور تجري بالمقادير "

وإننا في الصفحات التالية نطوف حول اسم **اللطيف** ، والحقيقة التي أتمنى على كل إنسان أن تكون واضحةً في ذهنه ؛ هي أن هذا الكون كله في أصل خلقه خُلقَ وسخر للإنسان تسخيرين : تسخير تعريف وتسخير تكريم ، فالمرء قد يشرب الكأس من الماء ، فيروى العروق ويلتذ به الجسم ، ولكن هذا الماء خُلق لهدف أكبر من أن تشربه، خُلق لكي تعرف الله من خلاله ، فمن جعل الماء لا لون له ولا طعم ولا رائحة ؟ ومن جعله ذا خاصية عالية في النفوذ ؟ ومن جعله يتبخر في درجة منخفضة جداً أي في الدرجة الرابعة عشرة ؟ ومن جعله يحل المواد الكثيرة؟ ومن جعله قوام الخلية الحية ؟ إلخ ...؟

فإذا عرفت أيها الإنسان الله من خلال الماء فقد حققت الهدف الكبير من خَلْق الماء أما إذا شربت كأس الماء وارتويت به ثم أغلقت دون عقلك الأبواب فقد حققت الهدف الصغير ؛ فالهدف الكبير أن تعرف الله من خلال الماء و الهواء والطعام ، وأن تعرفه من خلال نفسك التي بين جنبيك ، وأن تعرفه من خلال ابنك ، ومن خلال كل شيء حولك ، هذا كله بينه النبي عليه الصلاة والسلام في حديث موجز قصير جامع مانع، حينما رأى الهلال فقال :

حدثَنَا قَتَادةُ أنه بلغَه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إِذَا رأى الْهلالَ قَالَ هلالُ خَيرٍ ورشْدٍ هلالُ خَيرٍ ورشْدٍ هلالُ خَيرٍ ورشْدٍ آمنْتُ بِالذي خَلَقَك ثَلاثَ مرات ثُم يقُولُ الْحمد لِلّه الذي ذَهب بِشَهرٍ كَذَا وجاء بِشَهرٍ كَذَا *

(أخرجه أبو داود)

إذا وقفت عزيزي القاريء أمام بائع أزهار وتأملت جمال الله عز وجل ، من خلال جمال الزهرة وتأملت هذه الرائحة الفواحة العطرة، ورأيت في الزهرة تناسق الألوان وأنت تعلم علم اليقين أن هذا الزهر لا يؤكل ، وإنما خُلقَ خصيصاً لإمتاع عينك وأنفك ، إذاً هذا من إكرام الله عز وجل لك ، وإذا عرفته شكرته وعظمته .

لو قرأت كتاباً عن العسل وتملكك العجب العجاب من هذه النحلة : تلك الحشرة الاجتماعية ، ذات النظام البديع ، في مجتمعها الذي هو أرقى من المجتمعات البشرية ـ وهذا كلام علمي ـ فأي مجتمع بشري ديموقراطي ، يعرف فيه كل مواطن ما له وما عليه ، من حقوق وواجبات ؟ إن النظام لدى مجتمع النحل دقيق جداً ، إذ لا ترقى إليه التنظيمات البشرية . إذ كل شيء في وقته وموقعه ومكانه وزمانه ، فأرقى المجتمعات البشرية لا ترقى إلى مستوى النظام الاجتماعي عند النحل والنمل .

أجل ، إذا قرأت كتاباً عن النحل ، وشعرت أن الخالق جل وعلا أبدع في خلق النحل ، فأدركك الخشوع وربما انهمرت عينك بالدموع ، فأنت حققت الهدف الأكبر من خلق النحل ولو لم يكن دخلك يسمح أن تشتري شيئاً من العسل ، بينما الذي أكل العسل حتى امتلأت حجراته وخلاياه منه ولم يفكر في هذه المادة التي أكرم الله بها الإنسان عطّلَ الهدف الأكبر واستفاد من الهدف الأصغر .

إذاً اتفقنا على أن الكون مظهر لأسماء الله الحسنى .. وما دمنا نطوف حول اسم **اللطيف**، فهل ترى في الكون ما يدل على أنه **لطيف** ؟ .. نعم فالهواء يحيط بنا من كل جانب ، نستنشقه ، ولو حركناه لشعرنا بوجوده ، يحمل طائرة وزنها ثلاثمائة وخمسون طناً ، منها مائة وخمسون هيكل الطائرة ، ومائة وخمسون الوقود ، وخمسون الركاب مع الحاجات ؛ فالهواء يحمل ثلاثمائة وخمسين طناً فهو إذاً شيء عجيب جداً.

وحينما تدخل المركبةُ الفضائية في الغلاف الجوي تصبح كتلةً من اللهب لاحتكاكها به ، ومع ذلك إذا كنت على سطح الأرض فالهواء لا يرى وليس له صوت إذا كان ساكناً ، فهو موجود وكأنه غير موجود فلا يحجب الرؤية ، وترى أخاك من خلاله ، وتسمع صوته ، إذاً الهواء **لطيف** ، وربنا عز وجل يقول :

ٱللَّهُ لَطِيفٌۢ بِعِبَادِهِۦ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡعَزِيزُ ﴿١٩﴾

(سورة الشورى)

أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾

(سورة الملك)

اسم **اللطيف** له معانٍ كثيرة ، أحد هذه المعاني أن الشيء الصغير الذي لا يحس به لصغره يسمى **لطيفاً** ، يعني مثلاً ائت بين يديك جهاز راديو ، أدر مؤشره إلى إذاعة من الإذاعات، تستمع إلى نشرة الأخبار ، فالكلام أين هو ؟ إنه موجودة في الجو المحيط ، وبهذا الجهاز اللاقط التقطها ، فهل تستطيع أن ترى بعينك موجات الإذاعة ؟ لا تراها بعينك ، ولا تسمعها من دون جهاز استقبال ؟ وهل لها وزن ؟ لا ، وهل لها رائحة ؟ لا ، إذاً موجات الإرسال لطيفة ، وموجودة ، والدليل استماعك للجهاز الذي بين يديك ، فإذا أزحت عنك الجهاز فإنك لا ترى شيئاً ، ولا تسمع شيئاً ولا تشم شيئاً ، إذاً هذا الإرسال موجود ولكن بلطف ، وسأقرب الأمثلة لأفهام القراء الكرام :

الإرسال موجود لكن **بلطف ،** والهواء موجود لكن بلطف ، أما الهواء إذا تحرك بسرعة تزيد عن ثمانمائة كيلو متر في الساعة ، فهذا الإعصار لا يبقي شيئاً على سطح الأرض ، وقد قرأت عنه في أمريكا بأن إنساناً هناك له فيلا ، أي دار فخمة جداً ، وله سيارة من الوزن الثقيل وأصاب هذه المدينة إعصار ، فعثر على محرك سيارته بعد خمسة كيلو مترات من داره ، ولم يجد لا للدار ولا للمركبة أي أثر ، وهذا نتيجة حركة الهواء ! أما إذا سكن ف**لطيف** جداً ، إذ لا تراه بعينك ، وليس له رائحة ، ولا صوت ولا حس .

إذاً معنى **اللطيف** بالمعنى اللغوي الشيء الصغير الذي لا يحس به لصغره ، و هذا الشيء الصغير الذي لا يحس به لصغره يسمى لطيفاً ، وهذا الماء ، لو أخذت منه نقطة من الكأس ووضعتها تحت المجهر ، وكبرت النقطة مئات المرات لرأيت فيها عشرات بل مئات بل ألوف الكائنات الحية ، بينما يبدو أمامك ماء صافياً عذباً فراتاً رائقاً . لكن الكائنات التي فيه غير الضارة ، وهي كائنات **لطيفة** ، وما معنى **لطيفة** ؟ أي هي من الصغر بحيث لا تراها من لطفها، فهذا معنى من معاني لطيف .

ثم إن الهواء **لطيف أي** موجات الإرسال **لطيفة** ، بلا رائحة ولا صوت ولا حس وغير مرئية ، وهذا معنى آخر أيضاً . والكائنات الحية في هذا الكأس من الماء **لطيفة** ، وإذا

قلنا الله **لطيف** بعباده ، فالله عز وجل معك يسمع صوتك ، ويعلم ما في قلبك ، و ما في رأسك من أفكار من وطموحات ، و صراعات ، و آراء ، ومعتقدات ، و تصورات و تخيلاّت ، ويعلم ما في قلبك من هموم و متاعب وآلام و ضغوط من خوف ومن قلق ، ومع ذلك وجوده معك ليس ثقيلاً ، تصور لو أن إنساناً لازم إنساناً .. جلس فجلس معه ، مشى فمشى معه ، دخل إلى بيته فدخل معه، أكل فأكل معه ، فإن بقي يلازمه خمسة أو ستة أيام يخرج من جلده ، ويقول له صائحاً : إليك عني ، انصرف بعيداً ، وقد رأينا أنه لم يتكلم بأية كلمة ، ولم ينتقد ، ولم يعترض ، ولم يطلب منك مطلباً ما ؛ إن ذلك الشخص بملازمته لك عبء عليك ، لكنك تعلم أن الله معك دائماً، ولكن لا تُحس بوجوده ، فوجوده غير ثقيل عليك قال تعالى :

وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾

(سورة الحديد)

مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾

(سورة المجادلة)

يعني كلمة **لطيف** ، أن الله عز وجل من **اللطف** بحيث لا تراه ولا تسمعه ولكن تراه بعقلك ، وهذا أحد المعاني لكلمة لطيف ، لهذا جاء في الحديث الصحيح :

عن أبي هريرةَ قالَ كان النبي صلى الله عليه وسلم بارزا يوما لِلناس فأتَاه جبريلُ فقالَ ما الإيمان؟ قالَ : الإيمان أن تُؤْمن بِالله وملائِكته وكُتُبه وبِلقائِه ورسله وتُؤْمن بِالْبعث ، قالَ : ما الإسلام ؟ قالَ : الإسلام أن تَعبد الله ولا تُشْرك به شَيئًا وتُقيم الصلاةَ وتُؤَدي الزكاةَ المفْروضةَ وتَصوم رمضان ، قالَ : ما الإحسان ؟ قالَ : أن تَعبد الله كأنك تَراه فَإن لم تَكُن تَراه فَإنه يراك .

" اللهم اجعلنا نخشاك حتى كأنا نراك "

إذاً : المعنى الأول أن الشيء الصغير الذي لا يحس به لأنه بعيد ، لدقة صغره يسمى لطيفاً ، ولما كان الله سبحانه وتعالى منزهاً عن الجسمية ليس بجسم ولا صورة ولا متبعض ولا متجزئ ولا متحيز وكل ما خطر ببالك فالله خلاف ذلك ، لا يسأل عنه ؛ متى كان ؟ لأنه خالق الزمان ولا أين هو ؟ لأنه خالق المكان ، فالله عز وجل منزه عن الجسمية والتحيز والجهة . أين الله ؟ هنا فوق ، يمين ، وراء ، يسار ، أمام ، في كل مكان مع كل شيء ، لكن لا كشيء في شيء ، محيط بكل شيء علماً مع كل شيء وفوق كل شيء وإلى جانب كل شيء ولكن لا يجوز أن تشير إليه بجهة ، ولا أن تنسب إلى الله الجهة ولا الحيز وما معنى الحيز ؟ مثلاً هذا الكأس يشغل حيزاً في الغرفة ، وله وزن وارتفاع و قُطر وقد حجز على الطاولة مكاناً ، و في الفراغ مكاناً وله وزن ؛ هذا هو الحيز ، فربنا عز وجل ليس بمتحيز ، أي لا يشغل حيزاً وليس له جهة يشار إليها وليس له مكان ولا زمان ولما قال عز وجل :

وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾

(سورة الفجر)

أي وجاء أمر ربك ، أي حينما يأتي البلاء . وأحياناً يكون الإنسان منحرفاً ، مسرفاً ، يأتي كل يوم كاليوم السابق صحة وطعاماً وشراباً ومكانة اجتماعية ، وقوة وطغياناً وسيطرة ، ولكن فجأةً يأتيه مرض عضال لا يرى ، أو قد يشعر بآلام شديدة في صدره أو في يده اليسرى مثلاً ، فنقول وجاء ربك ، يعني وجاء أمر ربك .

إذاً إذا قلت الله لطيف يعني الله عز وجل لا يشغل حيزاً وليس له جهة ، ولا مكان ، ولا زمان ، وليس بجسم ولا صورة ، ولا متبعض ولا متجزئ ولا متحيز ، إلى آخر هذا التعريف .

ولما كان الله منزهاً عن الجسمية والجهة لم يحس به فأطلقوا اسم الملزوم له على اللازم، فوصفوا الله تعالى بأنه **لطيف** بمعنى أنه غير محسوس ، وكونه **لطيفاً** بهذا الاعتبار ، فهذا الاسم من صفات التنزيه أي سبحانه أن يكون له جسم ، أو أن يكون متحيزاً ، أو أن يشغُل مكاناً، سبحانه أن يحيط به زمان ، سبحانه .

إذاً : اسم **اللطيف** من أسماء التنزيه ، فهو معك لكن بلا شعور، لا تُدرِكُه الأبصار لأنه **لطيف** وهو يدرِك الأبصار ، رآك ، والدليل الصارخ : مع كل واحد منكم دليل .

وأحياناً تعمل عملاً لا يرضي الله فتُحاسب عليه بعد قليل حساباً عسيراً ؛ إذاً رآك ، وأحياناً تفكر في عمل لا يرضي الله ، تجد الله عز وجل قد عاقبك ، لأنه علام ما في نفسك ، إنه **لطيف** لا تُحس بوجوده ، فوجوده ليس ثقيلاً عليك ، لكنه موجود ، يحولُ بين المرء وقلبه ، ويعلم السر وأخفى ، و معنى وأخفى ، أي وعلم ما لم يكن لو كان وكيف كان ويكون فإن كان دخلك ثلاثة آلاف في الشهر وأنت مستقيم ، فيبارك الله لك فيه ، أما هناك من دخله يساوي عشرين ألفاً ، دونما استقامة ولا تقوى ، أو قل إن دخله مائة ألف في الشهر فلا يكفيه، إنه يعلم لم وكيف ، وماذا ، وعلام ، وهذه أحوالك أيها الإنسان فيعلم الله دون أن تراه ، فالله **لطيف** ، و**لطيف** اسم تنزيه ، وفي الوقت نفسه **لطيف** لكنه موجود معك ، فخواطرك ومشاعرك وأحاسيسك وطموحاتك وصراعاتك وآلامك ، وضيق نفسك كله معروف عنده لكن من دون أن تشعر به .

إن المؤمن ما دام يعبد الله وكأن الله يراه فإنه يكون متأدباً حتى ولو كان وحده ، وهو لا يرى الله بعينه لكنه يراه بعقله ، وصحيح كلام العوام الذي يقال كل يوم " يا أخي الله ما نشاف لكن بالعقل انعرف" فالمؤمنون وهم في فرشهم يتأدبون مع الله عز وجل ، إذ يلاحظ أحدهم ثيابه كاملة ، ويجب أن تكون حركته كلها أدباً ، حتى إذا دخل الخلاء له دعاؤه ، وحتى إذا دخل الحمام له موقف فيه أدب ؛ لأن الله يراقبه ، والواقعة التالية إن صحت فلا ينبغي أن يستنبط منها حكم نلتزم به : فأحد العارفين كان مادأً رجليه ، فسمع في قلبه نداء : يا فلان أهكذا تجالس الملوك ، فنذر ألا يمد رجله ما عاش ، هذه درجة عالية جداً جداً من الشعور بأن الله معك .

وأحد الصحابة يقول والله منذ صافحت يد النبي عليه الصلاة والسلام ، ما مست يدي ذكري طول حياتي إكراماً لهذه المصافحة ، فكلما ارتقى إيمانك تشعر أن الله معك .. "

يا موسى أتحب أن أكون جليسك ، فصعق ثم قال : وكيف هذا يا رب ، قال : أما علمت أنني جليس من ذكرني وحيثما التمسني عبدي وجدني "

وبعد ، فكم من مصلٍ يقول : سمع الله لمن حمده ، فهل عرفت معناها ، يعني يا عبدي أنا أسمعك ، فاحمدني ؛ فإن قلت : سمع الله لمن حمده ، فأنا أسمعك وأصغي إليك ، .. أين هو ؟ فلذلك إذا صليت فاعلم أنك بين يدي الله عز وجل ، والسيدة عائشة تقول كان النبي يحدثنا ونحدثه، يجالسنا ونجالسه ، فإذا حضرت الصلاة فكأنه لا يعرفنا ولا نعرفه ، وهذا ما يجب أن يكون عليه كل مسلم .

ترى الإنسان يعتني بمظهره عناية مطلقة إذا دعي لمقابلة مسؤول مثلاً وهو إنسان مثله، يموت ويجوع ويعطش ويتعب ويغضب فكيف إذا وقف بين يدي الواحد الديان ؟ فليعلم أن الله **لطيف** ، موجود ولكن **لطيف** ، وجوده **لطيف** وليس ثقيلاً ، **هذا المعنى الأول** .

المعنى الثاني : اللطيف هو العالم بدقائق الأمور وغوامضها ويقال فلان **لطيف** اليد إذا كان حاذقاً في صنعته ، ومهتدياً إلى ما يشكل على غيره ، وعلى هذا التفسير يكون الله **لطيفاً** بمعنى عليماً .

و قد تفهم الأمر بشكل ظاهري لا بخباياه ، ولا بخلفياته ، ولا بتحليلاته العميقة ، ولا بالدوافع الخفية لهذا الأمر ، فالإنسان كلما ارتقى علمه يفهم البواطن ويفهم السر ، و مابين السطور ، بل يفهم الدافع الحقيقي

أضرب مثلاً بأشخاصٍ غير مستقيمين : في أيام الشتاء جاءت صديقة زوجته ، وهو جالس في غرفة الجلوس والمدفأة مشتعلة ، فقال لها ولزوجته : تعالين إلى هنا ، أدفأ لكُن ، وهل حقاً أدفأ لهن ؟ أم له هدف أبعد من ذلك ، أن يطّلع على هذه المرأة صديقة زوجته ، من يعلم هذا الشيء ؟ الله عز وجل يعلم السر وأخفى .

وما معنى **لطيف** يعني يعرف دوافعك الحقيقية ، وهذه المواقف الملتوية و السر ، والحكمة ، وهو الذي يعلم دقائق الأمور ، وبواطنها و خلفيات الأشياء ، وحقيقة كل أمرٍ ، ويعلم ما خَفي على معظم الناس . يقولون : لقد دخل رجل يوماً إلى بيت وارتكب الفاحشة مع امرأة وخرج ، فلما علم الزوج تَبِعه وهو في أشد حالات الغضب ، فهذا الملاحق أمسك كفه عدس ورماه به وقال له : خذه فالعوام قالوا : الذي يعرف يعرف ، والذي لا يعرف ما الذي حدث يقول: كف عدس ، يعني أنه يلحقه من أجل كف عدس .

الأمر أعمق من ذلك ، أحياناً يكون قضية معقدة جداً ، والإعلان عنها سهل ولكنها أخطر من ذلك .

فالذي يعلم بواطن الأمور ودقائقها وخفاياها ، ومؤدياتها ومضاعفاتها وما ينجم عنها وما أساسها ، وما سرها ، وما أسبابها الحقيقية هو اللطيف هذا معنى ثان ، يعني اسم **اللطيف** هنا بمعنى الذي يعلم كل شيء مهما دق وخفي .

فحجر في الطريق يمكن أن تكون تحته نملة صغيرة ، ولها سراديبها و قوتها و مؤونتها .

وفي البحر بين طرطوس و أرواد عشرة كيلو مترات فكم من السمك هناك وما أنواعها ؟ إنك لا تعرف ، أما الذي يعلم كل شيء ومهما دق ومهما جل فهو الله عز وجل ، فاللطيف هو الذي يعلم دقائق الأشياء ، وهذا هو المعنى الثاني .

<u>المعنى الثالث :</u> اللطيف هو البر بعباده الذي يلطف بهم من حيث لا يعلمون ، ويهيء مصالحهم من حيث لا يحتسبون ، فاليوم حر شديد مثلاً ، فربنا عز وجل يهيء لأهل هذه البلدة إنضاج فاكهتهم ، وهم لا يعرفون ، وبعد شهر ترى هذه الفاكهة معروضة في الأسواق بوضع جيد وجميل وطعم طيب ولذيذ ، فمن أنضج هذه الفاكهة طَوال هذه المدة ؟ الله عز وجل ، إنه **لطيف** بعباده ، فساعة حر ، وساعة برد ، وساعة ماء غزير ، وساعة ماء قليل ، وأنت لا تدري **فاللطيف** بعباده هو البر بهم والذي **يلطف** بهم من حيث لا يعلمون ، ويهيء مصالحهم من حيث لا يحتسبون ، ومن قول الله عز وجل : " **الله لطيفٌ بعباده يرزقُ من يشَاء وهو القَوي العزيز** " ومنه يأتي المعنى الثالث أي البر بعباده .

لكن المعنى الرابع وهو من أروع المعاني التي قالها الإمام الغزالي ، أن اسم **اللطيف** الذي يعلم دقائق الأمور وينقل عبده من حال إلى حال بلطف عجيب .

فهذا الطفل الصغير يجب أن يغير أسنانه ، لأنه لو نبتت له أسنان نهائية ثابتة وفمه صغير جداً ، فمنظره بشع ، فأسنانه كبيرة والفم صغير ، ولو نبتت له الأسنان وهو يلتقم ثدي أمه فيمكن أن يؤذيها أذى مؤلماً لا تحتمله ، فهذا الطفل يكون في السنة الأولى بدون أسنان ثم أسنان لبنية ، ومن بعد ، ربنا عز وجل يبدل لهذا الطفل أسنانه ، فالله **لطيف** ، ولا يوجد طبيب في الأرض يستطيع أن ينزع سناً لطفل من دون أن يبكي ، حتى أن حقنة المخدر مؤلمة جداً ، فيبكي منها و لكن ربنا عز وجل يذيب هذا السن شيئاً فشيئاً ثم يأكله الطفل مع اللقمة ولا يشعر

بشيء ، فمعنى **لطيف** كما قال الإمام الغزالي : " **هو من يعلم حقائق المصالح وغوامضها ثم يسلك في إيصالها إلى مستحقها سبيل الرفق دون العنف** ".

وأحياناً قد يكرهك الله على شيء ما ، ليس فجأةً بل بالتدريج خلال خمس سنوات مثلاً ، وتأتيك منه بعض المتاعب ، أزاح منك بالمائة خمساً من محبته وبعد أسبوعين تأتي متاعب جديدة فيزاح بالمائة عشر ، و بعد أسبوعين متاعب جديدة بالمائة خمس عشرة وبعد شهرين أو ثلاثة تقول زهقت روحي ولم أعد أطيق ذلك ، فهناك شيء غير صحيح قد تعلقت به ، فربنا عز وجل نزعه منك شيئاً فشيئاً **بلطف** .

على هذا النحو تم تحريم الخمرة ؛ إذ كان العرب متعلقين بها تعلقاً شديداً ، فلو أمرهم أن يتركوا الخمرة بآية واحدة فربما ارتد بعضهم، أو نصفهم عن الإسلام ، لكن الله **لطيف** ، قال :

وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلۡأَعۡنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنۡهُ سَكَرٗا وَرِزۡقًا حَسَنًاۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ٦٧

(سورة النحل)

فقط .. ألطف إشارة إلى أن الخمر هي رزق ولكنه ليس حسناً، فقال : تتخذون منه سكراً ، مادة مسكرة ، ورزقاً حسناً : تظنون أنه حسن وهو مسكر فليس بحسن ، هذه أول إشارة. وبعد ذلك قال :

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعۡلَمُواْ مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغۡتَسِلُواْۚ

(سور النساء آية ٤٣)

يعني إن شربتَ فلا عليك ولكن دعه عند الصلاة ، وبعد ذلك قال :

۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَـٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾

(سورة البقرة)

المنافع للذين يتاجرون بها ويعيشون على دخلها ، ثم يقول الله عز وجل :

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَـٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَـٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾

(سورة المائدة)

فهو سبحانه **لطيف** حرمها بالتدريج ، وكذلك قد يذهب شاب إلى الجامع فيسمع درساً ووعظاً ، فيقول : والله إنه درس جميل ، وأريد أن أداوم عليه و يكون على عشرين أو ثلاثين معصية ، وربنا للطفه لا يذكره بها كلها ، لكن الله اللطيف يذكره بواحدة منها بين الحين والحين . هذه حرام وهذه حرام ، فلا حول ولا قوة إلا بالله ، لقد كنت جاهلاً ، فلعله يتركها ؟؟ ولو أعطيناه القائمة بالمعاصي كلها لترك الدين كله ، ولكن اللطيف تدرج به واحدة واحدة ، وبعد ستة أو ثمانية أشهر ، ترك هذه وهذه وهذه ، وربنا يسخر له شخصاً يذكره بالأشياء **بلطف** ، فهذه حرام يا أخي وهذه لا يجوز أن تأتيها ، وهذا اللقاء لا يجوز ، و هذا البيع فيه شبهة وهذه البضاعة لا يحل الإتجار بها فهي محرمة شرعاً . أتتاجر بطاولات نرد ؛ فإليك حديث النبي صلى الله عليك وسلم فيها :

عن سليمان بن بريدةَ عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم قالَ من لعب بالنردشير فكأنما غَمس يده في لحم خنْزير ودمه *

(أخرجه مسلم وأبو داود وابن ماجة وأحمد)

وبالتدريج ربنا يعالج الأمور ، فربنا **لطيف** في العلاج ، والإنسان أحياناً يغلب رجاؤه على خوفه ، وربنا **لطيف** يخوفه ، وأحياناً يغلب خوفه على رجائه وربنا **لطيف** يطمئنه .

العلم الدقيق مع التدريج في العمل ، هذا هو الاسم الجامع المانع لاسم اللطيف ، ويستحقه من يعلم حقائق المصالح وغوامضها ثم يسلك في إيصالها إلى مستحقها سبيل الرفق دون العنف ، حين يجتمع له هذا العلم . وإليك مثلاً : إن الوالد إذا ارتكب ابنه مخالفة للشرع أو للأخلاق، فيمكن أن يعاقبه بعنفٍ وقسوة ، ولكن الأجدى أن يتابعه ويراقبه ويشجعه ويكافئه ويعاقبه ويعرض عنه ويراوح في كل ذلك ، وبعد شهرين أو ثلاثة يستقيم طواعية وقناعة ، فأنت نقلته من حال التلّبس بهذه المخالفة إلى حال التوبة منها بطريقة **لطيفة** من دون أن تُحطمه ، أو تجرحه، أو تَسحقَه ، أو ترضه رضاً ودون ألم وعنف ، والمربي المؤمن **لطيف** ، ينقل من يعالجه ويربيه من درجة إلى درجة بالرفق واللطف .

دخل رجل إلى المسجد فأحدث جلبة وضجيجاً وشَوشَ على المصلين يريد أن يلحق مع الرسول ركعة ، فلما انتهى قال عليه الصلاة والسلام لهذا الذي أحدث جلبة وضجيجاً ، زادك الله حرصاً ولا تعد ! لقد ترفق به ، ولذلك فإن الله رفيق يحب كل رفيق .

وإن الله يعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف ، وعلموا ولا تعنفوا فإن المعلم خير من المعنف .

ومن **لطف** الله بعباده ، أنه أعطاهم فوق الكفاية ، وكلّفهم دون الطاقة خمس صلوات كل صلاة ثلث ساعة ، عشرون دقيقة بخمس صلوات أي مائة دقيقة ومجموعها ساعة وثلثان من أربع وعشرين ساعة، ولو كلّفَك بخمسين صلاة لما استطعت ! ثلاثين يوماً صياماً في السنة فلو كلفك ستة أشهر صياماً متتابعة لما أطقت .

الله **لطيف** بأوامره ، **لطيف** بخلقه ، فلو كانت هذه التفاحة تحتاج إلى منشار ومجموعة أدوات عند النجار لَشَق الأمر على الناس جميعاً ، فأنت بسكين تأكلها ، ولو كانت البيضة تحتاج إلى مفتاح ولم تجد المفتاح لقست الحياة وأتعبت أهلها ، لنك على طرف الصحن تكسرها .

عنقود العنب تريد أن تسحبه نحو الأسفل فينسحق بيديك ، ولكن بالعكس له مفصل ، الله **لطيف** ، إذا عملت حركة معاكسة باتجاه العنقود يصير بيدك ، تُمسك الدراقة فتصبح بحركة في يدك ، **ف**ربنا عز وجل لطيف ، الفاكهة لها طعم ولها شكل ولها قوام مقبول مع

الأسنان ، ولو كانت التفاحة بقوام الصخر تماماً فما الطريقة إلى أكلها ؟ إننا نحتاج إلى مطحنة بحصٍ كي نصنع عصير تفاح ، إذ لا نقدر على أكلها ، فالتفاحة قوامها هشّ ممكن أن تأكلها بسهولة .

الذي دبر الأمور هو الحكيم والذي أوجدها هو الجواد والذي رتبها هو المصور ، والذي وضع كل شيء في موضعه هو العادل ، أما الذي لم يترك فيها دقائق إلا وعرفها فهو **اللطيف** ، **واللطيف** هو الذي أعطى العباد فوق الكفاية وكلفهم دون الطاقة ، **واللطيف** الميسر لكل عسير الجابر لكل يسير ، واللطيف من وفق للعمل في الابتداء وختمه بالقبول في الانتهاء ، **واللطيف** هو الذي ولي فستر ، وأعطى فأغنى ، وأنعم فأجزل ، وعلم فأجمل .

أما حظ العبد من هذا الاسم فهو الرِفقُ بعباد الله **واللطف** بهم في الدعوة إلى الله .

ٱذۡهَبَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ
أَوۡ يَخۡشَىٰ ﴿٤٤﴾ قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفۡرُطَ عَلَيۡنَآ أَوۡ أَن يَطۡغَىٰ
﴿٤٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَآۖ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾

(سورة طه)

دخل أحدهم على ملك وقال له سأعظُك بِغلْظَة ، قال له ولِم الغلْظَة يا أخي لقد أرسل الله من هو خير منك إلى من هو شر مني أرسل موسى وهارون إلى فرعون فقال لهما فقولا له قولاً ليناً .

فإذا عرفت شيئاً سيئاً فاستره وكن **لطيفاً** ، وإذا تحركت نحو فعل شيء فكن بهذه الحركة **لطيفاً** ، وإذا أردت إحداث شيء فاجعل لهذا الشيء برنامجاً لا يثقل على صاحبه ، فالنبي عليه الصلاة والسلام كان في قمة النشوة في صلاته مع ربه ، ووراءه أصحابه ، فسمع بكاء طفل صغير ، فعلى غير عادته قرأ آية قصيرة رحمة بهذا الطفل واختصر الصلاة وسلّم ، فإذا دعوت إلى الله عز وجل فكُن **لطيفاً** وكن ليناً وكُن رحيماً وقال بعض المحققين : العارف إذا أمر بالمعروف أمر برفق ناصحٍ لا بعنف معسرٍ ، وكيف وهو مستبصر بسر الله تعالى .

وخلاصة بحثنا أن النبي عليه الصلاة والسلام في بعض ما ورد عنه يقول " تخلقوا بأخلاق الله " ، فإذا كان الله **لطيفاً** في علمه ، **لطيفاً** في وجوده ، **لطيفاً** في تصرفاته فكن أنت أيضاً **لطيفاً** .

والحمد لله رب العالمين

* * *

الدرس ٢٠ - اسم الله : "العدل"

بسم الله الرحمن الرحيم

مع الاسم العشرين من أسماء الله الحسنى ، والاسم الذي يطالعنا هو : **العـدل** فقـد اتفقت الأمة على إطلاق هذا الاسم على الله تعالى وهو مصدر **عدلَ يعدل عدلاً** فهو **عـادل** ، **عدلَ** عن اسم الفاعل **عادل** إلى المصدر **العدل** ، فمن أسمائه جل جلاله ؛ الحكم **العدلُ** ، هـذا المصدر أقيم مقام الاسم ، كأن تقول الرب بدل الراب ، والبر بـدل البـار ، والرضـا بـدل الراضي ، **والعدل** بدل **العادل** ، إذاً فاعلم أن أحد أسماء الله الحسنى **العدل** .

الحقيقة أن الله سبحانه وتعالى **عدل** في خلقه ، **وعدل** في تشريعه **وعدل** فـي أمـره التكويني ، وفي أفعاله ، أي **عدل** في خلقه **وعدل** في أمره **وعدل** في فعله ، خلق وأمر وفعـل فعدل فهو عدل .

عدل في خلقه ، فمكان اليد مناسب جداً ، و في موقع متوسط، و الشيء المعتـدل الذي هو بين الإفراط والتفريط ، فمفتاح الكهرباء مثلاً إذا وضع في مكان يتناسب مع أهـل البيت ، فالأب يبحرك يده إلى مستوى معين فيطالعه ، و الأم والابن وجميع من فـي البيـت يستعملونه براحة فهذا المكان معتدل ، ولو كان مرتفعاً لاحتاج الأمر إلى سـلم ، ولـو كـان منخفضاً مع الأرض لاحتاج الأمر إلى أن ينبطح الإنسان ليتألق المصباح ، أما أن يكون هـذا المفتاح في مكان معتدل بين الارتفاع والانخفاض فهذا المكان اسمه مكان **معتدل** ، **والاعتـدال** من ال**عدل والاعتدال** هو التوسط ، ودائماً التوسط هو الموقف الأكمل بين الإفراط والتفريط .

و لو أن الإنسان رأى في كأس الماء كل الكائنات الحية لما شرب الماء ، فلو أن العين بلغت من الدقة بحيث ترى كل شيء لاستحالت حياتنا شقاء ، ولو أن العين بلغت من ضـعف الرؤية ألا ترى الشيء الخطر لهلكنا ، إذاً في الحالة الأولى إفراط وفي الثانية تفريط ، فعتبـة الرؤية لها حد **معتدل** ، فالله سبحانه وتعالى **عدل** في خلقه .

وأما عن عتبة السمع ، فهناك أصوات لا تسمعها ، ولو سمعتها لما نمـت الليـل ، فالموجات الصوتية تتخامد ، وليست كالأمواج الكهرطيسية التي لا تتخامد ، وقد أطلقت مركبة إلى كوكب المشتري وبقيت مركبة الفضاء تطير في الفضاء بسرعة أربعين ألـف ميـل فـي الساعة، فقضت ست سنوات إلى أن وصلت ، وأرسلت منه رسائل بالراديو ، وكمـا يقولـون فإن الأمواج الكهرطيسية لا تتخامد بل تبقى سعتُها هي هي ، لذلك فهذه الأمواج الكهرطيسـية

هي سبب البث الإذاعي، والفاكس والتلكس ، فالأمواج الصوتية العادية تتخامد ، ولـو كانـت كالأمواج الكهرطيسية، لسمعت في دمشق وفي هذا المسجد كل صوت في الأرض ، كصوت أمواج البحار، ومعامل الفولاذ ، وانفجارات البراكين ، ولأصبحت الحياة مستحيلة ، إذاً عتبـة السمع وتخامد الأصوات هذا خلق معتدل ، بين الضجر الذي لا يحتمل وبين الضعف الذي لا يقابل إذاً :

إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَـٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾

(سورة القمر)

إذاً فبصرك بقدر ، وسمعك بقدر ، ورؤيتك بقدر ، والإنسان أحياناً تُجرح يده فلـو أمسك باب الثلاجة عندئذٍ لأحس بلسع الكهرباء الساكنة ، ولو تناول طعاماً فيه حمض لتـألم ، فيقال لك : عرق ملح ، ولو أن الأعصاب الحسية نمت أكثر مما هي عليه لأصـبحت الحيـاة مستحيلة ، وكذلك أعصاب الضغط وأعصاب الحس والسمع والرؤية والحركة .

فمفصل المرفق في مكان معتدل بحيث يمكن أن تأكل ، ولو لم يكن هذا المفصـل فلابد من أن تنبطح كالقطة ، إذ تضع الصحن على الأرض وتنبطح وتأكله بلسانك ، ولا يوجد طريقة ثانية فمكان المفصل **معتدل** .

وضع اليد على الكتف ، فلو كانت على الورك إلى الأسفل مع القدم لفسد كثير مـن أمرك، أو لو أن العين في قمة الرأس أو في الظهر أو في الكف ، لاختل نظام حياتك وعملك ، فما معنى : الله خلقه ؟

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَـٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾

(سورة الإنفطار)

أي خلقك أيها الإنسان بحواسك وأعضائك وأجهزتك والغدد الصماء وجهاز الهضـم والقلب والرئتين وكل ذلك باعتدال ، إذاً فسواك فعدلك .

وكذلك تجد الاعتدال بخيوط النسيج ، فلو أن الثوب يهترئ من لبسة واحـدة لشـق الحال على الناس . فليس معقولاً أن تتصور إنساناً اشترى قطعة جوخ وفصلها وأخذ قياسـات ، الحين بعد الحين ، وبعد شهر استلمها صاحبها ثم لبسها لبسةً واحدةً واهترأت ! فترى الخيط له متانة معتدلة تلبسها سنة أو سنتين وتهنأ بها ، ثم تهترئ ، إذاً فالخيوط تماسكها **باعتدال** .

وهذه الدجاجة تعطي كل يوم بيضة ، فلو أعطت كل شهر بيضة لكان البيض غالي الثمن كثيراً ، و لو كان ثمن العلف للبقر يفوق ثمن حليبها فلا يربي أحـد بقـراً ، إذاً كميـة الحليب التي تنتجها البقرة بالقياس إلى ثمن العلف **باعتدال** .

ويمكن أن تسير بهذا الطريق إلى مائة عام ، فتشعر وتتحقق : "**إنا كُل شَيء خَلَقْنَاه بِقَدر** " لا إفراط ولا تفريط ولا تهور ولا تقصير، ولا مبالغة ولا إيجاز ، بل كل شيء خلقـه الله **باعتدال** ، فهو **عدل** في خلقه .

بعد الأرض عن الشمس ، باعتدال فلو أن الشمس أقرب لأصبحت الأرض فرنـاً ، ولو أنها أبعد لأصبحت الأرض قبراً جليدياً ، إذاً الشمس والقمر بحسبان والمسافات بمنتهـى الدراسة الدقيقة .

والطفل يبقى في بطن أمه تسعة أشهر ، ولو بقي خمس سنوات فـأمر لا يحتمـل ، ولو كان الحمل أسبوعاً واحداً لأصبح عندك مائتا ولد وهذا شيء لا يحتمل أيضاً ، ولو كـان المبيض عند المرأة ينتج البيوض إلى ما لا نهاية كالرجل لكنت تراها في الخامسة والثمـانين حاملاً ويجيئها المخاض ، وهي عجوز بلا أسنان ، فالبيوض عدد **معتدل** وحينما تنفـذ هـذه البيوض في سن اليأس أي في الخامسة والأربعين إلى الخمسين فلا حمل من بعد ، فهذه رحمة الله بالمرأة ، فهو **عدل** في خلقه.

هذه أمثلة مرتجلة غير معدة مسبقاً ، من خلق السماوات والأرض و الشمس و القمر والليل والنهار ، ولو كان النهار خمسين ساعة وطاقتك ثماني ساعات ، تفتح المحـل وتغلقـه وتذهب إلى البيت وتنام في النهار وغيرك يعمل ، لا ينيمك الليل ، تعود وتعمل مـرة ثانيـة فحياة لا تحتمل ولو جعل النهار خمسين ساعة والليل خمسين ساعة تنام وتستيقظ وتعمل وتنام وتستيقظ وتعمل ولعم الخلل وانعدم النظام ، قال تعالى :

قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَنْ إِلَـٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ ۖ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾

قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَنْ إِلَـٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٧٢﴾

(سورة القصص)

إذاً : يجب أن تؤمن بأن طول الليل وطول النهار وبعد الشمس و القمر عن الأرض ، وحجم القمر و الأرض كله عدل وبقدر :

إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾

(سورة القلم)

ولو أن حجم الأرض خمسة أمثال حجمها الحالي ، فوزنك يتضاعف خمسة أمثـال وتصبح حركتك أشغالاً شاقة لأن وزن الإنسان متعلق بحجم الأرض ، والدليل وزن الإنسـان على سطح القمر سدس وزنه الحالي يهبط من ستين كيلو إلى عشرة .

إذاً : حجم الأرض وكثافتها وقوة جذبها وبعدها عن الشمس وعن القمر وهي تجري وتدور ، كل ذلك باعتدال ، فسبحان من خلق فسوى .

وأما المحاصيل ، فلو أن القمح ينضج تباعاً كالبطيخ ، لاحتجنا إلى أن نمسك سـنبلة سنبلة لنتبين هل نضجت فنقطعها أم لا فنتركها ؟ لكن السنابل تحتاج ثلاثة أشهر ثم تستحصـد كلها دفعة واحدة وتجمع القمح في يوم واحد ، أما الفواكه فتنضج تباعاً .

إذاً :

يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾

(سورة الإنفطار)

فالله سبحانه وتعالى **عدلٌ** في خلقه ، أي خلقه في درجة مناسبة حكيمة **معتدلة** دقيقة مدروسة كما يقولون ، وهذا الذي قاله الله عز وجل في الآية السابقة ؛ **عدل** في خلقه .

إذا استيقظت صباحاً وصليت الفجر وجلست كي تفكر فيمكن أن تمشي في هذا الباب الطيب الذي يزيدك معرفةً بالله إلى مسافات طويلة ، فانظر كل شيء فأمره إلى الاعتدال !

تصور لو كان قشر البندورة للبطيخ ، فلن تأكل بطيخة في حياتك لأنهـا لا تنتقـل معك من مكان إلى آخر ، وتصور قشر البطيخ للبندورة ، فتصير كلها قشراً .. القشر **معتـدل** والحجم والقوام و الطعم **معتدل** والحلاوة **معتدلة** فتصميم ربنا عجيب .

وقد يصنع الإنسان حلويات بعيارات غير دقيقة فتنبو على الذوق، أما ربنا عزوجـل خلق فقدر فتأكل التفاح والإجاص والكمثرى والعنب والتين والبلح ، وكله **باعتدال**

إذاً : أول معنى من معاني **العدل عدل** في خلقه ، يعني خَلْقَه بحكمة بالغة ، ووهـذه آية أخرى تعبر عن هذا المعنى نفسه :

وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۖ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ ۚ

(سورة الأنعام من الآية ٧٣)

يعني بالحق بالدرجة الحكيمة ، المعتدلة التي لا تزيد ولا تنقص ، فتأمل خلقك ، ثم تأمل طعامك ؛ وكذلك أجل نظرك في خلق الإبل : قال تعالى :

فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَـٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾

(سورة عبس)

فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَـٰنُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ﴿٧﴾ إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجْعِهِۦ لَقَادِرٌ ﴿٨﴾

(سورة الطارق)

أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾

(سورة الغاشية)

هذا في خلقه فاعتبروا يا أولي الألباب .

والآن في أمره : أمرك أن تصوم ثلاثين يوماً في العام فلو أمرك أن تصوم ستة أشهر ، فشيء فوق طاقة البشر ، والدليل أن الإنسان يشعر أن آخر خمسة أيام من رمضان طويلة شاقة وكأن كل يوم شهر ، فثلاثون يوماً هذا هو الحد **المعتدل** ، وأمرك أن تُصلي خمس مرات فلو كانت خمسين صلاة وكل صلاة خمسون ركعة لما أطقنا ذلك فالأمر **معتدل** :

لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ

(سورة البقرة من الآية ٢٨٦)

فالصيام إذاً **معتدل** ، والحج في العمر مرة ، والزكاة ربع العشر ، فالشريعة عدل إذاً، ولكن انظر في قوانين البشر أن بعض الضرائب بالمئة ثمانون إلى ثلاث وتسعين فكم يشعر الإنسان أنه مغبون، بينما الزكاة ربع العشر ، النسبة **المعتدلة** بالألف خمس وعشرون ليرة وبالمائة ليرتان ونصف ، وفي مائة ألف ألفان وخمس مائة ، وفي مليون خمسة

وعشرون ألفاً فالرقم مقبول ، ومعه راحة نفسية ، فالزكاة ، والصيام ، والحج كلٌ باعتـدال ، وحتى الأوامر فمثلاً غُض من بصرك ، فلو كان الإنسان يمشي في الطريق وفاجأه منعطـفٌ حاد وفجأة مرت أمامه امرأة فعليه أن يغض من بصره ، لا أن يكفه كلية ، فكف الصر كليـة فيه عنت ومشقة ، لكن الله لطيف بعباده فلم يقل لا تنظر بل قال :

قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ

(سورة النور من الآية ٣٠)

ولو قال : غضوا أبصاركم . لهلكنا جميعاً ، ولكن جاء الأمر: " مـن أبصـارهم " فإذا حصل مفاجأة غير متوقعة وبأقل من عشر الثانية غضضت بصرك فلا شـيء عليـك ، فالأمر **معتدل** .

أمر غض البصر **معتدل** ، وأمر الزكاة معتدل ، وأمر الصوم **معتدل** فـإن سـافرت رخّص لك بألا تصوم :

أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ ۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۚ

(سورة البقرة من الآية ١٨٤)

وإن كنت على سفر فصل ركعتين فقط في الرباعية ، اقصر من الصلاة ، والقصر عند السادة الأحناف واجب .

وأنت على موعد مع السيارة ومع الطائرة ومع المطار وفكرك مضطرب ، فقال لك صل الظهر ركعتين ، واجمع جمع تقديم وجمع تأخير فالشرع **معتدل** ، والله **عدلٌ** في خلقـه ، و**عدلٌ** في أمره .

قبل أن نتابع الموضوع ، فما حظ العبد من هذا الاسم ؟ نحـن دائمـاً بأسـماء الله الحسنى لنا هدفان كبيران ، الهدف الأول أن نتعرف إلى الله ، وهل في الحياة كلها موضـوع أجدر من أن نعرف الله عز وجل ، أي هذه الذات الكاملة التي ستبقى في جوارها إلـى أبـد الآبدين ، والهدف الثاني طاعته لنسعد بقربه ورضاه وجنته .

وإذا أراد إنسان الزواج ، فإنه يخطب عشر سنوات حتى يجد من يطمئن إليها لأنـه كما يبو له أنه سيبقى معه العمر كله ، أربعين أو خمسين سنة ، وقال أحدهم : لما بدأت والدته تخطب له بقيت تخطب خمسة عشر عاماً ، ثم استقر الرأي على فتاة كانت قـد ولـدت يـوم خرجت والدته لأول مرة للخطبة ؛ ويقولون الزوجة رفيقة العمر ولابد من الأنـاة والتـروي لاختيارها ، فأنت سوف تعيش في جوار الله ورحمته إلى الأبد، وهل هناك ذاتٌ تسـتحق أن

تعرفها غير الله عز وجل ، وهل هناك موضوع أخطر من أن تعرف الله تعالت قدرته ، فلذلك ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها ، فإذا قلت يا لطيف ، يا رحيم يا غني يا قدير ألا ينبغـي أن تعرف ما معنى قدير .

وهناك أشخاص كثيرون يصابون بمرض ، فيقول الطبيب لأحدهم : ليس لك أمل في الشفاء فتراه ينهار ! لأنه لا يعرف أن الله قادر على شفائه مهما يكن المرض عضالاً ، ومهما يكن كلام الأطباء قطعياً ، وهناك بنت مثلاً ولا أمل في شفائها والنتيجة الموت ، ولكن ربنـا عز وجل يخلق الشفاء إذا شاء ومتى شاء ، فقد خلقه وشفيت ، ويخلق من الضعف قـوة ، و من الضيق فرجاً ، ومن اليأس مخرجاً ، وعندما يقول الإنسان يا قدير وييأس فهو لا يعـرف القدير ، والذي نريد أن نقوله، هو أنك إذا عرفت القدير زالَ عنك اليأس ، وأنا أؤكد أنـك إذا أيقنت أن الله سبحانه وتعالى قادر على أن يشفيك من أخطر مرض وبلا سبب فأنت ذا إيمـانٍ حقاً ولا يأس مع الإيمان ، يقول العارفون ويرددون: " يا رب لا كرب وأنت الرب "، وهـل يتألم الإنسان والله موجود ؟ وهل يخاف والله موجود ؟ فهو يطمئنه ، و ينصـره و يقويـه و يشفيه فاسمعوا كلام سيدنا إبراهيم في قوله تعالى:

قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾
فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾
وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى
يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ
﴿٨٢﴾ رَبِّ هَبْ لِى حُكْمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿٨٣﴾ وَٱجْعَل لِّى
لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْـَٔاخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَٱجْعَلْنِى مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨٥﴾

(سورة الشعراء)

يخلق ، ويهدي ، ويرزق ، ويشفي ، ويحيـي ، ويميـت، ويغفـر؛ ذلكـم الله رب العالمين لذلك " يا رب لا كرب وأنت الرب " ، وأكرر وأعيد هذا الكلام الـدقيق ؛ لا يحـق لمؤمن بالله أن يحزن ، فالله معك فأحسن الظن والثقة بالله ، قال تعالى :

وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مَعَكُمْ ۖ لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِى وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١٢﴾

(سورة المائدة)

فمثلاً إذا كان هناك شخص قوي نسبياً في المجتمع وقال لآخر: أنا معك فلا تخف ، وهذا رقم هاتفي ، طبعاً هذا معتزٍ فقد يمنعه وقد لا يمنعه ، وقد ، وقد ، ... ، لكن المؤمن إذا طمأنه الله فالأمن محقق وقال سبحانه : " **ولقد أخذ الله ميثاق بني إسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا وقال الله إني معكم لئن أقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وآمنتم برسلي وعزرتموهم وأقرضتم الله قرضا حسنا لأكفرن عنكم سيئاتكم ولأدخلنكم جنات تجري من تحتها الأنهار فمن كفر بعد ذلك منكم فقد ضل سواء السبيل** " .

وبعد ، فلماذا تتعلم أسماء الله ؟ من أجل أن تسعد بها ، فتعرف أن الله رحيم لـتعلم أن الله يعلم فهل تراقب نفسك ، ولتعلم أن الله قدير وأنه غني ... إلخ ، إذاً حينما تعلـم أن الله سبحانه وتعالى قادر على شفائك من مرضك وأنت مؤمن إذاً فلا تيأس .

ولماذا كانت نسب الانتحار في أعلى مستوياتها في بلاد الغرب، لأنهم لا يعرفون الله من خلال أسمائه ، بينما في بلاد مظاهرها الحضارية متواضعة ، و الحياة فيها خشنة والأمور صعبة ، ومع ذلك فالانتحار فيها نادر جداً !! والسبب الإيمان بالله عز وجل .

كان لنا أستاذ في الجامعة في علم النفس ، فحضر مؤتمراً لأمـراض الـنفس فـي أوروبا ، وقال لنا : لقد قلت في المؤتمر إن نسبْ الأمراض النفسية في بلادنا قليلـة جـداً ، والسبب أننا نؤمن بالله ونرضى بقضائه وقدره ، والحقيقة أن المؤمن يسلم قياد نفسه لله ويقول : هكذا يريد الله ، هذه مشيئة الله ، ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ، وهذا ما يحول بينـه وبين التوترات النفسية ، وأجمل حديث :

عنْ أُسامةَ قالَ كُنْتُ عنْد النبي صلى الله عليْه وسلم إِذْ جاءه رسولُ إِحْدى بنَاته وعنْـده سـعْد وأُبي بْن كعْبٍ ومعاذٌ أن ابْنَها يجود بِنَفْسه فبعثَ إِلَيْها لِله ما أَخَذَ ولله ما أَعْطَـى كُـل بِأَجـلٍ فَلْتَصْبِرْ ولْتَحْتَسبْ *

(متفق عليه)

الذي أخذه له ، والذي أعطاك تفضل به عليك ، فإذا أيقنت أن لله ما أعطى وله مـا أخذ فلا مشكلة إذاً .

موت طفل صغير في أسرة إيمانها ضعيف يسبب آلاماً لا تحتمل ، بينما صـحابي جليل له ابن مريض بمرض عضال ، فجاء من السفر وهو قلق عليه قال : يا فلانـة كيـف الصغير ؟ قالت له : هو في أهدأ حال ، اطمِئن ، فهم منها أنه قد شفي فأعدت لـه الطعـام ، وفي بعض الروايات تزينت له وفي الصباح قالت له : لو أن الجيران أعارونـا عاريـة ثـم استردوها أتغضب؟ قال : لا . قالت : وكذلك فعل الله بابننا ، لما قالت له : في أهـدأ حـال يعني هو ميت ، يقولون إنه ذهب إلى النبي عليه الصلاة والسلام وقص عليـه الأمـر الـذي جرى كله ، فقال عليه الصلاة والسلام : " **بارك الله لكما في ليلتكما** " وتروي الأخبـار أنـه أنجب غلاماً أنجب عشرة كلهم صاروا حفظة للقرآن .

إذاً ذاك حادث وفاة الابن في أسرة مسلمة ، ولكن حادث وفاة الابـن بأسـرة غيـر مؤمنة ، كثيراً ما تُجن الأم فوراً ، أو تكاد .

إذاً : معرفة أسماء الله من أجل أن نَسعد بها ، وأنت مع الله إلى أبد الآبـدين فـإذا عرفته في الدنيا فهذا عين العقل ، وذلك أن تعرفه قبل فوات الأوان ، وأن تعرفه وأنـت فـي حياتك الدنيا معافى صحيح الجسم ، مسراً .

والشيء الثاني : ما حظك من هذا الاسم ، أنت مؤمن فماذا تستفيد من هذه الأسماء ؟ والنبي الكريم يقول : " تخلقوا بأخلاق الله " .

فأما حظ العبد من هذا الاسم فهو أن يحترز عن طرفي الإفراط والتفريط ، يعني لا إفراط ولا تفريط ، ففي أفعال الشهوة يحترز عن الفجور الذي هو الإفراط وعن الجمود الذي هو التفريط .

و قد نجد إنساناً كما يقال " زير نساء " ، إنه غارق في الشهوة إلـى قمـة رأسـه ، عدواني، ينتهك أعراض الناس ، هذا فجور ، وقد تجد إنساناً كما قالت المرأة : " يـا أميـر المؤمنين إن زوجي صوام قوام ، لم ينتبه سيدنا عمر رضي الله عنه فقال : بـارك الله فـي زوجك ، فقال له أحدهم : إنها تشكوه يا سيدي ولا تمدحه فجاء به ونصحه ، وقـال لـه : إن لأهلك عليك حقاً "

وتروي الكتب عن واقعة أخرى أيضاً مفادها أن السيدة عائشة دخلت عليهـا امـرأة بحالة زرية مهملة نفسها ، فسألتها عن حالها ، فقالت إن زوجي صوام قوام مما يشغله عني ، في النهار صائم وفي الليل قائم ، فالنبي أرسل إليه وقال يا فلان : أليس لـك بـي أسـوة ، ونصحه أن يعطي كل ذي حق حقه ، وفي اليوم التالي جاءت هذه المرأة إلى السيدة عائشـة ، كما تروي الأخبار عطرة نضرة ، فسألتها عن حالها فقالت أصابنا ما أصاب الناس .

فإذاً : نحن حينما نعرف اسم **العدل** ، نعرف كيف نتخلق بأخلاق الله على ضوء هذا الاسم قال العلماء : أن نحترز عن الإفراط وهو الفجور والتفريط وهو الجمـود ونبقـى فـي الوسط وهي العفة ، قال تعالى :

وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ٱبۡتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡعَادُونَ ۝٧

(سورة المؤمنون)

هذا الموقف **العدل** في علاقتك بالزوجة .

أما مع الأولاد ، فإياك أن تعطيهم عطاء يفسدهم أو أن تحرمهم حرماناً يحقدون بـه عليك ، فأعط الواحد منهم المبلغ الكافي ، وأعطه حاجته ، ولو أعطيته فوق حاجته فإنك قـد أفرطت ، ولو أعطيته أقل من حاجته فإنك قد فرطت ، والقول : وقال صلى الله عليه وسـلم لهند بنت عتبة وقد قالت له: إن أبا سفيان رجل شحيح وإنه لا يعطيني من النفقة مـا يكفينـي ويكفي بني إلا ما أخذت من مال بغير علمه فهل علي في ذلك جناح؟ فقال: (خذي ما يكفيـك وولدك بالمعروف). والكسوة: اللباس. وقوله: "بالمعروف" أي بالمتعارف في عرف الشرع من غير تفريط ولا إفراط

وفي أفعال الغضب يحترز عن التهور الذي هو الإفراط والجبن الذي هو التفـريط ويبقى غي حدٍ وسط وهو الشجاعة ، وفي العقل يحترز عن الدهاء والخبث والمكر والخداع أو عن البلاهة والغباء ، ويبقى في حدٍ كما قال : " لست بالخب ولا الخب يخدعني " .

وأدق موقف لستُ من الغباء بحيث أُخدع ولا من الخبث بحيث أخدع . حينما قـال الله عز وجل : " **وكَذَٰلِكَ جعلْنَاكُم أُمةً وسطًا** " أي في وضع **معتدل** بين الإفراط وبين التفريط .

وفي تربية الأولاد من السهل أن تكون عنيفاً ، والعنف لا يحتاج إلى بطولة إن ضربته موجعاً إياه ، حطمته ، ومن ثم حقد عليك :

عن أبي هريرة : " علموا، ولا تعنفوا، فإن المعلم خير من المعنف ".

وأيضاً لا ترخ له الحبل فيتجاوز حده ، **فالاعتدال** أن يبقى ابنك راغباً فيـك خائفـاً منك " رغباً ورهباً " وهذا حد دقيق جداً فدائماً الحالات المتطرفة سهلة ، فلا تكن ليناً فتُعصر ، ولا تكن قاسياً فتُكسر ، والخير وأن تكون بينك وبين الناس شعرة إن شدوها أرخيتهـا وإن

أرخوها شددتها فهذه هي البطولة ، البطولة أن يكون الذي حولك في حيرة من أمـرك ، هـم يرجونك ويخافونك في وقت واحد . قال تعالى :

وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ

(سورة البقرة من الآية ١٤٣)

وبعد ، فلنا وقفه عند **العدل** في أفعاله ، لقد تحدثنا عن **العدل** في خلقه وعن **العدل** في أمره و بقي **العدل** في فعله ، فيجب أن تعلم علم اليقين أن في الكون عدالة مطلقة ، لكـن قـد تُفاجأ بسؤال ، إن فلاناً مستقيم بعمله التجاري فمحله التجاري كله منضبط ، وأسعاره مسجلة ، ومعتدلة، ولديه مستندات كاملة فجاءه موظف وافتعل مخالفة وكتبه ضبطاً وزجه في السـجن أليس هذا ظلماً صريحاً ؟

الجواب : هذه الحادثة بحد ذاتها هي ظلم ظاهري ، أما لو ربطت حياة هذا الإنسان في بيته ، مع أهله و جيرانه ، ومع من هم دونه و مع من هم فوقه ، وجمعت الحسابات كلها بعضها إلى بعض ، لرأيت في هذا البلاء منتهى **العدل** وبالتعبير التجاري هناك حساب لا ظُلم فيه ، أما حساب السندات هذه وحدها ففيها ظلم ، ولكن وضمه إلى ما فعله البارحة في البيت قبل أن ينام ، فقد تخرج بالنتيجة ذاتها .

حادث جرت من عشر سنوات ، اثنان تشاجرا في سوق مدحت باشا أحـدهما معـه سلاح فأطلق رصاصة ، فأخطأت خصمه ، وهناك من سمع الشجار فمد رأسـه مـن دكانـه فجاءت الرصاصة في عنقه قريباً من عموده الفقري ، فُشُل تماماً .

فاستوقفني رجل وقال : يا أستاذ أنت تحدثنا عن **عدالة** الله ، فما صنع هـذا : إنـه رجل صالح فتح دكانه ليسترزق ويسعى على عياله وهو يبيع أقمشة ، ولا ذنب لـه ، سـمع شجاراً ، فمد رأسه فجاءت هذه الرصاصة في عنقه قريباً من عموده الفقري فأصبح مشلولاً ، فأين **عدالة** الله ؟ قلت : والله أنا أعرف أن الله **عـادل** ، ولكنك أطلعتني على فصل من فصول هذه الحادثة ، ولعل لها فصولاً لا نعرفها ، لا أنا ولا أنت وأنا أسلم **لعدالة** الله .

فو الله الذي لا إله إلا هو ؛ إنها من غرائب المصادفات ، والأصـح أنهـا ليسـت مصادفات: وهي أن صديقاً لي من حي الميدان حدثني بعد عشرين يوماً عن حادثة مثيلة ، قال : لنا جار كان وصياً على أموال أولاد أخيه الأيتام وبقي لهم معه عشرون ألفاً ـ ثمن بيت ـ والحادثة قديمة وكان البيت ثمنه عشرون ألفاً فرفض أن يعطيهم هذا المبلغ فشكوه إلـى أحـد علماء الميدان ، الشيخ حسين خطاب ، فاستدعاه واستدعى أولاد أخوته ، فأصر على عدم دفع

المبلغ فقال الشيخ حسين رحمه الله بالحرف الواحد : يا بني هذا عمكم فإياكم أن تشتكوا عليه للقضاء ، هذه الشكوى لا تليق بكم ، ولكن اشكوه إلى الله " هذه الواقعة تمت الساعة الثامنة مساء ، في اليوم الثاني مد رأسه من الدكان فأصابته الرصاصة فشُل جسمه .

وهذه حكاية رمزية ، يقولون إن شوحة (حدءة) قالت لسيدنا سليمان : اسأل لنا ربك هل هو مهول أم عجول ؟ نريد أن نتحرك ، فلما سأل الله عز وجل ، قال له ربنا : قل لها إنني مهول لا عجول فلتأخذ راحتها ، هذه الشوحة رأت أناساً يشوون اللحم فخطفت من هذا اللحم إلى عشها ، وقطعة جمر بقيت متعلقة بقطعة لحم فأحرقت العش كله ، عادت إليه من توها ، فقالت : يا سليمان الحكيم ، ألم تقل لي قبل قليل إن الله مهول ، هاهو ذا عجول ، فلما سأل الله عز وجل قال قل لها هذا حساب قديم .

وقال لي رجل هل من المعقول أن يعاقبني الله على ذنب لم أفعله حتى الآن ، قلت : هذا العقاب جزاء ذنب قديم ، فيجب أن تؤمن **بعدالة** الله المطلقة :

عن قتادة قال: عقوبة بذنبك يا ابن آدم. قال: وذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقول: "لا يصيب رجلا خدش عود، ولا عثرة قدم، ولا اختلاج عرق، إلا بذنب، وما يعفو الله عنه أكثر".

ومرة كنت راكباً مع أخ في سيارته ، فتجاوز حده مع سيارة فضربه فتوقعت من الذي ضربت سيارته أن يكون عصبي المزاج ويغضب ويعلو صوته فنزل ، ونظر إليه وقال له : اذهب ، وأنت مسامح ، فاستغربت والله ، وفوجئت بأن الحادث أدى إلى أضرار للآخر بهيكل السيارة والمحرك ، فلما رجع صاحبي إلى سيارته رأيت على خده دمعة ، قلت له : ما القصة يا فلان ؟ قال : والله : منذ سنة ضرب شخص سيارتي وفي سيارته نساء محجبات فكبر علي أن أزعجه وقلت له : سامحك الله . فربنا بعد عام عاملني كما عاملت ذلك الشخص وكال لي بالمكيال الذي كلت به لغيري .

يجب أن تبلغ درجة من اليقين أن اعمل :

" اعمل ما شئت فكما تدين تدان " .

البِر لا يبلى والذنب لا ينسى والديان لا يموت ، اعمل ما شئت ، تكون باراً بوالديك فالله عز وجل يلهم أبناءك أن يكونوا بررة بك وإن تخدم تُخدم ، " أنفق بلالاً ولا تخشى من ذي العرش إقلالاً " ، " أنفقْ أنفقَ الله عليك " ولا أعتقد إلا أن أكثر القراء لديهم من مثل هذه الوقائع والأحداث الكثيرة ، والعبرة منها كلها : أنه كما تدين تدان ، وكذلك اعمل ما شئت فإنك مجزي به .

وهذه الحادثة ذكرتها أكثر من مرة ، لكن أعيدها للعبرة الصارخة التي فيها : رجل عنده زوجة يحبها وتحبه يأكلان دجاجاً ، طُرق الباب فتحت فإذا سائلٌ يسأل ، فهمت أن تعطيه

من هذا الدجاج فنهرها زوجها ومنعها أن تعطيه شيئاً ، وقال اطرديه ، نفذت أمره وطردته ، وتمضي السنون فتسوء العلاقة بينهما ويشتد الخصام ويطلقها، فتقترن بزوج آخر وتعيش معه حياةً سعيدة وبعد خمس أو ست سنوات ، وهي مع زوجها الثاني ، وتأكل دجاجاً كما كانت تأكل مع الأول ، طُرق الباب ، فذهبت لتفتح الباب فاضطربت ، قال زوجها : مالك ؟ قالت : سائل . قال : وليكن ، قالت له : أتدري من هذا السائل إنه زوجي الأول، قال : أتدرين من أنا ؟ أنا السائل الأول .

طبعاً هذه حكايات لكن نحن نقتنص ما بها من عبرة ، وأنا متأكد أنه لا يقع شيء في الأرض إلا وفق **عدالة** مطلقة ، فدائماً إذا سمعت حكاية أو حادثة فيها ظلم ، فسأنصحك هذه النصيحة قل لنفسك : لقد سمعت فصلاً أو عدة فصول من هذه الواقعة و بقي فصل لا أعرفه ، ولو عرفته لرأيت **العدالة** المطلقة ، فاعرف الفصل الأخير ، دائماً ولا تتسرع ، وتمهل ولا تحكم و قل : الله أعلم ، وكفى بربك بعباده خبيراً بصيراً ، الله يعلم ونحن لا نعلم .

و العوام لهم كلمات لا أحبها " إذا شفت الأعمى طبه مالك أرحم من ربه " لا أحبها ، لا تقولوها إطلاقاً ، ولا تعتقد أنه كُف بصره بسبب الظلم فارحمه وعاونه واخدمه وخفف عنه وهذا واجبك ، ولكن لا تعتقد حرمانه نعمة البصر من ظلم قدمه ، فالله عز وجل بيده الخير ، لكن ليس في الإمكان أبدع مما كان .

فاعلم علم اليقين أن الله عز وجل **عدل** في خلقه ، **وعدلٌ** في أمره **وعدلٌ** في فعله ، أفعاله كلها **عادلة** ، ولذلك أقول مرة ثانية : " ما من عثرة ولا اختلاج عرق ولا خدش عود إلا بما قدمت أيديكم وما يعفو الله عنه أكثر " وشيء آخر :

وَمَآ أَصَـٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾

(سورة الشورى)

وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَـٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُواْ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ﴿٥٩﴾

(سورة الكهف)

وتقرأ عن زلزال أصاب البلدة الفلانية ، فلعلك تفهم الزلزال فهماً مادياً من أنه اضطراب القشرة الأرضية ، هذا الزلزال قوته ثمانية بمقياس رختر فأغادير في شمال إفريقيا كانت من أجمل مدن المغرب ، تقع على البحر الأطلسي لكن فيها من الفسق والفجور والنوادي العارية ، والملاهي الليلية ، ودور البغاء والفنادق الغارقة في الإثم حتى قمتها مما لا

سبيل إلى وصفه ، فبمدة ثلاث ثوان أصبحت أغادير قاعاً صفصفاً لا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً . فاعتقدْ جازماً أن الزلزال بحكمة ولحكمة يريدها الله سبحانه ، قال تعالى :

وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾

(سورة النحل)

إذاً : فالله سبحانه وتعالى **عدل** في خلقه ، **وعدل** في أمره **وعدل** في فعلـه ونحـن " المؤمنين " ينبغي أن نقف بين الإفراط والتفريط وأن نكون **معتدلين** في كل أفعالنا .

والحمد لله **رب العالمين**

* * *

الدرس ٢١ - اسم الله : "الحليم"

بسم الله الرحمن الرحيم

مع الاسم الحادي والعشرين من أسماء الله الحسنى والاسم الذي نحن في رحابه **الحليم** ، ومعلوم أن من أسماء الله الحسنى ما لا يسمى الإنسان بها كاسم الخالق ، ومن أسماء الله الحسنى ما يسمى الإنسان بها كالرحيم والحليم والعفو ، فمما يلفت النظر أنه ورد في الأثر: " الحلم سيد الأخلاق "

وقد قيل : كاد **الحليم** أن يكون نبياً .

فما هذه الصفة التي إذا اتصف بها العبد كاد أن يكون نبياً ؟ إنها الحلم و **الحلم** سيد الأخلاق ، و الله سبحانه وتعالى **حليم** ، أما الآية التي في القرآن الكريم والتي يستنبط منها اسم **الحليم** :

وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُوا۟ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرًۢا

[سورة فاطر آية ٤٥]

هذه الآية يستنبط منها اسم **الحليم** وفي سورة النحل أيضاً الآية الواحدة والستين وكذلك قد يستنبط منها اسم الحليم .

" **ولو يؤاخذُ الله الناس بظُلمهم** "، إذاً هم ظالمون وهناك مؤاخذة ، فما تعريف اسم **الحليم** ؟ هناك إنسان ظالم وهناك عقوبة لهذه الظلامة ، والله سبحانه وتعالى **حليم** ، فكيف تجلى حلمه ؟ هناك ظالم أو متلبس بذنب عاصٍ ، وهناك عقوبة مختصة بهذا الظلم أو هذه المعصية.

لكن الله سبحانه وتعالى **حليم** بمعنى : أنه يؤخّر العقوبة ، لماذا يؤخر العقوبة ؟ وهذا السؤال وجيه !! فلو أن الله سبحانه وتعالى عجّل العقاب لكل مذنب حين يقع في ذنب لما كان هناك **حلم** ، ولو أن الله عز وجل أخّر العقاب ويريد بعد تأخير العقاب أن يوقع بهذا الإنسان أشد العقاب ، فقد قال العلماء : هذا هو الحقد ، وحاشا لله فالحاقد يمتلئ شعوراً بالغيظ لكنه يؤخر تنفيذ عقابه لسبب أو لآخر ، قد يكون ضعيفاً وحقده عن ضعف ، وقد يكون قوياً ولكن

يحب هذا الظالم لهذا المسيء أن تزداد إساءته ليأخذه بأكبر ذنوبه ، فحينما يؤخّر إنسان العقوبة لضعفه فهو الحاقد، وحينما يؤخر إنسان العقوبة ليجعل خصمه يقع في ذنب أكبر فيوقع به أشد العقاب فهذا أيضاً حاقد وهو حاقد قوي ، فهناك إذاً حاقد قوي وهناك حاقد ضعيف .

وتأخير العقاب من قبل الله عز وجل ليس له علاقة بهذا المعنى إطلاقاً ، فلو أنه ألغى العقاب فهل يسمى **حليماً** ؟ لا . فماذا يسمى إذاً ؟ .. يسمى عفواً غفوراً ، و إذا أخّر العقاب ليعطي هذا الإنسان فُرصةً ليعود فهذا هو **الحلم** .

مثل بسيط يمكن أن يوضح هذه الحقيقة : أنشأنا مدرسة هدفها الأول التعليم والتهذيب والتربية والتثقيف والتقويم وما إلى ذلك ، ولهذه المدرسة نظام داخلي ، ومن بنود هذا النظام أن الطالب إذا غاب عن هذه المدرسة أسبوعين يفصل ، فلو أن المدير كلما رأى طالباً غاب أسبوعين فصله ، لفصل كثيراً من الطلاب في فترة وجيزة ، لكن هناك مدراء **يحلمون** ، يطلب من الطالب أن يأتي بوليه ، وأن يأتي بتقرير طبي ، يتغاضى أحياناً ، يتغافل أحياناً ، لا يطالب الموجه بتقديم بيان بالغائبين ، لأن الهدف من إنشاء هذه المدرسة نبيلٌ جداً ، ليس القصد أن يفصلهم ولكن القصد أن يعلمهم ، لذلك ربنا عز وجل قال :

وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ﴿١٢٩﴾

(سورة طه)

ما هذه الكلمة ؟ لولا هذه الكلمة لكان لزاماً أن يوقع العقاب عليهم ويعجله ، لولا هذه الكلمة لكان لزاماً أن يهلكهم ، لولا هذه الكلمة لكان لزاماً أن يأخذهم ، ما هذه الكملة التي أخرت العقاب ، وأخرت الهلاك ، وأخرت الجزاء ؟ ما هذه الكلمة ؟ .. إنها الرحمة أراد أن يرحمهم ، و يؤكد هذه الحقيقة ؟ رحمتي سبقت غضبي ، وسعت رحمتي كل شيء .

وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ
يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَـٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾

(سورة الأعراف)

إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ
ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾

(سورة هود)

قُلۡ مَا يَعۡبَؤُاْ بِكُمۡ رَبِّي لَوۡلَا دُعَآؤُكُمۡۖ فَقَدۡ كَذَّبۡتُمۡ فَسَوۡفَ يَكُونُ لِزَامٗا

(سورة الفرقان آية ٧٧)

لولا أنكم تعرفونه ، وتدعونه في ضوء معرفتكم ، ولولا الأمل في أن ترقوا ، ولولا الأمل في أن تتوبوا ، ولولا الأمل في أن تنجوا ، فما يعبأ بكم ربي ، لولا أنه يعبأ بكم لأوقع الهلاك والعقاب والجزاء وانتهى الإنسان إلى بوار .

إذاً : من أسماء الله الحسنى أنه **حليم** ، لا يوقع العقاب فوراً ، ما من مسلم إلا وهو يعلم أن صلح الحديبية ، في ظاهره مهانة للمسلمين، لأن فيه تنازلات وهم في حالات قوية ، تنازلات أباها الصحابة ، ورأوها نوعاً من الذُل ونوعاً من الإستسلام ، وقد أدهشهم موقف النبي عليه الصلاة والسلام ، والنبي لما رأى هذا الاستنكار قال : إنني أفعل ما أُؤمر بتوجيه من ربي ، وأن أقبل بهذا الصلح ، ثم جاء الجواب :

وَلَوۡلَا رِجَالٞ مُّؤۡمِنُونَ وَنِسَآءٞ مُّؤۡمِنَٰتٞ لَّمۡ تَعۡلَمُوهُمۡ أَن تَطَـُٔوهُمۡ فَتُصِيبَكُم مِّنۡهُم مَّعَرَّةُۢ بِغَيۡرِ عِلۡمٖۖ

(سورة الفتح)

في مكة أُناس آمنوا خفية ، آمنوا بقلوبهم وبقوا مع قريش بأجسامهم ، هؤلاء يعلمهم الله ، لذلك أخّر فتح مكة كله ، وأمر النبي أن يقبل بهذه الشروط التي تبدو مهينة من أجل أن يعطي هؤلاء فرصة كي يؤمنوا . إذاً أنت تتعامل مع **الحليم** .

" عبدي لي عليك فريضة ولك علي رزق فإن خالفتني في فريضتي لم أخالفك في رزقك" .

" إن تابوا فأنا حبيبهم ، وإن لم يتوبوا فأنا طبيبهم ، أبتليهم بالمصائب لأطهرهم من الذنوب والمعايب " .

وأسماء الله عز وجل منها ما هي أسماء ذات ، ومنها ما هي أسماء صفات ، ومنها ما هي أسماء أفعال ، فيا ترى اسم **الحليم** اسم ذات أم اسم صفة أم اسم فعل ؟

لأنه أخّر العقوبة فهي صفة فعل ، فالله عز وجل يحب عباده جميعـاً " لـو يعلـم المعرضون انتظاري لهم وشوقي إلى ترك معاصيهم لتَقَطّعت أوصالهم من حبي ولماتوا شوقاً إلي" . فالله سبحانه وتعالى كما قال على لسان السيد المسيح :

تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ ﴿١١٦﴾

(سورة المائدة من الآية ١١٦)

وأحياناً الإنسان لا يعاقب ، لكن من الداخل يغلي ، يقول اشتهيت أن أمزقه ، فلـيس هذا هو **الحلم** ، **الحلم** لو شققت صدر هذا المؤمن لرأيت فيه السلام ، فيه الراحة ، ليس فـي قلبه حقد ولا يتمني أن يقهر خصمه ويمزقه .

المؤمن العادي **الحليم** ينطوي على نفسٍ وديعة ، صافية ، مسالِمة لا حقد فيها فكيف بالله رب العالمين ؟ لذلك إذا سمعتم في الحديث الشريف أو في القرآن الكريم أن الله قد غضب وقد لعن ، فالله سبحانه وتعالى لا يبغض العبد بل يبغض فعله فقط ، ويلعن فعله فقط .

ويحبه كحب الأم حينما يعود ابنها إلى الصواب ، مرة ذكرت للقراء الكرام أن أحـد العارفين وهو ذو النون المصري ، شَعر بضيق ، وبتشتت ، وشَعر بضياع ، فقال أين قلبي ؟ أين ضاع قلبي ؟ قلبي في ضياع ، وفي طريقه في بعض أزقة المدينة رأى باباً يفتح ، ورأى أماً تضرب ابنها ضرباً مبرحاً وتلقيه خارج البيت وتُغلق الباب ، جلس هذا الطفل يبكي فـأين يذهب ؟ إلى أي بيت يدخل ؟ من يسأل ليطعمه ؟ أين ينام ؟ فما كان منه إلا أن عاد إلى بـاب بيته ، وجلس على عتبة الباب يبكي ويبكي ، وكانت أمه من رحمتها الشديدة به تنظر إليه من ثقب الباب ، فما كان منها إلا أن فتحت الباب وأخذت ابنها ، ووضعته في حضنها وقالت: يـا قرة عيني يا عزيز نفسي أنت الذي حملتني على ما تكره ، لو أطعتني لما رأيت مني ما تكره ، فصاح هذا العارف بالله : وجدت قلبي وجدت قلبي .

إذاً : ف**الحليم** من أسماء الأفعال يعني : أخر العقوبة فقط ، أما إذا قلنا **الحليم** مـن أسماء الذات أو أسماء الصفات فمعنى ذلك أن الله سبحانه وتعالى لا يحقد .

عن أبي ذَر عنِ النبي صلى الله عليه وسلم فيما روى عنِ الله تَبارك وتَعالى أنه قَالَ يا عبادي إِني حرمتُ الظلْم علَى نَفْسي وجعلْتُه بينَكُم محرما يا عبادي لَو أَن أَولَكُم وآخـركُم وإِنْسكُم وجِنكُم كَانُوا علَى أَتْقَى قَلْبِ رجلٍ واحد منْكُم ما زاد ذَلك في ملْكي شَيئًا يا عبادي لَـو أَن أَولَكُم وآخركُم وإِنْسكُم وجِنكُم كَانُوا علَى أَفْجرِ قَلْبِ رجلٍ واحد ما نَقَص ذَلك من ملْكي شَيئًا

يا عبادي لو أن أولكُم وآخركُم وإنْسكُم وجِنكُم قاموا في صعيد واحد فَسَألُوني فَأعطَيـتُ كُـل إِنْسانٍ مسأَلتَه ما نَقَص ذَلِك مما عنْدي إلا كما ينْقُص الْمخْيطُ إِذَا أُدخلَ الْبحر *

(صحيح مسلم)

وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِن تَكۡفُرُوٓاْ أَنتُمۡ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ ٨

(سورة إبراهيم)

ولا يرضى لعباده الكفر .. وإن تشكروا يرضه لكم .

ربنا عز وجل أراد أن يعرفُنا بِذاته ، فجعل نظام الأبوة والأمومة وهو في ظـاهره أبوة وأمومة وأولاد وتربية ومستقبل ، وباطنه أن تتعرف إلى الله من باب المثل ، سأنقلكم من هذا المثل إلى مثل أوسع: فكيف جعل ربنا عز وجل هذا الطعام الذي تأكله أعني لحم الضأن ، لِحكمة أرادها جعل بنية هذا الحيوان مشابهة تماماً لبنية الإنسان، فليس كل واحد منا طبيـب ، وليس لكُل واحد أن يرى ما في بطن الإنسان ، فلن يتمكن من رؤية المعدة والكبد والأمعاء ، والرئتين ، والقلب والشرايين والأوردة والعضلات والأعصاب والأوتـار والغـدد والكليتـين والمثانة والحالب والدماغ ، والعين ، ولا يتاح لواحد منا أن يرى ذلك ، ولكن يرى هذا كـل يوم عند القصاب ، تريد كلاوي ، طحالاً بيضات غنم ، أنواع اللحم ، هنا عضلة مخططـة ، هنا عضلة ملساء هنا قفص صدري هنا عمود فقري ، هنا نخاع ، الإنسـان يطلـب النخـاع ليستخلص ما فيه من اب ، هذا اللاب معامل تصنع كريات الدم الحمراء ، فلحكمة بالغة جعـل هذه الأنعام لها بنية تشريحية فيزيولوجية تُشابِه خَلقَ الإنسان فمن لم يتعلم في كلية الطب تعلم عند بائع اللحم .

عودة لنظام الأبوة والأمومة هذا نظام فريد من نوعه ، يا ترى الأب يهمـل نفسـه أحياناً ويسعى من أجل أولاده ، الأولاد يقفون موقفاً قاسياً أحياناً فيه فظاظة غلظة ، كلام قاسٍ ، لامبالاة، عقوق ، وقلب الأب وقلب الأم معلّق بأولادهما ، وفي أية لحظة قد يعود هذا الابن إلى أبيه تائباً ، يعود إليه منيباً يقبله الأب ويفرح فرحاً كبيراً .

الذي أراه أن نظام الأبوة والأمومة له هدف أكبر من تربية الأولاد أن تتعرف إلـى الله من باب المثل ، كيف أن الأب لا يحقد ، الأم لا تحقد ، الأم كل حياتها من أجل أولادها ، كل سعادتها من أجل إسعاد أولادها ، وحينما رأى النبي عليه الصلاة والسلام أُماً تقبل ابنها ، يبدو أنه سئِل كيف يلقى الإنسان في النار مع أن الله **أرحم الراحمين** ، أجابهم إجابة ذكية لطيفة

ليست معقدة ، رأى أماً تقبل ابنها على التنور فقال لأصحابه : أتلقي هذه المرأة بولـدها إلـى النار ، قالوا معاذ الله ، قال : والذي نفس محمد بيده لله أرحم بعبده من هذه المرأة بولدها .

الأب لا يبتعد عن ولده ، يحال شعوره تجاه ابنه والأم شاهدها معها ، ألا وهـو قلبهـا الرحيم الحاني ، فمن أودع في هذا القلب **الرحمة** تستيقظ عشرات المرات في الليل من أجـل وليدها ، إن أصاب وليدها مكروه تبكي ، تتمنى أن تعطيه من صحتها ، من جسـمها ، مـن غذائها إذاً نظام الأسرة نظام له هدفان ، هدف لتربية الأولاد وهدف أكبر بكثير أن تتعرف إلى طرف يسير جداً من رحمة الله عز وجل .

تُشاهد حادثاً تتجلّى فيه رحمة الله كما تتجلّى فيه عناية الله سبحانه ، ترى حادثاً مروعاً وقد نجا الكُل بعناية الله وقدرته ، قد ترى إنساناً في ساعة ضيق شديد فيأتيه الفرج ، ويتبـدده الكرب ، وأحياناً يصل الإنسان إلى درجة اليأس فيأتيه الإكرام ، لذلك قيل :

فلرب نازلة يضيق بها الفتى ذرعـاً وعند الله منها المخـرج
نزلت فلما استحكمت حلقاتها فرجت وكان يظن أنها لا تُفـرج

* * *

وليست معركة الخندق بخافية عليك أيها القاريء الكريم ، لكن الله عز وجل يمتحن المؤمنين ؛ إيمانهم وصبرهم ، ومدى التجائهم إليه :

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ
فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا
﴿٩﴾ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَـٰرُ
وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ
ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُواْ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ
وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾

(سورة الأحزاب)

لكنه بعد ذلك رحمهم ، وأكرمهم ونصرهم وأعزهم ورفع شأنهم وأحبطَ أعـداءهم ، بعدما بدا للمؤمنين أن الإسلام انتهى أمره ، وأن المعركة مع الكفار ليست معركـة نصـر أو هزيمة بل معركة حياة أو موت ، معركة نكون أو لا نكون ، هذا الذي حصل ويحصل فيكـل معركة حاسمة.

وأكرر ؛ إن الله عز وجل **حليم** .. ومعلوم أن الله يحب الكمال ، إن الله طيـب ولا يقبل إلا طيباً ، و الله سبحانه و تعالى يحب المحامد ، وليحذر القراء الكرام أن يفهموا من هذا الحديث أن الله يحب أن يحمد ، لا ، بل إن الله يحب الكمال ، يحب العمل الذي يحمـد عليـه الإنسان ، يحب الحلم ، يحب الرحمة ، يحب الإنصاف يحب العدل .

ومعلوم أيضاً أن النبي عليه الصلاة والسلام سيد الخلق وحبيب الحق ، ففي حياتـه امرأةٌ زنت وكان لابد من أن يقام عليها الحد ، والحد هو الرجم ، فجاء أهلها إلى حب رسول الله ، إلى أحب الناس إلى النبي وطلبوا منه أن يشفع لها عنده ، من هو ؟ أسامة بـن زيـد ، فجاء أسامة على استحياء وكلّم النبي عليه الصلاة والسلام في شأن هذه المرأة الزانية، يقال : تلون وجه النبي ، وقال يا أسامة أتشفع في حد من حدود الله ، وفي رواية :

عن عائِشَةَ رضي الله عنْها أَن قُريشًا أَهمهم شأْن الْمرأَة الْمخْزومية التي سرقَتْ فَقَالُوا ومـن يكلم فيها رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فَقَالُوا ومن يجتَرِئُ عليه إِلا أُسامةُ بن زيـد حـب رسول الله صلى الله عليه وسلم فَكلمه أُسامةُ فَقَالَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أَتَشْفَع في حد من حدود الله ثُم قام فَاخْتَطَب ثُم قَالَ إِنما أَهلَك الذين قَبلَكُم أَنهم كَـانُوا إِذَا سـرقَ فـيهم الشرِيفُ تَركُوه وإِذَا سرقَ فيهم الضعيفُ أَقَاموا عليه الْحد وايم الله لَو أَن فَاطمةَ بِنْتَ محمـد سرقَتْ لَقَطَعتُ يدها

(صحيح البخاري)

فالله يحب العمل الذي يحمد صاحبه عليه ، يعني يحب مكارم الأخلاق .

"إن الله جواد يحب الجود ويحب معالي الأمور ويكره سفاسفها"

(أخرجه الخرائطي في مكارم الأخلاق من حديث طلحة بن عبيد الله بن كريز)

إن الله يحب أن تكون عالياً في نظر الناس .

الله عز وجل يحب **الحليم** لأنه **حليم** ، و **الحليم** يحب **الحليم** ، وعلاقتنا بهذا الاسـم كمؤمنين ، أن نكون **حلماء** ، فما الطريق إلى **الحلم**؟ وهو سؤال جدير بالإجابة .

ما دام الله عز وجل يحب المحامد ، ومن محامده أنه **حليم** والنبـي عليـه الصـلاة والسلام يقول تخلّقوا بأخلاق الله ، كيف أكون حليماً ؟ التفكّر باسم **الحليم** طريـق إلـى أن نكون **حلماء** ، هناك طريق آخر ، أن يكون الإنسان متحلماً ، أي يتصنع **الحلم** .

فكل واحد منا له مرتبة عند الله، لو فرضنا أن إنساناً مرتبته دنيـا ، ووضـع فـي ظرف فيه استفزاز ، فأحياناً يدخل إلى البيت ولا يجد طعاماً ، ولم يأكل قبل مغادرته صباحاً ، وقد أمضى يوماً شاقاً ، زوجته عند أهلها ، وذهبت بلا إذن وعادت الساعة الثالثة ، وقالـت : لم أعد طعاماً لو دبرت أمرك ، ببساطة وببرود ، والزوج في غليان ، فيصيح ، ويتكلم كلمات قاسية ، ويمكن أن يضرب ، لكن المؤمن ماذا يفعل ؟ قال الله :

وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ

(سورة آل عمران من آية ١٣٤)

فالقرآن ذكر كظم الغيظ ، وحث عليه وأثاب عليه والنبي سماه **تحلّم** ، يعني ليتصنع **الحلم** فهو من الداخل يغلي غليان البركان ، فليتصنّع **الحلم** ، وليضغط على أسـنانه ، كفعـل الإنسان عندما يعطى إبرة البنج ، فيمسك وسادة المقعد ويشد عليها ، ويتحامل على نفسه ، أما الصغير فقد يسب الطبيب ، وفوراً يصيح ، يبكي ، هذه العملية ، عملية كظم الغيظ ، عمليـة السيطرة على الأعصاب هذه اسمها **تحلّم** ، لكن ، لو سألت نفسك لمـاذا كظمـت غيظـي ؟ فتجيب نفسك بنفسك : حباً بالله ، تقرباً إليه ، تنفيذاً لأمر نبيه ، ومرة مع مرة مع مرة ستشعر أن الله عز وجل راضٍ عنك ، إذ عاهدته على **الحلم** أو أن **تتحلم** .

وبعد ، من خلال اتصالك بالله عز وجل تدرك أن مكارم الأخلاق مخزونةٌ عنـد الله تعالى ، فإذا أحب الله عبداً منحه خُلُقاً حسناً .

هناك **حلْم** تطبع **وحلُم** طبع ، **حلُم** التطبع هو **التحلّم** ، عملية كظم غـيظ ، عمليـة ضبط الأعصاب ، رغم الغليان من الداخل ، ومع هذا الواقع المر فوراً أقول كما قـال عليـه الصلاة والسلام :

روي عن أبي الدرداء رضي الله عنه أنه قال: إنما العلم بالتعلم والحلم بـالتحلم ومـن يتحـر الخير يعطه، ومن يتوق الشر يوقه، وثلاثة لا ينالون الدرجات العلا؛ من تكهن أو استقسـم أو رجع من سفر من طيرة.

يعني خُلُق **الحلم** الأصيل بدايته تكون ب**التحلّم** ، **تحلمت** أول مرة والثانية والثالثـة والرابعة والخامسة ، فمن تراكم هذه المواقف البطولية ، يكون الحلم لأنه : ليس الذي يقطع الطرق البطل إنما الذي يتقي الله البطل .

عن أبي هريرةَ رضي الله عنْه أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قالَ ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد الذي يملك نَفْسه عنْد الْغَضبِ *

عن أَنَسِ بنِ مالِك رضي الله عنْه قالَ مر النبي صلى الله عليه وسلم بِامرأة تَبكي عنْـد قَبـرٍ فَقَالَ اتقي الله واصبِرِي قَالَتْ إِلَيك عني فَإِنك لَم تُصب بِمصيبتي ولَم تَعرِفْه فَقيلَ لَها إِنه النبي صلى الله عليه وسلم فَأَتَتْ باب النبي صلى الله عليه وسلم فَلَم تَجِد عنْده بـوابِين فَقَالَـتْ لَـم أَعرِفْك فَقَالَ إِنما الصبر عنْد الصدمة الأُولَى

(صحيح البخاري)

منذ أيام توفي رجل ، فدخل أحد ذويه وتكلّم كلمات بحق الله لا تليق ، بعـد نصـف ساعة استعاد توازنه قال لا حول ولا قوة إلا بالله ، رسب في الامتحان ، أجل ، رسـب فـي الامتحان ، ليقُلّ لا حول ولا قوة إلا بالله ألف مرة ، ليقل سبحان الله يا رب لك الحمد ، كلـه كلام لا طائل تحته الآن ، إنما الصبر عند الصدمة الأولى ، حين يتلقى الخبر ماذا يقول ؟ يـا رب لك الحمد ، فهذا نجح مائة على مائة لأن الحمد علم ، تعرف أن الله حكيم ، وأن أفعالـه كلها كمال وكلها عدل وكلها رحمة ، إذاً إنما **الحلم بالتحلم** ، يعني إن تملك أعصابك مـرات متتابعة فموقف كله تصنع ، وهو موقف تكلّف ، هذا **الحلم** المتكلّف هو **حلم** المبتدئين ، لكـن والله الذي لا إله إلا هو بعد أن تكابد مواقف التحلم وتقبل على الله عز وجل مكابدةً ، يصطبغ قلبك ببعض أسماء الله الحسنى ومنها **الحلم** ، ويصير **حلمك** طبعاً ، لو شققت صـدر إنسـان مؤمن متفوق رأيت في قلبه برداً وسلاماً ، أحد الصحابة استفزه شخص ، وقسا معه بالكلمات ، قال : إن كنت صادقاً فيما تقول غفر الله لي ، وإن كنت غير ذلك غفر الله لك .

كم من رجل دمر مستقبله في ساعة غضب ، طلّق زوجته وله منها خمسـة أولاد ، وفي ساعة غضب ارتكب جريمة .

أعرف رجلاً عنده أجير ، حدث بينهما خلاف فطرده ، وفي المستودع بضاعة غير نظامية ، فاشتكى عليه ، جاء المسؤولون عن البضاعة غير النظامية وكتبوا مخالفة كلفتـه ، والحادثة وقعت سنة ١٩٧٠م ، ستمائة ألف تقدر بستة ملايين في أيامنا هذه ، وهذا الرجل لديه مسدس ، فأطلق النار فأصاب الأجير ، حكموه ثلاثين سنة سجناً ، كانت ساعة غضب ، فهذه القضايا خطيرة جداً ، كم من بيوت دمرت ، وأُسر تَشَتت ، وشركة ناجحة جداً انتهت بدداً في ساعة غضب جراء كلمة من أحد الشريكين .

وفي ساعة غضب قد يرتكب الإنسان حماقة كبيرة ، أما **الحليم** في بحر الأمان سلام داخله سلام خارجه أمره سلام ، فلو شققت صدر مؤمن يتمتع **بـالحلم** لرأيت في قلبـه بـرداً وسلاماً.

سمعت عن زوجٍ ، زوجته جاهلة بأحكام الدين ، وقفت عند بائع ، من كلمـة إلـى كلمة ، قالت راعنا نحن جيرانك ، ولعل الكلمة من الخضوع بالقول ففهم شيئاً آخر من الكلام

، فهم أنه ممكن أن يزورها بالبيت ، فدخل إلى البيت ساعة غياب الزوج ، فاستنجدت بزوجها عن طريق ابنها الصغير الذي قال له : عندنا رجل في البيت يا أبي ، جـاء زوجهـا بحالـة غضب شديد ، أغلق الباب وجاء بالشرطة ، وفضح زوجته وطلّقها ، ثم اسـتفتاني يريـد أن يردها ما الطريقة ؟ ، لقد ارتكب حماقة كبيرة جداً فقد أخطأت الزوجة لكنها بريئـة ، ولكـن خطأك كان أفدح وأشنع . فأين أنت من حادثة الإفك وموقف رسول الله سلى الله عليه وسلم ؟

والنبي علمنا لما سمع الخبر المؤلم وقذف السيدة عائشة وكيف بقي شهراً في أشـد حالات **الحلم** وضبط الأعصاب ، هذه السيرة كلها دروس فإذا كان الرجل غير **حليم** يصـبح كالمتفجرات ، يفجر نفسه : " إنما الحلم بالتحلم ، وإنما الكرم بالتكرم وإنما العلم بالتعلم " .

تحلم تتصنع **الحلم** تجعل نفسك **حليماً** تتكلف **الحلم** ، تضغط علـى نفسـك تكظـم غيظك فتحدث لك صلة بالله حقيقية ، أنت تجاهد نفسك : رجعنا من الجهاد الأصـغر إلـى الجهاد الأكبر جهاد النفس والهوى

تُقبل على الله عز وجل تصطبغ هذه النفس بأحد أسماء الله الحسنى وهو اسم **الحليم** ثم تصبح **حليماً** أصيلاً ، حقيقةً ، ويزينك **الحلم** قلباً وقالباً ، ماذا قال الله :

وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَـٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾

(سورة البقرة)

أول الأمر صبر ، وبعده صلاة ، والصلاة تأتي بخير ثم يأتي منها **الحلم** والرحمة والإنصاف .

النبي الكريم في الخندق ومعه ثلاثة آلاف صحابي أجلاّء ، والظرف الطبيعي بـرد شديد وخوف وجوع وما اجتمع في الجزيرة من قبل جيش يعد عشرة آلاف مقاتل أبداً ، جـاء ليستأصل المسلمين من جذورهم ، ومع ذلك كان النبي مع أصحابه فـي الخنـدق يحفـرون ويتمترسون ، وقد أصابهم جوع شديد ، فقام صحابي جليل بلغ منه الجوع ما بلـغ واسـتأذن النبي صلى الله عليه وسلم وذهب إلى البيت فهيأ طعاماً لرسول الله ، من حبهم الشديد للنبي ما كان أحدهم يستسيغ أن يأكل لقمة وحده ، ثم دعا النبي بقدر فيه شاة مذبوحة ، وخبز من شعير مطحون ، فماذا فعل النبي ؟ أيمكن أن يأكل النبي وحده مع نفر قليل من أصحابه ، ويدع بقية أصحابه جوعى ؟ أبداً لا . وقال للجيش كله : إن أخاكم فلاناً يـدعوكم إلـى طعـام ، فهـذا الصحابي ذاب كالشمعة خجلاً ، أي طعام هذا لقد هيأ طعاماً لثلاثة نفر أو أربعـة ، وهنـاك

آلاف ، فالنبي ما كان له أن يفعل إلا ما فعل ، لأنه رحيم بالناس ، وهو كما وصفه الله تعالى :

بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾

(سورة التوبة)

لكن بعصر النفاق تجد مواقف ذكية جداً فترى بعض النـاس يتصـنع الرحمـة ، ويتصنع **الحلم** .. فمثلاً ذات ليلة واحدة من اليالي قطع تيار الكهرباء في مدينـة بأمريكـا ، فارتُكبت مائتا ألف سرقة بليلة واحدة ، مع كل هذا الانضباط الخارجي ، لذلك عظمة الدين أنه يخلق في الإنسان وازعاً بينما القانون يخلق رادعاً ، القانون دائماً ردعه خارجي مـا دامـت الطريق مراقبة ، وفيها رادار ، فالسرعة محدودة بثمانين كيلو متر في السـاعة ، وإذا خلـت الطرقات من الرادار فالسرعة تزيد عن المئة وعشرين ، ما دامت الصالة مراقبة تلفزيونياً لا يسرق أحد شيئاً وإلا فالسرقة شريعة القوم ، فهذا القانون لا يستطيع إن أن يفعل في الإنسـان إلا فعل الرادع ، أما الدين ففيه وازع داخلي يرقى بالإنسان رقياً إلى مرتبة الملائكة .

كنت منذ يومين في حفل عيد مولد ألقيت فيه كلمة بدئت كما يلي : سيدنا عبد الله بن عمر رأى راعياً ، أحب أن يمتحنه قال له : يعني هذه الشاة وخُذ ثمنها ، قال : ليست لـي ، قال : قل لصاحبها ماتت، قال : ليست لي ، قال : خذ ثمنها وقل له أكلها الذئب ، قال : ليست لي. ولما ضاق هذا الراعي ذرعاً بالطلبات ؛ قال : والله إني لفي أشد الحاجة إلى ثمنها ، ولو قلت لصاحبها ماتت أو أكلها الذئب لصدقني فإني عنده صادق أمين ولكن يا هذا أين الله ؟ هذا الراعي وضع يده على جوهر الدين .

لعلي الآن لا أرى مؤمناً يقول أين الله ، لا في بيعه ولا في شرائه ، ولا في حديثـه ولا في وصفه وفي مدحه ، ما دامت البضاعة كاسدة يمدحها ليبيعها ، فماذا قال عليه الصلاة والسلام:

أخرج الأصبهاني عن معاذ بن جبل قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسـلم: "إن أطيـب الكسب كسب التجار، الذين إذا حدثوا لم يكذبوا، وإذا وعدوا لم يخلفوا، وإذا ائتمنوا لم يخونوا، وإذا اشتروا لم يذموا، وإذا باعوا لم يمدحوا، وإذا كان عليهم لم يمطلوا، وإذا كـان لهـم لـم يعسروا".

روي أن إبراهيم عليه السلام رأى رجلاً مشتغلاً بمعصية ، فقـال اللهـم أهلكـه ، فأوحى الله إلى إبراهيم أن يا إبراهيم لو أهلكنا كل عبد عصى لما بقي إلا القليـل ، ولكـن إذا عصى أمهلناه، فإن تاب قبلناه فإن أصر أخّرنا العقاب عنه لعلمنا بأنه لا يخرج عن ملكنا .

هذا الصحابي الذي جاء النبي عليه الصلاة والسلام وأسلم وعاد إلى قومه وأقنع أمه وأباه وزوجه أن يسلموا وأسلموا ، فلما اتجه إلى قومه رآهم غارقين في الزنى ، فعـاد إلـى النبي وقال : يا رسول الله ادع الله عليهم أن يهلكهم ، قال ما معناه : لا يا أخي بل أدعـو الله أن يغفر لهم وأن يرحمهم فالنبي ما كان لعاناً .

طبعاً لو تُرك الأمر إلى الناس لأهلك بعضهم بعضاً ولكن الله يرحم .

يروى أن شاباً كثير الذنوب ولكنه ما كان من المصرين ، بل كان يتوب ثم يرجـع إلى الذنب فلما كثر ذلك منه قال الشيطان : إلى متى تتوب وتعود وأراد أن يقنطه من رحمـة الله ، فلما جاء الليل قام وتوضأ وصلى ركعتين ثم رفع بصره إلى السماء وقال يا من عصمت المعصومين، ويا من حفظت المحفوظين ، ويا من أصلحت الصالحين إن عصـمتني تجـدني معصوماً ، وإن أهملتني تجدني مخذولاً ، ناصيتي بيدك وديوني بين يديك ، يا مقلّب القلـوب ثبت قلبي على دينك، فقال الله سبحانه وتعالى للملائكة : يا ملائكتي أما سمعتم قوله ، اشهدوا أني قد غفرت له ما مضى من ذنوبه . فهذه الواقعة لها في القرآن ما يؤيدها ؟

۞ قُلْ يَـٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾

(سورة الزمر)

قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَـٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾

(سورة يوسف)

وموقف سيدنا يوسف ، فيه من التواضع وصدق العبودية لله عز وجل ، ما يشْـده العقول : نبي عظيم ، قال : " **وإلا تَصرفْ عني كيدهن أصب إليهن وأكُن من الجاهلين** " .

مرةً زارني أخ شاب أحبه ، وكان شاباً مندفعاً وتائباً ، حينما دخـل بيتـي أجهـش بالبكاء ، قلت خيراً ، قال : أمد بصري مداً وأحدق بالنساء ، قلت تُب إلى الله ، قال تُبتُ كثيراً ، كلما تُبت نقضتُ التوبة ، قلت : أعوذ بالله ، فلمع في خاطري أنه حينما تاب إلى الله من قبل توبةً أولى واستقام على أمره شَعر باعتداد واعتزاز فصار يقيم الناس ، كلما رأى رجلاً مـن أقربائه ينظر يتهمه بالفسوق والكفر والفجور ، بينما يرى نفسه أنه مستقيم وبدأ يـوزع علـى الناس ألقاباً ، فربنا عز وجل أدبه ، أضعف له مقاومته ، إلى أن أصبح على أعتاب الله ذلـيلاً

وعرف أنه ضعيف بنفسه ، ولعله نسي أنه لا قوة لا له ولا لأحد إلا بالله ، وغابت عنه الآيـة الأساسية بالفاتحة وهي أهم ما فيها وهي :

إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾

(سورة الفاتحة)

فلعله قال مدركاً : "**إياك نَعبد** " ولم يقل بنفس الدرجة : "**وَإياك نَسـتَعين** " فلـذلك الافتقار إلى الله عز وجل هو المعين .

وذَكر مالك بن دينار أنه كان له جار وكان يتعاطى من الفواحش الكثير ، وكان لأبي حنيفة جار مغنٍ ، وهو تارك الصلاة ويشرب الخمر ويلهو بالغناء يومه كله ، وكانت أغنيتـه المفضلة :

أضاعوني وأي فتى أضاعوا ليوم كريهة وطعان خلس

فهذا المغني ملأ الحي صخباً وضجيجاً وآذى الجيران ، وذات ليلة لم يسمع صوته ، فسأل عنه ، قالوا : أُلقي القبض عليه ، بِتُهمة لاعلاقة لها بالغناء ولا بالخمر بِتُهمـة أخـرى متعلّقة بالمحتسب ، فأبو حنيفة النعمان بقدره العظيم وشأنه الجليل توجه إلى المحتسب رجـاء أن يعفو عنه ، المحتسب لم يتوقع أن يأتي أبو حنيفة بذاته ، فإكراماً له أفرج عنه وعن كل من ألقي عليه القبض في ذاك اليوم ، فساقه أبو حنيفة من يده قائلاً : يا فتى هل أضعناك ، تقول : أضاعوني وأي فتى أضاعوا .. وكان هذا الموقف سبب إسلامه وسبب توبته ، فـإذا **حلمـت** على رجل عاصٍ فقد يكون **حلمك** سبب توبته ، أما إذا كفّرته وفسقّته ولعنته وسببته فقد يكون هذا الموقف سبباً لاستطالته في فجورِه ، والنبي لم يبعث لعاناً حتى نلعن الناس ، ولسنا قضاة لنحاسب الناس ، ولكننا دعاة إلى الله عز وجل .

عزيزي القاريء إن **الحلم** حارس أمين يحول دون حماقات كبيرة جداً قد تتردى فيها وتكون عاقبتها مدمرة والعكس صحيح إذ قد يكون **والحلم** سبباً لتكون هادياً وداعيـاً إلـى الله سبحانه، **والحلم** محبوب، إذ كاد **الحليم** أن يكون نبياً ، و **الحلم** سيد الأخلاق .

ب**الحلم** تتبوأ أسمى المكانة في قلوب الناس ، فلهذا قال مالك بن دينار : كـان لـي جار يتعاطى من الفواحش الكثير وجيرانه يتأذون منه ويمقتونه ، فشكوا منه إلي ، فأحضرناه ونصحته إما أن تتوب وإما أن يرحل من المحلة ، فأبى أن يفعل واحداً منهما ، فقلنا : نشكوك إلى السلطان فقال السلطان يعرفني ، فقلنا : ندعو الله عليك ، فقال : الله أرحم بـي مـنكم . فغاظني ذلك فلما أمسيت قمت وصليت ودعوت عليه ، قال : فوقع في قلبي هاتف ، لا تـدع

عليه ، بل ادع له بالتوفيق . يبدو أن هذا الشاب تاب توبةً نصوحاً وعاد إلى الله واتفق أن رآه مالك في موسم الحج يطوف ويبكي .

ومرة أخرى وواقعة أخرى شبيهه يقول مالك بن دينار بينما هو ماشٍ في الطريـق رأى رجلاً مخموراً طرحته الخمرة أرضاً والزبد على شفتيه ويقول : الله ، الله ، وهـو فـي حالة هذيان، فعظم على هذا الإمام الكبير أن يخرج هذا الاسم العظيم من فمٍ نجس ، فتَلَطّـفَ معه ومسح فمه وأكرمه رغم سكره ، وبعد أن صحا قيل له : أتدري من اعتنى بـك واهـتم بحالك ؟ إنه الإمام مالك. ويبدو أن هذه العناية اللطيفة بهذا العاصي أثارت حساسـية نفسـه ، فبكى تأثراً وندماً ، وبالمناسبة فالعصاة أكثرهم فيم رقة تستجيش نفوسهم بالبكاء ، ونام الإمـام مالك ليلته تلك فسمع في منامه صوتاً يخاطبه : يا مالك طهرت فمه من أجلنا فطهرنا قلبه من أجلك ، وخرج مالك إلى المسجد فرأى رجلاً يبكي ويصلي ويتهجد قال : من أنـت يرحمـك الله ، قال إن الذي هداني أخبرك بحالي .

أقول لك عزيزي القاريء : إنك لا تعرف عمق شعور المؤمن الصادق إذا استطاع أن يهدي رجلاً ضائعاً منحرفاً شارب خمر ملحداً ، ويعتقد بأن الله ليس عادلاً ناقمـاً ، فـإذا قدرت أن تُقنع إنساناً بعيداً وتروضه على طاعة الله ، وتروضه شيئاً فشيئاً إلى أن يستقيم على الطريق الصحيحة فهذا عمل بطولي ، بل إنك أنت البطل .

أحد العلماء قال لتلميذه كلمة ذات معنى إيجابي دقيق جداً ، قال : " يا بني الشخص الصالح الجيد لا يحتاجك في موعظة ، وإنما يحتاجك السيء المنحرف " بطولتك ليست مـع الصالحين ولكن بطولتك مع المنحرف ومع العاصي وهذا كله يحتاج إلى **حلـم** تتحلـى بـه فالمنحرف يحتاج إلى صدر واسع وإلى رحمة الناس به لترده إلى الصواب ، وتلك البغي التي رأت كلباً يلهث ويأكل الثرى من العطش سقته فغفر الله لها ، نموذج للعودة إلى الله والعمـل الصالح حتى ولو كان مع حيوان بهيم . قال تعالى على لسان سيدنا إبراهيم :

رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴿٨٣﴾

(سورة الشعراء)

فأجاب الله دعاءه بقوله فبشّرناه بغلامٍ **حليم** ، والعلماء قالوا هذه الخلاصة : " **الحليم** من كان صفّاحاً عن الذنوب ستاراً للعيوب " ، **الحليم** هو الذي عَفَر بعدما ستر ، **الحليم** يحفظ الود ويحسن العهد ، وينجِز الوعد ، **الحليم** يسبِل ستَر عفوه على العصاة ويسحب ذيلَ عفـوه على الفُجار ، **الحليم** الذي لا يستخفّه عصيان عاصٍ ولا يستفزه طُغيان طاغٍ .

المؤمن الصادق إن رأى عاصياً ، يرأف ويحنو ولا يتكبر ، ويحدث نفسه : لعـل هذا العاصي يتوب توبةً نصوحاً ويصدق مع الله أكثر مني فيسبقني ، لا تحتقرن عاصـياً ادع له بالهداية ، وتلطف معه والطف به وما أمر وحشي عنك بخاف فقد فعل ما فعل ، ولما رجع إلى الله تاب عليه .

وكذلك سهيل بن عمرو الذي تمنى سيدنا عمر أن يضرب عنقه بالسيف ، حين قال له النبي اكتب : هذا ما اتفقَ عليه محمد رسول الله ، قال لا أكتب " رسول الله " لو آمنا بـك لما خالفناك ، قل محمد بن عبد الله ، كان في منتهى الغلظة والقسوة ، وسيدنا عمـر هـم أن يقتله ، قال عليه الصلاة والسلام : يا عمر لعلك ذات يومٍ تسمع منه كلامـاً تحمـده عليـه ، والحقيقة قال كلاماً بعد موت النبي يكتب بماء الذهب .

دخل عمير بن وهب على رسول الله والخنزير أحب إليه منه وخرج من عنده وهو أحب إليه من بعض أولاده .

نضرع إلى الله عز وجل أن يرزقُنا **الحلم** . فهو زين ، ونحـن نـتعلم أسـماء الله الحسنى أملاً في أن نتخلّقَ بها ، عملاً بقوله عليه الصلاة والسلام : " تخلقوا بأخلاق الله " .

والحمد لله **رب العالمين**

* * *

الدرس ٢٢ - اسم الله : "الشكور"

بسم اللهِ الرحمن الرحيم

لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾

(سورة إبراهيم)

مع الاسم الثاني والعشرين من أسماء الله الحسنى والاسم هو اسم " **الشكور** " .

الحقيقة أن تعرف أن الله خلق السماوات والأرض وكفى فأنت إذاً ما عرفتـه ، لأن الإيمان بوجود الله يكاد يكون قاسماً مشتركاً بين الناس كلهم جميعاً يعني :

وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾

(سورة لقمان)

حتى الذين عبدوا الأصنام قالوا :

أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾

(سورة الزُمر)

إذا أقررت بوجود الله عز وجل ، فأنت لم ترتفع عن أي مستوى من مستويات النـاس العاديين ، ولكن معرفة الله تقتضي أن تعرف أسماءه وما من معرفة لها علاقة وشيجة بحياتك الدنيا وبمآلك إلى الآخرة كمعرفة أسمائه الحسنى ، فكلما ازددت معرفة به ازددت حبـاً لـه ، وازددت استقامة على أمره ، وازددت عملاً صالحاً تتقرب إليه ، وازدادت سعادتك في الآخرة .

إذاً شيء في غاية الأهمية أن تتعرف إلى الله من خلال أسـمائه الحسـنى ، اسـم **الشكور** ثابت بالقرآن الكريم ، قال تعالى :

وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾

(سـ ـــورة فاطر)

وفي سورة الإسراء يقول الله سبحانه وتعالى :

وَمَنْ أَرَادَ ٱلْأَخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾

(سورة الإسراء)

مشكور : اسم مفعول ، من **الشاكر** ؟ هو الله عز وجل .

وفي آية ثالثة في سورة النساء يقول عز وجل :

وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾

(سورة النساء من الآية ١٤٧)

إذاً **شكور وشاكر ومشكور** ، **المشكور** هو العبـد ، والله سـبحانه وتعـالى **شـاكر وشكور** ، وبعد فما تعني كلمة " **شكر** " باللغة ؟

الشكور مبالغة من **شكر** ، ودائماً أسماء المبالغة إذا اقترنـت بأسـماء الله الحسـنى فتعني إما عدد **الشُكر** أو حجم **الشُكر** ، أما حجم **الشُكر** ؛ فأنت قد تعيش أنت في الدنيا لسنوات معدودات، سنوات قد تزيد على الستين سنة أو السبعين ، فإذا أطعتـه فـي هـذه السـنوات المعدودات يهبك حياةً أبدية لا تنقضي ، وكلمة (أبد) هذه كلمة قد لا ننتبه إلى معناها ، وهـا أنا ذا أُخاطب الإخوة الرياضين ، الذين يدرسون الرياضيات ، لو أن " واحداً " فـي دمشـق ووضعنا أصفاراً وبين كل صفرين ميلمتر ، وتابعنا الأصفار إلى حمص إلى حماة إلى حلـب إلى أنقرة إلى موسكو إلى القطب الشمالي إلى المحيط الهادي إلى القطب الجنوبي إلى أفريقيـا إلى إلى حتى عادت هذه الأصفار حول الأرض إلى أن استقرت على شمال " الواحد " ، هذا الرقم كم هو ؟ هذا الرقم "واحد " في دمشق والأصفار حول الأرض ، لو وضع هذا الرقم صورة لِكسر عادي وفي مخرج الكسر إشارة اللانهاية ، هـذا الـرقم يسـاوي صـفراً فـي

الرياضيات ، يعني : أي رقم مهما بدا لك كبيراً إذا قيس إلى اللانهاية فهو صفر ، فأنـت إذا عشت في الدنيا سنوات معدودات ، وفي هذه السنوات المعدودات أطعـت الله عـز وجـل ، ونهيت نفسك عن الهوى ، وضبطت جوارحك ، وحررت دخلك ، وتعرفت إلى الله ، وجلست في مجالس العلم ، وتلوت القرآن وفهمت القرآن ، ودعوت إلى الله ، وأنفقت من مالك ومـن جاهك ومن علمك وجاء الأجل ، إذا قستَ هذه السنوات المعدودة إلى الحياة الأبدية فأنت مـا فعلت شيئاً ، فمعنى " **شكور**" أنه يعطيك على الشيء القليل الشيء الكثير .

أيعقل أن تدفع ربع ليرة سورية ، لتشتري بها محلات شارع الحمراء على الطرفين ؟ الطوابق والمخازن والمستودعات ، والحريقة وطريق الصالحية والبحصة وحمراء بيـروت ، وشارع بيكاديلي بلندن ، وشارع كذا بفرنسا ، هل من الممكن شرائها بربع ليرة ؟ أؤكد لكم أن كل عمل الإنسان إذا قيس بما أعد الله له من نعيمٍ مقيم ، والله إنه أقلّ من هذه النسبة .

انظر في هذه الشركات الكبرى في العالم ، فقد سمعت عن شركة قـالوا : عنـدها فائض هم في حيرة من توظيفه ، مليار دولار ، فائض ليس له وظيفة يوظف بهـا ، هنـاك شركات كبرى في العالم ميزانياتها وأرباحها يقَدر ميزانيات مجموعة دول ، هذه الشركة هـل تُشتَرى بفرنك ، بليرة ؟ ها أنا ذا أقول ومن دون أن أبالغ ، إن ما أعده الله للمؤمن من نعـيمٍ مقيم نظير ما يقدمه من طاعة لله في الدنيا ، كالنسبة بين ما قدم وما سيأخذ وهي لا تتعدى أن تكون كمن يشتري إحدى أكبر الشركات في العالم بليرة سورية :

"عن أَبِي هريرةَ رضي الله عنْه قَالَ : قَالَ رسولُ الله صلى الله عليه وسـلم : قَـالَ اللـه : أَعددتُ لِعبادي الصالِحين ما لا عين رأَتْ ولا أُذُن سمعتْ ولا خَطَر علَى قَلْبِ بشَرٍ . "

(صحيح البخاري)

هذا معنى " **الشكور** " ، صيغة مبالغة لاسم الفاعل ، عندنا " **شاكر** " وعندنا " **شكور** " صيغة المبالغة أنه يعطي اللانهاية ، يعطي الأبد .

مرةً سمعت أن بعض القضاة في بلد معين ليس لهم رواتب ، بـل لـديهم شـيكات مفتوحة ، أي مبلغ يرده يأخذه ، لو طلب مبلغاً فلكياً يأخذه فوراً ، معنى " **الشكور** " إذاً ، أنـه يعطي الشيء الذي لا نهاية له ، الذي لا حدود له كما قال ربنا في الحديث القدسي : " **أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر** " .

الحقيقة هذا الكلام نقرؤه كثيراً ونردده كثيراً ولكن لو وقفنا عند مدلول هذه الكلمة ، كل واحد منا له دائرة مشاهدات ، فأنت مثلاً إلى أين ذهبت ؟ تقول : ذهبت إلى لبنان وإلـى الأردن وذهبت إلى الحج ، وذهبت إلى مصر وإلى قبرص . فقط ؟ أجل ، فقط .

بينما قد تجد شخصاً يعرف أمريكا ، يعرف اليابان ، يعرف روسيا يعـرف أفريقيـا وشخص آخر يعرف جنوب شرقي آسيا أيضاً ، وتجد آخر ذهب إلى أستراليا وغير أولئك من ذهب إلى القمر ، رواد الفضاء .

على كلِ دائرة المشاهدات إذا قيست بدائرة المسموعات لا شيء سـمعت بـالمريخ ولكن لم تذهب إليه ، وسمعت بالمشتري وسمعت و بنجم القطب ، وسمعت بألاسكا ، وسمعت بسيبيريا وسمعت بالقطب الشمالي دائرة المشاهدات إذا قيست بدائرة المسموعات فهي لا شيء ، أما دائرة الخواطر قد يخطر ببالك جبل طوله من هنا إلى الشمس ، هذا خـاطر ، مـا دام الخاطر ليس له واقع فالقضية سهلة ، قد يخطر ببالك إنسان إذا وقف على الأرض اقترب من القمر ، طوله ثلاثمائة ألف كيلو متر ، هذا خاطر .

فعندما حدثنا النبي عليه الصلاة والسلام عن ربه في الحديث القدسي قال : " أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر " ، هذا معنـى " **الشكور** " ، نظير ثلاث وستين سنة عشتهما ، انقضى خُمسهما حتى أصبحت مكلّفاً ، يعني هذه السنوات المعدودة كل يوم خمس صلوات كلما رأت عينك امرأةً غضضـت البصـر عنهـا ، وكلما لاح لك مبلغ من شُبهة قلت معاذ الله إني أخاف الله رب العـالمين ، يعنـي مجموعـة صلوات ومجموعة أيام صمتها ، ومجموعة مواقف خفت فيها من الله عز وجل فاستحققت هذا العطاء الكبير . وربنا عز وجل قال :

وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾

(سورة الإنسان)

أحدهم قال لي : كنت ببلاد أجنبي ودعانا مدير الشركة إلى قصره ، فشدهنا إذ رأينـا ما يفتن العقل والنظر ، دخلنا في غابة بقيت السيارة منطلقة ربع ساعة في هذه الغابة المحيطة بقصره ، بينما يحتاج المرء في بلدان كثيرة إلى مائة متر ، بل سبعين متراً مساحة بيت يأوي إليه، في حين أن الغابة مساحتها مئات الكيلو مترات ، غابة صنوبر وبالمنتصف قصر كبير لا تقل هذا بيت ، بل ملك كبير ، قصر وحوله حديقة مترامية ، غابة صنوبر ، فربنا عز وجـل قال : " **وإذا رأيتَ ثَم رأيتَ نَعيما ومُلكًا كبيرا** "

الله سمى ما أعد لك في الجنة ملكاً كبيراً ، هذا معنى "**الشكور**" يعني شيء لا يقـدر بثمن، مقابل شيء قليل جداً قدمته نلت به شيئاً كثيراً .

والمعنىالآخر لكلمة " **شكور** " هو المعنى العددي ، يعني لا يمكن أن تقدم شـيئاً لله عز وجل إلا **ويشكرك** عليه .

أعتقد أن أبا جهل بعيد البعثة ، جاء بيت النبي عليه الصلاة والسلام ، وطرق بابه ، ففتحت فاطمة الزهراء وكانت بنتاً صغيرةً ، قال: أين أبوك ؟ قالت : ليس هنا . فضربها بـلا سبب، فلما علم أبو سفيان أن أبا جهل ضرب هذه الفتاة الوديعة الصغيرة ولطمها على وجهها لأنها قالت أبي ليس في البيت ، ذهب إلى بيت النبي وأخذ فاطمة الصغيرة الزهراء وحملهـا على يده وتوجه إلى بيت أبي جهل وطرق الباب ففتح الباب ، قال : اضربيه كمـا ضـربك ، أراد أن يثأر لكرامتها ، لما علم النبي ذلك رفع يديه إلى السماء وقال اللهـم لا تنسـها لأبـي سفيان ، لا تنسها له ، والله عز وجل لم ينسها له ، مع أنه حارب النبي عشـرين عامـاً فـي النهاية أسلم ، ولما أسلم وكان النبي كريماً معه وحليماً ، قال يا ابن أخي : ما أحلمـك ومـا أعقلك وما أوصلك وما أرحمك.

ورد في بعض الكتب أن أبا لهب حينما علم بميلاد النبي عليه الصلاة والسلام أعتق جارية ، فقيل : إنه يخفف عنه العذاب كل يوم اثنين ، وأنه أعتق أعتق هذه الجاريـة فرحـاً بميلاد النبي عليه الصلاة والسلام ، كل شيء محفوظ عند الله سبحانه يعني ولو أنقذت نملة ، قال تعالى:

مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾

(سورة النساء)

قد تخدم شخصاً ، الخدمة لا يمكن أن يشكرك عليها إلا إذا عرفها ، مـثلاً ، كـأن تزور مريضاً ، فتحمل هدية وتتوجه إليه ، في مدخل البيت أخذها منك ابنه ، ولم يبلغه ، ثـم جلست عند المريض فهل يعقل أن **يشكرك** هذا المريض بقوله (فضلت ، شكراً) لا . طبعاً إنه لم يدر بالهدية، فكيف **يشكر** وهو لا يعلم ، لذلك ربنا عز وجل : " **ما يفْعلُ اللـهُ بِعـذَابِكُم إِن شَكَرتُم وآمنْتُم وكان اللهُ شَاكرا عليما** " فهو يعلم ، يعلم أي عمل مهما بدا صغيراً ، لو أنقذت فراشةً ، لو أنقذت نملة، لو رحمت إنساناً ، لو أمنت إنساناً خائفاً ، أو هدأت من روع إنسـان خائف ، لو طمأنت إنساناً ، لو أطعمت إنساناً جائعاً ، كل شيء محفوظ عنَـد الله ، فكلمـة " **شكور** " إما لحجم " **الشُكر** " وإما لعدد مرات **الشُكر** ، وهي مبالغة اسم فاعل .

قال العلماء : معنى " **الشكور** " ، باللغة : **الشُكر** في الأصل الزيادة ، فلان **شكير** أي عياله صغار ، **وشكير** الشجر ما نبت في أصلها من القضبان الصغار ، وناقة **شكيرة وشكْرى** إذا كانت ممتلئة الضرع ، **وشكرت** الأرض إذا كثر النبات فيها ، ودابة **شكور** إذا أظهرت من

السمن فوق ما تُعطى من العاف ، وكل نبت يكتفي بالماء القليل فهو **شكور** ، هذا ما ورد في كتب اللغة عن كلمة **شكور** .

أما **الشكر** في حق العباد فله طريقان ، ويمكن أن نضيف لهما طريقاً ثالثة ، **شكر** باللسان ، **وشكر** بالعمل ، ونقول لن يكون **الشكر** لا باللسان ولا بالعمل إلا إذا عرفت النعمة ، أساس **الشُكر** المعرفة ، إذاً أنت تعرف ثم **تشكر** ، لا **تشكر** ما لم تعرف .

فشكر العمل ، مثلاً : هناك شخص قدم لك بيتاً ، أو وظفك فهو إذاً قدم لك شيئاً ثميناً ، أو كُنتَ واقعاً في ورطة كبيرة فأنقذك منها ، ثم رأيت ابنه في الطريق ، فإذا قدمت لهذا الصغير قطعة حلوى فهذه الحلوى في الحقيقة **شُكر** لوالده ، فأنت عبرت عن امتنانك من أبيه بإكرام ابنه ، هذا بشكل مبسط .

لذلك فالمؤمن إذا أسدى للعباد خدمات ، أو إذا رحم العباد أو أكرمهم ، طمأنهم ، أطعمهم ، أسقاهم ، كساهم ، رحمهم ، حينما تُسدي معروفاً لِمخلوق كائناً من كان ، لِقطة ، لجرو صغير ، فقد ترى حيواناً قد مرض وتأخذه إلى مشفى بيطري أو إلى طبيب بيطري ، فإذا أردت الحقيقة فهذا هو عين **الشُكر** ، لأنك تُعبر عن **شُكرك** لله عز وجل وعن امتنانك له بخدمة مخلوقاته ، وإذا أردت أن تعرف سر العمل الصالح في الدنيا و لماذا المؤمن يعمل الأعمال الصالحة ، ليس لها تفسير إلا أنها تعبير عن **شُكر** العبد لله عز وجل من خلال خدمة عباده ، إذا نصحت زبائنك نصيحةً صادقة ، فهذا **شُكر** منك لله ، إذا رحمت الناس ، إذا عطفت عليهم ، إذا أنصفتهم ، إذا خففت من مآسيهم ، إذا مسحت جراحهم ، إذا أمنتهم من خوفهم ، إذا قدمت لهم المعونة ، إذا فعلت أي عمل صالح هو في الحقيقة تعبير عن امتنانك لله عز وجل من خلال عباده ومألوف عند الناس بشكل واضح جداً أن تكرم الأب من خلال إكرام الابن ، إذا رأيت رجلاً تحبه يصحبه ابنه فيمكنك كحد أدنى أن ترحب بالابن ، كيف أنت يا عم ؟ ما اسمك ؟ بأي صف ؟ وإذا معك قطعة سكر أعطيته إياها ، وإذا وجدت لديك قلماً ثميناً ، وهذا الإنسان له فضل عليك أعطيته القلم ، وهذا طبيعي جداً وهو شكر عملي حقاً .

تُريد شيئاً يريح قلبك ، تُريد لهذا الإنسان الذي أكرمك ، أن تُعبر عن امتنانك له ، فتلقى أمامك ابنه وتكرمه ، الله عز وجل غني عن العالمين ، يطعم ولا يطعم ، مستحيل أن تقدم هدية إلى الله لكن ليس أمامك إلا عباده ، كلهم عباده ، حتى الكفار ، حتى الذين أنكروا وجوده هم عباده إذا أحسنت إليهم فهذا عمل خيرٍ عند الله محفوظٌ ، فإن كنت طبيباً وجاءك مريض ، والمريض تعرفه غير مؤمن بالله ولا دين له ، فهذا عبد لله أمامك يجب أن تقدم له كل شيء ، كل ما في إمكانك لأنه عبد لله .

مثل آخر في مجال الحيوان ، فإذاك حيوان يحتاج أن يأكل ، فتطعمه ، نعرف أُناساً يطعمون الطيور ويشعر أحدهم بلذة عارمة وبسعادة ، فيشتري ٢ كيلو أو ثلاثة من الحبوب ، التي تصلح للطيور يضعها على السطح فترى سبعمائة أو ثمانمائة طير تسقط على السطح وتأكل يقول : كأني أتغذى أنا ، شعور نبيل سامٍ ، هؤلاء مخلوقات لله عز وجل ، لذلك فالمؤمن وهو يقود مركبته يحرص حرصاً كبيراً على ألا يدهس بها مخلوقاً ، فمثلاً لو دهس غنمة لقطع أصحابها عنقه ، ويقطعون عليه الطريق ، ثمنها ثمانية آلاف يغرمونه الثمن . لكن إذا دهس كلباً لا أحد يحاسبه ، ترى في الطرقات منها مئات مدهوسة ، أما المؤمن فهو يعرف أن هذا الكلب حتى لو لم يكن ملكاً لأحد ، ولو لم يكن هناك يحاسبه عليه ، لكن يعلم أن الله ربه ويحاسبه، لذلك فالمؤمن يحرص حرصاً بالغاً على ألا يدهس حيواناً وإذا وقع منه من غير قصد يبادر إلى أداء صدقة فلعل الله سبحانه وتعالى يعفو عنه .

هذا هو **الشُكر** ، **فالشُكر** بالأفعال أن تعمل عملاً صالحاً مع كل مخلوق وأنا أؤكد أنك إن تخدم المسلمين فقط أو إن تخدم المؤمنين فهذا أرقى وأجدى عن الله تعالى ، أما أن تخدم إخوانك ممن تلتقي بهم في المسجد ، فهذه نظرة ضيقة جداً جداً جداً ولا تُرضي الله كثيراً ، بل يجب أن تخدم الخلق عامة .

حدثني أخ قال : رجل منعم يركب سيارته الفخمة يمشي في طريق بين مدينة ومدينة رأى شاباً راكباً دراجة جنزيرها مقطوع والرجل له مكانته التجارية والإجتماعية ، وسيارته فخمة ثمنها عشرات الملايين ، وقف وأصلح له الدراجة ، فكان هذا العمل سبب إسلام الشاب وإيمانه وأصبح من أخلص إخوانه لأنه أصلح له الدراجة .

إذاً ، هذا هو **الشُكر** ؛ الإسلام نظرته أممية ، وليست نظرته نظرة ضيقة ، هذا مسلم وذاك غير مسلم ، هذا مؤمن وذاك غير مؤمن ، هذا من إخواننا وهو من جماعتنا ، هذه كلها عنعنة جاهلية ، إذا كنت فعلاً تعرف الله فهؤلاء جميعاً عبيده .

والله الذي لا إله إلا هو ما من مخلوق ترحمه إلا شكر الله لك.. قال : بغي ، والبغي معروفة ، رأت كلباً يأكل الثرى من العطش فسقته **فشكر** الله لها وغفر لها و الحديث الشريف يقول:

" عن أبي هريرةَ رضي الله عنْه أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قالَ : بينَا رجلٌ يمشي فَاشْتَد عليه الْعطَشُ فَنَزلَ بِئْرا فَشَرِب منْها ثُم خَرج فَإِذَا هو بِكَلْبٍ يلْهثُ يأْكُلُ الثرى من الْعطَشِ فَقَالَ لَقَد بلَغَ هذَا مثْلُ الذي بلَغَ بي فَملأ خُفه ثُم أَمسكه بِفيه ثُم رقي فَسقَى الْكَلْب فَشَكَر الله لَه فَغَفَر لَه قَالُوا يا رسولَ الله وإِن لَنَا في الْبهائِمِ أَجرا قَالَ في كُل كَبِد رطْبة أَجر * "

(صحيح البخاري)

ذات مرة رأيت في مزرعة قرب يعفور سمكاً ، صاد بعض من في المزرعة سمكاً من هذا السمك وأرادوا فوراً أن ينظفوها ، بحجة استغراقها وقتاً طويلاً لتموت ، قلت : فما المانع أن تنتظر ولا تعذب مخلوقاً ، انتظر حتى تموت الأسماك ، هو يريد أن يفتح البطن وهي حية، فهذا تعذيب لبعض خلق الله ، أشاهد أحياناً بائع فراريج يذبح الفروج ويلقيه فوراً بماء يغلي ، قبل أن يموت ، إن هذا خطأ يحاسب الله عليه ، فاحذر . قال تعالى :

وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَـٰهَا لَكُم مِّن شَعَـٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ ۖ فَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّ ۖ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَـٰهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٦﴾

(سورة الحج)

لماذا الدين ضروري ؟ هذا مخلوق ، قدم جسمه لك ، فوق هذا المعروف تسلقه حياً بالماء المغلي ، بعد أن تذبحه وقبل أن يموت لتضعه في البرميل الذي يغلي غلياناً ، والله كبير وشديد العقاب ، ففي الحديث الشريف :

عن شَداد بن أوس أن النبي صلى الله عليه وسلم قالَ : إن الله كتَب الإحسان علَى كُل شَيء فإذَا قَتَلْتُم فَأحسنُوا الْقتْلَةَ وإذَا ذَبحتُم فَأحسنُوا الذبحةَ ولْيحد أحدكُم شَفْرتَه ولْيرح ذَبيحتَه *

(صحيح مسلم)

هذا هو الشكر ..

إذا عرفت الله عز وجل ورأيت فضله عليك ، فقد عرفت كيف تتعامل مع مخلوقاته أياً كانت ، أقرأ هذه الآية مثلاً :

وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾

(سورة النساء)

والله إني أقرأها عشرات المرات ولا أشبع منها : " **وكان فضل الله عليك عظيماً** " .

أوجدك من عدم ، عمرك الآن ثلاثون سنة ، افتح كتاباً قد طبع سنة ألف وتسعمائة وثمانية وخمسين ، فأثناء صف الحروف أين كنت أنت ؟ أكان لك وجود ؟ أكان لك ذكر ؟ أكان لك حجم ؟ أكان لك جرم ؟ أكان لك أهمية ؟ لم تكن موجوداً كلك ، قال تعالى :

هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ لَمۡ يَكُن شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا ١

(سورة الإنسان)

فأنعم الله عليك بنعمة الوجود ، وأعطاك صورة قال تعالى :

ٱللَّهُ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ قَرَارٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَصَوَّرَكُمۡ فَأَحۡسَنَ صُوَرَكُمۡ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦٤

(سورة غافر)

أَلَمۡ نَجۡعَل لَّهُۥ عَيۡنَيۡنِ ٨ وَلِسَانٗا وَشَفَتَيۡنِ ٩ وَهَدَيۡنَٰهُ ٱلنَّجۡدَيۡنِ

(سورة البلد)

يقولون إن بشار بن برد خاط ثوباً عند خياط أعور ، لبس الثوب تضـايق منـه لا قصير ولا طويل ، قال له والله لأهجونك ببيت لا تعرفه أمدحاً كان أم ذماً قال :

خاط لي زيد قباء ليت عينيه سواء

قباء ثوب ، ليت عينيه مثل بعضهما بعضاً ، فيا ترى هذا مدح أم ذم ، فالبيـت قـد يكون مدحاً ويصح أن يكون ذماً ، عينان ، وبالعينين ترى البعد الثالث ، بعين واحدة حاول أن تدخل الخيط في ثقب إبرة ، فسوف يأتي الخيط بعيداً عن الإبرة عشرة سـانتيمرات بـالعينين تلقى البعد الثالث ، بالعينين العملية دقيقة جداً ، مرتكز خيال العينين فيه انزلاق بسيط جـداً ، هذا الانزلاق يعطيك البعد الثالث .

له عينان يعني له شكل حسن ، فالنبي الكريم كلما رأى وجهه في المرآة يقول :

"عن ابن مسعود أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم كان يقُولُ : اللهم أحسنْتَ خَلْقي فأحسـن خُلُقي *"

أعطاك صورة أعطاك عقلاً أعطاك قلباً ورئتين ... ألخ ، شكا لـي رجـل بعـض همومه فقلت له : أتحتاج صماماً لقلبك ؟ قال لا ، قلت له أتحتاج أن تغسل كليتيك كل أسبوع ؟ قال : لا، قلت : أنت في نعمة عظيمة إذاً فاحمد الله تعالى .

الذي ليس مضطراً أن يضع صماماً أو ليس بحاجة لإجراء عملية قثطرة في لنـدن ويدفع مليون ليرة ، وليس مضطراً أن يغسل كليتيه كل أسبوع مرتين ويترقـب الآلـة هـل تعطلت أولم تتعطل ، وليس مضطراً أن يحمل غائطه بيده ، وليس مضطراً وليس مضـطراً ... ، فاليسجد لله ويقبل الأرض **ويشكر** الله عز وجل .

إن العبد إذا أطاع ربه ثم إن الرب تعالى كافأه على طاعته كان ذلك **شـكراً** للعبـد . فكيف بالجزاء الأوفى الذي سيجزي الله به عباده ، فهذا يعنى أن الله **شكور** .

و **الشكر** المفسر بالثناء ، يعني إذا عملت عملاً طيباً لك الجنة أنفقت من مالـك لـك جنة عرضها السماوات والأرض ، أنفقت من وقتك أنفقت من خبرتك من علمك ، عاونـت ، أخلصت ، أتقنت عملك ، ونصحت المسلمين ، يعني قدمت الحد الأدنى ، كأن تكون لك مهنة تتقنها ثم تعمل العمل بإتقانٍ وتأخذ أجراً معتدلاً ، فالحد الأدنى أن تنفع المسلمين بطريقة ما .

إذا اشتريت قماشاً رديئاً(ستوك) من اليابان ، صنعت منه قميصـاً وبعتـه بمائـة وخمسين ليرة ، يعني بسعر زهيد مغرٍ ، فلبسه من اشتراه مرتين وبحركـة بسـيطة تمـزق وتلف ، فأنت مؤذ! فاحرص على أن يكون عملك نافعاً لتنال شكر الله والعباد .

اشترى أحدهم كراسي للجلوس ، ووضعها في غرفـة الضـيوف ، ولأول سـهرة جلسوا على كرسي انكسر ، فهذا غش فاضح .

ومن غش المسلمين بل من غش الناس أياً كانوا يكن مسيئاً ، الحد الأدنى أن تـتقن عملك وتأخذ ثمناً معتدلاً وبها تكون قد قدمت خدمة للمسلمين ، وصنعت معهم صنيعاً حسناً .

أحدهم اشترى جرابات صوف ثمن الزوج ستين ليرة أو سبعين ، مـا إن لبسـهما ثلاث مرات حتى تقطعت فما السر ؟ فالخيط خيط " براتو " وهذا " شراطيط " مـن إيطاليـا يعالجونها ويصنعون منها غزلاً ، هذا الخيط غير جيد غير صالح للارتداء وجـد جرابـات سميكة وألوانها جميلة يدفع ثمنها ستين ليسها ثلاث مرات انتهـت ، الـذي يغُـش خلـق الله فسيعاقبه الله ، لِم تخدعهم و تبتز أموالهم ؟ رجل فقير أجره محدود ، قطع من ثمـن طعامـه وشرابه واشترى هذه البذلة فمن أول غسلة انعدمت. ما هذا ؟ إنه غش وتعد على الآخـرين . فاحذر ، فالله تعالى يقول :

وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ

(سورة الشورى : من آية " ٤٠ ")

فالحد الأدنى أن تتقن عملك ، وأن تتقاضى ثمناً معتدلاً ، والحد الأعلى حدث ولا حـرج ، تطعم الطعام تعين الضعيف : " **ليس كل مصل يصلي إنما أتقبل الصـلاة ممـن تواضـع**

لعظمتي وكف شهواته عن محارمي ، ولم يصر على معصيتي ، وأطعم الجائع وكسا العريان ورحم المصاب وآوى الغريب كل ذلك لي " .

حدثني أخ والقصة قديمة منذ عقدين تقريباً أثناء أحداث لبنان قـال : جئـت مـن " الهامة " فرأيت رجلاً واقفاً في ضاحية " دمر " أيام البرد الشديد حاملاً طفـلاً صـغيراً يلفـه بسترته ، وبجانبه امرأة ، وكانت الساعة الثانية عشر ليلاً ، فقلـن أوصـلهم لـدارهم ، وإذا بالطفل حرارته مرتفعة جداً، واحدة وأربعون درجة وهذان أبواه أتيا من لبنان أثنـاء أحـداث لبنان ، سكنا في بيت في دمر ولا يعرفان أحداً في الشام ، قال أركبتهم بالسيارة وأخذتهم إلـى طبيب مناوب عالج الصغير واشترينا الدواء من صيدلية مناوبة ، ذهبنا إلى مشـفى لأعطـي الطفل إبرة ، وانتهينا الساعة الرابعة صباحاً ، بقيت أسبوعين أو ثلاث مغمـوراً بسـعادة لا تُوصف .

يقول بعضهم : والله نحن نُريد السعادة ، السعادة بين يـديك ، إذا أردت أن تَسـعد فأسعد الآخرين ، كل واحد منا يذوق لذة الأخذ ، هو يقبض المال فيفرح ويمرح ولكن ما أحد ذاق لذة العطاء ، العطاء له لذة أكثر ، العطاء تمسح به جراح أسرة ، فمثلاً شخص لهفان تحل له مشكلته، بلا مأوى أمنت له بيت ، بلا زوجة ساعدته على الزواج ، أو رجل مريض دللتَـه على طبيب مخلص لا يغُشه ، لا يبتز أمواله ، له قضية بالقضاء دللتَه على محامٍ صادق .

لا تعرف طعم السعادة حقاً إلا إذا خدمت الناس .

مرةً سمعت متهجداً ، يقول : يا رب لا يحلو الليل إلا بالتهجد لك ، ولا يحلو النهار إلا بخدمة عبادك . هذا إن كان صادقاً فيما يقول وفعلاً طبق ما يقول ، هنيئاً له . وهكذا كن .

على المسلم أن يزور مريضاً أو أن يقدم معونةً : " والله لأن أمشي مع أخٍ في حاجته خير لي من صيام شهر واعتكافه في مسجدي هذا " . هذا الحديث الشريف لا أشبع منه .

صيام شهر من صيام رسول الله واعتكاف شهر .. " لأن أمشي مع أخٍ في حاجتـه خير لي من صيام شهر واعتكافه في مسجدي هذا " .

الشُكر الثاني : أيها الإخوة أن تُثني على الله : يا رب أنت اللطيف ، أنت الـرحيم ، أنت القوي ، أنت الغني ، أنت الرؤوف ، يا رحمن الدنيا ورحيم الآخرة ، يا غفار الذنوب ، يا ستار العيوب ، أنت الذي تعطي ولا تسأل ، تحلُم ولا تعجل .

لسانك ينطلق : لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين ، سبحان الله والحمـد لله ولا إله إلا الله ، يعني إذا أثنيت على الله ، هذا **شُكر** أيضاً .

يا ربي لقد خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت ، أبوء لك بنعمتك علي وأبوء بذنبي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت ، اللهم إنك عفو كريم تحب العفو فاعفُ عني ، اللهم إني أسألك موجبات رحمتك .

يعني أن ينطلق لسانك بذكر الله بالثناء عليه ، يا رحمن الدنيا والآخرة ، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له السماوات والأرض وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة ، أعوذ بك من أن تنزل بي سخطك أو أن تحل بي غضبك ، لك العتبى حتى ترضى لكن عافيتك هي أوسع لي .

إذا رأيت مؤمناً من غير رواد جامعك ومن غير جماعتك ، ورأيته مستقيماً محباً لله إن لم تحبه فلست مؤمناً ، لما تُعمق انتماءك فقط لجماعتك فأنت طـائفي ، أنـت عنصـري محدود الأفق، بل عليك أن تنطلق إلى الناس جميعاً .. فالدعوة عامة ..

عن عبد الرحمن بن عمرو السلمي أنه سمع العرباض بن سارية قَالَ وعظَنَا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم موعظَةً ذَرفَتْ منْها الْعيون ووجِلَتْ منْها الْقُلُوب قُلْنَا يا رسولَ الله إن هذه لَموعظَةُ مودعٍ فَماذَا تَعهد إلَينَا قَالَ قَد تَركْتُكُم علَى الْبيضاء لَيلُها كَنَهارِها لا يزِيغُ عنْها بعدي إلا هالِك *

الإسلام للناس جميعاً ، يجب أن تعمل تحت ضوء الشمس ، لا معميات في الإسـلام ، كل شيء واضح ، خالق الكون هذا كتابه وهذا منهجه وهذه سنّة نبيه ، فأنا أُلِح ألا يقتصـر العمل الطيب على من يلوذ بك أو ممن تعرف من العباد ، لا .. بل خيرك للناس كافـة ، ولا تدري في أية لحظة يشرق في نفس هذا الإنسان الذي أسديت إليه الجميل ؛ فهذا هو الإيمـان لعل الله عز وجل يهدي بك وأنت لا تدري .

فمثلاً كان لأبي حنيفة النعمان جار مغنٍ تارك صلاة شارب خمر لا ينيمـه الليـل وطول الليل يغني :

أضاعوني وأي فتى أضاعوا ليوم كريهة وطعان خلس

ذات ليلة لم يسمع أبو حنيفة غناء في البيت المجاور ، يعني أن المغني لديه عارض عرض له ، تفقده فوجده في السجن لقضية ما ، فذهب إلى مدير السجن وشـفع لـه ، مـدير السجن لم يصدق ، وجد الإمام الأعظم عنده في المكتب ، فأطلق إكراماً له كل من أُلقي القبض عليهم في تلك الليلة ، وهو في طريقه قال له : يا فتى هل أضعناك .. نسـيناك، فكـان هـذا المعروف سبباً لتوبته .

اجتهادك وبطولتك ليس في إسداء خدمة لمؤمن ، المؤمن سوي مثلك ، تجلس إلـى مؤمن فتقول : لقد أقنعته ، وهو قانع أصلاً قبل أن تؤثر فيه ، إذا كنت بطلاً تُقنع إنساناً تارك صلاة ، تُقنع إنساناً عنده شكوك بالله عز وجل ، هنا البطولة ، أن تُدخل على المجتمع المؤمن عنصراً جديداً ، تجلس إلى عدو للدين عنده شبهات ولا يعبأ بالعلماء ولا يعبأ بالدين تقنعه تحلم عليه وتعطيه الأدلة القطعية ، ويرى منك خُلُقاً حسناً ، لمدة شهر أو شهرين أو ثلاثة فيشـرح الله صدره ، ومن بعد يصلي ثم يتوب ، ويأتي إلى المسجد ، ويعتاد المساجد وحلقات العلـم ، فهذه البطولة حقاً وليست البطولة أن تُفسد الناس على شيوخها ، ولا الشيوخ على تلاميذها لا .

فأنت مهمتك أن تُحدث عنصراً جديداً في المؤمنين البطولة على قدر المشقة وبحجـم العمـل الإيجابي النافع .

مرة ذكرت لجلسائي كلمة قالها رجل يدعو إلى الله عز وجل، قال لتلميذه : يا بنـي السليم لا يحتاجك ، يحتاجك السقيم السيء ، فالفهيم والذكي والمتفوق والورع والتقي والنقي ، إذا حدثته عن الله فأبكيته فماذا فعلت ؟ عنده مشاعر ولديه عواطف صادقة فلما ذكّرته تـأثّر ، أما إذا كنت تستطيع أن تجلس مع البعيدين والمنكرين والمتشككين تمنحهم من علمك وأدلتـك وحجتك ، وتزيل عنهم كل الشبهات وتأخذ بيدهم درجة درجة ، مرحلة مرحلة ، تأخذ بيدهم ، تعينهم ، تكرمهم ، حتى يحبوك ، وترقى بالعليل والسقيم إلى السعادة فهذا العمل طيب مشكور .

وبعد ، فإن **الشُكر** يكون بالثناء بالثناء ، فالرب سبحانه وتعالى إذا أثنى على عبـده فقد **شكره** ، أنت تثني على الله في مجالسك والناس يحبونك يحبونك لأحاديثك هذه ويمدحونك في غيبتك ، هذا **شُكر** الله لك ، إذا أحسنت للعباد يحسن الله إليك :

هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ ﴿٦٠﴾

(سورة الرحمن)

والإمام الغزالي له كلمة ، قال : " إذا كان الذي أخذ فأثنى **شـكوراً** فالـذي أعطـى وأثنى أولى أن يكون شكوراً ".

فالذي قبض القبضة قال **شكراً** ، والذي أعطاك ، وبعد أن أعطاك وسمع ثناءك أثنى عليك ، أيهما أحق أن يكون **شكوراً** أكثر ، فالله الذي أعطى سبحانه وتعالى هـو الشـكور ، فالذي أخذ فأثنى على الله يعد **شكوراً** ، أما الذي أعطى وأثنى مرتين هذا هو **الشكور** ، مـرةً أكرمه بعطاء مادي ، ومرةً أثنى عليه عند الخلق .

لذلك : وفي البخاري: يقول الله عز وجل: "من ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم "

أنت تكلّمت بين خمسة طلاب أو ستة ، والله عز وجل جعل ذكرك بين ثلاثـة مئـة رجل، فلما ذكرت قام أحدهم وتكلّم عنك كلاماً تعطّر المجلس بذكرك ، الله **شكور**، أنت أثنيت على الله أمام خمسة أشخاص من عامة الناس ، والله عز وجل أثنى عليك أمام علية القوم ، "ما ذكرني عبدي في نفسه إلا ذكرته في نفسي ، ولا ذكرني عبدي في ملأ من خلقي إلا ذكرتـه في ملأ خير منهم " .

هذا هو **الشكور** ، إن عملت يعاملك بالإحسان فهو **شكور** ، وإن تحدثت عن الله عز وجل يعاملك بالعرفان فهو **شكور** .

الشكر يتوجه لمن ؟ إما إلى الخالق وإما إلى المخلوق ، ومن ثم ف**شـكر** الخـالق مستحيل ، أي أنك يستحيل عليه أن توفيه بشكرك له ، لماذا ؟ قالوا : لأن **شُكر** النعمة مشروط بمعرفة هذه النعمة ، وما دامت معرفة النعمة مستحيلة **فالشُكر** مستحيل ، والدليل:

وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾

(سورة النحل)

أعرف قريباً لي هو طالب طب في السنة الرابعةُ ، صحته جيدة جداً ووجهه نضر ، أصابه فقر بالدم ، غذاؤه درجة أولى ، ثم صار ينتقل من طبيب إلى طبيـب بقـي ستة شهور ، بعد ذلك قال له طبيب : لعل الطحال له مشكلة ، فأخذوا عينة منه وفحصـوه ، فماذا في الطحال ؟ الطحال هو في الأصل مقبرة لكريات الدم الحمراء الميتة ، فصـار هـذا الطحال يأخذ كرية حمراء حية يميتها حتى يضعها في المقبرة عنده ، كمقبرة بنيناها حديثاً ولا يوجد موتى تعال إلى هنا اقتلوه وادفنوه ، لأننا نُريد أن نملأها فكلها قبور فارغة هذا الطحـال عبارة عن نصف أوقية من الحم ، مهمته مستودع للدم ومقبرة للكريـات الحمـراء ، اختـل توازنه قليلاً فصار يأخذ كريات حية ويدمرها ليحللها ويبعث بها إلى الكبد والدم فتوفي قريبي . ما مرضه ؟ نشاط في الطحال زائد فقط .

وأنت عزيزي القاريء انظر إلى نعم الله عليك ، فإذا أردت أن تجـري إحصـاء : فالطحال والكلية والكظر مركز التوازن ، مركز توازن السوائل ، مراكز عديده في جسـمك ، وبإيجاز : إنك إن تعد نعمة الله عليك لا تحصيها .

ما دام يستحيل عليك أن تعرف نعمة الله كما هي إذاً يستحيل أن **تشـكر** الله حـق **الشُكر** ، لهذا ماذا قال النبي : سبحانك لا نحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك .

الشكر مستحيل ، أي توفي الله حقه من الشكر ، مستحيل هذه واحدة .

الثانية : **الشُكر** نعمة من الله ، فأنت **تشكُر** على نعمة **والشُكر** نفسه نعمة ، فأنت في نعم، يا رب كيف **أشكرك وشُكرك** لا يتم إلا بنعمة منك جديدة ، إذاً أنت مفتقر إلى أن تكـون **شاكراً** لله عز وجل .

هناك نقطة دقيقة وهامة : رؤية النعمة نعمة ، الله عز وجل يعطيك مـع اسـتغنائه عنك ، لكنك **تشـكُرهُ** مع افتقارك إليه وشتان بين هذا وذاك ، وهناك أدلة كثيـرة علـى أنـه يستحيل أن **تشكُر** الله كما ينبغي ، لكن أخذ القليل خير من ترك الكثير ، وما دام مسـتحيلاً أن

تشكُر الله كما ينبغي فلذلك قل : يا رب لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسـك، يـا رب ليس في قدرتي أن **أشكرك** كما ينبغي لكن **أشكرك** بقدر ما أعلم وبقدر ما أستطيع .

آخر ما ينبغي شد أفكار القاريء إليه بالموضوع يتلخص بالسؤال التالي والإجابـة عليه : أسدى مخلوق إليك نعمة فلمن **الشُـكر** ؟ الجواب : لله فقط . فهذا المخلوق الذي أكرمك من خلقه ، أعطاه الله عز وجل قوةً وحياةً ، والله عز وجل هو الذي سمح له أن يخدمك ، كما ألهمه أن يخدمك ، بماذا خدمك ؟ أعطاك مثلاً طعاماً ، من خلق الطعـام؟ الله عـز وجـل ، أعطاك مالاً وهذا المال قيمته بقيمة مشترياته ، من خلق النعم ؟ الله عز وجل ، أعطاك طعاماً كيف تأكل الطعام ؟ تحتاج إلى أجهزة ؟ إذاً الذي خلق والمنعم هو الله ، والذي ألهمه هو الله ، والذي مكنَه هو الله والذي خَلَقَ النعمة التي هي موضوع عطائك هو الله ، والذي مكّنَك من أن تستفيد من هذه النعمة هو الله ، إذاً **الشُكر** لله عز وجل ، ولكن هذا المخلوق مادام مخيراً ، إذاً يستحق أن **تشكُرهُ** بعد الله عز وجل ، **فالشُكر** لا تقل لله وفلان ، بل قل لله ثم لفلان .

هذه (ثم) ضرورية جداً ، الحمد لله على هذه النعمة التي أنعم الله بهـا علـي ثـم الشكر لفلان الذي جاءتني عن طريقه ، لهذا قال عليه الصلاة والسلام :

عن أبي سعيد قالَ قالَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من لم يشْكُرِ الناس لم يشْكُرِ الله *

لو فرضنا جاءك معروف من جماد ، رجل ماشٍ في طريق مر بشرفة من إسـمنت ومشى تحتها فوقع حجر من آخر البناية عليه ، هذه الشرفة تلقت الحجر ، لولا هـذه الشـرفة لهلك ، فهل يشكر الشرفة ويقول : الله يجزيك الخير لأنك في هذا المكان ، هذه شرفة جامـدة لا تعقل ، إذا جاءك خير من جماد أو من حيوان أو من مخلوق غير مكلف **فالشُكر** لله فقـط ، أما إذا جاءك خير من مخلوق مكلّف مخير ، قلت : ما دخله إن الله سخّره لي ، فهذا منتهـى الوقاحة ومنتهى الجحود، إذا جاءك الخير من إنسان مكلّف يجب أن تشكُر الله لأنـه خَلَقَـه ، وألهمه ، وسمح له ، ومكنُه ، وخَلَقَ الله النعمة التي بين يديه وجعلك تنتفع بها ، كله لله لكن ما دام مخيراً وقدم لك هذه النعمة باختياره إذاً نزجي له **الشُكر** ثانياً بعد الله عز وجل .

وبعد ، وقفه أخيره بالموضوع وهي لطيفة ؛ موازنة بين نعمة أسداها الله إليـك ونعمة أسداها زيد إليك ، قالوا : أولاً إن إنعام الأمير مكدر من وجوه أحدها أنك ربما احتجت إلى شيء ولا يعطيك إياه لأنه محتاج إليه ، مرة كنت في الحج احتجتُ إلـى ليتـر مـاء ، فسألت حاجاً قال : والله يلزمني الماء ، **شكراً** فمعه حق لأن الماء يلزمه . فأنت قد تطلب من إنسان شيئاً هو بحاجة إليه ، وإن كنت بالمطار مثلاً وأردت أن تكتب ببطاقة وليس معك قلم ، فتقول لواحد : إذا سمحت أريد قلمك ، يقول لك : أحتاجه والله ، فأنت إذا طلبت من إنسـان حاجة قد يكون هو محتاج إليها فلا يعطيك إياها ، أما إذا سألت الله عز وجل ، فإنه يلبيك ولا يمنعك ، وهذا أول فرق .

الأهم من ذلك أنه يمكن لفلان أن يعطيك ، ولكن فلاناً ليس حاضـراً الآن ، فأنـت مسافر وهو بالشام وعطاؤه مستحيل لبعد المسافة بينكما أما الله فهو معك دائماً ، هذه النقطـة الثانية ، النقطة الأولى قد يكون الشخص قادراً على العطاء لكن الشيء محتاج إليـه قبلـك ، النقطة الثانية أنك قد لا تستطيع أن تصل إلى هذا المنعم لسبب ما .

النقطة الثالثة ؛ أنك إذا قصرتَ مع إنسان فإنه يقطع عنك فوراً، لكن الله تعالى قال : عبدي لي عليك فريضة ولك علي رزق فإذا خالفتني في فريضتي لم أخالفك في رزقك "

والأمير إذا أعطى يقول لك : اللحم الذي على أكتافك من خيري ، معلم عنده أجير ، يمن عليه ، وإذا أعاره بذلة ، فإنه يمن عليه بها أمام الناس ، ويفَضحه أمام النـاس ، كـأن يقول له: حافظ عليها ولا تفسدها .

فأول نقطة أن الأمير قد لا يعطي لأنه بحاجة لهذا الشيء ، وقد لا تستطيع أن تصل إليه، وإذا قصرتَ في خدمته حرمك هذا العطاء وقد يمن عليك .

وفي ختام معالجتنا للموضوع أقول : **الشكور** الذي إذا نَـول أجـزل ، وإذا أطيـع بالقليل قبل وهو الذي يقبل القليل ويعطي الجزيل ، وهو الذي يقبل اليسـير مـن الطاعـات ويعطي الكثير من الدرجات ، وقيل حقيقة **الشُكر** الغَيبة عن شهود النعمة بشهود المنعم .

الدول البعيدة العلمانية ماذا ترى بعينيها ؟ النعمة فقط ، وكل شيء ثمين عندها ولـه ثمن بينما المؤمن ماذا يرى ؟ المنعم ، وملخّص الدرس كله ، أنك إذا اسـتطعت أن تتجـاوز النعمة إلى المنعم فأنت **شكور**.

يسمع أحدنا النشرة الجوية أن هناك منخفضاً ، وأمطاراً ، وثلاثون ميلمتر مليمتـر من الأمطار نزل ، فهو في النشرة مع النعمة وفي النعمة ، أما المؤمن يا رب لـك الحمـد ، سمعتأنهم صلوا في دمشق صلاة **الشُكر** على هذه الأمطار ، إذ وصل المعـدل اثنـى عشـر ميلمتراً ، في مطار دمشق والمزة ، و ميلمتر واحد من قبل صارت ثلاثة عشـر ميلمتـراً . الحمد لله فهذا الشُكر ونحن بأمس الحاجة لهذا الوعظ لاقتناص العبرة .

والحمد لله **رب العالمين**

* * *

الدرس ٢٣ - اسم الله : "الكريم"

بسم اللهِ الرحمنِ الرحيمِ

مع الاسم الثالث والعشرين من أسماء الله الحسنى ، والاسم هو اسم الكريم ، وهـذا الاسم أيها القاريء الكريم له دلالات كبيرة ، وجدير بالإنسان أن يتخلّق بهذا الاسم لأنه مـن الأسماء التي يمكن لكل امريء أن يتخلّق بها فيرقى بها إلى الله سبحانه ، وأسـماء الله كمـا تعلمون ، منها أسماء خاصة بالله عز وجل كالخالق ، القديم ، وهناك أسماء أُمرنا أن نتخلـق بها ، واسم الكريم واحد منها .

اسم الكريم ؛ ثابت بنص القرآن الكريم ، وسوف يتضح بعد قليل ما معنـى اسـم " القرآن الكريم " ، وهو ثابت في قوله تعالى :

﴿ ٥ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَـٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ٦ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ٧ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ٨ ﴾

(سورة الانفطار)

وهذه الآية تخاطب القلب والعقل معاً ، وقد ورد هذا الاسم بصيغة اسم التفضيل في آية أخرى بقوله تعالى :

﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ١ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ٥ ﴾

(سورة العلق)

فالكريم في قوله تعالى " ياأيها الانسان ما غرك بربك الكريم "

والأكرم في قوله تعالى : " اقرأ وربك الأكرم(٣)الذي علم بالقلم(٤)علم الانسان مـا لم يعلم(٥) " .

قبل أن نصل إلى ما تعنيه كلمة كريم في حق الله جل وعلا نريد أن نبدأ الحديث بما تعنيه كلمة كريم في التعامل اليومي ، فكلمة كريم نستخدمها كثيراً ، فقال العلماء : " كل صفة محمودة تسمى كرماً على خلاف ما يظنه معظم الناس " ، من أن فلاناً كريم يعني أنه يعطي ، وعطاؤه كثير .

فكلمة كريم شاملة واسعة : فالحلم كرم ، السخاء كرم ، اللطف كرم ، الصبر كرم ، المروءة كرم .. فالكرم يعني أية صفة حميدة يتصف بها الإنسان ، بل إن الصـفات الحميـدة كلها تلخص بكلمة واحدة هي الكرم، بينما الصفات الخسيسة كلها تلخص بكلمة واحـدة هـي اللؤم .

وعلى النقيض الذل وهو : أن يقف الكريم بباب اللئيم ، فالخسيس لئيم والمتكبر لئيم ، والجحود لئيم ، والذي يحب ذاته على حساب الآخرين لئيم ، والبخيل لئيم ، كـل الصـفات الخسيسة تجمعها كلمة لئيم ، وكل الصفات المحمودة تجمعها كلمة كريم ، فالنـاس رجـلان ؛ كريم ولئيم .

إذا أنت أكرمت الكريم ملكته وإن أنت أكرمت اللئيم تمردا

أعلمه الرماية كل يـ ـوم فلما اشتد ساعده رمانـ ـي
وكم علمته نظم القوافي فلما قال قافية هجانـ ـ ـ ـي

والواقع يثبت أن : الناس رجلان بر كريم ، وفاجر لئيم ، هكذا قال عليـه الصـلاة والسلام ..

فليس معنى كريم الذي يعطي العطاء الكثير فقط ، بل إن الحليم كريم ، اللطيف كريم ، الرحيم كريم ، الصافي كريم ، الودود كريم ، المنصف كريم ، ومنه حجر كريم : اللؤلـؤ ، الألماس ، الياقوت ، المرجان .

محمد بشر وليس كالبشر بل هو ياقوتة والناس كالحجر

فالياقوت حجر لكنه كريم ، والماس حجر لكنه كريم .

ومن معاني الكريم من كان كريم النسب ، من هو الكريم بن الكريم ابن الكريم بـن الكريم ؟ إنه سيدنا يوسف ، قال عليه الصلاة والسلام :
" يوسف أكرم الناس " .

أو نقول : فلان كريم الطرفين ، يعني أمه كريمة وأبوه كريم ، فقد حاز الشرف من طرفيه ، من طرف أمه وأبيه .

من معاني الكريم من كان ذا صورة حسنة ، والدليل قول الله عز وجل حينما وصف سيدنا يوسف ، قال الله عز وجل :

فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾

(سورة يوسف)

فالكرم يستعمل بمعنى النسب الشريف ، ولا يتحدث عن شرف النسب إلا بعد معرفة الله وتطبيق منهجه ، فإذا تحدثنا عن النسب فقط ؛ فقد يعني نسب الدنيا المتعارف عليه عند الناس ، فأبو لهب بن عبد المطلب جد النبي صلى الله عليه وسلم ؛ والقارىء الكريم يعرف من أبو لهب :

تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ﴿٢﴾

(سورة المسد)

أنا جد كل تقي ولو كان عبداً حبشياً .

لا نتحدث عن النسب إلا بعد الإيمان ، إذا أضيف النسب إلى الإيمان فهو نور على نور، أما قول الشاعر :

جمال الوجه مع قبح النفوس كقنديل على قبر المجوسي

فإنما يعزز المعنى من أن المرء الجميل الخلقة ، لابد له من خلق ودين يجمله كذلك ، فتتم الصورة حسنةً صافية .

أما المقام الكريم ؛ فهو الجنة ، فلا تعب هناك ولا نصب ولا خوف ولا حزن ولا حسد ولا تباغض ، ولا شيء يزعج ، ومن كان ذا مقام كريم في الجنة فقد فاز حقاً .

ومن معاني الكريم ؛ الشيء العزيز ، الذي تشتد الحاجة اليه يحتاجه كل شيء في كل شيء ، ويقلُ وجوده ولا يستغنى عنه إطلاقاً ، والدليل قوله تعالى :

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾

(سورة الحجرات)

والكريم الشيء الذي تكثر منافعه ، قال تعالى :

قَالَتْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَـٰبٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾

(سورة النمل)

كتاب كريم ؛ كله منافع ، كله فوائد ، كله حقائق ، كله توجيهات صائبة ، كله خيرات ، كله بركات ، اذاً معنى القرآن الكريم صار واضحاً : لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، القرآن الكريم ليس فيه باطل ولا غلط ، ليس فيه خلل ولا تناقض ، وليس فيه مخالفة للواقع ، ولا ضعف في أسلوبه ، ولا غثاثة ، ليس فيه معالجة سريعة ، ولا معالجة متناقضة ، قرآن كريم، خلا من كل شائبة ، يعني المعنى الذي يجمع كل هذه المعاني ، الكرم ، يعني الكمال ، قرآن كريم أي : خلا من كل عيب .

كذلك ، نقول ناقة كريمة ، أي غزيرة اللبن ، درها كثير ، والنبي عليه الصلاة والسلام حينما أرسل سيدنا معاذاً الى اليمن ، قال له:

عن ابن عباسٍ رضي الله عنْهما قَالَ : قَالَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لِمعاذ ابن جبلٍ حين بعثَه إلَى الْيمن : إنك ستأْتي قَوما أَهلَ كتَابٍ فإذَا جِئْتَهم فَادعهم إلَى أَن يشْهدوا أَن لا إلَه إلا الله وأَن محمدا رسولُ الله فإن هم أَطَاعوا لَك بِذَلك فَأَخْبِرهم أَن الله قَد فَرض علَيهم خَمس صلَوات في كُل يومٍ ولَيلَة فإن هم أَطَاعوا لَك بِذَلك فَأَخْبِرهم أَن الله قَد فَرض علَيهم صدقَةً تُؤْخَذُ من أَغْنيائِهم فَتُرد علَى فُقَرائِهم فإن هم أَطَاعوا لَك بِذَلك فإياك وكَرائِم أَموالِهم واتق دعوةَ الْمظْلُومِ فإنه لَيس بينَه وبين الله حجاب *

(أخرجه البخاري أول الزكاة ، ومسلم في الإيمان ، وأبو داود باب في زكاة السائمة ، والنسائي ، وابن ماجة، وأحمد في المسند)

كرائم أموالهم ؛ يعني إن كان عنده بقرة يحرص عليها حرصاً شديداً فدعها له وخذ بقرة أخرى يختارها لك هو ، لا كما يفعل بعض الناس ، يأخذ ما يعجبه وهذا يتعارض مع السنة الشريفة ، فالسنة كما قال له : " إياك وكرائم أموالهم " .

وسمي العنب كرماً لأنها فاكهة كثيرة الخير ، ظل ظليل ، وثمار يانعة وقطوف دانية ، وغذاء جيد وفاكهة محببة .

أحياناً ينصب الناس خياماً على مداخل البيوت هذه الخيام من حين لآخر تتمـزق ، تعصف بها الرياح ، تتلفها الأمطار ، ولكن أناساً يزرعون الكرم على مداخل البيوت ، فهـذا الكرم ظل ظليل وفاكهة دانية ويانعة ومفيدة وإلى ما شاكل ذلك .

وإذا قلنا مكارم الأخلاق ، يعني أفضلها وأحسنها وأرفعها وأسـماها .. فهنـاك إذاً مكارم الأخلاق ، والكرم وهو العنب ، وهناك ناقة كريمة كثيرة الدر ، وهناك الكتاب الكريم ، كثير الفوائد ، وهناك الأحجار الكريمة الصافية من كل شائبة ، وهناك العزيز ، الشيء النادر، وهناك مقام كريم ، وهناك الجمال الصوري :

فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَئًا وَءَاتَتْ كُلَّ وَٰحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ ٱخْرُجْ عَلَيْهِنَّ ۖ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾

(سورة يوسف)

فإذا قلت : قرآن كريم يعني كتاب الله ، فالله سبحانه وتعالى كماله مطلق وكلامه في كماله مطلق ، فضل كلام الله على كلام خلقه كفضل الله على خلقه . وقال بعض الشعراء :

وحمل الزاد أقبح كل شيء اذا كان القدوم على الكريم

الآن اذا وصفنا الله سبحانه وتعالى ، كما وصف هو نفسه ، بأنه كريم :

يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ﴿٦﴾

[سورة الانفطار]

كلمة ما غرك ، ما الغرور ؟ .. الغرور أن ترى علبة مثلاً في الأرض فتظنها شيئاً ثميناً ، تنكب عليها وتلتقطها ، فإذا هي علبة فارغة ، ظننت فيها قطعة ألماس أو ظننت فيهـا قطعة ذهب ، أو ساعة ثمينة فانكببت عليها ، فإذا هي علبة فارغـة ، هـذه الحادثـة اسـمها الغرور، أنت اغتررت بها ، هذا المعنى هل يمكن أن ينسحب على هذه الآية ، لا..

" يأأيها الانسان ما غرك بربك الكريم ". المعنى الذي يليق بهذه الآية هـو أنـك إذا ظننت أن هذا القاضي مثلاً يقبض الرشوة ، فإذا أعطيته مالاً حكم لك وأنـت ظـالم ، فأنـت اغتررت بنزاهة هذا القاضي ، فإذا قلنا " يأأيها الانسان ما غرك بربك الكريم " ، يعني ظننت به غير الحق ، وظننته غير عادل ، وظننته غير رحيم ، وظننته غير قدير ، إذاً نفيـت عنـه القدرة والرحمة والعدل والإنصاف ، بل هو لا ينسى عباده المؤمنين ، وكما أنه لن يضع الذين أفنوا حياتهم في طاعته في النار ، وكذلك لن يكافئ الذين ناصبوه العداء بالجنة ، إذا ظننـت بالله غير الحق ظن الجاهلية ، فقد اغتررت بربك الكريم ، لأن الله كريم فكيف تغتر به؟

التعريف الدقيق لاسم الكريم ، هو الواجب الوجود المنزه عن كل عدم وعـن كـل نقص ، العزيز الذي لا إله غيره .

هذا الكلام يلخّص بصفات ثلاث ، وجوده ووحدانيته وكماله ، فـالله كـريم يعنـي موجود وواحد وكامل .

ومن ثم لابد من شرح هذه التعاريف الدقيقة لهذا الاسم العظيم:

الكريم ؛ هو الذي يبتدئ بالنعمة من غير استحقاق ، تفضل علينا وأوجـدنا دون أن يكون لنا حق في أن نوجد ، ليس لنا حق عنده بل تفضل علينا وأوجدنا ، فنعمة الإيجاد ابتدأها الله دون استحقاق منا ، أنت كإنسان عندك موظف ، وأخلص اخلاصاً شديداً ، وقدم جهداً طيباً ربما تكافئه، فهذه المكافأة ، جاءت منك ليس ابتداء ولكن عقب احسانه وإخلاصـه ، مقابـل شيء فعله ، أما الكريم الحقيقي، الكريم المطلق هو الذي يبتـدئ بالنعمـة دون اسـتحقاق ، أوجدنا من دون اختيار ، ومن دون طلب .

ويتبرع بالإحسان من غير سؤال ، فإذا قلت يا كريم العفو .. ما هو العفو الكـريم ؟ .. قد يعفو عنك شخص ، من حين لآخر يقول لك لا تنس أنك فعلت كذا ، ثم بعد حين يذكرك : أنت فعلت كذا ؟ فتقول : نعم .. جزاك الله خيراً عفوت عني ، من حـين لآخـر يـذكرك بمساءتك ، لكنك إذا قلت يا رب ، يا كريم العفو ، عفو الله عز وجل لـيس معنـاه أن يلغـي العقاب فحسب وليس معناه أن ينسي الناس ذنبك أيضاً ، ولكن عفو الله معناه ، أن ينسيك ذنبك ، معنى دقيق جداً ، يعني أنت صاحب الذنب، ومن كمال عفوه عنك أنه ينسيك ذنبـك . " اذا تاب العبد توبةً نصوحاً أنسى الله حافظيه وملائكته ، وبقاع الأرض كلها خطايـاه وذنوبـه، وأنساه هو نفسه ما فعل " .

المؤمن ـ من كرم الله عز وجل ـ له جاهلية ، و قد ينسى أن له جاهلية ، فيعـيش في جو لطيف ، والله عز وجل يكرمه ، هذا معنى كريم العفو .

ومن معاني الكريم أنه يستر الذنوب ويخفي العيوب ، إنسان قد يلقى من إنسان آلاف الأعمال الطيبة ، فإذا عثر ذات مرة على نقص لديه ، تشبث به وأظهره وأذاعه بين النـاس ،

لذلك قال عليه الصلاة والسلام : " اللهم إني أعوذ بك من جار سوء ، إن رأى خيراً كتمـه ، وإن رأى شراً أذاعه اللهم إني أعوذ بك من إمام سوء ، إن أحسنت لم يقبل ، وإن أسـأت لـم يغفر " .

لكن الكريم يغفر الذنوب ويستر العيوب ، حتى قال بعض العارفين ، والله لو عرفوا قبيح طويتي لأبى السلام علي من يلقاني ولأعرضوا عني وملوا صحبتي .

فربنا عز وجل يظهر من عبده الكرم الجميل ويستر القبيح ، فإذا قلت يـا سـتار ، ستار العيوب ، يجب أن يقشعر جلدك ، لأن الله سبحانه وتعالى إذا ستر .. ستر حقـاً ، أمـا الإنسان فلابد من أن يذكر هذا العيب بأن يهمسه بأذن إنسان آخر يقول : انتبه هذا الرجل فيه من العيوب كذا وكذا .. فهو بذلك ما ستره بل شهر به ، لكن جميل الستر هـو الله سـبحانه وتعالى .

ومن المعني الجميلة أن الكريم متغافل ، يتغافل ، الكريم لا يغفل ولكنه يتغافـل ، قال تعالى :

وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَـٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَـٰرُ ﴿٤٢﴾

(سورة إبراهيم)

سمعت عن رجل كان مفتياً في هذه البلدة الطيبة ، قبل أربعين أو خمسـين سـنة ، وكان قاضياً ، وجاءته امرأة فأثناء صعودها درج السلم صدر منها صوت كريه فخجلت خجلاً لا حدود له ، فلما اقتربت منه ، قال ما اسمك يا أختي ، قالت له : فلانة ، قال : لم أسـمع ، قالت له : فلانة ، قال: لم أسمع ارفعي صوتك ، فأنا سمعي ضعيف ، فقالت هذه المرأة لأختها لم يسمعنا ..

الكريم يتغافل ، واللئيم يدقق بالعيوب ، يتبع العيوب .

النبي الكريم كان مع أصحابه في دعوة وليمة وتناولوا طعام الجزور ثـم توضـؤوا وصلوا الظهر جميعاً ، يبدو أن أحد أصحاب رسول الله انتقض وضـوؤه مـن دون قصـد ، وعرف بعضهم ذلك ، فلما أذّن العصر قال عليه الصلاة والسلام : " كل من أكل لحم جـزور فليتوضأ ، قالوا : كلنا أكلنا يا رسول الله ، قال : اذاً كلكم فتوضؤا " . لأنه كريم ، تغافل عنه فاللئيم يتبع العور ، يحمر الوجوه ، يحرج ، يفضح فضاح ، طعان ، ليس المؤمن بطعان ولا لعان ولا فاحش ولا بذيء .

الكريم يتغافل واللئيم يتبع ويتحرى ، والكريم ؛ إذا استغفره عبـاده غَفَـر لهـم ولا يذكّرهم بأنواع معاصيهم وقبائحهم وفضائحهم .

مرةً وقفت بمنطقة مشرفة على دمشق ، بيوت كثيرة ، متقاربة، متراصة ، وبعضها يضرب في علاء تعد الشام خمسة ملايين نسمة ، تلوت قوله تعالى :

وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿١٧﴾

(سورة الإسراء)

هذه البيوت لا يعلم ما فيها من طاعات أو من معاصٍ إلا الله ومـع ذلـك يـرزقهم ويعافيهم: " عبدي لي عليك فريضة ولك علي رزق ، فإذا خالفتني في فريضتي لم أخالفك في رزقك " . والكريم إذا أتاه عباده بالطاعات اليسيرة قابلهم بالثواب الجزيل .

إنسان يطعم لقمة ، هذه اللقمة تصبح يوم القيامة كجبل أحد ، لا أعتقد في الـدنيا أن أحد يقدم ليرة ويأخذ بدلاً منها خمسة آلاف مليون ليرة ، بالآخرة تأخذ أكثر ، أعطيـت شـيئاً يسيراً ، قمت ببعض الطاعات أنفقت بعض مالك ، ضبطت شهواتك ، التزمت طريق الحق ، فأعطاك الجنة وما فيها قال تعالى :

۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾

(سورة آل عمران)

الله الكريم جعل هذا العبد الحقير ، هذا العبد الضعيف ، هذا العبد الذليل يرتفـع ، أجل ، رفعه فقال :

وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ﴿٤٠﴾

(سورة البقرة)

فهل لنا عهد ؟ كأننا ند إلى ند ، ولكن هذا من كرم الله عـز وجـل إذا خاطبنـا ، وحينما خاطبنا علّلَ أوامره ، وتعليل الأوامر إكرام لنا قال تعالى :

ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾

(سورة العنكبوت)

الإنسان القوي يعطي أمراً لإنسان ضعيف دون تعليل افعل كذا فقط ، ولكن الله عز وجل حينما أمرنا ذكر لنا التعليل كرماً منه وتطميناً لنا ، قال تعالى :

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾

(سورة البقرة)

خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾

(سورة التوبة)

فلذلك جعلنا أهلاً لمعاهدته فقال : " وَأوفُوا بِعهدي أُوف بِعهدكُم وإياي فَارهبوني " .

الله كريم ، والكريم جعلنا أهلاً لمحبته ، قال تعالى :

يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ

(سورة المائدة من الآية ٥٤)

إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾

(سورة مريم)

الله الكريم أعطانا الدنيا كلها ، والدليل قوله تعالى :

هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَـٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾

(سورة البقرة)

أما الهواء ، فهل الهواء في قائمة النعم عندكم ؟ أجل ، نعمة بلا ثمن فأنت تستنشق الهواء في أي مكان ، وكذلك الماء ، هذا الذي تدفعه ثمن الطعام ، هذا شيء رمـزي ، مـن منكم يصدق أنه يدفع ثمن التفاح ، هذا ثمن خدمة التفاح ، فالتفاح ليس له ثمن ، فهذا الفـلاح الذي اعتنى بهذا البستان وسقاه وسمده وقطف الفواكه وجاء بها إلى السوق ، فأجرته ثمن كيلو التفاح ، أما التفاح فلا يقدر بثمن إذ هو من الله عز وجل .

والآخرة أيضاً ملكها لعباده المؤمنين وسخّر الله سبحانه وتعالى ما فـي السـماوات والأرض جميعاً منه ، تسخير تكريم وتسخير تعريف .

الكريم هو الذي يعطي من غير منّة ، من الصعب أن ترى انساناً يعطيك بلا منّـة ، بل يقول لك " لحمك من خيري ، أنا فضلت عليك ، أنا أنقذتك من العدم ، أنت كنت لا شيء " . لكن العطاء من الله سبحانه وتعالى من غير منّة .

ولا يحوجك إلى وسيلة ، أحياناً لا تعطي الشخص حتى تستنفذ طاقاته : قدم طلـب أولاً ، هات هويتك ، اذهب واحضر بعد أسبوع ، تعال بعد يومين ، سنجري تحقيق ، يكـره العطاء لشدة التحقيقات وكثرة التأجيلات والتأخيرات والتعقيدات والوثـائق ، أمـا الكـريم لا يحوجك إلى وسيلة . والكريم لا يقنط العصاة من توبة ، قال تعالى :

۞ قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾

(سورة الزمر)

الكريم ؛ إذا أعطى أجزل ، واذا عصي أجمل .. حليم .

الكريم ؛ هو الذي لا تتخطاه الآمال .. أحياناً يأتيك انسان ويعرض عليك حاجتـه ، ويتذلل ، ويبذل ماء وجهه ، فترده بعدها ، فيمحوك من قائمته ، ويلغيك من مخيلتـه ، لأنـك خيبت أمله ، لكنك لا تجد إنساناً يسأل الله عز وجل ويخيبه فهذا مستحيل ، لا تتخطاه الآمال.. إذا أولى فضلاً أجزله ثم ستره ، يعني الإنسان الكريم إذا أعارك بذلته ، فقد يقول لـك أمـام

الناس : ارتديها لا شيء عليك ، يفضحك أمام الناس . كثيراً ما تلاحظ مثل ذلك على شخص أعطى حاجة إلى إنسان آخر ، أو أعاره إياها ، فيمن بها أو يعرض بآخذها .

والكريم دائم المعروف كثير النوال ، ذو الطول والإنعام يداه مبسوطتان ينفق كيـف يشاء، هذه كلها أوصاف قرآنية .

وإن الله حيي كريم ، ومن حيائه وكرمه أنه يستحيي من عبـده إذا رفـع يديـه أن يردهما خائبتين .

يا ابن" آدم كبرت سنك وانحنى ظهرك ، وضعفَ بصرك ، وشاب شـعرك فاسـتح مني فأنا أستحي منك .

وفي الحديث القدسي : " ما أنصفني عبدي ، أسـتحي أن أعذبـه ولا يسـتحي أن يعصيني".

" وما قال عبد قط يا رب ثلاثاً الا قال الله لبيك يا عبدي " .

بل إن الكريم يغضب على من لا يسأله ، قال عليه الصلاة والسلام : " إن الله عـز اسمه كريم يحب مكارم الأخلاق ويبغض سفاسفها " .

سفاسف الأمور يعني أن يرى شخصاً سخيفاً ، والموضوع المعالج سخيف جداً وهو بخيل زيادة ، وأناني ، ومحور حياته مصالحه، هذه سفاسف الأمور ، أما اذا اطلّع على قلبـك فرآه قلباً يهتم لعامة المسلمين وقضاء حاجاتهم فهذا من مكارم الأخلاق ، فالله عـز وجـل لا ينظر الى صوركم ، فهذا طويل وذاك قصير ، هذا عيونه كبيرة ، وذاك عيونه صغيرة ، هذا ناتئ الوجنتين، والآخر غائر العينين ، هذا حواجبه متصلة وغيره منفصلة ، خده أسيل .

عن أَبِي هريرةَ قَالَ قَالَ رسولُ الله صلى الله عليْه وسلم ان اللـه لا ينْظُـر الَـى صـوركُم وأَموالِكُم ولكن ينْظُر الى قُلُوبِكُم وأَعمالِكُم *

(صحيح مسلم)

والقلب محل نظر الرب .

قالوا : الكريم الذي لا يبالي كم أعطى ولا لمن أعطى ، بل إن الكريم من إذا رفعت حاجة إلى غيره لا يرضى .

أحياناً يقصد شخصاً إنساناً كريماً فيقول له : إياك أن تسأل أحداً غيري ، حاجتك عند يمضمونة ، فهذه أعلى درجة في الكرم ، أنا أغضب لو سألت غيري .

تصور إنساناً محتاجاً والأمر كله بيد الله عز وجل ، يقف أمام انسان ضعيف حقير ، لئيم يتذلل له ، يبذل ماء وجهه أمامه ، ثم يرده ، ولكن الله سبحانه وتعالى أكرم الأكـرمين ، فلذلك الكريم من إذا رفعت حاجة إلى غيره لا يرضى .

الكريم من إذا جفي عاتب وما استقصى ، وعدك أحدهم أن يـزورك ، لـم يـأت ، عاتبته ، قال لك ابنتي كانت مريضة ، ثم اتصلت بجاره فقال : صحيح كانت ابنته مريضـة ، هذا اسمه استقصاء ، هو استحيا منك فقدم عذراً ، من الكـرم ألا تستقصـي الأمـر ، بـل الاستقصاء في هذه المواقف مثلبة .

إنسان اعتذر منك فقل في نفسك : جاءني أخي متنصلاً من ذنبه ، فاقبل منه محقاً كان أو مبطلاً ، هناك أشخاص ، عندهم نفس طويل ، فكلما اعتذر إنسان إليهم يتبعون الأمر ويلاحقونه ؛ يقولون : ظَهر كذاباً ، ابنته غير مريضة ، هو نسي الموعد واستحيا منك فاعتذر بمرض ابنته ، فالكريم ؛ من اذا جفي عاتب ولم يستقص .

حديث أسره النبي إلى بعض أزواجه ، فلما نبأت به وأظهره الله عليه عرف بعضه وأعرض عن بعض ، لن تكون كريماً إلا إذا غضضت البصر عن تسعة أشياء وحاسبت على العاشر ، كثرة العتاب تورث البغضاء ، فالكريم عرف بعضه وأعرض عن بعض .

الكريم ؛ لا يضيع من لاذ به ، ولا يضيع من التجأ إليه ، هذه تعاريف دقيقة جـداً ، الملخص يجب أن تعتمد على الله وحده ، وأن تلتجئ إليه ، وأن تُعلّق عليه كل الآمـال ، وأن تقطع آمالك من البشر جميعاً ، إذا كنت ترغب في أن تسعد في الدنيا والآخرة ، فحيثما تعلقت بالبشر ، واعتمدت عليهم وعقدت عليهم الآمال خيبوك .

رجل له صديق تولى منصباً رفيعاً ، عرضت له حاجة ، فذهب إليه ، فأقسم بالله أنه وقف أمام مكتبه ، ولم يقل له تفضل استرح، وعندما سأله عما يريد قال : كذا ، قال : " ما في موافقة " ، صديق ، فهل أصابه مرض قصر البصر ، فلم يعد يرى ؟ لكن الكريم يغنيك عـن الوسائل والشفعاء ، واعلم أن المعروف بتمامه ، أن تكرم انساناً عفواً وسماحة ، دون أن تمن عليه ، دون أن تضعه أمام عقبات تعجيزية . الكريم من إذا هجرته وصلك .

أحياناً تجد إنساناً بائساً مهتزاً فقيراً مثلاً ، أموره مضطربة ، متداخلة ، فتنفر نفسـه من الدين ، تراه يترك الصلاة ، لكن الله عز وجل لا يدعه ، فقد يكرمه رغبة في جبر خاطره ، فيحل مشكلته ، ويريه مناماً طيباً ، فالعبد هجر لكن الله عز وجل وصل .

الكريم من إذا هجرته وصلك ، إذا مرضت عادك ، إذا وافيت من سفر زارك ، إذا افتقرت أحسن إليك ، فمن أدقّ معاني الكرم ، أن الكريم من بني البشر إذا رفعت إليه حاجـة عاتب نفسه ، لِم لم يبادر إلى قضائها قبل أن تسأله هذه الحاجة ؟ هذا واللهِ معنى دقيق .

أحياناً يكون لك أخ وافتقر ، وكانت حالتك المادية جيدة ، وهـذا الأخ لـه كرامتـه ومكانته وعزتَه ولكنه افتقر ، يجوز أن ينسحق سحقاً ولا يسألك ، لكن ربما سألك ، فاعلم علم اليقين عندئذ أنك لما أحوجته إلى أن يسألك فقد أسأت إليه دققوا في هـذا الكـلام ، إذا كنـت

كريماً فعلاً فعليك أن تتقصى شؤون إخوانك وأقربائـك ، وأخواتـك ولا تُحـوجهم إلـى أن يسألوك، فالكريم فمن إذا رفعت إليه حاجةٌ عاتب نفسه لِم لم يبادر إلى قضائها قبل أن يسأل .

وبعد ، فما حظ العبد من هذا الاسم ؟ قال العلماء : قد يتصف العبد بأنه كريم ، هذا العبد الكريم إن ألح عليه أحد بطلب ، أو زره وبقي في زيارته ثلاث سـاعات مـثلاً ، فإنـه يتأفف ويتضايق ، ويسكت ، ثم لا يلبث أن يقول للزائر : عندي موعد ، فإذا ألح عليه بالطلب مرات عديدة يضجر ، وقد ينهره ، وقد يقسو عليه ، إذ لا يمكن أن يكون الانسان كريماً كرماً مطلقاً ، فكرم الإنسان كرم نسبي ، ألا هكذا فلتعلم ، لكن الكريم كرماً مطلقاً هو الله وحده ، إن الله يحب الملحين في الدعاء أحضر لي إنساناً واحداً يحب من يلح عليه .. بل سيقول : يا أخي أضجرتني ، سأخرج من جلدي منك ، يا أخي اذهب عني .

هذا الإنسان الكريم ، أما الله عز وجل " إن الله يحب الملحين في الـدعاء " مـن لا يدعني أغضب عليه ، الإنسان كي يكون كريماً يجب أن يتجاوز عن ذنوب المسيئين ، ويجب أن يوصل النفع إلى جميع الخلق، أحياناً ترى بلداً متقدماً والمواطن في هذا البلد يحيى أرقـى حياة ، له حقوق كثيرة جداً ، الطعام ، الشراب ، المسكن ، أنواع الأطعمة ، الحريات ، لكـن هذا البلد المتقدم الذي يوفر لمواطنيه حياة رفيعة المستوى، ينهش بلحوم بقيـة الشـعوب ، إذاً هؤلاء ليسوا كرماء هؤلاء أنانيون ، إذ بنوا أمجادهم وحضارتهم ورفاه شعبهم وغنى أبنـائهم وتوافر الحاجات عندهم على نهب ثروات الآخرين ، وعلى قهر الآخـرين ، وعلـى سـرقة ثرواتهم ، هؤلاء ليسوا كرماء ، لن تكون كريماً إلا إذا عم نفعك كل الناس وكل الخلق حتـى الحيوانات .

عندهم في المداجن ؛ إذا كان إنتاج الصيصان أكثر مما هم بحاجة إليه يضعونه في حراق ويتلفونه ، هكذا في أوروبا ، نعم ، هكذا التعليمات .

هل يفعل هذا مسلم ؟ صوص يسبح الله عز وجل تحرقه ، ماذا عمل ؟ اجعله ينمـو واذبحه وكله ، واستفد منه ولك أجر بهذا العمل، أما أن تحرقه بنار الدنيا فهذا اللؤم كله .

لن تكون كريماً إلا إذا عم خيرك الناس جميعاً وأنا أقول لكم والله إذا أسـأت إلـى مجوسي، أو إلى عابد صنم أو إلى ملحد ، والله هذه الإساءة إثمها أضـعاف مضـاعفة عـن إساءتك لمسلم ، لأن هذا عرف الدين من خلال إساءتك أنه عدوان ، فأبعدته عن الدين بهـذه الإساءة .

الكريم من بني البشر صفوح عن الذنوب ستّار للعيوب تارك للانتقام مسبغ للإنعام .

سمعت حادثة أن انساناً كان على وشك أن يلقي كيس القمامة في الحاوية فرأى كيساً فيه حركة ، دهش ، أخذ الكيس المتحرك ففتحه فإذا فيه طفل قد ولد حديثاً ، يبدو أنه ألقي منذ نصف ساعة ، أخذه إلى البيت ، ثم أسرع به الى المستشفى ، ووضعه في الحاضنة ، واعتنى

به، إلى أن أصبح هذا الجنين طفلاً ، أدخله المدرسة ، حتى أنهى الابتدائية ، ثم الإعدادي ثـم الثانوي ، سمعت أنه اعتنى به عناية كبيرة ، والخبر إنتهى إلى هكذا ، فلو أن هـذا الإنسـان تابع العناية ، حتى خرجه طبيباً مثلاً ، وطلب اختصاصاً فأرسله إلى بلد متقدم وجاءه ببورد ، ثم اشترى له عيادة ، زوجه ابنته ، أعطاه رأس مال ، هذا الانسان الذي لقي كل هذا الإنعام ، ما موقفك ممن أنعم عليه؟

هذه الحادثة ذكرتني بموقف الصحابي الجليل عبد الله بن رواحه ، لما رأى صاحبيه قد استشهدا وهو على وشك موت سريع جداً قال :

يانفس إلا تقتلي تموتـ ـ ـي هـ ـ ـذا حمام الموت قد صليت

إن تفعلي فعلهما فقد رضيت وإن توليت فقد شقيـ ـ ـت

أروي الحادثة إن صحت كما قال النبي عليه الصلاة والسلام : " أخذ الراية أخـوكم جعفر فقاتل بها حتى قتل ، وإني لأرى مقامه في الجنة ، ثم أخذ الراية أخوكم زيد فقاتل بهـا حتى قتل وإني لأرى مقامه في الجنة ، ثم سكت النبي ، فقالوا ما فعل عبد الله قال: ثم أخذها عبد الله وقاتل بها حتى قتل ، وإني لأرى في مقامه ازوراراً عن صـاحبيه ، يعنـي هبطـت مكانته درجة في الجنة لأنه تردد ..

وعودة إلى هذا الجنين الذي كان في الحاوية ، إذ بعد ما أصبح طبيباً معه بورد كمـا يتراءى لنا وبينما وهو راكب سيارة ، شاهد عمه الذي التقطه من الحاوية ، قال له : يا بنـي أوصلني الى البيت ، تردد خمس ثوان ، ثم قال له إلى البيت . قال : نعـم ، تفضـل . هـذا التردد إجرام بحق هذا العم . كان في الحاوية وكان موته محققاً ، صنع منه طبيبـاً يحمـل شهادة بورد ، فهذا إنسان فكيف خالق الأكوان ؟ من أنت ؟.. عندك في البيـت كتـاب قـديم مطبوع سنة ألف وتسعمائة وثلاثين مثلاً وأنت ولدت في السـنة التاسـعة والثلاثـين أو فـي الأربعين أو في الستين ، فعندما صفوا الحروف ليطبعوه أين كنت أنت ؟ .. عندما ألفه المؤلف أين كنت ؟ وقت باعوه أين كنت ؟ وقت أن نشروه أين كنت ؟

هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ لَمۡ يَكُن شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا ١

(سورة الانسان)

فلذلك حق الله كبير كبير ، قال الله سبحانه وتعالى في حق المنافقين :

وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨٤﴾

(سورة التوبة)

فحينما اقترب أجل النبي أسر الى سيدنا حذيفة سراً إذ ذكر له سبعة عشر اسماً وقال له هؤلاء اذا ماتوا لا تصلوا عليهم ، لأن الله نهانا عن أن نصلي عليهم ، هكذا الآية : " ولا تُصل علَى أحد منْهم ماتَ أبدا ولا تَقُم علَى قبرِه انهم كفَروا بِالله ورسولِه ومـاتُوا وهـم فَاسقُون "

فسيدنا حذيفة أمين سر رسول الله ، ثم جاء سيدنا الصديق خليفة من بعده ، ثم مات سيدنا الصديق ، وجاء سيدنا عمر من بعده، سيدنا عمر عملاق الإسلام ، الخليفة الراشد ، ثاني الخلفاء الراشدين ، جاء إلى حذيفة وقال له : يا حذيفة أنشدك الله هل ذكر اسمي بينهم .. والله ما قالها تمثيلاً ، لا والله ، والله قالها صادقاً ، قال له : أنشدك الله هل ذكر اسمي بينهم وذلك لِعظَمِ حق الله عليه ، فقد خاف الله أن يكون قد زلت قدمه . ثم قال : لعلي مقصر ، لعلي منافق ، لو عثرت بغلة في العراق لحاسبني الله عنها ، جاءه ليلاً من أذربيجان رسول ، كره أن يطرق بابه ليلاً ، جاء للمسجد فرأى رجلاً يصلي ويبكي ، ويقول : يا رب هل قبلت توبتي حتى أهنئ نفسي أم رددتها حتى أعزيها قال له : من أنت قال أنا عمر ، قال : ألا تنام الليل ، قال له يا أخي إن نمت ليلي كله أضعت نفسي أمام ربي ، وإن نمت نهاري أضعت رعيتي ، في الصباح خيره أتحب أن تأكل مع فقراء المسلمين .. الفقراء يأكلون اللحم، أم تحب أن تأكل عندي ؟ لا بل آكل عندك يا سيدي ، أنت الخليفة ، ذهب به إلى بيته فما وجد عنده إلا الخبز والملح فقط ، ثم قال له: ما الذي جاء بك إلينا ؟ قال جئتك بهذه الهدية من أذربيجان ، علبة فيها حلوى ، لكنها من الدرجة الأولى ، قال : أويأكل عندكم هذا الطعام عامة المسلمين ، قال : لا . هذا طعام الخاصة ، الطبقة الراقية ، الغنية ، فأرسل كتاباً إلى عامله على أذربيجان عنفه فيه وقال له : كل مما يأكل عامة المسلمين وقال له : أعط هذه الهدية لفقراء المسلمين في المدينة ، وحرام على بطن عمر أن يذوق طعاماً لا يطعمه فقراء المسلمين .

ورأى عمر إبلاً سمينة في الطريق ، فقال : لمن هذه الإبل ، قالوا : هي لابنك عبد الله، قال : ائتوني به ، قال له : بقسوة لمن هذه؟ قال : هذه إبلي اشتريتها بمالي وبعثت بها إلى المرعى لتسمن . فهل أخطأت أو أسأت ؟ فقد اشتريتها بمالي ، وأُسمنُها لأبيعها وأرتزق بها ، قال له : ويقول الناس ارعوا هذه الإبل فهي لابن أمير المؤمنين ، اسقوا هذه الإبل فهي لابن أمير المؤمنين ، وهكذا تسمن إبلك يا ابن أمير المؤمنين .

ولأنك أنت ابني سمنت هذه الإبل ، ثم قال له : بع هذه الإبل وخذ رأس مالـك ورد الباقي لبيت مال المسلمين .

ومرةً بينما هو جالس مع أصحابه ، قال أحدهم : والله ما رأينا من هو خير منك بعد رسول الله ، والله كلام لطيف كان عليه أن يقول : بارك الله فيك لكنه أحد إليهم النظر ، حتى كاد أن يسحقهم بنظراته ، إلى أن قال أحدهم : لا والله ؛ لقد رأينا من هو خير منك . قـال : من هو ؟ قال : أبو بكر ، فقال رضي الله عنه كذبتم جميعاً وصدق .. عد سكوتهم كذباً ، قال : والله كنت أضل من بعيري وكان أبو بكر أطيب من ريح المسك .

هذا الذي سأل أحد عماله ، قال ماذا تفعل إذا جاءك الناس بسارق أو ناهب ، قال : أقطع يده ، قال له : اذاً ، من جاءني من رعيتك جائع أو عاطل فسأقطع يـدك ، إن الله قـد استخلفنا على خلقه لِنَسد جوعتهم ونَستُر عورتهم ونوفر لهـم حـرفَتَهم ، إن وفينـاهم ذلـك تقاضيناهم شُكرها ، إن هذه الأيدي خُلقت لتعمل فإذا لم تجد في الطاعة عملاً التمسـت فـي المعصية أعمالاً ، فاشغلها بالطاعة قبل أن تشغلك بالمعصية.

هذا الخليفة الذي قال لسيدنا حذيفة : أنشدك الله هل ذكر اسمي بين أسماء المنافقين ؟ قال : لا والله أنت أكرمنا وأنت أرحمنا ، وأنت كذا .. خجل سيدنا حذيفة ، فهذا الكرم .

هذا الاسم الالهي العظيم ، أمرنا النبي عليه الصلاة والسلام أن نتخلّق بأخلاق الله ، هذا الكرم ، أن تصل من قطعك ، وأن تعفو عمن ظلمك ، وأن تعطي من حرمك ، وأن يكون صمتك فكراً ونطقك ذكراً ونظرك عبرةً .

وبعد ، فإني أسوق إليكم واقعتين بل أكثر من ذلك : إن سيدنا موسى حينمـا نـاجى ربه ، قال يا رب : إنه لتعرض إلي الحاجة أحياناً فأستحي أن أسألك ، أفأسأل غيرك ؟ فأوحى الله إليه أن يا موسى لا تسأل غيري ، وسلني حتى ملح عجينك وعلف شاتك .

ربنا عز وجل يحب الملحين ، لِم لا تسألوه في السجود في صـلاة السـحر ؟ لـم لا تسألوه عن حاجاتكم كلها ؟

حكي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه جاءه إنسان ليلة يسأله حاجة ، فقال يا غلام ارفع السراج ، ولما رفع السراج : قال سلني حاجتك ، لماذا فعل هذا ؟ قـال : لـئلا أرى في وجهه ذُل السؤال ، حتى لا يحرج ، فلا يخجل إن عرفنا من هو ، هذا من كرم سيدنا علي .

وكذلك أحد العلماء ، كان لا يناول الفقير شيئاً بيده ، بل يضعه على الطاولة ثم يقول له: خذه . لئلا تكون يده عليا ويد الفقير سفلى .

يحكى عن أبان بن عياش " أبان أحد الصحابة أما عياش ليس صحابياً " ، يحكى عن أبان بن عياش ، أنه قال خرجت يوماً من عند أنس ابن مالك في البصـرة ، فرأيـت جنـازةً

يحملها أربعة من الزنج ، ولم يكن معهم رجل آخر ، قلت سبحان الله ، سوق البصرة وجنازة رجل مسلم لا يشيعها أحد فلأكونن خامسهم ، " اذا رأى رجل جنازة ومشي فيها فهـذا حسـن وله أجر ولو لم يعرف صاحبها المحمول وليتبعها حتى القبر ، وإذا فتحوا النعش ورأى مـاذا فُعل بهذا الميت وكيف وضع في القبر ، وكيف أهيل التراب عليه ، لأن في معالجة جسد خاوٍ لعبرة " ، فتتبع الجنازة ، ثم قال: فمضيت معهم فلما وضعوها بالمصلى ، قالوا لـي: تقـدم . قلت : أنتم أولى ، قالوا كلنا سواء لا نعرفه ، حتى دفنوه ، وصليت عليه ، وقلـت لهـم مـا القصة ، قالوا اسأل هذه المرأة ، فهناك امرأة واقفة بعيداً فلما سألتها ، قالت : هذا ابني كـان مذنباً ، وقال لي يا أماه إذا مت فلا تُخبري بوفاتي جيراني لئلا يشمتوا بي ، واكتبـي علـى خاتمي لا إله إلا الله محمد رسول الله واجعليه في كفني فلعل الله تعالى يرحمنـي ، وضـعي رجلك على خدي وقولي هذا جزاء من عصى الله ، فإذا دفنتني فارفعي يديك إلـى الله تعـالى وقولي إني راضية عنه .

أعطاها معلومات دقيقة ، لم تخبر أحداً ، ووضعت رجلها على خده بعد الموت قالت هذا جزاء من عصى الله ، تقول هذه المرأة فما رفعت يدي إلى السماء حتى سـمعت صـوته بلسان فصيح يقول : انصرفي يا أماه فقد قدمت على رب كريم .. هذا سر القصة .

فإذا كان الإنسان يخاف الله عز وجل ويستحي منه فهذه فضـيلة ، أمـا الأكمـل للإنسان أن يكون بالرخاء تائباً منيباً مستقيماً وباب رحمة الله واسع .

أرجو الله سبحانه وتعالى أن يتغمدنا برحمته ، وأن يلهمنا أن نكون كرماء لأنه كريم ، والكريم بالمعنى الموجز ما كان خالياً من كل شائبة فكتاب كريم ومقام كـريم ورب كـريم وإنسان كريم ومؤمن كريم .

يعني الكذب والنميمة والغيبة وتتبع العورات هذه كلها تقدح بكرم الانسان بـل ليسـمح لـي القاريء الكريم أن أقول : أن هذه المثالب سلبت صاحبه أي فضل وكرم ، وأبقت عليه اللـؤم وخزي الأحدوثة .

والحمد لله رب العالمين

* * *

الدرس ٢٤ - اسم الله : "الحكيم"

بسم الله الرحمن الرحيم

قاتل تعالى :

وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ

(سورة البقرة : من آية " ٢٦٩ ")

مع الاسم الرابع والعشرين من أسماء الله الحسنى والاسم هو اسم **الحكيم** .

أيها القاريء الكريم ، أسماء الله الحسنى كثيرة ، وردت في الآثار الصحيحة أنها تسعة وتسعون اسماً ، وأسماء الله كلها حسنى ، لأن الله سبحانه وتعالى موجود وواحد وكامل وكل صفات الله عز وجل يمكن أن تتلخص في عبارات ثلاث ، موجود ، واجب الوجود ، واحد في ذاته ، واحد في صفاته ، واحد في أفعاله ، كامل كمالاً مطلقاً ، ولكن بعض هذه الأسماء أقرب للعبد من بعضها الآخر، فأقرب أسماء الله الحسنى إلى العباد اسم الرب ، لأنه ربهم ، قال تعالى :

وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ۖ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾

(سورة الطور)

ويعني هذا **الحكم حكم** المربي ، **حكم** الذي يعلم ، **وحكم** الرحيم ، **حكم الحكيم** ، واسم الحكيم هو من أقرب الأسماء إلى الإنسان كذلك بالإضافة إلى اسم " الرب " كما بينت قبل أسطر قليلة .

لماذا قدمت هذه المقدمة ؟ لأن الإنسان أحياناً يرى ما لا يرضيه ، إذ يسوق الله له ما لا يسره ، وما لا يعجبه ، فإما أن يسخط على ربه وعلى قضائه وقدره ؛ فهو الجهل المطبق ، وإما أن يرضى عن ربه وعن قضائه وعن قدره فهو العلم السديد الرائع .

ولابد من أن يعلم الإنسان أنه ما من شيء يقع في الكون منذ أن خُلق هذا الكون وحتى نهايته إلا بإرادة الله ، لأنه إذا وقع شيء من دون إرادته إذاً فليس الله هو القهار وليس هو الجبار وليس هو القوي وليس هو الغني ، ويكفي أن يقع شيء واحد في الكون من دون

إرادته حتى تتعطل أسماؤه الحسنى إذاً ، لا يقع في الكون الذي هو ملكه ، ولا يقع في ملكه إلا ما قد أراده .

وإني لأستميح القاري الكريم عذراً لأن هذه الفكرة أعيدها كثيراً ، ولأن الله سبحانه وتعالى يعيد الحقائق الأساسية في القرآن كثيراً، وأنت تقرأ الفاتحة في كل صلاة ، تقرؤها وتعيدها منذ أن كُلفت بالصلاة وحتى نهاية الأجل ، وتكررها عشرات المرات يومياً في صلاتك .

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿١﴾ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾

(الفاتحة)

ما من شيء وقع في الكون إلا أراده الله ، وإذا أراد الله شيئاً وقع وليس في الكون مسيطر إلا الله ، هذا هو التوحيد ، إذ ليس في الكون إلا يد واحدة هي المسيطرة وهي **الحكيمة** وهي القديرة ، ترفع ، و تخفض ، و تُعطي ، و تمنع ، وتُعز ، وتُذل ، و تَبسط و تقبض .

كل شيء وقع أراده الله وكل شيء أراده الله وقع ، وإرادة الله متعلّقة **بالحكمة** ، حتى يتضح الأمر ؛ فقد يقول الإنسان شيئاً ليس قانعاً به إما بضغط ، أو بإغراء ، فإن قال كذا وكذا يرتقي ، و أن يقل كذا وكذا مع الضغط عليه ، فقد يكون قوله مجانباً **للحكمة** ، لأنه وقع في شباك الإغراء أو في شباك الإكراه ، و الإنسان ضعيف بين الإغراء والإكراه ، فتارةً يكره وتارةً يغرى، فإذا أُكره فَقَد **الحكمة** ، وإذا رغب فَقَد الحكمة ، إذاً ربما تصرف الإنسان تصرفاً غير **حكيم** لأنه قد ضغط عليه أو أغري بشيء من حطام الدنيا ، وقد يتصرف الإنسان تصرفاً غير **حكيم** لأنه قد يكون جاهلاً ، فالطيشُ والحمق والخرقُ يأتي من الجهل ، فأنت بين جهل وبين ضغط وبين إغراء تفقد **الحكمة** ، ففي حالات الجهل والضغط والرغبة كثيراً ما يجانب الإنسان **الحكمة** ويفقدها.

والجهل والإكراه والرغبة هذه حالات تستحيل على جلال الله عز وجل ، فلا إله آخر يضغط ، وكل رغبة وجهل وإكراه يغري لااعتبار له .

إذاً : أفعال الله سبحانه وتعالى كُلُها متعلّقة **بالحكمة** ، **والحكمة** عند ربنا عز وجل متعلّقة بالخير المطلق .

ولتأخذوا عني أيها القراء الكرام هذه الكلمات القليلة : إن كل شيء وقع أراده الله وإن كل شيء أراده الله وقع ، وإن أفعاله تتعلق **بالحكمة** المطلقة ، وإن **حكمتَه** المطلقة تتعلق

بالخير المطلق ، واللهِ لو أنّا فهمنا هذه الكلمات واستوعبناها وعقَلناها وعشنا معانيها لتلاشت كل الأحزان في حياتنا .

لكل شيء حقيقية ، وما بلغ عبد حقيقة الإيمان حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه ، فالغلط مجاله بين البشر ، أما في حق خالق البشر فهو يستحيل . والذي يبدو لك غلطاً وخطأً وظُلماً هو عند الله **حكمة** بالغة ، وإنني أضرب مثلاً :

فتاة نالت شهادة ثانوية وهي تبحث عن وظيفة ، هناك مسابقة لوظيفة معلمة فتقدمت إليها ، فطولبت بشهادة صحية فتوجهت إلى مستشفى حكومي لتفحص صدرها ، فجاءت النتيجة أنها مصابة بمرض السل ! بكت وبكت وبكى من حولها ، ومن حولها خافوا من العدوى فابتعدوا عنها وتركوها تأكل وحدها ، وأعطوها أدوات خاصة بها ، وتوجسوا منها خيفة وازدادت بهذه العزلة ألماً إلى أن قررت أن تتوب إلى الله ، وأن تصلي وأن تتحجب ، ثم راجع أخوها المستشفى بعد حين، فإذا هم يعتذرون إذ هذه النتيجة ليست لها بل لغيرها ، فهي سليمة! خطأ الموظف إذاً وظفه الله عز وجل كي تتوب هذه الفتاة .

وهناك أخت كريمة تحضر معنا الدروس في جامع النابلسي ، هكذا سمعت وعلمت أنها كانت معارةً إلى بلد نفطي للتدريس ، واختصاصها رياضيات ، عينت في مدرسة في أطراف المملكة ، والمديرة أمرتها أن تُدرس تفسيراً وفقهاً ، فقالت لها معتذرةً : اختصاصي رياضيات ، فكيف تريدينني أن أدخل إلى صف ثالث ثانوي وأدرسهن تفسيراً وفقهاً ؟ وأنا لا أفقه شيئاً من هذه الموضوعات ، قالت لها : إما أن تدخلي وتدرسي هذه المواد أو نلغي عقدك ، فدخلت هذه المدرسة ، وفتحت كتاب التفسير ، وأول آيات التفسير آيات الحجاب ، ولم تكن الفتاة تؤمن بالحجاب فقرأت الآيات و قرأت التفاسير ، فانهمرت عيناها بالدموع : اعتذرت من الطالبات ، وقالت لهن دعنني هذه الساعة مع نفسي واقرأن ما بدا لكن ، وكانت توبتها حينما أُجبرت أن تقرأ هذه الآيات وأن تُفسرها للطالبات ، إذاً حمقُ هذه المديرة وظفه الله عز وجل لصالح هذه المدرسة.

يعني كل شيء وقع أراده الله ، وكل شيء أراده الله وقع ، وإرادته متعلّقة **بالحكمة** المطلقة ، و**حكمته** متعلّقة بالخير المطلق ، وهذه حادثةَ من حوادث ، ولتعلم من قبل ومن بعد لو أن ورقة سقطت من شجرة فذلك **لحكمة** بالغة .. فما قولنا فيما فوق هذه الحادثة ، الظلم في النفوس فقط ، والظالم سوط الله ينتقم به ثم ينتقم منه ، ولذلك فكل قصة فيها عشرة فصول مثلاً ، فقد نعرف فصلاً واحداً فلا يكفي ، وقد نعرف فصلين أو ثلاثة أو أربعة وهذا لا يكفي ، فلسنا مؤهلين أن نحكُم على هذه القصة إلا إذا عرفنا كل الفصول .

إذاً : أقرب اسم من أسماء الله الحسنى إليك ، اسم الرب واسم **الحكيم** وقد تتساءل : لماذا فلان يعاني من هذه المتاعب في جسده ؟ .. فقُلْ **لحكمة** بالغة ولا تخف ، ولو كان لديك

وقت طويل ونفَس طويل وبحث دقيق لمتابعة أمره لوجدت أنه ليس في الإمكان أبدع مما كان .

قد يتساءل آخر : لماذا فلان كان عقيماً ؟ **لحكمة** بالغة .. ولماذا فلان مات في سن مبكرة ؟ **لحكمة** بالغة .. لماذا فلان عاش عمراً مديداً ؟ **لحكمة** بالغة .. ولماذا فلان كان غنياً ؟ **لحكمة** بالغة .. ولماذا فلان كان فقيراً ؟ **لحكمة** بالغة .. فأنا أذكر كل هذا وأنا واثق مما أقوله، وأي شيء أعجبك أو لم يعجبك فقل لابد من **حكمة** بالغة ، لأن الله سبحانه وتعالى لا يمكن أن يتصرف بلا **حكمة** ، لأنه عليم ، ولأنه واحد ولأنه موجود ولأنه كامل .

موجود واجب الوجود ، فإذا قلت أين الله ؟ .. فسؤالك يعني أنه غير موجود .. بل هو موجود .

وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾

(سورة إبراهيم)

هو موجود وواحد ، وليس مع وجوده وجود ، وكامل ، ومن كماله أنه **حكيم** ... هذه مقدمة .

وبعد ، فكلمة **الحكيم** وردت في القرآن الكريم ثمانياً وثلاثين مرة ، قال تعالى :

وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾

(سورة لقمان)

وكذلك فهناك بحث قائم بذاته يحسن بنا أن نلفت نظر القارىء إليه . فحينما تأتي الأسماء مثنى مثنى : "**إن الله عزيز حكيم** "

وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا حَكِيمًا ﴿١٣٠﴾

(سورة النساء من الآية ١٣٠)

وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٩﴾

(سورة الفتح)

" **وكان الله عزيزا حكيما** " .

وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾

(سورة الممتحنة)

إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦﴾

(سورة يوسف)

الٓر ۚ كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾

(سورة هود)

وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾

(سورة النور)

لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾

(سورة فصلت)

إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾

(سورة الحجر)

هكذا جاءت الأسماء في سياق الآيات القرآنية فأحذر أن تلتبس عليك الأمور ، لأن هذا مزلق خطير ؛ مثل أن تقول **حكيم** لأنه عليم ، فلا يمكن في علم التوحيد أن يعلّق اسم على اسم ، ف**حكيم** لأنه **حكيم** ، وعليم لأنه عليم ، لا يفتقر اسم إلى اسم في أسماء الله الحسنى ، واسع وحكيم، إذا قلت **حكيم** لأنه واسع ، لا . ثم لا .. واسع لأنه واسع **وحكيم** لأنه **حكيم** .

وكلمة **حكيم** وصف بها القرآن الكريم ، قال تعالى :

الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡحَكِيمِ ١

(سورة يونس)

يسٓ ١ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡحَكِيمِ ٢

(سورة يس)

وقال سبحانه :

لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ١٦٤

(سورة آل عمران)

رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُزَكِّيهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ١٢٩

(سورة البقرة)

وقال بعض العلماء في تفسير كلمة الحكمة : " إن **الحكمة** إذا قرنت بكلمة الكتاب ، فهي سنة رسول الله " وهذا أروع تفسير ، وأدقّ تفصيل وأوضح تبيين هو كلام سيد المرسلين ، **والحكمة** أيضاً جعلت أسلوباً في الدعوة إلى الله ، قال تعالى :

ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ

(سورة النحل آية ١٢٥)

والحكمة يمكن أن يؤتاها الإنسان ، وأقول : لو أن الله عز وجل آتاك أجمل امرأة في الأرض ولم يؤتك **الحكمة** لجعلتها أسوأ امرأة، ولو أعطاك مال قارون ولم يؤتك **الحكمة** لبدد هذا المال ولكان حسرةً عليك يوم القيامة ، ولو أعطاك صحةً رائعة ولم يؤتك **الحكمة** لاستهلكت هذه الصحة في سفاسف الأمور ، و لو أعطاك أولاداً نجباء ولم تكن **حكيماً** لكانوا

زادك إلى النار . فأي شيء إذا أُعطيته من دون **حكمة** كان حسرةً عليك يوم القيامة ، ولهذا قال الله عز وجل :

يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾

(سورة البقرة)

فأنت **بالحكمة** يمكن أن تكون أسعد الناس بدخلٍ قليل ، وبالحمق تشقى بالدخل الكثير ، و**بالحكمة** تَسعد بزوجة من الدرجة الخامسة ، وبالحمق تشقى بزوجة من الدرجة الأولى . **بالحكمة** ترقى بأولاد ضعاف ، وبالحمق تسفل بأولاد نجباء ، نعم .. لا يكون الرفق في شيء إلا زانه ، ولا ينزع من شيء إلا شانه .

لذلك أذكر وأكرر أن الله قد يؤتيك مال قارون وهو لا يحبك قال تعالى :

۞ إِنَّ قَـٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَـٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾

(سورة القصص)

آتاه الله المال وهو لا يحبه ، وقد تكون قوياً والله لا يحبك ، قال تعالى :

إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾

(سورة القصص)

إذاً : قد يؤتيك الله المال وهو لا يحبك ، وقد يؤتيك الله القوة وهو لا يحبك ، أما إذا أحبك فعلاً فسيؤتيك العلم **والحكمة** ، قال تعالى :

وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسۡتَوَىٰٓ ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٤

(سورة القصص)

فأنت من المؤمنين **إن شاء الله تعالى فانظر** بماذا تفضلَ الله به عليك ، إن تفضلَ الله عليك **بالحكمة** والعلم فهذا العطاء من نوع عطاء الأنبياء ، وإن زادك مالاً فالحمد لله ، وإن زادك صحةً فالحمد لله، وإن زادك قوةً فالحمد لله ، لكن الأصل أن تكون **حكيماً** عليماً .

يقول الإمام الغزالي رحمه الله تعالى : من عرف جميع الأشياء ولم يعرف الله عز وجل لا يسمى **حكيماً** ".. " وهذا المعنى قائم بنفسي منذ أمد طويل"

ولقد اجتمعت مرةً مع شخص يحمل شهادة الدكتوراه في التربية والدكتوراه في العلوم الفيزيائية ، فحسبته جمع المجد من طرفيه دكتوراه في التربية ، علوم إنسانية ، ودكتوراه في العلوم الفيزيائية ، وفي أثناء اللقاء أخبروني : أنه لا يصلي ، وهو في الخمسين ، والله الذي لا إله إلا هو سقط من عيني كما يسقط النجم إلى الأرض ، أوكل هذا العلم وأنتَ لا تُصلي ؟ فهذا الإله العظيم ألا يستحق أن تعبده ؟ .

يقول الإمام الغزالي : " **من عرف جميع الأشياء ولم يعرف الله عز وجل لا يستحق أن يسمى حكيماً ".**

وأنا بدوري أُعبر عن هذا المعنى بالشكل التالي ، إن الذكاء ذكاءان ، ذكاء جزئي وذكاء شمولي ، فهذا من حيث الذكاء الجزئي طبيب متبحر في العلوم دقيق الفهم لماح **الحكم** ، قوي الحافظة ، ولكنه يعصي الله لأنه لم يفكّر فيما بعد الموت ، ولأنه لم يفكّر فيمن خلقه ، ولأنه لم يفكّر في منهج هذا الخالق العظيم ، ولأنه لم يطمح إلى مرضاة الله عز وجل ، ولأنه لم ير عظمة الخلق ولم ير من خلالها عظمة الخالق ، فهو مدموغ بالغباء ولو كان من أذكى الأذكياء .

إذاً حق أن نقول : هناك ذكاء جزئي يتعلق بالجزئيات ، وهناك ذكاء شمولي يتعلّق بالكليات ، فأنت إذا غفلت عن ربك وخرجت عن منهجه وانغمست في الشهوات ، ولو كُنتَ في اختصاصك في القمة ، و في فرعك العلمي في الأوج ، ولو حصلْتَ أعلى الشهادات ، فإن دمغة الغباء سمتك الأولى .

و الناس هو معروف يهنئ بعضهم بعضاً دائماً ، فتهنئةٌ بشراء منزل ، وتهنئة بنيل منصب، وتهنئة بنيل شهادة عليمة ، وتهنئة بمولود، وتهنئة بزواج ، وتهنئة بشراء مركبة ،

وتهنئة بسفرة ببعثة إلى خارج بلدك .. أما أنا فوالله لا أرى أن كلمة التهنئة تُقال على حقيقتها إلا إذا اصطلحتَ مع الله حقاً وصدقاً .

كان بعض الشيوخ إذا رأى تلميذه قد اصطلح مع الله تماماً وأقبل عليه يقول له : هنيئاً لك يا ولدي .

ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾

(سورة الإنفطار)

كيف تنساه ؟ وهذا بعض العارفين : يقول " **يا رب ماذا فقد من وجدك ؟ وماذا وجد من فقدك ؟** " ، هذا كلام بليغ ! وكذلك يقولون : إذا كان الله معك فمن عليك ، وإذا كان عليك فمن معك .. فهذا كلام أبلغ .

والسؤال المطروح الآن هو : إذا تعلّمت علماً ، فشرف المتعلّم من شرف العلم ، ولو تصورت إنساناً يقرأ في كتاب أصول سرقة البنوك مثلاً ، فأنت تراه يقرأ كتاباً ويتعلّم ؛ ألا تحتقر هذا العلم ؟ ، ولو افترضناه كتاباً مؤلفاً حول طريقة تزوير العملة مثلاً وهو عاكف على هذا الكتاب ويدرسه بنهم وشغف ، ويضع خطوطاً ويلّخص فقراته ألا تحتقر هذا الجهد كله ؟ بلى ، لأن هذا الموضوع دنيء وإجرامي .

إذاً : شرف المتعلّم من شرف العلم الذي يتعلّمه ، وكلما ارتقى العلم ارتقى المتعلّم ، فمن الناس من يتعلم القوانين المتعلّقة بالفيزياء ، وهناك قوانين الكيمياء ، وقوانين الفَلَك ، وقوانين الجيولوجيا ، وقوانين التاريخ ، والظواهر التاريخية ، وقوانين النفس ، وقوانين علم النفس ، وعلم الاجتماع ، وعلم الذرة ، وعلم الفيزياء ، وعلم الكيمياء ، طبعاً الفيزياء صوت وحرارة وكهرباء ومغناطيس وضوء ، والكيمياء عضوية ولا عضوية فهذه كلها علوم قد تسمو بصاحبها .

فإذا كان المتعلّم يعلو في نظر الناس كلما ارتقى علمه ، إذ يقال لك فلان يحمل اختصاصاً نادراً ، وفلان مثله ، بينما خمسة آلاف حقوقي بلا عمل ، فهذا حائز على شهادة الحقوق ، والحقوق اختصاص رائع جداً ، ولكن لكثرة الاختصاص ولعطالة أصحابه ربما رأيت هذا الفرع فرعاً سهلاً ، وكلما كان الفرع أصعب منالاً وأعظم فائدةً ، كان أجدى على صاحبه نفعاً ، يطلب مثلاً ثمانين ألفاً بالشهر ، فهو ذو اختصاص نادر .

أما هذا الذي تعرف إلى الله فما حاله ؟ فهذا السؤال وجيه حقاً، إن الذي تعرف إلى بعض الحقائق عن بعض المخلوقات يرقى في نظر الناس ، فكيف إذا كان موضوع المعرفة هو الله ؟ فمثلاً إذا قرأت شعراً لأحد الشعراء ودرست الشعر وحللته ، العاطفة والخيال والأسلوب والأفكار الدقيقة وتسلسل الأفكار وعمقها وواقعيتها كنت مرموقاً عند أهل

الاختصاص ، فكيف إذا حللت كلام الله عز وجل ، فلذلك كلما ارتقى اختصاصك ارتقت مكانتك ، فمن اشتغل بغير الله لا يسمى **حكيماً** .

ووما أكثر ما ذكرت أن كل علم ممتع ، وهناك علم ممتع ونافع ، وهناك علم ممتع ونافع ومسعد ، إن العلم بالله وحده هو العلم الممتع النافع المسعد ، والاختصاص النادر هو العلم الممتع النافع ، وأي علم ممتع ، وأي كتاب إذا قرأته تستمتع به ، لأن العلم ممتع ، ونقل المعرفة عمل مقدس ، و كلما ارتقيت بهذه المعرفة إلى المستوى الذي يرضي الله عز وجل كلما ارتفعت معه .

قال بعض العلماء : " **من عرف الله كان كلامه مخالفاً لكلام غيره** " وهل يمكن لإنسان يعرف الله أن يسهر سهرةً إلى الساعة الواحدةُ ويكون الحديث خلالها عن الطعام مثلاً ، فيستهلك خمس ساعات من عمره بدداً أو في لعب النرد أو في الشطرنج أو الطاولة ، أو الحديث عن زيد أو عبيد ، فمستحيل ذلك إلا عند صغار الهمم .

لكن " **من عرف الله عز وجل كان كلامه مخالفاً لكلام غيره** " ، كلامه مقدس ، كلامه في الكُليات ، وفي الأصول ، و في الأهداف الكبرى ، وكلامه في السمو .. وكل إناء بالذي فيه ينضح .

كنت ضربت مثلاً ، هناك أوعية تعبأ من أعلاها ولها صنبور في أسفلها ، فأت لا تصدق أن يخرج من الصنبور سائل يخالف ما في هذا الإناء أبداً ، فإن عبأته ماء يخرج من أسفله ماء وإن عبأته لبناً تجد لبناً ، و إن عبأته ليموناً تلق ليموناً ، وإن عبأته مثلاً ماء زهر ، تجد ماء زهر ، وإن عبأته ماء آسناً ، خرج ماء آسناً فكل إنسان له منهل ينهلُ منه وله ما يخرج منه ، والإنسان كلامه يتحدث عما فيه ، ونفسه وعاء امتلأ .

فإذا كانت ثقافة الإنسان حصاد مجلات وقصص ومسلسلات ، وتكلم ، فتسمع يقول لك: فلانة طُلقت ، وفلانة خانت زوجها ، ونحو ذلك إذ ليس عنده شيء آخر ، بل كل معلوماته مورد هذا الإناء الذي عبأه من أخبار هؤلاء الساقطين والساقطات ، فلو أراد أن يتحدث لما فاض إلا بما امتلأ .

فلو أن الإنسان عبأ وعاءه من أخبار أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وعبأه من دقائق السنّة المطهرة ، ومن بطولات من عاصر النبي عليه الصلاة والسلام ، وعبأ وعاءه من العلم الشريف الذي يرقى بالإنسان ، ثم قيل له تفضل وتكلّم ، فلن يتكلّم إلا بالحكم والدرر والقرآن والحديث والتفسير والموعظة الحسنة والحقائق العلمية المتألقة والمشاعر الرقيقة ، والموقف النبيلة، ولن يصدر عنه إلا الدر واللؤلؤ ، فهذا الذي قاله الأسلاف ملأ به وعاء عقله : وكل إناء بالذي فيه ينضح .

وأخطر ما في الموضوع من أين تنهل ؟ ومن أين تشرب ؟ وما الذي يدخل إلى أذنك ومنه إلى قلبك ؟ وما الذي يدخل من بصرك ومنه إلى قلبك ، لأن السمع والبصر نافذتان ، فما تقرأ يعرفك ويدل عليك من أنت ؟ وما تسمع ؟ ينبأ من أنت ؟ قُل لي من تُجالس أقُل لك من أنت؟ وقل لي من تصحب أقُل لك من أنت ؟ ومن تصادق أقل لك من أنت ؟ فالمرء على دين خليله ، ومن شيخُك ، أقُل لك من أنت ؟ فهؤلاء مناهل .

وهناك منهل ماء صاف ، ومنهل ماء معسل ، ومنهل ماء مزهر ، ومنهل ماء آسن ، فإذا كان الإنسان حديثه ساقطاً ، ومزاحه جنسياً رخيصاً ، وتعليقاته لاذعة ، وكلماته بذيئة ، فطابعها طابع المجاري الآسنة . لأنه ينهل من مياه المجارير فإذا فاض بشيء فلن يخرج منه إلا ماء آسن تفوح منه رائحة الزنى والغدر والخيانة والأثرة والاستعلاء والعنجهية والقسوة ، ولذلك فالإنسان منهي أن يتحدث عن أمثال هؤلاء ، لأن الحديث عن المنحرفين يقبض القلب ، وبينما الحديث عن الصالحين يعطّر المجلس .

فمن حكم النبي عليه الصلاة والسلام : " **رأس الحكمة مخافة الله** " ، إن لم تخف الله عز وجل فأنت لا تعرف من الحكمة شيئاً .

الكيس العاقل من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني ، فالعاجز يعيش لحظته ، ويعيش حظوظه ، وميوله ، و رغباته ، أما الكيس فيعيش حياة ما بعد الموت يعد لها منذ الآن .

ما قل وكفى خير مما كثُر وألهى ، سألت إنساناً كيف وضعك؟ فقال : وسط الحمد لله ، لقد أصابتنا دعوةُ من دعا علينا ، قلت: خير فمن دعا عليك ؟ قال رسول الله ، قلت : ما هذا الكلام معاذ الله ؟ قال : ألم يقل النبي عليه الصلاة والسلام : اللهم من أحبني فاجعل رزقه كفافاً ، قلت : والله هذا صحيح ومعك حق ، فعلاً ، النبي يقول : من أحبني فاجعل رزقه كفافاً ، يعني ما يكفيه لا ما يطغيه ، ولا ما يلهيه ، أجل ، ما يكفيه ، إذ غاية كل حاجاتك أن تكون صحيح البدن مكتفياً ، تقطُن في بيت ، الحاجات الأساسية فيه موفورة ! هذا هو الغنى ، أما أن تفهم الغنى أن يزداد الرقم الذي تملكه ، فهذا ليس هو الغنى .

قال عليه الصلاة والسلام : " **من أصبح معافى في بدنه آمناً في سربه عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها** " . كُن ورعاً تكن أعبد الناس ، وكُن قانعاً تكُن أشكر الناس ، ومن حسن إسلام المرء تركُه مالا يعنيه ، والسعيد من وعظ بغيره ، والصمت **حكمة** وقليلٌ فاعلُه ، والقناعة كنز لا ينفد ، والصبر نصف الإيمان ، واليقين الإيمان كله ، وهذه كلها من حكمة النبي عليه الصلاة والسلام .

والحقيقة هذه **الحكم** مبذولةٌ بين أيدينا ، فيمكن أن تشتري كتاباً في الحديث الشريف ، فتجد الحكم كلها فيه ولكن بين أن تقتني الكتاب وتقرؤه شيء ، وبين أن تعيش هذه **الحكمة**

شيء آخر ، البطولة أن تعيش هذه **الحكم** ، و أن تطبقها إلى واقع و مشاعر ومواقف و سلوك .

الآن نعود إلى اسم **الحكيم** بالشكل المنهجي ، لاسم **الحكيم** معانٍ ثلاثة أساسية :

المعنى الأول : اسم **الحكيم** على وزن فعيل ، بمعنى مفعل تقول جرح أليم بمعنى مؤلم ، وفعيل بمعنى مفعل ، ف**حكيم** بمعنى **محكم** ومعنى **المحكم** المتقن ، والمتقن هو المقدر التقدير الصحيح .

فلو أن إنساناً قص قطعة خشب مثلاً بأقل من اثني مليمتر فإنك تنزعج لأنها قصرت ولو كان تقديره **حكيماً** وصحيحاً لجاءت الصنعة **محكمةً** من كلمة **محكم** فهي متعلقة بالتقدير ، وكلما دق التقدير أُحكمت الصنعة .

تجد بعض الآلات غالية جداً ولا ترى فيها عيباً أبداً ولا نقصاً ولا لميلمتر واحد ، فالآلات من الدرجة الخامسة ، تراها ذات عيوب كثيرة ، فيقال لك هذا النقص مثلاً لا يؤثر ، ونقصه مقبول ، أو سلبيته طفيفة محتملة ، فهذه ليست صنعة **محكمة** ، إذ نرى الأجانب يأخذون عشرة أضعاف أو مائة ضعف عما نصنعه نحن وذلك لإتقان عملهم .

حدثني أخ يعمل في المنسوجات ، قال إن آلة استقدمناها من بلد غربي نبيع الثوب كله من إنتاجها بمئتي ليرة ، والآلة نفسها في بلد آخر نشتري المتر الواحد بسبعمائة ليرة ! المتر الواحد من إنتاج هذه الآلة بسبعمائة ليرة وبينما الثوب بأكمله بمئتي ليرة والآلة واحدة ، والفرق هو الإتقان .

فلذلك معنى **حكيم** أي **محكم** ، ومعنى **محكم** أي متقن ، وأصل الإتقان من دقة التقدير ، إذاً : ربنا عز وجل خلق كل شيء فقدره تقديراً قال تعالى :

إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾

(سورة القمر)

وأنت عد إلى جسمك ، فالدم الذي تنبض به عروقك فيه ملح بنسبة سبعة بالألف إلى ثمانية ، إذا قلت النسبة عن هذا الرقم تنكمش الكريات ويموت الإنسان ، وإذا زادت تنفجر الكريات ، من جعل نسبة الملح في الدم ثابتة ؟ الفضل لله عز وجل ، إذ إن الكُلية إذا زادت نسبة الملح في الدم تفرز الزائد ، وإذا قلّت تحتفظ وتدخر ، يعني الكُلية هي التي تَزِن السائل الدموي أو البلازما بميزان دقيق .

هناك هرمون التجلّط يفرزه الكبد ، وهرمون التمييع ، من إفراز الهرمونين معاً ، ومن ثبات النسبة بينهما ثباتاً دقيقاً تنشأ ميوعة الدم وسيولته وقد قيل لو زاد هرمون التجلّط

عن الحد الذي رسمه الله عز وجل لأصبح الدم كالوحل في الأوردة والشرايين ولمات الإنسان ، ولو زادت نسبة هرمون التمييع عن حدها الذي رسمه الله عز وجل لنزف دم الإنسان كله من ثقب دبوس .

لي صديق توفي رحمه الله تعالى ، زرته في المشفى ، فوجدت أمام فمه لصاقات طبية لا أبالغ قرابة ثمانية سنتمتر ، فقلت : خيراً إن شاء الله ، قال عندي نقص في الصفائح الدموية ، والصفائح الدموية تماماً مثل أحجار البناء ، إذا حصل ثقب في البناء تسده ، وهذا سببه رعاف أذهب معه الصفائح لديه ، وكلما أزلت اللصاقات فالدم ينزف ، إذ لم يبق في دمه صفائح دموية ، وفي الميلمتر المكعب عادةً سبعمائة ألف صفيحة تقريباً ، وهذه الصفائح تسد أي خرق في الأوردة .

إذاً : ما هذه **الحكمة** ؟ وهذه معلومات قديمة ؛ وإخوتنا الأطباء الذين يدرسون حديثاً ، يعرفون أشياء مذهلة ، إنها حكمة الله الخالق البارىء .

وهناك زمر نسيجية ، أحدث رقم : مليارات ونصف مليار زمرة نسيجية في العالم ، ولا يوجد إلا إنسان واحد في الأرض له زمرة نسيجية تُشبه زمرتك ، وعلى النوية خمسة آلاف مليون معلومة عرف منها حتى الآن ثمانمائة معلومة فقط ! من المورثات وهذه حكمة ، فإذاً ما معنى **حكيم** ؟ **الحكيم** يعنى **محكم** ، **ومحكم** بمعنى متقن ، والمتقن هو الذي قدر الشيء فأحسن تقديره ، قال تعالى :

وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾

(سورة الفرقان)

إذاً : معنى **الحكيم** الذي أحسن كل شيء خلقه ، هذا معنى قول الله عز وجل :

ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ ۖ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴿٣﴾

(سورة تبارك)

وبعد ، انظر تر النملة في أكمل وضع ، و الذبابة بأكمل وضع، والفيل بأكمل وضع ، والمجرة بأكمل وضع ، والذرة بأكمل وضع ، وأي مخلوق بأكمل وضع هذا معنى **الحكيم** ، وهذا هو المعنى الأول ، **الحكيم المحكم** .

وتفسير هذا الاسم :

ٱلَّذِىٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَىۡءٍ خَلَقَهُۥۖ وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَـٰنِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾

(سورة السجدة)

﴿٥﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَـٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾

(سورة الانفطار)

لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَـٰنَ فِىٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٍ ﴿٤﴾

(سورة التين)

هذا معنى **الحكيم** ، وسر **الحكيم** :

وَخَلَقَ كُلَّ شَىۡءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقۡدِيرًا ﴿٢﴾

(سورة النور)

إِنَّا كُلَّ شَىۡءٍ خَلَقۡنَـٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾

(سورة القمر)

ويسألونك مثلاً : هل قست ضغط عينك ؟ ما ضغط العين ؟ إنه شيء مذهل ، إذ بالعين سائل ، وهذا السائل لا بد من أن تجدده ، فكيف يتجدد ؟ يصب عليه مورد وله فتحة في أسفله ، فإذا سدت هذه الفتحة تحتقن العين ، ويزداد ضغطها فتضيق لمعة الشرايين المغذية لها ، وأطباء العيون يقيسون ضغط العين .

والدقّة بالغة جداً ، فلقد حدثني أخ طبيب ؛ أنهم أثناء عمليات القلب المفتوح يعطون بوتاسيوم ينسب دقيقة جداً فلو زادت لمات المريض فوراً وقال لي : لو كنا نقوم بعملية لمريض وشخصت عيناه ومات فقد يقال : هناك خطأ بالبوتاسيوم ، أو هناك شوارد بالدم .

الموضوعات لا أتحدث عنها حديثاً علمياً كأمثلة فقط ، بل هناك دقائق بخلق الإنسان وهي أشياء فوق التصور . وهذا أول معنى من معاني الحكيم .

<u>المعنى الثاني :</u> الحكمة عبارة عن معرفة أفضل المعلومات بأفضل العلوم ، فهناك علم مطلق ، والإنسان مهما تعلّم فإنه يقف على شاطئ بحر العلم ، قال تعالى :

وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾

(سورة يوسف)

مهما تعلّم العالم المؤمن وارتقى علمه فإنه يقول : لم تبتل بعد قدماي ببحر المعرفة ، ومن علامة العالِم الحقيقي أنه متواضع ، وكلما ازداد علماً ازداد تواضعاً ، والإمام الشافعي رحمه الله تعالى يقول : " **كلما ازددت علماً ازددت علماً بجهلي**" فمن هو العليم علماً مطلقاً ؟ الله لا غيره ، **الحكيم** تُطلق على ذي العلم المطلق : العلم الذي لا يعتوره خلل ولا جهل ولا شائبة ، وما من إنسان يدعي أنه بلغ العلم المطلق ، حتى في الحرف والمهن ، وحتى الأطباء والعلماء والمهندسون ، يرتكبون أغلاطاً كبيرة جداً ، أما العلم المطلق فهو لله عز وجل ، ولهذا يقول الإمام الغزالي " لا يعرف اللهَ إلا الله " .

<u>المعنى الثالث</u> : الحكيم هو الذي يتنزه عن فعل ما لا ينبغي ، يعني هو الذي يضع الشيء المناسب بالقَدر المناسب وفي الوقت المناسب وبالمكان المناسب ، فهذا معنى **الحكيم** ، إذ لا نستطيع أن ننطق بكلمة ولا حرف زيادة عما يجب ، فأحياناً فنضع الشيء المناسب ولكن بحجم غير مناسب ، وأحياناً أخرى نضع الشيء المناسب بالقدر المناسب وفي وقت غير مناسب ، وكذلك أحياناً نضع الشيء المناسب بالقدر المناسب وفي الوقت المناسب و في مكان غير مناسب، **فالحكيم** هو الذي يفعل ما ينبغي بالقدر الذي ينبغي وفي الوقت الذي ينبغي وبالمكان الذي ينبغي، فهذا هو **الحكيم** .

وبعد ، فما حظك أيها الإنسان من اسم **الحكيم** . أن الحكيم من الأسماء التي يمكن أن يتحلّى بها الإنسان انطلاقاً من الحديث الشهير: "تخلقوا بأخلاق الله ".

فالمؤمن الحق **حكيم** ، ف**حكمتُه** من أين تأتي ؟ ومن أين يستقي **حكمتَه** ؟ من معرفته بالله .. فإن كان لديك آلة ، معقدة جداً و لديك تعليمات دقيقة عنها فأنت تكون **حكيماً** لو نفذت هذه التعليمات التي هي من عند الصانع ، فالقضية سهلة جداً ، و إذا قرأت القرآن وفهمته ، وفهمت السنّة المطهرة فأنت بمجرد أن تُطبق أمر الله عز وجل وأمر النبي فأنت **حكيم** ، فمثلاً ، غض البصر **حكمة** بالغة ، فأنت إذا غضضتَ بصرك عن محارم الله فلابد من أن يبقى في حياتك امرأة واحدة ، وليس مسموح لك غير زوجتك **والحكمة** تقول إنك تُقبل على هذه الزوجة إقبالاً يجعل الود بينكما متنامياً ، فلو كانت لك منافذ أخرى لنشأت في البيت بعض المتاعب الزوجية .

وهناك نقطة مهمة جداً ، وهي قاعدة في المنطق وهي : "الانتفاع بالشيء ليس أحد فروع العلم به " . فيمكن أن نأتي ببدوي ونعطيه سيارة من أحدث السيارات ، وهو سائق

ماهر ، يتمتع بسرعتها وتكييفها وصوتها الناعم ، وبكل ميزات هذه السيارة وهو لا يفقه شيئاً من أساليب صناعتها ، و اليوم صار عند كل الناس أجهزة متقدمة كثيرة فالذي عنده مكيف مثلاً هل يعرف مبدأ عمله ؟ إنه يكتفي بأن يكبس المفتاح ثم يقول لك : تكيفنا ، و الذي عنده براد هل يعرف مبدأ عمله ؟ ومن يركب طائرة وهي خلاصة علم البشرية كلها ؛ وكل من سافر فيها يقول لك حلقنا على ارتفاع أربعين ألف قدم وأكلنا طعاماً ساخناً ، ورأينا الغيوم .. فالانتفاع بالشيء ليس أحد فروع العلم به ، فأنت لمجرد أن تُطبق أمر الله عز وجل سواء أعرفت **حكمتَه** أم لم تعرف ؟ أتعمقت في تحليلها أم لم تتعمق ؟ تقطف ثمارها كلها هذا الذي أريد أن أقوله لكم .. أمرك بغض البصر فأطعت ، وأمرك أن تكون صادقاً ، و **الحكمة** كلها في الصدق ، وكلما كنت صادقاً عند الناس ارتفع شأنك فشعرت بمكانة الرجل الصادق فأنت رأسك مرفوع .

ذكرت قصة فيما سبق ، أعدتُها وكررتها مراراً لأن فيها عبرةً بالغةً وهي أن سائق سيارة رأى امرأة ملفعة بعباءة فأشارت إليه فوقف ، والسيارة من سيارات الأجرة طبعاً ، قالت له : خذني إلى المكان الفلاني وفي منتصف الطريق خلعت ما عليها ، وأعطته مبلغاً بالعملة الصعبة كبيراً جداً ، و قالت خذه واقض حاجتي ، أخذ المبلغ الضخم وقضى حاجتها وحاجته ، وأعادها إلى مكان الانطلاق ، وأعطته رسالة ، فقرأها وذهل ، إذ هنأته على أنه أصبح عضواً في نادي الإيدز ، إنها مصابة بهذا المرض الخبيث ، وتريد أن تنتقم من الناس جميعاً ، ومعها عملة مزورة أيضاً ، فذهب ليبدل هذا المبلغ بالعملة المحلية ، فوقع تحت قبضة العدالة ! فقولوا بربكم أيمكن لمؤمن أن يقع في هذا الفخ ؟ ذاك مستحيل، إنه يخاف من الله .. ولا بد من صرفها بصورة من الصور .

فأنت حينما تُطبق أمر الله **حكيم** ، من دون لف أو مواربة أو تعقيدات ، فالله أمرني ألا أكذب فلا أكذب ، وألا أغش فلا أغش ، أما تحليلات الغش : فهناك قانون اقتصادي ، تروج به الدول الغنية بضاعتها فتعطي قروضاً للدول الفقيرة حتى ينشأ عندها قوة شرائية ، ثم بعد ذلك تقع تلك الدولة تحت نير الديون للدول الكبرى فتستغلها أبشع استغلال لكن المسلم عندما يؤدي زكاة ماله ، وكل غني يؤدي زكاة ماله كذلك ، فينفرج الفقير ويصير ذا مال ويتمكن من أن يشتري قميصاً وبذلة وحذاء وحاجات زائدة وسيوسع على أهل بيته ،دون أن يبتز أحداً أو يحمل أحداً ديوناً ، ومن جهة أخرى عندما دفعت زكاة مالك قطفت كل ثمار الزكاة ، فالفقير صار بخير وأنت بخيرونلت ثواب الله الجزيل .

مؤلف غربي اسمه " ألكسي كارليل " ألّفَ كتاباً (الإنسان ذلك المجهول) وبعد بحث طويل وجد أن نظام البشر لا يصلح إلا بزوجة واحدة ، شريطة أن يقصر الرجل ، طرفه عليها أي أن يغُض بصره ، فأنت من دون تعمق ومن دون أن تقرأ الكتب ، حينما تَغُض

بصرك ملتزماً بأمر الله تقطف كل ثمار هذه **الحكمة** ، فالإنسان يجب أن يكون **حكيماً** ، وكيف يكون **حكيماً** ؟ يكفي أن يطبق أمر الله وأمر رسوله فقط.

اسأل طبيباً فيحدثك عشر ساعات عن الاعتلال بالطعام والشراب ، فالمؤمن من دون أن يفهم كل هذه التفصيلات ، فهو يعرف قول رسول الله صلى الله عليه وسلم " نحن قوم لا نأكل حتى نجوع وإذا أكلنا لا نشبع " انتهى الأمر ، هذا هو الطب الوقائي كله ، إذاً يمكنك أن تقطف ثمار كل المعارف بلا تعمق .. حينما تطبق أمر الله ، إذاً من هو **الحكيم** ؟ هو الذي طبق تعليمات الصانع ، هذا هو **الحكيم** .

أحياناً يكون له موقف ليس فيه تعليمات ، إذ ينشأ ظرف ليس فيه نص آية ولا حديث حول هذا الموقف العارض ، ف**الحكمة** تأتيك إلهاماً من الله . إذاً إما أن تكون الحكمة في أساسها نصاً قرآنياً أو حديثاً نبوياً تُطيقُه فتغدو **حكيماً** وإما أن تكون الحكمة إلهاماً يلقى في قلبك ، لأنك تطلب رضاء الله عز وجل ، وتتكلم الكلام المناسب في الوقت المناسب ، مع من يناسب في المكان المناسب : تعطي وتمنع ، وتغضب وترضى ، وتصالح أو لا تصالح ، فهذه المواقف المتجددة والتي ليس لها بين النصوص نص واضح متعلّق بها ، تصل من الملائكة حينما يلقون في روع الإنسان بعض الإلهامات قال تعالى :

وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾

(سورة القصص)

هذا وحي إلهام وليس بوحي رسالة ، فأحياناً يقول لك : لم ذهبت وأنت لا تعرف ؟ فالله عز وجل يسوق لك الخير الكثير من حيث لا تدري أو يرد عنك أذى أو شراً من حيث لا تدري أيضاً ، فهذه هي **الحكمة** ، فكن مع الله دائماً ، فإن واجهت موقفاً ليس فيه نص لتتصرف فالله عز وجل يلهمك الصواب ، وهذا عين الذي قاله النبي عليه الصلاة والسلام : " أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه ، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه" .

إذاً أنت تكون حكيماً باتباع أمر الله وأمر النبي ، وحينما تشعر بانقباض أو انشراح فهذا نوع من إلهام الله عز وجل لك ، والإنسان كلما كان أكثر إيماناً كان أكثر **حكمةً** ، والنبي عليه الصلاة والسلام كانت **حكمته** من أعلى مستوى ، لأنه قريب مباشرة من الله عز وجل ، ومن الناس من يمشي في طريق مليء بالحفر والأكمات ، والحشرات المؤذية ، وعلى جانبيه أشجار ثمارها يانعة ، فلو أن لديه مصباحاً كاشفاً فهل يمكن أن يخطئ ؟ لا . إذ بالمصباح

الكاشف يرى الحفرة فيتجنبها ، ويرى الأكمة فيبتعد عنها ، ويرى الثمرة فيأكلها ويرى الحشرة فيقتلها ، فمن أين يأتي الحمق ؟ من العمى قال تعالى :

فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَـٰرُ وَلَـٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾

(سورة الحج من الآية ٤٦)

إني لأرى أحياناً أن إنساناً ما يطلّق زوجته بحمق ، وبلا أسباب موجبة في ساعة غضب ، وهذا عمى حقاً ، فإذاً الحمق أساسه العمى وهو يردى ، **والحكمة** أساسها البصيرة في القلب ، ونتائجها تردي:

وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَـٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾

(سورة طه)

كان أعمى في الدنيا ، فنسي أمر الله فآل إلى زوايا النسيان والإهمال ، أما نحن المؤمنين إن شاء الله ، ف**حكمتُنا** في اتّباع القرآن الكريم ، وفي اتّباع السنة المطهرة ، وكلما كنا أكثر إخلاصاً وأكثر ورعاً واستقامةً ألهمنا الله رشدنا ، " اللهم ألهمنا رشدنا وخذ بنواصيها للمواقف **الحكيمة** " .

أخيراً ، إليكم أيها القراء الكرام قصة لعلكم تعرفونها جميعاً ، حصلت منذ خمسين سنة لإمام وخطيب جامع الورد ، إذ رأى في المنام النبي عليه الصلاة والسلام ، فقال له عليه الصلاة والسلام : قل لجارك فلان إنه رفيقي في الجنة ، وجاره سمان ، وهو الخطيب والعالم فتمنى لو أنه بمكان هذا الجار ، طرق باب جاره ، ودخل عليه وقال له : لك عندي بشارة ، ولكن والله لا أقولها لك إلا إذا أطلعتني على حقيقة أمرك وماذا فعلت حتى حللت هذه المنزلة عند الله عز وجل ، فامتنع عن الإجابة وبعد إلحاح شديد ، قال : لقد تزوجت امرأة وفي الشهر الخامس تبين لي أنها حامل وحملها في الشهر التاسع ، فعلمت أنها قد زلّت قدمها، فكان بإمكاني أن أُطلقَها وأن أفضحها ، وأن أسحقها ، وأنا محق في ذلك ، والناس يقروني ، فجئت بمولّدة ، فولدت غلاماً ، وحملته تحت عباءتي ، ودخلت إلى جامع الورد بعد أن نوى الإمام

صلاة الفجر ووضعت هذا الغلام خلف الباب ، واقتديت بالإمام ، فلما انتهينا من الصلاة بكى المولود ، فتحلّق المصلون حوله واندسست معهم ، قلت ما الخبر ، قالوا : مولود ، فقلت : هاتوه أنا أتكفله ، فأخذته أمام أهل الحي على أنني قد تبنّيته ودفعه لأمه التي ولدته قبل ساعات . ومن بعد ، فهذا تصرف أهل التقوى ، وهذا تصرف أهل الحكمة . وإنه لرجل حكيم .

والحمد لله رب العالمين

* * *

الدرس ٢٥ - اسم الله : "الحق"

بســـــــم اللهِ الرحمن الرحيم

مع الاسم الخامس والعشرين من أسماء الله الحسنى والاسم هو اسم " **الحق** " وهذه الكلمة متُداولة بكثرة كثيرة ، والله سبحانه وتعالى هو **الحق** ، وكلامه هو **الحق** ، ووعده هو **الحق**، ووعيده **الحق** ، وأفعاله **حق** .

وكلمة **حق** قبل أن نمضي في الحديث عنها لابد من ضرب الأمثلة : معك جهاز كهربائي ، وبحاجة إلى طاقة كهربائية ، توجهت إلى مأخذ كهربائي ووضعت فيه الشريط ، فالآلة لم تتحرك ، فهذا المأخذ ليس فيه كهرباء ، فتوجهت إلى مأخذ آخر ووضعت فيه الشريط فدارت الآلة ، أول مأخذ باطل ، الثاني **حق** .. فما معنى **الحق** إذاً ؟ ..

الشيء الموجود موجود ، **الحقيقة** أن الله هو **الحق** ، وإذا توجهت إلى غيره فلن تجد شيئاً بل سراباً في سراب ، وعود كاذبة ، وأقوال فارغة ، و كلمات طنانة ، لكنها هراء وهواء ، وإذا توجهت إلى الله عز وجل وجدت كل شيء ، فأول معنى من معاني **الحق** الشيء الموجود ، وأول معنى من معاني الباطل الشيء المعدوم ، والإنسان إذا وعدك وعداً ونفّذَ وعده فوعده **حق** ، فإن لم ينفذ فوعده باطل ، وإذا توهمت أن الجِن بإمكانهم أن يفعلوا كذا وكذا فهذا مجرد وهم ، وفي الحقيقة أن الله سبحانه وتعالى ما أعطى الجن قوةً أبداً ، فاعتقادك أن الجن بإمكانها أن تفعل وأن تؤذي وأن ترفع وأن تخلص فهذا اعتقاد باطل ، لأنه لا يطابق الحقيقة ، وإذا قُلت مثلاً : فلان بإمكانه أن يفعل شيئاً خارقاً فلعلك مخطيء ، إذ هو في الحقيقة عبد مثلك لا يستطيع أن يفعل شيئاً من ذلك ، فقولُك باطل ، فالشيء الموجود واعتقاد وجوده والاعتراف بوجوده ، هذا هو **الحق** ، والشيء المعدوم أن يتوهم الإنسان أن هذا الشيء موجود وهو ليس بموجوداً فهذا الوهم باطل ، وأن تعتقد أن هذا الشيء موجود وهو غير موجود فهذا اعتقاد باطل ، وإذا قلت إن هذا الشيء موجود وهو غير موجود فهذا قول باطل ، والصواب أن **الحق** هو الموجود ، والباطل هو المعدوم ، والاعتقاد **الحق** حينما يوافق اعتقادك الواقع فهو **حق** ، وإذا خالف الواقع فهو باطل ، والقول **الحق** حينما يوافق قولك الموجود فقولك **حق** ، وحينما يخالف قولك الموجود فالقول باطل.

وأخطر ما في الحياة أن تتجه إلى جهة لا تملك شيئاً ، وأخطر ما فيها أيضاً أن تعتقد اعتقاداً غير صحيح ليس له مرتكز واقعي أبداً ، وأخطر كلام تقوله أن تنطق بشيء لا

يرتبط بالواقع ، فما الذي ضيع الناس ؟ الباطل ، وقد تعتقد اعتقاداً وبعد سنين طويلة ينكشف للعالم كله أنه اعتقاد باطل ، وأن هذا المبدأ غير صحيح ، وأن هذا المبدأ ما حقق نفعاً للإنسان ، بل زاده شقاء .

فإذا كنت مع **الحق** فأنت في سعادة كبيرة ، لماذا ؟ لأنك مع الثابت ومع الموجود ، وهذا ملخص الفكرة ، أو هذه هي الخطوط العريضة لها .

والشيء الموجود إما أن يكون واجب الوجود أو ممكن الوجود فالخالق واجب الوجود ، فلابد من أن يكون موجوداً ، ولا يمكن إلا أن يكون موجوداً ، والعقل لا يقبل هذه الدقّة البالغة في الخلق من دون إله خالق ، ومن دون إله مبدع ، ومن دون إله مصمم ، أو إله حكيم ، أو إله عليم أو إله قدير ، فالموجود واجب الوجود ، أما الممكن فهو ما كان ممكن الوجود ، فنحن مثلاً ممكن أن نكون أو لا نكون ، ولا يكون وجودنا حقاً إلا إذا شاء واجب الوجود أن نكون ، ولذلك ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن .

وَقَالَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمۡ وَعۡدَ ٱلۡحَقِّ وَوَعَدتُّكُمۡ
فَأَخۡلَفۡتُكُمۡۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوۡتُكُمۡ فَٱسۡتَجَبۡتُمۡ
لِيۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُمۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصۡرِخِكُمۡ وَمَآ أَنتُم
بِمُصۡرِخِيَّۖ إِنِّي كَفَرۡتُ بِمَآ أَشۡرَكۡتُمُونِ مِن قَبۡلُۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمۡ عَذَابٌ
أَلِيمٞ ٢٢

(سورة إبراهيم)

وعد الشيطان باطل ، وأحياناً الشيطان يخوفك ، وتخويفه باطل وأحياناً يعدك بالفقر ووعده باطل ، و القضية ليست قضية فكرة تتعلمها بل القضية قضيةٌ مصيرية ، فإن كان لك مبلغ في حلب كبير جداً ، ولن تقبضه إلا من الساعة الثانية عشرة حتى الساعة الواحدة من يوم السبت، وهذا المبلغ إذا قبضته يحل كل مشكلاتك ، فإن توجهت إلى المحطة ، وركبت قطاراً يوصلك إلى حلب ، وصلت إلى غايتك ، لكنك قد تخطئ وأنت راكب في هذا القطار عشرات الأخطاء ولكن ما دام هذا القطار في طريقه إلى حلب وسوف تصل إلى هذه المدينة قبل الساعة الثانية عشرة، فأنت في **الحق** ، أما إذا ركبت قطاراً متجهاً إلى درعا في مسار معاكس لمدينة حلب فهذا القطار باطل لأنه لن يوصلك إلى هدفك ، إنه قطار ولكن يتجه بك

إلى عكس هدفك ، و أنا أحاول أن أبدد كل حيرة من أجل توضيح هذا الأمر لأنه دقيق وعميق جداً ، وقد يحتاج الإنسان لتوضيح الحقائق إلى ضرب الأمثلة .

الله هو **الحق** ، و هذا الكون لأن الله خلقه هو **حق** ، وكذلك لأنه موجود فهو حق و لكن هذا الشيء ممكن الوجود ، فيمكن أن يكون ويمكن ألا يكون ، لكن الله سبحانه وتعالى واجب الوجود ، وأن تعتقد بوجوده فاعتقادك **حق** ، وأن تُقر بوجوده فإقرارك **حق** ، وإذا اعتقدتَ بأن زيداً من الناس بإمكانه أن ينفعك فاعتقادك باطل ، أو بإمكانه أن يضرك فاعتقادك باطل ، وإذا قلت هذا فقولك باطل ، فصار الموجود هو **الحق** ، والاعتقاد بالوجود هو الاعتقاد **الحق** والإقرار بالوجود هو الإقرار **الحق** ، وهذه الفكرة النيرة تقودنا إلى فكرة أخرى ، بأن **الحق** في الكون لا يتعدد ، بل أن **الحق** واحد ، لقوله تعالى :

فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ

(سورة يونس آية ٣٢)

فإن اعتقدتّ أحد خلاف ما في هذا القرآن فهو بالدليل القطعي ضال ، وعليه أن يقيل عثرة نفسه .

و إذا اعتقد أن الأجل بحسب العناية بالصحة ، والعناية بالصحة واجب ، فإذا اعتقد أن الأجل متعلّق بذلك فهذا اعتقاد باطل ، لأن الإنسان لا يموت إلا إذا انتهى أجله .

أخٌ كريم من إخواننا الكرام حدثني قصة ، فقال أنا ولدتُ في بيت ولي عمان فوالدي له غرفة ، وعمي له غرفة ، وعمي الآخر له غرفة ، وفي الساعة الرابعة من يوم الثلاثاء ولدت في غرفتنا و الغرفة الملاصقة لها هي غرفة عمي ، وفيها زوجته ، وقد أصيبت بمرض عضال خطير ، وأستُدعي أربعة أطباء لمعالجتها ، ومن غرائب المصادفات أن الأطباء الأربعة اتفقوا على أنها لن تعيش أكثر من ساعة . فأنا ولدت وكبرت وترعرعت ودخلت المدرسة ، وتخرجت فيها وعملت مع والدي ، وتوفي والدي ، وتزوجت ، وانتقلت من بيت إلى بيت إلى بيت ، واشتريت آخر بيت وهو الذي أسكنه وأقيم فيه ، وأصبح عمري خمسة وأربعين عاماً وجاءت زوجة عمي لتزورني قبل أيام . فرغم قول الأربعة أطباء أنها ستموت بعد ساعة ، فلقد عاشت بعد ذلك خمسة وأربعين عاماً ، إذاً كلام الأطباء باطل .

إن الطبيب له علم يدل بـ ـ ـ ـ ـ ـه إن كان للناس في الآجال تأخير
حتى إذا ما انتهت أيام رحلته حار الطبيب وخانته العقاقيـ ـ ـ ـ ـ ـر

عزيزي القاريء ؛ هل تعرف من البطل ؟ البطل هو الذي يأتي اعتقاده مطابقاً للواقع ، ويأتي حديثه مطابقاً للواقع ، وتأتي حركاته مطابقة لمنهج الله عز وجل ، ولنا مثل في آلة غالية الثمن ، معقدة التركيب ، عظيمة النفع ، وأنت حريص حرصاً لا حدود له على أن تستعملها وفْقَ تعليمات الشركة ، فكيف بك وأنت المخلوق الأول ؟ .

إذاً : كلمة (**حق**) ذات شأن وخطر وإني لأتمنى على كل أخ أن يراجع نفسه وحقيقة أفكاره عن الدين ليتبين هل هي صحيحة ؟ وهل معتقداته صحيحة ؟ وهل تصوراته عن الله صحيحة ؟ وهل معتقده بالنبي عليه الصلاة والسلام صحيح ؟ وهل آراؤه في القضايا المعاصرة صحيحة ؟ وما قيمة رأيك أنت ؟

ذكرت ذات مرةً أنه قد جرت حرب أهلية في بلد مجاور ودامت أربعة عشر عاماً ، وانتهت والحمد لله هذه الحرب الأهلية ويمكن وقد مضى عليها زمن ، أن تُفسر تفسيراً عربياً فنقول : هذا البلد أصبح ساحة صراع للقوى العربية ، ويمكن أن تُفسر هذه الأحداث الدامية تفسيراً طائفياً ، كما يمكن أن تُفسر تفسيراً دولياً ، إنه مركز مالي قوي جداً ناقس مراكز أخرى ، ويمكن أن تُفسر تفسيراً قرآنياً ، دينياً ، إلهياً ، قال تعالى :

وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾

(سورة النحل)

هذا التفسير الديني ، تفسير خالق الكون لما حدث ، فأي هذه التفاسير هو **الحق** ؟ إنه التفسير الديني .

إذاً : إذا توجهت إلى تفسيرات أخرى فتكون في باطل ،لقد حصل زلزال ، فهدمت مدينة بأكملها ، هناك تفسير ساذج إذا يقال : إنه تصدع بالقشرة الأرضية أو التواءات داخلية ، فهذا تفسير علمي ، ولكن هذا التفسير لا يتناقض مع التفسير الديني ، قال تعالى :

وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴿١١٧﴾

(سورة هود)

فلن تكون بطلاً إلا إذا استطعت أن تتعرف إلى **الحق** ، وأن يكون اعتقادك **حقاً** ، وأن يكون كلامك **حقاً** ، وأن تكون حركتُك **حقاً** .

وإذا كنت تعاني من مشكلات ، وأن تفسر هذه المعاناة بقلة الحظ ، فهذا تفسير باطل ، وهناك تفسير آخر أن تقول لي حساد كثيرون رموني بحسدهم ، وهذا تفسر باطل أيضاً ، لأنّه لا يستطيع أحد أن يضر أحداً ، إلا إذا كان مستحقاً أو غافلاً ، ولكن إذا قلت ما من عثرة ، ولا اختلاج عرق ، ولا خدش عود إلا بما قدمت أيديكم ، وما يعفو الله عنه أكثر ، فهذا التفسير حق ، وأنت في اليوم الواحد أمام آلاف المقولات الباطلة ، فالبطولة أن تتعرف إلى **الحق** وأن تعتقد **الحق** ، وأن تَنطق **بالحق** ، ولن تكون على **حق** إلاّ إذا عرفته، ولن تعتقد به ، ولن تَنطق به إلا إذا عرفته ، لذلك قال النبي عليه الصلاة والسلام : " أصل الدين معرفة الله " .

ومثلاً عن أصحاب الصنعات ، فلو فرضنا إنساناً تصرفَ في صنعته تصرفاً خاطئاً ، فنقول إن هذه الطريقة باطل ، ولو أشاد إنسان بناء على الشاقول ، فسوف نقول هذا البناء **حق** لأنه سيستمر ، ولو أشاد بناء بلا شاقول فنقول هذا البناء باطل ، لماذا ؟ لأنه سيسقط وينهار . فما هو الحق إذاً ؟ ؛ هو الشيء الموجود ، ولكن يجب أن نضيف إلى ذلك شيئاً فعندما قال ربنا :

وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ ۖ فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ ﴿٨٥﴾

(سورة الحجر)

أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِم ۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآئِ رَبِّهِمْ لَكَٰفِرُونَ

(سورة الروم آية ٨)

وآية :

وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿٢٧﴾

الباطل : هو الشيء الزائل ، **والحق :** هو الشيء الموجود الثابت و من معاني **الحق** الشيء الموجود الثابت ، والآن سنضيف شيئاً، الموجود **حق** ، أما الدرجة الأعلى ، فواجب الوجود ، والدرجة الأعلى كذلك فدائم الوجود ، فواجب الوجود ودائم الوجود ، وهناك أعلى من ذلك ، ولا موجود آخر معه ، إنه واحد في وجوده ، ثم انتهينا إلى درجة أعلى : كامل في وجوده. فهو واجب ودائم وواحد وكامل ، هذه حقائق ثابتة عن الله عز وجل .

الله موجود ، بل هو واجب الوجود ، بل هو أبدي الوجود ، لا شيء بعده ، وهو واحد في وجوده ، وكامل في وجوده . فإذا عرفته بهذه الصفات فقد عرفت كل شيء ، وإن فاتتك هذه المعرفة فاتك كل شيء ، ووالله ما حصلتَ شيئاً ، ولو ملكت أموال الدنيا ، أو ارتقيت إلى أعلى مكانة في الحياة ، ولو حصلت كل الشهوات وما عرفتَ **الحق** ، فلست بشيء ، لأن وجودك ليس ذاتياً ، فلو كان وجودك ذاتياً فليس هناك مانع ، لكن وجودك مرتبط بواجب الوجود ، فإذا شاء واجب الوجود وهو الله أن يلغي وجودك فعندئذ نتهي أمرك كله .

لقد كنا مدعوين إلى عيد مولد في أحد مساجد دمشق ، والذي دعاني وقدم لي بطاقة الدعوة ، أحد إخواننا الأكارم ، فتوجهت إلى مكان الحفل ، وفي مدخله رجال عديدون يقفون لاستقبال المدعوين ، صافحتهم واحداً واحداً ، وسألت الذي دعاني في الطريق ، من الذي أشرف على هذا المولد ، قال لي: عمي فلان والد زوجتي ، قلت له أين عمك ؟ ، قال هو في الداخل فلما دخلت صحن المسجد ، رأيت رجلاً مكتمل الرجولة ، يرتدي الثياب الأنيقة مورد الوجه نشيطاً ، ولم أكن أعرفه من قبل ، فرحب بي ترحيباً حاراً ، وأفاض ، فدخلت إلى مكاني في الحفل ، وكان أحد الإخوة الأكارم يلقي كلمة ، وأثناء إلقاء كلمته ، تحرك اثنان من المدعوين ، فما فهمت لِم تحركا ، ثم ألقيت كلمتي التي استغرقت عشرين دقيقة ، وبعد أن أنهيت كلمتي ، جاء رجل وهمس في أذني أن هذا الذي استقبلك في صحن المسجد قد توفي ، وما استمع إلى كلمتك .

لا تعجب فأنت ليس واجب الوجود بلأنت ممكن الوجود ، والدليل واجب الوجود أنهى وجوده ، بثانية ، فقد كان ينتظر أن ألقي كلمة ، فما استمع إليها ، وبعد أن دخلت وقع ومات ، و نحن والله لم نُصدق ، أُنهي الحفل ، وذهبنا إلى المستشفى ، ودخلنا إلى غرفة العناية المشددة فإذا هو مسجى ، قد فاضت روحه إلى بارئها ، فأنت ليس واجب الوجود بل ممكن الوجود ، وأنت ليس **حقاً** ، فالله هو **الحق** ولو كنت **حق**اً لسرى عليك قوله تعالى :

فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٨٧﴾

(سورة الواقعة)

نعم . إنني مدين ، وكلنا مدينون .

وإذا هطلت الأمطار عمت الفرحة وشملت العباد والبلاد ، لكن لو أن السماء انحبست،فما مصيرنا ، وما وجودنا ؟ إذ ستجف الآبار والأنهار ، والنباتات تصير إلى الذبول واليبس ، والسؤال الذي يطرح نفسه ، فهل وجودنا ذاتي ؟ لا ، نحن وجودنا متعلق بمشيئة واجب الوجود ، وفي المطر ، وفي كل شاردة وواردة ، وفي كل صغيرة وكبيرة .

وكم يكون هذا الإنسان غبياً إذا ظن أنه موجود وأنه واجب الوجود وأنه يعمل وأنه يكسب المال ، فهذا هو الباطل ، وهو اعتقاد باطل ، فأنت كُلما تعرفت إلى الله صغُرت نفسك في عينك وكبر في عينك الله سبحانه وتعالى ، فمن هو المؤمن إذاً ؟ الذي لا يرى إلا الله .

إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ

(سورة الفتح)

فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ۚ وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾

(سورة الأنفال)

إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ

وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾

(سورة هود)

فَكِيدُونِى جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾ إِنِّى تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّى وَرَبِّكُمْ ۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾

(سورة هود)

قد تسأل ؛ لماذا يتكلم فلان بما ليس قانعاً به ؟ .. لأنه لم ير أن الله هو كل شيء ، فلعله رأى الله عظيماً ، كما رأى فلاناً عظيماً ، فهو يرى أن زيداً وعبيداً وفلاناً بإمكانهم أن يفعلوا و يرفعوا و يخفضوا، و ينفعوا و يضروا ، و كلما نقص توحيدك ازداد شركُك ، فاعتقادك غير صحيح .

فكيدوني جميعا ثُم لا تُنْظرون * إني تَوكلْتُ على الله ربي وربكُم ما من دابة إلا هو آخذٌ بنَاصيتها إن ربي على صراط مستَقيمٍ

فالقضية أخطر بكثير من أننا استمعنا إلى محاضرة فذة معانيها مقنعة ، مؤثرة ، هادفة ثم تفرقنا إلى بيوتنا ، إن جلل ، فالأمر يتعلق بحياة أبدية ، فهل أنت على **حق** وهل اعتقادك **حق**، وهل تصوراتك **حق** ، أو أفعالُك **حق** ، ومواقفُك **حق** ، و هل أعطيت **بالحق** أم بالباطل؟ و هل منعت **بالحق** ؟ وغضبت **بالحق** ؟ و رضيت **بالحق** ؟ .

هناك غضب **بالحق** ورضى **بالحق** ، وإعطاء **بالحق** ، ووصلة به أو قطيعة **، و**حينما تعرف **الحق** أنه واجب الوجود وأنه أبدي الوجود وأنه واحد في وجوده ، وكامل في وجوده ، و لا موجود سواه ، وإليه المصير ، فعندئذ تقطع كل العلائق مع أي كان ، وتتجه إلى الخالق . فالقضية أخطر بكثير من أن الإنسان حضر مجلس علم ، وأخطر بكثير من أنه صلى ركعتين ودفع ليرتين ، لأن الأمر أمر مصير أبدي ، والقضية قضية **حق** أو باطل ، قال تعالى :

فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾

(سورة يونس)

وشيء آخر ثم اعلم أيها القاريء العزيز أنك لو اعتقدت اعتقاداً ليس قطعياً ، إذ سألك سائل : هل أنت مؤمن بالجنة ؟ فقلت : والله أغلب الظن أن هناك جنة ، فهل علمت أن هذا اعتقاد باطل ، ولن يغنيك شيئاً وهل أنت مؤمن أن الله عز وجل سيسألك عن كل صغيرة وكبيرة ؟ فقلت : لن يدقق ، ولن يحاسبنا إلا على قدر عقولنا .. فهذا اعتقاد باطل أيضاً ، وهل أنت مؤمن بقوله تعالى :

أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِى ٱلنَّارِ ﴿١٩﴾

(سورة الزمر)

فالله سبحانه يخاطب النبي ، أي يا محمد ، أفمن حقت عليه كلمة العذاب أفأنت تنقذ من في النار .

وقد تقول كما يقول بعضهم : لقد حكى لنا فلان حفظه الله ؛ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لن يدخل الجنة حتى يدخل كل عصاة أمته ، فنحن إذاً والحمد لله مصيرنا معروف ، فهذا اعتقاد باطل وإن هي إلا أماني ، وإن هم إلا يظنون . ولا بد من مراجعة حساباتك ، إذ الإنسان أحياناً ومن خلال دروس في المساجد متقطعة ، ومن خلال خُطب غير دقيقة ، ومن خلال أقوال في جلسات غير صحيحة ، فيتسرب الباطل إلى ذهنه وعند ذلك سوف يتصرف بالباطل . فمثلاً لِم تغش يا فلان ؟ فيقول : أنا عندي أولاد والنفقات باهظة فماذا أفعل ؟ فهذا كلام باطل ، إذ غاب عن ذهنه أن الله هو الرزاق ذو القوة المتين ، وإن لكل حسنة ثواباً ولكل سيئة عقاباً ، فأولى بك وأجدر أن تُنقّح عقيدتك من كل غلط اتهم به الأنبياء :

وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾

(سورة يوسف)

فتبادر إلى القول : هذا نبي ولن يقع في الزنا ، وإن هذا اعتقاد باطل ، وهو التفسير للآية باطل " **وَلَقَد همتْ بِه وهم بِها** "، همت بجذبه فهم بدفعها ، أو تقرأ : ولقد همت به وقف . ثم تقرأ : وهم بها لولا أن رأى برهان ربه ، فهذا هو التفسير الحق ، عن الأنبياء .

الله عز وجل يلقي نوراً في قلب المؤمن يريه **الحق حقـاً** والباطل باطلاً ، أما بعض التفاسير تورد أنه رأى أباه في المحراب فقال له إياك ، فهذا لا يستقيم ، فنحن نريد التفسـير **الحق**.

وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾

(سورة السجدة)

فيجب أن تفهم القرآن فهم **حق** وليس فهم باطل ، وأن تفهم كلام النبي فهم **حق** :

عن أبي هريرةَ قالَ قالَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم والذي نَفْسي بيده لو لم تُذْنبوا لذَهب الله بِكُم ولجاء بِقَومٍ يذْنبون فيستَغْفرون الله فيغْفر لهم *

(صحيح مسلم)

ماذا يعني بهذا الحديث ؟ هل تقترف الذنوب جزافاً ؟ ليس هذا هو المعنى ... المعنى إذا بلغتم درجة لم تشعروا بذنوبكم فأنتم موتى ، لذَهب الله بكم فمن أمضى سهرة بالغيبة ونام مرتاحاً، فالنبي الكريم قال:

" الغيبة أشد من الزنا " .

(رواه ابن أبي الدنيا والطبراني والبيهقي مرفوعا)

فإذا ارتكب الإنسان المعاصي ولم يشعر بشيء فهو ميت ، أما المؤمن فيملأ الليل بالعمل الصالح ، فيجب عليك أن تكون عقيدتك صحيحة ، عن الله عز وجل ، والله قال :

يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ ظَنَّ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِۖ

(سورة آل عمران من الآية١٥٤)

وهناك خلق كثير أكثر أفكارهم عن الله ورسوله مغلوطة ، وأكثر تصوراتهم و معتقداتهم خاطئة ، فمثلاً يقولون : إن رسول الله كان ماشياً في الطريق فطرق باب زيد ، ففُتح الباب ، وبدت زوجته زينب من دون ثياب وقد وصل شعرها إلى أسفل ظهرها فأُعجب بها النبي وقال سبحان الله ، سبحان مقلّب القلوب !.. من قال لك إن هذه القصة صحيحة ؟ من قال هذا ؟ فهل نبي عظيم يفعل هذا ؟ فأنت إن كنت مؤمناً فلن تفعله ، لذلك فهذه الخرافة باطلة ، مدسوسة دساً على الإسلام ونبيه .

وَلَقَدۡ عَلِمۡنَا ٱلۡمُسۡتَقۡدِمِينَ مِنكُمۡ وَلَقَدۡ عَلِمۡنَا ٱلۡمُسۡتَـٔۡخِرِينَ ﴿٢٤﴾

(سورة الحجر)

ويزعم أحدهم أن امرأة حسناء صلّت بين الصحابة ، وهل يعقل أن تصلي امرأة بينهم ؟ و هي وضيئة و حسناء ، وبعضهم صلى خلفها ليرى محاسنها في أثناء الركوع والسجود وبعضهم صلى أمامها ، فنزل قوله تعالى : " **ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين** "، إنه تفسير باطل ، وقول سوس والصحابة أعظم من ذلك، وهؤلاء أصحاب رسول الله ، فأنت ينبغي أن تعرف **الحق** ، وأن تعرف ما يليق **بالحق** ، وأن تعرف أسماء الله الحسنى وصفاته الفُضلى ، ويجب أن تعرف ما يليق بالأنبياء ..

أما عن النبي داوود فيقولون : عنده تسع وتسعون امرأة ، وأحب زوجة أحد قواده ، فقال قدموه قدموه في الحرب لعله يموت ونأخذ زوجته ، فعاتبه الله عز وجل وقال يا داوود أعرض عن الهوى ، هذا تفسير غير صحيح ، والصواب أن سيدنا داوود انشغل بعبادته عن حل مشكلات الخلق ، فأرسل الله له ملكين تسورا المحراب ، وافتعلا خصومة وسمع من الأول ولم يسمع من الثاني ، وقال للأول متسرعاً : قد ظلمك ، ليعود إلى مصلاه ، فالهوى

الذي نهي عنه هوى رفيع ، هواه في الإقبال على الله عز وجل فيجب أن تُفسر التفسير الذي يليق بالأنبياء ، ويليق بهذا الدين العظيم ، ونحن نريد أن نعتقد اعتقاداً صحيحاً ، ونقول قولاً صحيحاً ، وأن نُطبق تطبيقاً صحيحاً لنكون على **الحق** .

وأعود فأقول : **الحق** ؛ هو القول المطابق للواقع بدليل ، أنك إذاً لا تقبل كلاماً غير صحيح ، لا يطابق الواقع ، إذ هناك دجالون كثيرون ، يزخرفون القول فيدعون مثلاً أن هذه علاقتها مع زوجها سيئة، فيقولون لها ، إنك تحتاجين إلى خروف أسود وأبيض ، تذبحينه لكي يحبك ، فهذا كلام باطل ، كله دجل وكذب ، وليعلم كل مسلم أن بين أظهرنا كتاب الله القرآن الكريم ، فالنأخذ بما فيه ، إذ به انتصر الصحابة وفتحوا الأمصار ، ونشروا الإسلام ، والبعض يدعون إلى الله عز وجل عن طريق ضرب الشيش مثلاً ، فماذا أفاد المسلمين ؟ ما أفادوهم بل ضلّوهم ، ولو أن مريضاً يشكو آلاماً مبرحة في المعدة ، وزار طبيباً ، فقال له انتظر ، ونصب حبلاً في العيادة ، وصعد يمشي عليه فرأى المريض أعمالاً خارقة ، وهو مريض ويحتاج إلى دواء وعلاج ، فماذا يستفيد إذا سار الطبيب على حبل وكان بهلواناً .

سردت هذه الأمثلة وأطلت لأننا بحاجة إلى علاج ، وإلى راحة نفسية وإلى توازن ، وإلى سعادة و إلى حقيقة ثابتة لا تكشف الأيام أنها زائفة ، ويمكن أن يعتقد المرء اعتقاداً ما إلى أمد طويل وفي النهاية يظهر أن هذا الاعتقاد باطل ، و لا أساس له من الصحة ، وما سبب إلا دمار الإسلام والمسلمين ، إذاً كلمة **الحق** ، الله هو **الحق** .

لابد من أن يعرف المسلم أن اعتقادك إذا كان مطابقاً للواقع فهذا الاعتقاد **حق** وأن قولك إذا كان مطابقاً للواقع فهذا **حق** .

وما قولك إذا ركب أحدهم سيارة ، فقيل له لم هذا الضوء وما فائدته ، وهو ضوء صدر عن ساعة الزيت ، فأجاب : إنه يتألّق ليسليك في الطريق ، وليس له غاية أخرى ، فهذا التفسير صحيح أم غلط ؟ وهل التصديق صحيح أم غلط ؟ وهل الكلام صحيح أم غلط ؟ كله غلط ، لأن هذا لو تألّق وبقيت ماشياً لاحترق المحرك ، فيكلفك خمسين ألفاً ، أما لو تألّق ووقفت مباشرةً فيكلفُك مائة ليرة فقط .

يجب أن تكون معلوماتك ، وتصوراتك ، واعتقادك ، ومواقفك، وعطاؤك ومنعك وصلتك وقطيعتك وغضبك وسرورك ، كله **بالحق** ، والنبي كان يمزح ولا يمزح إلا حقاً ، فيمكن أن تمزح و لكن مزح حق ، لا خدشاً لمشاعر إنسان ، ولا تحقيراً لأحد ولا تحقيراً لحرفة أو مهنة، ويمكن أن تروي طُرفة ممتعة وأنت صادق وبحق ، فالنبي كان يمزح ، ولا يمزح إلا حقاً.

كلمة " **حق** " أتمنى على الله عز وجل أن تكون واضحة ، وبالقرآن وردت مئات المرات ، والله هو الحق **،** أما معنى إحقاق **الحق**، وأن كل ما سوى الله لا وجود له إلا بالله ،

وفي أية لحظة إذا أراد الله لشيء أن يزول فإنه يزول ، كن فيكون زل فيزول ، إذاً ما سوى الله ممكن الوجود وإذا وجِد فبالله ، وإذا استمر فبالله ، وإذا انتهى فبالله ، و هناك دعاء للنبي عليه الصلاة والسلام : " اللهم أنا بك وإليك " . موجز أنا بك : يعني قائم بك ، والله سبحانه ماذا قال ؟ قال : قل اللهم مالك الملك، مالك الملك ، وكل شيء يملك فالله مالكه فعينك ملكه ، وأنت ترى بها ما دام قد سمح لك أن ترى بها ، وفي أية لحظة لو شاء أن تفقدها لفقدتها بلا سبب فالله حق .

والسمع يملك ، والأصل أن الله مالكه ، واللسان يملك ، حدثني أخ قال لي : بمشفى الأمراض العقلية ، هناك مهجع خطير جداً ، رقم ٦ هذا المهجع نزلاؤه كما خلقهم الله عز وجل ، يمزقون كل ثيابهم، ويأكلون من نجاساتهم ودمائهم وشعورهم ، أي شيء يوضع في هذا المهجع يتلف ، أقوياء البنية ، لكن عقولهم معطّلة ، فأنت لك مركز ، ولك عمل ، وتُتقن حرفة ، وأنت قائم بالله ، فلو أخذ ما أوهب انتهيت ، وبيتك أنت عمرته ، ورتبته وزينته فلو صار في عقلك خلل ، فأهلك يطرقون أبواب المسؤولين حتى يسمحوا لهم أن يضعوك في مستشفى الأمراض العقلية ، ويتوسلون ويرجون . بينما كنت أنت الأب وأنت مالك البيت ، وأنت الذي اشتريته ورتبته ، لكنك الآن سلبت مل ما تملك ، وفي أية لحظة قد يفقد الإنسان عقله ، أو يفقد بصره ، أو سمعه . و أنت عندك كليتان تعملان بانتظام ، وإلى الآن لم يعرف الطب سبب هبوط وظائف الكليتين الفجائي ، فجأةً تقف الكليتان عن العمل ، فتصبح الحياة جحيماً ، لا يطاق ، فيعرض على الطب كل أسبوع مرتين ، وكل مرة سبع ساعات ، مرة بهذه اليد ومرة بالأخرى ، ومرة بالقدم ، ويبقى بالمئة عشرون من حمض البول (الأوريه) بالدم ، تُسبب لك مواقف عصبية صعبة ونرفزة وضيق نفس ، أين آمالك ، هل تملك كليتيك لا والله ، وهل تملك دسام القلب لا والله ، وهل تملك الشرايين التاجية وأن تبقى واسعة ، وعندما تضيق تمشي مترين فتقع ولا تستطيع أن تُكمل سيرك .

قال لي أخ : كنت أصعد إلى الطابق الرابع بسهولة فصرت إلى الثالث أتعب ثم إلى الثاني ، ثم إلى الأول ، ثم بعد درجتين أتعب ، أجريت له عملية بكلفة مليون وما نجحت ، فهل أنت تملك شرايين قلبك؟ لستَ بمالِكها ، وهل تملك البنكرياس لتعطيك الأنسولين بشكل منتظم ؟ إنك لا تملكه ، وإذا قصر بواجبه هرولت مستغيثاً . أدركوني . أدركوني.

لي قريب في ريعان شبابه ، أصيب بفقر الدم ، وهو من أسرة غنية ، وغذاؤه جيد والكريات ثلاثة ملايين بالميليمتر المكعب ، كان يدرس الطب في الجامعة ، إلى أن اكتشف أحدهم أنه يوجد خلل في الطحال ، فأخذوا عينة إلى المخبر ، فوجدوا الطحال ليس مقصراً .. بل يقوم بنشاط زائد ، و الطحال مهمته إذا وجد كرية ميتة يحللها إلى هيموغلوبين وإلى حديد ، فيرسل الحديد بطرود بريدية إلى نقي العظام ليعاد تصنيعه مرةً ثانية ، ويرسل الهيموغلوبين

إلى الكبد ليكون الصفراء فصفراء الكبد ، وحديد نقي العظام أساسه تحلل كريات الدم الحمراء الميتة ، فهذا الطحال نشيط بزيادة .. وكلما مات ميت أخذ كفنه فذهب إلى حي وقتله وأخذ ملابسه ، هذا الطحال يقوم بنشاط زائد عن نشاطه الحقيقي ، ووقضى الشاب لسوء عمل الطحال . بل قل إنتهى أجله . والله حق .

فأنت حياتك مرهونة بسلامة الطحال بحيث لا يزيد نشاطه والأنسولين لا ينقص والدسام ألا يخطئ والشريان ألا يضيق ، والكلية ألا تقف ، والأعصاب والعضلات ، واعلم أن نقطة دم في الدماغ تسبب الشلل ، وأنتَ لا تملك شيئاً :

قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾

(سورة آل عمران)

وأما عن وجودك أيها الإنسان وسعادتك ، فأحياناً يعطيك الله الدنيا مع الإنقباض ، فكل المال ليس له قيمة ، ولو أعطاك المال وسلب منك الطُمأنينة فحياتك في قلق ، ولو أعطاك المال وسلب منك الصحة ، أو الاستقرار والشعور بالأمن ، فحياتك لا قيمة لها ، قال تعالى :

وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا ۚ فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾

ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾

(سورة الأنعام)

أيها القاريء الكريم : أهم ما في حياتك أن تعرف الحقيقة ! ابتدأتُ الحديث معك أن لو كان لديك آلة وأنت مضطر لتشغيلها ، وهي تحتاج إلى طاقة كهربائية ، فتوجهت إلى مأخذ لا طاقة فيه ، فهذا المأخذ باطل ثم توجهت إلى آخر فكان المأخذ الآخر صالحاً ، إذاً هو **حق** ، ف**الحق** الشيء الموجود ، بل هو واجب الوجود ، و دائم الوجود ، و واحد في وجوده ، و كامل في وجوده ، فهو واجب دائم واحد كامل ، واعتقادك هذا **حق** ، واعترافك هذا **حق** .

لذلك أعود فأقول : إن (**الحق**) ؛ كل قول وافق الواقع بدليل، أما بلا دليل فصار تقليداً فإذا قال أحدهم أشهد أن لا إله إلا الله ، فحقيقة الكلام **حق** ، وما الدليل ؟ إنه لا يعرف ، فهذا كلام بلا دليل ، **فالحق** أن يأتي كلامك مطابقاً للواقع مع الدليل.

وبعد ، لو كان اعتقادك **بالحق** اعتقاداً غير قطعي ، فلا قيمة له ، قال تعالى :

ذَٰلِكَ ٱلْكِتَـٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾

(سورة البقرة)

إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَـٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّـٰدِقُونَ ﴿١٥﴾

(سورة الحجرات)

فلو كان في اعتقادك ارتياب ، أو تردد ، أو عدم قطع ، أو كان اعتقادك بالشيء ثلاثين بالمئة فما دون فهذا اسمه وهم ، وإن كان اعتقادك خمسين أو حول خمسين بالمئة فهذا اسمه شك، وإذا كان اعتقادك سبعين بالمئة فما فوق فهو ظن ، ولو كان اعتقادك تسعين بالمئة فهذا أطلقوا عليه " غلبة ظن " ، أما إذا كان مائة بالمائة ، فهذا هو الحق و إيمانك بالجنة والنار والحساب لابد أن يكون قطعياً ، وأن المرابي سوف يمحقُ الله ماله وأن الزاني سوف يفتقر ، وأن الذي يطلق بصره لا بد من أن يشقى في بيته ، وأن الذي له مال حرام سوف يتلفه الله ، وأن هناك وقفة بين يدي الله عز وجل ، فإذا اعتقدت بهذه الأمور اعتقاداً قطعياً جازماً مائة في المائة ، فأنت على **حق** ، **فالحق** لا يتناسب معه الظن ، ولا غلبة الظن ولا الشك ولا الوهم ، قال المعري :

زعم المنجم والطبيب كلاهما لا تحشر الأجساد قلت إليكمـ ـ ـ ـا
إن صح قولكما فلست بخاسر أو صح قولي فالخسار عليكمـ ـ ـا

هذه عقيدة باطلة ، وقولهم إذا كان هناك آخرة نجونا ، وإن لم توجد فما خسرنا شيئاً ، فهذا ليس ديناً ، بل هو شك ؛ وعدم تصديق بكلام الله .

الحق لا يتحمل وهماً ولا شكاً ولا ظناً ولا غلبة ظن ، ولا يناسبه إلا القطع .

أكرر : **الحق** هو كل قول مقطوع به ، موافق للواقع ، وأي قول خالف الواقع فهو باطل فيمكن أن تنفي عن الدين آلاف الأفكار ، وآلاف المعتقدات الزائفة ، وآلاف القصص

الباطلة ، وكل شيء خالف الواقع كذلك .. عزل سيدنا عمر سيدنا خالداً ، هذا الذي خاض مائة معركة أو زهاءها وفي كل هذه المعارك كان منتصراً ، ففي كثير من كُتب التاريخ يقول مؤلّفوها: كان بينهما حزازات في الجاهلية ، فلما صار خليفة شفى غليله وعزله ! أهكذا كان أصحاب رسول الله ؟! لو كانوا كذلك والله الذي لا إله إلا هو ما خرجوا من مكة ، ولم يفتحوا مصراً واحداً .. وأنت تسمع تفاسير كثيرة جداً حول عزل عمر لخالد ولقد عثرت أخيراً على تفسير **حق** ، جاء سيدنا خالد إلى سيدنا عمر ، فقال له، يا أمير المؤمنين لِم عزلتني ، فقال : والله إني أحبك يا أبا سليمان ، فقال : لِم عزلتني ، فقال : والله إني أحبك ، فقال : لِم عزلتني ، قال : والله ما عزلتك يا ابن الوليد إلا مخافة أن يفتتن الناس بك ، لكثرة ما أبليت في سبيل الله .

" كاد الناس يظنون أنك أنت الذي تنصرهم ، خفت على العقيدة ، فأردت أن أريهم أنني لو عزلتك يبقى النصر ما دمتم مؤمنين هذا التفسير للحادثة يليق بسيدنا عمر ، ويليق بسيدنا خالد ، وهذا تفسير **حق** "

وأحياناً تقرأ تفاسير للأحداث وتقرأ قصصاً غير صحيحة وغير معقولة ، فتهتز بها الصورة المتألقة للصحابة الكرام ، وهذا من عمل الشيطان وأهل الزيغ والباطل .

إذاً : **الحق** لا يقبل الشك ولا الوهم ولا الظن ولا غلبة الظن ، ولا يقبل إلا القطع .

ونسمع من يقولون في زماننا : إن هذا الكلام واقعي إلى حد ما ! فقولهم : " إلى حد ما " ليس حقاً ، بل يحمل كل معاني الشك ، وواقعي بالمائة ثمانين فليس حقاً ، وواقعي بالمائة خمسين فليس حقاً ، وواقعي نوعاً ما ، فليس حقاً الحق واقعي مائة بالمائة ، دائماً وأبداً .

وهو ما كان مقطوعاً به ، وموافقاً للواقع ، وعليه دليل ، ولو ألغي الدليل لصار تقليداً ، ولو اعتقدت تقليداً فعقيدتك غير مقبولة .

وإذا قبلنا التقليد بالعقيدة ، كأن يقول لك إنسان : الله عز وجل ليس رحيماً وهذه الكوارث والمصائب والأمراض دليل على ذلك . فتقول صحيح وأنا سأقلدك الآن ، فإذا كان يوم القيامة ، فيقول لك الله عز وجل، لِم اعتقدت أنني غير رحيم تقول: يا رب أنا قلدت فلاناً هو قال كذلك فصدقته ، فيقال لك : أين عقلك ؟ لذلك لا يمكن أن تقبل من الإنسان العقيدة بالتقليد ، فلا تقبل بلا دليل ولا ترفض بلا دليل ، بل عود نفسك المنهج العلمي ، فإن حدثك أحد بقصة ، فقل : ما مصدرها ؟ وإذا كنت ناقلاً فالصحة ، إذا كنت مدعياً فالدليل ، ولا يبنى شيء على أغلب الظن:

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّـذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمَۢا بِجَهَـٰلَةٖ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَـٰدِمِينَ ﴿٦﴾

(سورة الحجرات)

الحق يحتاج إلى دليل ، وإلى مطابقة للواقع وإلى قطع ، فإذا استطعتَ أن تعمل مراجعة لِكُلّ أفكارك وكُل معتقداتك وكُل تصوراتك حتى تجعل منها كلها مطابقة للواقع قطعية الثبوت وعليها دليل فأنت من الفائزين ، وإن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم ، كما قال عليه الصلاة والسلام : " يا ابن عمر دينك دينك إنه لحمك ودمك ، خذ عن الذين استقاموا ولا تأخذ عن الذين مالوا " .

فالله هو **الحق** ، وكلامه هو **الحق** ، والجنة **حق** ، ومعنى **حق** موجودة ، والنار **حق** ، والحساب **حق** ، والعذاب **حق** ، والصراط **حق** والحوض **حق** ، وغض البصر **حق** ، فما معنى **حق** ؟ أي لو طبقته عملياً لقطفت ثماره ، والأمانة **حق** ، فلو كنت أميناً لوثقَ الناس بك فالأمانة غنى ، وأي شيء تُطَبِقُه ، تقطف ثماره ، فالوقت ثمين وغال والحياة لا تحتمل إلا التطبيق ، وإن كنت من رواد المساجد ، فإن لم تطبق ما تتعلم فلن تقطف شيئاً ، وتكون كل حركاتك عشوائية ، والتطبيق هو الجانب العملي . قال تعالى : **وقل اعملوا** .

وهذا الكلام مؤداه خطير ، فمؤداه أن تتعامل مع الدين تعاملاً جدياً ، فتصل إلى الغاية والهدف .

ثم انظر ملياً فحينما تقول إن في الدار الآخرة أبدية والحياة الدنيا زائلة فهل عملك يتوافق مع اعتقادك ؟ قد يكون الاعتقاد **حقاً** ولكن التطبيق باطل ، وهل تقبل من طبيب أن يقول لك ، إياك والدخان فإنه سرطان في الرئة وضيق في الشرايين ، وجلطة وهو يدخن أمامك ، فهذا كلامه باطل ولو كان يوقن بما يقول ما فعل هذا .

إذاً : كلمة " **حق** " مدلولاتها كبيرة جداً ، فالله هو **الحق** ، ومعنى هو **الحق** ؛ لابد من أن يظهر **الحق** ، وإن كنت على **حق** فلابد من أن ينصرك ولو بعد حين ، أما إن كنت على باطل فلا بد من أن يخذلك ولا بد من أن يفضحك ، فكُن مع **الحق** أبداً ، وإلاّ فهناك خذلان وفضيحة ولكن المشكلة ، التي أتمنى من الله عز وجل أن تكون واضحة عند كل مسلم ، هي أن الله عز وجل يرخي الحبل ، ومعنى يرخي الحبل ، أي يمهلك إلى أمد بعيد أن تفعل ما تشاء وأنت سالم، وتتصرف باختيارك ، ولو عاجلك بالعقوبة عند كل خطيئة لاستقمت ولكن استقامتك ليسن عن حبٍ لله عندئذ ، ولا عن طاعة له ، بل تستقيم خوفاً منه ، وعندئذ

أنت لست مخيراً بل مسير، و معنى مخير أي يمكنك أن تأكل مالاً حراماً وتستمتع به سنوات طويلة وبعدئذ تلاق العقوبة المرة ، وتنوء تحتها وقس على ذلك الشيء الكثير من الحرام .

قال تعالى :

كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ﴿٥﴾ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ﴿٦﴾ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ﴿٧﴾

(سورة التكاثر)

كذلك إذا رأيت دخاناً وراء جدار فستحكُم مائة بالمائة أنه لا دخان بلا نار ، ثم ذهبت إلى خلف الجدار ، فرأيت لسان اللهب ، فمشاهدة الدخان علم اليقين ، وعندما وقعت عينك على ذات النار فهذا عين اليقين ، فإن قربت يدك منها فلسعتك بحرارتها فهذا **حق** اليقين ، **الحق** مائة في المائة وهو يقين ، علم اليقين وعين اليقين **وحقُ** اليقين . "**كلا لو تَعلمون علم اليقين(٥)لتَرون الجحيم(٦)ثُم لتَرونَها عين اليقين(٧)** "

إذاً لا بد من أن نتعرف إلى **الحق** ، ولا بد من أن نعتقد **حقاً** وأن نقول **حقاً** وأن نسلُك المنهج الصحيح لنكون على حق ، وحتى نستحق أن يرفعنا الله عز وجل ، وحينما **يحقّ** الله **الحق** يسمح لعباده الطائعين أن يرفعهم ، وليس سوى الله عز وجل قال :

وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۘ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ۚ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾

(سورة القصص)

إذاً الملخص الذي ينطق بالحق هو : يا رب ماذا فقد من وجدك وماذا وجد من فقدك وإذا كان الله معك فمن عليك ، وإذا كان عليك فمن معك .

وهناك في الكون حقيقة واحدة وهي الله ، كل شيء يقربك منها فهو **حق** ، وكل شيء يبعدك عنها فهو باطل ، فعليك أن تعرف الله ، وأن تعرف منهجه ، وأن تُطبقه ، وهذا هو الحق ، وما سوى ذلك كله باطل ، والمؤمن يرى بأم عينه ، أن الباطل قد يصمد سبعين عاماً وبعدئذ يتهاوى كبيت العنكبوت ، لأنه باطل فالفكرة باطلة والمبدأ باطل والتطبيق باطل .

وإذا رأيت بأم عينك جداراً بني يلا شاقول ، فالمهندس لابد قائلٌ: إن الجدار سينهار لا محالة ، لأن بناءه باطل:

وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَـٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَـٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾

(سورة الإسراء)

إن الباطل من صفاته الثابتة أنه زهوق ، وإن كان الاعتقاد باطلاً فهو زهوق ، وإن كان السلوك باطلاً فهو زهوق .

والحمد لله رب العالمين

* * *

الدرس ٢٦ - اسم الله : "الودود"

بسم الله الرحمن الرحيم

مع الاسم السادس والعشرين من أسماء الله الحسنى والاسم هو **الودود** ، لقول الله عز وجل ، في سورة البروج :

وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ﴿١٤﴾

(سورة البروج)

الله سبحانه وتعالى **ودود ..**

الودود على وزن فعول ، من صيغ مبالغة اسم الفاعل ، واسم الفاعل **واد** والمصدر هو **الود** ، إذاً اسم **الودود** أصله من **الود** ، فماذا تعني كلمة **ود** ؟

في المعاجم ؛ **الود** هو الحب ، ولماذا سمي الحب حباً ؟ قال الحب مأخوذ من حبب الأسنان ، وحبب الأسنان صفاؤها وبياضها ونقاؤها ، وأسنان بيض ناصعة نظيفة نقية صافية ، فالذي يحب الله عز وجل من خصائصه الصفاء والنقاء والطُهر والإخلاص .

والحب من أحب البعير ؛ أي استناخ ، فالمحب خاضع لمحبوبه ؛ فنأخذ من حبب الأسنان الصفاء والنقاء ، ونأخذ من أَحب البعير أي أناخ أي خضع ، فإن المحب لمن يحب يطيع ، والمحب : مستعل ، والمحب خاضع ، والمحب متواضع ، والمحب متذلل ، والحب هو القرطُ ، والقرط ما تضعه النساء من الحلي في آذانهن ، ومن شأن القرط أنه دائم التقلقل فالمحب يتقلّب في اليوم الواحد من عشرين إلى أربعين حال ، أما هذا الذي يلزم حالاً واحدة فهو منافق ؛ فالمحب يتقلب من الخوف إلى الرجاء ، إلى السكينة إلى القلق إلى السرور إلى السعادة إلى الشعور بالخطر إلى القلق على محبوبه وما دام هناك حياة فله حركة ، أما الميت فهو ساكن ، والذي مات قلبه تسكُن أحواله ، إذاً من معانيه : والمنافق يمضي عليه أربعون عاماً ولا يتغير ، حالُه حال السكون ، لكن الحياة فيها غليان ، وفيها تقلّب وفيها تغير من حال إلى حال . فالحب ؛ إذاً من معاينة : القرط ، ومن شأن القرط التقلقل والتحرك .

والحب ؛ من الحبة التي تنبت شجرة ، فالحب له ثمار يانعة مثلُ كلمة طيبة ، أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين .

وهذا يعني أنك إذا أحببت الله ، فحبك لله عز وجل بذرة ، تنبت شجرة وارفة الظلال يانعة الثمار باسقة الأغصان ، خيرها دائم وظلُها كل هذه المعاني ، الصفاء والنقاء والخضوع والتذلل والتقلقل ، والنماء والخير العميم أي كل هذه المعاني مستفادة من الحب ، لكن السؤال الدقيق هل **الود** هو الحب ؟ إذا قلنا نعم فيأتي سؤال وما الفرق بينهما ، وهل في اللغة اسمان مختلفان لمسمى واحد ؟ ، أم أن الاختلاف في المبنى دليل اختلاف المعنى؟ ، لا شك أن هناك فرقاً دقيقاً بين الحب **والود** ، الحب ما استقر في القلب ، **والود** ما ظهر على السلوك ، فإن كنت تُحب فلاناً فمشاعر الميل نحوه هي الحب ، وابتسامتك في وجهه هي **الود** ، وإذا قدمت له هديةً فهي **ود** أو أعنته في مشكلة فهي **ود** ، أو عدته إذا مرض فهي **ود** أو قدمت له هديةً في زواجه فهي **ود** أو نصحته فذلك **ود** ، فالمشاعر الداخلية هي الحب ، والمسالك المادية هي **الود** فكل **ودود** محب ، وليس كلُ محب **وداً** .

ويمكن لإنسان أن ينطوي على محبة ولا تظهر في سلوكه ، و كل **ودود** مودته أساسها مشاعر الحب في قلبه ، والله سبحانه وتعالى يقول :

" **وهو الغَفُور الودود** " .

يعني كل هذا الكون **تودّد** من الله إلى الإنسان ، فالكون والمجرات والسماوات والأرض ،و الشمس والقمر ، والأمطار ، ومليون نوع من السمك ، **ود** وتسعمائة ألف نوع من الطيور ، **ود** ، والآلاف المؤلفة من أنواع الأزهار بِشتّى الأشكال والروائح **ود** ، وأنواع الفواكه **ود** وهذا الطفل الصغير الذي يملأ البيت حيوية **ود** ، وهذه الزوجة التي صممت تكريماً للإنسان ، وهذا الزوج الذي خُلق تكريماً للمرأة **ود** ، وهذا الصوف الذي خلقه الله لنا ليقينا برد الشتاء **ود** ، و أي شيء سخر لهذا الإنسان هو في الأصل **ود** ، و الخلق، والكون كله قد سخره الله لهذا الإنسان تسخير تعريف وتكريم ، **فالودود** هو الذي ينتقل حبه إلى سلوك .

وهنا تطالعنا حقيقة ملموسة وهي أن الإنسان إذا أحب يميل ، فإذا ابتعد المحبوب ألم بالمحب ألم ، وهذا ألم الفراق ، وما من إنسان يودع محبوباً في المطار إلا ويبكي ، وما من أم يفارقها عنها ابنها إلا وتبكي فهل يصح هذا المعنى بالنسبة إلى الله عز وجل ؟ ،

إن علماء التوحيد قالوا : " لا ، فالميل الذي من شأنه الضعف والتحسر والألم ، هذا لا يصح على الله عز وجل ، ولكن الإنسان إذا أحب أحسن ، وإذا أحب خضع وإذا أحب تذلل "، فالإنسان هكذا يفعل ، ولكن الله إذا أحب أحسن ورحم وأكرم ، فحب الله عز وجل للمؤمنين ثابت في القرآن الكريم والدليل :

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ يُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾

(سورة المائدة)

محبة الله عز وجل للمؤمن تعني حفظه ، وتأييده ، ونصره وإكرامه ، وإنزال الرحمة على قلبه ، وإنزال السكينة ، وإغناءه بكل ما يحتاج، هذا هو الحب الإلهي أما حب الإنسان لله عز وجل فيعني الميل فإذا جفاك ربك وأبعدك عن أنواره شعرت بألم لا يطاق .

فما حبنا سهل ولكن من ادعـ ـى سهولته قلنا له قد جهلتنـ ـا
فأيسر ما في الحب للصب قتله وأصعب من قتل الفتى يوم هجرنا

والإنسان إذا أحب الله مالَ إليه ، وخَلَد إلى ظله وإلى أنواره وإلى تجلياته وإلى سكينته ، وإلى الشعور بأن الله يحميه ويحفظه ، لكن حب الله للإنسان يعني التأييد والنصر والحفظ وما شاكل ذلك ، أما **الود** فهو ما يتجسد به الحب ، وهذه مقدمة أظنها ضرورية ومفيدة .

ونتجاوز المقدمة الآن إلى المعاني الدقيقة التفصيلية لمعنى **الودود** فالله سبحانه وتعالى يقول : " **وهو الغَفُور الْودود** " .

الودود بوزن فَعول ، والفعول هنا بمعنى فاعل ، **الواد** ، الذي يكرم عباده ، والذي تُعد نعمه مظهراً لحبه لعباده ، فأنت مثلاً وبشكل بسيط إذا أحببت إنساناً ورأيت على ظهره نملة ، فإنك تنجيها عنه ، وإذا أحببت إنساناً ورأيته يرتجف برداً فإنك تعطيه معطفك ، وإذا أحببت إنساناً ورأيته بحاجة إلى شيء ما فأنت تقدمه له ، **فالود هو** المظهر المادي للحب وربنا عز وجل وهو الغفور **الودود** ، و**الواد** .

كل هذا الكون مظهر لحبه ، وكل هذا الكون نوع من أنواع **الود** الإلهي ، إنه تودد إلينا بهذا الكون . ومن أجل ألاّ نبتعد عن هذا الموضوع كثيراً ، فهذه الدواب ألا تأكل طوال حياتها الشعير فقط ، فهو بالنسبة لها المقبلات وهو الحلويات وهو الفواكه ، وليس لها غير الشعير والأعشاب أما الإنسان فيمكن أن يأكل إلى شهر كل يوم لوناً من الطعام ، ويمكن أن يتذوق أنواعاً كثيرة من الفواكه ، ويمكن أن يستعمل الأزهار .

وإذا دخلنا إلى محل عطورات فشيء يأسر ويدهش ، إذ منها ألوف الأنواع ، وكلها في الأصل من خلق الله عز وجل ، فهذا الياسمين وهذا البنفسج وهذا الورد ، وكل أنواع الروائح عطاء فيضٍ من خلق الله عز وجل .

خلْقَ هذه الروائح الطيبة ، وخلق هذه الحاسة الدقيقة التي تتذوق هذه الروائح الطيبة ، إذاً : خَلْقَ الشيء وخَلْقَ الجهاز المستقبِل له ، وخَلْقَ هذه النعمة وخَلْقَ ما يستقبِلُها ، فهذا هو **الود**.

إذاً : هنا **الودود** يعني **الواد** ، و **الودود** هو الذي **يتودد** إلى عباده بالنعم ، فإذا صحت الرؤية واستيقظَ القلب وتفتّحت البصيرة ، رأيت أن كل هذا الكون ما هو إلا **تودد** من الله إلى هذا الإنسان .

والآن أنت حينما تصلي وتصوم و تحج ، وحينما تغض من بصرك وتتصدق ، و تكون أميناً ، و تنصح المسلمين ، و تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ، وتنفق من مالك ، كل هذه الأفعال من اعتقادات إلى عبادات إلى معاملات إلى آداب، هي في حقيقتها **تودد** إلى الله عز وجل هو **تودد** إلينا بالكون ، وأوجدنا بالخلق ، وسخر لنا هذا الكون ، وأعد لنا جنة عرضها السماوات والأرض ، ونحن **نتودد** إليه بالإيمان به ، وبعبادته وطاعته ، وامتثال أمره ، وبترك ما نهى عنه ، وبالتخلّق بأخلاق نبيه وبالبذل والعطاء ، ويكون الكون كله من قبل الله **تودد** إلى هذا الإنسان ، وكل أعمال الإنسان الصالحة هي في حقيقتها **تودد** إلى هذا الخالق العظيم . " **وهو الْغَفُور الْودود** " أي **الواد** ، الذي **يتودد** إلى عباده بنعمه .

أسألك بالله عزيزي القارئ ، لو دعاك أحدهم إلى بيته ، ورأيت هذا البيت مدفأً مسبقاً إكراماً لك ، والماء العذب الزلال المعطّر بماء الزهر والأرائك ، والمشروبات اللذيذة المتقنة و الطعام النفيس العطر ، والورود والهدايا ، ألا تخجل ، ألا تذوب حباً له ، ألا تشكره من أعماقك، ثم ألا تقول له : والله يا أخي ، فضلت علي ، والإنسان عبد الإحسان ، ولماذا تتحسس إذ أدى إنسان عنك الإجرة في سيارة ؟ طوال الطريق تبقى خجلاً منه : وتقول يا أخي والله خجلتني .. كلها من أجل ليرتين ، أو إن جاءك إنسان مهنئاً ومعه هدية ، تحار كيف تُكرمه ، ولماذا هذا التحسس بفضل الإنسان ؟ وهذا الفضل الإلهي وأولُه أنه ؛ خلقك من لا شيء ، ألاّ يستحق منك كامل التحسس ، قال تعالى :

هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ لَمۡ يَكُن شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا ١

(سورة الإنسان)

هذا الفضل الإلهي من دون تحسس ، ومن دون شكر ، هل قلت من أعماق أعماقك ؟ يا رب لك الحمد على أن خلقتني ، يا رب لك الحمد على أن عرفتني بذاتك ، يا رب لك الحمد على أن أعنتني على طاعتك ، ثم يا رب لك الحمد على أن نورت قلبي بنورك ، و يا رب لك الحمد على أن ألهمتني أعمالاً صالحة ، فالله يقول لك : أنا سأسمع ؛ فقل وتكلّم لأسمعك ، فتقول له سمع الله لمن حمده ، ألا تفعل هذا في الصلاة ألا تقول سمع الله لمن حمده ، يعني يا عبدي أنا أسمعك فيما تقول ، ربنا لك الحمد والشُكر ، وهناك من يقول : يا رب لك الحمد والشُكر والنعمة والرضا ، هناك من يقول : يا رب لك الحمد حمداً كثيراً طيباً مباركاً بعدد خلقك ، يعني ما نَشَأ بقلب الإنسان من شعور عميق بالحمد فلله عز وجل ، واذكروا دائماً أن كل هذا الكون **تودد** إليك.

مرةً سافرت ، فانتظرني شخص بالمطار و أخذني إلى بيته وخصص لي سائقاً وسيارة، وأنزلني بأفخم فندق في مكة المكرمة وبالمدينة كذلك ، وعمل دعوتين أو ثلاثاً ودعا إليها عشرات الأشخاص وقدم معروفاً لا أنساه حتى الموت ، و كلما جاء إلى الشام أحار كيف أُكرمه وكيف أُقدم له الهدايا و أدعوه ، وهو إنسان استضافني عشرة أيام في موسم الحج .

فالنعم الإلهية التي تترى على هذا الإنسان لا حصر لها ، فعندما يدخل إلى الخلاء يفرغ مثانته ، من دون آلام و لا تمييل ، ولا حصر بالبول ، ولا صراخ ، ولا إسعاف إلى المشفى ، هذه نعمة عظيمة ، بدأت بذكرها لأن كثيراً من الناس غافلون عنها . فهل من مذّكر .

والقلب يعمل بانتظام ، والدسام يعمل بانتظام ، الأوردة والشرايين والمعدة والأمعاء و الكبد والكليتان ، وجهاز التنفس والأعصاب والإنسان يتمتع بنعمة عقله في رأسه وهذه من نعم الله العظمى .

فكل هذا الكون تودد لهذا الإنسان ، ويجب أن يكون لسان حال المؤمن :

قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾

(سورة الأنعام)

فحياتي كلها ، ووقتي كله ، وطاقتي ومالي وإمكانياتي و علمي وأولادي ، وبيتي في خدمة عبادك ، ومهنتي في خدمة عبادك ، ومالي امتثالاً لأمرك وإيماناً بك . وهل جزاء الإحسان إلا الإحسان : "**قُلْ إن صلاتي ونُسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين** " .

ذات مرة رويتُ واقعة ؛ قسم منها واقعي والقسم الثاني تكملة إن رجلاً كان يريد أن يلقي بكيسٍ في حاوية القمامة ، فوجد كيساً أسود يتحرك ، فانتشله فإذا فيه طفل صغير ولد توأً ، هذه قصة واقعية في الشام فأخذه إلى دار التوليد ، فأنعشوه في الحاضنة ، حتى تحسنت صحته ، ثم نقله إلى البيت واعتنى به عناية بالغة حتى صار في سن الدراسة ، فأدخله إلى المدرسة ، إلى آخره .

التكملة تابع تعليمه إلى أن تخرج طبيباً ثم بعثه للتخصص وعاد بشهادة البورد ، فاشترى له بيتاً وعيادة ، وزوجه ، فهذا الطبيب اللامع حينما يعلم أن هذا الإنسان سبب حياته ، واللهُ هو المحيي ، وسبب هذه المرتبة العلية ، كيف يكون موقفه منه ؟ إنه يقول له دائماً : أنا لا أنسى لك هذا الفضل حتى الموت . فأنت الشيء نفسه ، لم تكن شيئاً مذكوراً خلقك تنعم من أول لحظة بهديتين نفيستين :

أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ

(سورة البلد)

فأول هدية أنه حينما يولد الإنسان فيلهمه الله عز وجل عملية بالغة التعقيد هي المص ، الآن ولد ، وخلال دقائق يضع شفتيه على حلمة الثدي ويحكم إغلاقهما ويسحب الهواء ، فلولا أن الله يلهمه هذا السلوك المعقّد لما كُنا على وجه الأرض جميعاً .

والهدية الثانية ؛ هي الأم ، من هذا الكائن ؟ إنها الأم آية من آيات الله ؛ فوجودها من أجل ابنها ، و أعصابها وإدراكها ومشاعرها إنها تتفاعل مع ابنها تفاعلاً عجيباً ، وكأن هناك اتصالاً دائماً ، فإذا كانت عند الجيران ، تقول لقد استيقظ ابني ، كيف عرفت ؟ لقد طفّ الحليب من ثديها .

فالأم هدية ، والأب هدية ، وقد قال لي رجل أنا خادم مخلص بلا أجرة ، فما أريد في هذه الدنيا سوى طعامي وكسائي ، إنني أتعب من أجل أولادي ، فالأب خادم لأولاده ، يشقى ليسعدوا ، ويريد تأمين بيت لأحد أبنائه مثلاً يسعى ليزوج آخر وهكذا ... فالأب هدية ، والزوجة هدية والأولاد هدية .

هذا الهواء ، وهذا الماء العذب الزلال ، فكل ليتر ماء تكلّف تحليته من خمسة إلى ستة ريالات في المملكة العربية السعودية ، ستة ريالات تعني سبعين ليرة ، فأنت تأخذ ماء عذباً زلالاً، ففي كل ثانية تستهلك دمشق ستة عشر متراً مكعباً من مياه عين الفيجة ، ماء مصفّى عذباً فراتاً ، فالماء هدية من الله عز وجل .

وما تقول بأنواع الفواكه ، أيضاً ؟ وكذلك منحك الله عقلاً فأتقنت أعمالك وسعدت به ، فإتقان العمل كرامة ، ولك دخل ثابت ، فهذه حرفة وكلّ له اختصاص ، فهذا طبيب وهذا

مهندس، فلذلك بحثنا هذا شامل شمولاً كبيراً جداً ، فكل الكون **تودد** من الله إليك ، ويجب أن تكون حياتك ومماتك ونُسكُك وعبادتك ومالك لله قال أحدهم لشيخه : يا سيدي كم الزكاة ؟ فقال : يابني أعندكم أم عندنا ؟ قال : ما هذا السؤال ؟ من نحن ومن أنتم ؟ قال : عندكم اثنان ونصف بالمائة ، أما عندنا ، أهل الحب فالعبد وماله لسيده .. فهل تتفهم هذا الكلام الذي تبدأ به صلاتك ؟

قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾

(سورة الأنعام)

هذا هو المعنى الأول

و**<u>المعنى الثاني ؛</u>** أن يكون معنى كونه **وَدوداً** أي يخلُق **المودة** بين خلقه ، فمن ألقى حب الأبناء في قلوب الأمهات ؟ ادخلْ مشفى الأطفال فإنك ترى منظراً يبكّي ، فالأم البدوية تبكي من أجل ابنها ، والسافرة والمثقفة ، والجاهلة ، والمؤمنة المحجبة كلهن يبكين إنه نمط واحد ، فكل هؤلاء الأمهات أودع الله في قلوبهن محبة تجاه أبنائِهن .

إذاً ، أحد معاني كلمة : "**ودود**" ؛ أنه يخلق **الود** بين عباده ، الأب أب ، والابن ابن ، والأخ أخ ، والزوجة زوجة كلهم يتوادون فيما بينهم قال تعالى :

وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾

(سورة الروم)

من خلق هذه المودة ؟ ..

لي قريب كان مسافراً خارج القطر لأربع أو خمس سنوات وعنده في كل سنة إجازة شهر ، فكل سنة ليتزوج ، فلا يرى شيئاً مناسباً و تنتهي إجازته ثم يعود ويسافر ، وبعد أن أمضى سنوات عدة توتر توتراً شديداً ، ما هذه الظروف المعاكسة ؟ يقول هذا البيت لأهله مشكلة، و لهذه الفتاة مشكلة ، وهذه لا تُناسب ، وفي السنة الرابعة وفي آخر يوم بالإجازة وجد فتاة مناسبة ، فأحب ألاّ يغادر إلاّ وقد عقد العقد ، إذ والدته تعرفت إليها عصراً ، فتواعدوا في اليوم التالي ظُهراً أن يأتي موظف المحكمة ليعقد القران ، إقلاع الطائرة الساعة الرابعة

عصراً ، فحدثوني أن هذه الفتاة حينما خرجت بعد أن عقد قرانها على هذا الشاب قد بكت حتى ماتت من البكاء ! البارحة كان يوم الخطبة إنه يوم غريب ، مداه أربع وعشرون ساعة إلا أنه كان يوماً عجيباً ، وفي اليوم التالي كان الوداع فبكت هذه الخطيبة وبكت . ولما يمض على العقد إلاّ سويعات . قال تعالى :

" **ومن آياته أن خَلَقَ لكُم من أنفُسكُم أزواجا لِتَسكُنُوا إليها وجعلَ بينَكُم مودةً ورحمةً إن في ذَلِك لآيات لِقَومٍ يتَفَكرون** "

<u>أول معنى هو يودكم</u> ، بهذه الصحة بالنعم بالماء بالطعام بالشراب بالفواكه ، بالأسماك بالأطيار ، وأحياناً ترى أسماك زينة وليست للأكل ، ويكلف الحوض عشرة آلاف أو أكثر ، ومنها أسود ومنها أخضر و منها خيوط فانظر هذه الأسماك ، لماذا خُلقت ؟ من أجلك ، ومن أجل أن تستمتع بمنظرها فقط وهذه العصافير الجميلة لماذا خُلقت ؟ .. وهذه الأصوات الرائعة لماذا خُلقت ؟ هذه الروائح الزكية لماذا خلقت ؟ وهذه الورود ، صدقاً اطلّعت على كتاب من ثمانية عشر جزءاً ، وهو كتاب كبير الحجم ، وفي كل صفحة صورة وردة ، ثمانية عشر جزءاً كل صفحة فيها صورة لنوع من أنواع الورود ، و ليس ورود أبصال ، وعندنا ورود وأبصال فقط ، فلمن هذا ؟ أعطوا الدابة وردة فأكلتها ، فالذي أعطاها الوردة هو الغبي ، فهذه للشم وليست للأكل، و ليس الورد للدواب .

و في الشتاء في غرفة الجلوس تُحب أن تستمتع بنباتات ضمن الغرف لا تحتاج في غوها إلى شمس ، وهي تنمو وتتنامى ، وهي جميلة إنها نباتات صالونات ، وهناك نباتات للمياه، و نباتات للحقول .

ثلاثمائة نوع عنب ، التفاح أنواع منوعة ، أخ من إخواننا كان في إفريقيا ، أحضر لي موزتين ، من غينيا لِم هاتان ؟ قال هاتان لأجل القلي ، ما هذا الكلام !! ، هذا للطبخ فقط ، وبينما الموز عندنا فاكهة للأكل ، وعندهم للطبخ ، ذقتها فوجدتها لا تؤكل ، نيئة قليناها مثل البطاطا فهي طيبة شهية ، فكم نوعٍ خَلَقَ الله من الموز ؟ والقمح ثلاثة آلاف وخمسمائة نوع .

أنواع البرتقال ، منها ماء ، ومنها ناشف ، وحلو وحامض كبير وصغير ، وما وردي ، كلها مودة من الله عز وجل ، والنوع الواحد من الفاكهة أنواع منوعة ، هذه **المودة** .

فالمعنى الأول أن الله **يودك** ، والمعنى الثاني يخلق **المودة** بين خلقه ، تدخل إلى سهرة في بيت أهلك فترى **مودة** ، منها مزاح ومعاونة والإنسان كائن اجتماعي ، فمن صممه هذا التصميم ؟ ، يقول لك : سهرنا إلى الثالثة ، مسرورين بما بينهم من **مودة** بينهم ، وأحياناً بحسب السن وبحسب الحرفة ، تجلس مع أطباء يتحدثون عشر ساعات في حرفتهم مسرورين ، ومع المهندسين الشيء نفسه ، مع المدرسين ، يقول لك مزهواً الدرس الفلاني أتقنته

والطلاب أعجبوا به ، اجلس مع التجار يقولون لك : هذه الصفقة ممتازة وهذه لم تربح وهذه أرباحنا فيها كانت خيالية كل مجتمع له حديث ممتع وله ترتيبات ، فهذه هي **المودة** ، خلق بين عباده **الود** .

<u>المعنى الثالث</u> بمعنى فعول : أي أن الله سبحانه وتعالى يتودد **عباده** إليه ،و هو **يتودد** إلى عباده ، وهو يخلق **المودة** في قلوب عباده بعضهم لبعض ، فعباده **يتوددون** إليه ، أي ثلاثة معانٍ دقيقة **للود** ، من الله إلى عباده ، ومن العباد إلى ربهم وبين العباد فيما بينهم . لهذا يقول عليه الصلاة والسلام :

" **رأس العقل بعد الإيمان بالله التودد إلى الناس** " .

و أعقلُ عمل ، أحكم عمل ، وأذكى عمل يفعله المؤمن بعد أن يؤمن بالله أن **يتودد** إلى الناس ، حتى يسري الحق إليهم ، قال تعالى :

فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾

(سورة آل عمران)

قال الخليفة لأحد العلماء عظْني : فقال له العالم : سأنصحك وسأغلظ عليك ، قال : ولم الغلظَة يا أخي ، لقد أرسل الله من هو خير منك إلى من هو شر مني ؛ لقد أرسل موسى وهارون إلى فرعون ومع ذلك قال لهما : فقولا له قولاً ليناً .. فلم الغلظَة ؟ من قال لك إن النصح يحتاج إلى غلظَة ؟.

الإمام الرازي كان من كبار العلماء ، إنه الفخر الرازي ، وله هيبة كبيرة ، وله موكب فخم ، وقد كان في درسٍ من دروسه ، فخرج من المسجد ، ثياب أنيقة ومعه تلاميذه ، ووجهه منير متألق مهيوب ، فرآه يهودي ، عامل مجارير ، فقير مسحوق ، جوع على مرض على حرمان على فقر على احتقار الناس له ، فنظر هذا اليهودي إليه وقال له : يا هذا يقول نبيكم الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر ، فأي سجن أنت فيه وأي جنة أنا فيها ، فقال له الإمام الرازي : يا هذا ما أنا فيه إذا قيس إلى ما أعد الله للمؤمن فأنا في سجن ، وما أنت فيه إذا قيس بما أعد الله للكافر من عذاب فأنت في جنة . يقال ثم إنه تفكر ملياً وقال أشهد ألا إله إلا الله ، حقاً إنه جواب مفحم أي ما أنا فيه من هذا العز إذا قيس إلى ما وعدني الله به من جنة عرضها السماوات والأرض فأنا في سجن .

وهكذا قال عليه الصلاة والسلام ، انتقال المؤمن من الدنيا إلى الآخرة كما ينتقل الجنين من ضيق الرحم إلى سعة الدنيا ، فالجنين يعيش في سبعمائة وخمسين سنتمتراً مكعباً بالضبط ، والرحم تجويفه قبل الحمل حوالي سنتمترين مكعبين وكأنه لا يوجد تجويف ، بل عبارة عن عضلة على شكل إجاصة ، وحجمه أثناء الحمل أو بأعلى نسبة سبعمائة وخمسين سنتمتراً مكعباً، والإنسان إذا ولد ثم كبر وتجول يقول لك : والله كنا في أمريكا واستغرق سفرنا عشر ساعات طيران ، كان محبوساً في سبعمائة وخمسين سنتمتراً ثم طار في الأجواء ، فكيف ينتقل الإنسان من ضيق الرحم إلى سعة الدنيا ، قالوا : المؤمن حينما يموت ينتقل من ضيق الدنيا إلى سعة الآخرة ، ولهم فيها ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين :

إِنَّ أَصْحَـٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَـٰكِهُونَ ﴿٥٥﴾ هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ
فِى ظِلَـٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ﴿٥٦﴾ لَهُمْ فِيهَا فَـٰكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ
﴿٥٧﴾ سَلَـٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾ وَٱمْتَـٰزُوا۟ ٱلْيَوْمَ أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ

(سورة يس)

هذه هي البطولة ، أن يأتي هذا اليوم وأنت في منجاة ، وأنت من أهل الجنة ، نسعى كلنا ونجتهد ، ونحضر دروس علم ،و نغض بصرنا ونخاف من الله ، ونضبط ألسنتنا ، ونضبط جوارحنا ، و نقرأ القرآن ونخدم بعضنا ، حتى يأتي هذا اليوم الذي نسعد فيه .

فحظ العبد من هذا الاسم أن **يتودد** إلى العباد ، فهنا طفل **تودد** إليه ، وهناك كبير **تودد** إليه ، وأكبر منك عامله بالاحترام ، وأصغر منك فبالرحمة ، وبمستواك فبالإحسان ، هذا هو المؤمن ، يجعل من إحسانه طريقاً إلى الدعوة إلى الله عز وجل .

وبعد ، فهناك سؤال لا بد منه : هل **الود** هو الرحمة ؟ فهمنا أن **الود** هو الحب والحب مشاعر داخلية تنتقل إلى سلوك مادي ، هذا هو **الود** ، **الود** والمحبة وجهان لشيء واحد ، مثل الإخلاص والعبادة ، من الداخل إخلاص ومن الظاهر طاعة ، فالشعور الداخلي حب ، والسلوك العملي **مودة** .

وهل هناك فرق بين **المودة** والرحمة ؟ ، إنه : لفرق كبير فالرحمة متعلّقة بمخلوق ضعيف ، بمخلوق يستجير ، وبإنسان مريض وبإنسان معذب ، بإنسان فقير ، فأنت ترحمه ! أما **الود** فليس للضعيف فأنت حين تقدم شيئاً إلى إنسان من دون أن يسألك ، فابتداء هذا هو **التودد** وأحياناً يطرق بابك إنسان ، فيتوسل إليك ويقول : أقرضني أرجوك أسعفني ، اقبلني عندك ضيفاً ، أو أوصلني إلى هذا المكان ، أو ارحمني خذني إلى الطبيب الفلاني ، فهذا

إنسان مستجير ، وأنت إذا فعلت ما يناسب فما اسمك ؟ اسمك رحيم ، وذاك مخلوق ضعيف استجار بك، أما إذا زرتَ صديقاً في أوج صحته وقوته وشبابه ، ومكانته ، وقدمت له هدية بمناسبة زواجه ، و هو لم يستجر بك ، **فالود** ابتداء ، وأما الرحمة فيسيقُها طلب **والود** لغير الضعيف ، والفقير والمستجير ، هناك فرق بين **الود** والرحمة ، فربنا عز وجل حينما خلقنا كان **ودوداً** ، ونحن لم نكن موجودين ، فهو خلقنا وأكرمنا وأنعم علينا ، **مودته** لنا ابتداء وهي أرقى بكثير .

ولقد قرأت قصة من أدق القصص ، عن أحد ولاة العباسيين في الشام ، إذ حدثت فتنة في الشام فضيقوا الخناق على الوالي فولّى هارباً مع بعض أعوانه ، وتَبِعه رجال ليقتلوه فدخل بيتاً واستجار به ، وصاحب البيت أجاره ، وبقي عنده أربعة أشهر ، فأكرمه أبلغ إكرام ولم يسأله عن اسمه ، ثم طلب أن يذهب إلى بغداد فجهز له عبداً ودابتين وفرساً وصندوق أمتعة ، وطعاماً وشراباً ، وألحقه بقافلة ، وأكرمه إكراماً منقطع النظير أربعة أشهر يقدم له كل شيء من دون أن يسأله عن اسمه ، فلما أزمع السفر إلى بغداد وقد قدم له كل شيء ، واعتذر منه يقوله : لعلّنا قصرنا في حقك ، ولم يعرف اسمه ، وفي بغداد صار هذا الرجل الطريد في منصب صاحب الشرطة يعني وزير داخلية عند المنصور ، وبينما كان في حضرة المنصور جاء الجنود برجل يكاد يموت من شدة التعذيب ، فألقوه مكبلاً بالقيود في حضرة المنصور ، وقالوا هذا فلان جئنا به، ويبدو أن الوقت متأخر فقال المنصورلصاحب شرطته ، خذه في عهدتك إلى غد ، وكان شخصاً خطيراً جداً ، فطبعاً غداً سيقتل ، و لشدة حرص الأمير صاحب الشرطة على حياته على حياته أخذه إلى بيته ، وقال له من أين أنت ، قال أنا من الشام ، قال : وما قصتك ، قال: ثارت فتنة هوجاء في الشام وأُلصقت بي هذه التهمة وعذبت وساقني المنصور إلى بغداد وسيقتلني غداً وأنا بريء ، قال له : بارك الله في أهل الشام ، أنا كنت في الشام مرةً وثارت فتنة كما تقول والتجأت إلى بيت وذكر له قصته مع صاحب ذاك البيت بشكل مفصل ، وقال : والله لا أتمنى على الله إلا أن يجمعني به لعلي أُقدم له بعض الجميل ، قال : إن الله عز وجل قد أكرمك وجمعك به عن غير قصد ، فأنا ذاك الرجل ، ومن شدة الآلام والتعذيب فإن ملامحه قد تغيرت ، يقولون : إن صاحب الشرطة أول شيء فعله وقف مرتعداً وطلب الحداد وقال له فُكّ قيوده ، و فوراً فُكت قيوده ، فأدخله الحمام وألبسه أحسن الثياب ، وقال أنت حر فافعل ما تشاء ، وأنا سأتحمل عنك غداً كل مسؤولية عند الخليفة ، وهذا أقل ما أفعله معك ، قال : والله لو توجهت إلى أي مكان فسوف يأتي بي ويقتلني ، اذهب إليه ، فلما دخل على المنصور قال له : أين فلان ، والله لو قلت لقد هرب لأضربن عنقك ، قال : هذا كفني تحت إبطي واسمع قصتي وافعل بي ما تشاء ، قال : هذا الرجل فعل معي كذا وكذا يوم كنت والياً الشام ، فيقول المنصور ، أكرمك الله ، لقد أكرمك

وهو لا يعرفك ، وأنت الآن فعلت معه ما فعلت وأنت تعرفه ، لكني أنا الذي سأكافئه عنك ، اذهب إليه واستقدمه إلي وأمنّه ، فالمنصور عينَه والياً على الشام ، وانقلب أمره ، من القتل إلى الولاية . فما هذا المعروف!!.؟

استرعى نظري في القصة ، أنه أكرمك وهو لا يعرِفُك ، هذه هي **المودة** أما أنت فإكرامك له الآن رد جميل لا أكثر ، أنت مديون له ولو قدمت نفسك مكانه لما فعلت إلا القليل ، هو قدم لك الحياة ، فقد كنت مقتولاً ، وأدخلك إلى البيت ودافع عنك وقدم لك كل شيء أربعة أشهر واعتذر منك وهو لا يعرفك ، الأولى أبلغ من الثانية ، قال له : مهما فعلت فلن تكافئه وأنا سأكافئه ، واستقدمه ، فاعتذر عن قبول الولاية بالشام فأرسل كتاباً إلى والي الشام أن يعتني به وأن يبالغ في إكرامه .. البر لا يبلى ، والذنب لا ينسى ، والديان لا يموت اعمل ما شئت كما تدين تدان .

لكن الإنسان إذا ما تحسس فضل الله عز وجل ، " **ألم نَجعلْ له عينَين** " وفي سورة أخرى " **ياأيها الإنسان ما غَرك بربك الكريم ، الذي خَلَقَك فَسواك فَعدلك ، في أي صورة ما شَاء ركبك** " وقال تعالى :

﴿ قُتِلَ ٱلۡإِنسَٰنُ مَآ أَكۡفَرَهُۥ ﴿١٧﴾ مِنۡ أَيِّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥ ﴿١٨﴾ مِن نُّطۡفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ﴿١٩﴾ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقۡبَرَهُۥ ﴿٢١﴾ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ﴿٢٢﴾ كَلَّا لَمَّا يَقۡضِ مَآ أَمَرَهُۥ ﴾

(سورة عبس)

ماذا ينتظر الإنسان وماذا يفعل ؟ وما الذي منعه أن يتوب إلى الله؟ وما الذي يمنعه أن يصلي ؟ وأن يذكر الله عز وجل ، وأن يفعل الخير مع الناس جميعاً .

ولقد حدثني أخ من إخواننا الكرام ، عن حادثة ، قال كنت راكباً سيارتي ومارا في ضاحية دمر ، والحادثة قديمة منذ عشر سنوات أو أكثر فوجدت رجلاً في الساعة الثانية عشرة ليلاً واقفاً مع امرأة ويحمل أحدهما طفلاً صغيراً ، قلت لعلهم غرباء أو لهم حاجة ، فوقف وقال خيراً ، فوجد الطفل بحرارة مرتفعة جداً ، والأب والأم من لبنان هاربان من الأحداث وهو يسكن في منزل بالإجرة عند جيران ، والابن مريض ولا يعرفان شيئاً في الشام ، قال أركبتهم وبقيت معهم من طبيب إلى طبيب إلى مستشفى .. للمعالجة وتوفير العلاج ، ولصيدلية مناوبة حتى الساعة الرابعة صباحاً وأرجعتهم إلى المكان الذي أخذتهم منه ، ثم أقسم لي هذا الأخ الكريم أنه بقي أسبوعين وهو غارق في السعادة ، يعني إذا أردت أن تسعد فأسعد الآخرين .

لا يعرف طعم الإحسان إلا المحسن ، وسيدنا عمر كان يتمشى ذات ليلة في المدينة مع سيدنا عبد الرحمن بن عوف ، فلما رأى قافلة في أطراف المدينة وقد نام أصحابها ، قال لصاحبه تعال نحرسها لوجه الله إنهم تُجار ومعهم متاع وبضاعة فبكى طفل صغير ، فقال لأمه أرضعيه سكت الطفل ، ثم بكى ، فقام إليها وقال أرضعيه ، أسكتته ثم بكى ، فغضب فقام إليها وقال يا أَمةَ السوء أرضعيه ، قالت يا هذا ما شأنك بنا ، إنني أفطمه وعمر لا يعطينا العطاء إلا بعد الفطام ، " العطاء يعني التعويض العائلي " في زماننا ، يقول سيدنا عمر قد ندت منه صيحة وضرب رأسه وقال ويحك يا ابن الخطاب كم قتلت من أطفال المسلمين ، .. فكل هذا التعذيب مني وأنا السبب ، لأن العطاء بعد الفطام وهي الآن تفطمه وتجيعه فأصدر أمراً فورياً أن العطاء بدءاً ساعة الولادة ، ثم صلى الصبح وما سمع أصحابه من قراءته شيئاً لشدة بكائه ، وكان يقول: يا رب هل قبلت توبتي فأهنئ نفسي أم رددتها فأعزيها .

المحسن أسعد الناس ، وقد قرأت كلمة في مجلة ، وهي أربع كلمات فأحياناً تنتهي المقالة في المجلة ويبقى في صفحة منها فراغ فيزينونها بكلمة مثل هذه " **إذا أردت أن تسعد فأسعد الآخرين** "

عزيزي القارئ اذكر دائماً : الله عز وجل محسن ، ويحبك أن تكون محسناً .

والحمد لله رب العالمين

الدرس ٢٧ - اسم الله : "التواب"

بسم الله الرحمن الرحيم

مع الاسم السابع والعشرين من أسماء الله الحسنى والاسم المقرر : **التواب** .

أخي القارئ الكريم : ما من عبد إلا وله خبرة - إن صح التعبير - مع هذا الاسم ، خبرة لا حدود لها .

قبل أن نتحدث عن معنى الاسم لغوياً ، وعن صيغته ، وعن تصريفاته ، وعن معانيه المتعددة ، وعن بعض الآيات التي ذكر فيها ، قبل أن نفعل ذلك ؛ لا بد من عدة مقدمات تُلقي ضوءاً على حقيقة هذا الاسم .

مثلاً يمكن أن تُفتح ثانوية وتكون أنت مديرها ، وأن يسجل الطلاب فيها ، وأن يوضع لهذه الثانوية نظام داخلي دقيق جداً ، وأن تستقبل الطلاب ، وأن تُلقى المحاضرات ، وأن تُجرى المذاكرات ، وأن تعين مواعيد الفحوص ، وأن تُجرى الفحوص ، وأن ينجح من يستحق النجاح ويرسب من يستحق الرسوب ، وأنت في أعلى درجات العدل ؛ فإذا طلبت علامات الطلاب من مدرسيهم بعد شهر من بدء العام ، وتابعت المقصر وجئت به ونصحته فلم يرعو؛ فهددته ، وأحضرت وليه ، وضغطت عليه إلى أن غير خطته ، وضاعف جهوده فإذا هو من الناجحين ؛ لكنك لو أهملت هذا الطالب وعاملته وفق النظام الداخلي ، فأنت في أعلى درجات العدل ، أما إذا تتبعت أحواله وقبل فوات الأوان ، ووجهته ونصحته وضغطت عليه حتى غير اسلوبه ، وضاعف جهوده فاستحق النجاح فأنت الآن في أعلى درجات الرحمة .

إن طبقت عليه الأنظمة العادلة ، فأنت في أعلى درجات العدل ، لكنك اذا تتبعت أحواله، وذكّرته تارة ، وهددته تارة ، وشجعته تارة وكافأته تارة ، وعاقبته تارة حتى استقام أمره وحتى استحق النجاح فنجح ؛ فأنت بهذه الطريقة عاملته بأعلى درجات الرحمة .

يمكن أن تُرسل ابنك الى بلد غربي ، وأن تُعطيه المبلغ الذي يلزمه ، وأن تُهمل أخباره، ثم بعد خمس سنوات فوجئت بأنه قد ضيع هذا المال على شهواته وأنه لم يدرس إطلاقاً ، وعاد بخُفي حنين . فتقول له : يا بني أنا بذلت من أجلك كل شيء وقدمت لك هذا المبلغ الضخم وضيعتَه ، فأنت في أعلى درجات العدل . ولكنك اذا تتبعت أخباره ، وذهبت إليه تارةً واستقدمته تارةً ، وقللّت المصروف تارةً وهددته تارةً ، ورغّبته تارةً ، وشجعته تارةً ، حتى عاد إليك بعد أربع سنوات وهو يحمل درجة الإجازة فقد عاملته فضلاً عن العدل بأعلى درجات الرحمة .

قد تعين موظفاً تحت التدريب مدة ستة أ شهر ، فيمكن أن تراقبه فقـط فكلمـا أخطـأ سجلتها عليه خطيئته ، حتى أصبح حجم أخطائه لا يحتمل ففصلته وأنت في بحبوحة لأن هـذا الفصل كان ضمن الستة أشهر ، فأنت ماذا فعلت ؟ عاملته وفق قيم العدل ، فالعقد : ستة أشهر ، تحت المراقبة والتجريب ؛ ولكنك اذا أردت أن تعامل هذا الموظف بالرحمة ، فكلما أخطـأ تقول له : لا، هذا لا يصح وهذا هو الصحيح ، فاذا هو يستقيم شيئاً فشيئاً ، وبعد حين يعجبك وتتمسك به ، شتان بين أن تعامل من حولك بالعدل ، وبين أن تعاملهم فوق العدل بالرحمة .

فالله سبحانه وتعالى خلق الانسان ومنحه العقل ، وجعل الكون نعمةً ، كل ما فيه يدل على أسمائه الحسنى ، وأعطاه العقل ، وركّب فيه الفطرة ، وزوده بالشرع ، وخيـره وأودع فيه الشهوات ، وأعطاه قوة فيما يبدو، وتركه الى أن يأتيه أجلُه ، فإذا هو من أهـل النـار . فالله عز وجل عامله بالعدل ، لكنه لما كان في مقتبل حياته لو أنه اتجه الى أن يسرق فأدبـه الله عز وجل وخَوفَه تارةً وأدبه تارةً وضيق عليه تارةً وجمعه مع أهل الحق تارةً وقبضه تارةً وشرح صدره تارةً إلى أن صلح هذا الانسان وصار من أهل الجِنان ، بماذا عامله الله عـز وجل ؟ بالرحمة .

إذاً : اسم **التواب** من أين نفهمه ؟ من رحمة الله عز وجل فقد أعطانا العقـل ، وأعطانا الاختيار ، وأودع فينا الشهوات ، وخلقَ الكون دالاً على أسمائِه وصفاته ، منَحنا قوةً فيما يبدو ، وركّب فينا فطرةً عالية وأرسل الرسل ومعهم الشرع :

مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾

(سورة فصلت)

هذا هو العدل ؛ لكن الرحمة بالمتابعة ، الله معك في كل خطراتك ، معك فـي كـل حركاتك ، معك في كل تصوراتك ، معك في كل طموحاتك، معك في سرك ، معك في جهرك ، معك في خلوتك ، معك في جلوتك ، معك في كل حال من أحوالك ، وكل شأن أنت فيه هو معك وله شأن ، كل شأن أنت فيه فلله معك شأن يقابله ؛ إن كان شـأنك الإعـراض فشـأنه التأديب ، وإن كان شأنك الإقبال ، فشأنه التجلّي ، وإن كان شأنك العدوان ، فشأنه العقـاب ؛ وإن كان شأنُك الإحسان ؛ فشأنه الإكرام . يعني المتابعة ، فأنتَ لن تكون رحيماً إلا إذا تابعت

من حولك المتابعة اليومية حتى في الدعوة الى الله عز وجل فهناك عـالِم وهنـاك مـربٍ ، فالعالِم يلقي الدرس وانتهى الأمر لا يعنيه المجتهد ولا من يفهم ، ولا من استوعب ولا من لم يستوعب ، ولا من طبق ولا من لم يطبق ، ولا من تقدم ولا من تأخر ولا من حضر ولا من غاب ، ألقى الدرس وانتهى الأمر ، فهذا اسمه في عالم التدريس معلم . لكن المربي هو الذي يتابع ، وذات يومٍ سألني سائل : فقال إنك تحدثنا عن علم الشريعة وعن علم الطريقة ، وعـن علم الحقيقة ، فالأمر واضح تماماً عندي بين علم الشريعة وعلم الطريقة ، ولكن لـيس لـدي الوضوح الكامل بين علم الطريقة وعلم الحقيقة ؟

أردت أن أ شرح له فشعرت أن الموضوع دقيق جداً ، فُألهمتُ مثلاً طَرِب له ، قلت : جبل شامخ فيه تلال ووديان ومسارب ومداخل وفي قمته قصر منيف فيه كل شيء تشـتهيه النفس. هناك علماء ثلاثة : عالم يبين لك أن في هذا القصر ثلاثمائة غرفة وفيه أبهاء مـدفأة تدفئة مركزية وفيه تكييف ، وفيه من أنواع الطعام ما لذّ وطاب ، وفيه حدائق وغـرف نـوم وثيرة ، فهذا العالِم يبين لك ما في القصر فهذا عالِم الشريعة ، وقد قال لك : القصـر مـدفأ وأنت تشعر بالبرد فيه طعام نفيس وأنت جائع ، والقصر فيه راحة تامة وأنت متعب .

أما عالِم الطريقة فهو يعرف طريقاً لِهذا القصر من أين تذهب وفي أي مركبة تركب ؟ وكيف تُقدم الوثائق عند الحواجز وكيف تصل الى هذا القصر ؟ يبين لك طريـق الوصـول إليه وأنت واقف في مكانك ، لكن عالِم الحقيقة هو الذي يأخذ بيدك ويدخلك إلى القصر .

كل النعيم وكل الدفء ، وكل الطعام الطيب ، وكل الفرش الوثيرة ، وكل الأمـن ، وكل المناظر الجميلة ، وكل النباتات الرائعة ، وكل الفواكه الطيبة ، كلها في هـذا القصـر . والذي يأخُذ بيدك ويدخلك الى هذا القصر ، هو عالِم الحقيقة . والذي يصفُ لك الطريق اليه ، هو عالِم الطريقة . والذي يصف لك القصر وما فيه وأنت في مكانك ؛ هو عالِم الشريعة . فاذا أردنا أن نبقى في مصطلحات الإسلام فهناك إسلام ، وهناك إيمان ، وهناك إحسان .

الإحسان أن تدخل لهذا القصر وأن تستمع بما فيه ، وفي الحقيقة هو الهدف الأخيـر وهو المعول عليه . فالله عز وجل خلقنا للجنة وخلقنا لسعادة أبدية :

إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ

(الآية ١١٩ من سورة هود)

وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾

(سورة الذاريات)

هذا هو الهدف ، فمن الممكن أن تُخلق للجنـة وأن يعطيـك الله العقـل والفطـرة والاختيار والشهوة والكون والقوة والتشريع وانتهى الأمر. أنت تُلاحظ إنساناً يمشي في طريق متعرج ، في طريق العدوان في طريق الانغماس في الملذات متنكراً المنهج الإلهي ، فهـذا ينتهي به المصير إلى جهنم ، لكن ما الذي يحصل ؟ أن ربنا عزوجل لا يدعه هكـذا ؛ بـل يتدخل ، يلفت نظره ويسمعه الحق ، فإن لم يستجب يسوق له بعض الشدائد فيما بينه وبينـه ، فإن لم يستجب يرفع مستوى الشدة ، وسماه الله عذاباً صعداً.

والطبيب أحيانا يصف دواء عيار ٢٥٠ ، فإن لم يستفد المريض يغيره إلـى عيـار خمسمائة ، فإن لم يستفد تصبح سبعمائة وخمسين ، ثم تصبح ألفاً . كلما كان تـأثير الـدواء ضعيفاً رفع الطبيب مستواه .

فما سبق بيانه كان ضرورياً قبل أن أشرح معنى **التواب** فالقضية قضية الرحمـة ، قضية أن الله عز وجل يمكن أن يعاملنا بعدله فنستحق النار ، ولكنه إن عاملنا برحمته فإنّمـا يؤهلنا لدخول الجنة ، هذا هو **التواب** . يعني لم يتركك ولكن تابعك وراقبـك فأنـت تحـت سمعه وبصره يحاسبك على كل حركة ، وعلى كل سكنة ، وعلى كل خـاطر أكلـت مـالاً حراماً ، محقَ لك من مالك عشرة أمثال ، أدبك . اعتديت على أعراض المسلمين فساقَ لـك مشكلة بغير حل فبقيت سنوات وأنت في ضيق شديد ثم ألقى في روعك أن هذه المشـكلة يـا عبدي من هذا الذنب الوبيل فالموضوع موضوع التوبة وهو أن الله عز وجل يربـي عبـاده ليستحقوا الإكرام في الدنيا حتى إذا كان يوم القيامة كانوا من أهل الجِنان .

منطلق اسم **التواب** يبدأ من أن الله عز وجل يعامل عباده بالرحمـة ؛ لـو عـاملهم بالعدل ، لاستحقوا الهلاك . ولا أدري إذا كانت الأمثلة واضحة فأعود وأوجزها ثانية : يمكن أن أرسل ابني الى بلد أجنبي وأُهمله ولي عليه حجة ، يا بني أعطيتك كذا وكذا وأنت أهملـت فماذا أفعل من أجلك .

يمكن أن تُعين موظفاً تحت التدريب والتجريب لمدة ستة أشهر من دون أن تُراقبه ، فإذا لم يعجبك صرفته ، لكنك إذا كنت رحيماً ؛ كلما وقع في خطأ صححته له ، وبعد شهرين أصبح يرضيك فتمسكت به .

يمكن أن تُنشيء ثانوية ، وتضع لها نظاماً داخلياً دقيقاً ، وأن تُهمل الطلاب ، هـذا نجح، وهذا رسب ، لكنك إذا استقدمت الكسول ، وسألته عن تقصيره ، ووجهته ، ووبختـه ،

وكلفته أن يصحح ، وأن يضاعف جهوده ، حتى استحق النجاح ؛ فأنت عاملتـه بالإحسـان . هذه الأمثلة من أجل أن يتضح معنى اسم **التواب** .

أيها القراء الكرام : كُلُكُم يعلم أن **التواب** على وزن فعال وهي صيغة مبالغـة اسـم الفاعل، تقول مثلا : **تائب** مرة واحدة ، **تواب** كثير **التوبـة** . إذا ذكرنا أحد أسماء الله عزوجل بصيغة المبالغة فالمقصود أن الله عز وجل كثير **التوبة** على عباده أو أنه **يتوب** علـى عبـده مهما كبر ذنبه، إما كماً أو نوعاً وهو شيء معروف عندكم .

واسم **تواب** من فعل **تاب** . **تاب يتوب توبة وتوباً** بمعنى رجع وآب بمعنى رجـع ، وأناب بمعنى رجع ، وثاب بمعنى رجع . تقول : ثاب إلى رشده . أي رجـع إلـى رشـده ، وأناب الى ربه وتاب أي رجع ، وآب أي رجع ، **تاب** وثاب وآب وأناب كـل هـذه الأفعـال بمعنى رجع ، إذا قُلنا : الله **تواب** ، أي يعود على عباده بـالخيرات ، ويعـود علـى عبـاده بالإحسان يعود على عباده بالرحمة وبالغُفران ، هذا معنى أن الله عز وجل **تـواب** وهـو معنى من معاني **تواب** ، ولكن المعنى الدقيق مستنبط من قوله تعالى :

ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾

(سورة التوبة)

فما معنى **تاب** عليهم ؟ **تاب** عليهم يعني أنه ساقَ لهم من الشدائد كي يحملُهم علـى **التوبة**، لو تركهم هملاً ، وأمدهم بصحة جيدة وبأموالٍ كثيرة وأمطارٍ غزيرة وبلاد جميلة وهم غارقون في شهواتهم ، في ملاهيهم في أفراحهم ، في نواديهم ، في سكرهم وانحرافهم فـي كل الملذّات ، فلو أن الله عز وجل تركهم هكذا ليس **تواباً** ، ولكن يسوق لهم من الشدائد ليتوب عليهم.

أعرف رجلاً ربح أرباحاً طائلة وأراد أن يمتّع نفسه فأزمع السفر الى أمريكا وكأنـه يتمنى أن يفعل فيها ما يشتهيه وأن يغرق في بحر المعاصي ، وهناك شعر بألم شديد في ظهره فتوجه إلى مستشفى ، وصور عموده الفقري ، فكانت نتيجة التشـخيص ؛ ورم خبيـثٌ فـي النخاع الشوكي سمعت من أخيه تتمة الخبر بأنه لم تستطع قدماه على حمله حينما سمع الخبر ، قطع رحلته وعاد إلى الشام ومن مسجد الى مسجد ومن مجلس علم الى مجلس إلى أن تاب إلى الله توبةً نصوحاً ..

هذا الذي ساقه الله إليه حمله على التوبة فلو أنه تركه هكذا بصحة جيدة وقوة ومال وغنى وعاد من نزهته الجميلة بعد شهرين أو ثلاثة ليتابع عمله التجاري وليعيد الكرة في العام القادم إلى أوربا وهكذا ، فليس الله **توابا** .

أعرف رجلاً ذكياً جداً لكنه يتفنن بالسخرية من الدين ومن رجال الدين ، يعد الـدين كله خُرافة ، فابتلى فجأة بحالة مرضية ، وهو أستاذ فلسفة ، وفجأة رأيته في حالة على غيـر ما أعرفه بها وهي حالة إنابة فلما سألته عن حاله قال : أنا وزوجتي منذ سنة تُبنا إلى الله توبةً نصوحاً وتحجبت زوجتي ، واستقمنا على أمر الله ، وأنا أحضر عندك في المسجد مجـالس العلم منذ ستة أشهر ، فرحت له وبه فرحاً شديداً ، ثم سألته ما السبب ؟ فقال : لي ابنة أصيبت بمرض خبيث في دمها وكنت أحبها حباً جماً وما زلت أعالجها في هذا البلد وذاك البلد حتـى اضطررت إلى بيع بيتي ، وفي نهاية المطاف راودني خاطر : أنك لو تبـت إلـى الله أنـت وزوجتك لعل الله يشفيها ، فتابا إلى الله وشفاها الله عز وجل ، وقبل سنة دعيت إلى حفل عقد قران وألقيت كلمة في هذا الحفل وقلت له : أهي هي ؟ قال : هي هي .

والله أيها الإخوة القراء : كل حادثة أو واقعة أسمعها أحس أن رحمة الله عز وجـل لا حدود لها ، فلو ترك العباد على معاصيهم وانحرافاتهم وشـرودهم عـن الله عـز وجـل وانغماسهم في الملذّات وأكلهم المال الحرام وتطاولهم على الحق ، فلو تركهم هكذا لاسـتحقوا النار ولأدخلوها ولكنه يرحمهم . ومعنى ذلك أنّه **يتوب** عليهم أي يسوق لهم من الشـدائد مـا يحملُهم بها على **التوبة**.

هناك رجل همه الوحيد أن يفسد عقائد المؤمنين ، وهو يؤمن في كل كُرية في دمـه أنه (لا إله)، وأن كل شيء متعلّق بالدين خُرافة بخُرافة وهو يجهد في إفساد عقيدة كل مؤمن ، جاءته بنت صغيرة وأحبها حباً لا حدود له فارتفعت حرارتها ، أخذها إلى الطبيب ووصـف لها الدواء وبقيت حرارتها مرتفعة ، ومن طبيب إلى طبيب إلى طبيب إلى أن قال لـه أحـد الأطباء الكبار: حالة ابنتك نادرة جداً في المئة ألف من الأطفال الصغار لا تشبه حالتهن حالة ابنتك ، هذا مرض مستمر حتى الموت حرارتها أربعون بشكل مستمر وهو يؤمن أنـه (لا إله) ، فما استطاع تحمل هذه الصدمة وبكى وتألّم ، وبعد حين اختل توازنه وصار يأتي بهـا إلى دائرته وهو شيء غير مقبول لكونه موظفاً ، فخاف أن تموت في غيابه فلم يحتمل ، تقول زوجته : بعد شهرين أو ثلاثة من استمرار حالتها المتردية قال لها : أريد أن أغتسل . ويبدو أنه يغتسل لأول مرة في حياته اغتسل وقام ليصلي وهكذا قال حسب رواية زوجته ، قـال : يقولون إنك موجود فإن كنت موجوداً فإما أن تشفي ابنتي وإما أن تميتها وإما أن تميتني وقـام وصلى ركعتين ، بكى فيهما بكاء شديداً وهما أول ركعتين في حياته وما إن سلّم من صلاته ، حتى انخفضت حرارة ابنته ، وشفاها الله .

من هذه الأحداث الواقعية الشيء الكثير ؛ فمرةً بعد انتهاء درس المساء قال لي شاب : أريد أن أُقابلك ، فحدثني وقال : والله يا أستاذ ما من معصية تعرفها إلا وأنا أقترفها على وجه الإطلاق فأية معصية تخطر ببالك إلاّ وقد أقترفها ، نشأت جاهلاً وعند رجل أكد لي أنه (لا إله) ، سول له أن افعل ما شئت ، ثم حدثني عن نجاحه في التجارة وعن أرباحه الطائلة وانحرافه وانحطاطه وسفرياته وقصته قصة طويلة معقّدة إلى أن عاجلته ضربة من الله عزوجل فحطمته فجأة فغدا بلا دخل ، واعترته أمراض وبيلة أصابته وأولاده وزوجته ، فلم يعد يملك ثمن الطعام ولا ثمن الدواء وتابع وصف ظروفه : والله كأن مطرقة تطرقُ رأسي كل دقيقة الى أن مررت بأحد المساجد وسمعت المؤذن يؤذن فدخلت المسجد وصليت لأول مرة في حياتي وبكيت بكاء شديداً وعاهدت الله على **التوبة** . فهذه أحداث ووقائع وصلت إلى مسامعي خلاصتها أن الإنسان يجب أن يعلم أنه ما من رجل في الأرض إلا وله مع الله أوضاع وأحوال تنتهي بالإنابة وهذا معنى **تواب** " **إن تابوا فأنا حبيبهم وإن لم يتوبوا فأنا طبيبهم أبتليهم بالمصائب لأطهرهم من الذنوب والمعايب** " **...** أعرف كيف أداويهم .

وكثير من رواد المسجد سبب مجيئهم إليه مشكلة كبيرة ساقها الله إليهم ففزعوا وأنابوا وارتجعوا وتابوا فقَبِلَهم الله عز وجل وتجلّى عليهم . وهناك أشخاص أصابهم مرض عضال ، أحدهم خاطب الله عز وجل ضارعاً متوسلاً ، وهو في غرفة العمليات لاستئصال الورم الخبيث قال : يا رب أعاهدك إن شفيتني من هذا المرض ألا أعصيك ما حييت . وشفاه الله من هذا المرض فبقي ثابتاً على عهده . فلولا هذا الورم الذي ساقه الله له ما كان ليتوب . صدقوني أيها القراء الكرام أن عشرات بل مئات بل آلاف الحكايات التي انتهت إلى سمعي مصادفة فكيف لو أنني تتبعت الأمر.٠ هذا معنى **التواب** . يعني .. " **تاب عليهم ليتوبوا** " هي من أجمل آيات البحث . يعني ساق لهم من الشدائد ما يحملُهم بها على التوبة فَمن هو البطل ؟ الذي يأتيه طوعاً والذي يأتيه وهو في الرخاء ؟ هذه هي البطولة ولتكن إذاً بطلاً .

وطبعاً بعد المصيبة فالتوبة مقبولة وجيدة وبارك الله لكل من تاب بعد مصيبة ، ولكن الأكمل والأقوى أن تعرفه في الرخاء لا في الشدة، أن تعرفه وأنت غني وأنت قوي .

إذاً **فالمعنى الثاني : تواب** : أي يسوق لعباده من الشدائد ما يحملهم على التوبة وأجمل الآيات :

إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيۡهِمۡ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾

(سورة البقرة)

وهذه آيةٌ ثانية : " **ثُم تَاب عليهم لِيتُوبوا** " يعني إذا جاءت **توبة** الله قبل **توبة** العبـد فتعني الشدائد التي يسوقها للعبد وإذا جاءت **توبة** الله بعد **توبة** العبد فتعنـي قبـول **التوبـة** . يحملك على **التوبة** ثم يقبل **توبتك** وأنت بين دافع إلى **التوبة** وبين قبول لهذه **التوبة** .

أنا أتمنى على كل أخ كريم أن يجري مناقشة منطقية ويسأل نفسه فمـثلاً شـخص عمره ثمانون سنة لُيحاسب نفسه وليتذكر أنه ما قر يوماً هناك بتقصيرٍ أو انحراف إلا وسـاقَ الله له شدة وأعاده إليه بعدها ، فما بال أحدنا إذاً ينتظر الشدة أن تقع ، إذاً فليعد إلى الله بـلا شدة وبلا تأديب وبلا مشكلة وبلا مصيبة وبلا تضييق ، هذا هو الذكاء ، وهذا هـو العقـل ، وهذه هي الحكمة . هذا كان من ابن الثمانين ، أما الشباب فليأخذ العبرة من غيره ، مما يقـرأ ومما يسمع .

هناك شيء آخر : قالوا : الله عز وجل **يتوب** على عبده ابتداء أي يسوق لـه مـن الشدائد ما يحمله على **التوبة** وأما تمام **التوبة** أن يقبلُها منه وأن يثبته عليها ، فمثلاً : لو قـال عبد : يا رب أنا **تُبتُ** إليك ، فهذا الذنب لا أقع فيه مرة ثانية ، ولم يقل : يا رب ثبتني اللهم يا مثبت القلوب ثبت قلبي على دينك ، ثبت قلبي على طاعتك . فلو قال أنا تبت واكتفى بمقالـه هذا . وقال : لم يبق عليه شيء بعد ذلك ؟ فهذا الذي ينسب **التوبة** إلى نفسه ويعتـد بإرادتـه وبقدرته على متابعة **التوبة** ربما ضعفَ الله مقاومته ، فوقع في الذنب مرةً أخرى . لذلك تمام **التوبة** قبولها والثبات عليها لأن الإنسان إذا **تاب** من ذنب ثم عاد إليه يختل توازنه وينهـار ، فلو فعلت هذا الذنب للمرة الألف قبل **التوبة** أهون من أن تفعله مرة واحدة بعد **التوبة** ، دققوا ، لأنك إذا فعلته بعد **التوبة** انهارت معنوياتك وشعرتَ كأن الطريق الى الله عز وجـل غيـر سالك . أما الشيء الذي يلفت النظر قوله سبحانه وتعالى :

وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡكُمۡ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيۡلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾

(سورة النساء)

"**لله أفرح بتوبة عبده من الضال الواجـد ومـن العقـيم الوالـد ومـن الظمـآن الـوارد**"
أعرابي ركب ناقة عليها طعامه وشرابه ، ثم جلس ليستريح فشردت عنه فأيقن بالهلاك فجلس يبكي حتى نام ثم أفاق فرأى الناقة عند رأسه فمن شدة فرحه اختل توازنه فقال : يا رب أنـا ربك وأنت عبدي . : يقول عليه الصلاة والسلام : " لله **أفرح بتوبة عبده المؤمن مـن هـذا البدوي بناقته** " .

واللُه عز وجل يريد أن **يتوب** عليكم ، إذا رجع العبد العاصي إلى الله نادى مناد في السموات والأرض أن هنئوا فلاناً فقد اصطلح مع الله . " **والله يريد أن يتُوب علـيكُم ويريـد الذين يتبعون الشهوات أن تَميلُوا ميلا عظيما** "

جالس أهل الدنيا ، جالس مع أهل الشهوات ، جالس أهل الفجور هذا الفـاجر وهـذا العاصي يتمنى أن يجرك إليه حتى إنه يقول له : ضعها برقبتي ومن أنت حتى أضع خطيئتي برقبتك ؟ ثم يقول : الله **تواب** رحيم وغفور رحيم ولا تُدقق فالله لا يدقق فما هذا الكلام ! هـذا ما يقوله الضال لمن يضل ، فاسمع وله تعالى **:** " **والله يريد أن يتُوب عليكُم ويريـد الـذين يتبعون الشهوات أن تَميلُوا ميلاً عظيما** " يجب أن تُقدس هذه الإرادة الإلهية ، فالله عز وجـل يريد لك الخير، كما يريد لك السعادة الأبدية .

هذا الإنسان بعد حين سوف يعذّب عذاباً لا يحتمل ، بينما هو الآن يركـب مرحـاً وفرحاً سيارة ، وهناك إنسان بعد حين سينال أعلى مرتبة وهو الآن يمشي على قدميه ؛ التقيا في الطريق فمن هو الفائز؟ حسب الظاهر ، الذي يركب المركبة الفاخرة ، لكن الفائز بعـين العقل هو الذي يمشي على قدميه . تصوروا بيتاً فخماً جداً ثمنه مئة مليون فيه كـل دواعـي الترف وله طريق وعلى هذا الطريق إنسان يمشي على قدميه ليتملك هذا البيت ، وإنسان آخر يركب مركبة فارهة باتجاه أن يشنق في ساحة عامة . التقى هذا الذي يركب المركبة مع هـذا الذي يمشي إلى هذا البيت على قدميه في الطريق فهنيئا لمن ؟ لمن يمشي على قدميه ، بعيون رؤوسنا ، فالتهنئة لراكب السيارة ، أما بعيون عقولنا فالتهنئة لمـن يمشـي علـى قدميـه ، فالأمور بخواتيمها .

قُلْ تَمَتَّعُوا۟ فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٣٠﴾

(سورة ابراهيم)

وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ
مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ
أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾

(سورة البقرة)

لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿١٩٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ
جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٩٧﴾

(سورة آل عمران)

قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧٧﴾

(سورة النساء)

وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتُهَا ۚ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ
وَأَبْقَىٰٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَفَمَن وَعَدْنَٰهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَٰقِيهِ
كَمَن مَّتَّعْنَٰهُ مَتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مِنَ
ٱلْمُحْضَرِينَ ﴿٦١﴾

(سورة القصص)

مَا لَكُمۡ كَيۡفَ تَحۡكُمُونَ ﴿٣٦﴾

(سورة القلم)

أَفَمَن كَانَ مُؤۡمِنٗا كَمَن كَانَ فَاسِقٗاۚ لَّا يَسۡتَوُۥنَ ﴿١٨﴾

(سورة السجدة)

أَفَنَجۡعَلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ كَٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿٣٥﴾

(سورة القلم)

أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجۡتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجۡعَلَهُمۡ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءٗ مَّحۡيَاهُمۡ وَمَمَاتُهُمۡۚ سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ ﴿٢١﴾

(سورة الجاثية)

كلام واضح كالشمس .

عزيزي القارئ : معنى الله **تواب** يعني يعود بالخير على عباده فالأمطار من **التواب** عاد بها علينا ، والهواء الذي نستنشقه من **التواب** عاد به علينا ، وهذه الأجهزة التـي تعمـل بانتظام من **التواب** عاد بها علينا وكل ما أنعم الله به علينا من **التواب** فهذا العنى الأول .

<u>المعنى الثاني :</u> تواب قبل **التوبة** بمعنى يسوق لعباده الشدائد :

فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمۡ ذُو رَحۡمَةٖ وَٰسِعَةٖ وَلَا يُرَدُّ بَأۡسُهُۥ عَنِ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿١٤٧﴾

(سورة الأنعام)

انظروا إلى الآية ما أروعها بياناً ومعنى وما أدقّها ، ما معنى هذه الرحمة ؟ قـال " **ولا يرد بأسه عن القوم المجرمين** " هذه رحمته رحمته تقتضي ألا يرد بأسـه عـن القـوم

المجرمين ، تصور ابناً ذكياً وأبوه عالم ، فالابن مقصر فضربه وضيق عليه ، حاسبه ، زجره إلى أن نجح ، تابع عليه المراقبة الى أن صار طبيباً ونالَ أعلى الشهادات ، وجلس في عيادته ، وثلاثون زبوناً في الخارج وتصوير ومعانيات ودخلٌ يومي من خمسين إلى سـتين ألـف ، فيقول : جزى الله والدي كل خير على الضرب الذي ضربني إياه في الصغَر فلولاه لما كنـت اليوم طبيباً . فلو قال الابن : لا أريد الدراسة ، فلم يزجره أبوه ، بل تركه لأصبح يلهث وراء الناس فيقول : لماذا لم يضربني أبي ، ولماذا لم يضيق علي ، أو ينصحني ، أو يطردني مـن البيت لماذا ؟ رحمة أبيه الساذجة ؛ مع جهل الابن في صغره تجعله يحقد عليه ، وشدة والـده الواعية ؛ تجعل الابن يذوب حباً له .

أمثلة بسيطة لو فرضنا أن إنساناً كان منحرفاً فضيق الله عز وجـل عليـه وخوفـه وأرسل له شدائد الى أن استقام على أمر الله ، فذاقَ طعم القُرب ومعنى الهداية ، وشَعر بعمة الاستقامة فإنه يقول : يا رب لك الحمد على أن سقت إلي هذه الشدائد ، والله إني ليسعدني أن أقول لكل من ابتلاهم الله ببعض المصائب : ثقوا بالله بلا حدود أنه سيأتي وقت يكشف لك الله فيه عن سر هذه المصائب . فإن لم تذب كالشمعة حباً لله عز وجل ؛ فهذا الكلام هراء لكن ما شاء لله أن نتَقوّل ، وإنما الأحداث تتكلم ، واقرؤوا عن بعض أصحاب رسـول الله صـلى الله عليه وسلم ، ففي أخبارهم وعقابيلها المُثُلُ الواضحة .

فالإنسان يجب أن يعرف أن الله عز وجل **تواب** ، ومعنى **تواب** يعني يحبنا ، ودائماً نحن في العناية المشددة ، في غرفة العناية المشددة تخطيط دائم ، يرى فيه عـدد النـبض ، والموجات بشكل مستمر ، أنت في العناية المشددة ، وأحوال القلب والأعراض على الشاشة ، فمثلاً : إنسان يسير في الطريق تفكيره مضطرب ، فيصطدم بعمود ، الى أين تسير يا عبـدي ؟ يكون ماشياً بشكل خطأ ، أو نظر إلى امرأة لا تَحلُ له فجأة تأتيه الصدمة ، ويشج رأسـه ، فالله عز وجل **تواب** ، أكلَ مبلغاً بالحرام فيضيع الله له عشرة أمثاله ويربيه ، عامـلَ أصـلح عطلاً في سيارة وأخذ من الزبون عشرة أمثال والزبون لا يعرف ، فعاتبه جاره فأجابه : هكذا العمل وفي اليوم الثالث دخلت في عين ابنه نثرة برادة فتكلّفَ له ستة عشر ألـف ليـرة فـي الجامعة الأمريكية . فذهب الحادث بربحه الحرام وبالإضافة إلى التأديب .

أحد تجار الجملة جاءه شخص يريد شراء حاجات من عنده فطلب ست قطع فقط من ألبسة معينة ، ولما كان هذا من شأنه أنه يبيع بالجملة فرآها إهانة له ، وقـال : أنـا لا أبيـع بالمفرق: فأقسم بالله من بعدها أنه مضى عليه ثلاثة وعشرون يوماً ولم يدخل إلـى محلـه أو معمله إنسان . فالله عز وجل **تواب** .

انظر الى النحاس كم هو جميل ، من كثرة الطرق أصبح جميلاً وهكذا المؤمن كلما ازداد عليه الطرق يصبح أديباً وكلامه يصير مضبوطاً وليس عنده كبر ولا تطـاول ، هـذا معنى التأديب الإلهي وهو معنى **التواب** أي يعالجك حتى تُصبح نقياً كالملك تماماً .

" وعزتي وجلالي لا أ قبض عبدي المؤمن وأنا أحب أن أرحمه الا ابتليته بكل سـيئة كـان عملها سقماً في جسده ، أو إقتاراً في رزقه ، أو مصيبة في ماله ، أو ولده حتى أبلغ منـه مثل الذر ؛ فاذا بقي عليه شيء ، شددت عليه سكرات الموت حتى يلفاني كيوم ولدته أمه "

.

أيها القراء الكرام : أرجو أن أكون موضع ثقتكم من أنني لكم ناصح ، وأمـين إن شاء الله ، وأقول وأكرر إن دعوتي ملخّصة بكلمتين : إما أن تأتيه راكضاً أو أن يأتي بك ركضاً. ويعلم الله كيف يأتي بك ، ويعلم كيف يخوفك ويعرف كيف يجعل ركبتيك ترتجفـان ، ويعلم كيف تسمع الخبر وتقع مغشياً عليك ، فأقبل على الله طائعاً منيباً فهو الأجدى والأسلم .

أعرف رجلاً أسرفَ على نفسه كثيراً وله جار صالح نصحه فلم يرعو ، ومات على معاصيه ، ثم رؤي في المنام يرتدي ثياباً خشنة قميئة مهترئة ويدور حول بحـرة ويقـول : نصحني فُلان ما انتصحت يا ليتني انتصحت ، لو أنه نصحكم فاسمعوا نصيحته ، فالإنسان ما دام قلبه ينبض فيقول لك : التخطيط سليم **فالتوبة** مفتوحة ، وما دام القلب ينبض فالباب مفتوح فأدرك بنفسك رحمة الله فهي قريبة .

قال لي صاحب معمل : قبل عشر سنوات كنت أفقد مالاً ، أضع ألفين مثلاً في جيبي ثم لا أجد شيئاً ، فهناك عامل يسرقني وبقيت شهراً أراقب والسرقة مستمرة بالمال والبضاعة ، ثم توقفت السرقة ، وبعد عشر سنوات طرق بابي شاب ملتحٍ قال: أنا فلان هل عرفتنـي ؟ فقلت: نعم كنت عندنا في المعمل قال : كنت أسرق منك **وتبت** الى الله عز وجل ، وها أنا بين يديك جئت لأرد لك كل الذي أخذته منك . فقال له : والله نظير هذه **التوبـة** وهـذه الأوبـة سامحتك ولك مكان في معملي إذا شئت أن ترجع .

ما دام القلب ينبض ، فالحل سهل وكله يستدرك ويصحح فممكن أن تؤدي الـذمم المترتبة عليك سابقاً ، وممكن أن تُعيد الحاجات لأصحابها ، وممكن أن تستسمح من اغتبتـه . كله ممكن فإما أن تأتيه راغماً وإما أن يحملك على أن تأتيه راغماً فالأولى أرقـى وأشـرف وأجمل وأحلى .

فالتوبة الأولى " **ثم تاب عليهم ليتوبوا** " يحمل على **التوبة** والثانية " **تابوا فتاب الله عليهم** " ، يعني قَبِلَ توبتهم ، وإذا قَبِلَ توبتهم يعني ثبتّهم عليها .

خبر مسند أنه صلى الله عليه وسلم دعا لأمته عشية عرفة : واستغفر اللهَ لهم فأوحى الله إليه أني قد غفرت لهم ما بيني وبينهم ولم أغفر لهم ظلم بعضهم لبعض . ما بيننا مغفـور لكن ما بينكم وبين العباد لا بد من أن يصحح وهذا معنى قوله تعالى :

يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ

(الآية ٣١ من سورة الأحقاف)

يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ

(الآية ٤ من سورة نوح)

يعني بعض ذنوبكم .

أتمنى أن يكون لدي متسع لنوسع هذا الموضوع بحثاً لكن يبـدو لـى أن الموقـف العملي من قبل القارئ الكريم أبلغ من التفصيلات ... وليحاسب كل إنسان نفسه حساباً دقيقاً ، وأسعد إنسان من التزم منهج الله في كُل أحواله ، وأسعد إنسان من أطاع الله حقاً ، وإن لنـا في قوله تعالى ما يريح النفس ويشفيها .

وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾

(سورة الأحزاب)

كذلك ففي قوله تعالى التكريم والإكرام

إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾

(سورة الحجرات)

ألا يكفي المظلوم أن يكون ظالمه في معصية الله .

أيها القراء الكرام : معنى **تواب** أي لا يعاملك بالعدل فحسب بل إن الله يتابع عبـده إلى أن يكنفه برحمته ، فالأب الرحيم كل يوم ينادي ابنه ويسأله عن أعماله المدرسية ومـاذا

كتب وحفظ ؟ أما أن يتركه حتى يرسب ويقول قدمت الذي علي فيجيبه الابن : صحيح لكنـك لم تكن رحيماً بل كنت عادلاً أما الرحيم الذي يتابع .

ربنا عز وجل هو **التواب** حمّلك الأمانة إذ حملتها وكلّفك بالأمانة ، ومنحك عقـلاً وسخر لك كوناً وأعطاك اختياراً وأعطاك شهوات وفطرةً وشرعاً ، ومع ذلك يتـابع أحوالـك بالنصح مثلاً :

حدثني أخ كريم أنه كان بحاجة إلى مبلغ من المال ، إذ وجد بيتاً ثمنه مغرٍ جداً بقيمة "٣٥٠٠٠ ل. س " والموضوع قديم ، وهو معروض عليه بـ " ٢٥٠٠٠ ل.س" ومعه عشـرة آلآف ويلزمه خمسة عشر ألفاً ومعه سندات مصرفية فذهب إلى المصـرف ليحسـم هـذه السندات ، والحسم رباً معكوس ومدير البنك ليس مسلماً بل ذمياً . فقال له : يا أبا فلان ، أنت مسلم وهذه حرام في دينكم ، ابقَ نظيفاً . فقال : صرت أبكي ، أنا أتلقى نصيحة مـن إنسـان غير مسلم في أمر ديني . فقال : يا رب أعاهدك ألا أشتري هذا البيت ولا أعصيك ، فقال لي : ثم توجهت من المصرف الى محلي التجاري فوجدت صديقاً قديماً ينتظرني فقلـت : خيـراً فقال : أريد السفر لأحد بلدان الخليج ومعي ستون ألفاً لست بحاجة إليها ، وأريد أن أودعهـا عندك لمدة سنتين وأُناشُدك الله أن تستعملها إن احتجت ، أقسم بالله أنه بعد نصف ساعة مـن عودته من المصرف وقراره ألاّ يعصي الله . كان صديقه عنده وكان المبلغ بين يديه ليستخدمه حلالاً .

فالله سبحانه وتعالى حكيم فإن كان المرء يأتي بإشارة فلا ضرورةً لكلمة ، وإن كان يأتي بكلمة فلا حاجة للضرب ، كلما كان للإنسان حساسية فهو يفهم بالإشارة . وأحيانا يحـس الإنسان بإنقباض فيقول : هناك في الأمر شيء . وهناك من الناس من يحتاج إلـى تأديـب علني أو عذاب مهين أوعذاب عظيم أوعذاب أليم فكلما ارتقت مكانة الإنسان عنـد الله تكفيـه الإشارة ، فالحر تكفيه الإشارة .

تواب : أي أنه لن يتركنا بل يريدنا ، نحن مطلوبون إليه خلقنا ليرحمنا ، خلقنـا ليسعدنا في الدنيا والآخرة . فافهم أن الحر تكفيه الإشارة ، فإذا قصرت يأتي بِـك ، وأُحـس أحيانا أن كثيرين قد تركوا مجالس العلم ثم لم يمض إلا أشهر حتى عادوا فلعله حـدثت لهـم مشكلة فيهرول أحدهم مسرعاً . فابقَ ثابتاً لأن الله يدعوك إليه ولا تكن كالقارب الصغير شأنه اضطراب باضطراب ولكن كالسفينة الراسخة :

مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَـٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ
وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾

(سورة الأحزاب)

انتهى الأمر وغدا جلياً واضحاً فأنت عاهدت خالق الكون فإذا عاهـدت الله علـى الطاعة وعلى تلقي العلم وخدمة الناس فابقَ ثابتاً . فأنا أقول لكل شـخص : إذا امتحنـك الله بالنزول فظهرت كراتك جيدة فإننا نريد أن نراك بالصعود ارتقاء إلى الله ، فبادر .

هذا معنى اسم **التواب** ، وأرجو الله سبحانه وتعالى أن **يتوب** علينا والنبي صـلى الله عليه وسلم يقول : " **اذا رجع العبد العاصي الى الله نادى منـاد فـي السـموات والأرض أن هنئوا فلاناً فقد اصطلح مع الله** " .

والحمد لله رب العالمين

الدرس ٢٨ - اسم الله : "الهادي"

بسم الله الرحمن الرحيم

مع الاسم الثامن والعشرين من أسماء الله الحسنى والاسم هو **الهادي** ، والله سبحانه وتعالى ، خَلَقَ ثم **هدى** .

شققنا الطريق ، ثم وضعنا الشاخصات ، صنعنا الآلة وأصدرنا كُتيب التعليمات ، الله سبحانه وتعالى خلق الكون ثم نوره .

كلمة **الهادي** مأخوذة من فعل **هدى** ، **والهادي** اسم فاعل ، ما معنى **هـدى** ؟ إن الله عز وجل يقول :

وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٢٥﴾

(سورة يونس)

يعني خُلقتَ لِيسعدك ، لا سعادة تنقطع عند الموت ، بل لِيسعدك إلى الأبـد ، ومـا الحياة الدنيا إلا إعداد لهذه الحياة الأبدية ، إذاً : " **والله يدعو إلى دار السلام ويهدي من يشَاء إلى صراط مستَقيم** " الصراط هو الطريق ، الله عز وجل أعطى الإنسان حرية الاختيار ؛ فمن شاء **الهدى هداه** إلى صراط يؤدي إلى دار السلام ، خُلقت لدار السلام ، دار السـلام هـي الجنة ، خُلقت لدار السلام وأنت مخير ، فإذا اخترت دار السـلام هـداك الله إلـى الصـراط المستقيم الذي يوصلك إلى دار السلام ، آيةٌ دقيقة المعنى جداً ، لا تظنوا كما يظن بعض الناس أن الله سبحانه وتعالى خلق الناس ليعذبهم، لا تظنوا أن هذه المصائب عشـوائية ؛ وأن هـذه المصائب مقررة من قبل الله عز وجل لإلجاء العباد إلى بابه قال تعالى : " **والله يـدعو إلـى دار السلام ويهدي من يشَاء إلى صراط مستَقيم** " .

ما معنى **الهداية** ؟ **الهداية** : الإمالة ، **هداه** أي أماله ، أي وجهـه نحـو الحـق ، **فالهداية** في اللغة معناها الإمالة ، وتُسمى **الهديةُ هديةً** لأن من شأنها أن تُميل قلـب المهـدي إليه .

يقول الإمام الجنيد قال : " **اهدنا الصراط المستقيم ؛ يعني يا رب ملْ بقلوبنا إليك ، وأقم هممنا بين يديك ، واجعل دليلنا منك عليك** " ، النقطة الدقيقة : هي أن الإنسان مخيـر ، ومعنى مخير أمامه عدة خيارات ، قال تعالى :

إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾

(سورة الإنسان)

من هو الداعية ؟ هو الذي يقنعك بأن تتجه إلى طريق الحق عن طريق ماذا ؟ عن طريق الإقناع ، وعن طريق الدليل ، وعن طريق التبيين ، وعن طريق التوضيح ؛ فربنا عز وجل هو **الهادي** .

وبناء عليه فكم طريقة من الطُرق **يهتدي** بها الإنسان ؟ .. بادئ ذي بدء فالله سبحانه **هدى** الإنسان إليه عن طريق الخلق ، وأول مخلوقاته الكون ، والله قوي ، وفي الكون مظاهر قوته . وهو الغني وفي الكون مظاهر الغنى . وهو عليم وفي الكون مظاهر العلم . وهو رحيم وفي الكون مظاهر الرحمة . يعني بإمكانك أن تقول : إن الكون مظهر لأسـماء الله الحسـنى ولصفاته الفُضلى . فإذا أردت أن تفكر في الكون وصلتَ إلى الله إنه صنعته ، منه تصل إلى الصانع . إنه خلقه ، منه تصل إلى الخالق ، إنه كونه ، منه تصل إلى المكون . إنه تنظيمه ، منه تصل إلى المنظم . به ترى العلم ، به ترى الحكمة ، به ترى القُدرة ، به ترى اللُطف ، به ترى العطف ، به ترى الرحمة ، به ترى الخبرة ، كل ما في الكون يدل على الله عز وجل.

وقد تنظر إلى وردة فكأن الله سبحانه وتعالى تجلّى عليها باسم الجميل . فإذا رأيت البحر هائجاً ، تجلّى الله عز وجل على البحر باسم الجبار . تارةً ترى اسم الجبار ، تارةً ترى اسم القهار ، تارةً ترى اسم المنتقم ، تارةً ترى اسم العليم ، تارةً ترى اسم الحكيم ، تارةً ترى اسم العلي الكبير . فكُل مظهر في الكون ؛ يدلُ على اسمٍ من أسمائِه ؛ أو على كـل أسـمائه فكيف **هدانا** الله ؟ ، الله قال :

قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْـَٔايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾

(سورة يونس)

فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَـٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾

(سورة عبس)

فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَـٰنُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ﴿٧﴾ إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجْعِهِۦ لَقَادِرٌ ﴿٨﴾

(سورة الطارق)

فإذا أردت أن **تهتدي** إلى الله فحسبك الكون ، وقد قال عليه الصـلاة والسـلام : " حسبكم الكون معجزة " .

هذا أول باب ، ولكني أقول للقارئ الكريم : إن باب الكون أوسع أبـواب **الهـدى** ، وأقرب طُرق **الهدى** ؛ لأن الكون يضعك وجهاً لِوجه أمام قُدرة الله ، وأمام عظمتـه ، وأمـام حكمته، وأمام رحمته ، وأمام علمه وأمام خبرته . فالله سبحانه وتعـالى **هـداك** بخلقـه ؛ إذاً **الهادي** اسم من أسماء أفعاله .

أيها القارئ الكريم يمكنك أن تتأمل آلة وتقول : المهندس خبرته رفيعة المسـتوى . وتقول : هذه الألوان التي أعطاها للآلة لطيفة فيها ذوق رفيع . تكتشف علمه ، وتكتشف ذوقه ، وتكتشف خبرته ، لكن أحياناً مع الآلة نشرة ، الآن ربنا عز وجل **يهدي** الإنسان لا بخلقـه فحسب بل بكلامه ، قال :

إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٧٥﴾

(سورة الحج)

وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّـٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿٧٨﴾

(سورة التوبة)

إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٧٧﴾

(سورة النحل)

إِنَّ ٱللَّـهَ غَفُـورٌ رَّحِـيمٌ ﴿١٨٢﴾

(سورة البقرة)

وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ﴿١٤﴾

(سورة البروج)

إِنَّ رَبِّـى رَحِـيمٌ وَدُودٌ ﴿٩٠﴾

(سورة هود)

وفي الآيات التالية تبين الهدي بكلامه سبحانه وتعالى :

ٱللَّـهُ ٱلَّـذِى رَفَـعَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْأَيَـٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾

(سورة الرعد)

وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾

(سورة الشورى)

وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَـٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَـٰتٍ لِّلْعَـٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾

(سورة هود)

وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾

(سورة الروم)

وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾

(سورة الروم)

وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ ٱلْجَوَارِ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَـٰمِ ﴿٣٢﴾

(سورة فُصلّت)

وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَـٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾

(سورة الشورى)

وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَلِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٤٦﴾

(سورة الشورى)

وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾

(سورة الروم)

وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾

(سورة الروم)

أول بند من بنود **الهدى** خلقُه ، **فالهادي** اسم من أسماء أفعاله .

البند الثاني : أن الهادي اسم من أسماء ذاته ، لأنه المتكلّم ، فالله متكلّم ، والقرآن كلامه.

أحياناً تنظر لشيء رائع ، ويقول لك صانع هذا الشيء : هذه صنعتها لكذا وهذه لكذا ، وهذه المادة الأولية من أعلى مستوى ، وهذه الآلة لأجل كذا ، فقد أعطاك تعليمات من عنده مباشرةً ، فالله سبحانه وتعالى **يهدي** بكلامه ، إذاً **الهادي** اسم من أسماء ذاته كما أننا عرفنا أنه اسم من أسماء أفعاله .

إذاً : **هداك** بخلقه ؛ **فالهادي** اسم من أسماء أفعاله ، وإذا **هداك** بكلامه ؛ **فالهادي** اسم من أسماء ذاته . اقرأ القرآن . القرآن يبين لك أصل الخليقة ، حقيقة الحياة الدنيا ، ما بعد الدنيا ، كما بين لك أسماء الله عز وجل ، بين لك صفاته ، بين لك أنبياءه السابقين واللاحقين ، بين لك حكمة الوجود ، أمرك بالصلاة في القرآن ، أمرك بالصوم وبالزكاة وبالحج ، بين لك لماذا تصلي.

وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ

(الآية ٤٥ من سورة العنكبوت)

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾

(سورة البقرة)

خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيۡهِمۡۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٞ لَّهُمۡۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ١٠٣

(سورة التوبة)

فالله سبحانه هو **هادي** ، الله **هداك** بكلامه ، فإذا أردت أن تقرأ القرآن ؛ فالقرآن باب إلى الله عز وجل . والكون باب ؛ لكن (الكون) لغة عالمية ، يعني يراه ويقرؤه ويفهمه المسلم وغير المسلم ، العربي وغير العربي ، إفريقي ، صيني ، أمريكي، أوروبي، من أي مكـان ، الشمس ساطعة ، النجوم زاهرة ، الكواكب متألّقة ، الماء عذب زلال ، من جعله عـذباً زلالاً بعد أن كان ملحاً أجاجاً ؟ الكون يقرؤه كل إنسان ، لكن القرآن يقرأه العربي .

على كُلٍ ؛ إذا تعمق الإنسان في معرفة الله عز وجل ، تعلّم العربية حباً بـالله عـز وجل ، وقد تجد شعوباً من غير العرب أتقنوا العربية لا لشيء إلا حباً بالله عز وجل . كيـفَ أنك اليوم إذا أردت أن تأخذ شهادة عليا من بلد أجنبي ، بادئ ذي بدء تتعلم لغـة ذاك البلـد ، يقول لك : سنتان لغة ، أي تتعلم لغة البلد الأجنبي الذي قصدته لمدة سنتين .

طالب من طلابي نالَ بعثةً إلى تشيكسلوفاكيا ، قال : تعلمتْ لغتهم خلال سنتين ، من أجل شهادة دنيوية ، من أجل حياة محدودة تعلمتَ لغة هؤلاء القوم كي تتعلم علمهم ، لذلك إذا عرفت الله عز وجل ، ورأيت أن كلامه شيء ثمين جداً ، فلابد إن كنت غير عربي ، من أن تجد نفسك مسوقاً إلى تعلم اللغة العربية . والإخوة الأكارم الأفارقة مثلاً ، الأتراك الذين وفدوا إلى هذه البلدة الطيبة ، لتعلم أمور الدين ؛ تراهم يتقنون اللغة العربية ، بل إنهـم ينزعجـون انزعاجاً شديداً لو تكلمنا بكلمة واحدة باللهجة العامية خلال الدرس كله لا يفهمـون إلا اللغـة الفصحى .

إذاً ، إذا بلغ حبك لله عز وجل حداً معيناً ؛ ترى نفسك مسوقاً إلى تعلُم اللغة العربية . إذاً فالقرآن ؛ باب آخر من أبواب **الهدى** . الكون ؛ **هداك** بخلقه . والقرآن ؛ **هداك** بكلامه . وأرجو ألا تنسوا أن الله عز وجل جعل الكون كله في كفة ، وجعل القرآن كله في كفة ، قال :

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَـٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾

(سورة الأنعام)

فهذه الآية صريحة في ذكر خلق الكون .

لأنهما الكون والقرآن يدلان عليه ، لأنهما يشيران إليه ، لأنهما يظهران أسماءه الحسنى ، وقال سبحانه في حديثه عن القرآن :

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَـٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴿١﴾

(سورة الكهف)

فالكتاب ؛ **هدى** بياني ؛ والكون ؛ **هدى** استدلالي .

لاحظ نفسك ، أحياناً تشتري آلة من دون نشرة تعليمات تنظر إليها ، تُدقق ، تستنبط ، تُحرك بعض مفاتيحها ، تُشغلها ، تُحرك هذا المفتاح ، انقطع التيار ، تُحرك هذا المفتاح علا الصوت أو انخفض ؛ إذاً هذا المفتاح للصوت ، تُحرك هذا المفتاح فيصبح الصوت صافياً ، إذاً هذا للتصفية ، تكتشف خصائصها بالتأمل والملاحظة ، لكن إذا رأيت معها نشرة باللغة العربية تقرؤها .. مفتاح رقم واحد للصوت ، الثاني للتصفية .. تَطابق ، يمكن أن تتأمل في هذه الآلة فتصل إلى بعض خصائصها ؛ لكنك إذا قرأت التعليمات التي أصدرها الصانع تصل إلى خصائصها الكاملة . إلاّ أن هناك ملاحظة ؛ فأنت من طريق التأمل تصل إلى أشياء كثيرة جداً لكن ما كل شيء تصل إليه من خلال الكون .

الكون ، يدل على وجود الله ، يدل على عظمته ، يدل على أسمائه لكن الكون لا يدلُك على الصلاة ، مهما تأمّلت في الكون أين الصلاة ؟ أين ذكر خمس صلوات ؟ أين الفرائض ؟ أين السنن ؟ أين الزكاة ؟ أين الحج ؟ أين الصيام ؟ أين غض البصر ؟ هذه لابد لها من منهج أنزله الله على نبيه عليه الصلاة والسلام . من اكتفى بالكون فقد أخذ شطر الدين ، لكن لابد من أن **تهتدي** بالكون جزئياً ، ومن أن **تهتدي** بالقرآن كلياً .

القرآن يشتمل على أحكام ، كما يشتمل على أوامر ، وعلى نواه وفيه منهج كامل ، وفيه أخبار السابقين ، وأخبار اللاحقين ، فيه بيان للمستقبل البعيد ، وفيه بيان عن ذات الله عز وجل . لا يكفي الكون وحده بل لا بد من أن يتكامل الكون مع القرآن .

دخلتَ إلى جامعة ، تأملت في قاعاتها الفسيحة ، تأملت في قاعـات المحاضـرات الكبيرة، تأملت في حدائقها الرائعة ، تأملت في بيوت طلابها ، تأملت في مخبرها ، تأملت في مسرحها ، تأملت في مكتبتها أخذك العجب العجاب ، لكن مهما تأملت في هذه الجامعة وفـي أقواسها وقاعات محاضراتها ، مهما تأملت في بيوت الطلاب وفي حدائقها وفي مكتبتهـا ، لا يمكن أن تصل إلى نظامها الداخلي ، لا يمكن أن تصل إلى طريقة النجـاح والرسـوب ، لا يمكن أن تصل إلى أسماء الأساتذة ، تأمل في الجدران من هم مدرسو هذه الجامعة ؟ لابد من كتاب تقرؤه في بيان الكليات ، أقسام الكليات ، رؤساء الأقسام ، عمـداء الكليـات ، أسـماء الأساتذة اختصاصاتهم ميزاتهم ، موقع كل كلية ، نظامها الداخلي ، طريقة النجـاح طريقـة الرسوب طريقة الانتقال ، طريقة الدرجات المقبول ، امتياز ، شرف ، جيد ، جيد جداً ، هـذا شيء لابد من أن تقرأه في النظام الداخلي .

أنا أقول هذا الكلام وأريد منه أنك إذا فكرت في الكون عرفت عظمة الله عز وجل . أما إذا أردت أن تعرف منهجه ، فلابد من قراءة القرآن . والقرآن في أساسه مـوجز ، فيـه كُليات الدين ، جاء النبي عليه الصلاة والسلام فشرحه وبينه ، فإذا فكرت في الكون عرفت أن لِهذا الكون خالِقاً عظيماً كبيراً عليماً قديراً حكيماً لطيفاً .. الخ .

لكنك إذا أردت أن تعبده ، وإذا أردت أن تتقرب إليه ، وإذا أردت أن يحبك ، فماذا تفعل؟ أنت الآن بحاجة إلى تعليمات من قبل الخالِق يقول لك صم شهر رمضـان ، أد زكـاة مالك، غُض بصرك أحسن إلى أخيك ، أعفُ عنه ، أنت الآن بحاجة إلى تعليمات هذا الخالِق أنت بعقلك عن طريق الكون آمنت بالخالِق ، لكنك إذاً أردت أن تعرف منهج الخالِق ، أمـره ونهيه ، أخبار الأمم السابقة ، ماذا يريد منك ، لماذا خُلقت ؟ فلابد من أن تقرأ كتابه .

أذكّر القراء الكرام مرةً ثانية بمثال الجامعة ، دخلت إلى الجامعة أطلعـوك علـى قاعات المحاضرات ، على بيوت الطلاب ، على الحدائق الغنّاء ، علـى الملاعـب ، علـى المكتبة الضخمة، أُعجِبتَ بها ؛ مهما تأملت في هذه الجامعة ، فهل تعرف عن طريق التأمـل والمشاهدة كم كُلية فيها ؛ هل تعرف نظام النجاح فيها ؛ هل تعرف نظام الإقامة في بيوت الطلاب ؟ لا تعرف ، هل تعرف من هم المدرسون ؟ لا تعرف ، ما أسماء الكتب المقررة ؟ لا تعرف .

إذاً الكون ؛ يدلُك على وجود الله وعلى أسمائِه الحسنى والقرآن يدلُك على منهجه ، يعني إذا أردتَ أن تؤمن به ففكّر بالكون ، وإذا أردت أن تعبده فاقرأ القرآن ، بالكون تعرفه ، وبالقرآن تعبده ، لا يغني أحدهما عن الآخر . إذا قرأت القرآن ولم تفكر في الواحد الـديان كأنك ما قرأت القرآن لماذا ؟ لأن القرآن يأمرك أن تُفكر ، فإذا لم تُفكر فقد عطلّت آيات التفكر في القرآن . إذا فكرت في الأكوان ولم تقرأ القرآن عرفت الصانع ، لكن كيف تُصلي وكيـف

تصوم ؟ أين أمره ؟ ما عباداته؟ ماذا يريد منك ، فلا تعرف ذلك إلا بمطالعة منهجه المكتوب .

إذاً فالله **هداك** بالكون ؛ **فالهادي** اسم من أسماء أفعاله ، **وهداك** بالقرآن ؛ **فالهـادي** اسم من أسماء ذاته لأن الله متكلم ، **هداك** بكلامه .

ومن ثم فبعد أن خَلَقَ الكون ، والكون دلّك عليه ، وأنزل القرآن والقرآن بـين لـك منهجه، وأمره ، ونهيه ، وهناك حوادث ، كما أن هناك تصرفات ، شيء ما يحدث ، أمطـار تنهمر ، سماء تُمطر ، سماء لا تُمطر تأتي موجة صقيع :

فَطَافَ عَلَيۡهَا طَآئِفٞ مِّن رَّبِّكَ وَهُمۡ نَآئِمُونَ ﴿١٩﴾

(سورة القلم)

ترى محصولاً ثمنه ألف مليون بثلاث دقائق يتلف بالصقيع ونعوذ بالله من الصقيع ، إذاً له أفعال ، منها صقيع ، ومنها رياح عاتية وأعاصير ، وفيضانات ، وبراكين ، وزلازل ، وكذلك أمراض وبيلة وقهر ، وفقر هذه أفعاله . خلقُه يدل عليه ، وكلامه يدل عليه ، كمـا أن أفعاله تدل عليه :

وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهۡلِكَ ٱلۡقُرَىٰ بِظُلۡمٖ وَأَهۡلُهَا مُصۡلِحُونَ ﴿١١٧﴾

(سورة هود)

وَمَآ أَصَـٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ﴿٣٠﴾

(سورة الشورى)

فلو فرضنا أن طالباً في المرحلة الإبتدائية ضرب زميل له فشكا للمعلم فعاقبه المعلم وضربه ، ثم التقى بزميله فلم يضربه فالمعلم لا يضربه ثم في لقاء ثالث ضرب زميله فالمعلم عاد وضربه ، مع بقاء المعلم ساكتاً ألا يستنبط هذا الطالب من ضرب المعلم له كلما ضرب زميله ؟ أن المعلم لا يرضيه أن يضرب طالب زميله ؟ إذاً علّمـك لا بكلامـه ، ولا بخلْقـه علّمك بفعله . منَع زكاةَ مالِه فتَلَفَ مالُه بقدر زكاة ماله ، هذا تعليم .

استطلت في أعراض الناس ، فالناس استطالوا في عرضك هذه بتلك . تكبـرت ؛ فأهانك الله . تواضعت ؛ فَرفَعك الله .أنفقت ؛ فعوض الله عليك . بخلت ، فـأتلف الله مالـك . غضضت بصرك عن محارم الله ، أسعدك الله في بيتك . أطلقت بصرك ، أشقاك في بيتـك كُنتَ مع الناس صادقاً ، وثق الناس بك . كذبت عليهم ، فَضح أمرك .

دعك الآن من كتاب الله ، ودعك من خلق الله ، تعال إلى أفعال الله ، أفعال الله وحدها تُعلمك ، مرةً ثانية ؛ المعلم ساكت لم يتكلّم ولا بكلمة حينما رآك وكزت زميلك وأنت خارج إلى الباحة ضربك على رأسك ، في الساعة الثانية ما وكزته فلم يضربك ، في الساعة الثالثة ، وكزته فضربك المعلم وهو ساكت ، سكوته كاف ، وفعلُه يعلّم ، أليس كذلك . طبعاً على هذه الفكرة ينطبق آلاف الوقائع ، أفعال الله وحدها تُعلمك . خلْقُه يعلمك وكلامه يعلمك ، ربنا عز وجل قال:

قُلْ سِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٦٩﴾

(سورة النمل)

شخص غش الناس صودرت أملاكه فلماذا صودرت ؟ دليل على أذيته ، هذا الـذي نصحهم لماذا نمى الله ماله ؟ هذا الذي أكرمهم لماذا أكرمه الناس ؟ هذا الذي أعطاهم لمـاذا أعطاه الله ؟

إذاً : هو **الهادي** بخلقه ، **والهادي** بكلامه ، **والهادي** بأفعاله **هداك** بخلقـه **وهـداك** بكلامه **وهداك** بأفعاله ، لا أعتقد أن واحداً من الإخوة االقراء إلا وعلمه الله بالأفعال .. صليتَ الصبح في جماعة ، فشَعرتَ طَوالَ النهار أن كلامك سديد ، وأن عقلك رشيد ، وأن أحوالـك عالية ، وأن قلبك عامر ، وأن الناس قد هابوك ، وأن الأمور ميسرةَ .

في اليوم التالي لم تُصلّ الصبح ، فاتتك صلاة الفجر ، فواجهتك مشاكل كثيرة : أول مشكلة بالطريق ، الثانية بالمحل ، الثالثة جاءك موظف تطاول عليك ، الرابعة ذهبت إلى فلان فلم تجده .

لقد علّمك بأفعالِه ، يوم صليت الفجر في جماعة ؛ فأنت في حفظ الله وفي ذمتـه ، فلما فاتتك صلاة الفجر ، تلاحقت المشاكل في الطريق وفي العمل وفي البيت ، هذا تعليم ، الله **يهديك** إليه بأفعاله ، تصدقت جاءتك دفعة لم تكن بالحسبان . سألك إنسان سؤالاً فأعطيته رغم أنك مضطّر للمال فتح الله عليك رزقاً .

ذكر لي أخ كريم فقال : اتصلت بي أختي صباحاً ، قالت لي أريد خمسة آلاف ليرة ، قال معي المبلغ ولكني في ضيق شديد وعلي دفعات كبيرة ، نشأ صراع في نفسه ، ثم غلب

نفسه وذهب إلى بيت أخته وأعطاها المبلغ وعاد إلى دكانه في سوق البزورية ، فجاءه شخص ، وقال أريد هذه السلعة وسماها ، قلت : ليست متوفرة لدي ، قال أين توجد ؟ قلت في المعمل الفلاني ، فطلب مني أن أدله عليه ، فذهبت معه ودللته عليه وعدت إلى محلي ، مساء أتاه صاحب المعمل وأعطاه مبلغاً من المال " طبعاً هذا إذا حسبه على الزبون فيه شبهة أما إذا أعطاه من ربحه لا شيء فيه " قال : أخذت ضعف ما قدمت لأختي صباحاً . ولا أعتقد أن أحداً ممن يقرأ هذا الكلام إلاّ ويلمس أن الله يوماً عامله بما يشبه معاملة ذلك الشخص ، قال عليه السلام : " أنفق بلالُ ولا تخشَ من ذي العرش إقلالاً " .

عن أبي هريرةَ رضي الله عنْه أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قالَ قالَ الله أنْفقْ يا ابن آدم أُنْفقْ عليك *

أجل ، علّمك الله عز وجل بأفعاله ، هو يعلمك باستمرار ، لذلك عندما قال :

وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴿٢٨٢﴾

(سورة البقرة)

يعلمك بأفعاله ، لكن الإنسان حينما يفهم عن ربه ما يأمر وما ينهى ، وحينما تنعقد صلةٌ مباشرة ، إدراك مباشر ، تجد أن هذه لتلك وهذا الصنيع لذاك الفعل .

شخص له استقامته ، وله انضباطه ، وله ورعه ، سافر في أول رحلة بالطائرة ، زلت قدمه فأطلق بصره ، وصل إلى البلد الآخر فركب سيارة أجرى وأعطى السائق أجرته ، فأخذه السائق إلى المخفر ، العملة مزورة ، فقال أنا عضو وفد ومدعو إلى مؤتمر في أعلى درجة ، وإذا به في قفص اتهام . قال : والله دمعت عيني وكأنني عاتبت ربي ، قال : وقع في قلبي " لماذا أطلقت بصرك يا عبدي" ، بالأفعال عاملك .هداك بالخلق وهداك بالقرآن والأن هداك بالأفعال ، هو **الهادي** ، إذاً **الهادي** اسم من أسماء أفعاله ، **الهادي؛** بالخلق اسم من أسماء أفعاله ، و**الهادي** ؛ بالقرآن اسم من أسماء ذاته .

عزيزي القارئ لقد صممك الله تصميماً دقيقاً ، مثال ذلك في بعض المحلات التجارية، تجد على البضاعة قسيمة بالسعر ، و يوجد مادة على لصاقة السعر ، إذا أخرجت هذه البضاعة دون أن تؤدي ثمنها وأنت خارج تحت قوس معين يصدر صوت عالٍ ، أما إذا أديت ثمنها يعطل الموظف مفعول هذه المادة بمادة أخرى ، فلو رأى واحد شيئاً ، قليل الحجم غالي الثمن وضعه في جيبه ولم ينتبه ، وخرج من هذا المحل ، هذا القوس الذي يخرج من تحته يصدر صوتاً مزعجاً ، كأنه يقول هذا سارق خذوه ؛ هذه البضاعة مصممة تصميماً بحيث أنك إذا أخذتها من دون أداء ثمنها تصيح بك هذا من صنعة الإنسان ، فالله سبحانه

وتعالى صمم لك نفساً إذا أسأت تشعر بالضيق ، تُسميه وخز ضمير ، تُسميه كآبـة ، تسـميه ضيقاً ، ضيق ، كآبة ، وخز ضمير ، ضجر، ضاقت علـي الأرض بمـا رحبـتْ صـحيح متضايق طبعاً ، لأن فطرتك عالية ، فأنتَ حينما أسأت خرجت عن قانون فطرتـك ، هكـذا علّمك بالفطرة ، علّمك بخلقه وعلّمك بكلامه ، وعلّمك بأفعاله ، والآن علّمك بالفطرة والدليل :

وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾

(سورة الشمس)

يعني ؛ إذا فَجرتْ ، تعرف أنها فَجرتْ ، وإذا اتقت ، ارتاحت وبعد ، فإن القـارئ الكريم وأنا لا أُبالغ يحس براحة نفسية لا تُقدر بثمن لأنه مطيع لله فكيف يعرف ذلك ؟ ، لو أنه زلّت قدمه لا سمح الله ، لو أنه أطلَقَ بصره، لو أنه فاته فرض صلاة ، لو أنه كذب فـي كلمة ، لو أنه اغتاب ، لشَعر كأنه سقط من السماء إلى الأرض ، يشـعر بالضـيق ، يحـس بالحجاب يحس أن الله أبعده ، أن الله قلاه ، أن الله لم يقبلْه ، هذا التعليم الرابع ! هداية الفطرة ، الآية الكريمة :

فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾

(سورة الروم)

إقامة وجهك للدين حنيفاً ؛ هو نفسه فطرة الله التي فَطَر الناس عليها ، فلا ترتاح إلاّ إذا عرفتَ الله ، لأنَك إذا عرفته أويت إلى ركنٍ وثيق ، إذا وجد موظف في دائرة من الدرجة الخامسة ، على أساس الشهادة الثانوية ، لكن المدير العام صهره زوج أخته ، تـرى أن هـذا الموظف له وضع خاص ، مطمئن ، يحس بأمن عجيب بهذه الدائرة ، لا يخشى لا من رئيسه المباشر ولا ممن هو أعلى من رئيسه ولا من المدير المعاون ، كلهـم مرتبطـون بـالأعلى والأعلى يضفي عليه ظله ، فهذا إنسان مع إنسان يحس بالأمن ؛ فكيف إذا كُنتَ مـع الله ، إذا كُنت مع الله فمن عليك ؟ وإذا كان الله عليك فمن معك ؟ علمك بالفطرة ، الإنسان متى يرتاح ؟ إذا أوى إلى الله ، إذا شَعر أن الله يحبه ، إذا شعر أنه بعين الله إذا شعر أنه يحفظ الله ، إذا شَعر أنه يحب الخلق إكراماً لله ، إذا نام مساء ولم يؤذ مخلوقاً ولم يكن لأحد حق في عنقه ، لم يبنِ مجده على أنقاض الناس ، لم يبنِ ثروته على فقر أحد ، لم يبنِ أمنه على خوف النـاس ،

لم يبنِ حياته على موت غيره ، كان معطاء ، كان خيراً . إذاً أنت لك فطرة قـال تعـالى : " **ونَفْسٍ وما سواها فَألْهمها فُجورها وتَقْواها قَد أَفْلَح من زكاها وقَد خَاب من دسـاها** " ، إذا فجرت تعرف .

كنتُ في حفل عقد قران تبعني شاب كريم ، سألني سؤالاً حول موضوع حاك فـي صدره ، فهو حينما فعل هذا الشيء المنكر جاء بمبررات غير صحيحة ، لكنه حينما عاد إلى بلده ، قال : والله ما أعجبتني هذه المبررات ، كأنني رسبت في امتحان الله عز وجـل ، لـم يعلمه أحد ولا سأل أحداً ولكنه أدرك من تلقاء نفسه ، أعني أدرك بفطرته .

إذاً : الله عز وجل **هداك** بخلقه ، **وهداك** بكلامه ، **وهداك** بأفعاله **وهداك** بـالفطرة . الله عز وجل له أساليب كثيرة في **الهدى** ، بل أحياناً **يهديك** بالإلهام قال تعالى :

وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ

(الآية ٧ من سورة القصص)

هذا وحي إلهام ، يقول لك : اللهُ ألهمني أن أسافر ، الله ألهمنـي ألاّ أشـتري هـذه الصفقة ، الله ألهمني ألاّ أشارك فلاناً ، الله ألهمني ألاّ أشتري هذا البيت ، ما عندي دليل ، بل هو إلهام ، قال تعالى : " **وأوحينَا إلى أُم موسى أن أرضعيه فَإذَا خفْت عليه فَألقيه في الْـيم ولا تَخَافي ولا تَحزني إنا رادوه إليك وجاعلُوه من الْمرسلين** " .

مرةً في أحد أيام الأعياد ، عندي فراغ ونويت أن أذهـب لأزور صـديقي غربـي دمشق ، لكني فجأة وجدت نفسي أنساق إلى بيتي بصورة لا شعورية ، وبلا سبب ، ولا مبرر ، فما إن وصلت إلى البيت حتى فوجئت برجلٍ يأتيني من مكان بعيد من بلد في الشمال جـاء لزيارتي في فترة العيد وليس له في الشام بيت آخر يبيت فيه ، كيف ؟ هـذا إلهـام . عنـدما يستسلم الإنسان لله عز وجل يلهمه الله ، وإلهامات المؤمن كلها لصالحه ، بينما إلهامات الكافر ، أقول إلهامات الكافر مجازاً ومثله الفاسق ، المنحرف وإنما هي وساوس شيطانية ، كلهـا لغير صالِحه ، يوسوس له أن يعقد هذه الصفقة يفلس من خلالها . يوسوس لـه أن يشـارك فلاناً ينهبه ، يوسوس له أن يفتتح مصلحة أو ينشئ مشروعاً فيكون سبب دماره وخسـرانه . هذا وسواس شيطاني ، أنت بين إلهام الرحمن أو وسوسة الشيطان ، فإذا كنت مـع الـرحمن ألهمك ، وإذا كان المرء مع الشيطان وسوس إليه ، هذه طريقة أخرى في **الهدى** ، الله يلهمك ، لذلك قال تعالى :

ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَـٰمُوسَىٰ ﴿٤٠﴾

(سورة طه)

أحياناً يلهمك أن تزور مثلاً هذا المسجد ، أنا أتكلّم عن سابق تجربة ، إذ ليس من أخٍ اهتدى إلى الله عز وجل عن طريق هذه الدروس إلاّ وكنت أسأله سؤالاً صغيراً ، أقـول لـه كيف اهتديت إلى هذا الجامع ؟ فأسمع قصصاً عجيبةً ، مثلاً دخل شخص ليصـلي المغـرب مصادفة فرأى جمعاً فجلس ، فكان هذا أول درس يحضره وما ترك بعده درساً، هناك إنسـان اهتدى عن طريق صديق ، عن طريق قريب ، عن طريق صاحب عن طريق موعد أحياناً ، هذا إلهام .

إذاً بخلقه ، بكلامه ، بأفعاله ، بالفطرة ، بالإلهام ، كل هذا من فعل (الهادي) ، الآن بالرؤيا الصالحة هناك أشخاص إذا رأوا رؤيا صالحة واضحة ، صارخة ، بـارزة ، هـذه الرؤيا تحملُهم على طاعة الله عز وجل ، وهذا شيء مؤيد ، لأن النبي عليه الصلاة والسـلام يقول " الرؤيا الصالحة جزء من ست وأربعين جزءاً من النبوة " ، أي أن الله عـز وجـل إذا أراد أن يعلمك شيئاً ما بطريق مباشر ، بلا استنباط ولا تأمل ولا إدراك ، ولا مـن طريـق الأفعال كما في هذه الآية :

قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾

(سورة الأنعام)

الكون .. تفكّروا في خلق السماوات والأرض ، في الكون تفكر والأفعال نظـر ، والقرآن تدبر ، لكن أحياناً يريد الله عز وجل أن يعلمك إعلاماً ، مباشراً ، سريعاً ، حازمـاً ، واضحاً ، فقد ترى نفسك تسير في طريق الهاوية ، كأن الله يحذرك ، يعني أحياناً تتسـاءل عن سؤال كبير ، الله عز وجل يجيبك عن هذا السؤال في الرؤيا .

كثير من الإخوة الكرام تكلّموا لي قبل أن ينام أحدهم فنشأ عنده سؤال فقال : يا رب أنت ألهمني الصواب ، فرأى رؤيا صالحة كأنها إجابة لهذا السؤال ، إذاً هذا **هدى** عن طريق الرؤيا ، لكن هنا نقطة دقيقة جداً ، أيةُ رؤيا خالفت أوامر الشرع ؛ **<u>اسمعوا ما أقول</u>** ؛ اركلهـا بقدمك لأن الشرع هو الثابت وكل ما جاء في الرؤيا خلاف القرآن الكريم من الشيطان ، لـو أن أحداً رأى رجلاً صالحاً ، ويعتم بعمة خضراء ووجهه يشع نوراً وقال له لا تصل ، نقـول له هذه الرؤيا اركلها بقدمك ، لا تُصدق كل ذلك كلام فارغ ، نحن عندنا مقياس الشرع ، أيـة

رؤيا تُخالف أوامر الله تُخالف شرع الله عز وجل ، لا تعبأ بها ، ولا تُقم لها قيمة ، ولا تأخـذ بها ، ولا تحفل بها فإنها ، قطعاً ، من الشيطان .

لكن الرؤيا التي من الرحمن لها خصائص ، إذا كنت لا سمح الله منحرفاً ، ورأيـت رؤيا مخيفة ، فهذه من الرحمن قطعاً ، وإذا كنت محسناً ، ورأيت رؤيا مبشـرة ، هـذه مـن الرحمن قطعاً.

فإذا كُنتَ محسناً ، ورأيت رؤيا مخيفة ؛ هذه من الشيطان لكي تخاف ، وإذا كُنتَ لا سمح الله مسيئاً ، ورأيت رؤيا مبشرة ؛ هذه أيضاً من الشيطان الأصل الشـرع واسـتقامتك ، فهذه ثوابت .

بالمناسبة ؛ الرؤيا لا يمكن أن تكون قاعدة ، ولا يمكن أن تكون دليلاً . إنها اتصال مباشر بين العبد وربه فقط ، يعني شيء لا يجبر على فعلٍ ولا ينقل أثره إلى غيره إنما هـي شيء شخصي محض ، هذه الرؤيا .

أحياناً **يهديك** عن طريق خلقه ، لا عن طريق مخلوقاته عن طريق الأشخاص فمثلاً ، يجمعك مع شخص يحكي لك موضوعاً ، فحينما ألتقي مثلاً بإنسانٍ ويتكلّم هـذا الإنسـان ، أشعر بطريقة أو بأخرى وأتساءل من الذي جمعني بهذا الإنسان ؟ هو الله ، من الذي ألهمه ؟ هو الله ، من الذي أنطقَه ؟ هو الله ، يعني حينما تكون في طريق غير صحيح ، ويأتي إنسان يبين لك الصواب ، فإني اعتقد اعتقاداً صحيحاً أن هذا الإنسان قـد سـاقه الله إليـك لِيبلغَـك ولِيعرِّفَك ، هذا أيضاً **هدى** عن طريق الخلق .

وهناك **هدى** من نوعٍ آخر ، هذا **الهدى** الانقباض والانبساط يقول لك انقبضـت ، أزمعت أن تسافر إلى جهة ما فشعرت بانقباض ، أو شعرت بانشراح ، أو الأمور تيسرت أو تعسرت ، فالانقباض والتعسير والانشراح والتيسير هذا تعليم أيضاً ، فإذا كـان الله راضـياً يكون هناك انشراح وتيسير ، الله غير راضٍ وأنت مؤمن عندك حساسية وعندك إدراك دقيق أنت مؤمن فأصبح هناك انقباض وتعسير إذاً هذا شيء لا يرضي الله عز وجل .

وكخلاصة أوجز بها الموضوع أقول: أحياناً يسلُب الله سبحانه وتعالى لُب عبده أي عقله ويسيره تسييراً سليماً في جهة ما ، هذا أيضاً **هدى** . فإذا قُلنا **الهادي** يعني **هدانا** بخلـق الكون، **وهدانا** بالقرآن **وهدانا** بأفعاله **وهدانا** بالفطرة ، **وهدانا** بالإلهـام ، **وهـدانا** بالرؤيـا ، **وهدانا** عن طريق الأشخاص ، **وهدانا** عن طريق الانشراح والانقباض والتيسير والتعسـير ، ثم **هدانا** عن طريق التسيير المباشر . هذه كلها تعني أن الله هو **الهادي** قال تعالى :

سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴿١﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحْوَىٰ ﴿٥﴾

(سورة الأعلى)

العلماء لهم تفسيرات دقيقة **للهدى** الإلهي ، **الهدى** أربعة أنواع :

- أول **هدى الهدى** العام : الله عز وجل زودك بحاسة الشم تقول رائحـة غـاز . كيف **هداك** إلى وجود غاز وفيه خطر على البيت ؟ عن طريق الشم . أحياناً تسمع صوتاً فـي الغرفة الثانية ، كيف هداك أن هناك حركة في البيت ؟ عن طريق السمع ، أعطاك حاسة الشم ، أعطاك حاسة السمع . أعطاك ملكة الإستدلال والتفكير ، أعطاك علمـاً ، أعطـاك خبـرة أعطاك حواس خمساً ، هذه كُلُها القدرات التي أودعها الله في المخلوقات **هداهم** إلى مصالحهم .

إئت بنملة ضع أصبعك أمامها تقف وتُغير طريقها ، يعني أن الله أعطاها بصـراً ، أعطاها إدراكاً بأن هنا خطراً وهو حاجز ، الله عز وجل **هدى** كل الحيوانات ؛ عـن طريـق الغريزة إلى مصالحها .

أحد الأشخاص كان في بستان ، فرأى قنفذاً يأكل أفعى ، أكل قطعة منها ثم تركهـا وذهب إلى نبات وأكل منه ورقة ، ثم عاد ، وأكل قطعة ثانية ثم ذهب إلى هذا النبات وأكـل ورقة ثانية ، فهذا البستاني أمسك النبات وقلعه ، وأكل القنفذ قطعة ثالثة ثم ذهب للنبـات فلـم يجده فمات القنفذ من **هداه** إلى أن هذا النبات يتناسب مع هذا الطعام ؟ الله عز وجل .

مثلاً: لو أحضرنا أمهر ربان في العالم ، أعلى ربان على وجه الأرض في علمـه ومهارته يحمل شهادات عليا وعنده ألفا ساعة قيادة سفن ، وعنده دراسات وعنده اختصاص ، وعنده خبرات ، لو وضعناه على سفينة بلا بوصلة على ساحل فرنسا ، وقلنا له : اتجـه بهـا إلى مصب نهر الأمازون ، لا أبالغ إذا قلت ربما جاء البرازيلَ في جزئها الجنـوبي ، فـلا مجال ولا بدون البوصلة إمكانية ، ولو انحرف درجة في بدء مساره لانحرف في النهاية مسافة خمسمئة كيلو متر ، أما سمك السلمون يتجه من سواحل الأطلسي إلى مصبات الأنهـار في أمريكا، وكل سمكة وِلدتْ بمنبع نهر تتجه إلى مصب النهر ، وهذه السمكة المتجهة ليست هي التي قدمت عند بدء الرحلة بل أمها هي التي جاءت إلى هنا ، ثم وضعت بيضها وربمـا ماتت في مكانها الجديد ، أما السمك الجديد بعد أن يخرج من البيوض يتجه نحو الشرق إلـى سواحل فرنسا إلى حيث بدأت رحلة الأمهات فإذا كبرت عادت إلى مصبات الأنهـار ، قـال تعالى :

قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَـٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾

(سورة طه)

هذه **هداية** ، فأول **هداية : هداية** عامة ، **هدي** الإنسان إلى طعامه ولباسه إذ صـنَع نسيجاً ولبس ، صنَع بيتاً ، طها الطعام ، طهي الطعام شيء معقد جداً ، تأكل الأكلة فإذا كـان فيها خلل تتضايق منها ، من **هداك** لوضع ملح وطحينة وكمون وفلفل وعصـفر ؟ مـن ؟ إذاً لدينا **هدى** ، **هدى** إلى كسب الرزق ، **هدى** إلى تأمين المعاش ، **هدى** إلى تأمين الحاجات ، فهذا **الهدى** الأول **هداية** عامة .

- **الهدى** الثاني **هداية** الإيمان ، **يهديك** إليه ، **يهديك** إلى كتابه **يهديك** إلى الحق .
- **الهدى** الثالث : **هداية** التوفيق ، قال تعالى :

نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَـٰهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾

(سورة الكهف)

- **الهدى** الرابع : **هداية** الجنة ، قال تعالى :

وَٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَـٰلَهُمْ ﴿٤﴾
سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴿٥﴾ وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴿٦﴾

(سورة محمد)

إذاً هناك هداية عامة ، و**هداية** الإيمان **وهداية** التوفيق **والهدى** إلى الجنـة ، هـذا بعض ما يمكن أن يقال في موضوع اسم **الهادي** . لكن في ختام هذا البحث لابد من بيان قوله تعالى : "**واتقُوا الله ويعلمكُم الله والله بِكُل شَيء عالـيم** " هذه الواو تفيد أن الجملـة ليسـت شرطية ، ليس اتقوا الله يعلمكم بل : .. واتقوا الله ، لماذا لا تتقونه ؟ لأنه يعلمكـم ، يعلمكُـم دائماً بالخلق ، وبكلامه وبأفعاله وبالفطرة وبالإلهام ، وبالرؤيا وبالخلق ، وبالقلب وبالانقباض

والتيسير وبالتعسير وما إلى ذلك . " **واتقُوا الله ويعلمكُم الله والله بِكُل شَيء عليم** " . ولعله صار واضحاً أنه بتقوى الله تتحقق كل مفاهيم الهداية ومقوماتها للإنسان فيهتـدي إلـى ربـه وليسعد إلى الأبد .

والحمد لله رب العالمين

الدرس ٢٩ - اسم الله : "الرحمن الرحيم"

بسم الله الرحمن الرحيم

مع الاسم التاسع والعشرين من أسماء الله الحسنى والاسم هو **الرحمن الرحيم** ، وقد عد بعض العلماء هذا الاسم : اسم الله الأعظم لقوله تعالى :

قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَـٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾

(سورة الإسراء)

والحقيقة أن **الرحمة** التي نراها في الكون ما هي إلا تجسيد لاسم **الرحمن** ولابد أولاً من بعض التفاصيل وبعض التعريفات المتعلقة بهذين الاسمين ليتضح الفرق بين الاسمين منذ البدء ، ولعل أحداً يسأل هذا السؤال : ما الفرق الدقيق بين **الرحمن** وبين **الرحيم** ؟ على كُـلٍ سيأتي هذا تفصيله في ثنيات عرض الموضوع .

الرحمن الرحيم كما يقول الإمام الغزالي " اسمان مشتقان من **الرحمة** " **والرحمـة** تستدعي **مرحوماً** كما أن العلم يقتضي المعلوم ، **والرحمة** تقتضي **المرحـوم** ولا **مرحـوم** إلا وهو محتاج ، الإله لا يكون **مرحوماً** هو **راحم** ، أما المخلوق فهو **مرحوم** لأنه ضعيف ، ولأنه عاجز، ولأنه فقير لأن قيامه ليس بذاته بل قيامه بغيره ، إذاً هو **مرحوم** ، والعبد **مرحوم** لأنه عبد ، والرب **راحم** لأنه رب ، وأي إنسان خرج عن دائرة العبودية ينسى أنه في حاجة ماسة إلى **رحمة** الله عز وجل ، وهؤلاء الذين قالوا استغنينا عن **رحمة** السماء من قبـل ، جـاءتهم سبع سنوات عجاف ، مادمت عبداً فأنت مفتقر إلى الله عز وجل ، ما دمت عبداً فلا بـد مـن أنك بحاجة إلى الرحمة ، اللهم ارحمنا فإنك بنا **رحيم** ، ولا تعذبنا فإنك علينا قدير .

الشخص الذي تنقضي بسببه حاجة المحتاج ، مـن غيـر قصـد أو إرادة وعنايـة بالمحتاج ، لا يسمى **رحيماً** ، قد تنقضي حاجتك عن طريق شخص فهذا الشخص مـا أراد أن **يرحمك** ، ولا يريد أن **يرحمك** ولن يريد أن **يرحمك** ، لكنه بشكل أو بآخر جاءت **الرحمة** عـن طريقه من دون أن يدري ، وهذه الجهة ، ولو أن **الرحمـة** جاءتك عن طريقهـا ، لا تُسـمى **رحيماً** لأن من لوازم الرحيم أنه يريد أن يرحم ، لذلك قالوا: " رب ضارة نافعة " .

أي أحياناً يوجد شخص يسوق الله لك الخير على يديه وهو لا يريد ، بل هو يريد أن يوقع بك الأذى لكن الله سبحانه وتعالى يجعل هذه الإرادة الخبيثة في صـالحك ، إذاً الشـيء الذي تنقضي بسببه حاجة المحتاج من غير قصد ولا إرادة ولا عناية بالمحتاج هذا الشـيء لا يسمى **رحيماً** . من عناصر **الرحمة** أن فاعلها يريد **الرحمة** ، هذا ينقلنا إلى موضوع دقيق هو أنك أحياناً لِسبب ما لا تريد أن ترحم ، فلست رحيماً ، أجل ، لسـت رحيمـاً إلا إذا أردت وفعلت .

إذاً : والذي يدعي أنه يريد قضاء حاجة المحتاج ولا يقضيها إن كان قـادراً علـى قضائها لا يسمى **رحيماً** ، لأنه لم يقضها ، ولو أراد إذاً وتمت الإرادة لوفّى بها ، وإن كـان عاجزاً فقد يسمى **رحيماً** باعتبار هذا الشعور الإنساني لكن هذه **الرحمة** ناقصة لأنها لم تتـوج بالعمل .

إذاً من خلال هذا التعريف الدقيق أنت لن تكون **رحيماً** أي لن يرضى الله عنك ولن تكون عند الله مقبولاً ، ولن تكون عند الله محظياً ، ولن يرفعك الله في درجات القُرب إلاّ إذا أردت وفعلت ، أردت أن **ترحم** الناس وفعلت ما أردت ، لذلك قالوا : " المعروف بالتمام " .

أحياناً تُعز مصاباً وتتباكى أمامه وتُعبر عن مشاعرك الإنسانية ولا تُقَدم شيئاً وهـو مصاب ، فما قيمة هذه المشاعر ؟ وما قيمة هذه الأحاسيس؟ وما قيمة هذه الدموع ؟ ما قيمـة هذه المصافحة الحارة إن لم تقدم له شيئاً ؟ ما الذي يأسر قلبه ؟ إحسانُك .. أعرف أشخاصـاً آخرين توفي والدهم وأتي الأقرباء الأغنياء ليعزوهم وليقدموا لهم أحر المشاعر وأشد المشاعر حزناً وفي النهاية انصرفوا إلى بيوتهم وما قدموا شيئاً .

فلذلك هذه المشاعر التي يحس بها الإنسان إن لم يتبعها عمل طيب مع القدرة عليـه لا قيمة لها ، فقيمتها بما يتبعها من عمل طيب ، هذه المشاعر لا قيمة لها ولا يؤخذ بها يـوم القيامة ، لذلك قال عليه الصلاة والسلام :

عن ابن عمر قالَ قالَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من استَعاذَ بِالله فَأعيذُوه ومن سألَكُم بِالله فَأعطُوه ومن استَجار بِالله فَأجِيروه ومن آتَى إِليكُم معروفًا فَكافئُوه فَإن لم تَجِدوا فَادعوا له حتى تَعلموا أن قد كافَأتُموه *

(سنن النسائي)

أي أن هذه العبارات الحارة هذه العبارات الرنانة ، العبارات الدافئة إن لم يتبعها بذل وعطاء وعناية فلا قيمة لها ، أحياناً يأتي الابن لزيارة أمه يقبل يدها ويقبل قدمها وينصـرف إلى بيته وإلى أولاده وإلى زوجته ولا يقدم لأمه شيئاً إلا هذه العبارات المعسولة ، هذا العمـل لا يعتد به لأنه مبني على موقف ذكي وليس موقفاً فيه تضحية مادية .

قال العلماء : إنما الرحمة التامة أن تُفيض عطاءك على المحتـاج ، أن تريـد وأن تفعل حتى تُسمى **رحيماً** ، ولا تنسوا أن النبي عليه الصلاة والسلام قال : " **تخلقوا بأخلاق** الله " .

الله سبحانه وتعالى **رحيم** ، يعني إذا أمنت حاجات الناس ، مثلاً لك أقرباء أسـبغت عليهم، أعطيتهم مما أعطاك الله عز وجل ، قدمت لهم بعض الحاجات في أوقاتها المناسـبة ، في أيام الشدة كنت معهم ، فهذا الذي يرقى بك عند الله عز وجل .

الآن : هناك **رحمةٌ** عامة ، وهناك **رحمةٌ** تامة ، **الرحمة** التامة مـا تـوافرت فيهـا الإرادة والعمل ، **الرحمة** العامة ما أصابت المستحق وغير المستحق ، يعني أحيانـاً تهطـل أمطار غزيرة ، هذه الأمطار تُفيد الناس جميعاً ، فهذه **الرحمة** العامة ، لكن **الرحمة** الخاصـة لا ينالُها إلاّ المستحق.

أضرب لكم مثلاً يقرب المعنى ، أب له خمسة أولاد ، كل هـؤلاء الأولاد يـأكلون الطعام على المائدة ، وكلهم يلبسون ثياباً ، وكلهم ينامون على أسرة وثيرة وفي غُرف دافئة ، الأب يعطي كل أولاده بالتساوي **فرحمته** عامة ، لكن أحد هؤلاء الأولاد على قُرب شديد مـن الأب فهو يبر أباه براً شديداً وإخلاصه لأبيه ملموس ، وذو وفاء متميز ، فالأب أحياناً يخُـص هذا الابن بأشياء خاصة .

يعني كما قال الله في الحديث القدسي " **عبدي لي عليك فريضة ولـك علـي رزق ، فإذا خالفتني في فريضتي لم أخالفك في رزقك** "، مؤمن ، وغيـر مـؤمن تأكـل وتشـرب وتستمتع بالطعام والشراب والماء البارد والدفء والبرودة والمنـاظر الطبيعيـة ، وتسـتمتع بالأهل والأولاد ، وفي كل بيت أولادٌ صغار ، والآباء يستمتعون بأبنائهم الصغار بحركـاتهم وسكناتهم ولكن أن يتجلّى اللهُ على قلبك ، وأن يملأ قلبك نوراً ، وأن يقربك إليه ، هذه **رحمـة** خاصة ، هذه لا ينالُها إلا المستحق ، فلله في خلقه **رحمة** عامة **ورحمـة** خاصـة ، **الرحمـة** العامة ينالها كل الناس قال تعالى :

وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾

(سورة البقرة)

يعني أن تستمتع بالحياة ، وأن تأكل ألذ الطعام ، وأن تسكن في بيت مـريح ، وأن تكون لك زوجة تروق لك ، وأن يكون لك دخلٌ وفير وأن تشعر أنك متفوق علـى النـاس ، فإياك أن تظن هذه **رحمة** ، لأن الله يعطي الدنيا لمن يحب ولمن لا يحب ، هذه **رحمة** عامـة ينالُها كل الناس : "**عبدي لي عليك فريضة والك علي رزق ، فإذا خالفتني في فريضتي لـم أخالفك في رزقك**" .

تأكل وتشرب وتستمتع بالأهل والأولاد والطعام والشراب والبيت المريح والـدفء والمكانة والسمعة ، والتألق والنجاح ، والتفوق ، فليس هذا إيثاراً فـي الحقيقـة ، الإيثـار أن يخُصك الله **برحمةٍ** خاصة :

وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٢٢﴾

(سورة يوسف)

الرحمة الخاصة أن يتجلّى الله على قلبك ، فتمر عليك ساعة لا تعدلها الدنيا وما فيها ، يقول عليه الصلاة والسلام : لي ساعة مع ربي لا يسعني فيها نبي مرسل ولا ملك مقرب ، أبيت عند ربي يطعمني ويسقين .

أيها الأخ الكريم : اسأل نفسك هذا السؤال ، عطاؤك من الله من أي نوع ، قد يكون العطاء من نوع عطاء قارون ، إن قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم ، وآتيناه من الكنوز ما إن مفاتحة لتنوء بالعصبة أولي القوة ، وقد يكون عطاؤك من نوع عطاء فرعون ، ولكـن البطولة أن يكون عطاؤك من نوع عطاء سيدنا موسى ، وسيدنا يوسف :

وَكَذَٰلِكَ يَجۡتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعۡقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيۡكَ مِن قَبۡلُ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴿٦﴾

(سورة يوسف)

هناك اجتباء ، وهناك تقريب وهناك مقعد صدق عند مليك مقتدر وهناك نور يقذفـه الله في قلبك ، فترى به الخير خيراً والشر شراً هناك شعور أن الله يحبك ، هناك مشاعر لـو وزعت على أهل بلد لأسعدتهم ، إن رجلاً من إخواننا الكرام ذهب لأداء فريضة الحج ولمـا عاد ، قال لي كلمة وأظنه صادقاً فيما يقول : قال لي : والله ليس في الأرض من هـو أسـعد

مني .. مبالغة ، إلا أنه قال إلا أن يكون أحدٌ أتقى مني ، وهو فقير ولا يملك من الدنيا سـوى نقير ، ومع ذلك أقسم بالله أنه ليس في الدنيا من هو أسعد منه إلا أن يكون أحدٌ أتقى منه ، هذه **الرحمة** الخاصة ، يعني قد يعطيك المال ويجعل قلبك ممتلئاً بالقلق ، قد يعطيك الصحة وتكون أشقى الناس قد يبوئك أعلى مكانة في المجتمع ولا تكون عند الله مقبولاً ، حينما قـال النبـي عليه الصلاة والسلام لسيدنا معاذ بن جبل قال :

أخرج ابن أبي شيبة وعبد الله بن أحمد في زوائد المسند عن أبي مسلم رضي الله عنه قـال: لقيت معاذ بن جبل رضي الله عنه بحمص فقلت: والله إني لأحبك لله. قال: أبشر فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول "المتحابون في الله في ظل العرش يوم لا ظل إلا ظله ، هذا عطاء أن يحبك سيد الخلق " ارمِ سعد فداك أبي وأمي هذا خالي فليرني أحد خاله ".

يعني إذا كانت لك مع الله مودة ، سهر الليالي ، غَض البصـر إنفـاق الأمـوال ، حضور مجالس العلم ، في هذه الأجواء الباردة والطرقات الصعبة ، حينما تسعى بشدة علـى رجليك إلى مجلس علم ، حينما تتفقد اليتامى والفقراء والمساكين في ظلمات الليـل ، حينمـا تشمر وتنهض للعمل الصالح ، حينما تقدم شيئاً ثميناً لأخيك المؤمن ، كما قال عليـه الصـلاة والسلام : " والله لأن أمشي مع أخ في حاجته خير لي من صيام شهر واعتكافه في مسـجدي هذا " . هذه الجهود المتتابعة ، المتراكمة ، الكثيرة المديدة ، هذه الجهود تتـوج بمـا يسـميه العارفون بالله بتجليات إذ يتجلى الله بها على قلبك فتشعر بالسعادة ، لو جلسـت مـع أنـاس مقطوعين عن الله عز وجل لرأيتهم مقهورين ، لرأيتهم ضائعين ، لرأيتهم شاردين ، لـرأيتهم حائرين، رأيت أمرهم فُرطاً ، رأيتهم متشككين ، رأيتهم متشائمين ، رأيتهم متمزقين ، تـرى الدنيا عندهم عريضة لكن الله حرمهم من سعادة القُرب .

وما أكثر ما ذكرت هذه الواقعة وكررتها : هذا الذي وقع في منزلق طفيف فوقع في الحجاب عن الله عز وجل ، فصار ينتظر مصيبة بحسب ما يعلم ، فلما تأخرت المصيبة ناجى ربه فقال يا رب لقد عصيتك ولم تعاقبني ، فوقع في قلبه أن يا عبدي قد عاقبتك ولم تدرِ ألـم أحرمك لذة مناجاتي .

هذه الجهود لها مردودها الطيب ، فمثلاً شاب في مقتبل الحياة من المسـجد إلـى البيت إلى العمل ، بينما بقية الشباب في سهراتهم المنحطة وفي أفلامهم الخسيسة وفي مزاحهم الرخيص، وفي لعبهم للقمار ، وفي إطلاق كلمات السوء في الطرقات للفتيات ، أنت من البيت إلى المسجد ومن العمل إلى المسجد ، من تلاوة القرآن إلى حديث رسول الله ، ومن خدمـة زيد إلى خدمة عبيد ، هذا الإنسان مع هذه الجهود الكبيرة ، عندئذ يجعـل الله قلبـه مسـتقراً لأنواره .

لذلك : " أولياء أمتي إذا رؤوا ذكر الله بهم " ، بمجرد أن تقع عينك على مؤمن صادق الإيمان يحس الناظر برعشة في قلبه ، كأنه تذكر الله عز وجل ، هكذا قال عليه الصلاة والسلام ، " أولياء أمتي إذا رؤوا ذُكر الله بهم " ، هذا الموضوع يذكرنا بمعية الله العامة والخاصة ما دمنا قد تحدثنا عن **رحمة** الله العامة ، العامة موجودة لجميع الناس ، العامة أن تتنفس الهواء وتشرب الماء وتأكل الطعام ، وتنام على فراش ، والقلب منتظم والرئتان والكليتان ، والعضلات والأعصاب والأولاد في البيت والزوجة والعمل ، هذه **رحمة** عامة ، هذه يستوي فيها المؤمن وغير المؤمن وقد تجد غير المؤمن متفوقاً كثيراً في هذه الأنواع على المؤمن ، ولكن **الرحمة** الخاصة ، حينما يلقي الله في قلبك نوراً ، حينما يعلمك الله ، ما اتخذ الله ولياً جاهلاً لو اتخذه لعلمه ، حينما يلهمك الله سواء السبيل ، حينما يلهمك الله رشدك ، حينما يقيض الله لك من حولك لتكون معهم في معية وفي صحبة طيبة ، حينما يجعل الله بركة في مواقعه وعند أهل الحفّاظ لا عند أهل الجحود ، هذه رحمة الله عز وجل ، هذا يذكرنا بمعية الله العامة ومعيته الخاصة ، وذكرت من قبل أن الله مع كل مخلوق كائناً من كان بدليل قوله تعالى :

هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾

(سورة الحديد)

مع المؤمن والكافر والملحد والشقي والسعيد والعاصي والطائع والخسيس والقذر والنظيف والطاهر ، مع كل هؤلاء ، لكن هناك آيات :

وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٣﴾

(سورة التوبة)

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ

(سورة البقرة آية ١٥٣)

وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مَعَكُمْ ۖ لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِى وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١٢﴾

(سورة المائدة)

البطولة أن تنال معيته الخاصة ، والبطولة أن تنال **رحمته** الخاصة ، **الرحمة** العامة ، أنت كأب لو أن أحد الأولاد لا سمح الله ولا قدر كان عاقّاً وقاسي الكلمات وحاد النظرات ، هو متجهم دائماً يرد الكلمة بعشر كلمات يأتي وقت الطعام تقول له بلسان المبغض : اجلـس كُلْ ، كُلْ لكني لا **أحبك** كُلْ ، خُذْ ما تريد ، خذ كل هذه الحاجات ، لكن الابن البـار نظـرة حانية من أبيه لا تُقدر بثمن ، نظرة حانية منه ، كلمة رضي الله عنك ، هذه من قلـب ممـتن هذه لا يعدلها شيء ، فلذلك أيها الإخوة القراء البطولة لا أن تنال **رحمته** العامة كأن تستنشـق هواء وتأكل وتشرب وتنام وتتزوج وتعمل وتكسب المال ، هذه قدر مشترك بين جميع الناس ، لقول النبي الكريم : " إن الله يعطي الدنيا لمن يحب ولمن لا يحب " .

لكن الشيء الذي يجب أن تسعى إليه هو **رحمتَه** الخاصة ، بأن يعلمك ، وأن يلقـي في قلبك نوراً ، وأن يعلمك من تأويل الأحاديث ، أن يلهمـك الحكمـة ، أن تضـع الشـيء المناسب بالقدر المناسب في الوقت المناسب في المكان المناسب مع الشخص المناسب ، قـال تعالى :

يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾

(سورة البقرة)

أن يعلمك وأن يؤتيك الحكمة ، وأن يرزقُك طيباً ، وأن يستعملك صالحاً ، وما أكثر ما أذكّر أخوتي وجلسائي بالفكرة التالية : ، إن رأيتُ إنساناً له عمل شريف يخدم به المسلمين أقول له : " **إذا أردت أن تعرف مقامك فانظر فيما استعملك** " .

لك مهنة شريفة مشروعة ، تخدم بها الناس ، تتقاضى أجراً معتدلاً تنصحهم ، هـذا عمل شريف ، وظفك الله في بعض الوظائف الدينية جعلك تعلم الناس التجويد ، فهذا جميـل ، جعلك تعلم الناس الفقه فهذا أجمل جعلك تعلم الناس القرآن ، وجعل الخير على يديك ، فهـذه قاعدة ، **إذا أردت أن تعرف مقامك فانظر فيما استعملك** ، انظر عملك ، هل أساسه الرحمـة بالناس أم الإضرار بهم ، أساسه بث الأمن في الناس أم سلب الأمن من الناس أساسه العطاء أم الأخذ ، أساسه الطمأنينة أم القلق أساسه أن **ترحم** أم أن تقسو ، فلذلك يعني هناك أشـخاص لو عرض عليهم مبالغ فلكية ، على أن يكونوا في أعمال تقوم على إيذاء الناس لا يرضون .. بل يقول : معاذَ الله ، الله الغني ، الله الكريم ، أنا أعيش على آلام الناس أنا أبني مجدي علـى أنقاضهم ، أأبني غناي على فقرهم وأبني طمأنينتي على قلقهم ، وأبني حياتي على مـوتهم ، معاذَ الله ، الله الغني .

إذاً : **الرحمة** الخاصة مشروطة بالطاعة والمجاهدة وبذل المال ومعاونة الضـعيف ورحمة اليتيم ، ومعاونة الأرملة ، وتفقّد الجيران وحضور مجالس العلـم وغـض البصـر والذكر والتلاوة ، هذه قنوات تصلك من خلالها **الرحمة** الخاصة وتشعر أنك إنسان متميز ، لك عند الله مكانة هذه المكانة تتبدى في اللُطف ، وفي الحفظ وفي الرعاية ، لذلك قالوا معية الله الخاصة : النصر والتأييد والحفظ والتوفيق ، تشعر بها ، تلمسها بيديك فحينما يكون شـخص أثيراً عند شخص ذي مكانة تراه يشعر بشعور عجيب كأنه فوق الناس جميعاً ، فهو قريب من شخص مهم، وإذا التقطتْ له صورة بصحبة تلك الشخصية ازدهى نفْساً وتعاظم ويقول مـثلاً البارحة كنا معاً على العشاء ، فكيف إن كانت لك مع خالق الكون مودة ؟ قال تعالى :

إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَـٰنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾

(سورة مريم)

كيف إذا كان اللسان طليقاً في ذكر الله ، كيف إذا كان البيان ساطعاً في فهم كلام الله أو في تفسير كلام الله عز وجل ، فيا أيها الإخوة القراء الكرام **رحمة** الله الخاصة ، تحتاج إلى مجاهدة ، لذلك قال عليه الصلاة والسلام : " رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر " . جهاد النفس والهوى ..

الآن هناك شيء سنسميه تحفّظاً ؛ الإنسان إذا **رحم** إنساناً يقول لـك تمـزق قلبـي لمنظره وبؤسه ، فقد ترى طفلاً صغيراً واقفاً على قارعة الطريق الساعة الحادية عشرة فـي البرد الشديد ليبيع الخُبز أو غيره ، ألا تشعر **برحمة** ؟ ألا تُحس بتمزق ؟ أين أهلـه ؟ لعلهـم

محتاجون فالواجب التخفيف عن هؤلاء وهذه رحمة . إن المسلم إنسان يمتلئ قلبه بالرحمة ويدرك أنه من لا **يرحم** لا **يرحم** .. فإذا شعر رجل أنه سبب في شقاء الآخرين أو أنه يستطيع أن يخفف عن الآخرين آلامهم وبؤسهم ثم لم يفعل هذا الشعور يشقيه إلى الأبد ...

التعليق : الإنسان عندما يقف أمام حالة بائسة يحس أنه يكاد يتفطر قلبه ، يحس أنه يتمزق في أعماقه ، يحس بمشاعر رحمة معينة ، يا ترى رب العالمين ، هل تعتريه هذه المشاعر، لا !! هو منزه عن هذا لأنه إله ، لكنه **يرحم** كل خلقه .

والشيء الثاني : عندما الإنسان **يرحم** مخلوقاً معذّباً فإنما يرحمه حتى يريح نفسه مما اعتراه من مشاعر منغصة ، فهذا ضعف فيه ، لكن الله عز وجل **يرحم** لمصلحة المخلوق لا لمصلحة **الراحم** ، نقطتان مهمتان يعني مشاعر **الرحيم** من بني البشر فالله سبحانه وتعالى منزهٌ عن مثل هذه المشاعر ، وحينما تندفع **لرحمة** مخلوق فاندفعك هذا كي تستريح ، إذاً هذه **الرحمة** معلولة ، أنت بهذا العطاء تبتغي راحة نفسك ، لكن خالق الكون **يرحم** مخلوقاته **ليرحمهم** ، لا **يرحمهم** ليتخلّص من شعور محصن اعتراه لا ... فالله عز وجل منزه عنه .

ثم إننا نلج باب موضوع دقيق جداً ؛ الفرق بين **الرحمن والرحيم .**

فبعض العلماء قال : **الرحمن** في ذاته ، اسم من أسماء ذاته **والرحيم** في أفعاله وبعضهم قال **الرحمن** في الدنيا والآخرة ، على كلٍ القضية تحتاج إلى تفصيل وإيراد أمثلة ، أم وأب ، وابن يده اسودت ، هذا مرض الموات وعلاجه قطع يد الابن ، الأم ترفُض أشد الرفض أن تُقطَع يده ، الأب يصر أشد الإصرار على قطع يده فأيهما أشد **رحمة** ؟ الأم تبكي وتصرخ ، والأب ساكت مصر على قطع يده ، لأن الأب عالم بالعقابيل والأم مصرة على عدم قطع يده ، الحقيقة الأب أشد **رحمة** لأنه بهذا الضرر المحدود ينفع كامل البدن ، فيخلصه من أن يسري الداء ويتفشى في سائر الجسم ، أما الأم فرحمتها المؤقتة بابنها تكون قد أودت به وأوردته المهالك فمعنى **رحمن** :

يَـٰٓأَبَتِ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَـٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَـٰنِ وَلِيًّا

(سورة مريم آية ٤٥)

وهذا سؤال كبير جداً ، يا أخي الله **رحيم** ، وهذه الزلازل وهذه الفيضانات ، وهذه المجاعات ، وهذه الحروب الأهلية في العالم وهذا القهر وهذا الفقر وهذه الأمراض الخطيرة ، يحتار في أمرها المرء ويذهل دونها فهذه كلها التي تؤذي عينك مصدرها من **الرحمن** ، لأن **الرحمن** يشمل الدنيا والآخرة ، الإنسان إذا مرض فهذا من مصائب الدنيا فقط ؛ فالفقر مؤلم

والمرض مؤلم ، والحرمان مؤلم ، والقهر مؤلم ، والذُلّ مؤلم ، أما إذا كان هذا الحرمان سبباً لعطاء مديد إذا كان هذا الإضرار سبباً لنفع طويل ، إذا كان هذا القبض سبباً لبسط كثير ، فهذا إذاً ضر لمنفعة لذلك إذا رأيت شيئاً أمراً مؤذياً فاعلم أن الله سبحانه وتعـالى يضـر لِينفـع ، ويأخُذ لِيعطي ويبتلي لِيجزي ، ويذل لِيعز ، ويقبض لِيبسط لذلك أجمل كلمة قالهـا بعـض العارفين : " الشر المطلق لا وجود له في الكون " . ما معنى الشر المطلـق ؟ الشـر الـذي يبتغى لذاته .

الأب الطبيب العالم الذي قلبه يمتلئ رحمة يصر على قطـع يـد ابنـه ، يتلافـى الضررالأكبر بالضرر الأصغر ، هذا المثل يجب أن يكون واضحاً جداً عند الإخـوة القـراء الأكارم؛ كل أنواع المصائب في الدنيا ، كل أنواع الرزايا كل أنواع الابتلاء ، هذا كله ضرر أقل تلافياً لضرر أشد هل هناك آية قرآنية تؤكد هذا المعنى ، قال تعالى :

وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢١﴾

(سورة السجدة)

الله عز وجل **رحيم ورحمن** ، **رحيم** يمتعك بالصحة ، **رحيم** يمنحك المـال ، **رحـيم** يوفر المأوى ، **رحيم** يبث فيك الراحة النفسية ، لكنه **رحمن** ينظر إلى آخرتـك فيأخـذ بيـدك للعمل الصالح، وينظر إلى هذه الحياة الأبدية لتسعد بها ، التي سوف تحياها ، ولمصلحة هـذه الحياة الأبدية ربما يذهب كل مالك .

ذات مرة قال لي شخص وأقْسم : أن له بيتاً تزيد مساحته عن خمسمائة متر ، ولـه حدائق يقوم على أمرها والعناية بها موظفون ومأأدخل إلى بيته فاكهة إلا بكميات كبيـرة ، وعنده طباخ وعنده خدم وعنده حشم وله ثلاث مركبات ، وله تجارة واسعة وعنده معمل ألبسة ، وبعد حين رأيته في بعض أحياء دمشق الفقيرة ، قال أنا أنام على طاولة التفصيل وآكل من هذه العلبة، بلا صحن ، كيف سلب ماله كله .. قصة طويلة فإزاء هذه الواقعة هل نحن أمـام **رحمن** أم **رحيم** ؟ ، **رحمن** ، لأن هذا الشيء لمصلحة آخرته ، كان لا يصلي ، وكان يشـرب الخمر ، ويعتدي على أعراض الناس باعترافه الشخصي ، فأراد الله عز وجل أن يرده إليـه سلبه كل المال . واللهِ الذي لا إله إلا هو ، كل قصة تسمعها ، تُعد هي بنفسها قرآناً لأنه مـاذا قال الله عز وجل : "**ولنُذيقنهم من العذابِ الأدنَى دون العذابِ الأكْبرِ لعلهم يرجِعون** " .

فكأن هذه الحادثة تُجسد هذه الآية ، لذا أيها القارئ الكريم أن البطولـة تـأتي ربـك طوعاً ، وأن تأتيه راغباً ، وأن تأتيه مختاراً ، وأن تأتيه بمبادرة منك ، أن تأتيه وأنت صحيح ، أن تأتيه وأنت شاب ، أن تأتيه وأنت لك مكانة ، أن تأتيه وأنت في وظيفتك لا بعد التقاعد ،

بعد أن ولّت الدنيا وأصبحتَ هرماً ، يتنقل من مسجد إلى مسجد لعله يبحث عن مكان مريح ، وأنت في كامل عافيتك البدنية والمالية أغد إلى بيت الله واسع إلى مرضاة اللهَ .

رحمن الدنيا والآخرة ، من أجل سعادتك في الآخرة قد يصرف عنك الدنيا كلهـا ، والله يعلم وأنتم لا تعلمون ، لكن أُدع الله عز وجل أن يرزقك الدنيا والآخرة ، والدعاء القرآني :

وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْأَخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾

(سورة البقرة)

إن الله عز وجل يقول :

مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾

(سورة النساء)

إن الإمام الغزالي له كلمة رائعة جداً يقول :" **لعلك تقول ما معنى كونه تعالى رحيماً وكونه أرحم الراحمين ، والرحيم لا يرى مبتلى ولا مضروراً ولا معذباً ولا مريضاً وهو يقدر على إماطة ما بهم إلا ويبادر إلى إماطته ، والرب سبحانه وتعالى قادر على كفاية كل بلية ، ودفع كل فقر وغمة ، وإماطة كل مرض ، وإزالة كل ضر والدنيا طافحة بالأمراض والمحن والبلايا ، وهو قادر على إزالتها جميعها** " ، لماذا لا يفعل ؟ .. هنا السؤال .. كم مصيبة في الأرض ، كم ضائقة ، كم من حالات صعبة جداً والله قادر وبيده كل شيء ، كُن فيكـون ، قال الجواب : إن الطفل الصغير قد تَرق له أمه فتمنعه من الحجامة والأب العاقل يحمله عليها قهراً ، والجاهل يظن أن **الرحيم** هي الأم دون الأب ، والعاقل يعلم أن إيلام الأب إياه بالحجامة من كمال **رحمته** وعطفه وتمام شفقته ، وأن الأم له عدو في صورة صديق .

الرحيم مع الجهل عدو في صورة صديق ، أحياناً يقول الأب لابنه سأدعه ينبسـط ، فبعثُه إلى إنكلترا وأعطاه مائتي ألف ، أب ميسور اذهب يا بني وانبسط ، هذا عدو .. إذا عاد الابن زانياً أو عاد شارباً للخمر أو عاد وهو يحتقر أمته ويرى أن أولئك الذين كان عندهم هم الذين يحيون وحدهم في هذه الدنيا ، وانتهى دينه إلى ضياع نهائياً ، فهذا الأب عدو في صورة

صديق ، وكل إنسان يدعوك إلى أن تستمتع بالدنيا ولكن على حساب طاعة الله عز وجل فهذا عدو بصورة صديق .

لذلك ربنا عز وجل يقسو أحياناً لمصلحة آخرتك ، قد يقول قائل : مصيبة ، نعـم ؛ تصيب الهدف ، وأنا أقول دائماً الله عز وجل إذا أراد أن يداوي مخلوقاً يعلم كيف يداويه ومن أي زاوية أرد يداويه ، من المكان الصعب ، من المكان الحرج ، من حيث هو مطمئن ، يؤتى الحذر من مأمنه ، لا ينفع حذر من قدر .

طبيب قلبٍ في أمريكا ، عد الجري هو الوقاية التامة للقلب وألفَ مقالات وأجـرى محاضرات وهو يجري في اليوم ساعتين أو أكثر وكأن الجري هو إله يحميه من كل مرض ، مات وهو يجري .

الجري مفيد جداً ، وليس هذا غلطاً ، لكن حينما ألّه الجري وعده هو السبب الكافي والشافي ، فالله عز وجل خيب ظنه .

ترى أحياناً إنساناً باختصاصه يصاب ، ما هو السبب ؟ لأنه متكل على اختصاصـه متكل على علمه ، متكل على خبرته ، فجاءه من مكان طمأنينته ، من مكان أمنه .

هذا الموضوع دقيق الدلالات جداً ، الله سبحانه وتعالى خلقك للآخرة ، لذلك يمكـن أن يضحي لك بدنياك كلها ، من أجل آخرتك ، لكن أنت إذا كنت مفلحاً وموفقاً اطلب منـه ، واضرع إليه أن يجمع لك بين الدنيا والآخرة ، يعني إئته طوعاً ، ارغب فيمـا عنـده حتـى يطمِئنُك في الدنيا والآخرة هذا معنى قوله تعالى : " **ومنْهم من يقُولُ ربنَا آتنَا في الدنْيا حسنَةً وفي الآخرة حسنَةً وقنَا عذَاب النار** "

إن الآية التالية يجب ألاّ تبرح أذهانكم أيها القراء الكـرام اطلاقـاً لا بنطوقهـا ولا بمضمونها : "**ما يفْعلُ الله بِعذَابِكُم إِن شكَرتُم وآمنْتُم وكَان الله شَاكرا عليما** " .

فالله غني لماذا يفقرك ؟ لماذا يضيق عليك إلا حباً بك ورحمة بك ودفعاً بك إلى باب عبوديته .

الكلمة اللطيفة كما قال بعضهم : الألم القليل إذا كان سبباً لِلذّة دائمة ليس شراً بل هو خير .

قالوا : **الرحيم** هو الذي يريد الخير **للمرحوم** ، وليس في الوجود شـر إلا وضـمنه خير ، شرٌ مطلق لا يوجد في الكون .

مثلاً فتح البطن واللهِ عمل مزعج ، إنسان أدخل المستشفى فأحضر الطبيب مشـرطاً وذَبح اللحم ، نفر الدم ، أخذتَ الملاقط ، لقطتَ الأوعية كلها ، أتيتَ بالمشدات شددتها ، دخلتَ للزايدة استأصلتها ، هذا عمل ظاهره فيه قسوة ودماء ، ولكن باطنه **رحمة** ، لأنها إذا أهمل ثم انفجرت مشكلةٌ كبيرةٌ جداً ، كالتهاب الزايدة فيبادر ذووه مباشرةً إلى المستشفى ، أرحم الناس

وأقرب الناس يقول : مباشرةً إلى المستشفى هناك فتح بطن ، وقطع ، ووصل ، وخياطـة ، وتخدير ، طبعاً هذه **الرحمة** ما دمتَ تفهم أن كل المصائب التي تأتي هي مـن نـوع فعـل الطبيب **الرحيم** فأنت على حق .

لذلك ؛ أهل ذكري أهل مودتي ، أهل شكري أهل زيادتي ، أهل معصيتي لا أقنطهم من **رحمتي** ، إن تابوا فأنا حبيبهم ، وإن لم يتوبوا فأنا طبيبهم ، أبتليهم بالمصائب لأطهـرهم من الذنوب والمعايب ، الحسنة عندي بعشرة أمثالها وأزيد والسيئة بمثلها وأعفو وأنـا أرحـم بعبدي من الأم بولدها .

وبعد ، فقبل أن أختم البحث ، هناك سؤال يلح علينا : إن خَطَر لك نوع من الشر لا ترى تحته خيراً ، أو خَطَر لك أن تحصيل ذلك الخير كان ممكناً من دون اتباع أساليب الإيلام ؟ فماذا تفعل .

إن رأيت مصيبة هينة وأمرها بسيط ، وإذا بدا لك نوع من الشر لا ترى تحته خيراً أو خطر لك أنه كان من الممكن أن يكون هذا الخير من دون ذلك الشر ؟ ما الجواب .. قـال العلماء: فاتهم عندئذ عقلك القاصر وقل أنا فهمي محدود وعقلي قاصر عـن رؤيـة الغـد ، مستحيل أيها الإخوة مستحيل أن تكون مصيبةٌ بالأرض بلا سبب ، أو بلا خير ضمني ، أو بلا هدف نبيبل ، أو بلا غاية عظمى ، لكن الشر المطلق لذات الشر فهذا شيء لا يمكن أن يكون له وجود في الكون كله ، فكل شيء وقع أراده الله ، وكل شيء أراده الله وقع وإرادة الله عـز وجل متعلقة بالحكمة المطلقة وحكمته متعلقة بالخير المطلق ، والدليل :

قُلِ ٱللَّهُمَّ مَـٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ

(سورة آل عمران آية ٢٦)

" **بيدك الخَير** " ، لم يقل والشر ، الإعزاز خير ، الإذلال خير إيتاء الملك خيـر ، سلب الملك خير ، أما إذا قلت إن هذا الشر لا خير تحته أو لا خير وراءه ، قالوا فإن : هـذا مما تقصر العقول عن معرفته .

لقد أسمعت لو ناديت حيـ ـ ـ ـ ـاً ولكن لا حياة لمن تنادي
ونار لو نفخت بها أضـ ـ ـ ـاءت ولكن أنت تنفخ في رماد

يعني إذا شخص آتاه الله علماً وبصيرةً وآتاه قُدرةً على تفسير المصائب تفسيراً يليق بذات الله عز وجل وأسمائه الحسنى ، فهو راضٍ بقضائه وقدره ، ويرى يـد الله تعمـل فـي الخفاء ، ويرى يد الله فوق أيدي الناس ، فإذا الإنسان ابتعد عن التوحيد يقع في آلام لا تُحتمل ، كما قال النبي عليه الصلاة والسلام :

عن أَبِي هريرةَ قَالَ قَالَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إِذَا كَان أُمراؤُكُم خياركُم وأَغْنياؤُكُم سمحاءكُم وأُمورِكُم شُورى بينَكُم فَظَهر الأَرض خَير لَكُم من بطْنها وإِذَا كَان أُمراؤُكُم شراركُم وأَغْنياؤُكُم بخَلَاءكُم وأُمورِكُم إِلَى نسائِكُم فَبطْن الأَرض خَير لَكُم من ظَهرها *

(سنن الترمذي)

إن الإنسان إذا لم يوحد يقع في شقاء لا نهاية له ، والتوحيد ألاّ ترى مع الله أحـداً ، وأن ترى كل شيء ينتهي إلى خير ، " **بِيدك الْخَير** " وأن تدعو الله عز وجل أن يرحمك في الدنيا والآخرة ، وأن يؤتيك في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة .

والحمد لله رب العالمين

الدرس ٣٠ - اسم الله : "الكبير" .

بسم الله الرحمن الرحيم

مع الاسم الثلاثين من أسماء الله الحسنى والاسم هو " **الكبير** " وبادئ ذي بـدء ، أبين أن من قوانين النفس الإنسانية ، وأنها لا تُقبل إلا على **كبير ،** وإلا على عظيم ، لا تختار إلا **الكبير** ، لا تُعجب إلا بالعظيم هذا من خصائص النفس البشرية ، لـذلك حينمـا يتعـرف الإنسان إلى الله عز وجل ترتاح نفسه لأن فطرتها كذلك ، اختارت **الكبير** ، اختـارت الملـك اختارت العظيم ، اختارت الرحيم ، اختارت القوي ، اختارت العليم اختارت السـميع ، هـذا معنى قول الله عز وجل:

وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾

(سورة الأعراف : ١٨٠) .

هناك توافق بين خصائص النفس البشرية وبين أسماء الله الحسنى بمعنى أن في جِبِلتك تعظيماً **للكبير** ، والله هو **الكبير** ، وأن في جِبِلتك ميلاً للرحيم ، والله هو الرحيم ، وأن في جِبِلتك إقبالاً على الكريم والله هو الكريم ، يعني كل أنواع الاضطراب وأنواع الضياع وأنـواع التشـتت تتبدد إذا تعرفْتَ إلى الله عز وجل وتطمئن بعدها نفسك ، هذا معنى قول الله عز وجل :

ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ

(سورة الرعد : ٢٨) .

وإني لأقول دائماً وأُردد ، ما من رجل على وجه الأرض إلا ويبحث عن شيئين ، عن سلامته ، وعن سعادته ، ولو علم الإنسان أن جِبِلّتَه ، وطبيعته ، وخصائص نفسه ، ومبادئ تركيبة ، قائمةٌ على حب الكمال ، والله هو الكامل كمالاً مطلقاً ، لاتضحت له الحقيقة ، وانتهى كل إبهام ، فما الذي ينفّر النفس ؟ أن تتوقع الكمال في جهة ثم تفاجأ بأنها ليست كاملة ، هؤلاء الـذين يتعلقون بأشخاص ادعوا الكمال وهم ليسوا كذلك يصابون بنكسة في حياتهم كبيرة جداً ، لكن الإنسان إذا تعلّق بالله عز وجل لن يفاجأ بأن الله ليس كما اعتقد :

وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ ﴿٥٦﴾

(سورة المدثر : ٥٦) .

أريد قبل أن نتحدث عن اسم الله **الكبير** ، أن أُبين للقراء الكرام هذه الحقيقة : وهي : أن طبيعة النفس ، وخصائص النفس ، وجبلّة النفس وفطرة النفس ، مفطورةٌ ومجبولـة ومصـنوعة ومبنية ومخلوقة على حب العظيم ، على حب الكريم ، على حب القوي ، على حب العلـيم ، على حب الرحيم ، فإذا تيقنتْ أن الله سبحانه وتعالى أسماؤه كلها حسـنى تعلّقـتْ بهـا ، وارتاحتْ نفسك واطمئن قلبك وسعدتَ في دنياك وأخراك ، إذا توهمتَ أنه بالإمكان أن تسـعد لثانية واحدة بغير الله فأنت واهم ، هذا الذي يدعو إليه الدين قال سبحانه :

كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذۡكِرَةٌ ﴿٥٤﴾

(سورة المدثر : ٥٤) .

الدين يذكّر بأصول الفطرة ويجليها ، فمثلاً هذه السيارة ، مصممة على أن تسير على طـرق معبدة، كل شيء فيها ينتظم ، وأنت ترتاح في قيادتها ، ترتاح في تحريكها ، تتملك زمامهـا ، إذا هي سارت على طريق معبدة ، فإنها صنعت لهذا الطريق ، وصنع هذا الطريق لها ، فحينا تخرج عن الطرق المعبدة ، تشعر باضطراب ، بخلل ، باختلال توازن ، بأصوات بعثـرات ، بمتاعب لا حصر لها ، يعني أريد أن أقول ؛ إذا عرف الإنسان اللهَ عز وجل اهتـدى إلـى فطرته ، ووجد نفسه وجدتُ نفسي حينما أتعرف إلى ربي ، خصائص الـنفس أساسـها أنهـا تطمئن إذا عرفت العظيم لاحظ نفسك ، في مجلس ، مع أشخاص متعددين المتكلم المتـألق الذكي القوي تجد نفسك طوال السهرة متجهاً إليه وأنت لا تدري قد تُغفل كل الحاضرين ، قـد لا تعبأ بهم ، قد لاتنظر إليهم، لأنك مركّب على حب العظيم ، حب **الكبير** ، فإذا أيقنتَ أن الله هو **الكبير** وهو العظيم وهو الرحيم ، وأن أسماءه كُلُها حسنى توجهت إليه ، ما هوالدين فـي حقيقته ؛ التفات إلى الله عز وجل، من هو الكافر ، الذي أعرض عن الله وتوجه إلى ما سواه ، هذا متجه إلى دنيا يصيبها ، أو امرأة ينكحها ، أو مالٍ يجمعـه ، أو منصـبٍ يحصـله ، أو وجاهة يحققها ، وهذا المؤمن متجه إلى الله عز وجل .

من الآيات الدالة على هذا الاسم العظيم قوله تعالى :

عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡكَبِيرُ ٱلۡمُتَعَالِ ﴿٩﴾

(سورة الرعد : ٩) .

وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنۡ أَذِنَ لَهُۥۚ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ
عَن قُلُوبِهِمۡ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمۡۖ قَالُواْ ٱلۡحَقَّۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ

(سورة سبأ : ٢٣) .

مرةً ثانية : فإذا كُنت في مجلس ، وإذا كُنت في ندوة ، أو كُنت مع مجموعة من الناس ، وأنت لا تدري وأنت لا تشعر تتجه نحو العظيم نحو الأكثر علماً والأكثر فصاحة ، والأكثر ذكاءً ، والأكثر قُدرةً على إقناع الآخرين والأكثر شأناً ، والأكثر جمالاً ، هكذا ، هذه جِبلة النفس وهذه طبيعتها ، فإذا عرفت من هو **الكبير** أقبلت عليه ، فكل سعادتك تتحقق إذا عرفت **الكبير** وأقبلت عليه .

ٱنظُرۡ كَيۡفَ فَضَّلۡنَا بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ وَلَلۡأٓخِرَةُ أَكۡبَرُ دَرَجَٰتٖ وَأَكۡبَرُ
تَفۡضِيلٗا ﴿٢١﴾

(سورة الإسراء : ٢١) .

الممرض غير الطبيب ، والجندي غير اللواء ، والبائع المتجول غير التاجر الكبير ، فالتجار درجات ، أهل العلم درجات ، الممرض غير مدير المشفى : " **انظُرْ كَيْفَ فَضلْنَا بَعْضهمْ على بَعْضٍ وللآخرةُ أكْبر درجات وأكْبر تَفْضيلا**" .

عدد الدرجات أكبر ، والمسافات بين الدرجات أكبر ، نحن في الدنيا يستوي عظيم الشأن مع حقير الشأن في الطعام والشراب ، كلنا تُشبعه لقيمات ، كلنا يرتاح إذا دخل غرفة دافئة في الشتاء ، هناك قواسم مشتركة كثيرة جداً بين أنواع الناس وأقسامهم ، ولكن الله عز وجل يبين أن مراتب الآخرة كثيرة جداً ومتفاوتة جداً ، والمشكلة أن مراتب الدنيا لا تعني شيئاً لقرب زوالها وتحولها ، وأن مراتب الآخرة تعني كُل شيء لدوامها وبقائها مراتب الدنيا تحول وتزول بالموت ، في الموت يستوي الغني والفقير يستوي الصحيح والمريض يستوي الوسيم والدميم ، يستوي القوي والضعيف، يستوي **كبير** القوم وصغيرهم ، يستوي سرات الناس وصعاليكهم عند الموت ، إذاً هذه الدرجة التي تبوأها لا تعني شيئاً لأنها لا تدوم ، وقد يكون عظيم الشأن في الدنيا وعند الله فقيراً ، وقد يكون عظيم الشأن عند الله حياته خشنة ، ودخله محدود بيته صغير ، وعياله كُثُر زوجته ليست كما يريد ، قد يكون ذلك ولكن علو الدرجات في الآخرة تعني المقام السامي ، إنها تعني مرتبته الحقيقية عند الله عز وجل ، إنها تعني

الخلود في هذه المرتبة إلى أبد الآبدين لذلك قال تعالى : " **انظُرْ كَيْفَ فَضلْنَا بَعْضهُمْ علَى بَعْضٍ وللآخرةُ أَكْبر درجات وأَكْبر تَفْضيلا** " وكان عليه الصلاة والسلام يقول :

عن ابْنِ عمر قَالَ بَيْنَما نَحْن نُصلي مع رسول الله صلى الله عليْه وسلم إِذْ قَالَ رجلٌ من الْقَوْمِ الله أَكْبر كَبِيرا والْحمْد لِله كَثيرا وسبْحان الله بكْرةً وأَصيلا فَقَالَ رسولُ الله صلى الله عليْه وسلم : من الْقَائِلُ كَلمةَ كَذَا وكَذَا قَالَ رجلٌ من الْقَوْمِ أَنَا يا رسولَ الله قَالَ عجِبْتُ لها فُتحتْ لها أَبواب السماء ، قَالَ ابْن عمر فَما تَركْتُهن منْذُ سمعْتُ رسولَ الله صلى الله عليْه وسلم يقُولُ ذَاك *.

(صحيح مسلم) .

هذه الكلمات كلمات الإسلام كلمة أشهد ألاّ إله إلا الله ، كلمة سبحان الله ، كلمة الله أكبر ، كلمة لا حول ولا قوة إلا بالله ، كلمة إن شاء الله هذه الكلمات لها معانٍ عظيمة ، لكن الناس مع استخدام هذه الكلمات استخداماً سيئاً أفقدوها معناها ، يعني إن شاء الله ، إذا أردت أن تخلف وعدك ، إذا أردت ألا تُسدد ما عليك ، تقول له إن شاء الله ، غداً إن شاء الله ، ليس هذا معناها إطلاقاً .

كلمة " **الله أكبر** " تقولها إذا رأيت مثلاً آلة مهولةً صنعها أجنبي الله أكبر ، فقد قلتَها في معرض التعجب ، هذه ليس من شأنها أن تُقال بهذا الموطن ، بل إذا رأيت آية من خلق الله عز وجل واستعظمت خالقها تقول الله **أكبر** ، هذه الكلمات التي نرددها **الله أكبر** ، سبحان الله ، لا حول ولا قوة إلا بالله ، هذه لو عرفنا معناها حقيقة لكُنا في حال غير هذا الحال لذلك ربنا عز وجل يقول :

ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾

(سورة الكهف : ٤٦) .

تساءل العلماء ما هن الباقيات الصالحات ؟ قال بعضهم ؛ **سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر** ، فإذا قرأت الآية شعرت أن من عنده مالٌ كثير أو جاه عريض أو حياةٌ ناعمة ، فكل هذا شيء تافه أمام **الله أكبر** ، سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ؟ .. نعم لأنك إذا قلت سبحان الله حقيقة فقد سبحته ، وإن قلت الحمد لله حقيقة فقد حمدته ، وإن قلت الله **أكبر** فقد كبرته ، وإن قلت لا إله إلا الله فقد وحدته فإذا سبحته وحمدته ووحدته وكبرته فقد عرفته ، وإذا عرفته عرفت كل شيء وسعدت بهذه المعرفة إلى الأبد وهذه لا يدانيها متاع الدنيا كله ولو كثر ، أيها القارئ الكريم ، الله سبحانه وتعالى يقول :

وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾

(سورة الجاثية : ٣٧) .

إن الله عز وجل وصف نفسه أنه **كبير** ، وأنه عظيم ، وبأن له الكبرياء ، وإذا أمرنا أن نُكبره ، وإذا أمرنا أن نُعظّمه ، فإنما ذلك لكي نَسعد به ونُقبل عليه ، وكي نُحقق الهدف من خلقنا .

أحياناً قد ترى إنساناً يتحدث عن نفسه تيهاً وازدهاءً من أجل أن يفتخر عليهم ، من أجـل أن يتيه عليهم ، لكن الله سبحانه وتعالى إذا قال : وهو **الكبير** المتعال ، وله **الكبرياء** في السماوات والأرض ، وإذا أمرنا أن نُكبره **تكبيرا** :

وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾

(سورة المدثر : ٣) .

لكي نعرف قدره ومن ثم نسعد بهذه المعرفة .

وبعد ، فلا بد لنا ليكون البح شافياً من أن نتحدث عن : اشتقاقات هذا الاسم لتكون الإحاطة به احاطة شاملة شافية ، هذا الاسم ورد على صيغ متعددة ، ورد **الكبير** ، وهو العلي **الكبير** .. وورد **المتكبر** ، وثالثها **الأكبر** وهي صيغة مبالغة ، قال تعالى :

وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾

(سورة التوبة : ٧٢) .

وقال تعالى :

وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾

(سورة العنكبوت : ٤٥) .

فالكبير والمتكبر والأكبر كلها تصب في ناة واحدة ، لكن وجِد في الأثر أنه لا **يكبـر** علـيكم شيء ما دامت كلمتكم **الله أكبر** ، فأنت قد تكذب لأنك تخاف من إنسان كبير ، ففي حياة كـل إنسان شخص بإمكانه فيما يبدو أن يفعل وألا يفعل وأن يعطيك أو أن يمنعك ، أنت شـئت أم أبيت لك حجم محدود ، لك حجم مالي محدود ، لك حجم في القوة محدود ، لـك حجـم فـي

المراتب الاجتماعية محدود ، هناك أقوى منك ، هناك أكثر منك مالاً هناك أعظم منك جاهاً ، فأنت كلما واجهت من هو **أكبر** منك ، من هو أعظم منك من هو أشد منك قوةً ، من هو أبرع منك حيلةً ، من هو أسمى منك درجةً في العلم ، وقلت الله **أكبر** فأنت اتجهت إلى من هو **أكبر** منه .

وقف مرةً رجل بين يدي الحجاج وكان مقدماً على قتله ، فقال هذا الرجـل : أيهـا الأميـر ؛ أسألك بالذي أنت بين يديه أذل مني بين يديك ، وهو على عقابك أقدر منك على عقابي .

يعني لا **يكبر** في نفسك شيء مادامت كلمة " **الله أكبر** " هي الأكبر أحياناً المرض **يكبر** ، فـإذا قلت الله **أكبر** ، يعني الله قادر على شفائك التام من هذا المرض ، أحياناً عدوك **يكبر** ، تقول لا نستطيع مواجهته ، فإذا قلت الله **أكبر** صغُر هذا العدو ، وإذا قلت الله **أكبر** صغُر هذا المرض ، وإذا قلت الله **أكبر** فإن حيلة خصمك المحكمة تخفق ، لذلك أنت معك سلاح لو عرفت قيمته لكنت في أعلى عليين ، ولكن البلاء يكمن في أننا نردد بعض الكلمات ، ولسنا فـي مسـتوى مضمونها ؛ تقوىً ويقيناً بل لقولها جوفاء مفرغة من مضمونها .

الكبير والمتكبر والأكبر والكبرياء ، كل هذه الأسماء وردت مشتقّة من اسم **الكبير** ، المعنـى الأول المتبادر لاسم **الكبير** أنه في مقابلة الصغير هذا شيء صغير وهذا شيء كبير ، وهـذا أكبر إلى آخره ، جبل قاسيون جبل ، لكنك إذا وازنته بجبل الشيخ فجبل الشـيخ أكبـر ، وإذا وازنت جبل الشيخ بجبال الألب ، فجبال الألب أكبر ، وإذا وازنت جبال الألب بجبال الهملايا فجبال الهملايا أكبر .

الكبير يقابله الصغير .. إنسان ضارب آلة كاتبة في دائرة لابأس به فهو موظف ، لكن أمـام المدير العام هو صغير ، والمدير العام أمام الوزير هو صغير ، هناك مراتب في السـلطة ، يوجد موظف عنده صلاحيات وموظف صلاحياته **أكبر**، معلم الصف أمام المـدير صـغير ، مدير المدرسة أمام مدير التربية صغير ، لأن مدير التربية يسيطر علـى محافظـة بأكملهـا ومدير التربية أمام وزير التربية صغير ، **الكبير** ما يقابل الصغير .

إنسان يملك مائة ألف ، أمام صاحب المليون صغير ، ومبلغ المليون أمام المائة مليون صغير ، ومبلغ مائة المليون أمام الألف مليون صغير ، **فالكبير** ما قابله الصغير ، **<u>هـذا هـو المعنى الأول</u>** ، لكن لا يستقيم هذا المعنى في ذات الله عز وجل ، لأن الله عز وجل تعالى عن المقدار والحجمية، ليس له مقدار وليس له حجم ، الله منزه عن أن يكون له حيز أو جهة أو مقدار أو حجم ؛ ليس بمتجزئ ولا متبعض ولا يمتناه وكل ما خطر ببالك فالله بخلاف ذلك .

إذاً : ما معنى **الكبير** في حق الله عز وجل ، قالوا : هناك **الكبير** في الدرجات العقلية فمثلاً قد تلتقط صورة لمجموعة أشخاص ، وقد يكون أقوى إنسان بهذه الدائرة ، أو أقوى إنسان بهـذه المجموعة ، وزنه خمسة وخمسون كيلواً وإلى جانبه معاونه ووزنه مائة وثلاثون كيلواً فأيهما

الكبير ؟ الصغير بحجمه هو **الكبير** ، الأقوى يعين ، إذاً عندنا **كبير** بحسب الحجـم وبحسـب الوزن وعندنا **كبير** بحسب القوة وبحسب العلم ، فربنا عزو جل إذا قلنا **كبير** تعـالى عـن أن يكون له حيز أو حجم أو مقدار ، لكن الله سبحانه وتعالى في الدرجات العقلية هو **الكبير** .

الحق من زاوية هذا الاسم هو أكمل الموجودات وأشرفها ، الذات الكاملة هو **الكبير** ، يقول لك قائل : هذا **كبير** القوم ، يعني أوجه شخص في القوم .

<u>المعنى الثاني لكلمة كبير</u> : يعني **كبير** بمعنى أنه كبر عن مشابهة المخلوقات ، يعني الله عـز وجل **أكبر** من أن يشبه خلقه ، **وأكبر** من أن يشبهه أحد من خَلْقه ، كل ما يخطُر ببالـك فـالله يخلاف ذلك، كلمة **كبير** في حق الله عز وجل أنه ليس كمثله شيء ، هو **أكبر** من ذلك .

حينما صوروا بعض قصص الأنبياء لم يتمكنوا من أن يأتوا برجل ويجعلونه نبياً ، فليس هناك فتوى أساساً تجيز ذلك ، لماذا ؟ لأن النبي عليه الصلاة والسلام **أكبر** وأعظـم مـن أن يـأتي إنسان ويمثل دوره ، لذلك لا يمكن أن يظهر النبي في عمل فني ، لأن الذي سـيمثلُه إنسـان عادي والنبي **أكبر** من ذلك وأعظم من ذلك ، هنا معنى **الكبير** يعني منزه عن أن يشبه خلقه .

أما **الأكبر** ؛ يعني أن الله عز وجل هو **أكبر** من كل خلقه ، وهنا شيء بديهي ، لكن الإنسان قد يتجه إلى بعض المخلوقين تعظيماً لهم ، فإذا أخبرناهم أن الله **أكبر** من هذا الـذي تعبدونـه أو تعظمونه من دون الله فليس القصد أن نقيم موازنة بين الله وبين خلقـه ، ولكـن القصـد أن نصرف هذا الإنسان عن الشرك إلى التوحيد ، وعن الاتجاه إلى ما سوى الله ونصرفه فقط إلى الاتجاه إلى الله عز وجل وأن كل من دونه لا يقارن به فإذا ذكرنا معنى **الكبيـر** مـن هـذه الزاوية فلكي نُوحد الله ولا نُشرك به شيئاً .

<u>لكن المعنى الآخر</u> ، كلمة **الأكبر** ، يعني **أكبر** مما عرفت ، مهما تعرفت إلى الله عز وجل فهو **أكبر** مما تظن ، مهما تخيلت قدرة الله عز وجل فهي **أكبر** مما تخيلت ، مهما تصورت رحمة الله عز وجل فهو **أكبر** رحمة مما عرفت ، هذه كلمة " **الله أكبر** " .

لذلك فالنبي صلى الله عليه وسلم سن للمصلي أن يقـول الله أكبـر أي إذا أردت أن تصـلي وساورتك وساوس وانشغلت بها ، فإلى أين أنت ذاهب ؟ **الله أكبـر** ، فمـثلاً إذا الإنسـان ـ فرضاً من باب التمثيل ـ دخل إلى غرفة وزير ، فإن رفعةَ منصبه ، وكبر شأنه يـدعو مـن عنده إلى النظر إليه لا إلى سواه ، أي أنه قل ما تجد إنساناً في حضرة عظيم يتشـاغل عنـه بسبحة أو بجريدة أو بحاجة، أو بنظر إلى أطراف الغرفة ، لكن الذي هو معـروف أنـك إذا كنت في حضرة إنسان له قيمة فلا بد أن تتجه إليه ، فهذا معنى القول : " **الله أكبر** " أي اتجه

إلى الله عز وجل ، والمعنى الأدق من ذلك **أكبر** مما عرفت ، يعني كلما تعرفّت إلى الله فهـو **أكبر** ، وهو أعظم .

قال العلماء : " حظ العبد من هذا الاسم أن يجالس العلماء ، ويصاحب الحكماء ويخالط الكبراء ".

هنا الدقة ، أنت إنسان لك شخصية ، هذه الشخصية لها خصائص لك علم ، لك مشاعر ، لك خبرات ، لك ذكريات ، لك تجارب فإذا صاحبت من هو دونك فهذا شيء ، وإذا صاحبت من هو في مستواك فذاك شيء آخر ، وإذا صاحبت من هو فوقك فذاك شيء ثالث .

التوجيه ؛ " جالس العلماء ، وصاحب الحكماء ، وخالط الكبراء " . لماذا لتقتبس منهم .. يعني أنت إذا صاحبت من هو في مستواك ليس في إمكانك أن تستفيد منه ، وليس فـي إمكانـه أن يستفيد منك، ندِلذ ، لذلك ففي البلاغة عندنا دعاء ، وعندنا التماس ، وعندنا أمر ، فالـدعاء يأتي بصيغة أمر ، والالتماس يأتي بصيغة أمر ، والأمر أمر أيضاً ، لكن إذا توجه الأمر من صغير إلى كبير فهو الدعاء ، وإذا توجه الأمر من شخص إلى نده فهو الالتماس ، وإذا توجه الأمر من كبير إلى صغير فهو الأمر ، فأنت إذا صاحبت من هو في مستواك يمكن أن تُمضي معه وقتاً ممتعاً ولكن ربما لن تستفيد منه شيئاً ، تستمتع في الجلوس معه دون أن تستفيد منه ، لأنه في مستواك وأنت في مستواه ، خبراتكما مشتركة ، معلوماتكمـا مشـتركة لكنـك إذا صاحبت من هو فوقك في العلم أو في المعرفة أو في القدر أو في الكمال ، أو في الخبرة فـي الحياة ، تستفيد منه ، ما دام الإنسان مجبولاً على حب العظيم أو حب الكبير ، إذاً عليـك أن تُصاحب من تراه ثقةً وأهلاً لصحبتك فتستفيد من علمه تارةً ، ومن أدبه تارةً ، ومن خبرتـه تارةً ، ومن أسلوبه في الخطاب تارةً أخرى، هذه بعض التوجيهات بالنسبة لحظ العبد من هذا الاسم .

وقال المحققون : العلماء على ثلاثة أقسام ؛ العلماء بأحكام الله فقط فقيه متفوق بالفقـه ، فـأي سؤالٍ طرحته عليه ، يحبك لقد ورد في حاشية كذا وفي المصنف الفلاني وفي الكتاب العلاني ، مع الحكم الشرعي لهذا السؤال هذا اسمه عالم بأحكام شرع الله فقط ، إذاً هؤلاء العلماء هـم أصحاب الفتوى ، إذا أردت أن تستفتي في شيء فاذهب إليهم ، لأنهم متفوقون فـي معرفـة أحكام الشريعة .

وهناك علماء بذات الله تعالى فقط ، يعرف الله عز وجل ويعرف أسماءه الحسـنى ، يعـرف صفاته الفُضلى ، يعرف عظَمةَ الله عز وجل مستقيم على أمره ، مقبلٌ عليه ، فهؤلاء الـذين علموا ذات الله فقط هم الحكماء ، إذاً هناك علماء وهناك حكماء ، ولقد سبق أن قلـت : مـن ازداد علماً ولم يزدد هدىً لم يزدد من الله إلا بعداً ، يعني نمى علمه الشرعي ولم تنم معرفته بالله عز وجل ، ولم تَرقَ عبادته إلى المستوى المطلوب فقصر في معرفة الله ، وفي طاعته

وتفوق في الأحكام الشرعية ، من ازداد علماً ولم يزدد هدىً لم يزدد من الله إلا بعداً . لابد من أن تتحرك على خطين اثنين ، على خط معرفة الله ومعرفة أمره ، ومـا أكثـر مـا ذكـرت وكررت وأنا أتحدث أو أكتب في هذا الموضوع ، هناك عالِم بالله ، وهنـاك عـالِم بـأمره ، وهناك عالِم بخلقه .

أما العلماء بخلق الله عز وجل فهم العلماء المشهورون في الفيزياء وفي الكيماء والرياضـيات والفلك والتاريخ وعلم النفس وعلم الاجتماع وفي هذه العلوم البحتة كالرياضيات التطبيقيـة كالكيماء العضوية وما إلى ذالك .

العلم بخلق الله شيء ، والعلم بالله شيء ، والعلم بأمره شيء وعلامة العلم بأمره أنك تُجيب عن أي سؤال متعلّق بأمره ، وأما العلم بذاته فعلامته طاعتك له ، حينما تعصي الله عز وجل فأنت لا تعرفه .

فالعلماء هم الذين عرفوا الأحكام الشرعية ، وهم الذين يقْصدون في الفتوى ، والحكمـاء هـم الذين عرفوا الله عز وجل وعلامة معرفتهم لله طاعتهم له وإقبالهم عليه ، ووصولهم إليه ، أما أجمل ما في الموضوع قول العلماء : إن **الكبراء** هم الذين عرفوا أحكام الله ؛ الأحكام الشرعية وعرفوا ذاته العلية ، هؤلاء الذين جمعوا بين الشريعة والحقيقة ، هؤلاء هم الكبـراء ، وقـد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال :

أَخْبرنَا زَيْدٌ العمي عنْ بعْض الْفُقَهاء أَنه قَالَ يا صاحب الْعلم اعْملْ بِعلمك وَأَعْط فَضْلَ مالِـك واحْبِس الْفَضْلَ منْ قَوْلك إِلا بِشَيْء من الحديث ينْفَعك عنْد ربك ، يا صاحب الْعلم إِن الـذي علْمتَ ثُم لَمْ تَعْملْ بِه قَاطعٌ حجتَك ومعْذرتَك عنْد ربك إِذَا لقيتَه ، يا صاحب الْعلْـم إِن الـذي أُمرْتَ بِه منْ طَاعة الله ليشْغَلُك عما نُهيتَ عنْه منْ معْصية الله ، يا صاحب الْعلم لا تَكُـونَن قَويا في عمل غَيْرك ضعيفًا في عمل نَفْسك يا صاحب الْعلْم لا يشْغَلَنك الذي لِغَيْرك عن الـذي لَك ، يا صاحب الْعلْم جالِس الْعلَماء وزاحمْهمْ واسْتَمعْ منْهمْ ودعْ منَازعتَهمْ ، يا صاحب الْعلْم عظم الْعلَماء لِعلْمهمْ وصغر الْجهالَ لِجهْلهمْ ولا تُباعدْهمْ وقَربْهمْ وعلْمهمْ*

(سنن الدارمي)

الكبير من الناس هو الذي عرف الله حق المعرفة ، وأقبل عليه حق الإقبال ، وعرف أحكامـه التكليفية حق المعرفة ، فقد حصل المجد من طرفيه ، إنك إذا رأيت عالِماً بالله ومعلوماتُه فـي الشريعة ضعيفةً قد لا تُعجب به ، وإن رأيت عالماً في الشريعة ومعرفته بالله لا تعجبك قـد لا تُعجب به ، لكنك إن رأيت من يجمع بين العلم بالله والعلم بأحكام الشريعة فهـذا **الكبيـر** فـي تعبير النبي عليه الصلاة والسلام ، وقديماً قالوا من تفقّه ولم يتحقق ، فقد تفسق ، ومن تحقـق ولم يتفقه فقد تزنّدق ..

يعني إذا تركت علم الشريعة جانباً ولم تستقم عقيدتك واعتمدت على التأمل فقط ربما نطقـت بما هو زندقة أو بما يشبه الزندقة ، وإذا تعرفت إلى أمر الله فقط ولم تعرف عظمتـه فربمـا خالفت أمره .

فنحن بين نموذجين ، نموذج أتقن أحكام الشريعة وعَقَلَ عن أحكام الحقيقة ، ونموذج عـرفَ الحقيقة وما عرفَ الشريعة، لكن **الكبراء** هم الذين عرفوا الحقيقة والشريعة ، تحققوا وتفقّهوا ، عرفوا أحكام الله التكليفية ، وعرفوا ذاته العلية ، فهذا حظ العبد من هذا الاسم ، وللفائدة أرجو العودة للحديث الذي رواه زيد العمي في الصفحة السابقة .

وجدير بنا أن نقف في مطالعة هذا الاسم عند : " **العظيم الكبير** " إنّه ذو الكبرياء ، والكبرياء عبارة عن كمال الذات ، وكمال الذات أي كمال الوجود ، وكمال الوجود يرجع إلـى شـيئين اثنين ، دوامه أزلاً وأبداً ، فكل وجود يسبقه عدم ليس كاملاً ، وكل وجود ينتهي إلى عدم ليس كاملاً ، نحن كما نُسمى في علم التوحيد (حادث) لأنه سبقنا عدم وسيأتي بعدنا العـدم كـل شيء هالك إلا وجهه ، فالكبير ذو الكبرياء ، والكبرياء كمال الذات وكمال الذات هـي كمـال الوجود ، وكمال الوجود يرجع إلى شيئين ؛ دوامه أزلاً وأبداً أما الثـاني ؛ فوجـوده ذاتـي ، وسبب كل وجود ، أما وجود مخلوقاته ليس ذاتياً ، وجود مخلوقاته متوقف على مشيئته ، كُن فيكون زلْ فيزول ، ما شاء اللهُ كان وما لم يشأ لم يكُن .

وبعد ، فالوقوف عند هذا الاسم على مخلوقاته يجلى الأمر واضحاً وهو مما يعين علـى فهـم البحث: فمن تطبيقات هذا الاسم على العباد القول مثلاً : فُلان **كبير** ، الحقيقة هنا معنى دقيـق الدلالة جداً ، فكلمة " **كبير** " إذا وصف بها الإنسان ليس الكامل في ذاته بـل الـذي تسـري كمالاته إلى غيره يعني مشعاً ، هنالك عنصر خامل ، وعنصر مشـع ، وعنصـر فاعـل وعنصر منفعل ، من هو **الكبير** من الناس ، فمثلاً عالِم لكن ما علم أحداً كامل ما كمَلَ أحداً ، فهذا ليس كبيراً ، أما إذا كنت عالماً ووصلَ علمك إلى الآخرين فأنت كبير عند الله عز وجل ، إذا كنت كاملاً وسرى كمالُك إلى الآخرين ، يعني تخلقوا بأخلاقك ، وتعلموا من علمـك ، أي إذا فاض الإناء على غيره فهو **الكبير** ، هذا معنى آخر من معاني **الكبير** من العباد ، ألم يقل النبي عليه الصلاة والسلام الحديث : "**أَخْبرنَا زَيْدٌ العمي عنْ بعْض الْفُقَهاء أَنه قَالَ يا صاحب العلم اعْملْ بِعلمك وأَعْط فَضْلَ مالِك واحْبِس الْفَضْلَ منْ قَوْلِك إلا بِشَيْء من الْحـديث ينْفَعـك عنْد ربك يا صاحب الْعلم إن الذي علمْتَ ثُم لمْ تَعْملْ بِه قاطعٌ حجتَك ومعْذرتَك عنْد ربـك إذَا لقيتَه يا صاحب العلم إن الذي أُمرْتَ بِه منْ طَاعة الله ليشْغَلُك عما نُهيتَ عنْه منْ معْصـية الله يا صاحب الْعلم لا تَكُونَن قَويا في عمل غَيْرك ضعيفًا في عمل نَفْسك يا صاحب الْعلْـم لا يشْغَلنك الذي لِغَيْرك عن الذي لك يا صاحب الْعلم جالِس العلماء وزاحمْهمْ واسْتَمعْ منْهمْ ودعْ**

منَازعتَهمْ يا صاحب العلم عظم العلماء لِعلمهمْ وصغر الجهالَ لِجهْلهمْ ولا تُباعدْهمْ وقـربْهمْ وعلمْهمْ * "

إذاً الكبير الكامل في نفسه المكملْ لغيرِه ، العالِم في نفسه المعلم لغيره أنت إذا بقيـت وحـدك ولو كنت في أعلى مستوى لست **كبيـراً** عند الله يعني باللغة الواقعية أناني ، أنـت حصـلت معرفة واكتفيت بها ، أنْتَ كمالاً واكتفيت به ، لكن أين كمالُك ؟ إن لم يسرِ هذا الكمـال إلـى الآخرين ؟ لذلك الشيء الذي يلفت النظر أن الله سبحانه وتعالى يقول :

وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾

(سورة العصر)

" **تواصوا بالحق** " ، يعني جزء كبير من نشاط المؤمن الدعوة إلى الله ، فمثلاً رجـل مـؤمن إيماناً عالياً وزوجته جاهلة، وزوجته عاصية ويقول أنا لا علاقة لي بها ، هي وشأنها ، ألست مؤمناً ؟ بلى وإيمان عال ولا يعنى بأولاده ولا يهتم بإيمانهم ولا يهتم باسـتقامتهم ، شـيء لا يصدق هو مؤمن إيماناً عالياً وله شريك لا يصلي ، وشارد وتائه وترضى به وتسكت عنـه ولا يقلقك أمره ، إذاً : فلست عند الله **كبيراً** ، لن تكون عند الله **كبيراً** إلاّ إذا سـرى علمـك ، وسرتْ أخلاقُك ، وسرت دعوتُك إلى الآخرين ، هذا المعنى الذي ذكره بعضهم فيما تنطـوي عليه كلمة **كبير** من العباد .

شيء آخر مهم : هو أن الله عز وجل حينما يراك تُعظمه ولا تحفل بخلقه فأنت عنده مقرب ، لكنه إذا رآك ترتعد فرائصك أمام كل إنسان وتنسى الواحد الديان ، تسعى إلى إرضاء النـاس وتنسى رب الناس تخشى الناس ولا تخشى الله فأنت عند الله صغير .

وهذا شيء آخر : وهذه النقطة دقيقة الدلالة جداً ، أحياناً يكون الإنسان مسلماً وموحداً ، لكنـه يخاف مما يخاف الناس دائماً ، ويقول : ما هذه الحياة كلها خوف ؟ إذاً هذا الذي يخاف وماله حرام ودخله حرام وأفعاله منحرفة لابد من أن يخاف ، وله أن يخاف ، لكن المؤمن إذا ظـن أن الله سيعاملُه كما يعامل أهل المعصية والفجور فقد وقع في سوء الظن بالله عز وجل ، أنت تقع في سوء الظن بالله إذا ظننت أن الله سيعامل المؤمن كما يعامل الفاسق ، وإني أقول : إذا خفتَ أن تُعامل كما يعامل الفاسق الفاجر ، فهذا الخوف عقوبة لك على سوء ظنك بـالله ، الله عز وجل يحبك أن تعتمد عليه ، يحبك أن تثق به ، يحبك أن تتوكل عليه ، كما يحبك أن تعتز به .

اجعل ارب كل عزك يستقر ويثبـ ـ ـ ـ ـ ـ ـت

فإذا اعتززت بمن يموت فإن عزك ميت

قال تعالى :

وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٣٩﴾

(سورة آل عمران : ١٣٨) .

يجب أن يرافق الإيمان معنويات عالية ، يرافق الإيمان ثقة بالله عز وجل ، يرافـق الإيمـان شعور بالتفوق ، رأوا أحد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يمشي مشية كأنها مشية كبر ، فقالوا : أكبر في الإسلام ؟ قال لا هذا عز الطاعة ، يعني أنت أحياناً حينما تُطيـع الله عز وجل يجب أن تعتز بطاعتك ، .. يقول : أنا لا أشرب الخمر لأن لدي مغص من قرحـة في المعدة ، لا، بل يجب أن يقول لا أشرب لأن هذا شراب محرم في ديني .. هـذا أكمـل ، أتستحي بأمر الله عز وجل ؟ فهذا المسلم الذي يخاف الله عز وجل يذكر للناس ألـف تبريـر وتبرير لعدم شُربه الخمر ، على أنه مصاب بقرحة ونحو ذلك ، ولا يجرؤ أن يقـول : هـذا حرمه الله عز وجل ، وأنا ملتزم ، فهو مهزوم ، ولكن إذا قلت أنا لا أشـرب لأن الله حـرم شُرب الخمر ، وافعلوا ما تريدون انتهى الأمر إرتقيت في مدارج عزة الإيمان .

المقصود أن تعتز بالله ، أن تَثِقَ به ، أن تعتمد عليه ، أن تتوكل عليه ، هذا إذا كُنـت تـراه **كبيراً** ، هذا إذا كانت كلمتك (الله **أكبر)** حقيقة فأنت تقول **(الله أكبر)** في الصلاة ، وتسمع **الله أكبر** كل يوم خمس مرات في الأذان ، وتقول **الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبـر ،** في كل حركة من حركات الصلاة **الله أكبر** ، لذلك ذكرت مراراً في خطب الجمعة وأكدت على ما ذكرت إن الذي يقول (**الله أكبر**) ويطيع مخلوقاً ويعصي خالِقُه فكأنه ما قالها أبداً ، ولو قالها بلسانه مائة ألف مرة ، إذا قُلت (**الله أكبر**) وخشيت الناس ولم تَخشَ الله فما قُلت **الله أكبر** ولا مرة ، إن الذي نسعى إليه ، أن نَدع الشكليات ، والكلمات الجوفاء والكلمات المستهلَكة وأن نعـود إلـى أصل الدين وإلى جوهر الدين ، من عصى خالِقَه ، وأرضى مخلوقاً فما قال **الله أكبـر** ولا مرة ولو رددها بلسانه مائة ألف مرة ، فإن أرضى زوجتَه مثلاً وعصى ربه ، فمـا قـال **الله أكبر** ، الحقيقة بلا مجاملة وبالكلمة الصريحة : إن رأيت رضاه أكبر عندك من رضاء الله عز وجل فلا حظ لك أبداً مما قلت ، وحينما تطيع مخلوقاً وتعصي خالقك ، فقد رأيت رضاء هـذا المخلوق **أكبر** عندك من رضاء الله ، وهذا واقع الكثيرين ، لكن حينما تقول الله **الكبيـر** ، الله الغني ، ولا أفعل سوءاً ولو قُطعتُ إرباً إرباً ، فالآن قلت **الله أكبر** .

وها نحن الآن قد دخلنا في صميم البحث ، ودخلنا في التطبيق العملي ؛ فما جدوى أن تقـول الله هو **الكبير والمتكبر والكبير** المتعال والعلي **الكبير** وذو الكبرياء ، **والكبير** الذي تعالى عن

أن يشبه خلقه **والكبير** هو في الدرجات العقلية ، فما جدوى كل هذه المعلومات الدقيقة عن اسم **الكبير** ما دمتَ تتجه إلى المخلوق وتنسى الخالق ، لذلك علامة المؤمن ألّا تأخذه في الله لومـةُ لائم ، ولا يرى أحداً **أكبر** من الله ، وإذا قال الله **أكبر** فهو فعلاً أقوى الناس ، لأنـك إذا أردت أن تكون أقوى الناس فتوكّل على الله ، لذلك هناك امتحانات دقيقة في الحياة ، خلاصـتها أن الله عز وجل يضعك أمام ظرف صعب ، قد تُغلَقْ الأبواب كلها في وجهك ، يفتح باب واحد ، باب معصية ، فإذا قلت ماذا أفعل لا حول لي ولا قوة ، وأرجو الله ألا يؤاخذني ، معنى ذلـك رأيتَ حاجتك إلى هذا الشيء **أكبر** من رضوان الله تعالى ، ويجب أن تعلـم أن الآيـة التـي قرآناها قبل قليل :

قُلْ أَؤُنَبِئُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكُمْ لِلذين اتقَوْا عِنْد ربهِمْ جناتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتها الأَنْهار خَالِدين فيهـا وأَزْواجٌ مطَهرةٌ ورِضْوانٌ مِنْ الله والله بصيرٌ بِالعباد .

هل تعلمون ما سياق هذه الآيات ؟ الحديث عن الجنة ، يعني بعد أن ذَكر الله لنا فـي القـرآن الكريم الحديث عن الأشجار وعن الجنات التي تجري من تحتها الأنهار وعن أنهار اللبن وعن أنهار العسل المصفّى وعن الحور العين وعن الولدان المخلدين ، وعن كل ما في الجنة مـن مباهج قال " **ورضوان من الله أكبر** " أي إذا كان الله راضياً عنك ، وإحساسك بهذا الرضـى **أكبر** عنده من كل شيء ، فهذه **أكبر** غاية يسعى إليها المؤمن ويرجوها عند الله سبحانه .

وبعد فإن آخر ما ينبغي علي الإشارة إليه ؛ أقول : يعني إذا شعرت أن الله راضٍ عنك ، فهذا الشعور أكبر غاية تتحقق لك في الأرض ، كنتُ مرةً أقول ؛ حينما قال الله عز وجل ، وحينما قرر في كتابه الكريم أنه رضي عن أصحاب رسول الله صلى فقال تعالى :

﴿ لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَـٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾

(سورة الفتح : ١٨) .

قلت عندها والله ما في الأرض كلها لا في قديم الزمان ولا في حديثه ولا في المسـتقبل ، ولا في كل القارات ، ولا في شتى المجالات ولا في كل المناحي ، من مرتبة أعظـم مـن أن يرضى الله عنك ، وما جدوى أن يرضي عنك المخلوقون جميعاً ولم يرض الله عنك ! ! ! ؟

﴿٢٤﴾ إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾

(سورة الغاشية : ٢٤ ـ ٢٦) .

ما ينفعك أن يرضى الناس جميعاً عنك ، وما ينفعك أن تكون معظماً عند الناس كلهم ولست عند الله عظيماً ؟ فرضى الناس إلى زوال ولكن رضى الله باق أبداً .

سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُواْ صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا كَانُواْ يَمْكُرُونَ ﴿١٢٤﴾

(سورة الأنعام : ١٢٤) .

أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾

(سورة الكهف : ١٠٥) .

كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾

(سورة المطففين : ١٥)

وَٱمْتَٰزُواْ ٱلْيَوْمَ أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٥٩﴾ ۞ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُواْ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعْبُدُونِى ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا ۖ أَفَلَمْ تَكُونُواْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٦٣﴾ ٱصْلَوْهَا ٱلْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٦٤﴾ ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾

(سورة يس : ٥٩ ـ ٦٥) .

ما قيمة الدنيا كلها ، ولو أنك كنت تملك الدنيا بحذافيرها وليس لك عند الله شأن ، سمعت عن شركة من الشركات الكبرى في العالم عندها فائض هي في حيرة من أمر توظيفه ؛ أربعة آلاف مليون دولار شركة سيارات ، فائضها النقدي الذي لا تعرف كيف توظفه أربعة آلاف مليون لو أن الدنيا كلها لك ، لو أن هذه الشركة لك ، لو أن القارات الخمس بما فيها من مصانع هي ملك لك ولم يكن الله عنك راضٍ فما قيمة الدينا كلها كلام دقيق ، يعني أنت أيها

المؤمن قد تكون من عامة الناس في الحياة الاجتماعية أنت إنسان عادي ، فإذا كُنتَ تعـرف الله عز وجل وكان الله راضياً عنك ، أنت عند الله عظيم الشأن، لذلك دخل على النبي رجـل النبي هش له وبش ، وقال أهلاً بمن أخبرني جبريل بقدومه ، قال أومثلي ؟ !! من أنا ؟ قال : نعم يا أخي خاملٌ في الأرض علٌم في السماء .

قد تكون طالباً ، قد تكون موظفاً في الدرجة العاشرة ، قد تكون مساعد كاتـب ، قـد تكـون صاحب محل صغير مساحته متر بمتر ، لكنك تعرف الله ومستقيم على أمره فأنـت عنـد الله عظيم ، لذلك حينما قال أحد العارفين بالله : " **والله لو يعلم الملوك ما نحن فيه لقاتلونا عليها بالسيوف** " والله كلامه صحيح ، لو كشف الغطاء وعلم ملوك الأرض ما أنت فيه من مرتبـة علية عند الله لنافسوك وقاتلوك .. أما أهلُ الدنيا فهان أمر الله عليهم فهانوا علـى الله، تـرى حياته تافهة عند الله ، لم يبال في أي أوديتها هلك ، تراه يموت ميتة سـيئة بشـعة حقيـرة ، صنائع المعروف تقي مصارع السوء يموت كالجيفة ، يموت وهو يعصي الله ، يمـوت ولا يدري به أحد ، لكن المؤمن له عند الله شأن كبير .

أيها القارئ الكريم : إذا تحدثتُ عن اسم الله **الكبير** فمن أجل أن نعرف **الكبير** ، ومن أجل أن نُطيعه ، ومن أجل أن نكون عنده من المقربين ، ورأس القربى عند الله عز وجـل طاعتـه ، آخر كلمة أقولها في بحثي هذا ، قال عمر : يا سعد لا يغرنك أنه قد قيـل خـال رسـول الله فالخلق كلهم عند الله سواسية ، ليس بينه وبينهم قرابة إلا طاعتهم له .

طاعتك عند الله هي كل شيء ، وهي التي تُحدد مكانتك عند الله عز وجل ، وأنت كمـؤمن ، وتعلم أن الله **كبير** ، يجب أن تعتز بالله عز وجل وأن تثق بالله وأن توقن بـأن لـك معاملـةً خاصة ، لقوله تعالى : "**أَمْ حسب الذين اجْتَرحوا السيئات أَنْ نَجْعلهمْ كالذين آمنُوا وعملُـوا الصالِحات سواء محْياهمْ ومماتُهمْ ساء ما يحْكُمون** ".

والحمد لله **رب العالمين**

الدرس ٣١ - اسم الله : "البديع"

بسم الله الرحمن الرحيم

مع الاسم الواحد والثلاثين من أسماء الله الحسنى والاسم هو "**البديع**" وقد ورد هذا الاسم في القرآن الكريم في قوله تعالى :

بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ

﴿١١٧﴾

(سورة البقرة)

والبديع : على وزن فعيل بمعنى مفعل ؛ أي مبدع السموات والأرض . و**الإبداع** : أن تصنع شيئاً على غير مثالٍ سابق ، ومن دون أن تتلقى من أحد معلومة ما . وإذا أردنا أن نبحث فيما يصنعه الإنسان ، فإنه من حيث يريد أو لا يريد ، من حيث يشعر أو لا يشعر ؛ إنه يقلد ، فإذا قال صنعت غواصة ؛ فلا شك أنها تقليد غير ناجح للسمكة . وإذا صنع طائرة ؛ فلا شك أنه تقليد غير ناجح للطائر .

وقد وقع تحت يدي كتاب موسوعي عن الطيور ، وفي مقدمة الكتاب يقول المؤلف : إن أرقى طائرة صنعت حتى اليوم ؛ لا ترقى إلى مستوى الطائر، فالطائرة تقليد للطائر. والغواصة تقليد للسمكة . وأي شيء صنعه الإنسان لو دققت فيه لرأيته قد قلّد به شيئاً مما في الطبيعة من **إبداع** الله تعالى ، لكن الله سبحانه وتعالى خلق الكون على غير مثال سابق ؛ فمن قال إن الأرض ينبغي أن تكون كُرة ؟ ومن قال إن الأرض ينبغي أن تدور حول نفسها ، وأن تدور حول الشمس؟ ومن خلق الضوء ؟ من جعل الشمس منبعاً حرارياً وضوئياً ؟ من أعطى الماء صفاته وخصائصه ؟ ومن أعطى الهواء صفاته وخصائصه ؟ من أعطى كل عنصر خصائصه ؟ لو أن العناصر كلها تذوب في درجة واحدة ؛ أي تنصهر في درجة واحدة ، لرأيت الكون كله غازاً ، أو صلباً ، أو مائعاً ؛ فلو أن هذا الكون ، وما فيه من مجرات ، ومن كازارات ، ومن مذنبات ، ومن كواكب ، ومن نجوم ، بعدده ومسافاته البينية وحركته المتوازنة ، هذا الكون بدقائقه ، والأرض بما عليها ، يعني مثلاً : على مرأى من الخلق كلهم ، أوراقُ الأشجار؛ فهل تعتقد أنه في الإمكان أن ترسم لنا ورقةً ليس لها أصل في الكون؟

أوراق كبيرة وصغيرة ، مسننة وملساء وخشنة ، انسيابية ومخططة ، ذات لون داكن ولون فاقع وألوان متداخلة لو أردت أن ترسم أنواع الأوراق التي خلقها الله عز وجل ، بل إن أوراق أية شجرة واحدة هل تتشابه ؟ واللهِ يارب لو تشابهت ورقتا زيتون لما سميتَ الواسع هذا ما قاله أحد العارفين .

ومثلاً آخر وجوه البشر؟! أنا أضرب أمثلة كثيرة ، هل في الأرض كلها والتي يعيش ستة الآف مليون إنسان على وجهها ، هل في الأرض كلها وجه إنسان مشابه لوجـه إنسـان آخر ؟ مستحيل ، والشيء الثابت الآن أن لِكُل إنسان رائحة خاصة ؛ وهذه الرائحة هي أساس معرفة الكلاب البوليسية للمجرم ، الإنسان له رائحة واحدة تميزه عن غيره ولا يتفق اثنان في رائحة جسميهما .

الجلد له رائحة عطرية ؛ هذه الرائحة لكل إنسان رائحة خاصة به . ولِكُـل إنسـان إيقاع صوتي خاص به . كم موجة ؟ ولِكُل إنسان قزحية خاصة به . ولِكُـل إنسـان بصـمة خاصة به . ولِكُل إنسان تركيب دم خاص به " البلازما " ؛ بل إن أحدث البحوث أن هناك ما يسمى بالزمر النسيجية ؛ يعنى نسيج الإنسان خاص به فكما أن الدم زمر زمر ، ولكن زمر الدم محدودة ؛ بينما الزمر النسيجية غير محدودة ، حتى الآن وصلوا إلى اثنين ونصف مليار زمرة يعني لا يشبهك في الكون كله إلا إنسان واحد وقد يكتشفون بعد حين أن كل إنسان لـه زمرة نسيجية واحدة . هذا الذي يدعو علماء الطب إلى تفسير ظاهرة أن هذا الجسم رفض هذه الكُلْية ، أن هذا الجسم رفض هذا العضو لاختلاف الزمر النسيجية ، أليس هذا **إبداعاً** ؟ .

إبداع يعني **إبداعاً** لا حدود له ، أما الإنسان لو أراد مثلاً أن يرسم وجهاً ، فلو كلفنا رساما أن يرسم وجهاً يرسم وجه اثنين .. ثلاثة مختلفة عن بعضها ، وبعد ذلك ينضب **الإبداع** من ذهنه وتأتي رسوماته متشابهة ، ومهندسو السيارات يصممون أشكال السـيارات ، مـرة خطوط منحنية ، مرةً خطوط متعامدة ، مرةً خطوط انسيابية ، وبعد حين يعودون إلى الشـكل السابق ف**إبداع**هم ينضب . أما الله سبحانه وتعالى بديع السموات والأرض فهو واسع حكيم ، أضرب بعض الأمثلة : فوجه الإنسان ، ولون قزحية عينه ، ورائحة جلده ، وتركيب دمـه ، ونبرة صوته، وبصمة إبهامه هذه كُلُها هويات شخصية . فيما قبل كنا نعتقد أن البصمة وحدها هوية الإنسان ، الآن أشياء كثيرة في الإنسان يتميز بها عن غيره فالله سبحانه وتعـالى بـديع السموات والأرض .

شيء آخرهام جداً ، لو أنك اطّلعت على أنواع الأسماك التي في البحار؛ لو تصفحت كتاباً مصوراً فيه أنواع الأسماك ، لأخذَك العجب العجاب . فحتى الآن الإحصاءيات بالنسـبة للأسماك تفيد وجود مليون نوع من السمك ، وأي شكل يخطر في بالك موجود ، سمكة على شكل كرة موجودة ، على شكل سيف موجودة ، شفافة موجودة ، فسفورية موجودة لها أهداب

موجودة ، لها أرجل موجودة ، سمكة على شكل مزهرية موجودة سمكة تدافع عن نفسها بـأن تفرز مادة كالحبر تخفي وجودها موجودة سمكة تحارب أعداءها بالكهرباء بآلاف الفولطات موجودة ، حيتان كبيرة موجودة ، وأسماك صغيرة للزينة موجودة ، لو أردت أن تقـف عنـد تنوع الأسماك فشيء مذهل ولا ينتهي ، لا يعد ولا يحصى . لو أردت أن تقف عنـد أنـواع الطيور؛ فأشكالها ، وأصنافها ، وأنواعها ، وسلالاتها شيء يأخذ بالألباب . أنواع الألـوان ، أنواع الورود، وقد أطلعني أحد الأصدقاء على كتاب مؤلف من ثمانية عشر مجلداً كل مجلّـد سماكته لا تقلّ عن ثمانية سنتمتر وكل ورقة مخصصة لنوع من أنواع الأبصال كل هذا المجلد لأنواع الأبصال فقط بعضهم يقول : هناك ثلاثة آلاف نوع من أنواع القمح وقرب مدينـة دوما بمحافظة دمشق هناك مركز للبحوث الزراعية أطلعني مهندس أن في هذا المركز ثلاثمئة نوع من العنب . وما من فاكهة وما من خضرة وما من محصول وما من شجر مثمر إلاّ وهو مئات الأنواع بل آلاف الأنواع ، هذا كله يجسد اسم **البديع** ، والأنواع لا تُحصى .

مرةً كنت بمعرض للحشرات بالقاهرة وهو بناء ضخم مؤلف من مجموعة قاعـات ، في كل غرفة وعلى الأربعة الجدران ثُبتت حشرات مصبرة وليس هناك حشرة مثل أختهـا ، ولا فراشة مثل أختها تنوع في الخلق لا يصدقه عقل ، هذا معنى قول الله عز وجل : "**بـديعُ** السماوات والأرض " .

أوراق الأشجار، أنواع الأشجار، أنواع الأخشاب ، أنواع النباتات ، أنواع الروائح ، أنواع الأسماك ، أنواع الأطيار، أنواع الفواكه ذرات الثلج ؛ لو أخذنا ذرة الثلج وكبرناها تحت مجهر ، لرأينا شكلاً لا يصدق ، في منتهى الروعة ، وما من ذرة تُشبه أختها ؛ لـو أخـذت عينات من آلاف الأماكن التي هطل عليها الثلج ، كل ذرة ثلج لها شكل خاص أليس هذا مـن فعل **بديع** السموات و الأرض ؟

الحقيقة من معاني **البديع** ؛ من المعاني الأولى أنّه **بديع** في ذاته ومعنى **بـديع** فـي ذاته ؛ أي لا يشبهه شيء ، أو ليس كمثله شيء . **بديع** في ذاته ليس كمثله شيء . و**بديع** فـي خلقه ، فهو خلّق الخلق على غير شكل وعلى غير مثال سابق ، ومن دون أن يعلمه أحـد . و**بديع** في أفعاله فالإنسان أحيانا يأخذ احتياطات جمة لكن يفاجأ بتصرف لم يكُن في الحسبان ، **فالبديع** إذاً اسم من أسماء الله ، اسم لِذاته و اسم لِصفاته واسم لأفعاله .

التعاريف الدقيقة لهذا الاسم : من فعل فعلاً لم يسبق إليه قيل له : **أبدع** . وسـميت **البدعة بدعة** لأنها لا أصل لها في الدين ، وقد نقف وقفةً متأنية عند **البدعة** .

البدعة لها معنيان : معنىً لغوي ، ومعنىً شرعي ؛ فالمعنى اللغوي كل شيء جديد اسمه **بدعة** ، والمعنى الشرعي ؛ من أحدث في الدين ما ليس فيه فهو **مُبتدع** : من **ابتدع** شيئاً ييسر على المصلين صلاتهم فهو شيء جيد ، فنْقلُ الصوت **بدعة** ، لكنها تقدم خدمات جلى

لرواد المساجد . مثلا تدفئة المكان تدفئةً مركزيةً لم تكن من قبل هذه **بدعة** . تكييف المكان لم يكن من قبل هذه **بدعة** . فهناك **بدعة** حسنة ؛ حينما تُقدم شيئاً مريحاً جيداً ، يحلّ بعض مشكلات المجتمع، من دون أن يخالف نصاً شرعياً فهذه **بدعة** حسنة . وأما **البدعة** السيئة فهي التي خالفت أمراً محرماً **فالبدعة** اللغوية قد تكون صالحةً ، وقد تكون طالحةً ، وقد تكون حياديةً وقد تكون موقوفةً . ما معنى صالحة ؟ ما معنى طالحة ؟ ما معنى حيادية ؟ وما معنى موقوفة ؟ ال**بدعة** الموقوفة جهاز قد يستخدم استخداماً جيداً ، وقد يستخدم استخداماً سيئاً ؛ فمثلا لو أنّك اقتنيت آلة تصوير وصورت بها بعض المناظر الطبيعية ، كبعض أنواع الأشجار ، وكنت جغرافياً ، وصورت بعض أنواع الخُلْجان ، وأنواع الجزر ، وألفت كتاباً ووضعته بين أيدي الطلاب ؛ فهذه الآلة استخدمتها في نقل مظاهر الطبيعة إلى كتب مدرسية ، فهذه الآلة استخدمتها استخداماً مشروعاً ؛ فهي **بدعة** لكن استخدامها الجيد جعلها مقبولة . ولو أنّك صورت بها مناظر لا تُرضي بها الله عز وجلّ وطبعتها وروجتها ؛ فهذا شيء محرم .

فإذاً هذه الآلة صالحة أو طالحة ، وهذا موقوف على نوع استعمالها . وهناك **بدعـة** حيادية ؛ لو اخترعت صنفاً من الطعام ؛ لو أضفت بعض التوابل إلى بعـض المطعومـات ، وجعلت منه طبقاً لم يصنع من قبل هذا لا حرام ، ولا حلال ؛ مباح ، **بدعة** مباحة . و**البدعة** المحرمة إذا اصطدمت مع نصٍ شرعي . وهذا كُلُه متعلّق في **البدعة** اللغوية ؛ يعنـي شـيء جديد لم يكن من قبل . أقرب مثل أضربه دائماً ؛ أن يجلس العريس يوم عرسه على كرسـي إلى جانب زوجته أمام المدعوات ، الكاسيات العاريات ، المائلات ، المميلات وهو مسـلم ؛ مسلم يجلس أمام جمعٍ غفير من النساء الكاسيات العاريات المائلات المميلات بحكـم التقليـد والعادة والضرورة ، هذه **بدعة** محرمة لأنها اصطدمت مع تحريم إطلاق البصر ومع تحريم إبداء الزينة أما إذا إنساناً وفر ِلرواد المسجد مايريحهم ؛ ولم يكن على عهد النبي كماء ساخن في الشتاء ، وماء بارد في الصيف ، فلم يكن على عهد النبي صلى الله عليه و سلم كذلك لا جامع مكيف ، ولا جامع مدفّأ تدفئةً مركزيةً ، ولم يكن هذا الأثاث المريح .

فهذه **بدعة** ؛ لكنها صالحة تقدم خدمات لرواد المساجد ، فرضاً لو أنه اخترع جهازاً يحلُ بعض المشكلات في بيتك لا علاقة له بالحرام والحلال هذه **بدعة** لكنها **بدعة** حسـنة ، أما وأن يقف الزوج أمام المدعوات فهذه **بدعة** سيئة ، إذاً هناك **بدعة** موقوفـة علـى نـوع استعمالها ، وهناك **بدعة** مباحة ، وهناك **بدعة** حيادية لا علاقة لها بالحلال والحرام .

والخلاصة إذاً أن عندنا **بدعة** موقوفة ، وعندنا **بدعة** محرمة و**بدعة** حسـنة هـذه **البدعة** اللغوية ؛ ولكن دققوا في (لكن)! (لكن) إن **البدعـة** في الدين حرام مائةً في المائة لماذا ؟ لأن الله عز وجلّ حينما قال :

ٱلْيَوْمَ
أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ
فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِى مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ ۙ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣﴾

(سورة المائدة)

الدين تام وكامل ؛ والتمام من حيث العدد ، والكمال من حيث النوع . يعني عدد القضايا التي عالجها الدين تام ، ولا يقبل الدين موضوعا جديداً ، وطريقة المعالجة التي عالجها الدين طريقة كاملة ، ولا يقبل الدين تعديلاً طفيفاً لطريقة المعالجة من قوله : " **اليوم أكملتُ لكُمْ دينَكُمْ وأتْممْتُ عليْكُمْ نعْمتي ورضيتُ لكُمْ الإسْلام دينًا فَمنْ اضْطُر في مخْمصة غيْر مُتَجانف لإثْمٍ فَإن الله غَفُور رحيم** "

فإذا **ابتدعنا** في الدين شيئاً ؛ إن في العقيدة ، أو في العبادة ، أو في المعاملة ، أو في الأخلاق ، أو في السلوك ؛ فهذا **بدعة** محرمة لقول النبي عليه الصلاة والسلام :

عنْ جابِر بْن عبْد الله قالَ كان رسُولُ الله صلى اللهُ عليْه وسلم يقُولُ في خُطْبته يحْمدُ الله ويُثْني عليْه بما هُو أهْلُهُ ثُم يقُولُ منْ يهْده اللهُ فَلا مُضل لهُ ومنْ يُضْللهُ فَلا هادي لهُ إن أصْدقَ الحديث كتَابُ الله وأحْسن الهدْي هدْيُ مُحمد وشَر الأُمُور مُحْدثَاتُها وكُل مُحْدثَة بدعة وكُل بدعة ضلالةُ وكُل ضلالة في النار ثُم يقُولُ بُعثْتُ أنَا والساعةُ كهاتيْن وكان إذَا ذكر الساعةَ احْمرتْ وجْنَتَاهُ وعلا صوْتُهُ واشْتَد غَضبُهُ كأنهُ نَذيرُ جيْش يقُولُ صبحكُمْ مساكُمْ ثُم قالَ منْ تَرك مالا فَلأهْله ومنْ تَرك دَيْنًا أوْ ضياعا فَإلي أوْ علي وأنَا أوْلى بالمُؤْمنين *

(رواه الترمذي و أحمد)

كُل محدثة **بدعة** وكُل **بدعة** ضلالة وكُل ضلالة في النار، إذاً لدينا شيء مهم جداً وهو أن الأديان قد تزور، المبادئ قد تزور، المذاهب قد تزور ، الذي يضمن لي أنني وجهاً لوجه أمام دين جاءني كما نزل ؟ فما الذي يضمن لي أن أتعامل مع دين هو الآن كما جاء في أول عهده ؟ أشياء ثلاثة : ألاّ يضاف إليه شيء ؛ وألاّ يحذف منه شيء ؛ وألاّ يؤول تأويلاً ما أراده المشرع. إذا ألغيت التأويل الفاسد ، وألغيت إضافة البدع ، وألغيت حذف الأصول ، فقد ضمنت أن يستمر الدين كما بدأ .

نحن كما تعلمون أيها القراء الكرام : إذا تحدثنا عن حظ العبد اسم الرحمن الرحيم ، فالعبد له حظ أن يكون رحيماً لقول النبي الكريم صلى الله عليه وسلم : " **تَخَلقُوا بأخْلاق الله** "

فحينما ندعو المؤمن أن يكون حليماً ، ورحيماً ، وعادلاً وعالماً ؛ هذه دعوة للتخلّق بأخلاق الله . ولكن في هذا الاسم بالذات الدعوة المعاكسة ، الدعوة ألاّ تكون **مبتدعاً** إن في

عقيدتك ، وإن في عبادتك ، وإن في دعوتك ، وإلاّ في سلوكك ، وحينما **تبتدع** شيئاً لابد من أن يكون هذا على حساب السنة تترك شيئاً وتأخذ شيئاً مكانه ؛ لأن المسلم تَسعه السنّة ولا تستهويه **البدعة** . **البدعة** كما قال العلماء : "ماليس لها أصل في كتاب الله ، ولا في سنة رسوله ولا في إجماع الأمة " ، فمثلاً دعوة إلى الله أساسها أن تأتي بسيخ وأن تطعن به جسمك ليخرج من الطرف الآخر ؛ فإذا فعلت هذا صدق الناس دعوتك ؟ فهل فعل هذا النّبي؟ هل ورد هذا في القرآن الكريم؟ هل ورد هذا في سنة النّبي ؟ هل ورد هذا في سير الصحابة ؟ هل ورد هذا في إجماع الأئمة ؟ لا إذاً هي **بدعة** ، وهذه الطريقة في الدعوة إلى الله **بدعة** يجب أن تُجتنب . **فالبدعة** ما ليس لها أصل في كتاب الله ، ولا في سنّة رسوله ، ولا في إجماع المؤمنين يقول الله عز وجل :

فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾

(سورة النور)

" فَلْيحذَر الذين يخَالِفُون عن أَمرِه أَن تُصيبهم فتْنَةٌ أَو يصيبهم عذَاب أَلِيم " إذا خالفت أمره ، وقعت في فتنة **الابتداع** . وسيدنا الصديق رضي الله عنه يقول " إنما أنا متبع ولست **بمبتدع** " ، وبعضهم قال نصائح ثلاث لو أردت أن تكتبها على ظفر لوسعها : اتبع لا **تبتدع** ، اتضع لا ترتفع ، الورع لا يتسع . البذخ والترف وإنفاق المال من دون جدوى ؛ هذا من صفة الكُفار ، لكن المؤمنين يقتصدون في كسب مالهم ، وفي إنفاق مالهم ، " فَلْيحذَر الذين يخَالِفُون عن أَمرِه أَن تُصيبهم فتْنَةٌ أَو يصيبهم عذَاب أَلِيم " ، ويقول الله عز وجل :

وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُواْ

(الآية ٥٤ من سورة النور)

والله عز وجل يقول في آية ثالثة :

لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ

(الآية ٢١ من سورة الأحزاب)

الأسوة الحسنة : أي اتباع السنّة ؛ اقتد به في كل أطوار حياتك أي طبق سنته ، من أمر السنةَ على نفسه قولاً وفعلاً ، ونَطَقَ بالحكمة ، فقد اتّبع السنّة ، وجعل النّبي عليه الصلاة والسلام أسوةً له . ومن أمر الهوى على نفسه نطق **بالبدعة** . لذلك أصحاب البدع يقال لهـم أصحاب الأهواء إما أن تُحكم سنّة النبي في حياتك ، وإما أن تُحكم الهوى ؛ إذا حكمت الهوى ، أصبحت **مُبتدعاً** ، وخرجت عن طريقة الرسول عليه الصلاة والسلام . وإذا حكمت السـنة في أفعالِك وأقوالِك وسيرتك . فقد كنت مقتدياً بهدي النّبي صلى الله عليه و سلّم . لا تنسوا أن النّبي عليه الصلاة و السلام يقول :

قَالَ أَنَسُ بْنُ مالِك قالَ لِي رسُولُ الله صلى اللهُ عليه وسلم يا بُنَـي إِنْ قَـدرْتَ أَنْ تُصْـبِح وتُمْسي لَيْس في قَلْبِك غش لأحد فَافْعلْ ثُم قالَ لِي يا بُنَي وذَلِك مِنْ سُنتي ومَنْ أَحْيا سُـنتي فَقَدْ أَحبني ومَنْ أَحبني كَان معي في الْجنة *

(رواه الترمذي)

" فمن أحب سنتي فقد أحبني و من أحبني كان معي في الجنّة " .بعض العـارفين يقول: " أصول ديننا ثلاثة أشياء ؛ الاقتداء بالنّبي صلى الله عليه وسلّم في الأخلاق والأفعال ، والأكل من الحلال ، وإخلاص النية في جميع الأعمال " وحينما قال الله عزوجلّ :

وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾

(سورة آل عمران)

الحكمةُ : هي السنّة . يعلمه الكتاب والحكمة فالكتاب الأمر الإلهي، أما السنّة كيـف طبق النّبي عليه الصلاة والسلام هذا الأمر الإلهي. وقال بعضهم في قوله تعالى :

إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّـٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ

(الآية ١٠ من سورة فاطر)

ما هو العمل الصالح ؟ قال بعضهم : الاقتداء برسول الله ؛ العمل الصـالح هـو أن تقتدي برسول الله صلّى الله عليه وسلّم . وبعضهم قال: عمل قليل في سنّة خير مـن اجتهـاد كثير في **بدعة** .

أيها القارئ الكريم : إذا كان الله سبحانه و تعالى **بديع** السموات والأرض ، هو الذي خلق السموات والأرض على غير صورة سابقة ومن دون أن يعلمه أحـد ، **ابتـدع** ذوات الأشياء، **وابتدع** صفات الأشياء **وابتدع** خصائص الأشياء ، **وابتدع** أحجامها ، وأشـكالها ،

وألوانها وحركتها ، وسكونها ، و**ابتدع** الإنسان ، وما حوله من حيوان ، وما حوله من نبات ، وأشكال لا تُعد ولا تُحصى ؛ من خلال تأملك لآيات الله في الكون ، تستنبط أن الله بديع السموات والأرض . ويجب أن تعلم أيضاً أن الله سبحانه و تعالى واحد في ذاته ، معنى **البديع** : يعني الذي لا مثيل له والذي لا مشابه له ، والذي ليس كمثله شيء ، ليس له مثل لا في ذاته ولا في صفاته ، ولا في أفعاله ، ولا في خلقه.

ومن ثم فما حظّ العبد من هذا الاسم ؛ ألاّ يكون مبتدعاً . لكن هناك نقطة دقيقة جداً أتمنى أن نقف عندها قليلاً ، الإنسان مكرم عند الله عز وجلّ ومن علامات تكريمه عند الله عز وجلّ ؛ أنّه خلقه فرداً لا مشابه له ، وأنّه سمح له أن يكون مشرعاً عن طريق ماذا ؟ عن طريق الآيات ذات الطابع الاحتمالي أو الآيات الظنية الدلالة ؛ فالعلماء يجتهدون في فهم هذه الآية ذات الدلالة الظنية ، إذاً كأن الإنسان سمح له أن يشرع ، أن يجتهد . أن يكون الإنسان مجتهداً هذا من تكريم الله عز وجلّ . وهو فرد لا مثيل له هذا من تكريم الله عز وجلّ ، وأن يعطى الإنسان حرية الإرادة وهذا تكريم من الله عز وجلّ ، ومن أنواع تكريم الله عز وجلّ أن طبيعة خلق اللّه عز وجلّ- الآن دخلنا في ما له علاقة وشجية بالبحث طبيعة خلق اللّه عزوجلّ تُمكّن الإنسان من أن يبدع في الخلق ، فالآن يقال لك هذا النبات هجين ؛ ما معنى هجين ؟ يعني هناك مخابر مستواها رفيع جداً يأخذون نباتاً ذا خصائص معيّنة ويزاوجونَه بنبات آخر له خصائص معيّنة ينتج نباتاً ثالثاً بخصائص تجمع خصائص النباتين ثم يزاوجونه بنبات آخر إلى أن يصلوا إلى أصناف نادرة جداً .

طريقة الخلق ، أو تصميم الخلق يتيح للإنسان أن يبتدع ، لقد سمعت أن هناك بقراً شامياً أصيلاً ، البقرة الشامية معروفة ، وهناك بقر هولندي ، من تهجين هذين النوعين ولد صنف يقدم في اليوم ما يزيد عن ستين كيلواً من الحليب ! أليس هذا **إبداعاً** ؟ فالله عز وجلّ فيما يخص موضوع الحيوانات ، موضوع النباتات أطلق يد الإنسان لتبدع ، فهناك أشجار مقزمة ، شجر أرز كبير مقزم في أصيص صغير، الآن هناك أشجار مثمرة مقزمة ، الآن دخلت والقارئ الكريم في موضوع ؛ يتصل بموضوعنا من باب واحد ، أن من تكريم اللّه لهذا الإنسان أن مكنه من أن يبدع ، وهذا في الخلق ، أما أن يبتدع في الدين ؛ فهذا محرم لأن الدين كاملٌ . والدين توقيفي ، فالدين هو ما جاء به النّبي ومن بعد وفاة النبي انقطع الوحي .

فنحن مسموح لنا أن **نُبدع** في الخلق ، وليس مسموحاً لنا أن **نُبدع** في الدين ؛ لأن **البدعة** في الدين هي ضلالة قولاً واحداً ؛ كل **بدعة** ضلالة وكل ضلالة في النار، كل محدثة **بدعة** ، وكل **بدعة** ضلالة ، وكل ضلالة في النار. يقول عليه الصلاة و السلام :

عنْ أَبِي ذَر قَالَ قَالَ رسُولُ الله صلى اللهُ عليْه وسلام منْ خَالفَ الْجماعةَ شبْرا خَلع ربْقَةَ الإِسْلامِ منْ عُنُقه *

(رواه أحمد)

هل يوجد **ابتداع** هنا ؟ من خالف الجماعة شبراً ، هناك آية أخرى هي أصـلٌ فـي إجماع المسلمين، أتعرفونها ؟ هي قوله تعالى :

وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾

(سورة النساء)

فمن خالف الجماعة شبراً ، فقد خَلع ربقة الإسلام من عنقه . وقال ابن عباس: " ما أتى على الناس عام إلاّ أحدثوا فيه **بدعة** ، وأماتوا فيه سنّةً "

يعني كلما جاءنا عام أُحدثت **بدعة** وأُميتت سنّة ، إلى أن تصل إلى وقـت والعيـاذ بالله كُلُه **بـدع** و حقيقة الدين خافية على معظم النّاس . أحياناً تجد من يرقص بثياب فضفاضة والطرابيش على الرؤوس فهل هذا من الدين ؟! يموت شخص فيؤتي بفرقة الميلاوية ! وعملها وهذا رقص أحياناً نجد في مجالس الذّكر ما أنزل الله بها من سلطان **ابتـداع** فـي **ابتـداع** ، أهكذا فعل النّبي عليه الصلاة والسلام ؟ أحياناً يصبح الدين عند بعضهم أنغاماً ، وعند بعضهم رقصاً ، وعند بعضهم سلوكاًغريباً ، وعند بعضهم تمتمات ، وعند بعضهم خزعبلات ، أهـذا هو الدين ؟!

أيها القراء الكرام : البطولة أن تتعرف إلى الدين من ينابيعه الأصيلة وهي القـرآن والسنّة ؛ فأي شيء جاءنا عن غير هذا الطريق فهو **بدعة** ، ولاشك أن هـذا العلـم ديـن فانظروا عمن تأخذون دينكم ولينظر أحد أنه راجع إلى الله شاء أم أبى فليحذر .

وَقِفُوهُمۡۖ إِنَّهُم مَّسۡـُٔولُونَ ﴿٢٤﴾

(سورة الصافات : ٢٤) .

والسؤال عسير ، والموقف رهيب .

ورد في بعض الأحاديث : " من مشى إلى صاحب **<u>بدعة</u>** ليوقره فقد أعان على هدم الإسلام " ، وقيل أيضاً :

عنْ أيوب قالَ قالَ أبو قلابةَ لا تُجالِسُوا أهْلَ الأهْواء ولا تُجادلُوهُمْ فإني لا آمنُ أنْ يغْمسُوكُمْ في ضلالتهمْ أوْ يلْبسُوا علَيْكُمْ ما كُنْتُمْ تعْرفُون *

لا تجالس أهل الأهواء **المبتدعين** الذّين أحدثوا في الدين مـاليس فيـه لأن سـيدنا الصديق رضي الله عنه كما قال عليه الصلاة والسلام :

" لَوْ وُزن إيمانُ أبي بكْر بإيمان أَهْل الأَرْض لرجح بهمْ ".

(رواه البيهقي في الشُعب)

وقال:

عنْ جابِر بْن عبْد الله قَالَ قَالَ عُمرُ لأبي بكْر يا خيْر الناس بعْد رسُول الله فَقَالَ أَبُو بكْر أما إنك إنْ قُلْتَ ذَاك فَلَقَدْ سمعْتُ رسُولَ الله صلى اللهُ عليْه وسلم يقُولُ ما طلَعت الشمْسُ علـى رجُلٍ خيْر منْ عُمر *

(رواه الترمذي)

ما طلّعت شمس على رجلٍ بعد نبي أفضل من أبي بكر" ومع ذلك ماذا قـال سـيدنا الصديق ؟ قال: " إنّني متّبع ولست **بمبتدع** - في خطبته الأولى - لقد ولّيت علـيكم ولسـت بخيركم إن أحسنت فأعينوني وإن أسأت فقوموني إنّما أنا متّبع ولست **بمبتدع** " .

إذاً ينبغي أن نتّبع النّبي عليه الصلاة والسلام ، ولْنُراقب سلوكنا أية **بدعـة** تأتينـا يجب أن نسأل عن أصلها ؛ فإن لم يكن لها أصل فهي **بدعة** مردودة لا نقبلها . وقد قال بعض العلماء : " من داهن **مبتدعاً** سلبه الله تعالى حلاوة السنَن "؛ أي شخص **مُبتدع** بعقيدته ، **مُبتدع** بسلوكه ، **مُبتـدع** بعبادته ، حذف أشياء ، وأضاف أشياء ، وبالغ بأشياء ، وأخفى الأشـياء ، وصار **مبتدعاً** ، قال: " من داهن **مبتدعاً** سلبه الله تعالى حلاوة الإيمان " ، بل إنّه من ضـحك إلى **مُبتدع** ، نَزع الله تعالى منه نور الإيمان من قلبه . من ضحك له ، من جالسه ، من داهنه ، من صاحبه ، وقال : من استهان بأدب من آداب الإسلام ، عوقب بحرمان السنّة .

إذاً نحن في كل أسماء اللّه الحسنى ؛ حظنا منها أن نتخلّق بأخلاق اللّه ، إلاّ في هذا الاسم حظنا منه ألاّ نبتدع في دينه شيئاً ، سمح لنا أن **نبتدع** في الزراعة ، في النبات ، فـي الحيوان ، في خلط الألوان أحياناً في صهر المعادن ، فمثلاً نحن بحاجة لمعدن خفيـف جـداً متين جداً ممكن أن نصنع هذا المعدن من خلط بعض المعادن ، معدن خلـيط ، أي خلائـط فهذه كلها ابتداع . **إبداع** : اختراع يعني أن اللّه عز وجلّ أعطى الأشياء خصائص ، وسـمح بالتّزاوج ، وسمح بالتفاعل والاندماج ، إذاً **الإبداع** في الصناعة والزراعة من فضل الله علينا ؛ مثلاً تقولون هذا البطيخ الأناناس ، هذا بطيخ مطعم على نوع لم يكن من قبل . لقد صار هناك تهجين ، عملية التهجين في النبات ، والحيوان ماهي في الحقيقة إلاّ نوع من **الابتداع** . لكـن الله عز وجلّ لوجود خصائص لكل نبات ولتصميم النبات بحيث يتزاوج سمح **بالابتداع** . أمـا في التّشريع ، وفي الدين **الابتداع** كلّه حرام ، قال العلماء : " من استهان بالفرائض قيض اللّه له **مبتدعاً** يذكر عنده باطلاً فيوقع في قلبه شبهةً " .

وختام المطاف :

قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٣١

(سورة آل عمران)

فأنت قد تكون محقاً في تعاملك مع الأشخاص قد تقول عن شخص : بأبسط عبـارة لعله غلطان ، لعله مخطئ ، وأنا لا أتورط معه ؛ فهذا شيء جميل . لكنّك إذا ثَبتَ لك نـص عن اللّه عز وجلّ ، فالله عز وجل كتابه حقّ لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفـه . إذا ثَبتت لك عن النّبي صلى الله عليه وسلم سنّة صحيحة ؛ النّبي معصوم . يعني أنت لك جهتان يمكن أن تطمئن إليهما ؛ كتاب اللّه ، وسنّة رسوله . وما سوى ذلك موقوف علـى موافقتـه لكتاب الله و سنّة رسوله.

كنت ولا زلت أضرب أمثلة دقيقة من أنّك أمام ثلاثة نصوص في حياتك ؛ لو امتدت بك الحياة قروناً طويلة فلن تتبدل ولن تتغير : أمام ثلاثة نصوص ، فقط نص للّه عـز وجـلّ كتابه ، ونص لرسوله ، ونص لغير رسول الله ؛ أي إنسان كان ، إذاً هناك نص للّـه خـالق الكون وهو القرآن . ونص لرسوله المعتمد وهو النّبي عليه الصلاة والسـلام . ونـص لأي مخلوق بعد النّبي . عالم كبير ، فهيم ، مثقّف ، غير مثقّف ، شيخ ، علم من أعلام الأمة ، أي إنسان ليس النّبي ؛ فهو صنف ثالث . أنت مع القرآن ليس لك إلاّ أن تفهمه لأنّه قطعي الثبوت ، ومع السنّة ليس لك إلاّ أن تتحقق من صحتها ، لأن الحديث ظنّي الثبوت، وليس لك إلاّ أن تفهمه ، ولكنّك فيما سوى هذين النّصين ، وليكُن من كان القائل ، فعليك أن تتحقق من صحته وأن تحاول فهمه كما أراد صاحبه ، وأن تُقيمه بالكتاب والسنّة ، هذا هو الـدين هـذا هـو المقياس . إذاً فهذا البحث قادنا إلى موضوع **البدع** فنحن يجب أن نتوقّع أية **بدعة** دخلت على الدين في غفلة الزمان ونحذر كل الحذر أنت بحاجة إلى مقياس ، وبحاجة إلى مراجعة لكـل معلوماتك ، ولكل خبراتك ، وقياسه بالكتاب والسنّة . أرجو الله سبحانه وتعالى أن أكون وفيت بعض الشيء من مناقشة موضوع هذا الاسم وبيانه حقيقته .

وكخلاصة موجزة للبحث أعود فأقول : لقد تحدثت في الصفحات السابقة عن اسـم "**البديع**" فالله سبحانه وتعالى أبدع السماوات و الأرض جملةً وتفصـيلاً ، خصـائص ماديـة خصائص معنوية ، على غير مثال سابق ، ومن دون تعليم من أحد **ابتدع** الكون كله ، وهـو **بديع**، أي فرد في ذاته وفرد في صفاته ، وفرد في أفعاله ، وفرد في تشريعه ، والإنسان لـه

أن **يبتدع** في الخلق ، في التصنيع ، وفي مجال الزراعة كذلك في ما سمح الله به أن يفعله ، ولكنه بالتأكيد ليس له أن **يبتدع** في التشريع ؛ لأن كل محدثة **بدعة** ، وكُل **بدعة** ضلالة ، وكُل ضلالة في النار. وفرقنا بين **البدعة** بمعناها اللغوي ، وبين **البدعة** بمعناهـا الـديني والتـي يؤكدها قول النبي عليه الصلاة والسلام :

عن الْمُنْذر بْن جرير عنْ أَبيه قَالَ قَالَ رسُولُ الله صلى اللهُ علَيْه وسلام منْ سن سُنةً حسنَةً فَعُملَ بِها كَان لهُ أَجْرُها ومثْلُ أَجْر منْ عملَ بِها لا ينْقُصُ منْ أُجُورهمْ شيْئًا ومنْ سن سُـنةً سيئَةً فَعُملَ بِها كَان علَيْه وزْرُها ووزْرُ منْ عملَ بِها منْ بعْده لا ينْقُصُ منْ أَوْزارهمْ شيْئًا *

(رواه مسلم)

وأما **البدعة** في الدين فسواء أن تُحدث في العقيدة ، أو في العبادة أو في معاملات ، أو في سنن النبي المصطفى عليه الصلاة والسلام ما ليس فيها ؛ فهي محرمة قولاً واحداً .

والحمد لله **رب العالمين**

الدرس ٣٢ - اسم الله : "الصبور"

بسم الله الرحمن الرحيم

مع الاسم الثاني والثلاثين من أسماء الله الحسنى ، الاسم هو **الصبور**.

بادىء ذي بدء هذا الاسم لم يرد في القرآن الكريم ، ولكنه ورد في السنة المطهرة ، في الحديث الشريف الذي يتحدث عن الأسماء الحسنى، ولكن دلالات هذا الاسم وردت كثيراً في القرآن الكريم ف**الصبور** هو الذي لا يعجل بالعقوبة لِمن عصاه فهو يمهل ولا يهمل ، وقد ورد في القرآن الكريم آيات كثيرة جداً تتحدث عن مدلول هذا الاسم الذي ورد في السنة ولـم يرِد صراحةً في القرآن الكريم قال تعالى :

وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُواْ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَـٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرًۢا ﴿٤٥﴾

(سورة فاطر)

الإنسان أحياناً ، إذا تولى أمر عشرة أو أكثر ، فحينما يغضب منهم يتمنى أن ينـزِل فيهم أشد العقوبة ، "ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها مـن دابـة ولكـن يؤخرهم إلى أجلٍ مسمى" فتأخير العقوبة هو مدلول اسم **الصبور** ، مرت معنا آية مـن قبـل وهي قوله تعالى :

وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ﴿١٢٩﴾

(سورة طه)

يعني كان لِزاماً أن ينزل الله بالعصاة أشد العقاب ، وأن ينهيهم ويبيدهم ، ولكن كلمة سبقت من الله عز وجل هي التي تجعل العقوبة متأخرة . فما هي هـذه الكلمـة ؟ هـي : إن رحمتي سبقت غضبي ، ماهذه الكلمة ؟ إن الله خلق الخلق ليرحمهم ، ما الذي يؤخر إنـزال

العقوبات الحاسمة ؟ هو رحمة الله عز وجل ؛ يعني كأن الله عز وجل يعطي النـاس فرصـةً ليتوبوا ، يعطيهم فرصةً ليرجعوا ِلينيبوا ليصححوا ليستغفروا لذلك الله عز وجل قال :

وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾

(سورة الأنفال)

فما دام الإنسان في استغفار فرحمة الله قريبة منه ومغفرته واسعة ، حيث إن القصد هو إصلاحه ، والقصد هو إسعاده ، والقصد هو رحمته ، أما لو أن القصد تطبيق القوانين مـا ترك على ظهرها من دابة لو أن كل انسان عصى الله عز وجل أنهاه الله عز وجـل بعقوبـة قاصمة ما ترك على ظهرها من دابة فتأخير العقاب مدلول اسم **الصبور** قال الله تعـالى : " **ولو يؤَاخذُ الله الناس بِما كَسبوا ما تَرك على ظَهرها من دابة ولكن يؤَخرهم إِلى أَجلٍ مسمى فَإِذَا جاء أَجلُهم فَإِن الله كان بِعباده بصيرا** "

وهذه آية أخرى تدل على مدلول **الصبور** قوله تعالى :

وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٣٢﴾

(سورة الرعد)

إذاً : هذه الآية الثانية تُفيد أن **الصبور** هو الذي يؤخر العقاب ولكن يطالعنـا هنـا سؤال : هل يلتقي هذا الاسم مع اسم لله آخر؟ يتشابهان ويلتقيان في الدلالة هذا جميل ؛ نعـم : "الحليم" إذاً اسم **الصبور** يلتقي مع اسم الحليم وهذا حسن . فكيف يفترقان ؟ وهل يتطابق ! اسم **الصبور** مع اسم الحليم تطابقاً تاماً ؟ طبعاً لا ، إذاً يفترقان ، فكيف يفترقان ؟ دقق فـي هـذه الآية : " **ولقد استُهزئَ بِرسلٍ من قَبلك فَأَملَيتُ لِلذين كَفَروا** " الله **صبور** " **ثُم أَخَذْتُهم فَكَيـفَ كان عقَابِ** " .

قالوا المذنب أشد أمناً مع الحليم منه مع **الصبور** ، أي أن **الصبور** من شأنه تـأخير العقاب ، أما اسم الحليم فقد يلتقي مع اسم العفو لكن إنزال العقاب قد يستدعي التريث ، أليس هناك حالات في الطب لابد من بتر عضو فاسد ؟ ولو كان الطبيب هو الأب فيقطع ، ويجـب

أن تعلم أن الشيء الذي وقع لابد مِن أن يقع ، ولو لم يقع لكان عدم وقوعه نقصاً في الحِكمة ؛ الشيء الذي وقع لابد من أن يقع ، ووقوعه رحمةٌ وفضل وعدل ولطف وعفو وصبر ، لذلك أحياناً يتحدث ربنا عن ذاته فيستخدم ضمير الجمع :

إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾

(سورة الحجر)

إِنَّا نَحْنُ نُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَٰرَهُمْ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾

(سورة يس)

إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾

(سورة القمر)

حينما يتحدث ربنا عز وجل عن ذاته يستخدم ضمير المفرد وأحياناً يستخدم ضـمير الجمع :

إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ﴿١٤﴾

(سورة طه)

الله عز وجل له ذات وله أسماء فإذا تحدث بضمير المفرد فهو يتحدث عن ذاتـه ، وإذا تحدث بضمير الجمع فإنما هو يتحدث عن أسمائه ويجب أن تعلم علم يقين أن أسماء الله كلها حسنى ، وكلها تشترك في أفعاله ، فأفعاله فيها رحمة و فيها عدالة وفيها قوة وفيها غِنـى و فيها عِزة وفيها جبروت وفيها من أسماء الله الحسنى ما فيها ، آية ثالثة تؤكد مفهوم الصبر قوله تعالى:

وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَيَّ الْمَصِيرُ ﴿٤٨﴾

(سورة الحج)

فالإنسان أحياناً يختل توازنه حينما يرى كافراً قوياً شديداً عتيداً مستعلياً يزداد قـوة ومنعة وغنى وسيطرةً ، وقد يسأل الإنسان نفسه : أين الله ؟ ربنا عز وجل بماذا يجيب عـن هذا السؤال ؛ إذا رأيت الكافر يزداد قوةً وغِنى وسيطرةً واستعلاء وجبروتاً ويتحدى ويسـخَر ويستهزئ فاذكر فرعون ، ألم يقل فرعون " أنا ربكم الأعلى " فأين الله ؟ بماذا أجاب الله عـز وجل في القرآن الكريم عن هذا السؤال ؟ قال الله تعالى :

لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ ﴿١٩٦﴾ مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿١٩٧﴾

(سورة آل عمران)

إجابة أخرى قوله تعالى :

فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾

(سورة الأنعام)

جواب ثالث قوله تعالى :

وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ ﴿٤٢﴾

(سورة إبراهيم)

الله عز وجل ليس غافلاً لكنه متغافِلٌ يبدو وكأنه غافلٌ يعني أن الله عز وجـل مـن أجل أن يكشف الإنسان على حقيقته يملي له ويعطي له من القوة ومن الشأن ومن الوجاهة ما يكشفه على حقيقته ، فهل الإنسان العاقل يطمئن لقوته؟ هل يطمئن لماله الوفير؟ هل يطمـئن

لمركزه القوي ؟ لا . أبداً ، العاقل يطمئن لطاعة الله ، يجب أن تطمئن حينما تُطيع الله عـز وجل . أما إذا كُنت قوياً أو إذا كُنت غنياً أو إذا كُنت وجيهاً هذه أشياء تُسلب في لحظة واحدة . عطاؤه عجيب .

زارني طبيب وذكر لي قصة وقعت قبل يومين من زيارته أن فتاة متخلفـة عقليـاً تأخر كلامها سنتين ، وفيها عِلّة في دماغها وهذه العِلّة ظهرت في مشيتها العرجاء ، تشكو من ضعف في أعصابها الحركية وفي مصدرها بالدماغ وتشكو من تأخر في نِطقِهـا وهـذه آفـة مصدرها الدماغ ويكاد يكون الشفاء مستحيلاً ، قبل يومين أو ثلاثة كُسِرت رجلها فأُخذت إلى مستشفى العظام وأعطيت مخدراً لشدة الألم الذي انتابها حين تَجبير عظمهـا بعـدما انتهـت العملية انطلقت في الكلام ومشت مشياً طبيعياً فجاء أبوها وقال ما هذا ؟ ما علاقة ما جرى لها بما صلح من نُطقِها ومن حركتها ؟ فالله على كل شيء قدير ، يعني كسر هذه الرجـل كـان سبباً ، ولعل هذا المخدر أيقظَ مكاناً في الدماغ كان غافلاً ، فربنا عز وجل يعطـي ويـدهش ويأخذ ويدهش ، أنا أعرف قريباً لي توفي بمرض غريب جداً هو أن الطحال يعمـل بنشـاط أكثر مما يجب أن يعمل . الطحال مقبرة ومعمل احتياطي للدم ومستودع للكريات الحمـراء ؛ فالطحال معمل ومقبرة ، فلو تعطلت معامل نقي العظام فالطحال يصنع الكريـات الحمـراء ؛ هذا الطحال من مهماته أن يستقبل الكريات الميتة ليحللها في مقبرته وليعاد تصنيعها من جديد في نقي العظام ؛ هذا الطحال عمل عملاً زائداً عن طاقته فصار يأخذ الكريات الحية فيميتهـا ثم يحللها فصار هناك فقر في الدم سببه ازدياد نشاط الطحال وتوفي بهذا المـريض ؛ فأنـت تحت رحمة الطحال إذا زاد نشاطه أو النخامية إن تعطل نشاطها ولذلك فالله عز وجل يقول : " وكَأَين مِن قَريةٍ أَملَيتُ لَها وهِي ظَالِمةٌ ثُم أَخَذْتُها وإِلَي الْمصِير " .

وإليك آيةً أخرى تدل على اسم **الصبور** قوله تعالى :

وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٢﴾

وَأُمْلِى لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ ﴿١٨٣﴾

(سورة الأعراف)

ذات يوم سألتُ أحد الإخوة المختصين عن كلمة متين ؛ فمتين تستعمل في الفيزيـاء للتعبير عن قُوى الشد والقساوة ، وتستعمل للتعبيرعن الضغط ، فالشيء الذي يتحمـل قُـوى

ضغط يقال له قاسٍ ، والشيء الذي يتحمل قُوى شد يقال له متين فما وجه علاقة كيد الله عـز وجل وبين متانته ؟ قوله :

وَأُمْلِى لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ ﴿١٨٣﴾

(سورة الأعراف)

فالإنسان لا يمكن أن ينجو من قبضة الله ؛ كأن كيد الله حبل متين لا يمكن أن ينقطع أبداً . وهذه آية خامسة قوله تعالى :

وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ۖ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا۟ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلْعَذَابَ ۚ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا۟ مِن دُونِهِۦ مَوْئِلًا ﴿٥٨﴾

(سورة الكهف)

وبعد ، فهل مر معنا في السيرة موقف بدا فيه صبر الله عز وجل واضحاً ؟ لعله في الحديبية عندما أبرم صلح الحديبية ؟ حيثُ إن الله عز وجل يعلم أن في كفار قـريش رجـالاً مؤمنين ونساء مؤمنات يكتمون إيمانهم ولا يعلمهم المؤمنون ؛ فربنا عز وجـل رحمـةً بهـم وتأخيراً للعقوبة عن الكفار ، أخّر فتح مكة من أجلهم هذا من اسم **الصبور** . هو صبور وقـد أمرنا بالصبر قال تعالى :

فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ۚ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍۭ ۚ بَلَـٰغٌ ۚ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴿٣٥﴾

(سورة الأحقاف)

وقال تعالى :

وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَىٰ مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٤﴾

(سورة الأنعام)

ما معنى :

وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ ﴿٧﴾

(سورة المدثر)

هناك صبر لغير الله ؛ قد تكون إنساناً مستضعفاً ولك عدو ينكّل بك ولا تستطيع أن تفعل شيئاً فأنت صابر لا لأنك صبور بل لأنك لا تستطيع أن تفعل شيئاً فليس هذا من الصبر الذي أمرنا الله تعالى به . إنّما الصبر أن تكون قادراً على أن تفعل شيئاً ولكن إيمانك بالله عز وجل يلجمك وتصبر ، فهذا معنى قوله تعالى : "ولربك فاصبر" وأحياناً يتـوهم الإنسـان أن بإمكانه أن يصبر ، فإذا هو في بعض الحالات لا يصبر ، كان يبدو أن بإمكانه أن يصبر فإذا هو ينفجر كيف نحل هذه المشكلة ؟ قوله :

وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾

(سورة النحل)

أنت لا تصبر إلاّ إذا أعانك الله على الصبر ، فهل هناك آية يرتفع بها الصبر إلـى أعلى مستوى ؟ نحن عندنا قاعدة وهي أن العطف يقتضي التجانس ؛ إذ لا تستطيع أن تقول : اشتريت بيتاً و ملعقةً لعدم التناسب ، هذا ولقد جمع الصبر مع الصلاة وجمع الصبر مع الحظ العظيم وجمع الصبر مع الجزاء بغير حساب وجمع الصبر مع الحق .

إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ﴿٣﴾

(سورة العصر)

وإذا قرأنا الآية التي وردت في آخر آل عمران فلعلنا نتبين شيئاً من ذلك :

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾

(سورة آل عمران)

فالصبر معروف ، أما المصابرة أن تُعِين أخاك على الصبر لذلك قالوا لا تكن عونا للشيطان على أخيك وكُن عونا لأخيك على الشيطان ؛ أي أنت إذا أعنته وبينت له وخففت عنه مصابه ، وواسيتَه بمالك فلعلّ في ذلك معاونةً لأخيك على الصبر وقال موسى لقومه :

قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصۡبِرُوٓاْۖ إِنَّ ٱلۡأَرۡضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۖ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾

(سورة الأعراف)

" إستعينوا بالله وإصبروا " أما أوضح آية متعلقة بالصبر والتي معناها يثلج الصـدر هي قوله تعالى :

وَلَنَبۡلُوَنَّكُم بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ وَٱلۡجُوعِ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ﴿١٥٧﴾

هذه المصائب لمن ؟ للمؤمنين ، هذه المصائب خاصة للمؤمنين لنبلونكم أيها المؤمنون بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا ، إذاً الصابر هو الذي يصبر على تربية الله له ، فما معنى أنك صابر ؟ يعني أن الله يربيك وأنت تفهم على الله عز وجل وتصبر ، إذاً من هو الصابر ؟ هو إنسان راشد مثلاً يجلس على كرسي طبيب الأسنان فيعلم علم يقين أنه متقِن لصنعته وأنه دكتور وأن بحوثاً عديدة مر بها وأن أُناساً كثيرين أَثْنَوا عليه وأنه تعلم عِلماً صحيحاً وأن يده فيها مرونة كبيرة وعنده وسائل جيدة وأن كل ما يفعله بك طبيب الأسنان هو في صالح أسنانك ؛ لذلك ولو آلمك في بعض الأحيان فلابد من أن تصبر ، فمن الذي يصبر إذاً ؟ هو الذي فهم على الطبيب ، وثِقَ من علمه ومن خبرته ومن نصيحته وهو يتحمل معالجة هذا الطبيب لأسنانه ، هذا بشكل مبسط .

إذا هناك إنسان صابر . فنحن في واقع الحياة لدينا عِلل كثيرة وربنا عز وجل يتولى تربية هذه النفس ، لذلك فاقرأ الحديث التالي وتأمل "وعزتي وجلالي لا أقبض عبدي المـؤمن وأنا أحب أن أرحمه إلا ابتليته بكل سيئة كان عملها سقماً في جسده أو إقتاراً فـي رزقـه أو مصيبة في ماله أو ولده حتى أبلغ منه مثل الذر فإذا بقي عليه شيء شـددت عليـه سـكرات الموت حتى يلقاني كيوم ولدته أمه"

النهاية السعيدة أن تصل إلى دار السلام بسلام ، النهاية الموفقة أن تقول من أعماق أعماقك الحمد لله رب العالمين ، النهاية التي ليس بعدها ولا قبلها ؛ أن ترث جنـة عرضـها السماوات والأرض ، إذاً فالصابر إنسان فَهم على الله عز وجل مراده .

تروي كتب السيرة أنّه بعد وفاة النبي ، حدثت هناك اضطرابات وفتن وبدت بوادر رِدةٌ، رِدة كبيرة جداً ؛ بل أصبحت المدينة مهددة بالخطر والنبي صلى الله عليه وسلم كان قـد جهز جيشاً لفتح بلاد الشام أمر عليه أسامة ورأى أصحاب النبي من الحكمة ألا ينفذ أبو بكر الخليفة هذا الجيش ؛ لأن البلاد مقبلة على فتنة داخلية فيها ، وهناك اضـطرابات داخليـة ، أيعقل أن تذر الإضطرابات وتُرسل جيشاً لفتح الشام ؟ فهذا منطقياً غير مقبـول ؛ فأصـحاب النبي اضطربوا وتمنوا على سيدنا الصديق ألاّ يرسل هذا الجيش وتهامسوا فيما بينهم وانتقـل الخبر لسيدنا عمر، فسيدنا عمر جاء لِيبلّغ سيدنا الصديق هذه الرغبة وتَبناها ، ولكـن سـيدنا الصديق أراد أن يربي الأصحاب تربيةً حاسمة فما كان منه إلا أن أمسك بلحية عمر وهزهـا هزاً شديداً وقال ثكلتك أمك يا ابن الخطاب ؛ أجبار في الجاهلية خوار في الإسلام ؟! فلما رأى أصحاب النبي ما فعل الصديق بعمر ارتعدت فرائصهم وندموا على خواطرهم وانصاعوا لأمر سيدنا الصديق ، لماذا صبر سيدنا عمر على أخذ الصديق بلحيته وهزها هزاً شديداً وقال لـه

ثكلتك أمك يا ابن الخطاب أجبار في الجاهلية خوار في الاسلام ؟ لأنه فهم على سيدنا الصديق مراده البعيد.

ماذا قال ابن عطاء الله السكندري : " إذا كَشَفَ الله لك حِكمته في المنْع عاد المنـع عين العطاء " فربما كان الإحسان من الله حِرمان وربما كان المنع من الله إحسـان ، فمتـى يصبر الإنسان ؟ من الذي يصبر ؟ الذي يعرف الله عز وجل ، أما الذي لا يعـرف الله عـز وجل فلا يصبر ، بل بالعكس يزمجر ويتكلّم كلاماً سيئاً يسجل عليه ، علامةُ معرفتـك بـالله صبرك على قضائه وقدره ، لكن كل حسنة بعشرِ أمثالها ، وكل شيء لـه حسـاب ، إلا أن الصابرين كما قال الله:

قُلْ يَـٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ فِى هَـٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۗ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ ۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّـٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾

(سورة الزمر)

فأما الصابرون فإنهم يوفون أجورهم بغير حساب ؛ فهذا المحسن حينما صبر كـأن لسان حاله يقول يا رب : عالجني كما تُريد وأنا أصبر ، يا رب أنت ربي لا إلـه إلا أنـت ، أنت وليي في الدنيا والآخرة ، عالجني كما تريد أنا أصبر على معالجتك ، كأن لِسـان حـال الصابر يقول يا رب أصبر في الدنيا ولا أصبر في الآخرة ، القضية في الدنيا مقبولة ، أما في الآخرة فالخزي لا يحتمل ؛ والنبي عليه الصلاة والسلام قبيل وفاته وقف بين أصحابه وخَطَب خُطبةً مؤثرةً قال :

عن أبي سعيد الخُدري رضي الله عنْه أن رسولَ الله صلى الله عليه وسـلم جلـس علـى المنْبر فَقَالَ إن عبدا خَيره الله بين أن يؤْتيه من زهرة الدنْيا ما شَاء وبين ما عنْده فَاخْتَار ما عنْده فَبكى أبو بكْر وقَالَ فَدينَاك بآبائنَا وأُمهاتنَا ...*

(رواه البخاري والترمذي)

ثم قال : من كنتُ جلدتُ له ظهراً فهذا ظهري فليقْتَد مني ، ومن كنت أخذت له مالاً فهذا مالي فليأخذ منه...إلخ ، فقام رجل وقال يا رسول الله إنني منافق فادع الله أن يتوب علي ، سيدنا عمر وقف وقفةً كما هي عادته وأراد أن يبطِش بهذا الذي فضح نفسه ؛ قال له ثَكِلَتْك أُمك لِم فضحت نفسك ؟ هنا بيت القصيد ! فقال له : يا عمر دعه فإن فُضوح الدنيا أهون من فُضوحِ الآخرة ! يعني مثلا لو طالب سرق قلم حبر وكُشِفَ أمره أمام رفيقه فهذا شيء قد

يهون ، أما إذا كُشِفَ أمره أمام طلاب الصف كلهم فهذا شيء آخر يعني فضيحة صارخة ، أما إذا كُشِفَ أمره في الباحة أمام ثلاثين شعبة فهذا شيء أكبر وفضيحة تنتشر كالنار في الهشيم .

فُضوح الدنيا أهون ، أنت ساكن في مدينة ، في حي من الأحياء هناك من يعرفـك وهم قِلّة ، أما على رؤوس الأشهاد إذ يقف هؤلاء الفُساق والفجارمواقف الخزي والعار :

عن أبي ذَر قالَ قُلْتُ يا رسولَ الله ألا تَستَعملُني قالَ فَضرب بيده على منكبي ثُم قالَ يا أبا ذَر إنك ضعيفٌ وإنها أمانَةُ وإنها يوم القيامة خزي ونَدامةٌ إلا من أخَذَها بحقها وأدى الذي عليه فيها *

(رواه مسلم وأحمد)

قال له يا أبا ذر إنها أمانة . سيدنا أبو ذر قال يا رسول الله استعملني " عين لي وظيفة " قال يا أبا ذر إنك ضعيف وإنني أحب لك ما أحب لنفسي إنها أمانة وإنها خِزي وندامة يوم القيامة، أبو موسى السهلي قال: إنني منافق ، قال : دعه يا عمر فُضوح الدنيا أهون من فضوح الآخرة ، فالصابر كأنه يقول عالجني يا رب قبل أن أموت ، يا رب لا تمتني حتى تطهرني من ذنوبي ومن عيوبي ومن أدراني ، فالإنسان العاقل يجتهد لتنقية نفسه من كل مرض ، لأن الله عز وجل يقول :

يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾

(سورة الشعراء)

إذاً : إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب والآية التي تتحدث عن الصبر قولـه تعالى:

وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾

(سورة الأنفال)

هذه معية خاصة أم عامة ؟ إنها معية خاصة ؛ لأن المعية الخاصـة تعنـي التأييـد والنصر والتوفيق و الحِفظ ، حيثما وردت في القرآن الكريم معية خاصـة ، تعنـي التأييـد والنصر والتوفيق و الحفظ "واصبروا إن الله مع الصابرين " وقال جل شأنه :

وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَـٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا۟ وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾

(سورة آل عمران)

مع الصابرين بالرعاية والحفظ والتأييد والتوفيق ، والله عز وجل يوفيهم أجـورهم بغير حساب ، والله يحبهم ويوفيهم أجرهم بغير حساب وهو معهم بالحِفظ والرعايـة والتأييـد والتوفيق ، لماذا يحبهم ؟ لأنهم قَبِلوا معالجته ، أحياناً أنسب شيء هو معالجة المرض من دون مخدر، أما إذا رفض هذا الإنسان وصاح وتكلم كلاماً قاسياً ، عندئذ يضطر الطبيب أن يسلك معه الطريق الأطول الأخطر في العلاج ، ربنا عز وجل حينما يرى عبداً صابراً معنى ذلـك أن هذا العبد قد رضي بمعالجة الله له وأن يستسلم لقضائه وقدره هذا هو معنى الصبر.

الصبر شيء عظيم ، والإنسان الغربي من شدة بعدِهِ عن الله يقف في حياته موقفين : إما أن ينال ما يصبو إليه وإما أن ينتحر ؛ فإذا فقد الشيء الذي يصبر يصبو إليـه إضـافةً لِبعده عن الله ، فإما أن ينال طِلبته وإما أن يصاب بأمراض نفسية إذا لم ينتحـر ؛ أمـراض الإحباطِ ، الكآبةِ السوداوية ، انفصام الشخصية ، هذه كلها أمراض نفسية ، أساسـها إنسـان تعرض لمصائب وهو لا يعرف الله عز وجل ، والأمراض النفسية أساسها عدم معرفة الله عز وجل .

إذاً الخلاصة بتمامها : إياك أن تصبر لغير الله ، فعندئذ ليس لك من أجر ، فمثلاً قد يضايقك شخص قوي متسلط وأنت صابر ، فالله عز وجل يقول :

وَٱلَّـذِينَ صَـبَرُوا۟ ٱبْتِغَآءَ وَجْـهِ رَبِّهِـمْ وَأَقَـامُوا۟ ٱلصَّلَـوٰةَ وَأَنفَقُـوا۟ مِمَّـا رَزَقْنَـٰهُـمْ سِـرًّا وَعَلَانِيَـةً وَيَـدْرَءُونَ بِٱلْحَسَـنَةِ ٱلسَّـيِّئَةَ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُـمْ عُقْبَـى ٱلـدَّارِ ﴿٢٢﴾ جَـنَّـٰتُ عَـدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَـحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِـهِمْ وَذُرِّيَّـٰتِهِـمْ ۖ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَـةُ يَدْخُـلُونَ عَلَيْهِـم مِّـن كُـلِّ بَـابٍ ﴿٢٣﴾ سَـلَـٰمٌ عَلَيْكُـم بِمَا صَـبَرْتُمْ ۚ فَنِعْـمَ عُقْبَـى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾

دخلتم الجنة ، ووصلتم إلى أعلى درجة يتمناها كل إنسـان علـى وجـه الأرض، وصلتم إلى دار السلام ، إلى جنة عرضها السماوات والأرض ، وصلتم إلى سـعادة الأبـد ، وصلتم إلى نعيم مقيم ، وصلتم إلى دارٍ لا خروج منها ولا قلق فيها ، ولا مرض ، ولا منافسة ، ولا تحاسد ولا... ، ومن بعد فهذه الجنة مهيأة لك ما ثمنُها ؟

قال " سلام عليكم بما صبرتم " ، صبركم كان ثمن الجنة "سلام عليكم بما صبرتم" ، انظر إلى صبر المؤمن ، فالمؤمن دائماً في صبر ، على المرض صابر ، مشكلة في بيتـه صابر، يعامل بقسوة صابر دخْله قليل صابر ، منغصات في عمله صابر ، إنه يرى قدرة الله عز وجل والإنسان إذا كان بإمكانه أن يمنع عنه الأذى ولا يمنع عنه الأذى فهو عاصٍ وليس بصابر ، الصابر إذا كُنت لا تستطيع أن تُزيل عنك هذا الأذى الصبر عند استنفاذ الجهد .

هناك قضية مزعجة وبإمكاني أن أعالجها لأخوتي القّراء الكرام ، فقد يقول قائـل : هذا الأمر أو البلاء من قضاء الله وقدره ، فمن قال لك ذلك ، إن كان من قضـاء الله وقـدره فالحلّ يتم بقضاء الله وقدره كذلك : فهذا سيدنا عمر عندما قدم إلى الشام أيام وجود الطـاعون بها فامتنع عن دخولها فقيل له يا أمير المؤمنين : أتفِر من قضاء الله ؟ قال: نعم أفـر من قضاء الله إلى قضاء الله ، وقال لو : كنتَ تملك قطيعاً من الغنم ، وهنـاك أرض مجدِبـة وأرض مخصِبة ، أين سترعى غنمك ؟ إن رعيتها بالأرض المجدبة فبقضاء الله وإن رعيتهـا بالأرض المخصبة فبقضاء الله أنا أفِر من أرضٍ مجدبة بقضاء الله إلى أرضٍ مخصِبة بقضاء الله ، هذا هوالتفكيرالعلمي ، فإذا أمكن علاج الابن عند طبيب فلا يجوز الاستسلام بحجةِ أنـه صابر ، لا . بل نقول له : أنت مقصر ؛ إذ ليس هذا هو قضاء الله عز وجل ، فحينما لا تملك حيلةً فعندئذ أنت معذور .

ماذا قال النبي الكريم في الطائف : " اللهم إني أشكو إليك ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس"، لقد اجتهد حينما خرج من مكة إلى الطائف لعلهم يؤمنون لكنه شكا قلـة حيلته، وأنت كإنسان تقف أمام بعض الأمور عاجزاً ؛ لكن إذا أمكنك الحركة فيجب أن تتحرك ، إلا أنك حينما تفقد الحيلة يأتي دور فالصبر إذاً الصبر يأتي لما تنعدم الحيلة .

سيدنا عمر أشار إلى أن الصبر نِعمةٌ من نِعم الله الكُبرى، كان إذا أصابته مصـيبة قال: الحمد لله ثلاثاً ؛ الحمد لله إذ لم تكن في ديني والحمد لله إذ لم تكن أكبر منها ، والحمد لله إذ ألهمتني الصبر عليها ، لأن الله عز وجل يقول :

وَٱصۡبِرۡ وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ وَلَا تَكُ فِي ضَيۡقٖ مِّمَّا يَمۡكُرُونَ ١٢٧

(سورة النحل)

" واصبر وما صبرك إلا بالله " وإليك الآية الثانية أيها الارئ الكريم :

وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنۡ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتۡنَاۚ رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا وَتَوَفَّنَا مُسۡلِمِينَ ١٢٦

(سورة الأعراف)

سيدنا أيوب ثبتت فيه آيةٌ - سبحان الله - أتذَوق منها الشيء الكثير، لِم حدثنا ربنـا على صبره قال في هذه الآية :

وَخُذۡ بِيَدِكَ ضِغۡثٗا فَٱضۡرِب بِّهِۦ وَلَا تَحۡنَثۡۗ إِنَّا وَجَدۡنَٰهُ صَابِرٗاۚ نِّعۡمَ ٱلۡعَبۡدُۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ ٤٤

(سورة ص)

" إنا وجدناه صابراً " ، أحيانا يبعث الله لك بلاء ليرى موقفك هناك شخص حـدثني عن حادثة وقعت له قال : أوقفت سيارتي في كراج وكانت في وضع مائل والمكبح غير محكم فتراجعت ودخلت في سيارة حديثة وجديدة فأصيبت السيارة الأخرى بأضرار فـي هيكلهـا ، فتغيرت ملامح صاحبها وأخذ يشتم الذات الإلهية ويشتم الأنبياء ، فلما أُخِـذَتْ إلـى مكـان التصليح عالجها المصلح بيده فعادت كما كانت ، فهذه الكلمات النابية القاسية تدل على جهلـه بالله عز وجل.

على كُلِ الإنسان " إنا وجدناه صابراً "، فالله يمتحن الإنسان يتلف لـه شـيئاً مـن حاجياته، يحبط له بعضاً من مساعيه ، يفشل في بعض غاياته هو تحت المراقبة ! سيدنا أيوب ماذا كان وضعه " إنا وجدناه صابراً " أجمل موقف يقفه المؤمن حينما يتلقى خبراً سـيئاً أن يقول : الحمد لله رب العالمين ، يا رب لك الحمد هذه حِكمتُك وهذا قضاؤك وهذا قدرك وأنـا

راضٍ بحِكمتك ، اللهم ألهمني الصبر، هذا أعظم موقف يقفه المؤمن لاتظنَن أن الإنسـان أيـا كان لن يتعرض لمواقف فيها امتحان ، لكنه حينما يقول الحمد لله فقد نجح .

الإيمان كله صبر وبعض الأحاديث تقول : " الإيمان نصفان ؛ نصف صبر ونصف شكر "، ثم أني وجدت حديثاً شافياً جداً : " الإيمان هو الصبر" .

في الأساس الجنةُ لها ثمن ، وثمنها أن الله عز وجل ركّب في الإنسـان طبيعـة ، وكل التكاليف عكس الطبيعة ، ركّب فيك حب المال وأمرك بإنفاق المال وركّب فيـك حـب الراحة وأمرك بصلاة قبل طلوع الشمس وركّب فيك فضولية في أخبار النـاس وأمـرك أن تسكت عن الغيبة والنميمة، لو تتبعت أوامر الشرع لوجدت أنك لن تسـتطيع تطبيقهـا إلا إذا خالفت طبيعة نفسك ، إذاً الدين كله صبر ، فمن هو الكافر ؟ هو إنسان ينساق مع شهواته ومع أهوائه ومع ميوله وحظوظه ومصالحه ، ومن هو المؤمن ؟ هو الذي عاكس هـواه وشـهوته وميوله وحظوظه وطبقَ منهج ربه .

فإذا أردت أن تقول لي : الدين كله صبر ؟ ، أقول لك : نعم الإيمان هـو الصـبر والسماحة ، الصبر سلْبي ، السماحة إيجابية ، أن تصبر عن المعصـية ، وأن تصـبر علـى الطاعة ، وأن تصبر على الأمر التكويني ثلاثة مناهل : صبر عن المعصـية وصـبر علـى الطاعة وصبر على الأمر التكويني ، فلذلك من السذاجة أن تَظُن أن الفقير فقط عليه أن يصبر فمن قال لك هذا ؟ إذا كان صبر الفقير عن موضوع واحد فالغني أشد حاجةً إلى الصبر مـن الفقير لماذا ؟ لأن الغني يمتلك خيارات كثيرة جداً لغناه وسعة دنياه ، مثلاً إذا قُلنا للضـعيف : اصبر، فالحقيقة أن القوي أشد حاجةً ألف مرة للصبر من الضعيف لأن الضعيف قدرته ضعية ، أما أن القوي بإمكانه أن يفعل كل شيء لكنه إن خاف من الله عز وجل لم يفعل شيئاً ، فهذا الدليل :

كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ

﴿٣٥﴾

(سورة الأنبياء)

" ونبلوكم بالشر والخير فتنة " ، بالخير أنت ممتحن بالمال ممتحن بـالقوة ممـتحن بالشباب ، ولقد أمضيت أكثر من شهرين فيما أذكر في خُطب جامع النابلسي أعالج موضـوع الصبر ؛ يعني شهرين أو ثلاثة حول الصبر، والنتيجة أن الدين كُلُه صبر ، فمـثلاً الشـجاعة صبر بينما الهروب انسجام مع حب الحياة ، إن الجسم يحتاج إلى استلقاء وراحة ، جاء للبيت

مساء متعباً أكل ونام ، هكذا كثير من الناس ، أما المؤمن فعليه صلاة العشاء ؛ أكل وتوضـأ وصلى الفرض والسنّة والوتر فهذا صبر نام ، وفي الساعة الواحدة ليلاً والفراش وثير والجو شتوي والفراش دافئ وغدة يوم عطلة ؛ فسمع أذان الفجر ، الآن سيصير على ترك الفـراش وينهض للصلاة ، لو تتبعت الأمور فأنت ممتحن في كل لحظة ، مرت امرأة جميلة وفي ثياب فاضحة أنتَ إذا نظرتَ إليها فقد انسجمت مع شهوتك إلى النساء ، أما إذا غضضت بصـرك عنها غضاً حازماً فقد عاكست شهوتك ، إذاً أنت صابر فماهو الصبر ؟ مخالفة شهوات النفس وأنت مكلّف أن تصبر في كُل دقيقة .

قال بعض العارفين إذا أقامك الله في مقام الشكر فكُن من الشاكرين ، وإذا أقامك في مقام الصبر فكُن من الصابرين ، المؤمن في الرخاء شكور وفي الزلازل صبور ، قانع بالذي له ، لا يأخذ ما ليس له في الرخاء شكور وفي الزلازل صبور ، العوام يقولون : إذا إنسـان صبر ضاع أمره ؛ لا لم يضيع أمره بل أخذ كل شيء وحقق النجاح قال تعالى :

يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَـٰرِيبَ وَتَمَـٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ
رَّاسِيَـٰتٍ ۚ ٱعْمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾

(سورة سبأ)

فأنتَ بين الشُكر والصبر، لكن أيها الإخوة الأكارم لابد من التنويه إلى أن المـؤمن يجب أن يطلب من الله العافية ، وهذا مأخوذ من رسول الله صلى الله عليه وسلم :

عن أَنَس بن مالِك قالَ أَتَى النبي صلى الله عليه وسلم رجلٌ فَقالَ يا رسولَ الله أَي الدعاء أَفْضلُ قالَ سلْ ربك العفْو والعافيةَ في الدنْيا والآخرة ثُم أَتَاه في اليوم الثاني فَقالَ يا رسولَ الله أَي الدعاء أَفْضلُ قالَ سلْ ربك العفْو والعافيةَ في الدنْيا والآخرة ثُم أَتَاه في اليوم الثالِث فَقالَ يا نَبِي الله أَي الدعاء أَفْضلُ قالَ سلْ ربك العفْو والعافيةَ في الدنْيا والآخرة فَإِذَا أُعطيتَ العفْو والعافيةَ في الدنْيا والآخرة فَقَد أَفْلَحتَ *

(رواه الترمذي)

اللهم إنا نسألك العفو والعافية والمعافاة الدائمة في الدين والـدنيا والآخـرة . وفـي الطائف قال عليه الصلاة والسلام : "إن لم يكن بك غضب علي فلا أُبالي ولك العتبـى حتـى ترضى لكن عافيتك أوسع لي "

عزيزي القارئ : سل ربك العفو والعافية في الدنيا والآخرة فإذا أُعطيت العافيـة في الدنيا وأُعطيتها في الآخرة فقد أفلحت وأنجحت إن شاء الله .

في ختام هذا البحث إن الله جل جلاله صبور على عباده وإن عصوه ، وهو يوافـق اسم الرحمن جل جلاله قد وسعت رحمته كل شيء في الدنيا والآخرة والله يقول الحـق وهـو يهدي إلى صراط مستقيم

والحمد لله رب العالمين

الدرس ٣٣ - اسم الله : "الله"

بسم الله الرحمن الرحيم

مع الاسم الثالث والثلاثين من أسماء الله الحسنى ، والاسم هو قول الله عـز وجل في القرآن الكريم:

فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ﴿١٩﴾

(سورة محمد)

" فاعلم أنه لا إله إلا الله " ، هذه الكلمة هي كلمة التوحيد فالإسلام كله والإيمان كله والإحسان كله جمع في هذه الكلمة ، والمسلمون يرددون هذه الكلمة ترداداً كثيرا في كل وقت ، وفي كل مناسبة إلى درجة أنهم غفلوا عن معناها ، وحينما نقول أن هـذه الكلمـة شـعار الإسلام فمعنى ذلك أن الدين كله أساسه قائم على هذه الكلمات ، ألم يقل المولى عز وجل :

وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٢٥﴾

(سورة الأنبياء)

" وما أَرْسلْنَا منْ قَبْلك منْ رسولٍ إلا نُوحي إِلَيْه أَنه لا إِلَه إِلا أَنَا فَاعْبدون " لا إله إلا الله فحوى رسالات الأنبياء جميعاً ، فالشيء الدقيق هو أنْ تضغط دينا بكاملـه ، وأنْ تجمـع الأديان السماوية ، وأنْ تجمع رسالات الأنبياء جميعاً في كلمات معدودة وكلمة التوحيد هـذه "لا إله إلا الله" نرددها كل يوم عشرات المرات بل مئات المرات ولو عرفنا حقيقتها لكنا فـي حال آخر غير هذا الحال ، والنبي عليه الصلاة والسلام يقول :

عنْ طَلْحةَ بْنِ عبيْد الله بْن كريز أن رسولَ الله صلى الله عليْه وسلم قالَ أفْضلُ الدعاء دعاء يوْمِ عرفَةَ وأفْضلُ ما قُلتُ أنَا والنبيون منْ قبْلي لا إله إلا الله وحْده لا شَريك له *

أفضل ما قلت أنا والأنبياء من قبلي :" ولا إله إلا الله " ولا إله إلا الله حصنٌ من دخلها أمن من عذابه ، لا إله إلا الله كلمة التوحيد وينبغي أن نقف عند هذه الكلمة ولستوحي منها دروسا كثيرة ، لكن بادىء ذي بدء نقف عند المعنى اللغوي لهذه الكلمة ؛ لا إله إلا الله ، يقول علماء التوحيد : " الله علَمٌ على الذات الكاملة ، علم الواجب الوجود وهو الله ،وفي الكون ممكن الوجود وهو ما سوى الله وفي الكون مستحيل الوجود " ، فالله علَمٌ على الذات الكاملة على واجب الوجوب ، علَم على الخالق ،علَم على البارىء المصورالمسير العزيز الجبار المتكبر ، أسماء الله الحسنى كلها جمعت في لا إله إلا الله ،علَم على الذات ، بعضهم قال: (الله) اسم الذات الأعظم على كلِ كلمة ، (الله) لها بحث مستقلّ ، لكن إذا أردت أن تشير إلى الذات الكاملة ، إلى الواجب الوجود المتصف بصفات الوجود وصفات الكمال وصفات الوحدانية فهو (الله) :علم على الذات جمعت أسماء الله الحسنى كلها في كلمة الله لذلك يا الله ، يا أرحم الراحمين أو (الرحمن الرحيم) أو (الله) ، بعضهم قال : اسم الله الأعظم (الله) وبعضهم قال (الرحمن الرحيم) ، وبعضهم قال أي اسم تهتز له وتتفاعل معه فهو اسم الله الأعظم ، على كلِ في هذه الكلمة لا إله إلا الله ، الله علم على الذات الواجب الوجود أي أسماء الله الحسنى كلها مجموعة في (الله) وبعد فما معنى إله ؟

في المعجم جاء: أَلَه يأْلُه إلهةً وأُلوهةً وأُلوهيةً يعني عبد عبادة فأَلُه بمعنى عبد الإله المعبود ، لكن أَلِه يأْلَه أَلَهاً أيْ تحير ، أَلِه إليه أيْ لجأَ إليه ، هذه هي المعاني المستفادة من معنى أَلَه يأْلُه إلهةً وأُلوهةً وأُلوهيةً أي عبد ، فعبد ليس معناها أطاع ، بل أَطاع ومضافٌ إليها معنى آخر : أطاع وأحب ؛ "فأطاع ولم يحب" فليست هذه عبادة ؛ وأحب ولم يطع فهذا مستحيل . فغاية الحب مع غاية الطاعة هي العبادة .

فأحب وأطاع بمعنى (عبد) ، من المعبود؟ هو الله ، بعض ما يقوله العلماء حول هذه الكلمة : " لا معبود بحق إلا الله " ، من الذي يستحق العبادة ؟ هو الخالق ، إذاً لا خالق إلا الله ، من الذي يستحق العبادة ؟ هو الرازق ، هو المعطي ، هو المانع هو الرافع هو الخافض هو المعز هو المذلّ هو الفعال لِما يريد هو العزيز هو الجبار هو القهار ، فإذا قُلت لا إله : لا معبود ؛ من هو المعبود ؟ هو الجبار ، من هو المعبود ؟ هو القوي . من هو المعبود ؟ هوالمسير ، من هو المعبود ؟ هو الخالق هو البارىء المصور الرازق المانع هو المعطي الرافع والخافض ، فالذي يستحق العبادة هو الرازق ، إذاً (لا إله) : أي لامعبود لا رازق إلا الله فإذا قُلت لا إله إلا الله أيْ لا معطي ولا مانع ولا رافع ولاخافض ولا معز ولا مذلّ ولا

رازق ولا وهاب ولا مغْنٍ ولا مبْد ولا معيد كُلُّ الأسماء الحسنى إذا جمعت هي الله ؛ أيْ هو المعبود .

إذاً : أَلَه يأْلَه إِلَهةً وأُلوهةً أي عبد يعبد والعبادة هي غاية الخضوع مع غاية الحـب ولن تُحب ولن تُطيع إلا إذا عرفت الله عز وجل فالعبادة ثلاث مراحل : معرفةٌ وطاعـة مـع حب وسعادة .

المعنى الثاني: أَلِه ، الأولى مضت وهي أَلَه ، الثانية أَلِه ونحن بصددها الآن ، أَلِـه يأْلَه أَلَهاً أيْ تحير ، الإنسان يتحير بمن ؟ بالصغير أم بالكبير؟ بالجليل أم بالحقير؟ بـالغني أم بالفقير ؟ فالتحير من معاني العظمة تَحار به الألباب تَحار به العقول تَحار به النفوس تَحار به الأفئدة ، إذاً من جهة هو معبود ، فلماذا هو معبود ؟ لأنه خالق ، ولماذا هو معبـود ؟ لأنـه رازق ، لماذا هو معبود ؟ لأنه فعال ، لماذا هو معبود ؟ لأنه قوي ، لماذا هو معبود ؟ لأنـه محيي ومميت ، معز ومذلّ ...إلخ هذا المعنى الأول .

المعنى الثاني : لماذا هو معبود؟ عظمته تَحار فيها العقول أَلِه يأْلَه أَلَهاً أيْ تحير .

والمعنى الثالث : أَلِه إليه أي لجأ إليه يعني لا ملجأ لـك أيهـا الإنسـان إلا (الله) ، فمعنى لا إله إلا الله لا معبود ولا عظيم ولا ملجأ إلا الله، طبعاً الإله هو الله لكن هـذه الـلام نافية للجنس ، ما الفرق بين اللام النافية للجنس واللام النافية نفياً عادياً ؟

قد تقول مثلاً : لا طالب في الصف بل طالبة ، فجنس الذكور ليس موجوداً أمـا إذا قلت لا طالبٌ في الصف بل طالبان ، في الحالة الثانية نفيت أنت ماذا ؟ نفيت المفرد ، فـاللام التي تنفي المفرد تُسمى اللام الحجازية ، أما اللام التي تنفي الجنس تُسمى اللام النافية للجنس ، فإذا قال لك أحدهم هل عندك خُبزٌ ؟ فقلت : لا خبز عندي ، فالمقصود لا خبز ولا قمح ولا طحين ولا أي شيء من أنواع القمح لا خبز عندي بل لحم أما لا خبزٌ عندي فقد نفيت المفرد وقد يكون عندك أجناس القمح أما الخبز نفيته وحده .

إذاً (لا إله) تنفي أن يكون في الكون إله غير الله عز وجل بعـض العلمـاء قـال : المعنى الأول قاله ابن عباس رضي الله عنه لا إله إلا الله أيْ لا نافع ولاضار ولا معـز ولا مذلّ ولا معطي ومانع إلا الله ، هذا التفسير لابن عباس رضي الله عنه ، وبعضهم قال : " لا إله يرجى فضله ولا إله يخاف عدله ولا إله يؤمن جوْره ولا إله يؤكل رزقه ولا إلـه يتـرك أمره ولا إله يسأل مغفرته ولا إله يرتكب نهيه ولا إله يحرم فضـله إلا الله الـذي هـو رب المؤمنين وغفار ذنوب المؤمنين وملجأ المؤمنين وستار المخطئين غاية رجاء الراجين ومنتهى مقصد العارفين ".

أنا أتمنى من الإخوة القراء الأكارم أن يتحققوا ويتوقفوا ملياً عند هذه الكلمة ، فهـي كلمة الإسلام الأولى ، هذه كلمة التوحيد ، الدين كله مجموع في هذه الكلمة ، قال بعضـهم :

(لا إله إلا الله) إشارةُ المعرفة والتوحيد بلسان الحمد والتسديد إلى الملك الحميد ، أجل ؛ إشارة المعرفة والتوحيد .

تعلمون أن نهاية العلم التوحيد ونهاية العمل التقوى ، أنت إذا وحدتَ واتقيت ملكـ ت زمام أمرك ، والحقيقة عندما تُوحد أو تستقيم فلن تشعر أن هناك جِهات أخرى تملـ ك أمـ رك وإنك موزع بينها جميعاً . فمتى توحد وجهتك إلى الله عز وجل؟ ومتى تعبده وحـ ده ؟ متـى تُطيعه وحده ؟ متى تُقبل عليه وحده ؟ متى ترجوه وحده ؟ متى تخافه وحده ؟ متـى تطمـع بعطائِه وحده ؟ إذا أيقنت أنه لا إله غيره .

قضية دقيقة جداً ما دام هناك شعور بوجود جهة في الأرض بإمكانها أن تنفعـ ك أو أن جهةً أخرى بالأرض بإمكانها أن تضرك ، فأنت في هذه الحالة لن تسـتطيع أن تعبـ د الله وحده ، لذلك الله عز وجل لم يأمرْك أن تعبده إلا بعد أن طمْأنك أن الأمر كله عائد إليه فلا إله إلا الله لك أن تفهمها على النحو التالي : الإله هو المعبود ، ومن الذي يعبد الخالق :

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ٢١

(سورة البقرة)

إذاً (لا إله إلا الله) أي لا معبود بحق إلا الله من الذي ينبغي أن يعبد ؟ هو الرازق ، من الذي ينبغي أن يعبد ؟ هو المعطي والمانع والرافع والخافض والمعـ ز والمـ ذلّ والقـ وي والقهار والجبار ، فكُل الأسماء الحسنى بمجموعها تدل على أن صـاحب الأسـماء الحسـنى يستحق العبادة فهو المعبود هذا هو المعنى الأول .

أَلِه يأْلَه أَلَهاً تحير، عظيم : الله عز وجل لا نهاية لقوته مهما عرفت عنه فهو أعظم ، لا نهاية لجبروته لقوته لجماله لرحمته لعدالته لحبه لعباده أيْ منتهى النهايات هو الله سبحانه وتعالى.

والمعنى الثالث : لا ملجأ لك إلا الله أَلِه إليه أيْ لجأ إليه وقال بعضـهم : (لا إلـه) للرغبة إذا رغبت فالله وحده هو الذي ينبغي أنْ ترغب فيه و(لا إله) للرهبة إلا الله وإذا خفت فينبغي ألاّ تخاف إلا الله ، فإذا حدثتْك نفسك أن تخاف فليس في الكون كله جهـة ينبغـي أن تخاف منها إلا الله، وإذا حدثتْك نفسك أن تُحب فهناك في الكون أشياء جميلة وهناك أشـخاص وهناك نساء وهناك أماكن وهناك بيوت وهناك مركبات إذا حدثتْك نفسك أن تُحب شيئاً ينبغـي ألاّ تُحب إلا الله .

هذا المعنى الرابع أي لا إله للرغبة إلا الله ولا إله للرهبة إلا الله ، فهو الذي يكشف الكُربة والدليل ما قاله النبي عليه الصلاة والسلام : " لا يخافن العبد إلا ذنبه ولا يرجـون إلا ربه " فَحالَة التوحيد مع المؤمن حالة مريحة ، بالعكس حالة التوحيد هـي الصـحة النفسـية وخلاف التوحيد مرض فحينما يشعر شخص أن إنساناً من بني جلدته أمْره بيده وهو لا يحبـه وهو يتمنى تحطيمه هذا الشعور وحده شعور مرضي ، شعور يسحق ، شعور مدمر ، أنت إذا أيقنت أن أمرك بغير يد الله عز وجل فهذا اليقين وحده يكفي لِسحق الإنسان ، فينبغي إذا أردت أن تُحب ألاّ تُحب إلا الله وإذا راودك خوف فلا تخف إلا من الله وإذا أردت أن تعتمـد علـى جهة فلا ينبغي أن تعتمد إلا على الله وإذا أردت أن تثق بجهة فلا ينبغي أن تثق إلا بالله.

كلمة معبود ، تكفي لا معبود بحق . علماء السلف الصالح ضغطوا كل هذه المعاني بكلمة معبود ، الذي يستحق العبادة ، هل يستحق العبادة إنسانٍ فانٍ ؟ إنسان سيموت ؛ إنسـان كان في العدم ثم حدث ثم سينْتهي إلى عدم هذا لا يستحق العبادة .

روي عن عمران بن حصين أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لي - قبل أن يسـلم - يا حصين كم تعبد من إله ؟ فقال أعبد ستاً أو سبعاً في الأرض وواحداً في السماء فقال عليه الصلاة والسلام وأيهم تعبد لرغبتك ورهبتك ؟ فقال الذي في السماء فقال عليه الصلاة والسلام فيكْفيك إله السماء .

لا تحتاج أنت إلى آلهة الأرض ، هذا هو سبب الصحة النفسية ، فالإنسان أمره كله بيد جهة واحدة يسعى إليها ، يرضيها يخافها ، يرجوها يطيع أمرها ، ثم قال يا حصـين لـو أسلمْتَ علمتك كلمتين ينفعانك فأسلم حصين ثم قال يا رسول الله علّمني هاتين الكلمتين؟ فقـال اللهم ألهمني رشدي وأعذني من شر نفسي ، ونص الحديث :

عنْ عمْران بْن حصيْنٍ قالَ قالَ النبي صلى الله عليْه وسلم لأبي يا حصيْن كمْ تعْبد اليوْم إلها قالَ أبي سبْعةً ستةً في الأرْض وواحدا في السماء قالَ فأيهمْ تعد لِرغْبتك ورهْبتك قالَ الذي في السماء قالَ يا حصيْن أما إنك لوْ أسْلمْتَ علمْتُك كلمتيْن تنْفعانك قالَ فلما أسْلم حصيْن قالَ يا رسولَ الله علمْني الكلمتيْن اللتيْن وعدْتَني فقالَ قُل اللهم ألهمْني رشْدي وأعذْني منْ شرَ نفْسي*

(رواه الترمذي)

هذه بعض معاني كلمة لا إله إلا الله .

هناك موضوع لطيف حول هذه الكلمة ، كلمة التوحيد ، فلو أننا جمعنـا الأحاديـث التي تتحدث عن فضل لا إله إلا الله وهناك أحاديث كثيرة جداً كما أن هناك آثاراً عند السـلف الصالح كثيرة جداً ، طبعاً كما قلت في بداية البحث لا إله إلا الله لا يسبقها عمل ولا تترك ذنباً ، كيف ؟ ننظر بالشرك ، فقبل أن تتحقق من أنه لا إله إلا الله أنت في حياتك آلهـة كثيـرة

دعْك مما ينبغي أن يقال في العالم الإسلامي ، كُن مع الحقيقة هناك شـخص مـثلاً توحيـده ضعيف في حياته ، أشخاص كثيرون لهم تأثير عليه فإذا توجه إليهم وسعى إلـى إرضـائهم وخاف من غضبهم وعلّقَ عليهم الآمال فهذا هو الشرك ، فإذا كنت ترجو زيدا وتخشى عبيـدا وتطمع بما عند فلان وتخاف من علاّن فالعمل الصالح الخالص لن يكون لله عز وجل .

لا يسبقها عمل ، قبل أن تؤمن بلا إله إلا الله عملك مشوبٌ بالشرك ترجو غيـر الله وتخاف غير الله وتُعلّق الأمر على غير الله ، وإذا تحققت منها لا تترك ذنباً ، لماذا تعصي الله من أجل أن يرضى عنك زيد ؟ ، فَزيْد بيد الله .

ولا أعتقد أن أحداً من القراء الكرام يخفى عليه ما رويته من قبل من أن أحد خلفـاء بني أمية وهو يزيد بن معاوية أصدر توجيها إلى والي البصرة ، وكان عند هذا الوالي حـين وصل التوجيه الحسن البصري وهو من كبار التابعين فجاء التوجيه مخالفـاً لِمـا ينبغـي أن يكون ، مخالفاً للحق فوقع الوالي في حيرة من أمره ! هذا الوالي قال للحسن البصري ، مـاذا أفعل ؟ أجابه بكلمة واحدة تتلخص بكامل التوحيد ، قال له " اعلم أن الله يمْنَعك مـن يزيـد ، ولكن يزيداً لا يمنعك من الله ".

إذاً هو المعبود فأنت حينما ترى إنساناً يعصي الله ليرضي فلاناً ويقصر في أعمالـه الصالحة ليرضي زيداً ويقترف الآثام ليرضي عبيداً هذا توحيده ضعيف جداً ، إذاً في الحيـاة اليومية أشخاص يراهم آلهة يراهم يستحقون العبادة ويستحقون الطاعة و يستحقون الخضـوع ويستحقون الحب فما هو التوحيد ؟ أن تتخلص مما سوى الله عز وجل مطلقـاً ، لا حبـاً ولا كراهيةً ولا خوفاً ولا طمعاً ولا أملاً ولا إرضاء .

أفضل الذكر لا إله إلا الله ، فالعدو لما جاءته المحنة فَزِع إلى هذا الذكر ، من هـو هذا العدو ؟ فرعون ، حينما أدركه الغرق فَزِع إلى كلمة التوحيد قال " آمنت أنـه لا إلـه إلا الذي آمنت به بنو اسرائيل " أحياناً الكافر باعتبارأن بين يديه أوراقاً رابحة كثيـرة ومنهـا أن ماله ينقذه ، مركز قوي ينْقذه ، أتباعه يعينونه ، فهؤلاء كلهم في نظره آلهة ، فحينما يقدر الله له شيئاً كريهاً وكل هذه الآلهة التي توهمها لا تستطيع أن تفعل شيئاً عندئذ يسْقَط في يده ويندم ويقول : لا إله إلا الله.

قد يظن الإنسان أن المال كل شيء في مقتبل حياته لكنه كلما امتد به العمر يرى أن حجم المال يصغُر إلى أن يعده شيئاً ، ولكن ليس كل شيء فإذا جاء الموت لا يرى إلا الله وأن هذا المال عارية مستردة وأن الله ملكه إياه ليتقرب إليه ، أُريد أن أُوسع معنى الألوهيـة قـال تعالى:

أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾

(سورة الفرقان)

" أرأيت من اتخذ إلهه هواه " إذا أحببت شيئاً وعصيت الله من أجله فقـد عبدتـه ، والعوام يقولون تزوج فتاة يعبدها ، ما معنى يعبدها ؟ يحبها ويثق بها ويْمحضها كل إخلاصه فيه وكل طاعته ولو أمرتْه بمعصية فالعبادة كما أقول دائماً غاية الحب مع غاية الطاعة فـإذا منَحت تلك الطاعة وذاك الحب لغير الله عز وجل فذاك هو الجهل ، ولذلك فحينما قالوا : نهاية العلم التوحيد، فعندها ترى أن كل الخلق دمى يحركها الله عز وجل :

فَكِيدُونِى جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾ إِنِّى تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّى وَرَبِّكُمْ ۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾

(سورة هود)

فقال إن هذا العدو ، عدو الله عز وجل حينما أدركه الغرق لجأ إلى الله وقال :

۞ وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾

(سورة يونس)

أما ولي الله سيدنا يونس حينما ابتلعه بطن الحوت ودخل في ظلمات ثلاث قال تعالى :

وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾

(سورة الأنبياء)

لماذا قُيلت هذه الكلمة من سيدنا يونس ولم تُقبل من فرعون ؟ كلاهما في المحنة قال : لا إله إلا الله ، العلماء قالوا : " فرعون ما عرفَ الله قبل المحنة لذلك ما نفعته عند المحنة ، سيدنا يونس عرفَ الله قبل المحنة فلما جاءت المحنة نفعته هذه الكلمة هذا أول فرق "، فرعون ماذا قال:

فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾

(سورة النازعات)

أما يونس نادى وهو مكظوم :

فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾

(سورة الصافات)

عزيزي القارئ إني أدعوك لتلاحظ ، جميع الناس ، فحينما يقع أحدهم في مـأزق ، أو يعاني من مرضٍ عضال، أو يتعرض لمشكلة كبيرة أو أمامه شبح مصيبة ، ينسـى كُـل الشركاء ويتجه إلى الله وحده ، فليته عرف هذه الحقيقة وهو في الرخاء! أما حينمـا تداهمـه المصيبة وحينما تحدق به مد لهمات الأمور وحينما يسْقَط في يده فهو لا يرى إلا الله .

حدثني أخ صديق أن طائرة تُقل خبراء من بلاد ترفع شعار "لا إله" أي ؛ الله غيـر موجود ، ملحدون ، فهذه الطائرة مرت بسحابة مكهربة وفي أجواء هوائية عاصفة وفي طقس قاسٍ فصار بعضهم يقول يا الله ، والقرآن ذكر ذلك الإنسان الذي إذا ركب البحر وهاج البحر وماج وأصبحت السفينة العظيمة كأنها ريشة في مهب الريـاح فعندئـذ مـا رأى إلا الله ، إذاً فواقعياً أن المؤمن يرى أن الله وحده بيده كل شيء هذا يؤكده قوله تعالى والآية دقيقة الدلالـة جداً :

صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥٣﴾

(سورة الشورى)

لنتساءل الآن : بيد من كانت الأمور؟ كانت بيد الله ولا تزال بيد الله وهي دائماً بيـد الله ولكن أهل الدنيا المعرضون يروْن الأمر بيد غير الله ، أما المؤمن وهو في الـدنيا يـرى دائماً أن الأمر بيد الله ، لذلك ماتعلّمت العبيد أفضل من التوحيد .

هناك شيءٌ آخر : وهو أن سيدنا يونس قال " لا إله إلا أنت سبحانك" كلمة (أنـت) يخاطبه وجهاً لوجه ، أما فرعون فماذا قال: " لا إله إلا الذي آمنت به بنو اسرائيل "، سـيدنا يونس قال : "لا إله إلا أنت" وكأنه يرى الله معه ، أما فرعون سمع أنه يوجد إله لموسى بيـده كل شيء فلما شرع في الغرق شعر أن إله موسى هو الذي أغرقه فقال " آمنت أنه لا إلـه إلا الذي آمنت به بنو اسرائيل " ، فذكر ضمير الغائب دليل على أنه غير متحقق ، لذلك اعرفْنـي في الرخاء أعرفْك في الشدة ، قُبلتْ (لا إله إلا الله) من سيدنا يونس لأنه كان من المسـبحين ولم تُقبل من فرعون لأنه لم يكن من المسبحين .

حينما تقع في محنة مهما كان مستوى إيمانك ومهما كان نوع عقيدتك ومهما كـان مستوى توحيدك تقول : يا الله ، لكن إذا كان إيمانك قبل المحنة عظيماً تقول يا الله لا إلـه إلا أنت، لك عنده رصيد ، لك عنده سابقة عمل صالح ، لك عنده معرفة برحمتـه ، لـك عنـده معرفة بعفوه بقُدرته بحبه ، قال العلماء : فرعون حينما ذكر هذه الكلمة (لا إله إلا الذي آمنت به بنو اسرائيل)ما قالها تعبداً بل قالها من أجل خلاصه ، شتان بين من يضطر إلـى الإيمـان بالله وبين من يؤمن بالله طواعية .

إن كل إنسان يعلم أن العالم كان مقسوماً إلى شرق وغرب وإلى أُمم تقـدس الفـرد وإلى أُمم تقدس المجموع كلا الفريقين تطرفا وعادا إلى الوسط ، والإسلام وسطي لـم يعـودا إلى الإسلام إيماناً به ولا اعتقاداً بأنه منهج الله عز وجل ولكن طبيعة الظروف التـي رافقـت هذا التطرف ألجأتْهم إلى الوسطية ، فالذين آمنوا بالفرد إيماناً مطلقاً على حسـاب المجمـوع اضطروا أنْ يعودوا إلى حقوق المجموع ، والذين آمنوا بالمجموع على حساب الفرد اضطروا إلى أن يرعوا حقوق الفرد ، إذاً عادوا إلى الوسط هذا معنى قوله تعالى :

وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾

(سورة البقرة)

"وكذلك جعلناكم أمة وسطاً " ، ففرعون حينما قال :لا إله إلا الله قبل أن يغرق قالها ليتخلّص من الغرق ، هذا يفسر لنا أن بني إسرائيل حينما خرجوا من البحر رَأَوْا قوما يعكُفون على أصنام لهم قالوا يا موسى اجعل لنا إلها كما لهم آلهة ؟ ألم تروا أن البحر أصبح طريقـاً يبساً قال العلماء : إنهم آمنوا بموسى ليتخلصوا من فرعون ، إيمانهم مشوب بمصـلحة لـذلك أرقى أنواع الإيمان أن تؤمن بأن الله عز وجل هو الخالق ويستحق العبادة ، هذا ما قالته رابعة العدوية : " إلهي ما عبدتك خوفاً من نارك ولا طمعاً في جنتك ولكنني رأيتك أهلا للعبادة "

وما مقصودهم جنات عـدن ولا الحور الحسان ولا الخيام

سوى نظر الحبيب فذا مناهم وهذا مطلب القوم الكـرام

قال بعضهم إن كل الطاعات يرفعها ملكٌ إلى رب العـزة إلا كلمـة لا إلـه إلا الله فتصعد وحدها وهذا معنى قوله تعالى :

مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا ۚ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ۚ وَٱلَّذِينَ يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَمَكْرُ أُو۟لَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ ﴿١٠﴾

(سورة فاطر)

هناك نقطة دقيقة الدلالة جداً مرت معي في حديث شريف - وقد ذكرته سـابقا - " من ازداد علما ولم يزدد هدى " - كأن هناك خطَ العلم وخط الهدى - خطَ العلم أن تقرأ كتاباً وتفهمه وتستوعبه وتحفظه ، أن تستمع إلى محاضرة وأن تقف عند دقائقها وخطوطها الرئيسة

والأدلة التي قيلت حول أفكارها ، هذا هو العلم : أن تقتبس معلومات ، حقائق ، أفكار، تصورات قناعات ، فما هو الهدى إذاً ؟ من ازداد علماً ولم يزدد هدى ، خط الهدى مقصر عن خط العلم كأن الهدى أن تعرف أن الله سبحانه وتعالى : لا إله إلا الله ، لا إله إلا هو ، أنْ توحده وتعبده ، يمكن أن أقول لكم الدين كله أن توحد الله وأن تعبده . في القرآن وردت قصص أنبياء كثيرين " وكلهم يول لومه أن اعبدوا الله ما لكم من إله غيره " :

وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً ۖ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ ۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾

(سورة هود)

هذه الآية وردت مكررةً عشر مرات أو أقل : " اعْبدوا الله ما لَكُمْ منْ إلٰه غَيْره " ، فصار ديننا أن تؤمن أنه لا إله إلا الله وأن تعبده ، نهاية العلم التوحيد ونهاية العمل طاعة الله عز وجل .

روي في الأثر أن العبد إذا قال : لا إله إلا الله أعطاه من الثواب ما كان مقسوماً لكل كافر وكافرة من الجنة لو أنهما لم يكفرا ، والسبب أنه عندما قال هذه الكلمة فكأنه قد رد على كل كافر وكافرة فلا جرم أن يستحق الثواب ماذا أمرنا الله عز وجل بالقرآن ؟

فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾

(سورة محمد)

" فَاعْلَمْ أنه لا إلٰه إلا الله " والعلم يقتضي البحث والدرس واليقين والتدقيق والتمحيص واستحضار الأدلة وانتهاء بقناعة ثابتة ، أما الذي يبقى علمه في تردد وفي شك فهذا ليس علماً :

إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾

(سورة الحجرات)

بعضهم قال في تفسير:

حٰمٓ ﴿١﴾ عٓسٓقٓ ﴿٢﴾

(سورة الشورى)

قال : الحاء حلمه وحكمه وحجته ، والميم ملكه ومجده ، والعين عظمته وعلوه وعزته وعلمه وعدله ، والسين سناؤه وسره ، والقاف قهره وقدرته ، يقول الله تبارك وتعالى : بحلمي وحكمتي وحجتي ومجدي وملكي وعظمتي وعدلي وعلمي وعزتي وعلوي وسري وثنائي وقدرتي وقهري لا أعذب في النار من قال لا إله إلا الله ، لماذا لا يعذب ؟ لأنه عرف أن الأمر كله بيد الله عز وجل فاستقام على أمره ،خلاصة هذا الدين أن عرف أن الأمر كله راجع إليه .

بالمناسبة أذكر للقراء الكرام بعض آيات التوحيد فهناك في القرآن آيات في التوحيد رائعة في الدلالة والبيان فمنها قوله تعالى :

وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾

(سورة هود)

وقوله تعالى :

قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾

(سورة آل عمران)

" بيدك الخير إنك على كُل شَيْء قَديرٌ " هذه الآية دليل على فكرة دقيقة جداً أنـه لا يوجد في الكون شر مطلق ومعنى الشر المطلق الشر المراد لذاته . أيضاً :

بَلِ ٱللَّهَ فَٱعۡبُدۡ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾

(سورة الزمر)

وقوله تعالى :

فَلَمۡ تَقۡتُلُوهُمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمۡۚ وَمَا رَمَيۡتَ إِذۡ رَمَيۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰۚ وَلِيُبۡلِيَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡهُ بَلَآءً حَسَنًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾

(سورة الأنفال)

وقوله تعالى :

أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾

(سورة الأعراف)

(الله خالق كل شيء وهو على كل شيء وكيل) أي شيء خَلَقَه أمره عائـد إليـه .

وقوله تعالى :

قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾

(سورة الإخلاص)

وقوله تعالى :

وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ ٢٢

(سورة العنكبوت)

وقوله تعالى :

قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ١١٠

(سورة الكهف)

وقوله تعالى :

۞وَمَن يُسۡلِمۡ وَجۡهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ٢٢

(سورة لقمان)

وقوله تعالى :

أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا نَأۡتِي ٱلۡأَرۡضَ نَنقُصُهَا مِنۡ أَطۡرَافِهَاۚ وَٱللَّهُ يَحۡكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكۡمِهِۦۚ وَهُوَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ٤١

(سورة الرعد)

وقوله تعالى :

وَلِلَّهِ غَيۡبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَإِلَيۡهِ يُرۡجَعُ ٱلۡأَمۡرُ كُلُّهُۥ فَٱعۡبُدۡهُ وَتَوَكَّلۡ عَلَيۡهِۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ١٢٣

(سورة هود)

وقوله تعالى :

مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾

(سورة فاطر)

وقوله تعالى :

أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾

(سورة النمل)

وقوله تعالى :

وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٤﴾

(سورة الزخرف)

ومن الأحاديث :

عنْ طَلْحةَ بْنِ عبيْد الله بْن كريز أن رسولَ الله صلى الله عليْه وسلم قالَ أفْضلُ الدعاء دعاء يوْمِ عرفةَ وأفْضلُ ما قُلتُ أنَا والنبيون منْ قبْلي لا إله إلا الله وحْده لا شَريك له *

(موطأ مالك)

عن ابْن عباسٍ قالَ كُنْتُ خَلْفَ رسول الله صلى الله عليْه وسلم يوْما فقالَ يـا غُـلام إنـي أعلمك كلمات احْفَظ الله يحْفَظْك احْفَظ الله تَجِدْه تُجاهك إذَا سألْتَ فَاسْأل اللـه وإذَا اسْـتَعنْتَ فَاسْتَعنْ بِالله واعْلمْ أن الأمةَ لو اجْتَمعتْ على أنْ ينْفَعوك بِشَيْء لمْ ينْفَعوك إلا بِشَيْء قدْ كتَبه الله لك ولو اجْتَمعوا على أنْ يضروك بِشَيْء لمْ يضروك إلا بِشَيْء قدْ كتَبه الله عليْك رفعت الأقْلام وجفت الصحفُ *

(رواه الترمذي)

فإذا الإنسان قام بجمع الآيات التي في التوحيد وحفظها فهذا كنز قرآني كبير يبث في المرء الاطمئنان ، ويدرأ بعيداً أسباب الخوف دائماً فلا يشعر أن جهة في الأرض يمكن أن تلحق به الأذى وإذا شعر أن الله وحده بيده كل شيء وهو رحيم غني ودود قدير عليم فهذا الشعور مسعد ومطمئن .

من فوائد هذه الكلمة أن النبي عليه الصلاة والسلام فيما رواه ابن عمر عـن النبـي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " ليس على أهل لا إله إلا الله وحشة عند الموت وكأني أنظـر إلى أهل لا إله إلا الله عند الصيحة ينفضون شعورهم من التراب يقولون الحمد الله الذي أذهب عنا الحزن " .

إذاً فالشيء المخيف جداً وهو القبر تحت التراب ، الشيء المخيـف حقـاً الوحشـة والغربة في القبر ، ألم يقل المولى عز وجل :

ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾

(سورة غافر)

من ستة آلاف سنة : يعرضون عليها غدواً وعشياً ، أما أهل (لا إله إلا الله) فـلا وحشة في قبورهم ، والقبر المخيف يغدو روضة من رياض الجنة ، لماذا ؟ لأنهم عرفـوا الله فاستقاموا على أمره ، ووحدوه فاستقاموا على أمره .

كثيراً ما كنت أضرب المثل التالي : دخلت إلى دائرة حكومية فيهـا مئـة موظـف ومعك معاملة ، لن يستطيع أحد أن يكتب لك موافق وتأخذ ثمار هذه المعاملة إلاّ المدير العـام فهل يمكن أن تتجه لمن سواه ؟ كأنْ ترجو آذناً أو أن ترجو موظفاً بسيطاً ؟ مادامت صلاحية التوقيع للمدير فقط فأنت تتجه إليه وحده ، وذكرت وما أكثر ما ذكرت لكم سابقا أن الله قال :

إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾

(سورة النساء)

ومن الممكن أن يكون لك مبلغٌ كبيرٌ في مدينة ، وأن تركب القطار الـذي يوصـلك للمدينة ويمكن أن ترتكب ألف غلطة في القطار ، لكن القطار في طريقه إلى المدينة وسـوف يصل في الوقت المحدد وسوف تقبض هذا المبلغ ، قد تركب في الدرجـة السادسـة وتكـون ابتعت بطاقة من الدرجة الأولى قد تختار عربة فيها شبان أخلاقهم شرسة ، قد تركب في جهة مخالفة لجهة سير القطار هذا ممكن ! قد تُحس بالجوع الشديد ولا تـدري أنـه فـي بعـض القاطرات مطعم ، هذه كلها غلطات ولكن القطار في طريقه للمدينة وسوف يصل في الوقـت المناسب وسوف تقبض هذا المبلغ .

إذاً : "إن الله لا يغْفر أَنْ يشْرك بِه ويغْفر ما دون ذَلِك لِمنْ يشَاء ومنْ يشْرِكْ بِاللـه فَقَدْ افْتَرى إِثْما عظيما " لكن هناك غلطة لا تُغتفر كأن تتجه إلى قطار خط سيره باتجاه معاكس ولا يوصلك إلى هذه المدينة المطلوبة ، أو قطار متوقف لا علاقة له بالحركة إطلاقـاً ، هنـا المشكلة فالشرك بالله خطير ، فلماذا خطير؟ لأنك تتجه لِما سوى الله عز وجل ، وما سـوى الله لن يغني عنك شيئاً ن فلماذا الإيمان إذاً عظيم ؟ لأنك تتجه لمن بيده كل شيء .

إذاً : إذا أردتم أعزائي القراء الكرام التفصيل ففصلوا ، و إذا أردتم الإيجاز فأوجزوا الإيجاز " لا معبود بحق إلا الله " ، لا يستحق أحد أن تعبده إلا الله ولا إله إلا الله نهايةُ العلم ، وطاعتُه نهايةُ العمل :

عنْ أَنَس بْن مالِك أَن رسولَ الله صلى اللهم عليْه وسلم قَالَ منْ قَالَ حين يصْبِح أَوْ يمْسي اللهم إِني أَصْبحْتُ أُشْهدك وأُشْهد حملةَ عرْشك وملائِكَتَك وجميع خَلْقك أَنك أَنْتَ الله لا إِله إِلا أَنْتَ وأَن محمدا عبْدك ورسولُك أَعْتَقَ الله ربعه من النارِ فَمنْ قَالها مرتيْن أَعْتَقَ الله نصْفَه ومنْ قَالها ثَلاثًا أَعْتَقَ الله ثَلاثَةَ أَرْباعه فَإِنْ قَالها أَرْبعا أَعْتَقَه الله من النار *

(رواه أبو داود)

" ما من عبد يقول أربع مرات اللهم إني أُشهدك وكفى بك شـهيدا وأُشـهد حملـة عرشـك وملائكتك وجميع خلقك وإني أشهد أنك لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك وأشهد أن محمداً عبدك ورسولك إلا كتب الله له به عتقاً من النار "

ينقذه من النار، في الحقيقة بالعصور الأخيرة صرت تسمع كلاماً ليس له معنـى ، وصارت هناك شهادات مزورة ، أما في الأصل حينما تشهد أنه لا إله إلا الله فهذا تراه رؤية حق وتؤمن إيمان صدق به وعندئذ تُطبق أمرالله عز وجل ، وإذا كان آخر الزمان لـم يكـن لشيء من طاعة الناس فضل كفضل لا إله إلا الله لأن صلاتهم وصيامهم يشوبها أنواع مـن الرياء والسمعة ولا إخلاص في شيء منها ، أما كلمة لا إله إلا الله فهي ذكر الله والمـؤمن لا يذكرها إلا من صميم قلبه ، هذه من فوائد لا إله إلا الله والحقيقة أن الإنسان كي ينال شـهادة علمية فلابد من أن يبذل جهداً ملموساً ولذلك ، فالكي يتحقق من هذه الكلمة فلابد من بذل جهد

وعناء فإنسان بدون جهد ومن دون تضحية بجزء من وقته الثمين ومن دون متابعة و تأمـل وبحث فلن يصل إلى الإيمان بهذه الكلمة وإن لم يؤمن بها حقاً فعمله مشوب بالشرك :

قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ
وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ
أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ
ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾

(سورة التوبة)

فالإنسان متى يعصي الله عز وجل؟ إذا رأيت شيئا دون رضاه هو أثمن من رضاه ، فمثلاً من يقول (الله أكبر) ويعصي ربه كأن أطاع زوجته وعصى ربـه فرؤيتـه القلبيـة أن رضاها أثمن من رضى الله عز وجل ، حينما تُؤْثر شيئاً مما سوى الله على طاعة الله فأنـت ترى هذا الشيء أكبر من الله لأنك جعلت إرضاء الله في الدرجة الثانيـة ، وإرضـاء هـذا الشخص عندك أحق وأولى ، فكلما تحقق الإنسان من كلمـة لا إلـه إلا الله انضـبط عملـه واستقامت رؤيته وصحت .

كلمةُ التوحيد هذه ، هي شعار الإسلام ، وهذه الكلمة التي يقولها الإنسان إذا دخل في الإسلام (لا إله إلا الله محمد رسول الله) فيها التوحيد والإيمان بالرسالة ثم الطاعـة والإيمـان بأنه لا إله إلا الله والإيمان برسالة النبي صلى الله عليه وسلم ثم عبادة الله من خلال طاعة الله ورسوله ثم يستقيم على ذلك ما عاش ، فهذا هو الدين .

بقيت لدينا في البحث نقطة ذات بعد عملي تتلخص في السؤال التالي :

إذا رأيت المستقيم قد أكرمه الله ورأيت المرابي محقَه الله ورأيت المنحرف المعتـدي دمره الله وإذا رأيت أن هناك أفعالاً مؤداها العدالة فهذا شيء يمكن أن يرسخ إيمانك(بلا إلـه إلا الله) فإيماننا يزداد بهذه الكلمة عن طريق التفكر في الكون أولاً وعن طريق تدبر آيات الله ثانياً وعن طريق النظر في أفعال الله ثالثاً .

إلا أن التحفظ في آخر هذا البحث هو : أن الله سبحانه وتعالى جعل الدنيا دار عمل وجعل الآخرة دار جزاء ، أما إذا جازى المسيء في الدنيا فهذا جزاء ردعي لبقية المسـيئين وإذا أكرم المحسن فهذا إكرام تشجيعي لبقية المحسنين لكن الحساب الكامل نجده في قـول الله تبارك وتعالى

كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ
عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ

﴿١٨٥﴾

(سورة آل عمران)

والحمد لله رب العالمين

الدرس ٣٤ - اسم الله : "النور"

بسم الله الرحمن الرحيم

مع الاسم الرابع والثلاثين من أسماء الله الحسنى ، والاسم هو **النور** ، **النـور** مـن أسماء الله الحسنى التي وردت في أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الصحيحة .

في اللغة **النور** هو الضوء أياً كان ، لا نحب أن ندخل في تفسير **النور** العلمي الذي يعني :" إشعاع "، تفاعل في بنية الذرة ، موجات تخرج من الذرة إلى الفضـاء ، وكيـف أن الجسم إذا سار بسرعة الضوء أصبحت كتلته صفراً وحجمه لا نهائي ، هذه موضوعات فـي الفيزياء لها مجال آخر.

على كُلٍ في اللغة **النـور** هو الضوء أياً كان أو شعاعه ، موجاته أو سطوعه ، تألقّه ، هناك موجات لا تُرى بالعين ، **النور** هو الضياء والسناء الذي يعين على الإبصـار، أنـتم موجودون ولكم أعين ولكن هذه الأعين لا قيمة لها من دون هذا الضوء الذي يعد وسيطاً بينكم وبين المرئيات ، **النور** والضياء والسناء الذي يعين على الإبصار.

النور نوعان : دنيوي وأخروي .

الدنيوي نوعان : ١- معقول بعين البصيرة .

٢- محسوس بعين البصر.

معقول بعين البصيرة : أحياناً تكون الفكرةُ الواضـحةُ أو الأسـلوب الـذي تَعلمـه الإنسان في حل المشكلات ، يعد نوراً مجازياً ، أحيانا يعاني إنسان من مشكلة في آلة وعنـده خبرة ، يجعل هذا الشيء مكان هذا الشيء ويصل هذا الشيء بهذا الشيء فتعمل هذه الآلـة ، هذه الخبرة التي يملكها ، أو هذا الأسلوب الجاهز في حل هذه المشكلة يمكن أن نسميه نوراً .

ف**النور** نوعان : نور معقول بعين البصيرة ، قد يواجه الإنسان مشكلة لا يسـتطيع أن يفعل شيئاً إزاءها كأنه في ظلام ثم تلمع في ذهنه فكرة فتُحل تلك المشكلة بهذه الفكرة ، - فالفكْر محاكمة ، حكم استنباط استدلال - فتُحل له المشكلة فإذا شـبهناها ب**النـور** فالتشـبيه صحيح ، ف**النور** معقول بعين البصيرة ، ومحسوس بعين البصر ، من هنا قالوا العلم نـور، العلم يحرسك وأنت تحرس المال والمال تنقصه النفقة والعلم يزكو على الإنفاق .

العقل نور ، القرآن الكريم نور، أوضح مثلٍ قارورة تحوي مادة كيميائيـة أنـت لا تعرف هذه المادة ، يا ترى أهي مادة تلتهب !؟ تنفجر ! سامة ! مادة مؤذية ! نافعة ! مخدرة !

مسلطنة ! مادة في قارورة إذا كُتب على هذه القارورة لُصاقة كلور الصديوم هذه الكلمة كأنها نور كأن شيئاً لا تراه سلّطت عليه ضوءاً فعرفته كذلك هذه اللُصاقة نـور ،ف**النـور** مـادة : محسوس ؛ معنوي ؛ معقول .

المحسوس كنور القمر وضوء الشمس ، ومن **النور** المعقول قوله تعالى :

يَـٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَـٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَـٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَـٰبٞ مُّبِينٞ ١٥

(سورة المائدة)

" قد جاءكم من الله نور " الإنسان خُلق في الأرض لماذا خُلق؟ ماذا ينبغي أن يفعل ؟ أيأكل ويشرب وينام وانتهى الأمر ؟!، أم عليه مهمة لا يعرفها ؟ متى يموت ؟ لماذا يمـوت ؟ لماذا يعيش ؟ يحسن ، يسيء يصدق يكذب ، يؤتَمن يخون ماذا يفعل ؟ يأتيه كتـاب مـن الله يقول له أنت خُلقت لجنة عرضها السماوات والأرض أنت خُلقت في الدنيا لتعمل عملاً صالحا يدخلك الجنة ، أنت لا يسعدك إلا أن تتصل بالله عز وجل ، لا تَسـلم إلا إذا أطعـت الله ، لا تسعد إلا بِقُرب الله ، الله الذي خلق السماوات والأرض هو إله عظيم ، رب كـريم ، سـميع بصير، عليم قوي ، مجيب ، هذا القرآن عرفك بالله ، عرفك بالكون ، عرفك بحقيقة الحيـاة ، عرفك بحقيقة الإنسان ، قال لك افعل ولا تفعل ، بين لك الحلال والحرام، الخير والشر، الحق والباطل ، ما ينبغي وما لا ينبغي ، نشأةُ العالَم ومصير العالَم ، تـاريخ الأمـم والشـعوب ، قصص الأنبياء ، مشاهد يوم القيامة . **النور** للمؤمن يورثه راحة لا يعرفها غيره إطلاقاً ، كل الأمور واضحة عنده جلية ، كل شيء واضح ، يعرف أن لهذا الكون خالقاً ويعرف أن لهـذا الكون مربياً ولهذا الكون مسيراً ، وأن الله موجود وواحد وكامل وأن أسماءه كلهـا حسـنى ، وأن صفاته كلها فُضلى ، وأن الله عز وجل سميع قريب ، مجيـب رحـيم ، ودود ، الـدنيا مزرعة الآخرة ، الإنسان يسعد بطاعة الله يشقى بمعصية الله هذا الكتاب الذي بين أيدينا يقـدم لنا راحة لا تُعد ولا تُحصى لا تُوصف ، راحة التوازن ، أحيانا يعتري الإنسان غموض فيبقى في قلق منه فإذا اتضح تبدد القلق ، فالله سبحانه وتعالى يقول :

قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَـٰبٌ مُّبِينٌ

﴿١٥﴾

(سورة المائدة)

هذا الكتاب هو **النـور** ،أحيانا تشتري آلة ولها تعليمات مثلا اضغط علـى المفتـاح يحدث كذا ثم الثاني ثم الثالث فتظهر على الشاشة هذه الكلمة ، افعل كذا افعل كـذا ، كأنـك تمشي على طريق واضح مستقيم ، فذلك القرآن الكريم نور ، ومن **النـور** المحسـوس ذاك ، و**النور** المعقول القرآن الكريم فهو نور معقول، فمن المحسوس كما علمت قوله تعالى :

هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ يُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥﴾

(سورة يونس)

" جعل الشمس ضياء والقمر نوراً " والإنسان قد يقف عند الشـمس قلـيلاً ، يقـدر علماء الفلك أن عمر الشمس لا يقل عن خمسة آلاف مليون عام وأنها لن تنطفئ قبل خمسـة آلاف مليون عام وأنها تُصدر من الطاقة الحرارية والضوئية ما لا سبيل إلى وصفها ، فبيننـا وبين الشمس مئة وستة وخمسون مليون كيلو متر ومع ذلك لا تستطيع أن تتعـرض لأشـعة الشمس طويلا في الصيف فكيف أشعتها هناك ؟، لِسان اللهب لا يقل عن مليون كيلـو متـر، الحرارة ستة آلاف درجة على سطحها ، بينما في مركزها عشرون مليون درجة هذه تتسـع لمليون وثلاث مئة ألف أرض من حجم أرض هذا جوفها ، كنت أذكر دائمـا أن فـي بـرج العقرب نجماً أحمر اللون اسمه قلب العقرب يتسع للشمس والأرض مع المسافة بينهما :

هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا

(سورة يونس آية 5)

من أبدع أصل **النور** ؟ الله عز وجل . إن **النور** تفاعل يجري في مادة فـي بنيتهـا النووية ، هذا التفاعل ينتج موجات ، هذا **النور** ينتشر ، هل له وزن ؟ ليس له وزن ، حجمـه

لا نهائي كتلته صفر، بل إن بعض علماء الفيزياء يقولون إن أي جسم لو سار بسرعة الضوء ، الضوء سرعته ثلاثمائة ألف كيلو متر بالثانية ، أي جسم لو أتينا بكتلة حديـد اسـتطعنا أن نقذفها بسرعة الضوء فتصبح نوراً وكتلتها صفر وحجمها لا نهائي ، موضوع **النور** يحتـاج لجلسات علمية خاصة .

على كلِ **النور** المحسوس كضوء الشمس والقمر فنورهما نور محسوس ، والقـرآن الذي فيه تعليمات الصانع نور معقول ، التعليمات النظرية نور ، البيان نور ، الدليل نـور ، التفصيل نور ، التوجيهات نور، الإمام الغزالي رحمه الله له تفسير عميق للنور : فهو يعرف **النور** في حق الله تعالى بأنه ظاهر ، **النور** شيء ظاهر ، أحياناً ضوء صغير جداً ضئيل جداً في الظلام الدامس يكون ظاهراً جداً ، بعض الآلات نقطة مضيئة واضحة من بعد ، ف**النـور** الشيء الظاهر. أما أي شيء ليس له إشعاع ليس ظاهراً ، أحيانا يقود الإنسان سيارته بالليـل يصدر ضوءاً بعيداً ، يرى نُقاط مضيئة هذه بعض الحيوانات ف**النور** الشيء الظاهر، يقـول الإمام الغزالي " هو الظاهر الذي به كل ظهور ، ظاهر مظهر " لعل **النـور** الخـافض جـداً ظاهر لكنه ليس مظهر ، أحيانا قطعة فحم متأججة واضحة لكن هذه القطعة المتأججة لا تنيـر غرفة ، أما مصباح كهربائي ينير غرفة .

فالإمام الغزالي يقول : **النور** هو الشيء الظاهر الذي به كل ظهور، ف**النور** هـو الشيء الظاهر في نفسه المظهر لغيره ، مصباح تُسلطه على مكانٍ فترى السـجاد والكُرسـي والقلم والورقة والمحبرة والمسجلة فهذا المصباح أظهر غَيره ، ثم يقول هذا الإمـام : العـدم ظلام والحادث نور ، الشيء الموجود نور ، والمعدوم ظلام ،هذا معنى أعمق .

من لوازم الشيء الموجود أنه ظاهر منير من لوازم الشيء المعدوم أنه مختف ، قال : مهما قوبِل الوجود بالعدم كان الظهور علامة الوجود والخفاء علامة العدم ، إذا قابلنا الوجود بالعدم كان الظهور علامة الوجود والخفاء علامة العدم ، وقال : ولا ظلام أظلم من العـدم ، فالبريء عن ظلمة العدم بل عن إمكان العدم المظهر ِلكُلّ الأشياء من ظلمة العدم إلـى نـور الوجود يسمى نوراً ؛ وهو الله المنزه عن ظلمة العدم ، بل عن إمكان العدم ، الظاهر لنفسـه المظهر لغيره من ظلمة العدم إلى نور الوجود يسمى نوراً وهو الله عز وجل وهو معنى قوله تعالى :

۞ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشۡكَوٰةٖ فِيهَا مِصۡبَاحٌۖ ٱلۡمِصۡبَاحُ فِي زُجَاجَةٍۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوۡكَبٞ دُرِّيّٞ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٖ مُّبَٰرَكَةٖ زَيۡتُونَةٖ لَّا شَرۡقِيَّةٖ وَلَا غَرۡبِيَّةٖ يَكَادُ زَيۡتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوۡ لَمۡ تَمۡسَسۡهُ نَارٞۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٖۗ يَهۡدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَٰلَ لِلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ٣٥

(سورة النور)

" الله نور السماوات " ظاهر بذاته مظهر لغيره ظاهر بذاته منزه عن العدم ، بل عن إمكان العدم ، مظهر غيره من ظُلمة العدم إلى ظُلمة الوجود ، إن الذات الظاهرة المظهرة هي **النـور** وهي الله عز وجل والوجود نور فائض على الأشياء كلها من نورِ ذاته ، إذاً هو نـور السماوات والأرض .

الإمام ابن عباس رحمه الله تعالى يقول : **النور** الهادي الرشيد الذي يرشد بهدايتـه من يشاء فيبين له الحق ويلهمه اتباعه ، هناك أشياء عويصة جداً يأتي مخترع فيعمـل ذهنـه سنوات طويلة وفجأة تلمع أمامه فكرة جديدة ، هذه الفكرة التي لمعت أمامه في رأي أهل الدين من إلهام الله عز وجل لأن الله نور قذف في قلبه وذهنه هذه الحقيقة فالتَمعتْ فسمي عند الناس مكتشفاً أو مخترعاً ، وفي الحقيقة لقد تلقّى هذه الومضة من الله عز وجل .فالاختراع إذًا بارقة .

حدثني صديق عما يسمى بزرع الأسنان ، جسم الإنسان كما تعلمون يرفض الأجسام الغريبة . مرةً وضع عالم ملقطًا من معدن معين على قطعة عظم ونسيه في المخبر ، بعد حين التأم العظم حول المعدن فانتبه هذا العالم إلى أن هذا المعدن يمكن أن يدخل في فك الإنسـان ويلتئم النسيج العظمي حوله هذه بارقة ، فلقد أمكن الآن زراعة الأسنان بأن نضع وتَداً ضمن الفك فنبني عليه سناً فهذا إذاً بارقة ، نظر هذا العالم إلى هذا الملقط وقد وضع علـى قطعـة عظم بعد حين نما العظم عليه ، لذا يقولون : إن الاختراع أو الإبداع قفزة في المجهول ، لمعة في الذهن ، إلهام من الله عز وجل والدليل كما قال الله عز وجل :

وَمَا عَلَّمۡنَٰهُ ٱلشِّعۡرَ وَمَا يَنۢبَغِي لَهُۥٓۚ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ وَقُرۡءَانٞ مُّبِينٞ ٦٩

(سورة يس)

" وما علمناه الشعر وما ينبغي له " نفى عن نبيه الشعر بالمعنى المخـالف مـن أن الذين يبدعون الشعر يلهمون من الله عز وجل معنى ذلك أن كُل اختراع وكُل اكتشاف هو في الحقيقة إلقاء من الله عز وجل في ذهن هذا العالم كبارقة أو ومضة إلاّ أن هذا الإلقاء يحتـاج إلى ثمن ، الثمن هو الصدق في البحث ، لذلك قال بعض العلماء العبقرية تسعة بالمئـة منهـا جهد وعرق وواحد بالمئة إلهام ، فثمن هذه البارقة ثمن هذه الومضة ثمن هذه الفكرة الرائعـة ثمن هذا الاكتشاف هو البحث الدؤوب ، فالبحث الدؤوب هو ثمن هذا الاختراع .

وهذا ينتهي بنا إلى معنى آخر، هو معنى الصدق . الله عز وجـل لا يتعامـل مـع الناس بتمنياتهم ولكن يتعامل بصدقهم وإخلاصهم ، قال بعض العلماء : " **النور** هو الهـادي " لو أن إنساناً أضاع إبرة في الليل ولا يوجد ضوء فلن يراها في الليل أما في النهـار فسـوف يراها لأنه اهتدى بنور الشمس ، إذا اهتديت إلى حقيقة الإنسان وإلى سر وجوده وإلى غايـة وجوده فمن الذي هداك ؟ هو الله ، إذاً الله نور وهو الهادي لا يعلم العباد إلا ما علمهم الله عز وجل ولا يدركون إلا ما يسر الله لهم إدراكه ، فالحواس والعقل ، وفطرته ، وخلقه ، وعطيته . **النور** هو الظاهر الذي ظهر به كل ظهور ، فإن الظاهر في ذاته المظهر لغيره يسمى نوراً وهو الله عز وجل.

قال بعض العارفين : " **النور** هو الذي نور المعالم فأوجدها من العدم" ، فنقلُ الشيء من العدم إلى الوجود نور ، وخصصها بتلك المواهب في حضرة القدم ، الشيء له خصائص كُل نبات ، كُل حيوان ، كُل جماد ، كل المعادن ؛ لها خصائص ، الله عز وجل الذي أبـدعها من عدم وأظهرها إلى حيز الوجود وأعطاها خصائِصها :

قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا

يَـٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَىۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾

(سورة طه)

الذهب مثلا لا يتأثر بكُل العوامل المحيطة به لا بماء ولا بملوحة ولا برطوبـة ولا يتأكسد ولا يتأثر، أنا قرأت مقالة عن سفينة غَرِقَتْ قبل مئة وعشرين عاماً ، وعليهـا خمسـة أطنان من الذهب استطاعوا أن يصلوا إليهـا الآن وأن يسـتخرجوا تلـك السـبائك ، ولمـا استخرجت هذه السبائك صدقوني أيها الإخوة فكأنها صبت الآن ، مئة وعشرون سنة في قـاع البحر والذهب هو هو لم يتأثر، الله عز وجل أعطى الـذهب خصـائص، أعطـى الألمـاس خصائص ، أعطى الفضة خصائص ، أعطى الرصاص خصائص ، أعطى الحديد خصـائص

، هناك شيء جديد ، ب**النور** أظهر وخَصص . الحديد لا يصهر إلا في ألف وخمسمئة درجة ، بينما الرصاص يصهر في مئة درجة على موقد عادي ينصهر معدن الرصاص فكُل معـدن ظهر وخُصص نُقلَ من العدم إلى الوجود فأُعطي خصائصه ، و**النور** هو الذي نور الموجـود الظاهر بالشمس والكواكب ، ونور عالم الأرواح برسول الله صلى الله عليه وسـلم ، العـوام يقولون والحق معهم : هذه جلسة فيها نور فيها سرور فيها تجل ، أحياناً تجد إنساناً موصـولاً بالله عز وجل تشعر بأُنسٍ معه وبسرور كأنه ينعشُك ، هذا نور الله عز وجل ، الله عز وجـل خلق نوراً محسوساً نور الشمس والقمر وفي الليل عندنا إضاءة اصطناعية لكنه إذا تجلّى على قلب الإنسان تألّق هذا القلب ، طبعاً هناك آيات ، وأدعوك ألا تقبلْ مني شيئاً ما بدون دليل :

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا وَيُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٢٩﴾

(سورة الأنفال)

وقال تعالى :

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤۡتِكُمۡ كِفۡلَيۡنِ مِن رَّحۡمَتِهِۦ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ نُورٗا تَمۡشُونَ بِهِۦ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٢٨﴾

(سورة الحديد)

فإذا طلبت مني أن أضغط الدين كله في كلمة قلت : المؤمن ذو نور والكافر أعمـى قال الله :

نُورُهُمۡ يَسۡعَىٰ بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَبِأَيۡمَـٰنِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتۡمِمۡ لَنَا نُورَنَا وَٱغۡفِرۡ لَنَآۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٨﴾

(سورة التحريم)

أما هؤلاء الكفار فهم في ظلمات بعضها فوق بعض ، إذا أخرج يده لم يكد يراهـا، فالكافر في ظلام :

وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ﴿١٢٤﴾

(سورة طه)

ما كنتَ أعمى العينين في الدنيا ؛ فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التـي في الصدور ، نور القلوب برسول الله صلى الله عليه وسلم لذلك :

خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيۡهِمۡۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٞ لَّهُمۡۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾

(سورة التوبة)

الذي شعر به أصحاب رسول الله من رسول الله شيء لا يوصف كانوا إذا جلسـوا معه ارتاحت قلوبهم واطمأنت نفوسهم وكأنهم في جنة حتى إن بعض الصحابة رآه الصـديق يبكي - اسمه حنظلة - قال له يا حنظلة ما لك تبكي ؟ إذا كنا مع رسول الله فـنحن والجنـة كهاتين وأشار بأصبعيه السبابة والوسطى مقترنتين قال له : فإذا عدنا إلـى بيوتنـا وعافسـنا الأهل ننسى النبي صلى الله عليه وسلم فقال عليه الصلاة والسلام لما رفع الخبر إليه :

" نحن معاشر الأنبياء تنام أعيننا ولا تنام قلوبنا "

عن أبِي عثْمان عن حنْظَلَةَ قَالَ كُنا مع رسول الله صلى الله علَيه وسلم فَذَكرنَا الْجنةَ والنـار حتى كأنَا رأْي عينٍ فَقُمتُ إِلَى أَهلي فَضحكْتُ ولَعبتُ مع أَهلي وولَدي فَذَكرتُ ما كُنْـتُ عنْـد رسول الله صلى الله علَيه وسلم فَخَرجتُ فَلَقيتُ أَبا بكْرٍ فَقُلْتُ يا أَبا بكْرٍ نَافَقَ حنْظَلَةُ قَالَ ومـا ذَاك قُلْتُ كُنا عنْد رسول الله صلى الله علَيه وسلم فَذَكرنَا الْجنةَ والنار حتى كأَنَـا رأْي عـينٍ فَذَهبتُ إِلَى أَهلي فَضحكْتُ ولَعبتُ مع ولَدي وأَهلي فَقَالَ إِنا لَنَفْعلُ ذَاك قَالَ فَذَهبتُ إِلَى النبِـي صلى الله علَيه وسلم فَذَكرتُ ذَلِك لَه فَقَالَ يا حنْظَلَةُ لَو كُنْتُم تَكُونُون في بيوتكُم كَمـا تَكُونُـون عنْدي لَصافَحتْكُم الْملاَئِكَةُ وأَنْتُم علَى فُرشكُم وفِي الطرق . يا حنْظَلَةُ ساعةً وساعةً *

[رواه ابن سعد]

فالله نور إن اتصلت به أخذت من نوره المعنوي شعرت براحة، لك رؤية صحيحة ، الأمر كله ؛ أن إنساناً مؤمنا يرى رؤية صحيحة وإنساناً كافرا أعمى ، فالأعمى فـي متاهـة

والذي يرى رؤية صحيحة يتحرك على هدى من ربه ، قال العلماء : نور الله عـالم الأرواح برسول الله صلى الله عليه وسلم ونور القلوب بأنواع الكتب ، و نور العارفين بأنوار التجليات ، **النور** هو الذي نور قلوب الصادقين بتوحيدهم و نور أسرار المحبين بتأييده ، وقيـل : هـو الذي حسن الأبشار بالتصوير فأعطاك شكلاً جميلاً والأسرار بالتنوير ، وقيل : هو الذي أحيا قلوب العارفين بنور معرفته و أحيا نفوس العابدين بنور عبادته ، وقيل : هـو الـذي يهـدي القلوب إلى إيثار الحق واصطفائه ويهدي الأسرار إلى مناجاته واجتبائه قال الله :

﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشۡكَوٰةٖ فِيهَا مِصۡبَاحٌۖ ٱلۡمِصۡبَاحُ فِي زُجَاجَةٍۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوۡكَبٞ دُرِّيّٞ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٖ مُّبَٰرَكَةٖ زَيۡتُونَةٖ لَّا شَرۡقِيَّةٖ وَلَا غَرۡبِيَّةٖ يَكَادُ زَيۡتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوۡ لَمۡ تَمۡسَسۡهُ نَارٞۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٖۗ يَهۡدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَٰلَ لِلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ٣٥﴾

(سورة النور)

المشكاة : كُوةٌ في الجدار ، فيها مصباح ، المشكاة هي الصبر والمصباح هو القلب ؛ لا قلب الجسد بل قلب النفس :

﴿أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَتَكُونَ لَهُمۡ قُلُوبٞ يَعۡقِلُونَ بِهَآ أَوۡ ءَاذَانٞ يَسۡمَعُونَ بِهَاۖ فَإِنَّهَا لَا تَعۡمَى ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَلَٰكِن تَعۡمَى ٱلۡقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ ٤٦﴾

(سورة الحج)

" المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب دري " ، أرجو الله سبحانه وتعـالى أن ينور قلوبنا بنوره ، المؤمن رؤيته واضحة تماماً مرتاح من أي مشكلة يحسن التصرف ، يملك زمام الأمر ، ينظر بنورٍ ساطع يكشف دقائق الأمور ملابسات الحوادث ، يقف الموقف السليم ، ينطق بالكلمة المناسبة ، يفعل الفعل المناسب ، مرتاح ويريح الآخرين ، الإنسان إذا كان في

عمى أساء التصرف ، أساء الكلام وأساء الحركة وأساء الموقف ، يتخبط خبطـةَ عشـواء ، وهذا كله واضح .

قال بعض العارفين : " **النور** معناه الظاهر في نفسه ، بوجوده الذي لا يقبل العدم ، المظهر لغيره بإخراجه من ظلمة العدم إلى نور الوجود ، وجوده سبحانه وتعالى نور فـائض على الأشياء كلها وهو الذي مد جميع المخلوقات بالأنوار الحسية والمعنوية ، فعينـك تحتـاج إلى نور حسي وقلبك يحتاج إلى نور الوحي .

أيها الإخوة القراء الكرام : لقد وصلنا إلى موضوع أنا أعده من أخطر الموضوعات ، فأنت لك عين ترى بها الأشياء ولك عقلٌ تُدرك به الحقائق ، فإذا قُلت لك المعـادن تتمـدد بالحرارة، فأنت ترى ميزان الزئبق، ضع يدك عليه فالخط يرتفع وترى بعينك أن هذا المعدن الرجراج الزئبقي يتمدد بالحرارة لكن تقول : رأيت العلم نافعاً فكيف ترى العلـم ؟ لا يـرى بالعين لكن ترى إنساناً متعلماً متزناً يحسن التصرف حكيماً سعيدا في بيتـه يحسـن معاملـة زوجته ، يحسن كسب المال ، يحسن معاملة الناس ، مورده المالي حلال ، تراه صادقاً أمينـاً محبوباً معززاً مبجلاً ، لأنه متعلّم ، لأنه حصل علماً دينياً ، لأنه عرفَ الله عز وجل فهو في سعادة ، فتقول إذًا رأيت العلم نافعاً ، أما إن رأيت معدن الزئبق يتمدد فهذه رؤية حسية ، أمـا رأيت العلم نافعاً فهذه رؤية قلبية .

لذلك رأى نوعان : القلبية تتعدى إلى مفعولين والحسية تتعدى إلى مفعول واحـد ، رأيت الشمس ساطعةً ، ماذا تُعرب كلمة ساطعةً ؟ حال ، رأيت العلم نافعاً مفعول به ثانٍ لأن رأى القلبية تنصب مفعولين بينما رأى البصرية تنصب مفعولاً به واحداً والاسـم المنصـوب الثاني يعد حالاً ، فالرؤية الحسية أساسها ضوء الشمس أوالقمر أوالكهرباء ، والرؤية العقليـة المعنوية أساسها نور الله عز وجل .

شكوت إلى وكيع سوء حفظي فأرشدني إلى ترك المعاصي
وأنبأني بأن العلم نـــور ونور الله لا يهدى لعـاص

إذاً أنت بحاجة لنور الشمس لترى عينك الأشياء وأنت بحاجة لنور الله ليعرف عقلك حقائق الأشياء ماذا نستنبط من هذا ؟ أن الإنسان مهما كان ذكياً ، مهما كان عبقريـاً ، مهمـا كان ألمعياً ، إن لم يستعن بنور الله فهو في عمى ، لذلك تجد بعض الناس وهـم فـي أعلـى درجات الذكاء يرتكبون حماقات لا توصف ، والإمام القشيري يرى أن الله تعالى سمى نفسـه نوراً لأن منه **النور** ، هو منور الآفاق بالنجوم والأنوار ومنور الأبدان بآثار العبادات ومنـور القلوب بالدلائل والحجج .

سبحان الله ، فإذا اتصل الإنسان بالله تجد على وجهه نوراً وقد يكون ملوناً ، لكـن يوجد نور في وجهه ، ف**النور** الذي في وجه الإنسان - سيماهم في وجوههم من أثر السجود - بعضهم يفهم أن في جبهته أثر . لا ، ثُم لا -كان النبي عليه الصلاة والسـلام لـه وجـه كالشمس ، وتَصف بعض الأحاديث الشريفة أن الواحدة من الحور العين لو أطلت على أهـل الأرض لغَلَب نور وجهها ضوء الشمس والقمر . ثم ها نحن قد انتهينا إلى معنى ثالث وهـي أن العبادة تُكسب الوجه نوراً لذلك

وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾

(سورة القيامة)

وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ ﴿٤٢﴾

(سورة عبس)

إذاً العبادات تنور الوجه .

قالوا الطاعة هي زينة النفوس والأشباح ، والمعارف زينة القلـوب والأرواح ، والله عز وجل يزيد قلب المؤمن نوراً على نور يؤيده بنور البرهان ثم يؤيده بنور العرفـان قـال تعالى :

نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ ۗ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾

(سورة النور)

لتعلم أيها الأخ الكريم أن هناك برهانًا بيانيا كما أن هناك عرفانًا إشراقيا ، أنت ممكـن أن تعرف أن هذه المادة كلور الصديوم من لصاقة، لكن هناك من يعرف هذه المادة من دون لُصاقة ، هذه أرقى وأدق هناك إنسان علْمه أعمق يعرف كل خصائصها وكل مؤداها ، هنـاك نور إشراقي ونور بياني وقال بعضهم : الله جلّ جلاله يهدي القلـوب بنـوره إلـى محاسـن الأخلاق ليؤْثر العبد الحق ويدع الباطل .

إن للنور معاني كثيرة ، ومن معاني **النور** الفرعية نور العلم والمعرفة ؛ وهو انبلاج الحقيقة لنور المؤمن ، لذلك عندنا في اللغة ظاهرة تُسمى الاشتقاق . فكما تعلمون أن في اللغة اسم وفعل ، والفعل ماضٍ ومضارع وأمر والاسم : اسم ذات واسم معنى واسم الذات : هـو أسماء الأشياء إنسان نبات حيوان جماد وأسماء المعاني هي المصادر ، لكن عندنا شيء اسمه اشتقاق كُبار . فمثلا كلمة : علم - عين لام ميم - إذا غيرت ترتيب هذه الحروف علم لمـع ملع أيضا عمل فهي ستة تقاليب كل هذه التقاليب الستة لابد من أن يكون لها قاسـم مشـترك بينها وهو الظهور بعد الخفاء علم لمع ملع قاسم مشترك بين كل التقاليب الثُلاثية هو الظهور بعد الخفاء هذا هو العلم ؛ إنه إشراقة معينة تشرق على قلوب مؤمنة .

إذًا هناك نور العلم والمعرفة وهو انبلاج الحقيقة إلى نور المؤمن العـارف كأنهـا مشهودة أمام عين اليقين كما يعبر أهل التصوف وقد ذُكر اسم **النور** منسوباً إلى الله تعالى في مواطن من كتاب الله وأشهرها قوله تعالى:

﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ

(سورة النور آية٣٥)

قال بعضهم نورها بالشمس والقمر ونور القلوب بالحقائق :

ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡ يَعۡدِلُونَ ١

(سورة الأنعام)

نورها بالشمس والقمر، هذا **النور** الحسي و نور قلوب المؤمنين بأنواره التي كشفت لهم الحقائق .

يقول الإمام ابن عباس رضي الله عنه : الله هادي أهل الأرض والسماوات . مثـل هداه في قلب المؤمن كما يكاد الزيت الصافي يضيء قبل أن تمسه النار فإذا مسته النار ازداد ضوءا على ضوء فيزداد نوراً على نور ، في سورة التوبة قال تعالى :

يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾

(سورة التوبة)

إذا أراد إنسان أن يقاوم الحق فكأنه أراد أن يطفىء نور الله عز وجل ، وفي سورة الزمر قال تعالى :

أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾

(سورة الزمر)

وفي السورة نفسها :

وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِا۟ىٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾

(سورة الزمر)

وفي سورة الصف :

يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾

(سورة الصف)

"مادة **النور**" وردت في كتاب الله في أكثر من أربعين مرة ، بعض العلماء يرى أن **النور** هو اسم الله الأعظم ، لكن يرد علينا سؤال وهو :

عن أبي هريرةَ عن النبي صلى الله عليه وسلم قالَ إن لله تسعةً وتسعين اسما من أحصاها دخَلَ الْجنةَ*

(رواه الترمذي)

من بين هذه الأسماء اسم الله الأعظم لكنه غير معروف وغير محدد بعضهم قـال : "رب العالمين " اسم الله الأعظم ، وبعضهم قال: "الرحمن " اسم الله الأعظم ، وبعضهم قـال:" الله " اسم الله الأعظم ، وبعضهم قال : " **النور** " اسم الله الأعظم ، لماذا لم يحدد ربنـا اسـمه العظيم ؟ من أجل أن تتعمق في كل أسمائه فيغلب على ظنك نتيجة المعالجـة والتعمـق فـي دراستها أن أحدها اسم الله الأعظم .

أيها القارئ الكريم :الإنسان يطلب العلم ليكون قلبه منوراً ، كـان عليـه الصـلاة والسلام يقول في دعائه :

عنْ داود بْنِ علي هو: ابْن عبْد الله بْن عباس، عنْ أبيه، عنْ جده ابْن عباس قالَ سمعْتُ نَبي الله صلى الله عليْه وسلام يقُولُ ليْلةً حين فَرغَ منْ صلاته : اللهم اجْعلْ لِي نُورا في قلْبي ونُورا في قبْري ونُورا منْ بـيْن يدي ونُورا منْ خَلْفي ونُورا عنْ يميني ونُورا عنْ شمالِي ونُورا منْ فَوْقي ونُورا منْ تَحْتي ونُورا في سمْعي ونُورا في بصري ونُورا في شَعْري ونُورا في بشَري ونُورا في لَحْمي ونُورا في دمي ونُورا فـي عظَـامي اللهم أَعْظمْ لِي نُورا وأَعْطني نُورا واجْعلْ لِي نُورا*

(رواه الترمذي)

إقبالُك على الله ، اتصالُك به ، دعاؤك له ، طاعتك إياه ، تُكسبك هذا **النور** وهذا **النور** من أثمن عطاءات الله عز وجل ، إنسان منور يرى الحقيقة أي أن قلبه منير ، كذلك شخص سمعه منور فإذا استمع إلى كلام ما ، فكأن عنده ميزانًا فيقول لك : هذا الكلام غلط وهذا صواب، بصره منور إذا نظر إلى الجبل يرى عظمة الله عز وجل بينما الكافر ينظر إلى أعلى جبل يرى مناسيبة جميلة جداً كي يتزحلق على الثلج ، لا يتعامل مع الأشياء إلا بالنفع ، أما المؤمن يتعامل معها بالمعرفة ، فإذا رأى نوراً إذْ في نظره عبرة ، إذا استمع قيم تقييماً صحيحاً ، فما كل شيء يسمعه يقبله ، إذا تحرك فإلى الخير، في يده نور إذا أعطى يعطي بالعدل ، في رجله نور إذا مشى مشى إلى طاعة الله عز وجل فمعنى **النور** أن يهديك إلى ما يرضي الله وثانياً : ويكون عندك ميزان ف**النور** ميزان وهدى .

ورد في بعض الأدعية : إلهي أنت **النور** ، والكُل في ظلام العدم ، وأنت الظاهر وليس في الحوادث تأثير في القدم ، أشرقْ على قلبي معنى اسمك **النور** ، فأشهد بنورك الحقائق وأتجمل بالمعارف ، وأدلهم على الرب الجواد إنك على كل شيء قدير وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم .

والحمد لله رب العالمين

الدرس ٣٥ - اسم الله : "الحفيظ"

بسم الله الرحمن الرحيم

مع الاسم الخامس والثلاثين من أسماء الله الحسنى ، والاسم هو **الحفـيظ** ، قبل أن نمضي في الحديث عن معناه اللغوي وعن آثاره في الآفاق وعن علاقته بالمؤمن لابد من مقدمة .

الإنسان كما تعلمون مفطور على حب وجوده ، وعلى سلامة وجـوده ، فكـم مـن التدابير التي يتخذها للحفاظ على ماله ، أو للحفاظ على صحته ، أو للحفاظ على أولاده ؟ يعني جزء كبير جداً من نشاط الإنسان في الدنيا في سبيل الحفاظ على وجوده أو على سلامة وجوده أو على دخله أو على صحته أو على مكتسباته أو على ما بيده ، فالحفاظ على الشيء لا يقـل عن تحصيله ، فأنت في الأصل تُحصل شيئاً وتُحافظ عليه ، فنشاط الحفاظ على ما أنت فيه لا يقل عن نشاط تحصيل هذا الذي بين يديك ، فالإنسان حينما يحاول أن يحافظ على حياتـه أو على سلامته أو على صحته أو على أولاده في حياته أو بعد مماته ، حينما يحاول الحفاظ على دخله وإنتاجه وعلى بيعه ومكانته وسمعته ، فهو يعمل وفق غرائزه ودوافعه .

أكرر أن نشاط الحفاظ على المكتبات لا يقل عن النشاط الذي يحصل به مـا تحـت يديه ، تُحصل هذا الدخل وتُحافظ عليه ، تُحصل هذه اللياقة البدنية وتُحافظ عليها ، تُحصل هذه السمعة وتُحافظ عليها ، بل إن نشاط المحافظة على الشيء ربما كان أكثر من نشاط تحصيله ، فالإنسان أحياناً يصل إلى مرتبة ومنصبٍ ويبذل أربعة أخماس وقته في الحفـاظ علـى هـذا المنصب وكأن هذا الحفاظ شُغلُه الشاغل ، لذلك فالإنسان حينما ينسى دور الله عـز وجـل أو حينما ينسى اسم الله **الحفيظ** أو حينما ينسى أن الله هوالحافظ أولاً و آخرا ، حينما يتجاهـل أن الحفظَ وحده بيد الله وأنه مهما كُنت ذكياً ، ومهما كنت أريباً ، ومهما كنت ذا خبرة عريقـة ، مهما أخذت من الاحتياطات ، مهما اتخذت من الأسباب ، مهما أقمت مـن السـدود ، مهمـا حصنت نفسك، إذا أراد الله بك شيئاً فلابد من أن يصل إليك ، فالحفاظ الحقيقي لا يكون بأخـذ الأسباب وحدها ، بل بأخذ الأسباب والاعتماد على الله عز وجل فكم من إنسان دمرت حياتـه من خطإٍ بسيط في صحته .

اليوم سمعت حادثة : إنسان مرض وكان مرضه معقولاً وليس خطيراً ، ليس مرضا عضالاً ، مرض علاجه ممكن وهناك أدويةٌ فعالةٌ في شفائه ، ذهب إلى صيدلي ، الصـيدلي غائب ومكانه موظف فأعطى الموظف لهذا المريض آخر ، و الدواء الموصوف يعالج أشد ، وذاك الدواء لأشد حالات اهتياج الأمعاء مغلف كي لا يؤدي إلى تخريش الجهاز الهضـمي ، فأعطي دواء مكان دواء وقيل له ضع الحبة تحت لسانك ، تفاقم هذا الأمر لدرجة أنه كـاد أن يودي بحياته. فأنت مهما كنت ذكياً وذهبت إلى صيدلي وأعطاك دواء استعملته ، فقد يخطـئ الصيدلي في تعيين الدواء فيسبب الدواء المغلوط مضاعفات للمرض .

فالإنسان فيه شيء فطري للحفاظ ، بدأت البحث بأن أكدت أن الإنسان مفطور على حب وجوده ، وهذا كلام واقعي وهناك كلام يقال للاستهلاك كلام يقال لغير ما أراد الله عـز وجل ، أما في الحقيقة أي إنسان على وجه الأرض مفطور على حب وجـوده وعلـى حـب سلامة وجوده وعلى كمال وجوده وعلى استمرار وجوده . جزء كبير كبير من نشاطه يبذلـه في الحفاظ على هذا المستوى إما على دخله أو على لياقته أو على صحته أو على مكانتـه أو على منصبه أو على سمعته أو على ما بيده .

وحينما يتجاهل اسم الله **الحفـيظ** ، وحينما يتجاهل اسم الله الحافظ فقد يقع في سـوء فعله :

قَالَ هَلۡ ءَامَنُكُمۡ عَلَيۡهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمۡ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبۡلُۖ فَٱللَّهُ خَيۡرٌ حَٰفِظٗاۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٦٤﴾

(سورة يوسف)

" فَالله خَير حافظًا "، حينما يأخذ الإنسان بأسباب الحفظ المادية وينسـى أن مسـبب الأسباب هو الله عز وجل ، حينما يأخذ بالأسباب المادية للحفظ ويأتيه بأس الله مـن حيـث لا يحتسب مما يجعل حياته كلها جحيماً لعلّة تُصيب جسده ، فمثلاً شخص حصلَ دكتوراه وتزوج امرأةً غربية تروق له وعاد بها إلى بلده ووصل إلى أرفع المناصب ثم فَقَـد بصـره فـزاره صديق له ، فقال له : والله يا فلان أتمنى ألاّ أحمل هذه الشهادة وألاّ أكون في هذا المنصـب وألاّ أكون متزوجاً وأن أقوم على قارعة الطريق أتكفف الناس وأن يرد الله إلي بصري !

" فَالله خَير حافظًا " ، الإنسان عرضةٌ لأخطار لا تنتهي في الـدنيا والوقـائع بـين أيديكم ، تجد إنسانا بأعلى درجات الذكاء ، لكن غلطة بسيطة مثل أن يكون السائق نائما وأنت

ماشٍ على اليمين فصدمته السيارة وأُصيب في عموده الفقري أدى إلى شللٍ كامل طول حياته فمن يحميه ويحفظه من الغوائل ؟ الله خير حافظا ، فلا بد من التوكل حقا .

أردت أن يكون الاسم في بحثي اليوم اسم **الحفيظ** لأبين أنه مهما أخذ الإنسان بأسباب الحفظ فقد يؤتى الحذر من مأمنه ، مثلاً كيف يحصن المال ؟ يجب أن يحصن المال لا بوضع أقفال والأقفال ذات الأرقام ...لا ، " حصنوا أموالكم بالزكاة " .

يجب أن تحفظ المال كما أرسل لك الله و بين الطريق لحفظه، وليس كما يصل إلى علمك من أساليب ، يعني أساليب معقدة جداً مبنية على التكنولوجيا وكذا .

أنا سمعت عن رجلٍ يعمل في الصياغة استورد صندوقَ حديد من إحدى قارات الأرض، و له مواصفات تحتاج إلى كُتيب لوصفها ، إلكترون على تصفيح على... ، واستطاع أُناس أن ينزلوا إلى دكانه بالليل وأن يثقبوا الصندوق من سقفه وأن يأخذوا كل ما فيه فقد اعتمد هو على هذا الصندوق في حفظ ماله ونسي الله تعالى ، طبعاً حفظ المال بند من بنود هذا البحث ، وهناك حفاظ على الصحة ...إلخ ، حينما ينسى اللهَ عز وجل ويأخذ بكل أسباب حفظ الصحة ويعتمد عليها يأتي عطَب غير متوقع ، أساساً هناك عشرات الأمراض بل مئات الأمراض حتى الآن لا تُعرف أسبابها ، يقال لك فقر دم غير مصنّع ، يعني معامل كريات الدم التي في نقي العظام توقفت فجأةً بلا سبب عن صنع كريات الدم ، الإنسان يحتاج كل أسبوع إلى ست مئة سنتمتر دم ما دان حيا أو يموت ، إن كل الذكاء والاحتياطات لا تُجدي مع هذا المرض ، وهذا المرض ليس له أسباب ، فلو أخذ الإنسان بكُل أسباب الصحة إلاّ أن هناك أمراضا ليس لها أسباب مادية

رأيت شخصاً دنياه في درجة خيالية ، ومع ذلك أصابه نمو زائد في دماغه ، وانتهىإلى موت عاجل ، فأنا أتمنى أن نستوعب جميعاً معنى اسم **الحفيظ** ، فما لم يتول اللهُ جل في علاه حفظَ صحتك وحفظ سمعتك وحفظ أهلك وحفظ مالك فالخطر ماثل ، أحيانا إبريق شاي يحركه طفل فيسكبه على وجهه ، فيصبح هذا الطفل مصدر شقاء لأمه وأبيه لمدة خمسين سنة ، أليس كذلك ؟ إبريق شاي غلطة بسيطة جداً تُدمر أُسرة ، فمهما حافظت على ما تملك ؛ من الأشياء المادية والمعنوية ، وتجاهلت اسم الله **الحفيظ** ، فاعتمادك على أسباب مادية اعتماد عجز و ضياع.

رويتُ قصةً مرات عديدة وها أنا ذا أعيدها ؛ شخص في أعلى درجات نجاحه الدنيوي، عدة مشاريع متنوعة في البلادة وأرباحها مذهلة في أعلى مستوى ، وصحته في غاية السلامة، وهو ذو مكانة اجتماعية وعلاقات رفيعة كما يقولون باللغة الدارجة : إيد طايبة وأعوان وأتباع وجيش من المنتفعين حوله ، مكانة و تعظيم وجاه وأرباح وكل ستة أشهر بأوربا بأجمل فنادقها ، حدث شيء قد لا يخطر على البال وهو أنه أراد أن يصلح قطعة

كهربائية ، فعامل الكهرباء قال له : سأضعها لك في مكان مرتفع فهي أجمل فأجازه في رفعها ، في اليوم التالي اضطُر أن يتعامل معها فصعد على الكرسي لعلُوها فانكسر الكرسي فوقـع على مقعدته فنقل إلى المستشفى حوالي ثمانية عشر كان في عداد الموتى وترك عشرين مليونًا بالعملة الصعبة ، فهذا دمرت حياته بأتفه الأسباب إذًا ، " حصنوا أموالكم بالزكاة " .

حصن نفسك من المصائب بالاستقامة . هناك نقطة دقيقة الدلالة جداً وهي : يـؤتى الحذر من مأمنه ، ومن آيات الله العظيمة ، أن طبيبا مختصا بالهضم والأم ومدروسـة عنـده بعمق وفهم ، فيها فليكون آيةً للناس ٌأصيب بقَرحة وما نجا منها ، بل أودت به ، هناك طبيب بأمريكا ذكرته من قبل مؤمن بالجري يوميا ، والجري نافع ورياضة ممتازة وجيدة ، وأنا معه بهذا ، يجري كل يوم ساعتين ، كتب مقالات وأجروا معه مقالات وكان يظن نفسه أنه آخـر إنسان يموت بالقلب ، فإذا مات كل من حوله فسيكون آخرهم ، لأنه يجري كل يوم ، وجعـل اعتماده على الجري دون الله تعالى فٌأصيب بنَوبة قاسية جداً وهو يجري ، فكان فيها حتفـه ، لقد أخطأ إذ وكّل أمره للجري و الرياضة وجعله بديل حفظ الله عز وجل وهذا لا يغني من الله شيئًا ، هنا دقّة العلم ممكن أن تجري وتلعب الرياضة وتنظم طعامك وتجتنب المواد الكيماوية ، يمكن أن تعتني بصحتك إلى أعلى درجة وهذا كله صحيح ، لكن لا يعني أن تنسى الله عـز وجل ، أن تنسى أن الله هو الحافظ . وملخص الملخص : اعقل و توكل .

و الحديث الشريف التالي فيه عبرة ناطقة : " أن يوم القيامة يقف رجلان أمـام رب العزة يقول لأحدهما:عبدي أعطيتك مالاً فماذا صنعت فيه يقول يا ربي لم ٌأنفق منه شيئا على أحد مخافة الفقر على أولادي فيقول الله له ألم تعلم أني أنا الرزاق ذو القوة المتين " .

إن الذي خشيته على أولادك من بعدك قد أنزلته بهم فقد جعل ثقته بالمـال دون الله تعالى، فأردى أولاده ، والله الذي لا إله إلا هو، حدثني رجل أثق به من إخواننـا الكـرام أن إنساناً كثيرة أملاكه أنواع أملاكه وعديدة من معامل إلى محلات تجارية إلى مزارع إلى بيوت بالمصايف إلى بيوت على شاطىء البحر ، تُوفي وكان هدفه الأكبر تأمين المال لأولاده مـن بعده، ترك أموالاً لا تأكلها النيران ، والقصة طويلة جداً ، فخلال سنتين تكفف أولاده من بعده ، إذ عقدوا صفقةً كبيرة جداً مع شخص خارج القطر وشحنوا البضـاعة واختفـى الشـخص واضطروا إلى الاقتراض من جهات أخرى ثم عجزوا ، والقصة كما قلت طويلة لكن المهـم كما أن الله عز وجل قادر وأنه إذا أعطى أدهش كذلك فهو إذا سلب أدهش ، من كـل شـيء انقلاب حالهم إلى لا شيء .

فالحفظ كيف يكون ؟ أوجز للقراء الكرام : لن تَستَحق حفظ الله عـز وجـل إلا إذا طبقّت منهجه فهناك مظلة فإذا طبقت منهج الله عز وجل فأنت تحت مظلة رعاية الله عز وجل ،

عنْ أبي هرْيرةَ عن النبي صلى الله عليْه وسلم قالَ سبْعةٌ يظلهم الله في ظله يوْم لا ظـل إلا ظلـه الإمـام العادلُ وشَاب نَشأ في عبادة ربه ورجلٌ قلْبه معلقٌ في المساجد ورجلان تَحابا في الله اجْتَمعا عليْه وتَفَرقـا عليْه ورجلٌ طلبتْه امْرَأةٌ ذَاتُ منْصبٍ وجمالٍ فَقَالَ إني أَخَافُ الله ورجلٌ تَصدقَ فَأَخْفَى حتى لا تَعْلم شماله ما تُنْفقُ يمينُه ورجلٌ ذكر الله خَالِيا فَفَاضتْ عيْنَاه *

أنا أخشى ما أخشاه أن أخرج عن ظلّ الله عز وجل كيف تخرج ؟ بالمعاصي ، إذا كنت مستقيماً فأنت في ظلّ الله ، أنت في حفظه ، أنت في رعايته ، ولا ينسى أحد قـول الله تعالى:

إِن تَسْتَفْتِحُواْ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ ۖ وَإِن تَنتَهُواْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَعُودُواْ نَعُدْ وَلَن تُغْنِىَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْـًٔا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٩﴾

(سورة الأنفال)

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَـٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً ۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٣﴾

(سورة التوبة)

هذه معية خاصة ، وليست معيةً عامة ، معك بالحفظ ، معك بالتأييد معك بالتوفيق ، معك بالرعاية ، معك بالإكرام تُحس بشكلٍ صارخ أن الله يحبك ، وأن الله يحفظُـك ، وأن الله يلهمك ، وأنه يوفقُك ، وأنه يسدد خُطاك ، وأنه منطقك بالحق ، وأنه يرفع لك شأنك ، ويرفـع لك ذكرك هذه تلمسها لمس اليد ، بل إني أقول : إن ارتباط المؤمن بالإيمان ارتباطه الشـديد بالإيمان ليس لأن أفكاره في الإيمان مقنعة لا . أجل هي مقنعة والعقيدة صـحيحة والأفكـار سليمة والأمور واضحة ، لكن الذي يشُدك إلى الله عز وجل ليس وضوح الأفكـار ولا دقـة البراهين ، بل هذه المعاملة التي عاملك الله بها بعد أن أصطلحت معه ، فأراك من فضله ومن لُطفه ومن عنايته ومن حفظه ومن توفيقه .

فلذلك شعورك بالحفاظ على ما في يديك هو شعور طبيعي وهـذه فطرتـك ، لكـن السلوك للحفاظ على ما في يديان يجعلك تنحو منحى ماديا ، كأن ترى أنه لابـد مـن وضـع الأقفال ، ولابد من تَملق فلان ، فبقائي بهذا المكان مرهون برضائه عني ، فما الذي يرضيه ؟

معصية الله ، إذاً سأعصي الله من أجل أن يرضى حتى أبقى في مكانتي وهذا هو الجهل وهو الذي يقع فيه معظم الناس ، هو يريد أن يحافظ على ما بيده عن طريـق إرضـاء النـاس ، يرضيه ويعصي الله فتجد ظروف لم تكن في الحسبان وتقلب الموازين ويغضب ذاك عليه من غير سبب ويخسر الدنيا والآخرة .

لذلك أكرر على سمع القارئ الكريم هاتين الكلمتين : من آثر دنيـاه علـى آخرتـه خسرهما معاً ، ومن آثر آخرته على دنياه ربحهما معاً ، لكن حتى أكون واقعيا ربنا عز وجل ، وهذا يعرف من طريق تعامل رب العزة مع العباد أحياناً يغلق لك كل الأبـواب إلا طريقـاً واحداً مسموحاً وهو غير مشروع ، هنا الامتحان إذْ كُلُ الأبواب التي تُرضيه مغلقـة وبـاب واحد لا يرضيه مفتوح على مصراعيه ، فماذا تفعل ؟ هنا الامتحان. فإن قلت لن أعصـي الله ولو قُطعت إرباً إرباً فأنت هكذا يا عبدي ؟ وأنا لن أتخلّى عنك وسأقلب لـك كُـل المـوازين بحيث سيغدو عدوك صديقك ، وسأُيسر لك أعمالك وستأتيك الدنيا وهي راغمة لأنـك آثـرت طاعتي على الدنيا ، عندئذ تأتيك الدنيا وهي راغمة .

أي من آثر آخرته على دنياه ربحهما معاً ، أتمنى على الله عز وجل أن يمكنني من توضيح هذه الحقيقة ، فبالأسواق بين التجار قوانين إذْ هناك طريقة في البيع شائعة متعـارف عليها وتحفظ بها مالك و تربح ، لكن ربما هذه الطريقة فيها شُبهة في الدين فأنت إذا أردت تطبيق قواعد الدين في التعامل بهذه الطريقة تخسر ، فاحذر أن تضحي بعلاقتك بربك و تأخذ بأساليب الناس الملتوية . فتخسر كل شيء .

هناك أخ من إخواننا قال لي : كنت أسكن ببيت سيئ سيىء وكـان هنـاك بيـت عرض بخمس وعشرين ألف ليرة سورية طبعاً هذه القصة منذ زمن وهي طويلة جداً ، وهـذا البيت بأوصافة الجيدة ومساحته مئتا متر مربع، طابق سادس ، وهو في أمس الحاجة إليـه ، وكان معه خمسة عشر ألف ليرة سورية ولديه بعض السندات المصرفية فذهب للبنـك ليقـوم بحسمها ،علما بأن حسم السند محرم وهو ربا معكوس ، فقال له مدير المصرف: يا فُلان أنت مسلم ودينك لا يسمح لك أن تتعامل بالربا ولا أتمنى أن تفعل هذا - الله جعله ينطق بالحق - ابق نظيفاً ، فأقسم بالله أنه صار يبكي ، يعني هذا ينصحني في ديني ، فخرج من المصـرف وقال لي عاهدت الله أن أدع هذه الصفقة مع أنها مغرية جداً وأن أبقى في بيتي القديم المتداعي ، فتحرك من المصرف إلى دكانه فوجد صديقاً له ينتظره منذ نصف ساعة فأخبره بأنه علـى عجلة من أمره إذ سيسافر بعد وقت قريب ، و يود أن يودعه مبلغاً من المال قدره ستون ألف ليرة وقال له : وأُنشدك الله إن أردت أن تستعمله فلا بأس عليك وهو عندك أمانة لمدة سنتين ، فانظر كيف جوزي هذا الشخص ؟ لما آثر مرضاة الله على منفعته صادقا مخلصا جاءه مـن الله فرج قريب .

شخص أعطي أرضاً فسأل شيخاً له فقال : يا بني هذه ليست لك، هذه لفلان من الناس وهي غير مشروعةً لك ، اذهب لصاحبها واشتر الأرض منه ، فذهب إليه وطلب شراءها منه ، وقال لي شيخي : يحرم علي أخْذُها ، وليس معي ثمنها الآن إلا أن معي أساور زوجتي أبيعها وأتدين ، واطلب أنت ما تُريد ثمنًا لهذه الأرض ، فنظر فيه وقال له ، يا بني ذهب من أرضي أربعمئة دونم أرض ما جاءني أحد كما جئت أنت فاذهب وهذه هدية مني لك حلال زلال ، موقفه الورع جعلها حلالاً له .

وليصغ عزيزي القارئ سمعه لهذه الكلمة : زوال الكون أهون على الله من أن تدع شيئاً مخافةً فيه ثم يضيعك الله عز وجل ، واللهِ زوال الكون أهون على الله من أن تقف موقفاً فيه مرضاة الله عز وجل ويتخلى عن نصرتك . يا رب أنا لا أعصيك ومهما بلغ الثمن لن أعصيك . أتفعل هذا عن طيبِ خاطر وتضيع ؟ لا والله ، لذلك توجد قوانين مستنبطة من التعامل اليومي ، فهذا الذي توهم أن بقاءه في هذا المكان منوط بإرضاء فُلان وفُلان ، وجعلت إرضاءه عن طريق معصية الله عز وجل ، فهذا الذي أرضيتَه وأسخطتَ الله عز وجل فلابد من أن يسخَط الله عليك ويسخط ذاك الإنسان عليك ، وإذا أغضبت إنساناً من أجل طاعة الله فلابد من أن يرضى الله عنك وأن يرضي عنك هذا الإنسان ، ومن آثر دنياه على آخرته خسرهما معاً ، ومن آثر آخرته على دنياه ربحهما معاً ، فموضوع الحفظيلخصه قول الله عز وجل إذ يقول في محكم كتابه : " فَالله خَير حافظًا وهو أرحم الراحمين " .

قد يسافر الإنسان فهل يضمن أثناء سفره ألا يصاب ابنه بحادث سيار مثلاً ؟ هل يضمن ألا يقع خلل في بيته ؟ هل يضمن عدم دخول شخص معتد لبيته في غيابه ؟ ؟وهل وهل وهل ... ، أما المؤمن إذا أزمع السفر دعا بهذا الدعاء: " اللهم أنت الرفيق في السفر والخليفة في الأهل والمال والولد " تشعر أن أعصابك تخدرت ، لأن الله يملك البيت ، يحفظ مالك وأولادك وأهلك وكل شيء ترى كيف حفظَ الله لك ولدك من حادث خطير ، لا تقل : نجاب أعجوبة ، فهذا كلام البله ، هذا حفظُ الله عز وجل ، قال : " فَالله خَير حافظًا وهو أرحم الراحمين " .

لتعلم أن ما عند الله لن تناله إلاّ إذا اتبعت منهجه ، حفظ المال بتأدية الزكاة ، حفظ الجوارح بطاعة الله ، عين تغض عن محارم الله عين تبكي من خشية الله هل ترثها ؟ لا بل ترثك، فهناك فرقٌ بين أن ترثها وبين أن ترثك ،

عنْ خَالِد بْن أَبي عمْران أَن ابْن عمر قَالَ قلما كَان رسولُ الله صلى الله عليْه وسلم يقُوم منْ مجْلس حتى يدْعو بهؤُلاء الدعوات لأَصْحابه اللهم اقْسمْ لنَا منْ خَشْيتك ما يحولُ بيْنَنَا وبيْن معاصيك ومنْ طَاعتك ما تُبلغُنَا به جنتَك ومن الْيقين ما تُهون به علَيْنَا مصيبات الدنْيا ومتعْنَا بأَسْماعنَا وأَبصارنَا وقُوتنَا ما أَحْيَيْتَنَا

واجْعله الوارثَ منا واجْعلْ ثأرنا على منْ ظلمنَا وانْصرْنَا على منْ عادانَا ولا تَجْعلْ مصيبتَنَا فـي ديننَـا ولا تَجْعل الدنْيا أكْبر همنَا ولا مبْلغَ علمنَا ولا تُسلطْ علَيْنَا منْ لا يرْحمنَا *

فالمؤمن مادام لسانه ينطق بالحق ، وبصره ينظر إلى آيـات الله لا إلـى عـورات المسلمين، وسمعه يستمع به الحق ، مادام المسلم هكذا فأغلب الظن أن الله سـبحانه وتعـالى يحفظ له هذه الجوارح فهناك حالة تُسمى حالة الأمن ، المؤمن يشعر بأن الله عز وجـل لـن يضيعه . هذا معنى قوله تعالى :

وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا ۚ فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾

(سورة الأنعام)

إذاً : " فَالله خَير حافظًا " ، الأب دائما حريص على أولاده حرصا لا حدود له لكن لو حصل خلل بالخلايا الداخلية و نمت هذه الخلايا نمواً عشوائياً ، فالأب ماذا بيده أن يفعل ؟ بيده أن يتألم فقط ، أما الإله كل شيء بيده ، " فَالله خَير حافظًا " فالذي يحفظ هو الله عز وجل .

أقسم لي رجل بالله يقود سيارته في طريق طويل ونام وهو بسـرعة عاليـة ورأى مناماً ، واستيقظ في الوقت المناسب قبل أن يواجه حادثًا مروعا مـدمرا ، إذا أنقـذه الله مـن التردي في الهاوية .

قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمْ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبْلُ ۖ فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٦٤﴾

(سورة يوسف)

فإذا كان الله معك فمن عليك ، وإذا كان الله عليك فمن معك ؟ تُلاحظ أن من حكمة ربنا عـز وجل أنه من اعتمد على ذاته واتكل على نفسه ، من اعتمد على ذكائه ، على مالـه ، علـى معارفه، على أصدقائه ، على اتصالاته . مثل هذا الإنسان فبأتفه الأسباب يدمر ، وربنا عـز وجل حينما يدمره على أتفه الأسباب ويفشوا أمره بين الناس " ما من مخلوق يعتصم بمخلـوق دوني أعرف ذلك من نيته إلا جعلت الأرض هوياً تحت قدميه وقطّعت أسباب السماء بين يديه " .

لذلك أقوى شيء يشدك إلى الدين معاملة الله لك بعد أن تصطلح معه إذ تشعر أنـك ضمن عناية وتوفيق وإلهام وتسديد وحفظ وتأييد ونصرة ، فالله يلهمك مثلا ألاّ تسافر لوجـود هلاك بذاك السفر ، تجد إنساناً قبل يوم من الاجتياح سحب كل ماله وجاء إلى منطقته ، بينمـا غيره خسر كل ماله بفارق يوم واحد فقط ، من ألهمك ؟ الله عز وجل من قَبلُ " قَالاـه خَيـر حافظًا " .

" قَالله خَير حافظًا وهو أرحم الراحمين " ، كفار قريش أليست معارضتهم لرسـول الله كان هدفها الحفاظ على ما هم فيه ؟ هذا أمر واقعي ،وليس من باب القيل والقال ، فزعماء قريش حينما عارضوا النبي وكفروا به وكادوا له وأخرجوه وحاربوه ، واضطهدوا أصـحابه أليس من أجل أن يحافظوا على مكانتهم في مكة وعلى زعامتهم وعلى أموالهم وعلى شـأنهم في الجزيرة ؟ ما الذي حصل ؟ أنهم دمروا وأنهم قُتلوا وأنهم مزقوا وأنهم شُردوا من الـذي انتصر عليهم ؟ رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه الذين اتّبعوه ، وهذا شيء متكـرر دائما يؤكده قوله تعالى:

وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾

(سورة الأعراف)

الأمور تدور وتدور ولا تستقر إلا على تكريم المؤمن وحفظه ، "والْعاقبةُ لِلْمتقـين "

.بعد كل هذا الإيضاح لا بد من الوقوف عند معاني **الحفيظ** . إن هذا الاسم له معنيان :

- المعنى الأول : **حفيظ** بمعنى عليم :

فالله لا ينسى ، حفيظ لا ينسى ، كُلُ أعمالك وكل أقوالك وكل مواقفك وكل عطاءاتك وكل منعك وكل الصراعات التي في ذهنك كل ما أنت فيه محفوظ عند الله عز وجـل ، الآن تجد من يقول لك الإضبارة سحبناها ونجونا من المخالفة بعد أن سـحبنا الضـبط ، وانتهـت المشكلة ، أو أن الإضبارة اختفت وضاعت ، فمثلا الآن هناك كمبيوتر وعن طريقـه تصـدر النتائج الجامعية فممكن لشخص أن يمحو كل النتائج لخمس آلاف طالب طبعاً ، فلو فرضنا أن شخصاً محا كل ذاكرة الكمبيوتر فأين الطلاب ودراساتهم ونجاحاتهم لقد ضاع كـل شـيء ، فممكن أن يكون إنسان أذكى من إنسان آخر يسحب الوثيقة أو يسحب الإضـبارة أو يسـحب التقرير يسحب الضبط ، أما الله عز وجل حفيظ لا توجد قوة لإلغاءما عنده ، فكل محفـوظ و مسجل . فهنا شعورك أن أعمالك كلها مسجلّة ، قال تعالى :

لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُواْ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾

(سورة آل عمران)

وما قولك إن الله عز وجل يوم القيامة يعرِض أعمالك كُلها عليك بصورها بوقائعها هذا معنى قوله تعالى :

كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ﴿٩﴾

(سورة المطففين)

" كتَاب مرقُوم " قال : مرقوم من الرقْمِ وهو الوشْم ، ومرقوم من الـرقم ، فكُـل مخالفة وصورتَها . فأبلغ طريقة بالمخالفات تأتي بالتنبيه فيقال لك : عليك مخالفة ، ثم تُراجع ليعطوك الصورة ، ألم تكن في هذا الطريق ؟؛ هذه سيارتك وهذه صورتها وهـذا الضـبط ، فأرقى أنواع المخالفات أن تأتي المخالفة مع الصورة ، " كتَاب مرقُوم " أو مرقم يسـتحيل أن تُنزع منه صفحة ، مثل المالية هذا الدفتر صفحاته كذا ، توقيعه كذا، بعت بيعاً ثم تقول سأنزع هذه الصفحة هذا لا يمكن إذْ إنك ستجد صفحةً عند موظف المالية ، فما قولك إن الله عز وجل يوم القيامة يعرِض عليك كل أعمالك ، لماذا وقفت هذا الموقف ؟ "وقفوهم إنهم مسؤولون "

قد تكون أعمال لها مظهر مقبول ، لكن مخبؤُها غير مقبول ، فربنا عز وجل يطلعك على مخبئك ، على نواياك ، على حقيقتك ، هذا معنى حفيظ ، أول معنى حفيظ علـيم ، كـل أعمالك مسجلّة ، فالسجلاّت العقارية بمدينة ما موضوعة بمكان ، والمكـان أصـابه قصـف فضاعت كُل الأملاك ، لا ، لأنه كله مصور بميكرو فيلم موضوع بأماكن حصينة ، لو دمـر هذا البناء هذه السجلات كلها مصورة صورا دقيقة جداً ، مخبأة بمكان حصين ، هـذه كلهـا بعض معاني **الحفيظ** ، الله حفيظ يعني كل شيء مسجل ، يعلم كل شيء وربنا عز وجل يقول عن نفسه :

لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾

(سورة طه)

فالله سبحانه لا ينسى أبداً ، فالحفظ الأول ضد السهو والنسيان، وهو يعود إلى معنـى العلم فهو تعالى حفيظ للأشياء بمعنى أنه يعلمها جملةً وتفصيلاً علماً لا يتبـدل ولا يتغيـر لا بالزوال ولا بالسهو ولا بالنسيان ، هذا المعنى الأول فأنت تعاملُك مع الله عز وجل على أنـه حفيظ ، مسجلكما لو أديت مبلغًا لجهة و سجل لك في قيودها ، هذا الموقف مسـجل ، فمـثلا الابتسامة مسجلة ، فإن ابتسمت ابتسامة في وجه إنسان خائف وطمأنْتَه فهذه مسجلّة ، إنسـان اعتذر لك وأنت قوي فقلت له : لا عليك أنا أودك ولك مكانة عندي طمأنْتـه وارتـاح ، نـام المسكين مطمئنا فهذه مسجلة ، ابتسامتك عطاؤك منعك كرمك تضحيتك هذه كلهـا عبـادات مسجلة . وهذا هو المعنى الأول .

-المعنى الثاني: **الحفيظ** أي ضد التضييع :

الأول ضد النسيان والثاني ضد التضييع ، فمعنى حفيظ أي الله عز وجل لا يضـيع المؤمن بل يحفَظ له عملَه ويكافئه عليه في الدنيا والآخرة فالمستقيم موفّق ومن يغض بصـره عن محارم الله كذلك ،فالمكافأة سعادة زوجية ، من يضبط لسانه سمعتُه عالية ، مـن يضـبط جوارحه يحفظها الله له ، اطلع على استقامتك وعلى عملك وسجله لك هذا هو المعنى الأول ، وكافأك عليه؛ إذًا علْم ومكافأة ، أما المعنى الثاني: حفظ لك نتائج هذا العمل فلـذلك الله عـز وجل في القرآن يبشر المؤمنين :

إن هذه المعاني تنقسم إلى قسمين : الحفاظ في الدنيا والحفاظ في الآخرة أن يحفظ لك دينك ، تجد شخصاً له بداية رائعة ثم انتكس وترك الصلاة وانغمس في المعاصي والموبقات ، لذلك ابراهيم عليه السلام قال :

وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾

(سورة ابراهيم)

فإذا لم ينتكس الإنسان ، وإذا لم تزل قدمه وإذا لم يعتقد عقيدةً زائغـة ، ولا تعلّـق بأهل الكفر فهذا من فضل الله عليه ، فالإنسان إذا قطع مرحلةً بعيدة في مسيرة حياتـه وهـو محافظ على إيمانه وعلى استقامته وعلى صلته بالله عز وجل وعلى نقائه وعلى طُهرِه وعلـى إخلاصه فهذه نعمة كبيرة جداً ، كم من شخص بدأ بدايةً مشرقة ثم انتكس ، يؤكد هـذا قولـه تعالى :

وَقُل رَّبِّ أَدۡخِلۡنِي مُدۡخَلَ صِدۡقٖ وَأَخۡرِجۡنِي مُخۡرَجَ صِدۡقٖ وَٱجۡعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلۡطَٰنٗا نَّصِيرٗا ﴿٨٠﴾

(سورة الإسراء)

أُناس كثيرون يدخلون مداخل شتى وهم صادقون ، فإذا دخلوا هذه المداخل وتألقـت أمامهم الدنيا أغرتْهم وأجبرتْهم وساقتهم إلى الضلالات وخرج كاذباً لقد دخل صـادقاً وخـرج كاذباً ، دخل مخلصاً وخرج خائناً دخل مطيعاً وخرج عاصياً دخل متعبداً وخرج متكبراً فلذلك الدعاء :

وَقُل رَّبِّ أَدۡخِلۡنِي مُدۡخَلَ صِدۡقٖ وَأَخۡرِجۡنِي مُخۡرَجَ صِدۡقٖ وَٱجۡعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلۡطَٰنٗا نَّصِيرٗا ﴿٨٠﴾

(سورة الإسراء)

البطولة لا أن تدخل بل أن تخرج ، فممكن أن يدل شخص على مسجد فيرجع إلى الله شـيء جميل، تجده انسجم وتأثّر وتفاعل ، عارض طفيف واجهه كأن يتزوج فتـرك الـدين كلـه ؛ زوجته لم تنسجم مع هذا الدين السميك بزعمها فترك دينه من أجل زوجته هذا خرج مخرجـاً كاذباً ، دخل صادقاً فخرج كاذباً .

فإذاً أحد معاني **الحفيظ** أن يحفظ الله لك دينك ، أن تَسلَم عقيدتك من الشُبهات ومـن الشرك الخفي ومن عقيدة زائغة ، وأن تسلم لك جوارحك من المعاصي و الآثام ، أن يسلم لك دخْلك من الشبهات ، لهذا سيدنا يوسف قال :

قَالَ رَبِّ ٱلسِّجۡنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِۖ وَإِلَّا تَصۡرِفۡ عَنِّي كَيۡدَهُنَّ أَصۡبُ إِلَيۡهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾

(سورة يوسف)

إذاً يجب أن ينشأ عندك طلب من الله دائم يا رب احفـظ لـي دينـي واسـتقامتي وإخلاصي لك ونقائي وحبي لك ولأنبيائك وللمؤمنين ، وباعد بيني و بين أن أحب أهل الـدنيا والكفَرة والمفسدين هذا المعنى الأول ، والمؤمن متواضع ، يقول لك نسأل الله أن يـتمم لنـا

بخير ، يقال إن الإمام أحمد حينما جاءه ملك الموت كان يقول : لا . بعد ، لا. بعد ، لا . بعد ، فمن حوله ما فهموا ما كان يقول ، وظنوا أنه مات على غير الإيمان إمام كبير جليل ، فرئي في المنام وسأله أحد تلاميذه : يا سيدي لمكنت تقول هذا الكلام : لا . بعد فقال يا بني جاءني الشيطان وقال لي: نجوت مني يا أحمد ، فقلت له : لا . بعد ، حتى أغادر الدنيا وأنا مؤمن .

فالإنسان معرض لخطر الفساد تحت خطرإغراء الدنيا ، أما إذا قال : أنا لا أغلط ، ولن أدع هذا الطريق ، فلعل فيه كبر مما قد تَزلّ القدم معه ، إذاً معنى **الحفيظ** أن يحفظ الله لك إيمانك وعقيدتك واستقامتك ورغبتك في الحق ، لهذا سيدنا عمر كانت إذا أصابته مصيبة قال الحمد لله ثلاثا ؛ الحمد لله إذ لم تكن في ديني هذا هو الكلام الدقيق ، الحمد لله ما شربت خمراً ، وما ارتكبت معصية ، وما كفرت وما نافقت ، المال ليس له قيمة عندئذ .

هناك نقطة دقيقة الحساسية جداً وهي أن الإنسان إذا كان دينه غاليا على قلبه و نفسه وأراد الله عز وجل أن يمتحنه بمصيبة فحينها ليس من مانع إذْا قال : إن ديني سليم والحمد لله إذ لم تكن المصيبة في ديني وهذه أكبر نعمة ، قد تجد شخصا ليس عنده مشكلة ، ولكنه يشرب الخمر، ليس لديه مشكلة في دخله ، ومعمله ، وفي حياته اليومية وفي صحته وأولاده لكنه لا يصلي ، هناك من ليس لديه أية مشكلة في الدنيا لكنه يعتقد أن الدين كله خرافة . هذه مصيبة ، بل هي كبرى المصائب .

تُوفي قبل أيام شخص ن قال من يعرفه : إنّه خلال اثنين وخمسين سنة ما دخل إلى المسجد إلا مرة واحدة ، دخل ليصلّى عليه . هذه مصيبة قدم على مجهول ، فالحمد لله إذ لم تكن في ديني ، فهذا شيء مهم جداً مادامت القضية في الدنيا ، فالدنيا زائلة أما بالدين فمشكلة فاقرة ، والحمد لله إذ لم تكن أكبر منها ، هناك مصيبة بالحديد يجلس الحديد فهذه ليست بابنه فهي نعمة هناك مصاب بالحديد يجلس ثم يبخّ وتنحل المشكلة ، احترقت غرفة نرممها ونَدهنها ، وهذه أهون مما لو كانت المشكلة بابنه أو بزوجته أو بصحته ، والحمد لله إذ أُلْهمتُ الصبر عليها ، فالصبر نعمة ، فالصابر يعني أنه عالِم يعلم أن الله عز وجل صاحب الأمر كله ، أفعاله كلها حكيمة فيها عدل وفيها رحمة وفيها لُطف وفيها تكريم ورأفة يا رب لك الحمد هكذا شئت وأنا راضٍ بقضائك هذا المؤمن ، هذا إذًا معنى أول للحفيظ ، ووردت آيات كثيرة فيما يخص حفظ الدين :

وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَـٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾

(سورة الإسراء)

إذاً فالله ثبته ، والله يعصمك من الناس ، ربنا لا تُزغ قلوبنا بعد إذْ هديتنا ، رب اشـرح لـي صدري ويسر لي أمري ، هذه كلها أدعيةُ القرآن أي أنت إذا كنت مؤمناً ومسـتقيماً وصـادقاً ومحباً للحق لك مجالِسك العلمية أُطلب من الله عز وجل أن يحفظها عليك ، في إحدى الحجات التي أكرمني الله بها وأنا في الطواف قلت يا رب أنا أضعف خلقك شرفتني بخدمتك وخدمـة عبادك ، إن علمت صدقي في هذا فاحفظها لي واحفظني لها ، يا رب احفظ هـذه الـدعوة ، احفظها ، وإن علمت خلاف ذلك فعالجني قبل أن أموت ، فالإنسان لابد أن يسأل الله عز وجل ، يسأل **الحفيظ** أن يحفظ له إيمانه ، دينَه وتألقه .

واللهِ أعرف رجلاً : طيلة عشرين سنة أو خمساً وعشرين وهو ينتمي فـي طريـق الإيمان فأغرته امرأة وسقط سقوطاً مريعاً وترك الصلاة وجاءته المصائب من كل جهـة مـا حفظ له دينه .

المعنى الثاني : أن يحفظ لك دنياك ، أهم شيء صحتك ، وجودك ، سلامتك ، أهلك ، أولادك ، ومالك ، قال تعالى :

قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ۗ بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٢﴾

(سورة الأنبياء)

لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۗ

(سورة الرعد)

يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٤﴾

(سورة التغابن)

كلمة من يكلؤكم ؟ من يرعاكم ؟ لا أشُك أن كُل واحد منّا كان على خطر أنقـذه الله منه، يقال أحيانا : كان بيننا و بين الموت المحقق سنتمتر كدنا أن نهلك لولا أن لطف الله بنا ، فهذا حفظُ الله عز وجل .

هناك معنى ثالث وهو أن الله عز وجل إذا خلق الشيء ، استمراره يحتاج إلى حفظ من الله عز وجل والدليل :

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾

(سورة فاطر)

فأنت مخلوق وبقاؤك بيد الله عز وجل ، بقاء السموات بيد الله بقاء الشمس بيد الله ، بقاء الأرض بيد الله ، بقاؤها على خط سيرها بيد الله ، لأنهما إن زالتا ما يمسكهما من أحد من بعده ؟ هذا معنى **الحفيظ** فلابد من أن تستسلم لله عز وجل ، وأدق ما في البحث أنك مفطور على حب وجودك ، وسلامة وجودك ، وكمال وجودك ، واستمرار وجودك ، وجزء كبير كبير من نشاطك مصروف بالحفاظ على ما أنت فيه ، فإذا سلكت وسائل الحفاظ المادية وغاب عنك اسم الله **الحفيظ** الذي بيده كل شيء فقد أخطأت الهدف وضللت الطريق ولن تنال حفظ الله عز وجل إلاّ إذا طبقّت منهجه ، لذلك لا ينفع حذر من قدر ولكن ينفع الدعاء مما نزل ومما لم ينزل فادعوا الله عباد الله.

بقي علينا أن النبي عليه الصلاة والسلام قال :

عنْ أَبِي هرَيْرةَ قَالَ قَالَ النبِي صلى الله عليْه وسلم إِذَا أَوى أَحدكُمْ إِلـى فراشـه فَلْيـنْفُضْ فراشَه بِداخلة إِزاره فَإِنه لا يدْري ما خَلَفَه عليْه ثُم يقُولُ بِاسْمك رب وضـعْتُ جنْبِـي وبِـك أَرْفَعه إِنْ أَمْسكْتَ نَفْسي فَارْحمْها وإِنْ أَرْسلْتَها فَاحْفَظْها بِما تَحْفَظُ بِه عبادك الصالِحين *

(رواه البخاري)

" كان إذا أوى إلى فراشه يقول:باسمك ربي وضعت جنبي وبك أرفعه فإن أمسـكت نفسي فارحمها وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين"

فالإنسان إذا نام بين حالتين : إما أن يستيقظ وإما ألاّ يستيقظ ، فإن لم يستيقظ فيسأل الله أن يرحمه كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم ، وإن استيقظ يسأله بأن يحفظه ؛ أن يحفظ له دينه وأن يحفظ له دنياه ،

عنْ أَبِي هرَيْرةَ قَالَ كان رسولُ الله صلى الله عليْه وسلم يقُولُ اللهم أَصْلحْ لِي ديني الـذي هو عصْمةُ أَمْرِي وأَصْلحْ لِي دنْياي التي فيها معاشي وأَصْلحْ لِي آخرتي التي فيها معـادي واجْعل الْحياةَ زيادةً لِي في كُل خيْرٍ واجْعل الْموْتَ راحةً لِي منْ كُل شَر *

(رواه مسلم)

وأختم هذا البحث داعياً بما دعا به النبي صلى الله عليه و سلم :

اللهم أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا وأصلح لنا دنيانا التي فيها معاشنا وأصلح لنا آخرتنا التي فيها معادنا ، واجعل الحياة زيادةً لنا في كل خير واجعل الموت لنا راحة من كـل شر.

والحمد لله رب العالمين

الدرس ٣٦ - اسم الله : "الوالي"

بسم الله الرحمن الرحيم

مع الاسم السادس والثلاثين من أسماء الله الحسنى ألا وهو اسم **الولي** ، الله سبحانه وتعالى **ولي** الذين آمنوا ، وهو من أقرب الأسماء إلى المؤمن ، والحياة كما تـرون محفوفـة بالمخاطر، يمكن أن تنقلب حياة الإنسان إلى كتلة من الشقاء لأتفه الأسباب فمن هي الجهة التي تحمي المؤمن وتحفظه وتربيه وترشده وترعاه وتؤيده وتنصره وتدافع عنه وتوقظـه وتلفـت نظره؟ الله هو **الولي** ،هذا الاسم ورد في القرآن الكريم في آيات كثيرة جداً ، أول هذه الآيات وأوضحها:

ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥٧﴾

[البقرة: الآية ٢٥٧]

يعني فصاحب الأسماء الحسنى خالق الكون الرب المسير العليم الحكيم الرحيم الغني القوي ، هذه الذات الكاملة هذه الذات التي لا حدود لقدرتها ولا لرحمتها ولا لقوتهـا ولا لغناها الله هو ذاته على علوه وعظمته وجلاله، الله **ولي** الذين آمنوا، مـثلا يمكـن أن يكـون بقصر العدل آلاف المحامين إلا أربعة أو خمسة في قمة هؤلاء ، إذا سألت واحداً لـه قضـية من محاميك؟ يقول لك فلان يذكر اسمه بملء فمه ويفتخر، المحامي الفلانـي اللامـع القـدير المتمرس الخبير القوي صاحب الحجة صاحب الإطلاع هو وكيلي ، ألا تكفينا آية؟ ألا تكفينـا هذه الآية أنك إذا آمنت وإذا استقمت يصبح خالق الكون **وليك** ، خالق السماوات والأرض هل لك خصوم ؟ كلهم بيده ، حركتهم وأفكارهم وخططهم وقوتهم وأسلحتهم ، كلها بيـد الله عـز وجل ، فإذا كنت مع الله عز وجل من يستطيع أن يقف في وجهك؟ من يستطيع أن يكيد لك ؟

من يستطيع أن ينال منك؟ من يستطيع أن يقهرك ؟ من يستطيع أن يحيف عليك ؟ ألا تكفينا هذه الآية ؟

ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخۡرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِۗ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥٧﴾

[البقرة: الآية ٢٥٧]

ما عليك إلا أن تؤمن ، دعونا نقترب من طبيعة الحياة ،هذا الذي له صلة بشخص قوي يعتز به ، ويثني عليه ، ويحتمي به ، ويهدد به ، ويستعلي به ويتطاول به ، يقول لك ، معي رقم هاتفه وهو الذي قال لي خبرني عند كل بادرة ، و الله عز وجل الذي رفع السماوات بغير عمد يقول : لك إذا آمنت بي فأنا **وليك** ، وأنا أدافع عنك وأنا أنصرك ، وأنا أحفظك وأؤيدك وأنا أحميك وأنت بعيني

وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَاۖ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾

[الطور: الآية ٤٨]

الله **ولي** الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور" الكفر ظلمات بعضها فوق بعض ، متاهات تُرهات أضاليل أكاذيب حقائق مزورة ، أفكار هدامة تناقضات تمزقات ، أفكار مهترئة لا تقف على قدميها ، هذا هو الكفر أباطيل وظلمات ، المعاصي ظلمة ، الكفر ظلمة ، الشرك ظلمة ، فهذا مشرك على عاصٍ على ملحد على فاسق على منافق على منحرف على دجال على أناني على صاحب حظ ، الله قال ظلمات بعضها فوق بعض ، أما المؤمن يخرجه من الظلمات إلى النور ، نور الحق ، نور الهدى نور المنهج نور معرفة حقيقة الحياة وحقيقة الكون وحقيقة الإنسان وماذا قبل الدنيا ؟ وماذا في الدنيا ؟ وماذا بعد الدنيا ؟ هذه هي الآية : الله **ولي** الذين آمنُوا يخْرِجهم من الظلُمات إِلَى النورِ "

[سورة البقرة]

سيدنا يوسف ماذا فعل به إخوته ؟ ألقَوه في غيابة الجب ، تآمروا على قتله، حسدوه ضاقت نفوسهم به ، ومع أن الله عز وجل مكنهم أن يضعوه في غيابة الجب ، ومع أن الله عز وجل أقدرهم على أن يضعوه في قعر بئر، لكن انظروا إذا كان الله **ولي** المؤمن كيف يكون المصير؟ صار عزيز مصر هذا الذي أُلقي في البئر ليموت يقيناً، كيف أن الله ألْهم قافلة وأحوجها إلى الماء وأرسلت واردها فأدلى دلوه

وَجَآءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا۟ وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُۥ ۖ قَالَ يَٰبُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَٰمٌ ۚ وَأَسَرُّوهُ بِضَٰعَةً ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾

[يوسف: الآية ١٩]

قال يا بشرى هذا غلام وأسروه بضاعة وباعوه في مصر واشتراه العزيز وقال لامرأته أكرمي مثواه ، إذا الله عز وجل تولى أمرك ، واللهِ الذي لا إله إلا هو لا تستطيع قوى الأرض مجتمعةً أن ينالوا منك ، وإذا تخلى الله عنك تنقضي الحياة على أتفه سبب ، يموت حتْفَ أنْفه ، ماذا قال سيدنا يوسف حينما توجه إلى الله جل وعلا ؟، قال :

۞ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾

[يوسف: الآية ١٠١]

أنت **وليي** في الدنيا والآخرة" ، فيا أخي المؤمن ناج ربك ، قل له : يا رب ليس لي رب إلا أنت أنت **وليي** ، حسبي الله ونعم الوكيل ، لا حول ولا قوة إلا بالله ،رضيت بالله ربا وبالإسلام ديناً ، أليس لك مع الله ساعة مناجاة وابتهال وتضرع وخشوع وإقبال ودعاء ؟ هكذا ناجِه وتوسل إليه ، لا تعتمد على زوجتك ولا على ولدك ولا على أخيك ولا على صديقك ولا على صحتك ولا على مالك.

أحد أطباء أمريكا الذين يشار إليهم بالبنان ، ومن اختصاص القلب ، بعد دراسة طويلة وخبرات واسعة وتدريب ، وجد أن الجري خير وقاية للقلب ، فنشر المقالات وألقى المحاضرات وألف الكتب ومارس الجري ، واعتمد على الجري دون الله فمات وهو يجري أجل ، الجري مفيد ، وموته وهو يجري لا يلغي قيمة الجريِ ، لكنك إذا اعتمدت على شيء أوتيت منه ، يؤتى الحذر من مأمنه ، تجد طبيبا ذا اختصاص بجهاز الهضم من الطراز الأول مصاب بِقَرحة لأنه يتوهم أنه طبيب يعلم ما ينبغي وما لا ينبغي اعتمد على علمه ولم يعتمد على الله عز وجل فأُصيب في اختصاصه وهذا من حكمة الله عز وجل .

أيها القراء ؛ الأكارم أكاد أقول هناك حالتان لا ثالثة لهما : -وأنا واللهِ أعني ما أقول- أنت بين حالتين : إما أن يتولى الله أمرك ، وإما أن يكلك إلى نفسك : يتولى الله أمرك إذا كنت عبداً له وافتقرت إليه وتوكلت عليه وأقبلت عليه ، ويتخلى عنك أو يكلك إلى

نفسك إذا قلت: أنا . ولا أدل على ذلك من قصتين شهيرتين عظيمتين قرآنيتين لمعركتين مـن معارك رسول الله صلى اللع عليهع و سلم :

وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾

[آل عمران: الآية١٢٣]

وقوله تعالى:

لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ۙ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ۙ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾

[التوبة: الآية ٢٥]

أنت في عملك وفي بيتك وفي اختصاصك ومع زوجتك وجيرانك ومع دراستك وكسبك للمال، حينما تعتمد على الله يتولى الله أمرك وحينما تعتمد على نفسك يكلك الله إليها ، قال سيدنا يوسف : أنت **ولي** في الدنيا والآخرة دعاء لطيف ، والمؤمنون ماذا يقولون ؟

لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾

[البقرة : من الآية ٥٢]

الإيمان ليس كلاما تسمعه ولا أفكاراً تعتقدها ولا طقوسا تؤديها ، الإيمان اتصال بالله ، وأن تكون حسن العلاقة مع الله عز وجل ، تسأله وتناجيه تدعوه وتتوكل عليه ترجـوه تستغفره

ثُمَّ رُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ۚ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَـٰسِبِينَ ﴿٦٢﴾

[الأنعام: الآية ٦٢]

ما معنى كلمة الحق؟ أي لا مولى بحق إلا الله ، فالناس لضعف إيمانهم ولشركهم الخفي يعتقدون أن زيداً أو عبيداً قوي ويدعمهم ويأخذ بيدهم ويحفظهم ،هذا **ولي** باطل ، **الولي** الحق هو الله جل في علاه . أي جهة دون الله إذا اتخذتها **ولي**اً فأنت مبطل لأن الذي اتخذته **ولي**اً باطل والباطل لا يقوم على قدميه ، زائل " ثم ردوا إلى الله مولاهم الحق ،اسمعوا قولـه تعالى :

ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿١١﴾

[محمد: الآية ١١]

مثلهما مثل طفلين أحدهما بلا أب ولا أم ولا مال ولا بيت ، ينـام بالطرقـات و بالحدائق قلبه ممتلىء خوفاً ، وآخر له أب مقتدر وعالم ودين وغني وللطفل غرفة خاصة به ، إذا مرض يؤخذ فوراً إلى الطبيب ، ويقدم له أحسن دواء وأرقى مستشـفى ، إذا لـم يحـرز قصب السبق بالرياضيات يوفر له أساتذة يأتونه إلى البيت هذا الطفل له أب **ولي** يقوم عليـه والآخر دون أب ولا أم ولا جهة تحميه ، حالته تعيسة جداً هذا معنى قوله تعالى:

ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿١١﴾

[محمد: الآية ١١]

ولله المثل الأعلى ، فالكافر لا **ولي** له لأنه رفض أن يكون الله **وليه** وأدار ظهره للدين والقرآن ، والحياة كلها مفاجآت ؛ تجد إنساناً بأعلى مكان وأعلى مرتبة وفجأةً يصـبح أشلاء قال تعالى :

ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿١١﴾

[محمد: الآية ١١]

وقال تعالى :

أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾

[يونس: الآية٦٢]

والمعنى الأول **للولي** هو **المتَولي** ، **والمتولي** هو الذي يقوم بالأمر **كولي** اليتـيم يرعاه بدراسته وصحته وجسمه وغدائه وطعامه وأخلاقه وعلمـه ، أي خلـل يسـارع إلـى معالجته يعطيه ويحفظه **ويوليه** ، **الولي** من الفعل تولى ، وتولى الأمر : دبره وأقام عليه ، إذْ

يستحيل أن يكون الابن بدمشق والأب بلندن ويربي الأب ابنَه تربيةً جيدة فالقرب من لـوازم **الـولي** ؟ أجل ، القرب ، لذلك قال عليه الصلاة والسلام " أيةُ امرأة قعدت على بيت أولادهـا فهي معي في الجنة ، ولا تستطيع المرأة أن تربي أولادها وهي غائبة عنهم لا طعام ولا عناية ولا غسيل ولا نظافة ولا تربية ولا دراسة ، **فالولي** هو المربي الذي يتولى شؤون عبده كلها ، حاله كحال الصحة ، فإذا الإنسان خالف منهج صحته هناك أجهزة الإنذار لا يموت مباشرة ، فأجهزة الإنذار تنبهه ، هذا أهمل أسنانه تأتيه آلام فالآلام جرس إنذار مبكر ، فربنا عز وجـل تولى تربية أجسامنا ؛ فهذا النسيج اللحمي يلتئم حسب الظاهر من تلقاء نفسه ، لكن لولا أن الله سبحانه وتعالى صممه بطريقة يلتئم بها لما التأم ، هل سمعت مرةً أن شخصاً انكسرت سيارته والتأم الانكسار وحده؟! هل يتم هذا بعالم السيارات؟ أما بعالم البشر فممكن، إذْ وظيفة الطبيب العظمي أن يضع العظمة بجانب العظمة وانتهى دوره ويتولى الله جل في علاه التئام العظْمتَين إذْ الخلايا العظمية بعد اكتمال نُمو الإنسان تنام وتدخل في سبات : ثلاثين سنة ، خمسين سنة ، فإذا حصل كسر تستيقظ ويلْتِئم الكسر، فالله هو **الولي** ، يتولى أمورك يعتنـي بـك ويربيـك ويلاحظ أحوالك إقبالك وإدبارك وانحرافك واستقامتك وإخلاصك ورياءك ؛ بـل إن الإنسـان يعالج في كل ثانية ، لا يحدث شيء على وجه الأرض إلا بحكمة مطلقة وخير مطلق ومعالجة مطلقة ، وهذا هو معنى الله **ولي** الذين آمنوا" وهو **ولي** كل خلقه حتى الكافر ، فالكافر يتَـولى ولكن بطريقة أخرى .

المعنى الثاني لكلمة **ولي** : الناصر ، قوله تعالى:

وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾

[التوبة: الآية ٧١]

ينصر بعضهم بعضاً ، وقوله تعالى:

نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾

[فصلت: الآية ٣١]

أي ننصركم على عدوكم في الدنيا والآخرة ، و**أولي**اء السلطان أنصاره ، فـالمعنى الأول : **الولي** هو المربي الذي يتولى أمر عباده جميعاً ، والمعنى الثاني **الولي** : الناصر.
والمعنى الثالث: المحب ، والدليل قوله تعالى :

ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ

[البقرة: الآية ٢٥٧]

أي يحبهم ، إذاً هو يرعاكم وينصركم ويحبكم ، لكن لو فتحنا كتب اللغة علـى معنى **الولي** لوجدنا أن **الولي** يطلق على المعتق و المعتَق أي على السيد والعبد في وقت واحد وعلى الناصر وعلى الجار وعلى ابن العم وعلى الحليف وعلى القّيم بالأمر ، فهـذه المعـاني المتباعدة المختلفة أليس لها خيط يضمها جميعاً ؟ قالوا المعنى الذي يجمعها جميعاً ؛ **الولي** : القريب والدليل حينما قال الله عز وجل :

أَوۡلَىٰ لَكَ فَأَوۡلَىٰ ﴿٣٤﴾

[القيامة: الآية٣٤]

و معنى أولى لك فأولى أي اقترب منك ما أنذرك الله به، ويكاد أن يتحقق، أيضاً قوله تعالى :

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلۡكُفَّارِ وَلۡيَجِدُواْ فِيكُمۡ غِلۡظَةٗۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿١٢٣﴾

[التوبة: الآية ١٢٣]

فكل معاني الولاية تصل فيما بينها أواصر معنى واحد يجمعها ، وهو أن الله جل في علاه مع عباده والدليل قوله تعالى

وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴿٤﴾

[الحديد: الآية ٤]

هذه المعية العامة وقوله تعالى:

وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ

مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾

[التوبة: الآية٣٦]

هذه المعية الخاصة ، موضوع القرب يحتاج إلى تفصيل .

إذا أمسك أحدهم مذياعاً موصولاً بمأخذ كهربائي وضمه إلى صدره وجعله بين جوانحه واشتد عليه أيهما أقرب إلى المذياع الذي ضمه بين جوانحه أم الكهرباء التي يعمل بها ؟ الكهرباء الذي تغذيه ولذلك

وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾

[ق : الآية١٦]

" ونحن أقرب إليه من حبل الوريد" فمهما شعرت أن زوجتك أو ابنك أو جارك أو شريكك قريب، فالله عز وجل أقرب إليك من نفسك "

وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾

[الأنفال: الآية٢٤]

واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه" فالمراقبة أساسها الشعور أن الله معك أحياناً بالصيف يرتدي الإنسان قميصاً داخلياً فإذا طُرق بابه ، فأول شيء يفعله أن يرتدي عباءته ويستحي أن يظهر أمام الضيف بقميص داخلي ، من أرقى أحوال المؤمن حال المراقبة، فيوقن أن الله معه في خلوته وجلوته وفي سفره وحضره ، والإيمان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك ، هذا هو حال المؤمن مع الله ، هو حال الإحساس أن الله معه يستحي من الله عز وجل، لذلك فالنبي عليه الصلاة والسلام حينما رأى مستأجراً استأجر أجيراً فأراد أن يغتسل فاغتسل أمام الناس عرياناً فقال له النبي عليه الصلاة والسلام خذْ أجارتَك لا حاجة لنا بك إني أراك لا تستحي من الله ، بلغني أنه في بعض الدول التي تؤمن أنه (لا إله) والتي أزالها الله ، أن طالبا جامعيا ذهب ليدرس في جامعتها فوجد مراحيضها بلا حواجز فمئة طالب يدخلون إلى هذا البهو الكبير ، يقضون حوائجهم أمام بعضهم بعضاً ، والحمامات كذلك كلهم لا يستحيون من الله ، فالإنسان يظهر حياؤه في ستر عورته ويحرص على أن يظهر أمام الناس بأجمل مظهر ، أما هذا الذي لا يبالي ولا يرعوي فهو إنسان لا يستحي من الله ، قال له خذ أجارتك لا حاجة لنا بك ، فإنني أراك لا تستحي من الله ،فهذا نبينا عليه الصلاة والسلام وهو سيد الخلق وحبيب الحق ما رئي مادا رجليه قط في كل حياته ، فالله قريب قريب وهو **الولي** الحميد ، تُوكل تربية ابنك إلى معلم يكون قاسياً يضربه ضرباً مبرحاً أو بالعكس يهمله

، قد يكون هناك معلم يدخل إلى الصف يلقي درسا ولا يعطي وظيفة ، فالطالب طيلـة السـنة مستمع ، و المعلم ألقى الدروس والطلاب في واد وهو في واد ، ما أمسك بيده قلماً ولا شرح بيتاً شعرياً مثلا فهذا الطفل لا تنمو قدراته العلمية إذْ نمو العلم بالممارسة ، فهذا **ولـي** غيـر حميد .

و حظ المؤمن من هذا الاسم أن يكون **ولي**اً لله عز وجل ، والتعريف الدقيق هو :

ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾

[يونس: الآية ٦٣]

فإذا كنت تحب أن يكون الله **وليك** ؟ فكن **وليه** بالإيمان به والاستقامة على أمـره ، وعنـدها يصبح خالق الكون **وليك**.

تشعر أن الله هو الذي ساق لك هذا وصرف عنك هذا، وفرج عنـك وضـيق عليك ..فأنت مؤمن لشعورك أن الله هو مربيك ، لا لأن الإيمان منطقي كما يحلو لبعضهم أن يدعي ، حدثني أخ أنه ذهب نزهةً يوم جمعة من وعادته حضور درس علم في هذا اليوم ففقد في رحلته هذه وثائق سيارته ومبلغاً من المال ، لقد رباه الله و لقّنه درسا والنبي عليه الصلاة والسلام يقول: أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قلّ " أفضل خروج تخرجه من بيتك هو أن تتجه إلى مجالس علمٍ لا إلى صفقة ، ولا جلسة ، ولا مصلحة ، ولا ضيافة ، فهناك أهـداف الدنيا ممتنعة لأنه بيت الله عز وجل ، إذا خرجت من بيتك متجهاً لمجالس علـم ، أَتُحـب أن يكون الله **وليك** ؟إن كان كذلك وضعت الملائكة لك أجنحتها رضى بما تصنع ، وهذا ملخـص مفيد إن شاء الله تعالى .

الحياة ممتلئة بالمخاطر ومخيفة ، وفيها منزلقات ؛ زرتُ صديقاً لي ببيته وهو فـي أوج صحته وفي أعلى درجات الترف بعد يومين شعر بضيق التنفس فإذا به يعاني من مرض خطير ، فالإنسان بلحظة تصبح حياته جحيماً ، إذا كنت صالحاً وألم بك مرض فقل الحمد لله ، لكن المصيبة أن تكون غارقاً في المعاصي والشهوات ، وحقـوق العبـاد متعلقـة برقبتـك ويداهمك المرض العضال ، فسيدنا عمر كان إذا أصابته مصيبة قال الحمد لله ثلاثاً : الحمد لله إذ لم تكن في ديني ؛ فإذا كان دخلك حلالاً وصلتك بالله قريبة فكل شيء من مصـائب الـدنيا هين ، فهذه الصحابية الجليلة مات أبوها و وزوجها وأخوها وابنها بمعركة أُحد ،وهي تقول ما فُعل برسول الله حتى رأته بأم عينيها فقالت : يا رسول الله كل مصيبة بعدك جلَلٌ ، فإذا كنـت مستقيماً على شرع الله ، دخلك حلال وتغض بصرك وتخشع في صلاتك وتتلو كتـاب ربـك ولك مجالس علم فكل مصيبة بعد هذا تهون ، لي قاعدة ألتزمها في حياتي خلاصتها أننـي ألا

أيأس: فإذا وقعت دوني مشكلة أقول هذه لاتتعدى اليومينإن شاء الله وهذه لا تتعدى ساعة فكل حال يزول مع الزمن ، فكل مصائب الناس تجد أولها صعباً و آخرها سهلاً ، مـات شـخص تحزن عليه وبعد شهرين تنساه ، أذكر القارئ الكريم : إذا كنت مع الله كان الله معك

و إذا أردت أن يكون الله **وليك** ينبغي أن تكون **وليه** ، وكي تكون **وليًا** لله فالقضية سهلة جـداً إذْ يكفي أن تكون مؤمناً به ومستقيماً على صراطه "

أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾

[يونس: الآية٦٢]

تواجه الشاب عدةُ عقبات فيما يخص مستقبله ، هل هو مشرق أم عابس مكفهـر ؟ هل زواجه ناجح ؟ هل ذريته صالحة ؟ إذا كان هذا الشاب مؤمناً بالله فإنه يقول :

قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾

[التوبة: الآية٥١]

كلمة هو مولانا لها معنى دقيق ، أي : لن يصيبنا إلا الخيـر، فمـادام الله هـو مولانا فلن يصيبنا إلا الخير ، "

ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾

[التغابن: الآية١٣]

بعضهم قال : **الولي** من نصر **أولياءه** وقهر أعداءه ، و**الولي** بحسن رعايته منصور ، والعدو بحكم شقاقه مقهور، والأمور تدور ، وحياتنا لا تستقر إلا بنصر المؤمن وقهر الكافر ، فالعبرة بالاستقرار ، المؤمن يبتلى لكن لا تستقر حياته إلا بإكرام الله له ، والكـافر تجـده مشتتا وهناك ولا تستقر حياته إلا على الهلاك ، إذا أردت الجواب الدقيق فراقـب شـيخوخة مؤمن وشيخوخة كافر ، المؤمن كلما تقدمت سنه كلما ازداد عقلا وعلما ونوراً ومكانـة بـين أولاده وإخوانه وجيرانه ومجتمعه ، أنظر إلى وجهه ، والله إن النظر إلى وجه العلماء عبادة ! أنظر طيب سريرته ، وانظر إلى علاقاته الطيبة ، تراه عفُوا سميحاً كريماً متواضـعاً ثـم انظر إلى إنسان أمضى عمره في الشهوات ، انظر إلى شيخوخة عمره

وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّىٰكُمْ ۚ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٧٠﴾

[النحل: الآية٧٠]

لذلك لا يعتَمد على فترة الشباب لأن المعول عليه خريف العمر، هناك رجل صالح ذهب إلى المدينة المنورة ليجاور النبي عليه الصلاة والسلام ، قيل رأى النبي صلى الله عليه وسلم في منامه يقول له : عملك في بلدك خير من مجاورتي إذا جاورتني تسعد ولا ترقى وتوقف عملك (في الحج نسعد جدا عند رسول الله ، أما في بلدنا نعمل الصالحات فنرقى ، هناك نأكل وننام ونزور ونبكي ، ونعود إلى بلدنا ، لكن في بلدنا نعين على الإنفاق ، فهناك أماكن يسعد بها الإنسان ولا يرقى ، وأماكن يرقى ويسعد) فعاد إلى الشام وأسس مدرسة دينية وهي موجودة حتى الآن ، وعلم فيها ثمانين عاما حتى كان يقول لبعض تلاميذه : يا ابني كان أبوك تلميذي ، وكان جدك تلميذي ! ، وعاش ستة وتسعين عاما بقامة منتَصبة ، وبصرٍ حاد ، وسمع مرهف ، وأسنان منتظمة ، ونشاط في الجسد ، وقوة في الروح ، وكل من سأله : ما هذه الصحة يا شيخ ؟ يقول : يا بني حفظناها في الصغر ، فحفظها الله علينا في الكبر ! لا أظن أن إنساناً غض بصره عن محارم الله إلا حفظ الله له عينيه ، وما أصغى بأذنيه لكلام الله ولكلام النبي العدنان إلا حفظ الله له سمعه ، وآخَر سار إلى المساجد يحفظ الله له رجليه ، وذاك أنفق بيده اليمنى صان الله يديه، واعلم أنه ما من عثرة ولا اختلاج عرق ولا خدش عود إلا بما قدمت أيديكم وما يعفو الله عنه أكثر، ف**الولي** بحسن رعايته منصور والعدو بحكم شقاقه مقهور، يقول الناس : ذاك إنسان إنسان فطس ، تعبيراً عن موته فهو غارق بالشهوات والزنا والإنحراف ، فإذا أمضى حياته بالمعاصي يكون هيناً على الناس ،

فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ وَمَا كَانُوا۟ مُنظَرِينَ ﴿٢٩﴾

[الدخان: الآية٢٩]

أما المؤمن فهو غالٍ على الله عز وجل وعلى الناس ، لذلك صنائع المعروف تقي مصارع السوء ، مرةً كنت متجها لسوق الحميدية وجدت شخصاً ميتاً ، غبتُ ستة ساعات ورجعت ولم يأت قاضي التحقيق بعد ، ومرة كنت بتعزية وجلس أمامي عالم جليل سألته عن صحته وحاله ثم قام من التعزية وخرج فشاهده شخص لا يعرفه- واحتراما لهذا العالم - أوصله بالسيارة إلى بيته ، وبيته بالطابق الرابع وبعدها صعد ودخل بيته وغير ثوبه أسأل روحه إلى ربه، فلو أراد أن يستأجر مركبة لما وصل ، فسبحان الله ذاك مات بالطريق وهذا

مات بفراشه ، وتجد من يموت بالمرحاض، فصنائع المعروف تقي مصارع السوء ، ألا تريد شَيخوخة منورة ؟ وشَيخوخة فيها وقار ، خالية من خرف فكن **ولي** الله ، أسمع قصصا عن المتقدمين في السن زوجته تعيره وأولاده يقولونله إذا تكلم : اصمت ! لقد سمعنا هذه القصة منك آلاف المرات ، ويصبح عبئًا عليهم ، فهذا لم يحفظ نفسه و جوارحه في الصغَر ، لذا فاحفظها في الصغَر يحفظها الله عليك في الكبر ، فمن عاش تقياً عاش قوياً زرت عالماً عمره خمس و ثمانون سنة لا يزال قوياً ، يذهب إلى عمله كل يوم ، وله عمل رسمي فهنأته على نشاطه وسلامة جسمه ، وهناك بعض العلماء في مصر عاش مئة وثلاثين سنة ويتمتع بأعلى درجات الصحة ، فالقاعدة : الأتقى هو الأقوى والعاقبة للمتقين ، والقضية واضحة تماما ، من تعلم القرآن متعه الله بعقله حتى يموت، حدثني طبيب أن مريضاً أُصيب بضيق في الشرايين والحل هو أن يكثر الناس الكلام معه كي يفكر فإذا فكر توسعت الشرايين وتغذى الدماغ أما قارىء القرآن والمصلي يحدث معهما نشاط ذهني من هذه الصلاة فقلما تجد إنساناً مصلياً ومن المكثرين لقراءة القرآن يصل إلى درجة الخرف .

إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْأَخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾

[فصلت: الآية ٣٠]

أكثر شيء بحثنا هذا أن تكون **ولي**اً لله ، حتى تستحق أن يكون الله **وليك** والحياة مزرعة الآخرة ، بها ترقى ، **ول**يس بخيركم من ترك دنياه لآخرته ، فهذا الذي ينسحب من الحياة دراسة و عملًا وهو عبء على الآخرين فهو ليس كاملا في إيمانه ، ولا من ترك آخرته لدنياه،أهمل الآخرة وغاص في الدنيا ثم فوجىء بالموت ولكن من أخذ من كليهما فإن الأولى مطية للثانية .

ٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ

[البقرة: الآية ٢٥٧]

وقوله تعالى:

فَاطِرَ

ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ تَوَفَّنِي مُسۡلِمٗا

وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾

[يوسف: الآية١٠١]

الله **ولي** الخلق جميعاً صالحهم وطالحهم ، مؤمنهم وكافرهم ، ولايته للصالحين إكرامهم ، وولايته للكافر تربيته وتأديبه والدليل :

فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمۡ ذُو رَحۡمَةٖ وَٰسِعَةٖ وَلَا يُرَدُّ بَأۡسُهُۥ عَنِ ٱلۡقَوۡمِ

ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿١٤٧﴾

[الأنعام:الآية١٤٧]

فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمۡ ذُو رَحۡمَةٖ وَٰسِعَةٖ وَلَا يُرَدُّ بَأۡسُهُۥ عَنِ ٱلۡقَوۡمِ

ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿١٤٧﴾

[الأنعام:الآية١٤٧]

الآية الأولى:

أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۖ فَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡوَلِيُّ وَهُوَ يُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ

كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٩﴾

[الشورى:الآية٩]

فالله هو **الولي** و هذه تعني شيئاً بالبلاغة هذه تعني القصر أي لا **ولي** إلا الله ، فمن اتخذ غير الله **وليا** بقي بلا **ولي** لأن ما سوى الله لا يسمى **ولياً** .

الآية الثانية:

وَهُوَ ٱلَّذِي يُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ مِنۢ بَعۡدِ مَا قَنَطُواْ وَيَنشُرُ رَحۡمَتَهُۥۚ وَهُوَ ٱلۡوَلِيُّ

ٱلۡحَمِيدُ ﴿٢٨﴾

[الشورى: الآية٢٨]

تحوي هذه الآية معنى إضافياً ، فأول آية " هو **الولي**" أي لا **ولي** إلا الله، بينما الآيـة الثانية " وهو **الـولي** الحميد " تشير هذه الآية إلى أن ولاية الله مطلقة في كمالها ، مثلاً قد تجد أماً مهملة وأباً مهملاً ومقصراً، أما الله عز وجل إذا تولى مؤمناً فولايته مطلقة فـي كمالهـا وصوابها .

الآية الثالثة:

ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخۡرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِۗ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥٧﴾

[البقرة: الآية٢٥٧]

تشير هذه الآية إلى أنه لا بد لك من **ولي** فإما أن يكون الله **وليـك** وإمـا أن يكـون الشيطان **وليـك** ، إما أن تتحرك بإلهام الملائكة من الله ، وإما أن تتحرك بوساوس الشياطين ، فلا بد من أن تكون عبداً ، عبداً لله أو عبداً لعبد لئيم ، تجد الذين استنكفوا عن عبادة الله أذلهم الله أمام من هم أصغر منهم وحقرهم أمام الآخرين ، فإما أن يكون الله **وليك** أو لا بد مـن أن يكون الشيطان **وليك**، فالشيطان يأمركم بالسوء والفحشاء وأن يقولوا على الله ما لا يعلمون ، " إنما ذلكم الشيطان يخوف **أولياءه** " يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان إلا غروراً .

الآية الرابعة:

إِنَّهُمۡ لَن يُغۡنُواْ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗاۚ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۖ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿١٩﴾

[الجاثية:الآية١٩]

الولاية هنا مجازية لا بمعناها الحقيقي وإنما بمعناها المعـاكس ، أي الظـالمون يورط بعضهم بعضاً في التهلكة والهلاك قال الله عز وجل : " وإن الظالمين بعضـهم **أوليـاء** بعض والله **ولي** المتقين " و المتقون هم الطائعون ، فالله يتولى المتقي والظالم يتولى الظالم ، " ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وأن الكافرين لا مولى لهم " .

آية أخرى

إِنَّ وَلِيِّيَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡكِتَٰبَۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩٦﴾

[الأعراف:الآية١٩٦]

إذا جاء **التولي** مع الصالحين كان ذلك **توليًا** بالإكرام ، أما إذا لم يكن الإنسان صالحاً يتـولاه الله بالمعالجة .

آية أخرى :

وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾

[المائدة:الآية٥٦]

إذا نظرت في التاريخ طالعك : أبو جهل وأبو لهب وأمية ابن خلف ؛ هـؤلاء مـا مصيرهم؟ قُتلوا في بدر ثم قذفوا في البئر ، وخاطبهم النبي أمواتـا فقـال : لقـد كـذبتموني وصدقني الناس وأخرجتموني وآواني الناس ، أوجدتم ما وعد ربكم حقاً ؟ فإني وجـدت مـا وعدني ربي حقاً، والنبي عليه الصلاة والسلام وأصحابه الكرام رفعهم الله مكاناً عليا ، أنظـر عبر التاريخ فكل الذين والوا الله ورسوله أكرمهم الله عز وجل ورفع قدرهم وحفظهم والـذين والوا الشيطان أهلكوا ودمروا وأصبحوا في مزبلة التاريخ ؛ إذا هي إحدى المنزلتين ، إما في سجل الخالدين وإما في مزبلة التاريخ ، الذي وقف مع الحق ونصر دين الله عز وجل نصـره الله عز وجل:

أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ

[يونس:الآية٦٢-٦٣]

ألا إن **أولياء** الله لا خوف عليهم لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة " فـالله يعطيك في هذه الدنيا بعض النفحات وبعض التجليات وبعض المؤانسات والرصيد يوم القيامة

وَإِنَّمَا تُوَفَّوۡنَ أُجُورَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۖ

[آل عمران:الآية١٨٥]

لكن لهم البشرى في الحياة الدنيا ، حتى إن بعض العلماء قال : حينما قـال النبـي صلى الله عليه وسلم :" أبو بكر في الجنة " أي الآن في الجنة ؛ جنة القرب لأن المبشر بالجنة له جنة في الدنيا ، والدليل "

وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾

[الرحمن:الآية٤٦]

فالأولى في الدنيا ، إذاً " لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة " .

الآية الأخيرة :

وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾

[آل عمران:الآية١٠٣]

فبفضل **تولية** الله للمؤمنين صاروا **أولياء** متحابين بعدما كانوا أعداء متباغضين .

وكذلك قوله

وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَآئِكُمْ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرًا ﴿٤٥﴾

[النساء:الآية٤٥]

فالله عز وجل إذا تولى أمر قوم كفاهم ، ولقد تقوم ذات يوم بزيارة طبيـب ثـم تقول والله ما استفدت شيئًا ، أريد طبيبا آخر ، أو توكّل محاميا فلا يعجبك فتريد آخر ، لكـن إذا تولاك الله تعالى فهو الذي يطمئنُك قال تعالى :

وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَآئِكُمْ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرًا ﴿٤٥﴾

[النساء:الآية٤٥]

والحمد لله رب العالمين

الدرس ٣٧ - اسم الله : "المحصي"

بسم الله الرحمن الرحيم

مع الاسم السابع والثلاثين من أسماء الله الحسنى ، والاسم هو **المحصي** قال الله عز وجل في القرآن الكريم:

لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾

[مريم :الآية٩٤]

أذكر القارئ الكريم بحديث لرسول الله صلى الله عليه وسلم وطالما ذكرته في أبحاثي :

عن أبي هريرةَ رضي الله عنْه أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قَـالَ إن لِلـه تسعةً وتسعين اسما مائةً إلا واحدا من أحصاها دخَلَ الجنةَ *

[رواه البخاري ومسلم]

يتوهم المتوهمون أن الإحصاء هو العد ؛ فمن عدها دخل الجنة ، وهذا خطأ في فهم كلمة أحصاها ، وهناك قاعدة وهي أن الشيء العظيم لا يصح أن يتوقف على شيء ضعيف ، فهذه الأحاديث ليست صحيحة ، فدخول الجنة التي خُلق الإنسان من أجلها والتـي كُلـف أن يعرف الله وأن يستقيم على أمره لا تكون فقط بعد هذه الأسماء ، فليس معنى الإحصـاء هـو العد ، وهناك قاعدة في اللغة وهي : الاختلاف في المبنى دليل على الاختلاف في المعنـى ، قال الله :

لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾

فالعد شيء والإحصاء شيء آخر ، فالعد معروف تقول : عندي ثلاثون كتاباً ، أما الإحصاء أن تقول: قرأت كل هذه الكتب وفهمتها صفحة صفحة قيمتها ، وعرفـت أخطاءهـا وصوابها وفوائدها ؛ فالإحصاء يعني العلم الدقيق ، ولو سألت عن عدد الموظفين في مؤسسة وقيل لك : مئة وثمانون فهذا عد، أما إن ذُكرتْ لك أوصافُهم ؛ قدراتهم وكفاءاتهم أوضـاعهم المعاشية ، والإقتصادية والفكرية صار إحصاء ، فالاحصاء هو الذي يفيد العلم ، **فالمحصـي** هو اسم متعلق بعلم الله عز وجل ، لكن هناك مع الإحصاء جزئيات و تفاصـيل ومعلومـات

دقيقة جداً، فالذي يملك معلومات كلية وإجمالية شمولية شيء ، والذي يملك أدق المعلومات مع فروعها شيء آخر، فهذا الأخير هو الإحصاء ، لذلك قالوا الإحصاء هو الإحاطـة بتفاصـيل كثيرة للأشياء وليس هو التعداد ، وإذا قلت هذا أمر لا أحصيه أي لا أطيـق ضـبطه ، والله سبحانه وتعالى هو **المحصي** الذي يحصي الأعمال و يعدها يوم اللقاء ، فالإنسان لا يسـتطيع أن يعد كم يوماً عاشه وكم نزهة قام بها وكم كلمة لفظها لكن الله سبحانه وتعـالى يعلـم كـل أعمالك بدقائقها وتفاصيلها ومناسباتها ودوافعها وأهدافها ، كل هذا تراه يوم القيامة رأي العين وهذا هو معنى **المحصي** .

الله هو **المحصي** أي هو الذي يحصي الأعمال ويهيئها بتفاصيلها ليوم القيامة أو ليوم الحساب أو ليوم الجزاء أو ليوم الثواب والعقاب ، وقيل **المحصي** هو العليم بـدقائق الأمـور وبأسرار المقدور ، هو بالمظاهر بصير وبالبواطن خبير ، وهو **المحصي** للطاعات و**المحصي** لجميع الحالات و**المحصي** لأنفاس الخلائق والخبير بخفي الوسـاوس وهـو العلـيم بجميـع الموجودات وعدد حركاتها وسكناتها وشؤونها ، قال تعالى :

وَمَا
تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَـٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا
يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾

[الأنعام: الآية٥٩]

فالإنسان إذا أيقن أن الله عز وجل يحصي عليه كل حركاته وكل أنفاسـه وكـل أفعاله وكل وساوسه وكل ما تنطوي عليه نفسه من نوايا وبواعث وأهداف وصـراعات كـان شأنه مع الله شأناً آخر ، الإمام الغزالي يرى أن **المحصي** هـو العـالم -فـأدق المعلومـات وجزئياتها إذا أضيفت لعلم الله عز وجل صار الاسم هو **المحصي** ، و**المحصي** هـو المطلـق الذي ينكشف في علمه حد كل معلوم ،أحيانا تسأل شخصا سؤالا فيقول لك : لا أعرف ، وآخر تسأله عن تقدير عدد الطلاب مثلا فيقول لك : لا بد من أن أراجع السجلات ، فأكثر الناس لا يستطيعون طبعاً إذا كانوا صادقين الإدلاء بمعلومات دقيقة ،لأنهـم يفتقـرون إلـى سـجلات ومحاسبين ، لكن الله سبحانه وتعالى عالم بكل شيء بدقة.

العبد إذا أمكنه أن يحصي بعلمه بعض المعلومات فهو يعجز عن أكثرهـا ، قال الله تعالى " وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها " لم يقل الله تعالى وإن تعدوا نعـم الله وإنمـا جاءت بالمفرد ، والسؤال هل النعمة الواحدة تُعد ؟ استنبط العلمـاء أن النعمـة الواحـدة لـو أمضيت كل حياتك تَعد خيراتها وبركاتها ومنافعها تنقضي حياتك ولا تنقضي منافعها ، فهـذا

من إعجاز القرآن الكريم ، "وإن تعدوا نعمة الله " ؛ فأنتم عاجزون عن إحصائها فلأن تكونـوا عاجزين عن شكرها من باب أولى ، كلكم يعلم أن الإنسان إذا رزق مولودا تتابعـت الهـدايا الكثيرة يتمكن بسهرة واحدة أن يحصي مجموع هذه الهدايا ، أما مكافأة أصحاب هذه الهـدايا يحتاج إلى مال كثير ، وإلى جهد كبير ، وإلى أمد طويل ، ففرق كبير بين إحصاء هذه الهدايا وبين المكافأة عليها ، فربنا عز وجل أثبت لنا عجزنا عن عد النعم فما بالُكم عن شكر الـنعم! فأنتم عاجزون عن إحصائها فلأن تكونوا عاجزين عن شكرها من باب أولى ، لذلك فالإنسـان في موضوع الإحصاء يبدو ضعيفا جداً ، فأي مدير مثلا أراد أن يتخذ قراراً دقيقا في مؤسسة يحتاج إلى طاقم من المحاسبين والمستشارين ، فمعنى الإحصاء في حديث رسول الله هو العلم ،

عن أبي هريرةَ رضي الله عنْه أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قالَ إن لِلهِ تسـعةً وتسعين اسما مائةً إلا واحدا من أحصاها دخَلَ الْجنةَ *

[رواه البخاري ومسلم]

وقيل **المحصي** هو المحيط بكل شيء جملة وتفصيلاً لا تخفى عليه خافيـة لا فـي الأرض ولا في السماء ، وقال بعض العلماء **المحصي** هو الـذي بالظـاهر راقـب أنفاسـك وبالباطن راقب حواسك ، وقيل **المحصي** هو الحافظ لأعداد طاعتك العالم بجميـع حالتـك ، فأنت أمام الله مكشوف ولا تخفى عليه من خلقه خافية أبداً " وما تسقط من ورقة إلا يعلمهـا" فمن باب أولى كل حركاتك وسكناتك بعلم الله عز وجل ، فلما أمر الله عز وجـل أم موسـى رضي الله عنها أن تلقي ابنها في اليم ، كانت حركات الموجات وحركة الصندوق بعلم الله عز وجل وسوقه للشاطىء كان بعلم الله عز وجل ، ونزول امرأة فرعون بالذات في هذه اللحظـة بعلم الله عز وجل ، فهذا هو الاحصاء ؛ علم بالدقائق والتفاصيل ، فأكثر الناس علمهم بالكليات والإجمال أما التفاصيل فيقول لك لا أعرف ، فتركيب الدواء مثلا يمكن أن يقال عنه هو نـافع لكذا ، أما عن تفاصيله فعليك الرجوع إلى التعليمات الموجودة بالوصفة ، إذاً العالم بالـدقائق هو الذي يستلزم اسم **المحصي** ، الإمام الرازي يقول: إن هذا الإحصاء راجع إلـى علـم الله سبحانه وتعالى بعدد أجزاء الموجودات وعدد حركاتها وسكناتها .

۞ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦﴾

[هود:الآية٦]

فالدابة وردت نكرة في الآية ، والتنكيرهنا تنكير شمول ، أي دابة علـى وجـه الأرض ؛ نملة ، حشرة جرثومة ، فيروس ، الذي لا يرى حتى بالمجهر الإلكترونـي ، فـأي شيء يدب على وجه الأرض فهو دابة ، فكلمة : من تفيد استغراق أفراد النوع ، دابـةً دابـةً استقصاء ، رزقها على الله ويعلم مستقرها ومستودعها ، هذه الدابة أين مستقرها و مسـتودع رزقها ؟ إذا كان رزقها قمحاً فأين هو ؟ بالجزيرة مثلا أو ببلد ما أو مستورد ؟ يعلم مستقرها ومستودعها هذا هو **المحصي** .

ومن المعاني المهمة لكلمة **المحصي** هي : أن الله عز وجل يحصي لك أعمالك ؛ الصالحة والطالحة فكل شيء مسجل خيراً وشراً ، أعمالك الجليلة مسجلة والصغيرة مسجلة ، وهذا المعنى يجعلك إذا أحسست أنك مراقب وكل حركاتك مسجلة فهذا يسـتدعي أن تكـون منضبطا، ونقف عند بعض الآيات التي ورد فيها لفظ **المحصي** ، علما أن كلمة **المحصي** لـم ترد في القرآن الكريم ولكن وردت مادة الإحصاء وفي مواضع كثيرة .

ففي سورة مريم :

إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾

[مريم:الآية٩٣-٩٤]

في سورة يس :

إِنَّا نَحْنُ نُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَٰرَهُمْ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾

[يس:الآية١٢]

وفي سورة النبأ :

وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ كِتَٰبًا ﴿٢٩﴾

[النبأ:الآية ٢٩]

فكل هذه الآيات ورد فيها فعل الإحصاء ، لذلك حظ العبد من هذا الاسم هو : أنه متى علم أن الله يحصي عليه كل حركاته وسكناته وخواطره وأنفاسه ونواياه شعر أن الله عز وجل بالمرصاد ، وعليه أن يكون في وضع يستحي فيه من الله عز وجل ، فيجب أن تراقـب

قلبك ، ولتعلم أن الله عز وجل يراقبك ، لذلك سيدنا عمر يقول: " فتعاهد قلبك " ، فنحن دائمـا نتعاهد أجسامنا ، بحيث نسرع لوقاية أي عضو أُصيب ، أما المؤمن فإنه يتعاهد قلبـه كـذلك ويخشى أن يرى الله عز وجل في قلبه شيئاً لا يرضيه، ولذلك قالوا القلب منظر الرب ، وفـي الحديث القدسي: " عبدي طهرت منظر الخلق سنين أفلا طهرت منظري ساعة " ومن الآداب التي ينبغي أن يتحلى بها المؤمن أن يحصي هو أيضاً أخطاءه ويحصي أفعاله ويحصي أيامه ، ويحصي نعم الله عليه ، فهناك شخص أعرفه يسجل أخطاءه ليستغفر الله عز وجل عند تذكرها ويقابل كلّ خطيئة بعمل صالح ، مع أن الإحصاء بين العبد والرب فيه فرق وبـون شاسـع ، ولكن يجب أن تُعلم نفْسك أن تُحصي أيامك ، يقول : مضى من عمري كذا ، فهل بقـي لـي بِقَدر ما مضى ؟! واللهِ هذا سؤال دقيق ونافع جدا ، وهو سؤال محرِج ؛ كيف مضـتْ هـذه السنوات الأربعون ، أوالثلاثون ، إذًا مضى من عمري أكثر مما بقي ، وهذا الذي مضى كلمح البصر ، فالذي بقي أقلّ ، فكيف أشغل هذه الأيام والليالي ؟ كيف سأُنظم برنامجي ؟ ، وكيـف سأطلب العلم ؟ وما العمل الذي سألقى به الله تعالى ؟ فالعبد إذا أحصى أخطاءه واسـتغفر الله منها كان هذا حافزاً لطاعة ربه وابتعاده من الغفلة ، بعضهم دعا ربه سبحانه وتعالى فقـال : إلهي أنت **المحصي** لحركات العباد والمحيط بعمل أهل الجفاء وأهل الوداد أحصـيت جميـع الأسرار في الإنسان وجمعت فيه سائر الأكوان ، اكشف عن قلوبنا الحجاب حتى نشـهد فـي أنفسنا أنوار المعطي الوهاب وامنحنا نور المراقبة حتى نراقب جميع أعمالنا ونحصي سـائر أحوالنا إنك على كل شيء قدير.

الحقيقة أن أسماء الله الحسنى مهما تحدثنا عنها فلن نفيها حقّها لأن الله عز وجل لا نهاية لكماله ، فمن أسماء الله الحسنى الأخرى : الحفيظ ربنا عز وجل قال :

وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴿٢١﴾

[سبأ:الآية٢١]

اخترت هذا الاسم مع الاسم الأول لشدة العلاقة بينهما ، فالله سبحانه وتعالى حفيظ ؛ حفظ لنا القرآن الكريم قال تعالى :

إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ﴿٩﴾

[الحجر:الآية٩]

وهذا من النعم العظمى ، تقرأ القرآن وأنت واثق أنه كلام الله حقاً ، فـالله هـو الذي تولى حفظه حت إنه قيل : لو أن الإنسان أخطأ في القرآن لصاح به الصبية في كل مكان

، فهو المنقول بالتواتر ، وحفْظ الله له جعله مصونا عن تحريف المبطلين مهما كانت قوتهم ، سمعت مرة أن الأجانب طبعوا خمسين ألف نسخة في تركيا وحذفوا كلمة واحدة وهـي قولـه تعالى:

وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾

[آل عمران:الآية ٨٥]

حذفوا كلمة [غير] فجمعت كل تلك النسخ وحرقت وهذا من تولي حفظ الله للقـرآن الكريم، وحفظ الله هذا القرآن بأن سخر له علماء أجلاء ، قوله تعالى :

لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ

[الرعد:الآية ١١]

"يحفظونه من أمر الله " فهذا حفظ الله للإنسان كذلك بالإضافة لحفظ القرآن بأن سخر له ملائكة يحفظونه وربنا عز وجل يقول:

إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ ﴿٥٧﴾

[هود:الآية٥٧]

والنبي عليه الصلاة والسلام علمنا أن نقرأ قبل النوم آية الكرسي وقال :لا يـزال عليك من الله حافظ ، فقد تصيبك أخطار بالليل فالله هو الحافظ ، ومعنى حفيظ كذلك : يحفـظ الأعمال قال تعالى والذين اتخذوا من دونه أولياء الله حفيظ عليهم وما أنت عليهم بوكيل " وهذا المعنى الثالث وهناك معانٍ أخرى في قوله تعالى : ولا يؤوده حفظهما وهو العلـي العظـيم" وقوله :

۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾

[فاطر:الآية٤١]

فهو سبحانه الذي يحفظ الوجود من الاضطراب ثم العدم ،خلق الكـون ويحفـظ بقاءه وهذا هو معنى قوله تعالى : "إن الله يمسك السماوات والأرض أن تَزولا " ومن يحفـظ للأرض توقيتها ومسارها ؟ هو الله جل جلاله .

وهو الذي يحفظ لك دينك ولو تخلى عنه لزلت به شبهة أو شهوة ، فسلامة دين المرء دليـل على حفظ الله له من كل سوء ، ومن معنى الحفيظ : الوكيل ، قال تعالى :

فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦٓ إِلَيْكُمْ ۚ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّى قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُۥ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ ﴿٥٧﴾

[هود:الآية٥٧]

فمعنى الحفيظ ومعنى **المحصي** تجمعهما قواسم مشتركة ، فالحفيظ حفـظ لـك القرآن الكريم ، والحفيظ حفظك من شر ما خلق ، ألا تقرأ قوله تعالى:

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴿١﴾ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴿٤﴾ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾

[سورة الفلق]

فعلى المؤمن أن يعود نفسه قراءة المعوذات كل يوم ، لكن هل هناك فرق بـين الاستعاذة بالله واللياذ بالله ؟

الاستعاذة من الشر واللياذ في الخير ، لاذ بالله ليرزقه طفلاً ، لاذ بـالله ليرزقـه رزقاً حسنا واستعاذ بالله من الشيطان الرجيم ، فالعياذ من الشر واللياذ في الخيـر ، الإنسـان يستعيذ أحيانا من الشيطان الرجيم ولا يرى نتيجة لهذه الإستعاذة فكيف نجيبـه ؟ فالاسـتعاذة ليست مجدية إلا إذا كان القلب حاضراً ، فإذا كانت الإستعاذة لفظية فهذه لا تقدم ولا تـؤخر ، وربنا عز وجل يقول : قل أعوذ برب الفلق من شر ما خلق " فهناك مخلوقات شريرة ، يحمل الإيدز بأمريكا مئتان وأربعون ألف شخص مات منهم مئة وأربعون ألفـاً ، ومليـون إنسـان يحملون هذا المرض في مختلف أصقاع الأرض فهذا من شر ما خلق ، ويقدرون أنـه بعـد خمس سنوات أو عشر سيصبح الرقم فلكياً ، ولا يشغل العالم الغربي اليوم إلا هذا المـرض ، والنبي عليه الصلاة والسلام قال **عن عبد الله بن عمر قَالَ أَقْبَلَ علينَا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فَقَالَ يا معشَر المهاجِرين خَمس إِذَا ابتُليتُم بِهن وأَعوذُ بِالله أَن تُـدرِكُوهن لـم**

تَظْهر الْفَاحشَةُ في قَومٍ قَط حتى يعلنُوا بها إلا فَشَا فيهم الطاعون والأوجاع التي لـم تَكُـن مضتْ في أسلافهم الذين مضوا...*

[رواه ابن ماجه]

فما ظهرت الفاحشة في قوم حتى يعلنوا بها إلا أصابتهم الأسقام التي لم تكـن في أسلافهم " ، النمو العشوائي للخلايا هو كذلك من الأمراض المزمنة التي تُحير العلمـاء ، فهذا من يحفظك منه ؟ الله خير حافظا ، الإمام الغزالي يقول : المؤمن يجتهد أن يحفظ نفسـه من اتباع الشبهات والبدع ، فحظك من هذا الاسم أن تحفظ نفسك من الشبهات والبدع ، والبدع جد خطيرة ، وأخطر من هذا أن تحمل عقائد ليست صحيحة ، فخطأ في العقيدة ينسحب علـى جميع أعمالك ، فالمؤمن دائما مع مراجعة نفسه ، فالحفظ هنا هو حفظ نفسـك مـن العقائـد الزائغة ، وكذلك أن تحفظ جوارحك من المعاصي والآثام ، ومما يدفع المرء للمعصية الشهوةُ والغضب ، فهما سببا الطغيان. فالزنى معصية كبيرة جدا ، ذكره الله تعالى بين موتين ، قال تعالى :

وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾

[الفرقان: الآية ٦٨]

فجاء نفي الزنى عن المؤمنين بين النفي عن قتيلين فالزنى كالقتل تماماً ، وكيفية التخلص من هذا هو البعد عن أسباب الزنى وليس الزنى ؛ وأسباب الزنىالخلوة و المصافحة والاختلاط و النظر هذه كلها تجعل بينك وبين الزنى هامشاً أمامياً ، إذاً قوام الأمر حفظ النفس من عقائد مضلة والجوارح من أسباب الشهوات .

ذكر الله في القرآن عبدا من عباده اتصف باسم الحفيظ ؟ قوله تعالى

قَالَ ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ ۖ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾

[يوسف:الآية٥٥]

فحينما قال النبي عليه الصلاة والسلام : " تخلقوا بأخلاق الله " فهذا من التخلـق بأخلاق الله ، فالمؤمن من علاماته الحفظ ألا يضيع ما تحت وغير المؤمن من علاماته التيـه قال الله تعالى :

وَلَا تُطِعۡ مَنۡ

أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ٢٨

[الكهف: الآية ٢٨]

فالمؤمن فطن وكيس قال تعالى :

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذۡرَكُمۡ

[النساء:الآية٧١]

إن الحفيظ هو الذي هداك إلى التوحيد وخصك في الخدمة بأنواع الحفظ والتسديد ، إذا هداك الله إلى التوحيد وجعلك ممن تخدم الخلق فهذا من كرم الله عز وجل وتحقيقاً لاسـم الحفيظ، وقيل أيضا: الحفيظ هو الذي صانك في حال المحنة عن الشكوى ، وفي حال النعمـة عن البلوى ، فإذا راجت تجارتك فاحفظ دينك ، وإذا كسرت فاحفظ مالك ، ويحفظ الله المـرء من الشياطين إذا استعاذ به المستعيذ ، سيدنا موسى حينما رأى هذا القبطي وقد اعتدى عليـه المعتدون قال :إن هذا من عمل الشيطان إنه عدو مضل مبين " في بعض الأحيان يقوم بعضهم بارتكاب جريمة من أجل شيء زهيد ، وعلى هذا يجب على الإنسان أن يستعيذ مـن سـاعة الغفلة عن الله عز وجل ، فالحفيظ يحفظ لك عقيدتك وجسمك وأهلك ومالك .

وهذا معنى آخر من معاني الحفيظ : أن الله سبحانه وتعالى لا ينسى قال تعالى : لا يضل ربي ولا ينسى ، فالإنسان قد ينسى ولكن الله تعالى منزه عن ذلك . الحفيظ أيضاً هو الذي يقوم بالرعاية والعناية .

بعضهم قال :

يا حافظاً لوجود العالمينـ ـا فما يحيد عن غاية نقضها خسرانا

وحافظ الخلق أن يلقوا بأنفسهم إلى الهلاك زرافات ووحـ ـ ـ ـدانا

خلقت فيهم عيونا يبصرون بها وقد خلقت بهم للسمـ ـ ـ ـ ـع آذانا

لو لم تكن أنت يا رباه حافظـهم لم تشهد الأرض فوق الأرض إنسانا

العين حفظها الله لنا ؟ موضوعة في مكان محفوظ وآمن ، افرض لو أنها وضعت على الجبين لفُقئت منذ أول سقطة يسقطها الإنسان فسبحان الله الذي وضعها في مكان حصين مكين ، كذلك الجمجمة بمفاصلها المتداخلة ،الشرايين مكانها داخلي والأوردة مكانها خارجي فلو عكس الأمر لصار الضغط عالياً فكل هذا من حفظ الله ، إذا جاع الإنسان ؛ السبب الوحيد لجوعه هو: افتقاد كمية من السكر في الكبد وليس في الدم بديل ، فلو جاء خبر مفزع لهذا الجائع لزال عنه

الجوع ، فمن حفظ الله لنا أنه جعل لنا الاحساس بالجوع يبدأ عندما تنقص كميات السكر في الكبد ، ومن حفظ الله لنا أنه جعل لنا في العظام أعصابا حسية ، فلو انعدمت لمشى الإنسان بعد انكسار رجله الكثير دون أن يشعر حتى تقطع رجله ، وهذا من نعمة الله أن جعل لنا أعصابا حتى إذا أُصبنا تُرسل تنبيهات ألم كي نبقى على حالنا ولا نتحرك وكي يسهل العلاج بعد الكسر ، ومن حفظه أن جعل كل الأطعمة السامة مرةً ، فجسمنا يحمل مناعةً تحارب الجراثيم ، فلو أمعن المرء النظر إلى جسمه لكفاه أن يدرك حقيقة حفظ الله لنا .

والحمد لله رب العالمين

الدرس ٣٨ - اسم الله : "الخبير"

بسم الله الرحمن الرحيم

مع الاسم الثامن والثلاثين من أسماء الله الحسنى ، والاسم هو **الخبير** ، و**الخبير** من أسماء الله الحسنى كما أنه لا يخفى على القراء الكرام أن أسماء الله كلها حسنى ، قال تعالى :

وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ

[الأعراف: الآية ١٨٠]

ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها ، وكمال الله جل جلاله كمال مطلق ، بينما كمال الإنسان كمال نسبي ، فعدلُه مطلق ، وقدرتُه مطلقة ، ورحمتُه مطلقة ، وعلمه مطلق .

ومن المعلوم عند القارئ الكريم أن **الخبير** صرفيا وزنه فَعيل ، ومـن معـاني فعيل مفْعل فخبير بمعنى مخبِر ، ويراد به أنه متكلم ، وأن القـرآن كـلام الله عـز وجـل ، والمعنى الآخر للخبير هو الذي يعلم كل شيء ولا يغيب عن علمه صغيرة ولا كبيرة ، وهـو العالم بكُنْه كل شيء ، ومطلع على كل حقيقة مهما دقت أو خفيت ، العليم بدقائق الأمـور لا تخفى عليه خافية ، يعلم الداء والدواء ، العلم بظاهر الأشـياء وبواطنهـا بشـكلها وحقيقتهـا وبجلائلها ودقائقها بما تراه عينك وبما يخفى عنها ، يقول الإمام الغزالي **الخبير** هو الـذي لا تغرب عنه الأخبار الباطنة ، ولا يجري في الملك والملكوت شيء إلا بعلمه ، ولا تتحرك ذرة ولا تسكن إلا بعلمه ولا تضطرب نفس ولا تطمئن إلا بعلمه ، وقيل **الخبير** : الذي لا يخفـى عليه شيء في الأرض ولا في السماء ، ولا تتحرك حركةٌ ولا تسـكن سـاكنةٌ فـي السـماء والأرض إلا يعلم مستقرها ومستودعها . لكن قد يسأل سائل أليس هذا هو العليم ؟ هـذا كلـه يمكن أن يكون شرحا لاسم العليم فمالنا نتحدث عن اسم **الخبير** بما يشبه اسم العليم ؟ الحقيقـة أن العلماء فرقوا بين العليم و**الخبير**

ف**الخبير** يفيد معنى العليم ، ولكن العليم لا يفيد معنى **الخبير** ، لذلك اسم **الخبير** هو عليم ومع العلم شيء آخر ، وسوف أُوضح عن طريق الأمثلة الفرق الدقيق بين العليم و**الخبير** ، وهناك

آية في القرآن الكريم ورد فيها اسم **الخبير** ، وسأجعلها أساسا لهذا البحث ، وقـد ثبـت فـي القرآن لفظ **الخبير** أكثر من أربعين مرة فقال تعالى :

وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ۖ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٣٤﴾

[البقرة :الآية ٢٣٤]

لو أنني أمسكت هذا الكأس ووضعته في هذا المكان أنتم جميعاً رأيتم أنني نقلتـه من مكان لآخر فذا هو العلم ، ولكن لماذا نقلته ؟

ما الدوافع التي حملتني على نقله ، وما الخواطر التي خطرت ببالي حين نقلته ، وماذا أبتغي بنقله ، وما الباعث على نقله ، علمك أنه انتقل من مكانٍ لآخر هذا يسمى علمـاً . أما **الخبير** إذا قال الله عز وجل : والله بما تعملون خبير" يعني يمكن أن تعمل عملا لا يشـك أحد من الخلق أنه عمل طيب، وتكون النية ليست طيبة فالله خبير بما تعمل ، قد تدعي شـيئاً وأنت على خلافه ، وقد تريد شيئاً في الظاهر ، ولكنك في الباطن لا تريده ، وقد ترحب وأنت تبغض ، وقد تغضب وأنت تحب ، حقيقة العمل ومؤدى العمل هي للخبير فهو الذي يعلم ذلك ، فالخبرة العلم بدقائق الأمور وببواطنها وبواعثها وبأهدافها البعيدة وبما يخامر فاعلهـا مـن مشاعر

آية ثانية :

فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٣٤﴾

[البقرة :الآية ٢٣٤]

من باب الطرفة نقول : هذه أسرة تزورهم ، وذات يوم من أيام الشتاء صديقة زوجته تجلس مع زوجته في غرفة مجاورة ، يقول الزوج تعالين إلى هنا فالغرفة هنا أدفأ ، يا ترى هل هذا الذي ذكره هو الحقيقة ، أم هناك شيء يخفيه ولا نعلمه ؟ فالله خبير والأعمـال بحجمها وتفاصيلها ، وبواعثها وأهدافها وأبعادها و بمقاصدها وخلفياتها وجزئياتها لا يعلمها إلا الله ، فالله هو **الخبير** ، قال تعالى :

۞ إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِىٓ أُخْرَىٰكُمْ فَأَثَٰبَكُمْ غَمًّۢا بِغَمٍّ لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَآ أَصَٰبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٥٣﴾

[آل عمران: الآية ١٥٣]

قد تجد إنساناً يعمل عملاً طيباً وربما ساق الله له بعض المصائب فتقول : لِـم أصيب وأعماله طيبة ؟ أنت لا تعلم لأن الله هو **الخبير**، لم يسق الله له هذا الحادث إلا لحكمـة بالِغة ورحمة به ، فالله بما تعملون خبير ، مثلٌ آخر ؛ طبيب له الحق أن يرى موضع الألـم من المرأة ، لكنه إن نظر إلى موضع آخر لا تشكو منه فهل على وجه الأرض جهة تكشـف خيانة بصره؟ لا ... إلا الله ، قال تعالى:

يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴿١٩﴾

[غافر: الآية ١٩]

وقال تعالى:

مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾

(سورة الحديد : الآية ٢٢)

فإذا أرسل الله عز وجل مصيبة فلا تحزنوا لمجيئها ، ولا تفرحوا بما آتاكم فالله خبير بما تعملون ، حكمة الله اقتضت أن يرسل عليكم هذه المصيبة ، إنسان صالح هو في حركة انتقال من بيته إلى مسجده وبالعكس رزقه الله تعالى مبلغاً كبيراً من المال هل سيبقى على حاله أم يتغير ؟ هذا لا نعلمه ، لكن الله يعلمه فالله خبير بما تعملون ، علم ما كان وعلم ما يكون وعلم ما سيكون وعلم ما لم يكن لو كان كيف كان يكون ، إن من عبادي من لا يصلحه إلا الفقر فإذا أغنيته أفسدت عليه دينه ، وإن من عبادي من لا يصلحه إلا الغنى فإذا أفقرته أفسدت عليه دينه ، فمن الذي يعلم حقيقة النفس ، كنت مرة في طريقي فرأيتُ جداراً منهاراً بسبب هبوب عاصفة هوجاء بلغت سرعتها مئة وثمانين كيلومترا في الساعة ، فهذا الذي بنى الجدار هل يعرف السرعة التي ينهدم فيها الجدار؟ لا يعرف ونحن إذا أردنا أن نعرف لا بد من التجارب ، فبعض المعامل من أجل أن تعرف مقاومة الآلات ، تضعها في

ظروف صعبة بمركبة تنتقل بسرعة مئة كيلو متر وأمامها جدار من الإسمنت المسلّح ، طبعا يحتالون على أن تنطلق من غير سائق ترتطم بهذا الجدار ، فيختبرون مقاومة هذا المعدن وهذا الهيكل على سرعة مئة كيلو متر ، ماذا فعل بها هذا الصدم الشديد ؟ وإلى أي مكان وصل هذا الصدم ، ويبنون على هذه التجربة خبرتهم ! إن الإنسان الذي صنع هيكل مركبة وغلّفها وهيأها ، لا يعرف في حال اصطدامها بجدار مدى تأثير الجدار فيها إلا بعد الاختبار ، فنحن لا نعلم إلا بالتجربة ، فخبرة الله قديمة وخبرة ، الإنسان مكتسبة ، والدليل أن خلق الإنسان لم يطرأ عليه أي تغيير منذ خلقه الله سبحانه وتعالى . فالبشر من العصور القديمة وحتى الآن لم يطرأ تغيير على خلقهم . بينما إذا نظرنا إلى سيارة صنعت سنة ألف وتسعمئة مثلا ، ترى بينها وبين التي صنعت سنة ألف وتسعمئة وخمسة وتسعين بوناً شاسعاً غير معقول ، فالقطار الأول الذي صنع قديماً ألزمهم أن يضعوا إنساناً أمامه كي يحذر الناس حينما يمشي ؛ فسرعته كانت تعادل سرعة الإنسان أما الآن فالقطار ينطلق بسرعة ثلاثمئة وستين كيلومترا في الساعة والتطورات لا زالت تأتي بالجديد ، فالإنسان خبرته مكتسبة وحادثة أما الله فخبرته قديمة بدليل أن كل شيء خلقه الله خلقه منذ اللحظة الأولى في أبدع صورة وفي أكمل حال ولا زال على صورته وحاله ، قال تعالى :

وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾

[النمل: الآية ٨٨]

مرة كنت عند أحد إخواننا الكرام الذين يعملون بإصلاح السيارات ورأيت عندهم قطعة ميكانيكية ملقاة على الأرض فقلتُ : ما قصة هذه القطعة ؟ فقال : جاءت وجبة مركبات فيها هذه القطعة ، وبعد عشرة آلاف كيلو مت من استعمال المركبة ، تكسر من هذا المكان وأشار إليه ، ويوجد فيها منطقة ضعيفة ، والذي صمم هذه الآلة لم يكن يتخيل أن هذا المكان ضعيف على التحمل وبذل الجهد ، ومنها علمت أن كلّ تعديل يطرأ على مركبة أو على آلة دليل نقص في الخبرة ، والنقص في الخبرة يتلافونه في العام القادم ! فالتطويرات التي تطرأ على خبرة الإنسان دليل على أن خبرته ناقصة ومكتسبة وحادثة ، أما خلق الله الكامل والذي لا يزال كاملا وسيبقى كاملا دليل على أن خبرة الله قديمة ، حليب الأم مثلا فقير من الحديد وهو معدن أساسي جدا في تكوين خضاب الدم ، لو فحصنا طحال وليد رضيع نجد أن فيه كمية حديد تكفيه عامين إلى أن يتمكن من أن يأكل غذاء منوعا ، فمن فعل هذا ؟ **الخبير**، ولماذا جعل ثقب بين الأذين والأذين في القلب ، كشفه العالم بوتال وهذا الثقب

وظيفته أنه مادام الطفل في بطن أمه ولا يلزمه هواء ولا يتنفس والرئة معطلة ، لذلك بدل أن يدور الدم إلى الرئة ويعود إلى الأذين ينتقل من أُذين إلى أُذين ، وحينما يولد الطفل تحدث له جلطة لتغلق هذا الثقب كما قال العلماء ، وعندها تنتقل الدورة التي كانت من الأذين إلى الأذين فتصبح من الأذين إلى الرئة إلى البطين كل هذا من صنع **الخبير** ، ويلح علينا الآن سؤال هام ؛ لماذا لا نجد في أظافرنا وشعورنا أعصاباً حسية ؟ فلو كان الأمر كذلك لاحتجنا إلى الذهاب إلى المستشفى لتقليم أظافرنا وشعورنا ولاحتجنا إلى تخدير . فهذا هو **الخبير** الذي أعطى كل شيء خلقه ، إذ لم يجعل أعصاب الحس في الأظافر ولا في الشعر ولكنّه جعل أعصاب الحس في العظام ! فإذا انكسر العظم تألّم الإنسان أشد الألم ، فالشعور بالألم أربعة أخماس العلاج ! كذلك لو دققت في خلق الإنسان وفي خلق الحيوان والنبات لرأيت العجب العجاب ، لو تـرك الفلاح الشجرة بلا سقيا ما الذي يحصل ؟ ستستهلك هذه الشجرة ماء الورق ثم ماء الغصن ثم ماء الفروع ثم ماء الجذع ثم ماء الجذور وآخر ماء تستهلكه هو الماء الذي في آخر الجـذر ، فلو كانت الشجرة تستهلك الماء ابتداء من الجذور لماتت كل الأشجار لمجرد توقفنا عن سقياها مرة واحدة ولكن الله رحمة بنا جعل الدورة معاكسة ، ولماذا ينكمش الماء إذا بردناه ؟ أما إذا وصل إلى درجة زائد أربعة فيزداد حجمه ، هذه الظاهرة لولاها لما كانت حياة علـى سـطح الأرض كل هذا من فعل **الخبير**، قال تعالى :

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾

[المائدة: الآية٨]

حتى العدل مع الكافر قُربة إلى الله ، قد تقربه إلى الإيمان حينما تعدل مع الكافر ، فهل هذا ابتغاء مرضات الله أو خوف من الإنسان ؟ من يكشف ما إذا كان هـذا الإحسـان صادراً عن خوف من الناس أوعن ابتغاء مرضات الله ؛ هو الله سبحانه وتعالى :

ولا يجرِمنكُم شَنَآن قَومٍ علَى ألا تَعدلُوا اعدلُوا هو أَقْرب لِلتقْوى واتقُوا اللـه إن الله خَبِير بِما تَعملُون .

وفي آية أخرى:

وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٨﴾

[الأنعام :الآية١٨]

وقوله تعالى

لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾

[الأنعام :الآية ١٠٣]

لو احتال طبيب أسنان على قلع ضرس طفل فمهما يهون على الطفل ومهما يداعبه فإن الطفل يشعر بالألم ، إما بألم الحقنة المخدرة أو بألم الضرس مباشرة ، لكن الله **الخبير** إذا أراد تبديل أسنان هذا الطفل فهل يتألم هذا الطفل ؟ لا إطلاقاً فهو لا يشعر بسقوط أسنانه اللبنية وتبديلها.

ويقول الله تعالى :

أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تُتۡرَكُواْ وَلَمَّا يَعۡلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمۡ وَلَمۡ يَتَّخِذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَلِيجَةٗۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴿١٦﴾

[التوبة :الآية ١٦]

ورد اسم **الخبير** كما قلنا في أربعين آية من كتاب الله ، **والخبير** هو الذي يعلم بالبواعث والخواطر ، يعلم الخلفيات والملابسات ويعلم حقيقة كل شيء ، ويعلم الاحتمالات فنحن البشر لا نعلم حقيقة الشيء إلا بالتجارب ، حتى إذا أردنا صنع دواء نزرعه في الجراثيم كي نتعرف إلى مدى مفعوله ، إما أن يقتل تلك الجراثيم فهو فاعل ، وإما أن تبقى حية كما كانت فهو غير فاعل ، فعلوم البشر كلها أساسها التجربة ، لذلك سموه بالعلم التجريبي لكن علم الله وخبرته لا يفتقر إلى التجربة ، قال تعالى :

أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَتُصۡبِحُ ٱلۡأَرۡضُ مُخۡضَرَّةًۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٞ ﴿٦٣﴾

[الحج :الآية ٦٣]

في مواضع كثيرة جاء اسم **الخبير** مقرونا باسم اللطيف فهناك علاقة بين الخبرة واللطف ، آية أخرى :

قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾

[النور :الآية ٣٠]

فهذا الذي يغض بصره أمام الملأ ويتصنع ثم إذا اختلى بنفسه ومد بصره إلى الحرام ، هل يستطيع أحد أن يعرف إخلاص هذا المرء ورياءه؟ لا أحد ولكن اللطيف **الخبير** أعلم بحاله من نفسه ، لذلك قال تعالى في آخر الآية إن الله خبير بما يصنعون .

إذا علمت أن الله يعلم وهو خبير بسرك وجهرك وسريرتك وعلانيتك وخَلْوتك وجلْوتَك وبواعثك وخواطرك ومقاصدك وخلفياتك والمؤدى الذي تبتغيه من عملك ، وعلمت أن الله خبير وأنك في قبضته ، فما التطبيقات العملية لهذا الاسم ؟ أنت مكشوف أمامه ولا تخفى على الله منك خافية، علانيتك كسرك ، وجهرك كسرك ، فهذا يجعلك تستقيم على طاعته وألّا تخشى معه أحداً آخر وهذه هي أول ثمرة للإيمان باسم **الخبير** يقول القشيري : من أدب المؤمن مع اسم **الخبير** أنه من عرف أن الله خبير بأفعاله وأقواله وأعماله كان محترزاً في أقواله وأعماله وواثقاً بجميع اختياره وأنه ما قُسم له لن يفوته ومالم يقسم له لن يدركه ، إذاً أولُ ثمرة الاستقامةُ والرضا والاستسلام ، ومن أدرك وأيقن "اسم **الخبير** "يرى أن جميع الحوادث من الله سبحانه وتعالى ، فتهون عليه الأمور بخلاف من يضيف بعض الحوادث إلى الحق وبعضها إلى الخلق ، وأنه هو الفعال لما يريد وكل الأمور بيده ، من خلال هذا نقول : إنك إذا أيقنت من "اسم **الخبير**" أنه هوالمطلع على سرك وهو عليم بِخَفي أمرك وما في صدرك يكفي لرفع همتك إليه واستحضار حاجتك في قلبك من غير أن تنطق بلسانك وهي فكرة دقيقة جداً ، علْمك أن الله مطلع على قلبك يجعلك تناديه نداء خفياً كما فعل سيدنا زكريا

إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ﴿٣﴾

[مريم : الآية ٣]

وبعضهم تجده يجهر بالدعاء وكأنه يناجي بعيداً ، فالمؤمن إذا عرف اسم **الخبير** ناجاه في سره وسأله في سره ودعاه في سره ، ولم يحتج لرفع صوته بالدعاء ، قبل أن يلقى إبراهيم في النار ، قال له جبريل : ألك من حاجة يا إبراهيم ؟ قال : منك ، قال : لا بل من الله ، فقال :علمه بحالي يغني عن سؤالي . فإذا كنت يا الله معي في كل حالي فأنا في غنى عن حمل زادي ، بعضهم ينصح المؤمنين أن من كانت به حاجة إلى الله أن يقرأ قوله تعالى :

أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ﴿١٤﴾

[الملك :الآية ١٤]

هناك معنى آخر للخبير ، فأنت في دنياك تتحرك وهناك أهداف ووسائل سمح بها الشرع لكسب المال وهناك وسائل غير مشروعة ، فقد يبدو لك أن هذه الوسائل التي لم يسمح بها الشرع أسرع ونتائجها أضمن وهدفها أكبر وتتوهم أن الطريق التي رسمها الله لك طريق طويلة وهزيلة ، فيقبل هذا الإنسان الجاهل على وسيلة غير مشروعة من أجل كسب المال فيفاجأ بتلَف ماله ؛ لماذا يا رب ؟ فمن أجل الوصول إلى دخْلٍ وفير أنت مكلف بتطبيق منهج الله ، فالنجاح ليس بالذكاء وإنما بالتوفيق ، والتوفيق بالطاعة ، فالذي يسرع لوسيلة غير مشروعة ظناً منه أنها موصلة قبل المشروعة فهو واهم لأن الله خبير ، وهو الذي أمرك بالإقبال عليه وأن الإنغماس في الشهوات شقاوة وأن كل السعادة بطاعة الله ، فكل من اتبع **الخبير** يسعد ، قال تعالى:

وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ﴿٢٨﴾

[الكهف :الآية ٢٨]

فحينما تسلك منهج الله تقطف الثمار اليانعة وحينما تحيد عن منهج الله تندم أشد الندم لأنك أسأت الظن **بالخبير** ، فيما يخص الآلات الثمينة والمعقدة وعظيمة النفع تعتقد بالبداهة والفطرة دون توجيه أن الذي صنعها هو الوحيد **الخبير** بها ، ولذلك تحتاج لكُتيب ، فإذا كان هذا في شأن هذه الآلة ، فما بالك في شأن نفسك التي تحوي أسراراً وخفايا لا يعلمها إلا الله فهي تحوي أفكاراً وشهوات وروحاً وجسداً وميولات وغرائز وطموحات وقيماً ومبادىء وكلها أمور معقدة جداً ، أفلا يجعلنا هذا نقول إن لهذه النفس منهجا يوجهها ويسددها ، إنه منهج الله

أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ﴿١٤﴾

[الملك : الآية ١٤]

الإمام الغزالي رحمه الله تعالى تكلم عن حظ العبد من اسم **الخبير** -هذا موضوع ثالث- ولقد سرنا في بحثنا هذا وفق النسق التالي: التعريف باسم **الخبير** ، التطبيقات العملية لاسم **الخبير** ، ومن ثم حظ العبد من اسم **الخبير** فقال : يجب أن يكون العبد خبيراً

بأحواله وبإيمانه وخبيراً بمشاعره وأحوال قلبه والخفايا التي يتصف بها قلبه وخبيراً بإخلاصه واستقامته، فأقرب شيء منك جسمك ونفسك ، فلا بد أن تكون خبيرا بقلبك ؛ هذه الخـواطر التي تأتيك أمن قلبك أم من نفسك أم من الشيطان ؟ وهل هي وساوس أم إلهامات ؟ وهل هـذا العمل باعثه الإخلاص أم الرياء ؟ ينبغي أن تكون خبيراً بأحوالك ونفسك وقلبـك ، وكسـبك للمال وإنفاقه فاسم **الخبير** يقتضي أن تكون خبيراً بما أنت عليه لأن أول حركـة لمعرفـة أي مشكلة ، هي أن تعرفها أنها مشكلة ثم تحددها إذْ إنك لاتترك عملا إلا إذا علمت أنه ذنب فقبل أن تترك الذنوب ينبغي أن تعلم ما الذنوب؟ فأول خطوة نحو إصلاح النفس أن تعرفها وتعرف حقيقتها وألّا تنخدع بها .

لازلنا مع الإمام الغزالي في الحديث عن حظ العبد مع اسم **الخبير** قال : يجب أن يكون العبد خبيراً بما يجري في عالمه ، وعالمه هو قلبه وبدنه والخفايا التي يتصف بها القلب من الغش والخيانة والتطواف حول العاجلة وإضمار الشر وإظهار الخير والتجمـل بإظهـار الإخلاص مع الإفلاس ، ولا يعرف ذلك إلا صاحب خبرة بالغة قد خبر نفسه ومارسها وعرف مكرها وتلبيسها فحاذرها وتشمر لمعاداتها ، فذلك العبد جدير بأن يسمى بين العبـاد خبيـرا ، لذلك من عرف أن الله خبير كان بزمام التقوى مشدوداً وعن طريق المنى مصـدوداً ، وقـال أحدهم : من أراد عزاً بلا عشيرة وهيبةً بلا سلطان وغنى بلا فقر فليخرج من ذل المعصـية إلى عز الطاعة ، وقال بعض العلماء : لا ينال الحظ الأوفر من هذا الاسم الشريف "**الخبيـر**" إلا من كان خبيراً بدسائس نفسه بصيراً بخدائع حسه ، يعرف الفرق بين خطـرات الشـيطان وإلهامات الملك بصيراً بإلهامات الرحمن ووساوس الشيطان ، وبعض العلماء لهم دعاء يتعلق باسم **الخبير** ، يقول هذا العالم الجليل : إلهي أنت **الخبير** بالدقائق والبصائر والمطلـع علـى السرائر والناظر إلى الضمائر تجل لي بنور اسمك **الخبير** بلا حول مني ولا تـدبير ، حتـى أكون خبيراً بالأمور الغائبة عن الجهال وأنجو من الشرك الخفي وما هو أخفى فـي الأقـوال والأعمال ، ويتجلى لي مولاي **الخبير** نعم المولى ونعم النصير ، لذلك فإليك الآية الكريمة :

وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ﴿٧﴾

[طه: الآية ٧]

فمضمون هذه الآية : من لوازم خبرته أنه يعلم ما خفي عنك .

أيها القارئ الكريم : هذا الاسم له تطبيقان أساسيان:

-الأول : أن تعلم أنك مكشوف أمام الله ، لا تخفى على الله منك خافية .

-الثاني : أن تكون أنت خبيراً بأحوالك وخواطرك وقلبك وإيمانـك ووساوسـك وإلهامـات الملائكة، فأنت خبير، وأن تعلم أنه خبير عندئذ تتحق لك الفائدة من هذا الاسم الجليل .

والحمد لله **رب العالمين**

الدرس ٣٩ - اسم الله : "مالك الملك"

بسم الله الرحمن الرحيم

مع الاسم التاسع والثلاثين من أسماء الله الحسنى ، والاسم هو **مالك الملك** .

أيها الإخوة الكرام : **فمالك الملك** أحدُ أسماء الله تعالى الحسنى ، قال تعالى :

وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ

(الأعراف: الآية ١٨٠)

إذا قلت يا **مالك الملك** بك أستجير ؛ فهذا دعاء صحيح ، ففي القرآن الكـريم ورد اسم الملك ، والمالك ، والمليك ، و**مالك الملك** حصراً ، أما اسم الملك ففـي ، قولـه تعالى :

هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ

(سورة الحشر : الآية ٢٣)

وفي قوله تعالى :

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ﴿٢﴾

(سورة الناس : الآية ١ ـ ٢)

وأما اسم المالك ففي الفاتحة الشريفة :

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ٱلرَّحْمَـٰنِ

ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَـٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾

(سورة الفاتحة : الآية ٢ ـ ٤)

وأما المليك ففي قوله تعالى :

إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ

(سورة القمر : الآية ٥٤ ـ ٥٥)

وأما **مالك الملك** فقد ورد هذا الاسم مرة واحدة في قوله تعالى :

قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾

(سورة آل عمران: الآية ٢٦)

أيها القارئ الكريم : قبل أن نمضي في الحديث عن هذا الاسم الجليل ؛ أريد أن أقف قليلا عند خطورة هذا الموضوع . فالله سبحانه وتعالى لا تدركه الأبصار ، وقد أمرنا أن نؤمن به ، وأن نعبده ، وأن نتوجه إليه ، وأن نحبه ، فربنا عز وجل تيسيراً لنا كي نعبده ؛ ذكر أسماءه الحسنى في كتابه الكريم ، وجعل الكون كله دالاً عليه ، وجعل الكون كله مظهراً لأسمائه الحسنى وصفاته العظمى . فأنت حينما تبحث في أسماء الله الحسنى ، تتعرف إلى الله. وكلما ازددت معرفةً بأسمائه الحسنى ، ازددت معرفة به. فالشيء المادي بإمكانك إدراكه باللمس ، وأن تعرف وزنه ، وطوله ، وارتفاعه ، وعرضه ، وحجمه ، ولونه ، وخصائصه ؛ لكن إذا أردت أن تتعرف إلى الله عز وجل يستحيل أن تدركه بحواسك ؛ لا بد من أن تدركه بعقلك . قد تقول إن هذا الكون يدل على خالق عظيم ، ومسير حكيم ، ومُربٍ رحيم . ولكن التفاصيل ؛ ما صفاته ؟ وما هي أسماؤه ؟ هو رحمن رحيم ، هو الله الذي لا إله إلا هو ، الملك، القدوس ، السلام ، المؤمن ، المهيمن ، العزيز ، الجبار ، المتكبر . فحينما تجول في هذا الموضوع ، فأنت في الحقيقة تجول في أخطر موضوع على الإطلاق لأن الله سبحانه وتعالى هو كل شيء ؛ هو الأول والآخر ، والظاهر والباطن ، ابن آدم : اطلبني ؛ تجدني ، فإذا وجدتني ، وجدت كل شيء . يا رب ماذا فَقَد من وجدك ؟ وماذا وجد من فقدك ؟ وإذا كان الله معك فمن عليك ؟ وإذا كان عليك فمن معك ؟ .

إن باب الأسماء الحسنى من أخطر الموضوعات في الدين ، لأنك من خلالها تتعرف إلى أسمائه وصفاته سبحانه وتعالى . والحقيقة أن الإنسان لايحب جهة ما

لاسمها ؛ ولكن يحبها لصفاتها . فكلما تعرفت إلى أسمائه الحسنى ، وصفاته العليا ، كانت عبادتك أصح، وكانت خشيتك أكبر، وكان إقبالك أشد .

يقول عليه الصلاة والسلام فيما روي عن أبي هريرةَ لله تسعةٌ وتسعون اسما من حفظها دخَلَ الجنةَ وإن الله وتْر يحب الوتْر وفي رواية ابن عمر من أحصاها *

[صحيح مسلم]

إن لله تسعة وهو وتر يحب الوتر " بالفتح والكسر ، فما معنى من أحصاها ؟ الله عز وجل قال:

لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾

[مريم :الآية٩٤]

الإحصاء شيء والعد أو التعداد شيء آخر ، تقول : كم طالباً في الصف ؟ إذا ذكرت عددهم ، كان هذا تعداداً . أما إن ذكرت أعمارهم ، مستوياتهم ، ورجاحتهم ، أخلاقهم، طموحاتهم ، اجتهادهم ، أوصافهم ، كان ذلك إحصاء ، فالعد كمي ، أما الإحصاء فهو نوعي. فالرسول صلى الله عليه وسلم في حديثه أراد منا الإحصاء لا التعداد ؛ لا أن تعدد أسماءه ، بل أراد منا أن نحصيها ومن أحصاها دخل الجنة ، هناك معنى ضمني ؛ وهو من أحصاها أي : من تعرف إليها فأقبل على الله واستقام على أمره ، سعد في الدنيا ، وفي الآخرة أُكرم بالجنة . فالنبي صلى الله عليه وسلم لا ينطق عن الهوى ؛ إذْ إنه في الحديث الصحيح يؤكد لنا أنك إذا أحصيت أسماء الله الحسنى ، دخلت الجنة . إن لله تسعة وتسعين اسما مائة إلا واحداً من أحصاها دخل الجنة . نحن في أبحاثنا السابقة شرحنا ثمانيةً وثلاثين اسما من أسماء الله الحسنى ، وفي نيتنَا أن نكمل هذه الأسماء لغاية التسعة والتسعين ، كما ورد في الحديث الشريف . لكن بالمناسبة نقول : ليس كل الأسماء الحسنى وردت في الحديث الشريف ، لعل النبي صلى الله عليه وسلم ذكر الأسماء الحسنى التي نحن في أمس الحاجة إلى معرفتها ؛ فهناك أسماء حسنى كثيرة وردت في كتاب الله ولم ترد في هذا الحديث ، والأسماء الحسنى التي وردت في هذا الحديث **عن أبي هريرةَ قَالَ قَالَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : إن لِله تَعالى تسعةً وتسعين اسما مائةً غَير واحد من أحصاها دخَلَ الجنةَ هو الله الذي لا إله إلا هو الرحمن الرحيم الملك القُدوس السلام المؤْمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر الخَالِقُ البارئُ المصور الغَفار القَهار الوهاب الرزاقُ الفَتاح العليم القَابِض الباسطُ الخَافض الرافع المعز المذل السميع البصير الحكم العدلُ اللطيفُ الخَبير الحليم العظيم الغَفُور الشكُور العلي الكَبير الحفيظُ المقيتُ الحسيب الجليلُ الكَريم الرقيب المجِيب الواسع الحكيم الودود المجِيد الباعثُ الشهيد الحق الوكيلُ**

القَوي المتين الوَلي الحميد المحصي المبدئُ المعيد المحيي المميتُ الحي القيوم الواجِـد الماجِد الواحد الصمد القادر المقْتَدر المقدم المؤَخر الأولُ الآخر الظاهر البـاطن الـوالي المتَعالِي البر التواب المنْتَقم العفُو الرؤوفُ مالك الملك ذُو الجلال والإكْرام المقْسطُ الجامع الغَني المغْني المانع الضار النافع النور الهادي البديع الباقي الوارثُ الرشيد الصبور *

[رواه الترمذي]

أيها القراء الكرام : اسمحوا لي أن أروي لكم هذا الدعاء النبوي ، يـروي عبـد الله بـن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال :

قَالَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : ما قَالَ عبد قط إِذَا أصابه هم وحزن ؛ اللهم إِني عبدك وابن عبدك وابن أمتك ، نَاصيتي بِيدك ماضٍ في حكْمك ، عـدلٌ فـي قَضاؤُك، أَسأَلُك بِكُل اسمٍ هو لك ، سميتَ بِه نَفْسك ، أَو أَنْزلْتَه في كتَابِـك ، أَو علمتَـه أَحدا من خَلْقك ، أَو استأْثَرتَ بِه في علمِ الغَيبِ عنْدك ، أَن تَجعلَ القُرآن ربِيع قَلْبِـي ، ونُور صدري ، وجِلاء حزني ، وذَهاب همي ، إِلا أَذْهب الله عز وجل همه ، وأَبدله مكَان حزنه فَرحا . قَالُوا : يا رسولَ الله، ينْبغي لنَا أَن نَتَعلم هؤُلاء الكَلمات ؟ قَالَ : أَجلْ ينْبغي لِمن سمعهن أَن يتَعلمهن .

[رواه أحمد]

إذًا ثمرة هذا الدعاء : إلا أذهب الله حزنه ، وأبدله مكانه فرحاً " فهـذا الـدعاء القيم ؛ لا بد من أن يحفظه المؤمن ، حتى إذا أصابه مكروه أو همٌ أو حـزنٌ دعـا بـه ، والنبي صلى الله عليه وسلم صادق مصدوق .

قال تعالى:

قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ

﴿٢٦﴾

[آل عمران: الآية ٢٦]

المُلك هو الكون . والكون ما سوى الله ؛ فالله واجب الوجود ، و الكون ممكـن الوجود ، وما سوى الله هو المُلك . لكن السؤال لِم جاء المُلك مفـرداً ؟ ، مـع أن هنـاك سماوات، ومجرات ، وكازارات ، ومذنبات ، وثقوب سوداء ، ومسافات بينية شاسـعة ، والأرض فيها أودية ، وجبال وصحراء وسهول وطيور وحيوانات وإنس وجن

خلقٌ كثير لا يعلمهم إلا الله : أسماك - نباتات -عوالم - في البحار وحدها أكثـر من مليون نوع من السمك . كل هذا الكون سماه الله مُلكاً بلفظ المفرد فما حكمـة ذلـك ؟ هناك حكمة كبيرة جداً ؛ وهو أن الكون كله متناسق مع بعضه بعضاً ، كل جزء فيه يعمل للمجموع ، لأن الله سبحانه وتعالى صممه لذلك؛ فالحيوان للإنسان ، والنبـات للحيـوان ، والتراب للنبات ، والماء للتراب ، وحجم الأرض يتناسب مع طاقة الإنسان وسرعتها حول نفسها تتناسب مع إمكاناته وهكذا... أهم كلمة في هذا الكون أنـه وحـدة متكاملـة ، والله سبحانه وتعالى **مالك الملك** وأمره نافذ فيه . يوم القيامة يقول الله عز وجل :

صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥٣﴾

[الشورى :الآية ٥٣]

قد يسأل سائل بيد من كانت حتى آلت إليه ؟ الحقيقة : هي إليهـأولاً و آخـرا ؛ ولكن أهل الدنيا والمشركين و الكفار ، والفجار ، والمنافقين ، وضعاف الإيمان ، يرون في الأرض آلهةً كثيرة ؛ مراكز قوى ، وأشخاصاً أقوياء ، يـأمرون فيُطـاعون ، ويـدمرون يعطون ... يرفعون ... يخفضون ... أما المؤمن فلا يرى إلا الله في الدنيا ، يرى :

يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ

(سورة الفتح : الآية ١٠)

يرى :

هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ

(سورة الحديد الآية : ٣)

يرى أنه

مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ

(سورة فاطر : الآية ٢)

يرى أنه :

لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ

(سورة الأعراف : الآية ٥٤)

يرى :

ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ

(سورة الزمر : الآية ٦٢)

يرى :

وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ

(سورة هود : الآية ١٢٣)

فهذه رؤية المؤمن ، لا يرى مع الله أحداً ، وهذا هو التوحيد ، وما تعلمـت العبيد أفضل من التوحيد ، لكن العصاة والمشركين والكفار يرون أشخاصاً أقوياء إرادتهـم نافذة فيحسبونهم أندادا ، أما الحقيقة فهي أنه لا ينفذ في كون الله إلا إرادة الله . ما شاء الله كان ، ومالم يشأ لم يكن .

وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ ۚ

(سورة الرعد : الآية ٤١)

مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِى حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾

(سورة الكهف)

فالمؤمن الصادق لا يرى مع الله أحداً ، يرى صوراً ودُمى تُحرك في الخفاء ، لكن الله هـو كل شيء ، قال تعالى :

هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ

(سورة الحديد : الآية ٣)

لذلك :

أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ

(سورة الشورى : الآية ٥٣)

حتى الكفار يوم القيامة يرون أن الأمور كلها بيد الله . أما المؤمنـون فهـم وحدهم الذين يرون هذه الحقيقة في الدنيا ، الكُفار تغيب عنهم هذه الحقيقة فيرون الأمـور بيد زيد أو عبيد ، تذكرون : أن التابعي الجليل الحسن البصري كان عند والـي البصـرة للخليفة يزيد بن معاوية ، فجاءه البريد يحمل توجيهاً ؛ إن نَفذه ، أغضب الله سبحانه وتعالى ، وإن لم ينفذه أغضب الخليفة وربما عزله من منصب الولاية . فوقع في حيـرة شـديدة فسأل الحسن البصري، فأجاب الحسنُ البصري جوابا جامعا : إن الله يمنعك مـن يزيـد ، ولكن يزيد لا يمنعك من الله . بمعنى أنه إذا غضب أهل الأرض جميعاً عليـك والله راضٍ عنك ، فلن يستطيعوا أن يفعلوا لك شيئاً يضرك .

" **واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك**"

فملخص الملخص : ما شاء الله كان ومالم يشأ لم يكن . ومعنى **مالك الملك** ؛ أن هذا الكون العظيم تحكمه إرادة واحدة نافذة فيه هي إرادة الله قال تعالى :

حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا
وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا
فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ
يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾

(سورة يونس: الآية ٢٤)

أتاها أمرنا - لا أمرهم - يقال مثلاً : الدولة الفلانية عندها قنابل نووية كافية لتدمير الأرض خمس مرات الآن هي في الحضيض ، في الوحول ، هي الآن متفتتة ، كل أنواع السقوط في هذه الدولة ، قال تعالى :

حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا

(سورة يونس : الآية ٢٤)

فهذا المُلك العظيم ؛ فيه إرادة واحدة نافذة ؛ هـي إرادة الله . يريـك أيهـا المؤمن ؛ إذا أيقنت هذا اليقين هل تتوجه لغير الله ؟ هل تخشى غير الله ؟ هل ترجو غيـر الله ؟ هل تطمح إلى غير الله ؟ هذا هو التوحيد ؛ طرقه كلها تؤدي إلى الله عز وجل .

يقول الإمام الغزالي : **مالك الملك** ؛ هو الذي تنفذ مشيئته في مملكته كيف يشاء وكما يشاء ؛ إيجاداً وإعداماً ، إبقاء وإفناء ، والمُلْكُ هنا ؛ بمعنى المملكة ، والمالك ؛ بمعنى القادر التام القدرة . والموجودات كلها مملكة واحدة ؛ لأنها متناسقة مرتبط بعضها بـبعض فإنها (يعني حجم الأرض) متناسب مع الإنسان ، فمثلا لو وجدت قفلاً في بيت ، ووجـدت مفتاحاً في مكان آخر ؛ وهذا المفتاح فتح ذاك القفل ، تقول : كلاهما من مصنع واحـد ، طالما فيهما انسجام .

أحياناً يشتري أحدنا قطعة لسيارته ، تأتي هذه القطعة في مكانهـا الصـحيح بالميليمترات . معنى ذلك ؛ أن المعمل واحد . والذي صمم واحد ، والذي أعطى القياسات واحد . فهي وإن كانت كثيرة من وجه ؛ إلا أنها وحدة واحدة ، الكون كله يعمل بالتنسيق ، فالانسجام دليل وحدة الخلق .

هناك كلمة واسع ، وهناك كلمة واحد ؛ وقد وصف الله ذاته بهمـا ، فمـا معنى كل منهما : خمسة آلاف مليون إنسان كل واحد يحمل قزحية عـين تختلـف عـن الأخرى ؛ من أجل ذلك صممت أقفال لا تفتح إلا على قزحية العين . لأن إنساناً واحداً في الأرض لا يمكن أن يشبهك في قزحية عينك ،معنى ذلك أن الله واسع. كما أن لكل إنسـان رائحة جِلد لا يمكن أن يشْركه فيها أحد من الخلق وأساس عمل الكلب البوليسـي رائحـة الجسم ، ونبرة الصوت كذلك لا يمكن أن تتشابه في الأرض نبرتان . تعرف الشخص من نبرة صوته ، فأصبح لدينا قزحية العين ، ورائحة الجلد ، ونبرة الصـوت ، وبصـمتين ، وبلازما الدم ، كذلك اكتشفوا الآن مليارين ونصف وحدة نسيجية . يعني أن هنـاك واحـد فقط في الأرض وحدته النسيجية تشبه وحدتك ، وبصمة اليد هذه الأنملة ـ بمعنى أنه لـو وجد في الأنملة مئة نقطة بين جزيرة ، وخليج ، ورأس ، ونتوء ، وفرع ، وغصن ، هناك مئة صفة لبصمة اليد . ولو تشابهت سبع صفات في بصـمتين لكانـت لإنسـان واحـد ؛ وبصمة اليد توقيع . فهذه الاختلافات كلها تعني أن الله واسع . بالمقابـل تجـد أن شـركة أدوية تصنع دواء في بلد ما كندا مثلاً؛ فإذا استعمل هذا الدواء شخص من اسـتراليا ننفعـه هذا الدواء ؛ ما معنى هذا ؟ إنه يدل أن الخلق واحد في البنى الأساسية ، وفي الخصائص ، إذاً هناك وحدة في الخلق . تجد طبيباً درس الجراحة ببلد ما ، أمريكا مـثلاً يقـول فـي اختصاصه إن العصب الفلاني على بعد ٢سم من مكان كذا ... بالتفاصيل الدقيقة ثم يجري عملية جراحية لإنسان ما بالخليج مثلا في عروقه وأعصابه كما درسها هذا الطبيـب فـي أمريكا وتكون النتيجة كما لو أجراها لشخص في أمريكا ، من هنا قال بعض العـارفين : والله يا رب لو تشابهت ورقتا زيتون ، لما سُميتَ الواسع . وأقرب من هذا وجـوه البشـر فلكل سماته الخاصة به ؛ وكل واحد منا له شكل وطريقة في العيش فهذا يدل علـى سـعة

الخلاق وحينما تكون الأجهزة واحدة ؛ القلب واحد ، والرئتان ، المعدة ، الأمعاء ، الشرايين ، الأوردة ، الأعصاب ، العظام ، خصائص العظام ؛ زمن التحامها ، الطبيب مـثلاً مـن مصر ودرس في روسيا ، والمريض في أفريقيا والبنية لدى الجميع واحدة . معنى ذلك أنه يوجد قواعد عامة في الجسم .

فالله عز وجل واحد واسع ، أما لو قلت لمهندس ما : صمم لنا بناء يمكن أن يرسم مخططاً وآخر وآخر ثم يتقف . ومثل ذلك هندسة السيارات يصممون شكلاً بيضـوياً ثم شكلَ زوايا حادة ثم يعودون للشكل البيضوي . أي أن طاقة الإبداع محدودة عند البشر . أما في صنع الله ؛ إذا نظرت في أنواع أوراق الأشجار في الأرض تجد أموراً لا تصدق ؛ أوراقاً إبرية ، وأوراقًا دائرية ، وأوراقًا مسننة ، وأوراقًا مفلطحة ، أوراقًا خضراء مشربة بلون آخرمثلا ، وأوراقًا واسعة ، وأوراقًا صغيرة ، وأوراقًا كبيرة ، وتلك تحمل الألـوان الجذابة ؛ فلو دققت في أنواع الأوراق ، لأخذك العجب العجاب .

أيها القارئ الكريم : الله عز وجل **مالك الملك** ؛ أي تنفذ مشيئته فـي ملكـه كما قاله الإمام الغزالي . وقيل **مالك الملك** ؛ هو المتصرف في ملكه كيف يشاء ، ولا راد لحكمه ، ولا معقب لأمره . والوجود كله من جميع مراتبه ، مملكة واحدة لمالك واحد وهو الله وتبارك وتعالى .

لو لاحظت البشر في كيفية تملكهم لوجدت أصنافاً شتى ، فإذا قلنـا : فـلانٌ يملك هذا البيت وأجرهُ ، فهو يملك عينه ولا يملك منفعته ، المستأجر تجده يملـك المنفعـة وليس العين المؤجرة ، فإذا كنت تملك المنفعة والعين يعني البيت ؛ لكنـك قـد لا تملـك المصير ؛ بحيث إنه لو صدر قانون استملاك ، يضيع البيت من يدك . فهناك مُلك عين ، ومُلك منفعة ، ومُلك مصير . أما إذا قلنا : الله **مالك الملك** ؛ فهو مالـك الوجـود خلقـاً ، وتصرفاً ، ومصيراً ، مثلاً : بلدٌ يبيع بلداً آخر مجموعة طائرات . كـان المعمـل مالكـاً للطائرات ؛ فلما باعها تملكها شاريها . وأصبحت هذه الطائرات بأمر شاريها . لكن الله عز وجل يقول :

ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ﴿٦٢﴾

(سورة الزمر : الآية٦٢)

كلمة **مالك الملك** تعني : ما شاء في هذا الملك كان ، وما لم يشأ لم يكـن ، كل شيء وقع أراده الله ، وكل شيء أراده الله وقع . هذا هو معنى **مالك الملك** .

قال تعالى :

قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٢٦

(سورة آل عمران : الآية ٢٦)

إذا أعطى الله عز وجل الملك لإنسان ، يعطيه الهيبة ؛ فكلهم يخافونـه ؛ فإذا أراد أن ينزع منه الملك ، ألغى هيبته ؛ فكلهم يجترىء عليه . أحد القواد العظام فـي العهد العباسي بلغت شهرته الآفاق حتى صارت الأمهات يُخوفن أولادهن به ، فلما دخـل على هارون الرشيد ، رآه صغير الجسم ، قصير القامة نحيلاً ، فقال له : أنت فـلان ؟ ! فقال له : حبذا لو رأيتني وقد أسبغ الله علي الهيبة ، لقد زلت قدمه فنزع الله عنـه الهيبـة فالإنسان إذا نزع الله منه الهيبة صار شخصاً تافهاً ، قال تعالى :

قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٢٦

(سورة آل عمران : الآية ٢٦)

أروع ما في الآية ؛ أنه لو قال الله عز وجل :

ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ

(سورة آل عمران : الآية ٢٦)

لصار هناك تناسب . لكن تؤتي الملك من تشاء ؛ وتنزع الملك ممن تشـاء وتعز من تشاء ، وتذل من تشاء ؛ بيدك الخير ، الخير فقط إذاً الإعزاز خير والإذلال خير ، فمعنى الآية دقيق فالإعطاء خير والمنع خير ، والإيتاء خير والسلب خير ؛ فكل هذا خير . ربما أعطاك فمنعك ، وربما منعك فأعطاك . لذلك سنرى أنه يوجد أسماء لله متقابلـة ؛ المعطي المانع ، القابض الباسط ، النافع الضار ، الرافع الخافض ، المعز المذل .

قال العلماء : هذه الأسماء بالذات لا يجوز أن تذكر وحـدها ، فيجـب أن تقول الضار النافع ، المذل المعز ، المعطي المانع ، القابض الباسط ، مثنى مثنى ، لمـاذا هذا الاقتران ؟ لأن الله يضر لِينْفَع ، ويذل لِيُعز ، ويمنع لِيُعطي ، ويقبض ليبسط ، وأوضح مثال على ذلك : أن تجد الأب يقسو على ابنه في الصغر ، كي يصنع منـه رجـلاً فـي المستقبل كل هذه الشدة من الأب هي لصالح الابن . وكل هذه الشدة صنعت منـه إنسـاناً متفوقاً ، فهذه الأسماء المتقابلة ؛ لا يجوز أن نذكر واحداً منها من دون ذكر مـا يقابلـه ، الضار النافع، المذل المعز، المعطي المانع ، الرافع الخافض ، قال تعالى :

قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾

(سورة آل عمران : الآية ٢٦)

يقول أحد المفسرين : **مالك الملك** ؛ هو الملكُ الحقيقـي . لـذلك ورد فـي الحديث القدسي " أنا ملك الملوك و مالك الملوك ، قلوب الملوك بيدي فإن العباد أطاعوني ، حولت قلوب ملوكهم عليهم بالرحمة والرأفة . وإن العباد عصـوني ، حولتهـا علـيهم بالسخطة والنقمة ؛ فلا تشغلوا أنفسكم بسب الملوك وادعوا لهم بالصلاح فـإن صـلاحهم بصلاحكم " .

يقول أحد المفسرين : **مالك الملك** ؛ هو الملكُ الحقيقي ، المتصرف بما شـاء وكيف شاء ؛ إيجاداً وإعداماً ، إحياء وإماتةً ، تعذيباً ورحمةً ، من غير مشارك ولا ممانع . وقد ذكر اسم **مالك الملك** مرة واحدة في القرآن الكريم في الآية الآنفة الذكر .

من أدب المؤمن مع هذا الاسم أن يكثر العبد من ذكره، وبذلك يغنيه الله عن الناس . لكن هناك وقفة عند كلمة **مالك الملك** ، وهي: هل أنت تملك سمعك ؟ هـل تملـك بصرك ؟ هل تملك قوتك ؟ هل تملك أعصابك ؟ هل تملك سيولة الدم ؟ هل تملك استقامتك ؟ هل تملك نمو خلاياك ؟ فأنت إذا أصابتك جلطة دموية ، أودت بحياتك إلى الهلاك . فهذا بسبب تجمد نقطة في الدم ، وكذلك نمو الخلايا العشوائي ، إذاً أنت لا تملـك شـيئاً مـن جسمك ، وإنما يعطيك الله صحة طيبة كي تستمتع بها ، فهو سمح لك بالاستمتاع بها ولكنه هو المالك لها . روي لنا أن شخصا ذهب إلى فرنسا درس وحاز أعلى الاختصاصات ، ثم عاد لوطنه وتوظف وارتقى وتنقل في مناصب مرموقة ، حتى شغل منصب مساعد وزير . بعدها أصيب بذهاب بصره مما أدى إلى إخراجه من عمله ، فزاره أحد الأصدقاء فقـال

له : أتمنى أن يُلقى بي على قوارع الطرقات ، وأن يُرجع الله إلي بصري . فكلمـة **مالـك الملك** تعني ؛ أنك لا تملك شيئاً ، لأنك لو أصبت بخلل بسيط في القلب ، أودى هذا بحياتك ؛ فأنت لا تملك شيئاً من جسدك ، و لا تملك دماغك .كذلك أعرف شخصا معروفـة جيـدة وهو من الأفراد المرموقين في البلد ، أنه خرج مرة من بيته فنسي في عند عودتـه أيـن يسكن ! حتى تذكر بيت ابنه فدله ابنه على بيته . فسبحان الله هناك بعض الحـالات فيهـا عبر بالغة ، مثلا موت مفاجئ، يموت الإنسان بلا أي سبب . أعرف شخصاً اشتغل لمـدة خمسين سنة وجمع ثروةً جيدة ، وبعدها اشترى بيتاً في المصيف ، وأصبح يشـتغل إلـى الظهر فقط ليتمتع ببيته هذا ، وفي أحد الأيام ذهب إلى المصيف وهناك خطـر ببالـه أن يهتف إلى ابنه ، فوقع ميتاً على الأرض بدون أي سبب قبل المهاتفة . ومنه فلا يمكن للعبد أن يكون مالكاً مطلقا . يروي الرازي عن سفيان بن عيينة هذه القصة قـال : بينمـا أنـا أطوف بالبيت إذْ رأيت رجلاً وقع في قلبي ، حسبته أنه من عباد الله المخلَصين ـ هنـاك مخلص ومخلَص تقول : أخلَص لله فأخلصه الله من الشوائب - فدنَوت منه فقلـت : هـل تقول لي شيئاً ينفعني الله به ؟ فلم يرد علي ومشى في طوافه ، ولما فرغ صـلى خلـف المقام ركعتين ثم دخل الحجر فجلس ، فدنوت منه فقلت : هل تقول لي شيئاً ينفعني الله بـه ؟ قال : هل تدرون ماذا قال ربكم ؟ قلت : لا ، فقال : لقد قال : أنا الحي الذي لا أموت ، هلُموا أطيعوني أجعلكم أحياء لا تموتون " فالإنسان إذا أطاع الله يكون موته تُحفَةً وعرسـاً و موته انتقال من الدنيا التي هو سعيد بها بمعرفة الله إلى جنة الله في الآخرة ، لذلك مـن الأدعية اللطيفة : اللهم اجعل نعمك علينا متصلة بين الدنيا والآخرة . فالخط البياني للمؤمن في صعود ، وموته نقطة على هذا الخط . أنا الملك الـذي لا أزول هلمـوا أطيعـوني ، أجعلكم ملوكاً لا تزولون .

لو أنك أعرضت عن الدين و عن الآخرة وعن منهج الله ؛ فمهما كسبت من المال ومن المناصب ، فكل هذا نهايته قبيحة وتجعلك في قلق . نعم هناك صـعود ، لكـن هناك سقوط بعد الصعود ، والموت هو السقوط . لكن المؤمن في صعود ليس بعده سقوط ، وهذا الشعور لا يوصف ـ طمأنينة للمستقبل ـ المؤمن مطمئن ، تمشي في طريق سالك إلى جنة الله ، تمشي على طريق ينتهي بك إلى الجنة . أما أهل الدنيا، فالطريق عريض ، ولكنه ينتهي إلى حفرة سحيقة ، وفيها وحوش كاسرة وقلق دائم لذلك فالمبالغة بـالنعيم ، و المبالغة بالانغماس باللذات؛ عملية تعويض لما يصيبه من قلق و خوف . وهناك من يـدفع أهل الدنيا أن يبالغ بالرفاه والاعتناء بمظاهر الحياة و كأنه سيعيش مئات السـنين . هنـاك قلق و خوف أساسه الشعور بأن بعد هذا الصعود سقوطًا . أما المؤمن فهو مرتاح من هذا

القلق لأن حياته صعود بلا سقوط ، و نمو بلا تراجع ، و سعادة بلا شقاء ، و حيـاة بـلا موت لقوله تعالى :

وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾

[آل عمران: الآية ١٦٩]

أنا الملك الذي لا أزول ؛ هلموا أطيعوني ، أجعلكم ملوكاً لا تزولون .*

أنا الملك الذي إذا أردت شيئاً قلت له : كن فيكـون ؛ هلمـوا أطيعـوني ، أجعلكم إذا أردتم شيئاً أن تقولوا له : كن فيكون ، أي أصبحتم مستجابي الدعاء . إن أطعتَ الملك ، كنت في معية الملك . وإن أطعت الغني ، كنت مع الغني . وإن أطعت القـوي ، كنت مع القوي . لذلك قالوا : إذا أردت أن تكون أغنى الناس ، فكن بما في يدي الله أوثق منك بما في يديك . إذا أردت أن تكون أكرم الناس ، فاتق الله . وإذا أردت أن تكون أقوى الناس ، فتوكل على الله . فأنت قوي بالله ، وغني بالله ، وكريم بالله ، وعزيز بالله ،أما إن لم تكن مع الله ؛ فعز بعده ذلٌ ، وغنى بعده فقر ، وحياة بعدها موت، ورفاه بعده شـقاء ، و سعادة بعدها شقاء وهوان .

أيها القارئ الكريم ، مما يتمم هذا البحث أن تعلم هذه الحقيقـة وهـي : أن هناك اسماً وهناك مسمى ، تقول هذا المسمى كتاب فالشيء مسمى ، أما الكلمة التي نلفظها من مقاطع صوتية ومصطلح عليها هي الاسم، فالاسم هو الذي يدل على المسـمى ، فـإذا قلت : كتاب ، دل هذا الاسم على الكتاب ، وإذا قلت قمر، دل هذا على القمر ، فالله جـل جلاله كان ولم يكن معه شيء ، ثم خلق الخلق ؛ فكلمة الله : اسم علَمٍ على الـذات . فـالله اسم ذات ، وغيرها من أسمائه أسماء صفات . فإذا قلنا : يا الله ، يكون هـذا علَـم علـى الذات . فنحن نقصد الذات الكاملة المتصفة بكل الأسماء الحسنى جملةً ، لذلك قـالوا :(الله) هو اسم الله الأعظم علم على الذات ولحكمة أرادها الله جل جلاله لا يستطيع أحد أن يسمي أحداً على الإطلاق (الله) فهو علم على الذات . أما باقي الأسماء ، فهـي أسـماء صـفات الرحمن الرحيم الملك القدوس . هناك بحث في اللغة وهو ـ الاسم ، واللقب ، والكنيـة ، فإذا قلت : عمر ؛ فهذا اسم فالوضع الأول حينما وُلِد سموه عمرُ . ولما شب صار عُميراً ، ثم صار عمر ، ثم صار أمير المؤمنين، ثم صار خليفة المسلمين ، ثم صار الخليفة العادل ؛ فسُمي الفاروق ، فهذا الأخير الفاروق لقب . فاللقب : يدل على المـدح أوالـذم ، بينمـا

الاسم الأول يدل على الذات . فإذا قلت: راشد فأنت تعني شخصاً اسمه راشد ، أما إذا قلت الراشد فأنت تعني شخصاً فيه صفة الرشاد فرق كبير بين أن تقول : راشـد أو الراشـد ، فحينما يُعرف الاسم فإنما يشير بعد التعريف إلى معناه لا إلى العلمية ، كان علَمـاً علـى الذات ، فصار اسم صفة ، فالله سبحانه وتعالى ولله المثل الأعلى . الاسم الذي هـو علـم على الذات هو الله . أما أسماؤه الحسنى التسعة والتسعون ؛ هي أسماء صفات ؛ الـرحمن من الرحمة ، العليم : من العلم ، والغني : من الغنى ، والقوي : من القوة، لكن كل هـذه الأسماء منطوية تحت اسم الله . والكنية :تعني ما سبقَ الاسم مثل : أبو فلان أو ابن فلان ، أب أو أم أو أخ أو أخت ، فأبو حفص كنية، وابن الخطاب كنية . إذاً عندنا اسـم ولقـب وكنية . أما إذا كان يمارس عملاً وسُمي على ذلك العمل ، فهذه شُهرة فإذا كـان يشـتغل بالحديد وسُمي الحداد فهذه شهرة ، أما إذا قلت قرشي فهذا نَسبٌ والله سبحانه وتعالى غني عن كل هذا ، سواء أكان لقبا أو كنية أو شهرة .

والحمد لله رب العالمين

الدرس ٤٠ - اسم الله : "ذو الجلال والإكرام"

بسم الله الرحمن الرحيم

مع الاسم الأربعين من أسماء الله الحسنى ، والاسمم هو **ذو الجلال والإكرام** ،

عنْ عائِشَةَ رضي الله عنها قالتْ كان النبي صلى الله عليْه وسلم إذَا سلم لـمْ يقْعـدْ إلا مقْدار ما يقُولُ اللهم أَنْتَ السلام ومنْك السلام تَباركْتَ يا ذَا الْجلال والاكْرام وفي روايـة ابْن نُمَيْر يا ذَا الْجلال والإكْرام *

[رواه مسلم]

صار معلوما عند القارئ الكريم أن أسماء الله الحسنى كلها تدل على صـفاته ، لكن اسما واحداً هو [الله] علَم على الذات ، ويدل على كل أسمائه ، إذا قلـت : يـا الله ، معناه ؛ يا رحيم ، يا رحمن ، يا غني ، يا ودود ، يا قوي ، يا متعال ، يا قدير ، يا حسيب ، يا لطيف...إلخ ؛ فاسم (الله) اسم علَم على الذات ، ويشير إلى كل أسمائه الحسنى ؛ لكن أسماءه الأخرى تدل على صفاته ، أو على كمال صفاته ، الغني القوي الحسـيب المجيـد المعطي المانع، تروي السيدة عائشة : أن النبي صلى الله عليه وسلم ما كان يجلـس بعـد الصلاة إلا بقدر ما يقول :" اللهم أنت السلام ، ومنك السـلام ، تباركـت يـا ذا الجـلال والإكرام " هناك نقطة دقيقة وهي ؛ أن أسماء الله الحسنى يمكن أن تقسم إلى قسمين : قسم يشير إلى قوته ، وقسمٍ يشير إلى كماله . أنت كمؤمن تؤخذ بالقوي ، وتؤخـذ بـالرحيم . فالكمالات بكل أنواعها يجمعها اسم (الإكرام) ، والقوة بكل مظاهرهـا يؤكـدها اسـم (ذو الجلال). مثال ذلك : قد تحترم أشخاصاً احتراماً كبيراً وقد لاتحـبهم ينتزعـون إعجابـك بقوتهم ، أو بذكائهم ، أو بخبراتهم ، أو بتحصيلهم ، أو بفطنتهم ؛ وقد لا تحبهم . وبالمقابل فإن هناك أشخاصا آخرين يملؤون قلبك حباً ، وقد لا ينتزعون إعجابك . الإنسان يميل قلبه لأمه ، وقد تكون أُميةً . يمتلىء قلبه حباً لها ، لكن علمها وثقافتهـا وخبرتهـا وفطنتهـا وذكاءها لا ينتزع إعجابه . وقد يحب أستاذاً في الجامعة على علم وفهم وثقافـة ؛ ولكـن حينما يتعامل معه لا يميل قلبه إليه . إذاً هناك صفات تُعجب بها ، وهناك صفات تحبهـا . الصفات التي تُعجب بها ، مجموعة في اسم (الجلال) . والصفات التي تحبها ، مجموعـة في اسم (الإكرام) . فإذا قلت " تبارك **ذو الجلال والإكرام** فهذا يعني؛ أن كل صفات القـوة

والعظمة والجبروت يتصف الله بها . وكل صفات الإكرام والرأفة والرحمة يتصف الله بها . فكأن هذا الاسم المركب من اسمين ، جمع الأسماء الحسنى كلها من زاويـتن : زاويـة القوة وزاوية الإكرام .

يقول الإمام الغزالي : إن اسم (**ذا الجلال والإكرام**) هو الذي لا جلال ولا كمال إلا وهو له ، لا جلال ولا كمال ولا كرامة ولا مكرمة ؛ إلا وهي صادرة منه ؛ فالجلال له في ذاته ، والكرامة فائضة منه على خلقه ، كل أفعاله تجاه خلقه إكرام ظـاهر جلـي ، أو باطن خفي. وهذا معنى قول الله عز وجل :

وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ

[لقمان : الآية ٢٠]

النعم الظاهرة هي الإيجابية ، والنعم الباطنة هي المصائب . وفنون إكرامه خلقه لا تكاد تنحصر أو تتناهى . قال تعالى :

أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾

[البلد : الآية ٨]

عينان صغيرتان تريان لك الأشياء على حجمه الحقيقي بألوانها الدقيقة ؛ الرؤية فَوْرية ، شبكية العين تحوي مائة وثلاثين مليون عصية ، مـن أجـل نقـل أدق الصور ، وبالعينين ترى جمال الكون ، بالعينين ترى جمال الأشخاص ، بـالعينين تـرى المظاهر التي تأخذ بالألباب " ألم نجعل له عينين " فالعينان هما إكرام من الله عز وجـل ، هذه القناة الدمعية التي هي من أدق القنوات في الإنسان ؛ لو أنها سدت وصار فائض الدمع يسيل على الخدين -على صغر هذه المشكلة فهي ليست خطراً -إلا أنها تجعل حياة الإنسان جحيماً ، وسيحتاج دائماً إلى مسح خديه ، مما سيؤدي إلى تخريش الخد . فهذا إكرام مـن الله . العينان إكرام ، والأجفان إكرام ، والمحجر إكرام ، والعضلات التي تحرك العينـين يميناً وشمالاً إكرام من الله عز وجل .

بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾

[الشعراء : الآية ١٩٥]

كذلك جعل الله لهذا الإنسان أُذنين يستمع بهما إلـى أدق الأصـوات وأدق النبرات، يستمع بهما إلى الصوت ، وإلى جهة الصوت ، وإلى هوية الصوت ؛ هذا إكرام ،

مفْصلُ يدك إذا ألغي كيف تأكل ؟ إلغاؤه سيؤدي إلـى وضـع الطعـام علـى الأرض ، والانبطاح من أجل أن تأكل الطعام كالهرة تماماً . وهذا الرسغ ، وهذه الأصـابع ، وهـذا الأنف ، وهذه الأسنان ، واللسان ، ولسان المزمار ، والحنجرة ، والأمعاء ، كل هذا إكرام من الله . قال تعالى :

تَبَـٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَـٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾

[الرحمن :الآية ٧٨]

ورد هذا الاسم مرتين في كتاب الله ، المرة الأولى قوله تعالى :

وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَـٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾

[الرحمن :الآية٢٧]

والمرة الثانية :" تبارك اسم ربك ذي الجلال والإكرام

نقف عند هذه المفارقة الدقيقة : و يبقى وجه ربك **ذو الجلال والإكرام** : ذو مـن الأسماء الخمسة مرفوعة بالواو . لماذا جاءت الآية الأولى بالرفع ، والثانية بالجر ؟ الآيـة الثانية تبارك اسم ربك ذي الجلال و الإكرام " الاسم عرض وليس جـوْهراً فجـاءت ذي تابعة لربك ؛ " تبارك اسم ربك ذي الجلال والإكرام " أما الوجه من الذات. ويبقى وجْـه ربك **ذو الجلال والإكرام** " هذه هي اللغة العربية . قال تعالى :

بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾

[الشعراء : الآية ١٩٥]

لأن الاسم ليس جوهراً في الإنسان بل عرض ، إذ بإمكانه تغيير اسمه ، لكن وجهه جزء من ذاته ولا يمكن تغييره ، فإذا قال الله عز وجل " تبارك اسم ربك " قال : ذي الجلال والإكرام . أما إذا قال : ويبقى وجه ربك ؛ فالوجه من الذات " هذا الاسم المركـب من اسمين يوحي لنا بأن أسماء الله صنفان : صنفٌ يشير إلى قدرته ، وكمـال قدرتـه ، وقهره ، وجبروته ، وقوته ، وصنف يشير إلى كمالاته ؛ فكل الأسماء المتعلقة بالقوة يمثلها اسم الجلال. وكل أسمائه المتعلقة بكمالاته ، وإكرامه ، وإحسانه ، ورحمتـه ، ولطفـه ، ورأفته ، يمثلها اسم الإكرام . فإذا قلت :" تبارك اسم ربك ذي الجلال والإكـرام " فأنـت جمعت بهذا الاسم أسماء الله الحسنى كلها .

لذلك فإن الإمام الغزالي يقول : لا جلال ولا كمال إلا وهو له ، ولا كرامـة ولا مكرمة إلا وهي صادرة منه ؛ فالجلال له في ذاته ، والكرامة فائضة منه على خلقه ؛ فلو كان شخص ذو هيبة أمام الخلق؛ فهي من الله . ولو أراد الله نزعها ، لصار حقيراً أمام الخلق جميعاً . فرعون قال : " أنا ربكم الأعلى " فلما أغرقه الله عز وجل ، أنجاه ببدنـه ، وقذف بجسده إلى الشاطىء ، ليكون آية للعالمين . ولو أنه غرق لما صدق الناس أنه غرق و لكن شاءت حكمة الله أن يبقى جسده بعد غرقه كما هو ، وأن تقذفه الأمواج إلى الساحل .

قُنون إكرامه لخلقه كثيرة لا تكاد تنحصر ولا تتناهى :

﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ

[الإسراء : الآية ٧٠]

لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾

[التين : الآية ٤]

بدْءاً من جهازه العظمي ، وهناك مفصل نحو الداخل . الركبة مفصل نحـو الخارج ، والرأس يدور .والعمود الفقري يتَمفْصل تَمفْصلاً محدوداً . الجمجمـة مفاصـلها ثابتة ، وعندما يصاب الشخص بضربة على رأسه فإن تداخُلَ هذه الأجـزاء يقـي كسـر الجمجمة ؛ فكل هذا من إكرام الله له . وأتمنى لو يتفكر كل واحد منا بإكرام الله له .

النوم إكرام ، تنام بضع ساعات وبعدها تشعر وكأنك حصان قوة و نشـاطا ، هضم الطعام إكرام تأكل وتتلذذ وانتهى الأمر ؛ لكن لو أن الله أوْكل إليك هضم الطعام فإذا تناولت وجبةً امتنعت عن مقابلة أي شخص كان ثلاث ساعات أو أربع ساعات ، لمـاذا ؟ لأنك مشغول بهضم الطعام . فيضيع وقتك .

فوجْبة الإفطار تحتاج إلى أربع ساعات لهضمها ، ووجبة الغداء تحتاج إلى خمس ساعات ، ووجبة العشاء تحتاج إلى أربع ساعات . فأنت تقضي خمس عشرة ساعة للهضم ، نقلت اللقمة إلى المري ثم إلى المعدة . أمرت الغدد بالإفراز . أمرت البنكريـاس بصب الأنسولين في الدم . أمرت الصفراء بأن تفرز . نقلت اللقمة و الطعام إلـى الاثنـي عشري . إلى الأمعاء . ولكن كأنه قال لك : كُلْ و لا تَهْتَم بالباقي . كل ما يجـري مـن تفاعلات الهضم والانحلالات لا دخْل لك فيها . هب أن الله أوكل إليك التنفس ، لن تستطيع

أن تنام الليل ، أبداً فالنوم يعني الموت . ولكن أنت نائم والقلب يعملُ ، والرئتان تعملان و لسان المزمار يعمل بلا كلل ولا ملل ؛ كل هذا وأنت نائم . وزن جسمك الجهاز العظمـي والعضلات التي فوقه ، تضغط على ما تحت الجهاز العظمي ؛ فتضيق لمعات الأوعيـة - وجعل الله عز وجل في الجسد أماكن للإحساس بالضغط ؛ وهذه الأماكن و المحسات تعطي إشارة للدماغ ، فالدماغ يأمر الجسم بالتقلب وأنت نائم ، فالإنسان يتقلب ثمانياً وثلاثين مرة في الليلة تقريباً ، حتى لا يشعر الإنسان بتخدر جسمه ، أو تَنَمله ذلك أن ضـيق لمعـات الأوعية تسبب ضعف التروية ، وضعف التروية يشعرك بالتنميل . أما التقليب فهـو مـن آيات الله .

إفراغ المثانة ؛ فهي لها عضلات ، ولولا العضلات ، لاحتاج الأمـر إلـى تنفيس هواء . أما بالعضلات فأنت تُفرغها بثوانٍ . فالمثانة هي من إكرام الله ؛ إذْ إنه فـي كل عشرين ثانية تقطر قطرة بول من كل كلية ، وتتجمع في المثانة ، خلال سـاعتين ، أو ثلاث ، أو أربع، ثم تفرغ تلك الكمية في بضع ثوانٍ ولولا وجود المثانة لاحتاج الإنسـان إلى فوطة يلف بها نفسه. فإكرامات كثيرة من الله عز وجل ؛ الزوجة إكرام ، والابن إكرام ، والطعام والشراب إكرام ... أنواع متنوعة لا تعد ولاتحصى قال تعالى :

أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾ وَهَدَيْنَـٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾
فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوْ
إِطْعَـٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾

(سورة البلد : الآية ١١-١٥)

قال تعالى :

۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ

(سورة الإسراء : الآية ٧٠)

الإمام الرازي من كبار علماء المسلمين والمفسرين يفرق بين لفظ الجليل ، ولفظ الكريم ، فلفظ الكريم يكفي فيه الإكرام ، والإكرام قريب من الإنعام ولكنه أخص منه ؛ فكل إكرام إنعام ، وليس كل إنعام إكراماً ، كيف ذلك ؟ قد تجد أن فلاناً من الناس ، له كذا من الأولاد يأكلون جميعاً على مائدته ولكن أحد هؤلاء الأولاد بار ومطيع ، فأنت تجد أنهم إذا صاروا على مائدة الطعام ، فهذا الولد البار له معاملة خاصة من أبيه ، فالأب يقدم له شيئاً

استثنائياً ويبتسم في وجهه ، ويرضى عنه ويدعوه له ؛ فالطعام وحده إنعام ، أما الإطعـام مع التكريم اللفظي والعملي صار إكراماً .

فالإمام الرازي يقول : ليس كل إنعام إكراماً ، ولكن كل إكرام إنعام ، قال : وفي تقديم لفظ الجلال على لفظ الإكرام سر، قال تعالى

تَبَـٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَـٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾

(سورة الرحمن : الآية ٧٨)

فلماذا قدم الله لفظ الجلال على لفظ الإكرام ؟ لأن الجلال يعنـي التنزيـه ، تقول : جل جلاله ؛ أيْ تنزهت ذاته عن كل نقص ، وإن الإكرام الصادر من الله عز وجل إكرام منزه عن كل غرض . قد تُدعى لطعام الغداء من قبل أحد الأشـخاص ، وبعـد أن تنتهي ، يطلب منك حاجة ؛ فهذه الدعوة إذاً ليست خالصة ، وإنما دعوة هادفـة ، وهـي مشوبة بمكسب ، وغرض وتأمين حاجة ؛ لذلك قدم الله اسم الجلال على اسم الإكرام ؛ لأن إكرامه منزه عن كل غرض.

" لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ، ما زادوا في ملكي شيئاً . ولو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل منكم ، ما نقصوا في ملكي شيئاً "*

أكرر فتقديم اسم الجلال على اسم الإكرام ، لأن إكرامه منزه عن كل غرض .

وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِن تَكْفُرُوٓاْ أَنتُمْ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ حَمِيدٌ

[سورة إبراهيم : الآية ٨]

إِن تَكْفُرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنكُمْ ۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ۖ وَإِن تَشْكُرُواْ يَرْضَهُ لَكُمْ ۗ

[سورة الزمر : الآية ٧]

أما الإمام القشيري فيذكر ؛ أن جلال الله منزه عن الأنصار والأعـوان .

أحياناً يستمد الإنسان هيبته ممن حوله ، ومن أنصاره ، وأعوانه ، وجماعته ، ومن القـوة التي بيده ، ومن الأشخاص الذين حوله ؛ لكن الله عز وجل منزه في جلاله عن الأعـوان

والأنصار. أما الإنسان ؛ فجلالته قد تكون من ماله ، أو مكانته من علمه ، أو مكانته مـن سلطته . هذه المكانة مشوبة ومفتقرة إلى شيء قالوا : من أحبك لشيء ، كرهك لفقـده . فجلال الله عز وجل منزه عن الأسباب ؛ لأنه ذو جلال بذاته من دون سبب منفصل عنه . جلاله يعني الرفعة والعزة والعلو . والإكرام كما قال الإمام الرازي : قريب من الإنعـام ، إلا أنه أخص منه ؛ لأن الله سبحانه وتعالى قد ينعم على من لا يكرم ؛ فهو سبحانه لا يحب الكافرين لكن يمنحهم المال والصحة ، والأولاد والبيوت ، والمتع والسيارات والمبـاهج ؛ فكل هذا إنعام وليس إكراماً . لكنه جل جلاله يكرم المؤمنين . فكل إكرام إنعـام ، ولكـن ليس كل إنعام إكراماً ذلك لأنه ينعم على من لا يكْرِم، ولا يكْرم إلا من ينعم عليه . وقالوا : إكرام الله عز وجل نوعان : نوع معجل في الدنيا ، ونوع مؤجل إلى الآخرة . فالإنسان إذا أنه لم يكن له في الدنياما يريد ، بل كانت دنياهمدبرة لا مقبلة ، فهو ينتظر إكرام ربـه بعد الموت ، ورد في الحديث القدسي:

" **إني والجن والإنس في نبأ عظيم ؛ أخلق ويعبد غيري ؛ وأرزق ويُشكَر سواي ؛ خيري إلى العباد نازل ، وشرهم إلي صاعد ، أتحبب إليهم بنعمي وأنا الغني عنهم ، ويتبغضون إلي بالمعاصي وهم أفقر شيء إلي ، من أقبل علي منهم تلقيته من بعيد ، ومن أعـرض عني منهم ناديته من قريب ، أهل ذكري أهل مودتي ، أهل شكري أهل زيـادتي ، أهـل معصيتي لا أقنطهم من رحمتي ، إن تابوا فأنا حبيبهم ، وإن لم يتوبـوا فأنـا طبيـبهم ، أبتليهم بالمصائب ، لأطهرهم من الذنوب والمعايب ، الحسنة عندي بعشرة أمثالها وأزيد والسيئة بمثلها وأعفو ، وأنا أرأف بعبدي من الأم بولدها .***

وقال بعض العارفين : **ذو الجلال والإكرام** ؛ هو صاحب الجلالـة ، لأنـه لا شرف ، ولا مجد ، ولا عزة ، ولا قوة ، إلا وهي له ، فهي له وبه ومنه أحياناً يهـب الله تعالى لبعض الأشخاص هيبة ، جلالة ، مكانة ، ، وأحياناً يسلبها منهم فجأة . هو الأصل . فلا شرف ، ولا مجد ، ولا عزة ، ولا قوة إلا وهي له وبه ومنه ولا كرامة ولا فضل ولا نعمة ولا إحسان ، إلا وهي من مدده جل جلاله ؛ هذا معنى **ذو الجلال والإكرام** .

وقال بعضهم : هذا الاسم الجليل جامع للجلال والجمال ؛ فإن الله تعالى له جلال رهيب ، وجمال عجيب .

وبالمناسبة أقول ، إن المؤمن المتصل بالله جل جلاله له هيبة ،

" **عنْ أبي مسْعود قالَ أتَى النبي صلى الله عليْه وسلم رجلٌ فكلمه فَجعلَ تُرْعد فَرائصـه فَقالَ له هونْ عليْك فَإني لسْتُ بملك إنما أنَا ابْن امْرأة تأكُلُ الْقَديد** "

[رواه ابن ماجه]

كان عليه الصلاة والسلام من رآه بديهة هابه ، ومن عاملـه أحبـه . فـالنبي وأصحابه والمؤمنون الصالحون الصادقون المخلصون ؛ هؤلاء يأخذون من هـذا الاسـم نصيباً وهو الهيبةُ ؛ من اتقى الله هابه كل شيء . وأي إنسان اتصل بالله عز وجل كانت له هيبة .

الإمام الحسن البصري كان من كبار التابعين ، وكان ذا هيبة عظيمـة . ولعـل قصة هذا الإمام تحوي على ما يدل على هذا المعنى ؛ لقد أدى واجب العلم ، وذكر بعض الأخطاء التي صدرت عن الحجاج ، ولما بلغ الحجاج مقالةُ البصري ، غضب ، وأرغى ، وأزبد ، وتوعد ، وأمر بقتله وقال : ائتوني به -طبعاً حينما أمر بقتله جاء بالسياف ومـد النطع أمامه في قصره - بل قال قبل ذلك لمن سمع مقالة الحسن البصري ، ولم يرد عليه ؛ قال لهم : والله يا جبناء لأسقينكم من دمه. فلما دخل الحسن على الحجاج ورأى السياف جاهزاً ، والنطع ممدوداً ، تكلم بكلمات لم يسمعها أحد ، فما كان من الحجاج إلا أن وقـف له ، واستقبله وما زال يقربه حتى أجلسه على سريره ، وكان يكنى أبا سعيد قال له : يا أبا سعيد كيف أنت ؟ يا أبا سعيد ، أنت سيد العلماء . يا أبا سعيد يا أبا سعيد ... وقيل : عطره ، واستفتاه في قضية ثم شيعه . هذا السياف صعق جاءوا به ليقطع رأسه ومـد النطـع ، وكأنه قرار القتل نهائي ، فتَبِع الحاجب أبا سعيد فقال له : يا أبا سعيد لقد جيء بك لغير ما فُعل بك ! فماذا قلت قبل أن تدخل؟ قال قلت : يا ملاذي عند كربتي ، يـا مؤنسـي عنـد وحشتي ؛ اجعل نقمته علي برداً وسلاماً ، كما جعلت النار برداً وسـلاماً علـى إبـراهيم صدقوني أيه القراء الكرام : هذا لكل مؤمن وفي كل زمان وفي كل مكان ، للمؤمن هيبة . لا يستطيعون أن يتجاوزوا حدهم عندك إن كنت مؤمناً مستقيماً ، فمن اتقى الله ، هابه كـل شيء ، ومن لم يتق الله ، هاب كل شيء .

"أَخْبرنَا جابِر بْن عَبْدالله أَن النبِي صلى الله عَلَيْه وسلم قَالَ أُعْطيتُ خَمْسًا لـمْ يعْطهـن أَحد قَبْلي نُصرْتُ بِالرعْبِ مسيرةَ شَهْر وجعلتْ لِي الأَرْض مسْجِدًا وطَهورًا فَأيما رجلٍ منْ أُمتي أَدْركَتْه الصلاةُ فَلْيصل وأُحلتْ لِي الْمغَانم ولمْ تَحل لأَحد قَبْلي وأُعْطيتُ الشفَاعةَ وكَان النبِي يبْعثُ إِلى قَوْمه خَاصةً وبعثْتُ إِلى الناس عامةً"

[رواه البخاري]

فالنبي صلى الله عليه وسلم نُصر بالرعب وحينما تركت أمته سنته ؛ هزمـت بالرعب لذلك ؛ من اتقى الله ، هابه كل شيء ومن لم يتق الله هاب كل شيء .

وقال بعض العارفين : **ذو الجلال والإكرام** ؛ هو المنفرد بـالجلال والإكـرام والعظمة ، المختص بالإكرام والكرامة ؛ فكل جلال له ، وكل كرامة منـه سـبحانه ، لـه

الجلال في ذاته ، والإكرام فيض منه على خلقه ؛ فما من نعمة تأتيك إلا وهـي مـن الله ؛ حتى لو أن عينيك رأتا أن هذا الإنسان -فلان الفلاني -هو الذي أكرمك ؛ إذا كنت موحداً ترى أن الله ألهمه ، وسمح له، وأن الله مكنه ، وألقى حبك في قلبـه فأكرمـك . لـذلك - المؤمن الصادق- إذا أصابه خير ، بادىء ذي بدء يشكر الله عز وجل ، إنّ السيدة عائشـة حينما لاك الناس حديث الإفك ، وبقي الوحي منقطعاً قرابة شهر ، والنبي صلى الله عليـه وسلم في أشد حالات الضيق والحزن ، ثم جاءت براءة الله عز وجل للسيدة عائشة -رضي الله عنها -فقال لها الصديق : قومي لرسول الله فاشْكُريه فَقَالَت : لا والله ، لا أشكُر إلا اللهَ فأْبتَسم النبي وقال عليه الصلاة والسلام : عرفَتْ الْحقَ لأَهْله "

[رواه أحمد]

مادام كل كرامة من الله ، وأي إكرام مهما بدا لك أنه من فلان ، فهـو مـن الله لذلك أنت ينبغي ألاّ تشكر على الحقيقة إلا الله . فالمؤمن الصادق يعود نَفْسه سجود الشـكر ، فأحياناً يسمح له ، وقد كان ممنوعاً ، يمنح ، ينال درجة أو شهادة أو مالاً ، ويرى كـل نعمة من زوجة وولد ومال وعطاء ، ونجاح ، هي منه سبحانه وتعـالى ، وهـو المنفـرد بصفات الكمال . والعظمة والجلال ، المختص بالإكرام والكرامة ؛ فكل جلال له ، وكـل كرامة منه سبحانه ، له الجلال في ذاته ، والإكرام فيض منه على خلقه . عندي مثل أحب أن أطرحه على مسامع القراء الكرام :

بمعامل الحديد الضخمة ، هناك رافعات كهربائية ، مساحة كبيرة من الحديد؛ مربعة أو دائرية محاطة بوشيعة كهربائية ، فإذا سرت الكهرباء في هذه الرافعـة ، تصبح ممغنطة . وهذه الرافعة ربما حملت خمسة أطنان . و الآن وهي ترفع هذا الثقـل ؛ لو ضغط العامل مفتاحاً بمقدار ربع ميلي بحيث قطع تيار الكهرباء ، فكـل هـذه الأوزان تسقط ، أردت بهذا المثال أنه مهما كنت ذا لك هيبـة ، أو كنـت ذا شخصـية متألقـة ، ومحظوظاً ومحبوباً؛ فهذا من الله عز وجل ، بدليل أنه أحياناً يفقدك هيبتك ، ويأتي أحقـر الناس فيتطاول عليك ، ويسيء إليك . فإذا شعرت بالمكانة والهيبة وأنك محبوب فهي مـن الله ، والنبي -عليه الصلاة والسلام -علمنا أن الله كلما زاد الله في إكرام عبـده ؛ فالعبـد الكامل يزيد في تواضعه لله عز وجل . لذة النصر لا توصف ، فكفار مكة المكرمة بالغوا بالاساءة إليه صلى الله عليه وسلم إيذائه ، وحاربوه ثلاث مرات في بدر وأحد والخنـدق ، وحاولوا قتله وأخرجوه ونكلوا بأصحابه وعذبوهم وقتلوهم ، وهي في استعلاء -وأذلـوه ، حتى إن سهيل بن عَمْرو لم يرض أن يكتب : هذا ما اتفق عليه محمد رسول الله قال: امح رسول الله ؛ ـ عَطْرسةً وكِبْراً ـ ثم فتحت مكة ، عشرة آلاف سيف متوهجة تأْتمر بـأمر

النبي وقد دخلها منتصراً ، كيف دخلها ؟ دخلها مطأطىء الرأس ! ودخلها متواضعاً ، وكادت ذُؤابة عمامته تلامس عنق بعيره !!

فالله **ذو الجلال والإكرام** ، وكلٌ الجلال منه ، وله ، وبه وكل الإكرام منه وله وبه . فإذا تمتعت بهيبة فاذكر ؛ أن الله هو الذي رفع لك ذكرك ، وإذا تمتعت بإكرام فاعتقد أنه منه .

وها نحن بصدد معنى جديد ؛ فكوْنه ذا الجلال فينبغي أن تُجله . ولأنه ذو إكرام فينبغي أن تحبه ، وأن تكرم عباده ؛ فَرد الفعل عندك أن تجله ، قال تعالى : ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب " بعض الأحيان يتأدب الإنسان مع كتاب الله ، ويضعه في مكان عالٍ ، ولا يجعل رجليه باتجاهه وإذا قرأه قرأه جالساً ، ويضعه على وسادة ، فكل تعظيم لشعائر الله وكتابه وبيوته وأوليائه ، هو من إجلال الله عنْ أَبِي موسى الْأَشْعَرِي قَالَ قَالَ رسولُ الله صلى الله عليْه وسلم إِن منْ إِجْلال الله إِكْرام ذي الشَيْبة الْمسْلمِ وحامل الْقُرْآن غيْرِ الْغَالِي فيه والْجافي عنْه وإِكْرام ذي السلْطَانِ الْمقْسط

[رواه أبو داود]

إن من إجلال الله إكرام ذي الشيبة المسلم " رجل متقدم بالسن ، نشأ في عبادة ربه ، ذو شيبة ؛ إكرام هذا الشيخ هو من إكرام الله ، إن من إجلال الله إكرام ذي الشيبة المسلم . وإكرام العالم العامل ، والإمام العادل ، كل ذلك من إكرام الله وإجلاله ، فالمعنى الجديد الذي مرّ معنا هو : مادام الله ذا الجلال والإكرام ؛ فينبغي أن تجله ، وأن تكرمه بإكرام خلقه ، وهو ردّ الفعل .

وبعد فقد روي أن اسم ذا الجلال والإكرام ؛ هو اسم الله الأعظم ، ذلك بأن النبي عليه الصلاة والسلام ، كان ماراً في طريقه فسمع أعرابياً يقول : اللهم إني أسألك باسمك الأعظم العظيم الحنان المنان ، مالك الملك ، ذي الجلال والإكرام ،

وعنْ أَنَس بْن مالِك قَالَ سمع النبي صلى الله عليْه وسلم رجلا يقُولُ اللهم إِني أَسْأَلك بِأَن لك الْحمْد لا إِله إِلا أَنْتَ وحْدك لا شَرِيك لك الْمنان بديع السموات والأَرْض ذو الجلال والإكرام فَقَالَ لقَدْ سأَلَ الله باسْمه الأَعْظَم الذي إِذَا سئِلَ به أَعْطَى وإِذَا دعي به أَجاب *

[رواه ابن ماجه]

إنه دعا باسم الله الذي إذا دعي به أجاب ، وإذا سئل به أعطى " فهذا الحديث يؤكد أن اسم ذا الجلال والإكرام اسم الله الأعظم - طبعاً كما قلت في بداية البحث هذا الاسم ورد في كتاب الله مرتين-(أذكرهما) والمرتان في سورة الرحمن .

وقد جاء في بعض الأحاديث الشريفة

عن عَبْد الله بْن المبارك عنْ يحْيى بْن حسان منْ أَهْل بيْت المقْدس وكان شَـيْخًا كَبِيـرًا حسن الْفَهْم عنْ ربيعةَ بْن عامر قَالَ سمعْتُ رسولَ الله صلى الله عليْه وسلم يقُولُ أَلِظوا بيا ذَا الْجلال والإكْرام *

[رواه أحمد]

أَلِظّوا بيا ذا الجلال والإكرام ؛ أيْ الْتجِئُوا ، فإذا حلت بالمؤمن مشـكلة ، أو ألمت به ملمة أو دهمه خطب أو حلت به محنة ، دعا وقال : يـا ذا الجـلال و الإكـرام برحمتك أستغيث " أَلِظّوا : أيْ الْتجئوا وادعوا ، قال ابن الأثير أيْ :الْزموه واثْبتوا عليـه ، وأكثروا من قوْل ذلك في دعائكم .

التطبيق الثاني : من عرف جلال الله تواضع له ، لذلك لا يجتمع كِبْر ومعرفةُ الله عز وجل تقول : أنا ؛ فمن أنت ؟ أنت لا شيء . لا تقل أنا . متى أكثر العبد من ذكره ، ولاح نوره على سره ، صارجليل القدر بين العوالم . ومن عرف جلال الله ، تواضع له وتذلل ولقد جاء في الأثر : تخلقوا بأخلاق الله ؟ فكيف نتخلق بأخلاق الله ؟ باسـم الجـلال والإكرام ؟ الإكرام أن تكرم الناس وأن تجعل أساس حياتك العطاء ، أما الجلال أن تترفـع عن السفَاسف . فمن كثر مزاحه ،َقلت هيبته لا تتعلق بالجزئيات والتفاصيل . لا تكن سخيفاً . إن الله يحب معالِي الأمور ، ويكره سفسافها ودنيها . فاعتدالُك فـي الأمـور وتوازنـك واهتمامك بالقضايا الكبرى ، وتعلقك بالآخرة ، وترفعك عن السفاسف والدنايا ، وترفعـك عن السفاهات ، وعن كثرة القيل والقال ، وإضاعة المال ، وكثرة السؤال ، وتعلقك بالآخرة ، يجعلك ممن تخلق بأخلاق الله ، وصار لك هيبة أساسها الاعتـدال والسـلوك الحسـن ، والترفع عن الدنايا والسفاسف والسقطات والزلات والثرثرة والتعليقات والتدخلات الجانبية ، وأن تحشر نفسك فيما لا يعنيك. هذا كله يضعف مكانتك . والإنسان الناضج له إحسـاس دقيق جداً ؛ فيشعر أن هذه الكلمة تصغّر شأنه ، وهذه النظرة تصـغر قـدره ، وأن هـذا السؤال يجعله دنيئاً وأن هذا التذلل يجعله خنوعاً ، وأن هذا التصرف يجعله طامعاً . فكـل عملٍ يجعلك أمام الناس صغيراً ، عليك أن تترفع عنه ، من أجل أن تتخلق بـأخلاق الله . والنبي صلى الله عليه وسلم قال :

" إياك وما يعتذر منه "

أي تصرف يدفعك إلى الاعتذار وتقول : لا تؤاخذوني ، فلا تفعلْه ، إذا فعلت هذا تخلقت بأخلاق الله و صارت لك هيبة ، والهيبة نوعان : نوع كسبي ونوع وهْبي .

النوع الكسبي : التزامك بالأدب وضبط اللسان ؛ من كثر كلامه كثر غلطه ، اضبط لسانك وجوارحك وكن معتدلاً ، لا تتكلم كلاماً لست متأكداً منه، ولا تتهم أحداً قبل أن تتحقق ، قال تعالى :

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ ٦

(سورة الحجرات :الآية ٦)

فعدم التسرّع وعدم الثرثرة ، وفهم الأمر بتريث ، وترك الدنايا ، يجعلك ذا جلال. وإذا جعلت أساس حياتك العطاء والسخاء والدعْم ، صرت ذا إكرام . إذاً ومرة ثانية أذكر أن التخلق بهذا الاسم له طريقان : كسْبي ووهْبي ، إن أقبلت على الله واتصلت به ، وهبك الجلال . وإن اعتدلت في سلوكك ، وترفعت عن الدنايا والسفاسف وأقللت من المزاح ومن الثرثرة ، والتدخل فيما لا يعني ، كنت كبيراً في نظر الناس . فكلمةٌ ترفعك ، وكلمةٌ تجعلُك أسفل السافلين . إن الرجل يقول الكلمة في سخط الله لا يلقي لها بالاً ، يهوي بها سبعين خريفاً في جهنم " فما دام الله عز وجل ذا الجلال والإكرام ، ينبغي أن نجِله وأن نحبه ، ومن جهة ثانية إذا صح القول : تخلقوا بأخلاق الله ، فباستقامتنا واعتدالنا وترفعنا عن السفاسف ، نكتسب هيبة. وباتصالنا بالله عز وجل .

أجل نكتسب هيبة . الأولى كسبية ، والثانية وهبية . والله عز وجل أكرمنا فيجب أن نحبه ، وأن نكرم عباده . إذا أردتم رحمتي فارحموا خلقي .

جاء في بعض الأدعية : أنت **ذو الجلال والإكرام** ، صاحب الطوْل والإنعام ، لك جلالٌ يدك الجبال ، ولك جمالٌ يفتح باب القبول والوصال . وأنا يا أخي المسلم أتمنى أن يهزك جمال الله ، كما يهزك جلاله ، وأن تقبل عليه رهبةً ورغبة ، رجاء وخوفاً فإن جلاله مرغوب ، وكماله محبوب .

بعضهم ناجى ربه فقال : يا رب أشرقَ نور هذا الاسم على لطائف قلبي ، حتى تجنبت الرذائل ، فكنت جليل القدر ، وانشرح صدري بإكرامك ، فكنت مجملاً بلطائف إنعامك، إنك على كل شيء قدير. وصلى الله على سيدنا محمد البشير النذير وسلم .

أيها القارئ الكريم : لعل هذا الاسم كما ورد هو اسم الله العظيم ؛ أِلطّوا بيا ذا الجلال والإكرام ، فكل صفات القوة والعظمة منطوية في يا ذا الجلال ، وكل صفات الكمال والإكرام منطوية في الإكرام ؛ فإذا قلت : يا ذا الجلال والإكرام ، فكأنك جمعت

بهذا الاسم المركب ، أسماء الله الحسنى كلها ، ولكن من زاويتن ؛ زاوية القوة ، وزاويـة الكمال ، والنبي عليه الصلاة والسلام ما كان يجلس بعد الصلاة إلا بمقدار قولـه : اللهـم أنت السلام ، ومنك السلام ، تباركت يا ذا الجلال والإكـرام " ، ومعنـى يـا ذا الجـلال والإكرام ينبغي ؛ أن تعظمه بالقدْر الذي تحبه ؛ فإذا كان في حياتنا كما قلت في مطلع هذا البحث أناس نحبهم كثيراً ولا نقدرهم كثيراً ، وأُناس نقدرهم كثيراً ، ولا نحبهم كثيراً ، فالله عز وجل **ذو الجلال والإكرام** يِقَدْر ما هو عظيم في قلبك ، بقَدْر ما هو كريم فـي تعاملـه معك .

والحمد لله **رب العالمين**

الدرس٤١- اسم الله : الضار النافع .

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الإخوة الكرام : مع الدرس الواحد والأربعين من دروس أسماء الله الحسنى ، والاسم اليوم **؛ الضار النافع** . **الضار النافع** : اسمان من أسماء الله الحسنى . دققوا في كلمة الحسنى ؛ ولله الأسماء الحسنى ؛ **فالضار** من أسماء الله الحسنى ، والمانع من الأسماء الحسنى، والقابض من الأسماء الحسنى ، والمذل من الأسماء الحسنى ، وكُلُ أسماء الله حسنى؛ ولكن قد يبدو للإنسان أحياناً أن الضر يؤْلمه ، وهو كالدواء تماماً؛ طعمه مر وعاقبته محمودة .

أيها الإخوة الكرام : هناك توجيه لبعض العلماء ، وهو أن تبقى هذه الأسماء مزدوجة ، وأن تُدرس معاً ؛ فلا تقول : **الضار** وحده ؛ قُل **الضار النافع** ، والقابض الباسط ، والمعز المذل، والمعطي المانع ، وهذا لسبب بسيط وهو أنه تعالى يضر لِينفع ، ويذل ليعز ، ويمنع ليعطي، ويخفض لِيرفع ، ويقبض لِيبسط ، لو كُشف الغطاء لهذا الإنسان - والله الذي لا إله إلا هو - الذي ساق الله له من الشدائد ما ساق ، لَذاب كما تذوب الشمعة إذا أُشعل فتيلها ، حباً في الله عز وجل . ولو عرفت حكمة الشدائد التي يسوقها الله لِعباده ، لَذاب الإنسان حباً وخجلاً من الله عز وجل، كما تذوب الشمعة إذا أُشعل فتيلها .

لذلك يقول الإمام علي كرم الله وجهه : والله لو كُشف الغطاء ، ما ازددت يقيناً . وهذا الإيمان وهذا الشعور هو أحد أكبر الأسباب سعادة الإنسان ؛

هم الأحبة إن جاروا وإن عدلوا
فليس لي معدلٌ عنهم وإن عدلُو
وإن فتتوا في حبهم كبدي وإن عدلوا
باق على عهدهم راضٍ بما فعلوا

شعور الرضا أيها الإخوة لا يوصف ؛ أن ترضى عن الله . يطوف أحدهم حول الكعبة ويقول : يا رب ، هل أنت راضٍ عني ؟ وكان وراءه الإمام الشافعي فقال : يا هذا وهل أنت راضٍ عن الله حتى يرضى عنك ؟ وقف والتَفَت وراءه وقال : من أنت يرحمك

الله ؟ كيف أرضى عنه وأنا أتمنى رضاه ؟ فقال الإمام الشافعي : إذا كان سرورك بالنقمة كسرورك بالنعمة ، فأنت راضٍ عن الله .

لا تُصدق أن يكون الامتحان في الرخاء ؛ إنما الامتحان في الشدة. ولا يظهر إيمانك إلا في الشدة ، ولا ترقى عند الله إلا في الشدة ، لذلك المؤمن يوطن نفسه على أن يمتحن . وقد سئل الإمام الشافعي ؛ أندعوا الله بالابتلاء أم بالتمكين ؟ فقال : لن تُمكن قبل أن تُبتَلى ، قال تعالى :

مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ

(سورة آل عمران : الآية ١٧٩)

فأكثر المراجع الدينية ، ترى أن هذه الأسماء المزدوجة ؛ ينبغي أن تذكر معاً ؛ **الضار النافع** لسبب بسيط ، وهو أنه تعالى يضر لِينفع .

في سورة القلم قصة أصحاب الجنة : قال تعالى :

إِنَّا بَلَوْنَـٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَـٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ
﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَثْنُونَ ﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿١٩﴾
فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾ فَتَنَادَوْا۟ مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾ أَنِ ٱغْدُوا۟ عَلَىٰ
حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰرِمِينَ ﴿٢٢﴾ فَٱنطَلَقُوا۟ وَهُمْ يَتَخَـٰفَتُونَ ﴿٢٣﴾ أَن لَّا
يَدْخُلَنَّهَا ٱلْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ ﴿٢٤﴾ وَغَدَوْا۟ عَلَىٰ حَرْدٍ قَـٰدِرِينَ ﴿٢٥﴾
فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوٓا۟ إِنَّا لَضَآلُّونَ ﴿٢٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٢٧﴾

قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾ قَالُوا۟ سُبْحَـٰنَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا
ظَـٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَـٰوَمُونَ ﴿٣٠﴾ قَالُوا۟ يَـٰوَيْلَنَآ
إِنَّا كُنَّا طَـٰغِينَ ﴿٣١﴾ عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَآ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ
﴿٣٢﴾ كَذَٰلِكَ ٱلْعَذَابُ ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾

(سورة القلم : الآية ١٧ ـ ٣٣)

فأصبحت كالصريم انتهت . يعني أصابها الصقيع " **فَتَنَادَوا مصبحينَ أَن اغْدوا عَلَى حَرثكُم إِن كُنتُم صَارمين** "، القصة طويلة " **فَلما رَأَوهَا قَالُوا إِنا لضَالونَ** " ليس هذا بستاننا ، فلما تأكدوا منه قالوا : " **بَلْ نَحن مَحرومونَ** " ، " **قَالَ أَوسَطهم أَلم أَقُلْ لكُم لولا تُسَبحونَ** "، لِضعف إيمانكم بالله بخلتم ؛ فلما بخلتم عوقبتم " **قَالُوا سبحَانَ رَبنَا إِنا كُنا ظَالمينَ** " انتهت القصة ، والآن إلى التعقيب: قال تعالى : " **كذلك العذاب** " ؛ أي أنه ؛ أي عذاب أسوقه للعباد ؛ فَمن أجل هذا ، ومن أجل أن أردهم إلي ، ومن أجل أن أحملهم على الصواب ، ومن أجل أن أحملهم على التوبة ، " **كذلك العذاب** " ، والمؤمن الصادق يعتَقد اعتقاداً راسخاً أن كُل شدة وراءها شَدة إلى الله ، وأن كل محنة ، وراءها منحة وأن كُل شيء وقع أراده الله ، وأن كل ما أراده الله وقع ، وأن كل ما أراده الله وقع ، وأن إرادة الله متعلقة بالحكمة المطلقة ، وأن حكمته المطلقة متعلقة بالخير المطلق . ومعنى الحكمة

المطلقة ؛ أن الذي وقع لو لم يقع ، لكان الله ملوماً ؛ ولكان عدم وقوع الذي لم يقَع نَقْصـاً في حكمة الله عز وجل .

لذلك هناك من يقول : لِكل واقعٍ حكمة ، فيما أن هذا الشيء وقع؛ فمن وراءه حكمة مـا بعدها حكمة ، ولو أن الذي أوقعه كان أحمقاً ، ولو أن الذي أوقعه لم يكن حكيمـاً ، ولـو أن الذي أوقعه كان شريراً ، ولو أن الذي أوقعه كان جاهلاً ؛ لِكل واقعٍ حكمة ، لأنه لا يمكن أن يقع في كون الله إلا ما أراده الله ، وإرادته متعلقة بالحكمة المطلقة ، هذه الفكرة وحدها ، يمكن أن تنفي عن الإنسان كل أمراضه النفسية . يعني إذا كان هناك صحة نفسية ففي عالم الإيمان الآن . علاقتك مع الرحمن الرحيم ، مع الحكيم ، ومع العليم ، ومع العادل ، علاقتك مع ربٍ كريم ، بيده كل شيء ، ويعلم كل شيء ، لا تخفى عليه خافية .

الإمام الغزالي والإمام الرازي والإمام القُشيري يقولون : " اعلم أن الجمع بين هذين الاسمين أولى وأبلغ في الوصف بالقدرة على ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ، لا نافع ولا ضار غيره ".

دققوا معي الآن ؛ متى ينافق الإنسان ؟ متى يرائي ؟ ومتى يخاف ؟ ومتى ينهـار ؟ ومتى يخْنع ؟ ومتى يقبل الضيم ؟ إذا شعر أن إنساناً يمكن أن ينفعه ، أو يمكن أن يضره ، أما إذا أيقن أنه لا نافع إلا الله ، ولا ضار إلا الله ، رفع رأسه وقال : لا وذلك يملء فمه ، واعتقد أن الله لن يسلمه ، ولن يتخلى عنه ، وأن كلمة الحق لا تقطع رزقـاً ، ولا تقـرب أجلاً . كل أسباب القوة والمنعة ، وكل أسباب العزة والجرأة ، بسبب أن تؤمن أنه لا نافع ، ولا ضار، إلا الله ، ألا يكفيك قوله تعالى :

مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾

(سورة فاطر)

هذه الآية وحدها تكفي ، ألا يكفيك حديث رسول الله الذي روي عن ابن عباسٍ قَـالَ كُنْتُ خَلْفَ رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فَقَالَ يا غُلام إني أُعلمك كلمات احفَظ الله يحفَظْك احفَظ الله تَجِده تُجاهك إِذَا سأَلْتَ فَاسأَل الله وإِذَا استَعنْتَ فَاستَعن بِاللـه واعلَـم أَن الأُمةَ لَو اجتَمعتْ علَى أَن ينْفَعوك بِشَيء لَم ينْفَعوك إِلا بِشَيء قَد كَتَبه الله لَك ولَو اجتَمعوا علَى أَن يضروك بِشَيء لَم يضروك إِلا بِشَيء قَد كَتَبه الله علَيك رفعـت الأَقْلَـام وجفـت الصحفُ*

(رواه الترمذي)

هكذا الإيمان .

يقول علماء اللغة : " إن الضر ضد النفع "، والله جل جلاله هو الضـار ؛ لكـن لا ينبغي أن يغيب عن ذهنك كيف ، أن الأب الجراح يمسك بالمبضـع ، ويفـتح الـبطن ، ويخرج الدم ، ويربط الأوعية ، ويأتي إلى هذه الزائدة -التي جعلته يخرج مـن جلـده - ويقطعها ويستأصلها ، ثم يضمد الجِراح . أب طبيب جراح مفعم قلبه بالرحمة ، وممتلـىء عقله بالعلم ، أُصيب وابنه بالتهاب الزائدة ، ماذا يفعل معه ؟ يستأصلها ؛ استئصالها مؤلم ، فهناك فتح بطنٍ وتخدير ، وبعد انتهاء المخدر هناك آلام ، لكن هـذا الأب يفعـل هـذا لِصالح ابنه . لا يمكن أن نفهم الضر من الله إلا هكذا ، وأي فهمٍ آخر يعد كفراً وإلحاداً في أسماء الله عز وجل لأن الله سبحانه وتعالى يقول :

وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾

(سورة فاطر)

لذلك المؤمن مستسلم وصابر لِحكم الله . وحينما يصبر المؤمن لِحكم الله عز وجـل فإن الله جل جلاله يتجلّى على قلبه بالسكينة . فالله سبحانه وتعالى يفقر ؛ وقد يكون الإفقار هو عين العطاء . والله سبحانه وتعالى يمرض ؛ وقد يكون في المرض الصـحة النفسـية التامة . والله سبحانه وتعالى يخيف ؛ وقد يكون في الخوف الالتجاء إلى الله عـز وجـل . والله حكيم يعلم كيف يداوي ، و المكان الذي يؤلم ، ويعلم ما الذي يحمل عبده على التوبة .

أنا أعرف رجلاً متَفلتاً تفلتاً كاملاً من منهج الله ، وعقيدتُه فاسدة ، ويستهزىء بالدين ، ولا يطبق شيئاً من أوامر الله عز وجل . وزوجته كذلك . أصيبت ابنته بمرض عضـال وخبيث في دمها ، فقام ولم يقعد ، وأنفق كل ممتلكاته ، واضطر إلى بيع بيته ، وأخذها إلى بلاد غربية ليعالجها لأنه متعلّق بها تعلقاً شديداً ، ثم جاءه خاطر ، والأولى أنه إلهام مـن الملك، أن يا فلان لو أنك تُبت إلى الله أنت وزوجتك ، لشفاها الله ، فهذا الخاطر حمله على أن يتوب؛ فحجب زوجته ، وبدأ يصلي ، وحضر مجالس العلم فشفا الله ابنته. وبعد سنوات عدة - هو زميل لي في العمل - زارني لِمركز عملي ودعاني لِحضور عقْد قران ، فقلت له مداعباً : هي هي فقال : هي هي ، هي التي مرِضت وردت أباها وأمها إلى الله ، هـذا المرض كالضيف؛ جاء فَحمل أباها وأُمها على التوبة ، ثم انسحب .

" كَ**ذَلِكَ الْعَذَاب** " لا يمكن أن نفهم عذاب الله إلا بهذه الطريقة ، العـذاب ضـيف ، ولكنه ضيف مؤلم ، يدخل ويخرج وقد حملَ الإنسان على التوبة . لكن المصائب أنواع - وهذا الذي ذكرته في دروس سابقة - فهناك مصيبة قَصم ، وهناك مصيبة ردع ، وهنـاك مصيبة دفْع ، وهناك مصيبة رفع ، وهناك مصيبة كشـف . الأنبيـاء إذا سـاق الله لهـم المصائب ، فلكشف حقائقهم التي تفوهوا بها . والمؤمنون إذا ساق الله لهـم المصـائب ، فَلدفْعهم إلى بابه ، أو ِلرفعهم إلى جنابه . أما الكفار إذا ساق الله لهم المصائب ، فإما قصماً إنهاء ِلحياتهم ، وإما ردعاً إذا كان فيهم بقية خير ؛ فالقصم والردع للكفار ، والدفع والرفع للمؤمنين ، والكشف للأنبياء ، ولكل مصيبة حكمة ما بعدها حكمة .

في بعض الأدعية : إلهي ، أنت الضار توقع الضر والآلام لأهل الشرك والفجـار ، وأنت العدل في إضرارك ، وكلهم كالمرضى في حكمك ، فتداويهم حكمتك ، وتوجِد مـن الضر النفع .

لو دققت النظر في أب أهمل ابنه ، يأكل كما يريد ، وينام إلى أي وقت يريـد ، ولا يدرس ، ويصاحب رفقاء السوء ، هذا الابن سيكون في مؤخرة الركب . الأب الشديد الذي حمل ابنه على الدراسة ، وضبط سلوكه ، وقسا عليه ؛ أحياناً هذا الابن سيكون شخصـية لامعة في المجتمع . هذا الابن لو رأى نفسه في أعلى مقام ، ومكانة اجتماعية ، ويحمـل دكتوراه ، وله بيت وزوجة ، معزز ومكرم ، ألا يدعو لأبيه طوال حياته ؟ ألا يقول جزى الله عني أبي كل خير ؟ لولا شدتُه لما كُنت هكذا . لذلك أي إنسان على الإطلاق ، يلخص علاقته بالله كلها يوم القيامة بكلمة : الحمد لله رب العالمين . قال تعالى :

دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَـٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَـٰمٌ ۚ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٠﴾

(سورة يونس)

يروى : أن سيدنا العباس كان مقيماً في مكة ، وكان قد أسلم سراً، وبقي عين -النبي صلى الله عليه وسلم - تروي بعض كتب السيرة أن النبي -صلى الله عليه وسـلم -أمـر أصحابه ألا يقتلوا عمه العباس ، ثم إن الحقيقة انكشفت ، بعضهم ظن أن النبي مـن بـاب التعصب ينهى أن يقْتَلَ عمه؛ لكن- النبي صلى الله عليه وسلم -يعلم أن عمه قـد أسـلم ، ويعلم أيضاً أنه إذا ذكره كُشف أمره ، وإذا لم يشارك عمه في القتل كشف أمـره . لـذلك أساء أحد الصحابة الظن بعض الصحابة الظن برسول الله -عليه الصلاة والسلام - وقـال

أحدهم : ينهانا عن قتل عمه ، وأحدنا يقتل أباه وأخاه . ثم لما كُشفت الحقيقة قال : بقيـت أتصدق عشر سنين لعل الله يغفر لي سوء ظني برسول الله- صـلى الله عليـه وسـلم - فالإنسان إذا توهم أن الله يسوق الشدائد تَشَفياً ؛ فالله أسماؤه حسنى قال تعالى :

وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِن تَكۡفُرُوٓاْ أَنتُمۡ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٨﴾

(سورة إبراهيم)

ولكن يقول الله عز وجل :

مَّا يَفۡعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمۡ إِن شَكَرۡتُمۡ وَءَامَنتُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾

(سورة النساء)

دعا بعضهم فقال : يا رب امنحني عيون التوحيد ، حتى لا أطلب دفع الضر إلا من جنابك .

وبعض الأدعية تقول : اللهم صن وجوهنا باليسار - بالغنى - ولا تبذلها بالإقتـار ؛ فنسأل شر خلقك ، ونُبتلى بحمد من أعطى ، وذم من منع ، وأنت من فوقهم ولي العطاء ، وبيدك وحدك خزائن الأرض والسماء ؛ فامنحنا اللهم عيون التوحيد حتى لا نطلـب دفـع الضر إلا من جنابك ، ولا نقف إلا عند أعتابك ، أنت على كل شيء قدير .

الإنسان عندما يتضعضع أمام إنسان لِيتلافى الضر ، فقد أشرك . وحينما يمتلىء قلبه حباً لِفلان لأن خيراً أصابه منه ، فقد أشرك . والبطولة أن لا تعتقد أن أحداً فـي الكـون بإمكانه أن ينفعك أو أن يضرك ؛ الله هو **الضار النافع** .

النافع لا يقتصر على الدنيا وإنما على الدنيا ، والآخرة ؛ فالذي يمنح الصـحة هـو النافع والذي يمنحك الغنى والسعادة والحياه والهداية والتقوى هو النافع ، وهو الذي أوصل كل هذه النعم إلى خلقه ، ووصل نعم الدنيا بنعم الآخرة ؛ فالنافع يشمل منافع الدنيا ، ومنافع الآخرة . ألم يقل النبي صلى الله عليه وسلم : اللهم أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنـا وأصلح لنا دنيانا التي فيها معاشنا وأصلح لنا آخرتنا التي إليها مردنا ..." معنـى ذلـك أن

الدنيا تُكمل الآخرة ، والآخرة تكمل الدنيا . والمؤمن يطلب حسنة الدنيا والآخرة ، من أكثر الأدعية التي دعا بها النبي صلى الله عليه وسلم :

عن أَنَسٍ قَالَ كان النبي صلى اللهم عليه وسلم يقُولُ اللهم (ربنَا آتنَا في الدنْيا حسنَةً وفي الآخرة حسنَةً وقنَا عذَاب النارِ)

(رواه البخاري ومسلم)

ما الذي يمنع أن تسأل الله حسنة الدنيا وحسنة الآخرة ؟

وفي بعض الأنوار القدسية في الأدعية : إلهي أنت النافع لِجميـع العـوالم ، وأنـت بالجميع راحم .

والإنسان عندما يستقيم على منهج الله ، يهده الله سبلَ السلام . فسبحانه لا يرضيه أن يعذبك . تصور حالة أبٍ ، له ابن يحبه حباً لا يوصف ، ووجد معه خمساً وعشرين ليرة ، فيقول له : من أين لك هذه ؛ فيقول : أخذتها من رفيقي وهو لا يدري ، هذا الأب العاقـل ألا يجد نفسه مضطراً إلى أن يؤدب ابنه ؟ أنا والله أعتقد أن الأب الرحيم حينما يؤدب ابنه ، يتألم عشرة أضعاف آلام ابنه ، ومع ذلك فلا بد من إيقاع الضـرب فيـه ، أو التجربـة المؤلمة . فالإنسان الرحيم يرى من الضرورة أن يوقع في الذي يحبه ألماً رادعاً ، لا أدري من منكم ذاق هذه التجربة ، وهو أن يضرب ابنه ويتألم أشد من ألمِ ابنه لرحمة . فالله عز وجل لا يرضيه أن يذلك ، ولا يرضيه أن يفقرك لا يرضـيه أن يحـبس حريتـك ، ولا يرضيه أن يمرضك ، وأن تكون في مؤخرة الركب . الإذلال ، والإفقار ، وحبس الحرية ، والخوف ، والهم ، والحزن ؛ هذه لا تُرضي الله عز وجل ؛ لأن الله " حيي كريم يسـتحي من عبده إذا بسط إليه يديه أن يردهما فارغتين " .

لكن الله سبحانه وتعالى لحكمته البالغة ، لا بد أن يسوق لعبده العاصي بعض الشدائد . زارني رجل عقب درس من دروس الأحد وقال لي : أريد أن ألتقيك ، وقال لي بالحرف الواحد : أنا يا أستاذ تربيت عند رجل ملحد ، وذلك أنه كان يشتغل عنده . فكان يقول له : ليس هناك إله ، وليس هناك آخرة ، وافعل ما تشاء . وبناء على كلامه : ما من معصـية تَعرفها إلا فعلتها ، عدا القتل فما قتل ، أما ما سوى ذلك فقد مارس كل شيء ! والأمـوال بين يدي كثيرة ، واللذائذ وفيرة ، والمباهج كثيرة ، وأنا منغمس في كل المعاصي والآثـام إلى قمة رأسي ؛ قصة طويلة جداً ولكن أسوق لكم ملخصها : قال لي فجأة سحب البِسـاط من تحت قدمي ، خُتم المحل ، أودع شريكي في السجن بِتُهمة كبيرة جداً . وانقطع دخْلي فجأةً ، وعلي ديون كنت أسدها من دخْل المحل ، وكُشف أمري ، فاضطررت أن أعمـل عملاً دون مكانتي بكثير ، كي أُؤمن طعام يومي ، وساق الله إلي الأمراض والشدائد ، وقد وصف لي حالته وكأن مطرقة على رأسه وقال لي : والله لا أملك ثمن الدواء ، ولا ثمـن

الطعام ، وأذلني الله ذُلاً شديداً ، ودخلت المسجد أول مرة بحياتي كي أُصلي ، و تُبت إلـى الله ، واصطلحت معه . والله بعدما خرج دمعت عيناي وقلت : يا رب ما أحكمـك ومـا أرحمك ، لو جعلت هذا الإنسان يمشي كما يريد إلى نهاية الطريق ، لاستحق النار ؛ ولكن من رحمتك به أنك سقت له هذه الشدائد ، حتى حملْته على التوبة .

وكلما كان الانحراف ، أشد كانت الضربة قاسية . فتجد أحياناً إنساناً بنظرة قاسـية يرتجع وآخر بضربة يرتجع ، والآخر بالكلام ، والآخر بالضرب ، وهناك من لا ينفع معه إلا الضرب المبرح ، والآخر بالتعذيب ، فكلما كانت حساسية ورِقة ؛ قال لـه : يـا رب عصيتك فلم تعاقبني ! قال : عبدي ، قد عاقبتك ولم تدرِ ؛ ألم أحرِمك لـذة مناجـاتي ؟ إذْ هناك من إذا وجد في صلاته عدم الخشوع ، يشعر وكأنه عوقب عقاباً أليماً . وهناك مـن لا يهتز حتى تأتيه المصيبة الكبيرة كي يتعظ .

أيها الإخوة : يقول بعض العارفين : " يا إلهي ، أسألك أن تشهدني اسمك النافع ، فلا أركن على غيرك يا ولي يا واسع " ، أحياناً يركن الإنسان للأغنياء والأقوياء ، ويـركن لمن ينفعه وينسى ربه . أما الصاحي فلا يركن إلا لله لأنه لا يرى إلا الله عز وجل وحـده هو النافع ؛ إلهي أسألك أن تشهدني اسمك النافع ، فلا أركن إلى غيرك . ـ ومن بعـض العقاب الإلهي ، أن يسوق الله لك بعض الخير ، على بعض عباده ، فَتَركن إليهم ، وتُحبهم وهم مسخرون لك ـ واجعلني نافعاً لِجميع عبادك ، راضياً عنك في جميع مرادك ، إنـك على كل شيء قدير .

قال بعض العلماء : " الضار والنافع : اسمان أو وصفان يدلان على تمـام القـدرة الإلهية؛ فلا ضر ولا نفع ولا شر ولا خير إلا وهو بإرادة الله "، هذا الكلام لو نعقله حـق العقل ، و نصدقه حق التصديق ، لأزيلت من أنفسنا كُل المتاعب ، وكل الهموم ، ولـذلك يقول الله عز وجل :

قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ

(سورة النساء : الآية ٧٨)

النفع من الله ، والضر من الله . - الآن دخلنا في موضوع جديد - لكـن سـبب الضر ممن ؟ الفاعل هو الله . مثلاً لو أصدر الأستاذ قراراً بِتَرسيب طالب ، فالذي أصـدر هذا القرار هو المدرس أو المدير ، لكن لماذا رسبه ؟ السبب من الطالب . لذلك ينبغـي أن تُراعى الحقيقة في هذا الموضوع ، فيجب أن تنسب الضر - ولو أن الله هـو **الضـار** - لِنفسك ، ويجب أن تنسب النفع إلى الله عز وجل والدليل قوله تعالى :

ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهۡدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطۡعِمُنِى وَيَسۡقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا
مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحۡيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِىٓ أَطۡمَعُ
أَن يَغۡفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوۡمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾

(سورة الشعراء)

قال : " **وَإِذَا مَرِضتُ** " ولم يقل وإذا أمرضني ؛ لأن أصل المرض خروج عن منهج الله، والآية الكريمة :

مَّآ أَصَابَكَ مِنۡ حَسَنَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٖ فَمِن نَّفۡسِكَۚ
وَأَرۡسَلۡنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولٗاۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدٗا ﴿٧٩﴾

(سورة النساء)

فالحسنة من الله فعلاً ، ومن الله تفضلاً . والسيئة من الله فعلاً، ومن العبد سببأ . لذلك عزيت السيئات للإنسان .

النقطة الدقيقة أن كل عملٍ منسوب إلى الله ، حتى فاعلية الأشياء منسوبة إلى الله ، فالله تعالى لو لم يشأ للسكين أن تقطع لما قطعت ، لذلك سكين سيدنا إبراهيم لم تذبح ابنه إسماعيل. والنار التي وضع بها لم تحرقه. ويجب أن نعتقد أن فاعلية الأشياء بيد الله لذلك علماء التوحيد لخصوا هذه الحقيقة بكلمة : " عندها لا بها " ، أي الأشياء تفعل فعلتها بمشيئة الله لا بقوة فيها ، حتى الدواء لا يفعل فعله حتى يشاء الله ، لكل داء دواء فإذا أصاب دواء الداء ، برء بإذن الله ، حتى الدواء لا يفعل فعله إلا بمشيئة الله .

قال بعضهم : **الضار** ؛ الذي **يضر** من يشاء من خلقه ، حيث هو خالق الأشياء خيرها وشرها ، **نافعها وضارها** ، **والنافع ؛** هو الذي يوصل **النفع** إلى من يشاء من خلقه ، حيث هو خالق **النفع والضر** ، والخير والشر.

يقول الإمام الرازي : إن **الضار النافع** وصفان : إما أن يعتبرا في أحوال الدنيا ، أو في أحوال الدين . أما الأول فهو أن الله تعالى مغنٍ هذا ، ومفقر ذاك ومعط الصحة لهذا

والمرض لذاك . وأما في أحوال الدين فهو يهدي هذا إذا شاء الهداية ، ويضل ذاك إذا أصر على الضلال ، تطلب الهدى فيهديك ، وتطلب الضلال فيضلك .

يقول الإمام القشيري : " إن الضار والنافع ؛ اسمان من أسماء الله تعالى ، وفي معناهما إشارة إلى التوحيد ؛ وهو أنه لا يصيب عبداً ضر ولا نفع ولا خير ولا شر إلا بمشيئة الله . وقضائه وقدرته ؛ فمن استسلم لحكمة الله ، عاش في راحة ، ومن أبى وقع في كل آفة ، ورد في الحديث القدسي : " أنا الله لا إله إلا أنا ، من لم يستسلم لقضائي ، ولم يصبرعلى بلائي ، ولم يشكر على نَعمائي ، فَلْيطلب رباً سواي " .

نختم الدرس ببعض الآيات المتعلقة بهذا الاسم ، يقول الله عز وجل:

قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ١٨٨

(سورة الأعراف)

ويقول سيدنا رسول الله :

قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي ضَرًّا وَلَا نَفۡعًا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۗ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌۚ إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ فَلَا يَسۡتَـٔۡخِرُونَ سَاعَةٗ وَلَا يَسۡتَقۡدِمُونَ ٤٩

(سورة يونس)

وفي سورة النحل :

وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ ٥٣

(سورة النحل)

وقال تعالى :

وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا۟ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾

(سورة الروم)

هذه الآيات تؤكد ؛ أن **النافع** هو الله ، **والضار** هو الله ، وأن الله **يضر لينفع** ، وأن الله سبحانه وتعالى غني عن تعذيب العباد ، إلا أنه يسوق لهم من الشدائد ما يحملهم على التوبة .

آخر فقرة بالدرس : حظ العبد من هذا الاسم ، الله اسمه **النافع الضار** ، فما حظ المؤمن من هذا الاسم ؟ المؤمن يجب أن يكون نافعاً لعباد الله ، وينبغي أن لا يقترب من المنحرفين لئلا يصيبه منهم الضر ، قال تعالى :

أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ

(سورة المائدة : الآية ٥٤)

الأثر الثاني : والمؤمن حيال هذا الاسم الكريم ؛ ينبغي أن لا يرجو أحداً ، وأن لا يخشى أحداً ، وأن يكون اعتماده على الله كلياً . ومن عرفَ أن الله مولاه ، قد تفرد بالإيجاد ، وتوحد في الإنعام ، فوض أموره إليه ، فعاش في راحة ، والخلق في راحة ، وبذل النصح لكل أحد ، ولم يجد في قلبه غشاً ، ولا خيانةً لغيره .

ومن الخير للذاكر ؛ أن يجمع بين اسمي **الضار والنافع** ؛ فإليهما تنتهي كل الصفات ، فهو سبحانه وتعالى المالك **للضر والنفع** ، ولا **ضار** ولا **نافع** سواه قال تعالى :

لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا

(سورة الرعد : الآية ١٦)

وآخر حظ من هذا الاسم ؛ أن تُفَوض أمرك كله لله ، والاستسلام لله عز وجل ، من المشاعر المسعدة التي هي ثمرة الإيمان بالله عز وجل .

والحمد لله رب العالمين

الـ ـدرس٤٢ – اسم الله : الرقيب .

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الإخوة الكرام ؛ مع الدرس الثاني والأربعين من دروس أسماء الله الحسنى و الاسم اليوم هو(**الرقيب**)، **فالرقيب** اسمٌ من أسماء الله الحسنى إن المؤمن إذا آمـن بهـذا الاسـم ، انعكس هذا الإيمان على سلوكه انعكاساً واضحاً صارخاً ؛ فأنت إذا شعرت أنك مُراقب فلابُـد من أن تنضبط ، فشعور الإنسان بأنه مُراقَب ، ولو من جهة أرضية ، ولو من إنسان من بني جلدته لكنه أقوى منه إذا كنتَ مراقباً ، فلا بد من أن تنضبط؛ فكيف إذا أيقنـت أن الله -جـل جلاله -هو **الرقيب** ! قال تعالى :

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾

(سورة النساء)

أيها الإخوة : أحياناً تكون العقَبة عقبة معرفة ، لأن فطرة الإنسان تُعينـه إذا عـرف ، فَحب السلامة ، وحب الفوزِ والكسبِ في الإنسان ، كافيان يحمله على طاعة الله فيما لو أيقـن أن الله **رقيبٌ** عليه ، فالمراقبة حال ذكره العلماء كثيراً ؛ هذا الحال يشعرك أن الله معك دائماً . قال عليه الصلاة والسلام : " أفضل إيمان المرء أن يعلم أن الله معه حيث كان " .

قبل أن نتابع الحديث عن اسم **الرقيب** أريد أن أضع بين أيديكم مثلاً يوضح حقيقة هـذه الأسماء ؛ أنت لو التقيت عند صديق لك مع رجلٍ لا تعرفه تقول له : من الأخ الكريم ؟ يقول لك: فلان بن فلان ، يربك أن يذكر لك صديقك اسم هذا الرجل هل يكفي لكي تعرفه ؟ تشـعر أنك سألت عنه كي تعرف كل شيء ، قال لك اسمه . تقول له ماذا اسمك ؟ إلى أي مسـتوى دراسي وصلت ؟ وتحب أن تعرف شيئاً عن ثقافته ، أو عن إختصاصه ، أو عـن سـنه ، أو عمله ، هل هو متزوج ؟ وكم ولد له ؟ و أين يسكن ؟ هنا يمكنك أن تعرفه ؟ لكن إذا قلت لك : إن الله - جل جلاله - خالق السموات والأرض ، فهذا لا يكفي ؛ فأنت تحـب أن تعـرف أسماءه وصفاته ، فما من موضوعٍ يعلو على موضوع أسماء الله الحسـنى ، إذْ رأس الـدين

معرفة الله -عز وجل - ولكن كيف تعرفه ؟ هل تردد اسمه ؟ لا ، أن تتعرف علـى أسـمائه وصفاته الحسنى ، فلذلك مشروعية هذا الدرس أنه لا يكفي أن تعرف أن الله خلق السـماوات والأرض ، إن هذه الحقيقة يعرفها كل الناس حتى الكفار ، بل عباد الأصنام بل حتى المجوس قال تعالى :

وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾

(سورة العنكبوت)

وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٣﴾

(سورة العنكبوت)

فالمشكلة ليست أن تتعرف أن الله خلق السموات والأرض ، وإنما المشكلة أن تتعـرف إلى أسماء الله الحسنى ؛ فهذه هي مشروعية هذا الدرس الذي يعد في الدعوة إلى الله كـالرأس من الجسد .

أولاً : **الرقيب** في اللغة بمعنى المنتظر ، قال تعالى :

وَٱرْتَقِبُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُمْ رَقِيبٌ ﴿٩٣﴾

(سورة هود)

" **فارتقبوا** " أي انتظروا **فالرقيب** هو المنتظر . ورقيب القوم هو الحارس الذي يشـرف على مراقبة العدو . ورقيب الجيش طليعته . و**الرقيب** هو الله الحافظ الذي لا يغيب عنه شيء ، قال تعالى :

إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١

(سورة النساء)

إذا أيقنت أن الله يعلم ، حلت كل مشكلتك ؛ ألم يقل الله –عز وجل- :

ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنَهُنَّ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا ١٢

(سورة الطلاق)

فالله اختار من بين أسمائه اسمين فقال : "**لِتَعلموا أن الله على كُل شَيء قَديرٌ وأن الله قَد أحاطَ بِكُل شَيء علما** " فإذا علمت أن الله يعلم ، فَيدافع فطرتك ، ويدافع حبك لذاتك ، ويدافع رغبتك في السلامة والكسب والتفوق ، تستقيم على أمره .

زرتُ مرةً محلاً تجارياً كي أشتري بعض الحاجات فلم أجد رغبتي فقال لي صاحب المحل : حاجتك موجودة ولكن بالمستودع فذهبت معه إلى المستودع وكان في الطابق الرابع فوجدت محاسباً يجلس إلى طاولة وأمامه كاميرا تذكرت ما رأيته في محل ذاك الشخص فإنني رأيت شخصاً يكتب ، عندها عرفت أن هذا الشخص موظف عند صاحب هذا المحل وقد وضع صاحب المحل جهاز مراقبة عليه ، فهذا العامل لا يستطيع أن يتحرك ولا أن يأكل ولا أن يتمطى لأنه مراقب من طرف هذا الشخص ، يقولون الطريق مراقب ، كنت في بعض البلاد المخالفة فيها بخمس مئة درهم بمعدل سبعة آلاف ليرة سورية ، فالاهتمام بالغ جداً بالسرعة لأن قيمة المخالفة سبعة آلاف ليرة تقريباً ، لو جاوز العداد التسعين لصارت المخالفة بسبعة آلاف ، فالمراقبة هي التي تجعل الحذر .

في الإدارات الحديثة صار البناء كله وحدة صوتية ومرئية فَبإمكان المدير أن يرى كل الموظفين ، دخلت بعض المعامل السورية فوجدت كل الغرف بينها بلور فقط فالمدير العام يرى كل الموظفين ؛ ولكن المراقبة من الإنسان شيء والمراقبة من الواحد الديان شيء آخر . لذلك بعض علماء القلوب أشاروا إلى حال المراقبة ، المؤمن الراقي يشعر دائماً أن الله يراقبه ، وأنه تحت المراقبة قال تعالى :

إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾

(سورة الفجر)

ف**الرقيب** هو المنتظر ؛ و**الرقيب** هو الحارس ؛ ورقيب الجيش هو طليعته ؛ و**الرقيب** هو الله تعالى الحافظ الذي لا يغيب عنه شيء . وفي الحديث الشريف : : " أُرقبوا محمداً في آل بيته " أي راقبوا وانتبهوا أن تُؤذوه في آل بيته واحفظوه فيهم ؛ و**الرقيب** هو الخَلّاف يقال : نعم **الرقيب** أنت لأبيك ، هذه كلها معاني **الرقيب** ؛ و**الترقّب** أي الانتظار ، و**ارتَقَبه** رصده ، و**الرقوب** الدوام على وجه الحفظ يقال : **أرقَبت** الشيء ، **أرقبه** إذا راعيته وحفظته ، و**الرقيب** من الناس الموكل بحفظ **المترَقب** له ، ويقال للملك الذي يكتب الأعمال ويحفظ الأقوال هو **رقيب** ، وفي القرآن الكريم :

مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾

(سورة ق)

و**الرقيب** العليم ، **وراقبتَ** الله إذا علمت أنه مطلّع عليك فَراعيتَ حقه ، هذا كل ما ورد في اللغة عن معنى **الرقيب** : فهو الذي ينتظر ، والحارس ، وطليعة القوم ، الخَلّاف ، والمنتظر ، والراصد ، والراعي ، والحافظ ؛ الله جل جلاله هو **الرقيب ؛** والمَلَك الموكل بكتابة الأعمال ، وحفظ الأقوال هو **الرقيب** .

إذا قلنا : الله هو **الرقيب** ؛ فماذا تعني الله هو **الرقيب** ؟ بمعنى الذي يعلم أحوال العباد وبعد أنفاسهم . والله الذي لا إله إلا هو وأنت مستلقٍ على فراشك لو خَطر عليك خاطر أن غداً سأفعل كذا ، يجب أن تؤمن وأن تعلم وأن تعتقد اعتقاداً جازماً قطعياً ، أن هذا الخاطر اطلع الله عليه ولا يستطيع من العباد أن يفعل ذلك ، إذْ لو أنك رأيت شخصاً مستلقياً على فراشه لا يمكنك أن تقرأ أفكاره فهذا مستحيل . الله ستر لك أفكارك وأحوالك عن الناس . الناس لهم الظاهر لكن الله هو الخبير بالسرائر قال تعالى :

وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾

(سورة ق)

مرةً ثانية أقول : إن هذا الاسم من أقرب الأسماء إليك ؛ إنك إن اعتقـدت أن الله هـو **الرقيب** فمن اللوازم القطعية للإيمان بهذا الاسم الاستقامة على أمره ؛ ومتى استقمت على أمره ؛ انتهى كل شيء لقوله تعالى : " **ما يفْعلُ الله بِعذَابِكُم إِن شَكَرتُم وآمنْتُم وكَان اللـه شَـاكرا عليما** " .

فَيمكن لهذا الاسم أن يكون سبب سعادتك الأبدية ، آمنت أنه يراقبك، فاستحييت منـه ، ولُزِمت أمره ؛ فَسعدت في الدنيا والآخرة . فقد يكون اسم **الرقيب** وحده سبب سعادة الدارين ؛ "**إن الله كان عليكُم رقيبا** "، فالمؤمن في بيته مراقَب ، وفي عمله مراقَـب ، وهـو يعـالج المريض مراقَب ، وهو يرفع مذكرة للقاضي مراقَب ؛ وكلما اقترب من الله ؛ شَعر بالعتـاب أحياناً ؛ فمثلاً أنت محامٍ أتقنت عملك ودافعت عن هذا الموكل دفاعاً قوياً ، وراجعت القـوانين كلها ؛ عالجتَ هذا المريض معالجة متقنة أم أنك مستعجل ، ومشغول ولم تُدقق في حساسـيته والأدوية التي أخذها ؛ "**إن الله كان عليكُم رقيبا** " ، تكلمت هذا الكلام فَهل عرفت أبعـاده ؟ فالإنسان كلما ارتقى ينشأ مع نفسه حساب دقيق . واللهِ الذي لا إله إلا هو لو أن الإنسان عرف الله حق المعرفة ، لَحاسب نفسه حساباً عسيراً لأنه تعالى مطلع عليك .

يعني أقول لكم هذا ولو كان جزئياً ؛ إذا كان طبق فاكهة موضوعاً أمام جماعـة مـن الناس أليس من تمام المراقبة أن تؤاثر أخاك وتجعل الحبة الكبيرة له لأنك تحت مراقبته فـي تفكيرك وحركتك ، لكن الله تعالى لطيف ، أحياناً تمشي مع شخصٍ فَتَتَضايق نفسك منه لكـن الله معك دائماً دون أن يزعجك ، وهو معك يلُطْفه فَمن أسمائه اللطيف ، فهو معك في بيتك ، وعملك ، وسفرك ، وحضرك ، وفي خلوتك ، وجلوتك ، ومع زوجتك ، وأولادك، وعند كـل كلام تقوله معك يراقبك لكنه لطيف .

الرقيب في حق الله ؛ هو الذي يعلم أحوالهم ويعد أنفاسهم ؛ وقيل: الحفيظ الذي لا يغفُل والحاضر الذي لا يغيب ؛ قد تملك معرفة بعض الأشخاص الأقوياء فَتَكون لديك أرقام هواتفهم وربما تقع في وقت حرجٍ فإذا اتصلت بِأحدهم يقال لك : سافر ، وذاك هاتفه مقطوع لأسـباب مالية ، وأنت في أشد الحاجة إليه لكنك لو اعتمدت على الله فهو دائمـاً معـك فـي السـراء والضراء ، قل : يا رب يقلْ لك : لبيك يا عبدي لن تحتاج بهذا وصلاً أو قَسماً أو مـذكرة ولا شهادة ، قال تعالى :

وَإِن تَجۡهَرۡ بِٱلۡقَوۡلِ فَإِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخۡفَى ٧

(سورة طه)

اعبد الله كأنك تراه ؛ فإن لم تكن تراه فإنه يراك ؛ هذا مقام الإحسـان فاسـم **الرقيـب** يرفعك إلى مقام الإحسان ، اعبد الله كأنك تراه ؛ فإن لم تكن تراه فإنه يراك والإنسان يستحي ؛ في كل أسرة من أُسرِنا هناك كبير القوم متقدم في السن ومثقف أحياناً ، ذو وجاهة ومعتـدل وحليم ، لو أن هذا الإنسان زارك في العيد ، كيف تستقبله أيالقميص الـداخلي ؟ والله هنـاك أشخاص لا يستقبلون الضيوف إلا باللباس الرسمي ، يخجل حتى يثياب البيـت أن يسـتقبله ، كيف تحدثه وكيف تجلس معه ؟ من علْية القوم ، تجد أنك تراقب نفسك بـالكلام ؛ وتنتقـي أفضل الثياب ، وتجلس جلسة مؤدبة فيها توقير ، إذا كان كل هذا مع الإنسان فكيف مع الواحد الديان ؟ فكلما ارتقى مقام الإنسان دخل في حال المراقبة مع الله عز وجل ؛ فهو الحفيظ الذي لا يغفل والحاضر الذي لا يغيب ، العليم الذي لا يعرب عنه شيء من أحوال خلقه ، قال تعالى :

يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾

(سورة الحاقة)

الإنسان مكشوف ؛ إذْ لا يوجد شيء يمكنك أن تخفيه على الله -عز وجل - ، أما عن البشر فأنت تخفي عنهم ألف شيءٍ وشيء ، تخفي عنهم ألف شعور ، وألف فكـرة ، وألـف قضية ، وألف سر، تبقى صامتاً ولا يعلم أحدٌ شيئاً عنك أحياناً ، لكن تكلمك وصمتك عنـد الله سواء ، وبوحك وكتمانك عند الله سواء ، إعلانك وإخفاؤك عند الله سواء لأنه **رقيب** .

وقيل : **الرقيب ؛** هو الذي يرى أحوال العباد ويعلم أقوالهم ؛ وقيل: الذي يراقب عباده ، ويحصي أعمالهم، ويحيط بمكنونات سرائرهم ، ولا يغيب عنه شيء . هذا من معـاني اسـم **الرقيب** ، والإنسان إذا تحقق من اسم **الرقيب** ، كان في حالٍ آخر، يستحي من الله- عز وجل- ، (النبي عليه الصلاة والسلام اشتغل عنده عامل فاغتسل عنده عرياناً ، خذ أجارتك لا حاجة لنا بك فإني أراك لا تستحيي من الله) فالإنسان يحفظ عورته من أن يراها أحد وقد قرأت في بعض الكتب (حتى ولو كان وحده) فكلما ارتفع الإنسان شعر أن الله معه وشعر بمراقبـة الله له .

اسم **الرقيب** جاء في القرآن الكريم في ثلاثة مواطن : ففي فاتحة سورة النساء قال تعالى :

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾

(سورة النساء)

واللهِ الذي لا إله إلا هو لو لم يكن في القرآن الكريم إلا هذه الآية، لَكَفَتْ . هذا الأعرابي الذي قال للنبي صلى الله عليه وسلم : عظني ولا تُطل فَتَلا عليه النبي هذه الآية :

فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ

خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾

(سورة الزلزلة)

هذا الأعرابي قال : كُفيتُ يا رسول الله ؛ أي هذه الآية تكفيني مدى الحياة ؛ فالنبي تعجب وقال فَقُه الرجل أي : أصبح فقيهاً وما قال عليه الصلاة والسلام : فقه لأن فقه بمعنى عرف الحكم أما فقُه بمعنى أصبح فقيهاً ، فأي شيء جعل هذا الأعرابي فقيهاً ، والله الذي لا إله إلا هو ، أكاد أقول : إن هذه الآية وحدها تجعل الإنسان فقيهاً : "**إن الله كان عليكم رقيبا** " هل تستطيع أن تكذب مع هذه الآية ؟ وهل تستطيع أن تُدلس ؟ وأن تغُشّ ؟ وأن تحتال ؟ وأن توهم ؟ وهل تستطيع إيذاء الخلق؟ "**إن الله كان عليكم رقيبا** " ، إذا كنت مراقباً من قبل مخلوق تجد أنك تتجنب كل ما يؤدي للهلاك فكيف إذا كنت مراقباً من قبل الخالق ؟ .

مقام المراقبة قد يصل بك إلى سعادة الدارين الدنيا والآخرة . الآية الثانية في سورة المائدة جاءت على لِسان سيدنا عيسى -عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام- قال تعالى :

مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾

(سورة المائدة)

فهذه الآية الثانية ؛ والآية الثالثة : في سورة الأحزاب قال تعالى :

لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعۡدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجٖ وَلَوۡ أَعۡجَبَكَ حُسۡنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتۡ يَمِينُكَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ رَّقِيبٗا ﴿٥٢﴾

(سورة الأحزاب)

تُروى قصة مشهورة ذكرها الإمام الرازي : أن أحد الشيوخ كان له جمع من التلاميذ ، وكان قد خص واحداً منهم بالعناية الزائدة فسأله بقيةُ التلاميذ عن سبب ذلك من شدة غيـرتهم من هذا التلميذ الصغير وقالوا له : لماذا تخصه بهذه العناية ؟ فقال سأبين لكم ذلك ؟ أعطـى لِكل واحدٍ منهم طائراً وقال له : اذبح هذا الطائر حيث لا يراك أحد ؛ فمضى كل واحدٍ مـنهم إلى جهةٍ ثم رجع إلى شيخه وقد ذبح الطائر ما عدا ذلك التلميذ الصغير فقد رجع إلى شـيخه والطائر في يده ، وقال : أنت يا سيدي أمرتني أن أذبح الطائر حيث لا يراني أحد ولـم أجِـد موضعاً لم يرني الله فيه فالتفت الشيخ لِبقية التلاميذ وقال : من أجل هذا خصصته بِمزيدٍ مـن العناية

أما تستحي منا ويكفيك ما جرى ؟ أما تختشي من عتْبنا يوم جمعنا
أما آن أن تقلع عن الذنب راجِعاً وتنظر ما به جاء وعدنا
فَيا خجلي منه إذا هو قال لي : أيا عبدنا ما قرأت كتابنا ؟

فالمؤمن الصادق ؛ يرى أن الله معه ، ويراقبه ، ويحاسبه فيستحي منه ، المحبون لله - عز وجل -لهم أحوال مع الله لا تُوصف ، مناجاتهم له وتأدبهم معه فهناك من يتزين قبـل أن يصلي لأنه سيقف -بين يدي -الله عز وجل -، أرى في بعض الأحيان أشخاصـاً يصـلون بالقميص الداخلي فهؤلاء لا يستحيون من الله حق الحياء ؛ يستحي أن يقابل إنسـاناً بِقمـيص داخلي فَكيف يقابل الله -عز وجل -؟ فالأكمل أن ترتدي عباءة أو ثوباً فأنت بين يـدي الله - عز وجل - فالعلماء قبل الآن كانوا يتزينون ويرجلون شعورهم قبل أن يصلوا لأنهم سـيقفون بين يدي الله -عز وجل - ، "**إن الله كان عليكم رقيبا** " ولدينا دليل قوي ؛ قال تعالى :

۞يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ٣١

(سورة الأعراف)

أنا لا أقول هذا انتقاداً لأحد ، لكنك تجده يأتي إلى المسجد بأقلّ ثياب عنده في حين أقل حفلة تجده يرتدي أجمل الثياب ، المسجد بيت الله ويوم الجمعة عيد وأنت ضيفه ، ومن السـنة الاهتمام بهذا اليوم بهذا العيد .

يروى أن عبد الله بن عمر مر بغلام يرعى غنماً فأشار لإحدى الشياه وقال : بِعنـي هذه الشاة يا غلام ، فأجاب الغلام : إنها ليست لي . فقال ابن عمر : قل لصـاحب الغـنم إن الذئب أكل واحدةً منها ، فقال الغلام : فأين الله ؟ أقول تعليقاً على هذه القصة : إن هذا الغـلام الراعي وضع يده على جوهر الدين ، ومسك جوهر الدين ولو أن ثقافته محدودة فهذا راعٍ وقد تجد إنساناً عنده مكتبة من أربعة جدران بحيث أنك تُذْهل وتقول : هذا عالم كبير فـوا لله لـو أكل درهماً حراماً فلا قيمة لكل هذا العلم ؛ وهذا البدوي الراعي الذي قال : أين الله ؟ نحـن بحاجة في هذه الأيام إلى أشخاص كهذا الراعي ، بحاجة إلى ورع ، وإلى مسلم يقيم الإسـلام حقيقةً ؛ إلى بيت مسلم، و زوج مسلم ، و زوجة مسلمة ، وأولاد مسلمين ، وإلى صـدق ، وأمانة ، وإخلاص بدون غش ، ولا كذب ، ولا تدليس ، هذا النموذج وهو ساكت يعد أكبـر داعية والذي يصيح في الناس صباحاً ومساءً يا أيها الناس اتقوا ربكم ؛ وهولا يتقي ربه ؛ هذا أكبر منفر ؛ فالإنسان المستقيم والملتزم والتقي ولو كان ساكتاً فهو أكبر داعيـة ؛ والفصـيح المتكلّم ، والمتحدث اللبق؛ والخطيب المسقع ؛ إن لم يكن ورِعاً ، فهو أكبر منفر ؛ فالقضـية عند الله في الصدق ، والإخلاص ، والتطبيق ؛ "**إن الله كان عليكم رقيبا** " ، هل يمكن لمؤمن يعمل خبازاً أن يدخل بِدورة المياه ولا يغسل يديه ؟ المؤمن لا يفعل هذا لأن العجين سيصبح خطراً للناس ، الأمر الذي جعل المؤمن يتصرف هكذا هو الوازع الداخلي إن الله كان علـيكم رقيب .

أذكر أنني ألقيت في هذا المسجد درساً حول الأمانة وقلت : ليس الأمين الذي يؤدي مـا عليه إذا كان هناك إيصال ، أو سند ، أو شهود ، أو حساب ثابت ، فهذا سلوك مدني لأنـه إذا لم يؤد فالطرف الآخر أقوى منه لوجود السند ، ودعوى ، وقضاء ، وتشهير ، أما الأمين عند الله ؛ فهو الذي يؤدي ما عليه من دون أن يكون مديناً في الأرض ؛ والله جاءتني ورقة وأنـا في هذا المسجد قال لي صاحبها : والله يا أستاذ أديت عشرين مليون ليـرة لِورثَـةٍ وهـم لا يعلمون عن هذا المبلغ شيئاً ، لأن الله **رقيبٌ** عليه ؛ هذا هو المؤمن ؛ مبلغ ضـخم ، وهنـاك

آباء كثيرون أموالهم في سر لا يعلمون بها أولادهم ولا أزواجهم ؛ فإذا مات فجأةً مات معـه السر ؛ هناك أُناس كثيرون يعانون من هذا يقولون : مات أبونا ولا نعلم عن أموال أبينا شيئاً ؛ فالذي معهم أموال هؤلاء إذا كانوا من الذين فقهوا قوله تعالى:

"**إن الله كان عليكُم رقيبا** " سيأتون لهم بالمال ويقولون هذا مال أبيكم .

قال لي : والله يا أستاذ أديت عشرين مليون ليرة لِورثَةٍ وهم لا يعلمون عن هذا المبلغ شيئاً ؛ هذا هو الإيمان، الإيمان يصنع المعجزات ، لـو أننـا شـعرنا أن الله **رقيـبٌ** علينـا لاستقامت حالُنا جميعاً ؛ هل يستطيع سمان مؤمن إذا وقعت فأرة في صفيحة زيـت أن يبيـع الصفيحة ؟ لا يستطيع ! هل تستطيع أن تُخفي عيب بضاعتك ؟ "**إن الله كان عليكُم رقيبا** " ، هل يمكن أن تضع مادةً مسرطنة لِغداء حتى ترفع ثمنها ؟ لا تستطيع ، وهل تستطيع أن تضع هرمونات لِنَبتة كي تكبر حتى تكون كبيرة الحجم ويكون سعرها غالياً ؟ هذه مادة مسرطنة لا يمكن استعمالها إلا تهريباً ؛ لو آمنا بهذا الاسم لأُلغي الغش من حياتنا جميعاً ؛ وهل يسـتطيع المحامي أن يقدم مذكرة للقاضي وهو يعلم أن موكله كاذب ؟ لا يستطيع ،"**إن الله كان عليكُم رقيبا** " ، وهل يستطيع أن يرى الطبيب من المرأة موضعاً غير الموضع الـذي تتـألم منـه المريضة ؟ إن الله كان عليكم رقيب ، لقد رأيت أطباء ملتزمين يقومون بِوضع رداء فيه فتحة صغيرة على المريض كي يشَخصوا موضع الألم فقط ، هل تستطيع وأنت كمؤمن إذا كنـت في بيتك وحيداً ، وخرجت جارتك تنشر غسيلها بالشرفة المقابلة لك ، وهي بثيـاب متبذلـة ، وهي في النور وأنت في الظل ولا يراك أحد ؛ هل تستطيع أن تنظر وأنت تتذكر قوله تعـالى إن الله كان عليكم رقيباً .

أخ معنا يعمل في دائرة ؛ واسمحوا لي أن أذكر قصته كان له فُسـحة مـدتها ساعة أو أقل ، في آخر الشهر قدم إجازة بمدة ستة أيام لِرئيسه فقال : لقـد اسـتهلكت هـذه الإجازة فقال : كيف ؟ قال : لأنني كنت أحضر كل يوم متأخراً تقريباً سـاعة مـن الـزمن فَجمعت هذه الساعات فإذا هي يمعدل ستة أيام ؛ فاندهش هذا الشخص من هذا النموذج وقـال لي أخونا والله يا شيخ لما قَدمت في الدرس القادم وجدته معي في درسك ، هذه هي التربيـة الراقية ؛ تقديم طلب إجازة جعل المدير العام يحضر مجلس علم ، هكذا الدين كلما كنت ورِعاً كلما ازددت مراقبةً لله ، وأقول لكم مرة ثانية : يمكنك أن تكون أكبر داعية في الأرض وأنت ساكت ؛ وذلك بِأمانتك ؛ واستقامتك وإتقان عملك .

هناك أطباء من إخواننا أجروا عمليات معقدة جداً ، وله قسم بِثمن مجاني ، وقسم بِـثمن باهظ ، أسمع عنهم أن عنايتهم بالفقراء لا تقل شعرة عن عنايتهم بالذي سيدفع مئتي ألف على العملية ، عنده الأمور مجانية وذلك لِفقر بعضهم ويجري عملية السبع أوثماني ساعات وهـو واقف ويفتح القلب وغيرها من العمليات من دون مقابل وتلك بِمئتي ألـف والعنايـة واحـدة

ولإتقان واحد ؛ "**إن الله كان عليكم رقيبا** " ، وهل يمكن لِمدرس أن يترك التلاميذ من أجـل قلّة الأجرة ؟ لا يمكن لذلك هذا الاسم يمكن أن يطبق في مليار حالة ، إذا آمنتم أن الله **رقيـب** فسينعدم الغش والكذب ولا نظرة حرام ، ولا ابتسامة ،ولا إساءة ...

العلماء يرون أن المرقبة حال يصير العبد فيه يذكر الله بِقلبه ؛ لأن الله مطلّعٌ عليه دائماً ؛ وشعور العبد أن الله مطلّعٌ عليه دائماً ؛ هذا الحال اسمه حال المراقبة .

سئل بعض القوم بم يستعين الرجل على غض بصره عن المحظورات ؟ فأنت إذا مشيت بالطريق بعض النساء يبرزن أحسن ما في أجسامهن وتراهن عاريات مـن الطـراز الأول ، فكيف تغض بصرك ؟ قال : لِعلْمه أن رؤية الحق تعالى سابقة على نظـره ؛ علمـك أن الله يراقبك هذا أسبق من نظرك إلى الحرام ؛ فبِهذا تغض بصرك وتستحي من الله، وكثيـر مـن الإخوان لا يجتمعون مع امرأة في مصعد واحد ، وينتظر للمرة الثانية أو يصعد الدرج ماشـياً لأن المؤمن عفيف إن الله كان عليكم رقيباً .

الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه ؛ فإن لم تكن تراه فإنه يراك . والله سبحانه وتعالى يقول :

أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾

(سورة العلق)

ذكر الإمام الرازي أن حظ المؤمن من اسم **الرقيب** ، المقولة القائلة " تخلقوا بأخلاق الله " ، فَكيف نتخلق بِهذا الاسم ؟ يقول : مراقبة العبد لنفسه أساسها أن يعلم أن الله مطلـع علـى نواياه ودخائل قلبه ، وأن يستحضر من مراقبة الله له أن الله تعالى معه دائماً ، ويرقبه في كل أحواله وحركاته وسكناته وقال : هذه المراقبة مفتاح كل خير ، لأن العبد إذا أيقـن أن الحـق مراقب لأفعاله ، مبصر لأحواله ، وسامع لأقواله ، مطلع على ضمائره وخفاياه ، خاف عقابه في كل حال ، وهابه في كل مجال ،علماً منه بأن الرقيب قريب ، وهو الشاهد الذي لا يغيب ، ولذلك قال الشيخ : إن الرقيب الذي هو من الأسرار قريب ، وعند الاضطرار مجيب .

وقال بعضهم : **الرقيب** : هو المطلّع على الضمائر ، والشاهد على السرائر ، و**الرقيب** يعلم ويرى ، ولا يخفى عليه السر والنجوى .

وقال بعضهم **: الرقيب** : الحاضر الذي لا يغيب ، بل رقابتُه قديمة مستمرة . ولهذا قيل : **الرقيب** الذي يسبق علمه جميع المحدثات وتتقدم رؤيته جميع المكونات .

الإمام الغزالي في إحيائه حينما عقد بحثاً حول مقام المراقبة قال : إن أدب المؤمن مـع الله الرقيب ؛ أن يعلم أن الله رقيبه وشاهده في كل شيء ، ويعلم أن نفسه عدوة له ، وكـذلك الشيطان اللعين ، وهما ينتهزان منه كل فُرصة حتى يحملاه على الغفلة والمخالفة ؛ لذلك يجب أن يأخذ حذره منهما ، ويسد عليهما المنافذ والمداخل ، حتى لا يقع في فخ واحدٍ منهما " ، هذا هو رأي الإمام الغزالي في أدب المؤمن مع الله في اسم **الرقيب** .

ومن أدب المؤمن في هذا المجال أن يراقب نفسه وحسه وأن يتروّب أنفاسـه ويجعـل عمله خالصاً لِربه بنية طاهرة في أعماله ويراقب ربه في أخيه فلا يظهر عيبه .

ويقول ابن عطاء الله السكندري عن اسم **الرقيب** : أفضل الطاعات مراقبة الله علـى الدوام وفي كل الأوقات .

وقال أبو حفص : إذا جلستَ للناس فكُن واعظاً لِنفسك وقلبك ولا يغرنـك اجتمـاعهم عليك ؛ فإنهم يراقبون ظاهرك والله رقيب على باطنك .

قال عبد الله بن المبارك لِرجل : راقب الله -تعالى -فقال : كيف ذلك ؟ قال: كن أبـداً كأنك ترى الله -تعالى - فالدعاء النبوي الشريف يقول (اللهم اجعلنا نخشاك حتى كأننا نـراك)، وبعضهم كان يدعو بهذا الدعاء : إلهي أنت **الرقيب** لِحركات الأكوان ، العلـيم بِخطـوات قلوب الإنس والجان ، أشرِقْ على قلبي بنور اسمك **الرقيب**، حتـى تتزكـى نفسـي فَتَتَحلـى بالتقريب ، وامنحني عيوناً تراقب نعمك الظاهرة ، وتلاحظ أسرارك الباهرة .

فَحال المراقبة حال إذا وصلت إليه ، أوصلك إلى الجنة ، وسعدت في الدنيا والآخرة لأن من لوازم هذا الحال الاستقامة على أمره والاستقامة على أمر الله سبب الجنة .

والحمد لله رب العالمين

الـ ـدرس٤٣ – اسم الله : الخافض الرافع .

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الإخوة الكرام ؛ مع الدرس الثالث والأربعين من دروس أسماء الله الحسنى ، والاسم اليوم ، من أسماء الله الحسنى **الخافض الرافع** .

الخفض في اللغة ضد **الرفع** ، **والخفض** الانكسار واللين قال تعالى :

وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا ﴿٢٤﴾

(سورة الإسراء)

والانخفاض : الانحطاط ، وتوصف به الواقعة قال تعالى :

إِذَا وَقَعَتِ ٱلۡوَاقِعَةُ ﴿١﴾ لَيۡسَ لِوَقۡعَتِهَا كَاذِبَةٌ ﴿٢﴾ خَافِضَةٞ رَّافِعَةٌ ﴿٣﴾

(سورة الواقعة)

الناس يتمايزون بمقاييس أرضية ، مقاييس المال ، القوة ، والذكاء، وتحصيل العلم ، والوجاهة ، وغيرها من الأمور ، فإذا وقعت الواقعة ، تبدلت هذه المقاييس ، وتحكّمت في الخلق مقاييس رب العالمين ، يقاس الإنسان بعد الموت بقدر استقامته وطاعته لله -عز وجل - ، وإحسانه للخلق . فلذلك تنقلب المقاييس فجأةً ، فالذي كان في القمم ربما صار في الحضيض ، والذي كان في الحضيض ربما صار في القمم .

الخفض من صفات الواقعة ، والواقعة اسم من أسماء يوم القيامة. أي أن الواقعة تخفض أقواماً بمعاصيهم فيصيرون إلى النار ، وترفع أقواماً بطاعاتهم فيدخلون الجنة .

أيها الإخوة :

مادة الخفض وردت في القرآن في سورة الحجر ، قال تعالى :

وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٨٨﴾

(سورة الحجر)

ووردت في سورة الشعراء قال تعالى :

وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٢١٥﴾

(سورة الشعراء)

هذا الفرق بين الآيتين هل يفيد معنى ثالثاً ؟ واخفض جناحك لِمن اتبعك من المـؤمنين وقوله : واخفض جناحك للمؤمنين ؛ فالإنسان يميل إلى جماعته وإلى أتباعه ؛ فإذا مال إليهم ، وتعصب لهم، وأنكر من سواهم ، وانحاز انحيازاً أعمى إلى من يلوذ به ، فهذه نقيصـة فـي الإنسان . فالله سبحانه وتعالى أمر نبيه أن يخفض جناحه تارةً لِمن اتبعه ، وتارةً لكل المؤمنين . أما نحن فما علاقتنا بهاتين الآيتين ؟ يجب أن تحب إخوانك في المسجد ، وإذا كنت مؤمنـاً حقاً فيجب أن تحب كل مؤمن في الأرض ، من أية جهة كان ، وهذا هو الإيمان وهو الـذي يليق بالمؤمن .

إذاً مادة **الخفض** وردت في قوله تعالى : "**واخْفضْ جنَاحـك لِلْمـؤْمنين** " ووردت فـي سورة الإسراء : " **واخْفضْ لهما جنَاح الذل منْ الرحْمة وقُلْ رب ارْحمْهما كما ربياني صغيرا** " ووردت في سورة الشعراء قال تعالى : " **واخْفضْ جنَاحك لِمنْ اتبعك منْ الْمؤْمنين** " .

ابن الأثير يرى : أن **الخافض** هو الذي **يخفض** الجبـارين والفراعنـة أي : يضـعهم ويهينهم ، **ويخفض** كل شيء يريد **خفضه** - الآن دخلنا في موضوع جديد - الإنسان له كيان مادي له جسم ، وله كيان معنوي ، الكيان المعنوي يرتفع **وينخفض** . فَمثلاً إذا نجح الإنسان ، ونال شهادةً علياً ، يرتفع مقامه بين الناس . وإذا رسب ، **ينخفض** . وإذا نجح فـي عملـه ، **يرتفع** . وإذا أخفق ، **انخفض** . وإذا نجح في زواجه ، **ارتفع .** وإذا أخفق ، **يـنخفض** ، وإذا ظهر صدقه للناس ، يعتَز بِأخلاقه ، فإذا ظهر كذبه، ينكمش . وإذا كُشفت أسراره البيتية ولـم تكن على ما يرام ، **ينخفض .** فالإنسان بين أن **يرتفع** وبين أن **ينخفض** . لكـن صـدقوا أن الإنسان حينما يرتَفع بالحق يدخل على قلبه من السرور ما لا يوصف . النجاح مسعد في كـل شيء . وحينما ينخَفض ويكشَف كذبه ، ويفْتَضح في بيته ، وتظهر عدم كفاءتـه ، أو حينمـا

يسيء الاختيار ، وينال عقاباً نظير عمله السيء ويصبح قصةً بين الناس ، ينكمش وينخفض . وقد يأتي على هذا الإنسان من الآلام ومالا يوصف لذلك الإنسان أكثر ما يعيش بسمعته . بل إن العرب حينما ذكروا العرض ، عرفوه بأنه موضع المدح والذم في الإنسان . قد تكون فقيراً لكنك تقي مرفوع الرأس . قد يكون مريضاً ولكن نظيف الكفين ، لا يوجد بحياته انحـراف ، ولا دجل ولا تطاول ، ولا يخاف لا لأنه من جنسٍ آخر وإنما هو من البشر لكن لا يخاف لأنه مستقيم ، وما فعل شيئاً خلاف شرع الله ، ولا خلاف القانون ، لذلك أحد أسباب العزة الإحسان وقال تعالى :

﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٦﴾

(سورة يونس)

إذا أنت أتقنت عملك ، وأديت وظيفتك على خير وجه ، تشعر بعـزة الإنجـاز وعـزة الإتقان والتفوق . أما إذا أديت عملك بغير إتقان ، وكان عملك سيئاً وغير مدروس ، ويحمـل أخطاء كثيرة، واكتُشفت الأخطاء عاتبك الناس ، كمثَل الذي وصف دواء لِطفلٍ صـغير أودى بحياته ، ولما ووجِه هذا الذي صنع الدواء صار صغيراً ومنكمشاً ، ويتمنى أن تنشق الأرض وتَبتلعه -كما يقول العوام -فالإنسان يعتز حينما يتقن عمله ، ويؤدي واجِباته ، وحينما يكـون واضحاً ، وتكون سريرته كعلانيته ، وخلْوتُه كجلْوته ، وحياته الخارجية كحياتـه الداخليـة ، وأسراره كحياته المعلَنة ، فالوضوح يرفع الإنسان . وتشعر هذا من الواقع حيث يجد الإنسان في بعض الأحيان انقباضاً من جراء عملٍ أو كلام بذيء فلما انكشف الغطاء وجد حالـه قـد انكمش وما من إنسان إلا ويتمنى أن يرتَفع . لا أقول الكبر ؛ وإنما إتقان العمل يجعلك عزيزاً ، فَصدقك وأمانتك يجعلانك عزيزاً ، أحياناً يأتي تَفْتيش مفاجئ على محلك ومعملك - المـواد الأولية كلها صحيحة وبمواصفات جيدة لا يجدون شيئاً مخالفاً ، فيكون الأمر كله على التمام ، فَتَشعر بِعزة ونشْوة ، فكل إنسان يبحث عن شيء اسمه الرفْعة .

والله أيها الإخوة ، لو أننا أيقَنا أن رِفْعتنا بطاعة الله ، وباستقامتنا. وانضباطنا لاستقامتنا في حياتنا ، إنسان يحتل منصباً رفيعاً لكنه جلَب أبقاراً مصابة بمرض عضال وسبب حالات مرضية شديدة : فهذا لما كشف أمره للسجن مكبل اليدين وأُدخل قصر العدل لِينال جزاءه العادل ، فهذه المكانة التي كانت لهذا الشخص انخفضت ، لذلك الذل لا يحتَمل وكذا الإهانة والانكماش أتساءل أحياناً إن هذا الذي يأكل مالاً حراماً ، ويغُش المسلمين في غذائهم ، وهذا

الذي يستَورِد لُحوماً للكلاب ويبيعها للبشر ، وهذا الذي يضع أصبغة اليلاط في سكاكر الأطفال ، وفي المواد الغذائية فماذا يلاقي هذا الذي يكْشَف اختلاسه ؟ سينْعدم ويصير لا شيء .

شعور الإنسان بالاستقامة والرفعة والنظافة والخلْفيات الواضحة هذا شعور لا يوصف ؛ وهو شعور يرقى بالإنسان وما منا واحد إلا ويتمنى أن يكون أمام الناس نظيفاً ، ورافع الرأس . **فالخافض** في أسماء الله كما يقول ابن الأثير : " هو الذي يضع الجبارين والطغاة ويهينُهم " وسبحان من قهر عباده بالموت . الله عز وجل **يخفض** الجبابرة ، وكقاعدة عامة أقول : الإنسان إذا كان صعوده سريعاً وحاداً فسيكون **انخفاضه** مريعاً ، الإنسان إذا تكبر بغير الحق وصعد صعوداً حاداً ومفاجِئاً ، فالله جل جلاله يجعله عبرة لكل من اعتبر ، ويخْفضه ويذله ويهينه ؛ هناك عذاب شديد ، وهناك عذاب مهين . يربكم هل يوجد منّا واحد يتمنى الفضيحة والذُل والإهانة ؟ أقول لكم هذه الحقيقة وأتمنى أن تكون واضحة عندكم ، أية خيانة على الإطلاق ، منذ خلق الله آدم وإلى يوم القيامة ، لابد من أن تُفْتَضح والدليل :

ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ ﴿٥٢﴾

(سورة يوسف)

والخائن حينما يفْتَضح ، لا يفْتَضح بذكاء البشَر بل بتَقْدير خالق البشر . فإذا الإنسان أيقن بأن الله لن يسمح لإنسان أن يغُش الناس إلى أمد طويل ، ولا أن يغُش مجموع الناس إلى أمد قصير ، عنْدئذ يستقيم على أمر الله ؛ لأن الفضيحة ، والانكشاف وسرد الأخبار غير المريحة ، هذا شيء لا يطيقه الإنسان ؛ لكن كيف علاجه ؟ لا تفعل شيئاً تستحي منه ، ولا تفعل شيئاً تضطر أن تعتذر منه ، قبل أن تفعل شيئاً ، فكر جيداً ، وتأمل ملياً ، وعد للآلاف قبل أن تأخذ هذا المبلغ لعلك وقبل أن تدخل إلى هذا البيت ، وليس في البيت إلا امرأة ؛ سل نفسك لعلك تُسأل لماذا دخلْت البيت ؟ وأنت تعلم أن الزوج غير موجود في هذا البيت

فالإنسان حينما يتسرع ويتحرك بلا نور ، وبلا منهج ، وبلا أحكام شرعية ، يقع في شر عمله ، **وينخَفض** والله هو الذي **يخفُضه** ؛ والله من أسمائه الخافض أحياناً الإنسان يكون بأعلى درجة ؛ ثم ينخفض أحد علماء المسلمين في أمريكا أحد أكبر القساوسة . وهذا الرجل بعد حين ، كُشفت له فضيحة أخلاقية فصار يبكي ، فالإنسان حينما تُكتَشف عثراته وسقطاته ، ينكمش وكأن الله **خفضه** . على كل حال هذا من الفطرة . مثَلاً لو فُقد قلَم غالي الثمن بالصف ، فمنَع المدرس خروج الطلاب ، وفتش الطلاب واحداً واحداً ؛ فإذا القلَم عند أحدهم ، فقَبل أن

يعاقبه ، وقبل أن يضربه ، وقبل أن يستَدعي والده ، و قبل أن يفصله ستة أيام ، ماذا يشعر هذا الطفل ؟ يشعر بِألم وخزي ، فَشُعور الخزي والعار لا يحتَمل علاجه أن تستقيم ، وأن تعمل عملاً لا تستحي منه.

مرةً سألوا ألف زوجٍ ؛ لماذا لا تخون زوجتك ؟ فجاءت الإجابات كثيرة جداً ومتنوعة . صنفت هذه الإجابات في زمرٍ أخلاقية ، وكان إجابة أخفض صنْف : لا أستطيع لأنها تعمل معه وإجابة الذي أعلى منه : لا أحتمل الإحساس بالخيانة ، الإحساس بِالخيانة ضاغط ، والأرقى : لا أحب الخيانة ، وواحد يحبها ولكن لا يحتمل وخز الضمير ، الأول لا يحب الخيانة والأخير لا يستطيع أن يخون زوجته فعندما يتحرك الإنسان حركة واضحة ونظيفة ، يشعر بِراحة ، وهذه الراحة لا تُقَدر بِثَمنٍ . قد تجد شخصاً يلبس أغلى الأثواب ، ويركب أجمل المركبات ، ويسكن في أفْسح القصور والبيوت ، ومع ذلك فهو من داخله منهار ؛ لأن نفسه تُحاسبه حساباً عسيراً . يعاني الانقباض ، والكآبة ، والشعور بالذم ومركب النقص وهذا كله من الأعمال الخسيسة والدنيئة التي لا تُرضي الله . فطرة الإنسان مولَقة - بالتعبير الفني - مع الإيمان فإن حاد عن الإيمان وعن منهج الله عذبتْه فطرته ، مثَلاً : مركبة حديثة جداً مصممة للزفت ، لو ركبتها في الوعر ، وفي طرق جبلية فيها وهداة ومنعرجات وفيها أتربة ورمل ، تشعر بِتَعبٍ شديد ويقَلَق ، وتشعر أن هذه المركبة ليست لهذا الطريق . ونفسك البشرية مصممة لمنهج الله ، ومصممة لتكون على مستوى الشرع ؛ فإذا حدت عن الشرع ، تعثرت نفسك وشعرت بالكآبة والضيق وما إلى ذلك .

وقيل : **الخافض** الذي **يخفض** بالإذلال من تعاظم وتكبر ، ضربت مثلاً فقلت : كيل اللبن يحتمل خمسة أكيال ماء ويصبح شراباً لذيذاً ويهدئ النفس ويشعر الإنسان بِراحة بعد شربه ، كيلو لبن يتحمل خمسة أكيال ماء، ولا يتحمل نقطة نفْط واحدة أبداً فهذه القطرة الواحدة تُفسده أما خمسة كيلو ماء فتُطَيبه ، كذلك الإيمان : ذرة كبر واحدة تتناقض مع العبودية ، من صفات المؤمنين الأساسية التواضع لله ، ترى المؤمن عزيز إلى أقصى درجة ورافع الرأس إلى أقصى درجة ؛ ولكنه أمام الله ذليل ؛ ويبالِغ في التذلل أمام عتَبة ربه ، ويبالغ في رفع رأسه شامخاً أمام أعداء الله، لذلك وصف الله المؤمنين في كتابه بقوله :

أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ

(سورة المائدة)

بِقَدر ما هو متواضع ومتذلل بينه وبين الله ، يكون بينه وبين الخلق عزيز النفس .

الخافض : الذي **يخفض** بالإذلال من تَعاظَم وتكبر ، وشمخ بِأنفه وتجبر ، **يخفض** أقواماً **ويخفض** الباطل :

وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَـٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَـٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾

(سورة الإسراء)

لو أننا تتبعنا تاريخ النظريات الوضعية التي ابتُدعت خلاف منهج الله ، فهل نجد نظرية بقيت شامخة إلى ما لا نهاية ؟ وهل هناك نظرية إلا ونزلت في الوحل وسـقطت ؟ ولاكتْهـا الألسن؟ وخاضت فيها الأقلام ؟ والأدلة أمامنا كثيرة ، والتاريخ الذي بين أيدينا ، سبعون عاماً في اعتزاز بالباطل ، واعتزاز بالإلحاد ، ثم أصبح هذا الإلحاد خُراقَـةً ، وأصـبح المجتمـع الملحد في مؤخرة الشعوب على الإطلاق : "**إن الباطلَ كان زهوقًا** " فالله- عز وجـل -مـن أسمائه **الخافض** ، فهو الذي **يخفض** بالإذلال من تعاظم وتكبر ، وشمخ بِأنفه وتجبر ، العـرب في الأندلس أسسوا أكبر حضارة بالعالم ؛ فلما التفتوا إلى القيان وشربوا الخمور ، واسـتمعوا إلى المعازف ، ومالوا إلى اللهو والترف ، أُخرجوا من هذه البلاد وكان آخر ملوكهم يبكـي، وهو يخرج من قصره في قُرطبة قالت له أمه عائشة : ابك مثلَ النساء ملكاً مضاعاً لم تُحافظ عليه مثل الرجال . فالله يخفض العصاة المتكبرين والمتجبرين

وقيل **الخافض** : الواضع لِمن عصاه ، والمذل لِمن غضب عليه ، ومسقط الدرجات لِمن يستَحق ذلك . **يخْفض** الكفار بالإشقاء ، **ويخفض** أعداءه بالإبعاد ، عدو **يخفضـه** ، ومتجبـر يخفض وطاغية يخفض ومستعلٍ يخفض ، ويقول : أنا ، ونَحن ، ولِي ، وعندي ، أربع كلمات مهلكات ، قال تعالى عن إبليس :

قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ ۖ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿٧٦﴾

(سورة ص)

فأهلكه الله ،

قَالُوا۟ نَحْنُ أُو۟لُوا۟ قُوَّةٍ وَأُو۟لُوا۟ بَأْسٍ شَدِيدٍ وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ فَٱنظُرِى مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٣٣﴾

(سورة النمل)

قالها قوم بلْقيس فأذلهم الله عز وجل .

أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ

(سورة الزخرف)

قالها فرعون فَغَرِق :

قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ

(سورة القصص : الآية ٧٨)

قالها قارون قَدمره الله عز وجل ؛ فالله **خافض يخفض** أعداءه، **ويخفض** المتجبرين ويخفض الطغاة ، ويخفض الظالمين ، ويخفض الباطل كفكْرة وتسقط ، وتُصبح في الوحل ولا يعتَد بها أحد، ولا يلقي لها بالاً ، بعد أن كانت متألقة ، يخفض الكفار بالإسقاط وأعداءه بالإبعاد والذل .

وقيل : هو الذي **خفض** أهل الكفر بعزه ، **وخفض** أهل الكبر بجلاله ، **وخفض** أهل الزور بإظهار تكذيبهم ، والكاذب لابد من أن يفضحه الله ؛ وحينما يفضحه ، ينسى الحليب الذي رضعه من أُمه . والكذب شرب و لا سيما الكذب في البيع والشراء ، تجد الكاذب يقسم بالأيمان المغلظة ، أن كُلفة هذه البضاعة يفوق هذا السعر ، ثم تُكشَف الأوراق فإذا رأس ماله قليل جداً ، وقد أقسم أيماناً كاذبة ؛ فهذا الإنسان سقَط ، سقط من عين أهل الفضل والكمال .

ويخفض الله عز وجل كل خارجٍ عن شريعته مهما كان غنياً بالمال ، أو عزيزاً بين الرجال. وقد ذكر العلماء أن الله **الخافض يخفض** من قصرت مشاهداته على المحسوسات ، يعني ما آمن بالغيب ، وإنما آمن بالأشياء المادية ، والذي يراه بعينه يؤمن به ، أما الآخرة فما رآها ولذلك هو ينكرها ، وكذلك عقاب الله ما رآه فأنكره . فقال: **يخفض** من قصرت

مشاهداته على المحسوسات ، وقصر همته على ما تفعله البهائم من شراب وأكل ونكاح ، وقد **خفضه** إلى أسفل سافلين ، ولا يفعل ذلك إلا الله رب العالمين فهو **الخافض والرافع** .

أنت كمؤمن ، ما حظك من هذا الاسم ؟ قال : من أراد أن ينال حظاً من اسم **الخـافض** فعليه أن **يخفض** نفسه قبل أن **يخفضه** الله ، **اخفضها** طواعيةً لله وتواضعاً لله ،

انظر إلى الأكحال وهي حجارة لانَت فصار مقَرها في الأعين

تواضع قبل أن يضعك الله ، فالتواضع عبادة والتكبر نقيض العبادة ؛ لذلك من أراد أن ينال حظاً من هذا الاسم فعليه أن **يخفض** نفسه بالتواضع ، فيراها أقل من جميع العباد ، وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد دخل عليه رجل فارتعدت مفاصله فهون عليه : عن أبـي مسعود قَالَ أَتَى النبِي صلى الله عليْه وسلم رجلٌ فَكلمه فَجعلَ تُرعد فَرائِصه فَقَالَ لَـه هـون عليْك فَإِني لَستُ بِملك إِنما أَنَا ابن امرأَة تَأْكُلُ الْقَديد *

(رواه ابن ماجه)

وكلما تواضعت ، رفعك الله . وهذه علاقة عكسية فكلما تكبرت ، **خفضك** الله ، والعـالم الحقيقي متواضع ، والإنسان الذي يعتد به متواضع . لذلك ورد في الحديث القدسي : " أحـب ثلاثاً وحبي لِثلاث أشد : أحب الطائعين وحبي للشاب الطائع أشد . أحب المتواضعين وحبـي للغني المتواضع أشد . أحب الكرماء وحبي للفقير الكريم أشد . وأبغض ثلاثاً وبغضي لِـثلاث أشد: أبغض العصاة وبغضي للشيخ العاصي أشد . أبغض المتكبرين وبغضي للفقير المتكبـر أشد . أبغض البخلاء وبغضي للغني البخيل أشد " فالسخاء حسن لكنه في الفقـراء أحسـن . والصبر حسن ولكنه في الفقراء أحسن . والورع حسن لكنه في العلماء أحسن . والعدل حسن لكنه في الأمراء أحسن . والحياء حسن لكنه في النساء أحسن . المرأة ألزم ما يلزمها الحياء ، والعالِم يلزمه الورع ، والحاكم يلزمه العدل ، والغني يلزمه السخاء ، والفقير يلزمه الصـبر ، والشباب تلزمه التوبة ؛ وما من شيء أحب إلى الله من شابٍ تائب ، ومتى سلم العبد من شبهة الكبر فكل شيء بعد ذلك يزول ويهون ، " لو لم تُذنبوا لَخفتُ عليكم ما هو أكبر . فما هو الذي أكبر من الذنب ؟ العجب العجب " .

" ولا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر " .

كلما نزلت متواضعاً إلى الله ، رفعك الله . أنا لا أعتَقد أن على وجه الأرض إنساناً أشد تواضعاً من رسول الله عليه الصلاة والسلام ؛ كما أنني لا أعتقد أنه يوجد من أعزه الله ورفع ذكره وشأنه كرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فبِالقَدر الذي تتواضع لله ترتفع إلى مراتب العلو ، ألم يقل الله عز وجل :

وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾

(سورة الشرح)

فإذا ذُكر الله الآن ؛ ذُكر معه رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فالتطبيق الأول : أن تخفض نفسك بالتواضع ، والتذلل ، والانصياع ، ولِين الجانب ، ولين العريكة ، وأن ترى نفسك واحداً من الناس ، لا أن تراها فوقهم . كُن واحداً منهم ، تكن سيدهم . أما إذا جعلت نفسك فوقهم ، يجعلونك في الحضيض . كُن واحداً منهم وبأخلاقك الفاضلة يرفعونك إلى الأوج . سيدنا عمر- رضي الله عنه -أراد أن يعين والياً فقال : أُريد رجلاً ، إن كان أميراً ، بدا وكأنه واحد من قومه ، وإن كان ليس بأمير عليهم ، بدا وكأنه أمير . غيرةً وحرصاً على مصلحة قومه .

التطبيق الثاني : أخفضْ إبليس بعدم الإصغاء لوسوسته . فإذا أصغى الإنسان إلى وسوسة الشيطان يكون قد رفعه . أما إذا أعرض عنه ، وسفه وسوسته ، وابتعد عنه ، ولعنه وأعرض عن كل ما يلقيه في روعه يكون قد وضعه وانتصر على نفسه . فالتطبيق الثاني لاسم **الخافض** أن **تخفض** إبليس وأعوانَه وكل وسوسته ، وألا تُعظم أهل المعصية ، وأن لا تحترمهم احتراماً بالِغاً ، فهل يجوز أن يشرب الخمر إنسان وتستقبله وتُعانقه، وتُرحب به ، وتثني على ذكائه وعلمه وخبرته ، وتجعلُه في صدر المجلس ، وهو تارك صلاة وشارب خَمرٍ ؛ بهذا تكون قد فعلت شيئاً لا يرضي الله ، ينبغي أن **تُخْفضه** وأن تُشْعره أنه عاصٍ لله – عز وجل -، إلاّ في حالة واحدة وهي أن تتوقع منه الخير فَتَتَألف قلبه بِالتكريم . فالإنسان مقَصر لكنه فيه خير ، ولا يكره الحق ، وليس بعيداً عن الحق ، فَعلى فرض أنه مقَصر ورحبت فيه دون أن تُشعر الناس أنه على حق ، فصار إكرامك هادفاً ويسمى إكرام التأليف ، وهو مسموح به بِشكل استثنائي . هذا وهناك التذلل والانخفاض للوالدين ، قال تعالى : " **واخْفضْ لهما جنَاح الذل منْ الرحْمة وقُلْ رب ارْحمْهما كما ربياني صغيرا** " .

كتب اليوم لي أخ كريم في درس مسجد الطاووسية قصة عن أحد أقربائه ، وطلب مني أن أُلقيها على الناس لما فيها من العبرة البالِغة ؛ فقد كان له قريب عاقٌ لِوالِديه ، وجاء مرةً لأبنائه بالموز فقالت له ابنته : إن جدتي أكلت موزةً ؛ فَمن شدة بخله دفع أمه من أول الدرج إلى آخره ، وبينت له أمه أنها أكلت شيئاً فَضل عن ابنته . وماتت بعد ذلك بِشهرين . وعندما وافاه الأجلَ بقي ميتاً في بيته أربعة أشهر ، دخلوا عليه بِالمعقمات وأصبحت الجرذان تأكله . شيء لا يوصف فالله أذله إذلالاً ليس بعده إذلال. فالإنسان ربما يكون عاقاً لِوالِديه ولِمن رباه ، أو عاقاً لإنسان كبير في السن ؛

عن أبي موسى الأشْعري قالَ قالَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إن من إجلال الله إكْرام ذي الشيبة المسلم وحامل القُرآن غَيرِ الْغَالِي فيه والْجافي عنْه وإكْرام ذي السلْطَان المقْسط *

(رواه أبو داود)

من أدعية هذا الاسم : إلهي أنت الخافض للجبارين بقَهرك ، المذلّ للمتكبرين بجبروتك ، المتعالي العلي الكبير ، المتجلي بنصرك ، وأنت نعم المولى ونعم النصير .

ننتقل الآن إلى اسم : **الرافع** ؛ فالجبابرة والطغاة والمتكبرون والظُلام والعتاة ؛ هؤلاء **يخفضهم** الله عز وجل . وأنت يا أخي المؤمن **اخفض** نفسك تواضعاً لله ، **واخفض** أهل المعصية والفجور **واخفض** الشيطان وأعوانه ، هذا من عمل المؤمن قال تعالى :

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٩﴾

(سورة التحريم)

أنت تخطئ عندما تحترم إنساناً غارقاً بالمعاصي أمام أولادك - الطفل بريء - ينظر أمام أبيه يبجل ويكرم أهل الفجور ؛ فبهذا العمل كأنك أوحيت لابنك أن هذه ليست معاصي ، والدليل التكريم المبالغ به لهؤلاء ، فيجب أن يكون لك موقف سليم

الرفع يقال تارةً في الأجسام الموضوعة إذا أعليتها عن مقَرها نحو قوله تعالى :

وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ ٱلطُّورَ

(سورة النساء : الآية ١٥٤)

الشيء المادي إذا رفعته نقول فيه : رفع ، وقوله تعالى :

ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ

(سورة الرعد)

ويقال الرفع للبناء إذا طولته قال تعالى :

وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾

(سورة البقرة)

قال تعالى :

فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْـَٔاصَالِ ﴿٣٦﴾

(سورة النور)

أن ترفع : أي : تعلو ، وإذا عظمتَ إنساناً ونَوهت بفضائله وذكرت شمائله فيقـال : " **ورفعْنَا لك ذكْرك** " ، فالمعاني متعددة ؛ معنى مادي : " **ورفعْنَا فَوْقَهمْ الطور** " ، وقوله : " **الله الذي رفَع السماوات بغيْر عمد تَروْنَها** " ، ومعنى الإطالة : " **وإذْ يرْفَع إبْراهيم الْقَواعـد منْ الْبيْت** "، ومعنى رفعة الشأن والتنويه بالذكر : " **ورفعْنَا لك ذكْرك** " ، هذه فـي المنزلـة . والنبي صلى الله عليه وسلم قال : "أنزلوا الناس منازلهم " .

فإذا استقبلت أخاً مؤمناً ، وأثنيت عليه فلا يوجد مانع لهذا العمل من باب التشجيع له وتنويهاً بفضله . والإنسان المغرور والحسود هو الذي يعتّم على الآخرين . فإذا تفَوق أخ مسلم ونال شهادة عليا فعليك أن تُنَوه به ، وهذا له أياد بيضاء ، وخدمات جلّى للمسلمين ، ومتفَوق في اختصاص معين ، هذا إذا عرفت به ، وذكرت فضائله ، يكون من باب تأليف القلوب ، النبي صلى الله عليه وسلم ذكر ذلك :

عن أَنَسِ بنِ مالِك قالَ قالَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أَرحم أُمتي بِأُمتي أَبو بكْـرٍ وأَشَدهم في أَمرِ الله عمر وأَصدقُهم حياء عثْمان وأَقْرؤُهم لِكتَابِ الله أُبي بن كعبٍ وأَفْرضـهم زيد بن ثَابِت وأَعلَمهم بِالْحلال والْحرامِ معاذُ ابن جبلٍ أَلا وإِن لِكُل أُمة أَمينًا وإِن أَمـين هـذه الأُمة أَبو عبيدةَ بن الْجراحِ *

(رواه الترمذي)

وقال لِخالد : أنت سيف الله - وهذا في روايات عند البخاري وغيره - وقال : أنت يـا أبا عبيدة أمين هذه الأمة وأنت يا بن الزبير حواري هذه الأمة وأنت يا عمر لو كان نبي بعدي لكنتَ أنت ، وأنت يا أبا بكرٍ ما سؤْتني قط ، وما يوجد من صحابي إلا نوه النبي بفضله وبين

شأنه ؛ لأن هذا من أخلاق النبوة . فإذا كان لأخٍ لك إنجاز جيد ، وتأليف جيد ؛ ونَوهت بِفضله ؛ فسيشعر بِقيمته عندك ، وأنه محترم ؛ وهذا الفعل من فضائل المؤمنين ، قال تعالى :

وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾

(سورة الزخرف)

والله جل جلاله في كل كتابه الكريم لم يخاطب النبي باسمه قال تعالى :

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ

(سورة التحريم)

وقال :

۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ

(سورة المائدة)

ما خاطب الله النبي إلا بِلَقَب النبوة أو الرسالة ؛ لكن ذكر اسمه في الخبر ، ففي الخبر "محمد رسول الله "، وفي الخطاب قال تعالى :

يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ

(سورة المائدة)

وقال أيضاً :

قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِى

(سورة الأعراف)

وقال أيضاً :

يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ

(سورة مريم)

خاطب الأنبياء بأسمائهم ؛ لكن النبي -صلى الله عليه وسلم -ما خاطبه الله إلا بألقاب النبوة والرسالة ، وهذا تكريم من الله تعالى لِنَبينا محمد -صلى الله عليه وسلم - ، قال تعالى :

أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ﴿٣﴾ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾

(سورة الشرح)

لما عرج الله بالنبي إلى السماء ، وأراه من آياته الكُبرى ، فهذا أعلى رفْع للنبي ، قال تعالى:

لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَـٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴿١٨﴾

(سورة النجم)

والرافع : هو الذي **يرفع** الأولياء وينصرهم على الأعداء. **ويرفع** الصالحين إلى أعلى عليين ، **ويرفع** الحق ، **ويرفع** المؤمنين بالإسعاد ، **ويرفع** الأولياء بالتقريب والنصر ، وكل من تولاه حقاً وعدلاً ، **والرافع** من تجلّى باسمه **الرافع فَرفَع** السماء بغير عمد . إذاً **الرفع** مادي ومعنوي ؛ **يرفع** السماء بغير عمد ، **ويرفع** ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فعندما يستقيم الإنسان ويخلص لله عز وجل ، تصبح له مكانة كبيرة في المجتمع ، تفوق مرتبته العلمية واختصاصه وحرفته ، فالعلماء قديماً كان أحدهم نجاراً ، والآخر دولتي ، والآن أصبح لهم مكان رفيع في المجتمع ، فقد كان الشيخ بدر الدين الحسني إذا غَضب يغضب لِغَضبته مليون إنسان لا يسألونه فيم غَضب .

والرافع من تجلّى باسمه الرافع **فرفَع** السموات بغير عمد ورفع الغَمام على متْن الهواء ورفع الطيور في الفضاء ، قال تعالى :

أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَـٰٓفَّـٰتٍ وَيَقْبِضْنَ ۚ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحْمَـٰنُ ۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍۭ بَصِيرٌ ﴿١٩﴾

(سورة الملك)

والرافع : هو الذي **رفع** مقام الأولياء في الحياة ؛ بِخُضوع القلوب لهم ، ومـا أخلـص عبد لله ، إلا جعل قلوب المؤمنين تهفو إليه بالمودة والرحمة ؛ فهذا رفع ، فهناك إنسان لا أحد يلتفت له ، لا تتمنى دعوته ، ولا الجلوس معه منبوذ ، ملعون ، مبعد ، أما المؤمن فبإخلاصه لله وإقباله إليه واستقامته على أمره يخلق الله مودة في قلوب الآخرين له . إذا أحب الله عبـداً أودع في قلوب العباد محبته ، وهذا معنى قوله تعالى :

وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي

(سورة طه)

" **وألقيتُ عليك محبةً مني** " أي أحبك الخلق بحبي لك ، هذا الرافع .

أقسم بالله ولا أحنث إن شاء الله ، ما من أحد يطيع الله كما أراد ، ويخلـص لله- عـز وجل - كما يحب إلا رفع الله ذكره ؛ ورفَعه مادياً ومعنَوياً ، وفي كل شؤون حياته وهو مـن إكرام الله ومكافأته بعض الردود الإلهية الكريمة على إخلاص المؤمنين واستقامتهم ، **فـالرافع** : المدبر لشؤون خلقه ؛ **يرفع** من تولاه إلى أُفُق المقربين ، كما **يخفض** من عصاه إلى أسـفل سافلين . **يرفع** شأن المستضعفين . لما خافت أم موسى عليه السلام أن يـذبح ابنهـا موسـى وألْقَته في اليم بأمر الله عز وجل فالتقطه آل فرعون ، ما من طفلٍ كان يولد في بني إسرائيل إلا وذُبح ، إلا هذا الطفل فقد أراد فرعون أن يقتل كل أبناء بني إسـرائيل ، لأنـه رأى فـي الرؤيا أن طفلاً منهم سيقضي على ملْكه، و الطفل الذي سيقضي على ملْكه رباه فـي قصـره وهو لا يشعر، قال تعالى :

فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ۗ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَٰطِـِٔينَ ﴿٨﴾

(سورة القصص)

واللام هنا لام المآل وليست لام التعليل .

فالرافع **يرفع** من تولاه إلى أُفُق المقربين ، كما **يخفض** من عصاه إلى أسـفل السـافلين **ويرفع** شأن المستضعفين ، قال تعالى :

إِنَّ فِرۡعَوۡنَ عَلَا فِى
ٱلۡأَرۡضِ وَجَعَلَ أَهۡلَهَا شِيَعٗا يَسۡتَضۡعِفُ طَآئِفَةٗ مِّنۡهُمۡ يُذَبِّحُ أَبۡنَآءَهُمۡ
وَيَسۡتَحۡيِۦ نِسَآءَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿٤﴾ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى
ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ فِى ٱلۡأَرۡضِ وَنَجۡعَلَهُمۡ أَئِمَّةٗ وَنَجۡعَلَهُمُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾

(سورة القصص)

كم من مستضعف ، علا شأنه ، وتألّق نجمه ، وارتفع مكانه ؟ وكم من فقير صار غنيا ؟ وكم من مستضعف صار قوياً ؟ وكم من مهملٍ صار ذا شأنٍ ؟ .

مادة **الرفع** وردت في القرآن الكريم في مواضع عدة ؛ ومن أبرز هذه المواضع قولـه تعالى :

۞ تِلۡكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلۡنَا بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۘ مِّنۡهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُۖ وَرَفَعَ
بَعۡضَهُمۡ دَرَجَٰتٖۚ

(سورة البقرة)

وقوله :

وَتِلۡكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيۡنَٰهَآ إِبۡرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦۚ نَرۡفَعُ دَرَجَٰتٖ مَّن نَّشَآءُۗ إِنَّ
رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٞ ﴿٨٣﴾

(سورة الأنعام)

وقوله :

وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٥﴾

(سورة الأنعام)

فهناك مجند ، وهناك رئيس أركان ، وهناك ممرض ، وهناك معلم بقرية وهناك أستاذ جامعة، كما يوجد بائع متجول وهناك رئيس غرفة تجارة ؛ ورفع بعضكم فوق بعض درجات . فإذا رفعك الله تعالى فيجب عليك أن تشكره على هذه الرفعة ، وينبغي أن تُوظّفها في طاعة الله . وقال تعالى :

وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ

(سورة الأنعام)

وقال :

إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾

(سورة آل عمران)

وقال تعالى :

وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِدْرِيسَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٥٦﴾ وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾

(سورة مريم)

أيها الإخوة :

إذا تجلّى الله إلى قلب المؤمن بنور اسمه **الرافع رفَع** ذلك النور هذا المؤمن إلى العلا الأعلى فَصار مرتَفعاً في الأكوان ، وإذا تجلّى الله إلى قلب المؤمن بنور اسمه **الرافـع** جعلـه متألقاً كالكوكب الدري ، وهذا الإنسان المؤمن لا ينظر إلى ما في أيدي الناس ؛ بل يرفع همته إلى الله عز وجل .

أيها الإخوة :

اسم **الرافع** : من ألصق الأسماء بحياة المؤمن لأن حياة المؤمن بعـد أن يمتحنـه الله تُصبح سلسلة إكرامات ، و المؤمن كما قلت في دروس سابقة يمر بأطوارٍ ثلاثـة : - طَـور يؤَدب فيه على تقصيره وبعض مخالفاته ، - وطَورٍ يبتلى فيه ويمتحن ؛ فـإذا نجـح فـي الطورين وأظن هذا في الآخرة : ألم يؤذ موسى عليه السلام بعد طور التأديب والامتحان لقـد أوذي في طور الرسالة من قبل البشر ... فالحياة الطيبة في الآخرة ... استقرت حياته علـى التكريم وهذا معنى قول الله تعالى:

مَنْ عَمِلَ صَـٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾

(سورة النحل)

فاسم **الرافع** ينال من فضله تعالى كل مؤمن طائع لله ، ومخْلص له ، في التقرب إليه .

وأيةُ آية يختص بها النبي عليه الصلاة والسلام قال بعض العلماء : إن لكل مؤمن منها نصيباً بقدر إخلاصه وطاعته ؛ فقوله تعالى : " **ورفعنا لك ذكرك** " من معانيها : أن كل مؤمن يقتدي برسول الله، ويقتفي أثره ، ويتبع سنته ، يناله شيء من ما نال النبي من رِفْعة شأنٍ ، وعلُـو قدر وسيرة العلماء العاملين الصالحين الصادقين والمخلصين في التاريخ الإسلامي تُؤكّد هـذه الحقيقة.

من أدعية هذا الاسم : إلهي تجليت باسمك الرافع ؛ فرفعت قدر أنبيائـك وأوليائـك ، أظهرت لهم المعجزات ، وأبرزت لهم الكرامات ، فَعظمتهم القلوب ، ورفَعتَ أعمـالهم إليـك بالقبول ، ورفَعتَ لهم أرواحك بالوصول ، ورفَعتَ همتهم فَلم يطلبـوا سـواك ، لأن عيـون أرواحهم تراك ، فاجعل لنا أوفر حظ من نور اسمك **الرافع** ، حتى **يرفع** شأننا فَنَرفع أحبابك.

هذه بعض أدعية اسم الرافع وسنَنْتقل في درسٍ آخر إلى اسم آخر من أسماء الله الحسنى . ونرجو ربنا أن نكون عند حسن الظن بنا وأن نستحق أن يرفعنا الله -عز وجل -رفْعاً مادياً ومعنوياً حتى نقطف ثمار الإيمان الحق الذي هو في الحقيقة التزام واستقامة ومؤاثرة .

والحمد لله **رب العالمين .**

الـ ـدرس٤٤ – اسم الله : الحسيب .

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الإخوة الكرام :

مع الدرس الرابع والأربعين من دروس أسماء الله الحسنى ومـع اسـم **الحسـيب** ، و**الحسيب** : اسم من أسماء الله الحسنى معناه : المكافئ ، أو من معانيـه المكـافىء ، ومـن معانيه أيضاً الاكتفاء ؛ المكافىء المثيل ، فلان **حسيب** فلان أي مكافئة ومثيله ونده ؛ و**الحسيب** أيضاً : الذي يكفي ، من الاكتفاء فالله -سبحانه- هو الكافي تقول : أكرمني فلان وأحسبني أي كفاني ، وأعطاني فوق ما أريد . وتقول : **حسبي** الله ونعم الوكيل أي : أن الله سبحانه وتعالى كافيني ؛ أما حسبانك على الله : بمعنى حسابك على الله ؛ فالمعنى الأول : المكافىء . والمعنى الثاني : الكافي . والمعنى الثالث : المحاسب . من النّدية والمثلية ، ومـن الاكتفـاء ، ومـن الحساب . ويكون معنى **الحسيب** في حق الله تعالى في أدق معانيه : الكافي ؛ تقول : **حسـبي** الله ونعم الوكيل أي : يكفيني ولا أحتاج لِغيره . فالعباد كلهم لو أطاعوا الله عز وجل ، كفاهم أمر دنياهم وآخرتهم .

و**الحسيب** : هو السيد الذي عليه الاعتماد . وليس في الوجود **حسيب** سواه . قد تعتمـد على إنسان يحبك ، ولكنه ضعيف لا يستطيع أن ينجيك مما أنت فيه ، وقد تعتمد على إنسـان قوي ، ولكنه لا يحبك . وقد تعتمد على إنسان قوي ويحبك ، ولكنك لا تصل إليه ؛

إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾

(سورة فاطر)

فمَن اعتمد على غير الله ، ضلّ ، ومن اعتمد على غير الله ، ذلّ . ومن اعتمد على ماله افتقر ، ومن اعتمد على عز إنسان ، أُذلّ .

اجعل لِربك كل عز زِك يستقر ويثبت

فإذا اعتززت بمن يمو ت فإن عزك ميت

الحسيب : الكافي . **والحسيب** : الند . **والحسيب** : المحاسب . وليس في الوجود **حسيب** سواه ، فأقوى قوي في الدنيا لو اعتمدت عليه ، ربما توفاه الله وأنت بأمس الحاجة إليه وربما تغير عليك فجأةً بلا سبب ، وربما تنكر لك . لذلك من الشرك ؛ أن تعتمد على غير الله ، كلمة **حسبي** الله ونعم الوكيل : أي أن الله يكفيني وهو القوي . هو الرزاق ، هو الغني ، هو العليم ، هو الكريم ، هو السميع ، هو المجيب ، هو الرؤوف ، هو الرحيم ، هو المعطي ، هو المانع ، هو الرافع ، هو الخافض ، هو المعز ، هو المذل . **حسبي** الله ونعـم الوكيـل أي : أن الله يكفيني.

مثلاً : إذا تعَين إنسان بوظيفة دوامها ثمان ساعات ، ومعاشُه ثلاثة آلاف ليرة ؛ فهذا لا يكفي . للعيش ، تجده يبحث عن عَملٍ آخر ، وعن طريقة أخرى لِكسب المال فهذا المـال لا يكفيه الجهة لا تكفي كل حاجاته إذاً يزوغ عنها إلى جهة أخرى . لكنك إذا اعتمدت على الله ، كفاك، وأغرقك بالنعيم ، وطمأنك ، كفاك وشَرفك ، كفاك ورفعك ، كفاك وأعـزك ، فَكلمـة **حسبي** الله ونعم الوكيل من أفضل الأذكار ، وهي من أذكار النبي عليه الصلاة والسلام . فإذا سعى الإنسان لِجهة ولم يوفق فيها ؛ ماذا يقول ؟ **حسبي** الله ونعم الوكيل . وإذا سلك طريقاً ثم رآه مسدوداً ؛ ماذا يقول ؟ **حسبي** الله ونعم الوكيل . والمؤمن يرضى بقضاء ربه ، فإذا كـان مستقيماً على أمر الله ، وسلك طريقاً ورآه مسدوداً ، يعلم علم اليقين أن هذا الطريق ليس فـي صالح آخرته ، لذلك وضع الله أمامه العراقيل والنبي عليه الصلاة والسلام عَلّمنا وكان يقـول إذا جاءت الأمور على ما يريد . يقول : الحمد لله الذي بنعمته تتم الصـالِحات . وإذا جـاءت على غير ما يريد يقول : الحمد لله على كل حال . ليس في الوجود **حسيب** سواه

فَمَاذَا

بَعۡدَ ٱلۡحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُۖ

(سورة يونس)

إذْ إنه لا يوجد جهة غير الله تُغني ، إما أن تكون مع الله فأنت المكتفي ، وإما أن تبتعد عنه فأنت في فقرٍ دائم . وأنت من خوف الفقر في فقر . وأنت من خوف المرض في مرض . وَتَوقع المصيبة مصيبة أكبر منها . **حسبي** الله ونعم الوكيل ، وليس في الوجود حسيب سواه

و قالوا **الحسيب :** هو الذي انتهى إليه كل شَرَف في الوجود ، وهذا معنى رابع تقول : فلان **حسيب** نسيب ، بمعنى مشرف ومكرم . فأول معنى للحسيب : الند . والمعنى الثـاني :

الكافي . والمعنى الثالث : المحاسب . والمعنى الرابع : الشريف . يكفيك شَرَفاً أن تنتسب إلى الله قال تعالى :

قُل لِّعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ

(سورة إبراهيم)

ملاحظة : هذه الياء ياء الإضافة وليست ياء النسب ، ياء النسب كقولك (دمشقي) نسبة إلى دمشق والله أعلم .

هذه الياء ياء نَسَب ، وأنت منسوب إلى الله عز وجل نسبة تشريف وتكريم قال تعالى : " **قُلْ لِعبادي الذين آمنُوا يقيموا الصلاةَ وينفقُوا مما رزقْنَاهم سرا وعلانيةً من قبل أن يـأْتي يوم لا بيع فيه ولا خلالٌ** " .

وقال تعالى :

وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾

(سورة الفرقان)

فأنت منسوب إلى ذات الله عز وجل نَسَبك الله وشرفك وكرمك قال تعالى :

۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾

(سورة الإسراء)

فالله صانك فلا تبتذل . ورفعك فلا تسقط . وشَرفك فلا تسفل . وأعـزك فـلا تـذل . وأعطاك فلا تصدف عنه .

وقيل : **الحسيب** الذي يحاسب عباده على أعمالهم ، وهذا المعنى مر قبل قليل ؛ يحاسب الطائعين فَيثيبهم على طاعته ، ويحاسب العاصين فَيجازيهم على معصيتهم ، وهو **حسيب** كل إنسان . ولا تُحاسب ؛ فالله هو المحاسب ، وحسابه دقيق ، ويحاسب على أدق الدقائق ، وعلى أدق الكلمات، وعلى أدق الذرات قال تعالى :

فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ

خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾

(سورة الزلزلة)

وإذا أيقنت أنه سَيحاسبك فلا بد أن تخاف منه . وإذا خفت منه . استقمت على أمـره . وإن استقمت على أمره . أقْبلت عليه . وإن أقْبلت عليه. سَعدت بِقُربـه . وإذا سـعدت بِقُربـه استَغنيت عن الدنيا وما فيها بعد أداء الأسباب ، ومن عرف الله زهد في ما سواه . **فالحسيب** : الند . **والحسيب:** الكافي . **والحسيب** : المحاسب . **والحسيب :** الشريف . وكل هذه المعـاني لها وجوه تليق بجلال الله وذاته .

بعض العلماء ذكر أن **الحسيب** فيه ثلاثة وجوه : الأول : أنه الكافي ، والعَـرَب كانـت تقول: نزلت بِفلان فأكرمني ما كفاني . سألت امرأة أميراً أن يعطيَها من ماله فأعطاها وأجزَل ؛ فقال له من في حضرته: لقد كان يكفيها القليل وهي لا تعرِفك فقال هذا الأميـر : إذا كـان يرضيها القليل ، فأنا لا أرضى إلا بالكثير . وإن كانت لا تعرفني ، فأنا أعرِف نفسي .

فإن قُلت الله **حسيب** : بِمَعنى يعطيك عطاءً عظيماً ، إذا عاش الإنسان ثلاثاً وستين سنة ، وأطاع فيها الله -عز وجل -فهو عاش كعمر النبي -صلى الله عليه وسلم -وبالأربعين تاب إلى الله تعالى واستقام فيَكون قد أطاع الله تعالى ثلاثاً وعشرين سنة يستحق جنـة إلـى أبـد الآبِدين ؛ فَما معنى جنة إلى أبد الآبدين ؟ وما معنى الأبد ؟ العقْل لا يمكن أن يتصور معنـى الأبد ، ذلك لأنه لا يفهم إلا حجماً معَيناً ، ووقْتاً معَيناً ؛ أما الأبد فلا يفهمه . بعض المجـرات تبعد عنا أربعةً وعشرين ألف مليون سنة ضوئية ، والضوء يقطع بالثانية الواحـدة ثلاثمائـة وستين ألف كيلو ، متر ضرب ستين بالدقيقة ، وضرب سـتين بالسـاعة وضـرب أربعـة وعشرين باليوم ، وضرب ثلاثمائة وست وخمسين بالسنة ، ضرب أربعـة وعشـرين ألـف مليون سنة . كل هذا للنجم ، إذا كان أحدنا في الأرض وإلى هذا النّجم أصفار وفي كل ملـم متر صفر فما قيمة هذا الرقم ؟ هذا الرقم قيمته صفر إذا قيس إلى مالا نهاية ، فكل شيء تراه بعيداً في هذا الكون فهذا النجم أبعد من أربعة وعشرون ألف مليون سنة ضوئية واحـد فـي الأرض وأصفار إلى هذا النجم ، هذا الرقم اجعلْه صورة أو بسطاً وضَع في مخرجه لا نهاية ؛ فقيمته صفر. فكلما عد الإنسان إلى الأعلى مليار مليار سنة كلما كان الأبـد أكبـر ؛ وهذا الأبد في النعيم ثمنه أن تطيع الله عشرين سنة أو ثلاثين سنة ، وهذا هو معنى المعطـي فهو يعطي ويجزل في العطاء . خلقك لِجنة عرضها السموات والأرض ؛ على أن تُطيعه فـي

هذه الحياة الدنيا . ومن نعمته أنه ما حرمك شيئاً وكل شهوة أودَعها فيك ، جعل لـك طريقـاً نظيفاً للتمتع بها فَسبحانه وتعالى ما حَرَمنا النساء بل أمرنا أن نتزوج . وما حرمنا المال بـل أمرنا بالعمل ، وحرَم عليك الكذب ، والزنى ، والخمر ، والمعاصي التي لا تليق بالإنسـان ؛ فهذه الطاعات ثمنها الجنة ، إذاً هو المكافئ يعطي فَيكْفي .

يقول سيدنا علي : يا بني ما خير بعده النار بِخيرٍ ، والشر بعده الجنة بِشَرٍ ، وكل نعيم دون الجنة محقور ، وكل بلاء دون النار عافية . فعطاء في الدنيا لا يمكن أن يسمى عطاءً ؛ لأنه ينتهي بالموت ، ولا أعرف إن كانت صورة الموت واضحة ، فهذا له قريـب وصـديق وجار تراه بِالمغْتَسل وبعد ساعتين بالقبر . أين غُرفة النوم ؟ وسيارته ومكانته؟ ومنجزاتـه ؟ كل هذا انقطع ، إخواننا الكرام : لا يمكن أن يسمى عطاء الدنيا بالنسبة إلى الله عطاءً ؛ لأنها عَرَض حاضر يأكل منه البَر والفاجر ، والآخرة وعد صادق يحكم فيه ملك عادل ،

عَن سَهل بن سَعد قَالَ قَالَ رَسولُ الله صَلى الله عَلَيه وَسَلَمَ لَو كَانَت الدنْيَا تَعدلُ عنْدَ الله جَنَاحَ بَعوضَة مَا سَقَى كَافرًا منْهَا شَرَبَةَ مَاء *

(رواه الترمذي)

هذا كلام مَن ؟ كلام من لا ينطق عن الهوى ، لو أن الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى الكافر منها شربَة ماء ، فإذا رأى أحدنا بيتاً ضخماً جداً ، أو مَركبَة فخمة جـداً ، أو بستاناً ، أو مركزاً تجارياً كبيراً ، وقال : هنيئاً له فقد عظّم حقيراً ، قال تعالى واصفاً قـارون ومن اغتر به عندما خرج على قومه في زينته :

فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾

(سورة القصص)

فالله تعالى **حسيب** : أي يكفي العبد ويكفيه كل مؤنته . ورد في الحديث القدسـي : " **أن يا عبدي كن لي كما أريد ولا تُعلمني بِما يصلحك** "

أي : لا تتكلّف وتُبلغني الذي يصلحك ؛ فأنا أعرف ما يصلحك ، ومـا يرضـيك ومـا يسعدك. كن لي كما أريد ولا تُعلمني بما يصلحك ، وهناك حديث آخر : " **كن لي كمـا أريـد أكن لك كما تريد** " .

وفي حديث آخر : " أنت تريد وأنا أريد ، فإذا سَلمت لي فيما أريد ، كفَيتك ما تريـد ، وإن لم تُسَلمني فيما أريد ، أتْعَبتُك فيما تريد ثم لا يكون إلا ما أريد "

فالحسيب : هو الكافي فإذا قُلت : **حسبي** الله ونعم الوكيل ؛ يكفيك مؤونة الدنيا والآخرة ، ويكفيك كل الهم ، مهما ضاقت عليك السبل ومهما أُحكمت حولك الحلقات .

وَرب نازلة يضيق لها الفتى ذَرعاً وعند الله منها المَخرج
نزلت فلما استحكمت حلَقاتها فُرِجت وكان يظَن أن لا تُفْرَج

وقيل :

كُن عن همومك معرِضا وَكل الأمور إلى القضا
وابشر بِخَير عاجِـلِ تنس به ما قد مضى
فَلَرب أمر مسخـط لك في عواقبه رِضى
وَلَربما ضاق المضيقُ وَلَربما اتـ ـسع الفضا
الله يفعل ما يشـ ـاء فلا تكـ ـن معترِضا
الله عَودك الجمـ ـيل فَقس على ما قد مضى

أن تقول : **حسبي** الله ونعم الوكيل ، وتردد ذلك ، هذا ذكْر بِمَعنى الله يكفيني . صحتك بيده ، وزوجتك بيده ، والأقوياء بيده ، والضعفاء بيده، ومن فوقك بيده ، ومن تحتـك بيـده ، وطعامك بيده ورِزقك بيده ، فإذا قلت : **حسبي** الله ونعم الوكيل ، انتهى الأمر .

الثاني : بِمعنى **حسيب** . فالله يحاسب خلقه يوم لِقائه فهو تعالى يحاسـبهم فـي الـدنيا لِيرَبيهم ، ويحاسبهم في الآخرة لِيجازيهم ؛ حساب الدنيا تربية ، وحساب الآخرة جزاء . هناك قصص كثيرة أسمعها من إخواننا الأكارم .

ذكر لي أخ له معمل ألبسة ، ما يلي لما علم أحد إخواننا من المسجد أن لي معمل ألبسة لطَلب مني ست قطع ، فاعتَذرت منه لأنّني لا أبيع إلا بالجملة وكأنني شعرت بِالهوان فالكمية التي طَلَبها قليلة ولا تملأ العَين ، فذكر لي هذا الأخ أن واحداً وثلاثين يوماً ما رأى زبوناً عنده في المعمل ، عقاباً له على هذا الصنيع ، والله حاسَبه على هذا الكبر وهذا الاحتقار .

وذكر لي أخ من إخواننا عن إنسان كَبرَ وكبر حتى ملك عدداً كبيـراً مـن الطـائرات المدنية والفنادق ، ولما رأى حاله هكذا قال لقد وصلت لِفوق أنا حدودي السماء ولـم يمـض على كلامه اللحظات حتى سحب منه اليساط ، وشُد الحبل ، وقُبضت روحه . فـالله يحاسـب وهذا المعنى الثاني . فأول معنى : الله يكافئ . والمعنى الثاني : الله يحاسب . فعلى الإنسـان

أن يضبط لِسانه وجوارحه ودخْله وماله وكل حركاته لأن الله يحاسب (حسيب) والحال أنـه كلما كبر عقلنا وكبر إدراكنا يجب أن يزداد خوفنا من الله وكلما صغر المرء أمام ربـه فـالله يكبره أمام الخلق وكلما صغرنا وتواضعنا وافتقرنا وأعلنا عبوديتنا لله عز وجل ، وقلنا : يـا رب أنا لا شيء ، أنا جاهل، أنا ضعيف ، أنا فقير ، أنا لئيم يا رب ، أنت الكريم ، أنت الغني ، أنت القوي ، أنت العالم ، كلما أعلنت عن ضعفك وافتقارك وعبوديتك رفعـك الله ، وكلمـا قلت أنا وأنا خفضك الله عز وجل. من أجل إعلانه للعبودية لله عز وجل ، وأنه القوي ، مـرة ذكر أن رجلاً في أروبة قال: إذا حمل هذا الصفصاف أجاصا فأنا أُزاح عن مركزي ، وبعد أيام أُزيح فجاء الناس ووضعوا الأجاص فوق الصفصاف . الله **حسيب** .

من الناس من يكون حسابه يسيراً إذا كان مؤمناً ، فهو من أهل النعيم الدائم . ومنهم من يكون حسابه شديداً على الفتيل والقطمير وهم الكفار .

معنى **الحسيب** الثالث : هو الشريف ، تقول : هذا بيت حَسَب و نَسَبٍ بالتعبير الشائع . مَن هو الشريف ؟ هو الذي لا يرتكب المعاصي ، ولا يبخل ولا يكذب ولا ينافق ولا يذل ولا يغتاب ، فكلما تنزه الإنسان عن المعاصي صار شريفاً وليس الأمر كما في بعض البلدان التي تتوارث الشرف الأسرة الحاكمة أشراف ولا يتزوجون إلا من أشراف من أسرتهم أو قبلتهم :

لا تقل أصلي وفصلي أبداً إنما أصل الفتى ما قد حصل

شرف الإنسان بطاعته لله وشرف المؤمن قيامه بالليل وعزه استغناؤه عن الناس شرفك بطاعتك لله . ولا شيء آخر . فالمحاسب الكافي والشريف . والشريف : الـذي لـه صـفات الكمال والجمال والجلال . وبعض العلماء قال : " **الحسيب هو الذي يكفي بفضله ، ويصرف الآفات بطوله** "، وقيل: هو الذي إذا رفعتْ إليه حوائج قضـاها وإذا حكـم بقضـية أبرمهـا وأمضاها وقيل : هو الذي يعد عليك أنفاسك ويصرف بفضله عنك بأسك .

القرآن الكريم ورد فيه اسم **الحسيب** كثيراً قال تعالى :

وَٱبۡتَلُواْ ٱلۡيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُواْ ٱلنِّكَاحَ فَإِنۡ ءَانَسۡتُم مِّنۡهُمۡ رُشۡدٗا فَٱدۡفَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ أَمۡوَٰلَهُمۡۖ وَلَا تَأۡكُلُوهَآ إِسۡرَافٗا وَبِدَارًا أَن يَكۡبَرُواْۚ وَمَن كَانَ غَنِيّٗا فَلۡيَسۡتَعۡفِفۡۖ وَمَن كَانَ فَقِيرٗا فَلۡيَأۡكُلۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ فَإِذَا دَفَعۡتُمۡ إِلَيۡهِمۡ أَمۡوَٰلَهُمۡ فَأَشۡهِدُواْ عَلَيۡهِمۡۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبٗا ٦

(سورة النساء)

فإذا كان معك مال يتيم فإن كنت في حاجة فلك أن تأكل منه بالمعروف والعلماء قالوا : " الأكل بالمعروف : أن تأخذ حاجتك أو أجر المثل أيهما أقل " فإذا كان مع اليتيم مئة ألف وأعملتها في التجارة وربحت عشرة آلاف تعطي خمسة لصاحب المال وخمسة لك مثلاً . فأنت يكفيك أربعة دون الخمسة ، فإذا كان يكفيك خمسة عشر ألفاً ونصيبك خمسة تأخذ الخمسة فأجر المثل أيهما أقل هذا إن كنت فقيراً أما إذا كنت غنياً فعليك أن تستعفف . من الذي سيحاسبك ؟ ومن الذي يعلم ما إذا كنت غنياً أو فقيراً ؟ هناك من تجده يحمل مال يتيم يضعه في التجارة فإن ربحت وضع ماله وإن لم تربح يقول لك : ذهبت في التجارة ، هذا لا يجوز ، والنبي قال : " لا تجعل ماله دون مالك " ، لا تجعل ماله دريئة أو حَقْل تجارب . تجد تُجاراً معهم أموال غيرهم فإن جاءتهم تجارة ولم يكونوا واثقين منها وضعوا أموال صديقهم ويقولون لك هذه : قسمة ونصيب والتجارة ربح وخسارة ، وإن ربحت أدخَل ماله في هذه الصفقة ، فمن الذي يعرف هذه الحقائق ؟ هو الله ، **الحسيب** الذي يحاسب ، هناك حالات بالتجارة ، وحالات علاقة بالنساء ، وحالات اجتماعية ، فلو كان معك أذكى إنسان على الأرض فلن يكْشف نواياك ، ولا تصرفاتك أحياناً لكن الله يعلم ، فإذا جعَلت مالك في الصفْقات الرابحة ، المعرفة الثابتة التي إذا اشتريتها فبيعها مضمون، وربحها وفير ! فمالك في هذه الصفقة . ومعك مال اليتيم . ومال اليتيم تجعله حقل تجارب أين يوجد صفقة غير مضمونة النتائج تجعل هذا المال في مثل تلك الصفقات ، فإن ربحت أدخلت مالك مكان هذا المال ، وإن خسرت قلت للناس وأنت معذور هذه تجارة فيها ربح وخسارة . الخلْفيات وهذه الحقائق من يعلمها ؟ هو الله . لذلك قال تعالى : " **وابتَلُوا اليتَامى حتى إِذَا بلغُوا النكاح فَإِن آنَستُم مِنْهم رشْدا فَادفَعوا إِليهم أَموالهم ولا تأْكُلُوها إِسرافًا وبِدارا أَن يكْبروا ومن كان غَنيا فَليستَعففْ ومن كان فَقيرا فَلْيأْكُلْ بِالمعروف فَإِذَا دفَعتُم إِليهم أَموالهم فَأَشْهدوا عليهم وكَفَى بِالله حسيبا** " .

عندما يؤمن الإنسان أن الله رقيبه ، يصبح لديه دقة في معاملاته تكاد تكـون خياليـة ، ويجعل كل شيء في الحسبان . سَمعت قصة أظن أنكم سمعتموها مني ؛ إنسان تُوفيت خالتـه فقال لي : مرت ثماني سنوات وأنا أراها بالمنام تَحتَرِق ، فَيقول لها مالك يا خالة ؟ فتقول لـه الحليبات، وما فَهم عليها ، وكانت خالة امرأة أب وعندها أولاد زوج فكانت تضع للحليب الذي كانت تسقيه لأولاد زوجها ماءً أما ابنها الذي من صلْبها فتُعطيه حليباً كامل الدسـم ؛ ثمـاني سنوات وهي تَلْتَهب ، فمن الذي يعرف حقيقة هذه المرأة زوجها يراها تقدم كـؤوس الحليـب لأولاده جميعاً ولكن يعلم الحقيقة الله عز وجل . المنام ليس حجة في أحكام الشريعة ولكـن يستأْنَس به .

فالله هو الحسيب المحاسب قالوا : لا تُحاسب الله المحاسب . وآخر كانت له أُخت عانس ساكنة بِبَيته وكانت زوجته تُبالِغ في إهانَتها ، فقال: كنت جالِساً مرة على سرير ، وزوجته إلى جانبه ، وأراد أن يشرب الماء فَرَكَل أخته وقال لها : أحضري لي الماء فَبَكت من شدة إهانته لها أمام زوجَة أخيها ، وفي اليوم الثاني كان لديه سَفَر إلى حَلَب حدث معـه حـادث سَـير أُصيب بِرِجله اليمنى وأُصيب بِمرض الغَرغَرِين فَقُطعت من أعلى الفَخذ ، وهي التي ركل بها أخته لِيهينها أمام زوجته . فإذا تكبر الإنسان ؛ وأكل أموال الناس بالباطل ، فالله هو الحسـيب الكبير ، وكلما ازداد عقلك وإدراكك ازداد خَوفك من الله ، المؤمن يَنْخَلع قلبه خوفاً من الله .

مرةً قال لي طالب : أنا لا أخاف من الله ، فأردت أن أُحجمه وقلت : يا بني الفلاح مرةً يأخذ ابنه الصغير إلى الحصاد وَيَضعه بين سنابِل القمح فَيمشي ثعبان بِجانبه فَيضع الطفل يده على الثعبان ؛ لماذا لأنه لا يخاف منه ؟ لأنه لا يوجد لديه إدراك ؛ فكُلمـا ضـعف الإدراك ضعف الخوف ، وكلما ازداد الإدراك ازداد الخوف . أحياناً تجد الطبيب يبالِغ بِغَسل الفاكهـة وذلك من شدة ما يراه كل يوم من الجراثيم من الأعـراض الإنتانيـة والالتهابـات المعويـة والإسهالات وأنواع الأمراض ؛ فهذا الذي يراه يدعوه للمبالغة في التنظيف والتعقيم ؛ فكلمـا ازداد العلم ازداد الخوف من الله . والله محاسب . وهذا أحد كبار صناع الحلويات في لبنان ، كان يصدر طائرة كل اليوم إلى دول الخليج ، دخل يوماً إلى مصنَعه ولم يعجِبه صـنيع أحـد العمال فأخذ تلك العجينة ودسها تحت قَدَمَيه معلماً فقال له العامل منَبها إنك ترتَدي حذاءً فأجابه : إن الناس يأكلون من تحت قَدَمَي، بعد شهرين قُطعت رِجلاه اليمنى واليسرى وهو الآن مقيم في بريطانيا ، وقصص كثيرة لا تُعد ولا تُحصى وأنا أذكر قصصاً عادية والإنسان لو أن لديه قُدرة على البحث والتنقيب والدرس لرأى العجب العجاب . اعمل ما شئت ؛ واعلم أن حساب الله في الدنيا حساب تَربوي . أما حسابه تعالى في الآخرة فهو حساب جزائي ، بالدنيا يحاسب لِيربي أما بالآخرة لِيجازي ، هذه الآية الأولى .

الآية الثانية قال تعالى :

وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحۡسَنَ مِنۡهَآ أَوۡ رُدُّوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ حَسِيبًا ﴿٨٦﴾

(سورة النساء)

فَمَشاعر الذين يردون التحية يعلمها الحسيب وحده هل هي تحية إسلامية دينية أم من كبر أو تواضع أو رد جميل أم من كراهية أو محبة أو بروتوكولات كما يقولون أم من أسلوب حضاري غربي ؟ هناك أشخاص لديهم القُدرة على التمثيل قدرة كبيرة جداً قالوا عن الدبلوماسية: هي التعبير عن أسوأ النوايا بأجمل الألفاظ . وهي أحد تعريفاتها اللاذعة من الممكن أن تكون لك ابتسامة شكلية ، ومصافحة حارة وأنت تغدر بهذا الذي تُصافحه ؛ فهذا السلام ؛ وراءه محبة أو غَدر ؟ أو إخلاص ؟ أو انتقام ؟ أو طعن بالظهر ؟ أو كراهية ؟ فمن يعرف ويعلم هذه الحقيقة ؟ وكل إنسان يقدر على الابتسامة ، ولكن النوايا لا يعلمها إلا الله لذلك جاءت الآية الكريمة : " **وإذا حييتُم بتَحية فَحيوا بأحسن منْها أو ردوها إن الله كان على كُل شَيء حسيبا** "

بعد رد التحية ، طبعاً معظم الناس السلام ويردون السلام لكن النوايا والخلفيات والحَيثيات وما بين السطور هذه لا يعلمها إلا الله . قال تعالى :

ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخۡشَوۡنَهُۥ وَلَا يَخۡشَوۡنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾

(سورة الأحزاب)

فإذا خشي الإنسان الله وحده ، وتحمل المشاق ، وتجشم المتاعب، لأنه خشي الله وحده ، وبَلغ رسالته ، ولم يَعبأ برِضاء الناس . فمن الذي يعرف حجم تضحيته ؟ وحجم ما يعاني ؟ طبعاً من السهولة أن تُرضي الناس ، وأن تنجوَ منهم ، وأن تُسمعهم ما يحبون . لكنك إذا كنت صادقاً، و مخْلصاً ، ونطقْت بالحق ، ولم تأخذك في الله لومة لائم ، فربما أتعبك الناس وثاروا عليك وانتقدوك وطعنوا فيك ؛ والله هو الذي يعلم حجم تضحَيتك لذلك قال تعالى : " **الذين يبلغُون رسالات الله ويخْشَونَه ولا يخْشَون أحدا إلا الله وكفَى بالله حسيبا** " ، وقال تعالى :

وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾

(سورة الأنبياء)

الله يعلم أدق الأعمال ، وأدق الذرات ، والقطمير ، والفتيـل ، والنقيـر . رأس النـواة المذبب، والقطمير ، غشاؤها ، والفتيل ، الخيط بين فَلْقَتيها ، فلا تُظلمون فتيلاً ولا قطميراً ولا ذرة ومثقال ذرة من خردل ، ولا ظُلم اليوم وما كان الله لِيَظلمهم ، فالله **حسيب** ، قال تعالى :

وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩﴾

(سورة آل عمران)

قال تعالى :

لِّلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٨٤﴾

(سورة البقرة)

إن تكلمت أو لم تتكلم ، وإن أبحت أو لم تُبح ، وإن ذكرت أو لم تذكر ، فـالله سـبحانه وتعالى سيحاسبك ، وقال تعالى :

ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾

(سورة آل عمران)

فمهما تقلب عليك الناس ، ومهما اجتمعوا وتآمروا فقُل : **حسبي** الله ونعم الوكيل . فكلهم بيد الله -عز وجل -قال تعالى :

فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ ۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ ۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦٓ إِلَيْكُمْ ۚ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُۥ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ ﴿٥٧﴾

(سورة هود)

مهما اجتمع الناس على أن يضروك ، وعلى أن يوقعوا بك الألم، فقُل : **حسبي** الله ونعم الوكيل ، أنت أقوى منهم بالله . يكفينا شَرَفاً هذه الآية :

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٤﴾

(سورة الأنفال)

وقال تعالى :

وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا۟ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ ﴿٥٩﴾

(سورة التوبة)

من أحبنا أحببناه ، ومن طلب منا أعطيناه ، ومن اكتفى بنا عن ما لنا كنا له وما لنـا ، قُل : **حسبي** الله ، يكفيني الله ، قال تعالى :

وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ
مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ
حَسۡبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا ۝٣

(سورة الطلاق)

يكفيه ، فإذا كان لشخص قضية في القضاء ، وكانت معَقدة وصارت مـ داخلات كثيـرة وخصمه قوي فإذا قال **حسبي** الله ونعم الوكيل ؛ فالله هو الذي يدافع عنه ، وإذا شعر بِبَـ وادر مرض خطرٍ عظيم وقال **حسبي** الله ونعم الوكيل فالله يزيح عنه المرض قال تعالى :

وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ ۝٨٠

(سورة الشعراء)

وهذا من أنواع الذكر الراقي جداً . أن تقول **حسبي** الله ونعم الوكيل ، يا رب التَجـأت إليك واحتمَيت بك واستعنت بك على من يعاديني وتوكلت عليك ، وأنـت **حسـبي** ورَجـائي وذخري وملاذي .

الله -عز وجل - أمر النبي عليه الصلاة والسلام أن يقول ؛ قال تعالى :

فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُلۡ حَسۡبِيَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ
ٱلۡعَظِيمِ ۝١٢٩

(سورة التوبة)

وقد أمرنا الرسول عليه الصلاة والسلام أن نقول هذا الذكر سبع مرات في اليوم .

الآن توجد نقطة دقيقة في الموضوع ؛ يقول أحد العلماء : " إن كفاية الـرب لِعَبـده أن يَكْفَيه في جميع أحواله وأشغاله ، وأجلّ هذه الكفايات أن لا يعطَيه إرادة الأشياء " ، يا رب خر لي واختر لي ؛ فهذه أرقى درجة من أنواع التوكل . يَسر لي ما فيه صلاح لـي فـي دينـي ودنياي وهو دعاء الاستخارة ، أساساً ألم يقل النبي صلى الله عليه وسلم ذلك :

عَن جَابِرِ بنِ عَبد لله رَضي الله عَنْهمَا قَالَ كَانَ رَسولُ الله صَلى الله عَلَيه وَسَلَمَ يعَلمنَا الاستخَارَةَ في الأمورِ كُلهَا كَمَا يعَلمنَا السورَةَ منَ الْقُرآنِ يَقُولُ إِذَا هَم أَحَدكُم بِـالأمرِ فَلْيركَـع رَكْعَتَينِ من غَيرِ الْفَرِيضَة ثُم لِيَقُل اللهم إِني أَستَخيركَ بِعلْمكَ وَأَستَقْدركَ بِقُدرَتكَ وَأَسأَلُكَ مـن فَضلكَ الْعَظيمِ فَإِنكَ تَقْدر وَلا أَقْدر وَتَعلَم وَلا أَعلَم وَأَنْتَ عَلام الْغُيوبِ اللهم إِن كُنْـتَ تَعلَـم أَن هَذَا الأَمرَ خَير لِي في ديني وَمَعَاشي وَعَاقبَة أَمرِي أَو قَالَ عَاجِل أَمرِي وَآجِلِـه فَاقْـدره لِـي وَيَسره لِي ثُم بَارِك لِي فيه وَإِن كُنْتَ تَعلَم أَن هَذَا الأَمرَ شَر لِي في ديني وَمَعَاشـي وَعَاقبَـة أَمرِي أَو قَالَ في عَاجِل أَمرِي وَآجِلِه فَاصرِفْه عَني وَاصرِفْني عَنْه وَاقْدر لِيَ الْخَيرَ حَيثُ كَانَ ثُم أَرضني قَالَ وَيسَمي حَاجَتَه *

(رواه البخاري)

فإذا علم العبد أن الله هو الذي يكفيه ، لم يَرفع حوائجَه إلا إليه . ويعـاب مـن يشـكو الرحيم إلى الذي لا يرحم . إذا أيقنت أن الله وحده هو الذي يكفي ، لا تَسألُ غيره . فـإن الله سبحانه وتعالى سريع الإجابة لِمن انقطع إليه ، إذاً أنت متجِه إلى الله تعالى بكليتك ولا تُعَلّـق أملك بِمن دونه فهو سريع الإجابة . وتوكل في جميع أحوالك عليه . فأما إذا كانت حاجته في حق الله خيراً محضاً كطلب الهداية ، والاستقامة ، والرزق الحلال ، والكفايـة فهـذا الطلـب يجاب فوراً لأنه في حق الله وأما إذا طلبت الدنيا فهناك وضع آخر لعلها لا تنفعك لعلها تُؤذيك وتُبعدك فلذلك قد يجيبك وقد لا يجيبك ، فالأدعية المتعَلّقة بالآخرة سريعة الإجابة . ومن علـم أن الله كافيه لا يستَوحش من إعراض الخَلْق ولا يأنس بهم .

يذكر الإمام الغزالي في اسم **الحسيب** ؛ أن من كان الله له حسيباً، كفـاه -والكفايـة - دققوا - والكفاية التي يحتاج الإنسان إليها كفاية دوام وجوده وليس في الوجود شيء هو وحده كاف لِشيء إلا الله سبحانه وتعالى، يحتاجه كل شيء في كل شيء . ليس فـي الكـون إلا الله وحده هو الذي يكفي كل الخلائق .

قال : فإنه وحده كاف لِكل شيء لا لِبعض الأشياء . وحده كاف يتحصل بـه وجـود الأشياء، ودوام وجودها ، وكمال وجودها ، فإذا أردت الوجود ، ودوام الوجـود ، وسـلامة الوجود ، وكمال الوجود ، فقل : **حسبي** الله ونعم الوكيل . إذا رأيت أن الرضيع يرضع مـن والِدته ؛ فاعلم أن الله أودع في قلب هذه الأم الرحمة وأسال من ثديها الحليب ، ولولا ذلك مـا كان هذا الطفل مَكْفياً بِأمه فإذا بدا لك أن الطفل مكفي بِأمه فهذه كفاية الله له

من أدب المؤمن مع ربه ؛ أن يعلم أن الله سَيحاسبه غداً علـى الكبيـر والصـغير ، ويطالبه بالنقير والقطمير ، ومن وراء علم العبد بهذا يحاسب نفسه إذا عَلم أنـه سَيحاسَـب ، سَيحاسب ويحاسب نفسه قبل أن يحاسبه غيره ، ويطالب قلبه بالقيام بالحقوق قبـل أن يطالبـه

سواه ، ومتى راقب العبد معنى الحسيب ، وتجلّى له نور القريب ، انبثق في قلبه نور فـإذا نفسه تُحاسبه على تقصيره في الطاعة ، وتُذكره بحساب يوم القيامة .

أرسل رجل مؤمن طعاماً إلى البصرة عن طريق وكيل وقال : بع الطعام بسعر يومه . ولما وصل هذا الوكيل إلى البصرة استدعى التجار ونصحوه أن يؤخر البيع أسـبوعاً فقـط ؛ يرتفع السعر فأخر أسبوعاً ورَبح أرباحاً طائلة وبشر موَكله بهذه الأرباح وجاء الجواب : ادفع الثمن كله لفقراء البصرة فقد دخل على مالي الشبهة ؛ فهو حبس الطعام لِيزداد سعره فصـار محتَكراً والمحتكر خاطئ هذا قول رسول الحسيب ، وآخر جاءته رسالة أن قصب السكر قـد تَلف فاشترِ السكر ، فذهب إلى السوق واشترى السكر ، وبعدها ربح ثلاثين ألف دينار . وبعد ربحه تذكر أن هذا الذي اشترى منه السكر ما علم أن السكر أصابته آفة فباعه بهـذا السـعر فقال له : يا هذا قد جاءتني رسالة من غلامي أن قصب السكر أصابته آفة فَأقل هذه البَيعـة ، فقال له أنت الآن قد بلغتني فقال له : كان ينبغي أن أُبلغك قبل هذا وبَطُلَ شرائي للبضاعة فقال البائع قد سامحتك على هذا ، فقال : لن أقبل ولا أنام الليل إلا إذا أقلتني من هذه البضاعة .

فكان سلفنا الصالح يحاسبون أنفسهم حساباً عسيراً ، وهذا رجل تزوج امرأة ثم تـزوج عليها خُفيةً ، فلما عَلمت الأولى سكتت ثم مات زوجها فأرسلت نصيب ضـرتها مـن الإرث فقالت لها ضرتها : والله لقد طلقني قبل أن يموت وليس لي عنده شيء . وذاك قال له : يعني هذه الشاة فقال : ليست لي فقال له : قل له ماتت فقال : والله إني لفي أشد الحاجة إلى ثمنهـا ولو قلت له إنها ماتت أو أكلها الذئب لصدقني ، عند صاحب هذه الشاة ولكن أين الله ، هكـذا كان السلف .

إخواننا الكرام :

إذا حاسبنا أنفسنا حساباً دقيقاً على الخطوات والهفوات وعلى مستوى القرش والهفوات ، سلمنا وسعدنا كان سيدنا عمر بن عبد العزيز إذا كلمه شخص بِقضية شخصية يطفئ السـراج الذي يوقد من بيت المال ، وهذا عمر رأى إبِلاً سمينة فقال : لِمن هذه الإبل فقالوا : هي لابن عمر قال : ائتوني به فقال لمن هذه الإبل فقال : هي لي اشتريتها بِمالي الحلال وبعثت بها إلى المرعى لِتسمن فماذا فعلت ؟ فقال عمر : وَيقول الناس يا بني ارعَوا هذه الإبل فهي لابن أمير المؤمنين ، اسقوا هذه الإبل فهي لأمير المؤمنين ، وهكذا تَسمن إبِلُك يا بن أمير المـؤمنين ، هل علمت لماذا هي سمينة ؟ لأنك ابني ، بع هذه الإبل وخُذ رأس مالك ورد الباقي إلى بيـت مال المسلمين .

قَالله سبحانه وتعالى حسيب يحاسب وحسيب يكفيك ؛ يكفيـك **أمـر** الـدنيا **والآخـرة** ، وحسيب يشرفك إذا عرفته ويرفع لك **قدرك** ، فهذا الدرس إن رفعنا إلى هذا المستوى نكُن قـد استفدنا منه لأن العلم في الدين ليس هدفاً لِذاته وإنما هو وسيلة لِسمو النفس ، بالعمل به فكلمة

حسبي الله ونعم الوكيل تقال عند كل هم **وحزن** وعند كل موقف عدواني ، أو نـاس تـآمروا عليك فقُل : حسبي الله ونعم الوكيل . والله هو **الذي** يدافع عنك أقوى دفاع ويرفعـك ويعلـي قدرك وينصرك على خصومك ؛ حسبي الله ونعم الوكيل . فالذين عا**رضوا** النبي أين هـم ؟ في مزبلة التاريخ أبو لهب ، وأبو جهل ، وصفوان ابن أمية . والذين أيدوه ونصروه أين هـم الآن ؟ في روضات الجنات ، فإياك أن تكون في خندق معاد للدين ! وأن تتجاوز الحد إيـاك وإياك ! الله عز وجل حسيب ورقيب وخبير . قال تعالى :

قُلْ سِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٦٩﴾

(سورة النمل)

وفي آية أخرى قال تعالى :

قُلْ سِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾

(سورة الأنعام)

أحياناً المكذّب الضالّ المنحرف المعتدي والطاغي يمهله الله لِحكمة يريدها تأتي ثم التي تفيد التراخي . وأحياناً يبطش به سريعاً لِحكمة يريدها فإذا تأخر الجواب وتأخر الجزاء جاءت " ثم " وإن جاء سريعاً ذكرت الفاء التي تفيد التعقيب .

ومن أدعية هذا الاسم : إلهي أنت الكافي لِمن ركن إليك القدير والمتكفل لكل من توكـل عليك أنت أسرع الحاسبين ، وغوث الطالبين ، أشْهِدني نور اسمك الحسيب ، حتـى أتحلـى بالسر العجيب ؛ ف**أُحاس**ب نفسي قبل أن أُحاسب ، وأُطالبها بالقيام بالواجب قبل أن أُطالب ، وحققنا بِسر قولك حسبنا الله ونعم الوكيل ، واجعلني م**ن اه**تدَ سواء السبيل ، وخَلقني بمعنى باسمك الحسيب فأقوم بِحوائج إخواني **من بعي**د وقريب .

إذا ربيت أولادك فاكفهم ، وإن أطعمت الفقير فاكفه ، وإن أعطيت زكاة مالـك فـأعط الفقير حتى يكتفي ، الإمام الشافعي يرى كفايَة العمر كله ، أبو حنيفـة يـرى كفايـة عـام . خمسمائة امرأة واقفة أين هويتك ؟ بصمتك كي نعطى مئة أو مائتين ، إذا أعطيـت فـاكْف ، وأعط عطاءً جزيلاً واجعلني يا رب ممن اهتدَ سواء السبيل ، ، وخَلقني باسمك الحسيب فأقوم بإخواني بِحوائجهم **من بعيد** وقريب . حتى أتحقق بالشرف والحسب أنك على كل شيء قدير .

والحمد لله **رب العالمين .**

الـ ـدرس٤٥ – اسم الله : المقيت .

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الإخوة الأكارم ؛ مع الدرس الخامس والأربعين من دروس أسـماء الله الحسـنى والاسم اليوم هو المقيت ، فالمقيت اسم من أسماء اللـه الحسنى .

ورد في الحديث الشريف الذي عدد الأسماء الحسنى . والقوت مايمسـك الرمـق مـن الرزق ، وما يقيت الإنسان ، وما يقيم أَوده ، وما يجعله يقف على قدميه ، وما يعينـه علـى مزاولة نشاطه ، هذا هو القوت ، فالقوت هو ما يمسك الرمق من الرزق ؛ فالخبز من القوت ، والحليب من لقوت لكن بعض أنواع الفاكهة ليس من القوت هناك طعام أساسي وهناك طعـام ثانوي فالطعام الأساسي هو القوت ، والله سبحانه وتعالى من أسمائه المقيت .

بعضهم قال : القوت هو ما يقَوم بدن الإنسان من الطعام ، ويجعله قائمـاً . قـال ابـن عباس رضي الله عنه : المقيت هو المقْتَدر ؛ كيف ؟ لأن هذا الإنسان يحتـاج إلـى طعـام ، والذي خَلَقه خلق له الطعام ، وخلق له توافُقاً بين الطعام وبين جِسمه ، وخلق أجهزةً في جسمه تأخذ هذا الطعام وتَمتَصه ، وتستفيد منه . هناك عملية خلق ، وعمليـة توافـق ، وعمليـة استقبال . لِذلك المقيت هو المقتدر علماً وقوة ، فهذا الحليب الذي تُنتجه البقرة آلِيته معقدة جداً ، خلية الغُدة لثديية يمر فوقها أوعية شعرية فيها دم -وكأنها كائن عاقل - تختار من بين فَرث ودمٍ ؛ من بين الكريات الحمراء ومن بين البولة السائلة التي في الدم ، العناصر الأساسية من بروتينات ، ومواد دسمة ومواد شَحمية ، ومواد مقَوية ، ومعادن ، لِيكْون الحليب منها .

فالذي صمم هذه الكائنات على إنتاج هذا الحليب ، ثم توافق هـذا الحليـب مـع جِسـم الإنسان ، ثم وجود أجهزة في جسم الإنسان تستقبل هذا الحليـب ، وتهضـمه ، وتمتصـه ، وتجعله طاقةً .

فالمقيت هو المقتَدر إذْ أنه خلق ووفق ، وأفاد ، خلـق الطعـام ، ووفّـق بينـه وبـين خصائص الجِسم ، وهيأ له أجهزة تمتصه لِتستفيد منه .

فابن عباس يقول : المقيت هو المقتَدر .

أبو عبيدة يقول : المقيت هو الحفيظ ، ما الذي يحفظ لك هذا الجسم ؟ الطعام والشراب ، فَلو انعدم الطعام لأدى ذلك للموت . فَمن أسماء الله المقيت ؛ وهو الذي يخلق القوت ، ويحفظ بالقوت الإنسان ، وهو الذي يقتَدر بِعلمه وقُدرته على خلق القوت المناسب ، وملاءمته مـع

الجِسم ، وتهيئَة أجهزة تمتصه . قَصار المقيت : الحفيظ . والمقيت : المقتدر علماً وقُدرةً . والمقيت : هو الذي يخلق القوت .

وقيل : المقيت هو الذي يعطي أقوات الخلائق . قَلو تصور الإنسان وسأل نفسه ؛ كم من دابة تُذبح يومياً لِتوفير طعام البشرية ؟ فلو أخذ الإنسان خمسين غراماً من اللحم علماً أن عدد سكان العالم خمس مليارات نسمة قَكم يكون التقدير ؟ والمحاصيل كم طُن ؟ بلادنا المتواضعة

التي عدد سكانها إثنا عشرمليوناً أنتجت ثلاث ملايين طُناً . فماذا نقول عن بِلاد مثل الصين التي عدد سكانها مليار ومئتا مليون ؟ وماذا نقول عن بِلاد مثل الهند التي عدد سكانها أربع مئة وخمسون مليوناً ؟ وكم تُنتج من قمحٍ ولحم وخضار وفواكه ؟ من خلق ومن صمم وهيأ؟ هذا هو معنى المقيت .

وقيل : المقيت : هو الذي يعطي أقوات الخلائق . وقيل : المقيت: هو الذي خلق الخلق وساق لهم الأقوات . لو أن أحداً قَدم لك سيارة ومنعك من شراء البنزين لم تستفد أنت شيئاً ! إذ أنه من لوازم تقديم هذه المركبة إعطاء قسائم للوقود من أجل أن تسير بها ، فالتعريف دقيق ؛ هو الذي خلق الخلق ، وساق لهم الأقوات . فما دام قد خلق ، فقد رزق .

والشيء الدقيق قوله تعالى :

ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۖ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٠﴾

(سورة الروم)

لم يقُل ثم يرزقكم بل بالفعل الماضي تطميناً لكم . لو أنك أرسلت إنساناً إلى بلد أجنبي ، وأمنت له ما يحتاج إليه لِمدة خمس سنوات دفْعةً واحدة سلَفاً حتى يطمئن ؛ فجاء الفعل ماضياً ؛ الله الذي خلقكم ثم رزقكم .

فالمقيت هو الذي خلق الخلق ، وساق لهم الأقوات . وهذه الغَنَمة التي خُلقت خصيصاً لنا كل شيء فيها ننتفع به ؛ بدءاً من صوفها ، إلى جِلدها ، إلى لحمها ، إلى شحمها ، إلى دهنها ، إلى عظمها ، إلى أحشائها ، إلى قرنيها ، إلى رأسها ؛ فكل شيء في هذه الدابة ينتفع

الإنسان منه، وهي مصممة للإنسان خصيصاً ، ومصممة كي تتوالد بسرعة كبيرة ، وتحـوي أجهزة كأجهزة الإنسان تماماً ، من أجل أن تُعلّمه ماذا في أحشائه .

فقيل المقيت : هو الذي خلق الخلق وساق إليهم الأقوات ؛ الله عز وجل رب العالمين ، وأوصل إليهم الضروريات ، والكماليات ، ورزق قوت الأشباح ، وقوت الأرواح – الآن دخلنا بمعنى أوسع –المقيت : ساق قوت الأشباح ، وقوت الأرواح . والأشباح جمع شبحٍ وهو الجسم لأنه فانٍ والأرواح : المقصود بها النفس . كما أنه يوجد أقوات للأجساد ؛ هناك أقوات للنفوس ، والنفس قوتُها بالاتصال بالله عز وجل ، قوتُها بالسكينة التي ينزلها الله على قلوب المـؤمنين ، وشعورها بأن الله راضٍ عنها ، وبمعرفتها بربها وبالعمل الصالح الذي تتألق به ؛ هذا هـو قوت النفس .

فالآن كلمة قوت ، وكلمة مقيت هناك قَفْزة من قوت الأشباح إلى قـوت الأرواح ؛ مـن قوت الأجساد إلى قوت النفوس ، ومن الطعام والشراب إلى العلم ، ومن الفواكه إلى السكينة ، ومن الماء إلى التجلّي الإلهي الذي يهبط على القلب فَيملؤه سعادةً . قالوا : المقيت هو الـذي خلق الخلق، وساق إليهم الأقوات ، وأوصل إليهم الضـروريات والكماليـات ، ورزقَ قـوت الأرواح وقوت الأشباح . وقيل المقيت : هو المتَكفّل . أحياناً الإنسان يطعم ولكنه ليس مسؤولاً ، ولا مكلفاً ، ولا ملزماً ؛ لكن الله عز وجل قال :

﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦﴾

(سورة هود)

و" على " تُفيد الإلزام الطوعي الذاتي والله عز وجل ألزم نفسه برزق العباد ؛ " ما مـن دابة إلا على الله رزقها " فهو المتكفّل بايصال الأقوات إلى الخلق .

وذكر الرازي : المقيت من شَهد النجوى فأجاب ، وعلم البلْـوى فَكشـف واسـتجاب . فالمقيت هو الذي يخلق القوت ، والمقيت هو الذي يحفظ الإنسان من الجوع ، والهلاك جوعاً ، والمقيت هو الذي صمم قوتاً يناسب الجسد ، وخلق في الجسد أجهزةً تستقبل القوت ، وجعـل توافُقاً عجيباً بين بنية الإنسان ومكونات الغذاء . يقال أحياناً : هذا الحليب متوافق مـع السـن الفلاني ؛ فهو مدروس مع البروتينات والشحوم والفيتامينات فصار هناك اقتدار أساسه العلـم

والقُدرة . وصار هناك حفظ وإطعام ثم هناك قوت القلوب . وقوت القلوب : معرفـة عـلاّم الغيوب ، والاتصال بالله عز وجل .

وقوت القلوب الأمن الذي يملأ الله به قلب عبده المؤمن ، والمؤمن ممتلىء قلبه أمنـاً ، وممتلئة نفسه سكينةً ورِضاً واطمئناناً ؛ هذا هو قوت القلوب .

وكلكم يعلم أنه تمر على الإنسان فترات يذهب أين شاء ويأكل ما يشاء ويستمتع بِطيبات الحياة الدنيا ، ومع كل هذا الاستمتاع يشعر بِجوعٍ روحي، يريد أن يتصل بالله ، وأن يرضى الله عنه ، فإشباع الجسد لا يغْني الروح شيئاً ، فروحك ونفسك بِأمس الحاجة إلى قوت خاصٍ بها . فلو أن شخْصاً صلى صلاة متقنة وانهمرت دموعه في الصلاة ، أو قرأ القـرآن فَشَـعر بِسعادة كبرى ؛ يشعر بِالرِي ، ويشعر بالاكتفاء ، وأن الله عز وجل قَبِلـه ، وأقبـل عليـه ، وتجلّى على قلبه ، وأنزل على قلبه السكينة ، وكأنه حفظَه ، وكأنه غَفَر له وهذا هـو قـوت القلوب .

مثلٌ آخر أقرب ؛ لو أن أباً في البيت ، كل ألوان الطعام موجودة، وكل ألوان الألبسـة موجودة ، لكنه لا ينظر إلى ابنه إطلاقاً ولا يكلّمه فهل يكتفي هذا الابن بِالطعام الذي يأكله في البيت ، وبالشراب اللذيذ ، وباللباس الجيد ؟ لا يمكنه ذلك ، لأن الابن بِحاجة إلى ابتسامة مـن أبيه ، وإلى كلمة عطف ، وبِحاجة إلى أن يضع الأب يده على كتف ابنه ، وإلى أن يضـمه ؛ فالضم ليس طعاماً ، وبِحاجة إلى أن يقَبله أبوه ، والتقبيل ليس طعاماً . ووضع يده على كتفـه ليس طعاماً ، وكذلك على رأسه ، وأن يبتسم في وجهه ليس طعاماً ، أليس الطفـل الصـغير بِحاجة ماسة إلى قوت من نوع آخر ، يسميه المربون : أن يستَقي الحنان من أمه وأبيه ، وأن تضمه أمه إلى صدرها ، وأن يضعه أبوه في حجره ، وأن يبتسم في وجهه ، وأن يضاحكه ، وأن يداعبه ، وأن يلاعبه ، فهذه حاجة أساسية بِالإنسان . وكلما ارتقى الإنسان تصبح حاجته إلى هذا القوت المعنوي أشد من حاجته إلى القوت المادي . والإنسان عندما يقـوى إيمانـه لا يرى سعادةً أكبر من أن يشعر أن الله تعالى يحبه ، وأنه في عين الله ورعايته وتوفيقه ، ونحن بِحاجة إلى قوت القلوب .

وحينما يفتقر القلب إلى القوت يتصحر لأن الحياة منعدمة ، أحياناً البكاء يجعل الإنسـان يشعر بِسعادة ، وإن أرقى بكاء الإنسان أن يبكي بكاء الرحمة ، أُدخل لِعالم الإيمان وإلى عالَم القُرب من الله . كنت أدعو في بعض الأدعية : اللهم أخرِجنا من وحول الشهوات إلى جنـات القُربات ، القُرب جنة ؛ العفّة والاستقامة والصدق والأمانة والضبط وأداء العبـادات وتـلاوة كتاب الله ، هذا قرب ، وهذه جنة ، أخرِجنا من وحول الشهوات إلى جنات القُربات . فإذا أكل الإنسان أطيب طعام حتى امتلأ بطنه ، ونال من المباحات ما يشاء . وبعدئذ يشـعر بِـالفراغ

ويشعر بالملل والسأم ، لأن هذه الدنيا صغيرة ولا تُملأ قلب الإنسان ، ولا تُملأ نفسه إلا متناهية ؛ فهذه

لا يملؤها إلا القُرب من الله عز وجل . فأخذ القوت معنى آخر ، فأصبح لدينا قوت للقلوب، وقوت للأجسام . فَقُوت الأجساد الطعام والشراب ، وقوت القلوب معرفة الله والإقبال

كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾

إليه والقُرب منه ، لذلك أكبر عقاب يعاقب به الإنسان يوم القيامة قوله تعالى :

(سورة المطففين)

لو فرضنا أباً على مودة بالغة مع ابنه لو قال له : أُخرج ولا ترني وجهك! والله هذا القول هو أكبر عقاب للذي يملك حساسية والذي هو مدلل .

وفي بعض المعاجم المقيت هو الحفيظ . والحفيظ على وزن فعيل صيغة مبالغة ، يعني حافظ وحفيظ شديد الحفظ ، والمقتَدر علماً وقُدرةً ، والقدير والمقَدر . فالأغذية متوازنة بدقّة بالغة، ذكرت لكم من قبل أن الطفل الصغير إذا ماتت أمه قبل أن تُرضعه ، أو طُلقت ، أو خافت على رشاقتها فلم تُرضعه وأسقَيناه حليب البقر المعقم ، هناك مضاعفات خطيرة تحدث معه في المستقبل ، لأن المادة البروتينية في حليب البقر أربعة أمثال ما تحتَمله أجهزة الطفل الصغير لذلك يصاب بآفات قلبية ، وآفات وعائية ، وآفات في الكبد والكُليتين ، وتُعزى بعض الآفات القلبية والوعائية والكبدية والكلوية ؛ إلى أن الطفل حرم الرضاع من أمه ، هل تُصدقون أن حليب الأم يتبدل تركيبه في أثناء الرضعة الواحدة ؟ والآن كل معامل أغذية الرضع ، مكتوب على عبواتها لا شيء يعادل حليب الأم في الدرجة الأولى ، إذاً هناك تقدير وقدرة وعلم وحفظ .

مَّن يَشْفَعْ شَفَـٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن يَشْفَعْ شَفَـٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقِيتًا ﴿٨٥﴾

وردت كلمة المقيت في القرآن الكريم مرةً واحدة ، في سورة النساء قال تعالى :

(سورة النساء)

أي حفيظاً ويحفظ لكم أعمالكم كلها . "من يشفع شفاعةً حسنة" دلّتَ إنساناً على الله ، أو دلّتَه على أخ مؤمن ، أو عرفته بأخٍ صادق ، شفعتَ شفاعةً حسنة أي : نَتَج عنها خير عميم ، " ومن يشفع شفاعةً سيئة " : دلّته على معصية أو مخالفة أو على أسلوب لا يرضي الله في التعامل ، شفعتَ له شفاعةً سيئة ، قال تعالى : " من يشفع شفاعةً حسنةً يكن له نصـيب منها " له : اللام هنا لام الملكية : " ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها " سيدفع نصـيبه من هذا الأذى الذي سببه بشفاعته "

وكان الله على كل شيء مقيتاً " أي أن الله عز وجل يعلم كل شيء ، ويسجل كل شـيء ،ويحفظ كل شيء ، ويحفظ لك شفاعتك الحسنة أو شفاعتك السيئة . أحياناً تجد شخصاً ينصح آخر أن يرسل ابنه إلى بلاد أجنبي وابنه مراهق وفي مقتبل العمر وهناك فساد كبيـر فالـذي

وَلَا تُطِعۡ مَنۡ

أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ﴿٢٨﴾

يحصل في هذه البلاد في صحيفة من نصح ، لذلك قال تعالى :

(سورة الكهف)

فأي نصيحة تُؤدي إلى المعصية ؛ فهذه هي الشفاعة السيئة أية نصيحة تؤدي إلى منفعة ؛ فهي الشفاعة الحسنة ، قال تعالى :

مَّن يَشۡفَعۡ شَفَٰعَةً حَسَنَةٗ يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٞ مِّنۡهَاۖ وَمَن يَشۡفَعۡ شَفَٰعَةٗ سَيِّئَةٗ يَكُن لَّهُۥ كِفۡلٞ مِّنۡهَاۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقِيتًا ﴿٨٥﴾

(سورة النساء)

فإذا نصحت أحداً أن يحضر مجلس علم فكل خير يتأتى من هذا المجلس فـي صـحيفة الناصح ، ونصحتَ آخر على أكبر قياس حتى يتحصل على مئتي محطـة تلفزيونيـة فكـل سقوطه في الليالي الطويلة وراء هذه الأجهزة في صحيفة الناصح ، تجده يقـول لـك : هـذا الهوائي صغير حده سبعون نريد مئتين قال تعالى : " ومن يشْفَع شَفَاعةً سيئَةً يكُن لَه كفْلٌ منْها وكان الله علَى كُل شَيء مقيتًا " ، حفيظ أي مقتدر وحافظٌ وشاهد وشهيد .

وردت مادة القوت في سورة فصلت ؛ نحن عندنا كلمة وعندنا مادة ، والمادة في اللغـة مثلاً عين لام ميم مادة العلم ، هناك علم يعلم اعلم عالم معلوم معلم علامة تعليم ، فمادة علـم تحوي اسم فاعل ، واسم مفعول ، واسم مكان ، واسم زمان ، واسـم آلـة ، واسـم تفضـيل وصيغة مشبهة باسم الفاعل ، وفعل الأمر ، وفعل المضارع ، وفعل ماضٍ مجرد ومزيد ؛ كل هذه الكلمات أعضاء أسرة لِجد واحد مادة علم ، فكلمة مقيت وردت مرةً واحدة فـي القـرآن الكريم قال تعالى : " وكان الله على كُل شَيء مقيتًا " .

أما مادة القوت وردت مرة واحدة في سورة فصلت :

وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ مِن فَوۡقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقۡوَٰتَهَا فِيٓ أَرۡبَعَةِ أَيَّامٖ سَوَآءٗ لِّلسَّآئِلِينَ ١٠

(سورة فصلت)

أربعة أيام أي في أربعة فصول ؛ لولا ميلُ المحور لما كان هنـاك فصـول ! لـو أن الأرض محورها عمودي على مستوى دورانها لكانت الفصول ثابتة هنا صيف سرمدي لوجود شمس والأشعة هنا عمودية ، وهنا خريف وربيع سرمديان إلى الأبد ، أما ميل الأرض هكذا ، والشمس من هنا ، هنا عامودية فهنا صيف ، وهناك مائلة شتاء ، فلما عكست الآية صار هنا عامودية ، وهناك مائلة ، فَميل المحور جعل تقلّب الفصول وهذا هو قوله تعـالى : " وجعـلَ فيها رواسي من فَوقها وبارك فيها وقّدر فيها أَقْواتَها في أَربعة أَيامٍ سواء لِلسائِلين "

وبعض العلماء فرقوا بين اسم المقيت ، واسم الرزاق قالوا :

" المقيت : هو خالق الأقوات ، وموصلها إلى الأبدان وهي الأطعمة ، وإلى القلوب وهي المعرِفة ، قوت القلوب المعرفة وقوت الأبدان الأطعمة ؛ خلقها ووفقَها وأوصلها وانتفع الجِسم منها " ، عملية معقّدة . أحياناً تكون أمامك علبة لحم لكنك لا تستطيع أن تفتَحها فأنت لم تستفد شيئاً ، لكن الطعام الذي خلقه الله عز وجل يتوافق بِشكل عجيب مع حاجات الجسم ، وبِشـكلٍ أشد عجباً مع طبيعة الأجهزة التي تستقْبِله .

قال : " إن المقيت هو خالق الأقوات ، وموصلها إلى الأبدان وهي الأطعمـة ، وإلـى القلوب وهي المعرفة " إلاّ أنه أخص من الرزاق إذ الرزق يتناول القوت وغير القـوت قـال تعالى :

وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾

(سورة الواقعة)

الرزق يتناول القوت وغير القوت ؛ لكن العلماء الآخرين قالوا :

" هناك قوتان ؛ قوت للروح وقوت للجسد " .

ومن معاني المقيت ما يكتفي به في قوام البدن ؛ أكل لُقمتين فشبع واستطاع أن يمشـي فهو بهذا الطعام استطاع التحرك .

ومعنى مقيت أي ؛ مستولٍ على الشيء القادر عليه . تقول : مقيت علـى هـذا البيـت بمعنى متَملك على زِمامه ، أو مطّلع عليه وقادر على فهم كل خباياه . فإما قدرة ، أو علـم ، أو حفظ ، أو إطعام .

وقال بعض العلماء : " المقيت بمعنى الرزاق إلا أنه أخص منه " ، فأنواع البهارات هذه ليست قوتاً ؛ ولكن تُحسن الطعم . وهناك فاكهة كما يقولون وهي كذلك ليست طعاماً ولكـن تُحسن طعمه . أنواع الفواكه كذلك فهناك أنواع لذيذة الطعم ؛ ولكنها ليست قوتاً ولكنها مبالغة في الإكرام .

يمكن أن نسمي خالق هذه الأطعمة التي لا يحتاجها الإنسان يمكن أن تنطوي تحت اسم الودود . ويمكن أن تنطوي الأطعمة الأساسية تحت اسم المقيت . يمكن أن يدعوك شخص إلى الطعام ، ويقدم لك نوعاً واحداً ، ويمكنه أن يضع لك أنواعاً من حلويات ، ومقبلات ، وأزهاراً على الطاولة؛ هذا كله يزيد على حاجة الإنسان . فصار هناك مقيت ، و ودود . فهناك أطعمة تنطوي تحت اسم الودود وهناك أطعمة تنطوي تحت اسم المقيت .

الآن مع أدب العبد مع اسم المقيت . ما علاقتنا بهذا الاسم الجليل ؟ ، قال : الأدب الأول أن لا يقبل إلا الحلال الطيب ؛ فالله يطعمنا فلا ينبغي أن تأكل إلا الحلال الطيب . هناك قاعدة : لدينا شيء حرام لِذاته ، وهناك شيء حرام لِغيره ؛ فأكْل الإنسان لحم الخنزير ، هذا حـرام لِذاته أي لِذات الخنزير . و أن يأكل لحم الغَنَم دون أن يدفع الثمن هذا حرام ولكن ليس لِذاتـه وإنما لِغيره . فالحرمة الأولى حرمة لِذات الشيء ، والحرمة الثانية حرمة لِغَير ذات الشـيء وإنما لِطريقة تناوله . وإن كان الطعام الذي خلقه الله قد خلقه لنا إلاّ أننا لابد أن لا نأكل منـه إلا حلالاً بِكسبٍ صحيح مشروع .

فمن أدب المؤمن مع اسم المقيت أن لا يقبل إلاّ الحلال الطيب ؛ ليرتفع عند الله ذكره ، ويعظم أجره . هناك حديث للنبي صلى الله عليه وسلم جامع مانع : " يا سعد أطب مطْعمـك تكن مستَجاب الدعوة " .

(رواه الطبراني)

فالمال الذي يحوزتك ينبغي أن يكون حلالاً . فإذا كان حلالاً .

تشتري به طعاماً ، عند الله هو طيب . وإذا أكلت طعاماً طيباً لأن ثمنه حلال بمعنى أن كسبه مشروع ، خالٍ من الكذب ، والغش ، والتدليس ، والاحتكار ، ليس فيه تغيير مواصفات ، ولا إيهام ، ولا حلْف كاذب ، إذا كان الأصل حلالاً -مادةً وطريقةً -كـان المـال حـلالاً والطعام الذي تشتريه به طيباً ؛ عنْدئذ أطب مطْعمك تَكُن مستَجاب الدعوة .

روي أن سفيان الثوري : كان يتحرى الحلال من الرزق ، حتى كان أولاده يعانون من الفقر فجاءه رجل موسر بصرة مالٍ وقال له : إن هذا مالٌ حلال ورجاه أن يقبله منـه فقبلـه سفيان. وبعد قليل رد المال إلى صاحبه فقال أحد أبناء سفيان لأبيه : يا أبت ألـيس لـك أولاد بحاجة إلى هذا المال ؟ فقال له سفيان : أتُريد أن تأكل وتتنعم وأبوك يسأل عنه يوم القيامـة؟ أكاد أن أقول : إن تسعة أعشار الدين أن يكون الرزق حلالاً .

فأي كسبٍ للمال ؛ المادة مشروعة ، والحديثُ فيه صدق ، ووفاء بالوعد ، ودقة للسـعر ، ونصيحة للشاري ، ولا تدليس ، ولا غش ، ولا كذب ، ولااحتيال ، ولا مبالغة ، ولا تغيير مواصفات ، وكل شيء مشروع صار هذا المال الذي تكسبه مالاً حلالاً ، وينفعك نفعاً لا حدود له، ويبارك الله لك فيه بركةً ما بعدها بركة .

هناك أدب آخر ، ذكر بعض العلماء أن من أدب هذا الاسم أنّه إذا أتاك الغَداء أن تشاهد المنعم من خلال النعمة ؛ فكلنا نأكل لكن إذا جلس الإنسان ليأكل ورأى كأس شاي : من خلـق الشاي بهذا الطعم الطيب ؟ ومن خلق السكر ؟ ومن جعل الماء صافياً ؟ ومن خلق شيئاً نوقده أي نجعله يغلي ؟ فهذا الخبز : من خَلَق القمح ؟ وهذا الجبن ، وهذا اللبن ، وهذا الزيتون من صممه؟ ؛ شجرة مباركة . أكلتَ أرزاً من صمم هذا المحصول ؟ أكلتَ فاكهـةً ، فـإذا كـان الإنسان مع الله يتأثر دائماً ، لا يرى حين جلوسه إلى المائدة إلا نعمة الله ؛ وهذا شـعور راق جداً ، ولذلك يبدأ الإنسان بالبسملة ، ويحمد الله على هذا الطعام الذي خلقه الله له .

أحياناً : الإنسان : المئة ألف ليرة لا تساوي عنده رغيفَ خبز ، فالإنسان أساس حياتـه الطعام والشراب ؛ فإذا حرِمهما وكان معه المال الوفير فهذا لا يساوي عنـده ولا شـيئاً . إذا كان الإنسان في الصحراء وكاد يموت جوعاً حانت منه التفاتة فرأى بركة ماء عن بعد فأشرق في نفسه نور الأمل ، فلما وصل إليها شرب حتى ارتوى . ثم حانت منه التفاتة فـإذا بكـيسٍ مملوء ، كاد يختل عقله من شدة فَرحه ، ظن أن فيه خبزاً ، فلما فتحه لم يجد فيه إلاّ لآلـىء

فصاح وأسفاه هذه لآلىء ! إذْ إنه كان يتمنى الخبز . فاللؤلؤ بالمدينة له قيمـة أمـا إذا كـان بالصحراء وكاد يموت عطشاً ؟ ، فكأس الماء لا يعدلُه شيء حتى إن وزراء بعض الخلفاء قال له : يا أمير المؤمنين بِكم تشتري هذا الكأس من الماء إذا منع عنك ؟ قال : بِنصف ملكي قال : فإذا منع عنك إخراجه قال بِنصف ملكي الآخر . هناك نعم مشتركة لا أحد يعرف قيمتهـا ؛ فهناك ماء تشربه ، وهذا الماء يخرج بِيسرٍ بِلا انحباس . وهناك طعام تأكله ، وهـذا الطعـام تتمثله ويخرج بِلا انحباس ،

فَتَلَقِّي الطعام والشراب ، وخروج الطعام والشراب بِشكلٍ ميسور هذه نعمة لا يعرِفها إلا من فقدها .

إذاً : من أدب هذا الاسم ؛ أنه إذا أُتي لك بِغداء تشهد المقيت الواسع ، ومتـى عشـقَتْ روحك المقيت قَنيتَ في أنواره ، واجتَهدتَ في أذكاره ، فَتَأكل الطعام ويتجلّـى لـك واسـع الإكرام . النبي صلى الله عليه وسلم علّمنا أن نأكل بِيطء وأن نأكل ونذكر الله مـع الأكـل ، وقال عليه الصلاة والسلام :

أخرج العقيلي والطبراني في الأوسط عن عائشة رضي الله عنها عن النبي صـلى الله عليه وسلم قال: "أذيبوا طعامكم بذكر الله والصلاة، ولا تناموا عليه فتقسو قلوبكم".

لأن الإنسان إذا ذكر الله وهو يأكل ذكر نعمه العظيمة ، أحياناً يشتهي الإنسان أن يأكـل طعاماً تجد أفقر الناس هم الذين يأكلونه ، إذا صار التهاب المفاصل مع شخص منع من أكـل الحمص والفول ، وبعض أنواع اللحوم عندئذ يرى صحن الحمص أثمـن صـحن بِالحيـاة ، فَحينما يمنع ، يشتهيه . لذلك عندما يأكل الإنسان من دون قيود ؛ فهذه نعمة لا يعرفها إلا من فقدها . فالمؤمن إذا جلس ليأكل ينتقل من النعمة إلى المنعم ، ومن القوت إلى المقيت . ومـن هذا الإكرام إلى المكرم .

من التخلّق بِهذا الاسم الكريم ؛ أن لا تطلب حوائجك إلاّ من الله تعـالى ، لأن خـزائن الأرزاق بِيده . فعلى الإنسان أن يسأل حاجته ربه كلها فهناك أشخاص تهون عليهم نفوسهم ، ويبذلون ماء وجوههم لغير الله عز وجل لكن المؤمن لا يسأل إلاّ الله عز وجل .

ورد في الحديث الصحيح : " أن يا موسى اسألني كل شيء حتى شرك نعلـك وملـح قدرك.. " فأول أدب من اسم المقيت أن تتحرى الحلال الطيب ، والأدب الثاني ؛ أن تنتقل من القوت إلى المقيت ، ومن النعمة إلى المنعم ، والأدب الثالث ؛ أن لا تسأل حاجتك إلاّ الله تعالى .

بعض العلماء يذكرون أنواعاً من القوت ؛ منهم من جعل اللهُ قوتَه في المطعومات ؛ فهذا يعيش لِيأكل . حياتُه كلها طعام وشراب . ومنهم من جعل اللهُ قوتَه في الطاعات وهمه طاعـة

الله عز وجل . ومنهم من جعل اللهُ همه وقوتَه في المكاشفات والمشاهدات . فهناك إنسان يأكل ، وآخر يطيع ، وآخر يقْبِل ، فالإقبال قوت ، والطاعة قوت ، والطعام قوت .

وقد قال عليه الصلاة والسلام أبيت عند ربي يطعمني ويسقين . لكنه طعام من نوع آخر . يربكم هناك جلسات - وأنا أعرف ذلك - مباركة وطيبة وفيها تجلّي تخـرج منهـا وأنـت منتَعش ، وأنت في أعلى درجات السعادة فهذا قوت . قال عليه لصلاة والسلام :

عنِ الأَغَرِ أَبِي مسلمٍ أَنه قَالَ أَشْهد علَى أَبِي هريرةَ وأَبِي سعيد الْخُدرِي أَنهما شَهِدا علَى النبِي صلى اللهم علَيه وسلم أَنه قَالَ لا يقْعد قَوم يذْكُرون الله عز وجل إِلا حفتْهم الْملَائِكَةُ وغَشيتْهم الرحمةُ ونَزلَتْ علَيهِم السكِينَةُ وذَكَرهم الله فيمن عنْده

(رواه مسلم)

فهذه الجلسات التي فيها ذكر الله وفيها صفاء وإخلاص وتواضع هي من القوت الـذي ذكره بعض العلماء .

قال بعض العلماء : " القوت ذكْر الحي الذي لا يموت " ، وعلماء آخرون قـالوا : " إن الله جعل أقوات عباده وخلقه مختلفة ؛ منهم من جعل قوته الأطعمة والأشربة علـى اخـتلاف أنواعها ، وهم الآدميون وبعض الحيوانات . ومنهم من جعل قوته الطاعـة والتسـبيح وهـم الملائكة . ومنهم من جعل قوته المعاني والمعارف وهي العقول التي في الأجساد . وفي العقل " ، نظام يجمع المحاسن كلها .

ورد في الأثر : أن جبريل عليه السلام جاء إلى آدم عليه السلام وقال له : إنـي آتيـك بثلاثة أشياء فاختر واحدةً منها . فقال آدم : ما هي ؟ قال هي العقل والدين والحيـاء قـال : اخترتُ العقلَ فقال جبريل للدين والحياء انْصرفا فقد اختار العقل ، فقال الدين والحياء معـاً : إنا أُمرنا أن نكون مع العقل حيث كان .

بقي أن نعلم أيها الإخوة أن العبد إذا اشتغل بطاعة الله عز وجل، سخر له مـن يعينـه على تأمين حوائجِه كلها . وأما من شُغل بشهواته ، أوكله الله إلى ذاته . فالإنسـان المشـغول بذكر الله عز وجل قوتُه مؤَمن وحاجاته ميسرة . وهم في مساجدهم والله في حوائجهم ، وأمـا الذي يشتغل بشهواته ، يكله الله إلى ذاته -والإنسان ضعيف -وعندئذ يقع في حيـرة وشُـغلٍ وعناء ، يقول عليه الصلاة والسلام في بعض أدعيته :

" اللهم اجعل رزق آل محمداً قوتاً " وفي رواية : كفافاً فيما رواه عن أبي هريرة .

(رواه مسلم)

" اجعل رزق آل محمداً قوتاً "، وقال عليه الصلاة والسلام :

عن عبد الله بن عمرو قالَ قالَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم كفَى بالْمرء إِثْما أَن يضيع من يقُوتُ *

(رواه أبو داوود)

فأكبر إثمٍ ؛ أن تُضيع أولادك ، وأن تضيع نفوسهم ، فلا تُعرفهم بـربهم وأن تُضـيع أجسادهم فَتُهمل إطعامهم وكسوتهم ومعالجتهم ، فالعناية بالأولاد من أجل العبـادات ؛ " كفـى بالمرء إثماً أن يضيع من يقوت " و" اللهم اجعل رزق آل محمد كفافاً ".

إخواننا الكرام : اسم المقيت كل يوم ثلاث وجبات ، وبكل مجلس علم هناك مقيت ، أنت في البيت تأكل الطعام والشراب ؛ ينبغي أن ترى أن هذه مائدة الله عز وجـل . والأكمـل أن تُفَكّر في كل أنواع الطعام ، كيف خُلقت ؟ وكيف نَمت ؟ وكيف طُبخت ؟ وكيـف عولجـت ؟ فَيجِب أن تعبر النعمة عن المنعم ، والقوت عن المقيت . وإذا دخلت المسجد ؛ فَهنـاك قـوت آخر . لعلم قوت القلوب والاتصال بالله قوت ، والعمل الصالح قوت فالله عـز وجـل يقيـت الأشباح بالطعام ، ويقيت الأرواح بالعلم والمعرفة ونحن عالةٌ على المقيت جلّ جلاله ، خَلقنـا وخلق لِهذا الفَم ما يملؤ هو خلق أنفسنا وخلق لِهذه الأنفس ما يسعدها ، فَنحن بين لذّة الطعام ، ولذّة القُرب من الله عز وجل . وهذا الاسم المقيت يدور مع الإنسان مادام حياً . لذلك النبـي صلى الله عليه وسلم تَعظُم عنده النعمة مهما دقت ، وكلما عرفت اسم المقيـت تحتـرم هـذه النعمة التي بين يديك ، " يا عائشة أكرمي مجاورة نعم الله فإن النعمة إذا نفرت قَل ما تعود ،

وَإِذْ تَـأَذَّنَ رَبُّكُـمْ لَئِـن شَـكَرْتُمْ لَأَزِيـدَنَّكُمْ وَلَئِـن كَفَـرْتُمْ إِنَّ عَـذَابِى لَشَـدِيدٌ ﴿٧﴾

يا عائشة أكرمي مجاورة نعم الله فإن النعمة إذا نفرت قَل ما تعود "، وقال تعالى :

(سورة إبراهيم)

وقال تعالى :

وَإِن تَعُـــدُّواْ نِعۡمَـــتَ ٱللَّـــهِ لَا تُحۡصُوهَـــآۗ

(سورة إبراهيم)

أي أنتم عاجِزون عن إحصائها ؛ فَلأن تكونوا عاجِزين على شكرِها من باب أولـى لأن الإحصاء سهل ، فَلو جاءتك مئة هدية في مناسبة وِلادة، جلوسك ربع ساعة يكفيك لِكتابة كـل ما جاءك من هدايا ، أما أن ترد كل هدية بِثَمنٍ يقابِلها ؛ فهذه تحتاج لِجهد كبير . فـالله عـز وجل أشار إلى أننا عاجِزون عن إحصاء النعم بل إننا عاجِزون عن إحصاء نعمة واحدة فلأن نكون عاجِزين عن شكرِها من باب أولى .

والحمد لله رب العالمين

الدرس ٤٦ - اسم الله : "الجليل"

بسم الله الرحمن الرحيم

مع الاسم السادس والأربعين من أسماء الله الحسنى : والاسم هو الجليل ، أكثر الإخوة المؤمنين ؛ إذا قالوا الله ، قالوا بعدها جل جلاله . وذلك من أدب المؤمنين مع ربهم وسلامة فطرتهم ، وفي اللغة : جل يجِل أي عظم قدره ؛ والجليل من له الجلالة والعز والغنى والنزاهة ، والجليل : هو العظيم الذي يتنزه عما لا يليق به . والجليل : كاشف القلوب بأوصاف جلاله -قد يطلع قلب المؤمن ، قد يكشف قلب المؤمن بإذن الله عن بعض أوصاف جلال الله -فهو سبحانه يكشف للقلوب المنيبة بعض أوصاف جلاله ، ويكشف للأسرار بعض نعوت جماله . وكل ما في العالم من ؛ جلال وكمال وحسنٍ وبهاء ؛ فهو من أنوار ذاته ، وآثار صفاته . كلمة جلّ جلاله : أي عظم قدره وتنزه عما لا يليق به .

وقال بعض العلماء : " الجليل : هو المستَحق للأمر والنهي ، فهو وحده الذي يـأمر وينهى ، هو الذي يشرع . والجليل ، هو الذي يصغُر دونه كل جليل ، ويتّضع معه كل رفيـع ؛

وقيل الجليل : الذي جلّ قدره في قلب العارف بالله . الجليل : هو الذي جلّ قدره في قلوب العارفين -لو شققتَ على قلب المؤمن لرأيت فيه تعظيماً لله لا حدود لـه وخشـيةً لله لا حدود لها - ولقد عظم خطره في قلوب المحبين يعني :

لو قال تيهاً جز على جمر الغضا لمررتُ ممتَثلاً ولم أتوقف
أو كان من يرضى يخَدي موطئاً لوضعته أرضاً ولم استنكف

هذا إذا كان إنسان يحب مخلوقاً ، فكيف إذا كان المحب محباً لله عز وجـل ؟ قـال العلماء: هو الذي جلّ قدره في قلوب العارفين ، وعظم خطره في نفوس المحبين ، الجليل هو المستحق للأمر والنهي الذي يصغر دونه كل جليل ، ويتضع معه كل رفيع ، كاشف الأسرار بنعوت جماله .

أيها القارىء الكريم ؛ والجليل هو الذي جل في علو صفاته ، وتعـذّر بكبريائـه أن يعرف كمال جلاله ؛ فَعظَمته أعظم من أن تُعرف ، أو أن يحاط بها . أحياناً تلتَقي بإنسان عدة لِقاءات فتكشف بها كل جوانبه ، وتستَوعب كل إمكاناته لكن لا يمكن لِمخلوق أن يحيط بقـدر الله عز وجل. ولقد تحدث بعض الأئمة عن الفرق بين الجليل ، والكبير ، والعظيم .

فذَكر الإمام الغزالي " أن الجليل : هو الموصوف بنُعوت الجلال -ونعوت الجلال ، الغنى ، والملك ، والتقديس ، والعلم ، والقدرة " فهناك بعض الصفات تُحدث في النفس تعظيماً . الجليل : هو الموصوف بنعوت الجلال ، والجامع لِصفاتها جميعها ، وهو الجليل المطلـق ، والجليل المطلق هو الله تعالى . والكبير : هو الذي يرجع في صفاته إلى كمال الذات . فهناك كمال للذات وكمال للصفات - مجموع الصفات التي ترتبط بكمال الذات : الكبير. ومجمـوع الصفات التي تتعلق بكمال الصفات : الجليل . وأما العظيم : فهو الذي جمع صـفات كمـال الذات ، وصفات كمال الأفعال .

إن الإنسان حينما يذكر الله سبحانه وتعالى يحب أن يعبر عن تعظيمه له فكان هـذا الاسمجل جلاله حيث ما ذُكر اسم الله العلَم على الذات يذكر بعد اسم الذات أي يقول المـؤمن بعد اسم العلم على الذات كلمة الجليل أو كلمة جلّ جلاله .

حينما يدرِك الإنسان الصفات الظاهرة بعينه فهذا هو البصر ؛ ببصرك تدرك الجمال الظاهر ، وببصيرتك تُدرك الجمال الباطن . أحياناً تستمتع بفعلٍ كامل ؛ هو في حد ذاته جميل والجمال ليس متعلقاً بالنواحي المادية فَحسب ، بل قد يمتد إلى النواحي المعنويـة ، فـالموقف الكامل، هو من زاوية موقف كامل ومن زاوية أخرى هو موقفٌ جميل . تقول : فُلان يتمتـع بجمال الخُلق . لذلك قال بعض العلماء : إن صفات الحق أقسام ؛ صفات الجلال وهي العظمة والعزة والكبرياء والتقديس ، وكلها ترجع إلى معنى الجليل ، وصفات الجمال ؛ وهي صـفات اللطف والكرم والحنان والعفْو والإحسان ؛ وهذه هي صفات الجمال .

إذا اجتمعت أيها القارىء الكريم ببعض من ذهبوا لأداء فريضة الحج يقولون لـك : كنت وأنا في مكة المكرمة أشعر بالجلال ، فإذا ذهبت إلى المدينة المنورة أشـعر بالجمـال ، فهناك صفات الجلال ، وصفات الكمال . صفات الجلال ؛ صفات العظمة والعزة والكبريـاء والتقديس ، كلها ترجع إلى معنى الجليل . وصفات الجمال؛ هي صفات اللطـف ، والكـرم ، والحنان ، والعفْو ، والإحسان ، وكلها ترجع إلى معنى الجميل .

يقول بعض العلماء : صفات الكمال هي الأوصاف الذاتية التي دونها جميع العقـول والأرواح ، مثل اسمه القدوس ، وصفات ظاهرها جمال وباطنها جلال مثـل اسـم المعطـي المنعم ، وصفات ظاهرها جلال وباطنها جمال مثل اسم النافع والضار ، سأُوضح هذا بشـكلٍ مفصل :

إن الإنسان إذا أخذ من عطاء الله ولم يستَقم على أمر الله ، ولم يوظف هذا العطـاء في الحق فوراء هذا جلال ، أي قد يكون هناك عقاب ، أو شيء يدعو إلى الخوف . وهنـاك صفات ظاهرها جلال ، وباطنها جمال ؛ أحياناً ربنا يوقع الضرر بإنسان لكن هـذا الضـرر ينتهي به إلى التوبة ، والإقبال على الله . فالله سبحانه وتعالى له صفات جلال ، وله صـفات جمال ، وله صفات ظاهرها جلال وباطنها جمال ، فإذا أعطاك فهذا شيء جميل لكن إذا لـم يكن مع هذا العطاء استقامة سيكون بعد هذا العطاء تأديب . فيأتي الجمال أولاً والجلال ثانياً . أما إذا جاء التأديب فالإنسان يخاف ، ويشعر بالرهبة ، وأن الله تعالى كبير ، وأنه ينبغـي أن يرهب جانبه ، وبعد هذه الرهبة يأتي الجمال .

لذلك قالوا : حينما نقول الضار النافع ، والمعطي المـانع ، والخـافض الرافـع ، والمعز المذل ؛ هذه الأسماء ينبغي أن تُذكر معاً لأن الله سبحانه وتعالى لا يضر إلا لِينْفـع ، ولا يأخذ إلا لِيعطي كما ورد في بعض الأحاديث : " إن هذه الدنيا دار الْتواء لا دار استواء ، ومنزل تَرحٍ لا منزل فرح، فمن عرفها لم يفرح لِرخاء ولم يحزن لِشقاء " قد جعلها دار بلوى ، وجعل الآخرةَ دار عقبى ، فجعل بلاء الدنيا لِعطاء الآخرة سبباً ، وجعل عطاء الآخرة مـن بلْوى الدنيا عوضاً فَيأخذ لِيعطي ، ويبتَلي لِيجزي .

ينبغي أن تعتقد كما ورد في القرآن الكريم أن أسماء الله تعالى كلها حسنى ، حتـى اسم الجبار ، القهار المنتقم هي أسماء لله حسنى ، لو عرفْت حقيقتها لَذابت نفسك محبة لله عز وجل لكن هناك أسماء متعلقة بالجلال وأخرى بالجمال وهناك أسماء ظاهرها جلال وباطنهـا جمال ، وله أسماء ظاهرها جمال وباطنها جلال والعكس .

يقول بعض العلماء : " الجليل هو المستحق لأوصاف العلُو والرفعة." ويقول بعض العلماء : " واعلَم أنه تعالى يكاشف القلوب مرةً بوصف جلاله " فَأحياناً يشعر الإنسان بِحـالٍ طيبة وسرور وانْطلاق وبِفَرحة ؛ فالله جل جلاله يتجلّى عليه باسم الجميل . وأحيانـاً يشـعر بالخوف والقلق على مصيره هل له عند الله المكانة التي يتمناها ؟ وهل عملُه كما يرضـي الله عز وجل ؟ وهل نواياه بالشكل الذي يرضى الله عنه ؟ .

أحياناً يقع الإنسان في موقف أقرب إلى الخَشْية منه إلى الطمأنينة فإذا تجلى الله على الإنسان باسم الجليل امتلأ القلب خَشْيةً . وإذا تجلى الله على عبده باسم الجميل امـتلأ القلـب فرحةً ، وربنا عز وجل يقَلب هذا القلب البشري بين الخشية وبـين الطُمأنينـة ، إن ازدادت طمأنينته يخيفُه ، وإن ازداد خوفه يطَمئنه ، قال تعالى :

وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ
وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ
سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢١﴾

(سورة النور)

هناك منهج وكتاب مبارك وسنة وهناك آيات تدل على عظمة الله ، كل هذا شـيء طبيعي ولكن لولا أن الله يتولى بمعالجة القلب بِشَكلٍ مستمر لما زكا من عباده من أحد أبداً قال تعالى : " ولولا فضل الله عليكم ورحمتُه ما زكى منْكُم من أحد أبدًا ولكن الله يزكي من يشَاء والله سميع عليم "

كل إنسان قريب من الله ، يدرك أن على الله تربيتَه . كلمة تدل على اعتداد بـالنفس فبعدها تأديب الله تعالى ، وكلمة تبدر منه تدل على افتقار إلى الله فبعدها عطاء ، فالمفتَقر إلى الله ينْعم باسم الجميل . وهؤلاء الصحابة قالوا : لن نُغلب من قلة قال تعالى :

لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ۙ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ۙ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ
فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم
مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾

(سورة التوبة)

فعلى الإنسان أن يراقب قلبه ، فليس الإنسان عقْلاً وحده ، ولا قلباً وحده ، فالعقـل غذاؤه العلم ، والقلب غذاؤه الذكر والحب ، فَالإنسان إذا شعر أن قناعاته قوية ، واطمئنانه بالله زاد عن الحد المعقول فإن الله جل جلاله يتجلى باسمه الجليل فَيخاف -وحينما يزداد خوفه إلى درجة قد يقْعده الخوف عن متابعة الطريق ، يتجلى الله عليه باسم الجميل . وما سمي الحـال حالاً إلا لأنه يحول ويزول والإنسان يتقلب في الحال الواحد كما قال بعضهم : المنافق يثبـت على حالٍ واحدة أربعين عاماً ، بينما المؤمن من شدة خشيته ، وشدة حرصه ، على طاعة ربه ، وقَلَقه على مصيره عند ربه، يتقلب في اليوم الواحد أربعين حالاً .

ملَخّص هذا الكلام ؛ أن هناك صفات لله عز وجل ترجع إلى العظمة والقوة والقداسة والغنى ؛ هذه الصفات يجمعها اسم الجليل . وهناك صفات كالرحمة والإحسان واللطف والعفوِ والكرم ؛ فَهذه الصفات يجمعها اسم الجميل . والإنسان بين جمال الله وبـين جلالـه . بـين

الخوف والترقب ، وبين الطمأنينة والبشر ، وعلى الإنسان أن يتأدب مع الله عـز وجـل ، لا يحمله حاله مع الله على أن يتساهل لا بأقواله ولا بأفعاله ، وينبغي ألا يحمله اسم الجليل الذي يرهبه على أن يتراجع أو ينكمش ويقنط فالبطولة أن تجمع بين الخوف والرجاء .

قال بعض العلماء : " اسم الجليل يحتَمل أن يكون بمعنى المفْعل ؛ الجليـل : الـذي يجل المؤمنين ويكرمهم . فالمؤمن مكرم ، أحياناً تجد إنساناً مهاناً معذّباً خنوعاً ذليلاً يحوجـه الله إلى أتعس خلقه وأشقاهم ، ألم يقل الإمام علي كرم الله وجهه : " والله والله مـرتين لَحفْـر بئرين بإبرتين، وكنس أرض الحجاز في يوم عاصف بريشَـتَين ، ونقـل بحـرين زاخـرين بمنخَلين ، وغسل عبدين أسودين حتى يصيرا أبيضين ، أهون علي من طلب حاجة من لئـيم لوفاء دين " فالله عز وجل قد يحوج الإنسان أحياناً لعبد لئيمفيرده ويقنطه هذا اللئيم ليعـرف إحسان ربه إليه . سئِل الإمام علي كرم الله وجهه : ما الذلّ ؟ قال أن يقف الكريم بباب اللئـيم ثم يرده " فالله اسمه الجليل . أي يجِل المؤمن على أن يحوجه لِلئيم ألم يقل الله عز وجل :

وَلَن يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لِلۡكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ سَبِيلًا ﴿١٤١﴾

(سورة النساء)

" ولَن يجعلَ الله لِلْكافِرِين علَى الْمؤْمنين سبِيلا " هؤلاء الأشـخاص الشـريرون ، هؤلاء عصي بيد الله عز وجل يسلطهم على من يشاء من عباده ، والآية الكريمة :

فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسۡتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾

(سورة هود)

لذلك قلت مرة : هؤلاء الذين يذَلون ويسحقون ، و يسوق الله لهم من الشدائد ما لا يطيقون ، هم في الغالب هان أمر الله عليهم ، فَهانوا على الله . وإذا أردت أن تعرف ما لـك عند الله ، فانظر ما لله عندك ، هل أمر الله عندك عظيم ؟

حدثني أخ كان في بلد من البلدان الأروبية الشرقية وخرج من الفندق لِيلْتَحق بالمطار الساعة الثانية بعد منتصف الليل وكان الفصل شتاءً قارسًا ، والثلج يزيد على خمسة أمتـار ، الشيء الذي لا يصدق أنه رأى رِجْلاً من الأشخاص يزيد طوله على خمسمئة متر وكان هؤلاء

واقفين ينتظرون أن يوزع عليهم اللحم غداً الساعة الثامنة ؛ من الساعة الثانية ليلاً إلى الساعة الثامنة صباحًا وكل هذا من أجل أن يأخذوا قطعة لحم صغيرة يأكلونها مع أسـرهم ، فأحيانـاً تجد إنساناً مقهوراً ومعذّباً ومهاناً وذليلاً ومصيره بيد عدو له ويتفنن بإيقاع الأذى به . فمـاذا نقول ؟ نقول : الله جليل : أي يجل المؤمن من أن يذيقه هذا العذاب ، ومن أن يحوجه إلى لئيم ؛ ومن بعض الأدعية في هذا المقام :

" اللهم صن وجوهنا باليسار ولا تبذلها بالإقتار ، فَنَسأل شر خلقك ، ونُبتلى بحمد من أعطى ، وذم من منع ، وأنت من فوقهم ولي العطاء ، وبيدك وحدك خزائن الأرض والسماء " .

فأول معنى من المعنى اللغوي لاسم الجليل : هو المفْعل : أي يجِلّ المؤمن عـن أن يذله، أو عن أن يقهره وعن أن يحوجه إلى لئيم ، فالله جليل وإذا كنت مع الله فَلَك العز ، ولك الكرامة لأنه يجِلّ المؤمنين ويعظمهم ويكرمهم ، وأرجو الله أن أوضح للقراء الكـرام هـذه الحقيقة ، المؤمن غالٍ على الله وليس بهين ، وحياته مقدسة ، وعملـه مقـدس ، وحركاتـه وسكناته في حفظ الله ويكفينا قوله تعالى :

وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ

ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٩﴾

(سورة الأنفال)

أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٣﴾

(سورة التوبة)

إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ

(سورة البقرة)

وهذه المعية الخاصة التي تعني : النصر والتأييد والحفـظ والتوفيـق. يصـراحة : فللمؤمن خصوصية من الله عز وجل ؛ ومن كمال تربيته أن يجعل للمؤمن خصوصية ؛ وهي خصوصية النصر والتأييد والنصر والحفظ والطمأنينة ، قال تعالى :

فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ

(سورة الأنعام)

النبي عليه الصلاة والسلام في مرضه أعطي دواء ذات الجنب فَغَضب وقـال ذاك مرض لم يكن الله لِيصيبني به وهذا من إحسان الظن بربه ، فالمؤمن لا يتألى على الله ولكنـه يحسن الظن بالله . والتألي على الله موضوع آخر . مثلاً هنيئاً لك أبا السائب لقد أكرمـك الله فهذا تألٍ على الله. أن تقول فُلان مصيره إلى الجنة من غير العشرة المبشرين هذا تألٍ علـى الله . نحن نرجو له الجنة . فأكبر إنسان ليس ممن شهد لهم النبي صلى الله عليه وسلم بالجنة . نقول : نرجو له الجنة. فالرجاء هو الأدب . أما أن تقول : هو في الجنة ، أو هو في النار ، فَمن أنت ؟ أنت عبد والتألي على الله ليس من خلق المؤمن ، ولكن من أخـلاق المـؤمن أن يدعو لإخوانه بالمغفرة ، والجنة . قبل أن ننتقل من هذه الصفة بمعنى المفْعل ، الجليل بمعنى المجِلّ أي : يجِلّ المؤمن ، ويرفع مقامه نقف عند قول الله بحقّ نبيه ، ألم يقل الله عز وجل :

وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾

(سورة الشرح)

فالله يرفع اسم المؤمن عالِياً . المؤمن متألق . وكل حظوظ النفس حيادية ، فَلْـك أن ترتفع بالباطل ، والقهر ، وبالقوة ، والاستعلاء ، والغنى ، ولك أن ترتفع بالكمـال ، كلاهمـا رِفْعة، ولكن رِفعة الدنيا آيلة إلى زوال ، ولكن رِفعة الكمال إلى استمرار . فالقوي مرهـوب الجانب ، ويخافه الناس لكنه يخافونه مادام حياً ، أما إذا مات تأتيه اللعنات من كل جانـب إذا كان يؤذي العباد . مثلا تجد معلماً قاسياً جداً . طلاب الصف كلهم يخافونـه طـوال السـنة الدراسية ، أما حينما ينتهي العام الدراسي ، وينصرف الطلاب يسخرون منه . قال الحكماء : الأقوياء ملكوا الرقاب ، والأنبياء ملكوا القلوب . وأنت بِقوتك تملك رِقـاب النـاس ، ولكـن بِكمالك تملك قلوبهم . ملك الرقاب يزول ، ولكن ملك القلوب لا يزول . أوضح مثل أن تذهب إلى المدينة المنورة، وانظر هؤلاء الناس الذين جاؤوا من كل حدب وصوب ، يقفـون أمـام رسول الله بِكل أدبٍ وحبٍ وبكاء وما عرفوه وما رأوه وما نالوا من عطاء الدنيا منه شيئًا .

فَلذلك الأنبياء ملكوا القلوب وملكوها ملْكاً مستَمراً . والأقوياء ملكوا الرقاب وملكوها زمناً مؤقتاً ، فَبِهذا الاسم يشعر الإنسان بالطمأنينة قال تعالى :

فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ ۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ ۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾

(سورة هود)

قال العلماء : والجليل : بمعنى المفْعول ، كيف أنه مفعول ؟ أي ينبغي أن يعتَـرف العاقل بجلاله ، وكبريائه ، وعظمته وقدسيته ، وتنزهه عن كل ما لا يليق به فالعاقل ينبغـي أن يقول جل جلاله ، وعز نواله ، بمعنى المفعول أي المجلّ المعز .

وهناك معنى ثالث في اللغة : بمعنى فَاعل ، الجليل أي هو الموصـوف بـالجلال ، فَإما أنه موصوف بالجلال فهو فاعل ، أو ينبغي أن يجل فهو المفعول ، أو بمعنى مفْعل يجِـلّ المؤمنين، ويرفع قدرهم ، والله عز وجل إذا أحب عبداً ألقى محبته في قلوب الخلق

ينادى له في الكون أنا نحبه فَيسمع من في الكون أمر محبنا

ولتعلم أيها القارىء الكريم يقينًا أنه ، إذا أحبك الله جل جلاله ، سخر عدوك الالـدود لِخدمتك . وإذا غضب الله على إنسان ، ألْهم أقرب الناس إليه بالتَنَكر له . زوجته تتنكـر لـه وابنه الذي من صلْبه قد يضربه . إذا أحب الله عبداً ، ألقى حبه في قلوب الخلق . والإنسان لا يعلق أمله لا بزوجته ولا بوالده ولا بمخلوق ، لو كنت متخذاً من العباد خليلاً لكان أبـو بكـر خليلي ؛ ولكن أخ ، وصاحب في الله . وهذا هو التوحيد ، أحياناً تجد أباً يعلق كل آماله بابنه ، ثم لا يكون من هذا الابن إلا أن يذهب إلى بلاد أجنبي وينال جنسية ذلك البلاد ، ويتزوج بأجنبية ، ويقطع علاقته بوالده، وقد يغَير دينه ، وقد لا يستقبل أباه إن زاره ، لذلك على الإنسـان أن يعلق كامل ثقته بالله .

اسم الجليل لم يرِد في القرآن الكريم ، لكن مادته وردت قال تعالى في سورة الرحمن :

كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾

(سورة الرحمن)

طبعا يبقى وجه ويفنى ما سواه ؛ الوجه من الـذات إذاً هـو سـبحانه ذو الجـلال والإكرام وكذلك ورد في ختام السورة في آخر آية منها :

تَبَـٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَـٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾

(سورة الرحمن)

أكرر ؛ لم يرد اسم الجليل في القرآن الكريم إطلاقاً وإنما وردت مادته فـي سـورة الرحمن في أولها وفي ختامها .

هل يقال لِفُلان جليل القَدر ؟ نعم لا يمنع أن نقول هذا وتقول : فلان له قدر جليـل وفلان جليل القدر ، قال العلماء : يقال هذا لمن حسنت صفاته الباطنة التي تستَلذها القلوب أما الصفات الظاهرة فهي أقل قدراً ، فمن حسنت صفاته الباطنة ؛ تجـد هنـاك أدب ، وحلـم ، ورحمة ، وانصاف ، وتواضع ، وغيرة، ومؤاثرة يمكن أن نصفه بأنه جليل القدر .

في الأثر : تخلقوا بأخلاق الله ، فالله عز وجل جليل فإذا كنت مستقيماً وترفعت عن النقائص ، وعن اللغو ، وعن كثرة المزاح ، وعن سفاسف الأمور صرت في نظـر النـاس جليلاً ، يقولون : الأستاذ الجليل كما يقال ، وكذلك الأخ الكريم . فالإنسان حينما يترفـع عـن السفساف ، وصغائر الأمور وعن الدنيا الدنية وعن حظوظه الدنيوية ، وعن القيل والقـال ، وكثرة السؤال ، وإضاعة المال ، وعن الجزئيات . وعن إضاعة الوقت ؛ مثل هذا الإنسان له قدر عند الناس جليل، فمن باب تخلقوا بأخلاق الله يمكن أن تكون كاملاً ، والكمال يجلب لـك مكانة عند الله وعند الناس .

الإمام الرازي يقول : " الجليل من العباد من خلا مـن العقائـد الزائغـة الأخـلاق والذميمة " فعقائده صحيحة ، وأخلاقة كاملة . فإذا أُصيب بخلل بعقيدته لم يصبح جليلاً ، وإذا كان هناك انحراف بسلوكه لم يصبح جليلاً كذلك ، فاستقامة العقيدة مع استقامة السلوك ، تجعل الإنسان جليل القدر . الحقيقة عندما يكون الإنسان سخيفاً وخفيفاً وثرثاراً ويحشُـر أنفـه فـي موضوعات لا تعنيه ليس له قدر عند الناس إطلاقاً . أما إذا كان هنـاك وقـار، واسـتقامة ، وضبط للسان ، والجوارح ، واعتناء بمظهره ، ودقة بعمله ، هذه الصفات الكاملة ترفع قدره ، وتجعله جليلاً في نظر الناس . إذاً براءة الإنسان من العقائد الباطلة والأخلاق الذميمة تجعله جليلاً . واتصافه بالمعارف الحقّة ، والأخلاق الفاضلة تجعله جليلاً .

ومن بعد فها نحن أمام أدب المؤمن مع الجليل : فعليه أن يتحلى بالكمـال لأن الله عز وجل كامل ويحب الكامل ، وهو عفُو ويحب العفو ، وكريم يحب الكريم ، فـإذا أردت أن تقترب من الله عز وجل ، فاقترب من صفاته وأسمائه وتذكر أنه هو الذي أفاض عليك الجمال

، سواء أكان جمال صورة ، أم جمال حس ، أم جمال نفس . والإنسان إذا حدثته نفسه بما لا يليق بالله عز وجل، ووسوس له الشيطان شيئاً ، فَلْيذكُر اسم الجليل . ويجب أن تستحيي من الجليل وأن تستحيي من الله حق الحياء ، قيل وما حق الحياء قالوا :

" أن تحفظ الرأس وما وعى ، والبطن وما حوى ، وأن تذكر الموت والبلى " ، " ومن لم يكن له ورع يصده عن معصية الله إذا خلا ، لم يعبأ الله بشيء من عمله " ركعتان من ورع خير من ألف ركعة من مخلط "، " ولا تجعل الله عز وجل أهون الناظرين إليك " .

فإذا كان الإنسان يستحي من الضيف ، ويضبط كلامه ، وصوته معتدل ، ويرتدي لِباساً جميلا ، وبيته مرتّب ، فعليه ألا يجعل الله عز وجل أهون الناظرين إليه ، فإذا كان الإنسان بِخَلْوة فلا يتكلم بكلام غير لائق ، ولا يتبذل إلى درجة غير معقولة بثيابه ، ولا يعمل أعمالاً لا تُرضي الله ! فَمن أدب المؤمن مع اسم الجليل ؛ أن يوقر الجليل في خلوته ، والمؤمن الصادق يشعر دائماً أن الله معه وقد ورد في بعض الأحاديث :

ما الإحسان قَالَ أن تَعبد الله كأنك تَراه فَإن لَم تَكُن تَراه فَإنه يراك ... *

أيها القارىء الكريم : لا يستطيع الإنسان في عجالة أن يتحدث عن اسم الجليل إلا بالقدر الذي سمح الله به لِقوله تعالى :

وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ

(سورة البقرة)

وقوله تعالى :

وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا

قَلِيلًا ﴿٨٥﴾

(سورة الإسراء)

لكن ملخص الملخص : أن هناك مجموعة من صفات الله عزوجل ، تتعلق بعظمته ، وقوته ، وعلمه ، وقدرته ، وغناه ، وقدسيته ، وهذه المجموعة من الصفات ، مجتمعة في اسم الجليل . ومجموعة أخرى متعلقة برحمته ، و إحسانه ، ولطفه ، وبره ، وعفوه ، وعطفه ؛ وهذه متعلقة باسم الجميل . وإذا قلنا إن الله جميل : أي أن البصائر تُدرِك جماله والإنسان إذا كان مع الله ، فالله يجلّه ، ويعلي قدره ، ويربأ به من أن يضعه في الوحول ، أو أن يحوجه إلى عبد لئيم ، فأنت مع الجليل ، جليل . وأنت مع القوي قوي .

وقد ورد في بعض الأدعية : إلهي كيف نُضام في سلطانك ؟! وكيف نذلّ في عزك ؟! وكيف نفتقر في غناك ؟! فحسن ظنّنا بالله يجعلنا لا نفتقر في غناك ولا نذل في عـزك ولا نُضام في سلطانك .

وكخلاصة موجزة: الجليل بمعنى المفْعل الذي يجِل . وبمعنى المفعول الذي ينبغـي أن يجلّ، وبمعنى الفاعل وهو الجليل .

أرجو الله سبحانه وتعالى ، أن تكون هذه الأبحاث أبحاث أسماء الله الحسنى -منطلَقاً لنا للإقبال على الله وللاتصال به ، والسعي إلى مرضاته لأن معرفة الله لا يعلو عليها شـيء في الحياة ، والمعرفة أصل الدين كما قال عليه الصلاة والسلام فيما ورد عنه ، ولقد ذكـرت من قبل أن الإنسان إذا عرف الله ، تفانى في طاعته . أما إذا لم يعرفه وعرف أمره ، تفنن في التفلت من أمره وبين التفاني والتفنن بون شاسع ، إذا عرفته تتفانى في طاعته ، وإذا لم تعرفه ، تتفنّن في التفلّت من أمره ،

والحمد لله **رب العالمين**

الدرس ٤٧ - اسم الله : "المجيب"

بسم الله الرحمن الرحيم

مع الاسم السابع والأربعين من أسماء الله الحسنى ؛ والاسم هو المجيـب ، وفـي اللغة : الإجابة والاستجابة بمعنى واحد ، قال تعالى :

أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ

(سورة الأحقاف)

فالاستجابة والإجابة بمعنى واحد ، إلا أن الإجابة فعلها رباعي ، والاستجابة فعلهـا سداسي ؛ أجاب ، أو استجاب . و كلمة مجيب كاسم من أسماء الله الحسنى لها معنيان :

- المعنى الأول : الإجابة .
- المعنى الثاني : أن يعطي الله السائل مطلوبه .

فإذا سألت إنساناً ، يجيبك ، وإن سألته حاجةً ، يعطيك . فإما أن تكون الإجابة بيانيةً ، وإما أن تكون الإجابة عطاء ؛ إجابة بيانيةٌ ، وإجابةُ عطاء ، معنيان من معاني الاسـتجابة التي وردت كاسم من أسماء الله الحسنى .

والمجيب في حق الله تعالى : هو الذي يقابِل مسألة السائلين بالإسعاف ، فأنت فـي العلاقات الاجتماعية ، لو سألت إنساناً يستمع ويرى ويتمتع بأخلاق عالية لو سألته شيئاً لا بـد أن ترى استجابةً ؛ أو اعتذاراً أو ترحيباً أو وعداً أو بياناً : فالإستجابة صـفة مـن صـفات الإنسان لكنها اسم من أسماء الله الحسنى قال تعالى :

وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾

(سورة البقرة)

لا أُبالِغ إن قلت : إن أكثر ما يحتاجه الإنسان في الدين هو الدعاء ، حينما يدعو ربه ، يعلم أنه سميع ، وحينما يدعو ربه يعلم أنه بصير، وحينما يدعو ربه يعلم أنه قدير ، و حينمـا يدعو ربه يعلم أنه رحيم ، وحينما يدعو ربه يعلم أنه عفو ، فبالدعاء يتوجه الداعي إلى معانٍ كثيرة ، فأنت حينما تسأل ، تسأل غَنياً ، وحينما تسأل ، تسأل قوياً . وحينما تسـأل ، تسـأل رحيماً، وتسأل محباً . فلو أن هناك شخصاً لا يحبك لا تسأله ، لو أنه ضعيف لا تسأله ، ولـو أنه فقير لا تسأله ، لو أنه عدو لا تسأله ، ولو أنه حاقد لا تسأله ؛ إذاً من تسأل ؟ تسأل مـن يسمع ، تسأل من يحبك ، تسأل من يقدر على إجابة طلبك تسأل من يستجيب لك تسـأل مـن يبصر حالك ، من يعلم ومن يسمع ، وبمجرد دعائك لله يعني أنـك تعرِفـه ، والإنسـان لـه إحساس عام ، فأحياناً يمشي في طريق يسأل عن شخص ، فتَجِده يسأل البقال إذْ يقـول هـذا الذي يسكن هنا لا بد من أن يتردد على هذا البقال . فأنت لا تسأل إنساناً عابرا في الطريق ، وإنما تسأل بقالاً ، مثلاً فراقب نفسك حينما تسأل ؛ تجد أنك تسأل من يعلم ، ومن يبصر ومن يسمع ، والذي يقتَدر ، والغني ، والرحيم، المحب ، العفو .

فَلذلك المجيب : اسم من أسماء الله الحسنى . وزوال الكون أهون على الله مـن أن تدعوه فلا يستجيب لك ويستجيب لك بِشَكلٍ أو آخر ، إما أن يطمئنك ، وإما أن يعطيك ، وإما أن يلْقي في روعك أن هذه الحاجة لا تناسبك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

عن سلْمان الْفَارِسي عنِ النبي صلى الله عليه وسلم قَالَ إِن الله حيي كَرِيم يستَحيي إِذَا رفَع الرجلُ إِليه يديه أَن يردهما صفْرا خَائِبتَين *

(رواه الترمذي)

والمجيب في حق الله تعالى : هو الذي يقابِل مسألة السائلين بالإسعاف ، مثل أضربه لكم كثيراً وأردده ، لو أنك في زمن الشتاء ، وترتدي ثياباً سميكةً ومحكمةً ، وتحمـل بِيـدك اليمنى حاجةً ويسألك الطفل الصغير كم الساعة ؟ أنت مضطر أن تضع حاجتك على الأرض لِتَرى الوقت وتجيبه ، فهذا طفل صغير يسألك فَتَشعر بالواجب أن تُجِيبه ، وأنت إنسـان فـي قلبك ذرة من الرحمة لا تعدل شيئاً بالنسبة لرحمة الله ولا تستطيع إلا أن تجيبه ؛هو طفلٌ وقد يسألك ترفاً أو عائبا ، وعن غير حاجة ، كان فيك أيها الإنسان ولو ذرة كمال فلا تستطيع إلا أن تجيب ، فكيف بِخالق الأكوان وبالواحد الديان ؟

لذلك المجيب في حق الله تعالى : هو الذي يقابِل مسألة السائلين بالإسعاف ، ويقابل دعاء الداعين بِالإجابة ، ويقابل ضرورة المضطرين بِالكفاية .

بل إن معنى المجيب ينْعم قبل النداء - وهذا معنى جديد من معـاني المجيـب الأب الرحيم المقتدر والغني إن رأى ابنه بِحاجة إلى معطف في أيام البرد ، هـل ينتظـر الأب أن يسأله ابنه شراء هذا المعطف ؟ يشتريه له ويقَدمه له قبل أن يسأله، فَمن معاني المجيب أنـه

ينعم قبل النداء ، ويتفضل قبل الدعاء ، ولكن لماذا أحياناً يتأخّر العطاء إلى ما بعد الـدعاء ؟ هنا نقطة دقيقة الدلالة جداً مفادها أن الله تعالى يحب أن تدعوه ، وأن تلجأ إليه ، وأن تتصـل به ، وأن تناجيه ، وأن تُمرغ وجهك في أعتابه ، ويحب أن يسعدك بالاتصال بـه ؛ فَيجعـل حاجتك وسيلة لِهدف هو الاتصال والتعبد . وهذه نقطة مهمة جداً ، قد يحوجك إلى شيء ، وقد يخيفك من شيء ، وقد يلوح لك شبح مصيبة من أجل أن تسأله ، وتفزع إليه ، وتتصل بـه ، وتلوذ بِحماه ، ومن أجل أن تُصلي وتدعوه ، ومن أجل أن ترجوه ؛ لأنك بهذا الدعاء ، وذاك الاتصال ، وهذا الرجاء تسعد ، وإجابة السائل هي الوسيلة .

إن التضرع في الدعاء هو الهدف ، فأحياناً تمسك بِيدك حاجةً يحبها ابنك الصـغير وتلوح بها ، والقصد من هذا أن يأتي إليك ، فَإتْيانه إليك هو الهدف، والحاجة هي الوسـيلة ، فإذا فهمت على الله قصده في إسعادك رأيت المصائب وسائل والاتصال بالله هو الهدف ، فالله خلقك لِيسعدك، وهو تعالى يعلم حاجة المحتاجين قبل سؤالهم ، والدليل : خلقنا وخلق ما نحتاج إليه ، هل تعلم مكونات الحليب ؟ فهي تتوافق توافقاً تاماً مع حاجة الإنسـان ! وهـل تعلـم مكونات الحنطة تتوافق توافقاً تاماً مع حاجة الإنسان ؟ وهل تعلم جو الأرض الطبيعـي فهـو يتوافق توافقاً تاماً مع حاجة الخلق ؟ وهل تعلم أن حجم الأرض الذي يقتضي لك وزنـاً فـي الأرض ، فهو يتوافق توافقاً تاماً مع أنسب حالة تعيشها ؟ فلو وجدت الأرض ملأى بِكل مـا تحتاجه ؛ فأنت تحتاج إلى معادن تنصهر بِدرجة معينة كالرصاص مئة درجة ، وتحتاج إلـى معدن يتمدد عند التبريد من أجل أن تعامل الحديد مع الحجر ، وتحتاج إلى معـدن خفيـف ومتين من أجل أن تصنع منه بعض الأواني والأدوات ، وتحتاج إلى معدن ثمين يكون قيمـاً للأشياء ، وتحتاج إلى معدن كثيف كالحديد ومتين، فلو درست حاجات البشر كلهم لعرفـت أن الله علمها ووفرها لهم قبل أن يخلقهم ، وأنت بِحاجة إلى أزهار تبعث فيك البهجة فَخَلَـق لـك أنواعاً منها لا يعلمها إلا الله ، وبِحاجة إلى مادة تُرمم جِسمك ، خلق لك اللحـوم والحيوانـات التي ذللها لك ؛ فهذا كله قبل أن تسأله ، فكر بِظاهرة النبات فأنت بِحاجة إلى أن تنظف أسنانك ، خلق لك الخلة والسواك . وبِحاجة إلى أن تنظف جِسمك ، فخلـق لـك الليـف الطبيعـي . وبِحاجة إلى ظلٍ ظليل ، فخلق لك أشجار الزينة . وبِحاجة إلى نبات يكون حداً بينـك وبـين جارك ، فخلق لك النبات الحدودي . وبِحاجة إلى الفواكه كي تتنعم بهـا خلـق لـك الفواكـه بأنواعها التي لا تُعد ولا تُحصى . وبِحاجة إلى أولاد يؤنسون وحشتك فشرع لك نظام الزواج . وبِحاجة إلى زوجة تكمل وجودك خلق الذكر والأنثى

فهذه كلها حاجات خلقها لك قبل أن تسأله إياها . أنت بِحاجة إلى ماء وإلى هطـول أمطار ، فخلق المسطحات المائية الواسعة أربعة أخماس الأرض بِحـار ، وخلـق الشـمس وجعلها قريبة بعيدة- فالمجال لا يتسع لذكر كل شيء -ولو أمضيت حياتك كلها فـي تَعـداد

النعم التي خلقت لك وأنت لا تعلم ! ومن قبل أن تخلق ، لعرفت ما معنى أن الله يعلم ما تحتاج إليه قبل أن تسأله . هو مجيب ومن معاني مجيب أنه يجيبك قبل أن تسأله ! والشواهد حـول هذا الموضوع تفوق الحصر ؛ الطفل الصغير يشرب الحليب من ثدي أمه ، وحليب الأم ليس فيه حديد ، وهو محتاج للحديد من أجل تكوين خُضاب الدم، إذاً أودع الله في طحـال الوليـد كمية حديد تكفيه سنتين إلى أن يأكل ! والوليد بحاجة إلى رضعات تذيب الشحوم التي أودعها الله في جهازه الهظمي ؛ فأول أربع وعشرين ساعة من عمر الطفل يأخذ من ثدي أمـه مـادة ليست حليباً ، ولكن هي مادة مذيبة تذيب الشحوم التي في جهازه الهضمي . أنت بحاجة إلـى دورة دم داخلية قبل أن تولد ، الله جعل ثقب بوتال بين الأُذَينَين ؛ فالدورة الدمويـة داخليـة . فحينما يولد الطفل الصغير يحتاج إلى هواء تأتي جلطة تُغلق هذا الثقب فَتَنْتَقل الدورة من دورة صغرى إلى دورة كبرى فَبيد من هذا ؟ أنت بحاجة إلى قلب يدفع الدم وبحاجـة إلـى أوردة وشرايين مرنة ليندفع الدم فيها ، فالله جلّ جلاله يجيب قبل أن تسأل ، كل ما في الكون مصمم ومسخّر للإنسان ؛ والدليل قوله تعالى :

وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾

(سورة الجاثية)

الكون كله مسخّر لك بدءاً من الأرض وانتهاء بالمجرات مسخر لهذا الإنسان الـذي قبل حمل الأمانة ، قال تعالى :

إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾

(سورة الأحزاب)

فهو يعلم حاجة المحتاجين قبل سؤالهم . يخلق الأطعمة والأقوات، وييسـر الأدوات والآلات الموصلة إلى جميع المهمات . فهذه البقرة بحاجة إلى حليبها فكيف تستفيد منهـا ؟ لا بد من أن تكون مذلّلة ، وكيف تعلم أنها مذللة؟ تُصاب أحياناً بمرض التوحش فَتَقْتُل الإنسـان مما يضطر صاحبها إلى قتْلها لِيمنع أذاها عن الناس . إذاً هي مذللة وينبغي أن تعلم أنها مذللة

، خلق ثقب بوتال بين الأذَينَين وينبغي أن تعلم أن هناك ثقب لأن هذا الثقب يغلـق ، يعشـرة آلاف حالة يولد الطفل وثقبه مفتوح ، وهذا المرض اسمه داء الزرق والطفل عندها يموت بعد حين ، لكن الله تعالى له حكم ، وله أحكام ، له خلق ، وله تربية ولم يخلق الخلق عبثًا .

وقيل إن المجيب : هو الذي يقابل الدعاء بالقبول ، والسؤال بالعطاء ، تدعوه فَيقْبلُك تسأله فَيعطيك ، بدأنا البحث ببيان أن اسم المجيب يعني شيئين : الإجابة عن دعاء ، والعطاء عن سؤال . تدعو فَيجيبك ، وتسأل فَيعطيك . ثـم إن الله سـبحانه وتعـالى يجيـب دعـاء المضطرين ؛ فهذا المضطر من له غير الله ؟ لا شك أن كل إنسان يمر بحـالات اضـطرار شديدة ويكون فيها ، على أحر من الجمر ؛ يا رب يا الله قال تعالى :

أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ
أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾

(سورة النمل)

إنه المجيب فلا تَخيب لديه آمال الطالبين . قيل : هو الذي يجيـب دعـاء الـداعين ويكشف ضرورة الطالبين ، وحول هذه الكلمات آلاف وآلاف الوقائع والأحداث ، بـل إنـي متأكد أنه ما من واحد من خلقه ، إذا كان صادقاً مع ربه مؤمناً بوجوده وبأسـمائه الحسـنى ووحدانيته ، إلا وله تجربة مع الله . دعوته فَأجابك ، وسألته فَأعطاك . والإنسان حينما يعاني من مشكلة ، وحينما تحلّ به محنة ، لو سألت العارفين بالله ما حكمتها ؟ هذه المحنة التي تحل بالإنسان المؤمن لا بد من أن تنقله نقْلةً نوعية على محورين ؛ محور معرفته ، ومحور محبته . فكل محنة فيها نقلة على محور المحبة تزداد من خلالها حباً له ، فعلى محور محبته تـزداد حباً له وعلى محور المعرفة تزداد معرفة . وهذه فيما أعتَقد هي الحكمة العظمى فـي سـوق المصائب للناس ، ولا سيما للمؤمنين . أنت في درجة فإذا أراد ربك أن ينقلـك نقلـةً إليـه ، يرسل إليك مشكلة ، تدعوه ، وتسأله وتتوسل إليه ، وتلوذ به ، وتستعيذ به ، وتلجأ إليه ، مـن أجل أن يجيبك فإذا أجابك تقول : لقد سمعني وهو يحبني وهاهو ذا قد أكرمني ، ها هـو قـد استجاب لي .

أيها القارىء الكريم ، إن محنة وراءها نقلة نوعية على محور معرفته، وعلى محور محبته . فَوراء كل محنة هناك معرفة جديدة ، ومحبة جديدة. والله عز وجل رب العـالمين ، يقَلب حال عباده من حال إلى حال ، ومن مقام إلى مقام ، ومن منزلة إلى منزلة ، ومن درجة

إلى درجة ، إلى أن يصل به إلى أقصى ما يمكن أن يصل إليه ؛ ليس في الإمكان أبدع ممـا كان .

الحقيقة : إن أسماء الله الحسنى تتفاوت من حيث ذكرها في كتاب الله بـين الكثـرة والقلّة. اسم المجيب ورد في كتاب الله كثيراً قال تعالى :

﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴿٦١﴾

(سورة هود)

هو في السماء لكنك إذا دعوته فهو معك قال تعالى :

وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٤﴾

(سورة الزخرف)

أنت لا تنادي بعيداً ، لا تنادي إلا قريباً ، لا تنادي إلا من يسمعك، لا تنادي إلا من يقتدر على أن يجيبك "إن ربي قَريب مجيب " قال تعالى **: " وإلى ثَمود أخَاهم صالِحا قَـالَ ياقَوم اعبدوا الله ما لكُم من إلَه غَيره هو أنشَأكُم من الأرض واستَعمركُم فيها فَاستَغْفروه ثُم تُوبوا إليه إن ربي قَريب مجيب " .**

وفي سورة الصافات :

وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾

(سورة الصافات)

أحياناً يضع ذو حاجة ثقته بإنسان ، يزوره ويعرض عليه حاجته ، يخـرج صـفر اليدين ، وخالِي الوفاض ، يخَيب ظنه ، قد يعتذر له بأسلوب لطيف ، أو بأسلوبٍ قاسٍ علـى كلٍ ليس هناك بأس إلاأنه قد خاب ظني ، وندمت على تلك الزيارة . أما الله عز وجل يقول : " ولَقَد نَادانَا نُوح فَلَنعم الْمجِيبون " ، نعم الذي يجيب هو الله عزو جل ، وقال تعالى :

رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخۡزِنَا يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ إِنَّكَ لَا تُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾ فَٱسۡتَجَابَ لَهُمۡ رَبُّهُمۡ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٖ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰۖ بَعۡضُكُم مِّنۢ بَعۡضٖۖ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأُوذُواْ فِي سَبِيلِي وَقَٰتَلُواْ وَقُتِلُواْ لَأُكَفِّرَنَّ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَلَأُدۡخِلَنَّهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ ثَوَابٗا مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلثَّوَابِ ﴿١٩٥﴾

(سورة آل عمران)

وفي سورة الأنبياء قال تعالى :

۞ وَأَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ فَكَشَفۡنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرّٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ أَهۡلَهُۥ وَمِثۡلَهُم مَّعَهُمۡ رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا وَذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾

(سورة الأنبياء)

وكتَعليق سريع على هذه الآية فقد يتبادر لبعض الناس أن يقول : هـؤلاء أنبيـاء ؛ وبدوري أقول : فما داموا أنبياء فهم من جنس البشر وضرب الله الأمثال بهم لتعلم أن إجابتك كإجابتهم إذا توافر شرط السؤال :

قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ﴿١١٠﴾

(سورة الكهف)

ولولا أنهم بشر ، وتجري عليهم كل خصائص البشر ، لما كانوا سادة البشر- لِماذا ذكر الله لنا قصصهم ؟ لِسببٍ بسيط وهو الاقتداء بهم ، والسير على منهجهم ، واقتفاء أثرهم ، وأن تجعلهم قُدوةً لك . قال تعالى : " **وأيوب إذْ نَادى ربه أني مسني الضر وأنْتَ أرحـم الراحمين فَاستَجبنَا له فَكَشَفْنَا ما به من ضر وآتَينَاه أهله ومثْلهم معهم رحمةً مـن عنْـدنَا وذكْرى لِلْعابِدين** "

ما الذي يمنعك إذا مسك الضر ؛ أن تصلي قيام الليل ، وأن تقول يا رب إني مسني الضر ، وأنت أرحم الراحمين . أنت تخاطب من بيده ملكـوت السـماوات والأرض ، وكـل الجِهات التي في الأرض بيده ناصيتُها أجلْ ، بيده ، قال تعالى :

مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآ

(سورة هود)

قال تعالى :

فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَـٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَـٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾

(سورة الأنبياء)

فالله عز وجل هو وحده أهلٌ أن تسأله ؛ أجلْ ، أهلٌ أن تسأله ، وأن تـدعوه ، وأن ترجوه ، وأن تحطّ رِحالَك عنده ، وأن تُعلق الآمال عليه ، وأن تستجير به ، وأن تلوذ بـه ، وأن تستعيذ به ، هو وحده الأهل . وحينما تضع الثقة في غيره -الله جل جلاله غيرةً عليـك ومحبةً لك، يلقي في قلب الذي وضعت الثقة به أن يخَيب ظنك تأديباً لك ، وفي سورة النمل :

أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَـٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾

(سورة النمل)

وفي سورة الأنفال :

إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾

(سورة الأنفال)

وفي سورة البقرة :

وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾

(سورة البقرة)

أيها القراء الكرام : قوله سبحانه فليستَجِيبوا لي ، وليؤمنوا بـي لعلهـم يرشـدون . فَيجِب أن تؤمن به أولاً بوجوده ، وكماله ، ووحدانيته ، وأن تؤمن بأسـمائه الحسـنى وهـذه الأبحاث من صلْبِ العقيدة الصحيحة . ما من بحث أنت بأمس الحاجة إليه مثل أن تعـرف الله عز وجل ، كي تُقْبِل عليه قال تعالى : " **وإذَا سألك عبادي عني فإني قريب أُجيب دعوةَ الداع إذَا دعاني فليستَجِيبوا لِي وليؤْمنُوا بِي لعلهم يرشُدون** "

والحقيقة ورد في كتاب الله آيات كثيرة تزيد عن عشر آيات كلها تبدأ بكلمة يسألونك قال تعالى :

وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾

(سورة الاسراء)

قال تعالى :

۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾

(سورة البقرة)

وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾

(سورة البقرة)

يسألونك أكثر من عشر آيات وردتْ بهذه الصيغة [يسألونك ، قل] ثم يأتي الجواب مبدوء بكلمة قلْ ، إلا هذه الآية الوحيدة قال تعالى : **" وإذا سألك عبادي عني فـإني قريـب أجيب دعوةَ الداعِ إذا دعانِ فليستجيبوا لِي وليؤْمنُوا بِي لعلهم يرشُدون "**

قالوا : لأنه في الدعاء ليس بين العبد وربه حجاب ، وليس بين العبد وربه وسيط ، وليس بين العبد وربه وسيلة ، هو قريب سميع مجيب ، ما عليك إلا أن تسأله . لكن من أجل أن تعرف ماذا تسأله ؛ عليك أن تؤمن به أولاً ، وأن تستجيب له ثانياً ، حتى تُحسن أن تسـأله ، وحتى يستجيب لك ثالِثاً . وقال ربكم ادعوني استجِب لكم " وبالمناسبة ما أمرك أن تدعوه إلا لِيستجيب لك . يتوهم بعض الناس ويقولون دعونا كثيراً ولم يستجب لنا ، والمشكلة أنـك مـا دعوتَه كما يريد ، مثلاً قال تعالى :

ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾

(سورة الأعراف)

أحياناً تدعو الله عز وجل من دون تضرع ، وبصوت جهير هدفك أن تُسمع الناس ، فأنت اعتَديت على شرط التضرع ، وشرط الخُفْية ، واعتديت على خلقه ، أنّى يستَجاب لك ؟ لذلك الذي يعتدي على خلق الله دعاؤه لا يستَجاب . والذي يأكل مال الحـرام دعـاؤُه غيـر

مستجاب، الذي مطعمه حرام ، ومشربه حرام ، وغُذي بالحرام ، أنّى يستَجاب له ؟ أنا وأنـا أبين هذه الشروط : أن يكون الدخْل حلالاً ، وعدم الاعتداء ، وعدم الجهر بالدعاء قال تعالى : " **ادعوا ربكُم تَضرعا وخُفْيةً إنه لا يحب المعتَدين** " .

وقال تعالى :

وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾

(سورة غافر)

هناك بالآية ما يلفت النظر ، الإنسان على حسبِ تصوره ، فالله سبحانه لم يقل : إن الذين يستكبرون عن دعائي ، بل قال : عن عبادتي ؛ فُهم أن الدعاء هو العبادة . والعبادة كلها في الدعاء ، بل إن الدعاء مخ العبادة ، وهو أفضل ما في العبادة .

وبعد فالاستجابة في حق الله كما ترون أيها القراء الكرام ، وكذلك فالاسـتجابة فـي القرآن وردت لِغير الله قال تعالى :

وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۚ وَٱلْكَٰفِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿٢٦﴾

(سورة الشورى)

أنت مؤمن دعيت إلى الله ، فاستَجبت . وإلى عملٍ صالِحٍ ، فاستَجبت . وإلى إقامـة الصلاة ، فَصلّيت . وإلى دفْع الزكاة ، فزكيت. وإلى حج بيت الله ، فَحججت . وإلى مساعدة زيد أو عبيد ، فَفَعلْت ، الاستجابة وردت في كتاب الله منسـوبةً لِغيـر الله قـال تعـالى : " **ويستَجِيب الذين آمنُوا وعملُوا الصالِحات ويزيدهم من فَضله والْكافرون لهم عذَاب شَديد** " .

وفي سورة الرعد قال تعالى :

لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُۥ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْحِسَابِ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٨﴾

(سورة الرعد)

أما أجمل آية متعلقة بالاستجابة :

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾

(سورة الأنفال)

أنتم حينما تُدعون إلى طاعة الله ، فإنما تُدعون إلى الحياة . والمؤمن قبل أن يعرف الله ميت قال تعالى :

وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ

مَّن فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٢٢﴾

(سورة فاطر)

وقال تعالى :

أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ ۖ

(سورة النحل)

قيل :

ليس من مات فاستراح بميت إنما الميت ميت الأحياء

الميت الحقيقي : هو الذي يتمتّع بأعلى درجات الصحة ، لكن قلبه ميـت ، لا يعـي على خير ، ولا يستجيب ، لا يذكر الله ، لا يعطـي لله ، ولا يمنـع لله ، ولا يحـب لله ، ولا يبغض لله ، قال تعالى :

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ﴿٢٤﴾

(سورة الأنفال)

وليعلم كلّ مؤمن أن استجابة الله بالعطاء ، وإجابته للدعاء على أنواعٍ كثيرة ؛ أحياناً ربنا عز وجل لِحكمة يريدها يجيب العبد قبل أن يدعوه ، بمعنى أنه يتفضل عليك لِتُقْبِل عليه ، هو الذي بدأ ، إذْ إن المرء يغفل ويلهو فإذا أتاه فضل من الله من غير سؤال ، تجد الذي معدنه طيب حينما يغمره الله تعالى بفضله يستجيب ، فهو

إما أن تدعوه فَيعطيك ، وإما أن يعطيك لِتدعوه. فقد يأتي الدعاء قبل العطاء ، وقد يأتي العطاء قبل الدعاء . فإن كان الدعاء قبل العطاء ، فالمبادرة منك . وإن كان العطاء قبل الدعاء ، فهذه حكمة بالِغة أراد الله أن يمتَحنك بها . فَتُطيعه لِيكْرِمك ، وأحياناً يكْرِمك لتُطيعه . ربما ضيق عليهم الحال ابتلاء وامتحاناً ورفْعاً لِدرجاتهم بِصبرهم وشكرهم في السراء والضراء . فهو تعالى يستجيب بعد الضيق أو يكرِم قبل الدعاء .

قال بعض العلماء : حتى إذا يئسوا تداركهم بِجميل عوائده وآلائه ، قال تعالى :

حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسۡتَيۡـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ كُذِبُواْ جَآءَهُمۡ نَصۡرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَآءُۖ وَلَا يُرَدُّ بَأۡسُنَا عَنِ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿١١٠﴾

(سورة يوسف)

أحد العارفين بالله نظم قصيدة بدأها : اشتدي أزمةُ تنْفَرِجي ، والأمور إذا ضاقت ، اتسعت . أحياناً تضيق قال:

نزلت فلما استَحكمت حلقاتها فُرِجت وكان يظنّها لا تُفْرج

البطولة ؛ أن تفهم على الله ؛ أن تفهم على الله حكمته ؛ أن تفهم على الله كماله ؛ أن تفهم على الله رحمته . لكن الله يضمن للعبد إجابة الدعاء بِما يعلم أنه خير للعبد بِحسب علمه ، لا بِحسب علمك . في الوقت الذي يريده الله ، لا في الوقت الذي يريده العبد . فأنت لا تعلم

والله يعلم . وأنت لا تدري والله يدري ، وأنت لا تعرف ما يناسـبك والله يعلـم المناسـب . دعوتُك له أمر مرغوب ؛ لكن لا ينبغي أن تحدد متى يستجيب لك ؛ فهذا سوء أدبٍ مـع الله ، يستجيب لك في الوقت المناسب ، وبالقَدر المناسب ، وفي الطريقة المناسبة ، فما عليك إلا أن تدعوه وكفى .

الآية الكريمة قوله تعالى :

وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ

﴿٢١٦﴾

(سورة البقرة)

حدثني أخ أنه كان مسافراً من بلد إلى بلد ، يدرس في كلية الطب وحجمه صـغير نسبيا، ركب في سيارة عامة لِيذهب إلى بلده فقال لي : جاء رجلان ضخما الجثة فتح أحدهما باب السيارة ، وحملني ووضعني على الأرض ، وركب هو وزميله مكاني . يقول هذا الأخ : تألمت ألماً لا حدود له ، وما تمنيت في حياتي أن أكون مجرماً إلا تلك الساعة ، إذْ أن هذا هو منتهى الإهانة والقسوة . ثم قال : وبعد ساعة ركبت السيارة الثانية ، وأنا في الطريـق إلـى بلدتي كانت هناك تلة صغيرة ، فرأيتُ تلك السيارة قد تدهورت وكل الركاب ماتوا ، ثم قال : في ثانية واحدة انقلب حقدي إلى شكر قال تعالى : " **وعسى أن تَكْرهوا شَيئًا وهو خَير لكُـم وعسى أن تُحبوا شَيئًا وهو شَر لكُم والله يعلم وأَنْتُم لا تَعلمون** " .

آن الأوان أن تستسلم لله عز وجل ، هذه الآية وحدها اجعلْها شعارك . وقد ورد أن شخصين سألا الله حاجةً ، وكان الله يحب أحدهما ويكره الآخـر . فـأوحى الله إلـى بعـض ملائكته أن يقضي حاجة البغيض مسرِعاً حتى يكُفّ عن الدعاء ، لأن الله يبغض سماع صوته . وقال الله للملَك توقف عن حاجة فلان ، لأني أحب أن أسمع صوته ، قيل في مغـزى هـذه القصة : لو كشف الله الحجاب ، لفرح هذا وحزِن ذاك . فالذي استجاب الله لـه لا يحـب أن يسمع صوته ، والذي لم يستجِب له يحب أن يسمع صوته - هذه قصة رمزية - فإذا دعـوت الله في صلاتك وبعدها ، صباح مساء ، وأُخرتْ الاستجابة فمعنى ذلك أن الله يحـب سـماع صوتك .

ورد في بعض الأحاديث : إن الله عز وجل يحب أن يسمع صوت عبده اللهفـان . فالدعاء هو مخ العبادة .

أما التطبيق العملي لِهذا الاسم ؛ فيا أيها العبد ، ينبغـي أن تعلـم أن الله مجيـب ، وينبغي أن تعلم أن الله تعالى دعاك إلى طاعته ، وأنت تدعوه لِيرضيك ، هو دعاك إلى طاعته ، وأنت تدعوه لِيرضيك . فإن أجبت دعاءه، أجاب دعاءك . أي كن لي كما أريد ، أكن لـك كما تريد . دعاك إلى طاعته ، وأن تدعوه إلى حاجتك . استَجِب لِيستَجِب . كن له كما يريد ، لِيكُن لك كما تريد . أنت تريد وأنا أريد ؛ فإذا سلمت لي فيما أريد ، كفَيتُك ما تريد . وإن لـم تُسلم لي فيما أريد، أتْعبتُك فيما تريد ، ثم لا يكون إلا ما أريد ، قال تعالى :

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾

(سورة الأنفال)

أجِب دعاء الله ، وأجِب دعاء الناس أيضاً . دعاك أحد الخلْق ، وضع أملـه بـك ، ووضع ثقَته فيك ، كُن ممن يتخلّق بِأخلاق الله ، لولا التشهد - كما قال بعضهم يصف النبـي عليه الصلاة والسلام - ما قال لا قط إلا في تشهده - لولا التشهد كانت لاءه نَعم - ما قـال : "لا" قطّ في حياته، فإذا وثق أحد فيك . ووضع أمله فيك ، وطمع فيـك ، تخلـق بِـأخلاق الله واستَجِب له . هذا هو تطبيق الاسم مع الناس .

قال فإذا سألك أحد فلا تزجره فإن الله تعالى يقول :

وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾

(سورة الضحى)

حظ المؤمن من هذا الاسم أيضاً ؛ أن يقضي حوائِج الطالِبين ، لِيقْضي الله حاجتَه . والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه . عبادي إن أردتم رحمتي ، فارحموا خلقي .

الإمام أحمد يقول : " اللهم كما صنْتَ وجهي عن السجود لِغَيرِك ، فَصن وجهي عن مسألة غَيرِك " ، أنا أدعو بعض الأدعية وأقول : اللهم صن وجوهنا بِاليسار ولا تبذلها بالإقتار ، فَنَسأل شر خلقك ، ونُبتَلى بِحمد من أعطى وذم من منع ، وأنت من فوقهم ولـي العطـاء ، وبِيدك وحدك خزائن الأرض والسماء .

الإمام الغزالي يقول : " إن العبد ينبغي أن يكون مجيباً لربه تبارك وتعالى أولا فيما أمره بِه ونهاه ، وفيما ندبه إليه ودعاه ، ثم لِعباده فيما أنعم الله عليه بِالاقتدار ، وفي إسعاد كل

سائلٍ بما يسأله ، وفي لُطْف الجواب إن عجز عن الإجابة " فأنت استَجِب للناس ؛ دعـاك ، أجِبه سألك ، أعطه . فإذا طُلب منك شيء لا تستطيع تنفيذه ماذا تفعل ؟ رده رداً لطيفاً . قل له : والله أتمنى أن أخدمك وأُلبي حاجتَك ، فالرد اللطيف إجابة .

النقطة الدقيقة أنك لا تستَعظم شيئاً تسأله الله ، فالله عز وجل لا يعجِزه شيء ، فهـل يمكنني أن أشتري بيتاً ؟ وهل يمكن أن أصبح داعية؟ وهل يمكنني أن أحصل على شـهادة عليا؟ وهل يمكنني أن أصبح في منصب رفيع ؟ كل هذا ممكن . ولا تستعظم السؤال إطلاقـاً فالله على كل شيء قدير قال : إذا سألت فاسأل الله وإذا استَعنت فاستَعن بالله . وفي الحـديث الشريف : إن الله يستحي أن يرد يدي عبده صفْراً .

من أدعية هذا الاسم ؛ إلهي أنت المجيب لِمن دعاك ، والمغيث لِمن ناداك تنصـف المظلوم من الظالم ؛ لأنك فوق الكل حاكم . الهي إن نفسي ظلمت روحـي ، فَحجبتْهـا عـن الأنوار ومنعتْها من الأسرار ، فانصر الروح على النفس ، بفضلك وأسـعدها فـي رِيـاض وصلك . إلهي لا ترد الدعاء فأنت المجيب ، ولا تؤاخذنا بما فرطنا فَمن دعاك فلا يخيـب ، واجعل لنا نوراً موروثاً من نور اسمك المجيب ، فَنَستَجيب بأمرك ونقوم بشُكرك وذكرك إنك على كل شيء قدير .

أعزائي القراء ، أعتقد أن هذا الاسم ولا أُبالِغ من أقْرب الأسماء إلينـا ؛ المجيـب اجعل عنده كل حاجاتك . حط حاجك عنده . الْزمه واسألْه وتذلّل له ومرغ جبهتَك في أعتابِـه فهو السميع المجيب ، فلا تنْسوا أن المجيب اسم من أسماء الله الحسنى وينبغي أن يكون مـثلاً في قلبك دائماً .

والحمد لله رب العالمين

الدرس ٤٨ - اسم الله : "الوكيل"

بسم الله الرحمن الرحيم

مع الاسم الثامن والأربعين من أسماء الله الحسنى والاسم هو **الوكيل فالوكيل** أكرّر هو اسم من أسماء الله الحسنى تبارك وتعالى ، هذا الاسم بالتعريف الدقيق ؛ **الوكيـل** هـو القَـيم الكفيل بأرزاق العباد وهو بتعريف العلماء هو : القائم بأمور عباده بـتدبير أمـورهم وبتـولى شؤونهم وتسخير ما يحتاجون إليه ، حينما يسخّر لهم ما يحتاجون إليه فهو **الوكيل** أو هو الذي أوكل إليه كل أمر بمعنى إليه يرجع الأمر كله .

وقيل: **الوكيل** هو المتَولي بإحسانه أمور عباده المتقين الموكّول إليه كل أمـرٍ مـن أمورهم لقوله تعالى :

ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخۡرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِۗ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥٧﴾

(سورة البقرة)

هذا معنى فرعي لذلك قالوا : من توكّل عليه تولاه وكفاه ومن إستغنى بـه أغنـاه وأرضاه، بتَعريف آخر **الوكيل** هو الموكول إليه أمور العباد ومصالحهم ، فمثلا قد يسأل إنسان ويقول : الأمر بيد من ؟ يقال : بيد فلان هوالرجل القوي وهو الآمر والناهي وهو الذي يقرر وهو الذي يوافق والذي يرفض ويسمح ويمنع ويعطي ويأخذ .

فالوكيل : الموكول إليه أمور العباد ومصالحهم والمتصرف فيها كما يشاء ، وعبـاد الرحمن أوكلوا إلى الله أمورهم واعتمدوا على إحسانه لعجزهم عن تحصيل مهماتهم ، وهنـا معنى جديد إذْ يجد المرء نفسه أحياناً عاجزاً عن متابعة هذه القضية فـي المحـاكم ، يجهـل

القوانين وأساليب رفع المذكّرات وأسرارها فلذلك يوكّل محامياً ، يقول : أنا وكيلـي فـلان ، **فالوكيل** إما أن الله سبحانه وتعالى يتولى أمر العباد كلّهم أو أنه يتولى أمـر عبـاده المتقـين يرضيهم ويغنيهم ويكفيهم أو لأن الله عز وجل لِعجز عباده عـن تحصـيل شـؤونهم وإدراك مصالحهم هم يوكلونه في شؤونهم التي يعجزون عنها دائما وهذه المعاني كلها تحتملها كلمـة **الوكيل** .

نعم إنّه المتولي لِشؤون عباده يصرّفها كيف يشاء ، لذلك قالوا : إذا تولى الله عبـده بجميل العناية كفاه كل شُغل وأغناه عن كل غَيرٍ ، هو الكافي لِمن توكل عليه ، إذا اتجه العبد إلى الله متَوكلاً تولاه بحسن رِعايته فإذا استقام ختم له بجميل ولايته ، لعل أحدا يقـول هـذه تعريفات **الوكيل** أكثرها متَداخل ومتشابك فالمؤمن من خصائص إيمانه أنه يكل أموره إلى ربه ويعتَمد عليه ويطمِئن ، والإنسان في أصله ضعيف وضعفه سبب سعادته لو أن الله خلقه قويـاً لاستَغنى بِقُوّته فَشَقي باستغنائه ، خلقه ضعيفاً لِيفتقر إليه بِضعفه فَيسعد بِافتقاره .

إنّ الله جلّ جلاله ما أمرنا أن نتكل عليه إلا لِيكْفينا أمرنا كله والعجيـب أن يواجِـه الإنسان الصعاب ولا يتوكّل على الله ، ولِحكمة بالِغة أرادها الله عز وجل الحياة مفْعمـة بِالمقْلقات وبِالمخاوف والإنسان فوقه ألف سيف وسيف ؛ من يدري ماذا سيكون حاله بعد حين ؟ ومن يملك هذه الخلايا ألا تنمو نُموا عشوائياً ؟ ومن يملك هذه الدسـامات أن تبقـى تعمـل بِانتظام ؟ ومن يملك هذا الدماغ ألا تتجمّد فيه خثرة فَتُعطّل بعض فاعلية الإنسان ؟ من يـدري ماذا سيكون ؟ هذه المخاوف مخاوف المرض ، وهناك مقْلقات متعلقـة بِـالرزق وبـالأولاد والأهل والعمل وكسب الرزق ، لماذا الدنيا مشحونة بِالمخاوف ؟ الحكمة ؛ من أجل أن تفرّ إليه وتعتمد عليه وأن تثق به وأن تُقْبِل عليه وأن تُدفَع إلى باب عبوديته وأن تكون عبـداً لـه منيباً مفْتَقراً .

ولنعلم جميعا أنّنا لسنا في دار مقام بل نحن في دار انتقال ونحن في ممرٍ ولَسنا في مقرّ وفي حياة إعداد لِحياة أبدية فالنعيم المطلق والسعادة التامة والطمأنينة التي لا يخالِجها قَلَق والصحة التي لا يساورها مرض هي في الجنة ، نحن في دار إعداد وفي حياة دنيا صـممت لِتكون مدرسةً لِحياة أبدية خالِدة ، لذلك ليس عجيباً أن تكون الحياة مقْلقة وعلاجها أن تلْتَجـئ إلى الله حيث الأمن والطمأنينة والراحة والتوازن ، إذا قلت في اللغة : أوكلت أمري إلـى الله أي ألْجأته إليه ؛ هذا الأمر الذي أخافني أو هذا الأمر الذي أقْلقني وعجزت عن حلّ مشـكلته أحلته على الله سبحانه وأَوكلْتُه إليه .

قال بعض علماء القلوب : دبر فأنا لا أُدبر ، وقال بعضهم يناجي ربه :

إذا كنت في كل حالٍ معي فَعن حمل زادي أنا في غنى

فأنتم هو الحق لا غَيركـم فيا ليت شعري أنا من أنـا

وقال بعضهم :

كُن عن الهموم معرِضا وكل الهموم إلى القضا
وابشر بِخيرٍ عاجـ ـِل تنس به ما قد مضـى
فَلَربّ أمرٍ مسخـ ـ ـط لك في عواقبِه رِضـا
ولَربما ضاق المضيـق ولَربما اتسع الفضـ ـا
الله يفعل ما يشـ ـ ـاء فلا تكونن معتَرِضـا
الله عودك الجمـ ـ ـيل فَقِس على ما قد مضى

الذي أراه أن طبيعة الحياة شاءها الله أن تكون دار الْتواء لا دار استواء ومنزِل تَرحٍ لا منزل فرحٍ ودار بلاء وتَعبٍ ونَصبٍ ، قال تعالى :

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَـٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَـٰقِيهِ ﴿٦﴾

(سورة الانشقاق)

شاءها كذلك من أجل أن تلتَجئ إليه وأن تُقْبِل عليه وأن تعتمد عليه وأن تتوكل عليه .

وكلْتُ أمري إلى الله أي ألْجأْتُه إليه ، إذا كانت للإنسان قضية صـغيرة ومفْتاحهـا بيده لا يسأل أحداً ولا يستعن بِأحد ، لو أن كل الأمور نقدر عليها ولا تعجزنا لاستغنينا عن الله عز وجل ، ولو أن الأمور أصغر من طاقتنا ومن تدبيرنا حينها لا يشعر الإنسان بِحاجة إلـى الله عز وجل لكنه محتاج إليه دائماً ، وهذه الحاجة تحتاج إلى إعمال عقل أمـا حينمـا تـأتي الأمور أكبر مما نستطيع ونعجز عن مواجهة أمر وحينما نجد أنفسنا أمام شبح مشكلة كبيـرة وحقل ألغام وأننا أضعف من أن نُواجِه عدواً ، ما حكمة هـذه المصـاعب المتكـررة وهـذه المتاعب في الحياة الدنيا ؟ قد يقول أحدكم لماذا هذه الصعوبات يا رب ؟ لماذا الإنسان تحـت سيوف مشرعة كثيرة ؟ فتارةً يقْلَقُ على صحته وتارة على دخْله وتارة علـى مسـتقبل أولاده وتارة على مستقبل بناته لماذا هكذا يا رب ؟ الجواب أنه تعالى أراد أن تلجأ إليه وأن تُقْبِـل عليه وأن تَفرّ إليه وأن تُساق إلى باب العبودية إليه وأن تكون موكلاً له وأن يكون وكيلاً لـك وأراد أن تَنْعم بِظل الاستسلام له والإقبال عليه ، فَوكلْتُ أمري إلى الله : ألْجأْتُه إليه واعتَمدت عليه .

لذلك قالوا : إن المتَوكل على الله هو الذي يعلم أن الله كافلٌ رزقه وأمره ، الحقيقـة أنه لا يمكنك أن تتوكل على إنسانٍ ضعيف ، ولا يمكن أن تُوكل إنساناً جاهلاً لا يسـتَطيع أن يكتُب اسمه في دعوى عويصة في قصر العدل ، تبحث عن أمهرِ المحـامين وعـن محـامٍ مخلص ويتمتع بكفاءة عالية جداً هذا شأنك مع محامٍ في قضية عويصة فلذلك أنت لا تسـتطيع أن تتوكل على الله إلا إذا عرفته ، وقد يقول أحدكم : أنا أتوكل على الله ؛ لا ؛ بل هذا مجرّد ادّعاء ، فإنك إن لم تتعرف إلى أسماء الله الحسنى وإن لم تعرِف قدرته التي تتعلق بكل ممكن وإن لم تعرف حكمته ورحمته وعدالته وقدرته تتوكل عليه فأصل التوكل أن تعرِفه فالإنسـان من خلال معاملاته وممارساته يثق بأشخاصٍ عدة ويقول لك : فلان يعتَمد عليه فـإذا سـافر سلّمه العمل في متْجره أو معمله هناك قبض ودفع وهناك موظفون ومشْكلات ومالية وتمـوين يقول لك : يعتَمد عليه ، فهل رأيت صاحب معملٍ ضخمٍ يعتمد على موظف أحمق أو موظف ضعيف التفكير ومحدود الأفق ؛ مستحيل فأنت لن تتوكّل إلا على القوي ولن تتوكل إلا علـى العليم ، لن تتوكّل إلا على القدير ولن تتوكّل إلا على الخبيرفلذلك التوكل أساسه معرفة الله عز وجل ، والإنسان الشارِد والتائه ربما يضع ثقته بإنسان وإذا دعوته إلى التوكـل علـى الله لا يستجيب ، كيف ؟ إنّ الله تعالى قال :

يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾

(سورة القلم)

أنت إذا دعوت إنساناً يعاني من مشكلة أومن مرضٍ أومن خطرٍ أومن قضية وقلـت له توكّل على الله فلن يفهم عليك ربما يجاملك ويقول توكلت ! لكنه في الحقيقة لا يتوكل لأنـه لا يعرف أن الناس جميعاً بيد الله وأنّ الأقوياء جميعاً في قبضته وأن خواطر العباد بيده ، قـد تقف أمام إنسان يلقي الله في روعه أن سهل له الأمر على خلاف عادته ، إنسان يعقد الأمور ويقيم الحواجِز وينصب العقَبات في وجوه الآخرين ، لكنك تجِده من ألْطَف الناس معك رغـم أنّك لا تعرِفه ولا يعرِف اسمك فلماذا وقف هذا الموقف اللين ؟ وماذا ألقى الله في قلبه ؟ لذلك قال عليه الصلاة والسلام :

فعن عبد الرحمن الحبلي أنه سمع عبد الله بن عمرو بن العاص يقُول أنه سمع رسولَ اللـه صلى الله عليه وسلم يقُولُ إن قُلُوب بني آدم كُلها بين إصبعين من أصابع الـرحمن كقَلـبٍ واحد يصرفُه حيثُ يشَاء ثُم قَالَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم اللهـم مصـرفَ القُلُـوبِ صرفْ قُلُوبنَا على طَاعتك *

(رواه مسلم)

أحياناً إذا أراد الله أن يؤدب مخلوقاً فيبعث الله إنسانًا طيبا يتصدّى له ، ويقيم النكير عليه ويكبر الأمور ويقيم الحواجز ويضع العقبات ؛ تقول أنت : هذا غريب ! ليس هـذا مـن أخلاق هذا الشخص ، فاعلم إذًا أنّ العباد حتى خواطرهم ومشـاعرهم وتصـوراتهم وحتـى رغبتهم في الخير أو الشر بيد الله عز وجل فإذا كنت مع الله فالله معك لذلك أقول دائماً هـذه المقولة : يا رب ماذا فقَد من وجدك وماذا وجد من فقدك ؟ وإذا كان الله معك فمـن عليـك ؟ وإذا كان عليك فَمن معك ، أريد أن أقف وقفةً متأنية عند هذه المقولة ؛ لن تستطيع أن تتوكـل على الله إلا إذا عرفْتَه وأن تتعرف إلى الله أكبر إنجاز في حياتك لأنك موجود في الحياة الدنيا من أجل أن تعرف الله لذلك إن عرفته توكلت عليه ووكلْت أمرك إليه وفوضت ، فلن يستطيع من أراد أن يتوكّل حقيقة التوكل إلا بعد أن يعرف الله ، قد تجد إنساناً يخاف من إنسان أشـد من خوفه من الله لأنه لا يعرف الله .

الوكيل إما أن يتوكّل لبعض الأمور كما يحدث بين الناس والتـي يسـمونها وكالـة خاصة مثلاً وكالة في بيع بيت فقط وكالة في قبض مبلغٍ أوفي تحصيل دين وكالة في مخاصمة كل هذا يسمى وكالة خاصّة وأحياناً تكون الثقة بالِغة جداً بين شخصين يوكلـه وكالـة عامـة الموكّل وكالةً عامة بإمكانه أن يبيع كل أملاكك وبإمكانه أن يطلق زوجتك بالمناسبة الوكالـة العامة خطيرة جداً ؛ فهذه امرأة تملك آلاف الدّنومات وكلّت محامياً قال لها اجعليهـا وكالـة عامة وهي لم تفهم ما قال لها فَجعلَتْها وكالة عامة ، فَكُلّ الأراضي سجلّها باسـمه ولا تـزال الدعوة قائمة بينه وبينها حتى الآن منذ عشر سنوات فالإنسان قبل أن يوقع وكالة عامة يجـب أن يفَكر أن يعدّ للمليون فالقضية ذات أبعاد خطيرة ، على كُلٍ هناك وكالة خاصـة و وكالـة عامة والوكالة العامة تبقى وكالة محدودة ، هل يستطيع الموكل أن يقـبض روح الإنسـان ؟ طبعا لا ، لكن الله تعالى ه**و الوكيل** المطلق ، قال تعالى :

ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾

(سورة الأنعام)

بيده حياتك ورزقك وبيده من فوقك ومن تحتك وبيده أقرب الناس إليك وأبعد النـاس عنك والذي يحبك والذي لا يحبّك وبيده دقائق جسمك وأجهزتك والله على كل شيء وكيـل ، لذلك ليس **الوكيل** المطلق إلا الله وليس من بني البشر من هو وكيل لك في أمـورك لكـن الله وكيل لك في كل الأمور و وكيل لك في كل الظروف ، والمتَوكل في كل حياتك .

هناك نقطة أخرى في الوكالة وهي أنه يمكن أن يكون فلان ليس متَوكلاً أمرك لكنك باختيارك وكلْتَه ليس هذا الشأن مع الله عز وجل لكن الله شئت أم أبيـت أحببـت أم كرِهـت رضيت أم لم ترض أمرك كله بيده تعالى ، قد يوكل إنسان إنسانًا وكالة محدثة ، أنـا وكلْـت فلاناً أما قبل أن أُوكله لم يكن وكيلاً لي ،فأنا الذي أحدثت هذه الوكالة لكن الله سبحانه وتعالى متَوكل لكل أمور العباد وكالةً مطلقة ، وهو على كل شيء وكيل وهذا **المعنى الثاني** .

أما **المعنى الثالث** : **فالوكيل** إما أن يؤدي المهمة على أتم وجه وإما أن لا يؤَديها وكم من إنسانٍ خاب ظنّه في محامٍ وكله قضيةً فَخَسرها ، قد يقول : إن قدراته ضعيفة وإنه لم يهتم اهتماماً كافياً أو ما قدم المذكرات القويّة أو اتفق مع الخصم ، إذًا قد تُوكل إنساناً يخَيب ظنـك لكنك إذا وكلت الله رب العالمين فهو **الوكيل** الحق الذي يغنيك ويرضيك ويكفيك ، أرجـو الله تعالى أن نتعامل مع هذا الاسم تعاملاً حقيقياً لأنك لا تكتفي أن تعرف معنى **الوكيل** وما تعريفه ، فالقضية أكبر من ذلك المهم أن تكلَ إليه أمرك ، صدقوني أيها الإخوة : لا يوجد مؤمن على الإطلاق بإخلاصٍ شديد وبصدق بالِغ وكل إلى الله شأْناً من شؤون حياته إلا ويتَولى الله أمره ، ولقد ورد في بعض الأحاديث القدسية أنّ الله عز وجل يقول لِعبد أعطاه الله المال :

" عبدي أعطَيتك مالاً ماذا صنَعت فيه ، يقول يا رب لم أُنْفق منه شيئاً مخافـة الفقـر علـى أولادي من بعدي ، يقول الله ألم تعلم بأني أنا هو الرزاق ذو القوة المتين " ، إن الذي خشـيته على أولادك من بعدك قد أنزلْته بهم ، "ويقول لِعبد آخر عبدي أعطَيتُك مالاً فماذا صنعت فيه ؟ يقول : يا رب لقد أنفقته على كل محتاجٍ ومسكين لِثقتي أنك خيـر حافظـاً وأنـت أرحـم الراحمين " .

فأحياناً الإنسان يكل إلى الله أمر أولاده وهو على فراش الموت أو يكل إلى الله أمر بناته أو صحته ، وقد أعجزه العلاج وكان سييأس وقد يتألم ويقول : يا رب توكلـت عليـك وفوضت أمري إليك أنت أعلم وأنت أرحم وأنت أكرم وأحكم ، هذا الحال إذا توكلت على الله حقيقة - والله - ستَرى العجب العجاب وسوف ترى أنك أقوى الناس .

لِذلِك قالوا : إذا أردت أن تكون أقوى الناس فَتَوكل على الله ، وإذا أردت أن تكـون أكرم الناس فاتّق الله وإذا أردت أن تكون أغنى الناس فَكُن بما في يدي الله أوثق منك مما فـي يديك فالذي يتوكل على الله هو أقوى إنسان والدعاء سلاح المؤمن وكلنا ضعفاء ولكنّك قـوي بالله وغني بالله وكريم بالله ، فأنت كريم بطاعة الله وغني بالاعتماد على الله وقـوي بتَوكلـك على الله لذلك ما توكل على الله أحد وخَيب ظنه وما توكل على الله أحد إلا وكفَـاه وأرضـاه وأكرمه .

وها نحن مع الآيات التي ورد فيها هذا الاسم العظيم ، يقول ربنا سبحانه وتعالى :

ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾

(سورة آل عمران)

يقولون : فلان يتآمر عليك ويكيد لك ويدبر لك لا تنجو منه وفلان يـ وغر صـ در رؤسائك عليك فقُل : حسبنا الله ونعم **الوكيل** ؛

ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُواْ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾

(سورة آل عمران)

ألا تكفينا هذه الآية ، مهما شعرت أنّ الناس يكيدون لك السوء وأنهم لك بالمرصاد ويأتمرون عليك قل : " **الذين قالَ لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكُم فاخْشَوهم فَـزادهم إيمانًـا وقالُوا حسبنَا الله ونعم الوكيلُ** " .

لما نزل النبي عليه الصلاة والسلام من الطائف وقد ردّه أهلها شر ردّ وقـد كـذّبوه وسخروا منه وأوغروا صدر سفهائهم فضربوه قال له زيد الصحابي الجليل : يـا رسـول الله كيف تدخل مكة وقد أخرجوك منها؟ فقال عليه الصلاة والسلام : إن الله ناصر نبيـه ، يـوم جاءت الأحزاب قال تعالى :

إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا ﴿١٠﴾

(سورة الأحزاب)

وقال تعالى :

مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَـٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾

(سورة الأحزاب)

وقال له سيدنا الصديق وهو في الغار : لقد رأونا فقال له رسول الله يا أبا بكر ألـم تقرأ قوله تعالى ؟

وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُواْ ۖ وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٩٨﴾

(سورة الأعراف)

موضوع التوكل لا يبدو جليا واضحا ولا يظهر أبلج إلا في الشدائد وأما بالرخـاء فلا توكّل فإذا كان الإنسان له دخْل وصحة وأموره ميسرة أنى يقول: يا رب توكلت عليـك ؟ مستحيل ! فالله عزّ وجل إذا أراد أن يسمع صوت عبده المؤمن يسوق له شبح مصيبة ، مـن أجل أن يركض إلى الله ويلجأ إليه لذلك هذا الاسم لا يبدو إلا في الشدائد ، هذا لغير المـؤمن أما المؤمن فيتوكل على الله في جميع أحواله في الرخاء وفي الشدائد ، والمرء فـي الشـدة تُعرف حقيقة إيمانه أو ضلاله وكفره ، كما يعرف يقينه من شكه . وكذلك قال تعالى :

ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَـٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾

(سورة الأنعام)

هذا معنى جديد ، فالله على كل شيء رقيب ومالِك فاعبدوه لأنه على كل شيء وكيل ، متوكل أمره ورقيب عليه ومالِك لِناصيته وهذا هو معنى قول الله تعالى :

فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ
لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ ۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا
هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ ۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾

(سورة هود)

آية ثالثة قوله تعالى :

فَلَعَلَّكَ تَارِكٌۢ بَعْضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَضَآئِقٌۢ بِهِۦ صَدْرُكَ أَن يَقُولُوا۟ لَوْلَآ
أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌ ۚ إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٌ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ
وَكِيلٌ

(سورة هود)

فالأمر بيد الله وما عليك إلا أن تُبلغ والباقي على الله فالذي يستجيب يوفقه الله والذي لا يستَجيب يؤدبه الله وأنت ما عليك إلا أن تُبلغ أمر الله كما أمرك .

وهذه آية أخرى قوله تعالى :

فَلَمَّآ ءَاتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٦٦﴾

(سورة يوسف)

أي الله شاهد هنا بمعنى أن الله عز وجل شهيد على ما نقول . المعنى الأول مالـك الأمور ، والمعنى الثاني الرقيب ، والمعنى الثالث الشاهد

وفي سورة الزمر قال تعالى :

ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾

(سورة الزمر)

لا يمكن أن يتفلت شيء من قبضة الله ، فقد تجد إنساناً متَفَلتاً ومخيفاً ويثير الرعـب بين الناس ولكنه في قبضة الله - هذا هو الإيمان الصحيح - الوحوش الفتاكـة والأشـخاص العتاة والشريرون هؤلاء كلهم بيد الله عز وجل لا يسمح لهم أن يفعلوا ما يفعلوا إلا بمشـيئته وأمره قال تعالى :

وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٣﴾

(سورة الأحزاب)

الله جلّ جلاله يطلب منا أن نتخذه وكيلا فهو رب المشرق والمغرب قال تعالى :

رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴿٩﴾

(سورة المزمل)

جرت قصة في عهد النبي صلى الله عليه وسلم :

عن عوف بن مالِك أنه حدثهم أن النبي صلى الله عليه وسلم قضى بين رجلين فَقَالَ الْمقْضـي عليه لما أدبر حسبي الله ونعم الْوكيلُ فَقَالَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ردوا علي الرجلَ فَقَالَ ما قُلْتَ قَالَ قُلْتُ حسبي الله ونعم الْوكيلُ فَقَالَ رسولُ الله صلى الله عليه وسـلم إن اللـه يلُوم على الْعجزِ ولكن عليك بالْكيسِ فَإِذَا غَلَبك أمر فَقُلْ حسبي الله ونعم الْوكيلُ *

(رواه الإمام أحمد)

مثال ذلك طالب درس ورسب فقال : حسبي الله ونعم **الوكيل** هـذا قولـه صـواب وصحيح، فقوله تعالى حسبنا الله ونعم الوكيل لا تقولها إلا إذا بذلت كل شي تملكه وبعد كـل هذا البذل والجهد لم تنجح عندئذ قل: حسبي الله ونعم **الوكيل** ولا تقل : حسبي الله ونعم **الوكيل** قبل أن تستنْفذ الجهد والعقل والتدبير وإلا كلام غير مقبول إذا لم يدرس وقال حسبي الله ونعم **الوكيل** أي كان كسولاً فقال :حسبي الله ونعم **الوكيل** وأهمل تربيـة أولاده فـانحرفوا فقـال : حسبي الله ونعم **الوكيل** وما عالج ابنه فتَفَاقم المرض فقال : حسبي الله ونعم **الوكيل** فكل هـذا الكلام غير مقبول إطلاقاً إذاً لا تقل حسبي الله ونعم **الوكيل** حتـى تسـتفْرغ جميـع جهـدك وتستَوفي كل عملك عندئذ قل هذا الكلام ، قال تعالى :

فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۖ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ ﴿٧٩﴾

(سورة النمل)

هذه نقطة دقيقة المعنى في بحثنا ، فتَوكل على الله لأنك على الحق المبين وهذا يعني أنك إذا كنت منحرِفاً ومعتَدياً ومسيئاً ومجانباً للحق فلا يصحّ من التوكّل ؛ فتوكل على الله إنك على الحق المبين فأحد أسباب التوكل أن تكون على الحق المبين .

شيء آخر قال تعالى :

وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا ۚ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿١٢﴾

(سورة ابراهيم)

معنى ذلك أنك إذا عرفت الله واندفعت في مشروع ينبغي أن تتوكل عليه فَمن لوازِم معرِفته واستقامتك أن تتوكل عليه .

قال بعض العلماء : " التوكل الانخلاع من التواكل والانخلاع والقوة " وقال شـقيق البلخي : " التوكل أن يطمئن قلبك لِوعد الله " ، فإذا وعدك الله بالتوفيق والرزق والحياة الطيبة علامة التوكل أنك مطمئن لهذا الوعد ، فأنت إذا وعدك إنسان قوي فقد تقول : من المعقول ألا ينْجز الوعد : أما إذا وعدك الله بحياة طيبة ووعدك بالنصر واليسر والتوفيق والنجـاح فمـن علامة التوكل الاطمئنان لِوعد الله .

وقال بعض العلماء التوكل : " الاشتغال عما لك بما عليك " وقال بعضهم : " قلوب الزاهدين أوعية للتوكل " ، وقال بعضهم : " التوكل انقطاع المطامع " فالذي يطمع بما ليس له فهو غير متوكل أما المتوكل فهذا الذي يرضى بما قسمه الله له فهذا من علامـات التوكـل ، توكلْ على الله حتى يكون هو مؤنسك ومعلّمك وموضع شكواك فإن النـاس لا ينفعونـك ولا يضرونك لذلك قال سيدنا يعقوب :

قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّى وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾

(سورة يوسف)

كلما عظم إيمان المرء لا يشكو همه إلاّ إلى الله ، وكلما ضعف إيمانه تجـده كثيـر الشكوى فهذا الذي يشكو همومه إلى كل من يلقاه ضعيف الثقة بالله ضعيف الإيمان إذاً توكـلْ على الله حتى يكون هو مؤنسك ومعلّمك وموضع شكواك فإن الناس لا ينفعونك ولا يضرونك .

الآن موازنة سريعة بين من يتوكّل على مخلوق وبين من يتوكّل على الله إذا توكلت على مخلوق طالبك بالأجر وقد يخونك وقد لا يفْلح وقد يكون أضعف من المهمة التي وكلْتَـه بها أما إذا توكلت على الله أعطاك الأجر توكل إنساناً قَيطالِبك بالأجر وإن كان مخْلصاً فقد لا يستطيع وإن كان يستطيع فهو لا يخاص وقد يخون وقد ينْحاز إلى خصمك أما إذا توكلت على الله عز وجل فالله تعالى يعطيك الأجر ويكفيك ويرضيك ويكرمك .

عزيزي القارىء موضوع التوكل موضوع كبير جداً وذكرنا ما ينبغي أن يذْكر فـي هذا الدرس المحدود لكن الله تعالى نرجو أن تُتَرجم هذه الحقائق إلى مشاعر وتصرّفات وإلـى مواقف لأن الاستفادة الحقيقية من دروس أسماء الله الحسنى أن نتعامل مع الله بِطريقة أفْضـل وبِمستَوى أكبر وأن نتعامل مع الله بِمعرِفة أساسها الطاعة والاستسلام لله عز وجل .

أيها الإخوة : ما من اسم أقرب إلى العبد من اسم **الوكيل** وهو على كل شيء وكيل ، لذلك وكل الله وارتح ونم وأرح أعصابك ووكلْه وابتَعد عن هذه المقْلقـات فَتَوقـع المصـيبة مصيبة أكبر منها أنت من خوف الفقر في فقرٍ ومن خوف المرض في مرضٍ فَتَوقع المصيبة مصيبة أكبر منها والمتوكل على الله عز وجل سوف يرى أن الله كفاه وأغناه وأرضاه

والحمد لله **رب العالمين**

الدرس ٤٩ - اسم الله : "الواسع"

بسم الله الرحمن الرحيم

مع الاسم التاسع والأربعين من أسماء الله الحسنى وهو **الواسع** ، فكلمـة **الواسـع** مشتقّة من السعة ، والسعة تُضاف إلى العلم إذا اتسع وأحاط بالمعلومات الكثيـرة ، وتُضـاف مرةً أخرى إلى الإحسان وبسط النعم .

يقول أحد العلماء في أسماء الله الحسنى " اسم **الواسع** وهو الذي وسع غناه كل فقير ورحمته كل شيء " أحياناً تطلب من إنسان مبلغاً يقول لك : هذا فوق طاقتي إذْ أن دائرة مالِه لا تتسع لهذا الإنفاق وأحياناً تطلب من إنسان أن يعينَك فَيقول لك هذا أمر لا أقدر عليه فـوق طاقتي ولا تتسع له سلطتي ووجاهتي ، وأحياناً تسأله سؤالاً يقول لك لا أدري هذا لـم يبلُغْـه علمي فالإنسان محدود ؛ محدود في علمه ، ومحدود في قدرته وماله وجاهه وكل إنسان هناك من هو فوقّه .

إلاّ أن الله سبحانه وتعالى هو **الواسع** فَرحمتُه وسعت كل شيء وغناه وسع كل فقير وإحسانه شمل كل مخلوق فلا تضيق دائرة علمه عن كل شيء ولا تضيق دائرة إحسانه عـن أي شيء ولا تضيق دائرة قوتهعما دونه فقُوته تتعلق بِكل ممكن وإحسانه يتعلق بِكـل ممكـن وعلمه يتعلق بِكا ممكن فَكلمة واسع وسعت رحمتي كل شيء وسع علمي كل شيء ووسـعت قدرتي كل شيء ووسع غناي كل شيء ، لِذلك قيل **الواسع** هو الذي لا نهاية لِسلْطانه فَنَحن لا نستطيع تصور اللانهائي فالطريق له نهاية وهذه المجرة لها نهاية وهذا الغني مهما عظُم ماله ينتهي عند رقمٍ وهذا الإنسان مهما بلَغ من جاهه هناك شيء لا يستطيعه مثلاً ؛ أمهر طبيـب بِالعالم إذا مات المريض هل يمكنه أن يعيد له الحياة ؟ هذا شيء فوق طاقته :

إن الطبيب له علم يدلّ به إن كان للناس في الآجال تأخير
حتى إذا ما انتهت أيام رِحلته حار الطبيب وخانتْه العقاقير

إذًا **فالواسع** هو الذي لا نهاية لِسلْطانه وبالمناسبة الإنسان مصمم ومهيأ إلى أن يتعرف إلى الله إذْ لا تُملأ نفسه إلا معرفة الله أي شيء دون الله عز وجل بعد حينٍ يملّ منه ، يحيط به أولا وينتهي من التفكير فيه لِذلك حينما يغفل الإنسان عن الله عز وجل بعد أن تتحدد دنياه يشعر بِخيبة الأمل ويشعر بالسأم والضجر لا لِشيء إلا لأن نفسه مصممة لِتَعرِف اللانهائي وتعرِف المطلق فإذا شغلها بِغَير المطلق وهو النهائي والمحدود سئِمت هذا المحدود وملته وضجِرت منه ، وقد تلاحظ ببساطة أن الإنسان حينما كان شاباً يعيش بِالأحلام يتصور بيتًا معينًا ويتمنى زوجة معينة ومركبة معينة فإذا وصل إلى نهاية أهدافه وتحددت حرفته وبيته وزوجته ودخْله وحجم في آماله وأحلامه ، وصارتْ نفسك مصممة لِتَعرِف غير المحدود والمطلق واللانهائي لكنك شغلْتَها بِالمحدود فالمحدود تستَوعبه سريعاً وتملّ منه .

أيها القارىء الكريم ، لن تسعد في الدنيا إلا إذا تطلعت إلى الله عز وجل وإلا إذا كان الهدف هو الله ، إلهي أنت مقصودي ورِضاك مطلوبي ما سوى الله يملّ وما سواه تسأمه النفس وقد تتبرم به فهو محدود بينما النفس متشوقة أبدا لِذلك **الواسع** الذي لا نهاية لِسلْطانه و**الواسع** الذي لا حد لإحسانه فلا يحد غناه ولا تنْفَد عطاياه ولا يشغله معلوم عن معلوم ولا شأن عن شأن.

أحياناً يتحدث إليك شخص فَتَقول لشخص آخر يريد أن يكلمك في أمر ما : انتظر إلى أن ينتهي من حديثي هذا كي أتمكّن من الفهم عليك فلا يتسع إدراكه لِسماعِ صوتين ولا إلى أن ينصرِف إلى جِهتين فهو غير واسع أما ربنا عز وجل معنى أنه واسع أي لا يشغله معلوم عن معلوم ولا شأن عن شأن ، لو أن كل العباد دعوه في وقت واحد لَسمعهم جميعاً فإذا دعا الإنسان ربه واستجاب له وسمع دعائه هناك من يظن أن الله سمعه وحده ، ففي هذه اللحظة التي دعوت الله فيها كم من إنسان دعا الله تعالى فيها ؟ فإذا استَيقظت إلى صلاة الفجر وذهبت إلى المسجِد وبعد الصلاة دعوت الله فعلى مستوى البلد الواحد تجد آلاف المصلين في المساجد وبعد الفجر يقبل المصلون على ربهم بالدعاء ، وكل إنسان يتوجه إلى الله متوسلاً ، وكلهم يسعهم سبحانه في اللحظة ذاتها ، بينما الإنسان لا يستطيع أن ينصرف إلى جهتين معاً ، حتى في علم النفس يقولون : إن الذي يبدو لك أنه يستمع إلى شخصين معاً إياك أن تصدق ذلك وإنما عنده ما يسمى سرعة التحول أما أن يستطيع أن يستوعب حديثين معاً أوثلاثة فهذا غير ممكن ففي سهرة مثلا تجد كل اثنين يتكلمان معاً فهل تستطيع أن تستوعب ما يقوله كل من يتحدث ؟ لا تستطيع إذْ أنك لو انصرفت إلى شخصين نسيت الآخرين لكن الله عز وجل واسع لا يشغله معلوم عن معلوم ولا شأن عن شأن ولا حال عن حال .

وقيل **الواسع** هو العالم المحيط علمه بِكل شيء وسع علمه كل شيء ، أحياناً تركب بِمركبة فترى كلّ شيء أمامك مكشوفًا أما خلفك ما دون زاوية النظر لا تستطيع أن تحيط به ،

لِحكمة أرادها الله عز وجل ، عينا الطائر تُغَطيا ثلاثمئة وستين درجة ولكن قد لا تغطي تحته فهذه ثلاثمئة وستون درجة مستوية فالإنسان سمعه محدود ، وبصره محدود ، وقدرته محدودة وإحسانه محدود .

وقيل هو الذي وسع بِعلمه جميع المعلومات ووسعت قدرته كل المقـدورات واسـع الرحمة والغنى والسلطان والعلم والقدرة والإحسان .

وقيل هو الذي لا حدود لِمدلول أسمائه وصفاته - هذا معنى جديد - فاسم الرحيم ليس له حدود ، واسم الكريم ليس له حدود ، واسم الغني والقوي كذلك وما معنى الله أكبـر ؟ مهما عرفت عن أسمائه الحسنى فهو أكبر من ذلك النبي عليه الصلاة والسلام لما رأى زيـد الخير قال له: يا زيد : والله ما وصف لي رجل إلا رأيته دون ما وصف .

أحياناً يقول لك الإنسان : المكان الفلاني قطعة من الجنة تذهب إليـه وفـي ذهنـك تصور متنامٍ فإذا بك تجده أقل بكثير مما وصف لك ، قال له يا زيد : والله ما وصف لي رجل إلا رأيته دون ما وصف إلا أنت يا زيد ، قد تسمع عن إنسان فيتكون عندك صورة وحجم .

لقد كان أحد الصحفيين من يعمل في حقل الإعلام فكان إذا أراد أن يلتقي مع أديـب يقرأ له الكثير قبل لِقائه به وهذا الأديب أو الشاعر لا يظن أن هذا الصحفي يعرف عنه الكثير فإذا التقى به وسأله وأجاب جواباً غير علمي يرد عليه يتحفّظ ويقول : قاله أحد النقاد قَينْكمش وينْكمش ولما عوتب هذا الذي يجري هذه البرامج لماذا تحرج السائلين بِهذه الطريقـة ؟ قـال لأنني أحب أن أعيدهم لِحجمهم الطبيعي .

فالإنسان له حجم إلا أن هناك أشخاصا لهم القدرة على الظهور بِأحجام أكبـر مـن أحجامهم أما في بعض الظروف الصعبة يحجمون ويعودون إلى حجمهم الأصلي وكل إنسـان له حجم وله سقف ، فعندما ذكر ربنا عز وجل مقالة سيدنا عيسى عليه وعلى نبينـا أفضـل الصلاة والسلام :

إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ

﴿١١٨﴾

(سورة المائدة)

فلو أننا وقفنا عند قوله تعالى : " وإن تَغْفر لهم " يظن المرء أن ختام الآية فإنك أنت الغفور الرحيم " وليس كذلك بل قال فإنك أنت العزيز الحكيم ؟ قال بعض العلماء : " ما مـن إنسانٍ يعفو إلا ويسأل لِماذا عفَوت "، لو فرضنا موظف هل بِإمكانه أن يطوي تكْليفاً لِمكلـف

بضريبة معينة ؟ إذا طوى ضريبة وأعفاه منها كُلياً يسأل لماذا أعفَيتَه ؟ فالإنسـان إذا أراد أن يعفو قد يكون عفوه مأخذاً عليه أما الإله العظيم : " وإن تَغْفر لهم فَإنك أَنْتَ الْعزيز الْحكيم " لا يستطيع مخلوق أن يسألك لِماذاعفوت عنه ؟ أنت المطلق لِقوله : "إن تُعذبهم فَإنهم عبادك وإن تَغْفر لهم فَإنك أَنْتَ الْعزيز الْحكيم"

وكثيرا ما تأتي خواتم الآيات على غير ما نتوقع قال تعالى :

سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَـٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَـٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾

(سورة الإسراء)

فما دام الذي أسرى بعبده ليلاً فالسياق يتطلّب وهو على كل شيء قدير لكن ختمـت الآية إنه هو السميع البصير، يا رب ما علاقة هاتين الكلمتين اللتين هما اسمان من أسـماء الله الحسنى بمضمون الآية ؟ فالنبي عليه الصلاة والسلام ماذا قال بالطائف ؟ قـال : رب إن لـم يكن بِك غضب علي فلا أبالي ولك العتبى حتى ترضى ، سمع الله دعاءه بالطائف فكان الرد الإلهي هذا التكريم : أي يا محمد سمعنا دعاءك في الطائف وهذا هو الجواب أنت الآن مكرم وقد أُريت ملكوت السماوات والأرض وقد نلْتَ المقام الأول الذي لا ينبغي إلا لِواحد من خلقي ، فَختام الآيات له معنى دقيق ودقيق دقيق .

فمعنى **الواسع** أن رحمته لا حد لها وعلمه لا حد له وقدرته لا حد لها فهذا الاسم إذاً تعلّق بكل أسماء الله كاسم الرحمن قال تعالى :

قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَـٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾

(سورة الإسراء)

اسم **الواسع** متعلق بكل أسمائه ، قال : واسع المغفرة وقيل **الواسع** الذي لا حـدود لِمدلول أسمائه وصفاته ؛ واسع العلم و واسع المغفرة و واسع الرحمة و واسع الملك .

بعض العلماء الذين تحدثوا عن أسماء الله الحسنى ذكروا أن **الواسع** الذي لا نهايـة لِبرهانه ولا غاية في سلطانه فهو واسع في علمه فلا يجهل فأعلم عالم يقول لك مثلاً : غابـت فكرة عني ويؤلف كتاباً وبعد عشر سنوات تكون هناك مؤاخذات في الطبعة الثانيـة ، غابـت عنه هذه الحقيقة وهذه الفكرة ، حتى الأئمة الكبار أبو حنيفة النعمان غاب عنه حديث شـريف ولو اطّلع عليه لأدلى بِحكمٍ آخر غير الحكم الذي حكم به في موضوع الوقف ؛ وفوق كل ذي علمٍ عليم ، ف**الواسع** الذي لا نهاية لِبرهانه ولا غاية لِسلطانه ، واسع في علمه فلا يجهـل ، وواسع في قدرته فلا يعجل ، والله قدير ، والإنسان أحياناً يرى بعض المنحـرفين يتحـدثون بِكلامٍ قبيح ، ويتحدون الذات الإلهية وينطقون بِالكفر، والله جلّ جلاله بِقُدرته أن يسحقهم فـي ثانية واحدة فهو واسع في علمه فلا يجهل ، وواسع في قدرته فلا يعجل ، من فقرات (التذكير) قبل صلاة الفجر يقول المؤذّنون : وهو العاطي الذي لا يسأل وهو الكريم فلا يبخل وهو الحليم فلا يعجل ، فالإنسان أحياناً يعجل فَيَنْدم ، فالله هو العاطي الذي لا يسأل ، وهو الكـريم فـلا يبخل وهو الحليم فلا يعجل ، وإذا أعطى أدهش .

قيل هو **الواسع** في علمه فلا يجهل ، وواسع في قدرته فلا يعجل ، وقيل : **الواسـع** الذي لا يغرب عنه أثر الخواطر في الضمائر ، أنت قد تتأمل إنساناً وتتأمل قوامـه ، ولـون جِلده ، ولون عينَيه ولون شعره ، وثيابه وألوان ثيابه وأناقَتَه ، وإنسجام الألوان فـي ثيابِـه ، وحركته ونظرته ولَفْتَته ونبرة كلامه ، لكن هل تستطيع أن تكشف بِماذا يفكر ؟ أو مـا الـذي يخطر بِبالِه ؟ لايمكن إذاً دائرة معلوماتك محدودة وقفت هنا ، أما **الواسع** هو الذي لا يغـرب عنه أثر الخواطر في الضمائر قَكُل الخواطر التي تخطرعلى بالك هي في علم الله عز وجل .

وقيل **الواسع** الذي أفضالُه شاملة وعطاياه كاملة ؛ إذا أعطى أدهش كما قيل **الواسع** هو المطلق ، فَنَحن عندنا محدود ومطلق ، فما سوى الله محدود لكن هذا المحدود بالنسبة لنـا غير محدود .

فالآن بعد مئات السنين من البحث والتأمل وصنع المنـاظير العملاقـة والمراصـد الجبارة هل تصدقون أيها القراء الكرام أن بعض عدسات المراصد يستمر تبريدها خمسة عشر عاماً ، هناك مرصد بِأمريكا استمرت مدة تبريده خمسة عشر عاماً من أجل أن يأتينا بِـبعض الكواكب التي لا تُرى بِالمناظير الصغيرة ومع ذلك يقولون لك : وصلنا إلى مجرة تبعد عنـا أربعة وعشرين ألف مليون سنة ضوئية !! تقول لهم يا تُرى هل هناك مجرة أبعد من هـذا ؟ يقولون لك نعم لكن علمنا وصل إلى هذا الحد ، فهذا الكون الذي نعيش فيه هو نظرياً محدود ، فما سوى الله محدود ، والله مطلق ، والكون بِالنسبة إلى الله محدود بينما هو بالنسبة إلينا غير محدود، فَكيف خالق الكون ؟

مثلاً من باب التوضيحوضعنا رقم (واحد) في دمشق ولو وضعنا عند نقطة بدايته صفراً ولف هذا المرء العالم كم سيكون بينه وبين النقطة التي ينتهي إليها والتي هي منطلق بدايته؟ لو أردت أن تحسب هذا الرقم لوجدت أنه رقم خيالي ومع ذلك هو لا يساوي شيئا مع اللانهاية ، فأكبر عدد على الاطلاق إذا نُسب إلى المالانهاية فهو صفر ، موضوع الأبد لا يستطيع العقل إدراكه فالجنة أبدية ، والإله مطلق لا نهاية له ، وما سواه محدود .

سمعت بعض العارفين يقول : والله يا رب لو تشابهت ورقتا زيتون لما سميت **الواسع** ، فالأرض تحمل ستة آلاف مليون إنسان ، ولنُجرِ إحصاء على مستوى بلد واحد ، فهل هناك وجه يشبه وجهاً ؟ حتى لقد قيل لي : لو جئنا بآلة تصوير ملونة ذات حساسية للألوان التي في البشر فلا تستطيع هذه الآلة أن تظهر الفروق التي بين الأشخاص ، إذْ إن كل شخصٍ له لون أما هذه الآلة قد تظهر مئة شخصٍ بلونين أو ثلاثة فقط ، في حين أن كل شخصٍ له لون ونبرة صوت ورائحة جسم وكيمياء دم وهي البلازما وله شكل بالقُزحية وله بصمة وزمرة نسيجية ، فأنت لا تُشبه في العالم كله إلا واحداً فالعلماء اكتشفوا الآن مليونين ونصف مليون زمرة نسيجية ، إذًا الله واسع ؟

ائت بالمهندس وقُل له صمم لي بناء تجد أن تصميمه لهذا محدود ، كذلك لو رأيت المركبات هذه زاويتها حادة وبعد سنة منحنية وفي عام ثالث تصمم و لها خطوط ...إلخ فَتَجد أن الإنسان محدود إبداعه ، لكن تصور كم ورقة نبات في الأرض ؟ هناك ورقة إبرية وتلك مسننة إلخ ، ألف نوع من النبات الذي لا يعد ولا يحصى ، وهذا النبات الذي يوضع بالردهه أو بالليوان له خصائصه التي ينفرد بها ، ف**الواسع** الذي لا حدود لإبداعه ، ونحن إبداعنا محدود ، ولو قيل لنا اكتَشفنا إنساناً في المريخ لكان شكله معروفاً لدينا ؛ رأس ورجلين ويدين ، وبالبحر مليون نوع من السمك فهناك سمك بشكل زهور وسمك شفاف ترى أمعاءه بداخله والآخر أسود فاحم وهناك من السمك الذي يلقي سحابة أمامه دفاعاً عن نفسه وهناك الذي يلقي تياراً كهربائياً بقوة ستة آلاف فولت ، شيء عجيب ، وأنواع الطيور لا تُعد ولا تُحصى ، والزواحف والورود ، مرة اطلعت على ثمانية عشر مجلّداً وكل مجلد ثمانين صفحة وكل صفحة حوت بصلة نبات وليس في الكتاب إلا الأبصال ، أوضح مثل وجوه البشر كلها ذات أنف وعينين وفم ، فهل تستطيع أن تصنع خمسمئة ألف مليون وجه دون تكرار ؟ هذه البصمة يمكن أن نكبرها على مستوى متر مربع ، ولو عرضنا خمسة عشرة ألف بصمة لا يمكن أن تتشابه بصمتان ، والبصمة تحوي مئة نقطة فلو تشابهت سبع نقاط لكانتا لإنسان واحد ومع ذلك هناك جزر وفروع وأغصان وخُلجان ورؤوس كل هذا بالبصمة ، وبعض المجرمين استغل هذا الأمر واستأصلوها وضعوا من لحمهم رقعةً حتى إذا ارتكبوا جريمة لا يعودون إليهم وبعد حين ظهرت على النسيج الذي وضع كرقعة خطوطُ البصمة الأصلية قال تعالى :

بَلَىٰ قَـٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ ﴿٤﴾

(سورة القيامة)

البصمة تقوم عند كل إنسان مقام التوقيع التوقيع ، وهناك الآن بعض الأقفال لا تفتح إلا على قزحية العين نظَراً لأنه ليس في الأرض إنسان واحد يشبهك في قُزحيـة العـين ، إذْ ينعدم في الأرض وجود تشابه قُزحيتن لإنسان ، ف**الواسع** لاحدود له ، وكل أسمائِه لا حدود لها ، فالله مطلق بينما المخلوق محدود .

فالله هو **الواسع** ؛ إذا نظرنا إلى علمه فلا ساحل لِبحر علومـه، وإذا نظرنـا إلـى إحسانه ونعمه فلا نهاية لإحسانه ، وكل سعة وإن عظمت تنتهي إلى طرف ، فأكبر محيط هو المحيط الهادي ، فلو ركبته بعد شهرين تصل إلى شاطىء حيث ينتهـي المحـيط الهـادي ، والقمر وصل إليه رواد الفضاء وكذلك المشتَري وصلوا إليه ، فكل شيء مهما بدا لك واسـعاً له حد ونهاية .

ولنا من بعد وقفة مع الآيات الكريمة التي ورد فيها اسم **الواسع** قال تعالى :

وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾

(سورة البقرة)

علمه واسع وقال تعالى :

وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ۚ قَالُوٓا۟ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ ۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ ۖ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾

(سورة البقرة)

في الآيتين السابقتين اقترنت السعةُ بعلمه ، وكذلك في الآية التالية ، قال تعالى :

مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ٢٦١

(سورة البقرة)

علم إخلاصك في هذا الانفاق فهو واسع في عطائه لك ، وواسع في علمه فلا يعزب عنه مثقال ذرة ، قال تعالى :

ٱلشَّيۡطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ وَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغۡفِرَةٗ مِّنۡهُ وَفَضۡلٗاۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ٢٦٨

(سورة البقرة)

وقال تعالى :

وَلَا تُؤۡمِنُوٓاْ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمۡ قُلۡ إِنَّ ٱلۡهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ أَن يُؤۡتَىٰٓ أَحَدٞ مِّثۡلَ مَآ أُوتِيتُمۡ أَوۡ يُحَآجُّوكُمۡ عِندَ رَبِّكُمۡۗ قُلۡ إِنَّ ٱلۡفَضۡلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ٧٣

(سورة آل عمران)

هنا معنى دقيق الدلالة ، ففي الحياة الاجتماعية والوظيفية هناك مناصب ؛ فهناك مدير دائرة ، وهناك موظف بالدرجة العاشرة وهذا المنصب يقال لك : شُغل ولا سبيل للارتقاء إليه حتى يزاح الذي فوقك فليس من شواغر فالعطاء ليس واسعاً ، لكن الله تعالى يسع فضله الخلق كله ، فلا يحسد إلا الجاهل:

قُل لِمن بات لي حاسداً أتدري على من أسأت الأدبا

أسأت على الله في فعله إذْ لم ترض لِي ما وهبـا

فليتق المرء بعطاء ربه و ليطلب منه فهو سبحانه واسع عليم ، فالإنسـان عطـاؤه محدود لكن الله واسع ولا حدود لِفَضله فَبدلَ أن تحسد الناس اسع في طلب ما عنـد الله كمـا طلبوا من الله لذلك قال تعالى :

وَلَا تُؤْمِنُوٓاْ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَآجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾

(سورة آل عمران)

لو أن العباد كلهم كانوا كمحمد صلى الله عليه وسلّم لأعطاهم مثل ما أعطى محمـداً طبعاً إلا النبوة ، والله واسع عليم ، فاسم **الواسع** يتناقض مع الحسد لأن الحاسد لا يرى ما عند الله من خير عميم ؛ قال له :

عن هريرةَ قالَ قام رسولُ الله صلى الله عليه وسلم في صلاة وقُمنَا معه فقالَ أعرابي وهو في الصلاة اللهم ارحمني ومحمدا ولا ترحم معنَا أحدا فلما سلم النبي صلى الله عليه وسـلم قالَ لِلأعرابي لقَد حجرتَ واسعا يريد رحمةَ الله *

(رواه البخاري)

اللهم ارحمني ومحمدا ولا ترحم معنا أحداً ، فقال عليه الصلاة والسلام : لقد حجرتَ واسعاً ، لو أن الخلق جميعاً كانوا على أتقى قلب رجلٍ في البشر لوسعهم فضل الله عز وجل ، كلمة واسع كلمة رائعة جداً ؛ والله واسع عليم قال تعالى **: " قُلْ إِن الْفَضلَ بِيد الله يؤْتيه من يشَاء والله واسع عليم " ، أي : يعطيه من يشاء من عباده .**

وقال تعالى :

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِى ٱللَّهُ بِقَوۡمٍ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَـٰفِرِينَ يُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٍۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾

(سورة المائدة)

لا تحسد ولا تتمن ما عند أخيك بل أطلب من الله ولا تتمن ما فضل الله بعض الناس على بعضهم ، وأصغ سمعك لقول الشاعر ففيه معنى رائع في الموضوع الذي نحن فيه :

لا تسألن عن السبب ملك الملوك إذا وهب

وأنا عدلته وقلت :

ملك الملوك إذا وهب قُم فاسألن عن السبب

الله يعطي من يشـاء فقف على حـد الأدب

لاتحسد ، وإنما تنافس مع أخيك دون أن تحسده قال تعالى :

خِتَـٰمُهُۥ مِسۡكٌۚ وَفِى ذَٰلِكَ فَلۡيَتَنَافَسِ ٱلۡمُتَنَـٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾

(سورة المطففين)

لأن فضل الله واسع يؤتيه من يشاء ، وقال تعالى :

وَأَنكِحُواْ ٱلۡأَيَـٰمَىٰ مِنكُمۡ وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنۡ عِبَادِكُمۡ وَإِمَآئِكُمۡۚ إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغۡنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٢﴾

(سورة النور)

لو كان إنسان يساعد الفقراء لضجِر تبرم أحياناً ، وقال كفاكم ، لقد سئِمت لأنه ليس واسع ، ولكنهم لو سألوا الله عز وجل لوجدوا عطاءه واسعاً دافقاً وقد قال رسـول الله فيمـا يرويه عن ربه تعالى :

يا عبادي لو أن أولكُم وآخركُم وإنْسكُم وجِنكُم قاموا في صعيد واحد فَسألُوني فأعطَيتُ كُـل إنْسانٍ مسألتَه ما نَقَص ذَلِك مما عنْدي إلا كما ينْقُص الْمخْيطُ إذَا أُدخلَ الْبحر يا عبادي إنمـا هي أعمالكُم أُحصيها لكُم ثُم أُوفيكُم إياها فَمن وجد خَيرا فَليحمد الله ومن وجد غَير ذَلِك فَلا يلُومن إلا نَفْسه*

(رواه مسلم)

كُن فَيكون وزلْ فيزول ، هناك أشخاص لهم مبالِغ طائلة أربعة آلاف مليون دولار ، فهذا الإنسان لو اشترى أفضل منزل وأفضل جزيرة وأفضل يخْت ، هنـاك يخـوت ثمنهـا عشرون مليون دولار، لربما ضاق ذرعا خوفا على المال أن ينفد ، والنبي عليـه الصـلاة والسلام ماذا قال فيما يرويه عن ربه : " قَأعطَيتُ كُل إنْسانٍ مسأَلتَه ما نَقَص ذَلِك مما عنْدي إلا كما ينْقُص الْمخْيطُ إذَا أُدخلَ الْبحر " .

اركب البحر واغمس إبرة فيه وارفَعها ثم انظر ماذا أخذت من ماء البحـر ، فهـذا الذي أخذته هي الدنيا والبحر هو الآخرة ، و الله واسع عليم ، فالإنسان مهما غني وتنَعم وقوي وانغمس في الملذات والشهوات كل هذا لا يساوي من الآخرة مثقال ذرة إطلاقاً : **عن سهل بن سعد قَالَ قَالَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لو كانَت الدنْيا تَعدلُ عنْد الله جنَاح بعوضة ما سقَى كَافرا منْها شَربةَ ماء ***

(رواه الترمذي)

فالدنيا لا تعدل عند الله جناح بعوضة ، قال تعالى :

وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا حَكِيمًا ﴿١٣٠﴾

(سورة النساء)

يعني إذا أساء الزوج إساءة بالِغة لِهذه الزوجة وتَفَرقـا يرسـل الله لِهـذه الزوجـة المظلومة زوجاً أغنى وألطف وأحب والله واسع عليم

قال تعالى :

وَحَآجَّهُۥ قَوۡمُهُۥۚ قَالَ أَتُحَآجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ وَقَدۡ هَدَىٰنِۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشۡرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيۡـٔٗاۗ وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمًاۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ٨٠

(سورة الأنعام)

وسع ربي كل شيء علماً : أي لا تخفى عليه خافية ، فـالله يسـمع دبيـب النملـة السمراء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء ، فهل تستطيع أنت أيها الإنسـان أن تسـمع دبيب النملة السمراء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء ؟ لذلك وسع ربي كل شيء علماً ، وهل تستطيع أن تقرأ خواطر الحاضرين معك ؟ الله واسع عليم .

كل تلك الآيات تبين سعة فضله وسعة علْمه ، أما هذه الآية فهي تبين سعة رحمتـه قال تعالى :

۞ وَٱكۡتُبۡ لَنَا فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِنَّا هُدۡنَآ إِلَيۡكَۚ قَالَ عَذَابِيٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنۡ أَشَآءُۖ وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ فَسَأَكۡتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤۡمِنُونَ ١٥٦

(سورة الأعراف)

فهذه الآية مطمئنة ، تطمئن إليها النفوس حتى الجانحة منها فلعلها تئوب ، فالله قـال وسعت رحمتي كل شيء فأنت داخل رحمة الله عز وجل قال تعالى :

إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ وَسِعَ كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمًا ٩٨

(سورة طه)

وقال تعالى :

ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ﴿٧﴾

(سورة غافر)

فالإنسان العالم ليس بيده شيء ، والإنسان الرحيم ليس بعالم ، أما أن تجتمع الرحمة مع العلم فهذا فضل واسع ! فهناك رحمة مع جهل ، وعلم مع قسوة لكن ربنا "وسعتَ" كل شيء رحمةً وعلماً فاجتماعهما شيء تلتذ به النفوس و تنشرح له القلوب ، تجد شخصاً من أذكى الخلق لكنه لئيم وقلبه كالصخر ، وأحياناً يقابلك شخص قلبه يفيض بالرحمة ولكنه جاهل فلا هذا يعجبك ولا ذاك ، أما أن تجتمع هاتان الخصلتان قال تعالى : " ربنَا وسعتَ كُل شَيء رحمةً وعلْما فَاغْفر لِلذين تَابوا واتبعوا سبيلَك وقهم عذَاب الْجحيم " .

وقال تعالى :

وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٖ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾

(سورة الذاريات)

هذه الآية تتفق مع أحدث نظرية في الكون وهي تمدد الكون .

الواسع هو المطلق لا يشغله معلوم عن معلوم ولا شأن عن شأن ولا مسموع عن مسموع ولا دعاء عن دعاء ، وسع إحسانه جميع الخلائق ، ولا يمنعه إغاثة ملهوف عن إغاثة غيره ، وبعض الأئمة يرجحون أن اسم **الواسع** جاء عقب اسم المجيب ، وأن التقدير إذا سأله سائل كيف يمكنه إجابة جميع الخلائق ؟ كيف يسمع أصواتهم مرة واحدة ؟ وكيف يعلم ضمائرهم دفعةً واحدة ؟ وكيف يستطيع تحصيل مراداتهم جميعاً ؟ الجواب هو واسع عليم .

قد يسأل المرء نفسه أحياناً كيف أن الله يستمع لجميع المخلوقات ويجيب جميع الخلائق ويعلم كل الضمائر ؟ والجواب إنه واسع عليم وكأن السعة و العلم متعلقان متعلق بالمجيب والحديث الشريف :

" إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم فسعوهم بأخلاقكم ، المال يضيق ولكن الخلق أوسع " .

ويحلو لي أن أختم البحث بما يلي : ، من أدب التخلّق باسم **الواسع** : أن يتسع خلُقُك ورحمتُك لجميع عباد الله ؛ فقد يكون عطْفك كله لأولادك ، وأحياناً لأقربائك وتضيق دائرة

رحمته عن الغرباء ، وتحب أسرتك وعشيرتك وقبيلتك أما المؤمن فكلما إزداد إيمانـه تتسـع دائرة رحمته لِكل الخلائق .

عندما جاء جبريلُ النبي صلى الله عليه وسلم بعد أن استَخَفوا به في الطائف وبعد أن سخروا منه وكذبوا دعوته وأغْروا سفهاءهم بِإيذائه جاءه جبريل وقال :

أن عائِشَةَ رضي الله عنْها زوج النبي صلى الله عليه وسلم حدثَتْه أنها قالتْ لِلنبـي صـلى الله عليه وسلم هلْ أتَى عليك يوم كان أشَد من يوم أحد قالَ لقَد لقيتُ من قومك مـا لقيـتُ وكان أشَد ما لقيتُ منْهم يوم العقبة إذْ عرضتُ نَفْسي على ابن عبديالِيلَ بن عبـدكُلالٍ فَلـم يجِبني إلى ما أردتُ فانْطَلقْتُ وأنَا مهموم على وجهي فَلم أستَفقْ إلا وأنَـا بِقـرن الثعالِـبِ فَرفَعتُ رأسي فَإذَا أنَا بِسحابة قد أظَلتْني فَنَظَرتُ فَإذَا فيها جِبريلُ فَناداني فَقالَ إن اللـه قَـد سمع قَولَ قَومك لك وما ردوا عليك وقَد بعثَ إلَيك ملك الْجِبال لِتأْمره بِما شئْتَ فيهم فَنَاداني ملك الْجِبال فَسلم علي ثُم قالَ يا محمد فَقالَ ذَلك فيمـا شـئْتَ إن شـئْتَ أن أُطْبِـقَ علَـيهم الأَخْشَبين فَقالَ النبي صلى الله عليه وسلم بلْ أرجو أن يخْرج الله من أصلابِهم من يعبد الله وحده لا يشْرِك بِه شَيئًا *

(رواه البخاري)

فالنبي عليه الصلاة و السلام قال: لا يا أخي . اللهم اهد قومي فـإنهم لا يعلمـون ، طبعاً لا بد من باب الموازنة فما منا من أحد لو أساء إليه آخر إسـاءة نافـذة إلا ويتمنـى أن يقَطعه إرباً إرباً لكن النبي صلى الله عليه وسلّم وسعت رحمته خصومه وأعداءه والذين كذبوه وسخروا منه واستَخَفوا به والذين أغْروا سفهاءهم بِإيذائه هؤلاء وسعتهم رحمة النبـي عليـه الصلاة والسلام ، فمن أدب التخلق بِهذا الاسم أن تتسع رحمتك لِكل عباد الله من كل الأجناس ، والمؤمن أوسع مدى من ذلك فحتى الحيوانات يرحمها ؛ إنكم لن تسـعوا النـاس بِـأموالكم فسعوهم بِأخلاقكم لذلك فالنبي عليه الصلاة والسلام لما سمع الأعرابي يقول : اللهم ارحمنـي ومحمدا قال له لقد حجرت واسعاً .

الإمام الغزالي يقول : " تأدباً مع اسم **الواسـع** ينبغي أن تتسع دائرة علمـك لأن الله عالم ويحب كل عالم وأن تتسع دائرة إحسانك ودائرة عفْوك لتشمل كل الناس " ، فهناك قلـب صغير وهناك قلب كبير يتسع لكل الناس ولكل التجاوزات والعنْعنات والحماقات ، بينما هناك من ينفجِر قلبه ويضيق ويكيل الصاع صاعين ، والعوام يقولـون : "الوعـاء الأكبـر يتسـع للأصغر" فأنت كلما كبرت عند الله اتسعت نفسك لكل الخلائق ، والكبيـر يسـع الصـغير ، والحليم يسع الأحمق ، والعالم يسع الجاهل ، والغني يسع الفقير ، فهذا هو التطبيق العملي لهذا الاسم وهو أن تتسع في علمك ورحمتك وإحسانك وعفْوك .

الإنسان **الواسع** يتّسع للحسود مثلاً ولغيره ، ولكل من أساء إليه لـذلك قـال عليـه الصلاة والسلام :

قال سهل بن عبدالله: كلم الله موسى بطور سيناء. قيل له: بأي شيء أوصاك ؟ قـال: بتسـعة أشياء، الخشية في السر والعلانية، وكلمة الحق في الرضا والغضـب، والقصـد فـي الفقـر والغني، وأمرني أن أصل من قطعني، وأعطي من حرمني، وأعفو عمن ظلمني، وأن يكـون نطقي ذكرا، وصمتي فكرا، ونظري عبرة .

قلت: وقد روي عن نبينا محمد أنه قال : أمرني ربي بتسع : الإخلاص في السـر والعلانيـة والعدل في الرضا والغضب والقصد في الغنى والفقر وأن أعفو عمن ظلمنـي وأصـل مـن قطعني وأعطي من حرمني وأن يكون نطقي ذكرا وصمتي فكرا ونظري عبرة .

والحمد لله رب العالمين

الدرس ٥٠ - اسم الله : "الواحد"

بسم الله الرحمن الرحيم

مع الاسم الخمسين من أسماء الله الحسنى والاسم هو " الواحـد" ، وفـي اللّغة الواحد هو المتَوحد الذي لا يخالط الناس و لا يجالسهم ، والتوحيد أن تؤمن بـالله إلهـاً واحداً لا شريك له وإحدى صفات الله جلّ جلاله "الواحد"،وقد خصها بنفسه لا يشْركُه فيها أحد ، هو الواحد.

و في بعض الكتب ؛ الواحد هو الفرد الذي لم يزل وحده و لم يكن معه أحد من قبلُ ، ولا يزال وحده الى أبد الآبدين ، واحد قبلاً وبعداً أزلاً وأبداً ، و في الحديث أن الله سـبحانه وتعالى لم يرض بالوحدانية لأحد غيره ، وفي اللغة أيضاً واحد في هذا الباب ، واحد في هـذا العلم، واحد في هذا الفّن ، واحد في هذه الخبرة ، الواحد في اللغة التّقدم بـالعلم أو البـأس أو غير ذلك ؛ أي التّفوق ، هناك معنيان يليقان بحضرة الله عز وجل الوحدانية والتفوق هو وحده ، وواحد لا شريك له وقبل أن نمضي في الحديث عن هذا الاسم العظيم ، نذكر ما قد ورد في الآثار من أنه اسم الله الأعظم ، هناك واحد وهناك أحد ، الله جل جلاله واحد أحد ، واحـد لا شريك ، له وأحد لا مثيل له ؛ لا شريك : واحد ، ولا مثيل : أحد ، فهو واحد أحد فرد صـمد .

والعدد أحياناً يأخذ معنيين : معنى كمياً ومعنى نوعياً ؛ تقول : فلان ترتيبه الرابـع في صفّه فَكلمة الرابع ليس هو أربعة أشخاص ولكن ترتيبه هو الرابع، وهو المعنى النـوعي للعدد ، أما إذا قلنا جاء أربعة أشخاص فهذا المعنى الكمي ، فالعدد له معنى كمي وله معنـى نوعي ، إذا قلنا الله واحد أي لا شريك له ، وإذا قلنا الله أحد أي لا مثيل له ، فَكأن أحد تشـير إلى المعنى النوعي وكأن واحد تشير إلى المعنى الكمي .

على كُل التوحيد مشتق من الواحد وكل مؤمن يعلم أنه ما تعلمت العبيد أفضل مـن التوحيد، والتوحيد نهاية العلم على الإطلاق ، وفَحوى دعوة الأنبياء جميعاً ، والتوحيـد هـو الدين ، لذلك التوحيد مأخوذ من اسم الله الواحد . لكن التوحيد توحيدان : توحيد ربوبية وتوحيد ألوهية ، فَتَوحيد الربوبية أن تشهد أن الله سبحانه وتعالى واحد في ملكه ، وهو الـذي خلـق

ورزق وأعطى ، وهو الذي منع والذي رفع ، وهو الذي خفض وهو الذي قبض و بسط وهو الذي أعز وأذلّ ، هذا توحيد الربوبية ، لا رازقَ ، ولا معطي ولا محيي ، ولا مميـتَ ، ولا مدبر لأمر الكون كله ظاهراً وباطناً إلاّ هو، ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ، ولا تتحـرك ذرة إلا بإذنه ولا يحدث حادث إلا بعلْمه ، ولا تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ، ولا أصغر ولا أكبر إلا أحصاها علمه وأحاطت بها قدرتـه ونفذت فيها مشيئته واقْتَضتْها حكمتُه ، فتَوحيد الربوبية أن تؤمن أنه الواحد في تـدبيره وفـي ملكه .

أما توحيد الألوهية فهو أن تعبده ولا تعبد أحداً معه وألا ترى له نداً ولا مـدبراً ولا معطياً ولا مانعاً إلا هو ، توحيد الربوبية رؤية ، لكن توحيد الألوهية أن تعبده وحده ، والدين رؤية وعبادة ؛ علم وعمل ؛ عقيدة وسلوك .

هناك رأي آخرعند بعض العلماء لِتوحيد الربوبية وهو أن تعتقد أن لهذا الكون خالِقاً واحداً ، أما توحيد الألوهية أن تعتقد أن الله تعالى هو المستحق وحده للعبادة ، فهـو المسـير وهو المعز والمذل والمحيي والمميت .

على كل اختلاف التسمية لا يقدم ولا يؤخر نحن أمام حقيقتين : حقيقة أن نشـهد أن الله واحد في ذاته و واحد في صفاته و واحد في أفعاله وأنه الخالق والرازق والممد والمحيـي والمميت وأنه المعطي والمانع والرافع والخافض والقابض والباسط وهو كل شيء ، والتوحيد : ألا تشهد أن مع الله أحداً ، هذه كلمة تُلقَى وفكرة تُسمع وتُدرك لكنه شتان بـين أن تُـدركها وبين أن تفهمها وبين أن تعيشها .

أيها القراء الكرام أحد أكبر مصادر الشقاء في الحياة الدنيا ألا تكون موحداً قال تعالى :

فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾

(سورة الشعراء)

ما الذي يعذّب الإنسان ؟ أن يرى أمره بيد عدوه وأنه ضعيف وخَصمه قوي وهـو حاقد عليك . وما الذي يريحه ؟ أن يرى أمره بيد رحيم وبيد إله عادل وبيد قدير وبيد غنـي وبيد رحيم وبيد رؤوف ، ما الذي يريحك إذا كنت محقاً ؟ يريحك أن يكون القاضي عـادلاً ، تقول مثلاً : أنا لا أُبالي فالقاضي يحكم بالحق وأنا معي الحق ، وما الـذي يريحـك وأنـت موظفٌ في دائرة ؟ أن توقن أن المدير العام منصف لا يلْقي بالاً للوشاية يتحقق بِنَفْسه والـذي يريح الإنسان أن يرى أن أمره بيد الله وأن الله لا يمكن أن يقول لك يا عبدي أعبدني وأمـرك

بيد غيره وحينما يكون أمرك بيد غير الله فأنت مضطر أن تعبد غير الله أما حينما يقـول الله لك :

وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾

(سورة هود)

لم يأمرك أن تعبده إلا بعد أن طمأنك بأن أمرك كله بيده .

أيها القارىء الكريم : والله هذه الحقيقة لا أفْتَأ أكررها إلى يوم القيامة لأن القـرآن الكريم كله يدور حولها قال تعالى :

قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾

(سورة الكهف)

انظر إلى نفسك ما الذي يقلقك ؟ ضعف التوحيد والإشراك وما الذي يخيفك ويقبض قلبك ؟ الإشراك ولا أقول الجلي إنما الخفي ، وما الذي يزعجك ؟ أن تعتَقد أن زيداً بيده أمرك وهو لا يحبك وأن تعتقد أن رزقك بهذه الجهة وربما تغضب عليـك ، لـذلك حينمـا تُوحـد تستَرخي وترتاح أعصابك وتذهب عنك الشّدة النفسية وترى بأنك بيد أرحم الـراحمين ، لـو كانت لك قضية عند شخصٍ عادل رحيم لا تُبالي.

أكرر ثانية : هناك توحيد ربوبية وتوحيد ألوهية ، والتوحيد ألا تشهد أن مع الله إلهاً آخر ، لكن هناك حقيقة أخرى وهي أن هذه العين تُريك أُناساً أقوياء يفعلون ما يقولون ، والله عز وجل لا يمكن أن تراه بعينك بل تُدركه بعقلك ، فالإنسان بلا جهد عقلي يرى شُركاء مـع الله بل العالم كله الآن يقول : إن الدولة الفُلانية قوية لأن معها سلاح نَووي وبيـدها مصـير العالم فالعين الظاهرة تُريك الأقوياء من البشر ولكن العقل الراجح مع التأمل والتفكر والتـدبر والقراءة وحضور مجالس العلم تُريك الواحد الأحد ألم يقل الله تعالى :

إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأٓيَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾

(سورة يونس)

هناك دولة لها من القنابل النووية ما تستطيع أن تُدمر الأرض خمـس مـرات ، لا أُنْكر أن هذه العين ترى الأقوياء من البشر لكن عقلك وإيمانك وتفكرك وتـدبرك لآيـات الله يريك أنه بيده كل شيء ؛ رؤية التوحيد تحتاج إلى جهد وإلى إيمان بكتاب الله وإلى يقين واعلم أن رؤية التوحيد لها ثمن أما رؤية العين بلا ثمن ، كل إنسان إذا رأى بعينه يقول لك : هـذا قوي وذاك غني لكنك إذا قرأت القرآن وهو كلام خالق الأكوان وفهمت آياته وتدبرته وصدقْته ورأيت الحوادث كيف تجري تستنبط أن كل الأقوياء عصي بيد الله عز وجل يحركهـا كيـف يشاء قال تعالى على لسان نبيه هود:

فَكِيدُونِى جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾

(سورة هود)

أيها القارىء الكريم : إذا وقفت عند إنسان ولك عنده حاجة وهو أقوى منك يجب أن تؤمن أن خاطره وقلبه وعينه وطريقة تفكيره وكل ما يلْقى في روعه من إلهامات بيد الله فإذا أراد الله أن يرحمك ألْقى في قلبه العطف عليك وإذا أراد أن يؤدبك ألقى في قلبه قسوةً عليك :

وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ﴿٣٩﴾

(سورة طه)

من الذي ألقى في قلب امرأة فرعون محبة ذاك الطفل حينما رأت طفلاً صغيراً فـي الصندوق؟ هو الله قال تعالى :

﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ﴿١٢﴾﴾

(سورة القصص)

فَمن الذي حرم على هذا الطفل كل هذه المراضع ؟ هو الله ، هذا تحريم منع ولـيس تحريم تشريع ، أما حينما جاءت أمه الْتَقم ثديها ، فالله عز وجل من خلال قصة سيدنا موسـى وسيدنا يوسف يريك أن الفعل بِيده والله الذي لا إله إلا هو أحياناً أستمع إلى قصة أشعر أنهـا غذاء لِقلبي لأنها في دلالتها تشير إلى أن الله بِيده كل شيء ، دلالة صارخة وقد يظهر فعل الله للناس جميعاً وأحياناً يمتحن الله عبده بِأن تظهر أفعاله جلية واضحة ويتبادر لنفسـك أن هـذا الإنسان يفعل ما يقول ، فأين الله ؟ هذا امتحان لِضعاف التوحيد وأحياناً تبدو لـك أفعـال الله صارخة ، فقد تسمع أن حريقاً التهم ثلاثين محلاً تجارياً والتفّ حول محل واحد مخلفا إيـاه ؛ شيء واضح جداً أن صاحب هذا المحل يدفع زكاة ماله في إحدى السنوات جاءت حملة الجراد ، وأعتَقد أنها بِالثلاثينات ، فأكلت الأخضر واليابس وأتى على كل البسـاتين إلا واحـداً فـي الغوطة إذ بقي كأنه قطعةٌ من الجنة بأشجاره وأوراقه فلما سألوا صاحب البستان قـال : أنـا أدفع زكاة مالي وجاؤوا بِكيسٍ من الجراد وَألْقَوه في بستانه فَتَطاير في دقائق معـدودات ، إذاً أحياناً ترى فعل الله صارخاً وأحياناً ترى فعل الإنسان صارخاً واللهُ في كل الأحوال هو الفعال لكن يمتَحن ضعافُ التوحيد قال تعالى :

﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ ﴿١٥﴾﴾

(سورة طه)

أحياناً يتم شفاء ذاتي لِمرضٍ عضال في حين أن الأطباء جميعاً أجمعوا على أن هذا الإنسان لا محالة ميت ، مرض خبيث من الدرجة الخامسة ؛ تصوير وتحليل ومخابر سـورية ومخابر بريطانية وخمسة أطباء فإذا بِالمرض ينحسر شيئاً فشيئاً ويعود المرء سليماً صـحيحاً كما كان من قبل ، فهذا فعل الله المباشر فالله جلّ جلاله هو الفعال لِما يريد .

التوحيد هو الحكم بأن الله تعالى هو الواحد وهـذا الحكـم يكـون بِـالقول والعلـم وبِالإشارة بِالأصبع ففي الصلاة تقول أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمـداً رسـول الله ، وهناك توحيد بِالقول وتوحيد بِالعلم فأنت تُوحد علماً وقولاً وإشارةً . ولـيعلم كـل مـؤمن أن التوحيد ثلاثة أنواع : توحيد الحق لِنَفْسه قال تعالى :

فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩

(سورة محمد)

هو يعلم أنه واحد ويعلمنا أنه واحد ، وتوحيد العباد لله جل جلاله حينما تقول أشـهد أن لا إله إلا الله وتوحيد الحق للعبد ، فالله عز وجل يعلم أنه واحد ويعلم العبـاد أنـه واحـد وأمرك أن تعلم أنه واحد ؛ إذاً هذه ثلاثة توحيد الحق للعبد وتوحيد الحق للحق وتوحيد العبـد للحق .

التوحيد : " أن تعلم أن كل ما خطر ببالك فالله جلّ جلاله بخلاف ذلك " والتوحيد أن تعلم أن الله واحد في ذاته وواحد في صفاته وواحد في أفعاله ، فالله له ذات وله صفات ولـه أفعال ووحدانيتُه تشمل هذه المعاني كلها . أجل إنه : واحد في ذاته وواحد في صفاته وواحـد في أفعاله ، وهو واحد لا شريك له وبصفاته متفرد بها ، وهو الرحمن ولا رحمن سواه ، أما أفعاله فهو القهار ولا قهار سواه ، واحد في ذاته لا إله غيره ، وواحد في صـفاته لا رحمـن غيره ، وواحد في أفعاله لا قهار غيره ، في أفعاله ، وواحد في ذاته لا يتجزأ ولا يتناهى ليس بمتَجزئٍ ولا بمتَبعضٍ ، فالله واحد ، لكنك تجد أشياء من جزأين أو ثلاثة فهناك آلات تُفَكـك ، لكن الله واحد في صفاته لا يشبهه شيء وهو لا يشْبه شيئاً ، وواحد في أفعاله لا شريك له .

وقال بعض العارفين : " الواحد هو الذي تناهى في سؤدده فلا شبيه له ولا شـريك يساويه " ، وقال بعض العارفين أيضاً : " الواحد هو الذي يكفيك من الكُل والكُل لا يكفيك من الواحد ، يحتاجه كل شيء في كل شيء "

لو أن ستة آلاف مليون إنسان ودول الأرض كلها وقواها أرادوا بك سوءاً وكنت مع الله فالله يكفيك كل هؤلاء ، فهذا الكلام دقيق ؛ هو الذي يكفيك من الكُل والكُل لا يكفيـك مـن الواحد ولو أن قوى الأرض وأسلحتهم أرادوا بك خيراً لن تستطيع أن تنجو من عـذاب الله ، لذلك كنت أردد لكم دائماً أن الحسن البصري رضي الله تعالى عنه ، حينما سأله والي البصرة عن توجيه أتاه من يزيد ، وكان تنفيذ هذا التوجيه يغضب الله عز وجل فقال ماذا أفعل ؟ فقال له الحسن : إن الله يمنعك من يزيد ولكن يزيد لا يمنعك من الله ، فَمهما احتميت بقوي فهـذا القوي لا يمنعك من الله لكنك إذا احتَميت بالله يمنعك من أقوى الأقوياء وهذا هو التوحيد .

وقيل " التوحيد ، أي : أن الله الأحد المنفرد بإيجاد المعدومات والمتَوحـد بإظهـار الخَفيات"، فالإنسان يصنع شيئاً من شيء ؛ طاولة من خشب ومركبةً من حديد لكن الله تعـالى يوجِد كل شيء من لا شيء ، وهذا الفعل لا يستطيعه إلا الله .

وقيل " التوحيد أن ترى أن الله واحداً في ملكه لا ينازِعه أحد وفي صفاته ولا يشبهه أحد " ، وقيل " التوحيد الذي لا ثاني له في الوجود فهو المنفرد ذاتاً وصفات وأفعالاً بالألوهية والربوبية والأزلية والأبدية " .

وبعد فهل ورد ذكر هذا الاسم العظيم الذي قيل عنه أحياناً إنه اسم الله الأعظـم هـل ورد في كتاب الله عز وجل ؟ إليكم أيها القراء الكرام هذه الآيات الكريمة قال تعالى :

كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَـٰهَكَ وَإِلَـٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾

(سورة البقرة)

يجب أن نشعر أن إله إبراهيم هو إلهنا ، وأن إله نبينا هو إلهنا وأن إلـه الصـحابة الذين نصرهم على أعدائهم هو إلهنا ، وأن الله تعـالى الـذي وعـدنا بِـالتمكين بـالأرض وبالاستخلاف وبالأمن هو إلهنا ، وهو في السماء إله وفي الأرض إله ، وفي الأزل وفي الأبد ، كيف أن الله سبحانه نصر المؤمنين وجعل رايتيهم تُرفْرف في مشارق الأرض ومغاربهـا ؟ هو الله . وهذه آية أخرى :

وَإِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَـٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾

(سورة البقرة)

وهذه آية ثالثة :

إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۖ وَلَا تَقُولُوا۟ ثَلَٰثَةٌ ۚ ٱنتَهُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ ۘ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٧١﴾

(سورة النساء)

وفي الأنعام يقول الله تعالى :

قُلْ أَىُّ شَىْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ شَهِيدٌۢ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۚ وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ۚ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخْرَىٰ ۚ قُل لَّآ أَشْهَدُ ۚ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِنَّنِى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿١٩﴾

(سورة الأنعام)

يعني فعال واحد ، وإرادة واحدة ، ومعط واحد ، ومانع واحد ومعز واحد ، ومـذل واحد ، ديننا كله توحيد ، والأجانب فيما سمعته من الذين ذهبوا إلـى بلادهـم وجالسـوهم ، واستمتعوا إليهم ، يدعون أن الله تعالى خلاق وليس فعالاً فقد خلق وأعطى قوى للبشر ، لكنه لم يعطها بالتساوي فهناك القوي والضعيف ولكن المسلم يعتقد أن الله خلاق وفعال .

وفي سورة يوسف :

يَٰصَٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾

(سورة يوسف)

قد يموت الأب وهو يملك معملا ويخلف خمسة أولاد وهؤلاء الأولاد يتسلمون هـذا المعمل فالموظف الذي عندهم يتلقى الأمر من فلان وفلان أما إن كان للمعمل مـدير واحـد فالآمر واحد وتحددت المسؤولية ، ومشكلة المشاكل أن يكون لك عدة رؤساء تتلقى منهم الأمر

فتقع في حيرة ؛ تُرضي من ؟ وتُغضب من ؟ وتهتم بأمر من ؟ وتُهمل أمـر مـن ؟ وعمـن تقترب ؟ وعمن تبتعد ؟ فكلهم أقوياء وكلهم يأمرونك هذا مثّل تقريبي ، ولو تعامل الإنسان في الحياة الدنيا مع جِهات عديدة لتمزقت نفسه ؛ إن أرضى فلاناً غضب فلان وإن أعرض عـن فلان استشاط الآخر غيظاً فيبقى في حيرة من أمره لكنه لو كان الأمر بيد واحد لصار التعامل سهلاً جداً ، لذلك أحد أسباب نجاح المؤمن بحياته عدم التشتّت والتمزق والتبعثر فكـل قـواه مجمعة لإرضاء إله واحد قال الشاعر :

قَلّيتك تحلو والحياة مريـ ـ ـرة ... وليتك ترضى والأنام غضاب
وليت الذي بيني و بينك عامـر ... وبيني وبين العالمين خـراب
إذا صح منك الوصل فالكل هين ... وكل الذي فوق التراب تراب

تجد بعض الأحيان إنساناً شديد الحرص على سمعته وكرامته ؛ لكنـه قـد يواجـه مواقف مؤذية ففلان لابد أن يعتذر منه والآخر لابد أن يدعوه وثالث ورابع الـخ ، فهـذا ذل وتمزق ، إنما الإرضاء هو إرضاء الرب والباقون يحاول أن يرضي من رضي تحت مظلـة الشرع لذلك قال سيدنا علي : من عرف نفسه ما ضره ما قاله الناس به ، هو يحرص علـى سمعته لكنه لا يتمزق حينما يتهم ظلماً ، فأمنا عائشة رضي الله عنها اتهمت ظلماً والله برأها ، والنبي الكريم اتّهم أنه ساحر وشاعر وكاهن ولكن الله نصره وأعلى مقامـه قـال تعـالى : " **يا صاحبي السجن أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار** " .

قال تعالى :

مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ قُلِ ٱللَّهُۚ قُلۡ أَفَٱتَّخَذۡتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ لَا يَمۡلِكُونَ لِأَنفُسِهِمۡ نَفۡعٗا وَلَا ضَرّٗاۚ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُ أَمۡ هَلۡ تَسۡتَوِي ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُۗ أَمۡ جَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُواْ كَخَلۡقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلۡخَلۡقُ عَلَيۡهِمۡۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّٰرُ ١٦

(سورة الرعد)

وفي سورة ابراهيم قال تعالى :

يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾

(سورة ابراهيم)

قد يجد المرء في نفسه أنه أقوى الأقوياء وينسى أن الله فوقه والله سبحانه وتعـالى يقهره فالله عز وجل قهار ، كيف هو قهار ؟ قال العلماء : سبحان من قهر عبـاده بـالموت ، تجد شخصا ملء السمع والبصر وفي ثانية يصير في خبر كان ، فالله قهار قال تعالى :

هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٢﴾

(سورة ابراهيم)

المشكلة ؛ التبعثُر بين أقوياء ، المؤمن لا يرى أن مع الله أحداً وعليـه أن يرضـيه وكفى وقال تعالى :

إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ فَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٢٢﴾

(سورة النحل)

ورحمةً بعباده وإرشاداً لهم قال تعالى :

۞ وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ إِلَٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَإِيَّىَٰ فَٱرْهَبُونِ ﴿٥١﴾

(سورة النحل)

تقول له : هذا حرام فعله وذاك حرام بيعه فيقول : أبي يود هكذا ! فهذا قد اتّخذ أباه إلها، وذكر لي أخ أنهم في محلهم يزن العامل بدل الأوقية مئة وخمسين غراما ويتقاضون ثمن

مئتي غرام وإذا تكلّمت طردني أبي !! فهذا هو الغش وأحياناً يجعل المرء زوجته إلهاً وهو لا يدري يخاف أن تغضب فلا يعارضها ! قال تعالى : **" وقَالَ الله لا تَتخذُوا إِلهين اثْنَين إِنمـا هو إِله واحد فَإِياي فَارهبون " .**

وأحياناً يرضي الإنسان من هو أقوى منه ويعصي الله فهذا يعني أنه اتخـذ إلهـين اثنين ، حينما ترضي مخلوقاً وتعصي الله فقد اتّخذت إلهين أنا لا أقول أنك قلت هذا المرء هو إله ولكنك عاملت هذا المخلوق كما عاملت الإله فإن تُقر أو لا تقر ، وإن ترضى أو لا ترضى ، فقد اتخذت إلهين من دون أن تشعر لكن أتسحلفك بالله أيها القارىء الكريم وهذا مثل منتزع من واقعنا لو كنت بخدمة إلزامية وأمرك العريف بأمر ثم أمرك اللواء بـأمر ونفـذت أمـر العريف فماذا تكون النتيجة ؟ أليس حمقاً ؟ فما بالك بمن يطيع المخلوق ويعصي الخالق فهـذا المخلوق لا يملك لِنَفسه نفعاً ولا ضراً ولا موتاً ولا حياةً ولا نشوراً ، نبينا سيد الخلق وحبيب الحق صلى الله عليه وسلم والله يعلمه ، ومن خلال تعليمه تتعلم الأمة ، أمـره الله تعـالى أن يقول :

قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ١٨٨

(سورة الأعراف)

ولو انتزعت حكماً من لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم تكن محقـاً مـاذا يكون مصيرك يوم القيامة قال :

عن أم سلمةَ رضي الله عنْها أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قَالَ إِنكُم تَخْتَصمون إِلـي ولعل بعضكُم أَلْحن بِحجته من بعض فَمن قَضيتُ له بِحق أَخيه شَيئًا بِقَوله فَإِنما أَقْطَـع لَـه قطْعةً من النارِ فلا يأْخُذْها *

(رواه البخاري ومسلم)

هذا هو الحق ، وقال تعالى : **" وقَالَ الله لا تَتخذُوا إِلهين اثْنَين إِنما هو إِله واحـد فَإِياي فَارهبون " .**

وقال تعالى : **" قُلْ إِنما أَنَا بشَر مثْلُكُم يوحى إِلي أَنما إِلهكُم إِله واحد فَمـن كَـان يرجوا لِقَاء ربه فَليعملْ عملا صالِحا ولا يشْرك بِعبادة ربه أَحدا "**

فإذا كان طبيب عليه إقبال شديد يقول لك ليس لك عندي موعد إلا بعد ثلاثة أشـهر وهناك أشخاص أقوياء لا أمل لك بمقابلتهم أما ربنا تعالى فيقول : " **فمن كان يرجوا لِقاء ربه فليعملْ عملا صالِحا ولا يشْرك بعبادة ربه أحدا** "

الآية واضحة في معناها ودلالتها ، ولا يشرك بعبادة ربه أحداً فأنت بحاجـة إلـى توحيد واستقامة وعملٍ صالحٍ كي تجد نفسك مع الله ، قال تعالى :

قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٨﴾

(سورة الأنبياء)

أي ماذا تنتظرون ؟ أنت بحاجة لمعاملة ولا بد لك من سفرٍ والسفر ضروري جـداً ومعروض عليك صفقة بالملايين صعدت الطابق ووقفت على باب مدير الهجرة ثم انصـرفت تتذلل لغيره ، أليس هذا هو الحمق ؟ فليس لك أن تذهب إلى من هو دون المدير وتريق مـاء الوجه أمامه ؟ فكيف بالله ؟ قال تعالى : " قُلْ إنما يوحى إِلَي أنما إِلهكُم إِلَه واحد فَهـلْ أَنْـتُم مسلمون " أي ماذا تنتظرون ؟ أنى تصرفون وأنى تؤفكون ومالكم كيف تحكمون ؟ قال تعالى :

وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَـٰمِ ۗ فَإِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا۟ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾

(سورة الحج)

وقال تعالى :

۞ وَلَا تُجَـٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ ۖ وَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَـٰهُنَا وَإِلَـٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٤٦﴾

(سورة العنكبوت)

ديننا دين توحيد وفي سورة الزمر قال تعالى :

لَّوۡ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدٗا لَّٱصۡطَفَىٰ مِمَّا يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ سُبۡحَٰنَهُۥۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ٤

(سورة الزمر)

وفي سورة غافر قال تعالى :

يَوۡمَ هُم بَٰرِزُونَۖ لَا يَخۡفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنۡهُمۡ شَيۡءٞۚ لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَۖ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ ١٦

(سورة غافر)

هذا اسم الواحد أما أحد لم يرد إلا مرة واحدة في قوله تعالى :

قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ١

(سورة الإخلاص)

والواحد ورد في القرآن أكثر من عشرين مرة ، هناك رأي لبعض العلماء في التفريق بين واحد وأحد ، لقد ذكرت في مطلع البحث أن الواحد لا شريك له وأحد لا مثيل له ، والأحد له إشارة نوعية أما الواحد كمية ؛ هناك تفريق آخر فإذا قلت : ما في الدار أحد يعني ليس فيها لا واحد ولا اثنان ولا ثلاثة فإذا نفيت الواحد نفيت العدد الذي بعده ، أما إذا قلت ما في الدار واحد فقد يكون هناك أربعة هذا فرق في استخدام كلمة واحد و أحد ، ثم شيء آخر ذو بعد واضح وهو أنك لا تقول رجل أحد ، فكلمة أحد اختص الله بها فالأحد مما اختص الله به .

هناك فروقات أخرى بين الواحد والأحد ولكن المهم أن الله تعالى هو واحد وأحد في وقت واحد .

بعد كل هذا الشرح والإيضاح فكيف نتأدب بهذا الاسم ؟ ، النبي عليه الصلاة والسلام يقول :

عن عاصم بن ضمرةَ السلُولي قالَ قالَ علي رضي الله عـنْهم ألا إن الـوتْر لـيس بحـتْم كصلاتكُم المكْتُوبة ولكن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أوتَر ثُم قالَ أوتروا يا أهلَ القُرآن أوتروا فإن الله وتْر يحب الوتْر

(رواه مسلم والترمذي)

أي يحب القلب المنفرد بمحبته تعالى فالله لا يقبل العمل المشترك ولا القلب المشترك فالعمل المشترك لا يقبله والقلب المشترك لا يقْبل عليه .

والدعاء : اللهم إني أسألك أن تملأ قلبي بحبك حتى لا يكون لي هم ولا شغل سواك ، فما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه ، أنا أغنى الأغنياء عن الشرك :

عن عبد الله بن بريدةَ الأسلمي عن أبيه قالَ سمع النبي صلى الله عليه وسلم رجلا يـدعو وهو يقُولُ اللهم إني أسألك بأني أشْهد أنك أنْتَ الله لا إله إلا أنْتَ الأحد الصمد الذي لم يلـد ولم يولد ولم يكُن له كُفُوا أحد قالَ فقالَ والذي نَفْسي بيده لقد سألَ الله باسمه الأعظم الـذي إذَا دعي به أجاب وإذَا سئِلَ به أعطى قالَ زيد فذَكرتُه لِزهير بن معاوية بعد ذَلك بسنين

(رواه الترمذي وغيره)

والحقيقة أن هذا البحث في التوحيد بحث ثمين ، والتوحيد علمٍ جليل مقتَبس من اسم الله الواحد ونحن ديننا دين توحيد ، ونبينا واحد ، وإلهنا واحد ، والحق واحد ، وهناك نقطـة دقيقة المعنى والدلالة وهي أن الله عز وجل ذكر النور مفرداً وذكر الظلمات جمعاً قال تعالى :

ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخۡرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِۗ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥٧﴾

(سورة البقرة)

والله تبارك وتعالى ذكر الصراط واحداً وذكر الانحراف متعدداً قال :

وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾

(سورة الأنعام)

فالمنهج واحد ، والطريق إلى الله واحد ، فالوحدانية مقتبسـة مـن أن الله واحـد ، ومنهجه واحد ، والطريق إليه واحد ، ومهما تباعد المسلمون في أقطارهم فَقبلَتُهم واحدة ، قال تعالى في وصفه بعض المنحرفين :

وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾

(سورة النساء)

ولتعلم أيها المؤمن أن سبيل المؤمنين سبيل واحد ، فالمسلم يحب الله ورسـوله ولا يكذب ويغض بصره ويحب الخلق جميعاً يرحم الخلق ووقاف عند كتاب الله ورحيم بأهله ولا يأكل مالاً حراماً وهذا حال المؤمنين حيثما وجدوا ، لقد صار واضحا ومعلوما أن ربنا واحد ، وإلهنا واحد وكتابنا واحد ، والطريق المستقيم واحد ، والنور واحد ، والقيم واحدة والمبادىء واحدة ، والأهداف واحدة ، ومما يجمعناكأُمة واحدة أن القبلة واحدة ، ألا تعجب أن كل مسلم في الأرض يتجِه إلى مكانٍ واحد ألا ترى الكعبة وأنت في الحج ؟ وأن كـل أقطـار الأرض تتجِه إليها ؟ فينبغي علينا أن نتوحد في تآخينا ولا نتدابر فإذا تفرقنا فنحن أشقى الناس وأهونهم .

وبعد فإن موضوع التوحيد هو الدين كله وأختم البحث بهذه المقولة : مـا تعلمـت العبيد أفضل من التوحيد والتوحيد نهاية العلم والتقوى نهاية العمل .

والحمد لله **رب العالمين**

الدرس ٥١ - اسم الله : "الحي القيوم"

بسم الله الرحمن الرحيم

مع الاسم الواحد والخمسين من دروس أسماء الله الحسنى ، والاسم هو **الحي القيوم** .

الحي : اسم من أسماء الله تعالى التي وردت في القرآن الكريم ، والتي وردت في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا بد من أن نذكر القارىء الكريم بقول النبي صلى الله عليه وسلم :

عن أبي هريرةَ رضي الله عنْه أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قَالَ إن لِلَّه تسعةً وتسعين اسما مائةً إلا واحدا من أحصاها دخَلَ الْجنةَ *

وفرق كبير بين من يعدها وبين من يحصيها ، فالعد شيء ، والإحصاء شيء آخر ، فالعد كمي وأي إنسان بإمكانه أن يعدها وأن يحفظها ، لكن الإحصاء شيء آخر أن تقف عندها اسماً اسماً ، أن تتعرف إلى مضمون الاسم ، ماذا تعني كلمة **الحي** ؟ .. ماذا تعني كلمة **القيوم**؟.. وهكذا بقية الأسماء الحسنى .

فأن تتعرف إلى أسماء الله الحسنى فهذا يؤلف أكبر جزء من عقيدة المسلم ، فلا يكفي أن تقول الله خلق السماوات والأرض ، هذا الإيمان يستوي فيه الناس جميعاً على اختلاف اتجاهاتهم وانتماءاتهم ، بل إن المقصرين ، بل إن الكافرين ، بل إن عباد الأوثان ، بل إن إبليس، اعترف أن الله خلق السماوات والأرض ولكن التفاضل بين المؤمنين في معرفة أسماء الله الحسنى؛ معانيها ومضامينها

لو أنك التقيت مع إنسان لا تعرف عنه شيئاً ، قلت له عرفني عن ذاتك قال لك : أنا فلان ، هل يكفي أن يذكر اسمه لتعرفه ؟ .. بل أنت تريد أن تعرف ماذا يعمل ؟ ماذا يحمل من شهادات ؟ ماذا له من إنجازات؟ ما حجمه الاجتماعي ؟ ما حجمه الاقتصادي ؟ ما مستوى ذكائه؟ .. أنت حينما تقول عرفني عليك ، لا تقصد أن يخبرك باسمه الفلاني ، بل تريد أكثر من اسمه ، تريد كلّ إجابة عما سبق من أسئلة .

ضربت هذا المثل لأنتقل منه إلى حقيقة هي أن الذي يقول إن الله خالق السماوات والأرض ، هذا الإيمان لا يكفي كي تستقيم على أمر الله فحجم الإيمان قد يكون أقل من قوة الشهوة .

لذلك يقع الإنسان في المعصية ، لكن كلما زاد إيمان الإنسان بوجود الله ، وأنه هو الفعال وبيده كل شيء ، وهو الكامل وهو الواحد ، والمصير كله إليه ، وكل شيء بيده ، هذا الإيمان كبر حجمه ، وأصبح أكبر من شهوات الإنسان ؛ لذلك تصعب الاستقامة على ضعيفي الإيمان ، وتهون على أقوياء الإيمان ، فقوي الإيمان يستقيم بلا جهد لأنه يرى عظمة الله عز وجل والله سبحانه وتعالى حينما قال :

وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَـٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾

(سورة فاطر)

وكلمة إنما دقيقة جداً ، فهي كلمة تفيد الحصْر ، مما يعني أن العلماء وحدهم ولا أحد سواهم يخشون الله ، إذاً ما من طريق إلى طاعة الله ، وإلى خشيته ، وإلى الاستقامة على أمره إلا أن تعرفه ، فكلما عرفته خشعت له ، كلما نمت معرفتك نمت استقامتك ، وكأن مؤشر الاستقامة يتحرك مع مؤشر العلم والمعرفة بشكل دائم .

الاسم هو : **الحي القيوم** ؛ الحياة نقيض الموت ، وشتان بين الحياة والموت ، شتان بين إنسان ملء السمع والبصر ، يتكلم ، يتحدث ، يبتسم يسأل ، يجيب يفكر ، يحاكم ، ينتقل ، يمشي ، يعمل ، وبين إنسان جثة هامدة ملقى على الطريق ، شتان بين الحياة والموت ، كما أن هناك فرقاً كبيراً بين الحياة والموت ، فهناك فرق كبير بين قلب حي بذكر الله ، وبين قلب ميت، قال تعالى :

أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ ۖ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٢١﴾

(سورة النحل)

قال تعالى :

وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٢٢﴾

(سورة فاطر)

قال تعالى :

أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾

(سورة الأنعام)

آيات كثيرة تؤكد أن الذي لم يعرف الله عز وجل ميت ، وأن القلب يحيا بذكر الله :

ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾

(سورة الرعد)

يحيا القلب بذكر الله ويطمئن بذكر الله ، والإنسان المعاصر يفقد شيئاً ثميناً جداً وهو الطمأنينة ، حوله كل شيء لكن عليه يحيط به ألف خطر ، خطر السرطان ، ولا بد من فحْص ، وخطر بقية الأمراض ، وخطر الحوادث أيضا ، لذلك تنمو شركات التأمين بنمو القلق في النفوس.

الإنسان من دون إله يعبده ، من دون إله ينيب إليه ، من دون إله يلجأ إليه ، من دون إله يحتمي به ، من دون إله يطمئنه ، حياته جحيم أكبر ما فيها القلق ، الخوف من المجهول ، الخوف من أحداث مستقبلية تظهر فجأة ، متى يصاب بهذا المرض ؟ لا أحد يدري ، وكلما ابتعد الإنسان عن ربه امتلأ قبله خوفًا .

سبعة وثمانون بالمائة من مواطني البلاد الغربية المتفوقة علمياً وحضارياً ، يخـاف وهو في البيت ، ثمانون بالمائة لا يتجولون بعد غروب الشمس أبداً ، ثلاثة وثلاثون بالمائـة يرون أن كل قوى السلطة لا تحميهم ، حياة القلق ، حياة العذاب ، قال تعالى :

ٱلَّذِىٓ أَطۡعَمَهُم مِّن جُوعٖ وَءَامَنَهُم مِّنۡ خَوۡفِۭ ﴿٤﴾

(سورة قريش)

أطعمك من جوع وآمنك من خوف ، والأمن نعمة لا تعدلها نعمـة لا يحوزهـا إلا المؤمن حصراً ، والدليل :

وَكَيۡفَ أَخَافُ مَآ أَشۡرَكۡتُمۡ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمۡ أَشۡرَكۡتُم بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ عَلَيۡكُمۡ سُلۡطَٰنٗاۚ فَأَيُّ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ أَحَقُّ بِٱلۡأَمۡنِۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٨١﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴿٨٢﴾

(سورة الأنعام)

للمؤمنين وحدهم ، لذلك إذا آمنت بالله ، وإستقمت على أمره ، ولُذتَ بحماه وأويت إلى جنابه فأول ثمرة من ثمرات الإيمان أن الله يدخلك في رحمته ، ويطمئن قلبك .. فهنـاك أشخاص قلوبهم بأعلى درجة من النشاط أوردتهم شرايينهم دماغهم أعصابهم ، ومع ذلك فهو يقول لك أجريتُ فحوصاً كاملة ..

إن الله يعطي الصحة والذكاء والمال والجمال ، للكثيرين من خلقه ولكنـه يعطـي السكينة بقدر لأصفيائه المؤمنين ، هذه السكينة خاصة بالمؤمنين ، والله أيها الإخـوة الثـراء إكرام ؛ إنكم لتروْن في قلب المؤمن من السكينة ، والطمأنينة ، والرضا بقضاء الله وقـدره ، والشوق إلى لقياه ، والراحة إلى قضائه ، ما لو وزع على أهل بلد لكفاهم .

المؤمن سر ، الله عز وجل يضع سره في المؤمن ، ترى أن دخله أقل من حاجته ، وتراه مطمئناً ، وهناك من يخزن الذهب والعملات الصعبة وإذا حدث خطر فله ببلاد أخـرى أرصدة ضخمة ، ومع كل هذه الأرصدة ومع كل هذه الإمكانات ، ومع كل هذه الاحتياطات ، فإن الخوف يأكل قلبه .

لو سألتني عن قانون الخوف ، أقول لك إنه الشرك ، قال تعالى:

سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعْبَ بِمَآ أَشْرَكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا ۖ وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۚ وَبِئْسَ مَثْوَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥١﴾

(سورة آل عمران)

الشرك يعني الخوف ، قال تعالى :

فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾

(سورة الشعراء)

فالله عز وجل **حي** ، و**الحي** نقيض الميت ، الحياة نقيض الموت ، ورد في القـرآن الكريم كلمة **الحي** وان وتعني جنس الحياة قال تعالى :

وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْأَخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾

(سورة العنكبوت)

أصل الحياة في القرآن يعني **الحي** وان قال تعالى : " وما هذه الحياةُ الدنْيا إلا لَهْـو ولَعب وإن الدار الآخرةَ لَهي الحيوان لَوْ كانُوا يعْلَمون " ، أي هو دار الحياة الدائمة ، حياتنـا في الدنيا حياة مؤقتة ، كل إنسان له عمر ، فكل هؤلاء الذين على الأرض بعد مئتي عـام لا ترى منهم أحداً ، فالخمسة آلاف مليون إنسان لا تجد بعد مئتي عام منهم أحداً في كل القارات الخمس.

قفْ في شرفة بناء وانظر إلى الشارع المزدحم بالسـيارات والمشـاة كـل هـؤلاء سيكونون تحت أطباق الثرى بعد حين ، وسوف يطويهم الموت ، فحياتنا حياة مؤقتـة ، أمـا الحياة الحقيقية ، الحياة الأبدية الدائمة ، الحياة التي لا موت معها ، حياة الدار الآخرة .

سمعت بعض الفنانين بمصر ، ما ركب طائرة في حياته ، خشية أن تقع فيمـوت ، اعتنى بنظام غذائه عناية تفوق حد الخيال ، يأكل يوما سمكًا ويوما دجاجـا ، طعامـه لحـم خفيف ، لحم أبيض ، ومساء فواكه ، ومع كل هذه العناية والحرص ، وذلك الحذر فقد مات .

عش ما شئت فإنك ميت

وأحبب ما شئت فإنك مفارق

واعمل ما شئت فإنك مجزي به

كل مخلوق يموت ولا يبقى إلا ذو العزة والجبروت .

الليل مهما طال فلا بد من طلوع الفجر ، والعمر مهما طال فلا بد من نزول القبر .

حياتنا في الدنيا غير حقيقية ، حياة مجازية ، حياة مؤقتة ، لأنه يعقبها موت ، يعقبها زوال ، يعقبها عدم .

وبصراحة ، يكون إنسان ملء السمع والبصر ، متألقاً ، ذكياً ، قوياً غنياً سيد بيته ، أولاده أمامه متأدبون ، وزوجته خاضعة له ، فإذا مات ؛ .. حزن شديد ، بعد أسبوع ، يفـك الحزن ، بعد أسبوعين يبتسمون ، ثلاثة أسابيع يرفع الشّعار الأسود ، بعد شـهرين أو ثلاثـة وكأنه لم يكن ، يقولون إذا ذكر المرحوم لقد انتهى ، وكل واحد منا على هذا الطريق وكأنـه لم يكن ، لذلك فإن الله فرق بين الحيوان والحياة قال تعالى : " وما هذه الحياةُ الـدنْيا إلا لَهْـو ولَعب وإن الدار الآخرةَ لَهي الحيوان لَوْ كانُوا يعْلَمون " .

الحياة الحقيقية ، الحياة الخالية من كل نغص ، هل منا أحد ليس لديـه منغصـات ؟ هذه سنة الله في الحياة الدنيا : " إن هذه الدنيا دار التواء لا دار استواء ، ومنزل ترح لا منزل فرح من عرفها لم يفرح لرخاء ، ولم يحزن لشقاء ، قد جعلها الله دار بلوى.."

استعرض حياة الناس .. زوجة جيدة ، لكن أولاد سيئون .. أو أولاد جيدون وزوجة سيئة ، أو زوجة جيدة أولاد جيدون لكن الدخل قليل ، أو دخل كثير ولكن عقم من دون أولاد .. أو دخل كثير وله أولاد لكن الصحة متردية ، والمرض ينغّص حياته .

طبيعة الحياة الدنيا قائمة على المنغصات ، لذلك حياتنا الدنيا ليست حياةً أرادهـا الله لنا.. أرادها الله لنا ممراً ، أرادها الله لنا معبراً أرادها الله لنا مدرسةً ، أرادها الله لنا إعداداً ، ما أرادها الله لنا استقراراً ولا ركوناً ولا خلوداً .

فكل إنسان يتحرك حركةً خلاف تصميم الله عز وجل يشقى .. الحياة الـدنيا حيـاة مفعمة بالمنغصات ، هكذا أرادها الله ، هكذا صممت ، من أجل ألا تركن إليها ، من أجـل أن تجعلها منطلقاً ومعبراً ، لذلك ورد في الحديث : " إن أشقى الناس فيها أرغـبهم فيهـا ، وإن أسعد الناس فيها أرغبهم عنها " . اتركها تأتك ، أقبل عليها تَفر منك .

" أوحى ربك إلى الدنيا أنه من خدمني فاخدميه ، ومن خدمك فاستخدميه"

حياك الله ، يعني أبقاك حياً ، لنستعرض ماذا تعني كلمة حياة ؛ أحيا الله الأرض ، أخرج منها النبات ، أحياها بالغيث أنزل عليها المطر ، **الحي** في صفة الله تعالى هو البـاقي .. فإذا قلنا الله حي يعني حياةً دائمةً ، وإذا قلنا فلان حي حياته مؤقتة .. شيء قد يلفت النظر ، قد يشترك الإنسان في صفة مع خالقه ؛ الله حي والإنسان حي ، ولكن يجب أن يؤمن إيماناً يقينياً أنه " ليس كمثله شيء " .. كل ما خطر ببالك فالله بخلاف ذلك .. إذا قلـت الله حـي ، يعني حياة دائمة باقية ، هو الباقي ، فلان حي حياة مؤقتة .

النقطة الثانية ؛ **الحي** في صفة الله أنه باق حياً بذاته ، أما أنت وأنا وكل واحد منـا حي لا بذاته ، بل بإمداد الله له ، فإذا قطع الله الإمداد صار جثةً هامدة ، والواحد منـا ألـف سبب يسلبه حياته ويجعله خلال لحظة ميتاً .. ساعة سكتةٌ دماغية ، ساعة سكتة قلبية ، ساعة اضطراب بكهرباء القلب اختلف النظم ومات الإنسان ، فإذا انتابتْه نوبة خفقان أذينـي شـديد يموت باسترخاء القلب ، مئةوثمانون ضربه وبعدها يرتخي القلب ثم يموت الإنسان .

فالله عز وجل حي بذاته ، حياته ليست مستمدة من جهة أخرى نحن حياتنا نستمدها منه، عمر الإنسان بعمر شرايينه ، عمره متعلق بقلبه وشرايينه ودسامات قلبه ، متعلق بجهازه العصبي، متعلق بعمل الدماغ ، متعلق بالكليتين .. لو أن البول احتبس فـي الكليتـين سـت ساعات تتوقف الكليتان ، وإذا توقفت الكليتان ينتهي الإنسان ، لا يعيش الإنسان ثلاث ساعات من دون كبد ، إذا تشمع تشمعاً كاملاً خلال ثلاث ساعات يموت الإنسان .

مرةً التقيت مع إنسان شديد الأذى للناس ، والأذى في طبعه ، قال بعض الشـعراء في وصفه ، ووصف أمثاله من الناس :

أنا حر ومذهب كل حر مذهبي ما كنت بالغاوي ولا المتعصب
يأبى فؤادي أي يميل إلى الأذى حب الأذية من طباع العقـرب
لي أن أرد مساءة بمسـ ـاءة لو أنني أرضى بظرف خلبـي
حسب المسيء شعوره ومقالـه في سره يا ليتني لم أذنـ ـ ـب

فمرة التقيت مع إنسان شعرت أنه يحب الأذى ، كلما أوقع الأذى بإنسان شعر بنشوة ، أردت أن أعظه وأن أضيق عليه لعله يرعوي ، قلت له ، إن الله عنده السرطان فـي كـل أنحاء الجسم ، بدءاً من الجلد إلى الدم إلى العظام إلى الأحشاء ، إلـى الـدماغ .. والله عنـده تشمع كبد ، وعنده فشل كلوي ، وعنده اضطراب نظم ، ذكرت له أمراضاً وبيلة ، كل مرض ينخلع القلب له، وهؤلاء الذين أمامك كلهم عباده ، فإذا أسأت إليهم انتقم منك فانتبه .

المؤمن الصادق ، أي إنسان أمامه يراه عبداً لله ، دون أن تعرف من هو فإذا أردت أن تتقرب إلى الله فقدم لهذا الإنسان خدمةً ، والله وحده يجازيك . قال تعالى :

مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنًا فَيُضَـٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضۡعَافًا كَثِيرَةً وَٱللَّهُ يَقۡبِضُ وَيَبۡصُۜطُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾

(سورة البقرة)

هذا الإله العظيم ، يقول لك أقرضني ، أقرضني بخدمة أحد عبادي أمـا الآن مـن ضعف الإيمان ، وانهماك الإنسان بالمال ، غدا لا يتحرك بلا مال ولا يرد لهفة ملهـوف إلا بمال

أحياناً الخدمة تكلفه هاتفاً ، يريد " لحسة " يعني مالاً يتقاضاه مقابل هاتفـه مـثلاً ، وأحياناً الخدمة تكلفه بطاقة ، توصية كلمة ، أحياناً تكلفه غض بصر فقط ، ولكنه لا يرحمك ، لا يرحمك إلا بمبلغ فوق طاقتك ، تشعر بأنك ذبحت ، حتى يرحمك ، ليس له أجر إطلاقـاً ، لأنها خدمة بأجر.

" منْ ذَا الذي يقْرِض الله قَرْضا حسنًا فَيضاعفَه لَه أَضْعافًا كثيرةً والله يقْبِض ويبْسـطُ وإِلَيْـه تُرْجعون " .

اخدم العباد ، وابتغ هذا العمل عند رب العباد ، أعط العباد مما أعطاك الله ولا تخش لومة لائم ؛ أجل لا تخشَ فالله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه .

حياتنا غير ذاتية ، حياتنا متوقفة على أجهزة كثيرة إذا توقـف أحـدها نمـوت .. فالإنسان عندما يكون مضطجعاً ويقف فجأة يضطرب جسمه بشكل لا يصدق ، يأتي أمر عـن طريق شوارد معينة في الدم ، تضيق كل شرايين الجزء العلوي في الإنسان ، لأن الإنسان إذا كان نائماً ثم وقف فجأةً ، فالدم بحكم الجاذبية يهبط إلى الأسفل ، فما الذي يبقي الدم في الرأس .. لو أن الدم نقص في الرأس يصاب الإنسان بالدوار ويقع .. إذا تقدم الإنسان في السن فـإن نهض من السرير قد يصيبه الغثيان لأن جهاز ضبط الوقوف بعد الاستلقاء ضعف قليلاً .

فأنا لا أعرف كم جهازٍ في الجسم إذا تعطل أحدها تصبح حياة الإنسـان جحيمـاً لا يطاق، حياتنا ليست من ذاتنا ، حياتنا متوقفة على إمداد الله لنا ، على حفظه لنا .

حدثني مرة أحد أطباء العيون فقال : العين فيها ماء ، وهناك غدة تغذي هذا المـاء كما أن هناك مصرفًا لهذا الماء ، فالماء الذي يفيض من الغدة يضاف إلى ماء العين ، وهـو يتناسب تماماً مع ما يخرج من ماء العين ، وللعين ضغط وقد يقيس الطبيب ضغط العين ، فإذا

وجد الضغط مناسباً فالوضع سليم ، إذا كان هذا المصرف مسدوداً والتغذية مستمرة يزداد الضغط وقد تسبب عمى ، وقد تسبب أمراضاً وبيلة في الإنسان .. يعني حياتنا ، استخدامنا لعينينا فلو أن ذرة بحجم الهباب وقفت في مجرى تصريف ماء العين ، لَغَير الدمع كرة العين ولانتابها خلط مائي ، لكن هناك غدة تغذي لتجديد الماء ، وهناك مكان يصرف وبهذا تبقى العين سليمة ، ويبقى الإنسان سعيدا بسلامة عينه .

فيا ترى كم جهازا إذا تعطل تصبح حياتنا جحيماً فليعلم كلّ منا أن حياتنا غير أصيلة في وجودها ، وحياتنا ليست من ذواتنا ، أما في الجنة ، إذا أكرمنا الله في الجنة فحياة ما بعدها موت ولا يعروها مرض ، ولا يخامرها خوف ، ولعل الله سبحانه وتعالى أراد أن يضاعف سعادتنا في الجنة أضعافاً مضاعفة إذا تفضل الله علينا بدخولها ، وإذا قبل منا عملنا ، وإذا عفا عنا .. فإذا سمح الله لمؤمن أن يدخل الجنة .. فالسعادة في الجنة أضعاف مضاعفة ، فما كان من أعراض تنتابه في الدنيا كالقلق والخوف والمرض والحزن والانحدار المريع نتيجة تقدم السن ليس له وجود في الجنة إذ لا خوف عليهم ولا هم يحزنون .

قال لي مرةً أخٌ : " كنت من خمسين سنة أنشط مما أنا عليه الآن " قلت له طبعاً الشاب مثلا يصعد أربع درجات معاً في سلّم البناء ، أما الكبير فدرجةً ، درجةً ، ترى إنساناً متقدماً بالسن ماشياً ببطء ، ولقد كان شاباً زمنًا طويلا ثم تقدمت به السن ، وكل إنسان على هذا الطريق الإجباري سائر ، وليس له اختيار .

إذا قلنا : إن الله حي أي متصف ب**الحي** اة الأبدية ، لا بداية لها ولا نهاية لها ، هو الباقي أزلاً وأبداً ، و**الحي** الذي لا يموت ، لأن الذي يجوز عليه الموت حكم عليه بأنه ميت ، دقق باللغة ، قال تعالى :

إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾

(سورة الزمر)

الذي تنتهي حياته إلى الموت هو في حكم الميت ، أما إذا مات فعلاً يسمى ميْت ، ميت أي سيموت وميْت مات فعلاً .

أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾

(سورة الأنعام)

فكل منا ميت ، أي محكوم عليه بالموت مع وقف التنفيذ ، أما إذا قلنا فلان ميْت أي مات حقيقةً ، ونحن إذا قلنا عن أنفسنا أحياء ، حياتنا مزورة ، لأننا ميتون بأمر الله ، ميتـون بقضاء الله ، ميتون بأصل وجودنا على وجه الأرض ، قال تعالى : "إنك ميتٌ وإنهمْ ميتُون " .

الحي هو دائم الحياة له البقاء المطلق ، الإنسان مهما عاش لابد مـن أن يمـوت ، فحياته مقيدة بعمره ، أما من له البقاء المطلق هو الله عز وجل كلمة مطلـق كبيـرة جـداً ، ومدلولها واسع واسع .

الآن على الأرض ستّة آلاف مليون إنسان فمن زمن آدم إلى يوم القيامة كم إنسانًا ؟ .. الله أعلم ، وإذا إنسان واحد من هؤلاء البشر يظلم فالله عز وجل ليس عـادلاً ، لأن عدلـه مطلق وليس نسبياً ، أما أي قاضٍ إذا فصل في ٩٩٩ حكما وكان في واحد منها ظالماً فاسـمه عادل ، ولو أنه فصل في ٩٠بالمائة من قضاياه وكان عادلاً في عشرة منها ظلماً خطأً منه أو عدم إدراك الحقيقة اسمه عادل ، والإنسان نسبي ، يقال فلان مرتب فترتيبه نسـبي ، فـلان نظيف ، نظافة نسبية ، فلان دقيق ، دقة نسبية ، فلان كريم ، فكرمه نسبي ، فالإنسان نسبي ، أما الله عز وجل فهو مطلق ، معنى مطلق ، أي إذا قال الله تعالى :

وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾

(سورة الكهف)

فلا يظلم أبدا حتى ولا عصفورا واحدا ، ولا دابة ، فالله عز وجل مطلـق ، **الحـي** هو دائم الحياة له البقاء المطلق ، والإنسان عندما يربط وجـوده أو سـعادته أو أهدافـه ، أو

مصالحه بإنسان يموت فقد ارتكب حماقة كبيرة ، الإنسان إذا ربط سعادته بإنسـان يمـوت ، فسعادته منوطة بهذا الإنسان فإذا مات مات معه .

لذلك فالإنسان العاقل يربط مصيره مع الله ، ولا يعتنق إلا مبدأ الله ولا ينضم إلا إلى أهل الله ، ولا يتحرك إلا وفق الحق ، لأن الحق هو الله ، وإذا استقام على أمر الله ، فالله هو الحافظ ، وإذا كان في ظل الله فالله هو الذي يؤيده وينصره ،فكل إنسان ربط مصيره مـع الله فهو السعيد حقّا ، هو الذي يتفوق ويفوز .

زلت في الحديث عن معنى كلمة **الحي** ، **الحي** هو دائم الحياة الـذي لـه البقـاء المطلق ، فأقول :

هو الذي لم يسبق وجوده عدم ولا يلحق بقاءه فناء ، أي إنسان بالتـاريخ القريـب والبعيد ربط مصيره بإنسان ، فلما وقع هذا الإنسان وقع معه ولما انهار انهار معه ، فمغامرة ومقامرة ، أن تربط مصيرك بمصير مخلوق يموت ، أما بطولتك وذكاؤك وتفوقك ونجاحـك في الحياة أن تربط مصيرك **بالحي** الذي لا يموت ، فكل إنسان لو مات إنسان وكان مع **الحي** الذي لا يموت فهو لمْ يمتْ . قال تعالى :

وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾

(سورة آل عمران)

أنا لا أنسى في السيرة موقف النبي عليه الصلاة والسلام لما خاطب قتلى بدر مـن الكفار، خاطبهم بأسمائهم واحداً واحداً ، يا فلان يا فلان يا فلان : " هل وجدتم ما وعد ربكـم حقاً؟ فإني وجدت ما وعدني ربي حقاً ، لقد كذبتموني وصدقني الناس ، وأخرجتموني وآواني الناس ، وخذلتموني ونصرني الناس ، قالوا أتخاطب قوماً جيفوا ؟ قال : ما أنتم بأسـمع لمـا أقول منهم " .

هم يسمعوني كما تسمعوني أنتم ، فالحياة دائمة ، والموت عبارة عن ثـوب خلعتـه فقط ، أنت أنت ، مشاعرك ثقافتك ، ذكرياتك ، إقبالك معرفتك بالله هي هي ، إلا أن الثـوب الذي تلبسه نزع عنك وصار هناك ثوب آخر ، لذلك خط المؤمن البياني صاعد حتـى عنـد الموت يبقى صاعداً، وما الموت إلا نقطة على الخط الصاعد .

بصراحة أقول لكم : الزمن ليس في صالح الكافر ، بل هو في صـالح المـؤمن ، مضي الزمن ، فالكافر كل البيض في سلة واحدة وضعه ، كل أهدافه في الدنيا ، كل سعادته

في المال والشهوات والنساء والسهرات والحفلات ، كل إنجازه مادي ، فكلما تقدم به الـزمن ضعفت قدرته على الاستمتاع بالحياة ، فحركة الزمن ليست في صالح الكـافر ، لأن مضـي الزمن أولاً يضعف قدرته على المتعة ، يضعف قدرته على الاستمتاع بالحياة الدنيا ، بالطيبات بالطعام بالشراب بالنساء ، لذلك عنده قلق عميق يخشى الموت ، يخشى ما يرتبط بـالموت ، يكره القرآن لأنه يقرأ على الأموات ، يكره بعض النباتات لأنها توضع على القبور .

أغرب شيء كنت مرةً في لبنان وجدت محلاً ضخماً يبيع لوازم المـوتى يسـمونه صالة كبيرة ، لا أحد يرغب بأن يدخل لهذا المكان ، إلا طبعاً التجار الذين يتعاملون مع هـذه المواد .

فالموت لغير المؤمن مخيف جداً ، نهاية حتمية ، أما المؤمن مضي الزمن لصالحه ، فكلما امتد به العمر قربه من سعادته المطلقة ، كلما امتد به العمر قربه من لقاء الله عز وجل ، كلما امتد به العمر قربه من عرسه ، وكلما امتد به العمر قربه من تحفته التي هي الموت .

ما قولك في أن بعض الناس ينخلع قلبه ذكر الموت ؟ بينما بعضهم يتمنى لقـاء الله عز وجل ؟! تصور أن النبي عليه الصلاة والسلام ، لما خيره جبريل بين أن يبقى حيـا فـي الدنيا وبين أن ينتقل إلى الرفيق الأعلى ، قال بل الرفيق الأعلى ماذا رأى النبـي ؟ فعنـدما تكون حياة الإنسان بذلاً واستقامة وعطاء وخدمة للناس والتزاماً بالشرع وورعاً ، وهو يحيـى ليرضي الله عز وجل فالموت عند هذا جزء من سعادته العظمى ، لذلك هؤلاء الـذين يـأتيهم الموت وهم على طهارة يأتيهم بأحب الناس إليهم على الإطلاق ، وموتهم نوع مـن السـعادة لذلك قال الله عز وجل :

وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾

(سورة الزمر)

سلام .. إذا دعي شخص إلى وليمة وكان ضيف الشرف الأول ، فإنك ترى حـس الاستقبال، والترحيب المصافحة الابتسامة الشفافة العريضة يا أهلاً ويا سهلاً ، نورتم نحـن على شوق لهذا اللقاء ، المكان واسع لائق ، والماء البارد دونـه ، وأطبـاق الطعـام علـى اختلافها ؛ ألوانًا مذاقًا فهذه صورة ، فهذه يعني إذا إنسان كُرم في الدنيا ، فكيـف إذا كرمـك خالق الأكوان ؟! وشتّان بين تكريم زائل ، وتكريم باق أبدا .

لذلك قال تعالى :

۞لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٦﴾

(سورة يونس)

الزيادة رؤية وجه الله الكريم ، ورد في الأثر وفي الأحاديث الصحيحة أن المـؤمن ينظر إلى وجه الله الكريم فيغيب خمسين ألف عام من نشوة النظرة !! قال تعالى :

وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾

(سورة القيامة)

وأكبر عقاب لأهل الكفر ، قال تعالى :

كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾

(سورة المطففين)

محجوب عن الله عز وجل .

الحي ، قال بعض العلماء : " هو الموجود الواجب الوجود ".

من المعلوم ، أنّه في أبحاث مر معنا في العقيدة ، من هو واجب الوجود ، وما هـو ممكن الوجود ، وما هو مستحيل الوجود ، فالكون كله ممكن الوجود ، والله واجب الوجود .

وقال بعضهم : " **الحي** هو الباقي من أزل الأزل إلى أبد الأبد "، وأنت معه والأزل هو عمق الوجود ودوامه في الماضي ، والأبد هو دوام الوجود وبقاؤه في المستقبل .

وقيل : **الحي** الذي ليس لحياته زوال والذي لا يموت ، والإنس والجن يموتـون ، قال تعالى :

وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۘ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ۚ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾

(سورة القصص)

الإمام الغزالي يعرف **الحي** " بأنه الفعال الذي لا يموت "، **فالحي** الكامل المطلـق وهو الذي يندرج جميع المدركات تحت إدراكه .

الفعال ؛ الدراك ، والدراك صيغة مبالغة من الإدراك ، يعنـي أن علمـه مطلـق ، وفعله مطلق ، وهو على كل شيء قدير ، وبكل شيء عليم .

أحياناً مدير دائرة تمر عليه ألف قضية من وراء ظهره ، بذكاء تمر من تحته ، لا يشعر ، ليس عنده إمكانية أن يعرف ما يجري بغير الغرفة التي هو فيها ، تأتيه معلومـات ، من داوم ومن لم يداوم ، يتفق موظف مع مراقب الدوام ، يسجله موجودا بينما هو مسـافر ، فأحياناً تجد إنسانًا على أعلى درجة من الذكاء وتمر عليه ألف قضية دون أن يعلم .

الإمام الغزالي يقول **الحـي** ؛ هو الفعال ، الدراك ، يعني على كل شيء قدير وبكل شيء عليم ، يعني قدرته متعلقة بكل ممكن ، وعلمه متعلق بالواجب والممكن والمستحيل .

يقول القشيري ، **الحي** ؛ " هو الله تعالى **حـي** ، وحياته صفة من صفاته زائدة على بقائه ، فهو دائم البقاء الذي لا سبيل إلى فنائه ".

اسم **الحي القيوم** ورد في القرآن خمس مرات ، ورد في البقرة في آية الكرسـي ، وهي سيدة آي القرآن ، وأعظم آية فيه ، قال تعالى :

ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾

(سورة البقرة)

أحياناً شخص يكون ملء السمع والبصر ، شخصية فذة ، فإن سهر إلـى السـاعة الواحدة ليلاً غلبه النعاس وأضجعه ، فمهما كان ذكياً ومهما كان قويا لم يعد لديـه مقاومـة ، فانتباهه وذكاؤه مع الإرهاق تلاشى وأخذ يكبو .

قد ترى سياره ثمنها خمسة ملايين ، عشرة ملايين شاحنة ضخمة هوتْ جانبا ، بـل تحطمت ، فكل من سافر إلى حلب مثلا يشاهد حادثين أو ثلاثة ، فالسيارات هوتْ وانقلبت لأن صاحبها نائم " النوم سلطان وقدرته نافذة ، فالله عز وجل لا تأخذه سنة ولا نوم أما نحن فبني

البشر فنصف عمرنا نوم . لكن الله لا تأْخُذُه سنَةٌ ولا نَوْم له ما في السموات وما فـي الأَرْض مَنْ ذَا الذي يشْفَع عنْده إلا بإذْنه " .

الآية الثانية في آل عمران :

الٓمٓ ۝١ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ۝٢

(سورة آل عمران)

في سورة طه :

۞وَعَنَتِ ٱلۡوُجُوهُ لِلۡحَيِّ ٱلۡقَيُّومِۖ وَقَدۡ خَابَ مَنۡ حَمَلَ ظُلۡمٗا ۝١١١

(سورة طه)

في سورة الفرقان :

وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡحَيِّ ٱلَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِهِۦۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ۝٥٨

(سورة الفرقان)

في غافر :

هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٦٥

(سورة غافر)

روى الإمام الرازي أنه مات لبعضهم ابن فبكى عليه حتى عمي فقال بعضهم له : الذنب ذنبك ، لأنك أحببت حياً يموت ، ولو أحببت **الحي** الذي لا يموت لما وقعت فـي هـذا الحزن، قال النبي الكريم : " لو كنت متخذاً من العباد خليلاً لكان أبو بكر خليلي " .

أنا فيما أعتقد أنّه لا يوجد رجلان على وجه الأرض أحبا بعضهما حباً إلى درجـة غير معقولة كحب أبي بكر لرسول الله صلى الله عليه وسلّم ، أعطاه ماله كله ، قال يا أبا بكر ، ماذا أبقيت لنفسك؟ قال الله ورسوله .. قال ما ساءني قط .. قال أيضا ما طلعت شمس على رجل بعد نبي أفضل من أبي بكر .. سدوا كل خوخة إلا خوخة أبي بكر .. ما دعوت أحـداً إلى الإسلام إلا كانت له كبوة ، إلا أخي أبا بكر ..

إذا أكرم الله عز وجل رجلاً بعمرة وزار المسجد النبوي فإنه يسلم أولاً على النبي ، ثم ينتقل ليسلّم على أبي بكر رضي الله عنه ، فليسلم عليه وليذكر أقوال النبي فيه تضـطرب نفسه ويبكي ، قال : ما ساءني قط فاعرفوا له ذلك " هذا الصديق ، ومع ذلك " لو كنت متخذاً من العباد خليلاً لكان أبو بكر خليلي ولكن أخ وصاحب في الله حتى يجمع الله بيننا " .

كل إنسان يضع كل أمله كل حبه ، يعلق كل قلبه بإنسان من دون الله يسقط . لـذلك عندما نزلت براءة السيدة عائشة من فوق سبع سماوات وفرحت فرحاً شديداً ، وكـان أبوهـا عندها، وقال لها قومي إلى رسول الله واشكريه ، قالت : والله لا أقـوم إلا لله ، تبسـم عليـه الصلاة والسلام وقال لقد عرفت الحق لأهله ، لقد عرفت الفضل لأهله .

الله هو الموجود ، وكلما وحد الإنسان ربه كثيرا أحبه الله أكثر ، والمؤمن لا يعبـأ بأحد، أديب مع الناس كلهم ، يحترمهم جميعاً ، يخدمهم جميعاً أما قلبه لا يعلقه إلا بالله ، هـذا هو التوحيد، الله يغار ، إن رأى قلبك مع غيره ، هذا الغير ضايقك بإلهام من الله من أجـل أن تفك ارتباطك معه فلتكن ذكياً ولا تعلق قلبك إلا بالله مباشرةً ، وعامل الناس بالإحسان .

تحدثت مرةً عن بحث خطير جداً .. هناك حب في الله وحب مع الله ، الحب في الله من كمال الإيمان ، فأنا أحب إخواني لأنني أحب الله أحب أخي المؤمن لأنني أحب الله ، أحب زوجتي لأنها مستقيمة لأنني أحب الله أحبها ، أما إذا أحببتها مع الله ، يعنـي نفـذت أمرهـا وعصيت الله ، إذا أحببت إنساناً مع الله ، أرضيته ولم ترض الله فقد هويْت منزلقًا ، الحب مع الله عين الشرك والحب في الله من كمال الإيمان ، يجب أن تفرق بدقة بالغة بين أن تحب مع الله ، وبين أن تحب في الله .

محبة النبي محبة في الله ، محبة أهل الحق محبة في الله ، محبة إخوانك في الإيمان محبة في الله ، محبة أهلك وأولادك محبة في الله أما إذا أطعت مخلوقاً وعصـيت الخـالق ، بدافع الحب ، فهذا حب مع الله وهو عين الشرك .

قصة مشابهة ؛ روى القشيري أن رجلاً قال : إن صديقي فلاناً مات فمن كثرة مـا بكيت عليه ذهب بصري ، فقيل له إن الذنب ذنبك حيث أحببت **الحي** الـذي يمـوت ، هـلا أحببت **الحي** الذي لا يموت حتى كنت تستغني عن البكاء على صديقك .

وبعد فالإنسان يحب من حوله ، يحب زوجته وأولاده وإخوانه ، ثم يأتيه ملك الموت ، سيبقى في القبر وحيداً ، أشد الناس حباً له يشيعه حتى شفير القبر ، طبعاً النساء يودعنه في المنزل ، أما أولاده فوداعهم إلى شفير القبر يلقون عليه النظرة الأخيرة ، ولكن بعد أن يضـع الحفار تلك الرقاقة وبعد أن يهيل التراب ، وينصرف الناس ، من بقي مع هذا الإنسان **الحـي** الذي لا يموت هو الذي لا يبقى .

" عبدي رجعوا وتركوك وفي التراب دفنوك ولم يبق لك إلا أنا وأنا **الحي** الـذي لا يموت " .

أليس من الذكاء أن تقيم علاقات طيبة مع **الحي** الذي لا يموت لأنك سوف تنفـرد معه ولا أحد معك ، والأهل ينصرفون إلى طعامهم إلى شرابهم بعد حين إلى نزههم ثم إلـى متعهم ، بعد حين كأنك لم تكن ، الأولى أن تحب الله .

يقول لك : أنا من أجل أولادي لم أدفع زكاة مالي ، لن ينجو من عذاب الله ، ومـن أجل ولد معين لم يعدل بين بقية أولاده لقي الله وهو عليه غضبان .

هل من إنسان يستاهل أن ترضيه وأن تسخط الله عز وجل ؟ هل من إنسـان علـى وجه الأرض يستاهل أن ترضيه بسخط الله ؟ فمن يعتقد مثل هذا ويتصرف بغير الهوى مـن الله فهو أحمق .

أعرف آباء كثيرين من أجل بقاء المال مع الذكور يحرمون الإناث ويلقى الله وهـو عليه غضبان ، فهل أولاده ينفعونه أو يدفعون عنه عند الله عز وجل

سئل ابن عاق إلى أين تذهب ؟ قال : ذاهب لأسكر على روح والدي .. السكر على روح والده ، ترك له أبوه ثروة طائلة وحرم بناته ، فهل نفعه هذا الولد بعد الموت .

لذلك ليس من مخلوق على ظهر الأرض يستأهل أن ترضـيه بسـخط الله .. فـي الأرض كلها . . أرض الله ولا تعبأ بأحد .

فليتك تحلو والحياة مريـ ـ ـ ـرة ... وليتك ترضى والأنام غضاب
وليت الذي بيني وبينك عامـ ـ ـر ... وبيني وبين العالمين خـ ـراب
صح منك الوصل فالكل هيـ ـ ـن ... وكل الذي فوق التراب تـراب

بقي التخلّق باسم **الحي** ، فاحذر أن تكون مع إنسان كالميت بـين يـدي غاسـله ، فالحذر الحذر أن تركن كلية لإنسان ما ، ولكن قال العلماء " لتكن بين يدي ربك كالميت بـين يدي مغسله".

هم الأحبة إن جاروا وإن عدلوا فليس لي عنهم معدل وإن عدلوا
والله وإن فتتوا في حبهم كبدي باق على حبهم راض بما فعلوا

فالمؤمن إذا أعطاه ، وإذا منعه ، وإذا قربه وإذا أبعده ..يبقى متعلقا بربـه فعطـاؤه ومنعه لخيره

كن مع الله تر الله معـ ـ ـك واترك الكل وحاذر طمعك
وإذا أعطاك فمن يمنعـ ـ ـه ثم من يعطي إذا ما منعـك

ليس لك إلا الله عز وجل ، فالمؤمن الصادق بين يدي الله كالميت بين يدي المغسل ، راض بقضائه ، راض بقدره راض برزقه ، راض بعطائه لك إن فرقك أو إن جمعك ، كيفما شاء فكن في يده

في الورى إن شاء فذاً ذقته وإذا شاء عليهم رفعـ ـك
هذه ملة طه خذ بهـ ـ ـ ـا لا تطع عنها قصوراً دفعك

أيها القارىء الكريم كنت لقد استنفذ اسم **الحي** الجهد كله ، وكنت أرغب في تكملة بحث **الحي القيوم** ولكنني أترك ذلك لبحث قادم إن شاء الله تعالى أتحدث فيه عن اسم **القيوم** ، والله ولي التوفيق .

والحمد لله **رب العالمين**

الدرس ٥٢ - اسم الله : "القيوم"

بسم الله الرحمن الرحيم

مع الاسم الثاني والخمسين من أسماء الله الحسنى ، والاسم هو **القيوم** ، و**القيوم** كما تعلمون وارد في الحديث الصحيح اسم من أسماء الله الحسنى .

لنستعرض أولاً معاني **القيوم** في اللغة ؛ فاللغة لها أصول ، لها أصل ثلاثي مجـرد "قوم" " و قيم " فالقيم هو السيد المدبر للأمور ، سائس الأمور ، القيم تقول قيم المكتبة ، أمينها ، سيدها، من بيده أمرها .

دين القيمة ؛ الملة الحنيفية التي تتوافق مع الفطرة ، والتي تميـل الـنفس إليهـا ، وعلامة أن هذا الدين دين الله أن النفس تميل إليه ، وترتاح له ، ويتوافق مع فطرتها ، ومـع خصائصها .

وفي النفس حاجة لا يرويها المال ، ولا ترويها رفعة المكانة ، ولا ترويها المتـع ، ولا ترويها الشهرة ، لا يرويها إلا الإيمان بالله عز وجل والاطمئنان إليه ، ومصـداق ذلـك يشير إليه قول الله عز وجل :

ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ

(سورة الرعد ٢٨)

وإذا كان بالإمكان ، أن ترتاح النفوس والقلوب ، وأن تطمـئن ، وأن تسـعد ، وأن تستقر بغير الله ، فهذا قد يكون حتى حينٍ قريب ، لأن القلوب لا ترتاح إلا لدين الله سـبحانه وتعالى ، ولا تسعد النفوس إلا به ، ولا تركن إلا إليه ، ولا تشعر بالأمن إلا فـي ظلـه ولا تشعر بالفوز إلا بطاعة الله عز وجل .

توافق النفس مع الدين شيء عجيب ، الإنسان قد يحوز الدنيا بأكملها ، لكنه قلـق ، ضائع ، مشتت ، مبعثر ، أما إذا عرف الله عز وجل اطمأنت نفسـه وسـكنت وارتاحـت ، وأمنت ، وتفاءلت ، واستبشرت واستشرفت ، وارتفعت وكبرت .

دين القيمة ؛ دين الحنيفية ، الذي تميل النفوس إليه ، وتركن إليه، ولابد أنها قائلة : " أنا بعد أن عرفت الله عز وجل سعدت بقربه ، شعرت بالأمن شعرت بالطمأنينـة ، شـعرت بالتوازن، وعلامة إيمانك أن تقول هذا الكلام وتردده في أعماقك ، ويوم القيامة مشتق من قيم ، ومن قوم ، وهو يوم البعث الذي يقوم فيه الناس لرب العالمين ، قال تعالى :

وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ ﴿٢٤﴾

(سورة الصافات)

هل رأيتم مذنباً يستجوب وهو جالس ؟ .. أبداً ، يريد أن يقف ، " وقفُـوهم إنهـم مسئُولُون " ، فيوم القيامة لشدة هول هذا اليوم يقف فيه الناس لرب العالمين ، ليسألوا ليحاسبوا عن كل صغيرة وكبيرة .

و**القيوم** ؛ مبالغة من القائم بالأمر ، إنسان مدير مستشفى مدير مؤسسة مدير معمـل مثلا، دوامه من الساعة الثامنة إلى الثانية ظهراً ، ولكن هناك مدير امتزج حب هذا العمل مع دمه، يقتني سريراً بمكتبه وينام في مكتبه يسأل عن كل صغيرة وكبيرة ، ويتابع كـل أمـر ، ويضبط كل تصرف نقول هذا قيوم ؛ مبالغة من قائم ، وذو المبالغة في تدبير الأمـور وفـي تسييرها وفي تنظيمها ؛ نصفه بأنّه قيوم .

ف**القيوم** ، والقائم والقيم ، هذه كلها من فعل ثلاثي ، إما أن نقـول قـوم أو قـيم ، كلاهما صحيح ، تقول قوم الأمر وقيم .

هذه اللغة ، فما علاقة هذا الاسم بحقيقته ؟ **القيوم** ، هو القائم بنفسه مطلقاً لا بغيره ، ما منا واحد على الإطلاق قائم بذاته ، لا يدري ماذا يحدث بعد ساعة ، ولا بعد دقيقة ، لكـن الله سبحانه وتعالى قائم بذاته وجودنا مفتقر إلى إمداد الله ، إلى أن يسمح الله لنـا أن نعـيش ساعة أخرى ، يوماً آخر ، أسبوعاً آخر .

وجودنا ليس ذاتياً ، لذلك من عد غداً من أجله فقد أساء صحبة المـوت ، الله جـل جلاله ، هو **القيوم** ، أي قائم بنفسه مطلقاً لا بغيره هذا شطر المعنى .

الشطر الثاني يقوم به كل موجود ، كل شيء موجود في الكون قائم بـالله ، " كـن فيكون " " زل فيزول " ، إن رأيت الشمس طالعة فالله سمح لها بذلك ، وأن تبقى فهي طالعة ، وهي باقية بأمر الله.

إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ﴿٢﴾

(سورة التكوير)

إن رأيت إنساناً أمامك ، وهو واقف يحدثك ، فلأن الله سمح له أن يبقى حياً ، فـالله قائم بذاته ، وكل موجود قائم به إطلاقاً .

لذلك يرتكب الإنسان خطأ فاحشاً إذا قال أنا ، أنت لا شيء ، أنت شبح ، إذا سـمح الله لك أن تعيش يوماً عشته ، وإن لم يسمح لك فلن تعيش ، هذه الحقيقة مهمة جداً ، كان عليه الصلاة والسلام إذا استيقظ من نومه يقول : " الحمد لله الذي رد إلي روحي وعافاني في بدني وأذن لي بذكره" .

لذلك المؤمن دائماً يرى هذه الحقيقة ؛ أن قيامه بالله ، وجوده بالله ، إستمرار وجوده بالله، دقق وتأمل فأنت تتمتّع بعينيك ، لأن الله سمح لك بذلك ، تمتعك بأذنيك ، تمتعك بلسانك ، تمتعك بفمك ، تمتعك بعقلك ، بجهاز هضمك ، بجهاز دورانك بدسامات قلبك ، بشرايين قلبك ، تمتعك بكليتيك ، تمتعك بكل خلية في جسمك ، بإذن الله وإمداده وموافقته .

لذلك أجمل كلمة في تعريف **القيـوم** ؛ القائم بنفسه مطلقاً لا بغيره وهو مع ذلك يقوم به كل موجود .

قال العلماء : لا يتصور وجود شيء ولا دوام شيء إلا به أجل لا وجـود ولا دوام إلا بالله تعالى فبربكم إذا كان كل شيء موجوداً بقيوميته ، وإذا كان كل شيء مستمراً بقيوميته ، فهل علاقتك مع القائم به كل شيء أم مع الذي لا يملك من أمره شيئاً ؟ هنا يكون التوحيد .

إذا أنت أرضيت إنساناً " وقيامه بالله " وعصيت الخالق وهو **القيوم** ، عصيت الذي إن أراد له الفناء فني فوراً ، وأرضيت الضعيف الفاني فأنت في ضياع لذلك فالحي **القيـوم** ، به حياة كل شيء وقيامه .

حتى لا يتُصور وجود شيء ولا دوام وجوده إلا به ، وقيل : **القيوم** هو الباقي الذي لا يزول ، قيل : هو المقيم للعدل القائم بالقسط ، قيل القائم بنفسه الغني عن غيره الذي لا ينام .. هذا معنى الله لا إله إلا هو الحي **القيوم** .

الإنسان المثقف المؤمن ، لا يليق به أن يقرأ القرآن هكذا دون تدبر ، يقول قائـل : اقرأ آية الكرسي فهي مفيدة ، " الله لا إله إلا هو الحي **القيوم** ، ألا ينبغي أن تعرف من هـو **القيوم** .. يقوم به كل شيء ، وكل شيء مفتقر في وجوده واستمراره إليه ، يحتاجه كل شيء في كل شيء، فإذا أيقنت بهذه الحقيقة ، هل تلتفت إلى **القيوم** أم إلى الذي يقوم وجوده ب**القيوم** ؟ قطعا .. إلى **القيوم** ..

القيوم هو القائم بتدبير أمر خلقه ، فبالإضافة إلى أن وجودك قائم بالله ، وإلى أن استمرار وجودك قائم بالله ، هناك معنى ثالث .. هو القائم برزق العباد ، وأنت نائم ، الأمطار تهطل ، الرشيم يتحرك ، المعادن تنحل والجذر ينمو ، والقلنسوة تحفر الصخر ، والماء أُذيبت به المعادن ، صعد إلى عروق الشجر ، انعقد الزهر ، نمت الأوراق ، انعقد الثمـر وأصـبح ثمراً يانعاً.

المؤمن إذا أكل تفاحة أكل عنباً أكل تيناً ، أية فاكهة يأكلها يجب أن يرى يد الله التي صنعتها ، أنت ماذا فعلت ، زرعت البذرة ، وسقيت التربة وسمدت ، فمن جعل الرشيم ينمو ، ولابد من أن نعرف ، ضع حبة فاصولياء في قطن مبلل وراقبها ، بعد يوم أو يـومين ينبـت الرشيم ثم ينمو الساق ثم ينمو الجذير ، اضغط على هذه الحبة .. تراها فارغة ، هذا الغـذاء كاف لنمو الرشيم والجذيع والجذير ، ثم تأخذ الغذاء من التربة ، هذا خلق الله ظاهرة النبـات وحدها أكبر آية دالة على عظمة الله .

القطن نبات ، السواك نبات ، الخلة نبات ، الليف في الحمام نبات الأصبغة نباتات ، الأدوية نباتات ، الأثاث نباتات ، الأشجار المثمرة نباتات ، وكذلك الخضار والفواكه ، فكلمة " نبات " كلمة تلفت النظر .

إذاً : **القيوم** فضلاً عن أنه قائم بذاته ، يقوم به كل موجود ، يعني ما كل كائن حـي فقط بل كل موجود ، الشمس موجودة ، القمر الجبال البحار .. يقوم به كل موجود ويستمر به كل موجود .

والمعنى الإضافي أن الله قائم بتدبير أرزاق العباد .

تأمل في استهلاك العالم في اليوم الواحد من اللحم كم دابة ؟ .. هذه الدواب تتوالـد . إستهلاك العالم من الماء كم في اليوم ؟ هذا الماء أساسه أمطار وأنهار وينـابيع ، إسـتهلاك العالم من الخضار والفواكه ؟ يا ترى كم ألف طن من الحمضيات ينتج في العالم ، نحن بلـد متواضع لدينا ساحل ضيق ، عندنا تسعون ألف طن من الحمضيات تم تصديرها خارج القطر من الحمضيات ، فإنتاج العالم كله من الحمضيات سنويا ؟ .. إنتاج العالم كله من الموز كـم ؟ ..معدل نهر الأمازون ثلاثمائة ألف متر مكعب في الثانية ، هذه المياه من أين جاءت؟ الغابات ، الأخشاب التي يستهلكها النجارون في العالم من أين ؟ من الغابات ، من أمد الغابـات بهـذه الأخشاب ؟ الله جل جلاله .

الحديد ، أطنان الحديد في العالم من أين جاءت ؟ من الفلـزات ، مـن أودع فـي الأرض هذا المعدن النافع ؟ قال تعالى :

وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾

(سورة الحديد)

فكل إنسان مدعو إلى أن يفهم أن الله سبحانه وتعالى هو **القيوم** ، ولابد من فهم واسع وشامل لصفة **القيومية** فهو الذي يدبر أمر الخلق كلّهم بشرا وحيوانًا ونباتًا بتأمين أرزاقهم ، وحاجاتهم ، وزروعهم ، ومياههم .

وقال مجاهد : **القيوم** هو القائم على كل شيء ، قال تعالى :

ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾

(سورة الزمر)

الخلق كلّهم في قبضته ، وليس من مخلوق جامع ، فقد تتصور أن الأمور متفلّتة ويبدو لك أن فلانًا قلبه قاس ، وأن يده طولى ، وهو سيد نفسه فالله مالكه ، وقياده بيد خالقه ، وأوضح آية في هذا ، قال تعالى :

مِن دُونِهِۦ ۖ فَكِيدُونِى جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾ إِنِّى تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّى وَرَبِّكُمْ ۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾

(سورة هود)

حيوان شرس ، حيوان مخيف ، عقرب ، أفعى ، هذه الحيوانات المؤذية تتحرك بأمر الله ، وكل مخلوق يتحرك بإرادة الله سبحانه وتعالى وليس له إرادة مستقلّة .

لكل شيء حقيقة ، وما بلغ عبد حقيقة الإيمان حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه ، القائم على كل شيء هو الله **القيوم** .

وقال بعض العلماء : " **القيوم** هو القائم على خلقه ، بآجالهم وأعمالهم وأرزاقهم " ، " إن روح القدس نفث في روعي أن نفساً لن تموت حتى تستوفي رزقها وأجلها ، فاتقوا الله

عباد الله ، وأجملوا في الطلب ، واستجملوا مهنكم " ، " كلمة الحق لا تقطع رزقاً ولا تقـرب أجلاً "

وقيل : " **القيوم** هو المدبر المتولي لجميع الأمور التي تجري فـي الكـون " فـإذا سمعت خبر فيضان ، خبر زلزال ، خبر إعصار ، خبر انهدام تفشّي مرض ، تفشي وبـاء ، حرباً أهلية قامت بين فئتين ، أليس لله علاقة بهذا الشيء ؟ ، قنبلة ألقيت علـى هيروشـيما ، أليس لله علاقة بهذه القنبلة ؟ بلى ، وألف بلى !

والقيوم لا شيء يقع في الكون إلا بأمره ، ومشيئته ، وإرادته وحكمتـه وقدرتـه ، وعلمه وتدبيره ، يقول الله في القرآن الكريم :

۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَـٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾

(سورة الأنعام)

قد تتجول بالخريف في بستان فترى ورقة زيتون سقطت ، فاعلم أيها القـارىء أن الله تعالى في القرآن الكريم يقول : " وعنْده مفَاتح الْغَيبِ لا يعلَمها إلا هو ويعلَم ما فـي الْبـر والْبحرِ وما تَسقُطُ من ورقَة إلا يعلَمها ولا حبة في ظُلُمات الأرضِ ولا رطْبٍ ولا يابِسٍ إلا في كتَابٍ مبينٍ "

فما قولك فيما فوق الورقة ، سقوط ورقة يعلمها ، سقوط قنبلة ، طبعاً هذه أهـم، يعلمها، الإنسان متى يرتاح ؟ .. إذا شعر أن الأمر كله بيد الله ، وأن الله قادر وعادل ورحـيم وحكيم ، وأنت في ظله ، وأنت في رعايته ، منحك الأمن ، والأمن نعمة لا تُقدر بثمن .

وقيل : القائم على كل نفس بما كسبت ، يحاسب كل إنسان حساباً دقيقـاً ، قيـوم .. الغشاش له معاملة ، والصادق له معاملة ، والخائن له معاملة ، والمتقن عمله لـه معاملـة ، وغير المتقن له معاملة .

سمعت عن أخ عمل مهندساً في بعض دول الخليج ، أخلص إخلاصاً منقطع النظير ، أعطاه من يعمل عنده راتباً فلكياً ، ثم شعر أنه ينبغي أن يستقر في بلده إلى جوار أمه وأبيه ، فترك وعاد إلى بلده ، ذهب زيارة طارئة لذلك البلد الخليجي لإجراء بعـض المعـاملات ، فعرض عليه من كان يعمل عنده أن يقيم شهراً في الخليج وشهراً في موطنه ، وعشـرة آلاف درهم في الشهر يقدر بمائة وخمسين ألف ليرة تقريباً ، وبيت مفروش ، السبب في كـل هـذه

المغريات والتنازلات استقامته ، وإخلاصه وتفانيه في خدمة عمله ، سبحان الله " البر لا يبلى ، والذنب لا ينسى والديان لا يموت ".

والنبي قال : " الأمانة غنى " ، طبعاً من معانيها الضيقة ألاّ يأكل الإنسان مالاً حراماً .. ومن معانيها الواسعة ، أن تكون أميناً في عملك ، أميناً في اختصاصك وأمانيًا في كلّ شيء ... فمثلا إنسان لا يحتاج إلى عملية إطلاقاً ، يقول له طبيب غير أمين وغير مستقيم : إذا لم تجر العملية بعد يومين تموت ، ويأخذ منه مبلغ أربعمائة وخمسين ألف ليرة ، وهو لا يحتـاج إليها إطلاقاً ، هذا ليس أميناً على إختصاصه .

فموضوع الأمانة موضوع واسع جداً ، إذا عمل الإنسان عملاً ليزيد دخله ، ولا ينفع الشخص الذي يتعامل معه ، فقد خان الأمانة فأنت إذا عندك بلور ستة ميليمتر ، وتركبه مكان ثلاثة ميليمترات من أجل منفعة ذاتية وتقول : هذه النافذة أنسب بسماكة سـتّة ميليمتـرات ، وتحمله ثمناً باهظاً وعبئاً ووزناً بلا فائدة ، فقد خنت الأمانة . قال تعالى :

۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا

(سورة النساء ٥٨)

إذا كنت صاحب صيدلية ، فالأدوية كلها أمانة برقبتك ، إذا انتهى مفعول دواء لابـد من تنسيقه ، أعرف شخصاً اشترى دواء انتهى مفعوله ، وكنت أظن أن الدواء الـذي ينتهـي مفعوله لا ينفع لكنه لا يضر ، ثم تبين لي أن الدواء الذي ينتهي مفعوله له ضرر كبير جـداً ، هل تصدقون أنه يصيب الإنسان بالكآبة أحياناً ، لما به من مـواد مركبـة ، عنـدما تفككـت أصبحت سامة ، لما كانت مركبة كانت نافعة ، فأن تبيع دواء منتهياً مفعوله ،فقد خنت الأمانة .

أنت محامي ؛ موكل في قضية ، تقدم مذكرات غير مدروسة ، ولم تراجع القوانين ، خصمك أقوى منك ، وخسرت الدعوى ، فأنت خنت الأمانة .

المحامي أمين ، الطبيب أمين ، هناك أخطاء كثيرة جـداً تُرتكـب مـن أصـحاب الاختصاصات العليا ، فهم موثوقون ، ولكنّهم هدروا هذه الثقة الممنوحة لهم بتقصيرهم.

تبيع خبزاً للناس ، فعليك أن تتأكد أن هذا العامل يداه نظيفتان ، وسمان عنده تنكـة زيت غالية جداً ، وجد فيها فأراً ، فهل يبيعها للناس؟ الناس لا يعلمون ، إنه خان الأمانة .

الدين عظيم فهو رقيب على النفس ، يتغلغل الدين إلى أدق التفاصيل ، أضرب لكـم مثلاً بسيطاً ، نموذجياً : أخ من إخواننا كان ياف محركات ، قال : قد يأتيني محرك محـروق والشرط خمسة آلاف ، أفتحه فأجد طاقاً مقطوعاً خارجياً ، ألحمه بالكاوي بثانية واحدة ، ثـم يأتي صاحبه في اليوم الثاني ويتقاضى صاحب المحلّ منه خمسة آلاف ، هذا قبل أن يعـرف الله ، لكن بعد أن عرف الله ، أصبح يقول لمثل هذه الحالة اسمح لنا بخمس وعشرين ليـرة ، فيتساءل الزبون متعجباً؛ ما هذا الكلام قد اشترطت خمسة آلاف ! يقول : نعم ، لكن تبين لـي بعد فتح الجهاز وفكّه أنّه غير محروق ، بل فيه قطعة غير ملحومة، فلحمته وانتهى الأمر .

والله الذي لا إله إلا هو ، لا يتبدى الدين حقيقيا ، وجليا إلا فـي عملـك ، الـدين الحقيقي لا يتبدى في صلاتك ولا في صيامك ، ولا في حجك ، ولا في عمرتك ، إنّه يتبـدى في العمل .

أن تضع مادة تؤذي أبناءنا الصغار ، وأنت صاحب معمل غـذائيات .. فقـد خنـت الأمانة ، وخسرت معية الله تعالى ، والله تعالى يقول : إن الله مع الذين اتّقـوا والـذين هـم محسنون ، وعندئذ ضع صيامك وصلاتك في الحاوية ، الذي يخون الأمانة في صـناعته ، لا عبرة لا بصلاته ولا بصيامه ، فالعبرة أن تستقيم على أمره ، إن استقمت على أمره ، فالصلاة لها معنى ، والصوم له معنى ، والحج له معنى ، لذلك قال تعالى : " وقفُوهم إنهم مسئُولُون " .

فمن معاني **القيوم** : القائم على كل نفس بما كسبت ، فالشاب المستقيم لـه معاملـة خاصة، له زواج خاص ، له مستقبل خاص ، وشاب منحرف قبل الزواج ، عنده زوجة بـلاء من الله ، أتته بلاء ، لأنه قبل الزواج لم يكن عفيفاً .

إنسان دخله حرام يأتيه البلاء الأعظم كل يوم ، يعاني ما يعاني كلّ حـينٍ ، وهـذا جزاء وفاق يقول : ركبي عم تقصف ! . طبعاً ، لأنك عندما بعت الزبون لم تتق الله فيه لـم تراقب الله فيه عندما بعت هذا الإنسان الساذج .. " غبن المسترسل ربا ، غبن المسترسل حرام " ، لم تتق الله في البيع ، فلم تلبث أن جاءك رجل أخافك ، " هات هويتك " . فالأمور دقيقـة جداً ، إن ربك لبالمرصاد .

فالقيوم : القائم على كل نفس بما كسبت ، امرأة محبة لله عز وجل مستورة محجبة ، هذه لها زوج خاص ، لها زوج يكرمها ويحفظها ويرفع شأنها ، ويرحمها ، وإمرأة فاسقة ، متفلتة ، لها زوج يهينها ويضربها ويضيق عليها ، هذه لها معاملة وهذه لها معاملة .

شاب أمين ، يتهافت الناس على تشغيله عندهم ، وشاب غير أمين يتنافس الناس في صده عنهم ، طبعاً .

أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ۗ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ قُلْ سَمُّوهُمْ ۚ
أَمْ تُنَبِّـُٔونَهُۥ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلْأَرْضِ أَم بِظَـٰهِرٍ مِّنَ ٱلْقَوْلِ ۗ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ
كَفَرُوا۟ مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا۟ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ

(سورة الرعد ٣٣)

وقيل الحفيظ على كل شيء ، كل شيء مسجل عنده ، صـورة ملونـة وصـوت ، وسوف تُعرض عليك يوم القيامة ، قال تعالى :

ٱقْرَأْ كِتَـٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾

(سورة الإسراء)

ركبت مع أخ في سيارته ، رأيت ورقة لديه فيها صـورة السـيارة مـع التـاريخ والسرعة ، قلت له ما هذه ؟ قال هذه مخالفة ، أرسلوها ، يوم كذا الساعة كذا في شارع كـذا بسرعة كذا ، تفضل ، إنسان صنعها ، فكيف خالق الأكوان ، قال تعالى : " اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَـى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا " .

إذا كانت كل أعمالنا مسجلة ، صوتاً وصورةً ، وسوف تُعرض علينا عمـلاً عمـلاً يوم القيامة ، أجب خالقك ، وقفوهم إنّهم مسؤولون .

ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟
يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾

(سورة يس)

وقيل : **القيوم** الدائم القيام في تدبير الخلق وحفظهم الدائم ، الإنسان أحياناً ينتبه إلى عمله فترة ، ويرتاح فترة ، ويأخذ إجازة أسبوعين وتأتي فترات يتعب فيها لا يتابع الأعمال .. **القيوم** بصيغة مبالغة ، يعني القائم بتدبير خلقه على الدوام ، بمعنى الاستمرار .

الإمام الغزالي له رأي لطيف في هذا الاسم ، قال : " اعلم أن الأشياء تنقسم إلى مـا يفتقر إلى محل كالأعراض والأوصاف " ، فكلمة أحمر .. هذه جوهر أم عرض ؟ هذه عرض ، فقد تحتاج إلى شيء يقبل هذا اللون ، تحتاج إلى ماء ملون بالأحمر ، تحتاج إلى جدار يطلى

بالأحمر تحتاج إلى ضوء يخترق سطحاً أحمر ، فكلمة أحمر هذه صفة ليست جوهراً ، أما إذا قلنا مضدة فهذه جوهر .

قال : " الأشياء تنقسم إلى ما يفتقر إلى محل كالأعراض والأوصاف " فيقال إنهـا ليست قائمة بنفسها ، وإلى مالا يحتاج إلى محل ، نقول : الشمس مثلاً ، الشـمس جـوهر ، القمر جوهر ، الحصان جوهر .

لكن الحقيقة الدقيقة هي أن الشيء الجوهري ، الذي لا يحتاج إلى محل ، هو مفتقـر في وجوده إلى الله ، طبعاً نحن فيما يبدو لنا ، أن هذا الرخام جوهر ، أما لونه عرض ، هـذه السيارة جوهر ، لونها سوداء عرض ، هذا الضوء جوهر ، اللون الأصفر فيه عرض ، أمـا عند الإمام الغزالي وهو الحق ، أن الأشياء التي تتوهمها جوهراً هي في حقيقتها مفتقرة فـي وجودها إلى الله، إذاً في الحقيقة كله عرض ، لذلك الذين قالوا الكون كله وهم ، شبح ، من هنا انطلقوا ، أي أن كل شيء قائم بالله .

لذلك فمن هو الذي لا يفتقر إلى ما سواه ؟ اسمعوا هذا الشرح ما ألطفه قال : وإن لم يحتج إلى محل " شيء لم يحتج إلى محل ، " فإن كان في الوجود موجود تكفي ذاته بذاتـه ، موجود قائم بذاته ، ولا قيام له بغيره ، ولا يشترط في دوام وجوده وجود غيره ، فهو القـائم بنفسه مطلقاً ، فإن كان كذلك يقوم به كل موجود .

حتى لا يتصور وجود شيء من دونه ، ولا دوام وجود شيء من دونه ، فهو **القيوم** ، لأن قيامه بذاته وقيام كل شيء به .. قال : هذا الشيء ، هذا الموجود ، هذا القائم بذاته الذي يقوم به كل موجود ليس إلا الله .

ليس إلا الله وجوده ذاتي يقوم به كل موجود ، ما سوى الله عز وجل ، أعـراض ، وأشباح ، وأوصاف ، ولا شأن لها .

اسم **القيوم** ورد في قوله تعالى :

ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ

(سورة البقرة ٢٥٥)

وفي آل عمران :

الٓمٓ ﴿١﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ﴿٢﴾

(سورة آل عمران)

وفي سورة طه :

۞وَعَنَتِ ٱلۡوُجُوهُ لِلۡحَيِّ ٱلۡقَيُّومِۖ وَقَدۡ خَابَ مَنۡ حَمَلَ ظُلۡمٗا ﴿١١١﴾

(سورة طه)

إذا قرأتم قوله تعالى ، الله لا إله إلا هو الحي **القيوم** ، فالمعاني التي وردت كثيـرة جداً ، ودقيقة جداً ، هكذا تعرف الله عز وجل ، هذه معاني كلمة **القيوم** .

قال العلماء : من أدب المؤمن مع اسم **القيوم** ، أن يعود قلبه ، الانقطاع عن الخلق ، مادام يعرف أن كل شيء قائم في الله ، يعني إذا دخلت إلى دائرة ، وجدت فيها ألف موظف ، لا يستطيع موظف أن يخدمك بشيء إلا ليأخذ موافقة من المعلم ، أتتحدث مع أحـد ؟ عليـك بالمعلم ، ليس لك إلا هذا .

يعني : إذا كان ألف موظف لا يستطيع موظف أن يـتكلم كلمـة لا بالإشـارة ولا بالموافقة، ولا بالحركة ، إلا إذا وافق المعلم ، فهل تتحدث مع هؤلاء ؟ وتضيع وقتك معهـم ؟ ..

فإذا كان كل هؤلاء الناس مرجعهم بيد المدير العام ، فأنت علاقتك معه ، فلتخاطبـه هو ذاته .

لذلك : من أدب المؤمن مع اسم **القيوم** ، أن يعود الإنسان نفسه انقطاع قلبـه عـن الخلق ، مادام يعرف أن الله سبحانه وتعالى ، هو القائم و**القيوم** لذلك قال بعض العـارفين : " حسبك من التوكل ألا ترى لنفسك ناصراً غيره ".

أحياناً يقول الإنسان ، دبرتها ، أنجزتها ، عملت خطة محكمة وأفلحت بها ، أقسـم بالله إنّي أشعر أن هذا الإنسان مشرك ، الله سمح لك ، الله وفقك الله جعل الآخرين يغضـون نظراً عنك، الله خلق في قلبهم عطفاً عليك الله حجبهم عن معرفة هذه المخالفة أحياناً ، لا تقل: دبرت حالي ، حتى لو أن واحداً عاونك الله سمح له أن يعاونك ، ألهمه ، إما أنه خاف منك ، وإما أنه استحيى، وإما أنه عطف عليك ، لا تقل أنا دبرت أموري .

قال : " حسبك من التوكل ألا ترى لنفسك ناصراً غيره ، ولا لرزقك خازناً غيـره ، ولا لعملك شاهداً غيره ".

المخلص لا يحتاج إلى ضجيج ، غير المخلص إذا صنع وليمة يقول هل أعجـبكم الطعام ؟ يريد أن يستجدي المديح ، إذا عمل حفلة دائماً يسأل ليمدحوه ، أما المؤمن لا يطلـب على عمله شاهداً غير الله ، ولا يرجو غير الله ، ولا يعرف أن أحداً ينصره غير الله .

من أدب المؤمن مع اسم **القيوم** ، أن من علم أن الله هو **القيوم** للأمور استراح من كد التدبير ، وتعب الاشتغال بغيره ، وعاش براحة النفس ، ولم يكن للدنيا عنده قيمة .

يعني ما هو لك لك ، وما هو ليس لك ليس لك ، والله عز وجل لا ينسى ، ولا يغفل ، وأمرك بيده ، فإذا تيسر فالحمد لله ، وإذا تعسر لا حول ولا قوة إلا بالله .

قال بعضهم : يا رب لست سبحانك فلست محتاجاً إلى أحد ، والكل محتاج إليك ، يا عليم السر في أغواره ، كيف للأسرار أن تخفى عليك ؟ كل شيء بك بـاق دائمـاً ، والـذي تقضيه مكتوب لديك ، يا مضيء النجم ، يا قيوم يا ناقل الأطيار من أيك لأيك .

في صحيح البخاري ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قام بالليل تهجد ودعا ربه فقال :

عن طاوس سمع ابن عباس رضي الله عنْهما قالَ كان النبي صلى الله عليه وسلم إِذَا قام من الليل يتَهجد قالَ اللهم لك الْحمد أَنْتَ قيم السموات والأرض ومن فيهن ولك الْحمـد لـك ملك السموات والأرض ومن فيهن ولك الْحمد أَنْتَ نُور السموات والأرض ومن فـيهن *

(أخرجه البخاري)

أحياناً يقال : إنه حدثَتْ خلخلةٌ بطبقة الأوزون ، وتفشّى سرطان الجلد إلى أن بلـغ بالمائة سبعين ، فيخاف الإنسان ، ولكن الله موجود ، الله عز وجل أليس قادراً على أن يرممها ؟ قادر ، ولكن دون الإيمان بالله الحياة مخيفة تحمل هم الأوزون المتخلخل ، القلق من التلوث ، القلق من الأورام ، القلق من أمراض القلب ، القلق من فشل كلوي ، ما هذه الحيـاة ؟ .. لكن بالإيمان بالله هناك طمأنينة .

عن طاوس سمع ابن عباس رضي الله عنْهما قالَ كان النبي صلى الله عليه وسلم إِذَا قام من الليل يتَهجد قالَ اللهم لك الْحمد أَنْتَ قيم السموات والأرض ومن فيهن ولك الْحمـد لـك ملك السموات والأرض ومن فيهن ولك الْحمد أَنْتَ نُور السموات والأرض ومن فيهن ولـك الْحمد أَنْتَ ملك السموات والأرض ولك الْحمد أَنْتَ الْحق ووعدك الْحق ولِقَاؤُك حق وقَولُـك حق والْجنةُ حق والنار حق والنبيون حق ومحمد صلى اللهم عليه وسلم حق والساعةُ حـق اللهم لك أَسلمتُ وبِك آمنْتُ وعليك تَوكلْتُ وإِليك أَنَبتُ وبِك خَاصمتُ وإِليك حاكمتُ فَاغْفر لِي

ما قدمتُ وما أخرتُ وما أسررتُ وما أعلنْتُ أنْتَ المقدم وأنْتَ المؤخر لا إله إلا أنْتَ أو لا إله غيرك *

(صحيح البخاري)

هذا دعاء النبي صلى الله عليه وسلم في صلاة التهجد .

عزيزي القارىء : أحد أكبر مهام الإنسان في الحياة الدنيا أن يعـرف الله ، ومـن أبرز ما يقتضي أن تعرف الله به أن تعرف أسماءه الحسنى ، واسم **القيـوم** مـن أسـماء الله الحسنى ، وإذا تعمقت في اسم **القيوم** ، تركت الخلق واتجهت إلى الحق ، وارتاحت نفسك من القلق ، ونجوتَ من الاضطراب .

والحمد لله **رب العالمين**

الدرس ٥٣ - اسم الله : "الأول والآخر"

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، مع الاسم الثالث والخمسين من أسماء الله الحسنى ، والاسم هو: **الأول والآخر** ، **الأول والآخر** اسمان من أسماء الله الحسنى ، كما ورد في الحديث الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد أجاز بعض العلماء ذكرهما معاً الأول والآخر .

وللعلماء في هذا الموضوع ، رأي لطيف ، هو أن من أسماء الله الحسنى ، ما لا يجوز إلا أن يذكر الاسم وما يقابله معاً ينبغي أن تقول المعطي المانع ، والرافع الخافض ، والمعز المذل ، والنافع الضار ، والقابض الباسط ، لأن القبض للبسط ، والضر للنفع ، والإذلال للإعزاز، والأخذ للعطاء ، يؤكد هذا قول النبي صلى الله عليه وسلم في خطبته :

يا أيها الناس إن هذه الدنيا دار التواء لا دار استواء، ودار ترح لا دار فرح فمن عرفها لم يفرح لرخاء، ولم يحزن لبلاء ، ألا وإن الله تعالى خلق الدنيا دار بلوى، والآخرة دار عقبى، فجعل بلوى الدنيا لثواب الآخرة سبباً، وثواب الآخرة من بلوى الدنيا عوضاً، فيأخذ ليعطي ويبتلي ليجزي، فاحذروا حلاوة رضاعها لمرارة فطامها واحذروا لذيذ عاجلها لكربة آجلها، ولا تسعوا في عمران دار قد قضى الله خرابها، ولا تواصلوها وقد أراد منكم اجتنابها فتكونوا لسخطه متعرضين ولعقوبته مستحقين.

رواه الديلمي عن ابن عمر

يضر لينفع ، يمنع ليعطي ، يخفض ليرفع ، يذل ليعز .

بعض العلماء أجاز أن يذكر اسم **الأول والآخر** معاً ، كالنافع والضار وجمع بينهما القشيري مضيفاً إليهما الظاهر والباطن ، لنا أن نقول **الأول والآخر** والظاهر والباطن معاً ، أربعة أسماء .

وكما هي العادة دائماً نبدأ بالمعنى اللغوي الدقيق من كلمة الأول ؛ **فـ<u>المعنى الأول</u> للأول** : هو الذي يترتب عليه غيره ، شيء يبنى على شيء ونتيجة تؤسس على مقدمة ، الشيء الذي يترتب عليه غيره ، هذا المعنى الجامع ، التفاصيل : **الأول** المتقدم زمانه ، طبعاً

، شعبان ثم رمضان رمضان ثم شوال ، محرم ثم ذو القعدة ، الأول هو الذي يأتي أولاً زماناً يعني التقدم زماناً .

المعنى الثاني ؛ التقدم رتبةً ، فلان **الأول** على طلاب الصـف ، فـلان **الأول** فـي التجارة ، فلان **الأول** في الصناعة ، **الأول** في العلم ، هذا التقدم تقدم رتبي ومنه قوله تعالى :

ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ۝٤

(سورة الرحمن)

لا يعقل أن يعلم الإنسان القرآن قبل أن يخلق ، هذا التقديم تقديم رتبي وليس تقـديماً زمنياً .

المعنى الثالث ، المتقدم مكاناً ، أنت في الطريق إلى حلب ، حمص قبـل حمـاة ، وحماة قبل حلب ، فحمص أولاً وحماة ثانياً وحلب ثالثاً ، إذاً هناك تقدم زمني وتقـدم مكـاني وتقدم رتبي .

المعنى الرابع التقدم في الترتيب ، وهذا يستخدم في الصناعة ترتيب المحرك أولاً ، ربطه بالعجلات ثانياً ، ربطه بالكهرباء ثالثاً ، إذاً هناك أولوية في الزمان ، أولوية في المكان ، أولوية في الترتيب ، أولوية في التربية ، هذه المعاني الأربع مستفادة من معنى **الأول** .

أما إذا قلنا ؛ الله هو **الأول** فلهذا معنى آخر ، معناه أن الله سبحانه وتعالى لم يسـبقه في الوجود شيء ، لكن لا ينبغي أن تقول : زماناً ، لأن الزمن من خلق الله ، لم يسـبقه فـي الوجود شيء هذا هو الذي ينبغي أن نقوله في شرح معنى اسم الله **الأول** .

هناك معنى آخر متعلّق بالله عز وجل ؛ **الأول** هو الذي لا يحتاج إلى غيره كل شيء يحتاج إلى غيره ليس أولاً ، هذه المنضدة تحتاج إلى خشب ، إذاً ليست هي **الأول** ، الخشـب يحتاج إلى أن ينبت ، إذا ليس هو **الأول** ، النبات يحتاج إلى بذر ، لـيس هـو **الأول** ، البـذر يحتاج إلى نبات يخرج منه ، النبات ليس هو **الأول** ، فكل شيء يحتاج إلى غيره ليس أولاً .

فالمعنى الثاني إذًا : هو الشيء الذي لا يحتاج إلى غيره ، هذا معنى **الأول** بالنسبة لله عز وجل .

المعنى الثالث : الشيء المستغني بنفسه في وجوده ، لو أن شيئاً يفتقر في اسـتمرار وجوده إلى شيء آخر ليس أولاً ، المادة الأولية سبب استمراره ، مادام هناك شيء يعين على استمرار الوجود فهذا الشيء ليس أولاً المادة الأولية هي **الأول** ، فثلاث معانٍ مستفادة من اسم

الله العظيم **الأول** هو أنه لم يسبق وجوده شيء ، والثاني لا يحتـاج إلـى غيـره ، والثالـث المستغني بنفسه ، فهذه الثلاثة تشكّل معنى **الأول** .

أعرابي التقى النبي عليه الصلاة والسلام ، قال أين كان الله قبل الخلـق ؟ فأجـاب النبي عليه الصلاة والسلام : كان الله ولم يكن معه شيء" .

كان هنا فعل ماض تام ، كان الجو صاحياً ، ناقص ، كان الحديد فلـزاً ، نـاقص ، كان الجليد ماء ، ناقص ، أما كان الله تام ، إذاً هذه كان التامة الكاملة التي تحتاج إلى فاعل ، وتكون بمعنى وجد ، أما كان الناقصة لا تعني حدوث عمل .

بالمناسبة ، هذه الورقة ، إذا مزقتها ، هذا التمزيق حدوث عمل الفعل التام يدل على حدوث عمل ، أما الفعل الناقص لا يدل على حدوث عمل يدل على زمن فقط ، إذا قلت الجو صاح ، هذا تركيب اسمي ، إذا قلت كان الجو صاحياً ، ماذا أضفت ؟ المضي فقـط ، كـان الناقصة لا تفيد حدوث العمل ، تفيد مضي الزمن فقط ، الجو ممطر ، كـان الجـو ممطـراً البارحة ، فكأن "كان" شدت هذا التركيب الاسمي إلى الماضي شداً ، أما إذا دلت على حـدوث عمل أصبحت كان التامة إعرابها فعل ماض تام ، تحتاج إلى فاعل مرفوع ، كان الله ، وجـد الله الله لفظ الجلالة نائب فاعل ، طبعاً في أدلة كثيرة في كتاب الله .

وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾

(سورة الأنفال)

اتق الله حيثما كنت ، " حيثما وجدت " وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخـالق النـاس بخلق حسن .

فأجاب النبي عليه الصلاة والسلام كان الله ولا شيء معه ، فسأله الأعرابي والآن ؟ فرد النبي عليه الصلاة والسلام بقوله ، هو الآن على ما كان عليه ، والحقيقة ، هـذا الاسـم العظيم ورد في كتاب الله عز وجل في قوله تعالى :

هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّـٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾

(سورة الحديد)

من معاني هذا الاسم مهما أوغلت في النهاية تصل إلى الله ، الله وراء كل شـيء ، سبب كل مسبب ، هو **الأول والآخر** ، أحياناً يقع حدث ما سببه ؟ سبب آخر مادي ، فما سبب هذا السبب ؟ سبب آخر مادي ، من مسبب الأسباب ؟ الله وهو **الأول** ، إذا تحركت نحو الوراء بسلسلة يجب قطعاً أن تنتهي إلى الله ، هو **الأول** .

إنسان حرك يديه ، كيف حركها ؟ لأنه حي ، من أعطاه الحياة ؟ الله جل جلاله ، إذاً هو الأول .

حصل زلزال ، من أحدث هذا الزلزال ؟ هذا الزلزال نتيجة اضطراب القشرة الأرضية ، من جعلها تضطرب ؟ الله هو **الأول** . لذلك قال تعالى :

إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٠﴾

(سورة الفتح)

بالمناسبة هذا المعنى له تطبيق رائع ، الإنسان أحياناً ، يصـاب بمصـيبة ؛ فمـن ضعف توحيده ، أو لضيق أفقه ، يصب جام غضبه على من جاءته هذه المصيبة على يديه ، لو تعقّل ، لو كان توحيده أقوى لرأى يد الله هي التي عملت في الخفاء ، لرأى يـد الله فـوق أيديهم .

لذلك ربنا عز وجل قال :

يَٰبُنَىَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾

(سورة لقمان)

أن تصبر على ما أصابك ، فإن ذلك من عزم الأمور ، هناك آية أخرى :

وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿٤٣﴾

(سورة الشورى)

هذه اللام هي لام المزحلقة ، وهي لام التوكيد ، فهنا في الآية توكيد ، معنى " **ولمن صبر وغفر** " يعني قضاء وقدر جاء على يد إنسان ، الإنسان أحياناً ينقم على هـذا الإنسـان الذي أجرى الله على يديه هذه المصيبة .

يعني لو فرضنا لا سمح الله ولا قدر ، طفل وقع عن الشرفة ، نزل ميتاً ، الأب يتألم أشد الألم ، وقد يتفطر قلبه ، لكن يحقد على من ؟ يقول هذا قضاء وقدر ، أما لـو أن سـائقاً دهس طفلاً ، الأب في ساعة غفلة ، في ساعة غضب شديد ولنقص في توحيده يصـب كـل نقمته على هذا السائق ، إذا عرف أن الله هو **الأول** في كل حادث ، هو المسبب ، هو مسـبب الأسباب ، طبعاً يأخذ حقه لكن لا يحقد ، لأن الحقد من لوازم الشرك .

هناك رجل يملك محلاً تجارياً ، اختلف مع أحد موظفي المحل ، هـذا الموظـف يعرف الدخائل والمخارج ، فأبلغ بعض الجهات عـن بضـاعة غيـر نظاميـة ، فضـبطت المستودعات ، وكلف بمبلغ كبير جداً ، غرامة لهذه المخالفة الجمركية ، فصاحب هذا المحل ، بساعة من ساعات الغضب ، أخرج مسدساً وأطلق النار على هذا الموظـف فـأرداه قتـيلاً فأودع في السجن ثلاثين عاماً ، لو كان موحداً لما رأى هذه المصيبة في هذا الشـخص ، قـد رأى يد الله فوق يديه ، وأن الله هو **الأول** ، هو مسبب الأسباب ، ولعل الله عز وجل يعوضـه عن خسارته ، ولعل الخسارة وقعت لذنب اقترفه .

الخلاصة أنّك إذا آمنت أن الله بيده كل شيء ، هو الأول ، لا تحقد على أحد ، كمـا لو أن إنساناً تلقى ضربةً بعصا ، فهل يحقد على العصا ؟ أم على الذي ضربه ؟ العصا لا تقدم ولا تؤخر ، وينبغي أن تعلم أن الناس جميعاً ، حتى الأقوياء ، وحتى الأشرار إنما هم عصي بيد الله عز وجل ، ألم يقل الله عز وجل :

مِن دُونِهِۦ فَكِيدُونِى جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾ إِنِّى تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّى وَرَبِّكُمْ ۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾

(سورة هود)

وهذه الآية لها معنى دقيق جداً ، يعني إذا كانت مجموعة وحوش وحوش كاسـرة مربوطة بأزمة بيد إنسان عظيم رحيم عادل منصف حكيم فأنت ينبغي أن تخـاف مـن هـذه الوحوش أم من الذي يملك ناصيتها ؟

المشكلة كلها في هذا المثل ، فالكافر المشرك ضعيف الإيمان يخاف من الوحوش ، والمؤمن يخاف من الذي يملك أزمتها ، فإذا اصطلح معه أبعدها عنه ، أما إذا عصاه ، أرخى لها أزمتها فوصلت إليه ، هو **الأول والآخر** والظاهر والباطن .

هذه الآية في سورة الحديد : " **هُو الأولُ والآخرُ والظاهرُ والباطنُ وهُو بِكُل شَـيء عليم**"

(سورة الحديد رقم ٣)

وقد يمكن أن نرد هذه الآية إلى المعنى الأول :

نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾

(سورة الواقعة)

يعني لم يسبقنا في الوجود أحد ، وما نحن بمسبوقين ، كان الله ولم يكن معه شيء ، وسيدنا الإمام علي كرم الله وجهه ، مرةً سئل : " متى كان الله ؟ فأجاب إجابـةً رائعـة : ومتى لم يكن " .

والعلماء يقولون : " لا ينبغي أن تسأل أين الله ، لأن الله خالق المكان ولا متى كان الله لأنه هو خالق الزمان ، هو خالق المكان والزمان والمكان والزمان من خلقه ".

الأول بكل ما سواه ، المتقدم على كل ما عداه ، كل ما سوى الله يأتي بعد الله ، من دون الله ، هو **الأول** ، والمتقدم على كل ما عداه هذه الأولوية ليست بالمكان ولا بالزمان ، ولا بأي شيء في حدود العقل أو العلم .

يقول بعض العلماء : " الله سبحانه ظاهر باطن في كونه أولاً ، هو الأول أظهر من كل ظاهر ، لأن العقول تشهد أن المحدثات لها موجد متقدم عليها وهو سابق الوجود .

فكونه تعالى أولاً واضح جداً من هذه الجهة ، أن كل شيء حدث ، كل شيء محدث له محدِث كل شيء موجود له موجد ، فمن بديهيات العقل ، أن الموجد قبل الموجـود ، وأن المحدث قبل الحادث وأن الخالق قبل الخلق ، وأن المدبر قبل المدبر وأن الرازق قبل الرزق .

وهو **الأول** أبطن من كل باطن ، لأنك إذا توغلت في الشيء وتوغلت فيه وتوغلـت فيه إلخ... ، تصل إلى الله ، هو الأول أظهر من كل شي وهو **الأول** أبطن من أي شيء .

قال : كل ما أحاط به عقلك وعلمك فهو محدود بعقلك وعلمك فيكون متناهياً فمثلاً ؛ نجمة تبعد عنا أربع سنوات ضوئية ، مسافة بعيدة جداً نحتاج لقطعها في مركبة أرضية إلـى خمسين مليون عام ، هناك نجم أبعد فنجد نجم القطب يبعد عنا أربعة آلاف سـنة ضـوئية ، هناك نجم أبعد بعده أربع وعشرون ألف مليون سنة ضوئية ، يا ترى هذه المجرة هي حـدود

الكون ؟ لا .. والشيء اللطيف أن هذه المجرة التي اكتشفت حديثاً ، والتي تبعد عنـا أربعـاً وعشرين ألف مليون سنة ضوئية ، كانت في هذا المكان الذي وصل إلينا منه ضـوؤها قبـل أربع وعشرين ألف مليون سنة ضوئية ، أين هي الآن ؟ لا يعلم إلا الله .

يعني كل شيء نرصده بالمراصد فالمكان غير حقيقي ، مثلا مجرة كانت في مكان ، وأطلقت شعاعاً ، هذا الشعاع سار بسرعة ثلاثمائة ألف كيلو متر ، وصل إلينـا بعـد أربـع وعشرين ألف مليون سنة ضوئية ، هذا النجم أين صـار الآن ؟ هـل تصـدقون أن بعـض المجرات سرعتها تقترب من سرعة الضوء ، سرعتها مائتان وأربعون ألف كيلو متـر فـي الثانية ، الضوء سرعته ثلاثمئة ألف ، فإذا كان هذا النجم تحرك بسرعة مئتين وأربعين ألـف كيلو متر في الثانية ، وكان بهذا المكان قبل أربع وعشرين ألف مليون سنة ، فأين هو الآن ؟ أين حدود الكون ؟ مهما تخيلت الكون واتساعه ، فهو عقلاً محدود ، لماذا هو محدود لأنه من دون الله ، حادث ، والحادث متناه، أما الله عز وجل غير متناه .

هناك مشكلة هي اجتماعية ونفسية ودينية في آن واحد ، الإنسان يشعر بما يسـمى سعادة، أو يتوهم السعادة ما دام شاباً لأنه يتحرك نحو المجاهيل ، يريد شـهادة عليـا ، أخـذ شهادة عليا ، أحاط بعلومها واستوعبها ثم سئِم منها ، بحث عن زوجة ، تزوج ، أنجب أولاداً ، اشترى بيتاً ، اشترى مركبة ، دخله ، أكل ، تنزه فعل ، ثم شعر بالملل ، لماذا ؟ لأن النفس فطرها الله فطرةً عالية ، فطرها على أن تسعى للانهائي ، فإذا قنعت بالنهائي سئمت .

تجد حقيقةً أن الإنسان بعد الأربعين ، يغلب عليه السأم أكل أكلات طيبة حتى شبع ، تنزه ، وساح بالعالم ، فلم يعد لديه شيء جديد ، كله مكرر ، صباحاً جلست للطعام ففوجئـت بطعام لم تره من قبل وبطعام ما عرفته سابقاً ، وفي اليوم التالي كأس شاي ، قطعـة جـبن ، وبيض ، وفي آخر فول ومن بعده حمص ، وبعد ؟ فما هو الجديد في الطعام ؟ لم يعـد مـن جديد فهذه الخضر الموجودة ، والطبخ ، والفاكهة ، والسرير سرير ، والنوم نوم ، والأكـل أكل يعني حياة رتيبة تنتهي إلى سأمٍ فهذه النفس البشرية ، بالأساس مصممة على أن تتجه إلى المطلق ، فإذا قنعت بالمقيد فلن ترضى فهي أكبر من كل قيد لذلك تشعر بالسأم .

مثل بسيط : إنسان ذو طاقات كبيرة جداً ، ضعه في مكان بلا عمل يتضجر ويتمزق ، طاقته كبيرة والعمل محدود ، أما لما يلتجئ الإنسان إلى الله ، يتبدد السأم لأن الله مطلـقٌ ، لا نهائي ، لذلك أنا أقول وأنا أصر على ما أقول ، المؤمن لا يشيخ إطلاقاً ، شاب دائماً ، مـا هو الشباب ؟ الشباب أن تكون أهدافك أكبر من حياتك ، أن تكون أهدافك نبيلة تضـيق بهـا حياتك ، فأنت في شباب دائم ، أما إذا كانت أهدافك كلها مادية ، الأشياء المادية محدودة ، أنت أكبر من المادة .

فلذلك منهومان لا يشبعان ، طالب علم وطالب مال . لذلك إذا أردت ألا تشـيخ وألا تهرم وأن تكون في شباب دائم فاتجه إلى الله ، واجعل الله عز وجـل مقصـودك ، ورضـاه مطلوبك ، اجعل هدفك الآخرة فأنت في شباب دائم ومتجدد .

حتى الناجحون في حياتهم حتى الأعلام المتألقون ، في الصناعة في التجـارة فـي العلوم في مراكز القوى أي إنسان متألق ما دام حيا فأهدافه المادية أصغر من طاقته الكبرى ، فالإنسان الوحيد الذي يسعد طوال حياته هو إنسان اتجه إلى الله الله لا نهائي .

قال بعض العلماء : " **الأول** في وصفه تعالى بمعنى القديم الأزلي لا ابتـداء لـه " وقيل : " **الأول** بلا ابتداء الموجود بذاته قبل وجود مخلوقاته وكان **الأول** لأنه كان موجوداً ولا شيء معه"، يعني مهما أوغلت في القدم ، مثلاً نحن نعيش في القرن العشرين ، توغـل فـي القرن التاسع عشر ، الثامن عشر ، السابع عشر ، السادس عشر ، الخامس عشـر ، الرابـع عشر القرن السابع الثالث الثاني الأول ما قبل التاريخ إلى نشوء العالم ، أين تصل ؟ إلـى الله هو **الأول** ، هو الذي أنشأ العالم ، كان الله ولم يكن معه شيء .

تحرك نحو المستقبل ، القرن الواحد والعشرين ، عام ألفين و عام ثلاثة آلاف ، عام خمسين ألف ، فكان كما قال النبي :

قَالَ أَبُو حازِمٍ سمعتُهُ من سهل بن سعد الساعدي صاحبِ رسُول الله صلى اللهُ عليه وسـلم يقُولُ قَالَ رسُولُ الله صلى اللهُ عليه وسلم بُعِثْتُ أَنَا والساعةَ كَهذه من هذه أَو كَهاتَين وقَرن بين السبابة والْوُسطى *

(صحيح البخاري)

لو انتهت الحياة الدنيا ، ماذا بعد الحياة الدنيا ؟ الله ، هو **الأول والآخر** ، لو تحركت نحو الماضي الله هو **الأول** نحو المستقبل الله هو **الآخر** .

قال أما **الآخر** فهو الباقي سبحانه ، معنى **الآخر** أي الباقي بعد فناء خلقه ، كل مـن عليها فان ، ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام .

الإنسان العاقل يربط مصيره بمصير الأزلي الأبدي ، الباقي الآخر أمـا لـو ربـط مصيره بأي شيء آخر هذا الشيء الآخر سيفنى .

قال العلماء : **الآخر** هو الباقي بعد فناء خلقه ، يعني الإنسان يعيش ويـتعلم يكسـب المال، يسكن ويأكل ويتحرك ويسافر ووو... ثم تُكتب نعوته ، ثم يوضـع فـي القبـر وهـو صندوق العمل .

قال بعضهم : الآخر الدائم بلا نهاية ، عندنا قلق عميق ، فالإنسان قد تكون حياتـه منتظمة ، حقق نجاحات في حياته ، هناك موت ، هناك نهاية لهذا النجاح ، لكن كل عصر له

تجار وصناع وموظفين وأقوياء وأغنياء وأذكياء عاشوا ترفهوا أكلوا شربوا تمتعوا ثم طـواهم الردى .

قف أمام سوق الحميدية ، وعد بذاكرتك إلى المحلات التي على الصفين قبل سـتين عاماً فكل أصحاب هذه المحلات لم يكونوا في هذه المحلات قبل ستّين سنة ، وبعد ستين عاماً في الأعم الأغلب هناك طقم آخر من الناس في هذه المحلات ، البيـوت المتنزهـات المـدن الساحلية ، كان فيها الرومان ، قبلهم الآشوريون الآراميون ، بعدهم العرب المسلمون ، جـاء الصليبيون ، جاء المسلمون ما لانهاية ، الله هو **الآخر** .

قال العلماء : من أدب المؤمن مع هذا الاسم **الآخر** ، أن يكثر من ذكر هـذا الاسـم حتى يتجلى لقلبه نور الظاهر ، وأن يفر من دار الفناء إلى دار البقاء .

وقف أحد الشعر أمام إيوان كسرى ، وله قصيدة في وصف هـذا الإيـواء ، فـأين مصير هذا الإنسان ؟ فاعلم إذًا :

لكل شيء إذا ما تم نقصان فلا يغر بطيب العيش إنسان
هي الأمور كما شاهدتها دول من سره زمن ساءته أزمان
وهذه الدار لا تبقي على أحد ولا يدوم على حال لها شان

ورد في بعض الأدعية : إلهي أنت **الآخر** لك البقاء ، وأنت الدائم والجموع هبـاء ، فاجعل لنا قسطاً من نور اسمك الآخر ، فيحيي به الظواهر والسرائر فلا نشـهد إلا البـاقي بالباقي، ولا نصل إلا إلى مقام العالي الراقي .

الإمام الغزالي رحمه الله تعالى ، له في اسم **الأول والآخر** ، تعليقات لطيفة جداً .

تقول فلان **أول** من فلان ، دائماً **الأول** فيه تفضيل ، فلان **أول** بالنسبة إلـى إنسـان آخر ، هذا المعدن **أول** رتبةً ، الذهب قبل الحديد من حيث القيمة ، دائماً **أول** فيه تقدما وعلـوا ومن كلمة **أول** له فضيلة ، كان أولاً عليه ، يعني سابقًا له .

يقول الإمام الغزالي : " اعلم أن **الأول** يكون أولاً بالإضافة إلى شيء والآخر يكون **آخراً** بالإضافة إلى شيء ، وهما متناقضان فلا يتصور أن يكون الشيء الواحد من وجه واحد بالإضافة إلى شيء واحد **أولاً وآخراً** جميعاً ".

ليس من المعقول أن تكون هذه اليد قبل الكأس ، هي يد واحدة ، وتكون بعدها أيضا فهذا شيء خلاف المنطق ، شيء مضاف إلى شيء ، وهذا الشيء نفسه مضاف إلـى شـيء آخر ، إلى الشيء نفسه ، الأول مضاف أول ، والثاني مضاف آخر ، هناك تناقض عقلـي ، حل هذا الإشكال بالشكل التالي ؛ قال هما متناقضان فلا يتصور أن يكون الشيء الواحد مـن

وجه واحد بالإضافة إلى شيء واحد أولاً وآخراً ، يعني هذا المسجد هناك في الجهة الشـرقية شجرة ، هي قبله ، هي نفسها أيمكن أن تكون بعده ؟ متستحيل هذا يتناقض مع مبـدأ الهويـة بالمنطق ! شجرة واحدة أول وآخر لا يصح .

فما دام **الأول** يجب أن يضاف إلى شيء ، والآخر يجب أن يضاف إلى شي فينبغي أن يكون هذا الشيء شيئين ، الأول بالنسبة لكذا وآخر بالنسبة لذلك .

ممكن أن نقول هذا الكأس قبل الكتاب وهذا الشريط بعد الكتاب ، أما هذا الكأس قبل الكتاب وقبل الشريط ممكن ، فإذا إختلف المضاف إليه ممكن أن نجمع بين الأول والآخـر ، الكأس بعد الشريط وقبل الكتاب واحد ، أما شيء واحد مضاف مرةً إضـافة أولويـة ومـرة أخروية لمضاف إليه واحد هذا الشيء يرفضه العقل .

قالوا : إذا نظرت إلى تركيب الوجود ولاحظت سلسلة الموجودات المرتبـة فـالله تعالى بالإضافة إليها أول ، إذا نظرت إلـى الموجـودات الله تعـالى أول الموجـودات ، إذ الموجودات كلها استفادت الوجود منه ، فالله أوجدها ، فهو أول وأما هو فموجود لذاته ، ومـا استفاد الوجود من غيره الله عز وجل وجوده ذاتي أما وجود الكون كله يستفاد من وجـود الله عز وجل ، فالوجود ليس ذاتياً ، وجود معلول بالموجب أما الله عز وجل وجوده ذاتي ، ومهما نظرت إلى تركيب السلوك .

فهناك أحداث ومسالك ولاحظت مراتب منازل السائرين ، فهـو **آخـر** فـي نهايـة المطاف تجد الله أمامك ، إذا أضفنا إلى الموجودات فهو **الأول** أما إذا أضفنا إلى الحركة فهـو **الآخر** ، نهاية المطاف ، نهاية السعي ، نهاية الحياة ، نهاية كل عمل الله جل جلاله .

إذ هو **آخر** ما يرتقي إليه العارفون ، وكل معرفة تحصل قبل معرفته فهي مرقاة إلى معرفته ، لذلك قالوا نهاية العلم التوحيد ، مهما تعلمت مهما درست ، نهاية النهاية التوحيـد ، وأعلى مرتبة علمية أن تعرف الله فهو **آخر** بالإضافة إلى السلوك ، بالإضافة إلى الموجودات فهو أول منه المبدأ أولاً وإليه المرجع والمصير آخراً .

هذا المعنى له علاقة بحياتنا ، والإنسان فيهما ، سافر وتاجر وجمع مـالاً ، أسـس أعمالاً، ونجح ، وتألق مصيره إلى الله :

إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾

(سورة الغاشية)

إذهب أين شئت :

وَلِكُلٍّ وِجۡهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَاۖ فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ أَيۡنَ مَا تَكُونُواْ يَأۡتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿١٤٨﴾

(سورة البقرة)

هو **الآخر** ، يجوز أن تركن لإنسان ، تركن لجهة ، تركن لجماعة تركن لمالك تركن لقوتك ، في النهاية أنت مع الله ، مصيرك إليه .

الإمام القشيري يقول : " الأول في وصفه القديم الأزلي ، الذي لا ابتداء له ، والآخر في وصفه بمعنى لا انتهاء له ، ولا انقضاء لوجوده هو الأول بإحسانه ، والآخر بغفرانه ، الأول بالهداية ، والآخر بالرعاية " .

الإمام الرازي يقول : " **الأول والآخر** ؛ فذكر عدة عبارات منها : **الأول** بلا ابتداء **والآخر** بلا انتهاء ، **الأول** لعرفان القلوب، **والآخر** لستر العيوب ، **الأول** قبل كل شيء ، **والآخر** بعد كل شيء ، **الأول** قبل كل شيء بالقدم والأزلية ، **والآخر** بعد كل شيء بالأبدية والسرمدية ، **الأول** مبدي كل أول ، والآخر مؤخر كل آخر ، **الأول** بالوجود والقدم ، **والآخر** للتوجيه عن الفناء والعدم " .

يعني أينما ذهبت أوغلت في القدم فهو **الأول** ، وأينما سعيت وتحركت وطرت وغصت وسافرت وتخطيت فهو **الآخر** ، الإنسان أين ومتى مات فمصيره إلى الله .

الأول بالخلق ، والآخر للرزق ، الأول بلا مطلع ، والآخر بلا مقطع الأول هو الذي ابتدأ بالإحسان ، والآخر هو الذي تفضل بجميل الإحسان الأول بالإسعاد الآخر بالإمداد ، هذه كلها معان فرعية تستفاد من **الأول والآخر** .

أما أدب المؤمن مع الأول ، أن يكون أول الناس سبقاً بالخير ، كن أول الناس بمعرفة الله ، كن أولهم بطاعته ، كن أولهم بخدمة عباده وآخرهم تعلقاً بهم .

وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان يدعو بهذه الكلمات : " يا كائن قبل أن يكون شيء ، المكون لكل شيء ، والكائن بعد ما لا يكون شيء أسألك بلحظة من لحظاتك ، لحظاتك الحافظات الغافرات الراجيات المنجيات " .

لحظة من لحظات الله الحافظات الغافرات الراجيات والمنجيات ، الإنسان يكون في مجتمعه ملء السمع والبصر ثم بلحظة واحدة يصبح خبراً .

أيها الإخوة القراء الكرام ، عود على بدء ، ينبغي أن نذكر بعض أسماء الله الحسنى مثنى مثنى ، **الأول والآخر** ، والظاهر والباطن ، والمعز والمذل ، والمعطي والمانع ،

والرافع والخافض ، والنافع والضار والقابض والباسط ، لأن الاسم السلبي ، هو مـن أجـل الإيجابي .

أحياناً الله عز وجل يفقر ليغني ، يذل ليتوب المرء من ذنوبه ثم يعزه أعلى أنـواع العز، يفقره ليغنيه ، يحجبه ليقربه ، أحياناً يهينه ليعلي مقامه الإنسان المـؤمن صـابر علـى قضاء الله وقدره ، وهو يعتقد اعتقاداً جازماً أن كل شيء في الحقيقة خير ، لذلك قال تعالى :

وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾

(سورة الأنعام)

دققوا في كلمتي ، إن يمسسك وإن يردك ، ما الفرق بينهما ، " **وإن يمسسك اللـهُ بِضُر فَلا كاشفَ لهُ إلا هُو وإن يمسسك بِخَيـر** "، لماذا جاء مع الخير الإرادة ، ومـع الشـر الإمساس ، ، لأن الله عز وجل لا يريد إلا الخير ، فإذا أنزل ضراً بإنسان فهذا الضـر لـيس مراده ولكنه لا بد منه أحياناً الابن غال جداً على والده ، لكن في بعض الحالات النادرة يجـد أنه لابد من تأديب هذا الغلام فيضربه وربما يتألم الأب أشد من تألم الابن بالضرب ، لكـن لا بد منه ، فالضرب ليس مقصوداً ، المقصود التربية ، الضر ليس مراداً ، لكنه لا بد منه .

مركبة صنعت فمن أجل ماذا صنعت ؟ من أجل إن تسير ، ألـيس فيهـا مكـابح ؟ المكابح تتناقض مع الهدف من صناعتها ، صنعت لتسير وفيها مكابح ! لكن المكابح ضرورية لسلامتها ، الإنسان خلق ليسعد ، لكن المصائب والآلام كالمكابح تماماً ضرورية لسلامته قـال تعالى :

۞ وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَـٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٧﴾

(سورة الشورى)

وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢١﴾

(سورة السجدة)

لو أدرك الإنسان أن كل شيء يبدو له شراً هو خير مبطن وأن وراءه هدف كبيـر لذابت نفسه محبةً لله عز وجل ، لذلك كان عليه الصلاة والسلام إذا جاءت الأمور علـى مـا يريد ، قال الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، وإذا جاءت على خلاف ما يريد قال الحمـد لله على كل حال، ودائماً حسن الظن بالله ، ولنحسن الظن بالله ثمن الجنة .

والحمد لله رب العالمين

الدرس ٥٤ - اسم الله : "الظاهر والباطن"

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، مع الاسم الرابع والخمسين من أسماء الله الحسنى ، ومـع الاسمين المجتمعين **الظاهر والبـاطن** وقد كان موضوع البحث السابق : الأول والآخر وهمـا اسمان مجتمعان أيضا .

الظاهر والباطن اسمان من أسماء الله الحسنى ، والظاهر في اللغة مـن الظهـور ، وهو بدو الشيء الخفي ، شيء خفي ظهر يقال له ظاهر والظاهر أيضا هو الغالب .

المعنى الأول من فعل : بدا أي ظهر ، والمعنى الثاني الغالب من فعل عَلَب يغلب ، قال تعالى :

فَأَصْبَحُواْ ظَـٰهِرِينَ ﴿١٤﴾

(سورة الصف)

أي أصبحوا غالبين والظاهر كذلك هو : الشيء الخارجي خلاف الباطن : الشـيء الداخلي ، نحن في مجال المعاني اللغوية الآن ، والظهر : الركاب التي تحمل الأثقـال علـى ظهورها ، فلان عنده ظهر ؛ أي عنده دابة يحمل عليها ، والظهير هو القوي ، وفي الحديث : "ما نزل من القرآن آية إلا ولها ظهر وبطن "

الظهر لفظ الآية ، والبطن تأويلها ، هذه هي المعاني المتعددة التي يمكن أن تُسـتفاد من كلمة الظاهر .

لكن الظاهر ، اسم من أسماء الله الحسنى ، فيقول العلماء أن يكون غالباً لخَلْقه ، الله جل جلاله هو الغالب ، هو القاهر ، هو الفعال لما يريد ، أمره هـو النافـذ ، مشـيئته هـي المتحكمة ، هو المهيمن ، هو المسيطر ، ما شاء الله كان ، وما لم يشأ لم يكـن ، كـل هـذه المعاني مستفادة من كلمة ظاهر ، ظهر على خلقه أي غلبهم ، أمره هو النافذ بالقرآن الكـريم آيات تؤكد هذا المعنى :

أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسۡبِقُونَاۚ سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ ٤

(سورة العنكبوت)

يعني : هل يمكن من الكافر أن يفعل شيئاً لم يرده الله ؟ لا يستطيع لأن الله هو الظاهر، هو الغالب ، الكافر هل يستطيع أن يتفلت من قبضة الله ؟ لا يستطيع ، لأن الله هو الظاهر ، فإذا قلنا الله ظاهر بمعنى أنه غالب ، مهيمن ، مسيطر ، أمره نافذ ، فعال لما يريد ، ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ، وقد ورد هذا المعنى في قصة سيدنا يوسف عليه السلام ، حينما وردت آية تشير إلى مغزى القصة ، قال سبحانه :

وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٢١

(سورة يوسف)

فالإنسان قد يكون في دائرة لها مدير عام ولها معاون مدير ، ولها موظفون ومكتب فني، ومكتب علاقات عامة فمن هو الرجل القوي في هذه الدائرة ؟ فيها واحد أمره هو النافذ وهو المدير العام ، كذلك الله عز وجل -ولله المثل الأعلى- أمره وحده هو النافذ في الكون .

فمن طبيعتنا ، إن وجد في مكان ، في تجمع ، في دائرة ، في مستشفى في معمل ، رجلٌ هو القوي ، هو المسيطر ، أمره هو النافذ ، الأنظار تتجه إليه ، فالصفقات تُعقد معه ، والقربات تُقدم إليه ، لأنه لا يعنينا أي إنسان آخر لا يملك أن يفعل شيئاً ، فكلمة الظاهر تعني الغالب المهيمن المسيطر ، الفعال لما يريد ، الذي تنفذ مشيئته ، الذي لا يستطيع الكافر أن يتفلت من قبضته .

المعنى الثاني للظاهر : هو العالم بما ظهر ، ظهرتُ على سره أي اطلعت على سره ، الله عز وجل إضافة إلى قوته ، وسيطرته وقدرته ، وهيمنته ، هو عليم بكل شيء ، يتعلق علمه بكل ممكن ، لذلك هو عالم بما ظهر .

الحقيقة أن الإنسان إن لم تكن لديه معلومات فهو ضعيف ، يعني أحد أسباب القوة هي المعلومات الصحيحة ، فلذلك الله عز وجل غالب بقوته مطلع بعلمه ، ظاهر .

والمعنى الثالث لكلمة الظاهر : هو أن الله لكثرة البراهين الدالة عليه ولكثرة الدلائل التي تشير إليه ظاهر .. قيل يا إمام متى كان الله ؟ فقال الإمام علي ، ومتى لم يكن ؟ ..

يعني الله عز وجل كل شيء يدل عليه ، فأنتم أيها الإخوة القراء تلاحظون أن الهواء الذي نتنفسه لو قطع عنا لفقدنا حياتنا ، ومع ذلك لا نراه ، هو معنا نعيش بسببه ، ومع ذلك لا

نشعر بوجوده ، فلذلك قالوا شدة القرب حجاب ، وقال بعض العلماء : " الظاهر هو الذي ظهر فوق كل شيء وعلا عليه ، وقيل عرف بطريق الاستدلال العقلي " .

أحياناً الشيء قد تظهر عينه فتعرفه بحواسك الخمس ، قد تغيب عينه وتبقى آثـاره فتعرفه بعقلك ، وعقلك يدلك على الشيء الذي خفيت عينه وبقيت آثاره ، وكأنه أمامك .

فالعقل الذي أودعه الله في الإنسان ، مع الكـون الـذي هـو مظهـر لوجـود الله ولوحدانيته ولكماله ، هذا العقل إذا أُعمل في الكون بدا الله جل جلاله للعقول ، طبعاً لا يبـدو للأبصار لقوله تعالى :

لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَـٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾

(سورة الأنعام)

ولكن الله جل جلاله بدا للعقول بشكل جلي .

وأحياناً كما تعلمون تقع قصة يتناقلها الناس ، أحداث هذه القصة تشير إلى وجود الله ، أحياناً يشعر الناس جميعاً أن هذا الشيء الذي حصل هو من فعل الله ، يقولـون إعجابـاً أو تعظيماً لما حدث : " الله كبير " هناك أفعال لله عز وجل يفعلها دلالتها واضحة جداً ، النـاس على اختلاف أشكالهم وألوانهم ومشاربهم وانتماءاتهم وثقافاتهم ، يشيرون إلى أن هذا فعل الله عز وجل .

وأحياناً لحكمة أرادها الله يظهر الأقوياء وكأنهم يفعلون ما يريدون ، في هذا امتحان وفي ذاك امتحان ، إذا ظهرت أفعال الله جلية واضحةً للناس فهذا شـيء يطمـئن النفـوس ، وشيء يثبتُ الإيمان في القلوب وأحياناً يبدو لنا أن زيداً أو عبيداً يفعـل مـا يريـد ، وكأنـه يتصرف وحده ، أيضاً هذا امتحان آخر ، هذا امتحان لضعاف الإيمان ، أحياناً يضعف إيمانهم فيقولون أين الله وأحيانًا تقع بعض أفعال الله عز وجل صارخةً جليةً .

فمثلا مركبة فضائية أُتقنت إتقاناً خيالياً ، أُملي عليها العد التنازلي مـرات عديـدة ، سميت المتحدي ، أطلقت بعد سبعين ثانية أصبحت كتلة من اللهب ، العالم كله مؤمنه وكـافره يشعر أن هذا فعل الله .

باخرة صنعت في عام ألف وتسعمائة واثني عشر ، وكتب عنها أن هذه البـاخرة لا يستطيع القدر إغراقها ، لأنها صنعت من طبقتين وهناك أبواب عرضية ، فأي خلل أصـاب جدارها الخارجي ، فإقفال الأبواب الداخلية ، يمنع تسرب الماء إليها ، وضع في هذه البـاخرة أجمل ما في العالم من أثاث ومن طنافس ومن ثريات ومن مسابح ومن مطاعم ومن ملاعـب

ومن مقاصف ، ومن غرف من الدرجة الممتازة وركب في هذه الباخرة أغنياء أوربا ، رجال أوربا الأغنياء الأثرياء ونساؤهم ، اتجهت في أول رحلة لها فيما أذكر من بريطانيا إلى بوسطن ، وفي أول رحلة من رحلاتها ارتطمت بجبل ثلجي في عرض المحيط فغرقت وإنشطرت شطرين ، وقبل سنتين فيما أذكر عثر عليها في أعماق المحيط ، لأن القدر لا يستطيع إغراقها حسب ما يدعون ، أغرقها الله تعالى من أول رحلة .

أحياناً الإنسان يشعر أن فعل الله ظاهر ، وأحياناً لحكمة يريدها الله عز وجل يبدو فعل البشر أنه هو الحقيقة وأن الإنسان هو الفعال ، لكن الله سبحانه وتعالى هو الفعال دائماً هذا ما يراه المؤمن ، لكن ضعاف الإيمان إذا بدت قدرة الله صارخة يكتفون بأن يقولوا سبحان الله ، وإذا بدت قدرة البشر خارقة يتزلزلون وينكمشون ويضعفون ، لكن الحقيقة أن الظاهر هو الله جل جلاله الغالب على أمر الخلق .

الظاهر العليم بما بطن ، والظاهر هو الذي ظهر فوق كل شيء وعلا عليه ، وقيل عرف بطريق الاستدلال العقلي مما ظهر لهم من آثار أفعاله وأوصافه .

يعني لو فرضنا مكواة كهربائية ، وضع شريطها في المأخذ الكهربائي فلم تسخن ، الاحتمالات بالفكر ؛ ليس هناك كهرباء في البيت نظرتَ فإذا المصباح متألق فالمعنى أن تيار الكهرباء متّصل ، تساءلتْ يا ترى في المأخذ عطل ؟ جئت بآلة أخرى وضعتها في المأخذ فعملت هذه الآلة ، فمن أين الخلل من المكواة جئت بشريط آخر وصلته بالمأخذ فعملت ، أين الخلل حصراً في الشريط .

الفكر نفى انقطاع التيار عن البيت لوجود مصابيح متألقة ، نفى أن يكون الخلل في المأخذ لاستعماله في آلة أخرى ، نفى أن يكون الخلل بالمكواة لأنه عملت بشريط آخر ، إذاً الخلل محصور في الشريط ، هذه محاكمة عقلية إلا أنه كأنك ترى هذا الحادث رأي العين ، لشدة المنطقية والنتيجة الحتمية وكأن هذا الشيء ظاهر .

فالله سبحانه وتعالى بمحاكمة بسيطة تُوقن أن الله موجود ، أحياناً يفتح الإنسان آلة يرى فيها توصيلات ، وصمامات ، ولوحات توصيل . العقل لا يتصور دقتها ، يعني لو قطعوا الإنسان المنطقي إرباً إرباً هل يصدق أن هذه الآلة صنعت وحدها ؟ ..

قاموس لاروس من أضخم المعاجم في العالم موجود في مطبعة فيها حروف إفرنسية ، فلو جئت بمتفجرة وفجرت المطبعة هل يعقل أن ينتج من تفجير هذه المطبعة قاموس لاروس ؟ المواد اللغوية مرتبة وفق الترتيب الأبجدي ، ثم ضمن المادة الواحدة فروع المادة مرتبة وفق الترتيب الأبجدي ، ثم ضمن الفرع الواحد الفعل الثلاثي فالرباعي فالمجرد فالمزيد المصدر الاسم اسم الفاعل اسم المفعول لو كان باللغة العربية مثلا .

بصراحة القول لو أن مطبعة بالحروف العربية وهي من أدق المطـابع جئنـا لهـا بورق وجئنا بحروف وجئنا بحبر وجئنا بمتفجرة وفجرنا المطبعة ، هل يعقل أن ينتج عن هذا الانفجار معجم المورد مثلاً ، معجم القاموس المحيط ، مختار الصحاح المواد مرتبـة وفـق أوائل الحروف كل الكلمات أُرجعت إلى الأصل الثلاثي المجرد ثم رتبت ، ثم بـدئ بالفعـل الماضي فالمضارع فالأمر ، فالمصادر كلها السماعية والقياسية ، ثم المشتقات بـدأت باسـم الفاعل ، اسم المفعول ، اسم المكان ، اسم الزمان، اسم الآلة ، الصيغة المشبهة باسم الفاعـل ثم الأمثلة من كتاب الله ، من السنة ، من الشعر ، هل بمقدور الانفجار أن يفعل هذا ؟

ففي الخلاق والكون أدق من ذلك بكثير ، ولا من تفصيل فبالعين مائة وثلاثين مليون عصية ومخروط ، والعصب البصري مؤلف من تسعمائة ألف عصب ، لكل عصـب ثلاثـة أعمدة، وبالدماغ مائة وأربعين مليار خلية سمراء لم تُعرف وظيفتها بعد ، وبالمعـدة خمسـة وثلاثون مليون غدة هاضمة ، والأمعاء الدقيقة تتجدد كل ثمان وأربعين ساعة ، والقلب يضخ في اليوم ثمانية أمتار مكعبة بدسامات وشرايين وأوردة ، والغدة النخامية لا يتجـاوز وزنهـا نصف غرام تعطي اثني عشر أمراً هرمونياً ، مسيطرة على كل غدد الجسم هذه وحدها ، ماذا فعل الأب ؟ وضع الماء في رحم الأم وانتهى الأمر ، من صنع هذا الحوين وتلك البويضـة ، كيف انقسمت ، كيف تشكلت الأجهزة ؟ ، محاكمة بسيطة جداً ترى الله وراء كل شيء ، مـن أودع في هذا الإنسان الطباع ؟ من أودع فيه حس الجوع ؟ وحس الشبع ؟ الرغبة إلى الطرف الآخر من ؟ هذا معنى اسم الظاهر ، يعني يعرف وكأنه ظاهر بالاستدلال العقلـي ، يعـرف معرفة يقينية وكأنه ظاهر .

العوام لهم كلمة لطيفة ، يقولون لك ، الله عز وجل " لم ير بالعين ولكـن بـالعقول عرف"، بالعقل نرى الله عز وجل .

وقيل : هو الظاهر وجوده لكثرة دلائله ، وهو البادي بالأدلة عليـه فـلا يمكـن أن يجحده جاحد ، لذلك يوم القيامة يقسم الذين جحدوه وأنكروا وجوده : أنّهم مـا أشـركوا ، ولا كفروا ، ولا جحدوا ، اقرأ قوله تعالى :

ثُمَّ لَمۡ تَكُن فِتۡنَتُهُمۡ إِلَّآ أَن قَالُواْ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشۡرِكِينَ ﴿٢٣﴾ ٱنظُرۡ كَيۡفَ كَذَبُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡۖ وَضَلَّ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ﴿٢٤﴾

(سورة الأنعام)

موضوع الجحود ، جحود الله عز وجل ، حالة مرضية شاذة نادرة عمليـة مكـابرة بالمحسوس ، وهو الظاهر بحججه الباهرة وبراهينه المنوعة ، يعني الماء لو أنه على التبريـد ينكمش شأنه شأن أي عنصر لما كانت حياة على الأرض ، ولانعدمت الحياة نهائيا

قال العلماء : لقد خلق الله كل الكائنات لتظهر آثار قدرته فيها ، وهو سبحانه وتعالى ظاهر عليها من جميع الجهات ، يقال إن هذه المشكلة لم نستطع أن نسيطر عليها ، فالثقب في طبقة الأوزون حتى الآن لم يستطع البشر أن يسيطروا عليها ، فيروس الإيدز حتى الآن البشر جميعاً ، الدول العظمى بإمكاناتها المالية المذهلة ، بعلمائها بمخابرها ، ببحوثها ، كـل هـذه الدول تقف مكتوفة اليدين أمام أضعف فيروس عرف على وجـه الأرض ، لـم نسـتطع أن نسيطر عليه ، ولو تمكنوا من أن يسيطروا عليه لكلف علاج المريض الواحد أكثر من عشرة ملايين ليرة ، لأن هذا الفيروس يحير ، يغير شكله ، يظهر وكأنه كرية بيضـاء ، عناصـر الدفاع في الجسم تأنس به وكأنه واحد منها ، فإذا دخل إليها دمرها جميعاً وهو أضعف خلـق الله .

لذلك من أدق الكلمات وأوضحها أن يقال : الكون كله بما فيه ومـن فيـه مظهـر لمظاهر أسمائه وصفاته وعلاماته ، كل الكون يدل على الله ، أبداً ، كل الكـون بمجراتـه ، بالسماوات بالأرض بالنبات بالحيوان بالأطيار بالأسماك بالإنسان ، بالطعام بالشراب ، لـذلك أكبر وظيفة للكون أن تتعرف إلى الله من خلاله ، ولو لم تستفد منه ، لكن الذي استفاد من هذا الكون ولم يتعرف إلى الله من خلاله ما حقق الهدف من وجوده .

وقيل في الاسم الظاهر : " هو المتجلي بأنوار هدايته وآياته ، المتنزه بمعاني أسمائه وصفاته " .. هدايته واضحة ، وآياته واضحة ، أما أسماؤه وصفاته فالعقول تعجز عن إدراكها ، فهو ظاهر بهدايته وآياته ، باطن بأسمائه وصفاته .. مهما تحدثت عن أسماء الله الحسـنى ، لا يعرف اللهُ إلا اللهُ ، ولا الأنبياء ، ولا سيد الأنبياء لا يستطيع أن يحيط بالله ، أعلى معرفـة على الإطلاق معرفة النبي ، ألا إنها معرفة ولكنها ليست المعرفـة المطلقـة .. سـبحانك لا نحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك .. فالظاهر هدايته وآياتـه ، والبـاطن أسـماؤه وصفاته .

قال العلماء : لا ترى ذرة في الوجود إلا وهي ناطقة بوحدانية المعبود ، ولا تـرى فاضلاً متخلقاً بصفات الرجال إلا وتشهد عليه أنوار صفات الكبير المتعال .. كل الخير من الله ، كل الكمال من الله ، كل الأعمال الصالحة بتوفيق الله ، بإلهام الله ، مصدر الكمال في الكون هو الظاهر.

قالوا : الظاهر لا يخفى على كل متأمل ، أي إنسان أراد الحقيقة فالله يظهر له .

قالوا : هو الظاهر فلا يخفى على كل متأمل ، الظاهر لعيون الأرواح والكون مملوء بالجمال محلى بالكمال ، وكل شيء فيه ينادي أشهد أن خلاّقي ذو الجلال .. ظاهر .

العقبة أن تطلب معرفته فقط ، أن تريد أن تصل إليه أن ينشأ في قلبك رغبة صادقة للوصول إليه هو ظاهر ، لكن حب الدنيا يعمي ويصم ، الشهوات حجب ، أمـا إذا أزيحـت الشهوات فهو ظاهر ..

صدقوني أيها الاخوة القراء الناس جميعاً وفي حالات كثيرة يرون أفعال الله صارخةً كالشمس في رابعة النهار ، لأنه ظاهر .

فمثلا مرة هبت رياح عاتية على منطقة زراعية فدمرت ما يزيد عـن مائـة بيـت زراعي، الناس جميعاً فيها على اختلاف مللهم ونحلهم ومشاربهم بفطرتهم ، فالسيئ هو الـذي دمر بيته ، والمستقيم هو الذي حفظه الله عز وجل ، وكأن هذه الرياح مسيرة ، مـن أغـرب الصدف أن بيتين متلاصقين ، يعني جسم البيتين متصل ، لأخوين من أم وأب ، الأول صالح والثاني طالح ، جاءت الرياح العاتية فقلعت بيت الطالح ، وقلعت معه النباتات المحيطة بـه ، والبيت الملاصق له نجا من الدمار .. فعل الله ظاهر .

أحياناً ترى أرضين متجاورتين ، الأولى قمحها نام نماء رائعاً والثانية قمحها هزيل النماء ، والتربة واحدة والنهر واحد ، والزراعة فيها بشروط موحدة ، ولكن هـذا ينـوي أن يعطي أولاد أخيه الأيتام من محصوله ، فبارك الله له في محصوله ، وهذا في نيته أن يأكـل على صاحب الأرض بعض الغلة فدمر الله غلته ، لأنه كما تروي القصة هناك علاقـة سـيئة بينه وبين من معه . فعل الله ظاهر .. محاكمة بسيطة تشعرك أن الله عز وجل ظاهر كأنـك تراه ، لذلك اعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك .

قال العلماء : وأما الباطن ، فهو المحتجب عن عيون خلقه ، عن هذه العـين فقـط لشدة ظهوره قال تعالى :

وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَـٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَـٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَـٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾

(سورة الأعراف)

الباطن محجوب عن عين الرأس ، ظاهر لعين القلب .

بعض العلماء يقول : " إنه باطن من حيث إن كُنْه حقيقته غير معلوم للخلق "، يعني لا يستطيع الخلق مجتمعين أن يصلوا إلى كُنه حقيقته ، هو باطن ، لذلك قال بعـض علمـاء التوحيد : " عين العلم به عين الجهل به وعين الجهل به عين العلم به " .

يعني إذا سئلت عن ذات الله ، فإذا قلت لا أدري فأنت العالم ، وإن قلت أدري فأنت لا تعلم ، لأن الله سبحانه وتعالى يقول :

وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ

(سورة البقرة٢٥٥)

هذا معنى الباطن ، كنه حقيقته محجوبة عن الخلق .

معنى آخر ؛ باطن أي أن الأبصار لا تحيط به ، كما قال تعالى: لا تدركه الأبصار .

المعنى الرابع ؛ باطن بأنه يعلم ما بطن ، أنت كإنسان لك ما ظهر والله عز وجـل يعلم ما ظهر وما بطن ، والإنسان أحياناً يكون ممثلاً بارعاً ، وقد ينطلي تمثيله على الأذكياء ، هؤلاء الذين أتوا النبي صلى الله عليه وسلم وطلبوا منه سبعين داعية وعالماً ليعلّموا قومهم في بئر معونة ، وأرسل النبي معهم سبعين صحابيا ليعلموهم ، وفي الطريق ذبحوهم ، بقي النبي شهراً أو شهرين يدعو عليهم في الصلاة ، النبي لا يعلم الغيب ، والنبي له الظاهر ، لكـن الله يعلم **الظاهر والباطن** .

فأنت إذا لم تعرف الباطن لست مؤاخذاً ، أحد أصحاب رسول الله في إحدى المعارك ، كان على وشك أن يقتل مشركاً ، فقال أشهد أن لا إله إلا الله فقتله ، فلما بلغ النبي صلى الله عليه وسلم غضب غضباً شديداً قال : "لِم فعلت هذا ؟ قال يا رسول الله قالها تُقيةً ولم يقُلها إيماناً ، فقال عليه الصلاة والسلام أشققت على صدره ؟ نحن نحكـم بالظـاهر والله يتـولى السرائر " هذا موقف الإنسان الحقيقي أنت لك الظاهر .

معنى الباطن : أنه محتجب عن عيون خلقه .

باطن : إدراك كنهه مستحيل ، باطن : الأبصار لا تحيط به ، باطن يعلم ما بطن .

المعنى الرابع : باطن بمعنى أنه حجب الكافر عن معرفته ورؤيته وحجب المؤمنين في الدنيا عن رؤيته .

شيء عظيم المنال ، الشيء الثمين ليس في متناول الأيدي ، الجوهرة الثمينة موضوعة في صندوق محكم الإغلاق ، فالله عز وجل باطن يعني عزيز ، فالإنسان إذا لم يطلبه ، ولم يطعه، وما جهد من أجل معرفته فلا يصل إلى شيء ، الله عز وجل عزيز ، سلعة الله غالية ، هناك أشياء مبتذلة ، كل إنسان يشتري قصة ويقرؤها ، لكن ليس كل إنسان بإمكانه أن يصير دكتوراً ، يحتاج إلى أكثر من عشرين سنة دراسة ، أما أن يشتري قصة فممكن ، أن يقيم حفلاً ممكن ، وأن يشتري بيتًا ممكن ، وأن يقوم بنزهة ممكن ، هذا شيء مبتذل ، لكن ليس كل إنسان يمكنه أن ينال دكتوراه ؟ فهذا يحتاج إلى جهد كبير .

وقيل : الباطن في حقيقة ذاته ، فلا تدركها العقول أي حقيقة ذاته ، ومع شدة ظهوره احتجب عن إدراك الحواس ، وقيل تنزه في علو كبريائه فلا تحيط به بصائر المقربين الأطهار ، وهو الظاهر بأسمائه وصفاته وأنوار آياته والباطن في حقيقة ذاته عن جميع مخلوقاته .

نحن في البحث السابق تحدثت عن الأول والآخر ، وفي هذا البحث عن **الظاهر والباطن** ، وليثق القارىء الكريم أن دراسة أسماء الله الحسنى لا يعلو عليها شيء في الدين ، إنك في أشرف مهمة وهي أن تعرف الله عز وجل لا يكفي أن تقول " الله خالق السماوات والأرض " هذه معرفة بدائية يعرفها كل الخلق ، ينبغي أن تعرف أسماءه الحسنى ، وأذكركم دائماً بالحديث الشريف :

عن أبي هريرةَ رضي الله عنْه أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قَالَ إن لِلَّه تسعةً وتسعين اسما مائةً إلا واحدا من أحصاها دخَلَ الْجنةَ *

(صحيح البخاري)

الإحصاء شيء والعد شيء آخر ، الإحصاء فيه دراسة ، أما العد عمل آلي ، فمن قال " هو الخالق البارئ المصور وعدها بنغم ممتع" ليس كمن أحصاها ، فمن أحصاها فقد قصد مجالس العلم أو قرأ كتبا في معانيها وشروحها ، أو عكف على التأمل فيها ليعرف الله عز وجل ، ولاحظ الفكر والنظر في أرجاء الكون كلّه .

أكثر العلماء يرون وقد ذكرتُ هذا من قبل أنّه ينبغي أن نلفظ بالاسمين معاً ، أن نقول **الظاهر والباطن** ، وقد ورد الاسمان في القرآن الكريم معاً في سورة الحديد فقال تعالى :

هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّـٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾

(سورة الحديد)

وفي مفردات القرآن نجد أن **الظاهر والباطن** في صـفات الله تعـالى لا يقـالا إلا مزدوجين، كالأول والآخر ، والظاهر قيل إشارة إلى معرفتنا البديهية بالله عز وجـل ، كـل الناس في كل الأرض يقول لك ؛ الله ، الله وفقه مثلاً أو ما وفقه . فقد يكون شـخص عـادي معرفته محدودة جداً ، يرى شخصا منحرفًا يتردى فيقول : الله لم يوفقه ، الله حطمه . فكلمـة الله على كل لسان .

فقالوا : إشارة إلى معرفتنا البديهية ، إن الفطرة تقتضي في كل ما نظر إليه الإنسان أنه تعالى موجود ، المعرفة الفكرية تقتضي أن الله موجود وهذا الظاهر ، وهـو الـذي فـي السماء إله وفي الأرض إله ، لكن بعض العلماء قال : " مثل طالب معرفته مثل من طوف في الآفاق في طلبِ ما هو معه . ذهب إلى أقصى الدنيا شرقاً وغرباً يبحث عن شيء وهو معه " ، فالله عز وجل ظاهر أما كلمة الباطن فهي توجب معرفته الحقيقية .

يعني المعرفة الظاهرة قد لا ترتبط باستقامة ، شأنه شأن الناس جميعاً وربما كلمـة الله يقولها الإنسان في اليوم ألف مرة ، " الله يعطيك العافية " مثلاً ، كلمة الله تدور على كـل لسان ، إلا أن الباطن تعني معرفة الله المعرفة الحقيقية التي تحملك على طاعته .

فالحقيقة أيها القارىء الكريم ، مقياسك الدقيق فيما إذا كانت معرفتك بالله صـحيحة وجيدة أو لا ، التطبيق العملي فالمعرفة التي تحمل صاحبها على طاعة الله ، هـي المعرفـة الحقيقية.

سيدنا الصديق قال : " العجز عن إدراك الإدراك إدراك " ، يعنـي أن تصـل إلـى معرفة حقيقة الله هذا شيء مستحيل ، فعجزك عن الوصول إليها أحد أنواع الإدراك ، يعنـي أحد علامات الإدراك أن تقول لا أدري ، إذا كان الموضوع متعلقًا بذات الله عز وجل .

قيل : ظاهر بآياته باطن بذاته ، كلام لطيف ، جميل جداً ، لهـذا النبـي قـال : " تفكروا في مخلوقات الله ولا تَتَفكروا في ذاته فتهلكوا " .

ظاهر لأنه محيط بالأشياء مدرك لها ، باطن من أن يحاط به .

يروى عن سيدنا علي كرم الله وجهه ، أنه قال : " تجلى الله لعباده من غير أن يروه ، وأراهم نفسه من غير أن يتجلى لهم ، ومعرفة ذلك تحتاج إلى فهم ثاقب " .

أحياناً أراهم نفسه بعقولهم ، أي إنسان أعمل عقله بالكون وصل إلى الله ببسـاطة ، وأحياناً يتجلى على قلوبهم بالسكينة من غير أن يروه ، يتجلى علـيهم ولا يـروه ، ويرونـه بعقولهم ولا يتجلى عليهم ، هذا معنى **الظاهر والباطن** عند الإمام علي كرم الله وجهه .

يقول الإمام الغزالي : كما ذكرت في البحث السابق لا يقبـل العقـل أن يكـون الله ظاهراً مضافاً إلى شيء ، وباطن مضافاً إلى الشيء نفسه ، فهذا الشيء نفسه مثلاً يكـون أول هذا وآخر هذا مستحيل ، هو إما أنه هنا وإما أنه هناك ، فإذا قلت أول هذا وآخر هـذا وهـذا

واحد فقد وقع تناقض ، العقل مفطور على مبدأ الهوية عدم التناقض ، فلا بد من أن يكون أول شيئًا وآخر شيئًا آخر ، وأيضاً هنا في **الظاهر والباطن** ، ظاهر بالنسبة إلى شيء باطن بالنسبة إلى شيء آخر .

يعني ظاهر للعقول باطن مستحيل أن تدركه الأبصار .

قال بعضهم الله تعالى باطن إن طلبته عن طريق الحواس ، لكنه ظاهر إن طلبته عن طريق العقول والاستدلال ، ظاهر وباطن

يقول الإمام القشيري : " الظاهر في وصفه سبحانه وتعالى بمعنى القاهر " ، ظهـر فلان على فلان أي قدر عليه وقهره ، " والباطن في وصفه عز وجل بمعنـى العلـيم بخلقـه المدبر لأحوالهم " ، الظاهر للعقول السليمة بآياته وبراهينه ودلائل توحيده ، والباطن المتعزز على القوم المحتجب عنهم حتى أنكروا وجودهم وجحدوه ، ظاهر للعقول السليمة باطن متعزز عن القوم إن لم يدفعوا ثمن هذه الرؤيا .

قيل ظاهر بنعمته ، باطن برحمته .

قيل ظاهر بالكفاية باطن بالغاية .

قيل ظاهر بالقدرة على كل شيء باطن عالم بحقيقة كل شيء .

قيل ظاهر لكل شيء بالدلائل اليقينية ، الباطن عن مظاهر الجسمية ، فسبحان مـن احتجب عن خلقه بنوره وخفي عليهم بشدة ظهوره .

هناك معنى لطيف جداً قال عنه العلماء ، وهو أن قوله تعالى :

أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ

(سورة لقمان ٢٠)

الإنسان كثيرا ما يتألم من المصيبة ، وقد تكون المصيبة نعمـة باطنـة ، النعمـة الظاهرة ؛ المال ، الصحة ، الوجاهة ، راحة البال ، الأمن الطمأنينة ، الزوجة الأولاد ، هـذه كلها نعم ظاهرة، ولكن هذه النعم الظاهرة لا ترقى بالإنسان ، الحزن خـلاق ، أمـا الراحـة مثبطة ، الراحة والمورد والطعام والشراب وراحة البال ، والأمن والطمأنينة ، هذه لا تخلـق عظماء .

فهناك كلمة رائعة جداً " الحزن خلاق " العبقريات أحياناً تتفجر بالأحزان ، والهموم ، فالله عز وجل له نعمتان .. ترى شخص في بحبوحة ، كسول ، بارد ، مشـاعره بـاردة ،

صلاته جوفاء ، معرفته سطحية ، اتصاله بالله شبه معدوم ، صفاته غير مقبولة ، تأتيه مصيبة مخيفة ، يدعو الله ، يلجأ إليه ، يصلي قيام الليل يتوسل إليه ، يبالغ في طاعته ، يقدم صدقات ، لولا هذه المصيبة ما تألق هذا التألق ، لولا هذه المصيبة ما سعى إلى الله هذا السعي ، لولا هذه المصيبة ما جد إلى الله هذا الجد، فهذه المصيبة نعمة باطنة .

وكن مطمئنًا أيها القارىء الكريم ، وأنا لا أبالغ إن شاء الله ، أعتقد أن ثلثـي رواد المساجد المصطلحين مع الله الذين أحبهم الله وأحبوه كان انطلاقهم إلى الله بسبب مصيبة ألمت بهم فحملتهم على التوبة ، فهذه نعم أم ليست نعماً ؟ بل نعم باطنة ، قال تعالى : **"أَلَم تَرَوا أَن الله سخر لكُم ما في السموات وما في الأرض وَأَسبغَ عليكُم نعمه ظَاهرةً وباطنَةً "**

احفظوا هذه الكلمة ؛ " الحزن خلاق " أحياناً ينشأ طفل يتيم ، لا أب ولا مال ، وله أخ قاس وضعه بعمل مرهق ، وطالبه بدراسة متعبة والأستاذ من جهة يطالبـه ، وصـاحب العمل من جهة أخرى والأب غير موجود والأخ يمن بعطائه ، فهذا الطفل قد يصبح عبقرياً .. وبالمقابل أُنظر إلى ولد آخر ، كل شيء موفر له ، الأكل الشرب ، تـرى صـفاته النفسـية خسيسة جداً ، لأنه ما ذاق طعم الفقر ، ذاق طعم الغنى وحده ، فلذلك أيها القراء الكـرام ؛ الله جل جلاله قال : **"أَلَم تَرَوا أَن الله سخر لكُم ما في السموات وما في الأَرض وَأَسبغَ عَلَـيكُم نعمه ظَاهرةً وباطنَةً "**

هذه الآية من أدق الآيات ، وهي تبث الفرحة في قلب المؤمن يعني عليك ألا تتـألم من المصيبة ، لعل الفقر هو المنطلق إلى الله ، لعل المرض هو سبب التوبة ، لعل شبح هـذه المصيبة سبب إقبالك على الله هذه نعمة باطنة ، والله عز وجل إذا أراد أن يعـالج الإنسـان يعرف كيف يعالجه ، يأتيه من مأمنه ، يأتيه من مكان طمأنينته ، من مكان قوته بل يأتيه مـن حيث لا يحتسب، لذلك : **"أَلَم تَرَوا أَن الله سخر لكُم ما في السموات وما في الأَرض وَأَسبغَ عليكُم نعمه ظَاهرةً وباطنَةً "**

فالظاهرة ما نقف عليها ، والباطنة لا نعرفها ، من هنا أشار قوله تعالى :

وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ١٨

(سورة النحل)

النعم الظاهرة والباطنة لا تحصى .

قالوا : النعم الظاهرة النصر على الأعداء بالناس ، والنعم الباطنـة النصـر علـى الأعداء بالخوف ، فالله عز وجل أحيانا يسبغ عليك هيبة يخاف منك عدوك ، أحياناً تكون قوياً فعلاً ، فإما أن ينصرك بقوة ظاهرة وإما أن ينصرك بقوة باطنة .

وبعد فهذه كلمات واعية فالإنسان مظهر لاسم الظـاهر ، ومظهـر لاسـم البـاطن فالإنسان بجسمه مظهر نور الظاهر ، وبروحه مظهر نور الباطن .

ومتى أكثر العبد من ذكر اسم الباطن خشعت نفسه ، وأدرك أنـه عـاجز بالكليـة فيعطف عليه الحق ، يعني كلما ذكرت اسم الباطن وافتقرت إليه عطف عليك الله عز وجل .

من أدعية النبي عليه الصلاة والسلام :

عن سهيلٍ قَالَ كان أبو صالِحٍ يأْمرنَا إِذَا أَراد أَحدنَا أَن ينَام أَن يضطَجِع علَى شقه الأَيمنِ ثُـم يقُولُ اللهم رب السموات ورب الأَرضِ ورب الْعرشِ الْعظِيمِ ربنَا ورب كُل شَيء فَالِقَ الْحـب والنوى ومنْزِلَ التوراة والإِنْجِيلِ والْفُرقَانِ أَعوذُ بِك من شَر كُل شَيء أَنْتَ آخذٌ بِنَاصيته اللهم أَنْتَ الأَولُ فَلَيس قَبلك شَيء وأَنْتَ الآخر فَلَيس بعدك شَيء وأَنْتَ الظاهر فَلَيس فَوقَك شَـيء وأَنْتَ الْباطن فَلَيس دونَك شَيء اقْضِ عنا الدين وأَغْننَا من الْفَقْرِ

(صحيح مسلم)

والحمد لله رب العالمين

الـ ـدرس 55 – اسم الله : "السميع " .

بسم الله الرحمن الرحيم

مع الدرس الخامس والخمسين من دروس أسماء الله الحسنى والاسم اليـوم السـميع ، السميع بموجب ما ورد في الحديث الشريف ، اسم من أسـماء الله الحسـنى ، والله سـبحانه وتعالى سميع : أي متّصف بالسمع لجميع الموجودات .

الله عز وجل واجب الوجود ما سواه ممكن الوجود سميع لكل الموجودات ، كل ما سواه يسمعه ، دون حاسة كبني البشر دون آلة كبني البشر ، هناك آلة تلتقط الأصوات ، أو هنـاك حاسة تسمع الأصوات ، الله جل جلاله ، ليس كمثله شيء ، وكل ما خطر ببالك فالله بخـلاف ذلك ، سميع من دون حاسة أو آلة ، سميع لمن ؟ لكل الموجودات على الإطلاق .

يقول بعض العلماء : " الله جل جلاله سميع ؛ أي لا يعزب عن إدراكـه مسـموع وإن خفي"، قد يكون صوتاً في النفس ، قد يكون حديث النفس للنفس ، قد يكون خاطرة تَرِد علـى الخاطر ، قد يكون تساؤلاً يرد على الفكر ، تساؤلاً خاطراً ، أي شيء يخفى علـى النـاس لا يخفى على الله فالله سبحانه وتعالى سميع لا يعزب عن إدراكه مسموع وإن خفي ، فهو السميع بغير جارحة لذلك وسع سمعه كل شيء .

بالمناسبة ؛ ربنا عز وجل حينما كان ينعى على المشركين أنهم يعبـدون مـن دون الله أصناماً، كان يقول لهم :

إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾

(سورة فاطر)

المعنى المخالف أنه من لوازم الإله الذي ينبغي أن تعبده أن يسمعك ، من دون واسطة ، أحياناً أنت تتكل على شخص مهم ، إذا ناديته أجابك ، إن سألته أعطاك ، لـك عنـده مكانـة كبيرة ، لكنك أنت في بلادة وهو في بلادة ، قال لك هذا رقم هاتفي ، لو أن هذا الهاتف معطل ما استفدت شيئاً ، تناديه فلا يسمعك ، هو يحتاج إلى آلة ليسمعك بها ، إذاً لا قيمة له ، الإله الذي

ينبغي أن تعبده ، ينبغي أن يسمعك بلا آلة ولا حاسة ، ينبغي أن يسمعك وأنت في أي مكـان وفي آية حالة، ينبغي أن يسمعك إن جهرت وإن أسررت :

إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ﴿٣﴾

(سورة مريم)

حدثني أخ أنهى خدمته الإلزامية ، وهو لا يملك درهماً واحد ، بحث عن عمل فلم يجد ، أعطته أخته قطعة حلي لها ، فباعها واشترى بثمنها بطاقة طائرة ، إلى بعض دول الخلـيج ، وسافر إلى هناك ، أقسم لي أنه وهو في الطائرة ، وهو ساكت ، حدث نفسه حديثاً نفسياً ، قال في نفسه : والله لإن أكرمني الله بهذه السفرة لأبنين لله مسجداً ، أقسم بالله هذا الخاطر ما ذكره بلسانه .. أخذ الله بيده وعاد إلى بلده ، وبنى مسجداً ، وصليت أنا في هذا المسـجد ، قـال : هذا المسجد استجابة لنداء خفي ما ذكرته بلساني : إِذْ نَادى ربه نداء خَفيا " .

أنت بإمكانك أن تنادي ربك ، وأنت ساكت ، وشفتاك ملتصقتان ، ولا أحد يعلـم بهـذا النداء، هذا الإله الذي ينبغي أن تعبده ، خواطرك مكشوفة دعاؤك مسـموع طلبـك ملبـى ، استغفارك مغفور، توبتك مقبولة .

سيدنا يونس أين نادى ربه ؟ في بطن الحوت ، والحوت في عمق البحر وفـي ظلمـة الليل :

وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَـٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَـٰتِ أَن لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَـٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَـٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُـْۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾

(سورة الأنبياء

)

يسمعك ، وأنت في بيتك وأنت في عملك ، وأنت في طائرة ، وأنت على ظهر سفينة ، وأنت في أعماق الوادي ، وأنت في غابة وحولك وحوش كاسرة ، وأنت في أي وضع يسمعك ، إن نطقت وإن سكت ، إن ناجيته بخواطرك ، وإن ناجيته بلسانك هو سميع مجيب .

قال : هو السميع بغير جارحة ، وقيل وسع سمعه كل شيء ، هو الذي يسمع نـداء المضطرين ، هو الذي يجيب دعاء المحتاجين :

أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾

(سورة النمل)

هو الذي يجيب دعاء المحتاجين :

عن أبي سعيد وأبي هريرةَ قالا قالَ رسولُ الله صلى اللهم عليه وسلم إن الله يمهلُ حتى إذَا ذَهب ثُلثُ الليل الأولُ نَزلَ إلى السماء الدنْيا فَيقُولُ هلْ من مستَغْفر هلْ من تَائِبٍ هلْ من سائِلٍ هلْ من داعٍ حتى ينْفَجِر الفَجر *

(صحيح مسلم)

سميع ، سميع في كل أحوالك :

فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢١٦﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾

(سورة الشعراء)

يراك ويسمعك ويعلم ما في نفسك .

إذا تكلمت يسمعك ، إن تحركت يراك ، يراك حين تقوم ، إن وقفت وسكت يعلم ما في نفسك ، سميع بصير عليم ، لا تحتاج إلى طلب ، ولا إلى يمين ، ولا إلى وثيقة ، ولا إلى شاهد، ألك عند الله حاجة ؟ هذا قول سيدنا جبريل لسيدنا إبراهيم ، قال : منك ؟ قال لا من الله ، قال : علمه بحالي يغني عن سؤالي .

إذا كنت في كل حال معي فعن حمل زادي أنا في غنى

طالب ذكر لي أنه يحضّر دكتوراه في بلد غربي ، وأستاذه صعب جداً ، واختار موضوعاً عويصاً ، وأمضى فيه أربع سنوات ، ثم وصل البحث إلى طريق مسدود ، فإن لم يفلح في متابعة البحث ، يجد بحثاً في الرياضيات ، في الفضاء الخارجي ، فإن لم يصل هذا البحث إلى معادلة متوازنة فالموضوع كله مرفوض ، ومضى له به أربع سنوات ، قال لي : ضاقت نفسي في الإقامة بهذا البلد ، وحينما تصورت أني سأعيد أربعة سنوات أخرى كبر الأمر عليّ . فجأة خر لله ساجداً ، وقال يا رب ، إن كنت تعلم أنني حضرت إلى هذه البلاد لأكتسب علماً أنفع به المسلمين وقد حرمتُ نفسي كل المنهيات ، ما من بيت في هذه البلاد ويخلو من هذه الملهيات ، حرمتُ نفسي هذه الملهيات خجلاً من وجهك الكريم إن كنت عملتُ هذا العمل خالصاً لك فيسر لي هذا البحث ، والله إنسان صادق هو الآن .

فالله عز وجل ألهمه طريقة جديدة في حل هذه المعادلة ، بعد حين وصل بها إلى التوازن ، قال لي وأنا بين الطلاب في مكتبة الجامعة ، لم أملك نفسي إلا أن خررت على الأرض ساجداً شاكراً لله عز وجل ، حصل دكتوراه ، والآن هو أستاذ في الجامعة عندنا .

إله يقول لك : أُدعني أستجب لك أنا أسمعك ، أنت حينما تصلي ألا تقول سمع الله لمن حمده ، يعني يا عبدي أنا أسمعك ، فإذا قلت له ربنا لك الحمد والشكر والنعمة والرضى ، ربنا لك الحمد حمداً كثيراً طيباً مباركاً بعدد خلقك ، وهو يسمعك ، الإله الذي ينبغي أن تعبده ينبغي أن يسمعك ، لأنه أمرك أن تعبده ، والعبادة دعاء ، والدليل :

وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾

(سورة غافر)

يعني الدعاء عبادة .

إذاً هو الذي يسمع نداء المضطرين ، يجيب دعاء المحتاجين يعين الملهـوفين ، يسـمع حمد الحامدين ، يسمع دعاء الداعين ، يسمع دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء فـي الليلة الظلماء ، يسمع خطرات القلوب ، يسمع هواجس النفوس ، يسمع مناجاة الضمائر .

الآن هناك نقطة دقيقة في الدرس حول اسم السميع ، إنك كإنسان إن خاطبـك واحـداً وخاطبك آخر تقول له انتظر أنا إنسان واحد .. لكن خالق السماوات والأرض لو أن خمسـة آلاف مليون إنسان الآن دعوه معاً لسمع دعاء كل واحد منهم .

قال العلماء : " لا تمنعه إجابة دعاء شخص عن إجابة دعاء شخص آخـر ، لا يشـغله سماع مخلوق عن سماع مخلوق آخر ".

نحن إمكانيتنا محدودة ، حتى إذا رجل تصور أنه هناك إنسان يستطيع أن يفعل أشـياء عديدة في وقت واحد فهذا وهم ، الإنسان في وقت واحد لا يستطيع إلا أن ينصرف إلى شيء واحد ، ولكن الذي يبدو للناس من أن فلاناً يستمع ويتصل ويأمر وينهى في آن واحـد ، هـذا عنده قدرة نادرة اسمها سرعة التنقل من جهة إلى جهة ، أما الإنسان في وقت واحد لا يستطيع أن يستمع إلا إلى شيء واحد ، إلا أن الله سبحانه وتعالى لا يشغله سماع دعاء عن دعاء ، ولا إجابة دعاء عن دعاء ولو أن الخلق كلهم توجهوا إليه ، يسمعهم جميعاً ويتوجه إليهم جميعـاً ، لكن الإنسان يتوهم أنه إذا ناجى ربه فربه لا يستمع إلا إليه ، هذا خطأ لا يشغله دعـاء عـن دعاء ولا سماع دعاء عن دعاء ولا استجابة دعاء عن دعاء .

يسمع كل نجوى ، ولا يخفى عليه شيء في الأرض والسماء ، يعلم خائنة الأعين ومـا تخفي الصدور .. خائنة الأعين ، كيف ؟ أوضح مثل طبيب بإمكانه أن ينظر إلى جسد المرأة لعلة العلاج ، فلو شطحت عينه إلى مكان آخر ولا يستطيع أحد في الأرض أن يكشـف هـذه المخالفة لكن الله وحده يكشفها ، أنت جالس في غرفة النوم وفي غرفة مظلمة خرجت جارتك من الشرفة ، من يستطيع أن يعرف أنك تنظر إليها أو لا تنظر هي لا تراك أساساً ، أنت فـي غرفة مظلمة وهي في الشرفة يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور ، خاطر قد يخطر لك .

أحياناً إنسان يجري عقد نكاح في بلاد غربي وفق الشريعة الإسلامية تماماً ، إيجـاب ، وقبول ، ومهر وشاهدان ، وعند القاضي ، والأمر كله وفق قواعد الشرع ، لكن في نفسه أنه بعد أن ينهي دراسته يطلقها ، من يعلم ذلك ، هل يستطيع القاضي أن يكشف هـذه الحقيقـة ، ليس على نية التأبيد على نية التوقيت ، الله يعلم خواطر الإنسان ، يعلم خائنة الأعـين ومـا تخفي الصدور ، والإنسان لما يعرف أنه مكشوف أمام الله خواطره مكشوفة ، مناجاة ضميره مكشوفة ، نواياه البعيدة مكشوفة ، خطراته مكشوفة ، عندئذ يستحي من الله ، لذلك هنيئاً لمـن أضمر الخير لكل الخلق :

يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾

(سورة الشعراء)

قال الإمام الرازي عن اسم السميع : " إن الله سبحانه وتعالى يسمع دعـوات عبـاده ، ويسمع تضرعاتهم إليه ، ولا يشغله نداء عن نداء ، ولا يمنعه إجابة دعاء عن دعاء ، وقيـل السميع هو الذي يسمع دعوتك عند الاضطرار ، ويكشف محنتك عند الافتقار ، ويغفر زلتـك عند الاستغفار وقبل معذرتك عند الاعتذار " .

واحد خرج من المسجد ، أناس يجمعون مالاً لبناء مسجد آخر ، قال لـي والله معـي مبلغ محدود لا أملك غيره ، مئتا ليرة ، هممت أن أضعه ثم قلت لا لا أملك غيـره ، لعلنـي أحتاج إليه قال لي : وقع في نفسي خطاب من الله ، يعني يا عبدي حينما كنـت تنفـق هـل قطعناك عن المال قال فاستحييت وألقيت المائتين في مكان التبرع ، قال والله ما مضى سـاعة أو ساعات إلا وجاءني مبلغ لم يكن يخطر على بالي إطلاقاً ، هو لما امتنع شعر أن الله علـم بامتناعه ، شعر أن هذه الخاطرة (أنا لا أملك غير هذا المبلغ فكيف أنفقه) .

بالمناسبة كي لا تعدوها حكماً شرعياً . الإنسان ليس مكلفاً أن ينفق كل ما يملك ، دائماً نحن عندنا حكم شرعي وعندنا مواقف شخصية ، نقطة دقيقة جداً من الله عز وجل قال :

وَأَنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ۛ وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾

(سورة البقرة)

قال المفسرون لا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة إن أنفقتم كل أموالكم ، ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة إن لم تنفقوا ، فأنت هالِك مرتين ، هالك إن أنفقت المال كله وهالِك إن لم تنفق شـيئاً ، لكن هناك حالات خاصة ليست حكماً شرعياً إنما هي مواقف شخصية .

الإنسان أحياناً يتعامل مع الله بطريق المؤثرة ، بطريقة البذل بطريقة التضـحية ، والله عز وجل لا يخيب رجاءه ولا يمنع عنه عطاءه ، فإذا ذكرت هذه القصة لا لأدعوكم إلى أن تنفقوا كل أموالكم لا لكن الإنسان يجد موقفاً في أمس الحاجة إلى أن ينفق ، وهو لا يملك إلا مبلغاً محدوداً ، فإذا أنفقه ليحل مشكلة أخيه ، مشكلة عويصة قد تكون ، لكن هـذه الحـالات الاستثنائية ، الله عز وجل يهيئ تعويضاً جزيلاً لهذا الذي آثر أخاه ، لأن الله عز وجل قال :

وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾

(سورة الحشر)

السميع هو الذي أجاب دعوتك عند الاضطرار ، وكشف محنتك عند الافتقار ، وغفر زلتك عند الاستغفار ، وقبل معذرتك عند الاعتذار ورحم ضعفك عند الذلة والانكسار .

وقيل : السميع هو الذي يسمع المناجاة ويقبل الطاعات ويقيل العثرات .

الآن السميع صفة لله عز وجل ، يكشف بها كمال موصوفاته الله عز وجل كامل ، كمالاً مطلقاً ، إذا وجِد شخص أمامك ، محترم شخصية ، وسيم الوجه ، جميل الصورة ، طليق اللسان، كلما قلت له كلمتين قال : بالله ما سمعت ارفع صوتك .. ضعف سمعه أليس نقصاً في كماله .

الله جل جلاله من لوازم كمال صفاته أنه سميع ، لذلك نكشف بسمعه تعالى كمال صفاته ، هذه الصفة تكشف حقائق المسموعات ، كل شيء يسمع أولا يسمع الله جل جلاله يسمعه ، انكشافاً تاماً ليس بأذن ولا جارحة ، الله عز وجل نكشف نحن بصفة سماعه كمال ذاته ، ويكشف الله بسمعه حالات كل مخلوقاته .

مثلاً : مدير مدرسة ، جالس في مكتبه بالإدارة ، عنده ثلاثون شعبة وثلاثون مدرّساً ، هل بإمكانه أن يستمع إلى كل مدرس ماذا يقول في هذه اللحظة ، أحياناً يخرج من مكتبه ويدخل إلى أحد الصفوف ، إذا دخل يسمع ما يقوله هذا المدرس .

لكن لو فرضنا مثلاً ، مدير وضع لواقطَ بكُل شُعبة ، بحيث إنه إذا أراد أن يستمع إلى ما يقوله فلان في هذه الشعبة ، ضغط مفتاحاً يخرج صوت المدرس ، نقول إن هذا المدير معلوماته أدق ومسيطر سيطرة جيدة على المدرسة ، لكن هو نفسه المدير لو استمع إلى شعبة وضغط مفتاحاً آخر يضيع ، هناك مسجلات فيها جهاز مضاعف ، هل تستطيع أن تضع في كل جهاز شريط وتستمع إلى الاثنين ، لا تستطيع ، إن استمعت إلى هذا شوش عليك هذا ، وإن استمعت إلى هذا شوش عليك هذا ، الله عز وجل يسمع جميع خلقه في وقت واحد ، هذا من كمال صفاته.

العلماء قالوا : " إن صفة السميع زائدة على العلم "، كيف ؟ يعني من باب التوضيح فقط ، ممكن أن تستمع إلى دقات قلب مريض ، فإذا سمعت هذه الدقات علمت مقـدارها وقوتهـا وشدتها ، فأنت الآن تعلم حقيقة قلب هذا المريض ، فالعلم واضح .

لو أن هذا المريض له لغة غير عربية ، وتكلم عن قلبه ، وسمعت ما قـال ، سـماعك لهذه اللغة غير علمك في وضع قلبه ، لو أن المريض حدثك بلغته عن قلبه ، فإن لم تكن أنت سميعاً ، علْمك شيء وسماعك لما قاله عن قلبه شيء آخر ، فلذلك العلماء قالوا " صفة السميع صفة زائدة على العلم " ، الله عز وجل عليم وسميع وبصير .

الله مطلّع على قلب كل مخلوق ، ولو أن هذا المخلوق دعا الله بلغة غريبة ، إضافة إلى أن الله يعلم ما في قلبه ، يسمع قوله في أي لغة .

إذا سافر إنسان إلى بلد يجهل لغة أهلها ، تراه ضائعاً لا يفهم شيئاً الصحف بهذه اللغة ، المجلات بهذه اللغة ، الإذاعة بهذه اللغة ، كلام الناس بهذه اللغة ، بالمطعم بهذه اللغة ، لا يفقه شيئاً ، فالإنسان إذا لم يسمع أو لم يفهم ما سمع ، يضعف مركزه " كالأطرش " فمـن كمـال صفات الله أنه سميع ، وسمعه زائد عن علمه ، علمه شيء وسمعه شيء آخر .

يعني إن الله عز وجل يدرك كل مسموع وإن خفي صوته ، فهو سبحانه وتعالى يسـمع سواء أكان السمع من قبيل الأصوات أو من قبل الألوان ، كيف نفهمها هذه ؟

الإنسان يسمع الأصوات فقط ، فإذا لم يوجد صـوت لا يوجـد سـمع ، الأذن تلـتقط الموجات الصوتية ، هذه الموجات تصيب غشاء الطبل بالاهتزاز هذا الاهتزاز ينتقل إلى الأذن الداخلية فيسمع الإنسان ثم يدرك ما سمع أما لو أن الذي أمامك بقي ساكتاً هل تسـمع ، هـو واقف أمامك وهو ساكت لكن يقول في نفسه والله إني أحب فلاناً ، هذا خاطر ، الإلـه يسـمع المسموعات ذوات الأصوات ، كما يسمع ما خفي ومالا صوت له .

الإمام الغزالي ، يرى أن الله يسمع ، لكن سمعه منزّه عن تغيير يعتريه عنـد حـدوث المسموعات ، غشاء الطبل ساكن فإذا سمع الإنسان صوتاً قوياً هذا الغشاء يهتز ، ولولا هـذا الاهتزاز لما سمع الصوت نقول لقد أصاب هذا الغشاء تغيير اعتراه حتى نقل الصوت ، قال : الله جل جلاله منزّه عن هذا ، يعني لا يسمع بتغيير يصيب سمعه ، هذا شيء مستحيل أن يليق بالله عز وجل .

والله سبحانه وتعالى مقدّس عن أن يسمع بأذن أو آلة أو أداة والسمع في حقه جل جلاله عبارة عن صفة ينكشف بها كمال صفات المسموعات . الله عز وجل يكشف بسمعه أحـوال خلقه جميعاً ، من دون آلة ولا جارحة ولا اهتزاز ولا تغير يعتري سمع الله عز وجل .

لذلك السميع برأي الإمام الرازي هو صاحب الانكشاف والتجلّي ، الإنسان يضمر شيئاً ، الله سميع : يكشف حال هذا المخلوق .

السمع أحياناً له معانٍ أخرى ، أحد العلماء قال ؛ للسمع أربعة معان في حـق الله عـز وجل :

الأول : سمع الإدراك ويتعلق بالأصوات ، يؤكد هذا المعنى قوله تعالى :

قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَـٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿١﴾

(سورة المجادلة)

امرأة اشتكت إلى النبي ، قالت : يا رسول الله إن زوجي تزوجني وأنا شابة ذات أهـل ومال وأولاد ، فما كبرت سني ونفر بطني وتفرق أهلي وذهب مالي ، قال : أنت علي كظهر أمي ، ولي منه أولاد ، إن تركتهم إليه ضاعوا ، وإن ضممتهم إلي جاعوا ، بكى النبي علي الصلاة والسلام ، نزل قوله تعالى : " قد سمع الله قولَ التي تُجادلُك في زوجِها وتَشْتَكي إلـى الله والله يسمع تَحاوركُما إن الله سميع بصير " ، هذا أول معنى من معان السماع ، سـماع الإدراك .

المعنى الثاني : سماع الفهم " اسمع ما أقول " في التعبير الدارج يعنـي أفهـم ، يـتكلم الإنسان، يؤكده قول الله تعالى :

وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٢١﴾

(سورة الأنفال)

السماع هنا معنى الإدراك ، التفهم ، الله عز وجل يعرف وضعك في أدق التفاصيل ، يعرف ظروفك الصعبة ، يعرف العقبات التي أمامك يعرف الصوارف التي تصرفك عن هذا الشيء ، يعرف حجم التضحية سماع دعاءك " يا رب أنا مضطر ، يا رب استجب لي " هذا كلام، لكن حجم اضطرارك يعرفه الله عز وجل ، فالله عز وجل فضلاً عن أنه يسمع دعاءك كصوت يعلم حقيقة حالك كحال ، فأول سماع سماع الصوت ، السماع الثاني سماع الفهم .

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرۡنَا وَٱسۡمَعُواْۗ وَلِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٞ ١٠٤

(سورة البقرة)

يعني افهموا .

إذا رجل قال للآخر انتبه ، على كتفك عقرب بصوت واضح ونقي نبرات حادة ورفـع الصوت فالتفت إليه بهدوء وقال له أنا أشكرك على هذه الملاحظة وتلك النصيحة وأرجـو الله سبحانه وتعالى أن يلهمني أن أشكرك عليه ، ولم يبادر إلى رميه ، أيكون سمع ما قيل له ؟ .. هذا سمع ولم يسمع ، سمع صوت لكن لم يفقه ما معنى عقرب ، لو فهم لقفز ولصرخ ، ما دام بقي هادئ والتفت بهدوء وشكرك معناها لم يسمع بمعنى لم يفهم ، الصوت وصل إليه ، فهناك سماع صوت وهناك سماع فهم : " ولا تَكُونُوا كالذين قالُوا سمعنَا وهم لا يسـمعون " ، لـم يفهموا .

مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ ثُمَّ لَمۡ يَحۡمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلۡحِمَارِ يَحۡمِلُ أَسۡفَارَۢاۚ بِئۡسَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ

(سورة الجمعة الآية 5)

المعنى الثالث : سمع الإجابة وإعطاء ما سئل ، كما في الدعاء المأثور " اللهم اسـمع " يعني أجب وأعط ما سألتك .

المعنى الرابع : القبول والانقياد ، قال تعالى :

سَمَّٰعُونَ لِلۡكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحۡتِۚ

(سورة المائدة ٤٢)

إذا رجلٌ قال لك : فلان أمانته ضعيفة ، معقول .. طبعاً معقول .. لن أُعطيـه شـيئاً ، أنت سمعته وصدقته ، أحياناً تقول هذا الكلام غير مسموع لا أقبله ، معنى سـماعون للكـذب منقادون له مصدقون له .

فصار أول معنى سمَاع الصوت ، المعنى الثاني الفهم والإدراك المعنى الثالث الاستجابة ، المعنى الرابع الانقياد ، كل هذه المعاني وردت في كتاب الله عز وجل فيما يتعلق بالسمع .

يؤكد معنى أن السمع هو الاستجابة قول النبي صلى الله عليه وسلم في الدعاء المأثور :

عن عبد الله بن عمرو قالَ كان رسولُ الله صلى اللهم عليه وسلم يقُولُ اللهم إني أعوذُ بِك من قَلْبٍ لا يخْشَع ومن دعاء لا يسمع ومن نَفْسٍ لا تَشْبع ومن علْمٍ لا ينْفَع أعوذُ بِك من هؤُلاء الأربع *

(سنن الترمذي)

يعني لا يستجاب له .

عن عائِشَةَ أنها قالت الْحمد لِله الذي وسع سمعه الأصواتَ لقَد جاءتْ خَولةُ إِلى رسول الله صلى اللهم عليه وسلم تَشْكُو زوجها فكان يخْفَى علي كلامها فأَنْزلَ الله عز وجل (قَد سمع الله قَولَ التي تُجادلُك في زوجِها وتَشْتَكي إِلى الله والله يسمع تَحاوركُما) الآيةَ *

(رواه البخاري)

عندما قال النبي في الطائف بعد أن دعاهم فكذبوه ، بعد أن اسـتعانهم خـذلوه بعـد أن استنصرهم فلم ينصروه ، بعد أن قال كفوا عني فآذوه أغروا به صبيانهم ضربوه بالحجـارة ، دميت قدماه ، رفع يديه إلى السماء ، قال يا رب :

" اللهم إني أشكو إليك ضعف قوتي وقلة حيلتـي وهـواني علـى النـاس ، يـا رب المستضعفين وربي إلى من تكلني ؟ إلى عدو ملّكته أمري ، أم إلى بعيد يتجهمني ، إن لم يكن بك غضب عليّ فلا أبالي ، ولك العتبى حتى ترضى لكن عافيتك هي أوسع لي " هذا هو دعاء الطائف ، مشهور.

في الإسراء ، قال تعالى :

سُبْحَـٰنَ ٱلَّـذِىٓ أَسْـرَىٰ بِعَبْـدِهِۦ لَـيْلًا مِّـنَ ٱلْمَسْـجِدِ ٱلْحَـرَامِ إِلَـى ٱلْمَسْـجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَـٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَـٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ

(سورة الإسراء الآية ١)

بحسب السياق ، يتوهم الإنسان ما دام معجزة انتقالاً مفاجئاً من مكة إلى بيت المقدس ، السياق يقتضي أن يقول الله عز وجل ، إن الله على كل شيء قدير ، قال : "إنه هو السـميع البصير " يعني هذا الإسراء وذاك المعراج مكافأة لك وتكريماً لك ، وتكريم السماء تعويضـاً

عن جفوة الأرض ، لأن الله سمع دعاءك في الطائف ، وجاء قوله تعالى "إنه هـو السـميع البصير " .

أحياناً الإنسان يدعو الله عز وجل ، " يا رب إني ضعيف ، إنـي مغلـوب فانتصـر ، يمضي سنة فالله ينصره ، فكأن هذا النصر هو جواب الدعاء ، فالإنسان يستخدم الدعاء .

هناك نقطة مهمة ، يجب أن توقن بفاعلية الدعاء ، إله يقول لك ادعوني أستجب لكـم ، والدعاء مقبول والطلب معقول والهدف الآخرة أو السلامة من الفتن في الدنيا ، فكل إنسان دعا الله عز وجل يسمعه ويستجيب له .

اسم السميع ورد في كتاب الله في أربعين آية :

فَإِنْ ءَامَنُواْ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَواْ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾

(سورة البقرة)

هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ ۖ قَالَ رَبِّ هَبْ لِى مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٨﴾

(سورة آل عمران)

۞ وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِى ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣﴾

(سورة الأنعام)

وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَـٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾

(سورة الأعراف)

أَنتُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلدُّنْيَا وَهُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلْقُصْوَىٰ وَٱلرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ ۚ وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَٱخْتَلَفْتُمْ فِى ٱلْمِيعَـٰدِ ۙ وَلَـٰكِن لِّيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَىَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ

(سورة الأنفال الآية٤٢)

خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾

(سورة التوبة)

ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٦١﴾

(سورة الحج)

۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ ۚ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۚ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢١﴾

(سورة النور)

مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾

(سورة لقمان)

سميع ، معكم أينما كنتم ، في بيتك وفي أحرج الظروف ، وفي أدق المواقـف ، وفـي أحلك الليالي ، وفي السماء وفي الأرض ، بالطائرة في السفينة ، تغوص في أعماق البحـر ، تصعد في أطباق الفضاء ، في بيتك في بستانك في عملك .

سمعت طبيباً جراحاً مشهوراً ، أنه لا يجري عملية جراحيـة إلا إذا توضـأ وصـلى ركعتين لله عز وجل وفي السجود يسأله التوفيق ، واللهِ سمعت عن هـذا الطبيـب نجاحـات صعب أن نصدقها ، يجري جراحات عصبية في الدماغ ، يعني بالدماغ غلطة بواحد بـالألف بالميلمتر يصاب طبعاً جراحة مكبرة تحت المجهر ، فهذا الطبيب لا يجري عملية إلا إذا صلى ركعتين وفي السجود يسأل الله التوفيق والنتائج رائعة .

هكذا المؤمن يجب أن يكون ، في كل أعماله ، إذا عقد صفقة ، قبل أن تشـتري هـذه الصفقة، قبل أن تُقدم على هذا العمل ، قبل أن تلقي هذا الدرس ، قبل أن تعقد هذا العقد قبل أن تتكلم . قُلْ : توكلتُ على الله ، ادع الله ، "إنه هو السميع الْبصير " .

الآن دققوا في آداب المؤمن بالنسبة لهذا الاسم ، من علم أن الله يسمع كل شيء ، هـل بإمكانه أن يلفظ كلمة نابية ؟

يقول واحد عشت معه ثلاثين سنة ما سمعت منه كلمة نابيـة ، شـيء وارد ولا اسـم عورة ، ولا كلمة مغشوشة إطلاقاً ، من أين جاء هذا الانضباط باللسان ، من معرفة المـؤمن أن الله يسمعه، لذلك من أدب المؤمن مع الله في الاسم السميع حفظ لسانه من الباطل إلا بخير ، ومن عرف أن الله تعالى سميع كان من أدبه دوام المراقبة ، ومطالبة الـنفس بالمحاسـبة ، وينبغي للعبد أن يعلم أن الله تعالى ، لم يخلق له السمع إلا ليسمع كلام الله أولاً .

أدب ثانٍ الآن ، هذه الأذن ، إلى الآن طريقة عملها الدقيق مجهولـة ، يعنـي اهتـزاز وصل إلى طبلة الأذن ، نقل هذا الاهتزاز عبر عظيمات السمع إلى الأذن الوسطى ، ثم إلـى الأذن الداخلية ، ثم نقل العصب السمعي هذا الأثر إلى الدماغ ففهمت الكلام المسموع .

شخص يحكي كلاماً هاماً ، نعم .. صح .. يسمع ، ينتقل الكلام إلى غشاء الطبل إلـى الأذن الوسطى ...إلى الدماغ ، إذا كان نغم رائع تطرب ، ضجيج تضجر ، فما الـنغم ومـا الضجيج ، معقول أن يكون عندك ذاكرة سمعية تعرف بها أصوات الناس جميعاً ، الدليل على الهاتف ، كلّما جاءتك مكالمة تعرف من المتكلم ، من أول كلمة ! فلان .

الإنسان نبرة صوته هوية ، لا يوجد إنسان في الأرض نبرة صوته كإنسان آخر ، أبداً ، قزحية العين ، ونبرة الصوت ورائحة الجلد وبلازما الدم ، والبنان ، بصمة الإصـبع ، هـذه هوية الإنسان ، فأنت عندك ذاكرة ، يقول لك بعض الحواسب تقرأ أربعمائة وخمسين مليـون حرف ، هذا صنع الإنسان ، أنت يكون في حياتك مائتا شخص تعرفهم ، أحياناً شخص تاركه من عشرين سنة تقول له فلان .. معناها سمعته ، طيب هذه الأذن التي تلفت نظر العلماء في دقتها ، في أذنين من أجل أن تعرف جهة الصوت ، في عينين من أجل أن تعرف البعد الثالث ، بعين واحدة بعد واحد ، في العينين ترى العمق ، في نغم في ضجيج في ذاكـرة سـمعية ، يقول الأمام الغزالي :

" ينبغي للعبد أن يعلم أن الله تعالى لم يخلق له هذا السمع إلا ليسمع كلام الله " ، الـذي يجلب آلة طحن لحم أغلى نوع في العالم ثمنها ثماني آلاف ليرة هذه للشخت أم للحم ، بل للحم لا يليق أن تستعملها لأشياء رخيصة أو مبتذلة ، كذلك الذي خلق الله سمعاً لا يليق به أن يسمع الغناء والكلام البذيء والغيبة والنميمة والإفك والبهتان ، والكلام المنحط وذكر العورات ، لا بل هذه الأذن ينبغي أن تستمع إلى الحق وإلى كلام الله عز وجل ، " من استمع إلى قينة صب في أذنه الآنُك يوم القيامة " قيل وما الآنُك قال الرصاص المذاب " ..

الله عز وجل أعطاك سمعاً أعطاك بصراً ، أنتم تصدقون من باب حسن الظن بالله ، أن إنسان له عين يغض بها عن محارم الله ، تنهمر منها دمعتان من خشية الله ، تظنون أن هـذا الإنسان يمكن أن يرث عينه أم أن ترثه عينه ، وفهمكم كفايـة ، " ومتعنـا اللهـم بأسـماعنا وأبصارنا وقوتنا ما أحييتنا ، واجعله الوارث منا " .

فالإنسان المؤمن ترثه عينه ، وأذنه وقوته وعقله ، يعني يستمتع بسمعه إلى آخر لحظة في حياته ، يستمع للحق ، هذا السمع يجب أن يكون للحق ، إذا كان في كلام باطل قال :

وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَـٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَـٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾

(سورة الأنعام)

قم .. مجلس فيه غيبة ، فيه كلام بذيء فيه كلام فارغ ، فيه لغو :

عن أبي هريرةَ قالَ : قالَ رسولُ الله صلى اللهم عليه وسلم ما من قومٍ يقُومون من مجلسٍ لا يذْكُرون الله فيه إلا قاموا عن مثْل جِيفَة حمارٍ وكان لهم حسرةً *

(سنن أبي داوود)

ينبغي أن تستمع إلى الحق ، والعبد إذا تقرّب من ربه بالنوافل أحبه الله فأفاض على سمعه نوراً تنفذ به بصيرته ،

عن أبي هريرةَ قالَ : قالَ رسولُ الله صلى اللهم عليه وسلم إن الله قالَ من عادى لِي وليا فقَد آذَنْتُه بِالْحربِ وما تَقَرب إِلي عبدي بِشَيء أَحب إِلي مما افْتَرضتُ عليه وما يزالُ عبدي يتَقَرب إِلي بِالنوافل حتى أُحبه فَإِذَا أَحببتُه كُنْتُ سمعه الذي يسمع بِه وبصره الذي يبصر بِه ويده التي يبطشُ بِها ورجله التي يمشي بِها وإِن سأَلني لأُعطينه ولَئِن استَعاذَني لأُعيذَنه وما تَرددتُ عن شَيء أَنَا فَاعله تَرددي عن نَفْس الْمؤْمنِ يكْره الموتَ وأَنَا أَكْره مساءتَه *

(صحيح البخاري)

صار في سمعه نور ، كيف يعني ؟ يعني الباطل لا يسمعه ، كلام بخلاف القرآن لا يسمعه، هذا الكلام غير مسموع لا أسمعه ، غيبة يرفضها ، صار في سمعه نوراً .

جاء في بعض الأدعية " إلهي أنت السميع لحركات القلوب وخطرات النفوس ، السميع لنداء المضطرين ، المغيث لجميع المحتاجين ، أشرقْ على سمعي نوراً منك أسمع به تسبيح الكائنات في الأرض والسماوات " .

" أعرف حجراً بمكة كما قال النبي كان يسلم عليّ وأسلم عليه ".

امنحني قوةً روحية أسمع بها عهدك " ألست بربكم " إنك على كل شيء قدير .

الحمد لله رب العالمين

اسم السميع من أدق الأسماء الإلهية ، وهو من أقرب الأسماء إليك لأنك كلما ناجيته يسمعك ويستجيب لك ، هذا اسم السميع ، وينبغي أن تعلم أنه ليس هناك معرفة في الأرض تعلو على أن تعرف الله في أسمائه الحسنى ، ما من معرفة في الأرض أعظم وأجل وأدق وأخطر في حياتك من أن تعرف أسماء الله الحسنى ، وهذا اسم السميع .

والحمد لله رب العالمين

الـ ـدرس٥٦ – اسم الله : البصير .

بسم الله الرحمن الرحيم

البصير

مع الدرس السادس والخمسين من دروس أسماء الله الحسنى والاسم اليـوم البصـير ، البصير كما ورد في الحديث الصحيح اسم من أسماء الله الحسنى ، ومعنى هذا الاسم في اللغة :

البصر : هو العين ، أو حاسة الرؤية ، وقيل البصر : هو النـور الـذي تـدرك بـه المبصرات، وكلكم يعلم أن العين مهما تكن حادة النظر ومهما يكن الشيء واضحاً لا بد مـن وسيط من النور يتيح للعين أن ترى هذا الشيء ، ويمكن أن تُسحب هذه الحقيقة على العقـل ، فالعقل مهما كان حاد الذكاء ، ومهما كانت الأمور واضحة وضوح الشمس ، لابد مـن نـور إلهي يكشف لهذا العقل حقيقة الأشياء ، لذلك قال تعالى :

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا وَيُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٢٩﴾

(سورة الأنفال)

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤۡتِكُمۡ كِفۡلَيۡنِ مِن رَّحۡمَتِهِۦ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ نُورٗا تَمۡشُونَ بِهِۦ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٢٨﴾

(سورة الحديد)

والعقل من دون هداية الله ، من دون وحي السماء ، من دون خطاب الله للبشر ، العقل يَضل ويضل ، وينحرف ويحرف ، فالبصير من البصر ، والبصر هي العين ، والبصر حاسة الرؤية ، والبصر النور الذي تُدرك به المبصَرات ، هذه المعاني وردت في معاجم اللغة .

والبصر نفاذ الحقيقة في القلب ، والبصيرة قوة القلب المدركة للحقائق ، نقول فـلان ذو بصيرة أي في قلبه قدرة على كشف الحقائق ، والمبصر هو العالم والحاذق ، والتبصـر هـو التأمل والتعرف والثبات في الدين .

قبل أن نمضي في التعرف على هذا الاسم العظيم ينبغي أن نضع بين أيديكم هذه الحقيقة ، هذه الحقيقة ، هي أن مشكلة الناس جميعاً هي في انحراف الرؤية وفي خطأ الرؤيـة ، لأن الإنسان في الأصل مفطور على حب ذاته وحب وجوده ، يحب ذاته ، يحب سلامة وجـوده ، يحب كمال وجوده يحب استمرار وجوده ، فكيف يسلك طريقاً فيه هلاكـه ، فكيـف يقتـرف المعاصي والآثام ، فكيف يهلك نفسه بمعصية ربه ؟ لأنه رأى خطأً أن المعصـية مغنمـاً لا مغرماً ، لأنه رأى خطأً أن كسب هذا المال ربح له الإنسان يحب ذاته فحرصه على سـلامة وجوده ، وحرصه على كمال وجوده ، وحرصه على استمرار وجوده ، يقتضـي أن يحفـظ طاعة الله عز وجل .

هؤلاء الذين يقترفون المعاصي والآثام ، هؤلاء الذين يرتادون الأماكن المحرمة لمـاذا ارتادوها لماذا أقبلوا على المعصية ؟ لأنهم توهموا أنها تسعدهم ، ولو عرفوا أن طاعة الله عز وجل هي وحدها التي تسعدهم وأن الإقبال عليه هو الذي يطمئنهم لما سلكوا هذا الطريق .

فما الفرق بين مؤمن مستقيم على أمر الله ، وبين عاص متفلت من أمر الله ؟ .. هنـاك فرق بينهما ، الرؤية .

سيدنا يوسف حينما دعته امرأة ذات من منصب وجمـال فقـال إنـي أخـاف الله رب العالمين ، ما الذي جعله يحجم عن اقتراف هذه المعصية رؤيته لما تنطوي عليه مـن هـلاك ومن بعد عن الله عز وجل ، هذا الذي إذا دعته امرأة ذات منصب جمال أقبـل علـى هـذه المعصية ما الفرق بينه وبين هذا الطائع ؟ .. الرؤية فقط .. إن صحت رؤيتك صـح عملـك وإن صح عملك سعدت في الدنيا والآخرة ، وإن انحرفت رؤيتك فسد عملك وإن فسد عملـك هلكت في الدنيا والآخرة ، أكاد أقول إن الفرق الوحيد بين الشقي والسـعيد ، بـين المسـتقيم والمنحرف ، صحة الرؤية أو خطأ الرؤية .

لذلك ماذا كان يدعو النبي ؟ كان يدعو ويقول " اللهم أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعـه ، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه " .

لذلك أحدنا حينما يرى أن المعصية مهلكة له ، وأن الطاعة مغنماً له هـذه نعمـة والله الذي لا إله إلا هو لا تُقّدر بثمن ، لا تُقدر بثمن أن ترى الحق حقاً ، لأن هنـاك مـن يـرى الباطل حقاً ، وأن هناك من يرى الحق باطلاً ، أما أن ترى الحق حقاً ، أما أن ترى الباطـل باطلاً .

شيء آخر إن رأيت الحق حقاً ، وإن رأيت الباطل باطلاً ، الآن أنت بحاجة إلـى إرادة قوية تحملك على اتباع الحق وترك الباطل ، رؤية وإرادة ، أرنا الحق حقاً ، والباطل باطلاً .

والله آلاف مؤلفة ، والله ملايين مملينة ترى الحق باطلاً ، وترى الباطـل حقـاً ، فـإذا جاءت رؤيتك مطابقة لمنهج الله ، إن رأيت الحق حقاً إن رأيت الباطل باطلاً ، هذه نعمـة لا تُقدر بثمن .

أيها الإخوة من عادتي أنني إذا رأيت شاباً مؤمناً مستقيماً ، أقول له دائماً أعظـم نعمـة أنت فيها هي نعمة الهدى ، نعمة أن رؤيتك صحيحة نعمة أن في قلبك نوراً يريك الحق حقـاً والباطل باطلاً ، الإنسان إذا اتصل بالله ولاذ بالله ، وانطلق لتنفيذ أمر الله ، الله يلقي في قلبـه النور.

ففي اللغة إذاً ؛ البصر هي العين ، والبصر حاسة الرؤية ، والبصر نور يقذفه الله فـي القلب ، والبصر هو النور الذي يتوسط بيننا وبين المبصَرات ، والبصر قوة القلب في كشـف الحقيقة ، والبصير والمبصر والبصير هو العالم الحاذق ، والتبصر هـو التأمـل والتعـرف والثبات على الدين ، هذا ما جاء في قواميس اللغة حول كلمة البصير .

أما البصير بمعنى المبصر فهو فعيل بمعنى مفعول ، كأن تقول جريح بمعنى مجروح ، وقتيل بمعنى مقتول ، البصير ؛ بمعنى المبصر ، في اللغة يأتي هذا المعنى .

الآن اسم البصير من أسماء الله الحسنى ، وهو المبصر لجميع المبصَرات كل مـا فـي الكون إذا أمكن أن يبصر فالله سبحانه وتعالى يبصره ، كل المبصَرات ربنا عز وجل بصـير بها .

البصير ؛ هو الذي يشاهد الأشياء كلها ، ظاهرها وخفيها من دون جارحة ، في الدرس الماضي تحدثت عن السميع ، وبينت لكم أن الله عز وجل عز وجل سبحانه وتعالى يسمع من دون أداة ومن دون جارحة تغير في ذاته ، نحن إذا استمعنا إلى شيء لابد من أن يهتز غشاء الطبل حتى نسمع من دون آلة من دون جارحة من دون تغير في ذات الله عز وجل ، والبصر في حق الله تعالى عبارة عن الصفة التي ينكشف بها كمال نعوت المبصَـرات ؛ الشـيء إذا انكشف لك انكشافاً تاماً فقد أبصرته ، قد ينكشف لك ظاهره ، إذا انكشف لك ظاهره فأنت لم تدرك كمال صفته .

قد تأتي أنت بقطعة ماس ثمنها نصف مليون ليرة تضعها في الوحل ثـم تضـعها فـي الشمس تبدو لك كدَرة ، فإذا رأيت ظاهرها ظننتها كدرة ، لذلك كمال الإبصار أن ترى حقيقة الشيء .

لذلك قالوا هي الصفة التي ينكشف بها كمال نعوت الأشياء ، هذه الماسة التي يزيد ثمنها عن نصف مليون ليرة ، إذا غمستها في وحل ثم جففتها تبدو لهذه العين كدَرَة ، ما معنى اسم

البصير ؟ معنى اسم البصير هو الذي تنكشف له كمال صفات الأشياء ؛ يعني أنـت كإنسـان بهذه العين تراها كدرة ، لكن كمال اسم البصير يراها ماسة ، فرق كبير .

يعني الله عز وجل يعرف كل شيء ، لا يخفى عليه شيء ، أما نحـن فنـرى ظـاهر الأشياء، أما باطنها ، أما حقيقتها فمحجوبة عنا ، وقد ورد هذا عن النبي صلى الله عليه وسلم : " نحن نحكم بالظاهر والله يتولى السرائر " .

الفكرة دقيقة ، يعني اسم البصير ؛ هي الصفة التي ينكشف بها كمال صفة المبصرات ، لو فرضنا إنسان قصير القامة أسمر اللون أحنف الرجل ناتئ الوجنتين غائر العينـين مائـل الذقن ، وقد يكون أعلم علماء الأرض في علم من العلوم ، فأنت إذا نظرت إلى شكله رأيتـه شيئاً عادياً ، لكن لو علمت ما ينطوي عليه من علم لأكبرته أعظم إكبار فإذا نظرت بعينك إليه فأنت لم تكشف كمال صفات هذا الإنسان ، أما إذا أدركت علمه وأخلاقه ، طبعاً هذا ورد فـي التاريخ عن أحد التابعين وهو الأحنف بن قيس وصفه من وصفه فقال : كان قصـير القامـة أسمر اللون مائل الذقن أحنف الرجل ، غائر العينين ، ناتئ الوجنتين ، ليس شيء من قـبح المنظر إلا آخذ منه بنصيب، وكان مع ذلك سيد قومه ، إذا غضب غضب لغضبته مائة ألف سيف لا يسألونه فيمَ غضب

لو أن واحداً من الناس نظر إلى الأحنف بن قيس ، فرأى فيه هذه الصـفات التـي لا تُرضي ، فظن أنه شخصاً عادياً ، هل أدرك بعينه هذه كمال صفات هذا التابعي الجليل ؟ لا .

معنى اسم البصير ؛ صفة لله عز وجل تنكشف بها كمالات نعوت الأشياء ، بصير يعلم كل شيء ، يبصر كل شيء ، ظاهر الشيء وباطنه وخلفيته ، وما ينطوي عليـه ، أحيانـاً ، إنسان يضرب يتيماً ، الله عز وجل قال :

فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿٩﴾

(سورة الضحى)

هو يضربه ، هذا حينما يضرب اليتم كأنه ارتكب معصيةً ، كأنه سقط من عين الناس ، لكن إذا إرتكب هذا اليتيم عملاً قبيحاً يقتضي أن يضربه ليأدبه ، وقد سئل النبي عليه الصـلاة والسلام :

عن عبد الله بن عمر بن الْخَطابِ أن رجلا أَتَى رسولَ الله صلى اللهم عليه وسلم فَقَالَ يا رسولَ الله إن لِي خَادما يسيء ويظْلم أَفأَضربه قَالَ تَعفُو عنْه كُل يومٍ سبعين مرةً *

(مسند الإمام أحمد)

إنسان راق جداً عنده يتيم اقترف معصية كبيرة ، أراد أن يؤدبه ، لو أن إنساناً نظر إليه وهو يضربه لاحتقره .. هذا يتيم كيف تضربه ؟ لكن الله إذا نظر إلى نيته العالية لتأديب هـذا في تأديب هذا اليتيم معناها أن الله مبصر . الله بصير ، بمعنى أن الله تنكشف له بهذه الصـفة كمال صفات هذا الضارب ، هو يضربه لله ، يضربه ليؤدبه ، يضربه ليحمله على الاستقامة ، الفكرة دقيقة ، ينكشف بهذه الصفة كمال صفات الأشياء .

البصير إذاً هو المبصر لجميع المبصرات ، والبصير هو الذي يشـاهد الأشـياء كلهـا ظاهرها وخفيها من دون جارحة ولا أداة ولا تغير في ذات الله ، والبصر فـي حقـه تعـالى عبارة عن الصفة التي تنكشف فيها كمالات نعوت الأشياء .

وقيل البصير هو المبصر ، المتصف بالبصر لجميع الموجودات دون حاسة ودون آلة ، فيعلم تعالى جميع المبصرات تمام العلم ، وتنكشف له تمام الانكشاف .

ما علاقتنا بهذا التفسير ، نحن نسعد كثيراً حينما نعلم أن الله يعلم الله يعلم نواياك ، يعلم سلامة صدرك ، يعلم حبك للخير ، يعلم أن هذا الخطأ لا تقصده ، يعلم أن هذا الوضع الحرج الذي وقعت فيه لا تريده ، يعلم أن هذه الكلمة التي قلتها لم تكن تريد أن تقولها ، أنت حينمـا تعلم أن الله يعلم حقيقة كل شيء ، هذا مما يسعدك ، لأن الله قال :

ٱللَّـهُ ٱلَّـذِى خَـلَقَ سَبۡعَ سَمَـٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنَهُنَّ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّـهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىۡءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّـهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىۡءٍ عِلۡمَۢا ﴿١٢﴾

(سورة الطلاق)

يجب أن تعلم أن الله يعلم ، وحينما تعلم أن الله يعلم ترتاح نفسك .

أحياناً الإنسان الموظف ، يجلس وراء الطاولة سبع ساعات يخرج ليقف علـى شـرفة دقيقة واحدة ، يراه المدير العام يقف على النافذة ، فيغضب ويثور . حالـة غريبـة ، سـبع ساعات وراء الطاولة يعمل ، وقف دقيقة واحدة على النافذة فدخل المدير العام فـرآه يتنـزه فعنّفه ، لأنه لا يعلم ماذا فعل ، رآه على النافذة فعنّفه .

فالإنسان علمه ناقص ، لكنك مع الله ، لماذا أنت مرتاح مع الله لأنه يعلم سلامة صدرك ، يعلم أنك ما أردت هذا الذي حصل ، يعلم أنك تُكِن لهذا الإنسان كل خير ، يعلم أنك بـريء من هذه التهمة .

لذلك قال أحدهم كلمة رائعة ، قال لي مرةً الحمد لله على وجود الله ، والحمد لله على علم الله ، موجود ويعلم ، الله عز وجل لا يحتاج إلى إيصال ولا إلى شهادة ولا إلى حلف يمين ، ولا إلى بينة ، هو يعلم قال له : ألك عند الله حاجة ، " قل منك قال لا : قال علمه بحالي يغني عن سؤالي " .

يعني : الله عز وجل بصره كامل ، ينكشف باسم البصير كمال صفة المبصر ، وهذا مما يسعد الإنسان أي سعادة .

كم من إنسان مظلوم متهم تهمة هو بريء منها ، على نطاق الأسرة أحياناً يقول كلمة هو لا يقصدها تفسر تفسيرات أخرى ، يفعل فعلاً لا يريده صدفةً يفسر تفسيرات أخرى ، لكن الضمانة العظيمة هي أن الله يعلم .

لكن بالمناسبة ، رحم الله عبداً جب المغيبة عن نفسه ، نحن مضطرون أن نخرج قليلاً ، " النبي عليه الصلاة والسلام جاءته السيدة صفية إلى معتكفه ، أراد أن يوصلها إلى البيت مر صحابيان جليلان قال النبي الكريم على رسلكما ، وقفا ، قال : هذه زوجتي صفية ، قالوا أفيك نشك ، قال لا ، ولكن لئلا يدخل عليكما الشيطان ".

صحيح الله يعلم لكنك مكلف أن تبين ، أن توضح ، الله جل جلاله يعلم ، لكن لا يكفي أن تقول الله يعلم وتضع نفسك موضع التهمة ، لا يكفي أن تقول الله ناظر إلي وأنت في وضع متهم فيه ، لا هذا ليس من السنة ، يجب أن تعلم أن الله يعلم ، ويجب أن تدفع عن نفسك كل الشبهات .

يعني لو دخل رجل إلى بيت فيه امرأة لا تحل له ، ليست من محارمه ، وهو أنقى من ماء الثلج ، وهو أطهر من الملائكة ، وجودك في بيت مع امرأة موطن متهم فيه ، لا تفعل هذا ، الخلوة محرمة في الإسلام ، لذلك سد الذرائع باب عظيم . هناك مواقف لا شك أنك طاهر ومستقيم ومتملك لزمام نفسك ، لكن أي موقف يضعك موضع التهمة الشرع يأمرك أن تبتعد عنه، أحياناً تدخل إلى محل تجاري لا يوجد فيه أحد ، يجب عليك أن تخرج فوراً ، .. أنا أنتظر صاحبه .. أُخرج ، أنت الآن في موضع متهم فيه ، لا يوجد أحد ، وأنت لست صاحب المحل ما الذي يبقيك في هذا المحل ؟!

الله جل جلاله يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور ، رجل جالس في بيته ، أمامه نافذة الغرفة ليست مضاءة ، أمامه شرفة ، خرجت امرأة إلى الشرفة ، ليس في العالم كله إنسان يستطيع أن يحاسبه على إطلاق بصره إلى هذه المرأة ، وليس هناك أحد يكشف ما إذا كان ينظر أو لا ينظر إلا الله ، يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور .

لذلك أروع شيء أن تطيع الله في خلوتك ، لأن طاعة الله في خلوتك علامة إخلاصـك وصدقك ، وقد ورد في الأثر " من لم يكن له ورع يصده عن معصية الله إذا خلا لم يعبئ الله بشيء من عمله " .

العبرة أن تطيعه في خلوتك كما تطيعه في جلوتك ، أن تطيعه سراً كما تطيعه علانيةً ، يشاهد ويرى ولا يغيب عنه ما في السماوات العلى وما في الأرض وما بينهمـا ومـا تحـت الثرى ، وهو الحاضر الذي لا يغيب .

إنسان يغادر مركز عمله ، إذا كان مديراً أو إذا كان مدير مستشفى أو مـدير ثانويـة ، يعني أكثر الناس ينصرفون قبل الدوام ، أحياناً المدير عمله أن يكون في مكان عمله ، الإنسان إذا كان موجود يرى ، أما إذا غاب لا يرى . لكن الله سبحانه وتعالى حاضر لا يغيب .

البصير : ورد في كتاب الله كما قلنا في اسم السميع في أربعين موضعاً . ففي البقرة :

وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٠﴾

(سورة البقرة)

الآن في ضوء فهمنا الدقيق قبل قليل لمعنى البصير ، يعني هذا العمل له ظاهر له خلفية له باطن له نية ، له ملابسَات سبحانه وتعالى بصير بما تعمل ، يعني يبصر حجـم علمـك ، مقدار تضحيتك مقدار الصراع النفسي الذي سببه هذا العمل ، إن الله بصير به ، بصير بكـل أبعاده ، بكل منحنايته ، بصير بخلفياته ، بصير بملابساته ، بصير بأهدافه ، بصير ببواعثه ، هذا معنى بصير .

أما أنت تبصر عملاً أمامك ، الإنسان العادي يراه ، إنسان يضرب ابنه ، أمـا النوايـا والبواعث والأهداف والمقاصد والخلفيات والصراعات والتضحيات ، هذا العمل لا يعلم حجمه إلا الله ، ولا يعلم مقدار التضحية التي كانت من أجله إلا الله ، ولا يعلم المتاعب التي تحملهـا صاحبه إلا الله ، فربنا حين يقول:

وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾

(سورة الحديد)

يعني بصير بحجم أعمـالكم ، ونواياـكم وبـواعثكم ومقاصـدكم وأهـدافكم وتضحياتكم، والصراعات التي في أنفسكم .

فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ ۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُوا۟ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠﴾

(سورة آل عمران)

بصير ؛ هناك إنسان يكذب وإنسان لا يكذب ، إنسان مغلوب على أمره ، إنسان متأثر ، والله بصير بالعباد .

قد يلقي إنسان كلمة على جمع غفير فإن صدى هذه الكلمة في علم الله هذا صدق هـذا استهزأ ، هذا ما بالى ، هذا ارتعدت فرائصه ، هذا خاف.

لذلك : " وَقُلْ لِلذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُميينَ أَأَسلَمتُم فَإِن أَسلَموا فَقَد اهتَدَوا ".

وفي المائدة :

وَحَسِبُوٓا۟ أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ فَعَمُوا۟ وَصَمُّوا۟ ثُمَّ تَابَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا۟ وَصَمُّوا۟ كَثِيرٌ مِّنْهُمْ ۚ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٧١﴾

(سورة المائدة)

وفي الإسراء :

وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ ٱلْقُرُونِ مِنۢ بَعْدِ نُوحٍ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿١٧﴾

(سورة الإسراء)

مرة وقفت في هذا الجبل ونظرت إلى الشام ممتدةً يمنةً ويسرةً شـمالاً وجنوبـاً شـرقاً وغرباً ، هذه البيوت بطوابقها بأقبيتها ماذا فيها من طاعات أو معاصي من يعلم ؟ الله .

منظر هذه المدينة من الجبل مدينة هادئة وادعة أبنية مضاءة متلألئة . داخل البيوت يـا ترى هناك صلوات أم موبقات ؟ هل هناك نكاح أم سفاح ؟ من يعلم ؟ ... الله الذي يعلم .

وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ ٱلْقُرُونِ مِنۢ بَعْدِ نُوحٍ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿١٧﴾

(سورة الإسراء)

يعني أنت لا تعلم ، وقد يسكن إنسان في مدينة وهو لا يعلم ما فيها هو مـؤمن يرتـاد بيوت الله عز وجل ، له إخوة كرام ، يحسن الظن في جميع الناس ، لكن حجم المعاصي فـي أي بلدة ، حجم الموبقات ، الذين يشربون الخمر ، الذين يقترفون جريمة الزنا ، من يعلم ذلك ؟

لكن ما كنت أصدق في حياتي أن إنسانةً في مكان رفيع كأنها ملكة تحقد مؤتمراً صحفياً يبَث في جميع أنحاء العالم تقول لقد زنيت مع فلان ، نحن في أي عصر نعيش ، قال تعالى :

أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ ۖ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٢١﴾

(سورة النحل)

يعني إنسانة مرشحة أن تكون ملكة في بلاد الغرب تعقد مؤتمراً صـحفياً وعلـى كـل أجهزة الإعلام وقد بثت في محطات الفضاء لتقول للناس إنني خنت زوجي وزنيت مع فـلان .. سبحان الله كم بيننا وبين أهل الفسق والفجور مسافات شاسعة ، البيت المسلم بيت شريف ، بيت طاهر ، بيت نقي ، حتى الإنسان لو زلت قدمه ينبغي أن يستر نفسه .

وَٱللَّهُ يَقْضِى بِٱلْحَقِّ ۖ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَقْضُونَ بِشَىْءٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿٢٠﴾

(سورة غافر)

ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡ إِن فِى صُدُورِهِمۡ إِلَّا كِبۡرٞ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِۚ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴿٥٦﴾

(سورة غافر)

وفي سورة الملك :

أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَى ٱلطَّيۡرِ فَوۡقَهُمۡ صَٰٓفَّٰتٖ وَيَقۡبِضۡنَۚ مَا يُمۡسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحۡمَٰنُۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءم بَصِيرٌ ﴿١٩﴾

(سورة الملك)

إن هذا الاسم هو أقرب الأسماء إلينا ، فكلمة غفور مثلاً ، اسم رب العالمين ، هذا الاسم هو أقرب الأسماء إلينا ، واسم البصير لأن النبي عليه الصلاة والسلام يقول أفضل إيمان المرء أن تعلم أن الله معك ، وأرقى حالات المؤمن أن يشعر أنه تحت مراقبة الله عز وجل .

أفضل حالات المؤن أن يعبد الله كأنه يراه ، فإن لم يكن يراه فإن الله يراه يعني أن تشعر أن الله يراك ، هذه درجة في الإيمان عالية جداً أن تشعر دائماً أن الله معك ، أن الله معك في خلوتك وفي جلوتك وفي مجلسك ، ومع ذكرك ومع نطقك ، وفي سفرك وفي حضرك ، هذا الشعور المستمر من نِعَم الله العظمى وهو درجة من درجات الإيمان العالية .

الإمام الغزالي يرى : أن البصير هو الذي يشاهد ويرى حتى لا يعزب عنه ما تحت الثرى.

إبصاره منزه عن أن يكون بحدقة أو أجفان ، مقدس عن أن يرجع إلى انطباع الصور والألوان كما ينطبع في حدقة الإنسان فإن ذلك من التأثر والتغيير المقتضي للحدثان .

كما قلنا في اسم السميع أنه لا يعقل ولا يليق بالله عز وجل أن يبصر بحاسة ولا بأداة ولا بتغير ، يعني الشبكية إذا سقط عليها ضوء تعريف الصورة ؛ هي مجموعة نقاط متفاوتة في الإضاءة ، لو أتيت بصورة وكبرتها ، ترجع إلى نقاط ، وكلما كثرت هذه النقاط كانت الصورة دقيقة أكثر ، أما هي في الحقيقة نقاط متفاوتة في الإضاءة ، فهذه الصورة إما منبع ضوئي أو منعكس ضوئي إذا وقعت على حدقة العين وانكسر إلى الشبكية ، فانطبعت عليها ، الشبكية فيها مادة كيمائية ، تتأثر بالضوء تأثرها بالضوء يشكل تيار كهربائي ، هذا ينتقل عبر العصب البصري إلى الدماغ ، في الدماغ تكشف حقيقة الصورة .

بشكل مختصر ، يعني في العصيات مائة وثلاثين عصية ومخروط ، هـذه العصـيات والمخاريط فيها مواد كيماوية ، تتأثر بالضوء ، فإن تأثرت تشكل تيار كهربائي هذا التيـار ينتقل عبر العصب البصري إلى الدماغ . الصورة تنطبع على شبكية العين إحساساً وتنتقل إلى الدماغ فتفسر هناك إدراكاً بحسب المفاهيم السابقة ، فالإنسان متى يرى ، يرى الصورة التـي هي مجموعة نقاط مضيئة أو متفاوتة في الإضاءة هذه تؤثر في تركيب العصيات والمخاريط ، من هذا التأثر والتأثير يتشكل تيار كهربائي ، هذا التيار يسري عبر العصب البصـري إلـى الدماغ ، في الدماغ تُفسر هذه الصورة في ضوء المفهومات السابقة ، معناها لو لـم يحـدث تغيير في شبكية العين والعصيات والمخاريط ، ولو لم يحدث تأثر هذه المواد الكيماويـة فـي الضوء لما انتقلت الصورة .

الله جل جلاله منزه عن أن يبصر بحاسة أو أداة أو تغيير في ذاته ، وإذا نُزه الله جـل جلاله عن ذلك كان البصر في حقه عبارة عن الصفة التي تنكشف بها كمالات المبصـرات ، صفة في ذات الله زائدة على علمه ، تُكشف بها حقيقة كمالات صفات الأشياء .

الآن ما الأدب الذي ينبغي أن نتأدب به حيال هذا الاسم العظيم ، الله عز وجل بصير ، ولأنك إنسان مكرم ، مخلوق مكرم ، قال تعالى :

﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾﴾

(سورة الإسراء)

لأنك مخلوق مكرم ، الله بصير ومَنَحك حاسة البصر ، لماذا ، لماذا أودع الله فيك هاتين العينين ؟ .

﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾﴾

(سورة البلد)

العين السليمة لو درجنا لوناً أخضر أو أحمر أو أي لون آخر ثمانمائة ألـف درجـة ، العين السليمة تدرك الفرق بين درجتين .

والعين السليمة تبصر من دون وقف إصلاح الأفلام كما نعهد ذلك نحن ، الفلم يحتـاج إلى تحميض ، العين تبصر مباشرة ، وتدرك الشيء بحجمه الحقيقي ، أُنظر إلى الجبل تـراه بحجمه الحقيقي ، أما إنظر إلى صورة الجبل في الصورة تراه بحجم أربع سـنتمر . العـين تدرك الشيء بحجمه .

هذه العين فيها مطابقة والمطابقة شيء لا يصدق ، ففي الفيزياء العدسة البللورية : لـو وضعنا أمامها شمعة وخلف هذه العدسة في محرقها لوحة ، لا ينطبع خيـال الشـمعة علـى اللوحة إلا في مكان واحد فقط ، فلو أزحناها قليلاً أصبح الظل أو المرتسم على هـذه اللوحـة غير واضح، إذا غيرنا مكان الشمعة نحتاج إلى تعديل مكان اللوحة لأنه تغير المحـرق لكـن العدسة التي أودعها الله في الإنسان عدسة مرنة ، فإذا رأيت الشيء يتحرك فبدلاً أن تحرك في الشبكية ، العدسة يزداد إحدابها أو يقل هناك عضلات اسمها عضلات هدبية ، تضغط علـى هذا الجسم البلوري فتزيد إحدابه أو تقلله ، هذه العضلات تزيد الاحدداب أو تقلله بالمكرونات .

هناك سؤال كبير ، كيف ضغط هذا الجسم حتى جاء الخيال على الشبكية ؟ من حسـب المسافة بينك وبينه ؟ .. رأيته أولاً فحسبت المسافة ، إن رأيته فقد رأيته ، وإن لم تره كيـف حسبت المسافة ؟ عملية المطابقة في العين من أعظم الأدلة الدالة على وجود الله وعلى عظمته ، يعني يعجز عن فهمها العلماء ، المطابقة ، ضمن ستين متراً العين تجري مطابقة بعد ستين متر على اللانهاية ، لذلك الإنسان إذا سكن في مدينة مكتظة يضعف بصـره ، يحتـاج إلـى نظارات ، أما أهل البادية دائماً العين عندهم مستريحة تنظر إلى مسافات بعيدة .

الذي أريد أن أقوله لكم ، هذه العين سميت كريمة الإنسان لأن الله كرمه بهـا ، لمـاذا خلقها الله له ؟ ليرى بها العورات ؟! ليرى بها الموبقات ؟! ليرى بها المحرمات ؟! ليرى بها النساء الكاسيات العاريات ؟! أم ليرى بها آيات الله الدالة على عظمته ، فالعين التي تغض عن محارم الله ، والعين التي تحرس في سبيل الله ، والعين التي ينهمر منها دموع من خشـية الله هذه عين شريفة طاهرة مقدسة ، الله سبحانه وتعالى في الأعم الأغلب لا يفجعك بها " ومتعنـا اللهم بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا ما أحييتنا " .

يعني أي عين تغض عن محارم الله وتبصر آيات الله ، وتسبح الله وتكبره وتحمده ، هذه العين المرجو من الله أن يحفظها لك إلى نهاية الحياة .

إذاً من أدبنا مع اسم البصير الذي منحنا نعمة البصر أن نستخدم العين في أن نبصر بها آيات الله الدالة على عظمته .

قال أحد الأنبياء : من كان نظره عبرة ، ويقظته فكرة ، وكلامه ذكراً فهو مؤمن ، لذلك قال النبي الكريم : " أمرني ربي بتسع (من هذه التسع) أن يكون صمتي فكراً ونطقـي ذكـراً ونظري عبرةً " .

هذا أول شيء ، يجب أن تستخدمها في رؤية آيات الله الدالة علـى عظمتـه ، الشـيء الثاني : يجب أن تعلم أن الله يبصرك ، الذي خلق نعمة البصر ألا يبصر ؟ .. قال تعالى :

يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا ﴿٦﴾ أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٧﴾ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾ وَهَدَيْنَـٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾ فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ﴿١١﴾

(سورة البلد)

الآية دقيقة جداً ، أيحسب أن لم يره أحد وهو يرى ، فالذي خلق لك البصر لا يـراك ؟ أيحسب أن لم يره أحد ، ألم نجعل له عينين يبصر بهما ، فالذي خلق لك العينين يراك حـين تقوم قال تعالى :

وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّـٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾

(سورة الشعراء)

الآن هنا نقطة دقيقة جداً ، المؤمن الكامل لا يستهين بنظر الله إليه واطّلاعه عليه ، قال بعضهم : لا تجعل الله أهون الناظرين إليك الإنسان أحياناً أمام شخص يحسن نفسه ، يرجـل شعره ، يتعطر ، إذا دخل إلى بيته يرتّبه ، لأنه يستحي منه ، فلماذا الإنسان يقارف معصـية وهو يعلم أن الله يراه ، فكأنه جعل الله أهون الناظرين إليه .

قال : من أخفى عن غير الله ما لا يخفيه عن الله فقد استهان بنظر الله إليه ، أحد ثمرات الإيمان أن تشعر أن الله معك وهو ناظر إليك ..

الآن دققوا في هذه العبارة ؛ الإمام الغزالي : من قارب معصية وهو يعلم أن الله تعالى يراه فما أجرأه على الله وما أخسره ، وإن ظن أن الله لا يعلم فما أكفـره ومـا أجهلـه "، إن اقترف الإنسان معصية وهو يعلم أن الله يراه فما أجهله وأخسره .

مقترف معصية إن علم أن الله يعلم فهو مجترى وخاسر ، وإن علم أن الله لا يعلم فهـو جاهل وكافر ، لأن الله يعلم .

لذلك قال النبي الكريم :

عن أبي هريرةَ قالَ كان النبي صلى اللهم عليه وسلم بارزا يوما لِلناس فأتاه جبريلُ فقالَ ما الإيمان قالَ الإيمان أن تُؤْمن بالله وملائكته وكُتُبه وبلقائه ورسله وتُؤْمن بالبعث قالَ ما الإسلام قالَ الإسلام أن تَعبد الله ولا تُشْرك به شَيئًا وتُقيم الصلاةَ وتُؤَدي الزكاةَ المفْروضةَ وتَصوم رمضان قالَ ما الإحسان قالَ أن تَعبد الله كأنك تَراه فإن لم تَكُن تَراه فإنه يراك*

(صحيح البخاري)

وإذا عرف الإنسان أن الله تعالى هو البصير وكان الإنسان عاقلاً زين باطنه بالمراقبة ، وزين ظاهره بالمحاسبة .

وكان بعض السلف يقولون : إذا عصيت مولاك فاعصه في موضع لا يراك فيه .

دعا بعضهم فقال : " إلهي أنت البصير بعيوبي الخبير بذنوبي المطلع على سري ، بيدك زمام أمري ، أسألك أن تجعل في قلبي نوراً وفي بصري نوراً لأشـاهد حقـائق الأشـياء ، وأتأدب معك بالظاهر والخفاء إلهي اجعلني لك من المشاهدين وفي حماك من القـائمين إنـك على كل شيء قدير " .

وهناك أدعية كثيرة تتعلق باسم البصير ، والآية الكريمة :

لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَـٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾

(سورة الأنعام)

أيها الاخوة الكرام أرجو الله سبحانه وتعالى أن يجعل من هذه الدروس دروس أسماء الله الحسنى قفزة نوعية في معرفة الله والحقيقة أن تؤمن أن الله خالق السماوات والأرض دون أن تتحقق من أسمائه الحسنى وصفاته الفُضلى ، هذا الإيمان لا يرقى بك إلـى النجـاة ولا إلـى السعادة، ومن أجل دروس العلم أن تتعلم أسماء الله الحسنى وصفاته الفُضلى .

والحمد لله رب العالمين

الـ ـدرس٥٧ – اسم الله : الرؤوف .

بسم الله الرحمن الرحيم

مع الدرس السابع والخمسين من دروس أسماء الله الحسنى والاسم اليـوم هـو الرؤوف ، فالرؤوف اسم ورد في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم المتعلق بأسـماء الله الحسنى ، فهو اسم من أسماء الله الحسنى .

الرؤوف في اللغة شديد الرحمة ، والرأفة أشد من الرحمة ، أو شدة الرحمة ، ورأف به أي أشفق عليه من مكروه يحل به ، والرأفة في اللغة نهاية الرحمة ، والرأفـة مـن الله دفـع السوء .

وقد يسأل سائل : فيقول من أسماء الله الحسنى الـرحيم ، ومـن أسـماء الله الحسـنى الرؤوف فما الفرق بينهما ؟ .

إن حلّت المصيبة فإن الله سبحانه وتعالى رحيم بهذا الإنسان ، أما رأفتهف تقتضـي أن يبعد عنه كل سوء قبل أن تحل به المصيبة ، وأحياناً فاسم الرؤوف متعلق بالوقايـة ، واسـم الرحيم متعلق بالعلاج ، والله سبحانه وتعالى لشدة رحمته رؤوف ، ومن لوازم رأفته أنه يحمل العبد على التوبة قبل أن يقع في المعصية ، وحينما يقع في المعصية يستوجب العقاب ، والآن تقتضي رحمته أن يرفع عنه العقاب .

الرأفة شدة الرحمة ، وهي أشد من الرحمة ، ورأف به أشفق عليه من مكروه يحل به ، والرأفة نهاية الرحمة ، والرأفة من الله دفع السوء ، لذلك قيل ، إن الرؤوف من أسماء الله هو المتعطف على المذنبين بالتوبة .

لأضرب لكم مثلاً يقرب هذين المعنيين : الأب حريص على أولاده ولاسيما فـي أيـام الشتاء من أن يصيبهم البرد ، من ألا يخرجوا من بارد إلى حار أو من حار إلى بـارد لـئلا يصابوا بأمراض الشتاء ، فالحرص البالغ من الأب على ألا يصاب ابنه بمرض هذا من الرأفة ، أما حينما يصاب الابن بمرض ويتفطر قلب الأب له رحمة فهذا من باب الرحمة ، فالرحمة تخفيف الألم عن مصاب واقع ، بينما الرأفة هي الحيلولة بين المتعطف عليه وبين الوقوع في الشدة ، فالرأفة متعلقة بالوقاية ، بينما الرحمة فمتعلقة بالعلاج .

وعلى كل فهذا التفريق هو تفريق لتقريب المعنيين ، لكن أسماء الله تعالى كما قـال الله عز وجل عن ذاته ولله الأسماء الحسنى فأدعوه بها

وتقريب آخر ؛ فالله عز وجل يحذر ويبين وينبه ويرسل المواعظ ، ويسـخر الـدعاة ، ويظهر الآيات لئلا تعصيه ، فإن عصيته فلا بد من عقاب رادع والعقاب الرادع هو الرحمة ، لأنه هو الذي يحملك على التوبة ، لكن الله حريص على ألا تقع في المعصـية وبالتـالي ألا تستوجب هذه العقوبة ، والآن لعلي وضحت هذا المعنى الدقيق ، الرأفة قبل أن يقع المصاب ، والرحمة بعد أن يقع المصاب ، والله عز وجل أعطى الإنسان حرية الاختيار ، فلو أن عبـداً مؤمناً اختار عملاً سيئاً فالله جل جلاله يرسل له من يحذره ومن يبين له ، ويقيم العقبات أمام عمله السوء ، فإذا أصر الإنسان على عمله وتعلّقت نفسه به عندئذ يطلقـه الله عـز وجـل ، ويؤدبه، وبتأديبه يرحمه ، فالرأفة فيها معنى الوقاية ، والرحمة فيها معنى العلاج ، والوقايـة رأفة والعلاج رحمة ، والله سبحانه وتعالى رؤوف رحيم .

ولكن كل أب مثلاً يتمنى أن لا يقع ابنه في مخالفة تقتضي التأديب فإذا وقع فـي هـذه المخالفة وأصر عليها فلابد من التأديب ، والأب الطبيب يتمنى ألا يحتاج ابنـه إلـى عمليـة جراحية، أما إذا تفاقم أمر جسده إلى درجة يحتاج إليها فلا بد منها .

فأن تأخذ الاحتياطات رأفة ، وأن تخفف المصاب رحمة ، لذلك قيل إن الـرؤوف مـن أسماء الله تعالى وهو المتعطف على المذنبين بالتوبة وعلى أوليائه بالعصمة ،و كنت أتمنى أن لا ينسب إلى أوليائه بالعصمة لأن العصمة لرسول الله صلى الله عليـه وسـلم ، فالعصـمة للأنبياء والمرسلين، والحفظ للأولياء والمؤمنين ، وفرق كبير بين العصـمة وبـين الحفـظ ، فالأنبياء جميعاً معصومون عن أن يخطئوا بأقوالهم وأفعالهم وأحوالهم ، بينما الأوليـاء فغيـر معصومين ، لكنهم محفوظون ، ومعنى أنهم محفوظون أي أنهم إذا أخطؤوا فسريعاً ما يتوبون ويستغفرون ويعودون ويتراجعون ، فمن اعتقد العصمة لغير رسول الله صلى الله عليه وسـلم وأنبيائه ورسله الكرام فقد زاغت عقيدته ، ومن لم يعتقد العصمة للنبي عليه الصلاة والسـلام فقد زاغت عقيدته ، وعقيدة أهل السنة والجماعة أن النبي عليه الصـلاة والسـلام معصـوم بمفرده ، وأن أمته معصومة بمجموعها ، وأن النبي عليه الصلاة والسلام يقول : " لا تجتمـع أمتي على خطأ " ، والخطأ يصحح ، ولذلك فالأمة معصومة بمجموعها ، والنبي صـلى الله عليه وسلم معصوم بمفرده .

ويرى بعض العلماء أن الرؤوف بمعنى الرحمة مـع المبالغـة ، أي شـدة الرحمـة ، والمبالغة بالرحمة هي الرأفة ، وما زلنا في ضرب الأمثال ؛ فالأمهات جميعهن يعطفن علـى أولادهن ، إلا أن هناك بعض النساء عندهن فرط رحمة بـأولادهن ، أي مبالغـة ، فالإمـام القشيري يرى أن الرأفة شدة الرحمة ، أي هي رحمة في أعلى مستوى .

قال : " من رحمة الله بعباده أن يصونهم عن موجبات عقوبته "، لذلك فالله عـز وجـل يحذّر وينذر.

وهناك نقطة دقيقة ، فالله عز وجل أعطانا عقلاً وأعطانا فطرة وسخر لنا هـذا الكـون بسماواته وأرضه وأعطانا حرية الاختيار وأودع فينا الشهوات وأنزل على رسـله البينـات ، والله عز وجل قدم كل شيء ، فالكون مسخر تسخير تعريف وتكريم ،والعقـل متطـابق فـي مبادئه مع الكون ، فطرة سليمة تكشف لك الخطأ وحرية اختيار تثمن لـك العمـل ، وشـهوة تدفعك إلى الله صابراً أو شاكراً ، وقوة فيما يبدو تعينك على تحقيق اختيارك ،و شـرع يعـد ميزاناً على ميزاني العقل والفطرة ، وانتهى الأمر ، لكن الله فوق كل ذلك ، فوق الكون الدال على وجوده وكماله ووحدانيته ، وفوق العقل الذي هو أداة معرفة الله ، وفوق الفطرة التـي هي أداة كشف الخطأ ، وفوق الاختيار الذي يثمن العمل ، وفوق الشهوة التي تدفع إلى الله عز وجل ، وفوق القوة التي تحقق بها الرغبات ، وفوق الشرع الذي يعد ميزاناً دقيقاً . فالله جـل جلاله برأفته بعباده يتابعهم و يبين لهم ، ويحذرهم ، ينذرهم ، ويجعل أفعاله مبينةً لشـرعه ، يعالجهم نفسياً ، واجتماعياً ، وجسدياً وأحياناً يسوق لهم المصائب ، فيلقي في قلوبهم الخوف و الطمأنينة إنه شديد المحال ، وهذه كلها ليصون العبد عن أن يقع في الخطأ .

والإنسان الواعي العاقل الموفق لا يقع في الخطأ ولا يحتاج بعدها إلى معالجة هذا الخطأ ، وقد سأل معاوية بن أبي سفيان أمير المؤمنين أحد دهاة العرب عمرو بـن العـاص مـن صحابة رسول الله ؛ قال يا عمرو ما بلغ من دهائك ، قال : والله ما دخلت مدخلاً إلا أحسنت الخروج منه ، فقال معاوية لست بداهية ، أما أنا فو الله ما دخلت مدخلاً أحتاج أن أخرج منـه .

الرأفة تعني ألا تقع في الخطأ ، والرحمة تعني إن وقعت في الخطأ فلا بد من معالجته ، فمعالجة الخطأ رحمة ، والحيلولة دون الوقوع فيه رأفة ، فالله سبحانه وتعالى رؤوف رحيم .

وأنت مخير فإذا إخترت السوء حال بينك وبينه ، ونبهك ، وأنذرك وحذرك وخوفـك ، وأرسل إليك من يدلك على الصواب ، وأراك في المنام شيئاً مخيفاً ، أما إذا أصـررت علـى الخطأ فعندئذ يطلقك إليه ثم تأتي رحمته ورحمته كمبضع الجراح ، ورأفته كالمعالجة الفيزيائية ، والحمية والرياضة و هذه تحول بينك وبين المرض لكن رحمته تشفيك منه و قد تكون قاسية ، فاسمها رحمة لكنها علاج ، لأن الله سبحانه وتعالى يقول :

أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾

(سورة لقمان)

والنعم الظاهرة لا اختلاف فيها ، لكن النعم الباطنة هي الشدائد التي يسـوقها الله عـز وجل للإنسان ليحمله على التوبة ، وكم من إنسان اصطلح مع الله عز وجل إثر شدة باطنة ، و خوف شديد ، و مرض كبير ، و ضائقة مالية خانقة ، وعلى إثر هذه الشدائد تُحـل العقـد ، ويصطلح الإنسان مع الله ، فالحيلولة بين الإنسان وبين أن ينحرف رأفة ، أما إذا أصر علـى الانحراف فمعالجته وهو منحرف رحمة ، والله سبحانه وتعالى رؤوف رحيم .

هناك طبيب ينصحك ، ويبين لك مضار التدخين ، ويعطيك الأدلة ، ويطلعـك علـى أحدث الأبحاث ، ويبين لك آلية ضرر التدخين مثلاً ، فإذا أصر المريض على متابعـة هـذه العادة السيئة وأصيب بمرض عضال فالطبيب نفسه جراح ، يجري عملية جراحيـة ، فـإذا سمعت نصيحته فقد اتبعت اسم الرؤوف ، وإن لم تستجب إلى نصيحته فأنت أمام اسم الـرحيم ، لذلك ورد في الحديث الشريف :

" إني والأنس والجن في نبأ عظيم ؛ أخلق ويعبد غيـري ، وأرزق ويشـكر سـواي ، خيري إلى العباد نازل ، وشرهم إلي صاعد ، أتحبب إلـيهم بنعمـي وأنـا الغنـي عـنهم ، ويتبغضون إلي بالمعاصي وهم أفقر شيء إلي ، من أقبل علي منهم تلقيته من بعيـد ، ومـن أعرض عني منهم ناديته من قريب ، أهل ذكري أهل مودتي ، أهل شكري أهل زيادتي ، أهل معصيتي لا أقنطهم من رحمتي إن تابوا فأنا حبيبهم ، وإن لم يتوبوا فأنا طبيبهم " .

إن تابوا فأنا رؤوف بهم ، وإن لم يتوبوا فأنا رحيم بهم ، الرأفة أن يحول بينـك وبـين الوقوع ، لكن الرحمة أن يعالجك عند الوقوع ، إن تابوا فأنا حبيبهم وإن لم يتوبوا فأنا طبيبهم ، أبتليهم بالمصائب لأطهرهم من الذنوب والمعايب ، الحسنة عندي بعشرة أمثالهـا وأزيـد ، والسيئة بمثلها وأعفو وأنا أرأف بعبدي من الأم بولدها .. ذلـك الله رب العـالمين ، حبيـب وطبيب ، حبيب إن اتبعنا منهجه ، وطبيب إن حدنا عن منهجه .

قال العلماء : " ومن رحمته بعباده أن يصونهم عن موجبات عقوبته ، وأن يعصـمهم عن الزلة "، وهذا أبلغ في باب الرحمن من غفران المعصية ، فأن يحول بينك وبين المعصية أبلغ من أن يغفرها لك .

وربما رحم عبداً بما يكون في الظاهر مشقة وشدة ، ولكنه في الباطن نعمة ورحمـة ، ولذلك فالإمام ابن عطاء الله السكندري يقول: " ربما أعطاك فمنعك ، وربما منعك فأعطاك " .

ويا أيها الاخوة الأكارم حقيقة أضعها بين أيديكم فلقد قال العلماء: " الحزن يصنع ، أما اليسر والغنى والشبع والترف فهذه لا تصنع شيئاً "، العبقريات تـأتي مـن الفقـراء غالبـاً ، والأزمات أحياناً تولد تفوقاً ، وتألقاً ، إبداعاً ، وابتكاراً ، أما الرخـاء والبحبوحـة والطعـام والشراب والأمن ، فلا تولد شيئاً ، و أحياناً يدفعك الخوف إلى بـاب الله .. وأحيانـاً تسـوق الشدائد الناس إلى باب الله عز وجل ، وتسمو و ترقى بهم .

ولذلك فالمجتمعات التي تنعم بالرخاء الكبير ، تجده حجاباً بينها وبين الله ، والمجتمعات التي تعاني ما تعاني ، فهذه المعاناة لعلها سوق من الله عز وجل الرؤوف إلى بابه ، لا تقل أنا أعاني من مشكلات ، والله الذي لا إله إلا هو ، وأنا أقسم بهذا ، لو أن الإنسان كشف الله لـه يوم القيامة عن حكمة المصائب التي ساقها إليه ، فلابد من أن يذوب حباً لله عز وجل ، فأفعال الله مدهشة .

وفي جامع النابلسي ، انتهى الدرس فاقترب مني شاب ، وقال : أريد أن ألتقـي معـك على انفراد ، قلت مرحباً بك ، فأخذته إلى البيت ، فقال : لي بالحرف الواحـد ، أنـا إنسـان أعمل في صنعة ، وصاحب هذه الحرفة ينكر وجود الله عز وجل ، وكنت عنـده صـغيراً ، وأقنعني أن هذا الكون ليس له خالق ، وافعل ما تشاء ، وقال لي : والله يا أسـتاذ ، مـا مـن معصية تخطر على بالك إلا فعلتها إلا القتل ، وأنا في بحبوحة ، والمال وفير ، وعندي محـل لتأجير أفلام منحطة ، ويدر علي مبالغ طائلة ، ونحن في أوج نشوتنا بهذا الـدخل الـوفير ، وهذا التفلّت من منهج الله ، واللقاءات التي لا ترضي الله ، والسفر بنية المعاصي ، والقصـة طويلة حل به وبشريكه مصاب جلل ، ذكر لي أن هذا المصاب من باب التقريب كـأن مطرقة أضرب بها على رأسي ، حتى إن رأسي تهشم ، وقال : لا مال ، بـل مـرض أنـا وزوجتي وأولادي ، وأنا أقول هذا الكون ليس له خالق ، إلى أن دخلت المسجد أول مرة فـي حياتي ، وصليت وأنا أبكي واصطلحت مع الله عقب هذه المصيبة ، وكانت هذه المصيبة سبب توبتي ،وقد ذكرت لكم مقتطفات من هذه القصة ، وحينما خرج والله الذي لا إله إلا هو قلت : يا رب ما أشد رحمتك بهذا الإنسان ، فلو أنك تركته على حاله يأكل ويشرب ويتنعم وينغمس في الموبقات إلى أن جاءه الأجل فاستحق جهنم إلى أبد الآبدين .

أخ كريم آخر حدثني عن قصة ورجاني أن أرويها لكم ، درس في فرنسـا ، وعـاش مجتمع التفلت ، فلما قدم إلى بلده ، قال جعلت من بيتي ملهى ، كل الموبقات في البيت ، وأنا أعتقد أن الحياة هكذا .

أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَـٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِىٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾
ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ
﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَـٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧيَ ٱلْمَوْتَىٰ ﴿٤٠﴾

(سورة القيامة)

أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَـٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾

(سورة المؤمنون)

قال لي فجأةً أصبت بمرض عضال ، كل شيء أمامي يهتز وفقدت التـوازن والتوافـق الحركي ، عشرون محاولة كي أمسك بكأس عشرون محاولة كي أمسك الملعقـة ،إنـه عـدم التوافق الحركي ، وعدم التوازن والأشياء كلها تتحرك وترتجف ، وقال لي : لقد التقيت بسبعة وثلاثين طبيباً في دمشق ، وكلهم عجز عن معرفة هذا المرض ، ثم ذهبت إلى بلد غربـي ، فقال لي الأطباء : إن هذا المرض يصيب الناس بنسبة واحد على ثلاثة عشر مليوناً ، وجاؤوا بطبيب يعد الأول في العالم في هذا المرض فبقي يعالجني ستة أشهر ، ثم قال لي : أنا أعلـم الأطباء بهذا المرض ، وليس لك علاج إطلاقاً ، فعد إلى بلدك أو اذهب إلى الهند فالتق ببعض البوذيين لعلك تألف هذا المرض ، وانتهى الأمر .. عاد إلى الشام ، وله قريب جلبه إلى بعض الدروس ، حيث كنا في الحاجبية وقتها ، وهو في الدرس قال: يا رب إن شفيتني لأصـلين ، وفي الدرس الثاني قلت : في سياق الحديث ، إن الله لا يجرب ولا يشارط ، فقال من تـوه والله يا رب لأصلين ، وأول مرة يصلي بحياته في الدرس الثاني ، أما حالته المرضـية فـلا تُطاق ، وكل شيء أمامه يترك ، اضطراباً في الصورة ، وعدم توافق حركـي ويقسـم بـالله العظيم أنه عاد إلى البيت وفجأةً ثبتت الصورة أمامه ، ومن شدة فرحه اختل توازنه وصاح ، ثم قام ليقف فوقع ، فأمسك الكأس فوقع ، أما الصورة فقد ثبتت ، وبعد حين عاد لـه التوافـق الحركي ، والتوازن وهذا الإنسان هو الآن من طلاب العلم ، ومـن رواد المسـاجد ! لقـد اصطلح مع الله ، وتاب توبةً نصوحاً .. ويقول لولا هذا المرض ..لجعلت بيتي باراً ، وجعلته كالنادي الليلي ، وكل المعاصي أقترفها .

فربنا عز وجل عندما يصر الإنسان على المعصية رحيم ، لكن الله حـريص علينـا ألا نقع ، وحرصه ألا نقع رأفة منه ، ومعالجتنا بدواء مر بعد أن نقع رحمة بنـا ، فهـو رؤوف ورحيم .

وفي أكثر من أربعين آية :

إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ

(سورة البقرة الآية ١٤٣)

كما تريد .. إن تابوا فأنا حبيبهم ، وإن لم يتوبوا فأنا طبيبهم .. لكن هنيئاً لمن اسـتجاب لرأفته ونال عطاءه قبل أن تدركه المصيبة .

وقد سألني أحدهم مازحاً ما فحوى هذه الدروس التي تُلقيها من عشرين عاماً في هـذه المساجد ، فأردت أن أداعبه ، فقلت له باللغة الدارجة " إما أن تأتيه ركضاً وإمـا أن يجلبـك ركضاً، فاختر واحدة من الاثنتين " .

وأنا والله أرى من الشرف بالإنسان ومن الذكاء والتوفيق أن يأتيه طوعاً ، وهو صحيح و معافى ، وسليم ، و آمن ، وغني ، وشاب ، لا أن يأتيه قهراً وقسراً على أثر مصيبة طاحنة والله عز وجل علاجه مر :

إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾

(سورة البروج)

وأحياناً يحمّل الإنسان ما لا طاقة له به ، فقد ذكر لي رجل : أنه أصيب بمرضين ، مرض عضال في الجهاز الهضمي ، ومثله في القلب ، والشيء الذي لا يحتمل أن أدوية القلب تؤذي جهاز الهضم وأن أدوية جهاز الهضم تؤذي القلب ، ولذلك اجتمع الأطباء وقالوا : لا تأخذ أي دواء :

لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾

(سورة البقرة)

و أحياناً فقر وقهر ومرض وجوع معاً ، فكلما كان الانحراف أشد كان العلاج مرأ أكثر ، والمؤمن يفهم على الله بالإشارة .

ورجل أساء إساءة ، وهو يتوقع من الله العقاب فانتظر أياماً ما حدث شيء ، فصـحته وبيته و أولاده ، كلها على ما يرام ، ففي الصلاة ناجى ربه ، وقال يا رب قد عصـيتك فلـم تعاقبني ، ووقع في قلبه أن يا عبدي قد عاقبتك ولم تدر ألم أحرمك لذة مناجاتي .

هذه الصلة هي روحية ، يحرص عليها حرصه على روحه ، فإذا انقطعت يعد هذا أكبر عقاب له ، الإنسان المستقيم المصطلح مع الله التائب إليه له منه مدد ، وله سكينة ، له ونـور يقذفه في قلبه ، وطمأنينة ، إنه متوازن ، في ظل الله ورحمته ، وحفظه ، وتوفيقه ، وتأييده ، و دعمه في الدفاع عنه ، فإذا خرق الاستقامة خرج من مظلة الله ، وحفظه فيعامل كما يعامل عامة الناس ، أما وأنت مستقيم فلك معاملة خاصة ، قال تعالى :

ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓا۟ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَٰفِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوٓا۟ أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴿١٤١﴾

(سورة النساء)

۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾

(سورة الحج)

وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوۡمِهِمۡ فَجَآءُوهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَٱنتَقَمۡنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيۡنَا نَصۡرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٤٧﴾

(سورة الروم)

وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٣٩﴾

(سورة آل عمران)

ومن رحمته بك أن يصونك عن ملاحظة الأغيار ، فلا ترفع حوائجـك إلا إليـه ، والله عز وجل إن رأى عبداً تعلق بعبد مثله فمن رحمته بهذا العبد أن يصونه عن الشرك ، ولـذلك فالذي تعلقت به يخيب ظنك دائماً والله يغار عليك أن تتجه إلى غيره وهو فقيـر ، وإذا كـان النبي عليه الصلاة والسلام لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً ، و الله وحده هو الذي يملك فلـذلك من رحمته أن يصونك عن ملاحظة الأغيار ، فلا ترفع حوائجك إلا إلى الواحد القهار .

قيل لبعضهم : سل حاجتك ، فقال من وضع قدمه على بساط المعرفة لا يحسن بـه أن يكون لغير الله عليه منة .

و أحد خلفاء بني أمية كان في الحرم المكي يطوف فالتقى بأحد كبار العلماء وأراد هـذا الخليفة أن يتقرب من هذا العالم ، فقال : سلني حاجتك قال : والله إني أستحي من الله أن أسأل في بيته غيره ، فلما خرج التقى به خارج الحرم ، فقال : سلني حاجتك ، قال : والله ما سألتها من يملكها أفأسألها من لا يملكها ، فلما أصر عليه ، قال : حاجتي أن تنقذني مـن النـار وأن تدخلني الجنة ، قال : هذه ليست لي ، قال : إذاً ليس لي عندك حاجة ، فهذه حاجتي الوحيدة .

وقيل لبعض الصالحين : ألك حاجة ، فقال : لا حاجة بي إلى من لا يعلم حـاجتي لأن الذي يعلم حاجتي هو الله ، يعلمها دون أن أسأله ، قال سيدنا جبريل لإبراهيم الخليل : ألـك حاجة ، قال : علمه بحالي يغني عن سؤالي .

فالرؤوف : هو الذي جاد بلطفه ، ومن بتعطفه ، والرؤوف هو المتعطف على المذنبين بالتوبة وعلى الأولياء بالحفظ ، وهو الذي صان أولياءه عن ملاحظة الأشكال وكفاهم بفضـله مؤونة الأشغال ، وقيل هو الذي ستر ما رأى من العيوب ثم عفا عما ستر من الذنوب .

والإمام الرازي رحمه الله تعالى يفرق بين اسم الرؤوف واسم الرحيم ، فيقول : واعلم أنه تعالى قدم الرؤوف على الرحيم والرأفة على الرحمة في الآيات التي تلوناها ، وهذا يقتضي وقوع الفرق بينهما ، وأيضاً أينما ذكر الله تعالى هذين الوصفين قدم الرأفة على الرحمة ، فلابد من بيان الفرق بين الوصفين ، والفرق هو أن الرحيم في الشاهد إنما يحصل لمعنى في المرحوم من فاقة وضعف وحاجة ، والرأفة تطلق عندما تحصل الرحمة في الفاعل من شفقة على المرحوم .

والمعنى دقيق سأشرحه لكم ؛ فالباعث في الرحمة هو المرحوم ، وأما الباعث بالرأفة فهو الراحم ، والمرحوم هو الإنسان إذا وقع في مصاب شديد يقتضي المصاب أن يحتاج إلى الرحمة، فالله رحيم أما هذا المخلوق قبل أن يصاب فمن كمال الله عز وجل ، حرصه على سلامته ، وهذا الحرص يقتضي الرأفة ، فالانطلاق في الرأفة من الله ، وفي الرحمة من العبد ، وهذا هو الفرق.

فمنشأ الرأفة كمال حال الفاعل في إيصال الإحسان ، ومنشأ الرحمة كمال حال المرحوم في الاحتياج للإحسان ، فالإنسان إذا احتاج إلى الرحمة فالله رحيم ، وأما ربنا عز وجل فلأنه منزه ولأنه كامل يحول بين عبده وبين أن يقع في السوء ، فالرأفة من الله والرحمة بسبب مصيبة ألمت بالعبد .

والرأفة والرحمة وردت في كتاب الله في أربعين موضعاً :

وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾

(سورة البقرة)

وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ

(سورة البقرة الآية٢٠٧)

يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٣٠﴾

(سورة آل عمران)

لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِىِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾

(سورة التوبة)

أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٤٧﴾

(سورة النحل)

أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٥﴾

(سورة الحج)

وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾

(سورة النور)

هُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦٓ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖ لِّيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴿٩﴾

(سورة الحديد)

وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِى قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾

(سورة الحشر)

والملاحظ أن هذين الاسمين وردا معاً لأنهما من طبيعة واحدة ، فواحد وقائي وواحـد علاجي ، والأول أشد والثاني أقل .

والآن ما الأدب الذي ينبغي أن نتأدب به مع اسم الرؤوف ؟ :

أولا : ينبغي أن نكثر من ذكر هذا الاسم كي نحب الله عز وجل لأن الله أسماؤه حسنى ، وصفاته فُضلى ، وكلما ذكرنا أسماءه الحسنى مال القلب إليه واشتاق العبد إلى لقيـاه فمـن الأدب أن نكثر من ذكر هذا الاسم .

والشيء الثاني : أن نتخلّق بأخلاق الله فنحول بين الناس وبـين أن يعصـوا ربهـم ، ونستخدم الأسلوب الوقائي لا العلاجي ، وأقرب شيء الأولاد ، فقبل أن يقع الابن في مشـكلة ويمد الأب يده لينقذه هناك شيء أهم من ذلك ، أن تحول بينه وبين أن يقع في هذه المشـكلة ، فالتربية الوقائية هي التخلق بأخلاق الله عز وجل ، فبين أن تربي ابنك تربية علاجية وبين أن تربيه تربية وقائية ، هناك فرق بين الرأفة والرحمة ، لذلك تخلّق بأخلاق الرؤوف وحل بـين الناس وبين أن يقعوا في مشكلة .

وافرض أنك صاحب محل وعندك موظف ، وأمورك مسيبة فالدرج ليس له قفل ، وأنت لا تدقق ، وعندما لاحظ الموظف أنه لا يوجد تدقيق وهناك تسيب ، سولت له نفسه أن يسرق فلما سرق وتابع في السرقة كشفت السرقة ، وتريد أن تنكل به عندئذ ، تريد أن تذيقه الأمرين

، و أن تفضحه ، وأن تشتكي عليه ، وأنت الذي ورطته ، فالآن تريـد أن تعالجـه ، وكـان الأولى بك أن تحول بينه وبين هذه المعصية ، وأن يشعر أن الأمـور عنـدك مضـبوطة ، حسابات دقيقة ، وصندوق يومي ، ومبيعات مسجلة وحينما تضبط الأمور تحول بـين النـاس وبين أن يأكلوا مالاً حراماً فأنت بهذا رؤوف ، أما عندما ورطته وفضحته حطمتـه وانتهـى الأمر .

هناك إنسان يهمل زوجته و لا يقوم بواجبه تجاهها ، إذ يغيب عن البيت عشرين ساعة ، ثم يكتشف أنها خانته ، و أنها منحرفة الأخلاق ، وعندئذ يريد أن يفعل بها الأفاعيل ، لا .. أنت لم تكن رؤوفاً بها ، بل سيبت الأمور وأهملت تربيتها حتى وقعـت فيمـا وقعـت بـه ، فحطمتها ، والتطبيق العملي .. أن تتخلق بأخلاق الله ، حلّ بين الناس وبين أن يقعـوا فـي المعصية ، وأن يفسدوا وهذا من أدب الإنسان مع اسم الرؤوف ، والله عـز وجـل ، جعلـك خليفته في الأرض ، لتتخلق بأخلاقه .

والقاعدة أن ؛ الإنسان إذا سرق .. فالسرقة جريمة ،و الحديث لا أذكر نصه الحرفـي ، هذا الذي يعين الناس على أن يسرقوا لغفلته وعدم انضباطه ليس أقل إثماً منهم ، إثمه كإثمهم ، لأن أموره غير مضبوطة .

فإذا اتفقت مع شريك بلا عقد ولا تسجيل ولا توثيق ، فهذا الشريك سولت له نفسـه أن يجعلك خارج المحل ، فسجل المحل باسمه ، وارتكب جريمة الغدر ، التي كنت السبب فيها ، فلو قيدته بعقد أصولي ، موثق في الجهات الرسمية ، لما سولت له نفسه أن يغدر بـك فأنـت حينما تحول بين الناس وبين أن يقعوا في المعاصي تكون قد تخلّقت باسم الرؤوف . " فتخلقوا بأخلاق الله " .

فأنت مع أولادك ، و طلابك ، أو مع صانع في المحل تزيل الحدود بينك وبينه فيتطاول عليك ، فيطرده ، فلولا أنك رفعت الحجاب وجرأته عليك ، لما اجترأ و لو أبقيته في مكانـه وأبقيت نفسك في مكانك لما احتجت أن تطرده وتوقع به الضرر.

فالذي يحول بين الناس وبين أن يسقطوا يتخلق بأخلاق الله ، إذاً حل بين الناس وبين أن يسقطوا ، واضبط الأمور ، ودقق .

و تشتري من عند بائع ، فتأتي آخر الشهر ، فتسأله كم الحساب فيقول : ثلاثـة آلاف ، فتدفعها دون أن تدقق ، وفي الشهر الثاني لا تدقق ولا تقول : أرني الحساب ، فسولت له نفسه فضاعف المبالغ ، فمن الذي حمله على السرقة ؟ أنت ! فلو أردت أن تحول بين الناس وبين أن يقعوا في المعاصي فتخلق بأخلاق الرؤوف .

و الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه بلغه أن رجلاً وراء النهر يروي أحاديـث عـن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فرحل إليه ولما ورد عليه وجده يطعم كلباً ، فسـلم عليـه ،

فرد الرجل السلام ثم اشتغل بإطعام الكلب ، ولم يلتفت إليه ، حتى انتهى فقال : لعلك وجـدت في نفسك إذ أقبلتُ على الكلب ولم أقبل عليك ، قال الإمام أحمد : نعم ، فقال الرجل : " حدثني أبو الزناد ، عن الأعرج عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قـال : من قطع رجاء من ارتجاه قطع الله رجاءه يوم القيامة فلم يلج الجنة " .

ثم قال الرجل : وأرضنا هذه ليس فيها كلاب ، وقد قصدني هذا فخفت أن أقطع رجاءه ، فقال الإمام أحمد يكفيني هذا الحديث ..

وقد ورد في بعض الأدعية ؛ اللهم أنت الرؤوف وقد انجـذبت إليـك القلـوب بحسـن العواطف وأنت الرحيم أحاطت رحمتك بالطائع والمخالف أشرق على قلبي بنـور الـرؤوف الحنان واجعلني أعطف على جميع بني الإنسان ، فأستغفر للمذنبين ، وأحب الهدى للكافرين ، وأتمنى التوبة للعاصين ، وأطلب الوسعة للمحتاجين ، فأنال قسطاً وافراً مـن ميـراث سـيد المرسلين عليه أتم الصلاة والتسليم إنك على كل شيء قدير .

أيها الإخوة ، هذه الدروس دروس أسماء الله الحسنى لها هـدفان كبيـران ، الأول أن تعرف الله ، والثاني أن تتخلق بأخلاقه ، الأول أن تعظمه ، والثاني أن تسمو إليـه ، الأول أن تعرفه والثاني أن تكون كاملاً ، متخلقاً بهذه الأسماء حتى تستحق جنة الله عز وجل .

والحمد لله رب العالمين

الـ ـ درس٥٨ – اسم الله : الغفور .

بسم الله الرحمن الرحيم

مع الدرس الثامن والخمسين من دروس أسماء الله الحسنى ، والاسم اليوم هو الغفور ، الغفور كما ورد في الحديث الصحيح من أسماء الله الحسنى ، والغفور كما تعلمون أصله فـي اللغة من مادة غَفَر ، وغفر بمعنى ستر ، والغَفْر هو الستر .

أما معنى اسم الغفور فهو كثير المغفرة للذنوب ، من مادة غفر ، واسم الفاعل غافر ، أما غفور فصيغة مبالغة لاسم الفاعل ، يعني كثير المغفرة .

غفر فلان شيئاً أي ستره ، والمغفرة التغطية على الذنوب والعفو عنها ، وقد قال بعض العرب : أسألك الغفيرة والناقة الغزيرة ، وعزة في العشيرة فإنها عليك يسيرة .. والغفيرة هي الستر .

والغفران من الله أن يصون العبد من أن يمسه العذاب ، و مغفرة الله ستر بينك وبـين العذاب ، وقد يقال : غفر له إذا تجاوز عنه في الظاهر ولم يتجاوز عنه في الباطن ، فالسـيئة مسجلة ولكن لم يعاقب عليها .

والغفور والغفار والغافر ؛ من أسماء الله الحسنى .

غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ ذِي ٱلطَّوۡلِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ إِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ٣

(سورة غافر)

فغافر من أسماء الله الحسنى ، وكذلك الغفار والغفور .

فيا أيها الإخوة الكرام : إن هذا الاسم من أقرب أسماء الله الحسنى إليكم .. لأن العبد من شأنه أن يذنب ، و الله من شأنه أن يغفر ، وما أمرك أن تستغفره إلا ليغفر لك ، وما أمرك أن تستغفره إلا لأن لما يعلم ضعفك ، وغفلتك أحياناً ، فالمغفرة علاج الضعف البشري أحياناً ، أو الغفلة ، ولولا أن الله تعالى غفور فما يحل بنا ؟ وما نفعل بذنوبنا ، وكيف نواجه ربنا ، لكـن الله سبحانه وتعالى غفور أي يستر ذنبك عن الخلق ويعفو عنك ويحول بينك وبين العقاب .

و الآن هناك معان جديدة في الغفور .. فأنت لضعفك أحياناً تغفر إذ لا تستطيع أن تنال من فلان ، فتسامحه ، لكن شأن الله جل جلاله غير هذا الشأن ، الغفور هو التام القدرة ، يعني

الله جل جلاله ، قدير إلى درجة أن الخلق كلهم جميعاً كن فيكون ، زل فيزول .. ومـع تمـام قدرته هو غفور .

وبالمناسبة ، فهناك فضائل خلقية لا قيمة لها إلا إذا رافقتها القوة فالعفو مثلاً ، من دون مقدرة لا قيمة له ، لكن أن تملك عدوك ويصبح في قبضتك ويرى نفسه صغيراً ، أو كأنـه لا وجود له ، فالآن تعفو عنه .

والنبي عليه الصلاة والسلام حينما دخل مكة فاتحاً .. وهـي التـي أخرجتـه ونكلـت بأصحابه وناصبته العداء عشرين عاماً ، وعزته مرات عديدة ، ولم تدع أسـلوباً ينـال مـن رسول الله وأصحابه إلا سلكته ، وقريش الآن كلها في قبضته.. مائة ألـف سـيف متـوهج ينتظرون حركة من شفتيه ، حياتهم رهن إشارته ، فقال لأهلها ما تظنون أني فاعل بكم ، قالوا أخ كريم وابن أخ كريم ، قال : " اذهبوا فأنتم الطلقاء " .

و العفو من دون قدرة لا قيمة له ، والحلم يحتاج إلى قدرة والأمانة لا قيمة لها إلا إذا لم تكن مديناً في الأرض ، فإن كان معك مال لإنسان مات فجأة ، ولم يعلم أحد بهـذا المـال ، فلست مديناً أمام الناس إطلاقاً ، وليس في الأرض كلها جهة تحاسبك عليه ، فأتيـت الورثـة ونقدتهم المبلغ ، فهذه هي الأمانة ، إنها خُلق ومن لوازمها أن لا تكون مـديناً فـي الأرض ، والعفو خلق من خصائصه أن تكون تام القدرة ، والمغفرة كذلك ، فالعفو والمغفرة والحلـم ؛ ينبغي لك أن تكون تام القدرة حتى تكون لهذه الخصائص الخلقية قيمة في الميزان الأخلاقي .

الغفور كما قال العلماء هو السيد التام القدرة ، وقد يغفر فضلاً وإحساناً منه قال تعالى :

إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ

﴿١١٨﴾

(سورة المائدة)

فالمنطق وسياق الآيات .. فإنك أنت الغفور الرحيم ، بل جاءت الآيـات " فَإِنـكَ أَنْـتَ الْعزِيز الْحكِيم ".

وإذا غفرت لهؤلاء فليس في الكون كله من يسأل الله لماذا غفرت لهم ، و أنت أحيانـاً تلتمس العذر من إنسان قوي ، فيقول لك أنا بإمكاني أن أعفو عنك ولكن أحاسب لـم عفـوت عنك، لكن الله سبحانه وتعالى إذا أراد أن يغفر لعبد ذنباً فمن يحاسبه ، ومن يسأله ، ليس مـن شأن الإله أن يسأل عما يفعل ، قال تعالى :

لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾

(سورة الإنبياء)

فلذلك الغفور هو السيد التام القدرة ، وقد يغفر فضلاً وإحساناً منه من دون قيد أو شرط .

وأرجو أن أوضح لكم هذه الحقيقة من دقيقة دقيقة في علم التوحيـد .. فـالله سـبحانه وتعالى طليق الإرادة لا يقيده شيء ، والإنسان مهما علا في الأرض فهناك قواعد تقيد سلوكه ، و شأن الإله أنه لا يسأل عما يفعل ، إذا عفا وإذا غفر وإذا أعطى وإذا منع ، لكنه طمأننا ، وقال :

إِنِّى تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّى وَرَبِّكُمْ ۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾

(سورة هود)

وقال : " يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته محرماً بينكم فلا تظالموا ، يـا عبادي كلكم ضال إلا من هديته فاستهدوني أهديكم ، كلكم عار إلا من كسوته ، فاستكسوني أكسكم ، كلكم جائع إلا من أطعمته فاستطعموني أطعمكم " .

فالله عز وجل طليق الإرادة ، لا يقيد تصرفاته شيء ، ولذلك يعفو من دون قيد أو شرط ، ويعطي ويمنع ، ولكن الله سبحانه وتعالى ، ألزم نفسه إلزاماً ذاتياً بالاستقامة ، وقـال : "إن ربي علىٰ صراط مستَقيمٍ "

حرم على نفسه الظلم :

مَّنْ عَمِلَ صَـٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّـٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾

(سورة فصلت)

يَوْمَ نَدْعُوا۟ كُلَّ أُنَاسٍۭ بِإِمَٰمِهِمْ ۖ فَمَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَٰبَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧١﴾

(سورة الإسراء)

وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴿١٢٤﴾

(سورة النساء)

يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۚ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾

(سورة فاطر)

لا قطمير ولا فتيل ولا نقير .

فالله عز وجل إذا ألزم نفسه بالعدل فالإلزام ذاتي ، وإذا ألزمها بالعفو فالعفو ذاتي ، أما أن يكون هناك قاعدة تقيد الله عز وجل .. فهو وحده الذي لا تُقيده قاعدة .

وقيل : إن الغفار هو الذي إن تكررت منك الإساءة وأقبلت عليه فهو غفارك وسترك ، والإنسان أحياناً يغلط ، فإذا بلغ هذا الغلط إنساناً فيفضحه بين الناس ، لكن الله عز وجل غفور ، ويظهر للناس أحسن ما عندك ويخفي عنهم القبيح ، وهذا من كمال الله عز وجل فقد جمـل الإنسان بهذا الجلد ، فلو نظرت إلى جسم الإنسان عضلات فقط ، فشيء مخيف ، ففي وجهـه مائة عضلة ، وقد جمله بهذا الجلد ،و بهذه الثياب ، وبستر العيوب ، والإنسان قد يخطـئ و ينحرف ، ويزل ، لكن ربنا عز وجل يغفر ويستر ويبدي للناس أحسن ما عندك .

وقد ورد اسم الغفور في القرآن الكريم في أماكن كثيرة ، زادت عن تسعين آية تقريباً ، قال تعالى :

لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغۡوِ فِيٓ أَيۡمَٰنِكُمۡ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتۡ قُلُوبُكُمۡۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٞ ٢٢٥

(سورة البقرة)

ومعنى غفور كثير المغفرة ، إذ يقع الإنسان بذنب فيغفر له ، ومرة ثانية و ثالثة ، وقـد تقتضي الحكمة أن يفضحه ، أو أن يعاقبه ، لكن الغفور كثير المغفرة ، ورد أن سيدنا عمـر ضبط سارقاً فقال والله يا أمير المؤمنين هذه أول مرة ، فسيدنا عمر يعرف عن الله الشـيء الكثير ، قال: كذبت إن الله لا يفضح من أول مرة ، فظهرت أنها الثامنة .. " . ومن أخـلاق الله عز وجل أنه حليم ، فالإنسان إذا غلط ، فحينما يألف الغلـط و ينقلـب إلـى قاعـدة ، و يستشري ، فعندئذ يؤدبه، أو يفضحه .

أقرأ اليوم بالجريدة ، أن باخرة إفرنسية رست في ميناء إفريقي فتسلل إليها تسعة زنوج من البلادة التي رست فيها خفية ، واختبؤوا بين الآلات والباخرة في عرض البحـر ، فكشـف ربان الباخرة ، أن فيها تسعة رجال من هذه البلادة التي كان راسياً في مينائها ، فانظروا إلـى قسوة الإنسان ، فربان الباخرة أصدر أمراً بقتلهم ، فاستدرج واحد تلو الآخر وأُطلق عليه النار وتولى بحاران إلقاءهم في البحر ، فهذه الجريمة إذا وقعت على تسعة أشخاص وتم إعـدامهم وإلقاؤهم في البحر فليس لها أثر إطلاقاً ، لكن : التاسع استطاع أن يختبئ في مكان لم يعثروا عليه و بعد أن رست في ميناء آخر ، استطاع أن يهرب إلى ذلك البلـد واتصـل بالشـرطة وأخبرهم ، بالأمر فجرت محاكمة في فرنسا وحكموا على الربان بالمؤبـد وعلـى البحـارة بعشرين سنة ، لكن هذا الذي نجا أنجاه الله عز وجل ليكشف الأمر ويعاقب هؤلاء المجرمين .

فالله عز وجل حينما يفضح يكون هناك إصرار على الذنب وعلاقة هذه القصـة بهـذا الدرس، إن الله عز وجل لا يفضح من أول مرة ، فالإنسان عندما يألف الذنب ويثبت عليـه ، ويصر ويجعله سلوكاً ثابتاً ، فعندئذ يفضحه ربنا سبحانه وتعالى ، ويؤدبه ويعاقبه ، و أخلاق ربنا عز وجل إذا غلط إنسان ولجأ إليه مستغفراً ، فالله عز وجل يغفر ذنبه ، وقد قال تعالى : " والله غَفُور حليم " .

يغفر ثم يغفر ثم يغفر ، أما إذا كان هناك إصرار ، واستمرار على المعصية ، وعـدم مبالاة فالله يفضح .

وفي آل عمران :

قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾

(سورة آل عمران)

هناك غفور حليم وهنا غفور رحيم ، أي رحمته بكم دعته إلى مغفرة ذنوبكم ، فلنلاحظ الأم وابنها ، فمهما أخطأ في حقها فقلبها يتسع لأخطاء الولد كلها .

فالله عز وجل غفور حليم ، حلمه يستدعي أن يغفر لكم المرة تلو المـرة ، أمـا هنـا فرحمته تقتضي أن يغفر لكم .

وفي سورة المائدة :

إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهِمْ ۖ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٤﴾

(سورة المائدة)

وهذه الآية إذا قرأها حقوقي فسوف يقشعر جلده ، إذ بكل دساتير العالم مادة وهـي أن القوانين لا يمكن أن تعمل بمفعول رجعي ؛ فشيء لم يكن محرماً ولم يكن ممنوعاً ، ثم صدر أمر بمنعه ، أيمكن أن نعاقب أناساً مارسوه قبل المنع ، فهذا منتهى الظلم ، أن تصدر قانونـاً وتعمله بمفعول رجعي ، "إلا الذين تابوا من قبل أن تقْدروا عليهم فاعلموا أن الله غَفُور رحيم "

فإذا تابوا بعد أن قدرتم عليهم فتوبتهم كاذبة ، لكنهم كانوا أحراراً وتابوا ، ثم وقعوا في قبضتكم فليس لكم عليهم من سلطان .. وهذه الآية هي الوحيدة التي تشير إلى أنه لا يجوز أن تُطبق الأحكام بمفعول رجعي " فاعلموا أن الله غَفُور رحيم " .

وفي المائدة أيضاً :

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْـَٔلُوا۟ عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلْقُرْءَانُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهَا ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٠١﴾

(سورة المائدة)

هل لاحظتم الأسماء ، فاسم الغفور يتناوب بين اسم الرحيم وبين اسم الحلـيم ، فربنـا سبحانه وتعالى حلمه يستدعي أن يغفر لكم المرة تلو المرة ورحمته تقتضي أن يغفر لكم .

وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِـَٔايَـٰتِنَا فَقُلۡ سَلَـٰمٌ عَلَيۡكُمۡۖ كَتَبَ رَبُّكُمۡ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَۖ أَنَّهُۥ مَنۡ عَمِلَ مِنكُمۡ سُوٓءَۢا بِجَهَـٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعۡدِهِۦ وَأَصۡلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٥٤﴾

(سورة الأنعام)

وهناك موضوع أرجو الله سبحانه وتعالى أن يمكنني من توضيحه فـي هـذا الـدرس بالذات ، الذي يجذب النظر قوله تعالى :

۞ نَبِّئۡ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلۡعَذَابُ ٱلۡأَلِيمُ ﴿٥٠﴾

(سورة الحجر)

۞ قُلۡ يَـٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَأَسۡلِمُواْ لَهُۥ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلۡعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحۡسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلۡعَذَابُ بَغۡتَةٗ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ﴿٥٥﴾ أَن تَقُولَ نَفۡسٞ يَـٰحَسۡرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّـٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾

(سورة الزمر)

فما الحكمة إذ ، كلما ذكر الله عظيم رحمته ، ومغفرته وحلمه ذكر شديد عقابه ، فمـاذا يعني؟ يعني ذلك أن الله غفور إذا عدت إليه ، وغفور إذا استغفرته ، وغفور إذا تبت من ذنبك ، و أصلحت وأخلصت ، فهذه الأسماء الحسنى ، والصفات الفضلى في الله عز وجل لا يمكن أن تكون مبتذلة ، وهذه الصفات غفور إذا أقبلت عليه وتبت ورجعت إليه ، وأقلعت عن الذنب وندمت فهو غفور .

لذلك ورد أربع أو خمس آيات ثم إن ربك للذين تابوا وآمنوا وعملوا الصالحات إن ربك من بعدها لغفور رحيم ، إذا من السذاجة وضيق الأفق والجهل أن تُعلق آمالاً على مغفـرة الله وأنت مقيم على معصية ، فمن الغباء والحمق والجهل أن تقول الله غفور رحيم وأنت لا تفكر بالتوبة وإن لم تفكر بها فاقرأ تتمة الآية : "نَبئْ عبادي أَني أَنَا الْغَفُور الرحيم وَأَن عذَابِي هـو الْعذَاب الأَلِيم " .

وَٱلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ثُمَّ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِهَا وَءَامَنُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعۡدِهَا لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿١٥٣﴾

(سورة الأعراف)

الآية واضحة ، " والذين عملُوا السيئات ثُم تَابوا من بعدها وآمنُوا إن ربك مـن بعـدها لَغَفُور رحيم ".

وفي الأنفال :

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِي أَيۡدِيكُم مِّنَ ٱلۡأَسۡرَىٰٓ إِن يَعۡلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمۡ خَيۡرٗا يُؤۡتِكُمۡ خَيۡرٗا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ

(سورة الأنفال آية ٧٠)

وأريد أن أقف قليلاً عند هذا المعنى ، أي كل إنسان إذا علم الله منه الندم والألم على ما ارتكب ، فالله عز وجل غفور رحيم والاستغفار من أسباب سعة الرزق :

فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم
مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ
أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾
أَلَمْ تَرَوْا۟ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ
نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ
يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾

(سورة نوح)

فالاستغفار من أسباب سعة الرزق ، إنجاب الأولاد ، نزول الأمطار .

و يروى أن الحسن البصري دخل عليه رجل قال له : يا إمام إن زوجتي لا تنجب فقال له استغفر الله ، ثم جاء رجل آخر ، فقال يا إمام السماء لا تمطر فقال استغفر الله ، ثم جـاء ثالث فقال يا إمام : إن الله قتر علي بالرزق ، فقال له استغفر الله . وأحدهم جـالس بقربـه ، فقال عجب لأمرك يا إمام أوكلما دخل عليك رجل تقول له استغفر الله ، قال : اسـمع قولـه تعالى : " فَقُلْتُ استَغْفروا ربكُم إنه كان غَفارًا يرسلْ السماء عليكُم مدرارًا ويمـددكُم بِـأموالٍ وبنين ويجعلْ لكُم جنات ويجعلْ لكُم أنْهارًا " .

أي إن عظمتم ربكم حق التعظيم أمدكم بالأموال والبنين ، والإنسان أحياناً يتألم لما يحل بالمسلمين في شتى بقاع الأرض من قلة المطر لكن لا ينبغي له أن يتألم ألماً شديداً ، بل عليه أن يرجع ، إلى أن هؤلاء لو أنهم استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقاً .

وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ
وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾

(سورة الأعراف)

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾

(سورة محمد)

۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾

(سورة الحج)

ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓاْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَٰفِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوٓاْ أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴿١٤١﴾

(سورة النساء)

وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾

(سورة النور)

وما الذي يمنع إذا قرأنا القرآن أن نستنبط آيات الوعد الإلهي للمؤمنين والله عز وجل هل يعقل ألا يفي بوعده ، وإذا وعد الله المؤمن بالحياة الطيبة ، فهل يعقل أن تكون حياة المؤمن غير طيبة ، وإذا وعد الكافر بالمعيشة الضنك فهل يعقل أن يسعد الكافر بالمال والنساء والآية تقول :

وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾

(سورة طه)

مستحيل .. ولذلك لما أوحى ربنا عز وجل إلى أم موسى أن أرضعيه فإذا خفت عليه فألقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين ، أمرها بأمرين ونهاها عن شيئين وبشرها ببشارتين وقالت لأخته قصيه فبصرت به عن جنب وهم لا يشعرون ، وحرمنا عليهم المراضع ، فقالت هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون ، فرددناه إلى أمه كي تقر عينها ولا تحزن ولتعلم أن وعد الله حق ولكن أكثر الناس لا يعلمون .

دققوا في الآية :

فَرَدَدْنَـٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾

(سورة القصص)

"أن وعد الله حق " فالله ماذا وعدنا ، هذا موضوع لطيف جداً ، ابحث في كتاب الله عن وعوده ، ضعها في قائمة ، ثم ابحث عن موجبات هذه الوعود ، فالنبي كان يقول " اللهم إني أسألك موجبات رحمتك " .

ابحث عن موجبات رحمة الله ، إن إله خالق الكون ، وأحياناً يخطف أشخاص طائرة ، فتعدهم الدولة صاحبتها فلا تنقض وعدها وهي دولة مادية علمانية أحياناً ، فلا يمكن لخالق الكون، خالق السماوات والأرض إلا أن يفي بوعده .

وقد اكتشف العلماء قبل شهر تقريباً مجرة بعدها عن الأرض ثلاثمائة ألف بليون سنة ضوئية ، فما هذا الرقم ، يعجز خالق هذا الكون أن ينجز وعده لا .

وإذا قرأ الإنسان القرآن الكريم واستنبط آيات الوعد الإلهي ، الذي وعدنا بالنصر ، و بالحفظ ، وبالتأييد ، و بالتوفيق ، ألا يجعل لكافر علينا سلطاناً ومن وعدنا بالاستخلاف والتمكين، والتطمين ، فأين هذه الوعود إنها لحق كلها .

و أخشى ما أخشاه أن تنطبق علينا الآية الكريمة :

۞فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيّٗا ﴿٥٩﴾

(سورة مريم)

وقد لقينا ذلك الغي ، فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسـوف يلقون غياً ، وإذا أردنا أن نعرف كيف يتبع الناس الشهوات فلنصعد إلى سطوح بيوتنا ولننظر ماذا على السطوح التي حولنا ، " فَخَلَفَ من بعدهم خَلْفٌ أضاعوا الصلاةَ واتبعـوا الشـهوات فَسوفَ يلْقَون غَيا "، هان أمر الله عليهم فهانوا على الله ، أما وإن الله غفور رحـيم ، ولكـن بشرط أن تعود إليه ، وأن تتوب إليه ، وأن تؤوب ، وأن تندم على ذنبك ، وأن تقلـع عنـه ، وهذه الآية أيها الإخوة لها في نفسي أثر كبير :

وَٱلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ثُمَّ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِهَا وَءَامَنُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعۡدِهَا لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿١٥٣﴾

(سورة الأعراف)

فهذه كلمة غفور رحيم إذ يقول المنحرف لا تدقق الله غفور رحيم فضع مخالفاتك في رقبتي الله ، وهذا كلام الجهل ، فهو غفور رحيم إذا تبت ورجعت إليه .

وَإِن يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ بِضُرّٖ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَۖ وَإِن يُرِدۡكَ بِخَيۡرٖ فَلَا رَآدَّ لِفَضۡلِهِۦۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾

(سورة يونس)

دققوا في هذه الآية ، " وإن يمسسك الله بضر " ، المس ، أحياناً تريد أن تمتحن حرارة المكواة ماذا تفعل ، تضع اللعاب على إصبعك ، وتضع إصبعك بأضيق مساحة وبأقصر زمن باللعاب ، هذا هو المس ، فالعذاب يمس الإنسان مساً .

قال : " وإن يمسسك الله بضر فَلَا كَاشفَ لَه إلا هو وإن يردك بِخَيرٍ " ، الخير مراد من الله، أما الضر غير مراد ، فالضر علاج أما الخير فمراد ، " فَلا رادَ لِفَضله يصيب بِه من يشَاء من عباده وهو الْغَفُور الرحيم " .

و لما ذكر ربنا عز وجل اسمه الغفور في كتابه تسعين مرة من أجل أن تطمئن القلوب ، قلوب العصاة وتسكن نفوس المجرمين أي بصراحة من لنا غير الله عز وجل ، مهما فعلت من ذنوب فليس إلا الله ، وفي النهاية نحن إليه ، والدعاء الشريف : " اللهم أنا بك وإليك " ، أنا بك قائم بك وإليك .. :

إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾

(سورة الغاشية)

" عبدي رجعوا وتركوك ، وفي التراب دفنوك ولو بقوا معك ما نفعوك ولم يبق لك إلا أنا وأنا الحي الذي لا يموت " .

أعرف رجلاً من عشرين سنة طريح الفراش ، وأقرب الناس إليه يتمنى أن يخف الله عنه، وأعرف أناساً كثيرين ، لا يشعرون بألم ولا يشكون شيئاً ، وبثانية واحدة كانوا من أهل القبور ، فالمغادرة سريعة ، أنا ولا أجد أعقل من إنسان يستعد لهذه الساعة ، بعلاقاته وحساباته وماله وما عليه ، ومن الحقوق والواجبات ، والتوبة النصوح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وبطلب العلم وبتعليمه ، والأمور كلها متاحة .

لو أتيتني بملء السماوات والأرض خطايا غفرتها لك ولا أبالي " .

والله أيها الإخوة سمعت عن فتيات عملن في الفن في قطر عربي مشهور ، ورقصن وغنون وفعلن كل أنواع الموبقات ، ثم بعضهن تاب إلى الله توبة نصوحاً ، وأسدلن الحجاب على وجوههن ، وقد قرأت عنهن كتيباً يعبرن فيه عن مشاعر الإيمان بأسلوب يعجز عن وصفه الإنسان ، هذه الراقصة التي أمضت كل حياتها في المعاصي وفي الموبقات وفي عرض صوتها الجميل ثم هي الآن تائبة منيبة محجبة فالله عز وجل لو لم يكن كذلك فمن لنا غيره ، وليس الأمر أن أفعل الموبقات ، لكن لا تيئس أبداً فاليأس يعني الكفر :

يَٰبَنِيَّ ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾

(سورة يوسف)

والقنوط يعني الكفر ، والله عز وجل فتح باب رحمته لكل مخلوقاته قال :

وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ فَسَأَكۡتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤۡمِنُونَ ﴿١٥٦﴾

(سورة الأعراف)

والآية الآتية لا تنسوها .

فهي أرجى آية في كتاب الله : " قُلْ ياعبادي الذين أسرفُوا على أَنْفُسهم لا تَقْنَطُوا من رحمة الله إن الله يغْفر الذنُوب جميعًا إنه هو الْغَفُور الرحيم " .

فمهما كثرت الذنوب تعلّق باسم الغفور ، ولا أريد أن يكون الذنب حجاباً بين المذنب وبين الله ، ولا أقبل ذلك ، لأن اليأس يعني الكفر . والله عز وجل قال : " غَافِرِ الذنْبِ وقَابِلِ التوبِ شَدِيد الْعقَابِ ذي الطول لا إِلَه إِلا هو إِلَيه الْمصير " . إن لم تتب ، فذو الطول .

الآية الثانية : " وإِني لَغَفار لِمن تَاب وآمن وعملَ صالِحًا ثُم اهتَدى " .

وهنا تفرقة لطيفة لغوية بين اسم الغفور وبين اسم الغفار ، الغفور ينبئ عن نوع مبالغة ناشئة بالإضافة إلى مغفرة متكررة فهذا مرتكب ثلاثمائة ذنب فالله غفور ، يغفرها له كلها ، وآخر له ذنب كبير ، فالله عز وجل غفار ، فغفار للنوع وغفور للكم .

وقد ذكرت لكم قصة قرأتها في قصص العرب ، عن إنسان يطوف حول الكعبة ، ويقول : ربي اغفر لي ذنبي ولا أظنك تفعل ، ووراءه رجل مؤمن فقال له : يا هذا ما أشد يأسك من رحمة الله ، قال له : ذنبي عظيم ، قال ما ذنبك ، قال : كنت في حملة مع أمير في قمع فتنة ، فلما قمعت الفتنة أُبيحت لنا المدينة ، فدخلت أحد بيوتها ، فرأيت فيها رجلاً وامرأة وولدين ، فقتلت الرجل وقلت للمرأة أعطني كل ما تملكين فأعطتني دنانير ذهبية ، فقتلت ولدها الأول ، فلما رأتني جاداً في قتل الولد الثاني أعطتني درعاً مذهبة ، فلما أمسكتها أعجبتني ، فإذا عليها بيتان من الشعر قرأتهما فصعقت ، كتب على هذا الدرع :

إذا جار الأمير وحاجباه وقاضي الأرض أسرف في القضاء
فويل ثم ويل ثم ويـل لقاضي الأرض من قاضي السمـاء

والله كبير ، فلذلك كلمة غفور .. مهما كثرت ، وكلمة غفار مهما عظمت ، فهي صيغة مبالغة ، والمبالغة نوعان ، مبالغة كم ، ومبالغة نوع .

غافر الذنب ، أي إذا كان عليها ذنب واحد وغفره لك فهو غافر ، وإن كانت ثلاثمائـة ذنب وغفرها لك فهو غفور ، وإن كان ذنباً لا يحتمل فهو غفار ، هذا الفرق بين غافر وغفور وغفار.

و كما تعلمون دائماً تخلقوا بأخلاق الله ، فحظ المتخلّق باسم الغفور أن يداوم الاستغفار ، والورد الثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " إني أستغفر الله في اليوم مائـة مـرة "، والأولى للإنسان أن يستغفر صباحاً ومساءً ، صباحاً لما جرى في الليل ، ومساءً لما جرى في النهار ، لكن أخشى أن تفهموا أن الله غفور رحيم إذاً فالقضية سهلة ، لا .. فهذه مغفرة وقائية ، فاستغفر من أجل ألا تقع في الذنب وليس الأمر افعل ما تشاء واستغفر فهذا غيـر مقبـول إطلاقاً ، والإنسان حينما يفعل معصية ويعلم أنها معصية ينشأ حجاب بينه وبين الله ، فـالأمر صعب أن يستغفر .

وأن يغفر الأخ للعباد فيما يرتكبونه ، فهناك شخص حقود وشخص غفور ، فإذا غلـط الإنسان مع غفور يحس أن القضية سهلة ، إذ يقول لك كأن لم تكن، أما مع حقود فيقول لك أنا قلبي أسود لا أنسى . خطيئة جعلنا الله من الذين إذا أُسيء إليهم غفروا .

و لا أعتقد إنساناً أساء كما أساء مسطح إلى سيدنا الصديق حينما اتهم ابنته السيدة عائشة زوجة رسول الله بالزنا ، وكان الصديق يعطيه معونة فقطعها ، فقال تعالى :

وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينَ وَٱلْمُهَـٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾

(سورة النور)

يعني اغفر ليغفر الله لك ، أتعتقد أن هناك إساءة أبلغ من هذه الإساءة ، أن يتحدث عـن ابنتك الطاهرة أنها زانية ، ومع ذلك أمره الله أن يعفو وأن يصفح وأن يعود إلى ما كان عليه من المعونة ، بكى سيدنا الصديق وقال : بلى أحب أن يغفر الله لي .

المؤمن المتخلّق بهذا الاسم لا يرى عورة إلا سترها ، ولا زلّة إلا غفرها ، وإن اعتذر إليه أخ قبل منه وعامله بالإحسان ، ويقابل جميع إساءته بالغفران ، لأن صاحب الخلق حينئـذ يصير بين الناس كالشجرة الظليلة ، تُرجم بالحجارة وتلقي عليهم الثمار ، وهكذا المؤمن .

ودعاء النبي صلى الله عليه وسلم :

حدثني شَداد بن أوس رضي الله عنْهما عن النبي صلى اللهم عليه وسلام سيد الاستغْفَار أن تَقُولَ اللهم أنْتَ ربي لا إله إلا أنْتَ خَلقْتَني وأنَا عبدك وأنَا على عهدك ووعدك ما استَطَعتُ أعوذُ بِك من شَر ما صنَعتُ أبوء لك بِنعمتك علي وأبوء لك بِذَنْبي فَاغْفر لِي فَإنه لا يغْفر الذنُوب إلا أنْتَ قَالَ ومن قَالها من النهار موقنًا بِها فَماتَ من يومه قَبلَ أن يمسي فَهو من أهل الْجنة ومن قَالها من الليل وهو موقن بِها فَماتَ قَبلَ أن يصبح فَهو من أهل الْجنة *

(صحيح البخاري)

ورد بالأثر وبالأحاديث الصحيحة :

عن أبي هريرةَ قَالَ قَالَ رسولُ الله صلى اللهم عليه وسلام الصلاةُ الْمكْتُوبةُ إلى الصلاة التي بعدها كفارةٌ لِما بينَهما قَالَ والْجمعةُ إلى الْجمعة والشهر إلى الشهر يعني رمضان إلى رمضان كفارةٌ لِما بينَهما *

(مسند الإمام أحمد)

والإنسان يوم الجمعة كأنه فتح مع الله صفحة جديدة بعد الصلاة فإذا غلـط .. فكـل صلاة تمحو ما قبلها ، ونحن من شأننا أن نستغفر وما لنا غير الاستغفار ، واليأس من رحمة الله كفر ، وكل إنسان يقول ذنبي كبير فهو لا يعرف الله عز وجل ، فعلينا أن نسـتغفر ، والله ما أمرنا بالاستغفار إلا ليغفر لنا .

قال سيدنا الصديق للنبي : علمني دعاء أدعو به في صلاتي ، قال قل : اللهم إني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً ، فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت فاغفر لـي مغفـرة مـن عنـدك وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم " .

وقال الأصمعي : وقف أعرابي أمام الروضة الشريفة ، فقال : اللهم هذا حبيبك ، وأنـا عبدك ، والشيطان عدوك ، فإن غفرت لي سر حبيبك وفاز عبدك وغضب عدوك ، وإن لـم تغفر لي غضب حبيبك ، ورضي عدوك وهلك عبدك ، وأنت أكرم من أن تغضب حبيبـك ، وترضي عدوك ، وتهلك عبدك .

وقال يا رب إن العرب الكرام إذا مات فيهم سيد أعتقوا على قبره وإن هذا سيد العالمين فأعتقني على قبره .

وإذا كان للإنسان له مع الله مناجاة ، فالصادق مع الله يغفر له ، وإذا كان عند عزيمـة أكيدة أن لا يرجع إلى الذنب ، فليس إلا الله عز وجل في الوجود ، وهذا الاسم يمحي الماضي كله ، بلمحة البصر ولا يدع شيئاً .

والله عز وجل إذا غفر يستر ، فمع المغفرة ستر ، ويظهر للناس أجمل ما عندك ويخفي عنهم السيئات ، والماضي لا ينقله الله للآخرين .

وهناك امرأة زنت وأقيم عليها الحد وتابت ، وبعد حين جاءها خاطب ، وأخوها أحـب أن يكون ناصحاً ، فاستشار سيدنا عمر ، وقال : إن أختي خطبها فلان أفأذكر له ما كان منها ، قال والله لو ذكرت له ما كان منها لقتلتك ، وهناك رواية لعلوتك بهذه الدرة .

وإذا شيء وقع وانتهى فالسكوت أولى .. فشخص غلط غلطة ، فشاعت عنه وتمضـي السنون إلى عشرين ، وقد صار إنساناً فاضلاً ، وكلما ذُكر ذكروا غلطة وهذا لؤم بالإنسان ، اعفُ عن الماضي .

والنبي الكريم قال : " أمرني ربي بتسع أن يكون صمتي فكراً ونطقي ذكـراً ونظـري عبرةً، وأن أصل من قطعني وأعفو عن من ظلمني وأعطي من حرمني " .

والحمد لله **رب العالمين**

الـ ـدرس٥٩ – اسم الله : المنتقم .

بسم الله الرحمن الرحيم

مع الدرس التاسع والخمسين من دروس أسماء الله الحسنى والاسم اليوم هـو المنـتقم وكلمة المنتقم إذا وصف بها إنسان من البشر فالأمر يختلف عما إذا كانت اسماً من أسماء الله ، لأن الله سبحانه وتعالى أسماؤه كلمها حسنى ، والدليل قول الله عز وجل :

وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ

(سورة الأعراف)

و قد يتصف إنسان بالانتقام فلا نحبه ، لكن الله سبحانه وتعالى حينما يضع للظالم حداً ، فيوقفه عند حده ، ويحجزه عن أن يؤذي الآخرين فهذا المعنى يليق بحضرة الله جل جلالـه ، وهذا الاسم الجليل مشتق من الانتقام ، والنقمة هي العقوبة ، والله جل جلاله يعاقب ليـؤدب ، ويؤدب ليسعد .

وقد ذكرت لكم من قبل أن الشر المطلق لا وجود له في الكون لأن وجوده يتناقض مـع وجود الله ، ولأن الله جل جلاله ذات كاملة ولله الأسماء الحسنى ، ويمكن أن نصف هذه الذات الكاملة بالوجود والوحدانية والكمال ، فأي اسم اتصف الله به أو سمى نفسه بـه ، ينبغـي أن نفهمه فهماً يليق بكمال الله .

والمنتقم من الانتقام ، والنقمة هي العقوبة والمنتقم الذي يعاقب من يشاء ، أما الإنسـان فلا يستطيع أن يعاقب من يشاء إذ لا يعاقب إلا من هو دونه ، ولا يستطيع أن يعاقب نـداً أو مساوياً له ، وأما أن يعاقب من هو أعلى منه فهذا مستحيل ، لكن الله سبحانه وتعالى ينتقم ممن يشاء ؛ أي يعاقب من يشاء ، فإذا كنت مع القوي فأنت قوي ، مهما يكن عـدوك كبيـراً ، أو قوياً أو جباراً، أو طاغياً ، أو متطاولاً ، فالله جل جلاله أكبر ينتقم منه ويوقفه عنـد حـده ، ويحجزه عن أن يؤذي خلق الله عز وجل وبهذا المعنى نفهم الانتقام .

فلو أنك في الدنيا رأيت إنساناً شارداً مجرماً عاتياً يقتل ويسرق ويفعـل فحينمـا يلقـى القبض عليه وتُحجز حريته يشعر الناس جميعاً بالراحة لأنه حجز عن أن يؤذي خلق الله عـز وجل ، فالانتقام في هذا المعنى يليق بكمال الله جل جلاله .

قال بعض العلماء : " المنتقم في حق الله تعالى هو الذي يقصم ظهور الطغـاة ويشـدد العقوبة على العصاة ، والانتقام أشد من العقوبة العاجلة التي لا تمكن صاحبها من الإمعان في المعصية ، لكن المنتقم هو الذي يعاقب عقوبة تمنع المعاقب من أن يقع في المعصية " وربنـا عز وجل هو الطبيب .

وقد تجد إنساناً فتسأل كيف يصلح هذا الإنسان ، و يعود إلى الله و يستقيم على أمـره ، فتجد أن الله جل جلاله عاقبه بعقاب أو ساق له شدةً تحار لها العقول إذاً هو يقف عند حـده ، ويرتدع ويعود إلى ربه ويسلك الطريق القويم ، فالمنتقم كالمربي ، ينتقم ليؤدب ويؤدب ليسعد .

قالوا : " المنتقم له معنى آخر ، هو الذي عرفت عظمته فخشي العباد نقمته " و تقريبـاً للمعنى ؛ دولة عظمى لديها سلاح نووي قد لا تستخدم هذا السلاح إطلاقاً ، لكنهـا مرهوبـة الجانب، فلا يفكر أحد أن يعتدي عليها ، فالله سبحانه وتعالى لأنه إذا أراد أن يعاقب عاقب :

إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾

(سورة البروج)

فإذا عرف الإنسان عظمة الله عز وجل تأدب معه ، فكان تعظـيم الله سـبباً لطاعتـه ولخشية نقمته ، فالنقمة هي العقوبة ، فانتقمنا منهم أي عاقبناهم ، ولكن أيها الإخوة أريـد أن أوضح لكم بعض المعاني ، الكلمة كما تعلمنا في اللغة هي كائن يولد وينمو ويهرم ويموت ، وهناك كلمات ميتة كثيرة جداً ، وأضرب لكم بعض الأمثلة ، قال الشاعر :

ممحوصة بمحيص الدحص بازلها له صريف صريف القعو بالمسد

هل فهمتم شيئاً ، هذه كلمات ميتة ، وأحياناً ، للكلمة معنى رفيع ، وبعد حـين تكتسـب معنى آخر غير المعنى الذي وضعت له ، كنت أضرب على ذلك المثل التالي ، الجرثومة في اللغة أصل الشيء ، وقد وقف شاعر كبير يمدح خليفة عظيمة كالمعتصم يصفه بأنه جرثومـة الدين والإسلام والحسب ، وهذا بيت في المديح ، والخليفة تقبل هذا البيت بنفس رضية ، أمـا كلمة جرثومة الآن فماذا تعني ؟ الشيء الشرير إذا قلنا لأحدهم أنت جرثومة فهذا المكان هـذه كلمة ذم ، إذ تأخذ الكلمة معنى غير المعنى الذي وضعت له في أصل اللغة .

وكلمة استعمار ؛ من إعمار الأرض ، يعني أنت مثلاً إذا بنيت الأبنية ونصبت الجسور ، وأنشأت المدارس والمستشفيات وشققت الطرق فأنت مستعمر ، أما حينما جاءت قوة غاشمة

واحتلت البلاد وسلبت ونهبت وقهرت وطغت وبغت سميت استعماراً ، فكملة استعمار لها وقع سيء في النفوس .

وكلمة عصابة : تعني الجماعة ، قال عليه الصلاة والسلام : " إن تهلك هذه العصابة فلن تُعبد بعد اليوم " ، أما إذا قلت الآن عصابة مجرمين أو عصابة قطاع طرق ، فلها معنـى آخر، فينبغي لك أن تفهم الكلمة كما هي في أصل اللغة ، فالمنتقم هو المعاقب .

ولعلنا نفهم المنتقم من البشر الذي يحقد والذي يعاقب ليتشفى ، فهذه المعاني التي نفهمـا من كلام الناس اليوم لا علاقة لها بهذا الاسم إطلاقاً و المنتقم هو الذي يعاقب ، أو هو الـذي يعاقب عقوبة تردع صاحبها عن أن يعصي الله عز وجل ، والمنتقم هو الذي يعاقـب ليوقـف الباغي و الظالم عند حده ، والناس جميعاً يرتاحون إذا ألقي القبض على مجـرم عـات بـاغ ووضع حد لإجرامه .

والمعنى الفرعي الذي قلته قبل قليل ، هو الذي عرفت عظمته فخشي النـاس نقمتـه ، ومن عرف رحمته رجا نعمته ، فإن عرفت عقوبته خشيت معصيته ، وإن عرفـت رحمتـه رجوت نعمته .

و سيدنا عمر سأله بعض أصحاب رسول الله ، إن الناس خافوا شدتك وبطشك ، فبكـى وقال : لو يعلم الناس ما في قلبي من الرحمة لأخذوا عباءتي هذه ولكن هذا الأمر لا يناسبه إلا كما ترى .

وربنا عز وجل أحياناً يريك من رحمته الشيء الكثير ، فترتاح راحة كبرى ، وتطمح ، وتطمع ، وتسترخي أحياناً ، وتتساهل وتقصر ، يريك من شدته فتخاف ، فهو يعالج النـاس ، إن أقبلوا على رحمته فقصروا أو تساهلوا أراهم من شدته .

والإمام الغزالي رحمه الله تعالى يذكر أن المنتقم هو الذي يقصم ظهور العتـاة وينكـل بالجناة ويشدد العقاب على الطغاة .

ومن القصص ، إن رجل جالس على أريكة ، وزوجته أمامه ، وله أخت عانس متقدمة في السن ، ألجأتها الأقدار إلى أن تكون عند أخيها وكانت هذه الزوجة تبالغ في التنكيل بأخت زوجها، إلى حد غير مقبول من امرأة غريبة ، أما أن ينكل بها أخوها ، إذ ركلها بقدمه أمـام زوجته ، وقال : إتني بكأس من الماء ، وفي اليوم التالي كان في سفر فأُصيب بحادث فقطعت رجله اليمنى التي ركل بها أخته ليذلها من أعلى الفخذ .. "إن بطْشَ ربك لَشَـديد " . وآلاف من القصص ، ينتقم ربنا عز وجل فيضع حداً للطغيان .

أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾

(سورة البقرة)

تروي القصص أن بعوضة دخلت إلى أنفه واستقرت في أعلى خيشومه فصار الألـم لا يطاق ، والإنسان ضعيف ، فلو أن قناة الدمع سدت لأصـبحت حياتـه لا تطـاق ، ولـو أن المستقيم أصيب بالشلل أو أصيب بورم خبيث لاستؤصل ، وإذا استؤصـل فسـوف تحـول الفضلات إلى فتحة في جدار البطن وهذا شيء لا يحتمل .. ولو أن هذه الجفون أطبقت علـى بعضها ولم ترتفع إلا بيدك ، لغدا الأمر لا يطاق ، وربنا عز وجل لديه آلاف الأدوية بل مئات ألوف الأدوية ، فإذا كنت في طاعته فأنت في ظله وحفظه و رحمته ، وفضله .

والمنتقم هو الذي يقصم ظهور العتاة ، وينكل بالجناة ويشدد العقاب على الطغاة ، ولكن بعد الإعذار والإنذار ، إن الله جلت حكمته لا يبطش من أول مرة ، بل يعطي فرصة ، وزمناً كي تتوب ، و ترجع ، وهناك إنسان ضبط متلبساً بالسرقة ، فسيق إلى أمير المؤمنين ، قال : والله يا أمير المؤمنين إنها المرة الأولى ، قال كذبت ، إن الله لا يعاقب من المرة الأولى ، إذاً هي المرة الثامنة .

وبعد الإعذار والإنذار ، فالله يعطي تنبيهاً ، وهناك من يقود مركبته في أحـد طـرق دمشق، فأصيب بأزمة قلبية فانكب على المقود وزوجته إلى جانبه فصرخت ، ومن غرائـب المصادفات ، أو من توفيق الله عز وجل أن صديقه خلفه ، فخرج من مركبته وحملـه علـى المقعد الخلفي وأخذه إلى المشفى فأدخل إلى غرفة العناية المشددة ، وبعد يـومين أو ثلاثـة ، شعر بالخطر وقال ائتوني بالمسجلة ، فقال : المحل الفلاني لأخي وليس لي لقد اغتصبته منه ، والبيت الفلاني لفلان ، والأرض الفلانية لفلان ، وكل الأراضي والبيوت والحوانيـت التـي اغتصبها اعترف بها على هذا الشريط ، وبعد يومين أو ثلاثة ، شعر أنه عاد إلى ما كان عليه فهو طبيعي جداً ، فقال أين الشريط ائتوني به ، فكسره وعاد إلى ما كان عليه ، وبعد ثمانيـة أشهر جاءت النوبة القاضية .

فالله عز وجل متى يبطش ؟ ومتى يهلك ؟ ومتى ينتقم ؟ حينما يعـذر وينـذر ، وبعـد الإعذار والإنذار وبعد التمكين والإمهال .

والإمام القشيري يرى أن الانتقام نتيجة الكراهية ، كراهية وعقوبة لكنك إذا قلت إن الله يكره ، فالله لا يكره الإنسان لأنه إنسان بل يكره عمله فقط ، فلا يغضب منه ولا يغضب عليه ، ولا يكرهه بل يكره عمله وتقريباً للمعنى ، فالأب مع ابنه المنحرف يكره انحرافه وهو ابنه فإذا عاد إليه عاد إلى مكانته الطبيعية ، وإذاً فالكراهية لشيء والعقوبة عليه أيضاً كراهية وعقوبة ، إلا أن كراهية الله عز وجل لكماله ولحرصه ورحمته ، يكره العمل الذي يفضي بصاحبه إلى النار ، فانتقام الله تعالى للعصاة على ما كره منهم ليصلحهم وليوصلهم إلى أبوابه وأبواب طاعته، والكراهة في حق الله تعالى ذم الفاعل والحكم عليه بالعقوبة ، أما أن يكره الله عز وجل إنساناً فيتحمل مشقة منه ، فهذا لا يليق بالله أبداً ، ولا شيء يصل إليه ولا شيء ينال منه ، إنه فوق كل شيء .

وإذا غضب الله عز وجل فلا يغضب لنفسه ولا يغضب لخلقه ، إنه غني عنهم ، ولو أن العباد جميعاً على أتقى قلب رجل واحد منهم ما زاد في ملك الله شيء .

وقيل : المنتقم هو الذي يشدد العقوبة على الظالمين ، ويسلط البلاء على المجرمين ، وهو الذي يرسل رسله بالآيات والإنذارات ، فمن لم ينتفع بالإنذارات سلط عليه العقوبات .

وشيء مألوف ؛ يقول لك الطبيب لا تدخن فالدخان يسبب الأمراض الخبيثة ، وأمراض القلب والأوعية وأمراض الموات" الغرغرين " فإن لم تستجب لهذه النصيحة يأتي المرض المزعج .

فقال بعضهم : هو الذي يرسل رسله بالآيات والإنذارات فإن لم ينتفع بها الإنسان سلط عليه العقوبات والانتقامات .

الانتقام كمادة لغوية ؛ وردت في القرآن الكريم في آيات كثيرة قال تعالى :

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقْتُلُواْ ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۚ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْيًۢا بَـٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّـٰرَةٌ طَعَامُ مَسَـٰكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَامًا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِۦ ۗ عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَ ۚ وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنْهُ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ

(سورة المائدة ٩٥)

ومن عاد ، استمرأ المعصية وبالغ فيها ولم يرتدع فينتقم الله منه أي يعاقبه ، يعاقبه ليرحمه .

كما وردت كلمة انتقمنا منسوبة إلى الله جل جلاله في الأعراف :

فَٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ فَأَغۡرَقۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡيَمِّ بِأَنَّهُمۡ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنۡهَا غَٰفِلِينَ ١٣٦

(سورة الأعراف)

رسول كريم جاء فرعون ليدعوه إلى الله العظيم ، جاء بالبينات والمعجزات والآيـات ، جاء لينهاه عن قتل أبناء بني إسرائيل واستحياء نسائهم ، فما كان من فرعون الطاغيـة إلا أن جمع جنوده ولحق بموسى ومن معه ، قال :

إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرۡذِمَةٞ قَلِيلُونَ ٥٤ وَإِنَّهُمۡ لَنَا لَغَآئِظُونَ ٥٥

(سورة الشعراء)

تصور فئة قليلة خائفة وجلة وضعيفة مستضعفة وراءهـا فرعـون بجبروتـه وقوتـه وطغيانه وجنوده والبحر أمامها وفرعون وراءها والهلاك محقق :

فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلۡجَمۡعَانِ قَالَ أَصۡحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدۡرَكُونَ ٦١ قَالَ كَلَّآۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهۡدِينِ ٦٢

(سورة الشعراء)

ولحكمة بالغة بالغة ، أنقذ الله جسده إلى الشاطئ ، لأن هذا الجسد لو لم يصل إلى الشاطئ لما صدق الناس أنه غرق ، وهو يدعي الألوهية ، لذلك :

فَٱلۡيَوۡمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنۡ خَلۡفَكَ ءَايَةٗۚ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنۡ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ٩٢

(سورة يونس)

والذي سمعته أنه محنط في متحف مصر ، وأغلب الظن أن هذا المحنط في متحف مصر الفرعوني هو نفسه فرعون موسى ، لأن آثار الملح موجودة في فمه ، هكذا يقول بعض العلماء .

فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَـٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَـٰفِلِينَ ﴿١٣٦﴾

فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿٧٩﴾

(سورة الحجر)

الأنبياء على صراط واضح مستقيم كما قال عليه الصلاة والسلام

عن جابرِ ابنِ عبد الله أن عمر بن الخَطابِ أتَى النبي صلى اللهم عليه وسلم بِكتَابٍ أصابه من بعضِ أهل الكُتُبِ فَقرَأه النبي صلى اللهم عليه وسلم فَغَضب فَقالَ أمتَهوكُون فيها يا ابن الخَطابِ والذي نَفْسي بِيده لَقَد جِئْتُكُم بِها بيضاء نَقيةً لا تَسأَلُوهم عن شَيء فَيخْبِروكُم بِحق فَتُكَذبوا بِه أو بِباطلٍ فَتُصدقُوا بِه والذي نَفْسي بِيده لو أن موسى صلى اللهم عليه وسلم كَان حيا ما وسعه إِلا أن يتبِعني

(مسند الإمام أحمد)

وفي سورة الروم :

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ ۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾

(سورة الروم)

ويقول الله عز وجل :

وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَـٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾

(سورة الصافات)

كن جندياً لله وانتظر وعد الله بالنصر ، فلا يمكن لمن كان جندياً لله أن يهزم ، وإذا هزم الإنسان فذلك يرجع إلى خلل في جنديته لله عز وجل وليس معنى أن يكون جندياً لله أن يحارب، فالكلمة لها معنى واسع جداً ، فأنت إذا وظفت علمك وخبرتك في سبيل الله ، في سبيل إحقاق الحق فأنت جندي لله ، أحياناً تقول لإنسان كبير نحن جنودك ، وليس هناك حرب و نحن أعوانك، ونحن في خدمتك ، و طاقاتنا في سبيلك ، فكيف إذا كنت جندياً لله ، والمؤمن الصادق ، علمه وخبرته وماله و لسانه وقلمه واختصاصه وحرفته ومهنته ومكانته وميزاته وخصائصه كلها موظفة في سبيل الله ، ومعظم الناس يأكلون ويشربون ويعملون ويتاجرون ويربحون إلا المؤمن، كل هذه الأفعال الاعتيادية التي يفعلها كل الناس ولا أجر لهم ولكن إذا فعلها المؤمن تُحسب له أعمالاً صالحة لأنه يبتغي بها وجه الله .

قال تعالى :

وَلَا تَهِنُوا۟ فِى ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِ ۖ إِن تَكُونُوا۟ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ۖ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٠٤﴾

(سورة النساء)

وعندما يسهر الكفار ويخططون ويبذلون الجهود الكبيرة والجبارة ليطفئوا نور الله عز وجل، وليضيقوا على المؤمنين ليضعفوا دوائر الحق فهذا جهد ووقت وطاقة وذكاء وعلم وإمكانات وأموال :

إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾

(سورة الأنفال)

الشيء الدقيق جداً : " إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمون فَإِنهمْ يَأْلَمون كما تَأْلَمون " ، لكن : " وتَرْجون منْ الله ما لا يرْجون " .

أضرب لكم مثلاً آخر ؛ شابان أزمعا أن يتزوجا ، هل من السهل تأمين بيـت ، والله لا تصل إلى مفتاح بيت إلا بشق الأنفس ، وقد يكون بيتاً مؤلفاً من غرفة واحـدة فـي أطـراف المدينة البعيدة ، فإذا ملكت هذا المفتاح كأنك ملكت الجنة ، فالبيت وتأسيه ، وكسوته ، علـى العظم يقول لك أخذناه وتأمين حاجاته ، هذا الشاب الذي يسعى للزواج يبذل جهداً كبيراً جداً ، فإذا أراد من الزواج المتعة واللذة فقط ، فهو يألم كما يألم أي شاب مؤمن ، ولكـن المـؤمن يرجو من الله في زواجه ما لا يرجوه غير المؤمن ، فالمؤمن يرجو أن يرزقه الله ولداً صالحاً ينفع الناس من بعده، ويرجو زوجة يأخذ بيدها إلى الله ، وأن يؤسس عشاً إسلامياً نموذجياً لكل من يقتدي به ، وهذه هي النقطة الدقيقة ، فالأعمال الاعتيادية التي يفعلها معظم الناس مكرهين لا أجر لهم عند الله عز وجل ، إلا أن المؤمن كل نشاطاته ، وكل طاقاته وإمكاناته موظفة في خدمة الحق .

وجاء في سورة الزخرف :

فَٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ﴿٢٥﴾

(سورة الزخرف)

وسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم في معركة بدر خاطب قتلى قريش واحداً واحداً ، يا فلان يا فلان بأسمائهم وكأنهم أحياء ، هل وجدتم ما وعد ربكم حقاً فإني وجدت مـا وعـدني ربي حقاً لقد كذبتموني وصدقني الناس ، وأخرجتموني وآواني الناس ، وخذلتموني ونصرني الناس ، قالوا : يا رسول الله أتخاطب قوماً جيفوا ، قال : ما أنتم بأسمع لما أقول منهم ولكنهم لا يجيبونني: " فَانتَقَمْنَا منْهمْ فَانظُرْ كَيْفَ كَان عاقبةُ الْمكذبين " .

فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ فَأَغۡرَقۡنَٰهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٥٥﴾

(سورة الزخرف)

تلاحظون طغياناً وبغياً وعدواناً وكبراً وغطرسة ، وقد سمعتم قبل أسابيع كيـف أنهـم أرادوا في ليلة القدر أن يعتدوا عدواناً مجرماً ، وكيف انتقم الله منهم ، إنهم مئـة وخمسـون ضابطاً من نخبة الضباط لا يمكن أن يعوضوا في أقل من عشر سنين تدريباً ، سمعوا ما فـي الصندوق الأسود فقال الطيار الأعلى إنني أهبط ولا أدري لم أهبط ، نزل فوق الطائرة السفلى

فاحترقتا ونزلت الطائرتان فوق مستعمرة فأهلكت هؤلاء لقد أرادوا أن يعتدوا في ليلة القدر .. " فَانتَقَمْنَا منْهُمْ " ، " إن بطْشَ ربك لَشَديد " ، " فَلما آسفُونَا انتَقَمْنَا منْهُمْ فَأَغْرقْنَاهُمْ أَجْمعين " .
وفي آل عمران :

نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٣﴾ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ ۗ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٤﴾

(سورة آل عمران)

إخواننا الكرام هناك نقطة دقيقة ، يجب أن يكون في قلبك خوف وتعظيم وحب في وقت واحد ، وهناك حديث قدسي : قال يا رب : أي عبادي أحب إليك حتى أحبه بحبك ، قال : أحب عبادي إلي تقي القلب نقي اليدين لا يمشي إلى أحد بسوء ، أحبني وأحب من أحبني وحببني إلى خلقي ، قال : يا رب إنك تعلم أني أحبك وأحب من يحبك فكيف أحببك إلى خلقك ، قال ذكرهم بآلائي ونعمائي وبلائي " .

فالدعوة إلى الله يجب أن تتحرك في هذه الخطوط الثلاثة ويجب أن تبين للناس عظمة الله عز وجل ، من أجل أن تطيعه تعظيماً وينبغي لك أن ترى فضله عليك من أجل أن تحبه ، وينبغي لك أن ترى بطشه وشدته وانتقامه أحياناً من أجل أن تخاف منه ، ولا بد من أن يجتمع في قلب المؤمن الصادق تعظيم عن طريق الآيات ، ومحبة عن طريق النعم وخوف عن طريق العقوبات ، فالعقوبات لها معنى ، والنعم لها معنى والآيات لها معنى ، تعظمه وتحبه وتخاف منه، والآية الكريمة :

فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾

(سورة ألأنبياء)

رغباً راغبين ورهباً خائفين ، نرجوا رحمتك ونخشى عذابك .

ثم دقق في هذه الآية الكريمة في سورة إبراهيم :

فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٤٧﴾

(سورة إبراهيم)

" فَلَما آسفُونَا انتَقَمْنَا منْهُمْ فَأَغْرقْنَاهُمْ أَجْمعين "، يرخي الحبل ، فلا يضان الإنسـان أن أحداً لن يستطيع أن يوقفه عند حده ، يشد الحبل فجأة فإذا هو في قبضة الله ، فمن هو العاقل ، ومن هو الموفق ؟ الذي يدخل في حساباته عظمة الله عز وجل ، وقوته وبطشه .

قال بعض العارفين : " اسم المنتقم من أسماء الجلال والقهر " .. أما الـرحمن الـرحيم المنعم المتفضل الحنان المنان ؛ فهذه أسماء الرحمه .. وأما المنتقم الجبار المتكبـر القـوي ؛ فهذه من أسماء الجلال والقهر .

وإن البحر جميل جداً إذا كان هادئاً ، فإذا هاج الموج فهو يمثل اسم الجبار ، والله عـز وجل يتجلّى على شيء باسم الجمال فإذا هو يأخذ بالألباب ويتجلى على شيء باسم القهـر .. فانظر إلى الزلازل ، فهناك شيء مخيف رهيب :

فَجَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ﴿٧٤﴾

(سورة الحجر)

كل فترة هناك زلازل ، يقال : ثلاثة آلاف متشرد ، ألف وخمسمائة قتيل ، فـي أربـع ثوان، ستة رختر ، انتهى ، أبنية انهارت وأنابيب تفجرت وحرائق اشتعلت . " فَلا تَحْسبن الله مخْلفَ وعْده رسلَه إن الله عزيز ذُو انتقَامٍ " .

وفي الزمر :

وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِى ٱنتِقَامٍ ﴿٣٧﴾

(سورة الزمر)

والناس يستهزؤون أحياناً بكلمة إني سأشكوك إلى الله ، وحبذا لو تعرفون أبعاد هذه الكلمة، فلو قال لك أحدهم سأشكوك إلى الله ولن أسامحك ، والله لو تعرف أبعاد هذه الكلمة لارتعدت فرائصك .

وهذه امرأة كأنها تنتقد عمر بن الخطاب ، فاستدعاها في اليوم الثاني وأعطاهـا مبلغـاً كبيراً وكتبت له براءة عن تقصيره ، فقال : ضعوها في كفني ، فأنا استسمحت منها .

فسيدنا عمر كان مع عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهما يتجولان في المدينة ، فقال تعالى نحرس هذه القافلة ونذكر الله عز وجل جلسا لحراسة هذه القافلة ، فبكى طفـل صـغير فقام عمر وهو عملاق الإسلام إلى أمه فقال أرضعيه ، فأرضعته ثم بكى ، ثم قام إليها ثانيـة فقال أرضعيه فأرضعته ثم بكى ، وجاءها ثالثة ، وقال يا أمة السوء أرضعيه ، قالت لـه مـا شأنك بنا ، إنني أفطمه ، قال ولم قالت : لأن عمر لا يعطينا العطاء إلا بعد الفطام ،"هذا هـو التعويض العائلي " وتروي الكتب أنه ضرب جبهته وقال : ويحك يا ابن الخطاب كم قتلت من أطفال المسلمين بهذا التعويض الذي لا يعطى إلا بعد الفطام ، فكم من أم فطمت ابنها وهو في أمس الحاجة إلى حليبها ، وصلى صلاة الفجر فلم يفهم أصحابه قراءته من شدة بكائه ، وكان يقول : رب هل قبلت توبتي فأهنئ نفسي أم رددتها فأعزيها .

والإنسان حينما يعرف الله عز وجل ويقف عند حدوده ، لا يؤذي أحداً من خلقـه ، لأن الله منتقم ، " فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ "

(سورة السجدة)

دخل على معمل الحلويات ، صاحبه وهو أشهر معمل في لبنان ، وكنت أسمع أن طائرة شحن تنطلق يومياً إلى دول الخليج ، ليصدر إنتاجه فيها ، إنها ملك الحلويات .. لـم يعجبـه عمل أحد العمال ، فأمسك العجينة ووضعها على الأرض وعركها بأقدامه وحذائه ، فقال هـذا العامل : يا سيدي أتعركها بحذائك فقال إن الناس يأكلون من تحت قدمي ، و مضى على هـذا الحادث ثلاثون يوماً فأصيبت رجلاه بالغرغرين ، فقطعتا من ركبتيه ، فهـو الآن فـي بلـد غربي بلا أرجل " فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ " .

والإنسان حينما يكون جاهلاً يتطاول ويتجاوز حدوده ، وقد سمعت مئـات القصـص ، عندما يتجبر الإنسان ويتكبر ويتعالى ويتغطرس ، فالله جل جلاله لا بد من أن يري الناس فيه يوماً ، " ومَنْ أَظْلَمُ ممنْ ذُكر بِآيات ربه ثُم أَعْرض عنْها إنا مِنْ الْمُجْرِمين منتَقمون " .

و لو رأيت إنساناً يبيع ويشتري ويربح ملايين ويركب أفخر المركبات ويستطيل علـى خلق الله ، ويتحدى عظمة الله عز وجل ، ولم يعبأ بشيء وعشت أمداً طويلاً فلم تر فيه يوماً فإن الله عز وجل يقول :

فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ ﴿٤١﴾

(سورة الزخرف)

ولابد من أن ننتقم منهم ، وسواء أرأيت هذا أم لم تر وكفاك نصراً على عدوك أنه في معصية الله :

يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ ﴿١٦﴾

(سورة الدخان)

وهذه بلدة في الساحل الأطلسي من أفسق البلدان في المغرب ، كلها نوادي عراة وخمور وزنى ، وكل أنواع المعاصي ، فيها بعشرين أو ثلاثين ثانية جعلها الله رأساً على عقب .. " فَانتَقَمْنَا منْهُمْ " .

قال بعض العارفين : " إن اسم المنتقم من أسماء الجلال والقهر " ، ومن لم يعرف أسماء الجلال وأخلاق الكبير المتعال وقع في الضلال والنكال ، فإن عرفت أنه كريم رحيم فاعرف أنه منتقم شديد عظيم .. دققوا في هذه الآية :

۞ نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾

(سورة الحجر)

زرت مرةً رجلاً في مرض شديد فقال لي والله ويكاد قلبه يعتصر أنا مصاب بمرضين ، فأدوية هذا المرض تؤذي الآخر وأدوية الآخر تؤذي الأول ولا أدري ماذا أفعل .

وأحياناً تأتي المصائب من كل جانب و تحيط بالإنسان ، لكن أيها الإخوة صدقوني هذه كلمة رائعة :

" من خاف الله دله الخوف على كل خير "

ونحن مؤمنون بأن هناك خوفاً مقدساً ، فأروع أنواع الخوف أن تخاف من الله ، والنبي عليه الصلاة والسلام سيد الرسل ، أرسل خادماً بحادة فغاب طويلاً ، فالنبي غضب لأنه بشر ، فلما عاد هذا الخادم ، قال : والله لولا خشية القصاص لأوجعتك بهذا السواك والسواك يؤلم الطفل، والإنسان بنيان الله ، وملعون من هدم بنيان الله .

و أنت كإنسان كيف تتخلق بأخلاق الله عز وجل ، ولا سيما باسم المنـتقم ، والمـؤمن الكامل ينتقم من أعداء الله تعالى ، فلا يجاملهم و لا يعيـنهم علـى معصـية ، و لا يغطـي انحرافهم ، ولا يباركه ويقف أمامهم بجرأة .

وهنا يصف الله عز وجل المؤمنين قال :

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ يُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾

(سورة المائدة)

فلا تكن عوناً لإنسان منحرف ، فمن أعان ظالماً سلطه الله عليه ومن أعان ظالماً ولـو بشطر كلمة ، جاء يوم القيامة مكتوباً على جبينة " آيس من رحمة الله " .

تخلّق بأخلاق الله ، فهذا إنسان منحرف ، فاسق فاجر ، لا تبجله ولا تعظمه ، ولا تقل فيه كلاماً لست قانعاً فيه .

وإليكم بعض الأدعية :

إلهي أنت المنتقم من أعدائك الظالمين القاهر بسطوتك المجرمين ، قـد انتقمـت مـن النمرود وفرعون وهامان ومحقت أهل الظلم والطغيان .

فإذا خفت من الله وصلت إلى كل خير ، وأعظم خوف أن تخاف الله ورأس الحكمة مخافة الله ، والإيمان قيد الفتك ، ولا يفتك مؤمن .

تصور هرة :

حدثَنَا أَبو هريرةَ عن رسول الله صلى اللهم عليه وسلم فَذَكر أَحاديثَ منْها وقَالَ رسولُ الله صلى اللهم عليه وسلم دخَلَت امرأَةُ النار من جراء هرة لها أَو هر ربطَتْها فَلَا هي أَطْعمتْها ولا هي أَرسلَتْها تُرمرم من خَشَاش الأَرض حتى ماتَتْ هزلا *

(صحيح مسلم)

والحمد لله رب العالمين

الدرس ٦٠ – اسم الله : العلي .

بسم الله الرحمن الرحيم

مع الدرس الستين من دروس أسماء الله الحسنى . والاسم اليوم ؛ هـو اسـم العلـي ، فالعلي كما ورد في الحديث الصحيح ، اسم من أسماء الله الحسنى ، وهو مشتق من العلـو ، ويقابل العلو السفل ، علوي وسفلي ، والعلو من الارتفاع .

والعلو بالمعنى المجازي ارتفاع المنزلة . ارتفاع المكان ، أو ارتفاع المنزلة ، قد تجـد في دائرة عشرة طوابق ، الموظفون في كل الطوابق ، وقد يكون المدير العـام فـي الطـابق الأول ، لكنه منزلةً هو أعلى من هؤلاء جميعاً . فإما علو مكاني ، وإما علو رتَبِي . والعلـي من أسماء التنزيه ، يعني الله جل جلاله ، تعالى عن كل صفة لا تليق به ، تعالى عن أن يشبه خلقه ، تعالى عن كل ما خطر ببالك ؛ فالله بخلاف ذلك .

والعلي ؛ هو الذي علا فلا تُدرك ذاتُه ، ولا تُتَصور صفاتُه . يعني لا يعرف اللهَ إلا اللهُ ، علا ، بحيث لا تُدرك ذاتُه ، ولا تُتَصور صفاتُه . العلي ؛ هو الذي تاهت الألباب في جلاله . العلي ؛هو الذي عجزت العقول عن أن تدرك كماله . كل هذه المعاني يمكن أن ترد حينما تقول: الله علي ؛ علي مكانةً ، علي تنزيهاً علي عزةً ، علي أن أحداً لن يدرك ذاتَـه ، ولـن يحيط بصفاته.

والعلي ؛ رفيع القدر ، الله سبحانه وتعالى قال عن ذاته : إنه هو العلي الكبير علي كب ير ولا تنسوا أيها الاخوة : أن معرفة أسماء الله الحسنى من أهم موضوعات العقيدة ، لا يكفي أن تؤمن بالله خالقاً ، ينبغي أن تعرف أسماءه الحسنى ، وصفاته الفُضـلى ، لأن الله سبحانه وتعالى يقول :

وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ

(سورة الأعراف)

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٨

(سورة الحشر)

وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمۡ أَنفُسَهُمۡۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ١٩ لَا يَسۡتَوِيٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۚ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ٢٠ لَوۡ أَنزَلۡنَا هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ عَلَىٰ جَبَلٖ لَّرَأَيۡتَهُۥ خَٰشِعٗا مُّتَصَدِّعٗا مِّنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۚ وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ٢١ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ٢٢

هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلۡمُؤۡمِنُ ٱلۡمُهَيۡمِنُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡجَبَّارُ ٱلۡمُتَكَبِّرُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٢٣ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٢٤

(سورة الحشر)

هذه آيات في القرآن الكريم ، يعني أن تعرف أسماء الله ، أن تعرف مضامين الأسماء ، مدلولات الأسماء ، مؤدى هذه الأسماء ، هذا جزء من عقيدتك الأساسية وهو العلي العظـيم ، اليهود ماذا قالوا ؟

وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ

(سورة المائدة)

لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ ۘ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا۟

(سورة آل عمران)

الإنسان حينما يعتقد عقيدة صحيحة عن الله ، وعن أسمائه ، فقد حقق إنجـازاً كبيـراً ؛ لأنه مع الحقيقة لا مع الضلال ، لأنه مع الحق لا مع الباطل ، وصف الله سبحانه وتعالى نفسه فقال :

وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾

(سورة سبأ)

قد يسأل سائل ، يعني على مستوى البشر ، لا ينبغي للإنسان أن يتحدث عن نفسه ، لأن الإنسان في الأصل ضعيف ، وفقير ، وجاهل . والإنسان مفتقر إلى الله عز وجل ، لكـن الله جل جلاله ، حينما يحدثنا عن ذاته ، وعن علوه ، وعن كبريائه ، وعن قهره ، وعن جبروته ، من أجل أن نحبه ، وأن نرهبه .. نرهبه فنطيعه ، نحبه فنقبل عليه ، ورد في الآثار القدسية : " قال : يا رب ، أي عبادك أحب إليك حتى أحبه بحبك ، قال : أحب عبادي إلـي ؛ تقـي القلب ، نقي اليدين ، لا يمشي إلى أحد بسوء ، أحبني وأحب من أحبني ، وحببني إلى خلقي " .

من علامة محبتك لله ؛ أن تحب المؤمنين ، أن تحبهم حباً حقيقياً. من علامة النفاق ؛ أن تبغض المؤمنين ، قال رسول الله :

عن سلمان قَالَ قَالَ لِي رسولُ الله صلى اللهم عليه وسلم يا سلمان لا تُبغضني فَتُفَارقَ دينَكَ قَالَ قُلْتُ يا رسولَ الله وكيفَ أُبغضك وبِك هدانَا الله قَالَ تُبغض الْعرب فَتُبغضني *

(سنن الترمذي)

من أحب العرب فقد أحبني ، ومن أبغضهم فقد أبغضني ، يعني البغض ينتقل ، والحب ينتقل .

أيها الإخوة : وصف الله جل جلاله نفسه بأنه علي كبير ، ورد في الأثر القدسي : " قال : يا رب ، أي عبادك أحب إليك حتى أحبه بحبك ؟ قال: أحب عبادي إلي تقي القلـب ، نقـي اليدين، لا يمشي إلى أحد بسوء ، أحبني وأحب من أحبني ، وحببني إلى خلقي ، قال : يا رب ، إنك تعلم أني أحبك ، وأحب من يحبك ، فكيف أحببك إلى خلقك ؟ قـال : ذكـرهم بـآلائي ونعمائي وبلائي " .

دققوا في هذا : هذه خطة لكل من يدعو إلى الله ، ذكرهم بآلائي من أجـل التعظـيم ، وذكرهم بنعمائي من أجل الحب ، وذكرهم ببلائي من أجل الخوف ، لا بد من أن يجتمع فـي قلبك تعظيم وحب وخوف . الآيات الكونية من أجل أن تعظمه ، والنعم الظاهرة والباطنة مـن أجل أن تحبه ، والمصائب والأمراض ، والفقر ، والقهر ، والزلازل ، والبراكين ، من أجـل أن تخافه . لابد من أن ينطوي قلبك على تعظيم وحب وخوف .

يعني من أدعية النبي عليه الصلاة والسلام التي كان يدعو بها :

اللهم إني عبدك وابن عبدك وابن أَمتك نَاصيتي بِيدك ماضٍ فـي حكْمـك عـدلٌ فـي قَضاؤُك أَسأَلُك بِكُل اسمٍ هو لَك سميتَ

هناك أمراض تردع الإنسان . يعني من يملك لخلاياه ألا تنمو نمو عشوائياً ؟ لا يوجـد قاعدة .

عند ابن -الأثير هذا العالم الجليل - أن من أسماء الله تعالى ، العلي والمتعالي . والعلي ؛ هو الذي ليس فوقه شيء في الرتبة والحكم . مهما تناهت الأمور ؛ فالله فوق الجميع في كل صفات الكمال . لذلك قالوا: الله مطلق . يعني مثلاً ، القاضي أحياناً ؛ قد يحكم ألـف حكـم عادل ، ويحكم حكماً واحداً غير عادل . هو عندنا قاض عادل ، لكن الله سبحانه وتعالى ، لو أن مخلوقاً واحداً منذ أن خلق الله الخلق وإلى يوم القيامة ظلم، لما كان الله عادلاً مطلقاً أبـداً ، قال تعالى :

فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ

(سورة الزلزلة)

إذاً هناك عند ابن الأثير العلي ، وهناك المتعالي العلي الذي ليس موته شيء في المكانة والترقية والحكم .

أما المتعالي : هو الذي جل عن إفك الأفـاكين ، وافتـراء المفتـرين ، وعـن تـوهم المتوهمين ، وعن وصف الجاهلين . الله متعالٍ عن كل هذه الصفات .

الإمام الغزالي -رحمه الله تعالى - يرى : أن الله هو العلي المطلق ؛ فهو المحيي للعالم ، الخالق لعلوم العلماء ، المنزه المقدس عن جميع أنواع النقص ، هو البالغ غاية العلـو فـي الرتبة ، فلا رتبة لغيره إلاّ وهي منحطة عنه ، وليس علّوه علّو جهة ، ولا كبره كبر جثة :

سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾

(سورة الإسراء)

قال بعض العلماء : " العلي ؛ هو الذي استحق نعوت الجلالة والكبرياء ، وبذلك التفسير لم يزل عالياً علياً ".

أيها الإخوة : قبل أن نتابع الموضوع ، النفس البشرية مفطورة علـى حـب الأكمـل . راقب نفسك ؛ إن وضعت لك عدة حاجات لتختار أحدها، تختار أجملها ، تختار أسمنها . لـو أن دفتراً أسطره مائلة ترده . لو أن كتاباً ورقاته منثنية ترده . لو أن حاجة فيها نقطة تشـويه تبدله . هذه النفس البشرية . لذلك هذه النفس البشرية ، لا يرويها ولا يسكنها ولا يملؤهـا إلا الكمال المطلق . لذلك ؛ المؤمن إذا اتجه إلى الله عز وجل ، سكنت نفسه . أما غير المؤمن ، لو أن الإنسان اتجه إلى الدنيا ، فبنى بيتاً وظن أنه من أجمل البيوت ، فإذا رأى بيتـاً أجمـل صغر هذا في عينه .

والآن ؛ تبديل الأشكال والألوان والألبسة والمركبات وأنماط البيوت والحاجات والأثاث ، هذا التبديل السنوي ، أو الفصلي ، أو الأقل من فصلي ، هذا التبديل سـببه ؛ أن الإنسـان يحب الكمال . وكلما وصل إلى كمال ، تاقت نفسه إلى الأكمل ، وهو يلهث وراء الأكمل طبقاً المادي إلى أن يأتيه الأجل ، وهو صفر اليدين من بضاعة الآخرة ؛ لكنه إذا عرف الله وهـو في الدنيا ؛ فالله سبحانه وتعالى هو الكمال المطلق هو المطلق .

أنت إذا كان هناك شخصان ؛ قوي وأقوى ؛ تميل إلى الأقوى . انظر في جلسة إذا كان فيها رجلان ؛ الأول أعلم من الثاني . أو أقوى منه، أو أغنى ، ترى جميع الحاضرين يتجهون إلى الأقوى ، إلى الأغنى ، إلى الأعلى ، هذه طبيعة النفس البشرية ، لا تحب الكمال فحسـب بل تحب الأكمل .

يعني تفاحتان ناضجتان ، ذواتا لون أصفر جميل ، واحدة عليها مشحة حمراء ، قيل لك تفضل تأخذ ذات المشحة الحمراء ، هذه طبيعة النفس فلذلك يقول بعض العلماء بالنفس : يوجد " فراغ لا يملأ هذه الفراغ إلا معرفة الله ، لا يملأ هذا القلق إلا أن تركن لحفظ الله ".

الإنسان مهما أخذ الاحتياطات ، مهما سد الثغرات ، يمكن أن يفاجأ من منطقة أمنه . من المنطقة التي أغلقها والتي ضبطها . لكنه إذا توكل على الله ، كفاه الله كل مؤنة . من توكل على الله كفاه ، اعمل لوجه واحد يكفك الوجوه كلها ، يعني مثلاً: " من شغله ذكري عن مسألتي أعطيته فوق ما أعطي السائلين " .

هؤلاء الذين يسعون بكل طاقتهم لمعرفة الله ، لحضور مجالس العلم ، لتعليم الناس الخير ، لخدمة الخلق ، لرعاية المؤمنين ؛ هؤلاء تأتيهم الدنيا وهي راغمة . فلذلك العلي ، هو البالغ الغاية في علو الرتبة ، فلا رتبة لغيره إلا وهي منحطة عنه . الإنسان إذا عرف الله فإنه يتحجم ، يتواضع ، يعرف أنه لا شيء . أما الإنسان إذا غفل عن الله يتعاظم ، يتكبر بغير الحق ، يكبر حجمه بلا مبرر ، هو ضعيف - أذكر هذا كثيراً لكم - كل الحياة الدنيا منوطة بسيولة الدم ، فلو أن هذا الدم تجمد في بعض الأمكنة ، لانتهت حياة الإنسان أو لفقد حركته ، أو لفقد بعض حواسه، أو لفقد بعض ذاكرته ، فالإنسان لا يملك شيئاً لكن الله مالك الملك .

قال : من علوه ؛ أنه لا يزيده تعظيم العباد له وإجلالهم إياه شيئاً من علوه وكبريائه . فكرة دقيقة ، أحياناً الإنسان بمستوى محدد ؛ إن في علمه ، أو في ذكائه ، أو في حكمته ، فإذا أثنى عليه الناس جميعاً ، وكالوا له المديح جزافاً ، وعظموه ، ووقروه ارتفع . ارتفع لا لأنه مرتفع ، بل لأنه رفع . أحياناً الإنسان قد يؤتيه الله حظاً ، تخدمه به أصحاب العقول ، قال بعض حكماء الجن : " اللهم آتني حظاً تخدمني به أصحاب العقول ، ولا تؤتني عقلاً أخدم به أصحاب الحظوظ" .

أحياناً الإنسان يؤتيه الله شيئاً من القوة ، كل من حوله في خدمته؛ العلماء ، الأطباء ، والخبراء ، كلهم في خدمته ، استعان بعقول من حوله ، وأحياناً كل عقلك وذكاؤك لا يقدم لك الشيء الكافي في الحياة الدنيا ، فأنت عالة على غيرك . فالإنسان أحياناً له مستوى ، فقد يمدحه المادحون ، يعظمه المعظمون ، يثني عليه الناس ، يبالغون في الثناء ، في المديح ، في التعظيم ، فيرتفع . هذا الارتفاع مفتعل . يعني ظهر بحجم أكبر من حجمه . هذا المعنى الذي يجري بين الناس لا يمكن أن ينطبق على الله عز وجل مهما عظمه الخلق ، مهما أثنوا على كماله لا يزيده تعظيمهم علواً ولا كبرياء هو عظيم .

الإنسان له حجم ، ولكنه عند الناس بحجم أكبر من حجمه ؛ أحياناً في بعض الظروف والملابسات والمواقف الحرجة والأسئلة والأجوبة يحجم ، يعني يعود إلى حجمه الحقيقي .

هناك قصة طريفة ، ربما لم تكن صحيحة لكن لها مغزى ، أن أحد العلماء يـروى أن أبو حنيفة النعمان جالس في مجلسه ، وكانت رجله تؤلمه معذور يعني فمدها بين إخوانه - أما النبي عليه الصلاة والسلام ما رؤي في كل حياته ماداً رجليه قط أبداً ، أما إذا إنسان معذور لا مانع أما بلا عذر لا يجوز - فدخل شخص طويل القامة ، عريض المنكبين ، مشرق الوجه له هيبة ، فأبو حنيفة النعمان استحيى منه ورفع رجله هذا لأنه غريب ، فلعله لا يعـرف أنـه معذور ، جلس في مجلسه ، والدرس كان في الفقه عن صلاة الفجر ، والحديث عـن الفجـر الكاذب والفجر الصادق ، واختلاف العلماء في وقت الصلاة يا ترى فـي غلـس أو بعـد أن تتعارف الوجوه إلى آخره ، فبعد أن انتهى الدرس ، رفع أصبعه هذا الضيف الجليل ، طويل القامة ، عريض المنكبين ، معتماً يرتدي رداء مهيباً ، قال يا سيدي كيف نصـلي الفجـر إذا طلعت الشمس قبل الفجر ؟ قال عندئذ يمد أبو حنيفة رجله .

أحياناً الإنسان تحس أن له مهابة ، فإذا تكلم كلمة واحدة سقط ، أحياناً الإنسان يصـغر بكلمة، أحياناً بسؤال يصغر أيام ينكشف بتصرف الإنسان قد يبدو كبيراً ثم يحجم ، يقول لـك سقط من عيني ، هو بالأساس ساقط ، لكن توهمت أنه كبير ، فلما تكلم كلاماً غيـر معقـول سقط .

يقال : أن ملكاً دخل إلى بستان مرة رأى حصاناً يدور حول بئر ، وقد عصب صـاحبه عينيه ، ووضع الجلجل في رقبته ، استغرب الملك وسأل صاحب البستان لم عصبت عينيه ؟ قال من أجل ألا يصاب بالدوار ، ولم هذا الجلجل وضعته في عنقه ، قال إذا وقف أعرف أنه وقف ، مادام الجلجل يصوتُ فهو يدور ، فقال هذا الملك فإذا وقف وهز لك رأسه وأوهمك أنه يدور ؟ فأجاب هذا البستاني وقال له : وهل له عقل كعقلك ؟

أنا عرفت من هذا الكلام ؛ الإنسان قد يبدو كبيراً ، أما بسؤال بامتحان ينكشف .

رجل يدعي أن كل حديث يسمعه يعرضه على النبي في الليل ، يرى النبي ليلاً ويسأله هل قلت هذا الحديث ، يقول نعم أو لا فواحد ذكي أراد أن يحجمه ادعـاءه ، يأخـذ الحـديث يراجع في الليل الكتب ، يقول لك هذا الحديث صحيح ، يراجع الكتب يقول : هذا موضـوع ، فجاءه أحدهم بحديث ضعيف وعرضه عليه ، وقال أجبني غداً ، نم ور النبي -عليه الصـلاة والسلام -وقل لي غداً ما رتبة هذا الحديث ، هذا راجع فرأى أنه ضعيف قال : والله أخبرني أنه ضعيف.. فالنبي يقول لك قلته ، أو لم أقله فالنبي أما ضعيف لا يوجد عند النبي ، فبهـذه الطريقة كشف هذا الكذاب .

هناك قدرات في الإنسان خاصة ، فيه قدرات عامة ، وقدرات خاصة ، الـذكاء قـدرة عامة ، أما أحياناً فيه قدرة خاصة ، القدرة على إقناع الآخرين قدرة خاصة ، القـدرة علـى

حسن التخاص قدرة خاصة ، عند بعض الأشخاص قدرة أن يظهروا بحجم أكبر من حجمهـم هذه قدرة و أقل من ذلك بكثير .

أما الفكرة هنا أن الله علي ، مهما أثنى الخلق عليه ، مهما عظموه ، مهما مدحوه ، مهما نزهوه ، مهما سبحوه ، مهما مجدوه ، هو علي ، كل هذا المديح لا يرفعه ، ولا يزيده عظمة ، هكذا يليق بالله عز وجل .

وقال بعض العلماء : " إن علو الله تبارك وتعالى يرجع إلى واحد من ثلاثة أمور ؛ إلى أنه لا يساويه شيء في الشرف والعزة ، فيكون هذا الاسم من أسماء التنزيه ".

أسماء متعلقة بذات الله ؛ موجود ، حي ، مريد . و أسماء متعلقة بأفعال الله ؛ القهـار ، الجبار . في عندنا أسماء متعلقة بصفات الله . أسماء ذات وأسماء صفات ، وأسماء أفعـال ، وفي أسماء تنزيه .

يقول بعض العلماء : " أن اسم العلي من أسماء التنزيه ، أو إلى أنه قادر على كل شيء ، والكل تحت قدرته وقهره " ، فيكون هذا من أسماء الصفات ، أو إلى أنه يتصرف في الكـل بقدرته فهو من أسماء الأفعال . فيمكن أن يكون اسم العلي من أسماء الصفات ، ومن أسـماء الأفعال ، ومن أسماء التنزيه .

وقال بعض العلماء : " العلي ؛ هو المتعالي عن الأنداد والأضداد " ، نحن أنداد ، فـي جراحة القلب ، وهناك جراحو قلب آخرون ، اختصاص في الفيزياء النووية ، قد يوجد خمسة من نمرته لا يوجد اختصاص في الأرض إلا أنداد . هذا يمثل مثلاً أكبر كتلة نقدية في القطر ، مثلاً ففي بلاد أخرى أغنى منه .

فالإنسان مهما علا له أنداد . مهما ارتفع له أمثال . لكن العلي ، الله علي أي متعـال عن الأنداد والأضداد ، لا رتبة فوق رتبته ، وجميع المراتب منحطة عنه .

أنت بربك الكريم إذا أردت أن تختار ماذا تختار ؟ تختار أكمل شيء . لذلك الإنسـان حينما يختار غير الله يكون أحمقاً ، يكون غافلاً ، يكون جاهلاً . معنى اختيار غير الله يعني ؛ أحب الدنيا ، اختار الدنيا ، يعني أحب جهة من الجهات غير الله ، يعني عقد كل آماله علـى زوجته ، عقد كل آماله على تجارته ، عقد كل آماله على منصبه ، عقد كل آماله على أولاده ، رأى أن المال هو كل شيء ، اختار المال ، يعني أو رأى أن اللذائذ الحسية هي كل شيء .. صار زير نساء .. أو رأى أن اللذائذ المعنوية هي كل شيء ، السيطرة والتفوق ، الإنسان لـه اختيار ، قد يختار المال ، فالمال ديدنه ، وقد يختار العلو فالعلو ديدنه ، وقد يختـار اللذائـذ الحسية فهي ديدنه ، لكن المؤمن الصادق ، حينما يختار عز وجل .

قال : من أحبنا أحببناه ، ومن طلب منا أعطيناه ، ومن اكتفى بنا عمالنا كنا له وما لنا .

الشيء العظيم أنك إذا اخترت الآخرة ، كسبت الدنيا والآخرة .

" ما ترك عبد شيئاً لله إلا عوضه الله خيراً منه في دينه ودنياه " ، قيل : " العلي : هـو المتعالي عن الأنداد والأضداد ، لا رتبة فوق رتبته ، وجميع المراتب منحطة عنه " ، وقيل : " هو الذي علا بذاته وصفاته عن مدارك الخلق ، بالكنه والحقيقة " .

هذا معنى جديد ، يعني مهما تصورت الله عز وجل ، فهو غير مـا تصـورته ، هـذا المعنى مستفاد من ؛ الله أكبر ، يعني مهما قلت الله أكبر فهو أكبر مما تعرف . مهما تفوقـت في معرفته ، فهو أكبر من ذلك . مهما عرفت من رحمته فهو أرحم ، مهما عرفت من كماله فهو أكمل ، مهما عرفت من قدرته فهو أقدر ، هذا معنى جديد لذلك العلي الذي عـلا بذاتـه وصفاته عن مدارك الخلق بالحقيقة .

هو الذي علت عن الإدراك ذاته ، وكبرت عن التصور صفاته " وقد ورد اسم العلي في القرآن الكريم مرات كثيرة ، فقال تعالى :

وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾

(سورة البقرة)

صار في معاني كثيرة جداً للعلي .

ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾

(سورة الحج)

وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾

(سورة سبأ)

ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥ إِذَا دُعِىَ ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْ ۖ وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ تُؤْمِنُوا۟ ۚ فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ ٱلْعَلِىِّ ٱلْكَبِيرِ ﴿١٢﴾

(سورة غافر)

۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾

(سورة الشورى)

إذاً : ورد هذا الاسم في القرآن الكريم مرات كثيرة " وما كان لِبشَرٍ أن يكلمه اللـه إلا وحيا أو من وراء حجابٍ أو يرسلَ رسولا فيوحي بإذْنه ما يشَاء إنه علي حكيم "

ورد علي عظيم ، وعلي كبير ، وعلي حكيم ، وقد ورد هذا الاسم منكراً في سورة النساء ، فقال تعالى :

فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا۟ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴿٣٤﴾

(سورة النساء)

ورد هذا الاسم مرات كثيرة معرفاً ، ورد مرة واحدة منكراً .

الإمام الغزالي رحمه الله تعالى يرى ؛ أنه لا تُفترض مرتبة شريفة ، إلا والحق سبحانه وتعالى في أعلى الدرجات منها . يعني إذا شكرت فالله هو الشكور ، وإذا أنت سخوت فهو السخي ، إذا أنت تكرمت فهو الكريم .

ويوجد رأي آخر دقيق : هو ؛ أن الموجود إما مؤثر وإما أثر ، يعني قد أمزق هذا المنديل ، فهذا أثر ، وهذه الحركة مؤثر . يرى الإمام الغزالي أن كل موجود مؤثر وأثر ، والمؤثر أشرف من الأثر ، هو الأصل ، والحق تبارك وتعالى مؤثر في الكل ، والكل أثره ، فكان أعلى من الكل في هذا المعنى ، كل الكون أثر من قدرة الله ، ومن إرادة الله ، ومن علم الله، ومن كمال الله . الكون كله أثر من آثار أفعاله ، وقدرته ، وكماله . فالمؤثر وأثر . أيهما أشرف؟.. المؤثر .

والموجود كما قال الإمام الغزالي : إما واجب ، وإما ممكن . والواجب أعلى وأشـرف من الممكن . الله عز وجل واجب الوجود ؛ لكن كل الكون ممكن الوجود ؛ يعنـي ممكـن أن يكون وممكن أن لا يكون ، لكن الله سبحانه وتعالى واجب الوجود ، أيهما أعظـم ؟ واجـب الوجود .

يعني توضيحاً ؛ بمركبة فيها أشياء ، لا يمكن أن تتحرك المركبة إلا بها ، وفيها أشـياء لو غابت المركبة تتحرك مع غيابها ، وجود الطاقة في المركبة أساسية ، المحرك أساسـي ، فيها أشياء كثيرة لو أهملناها تمضي المركبة إلى هدفها .

وبعضهم قال : " والموجود إما كامل مطلقاً وإما أن لا يكون " كذلك أيهمـا أشـرف ؟ الكامل الكمال المطلق ، لذلك الله جل جلاله هو المؤثر ، وهو واجب الوجود ، وهو الكامـل كمالاً مطلقاً إذا هو العلي العظيم .

الآن : من أدب المؤمن مع هذا الاسم ، انطلاقاً من المقولة الشهيرة " تخلقوا بـأخلاق الله "، هنا الموقف معاكس ، لأن الله وحده هو العلي الكبير ، وهو العلي العظيم ، وهو العلـي الحكيم ، أنت ينبغي أن تتواضع " الكبرياء ردائي والعظمة إزاري فمن نازعني شـيئاً منهمـا أذقته عذابي ولا أبالي " .

إياك ثم إياك أن تتعالى ، أن تتعاظم ، أن تتكبر ، فهذا مقـام الألوهيـة ، هـو الجبار ، هو القهار ، هو المعز ، أما أنت فبقدر ما تخضع له وتفتقر إليه يرفعك . هنا العلاقة معكوسة ، بقدر ما تخضع له يرفعك . بقدر ما تتذلل بين يديه يعزك . بقدر مـا تفتقـر إليـه ينصرك .

قال : " أدب المؤمن مع اسم الله العلي ؛ أن يتواضع وأن يتذلل بين يدي الله عز وجل ، وعند ذلك يرفع الله قدره " .

قال : حكي أن رجلاً قال لمالك بن فضول : اتق الله ، إنسان إذا قلت اتق الله ، أخذتـه العزة بالإثم . قيل لعالم جليل اتق الله ، قال فألصق خده بالتراب وقال سمعاً وطاعـة ، أقبـل الكلام ولو كان من صغير .

يروى الإمام أبا حنيفة رحمه الله تعالى ؛ رأى طفلاً صغيراً أمام حفرة فخشي أن يقـع الطفل فيها ، فقال : إحذر يا غلام أن تقع فيها ، وكان هذا الطفل من الفطانة بمكان ، قال : بل أنت يا إمام إياك أن تقع ، إني إن وقعت وقعت وحدي ، وإنك إن وقعت وقع العالم معك .

هل تعرفون ما هي أكبر مصيبة على الإطلاق ؟ .. أن يهتز مثَلُك الأعلـى . وضـعت ثقتَك بشخص فخيب ظنك ، ظننته ورعاً تقياً ، فرأيته غير ورع . ظننته منزهاً عن أغـراض الدنيا ، فرأيته مشوباً بها . اهتزاز المثَل الأعلى . ما سبب ضياع الناس ؟ عدم وجود المثـل الأعلى ، الناس ماجوا واضطربوا ، ولاكوا بألسنتهم كل إنسان دعا إلى الله بإخلاص .

أعداء الدين ، خصوم الدين ، نهشوا طعنوا فندوا ، فأصبح يوجد نوع من أنـواع عـدم الثقة. فإذا اهتز المثَلُ الأعلى انتهى الناس .

فلذلك قال : ومن أدب المؤمن المتخلّق باسم العلي .. الآن هنا أدب ثالث أول موقف أن تتواضع ، أن تفتقر :

وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ

(سورة آل عمران)

ولكن يوم حنين تعاليتم قلتم لن نغلب من قلة .. قال تعالى :

وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ

فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم

مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾

(سورة التوبة)

الأدب الأول التذلل والتواضع ، الثاني ؛ أن تحب معالي الأمور ، وأن تكره سفسافها ودنيها ، أحياناً تشعر أن هذا الإنسان سخيف ، موضوعاته سخيفة حديثه سخيف ، اهتماماته سخيفه : " إن الله يحب معالي الأمور ويكره سفسافها ودنيها " .

فمن تخلّق المؤمن بأخلاق هذا الاسم العلي ؛ أن تحب معالي الأمور ، أن تهـتم بـأمر آخرتك، أن تهتم بنشر الحق ، لا أن تهتم بتزيين البيت لدرجة أنك تضحي بكل القيم من أجـل ذلك .

أيام الإنسان كل اهتماماته دنيوية ، وحتى حديثة في موضوعات سخيفة ، مزاحه منحط ، نظراته مريبة ، حركاته شاذة .

روي : " إن الله يحب معالي الأمور ويكره سفسافها ودنيهـا " ، يعنـي أي شـيء إذا قسمته إلى درجات ؛ فالله سبحانه وتعالى فوق الخلق فيها وحده ، أي شيء ؛ بمكارم الأخلاق ، بالقدرات، بالحكم ، بالعلم ، بالعقل ، فهنيئاً لمن عرف الله ، هنيئاً لمن اتجه إليه ، هنيئاً لمن اكتفى به ، حسبي الله ونعم الوكيل .

قال ملك لوزيره ، والملك كان جباراً ، قال : من الملك ؟ قـال أنـت : قـال : لا .. الملك رجل لا نعرفه ولا يعرفنا ، له بيت يؤويه ، وزوجة ترضيه ، ورزق يكفيـه ، إنـه إن عرفنا جهد في استرضائنا ، وإن عرفناه جهدنا في إذلاله .

لذلك الإنسان حينما يتجه إلى الله ، ويحسب على الله ، ويكون الله حسبه ، ومعرفة الله محط رحاله وغاية آماله ، الإنسان إذا كان كذلك فقد سعد في الدنيا والآخرة .

الآن حظ آخر من حظوظ العبد مع هذا الاسم العظيم ، قال : " ألا يتصـور أن لـه علواً مطلقاً " ، قال :

وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾

(سورة يوسف)

تروي الكتب : أن سيدنا موسى نبي من أولي العزم ، قال من أعلم مني ؟ فجاء سـيدنا الخضر وعلمه دروساً كثيرة .

هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾

(سورة الكهف)

سبحان الله ، كلما قال الإنسان أنا ، الله عز وجل يحجمه ! أعتقد؛ أنه فوق كل ذي علـم عليم ، فوق كل غني أغنى ، كل قوي أقوى ، كل عالم أعلم ، هذا المعنى يجعلك متواضعاً .

لكن قال العلماء إستثناء ، " هناك مرتبة ليس فوقها مرتبة على الإطلاق ؛ هـي مرتبـة النبي عليه الصلاة والسلام سيد الخلق وحبيب الحق ".

قال بعضهم : " في بعض الأدعية : إلهي ، أنت العلي المنزه عن الحدود ، والجهـات ، المقدس عن الأوهام والخطرات ، جعلت الشرف الأعلى لمن لجأ إليك ، وأعطيت المقام الرفيع لمن توكل عليك ".

أيها الإخوة : اسم العلي ورد في القرآن كثيراً لكنه ورد في آية الكرسي وقد ختمت بـه آية الكرسي ، قال تعالى :

وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ

(سورة البقرة آية ٢٥٥)

كن مع العلي ، ولا تكن مع الدني . كن مع السرمدي ولا تكن مع الفـاني . كـن مـع القوي ولا تكن مع الضعيف . كن مع الأرحم ولا تكن مع الأقسى .

أيها الإخوة : ورد في الحديث القدسي : " من أحبنا أحببناه ، ومن طلب منا أعطينـاه ، ومن اكتفى بنا عما لنا كنا له وما لنا .

والحمد لله رب العالمين

الدرس ٦١ – اسم الله : " الصمد " .

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الأخوة المؤمنون : مع الدرس الحادي والستين من دروس أسـماء الله الحسـنى ، والاسم اليوم هو اسم **الصمد** ، وكلكم يقرأ سورة الإخلاص :

قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾

(سورة الإخلاص)

فالصمد ؛ اسم من أسماء الله الحسنى ، ورد في الأحاديث الشريفة ومعنـى الصـمد : القصد.

وفي حديث معاذ بن عمرو بن الجموح في قتل أبي جهل قـال : فصـمدتُ لـه .. أي قصدته حتّى أمكنتني منه غرة .

هذا المعنى الأول في اللغة .. **الصمد** : القصد .. صمدتُ له : قصـدتُه .. **والصـمدُ** : السيد المطاع الذي لا يقضى من دونه أمر ، سيد متمكن ، مطاع ، أمره نافذ .. وأصمد إليـه الأمر : أسنده إليه .

ويقول بعض علماء اللغة : " إن الصمد في اللغة له وجهان : أنّه فعلٌ بمعنى مفعـول " .. أي مقصود ، صمدتُ إليه أي قصدته ، أو هو المقصود، أي السيد المقصود . المصمود في الحوائج : أي المقصود في الحوائج . ونقول ضمن قوسين " إذا أحب الله عبداً جعـل حـوائج الناس إليه"

هناك شخص أنا أسميه ، وقد سماه الأولون العفريت النفريت .. يتملص من كل عمل ، يتملص من كل عبء ، يتملص من كل موعد ، يتملص من كل بذل ، ومن كل عطاء ، يأخذ ولا يعطي ، وإذا أردت أن تعرف ما إذا كنت من أهل الدنيا ، أو من أهل الآخـرة ، فاسـأل نفسك السؤال الدقيق : ما الذي يفرحك ؟ أن تعطي أم أن تأخذ .

أهل الدنيا يفرحهم أن يأخذوا ، وأهل الآخرة يفرحهم أن يعطوا . وهذا مقياس دقيـق ، حتّى إن العرب في لغتهم يسمون الذين أعطَوا : ارتاحوا ، يسمى هذا الإنسان أريحي . هـو أشد كرماً من الكريم ؛ يرتاح في العطاء . يعطي ليستريح ، فإذا كنت من أهـل الإيمـان - ودققوا في هذه الكلمة - المؤمن حياته مبنيةٌ على العطاء، وغير المؤمن حياته مبنيـةٌ علـى الأخذ .

والذي يعطي فإن الله جل جلاله يعطيه ، أنفق بلالُ ولا تخشى من ذي العرش إقلالاً .
عبدي أنفق ، أُنفق عليك .

وهناك في القرآن كريم آيات عديدة -تزيد عن ثمانية آيات -تؤكد أن كل نفقة يعوضها الله أضعافاً مضاعفة فقد قال تعالى :

وَمَآ أَنفَقْتُم

مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ

(سورة سبأ)

هذا كلام خالق الكون . **فالصمد** ؛ بمعنى المصمود : أي المقصود في الحوائج كلهـا .
وإذا أحب الله عبداً جعل حوائج الناس إليه . والمؤمن لا يتأثر لو طرق بابه في اليـوم مئـات مرة ، لو اتصلوا به عشرات المرات ، لو تزاحم الناس على بابه لا يتأثّر ؛ لأن الله سـبحانه وتعالى قادر على أن يجعلك تأخذ ، على أن يجعلك تقف ذليلاً أمام باب إنسان ، فإذا مكنك الله ؛ أعطاك صحةً، أعطاك مالاً ، أعطاك مكانةً ، أعطاك شيئاً يمكن أن تنفقه لا تبخل به ، لأن الله سبحانه وتعالى يقرك على النعم ما بذلتها ، فإذا منعتها منعها عنك . والعرب تقول : بيـتٌ مصمود : إذا قصده الناس في حوائجهم .تجد في الأسر رجلاً يسمونه الآن عميـد الأسـرة ، يقصده كل أطراف الأسرة في زواجهم ، في أعمالهم ، في وظائفهم ، في حل مشكلاتهم ، في كلّ ما من شأنه أن يتدخل من أجله ، هذا الإنسان محترم . وقال بعض اللغويون **الصمد** ؛ هو الذي لا جوف له ، أي الشيء الأصم . حجر لو نقرته لا يعطيك صوتاً ، فهو صمد أي أصـم . أما العلبة الفارغة لو ضربتها تحدث صوتاً ، **فالصمد** هو الذي لا جوف له .

وقال بعض متأخري اللغة : **الصمد** هو الأملس من الحجر الذي لا يقبل الغبار ، بمعنى ثقيل ، ولا يدخله شيء ولا يخرج من شيء ، لا دخول ولا خروج ولا استقرار .. هو **الصمد** .. هذا كله معنى كلمة **الصمد** في اللغة .

أما الصمد إذا كان وصفاً لله عز وجل ، أو كان اسماً من أسمائه ، فقال : الله سـبحانه وتعالى **صمدٌ** ؛ لأن الأمور أُسندت إليه ، يعني الأمور رجعت إليه وهـذا المعنـى ورد فـي القرآن الكريم فقد قال تعالى :

وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ

(سورة هود)

أحياناً تجد في دائرة أو مؤسسة أو معمل أو مدرسة ، تبقى على حالها رجـلاً قويـاً لا يستطيع أي موظف أن يبت في قرار ، أو يتّخذ أي قرار ، ما لم يرجع إليه فالأمر كله بيده ، خيوط كل الموضوع مجموعةٌ بيده ، فالله سبحانه وتعالى إذا قلنا أنّه **صـمد** ؛ أي أن الأمـور كلها أصمدت إليه ، أي أسندت إليه .

فما قولك أيها الأخ الكريم إذا كان الأمر كله بيد الله ، أتسأل غير الله ؟ أو هل تتوجـه إلى غير الله ؟ أتعلق الأمل على غير الله ؟ أتخاف من غير الله ؟.. أبداً .

فقد سألني أحدهم مرة : ما الذي يقوي سيري إلى الله ؟ قلت له: التوحيد . مـا الـذي يقوي إخلاصي ؟ التوحيد ، ما الذي يقوي عزيمتي ؟ التوحيد . ما الذي يبعدني عن الشرك ؟ التوحيد . وما تعلمت العبيد أفضل من التوحيد . وكلكم يعلم أن القرآن كلّه من دفته إلى دفته ، من فاتحته إلى سورة الناس ؛ كلّه حول التوحيد والدليل قوله تعالى :

قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ

(سورة الكهف)

هذا هو الدين .. بل إن فحوى دعوة الأنبياء جميعاً من دون اسـتثناء هـو التوحيـد ، والدليل قوله تعالى :

وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾

(سورة الأنبياء)

الدين كلّه عقيدة التوحيد والعبادة ؛ وحد .. واعبد ، فزت بالدنيا والآخـرة ، وجمعـت المجد من كل أطرافه .

قال : **الصمد** في وصف الله تعالى ؛ هو الذي أسندت الأمور إليه، فلم يقض فيها غيره . وهو الذي يصمد إليه في الحوائج أي يقصد . فلنظروا إلى هذه الفكرة الدقيقة : الأمور راجعةٌ إليه .. إذاً هو المقصود كنتيجة طبيعية .

فأنت بشكل طبيعي وعفوي ، إذا دخلت إلى دائرة بحاجة إلى موافقة على طلب تسأل بيد من هذه الموافقة ؟ فإذا قيل أنّها بيد المدير العام؟ فلا يمكن أن تبذل ماء وجهـك لغيـره ، ولا

يمكن أن تسأل غيره ؛ لأنك أيقنت أن الأمر بيد فلان ، ما دام الأمر بيده أنت قصدته . من أين يأتي القصد ؟ من التوحيد .. إن وحدت ، تتجه إلى الله .

لكن كفكرة إخواننا الكرام ... بعض الآيات والأحاديث .. كفكرة سهلة ، وإدراكها سهل ، وشرحها سهل ، لكن أن تعيشها هنا المشكلة .. أن تعيشها .. فيا ترى هناك مشكلة مزلزلة عشتها؛ فأن ترى فلاناً هو الذي أوقعك بها ، أو فلاناً من الناس هو الذي خلصك منها ، فهذا هو الشرك ، فأفكار التوحيد أفكار سهلة وليست معقدةً ، أما ممارسات ، فهذه تحتاج إلى جهد كبير .

إخواننا الكرام : التوحيد محصلة جهودك الكبيرة في طريق الإيمان . فأحياناً يقول لك عن سعر العملة .. ؛ محصلة الإنتاج الزراعي ، والصناعي ، والتجاري ، وترشيد الاستهلاك ، والقدرة على جلب رأسمالات من بلاد أخرى ، ورواج المبيعات ، والثروات الباطنية ، أي ألف عامل وعامل يدخل في تحديد سعر العملة . كذلك كل عوامل الإيمان محصلتها التوحيد . وقال العلماء : " **الصمد** ؛ هو الدائم الباقي بعد فناء خلقه "، فقد قال تعالى :

كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾

(سورة الرحمن)

وقال بعض العلماء : " هو الذي خلق الأشياء كلها ، ولا يستغني عنه شيء " .

بحسب تركيب الجسم المعقد جداً ؛ فالقلب وما به من -دسامات ، وأذنين ، وبطينين ، ومراكز توليد الكهرباء - والأوعية ، والشرايين ، والأوردة .. والكبد ، والبنكرياس ، والغدد الصماء ومفرزاتها -بنسب دقيقة جداً - وبلازما الدم ... قلت : والله ، المعجزة أن يستيقظ أحدنا لا يشعر بشيء .. فهذه هي المعجزة ، من شدة تعقيد الجسم ودقّته ، فالإنسان يسلم جسمه من المرض هو المعجزة .

أي نسبة تتغير الحياة لا تطاق ، لو أن الكُلية قصرت في وظيفتها تزداد نسب - الأوريه - في الدم ، ومن مضاعفاتها ضيق ، وتوتر عصبي ، وردود فعل عنيفةٌ جداً .

الملح إذا زاد ، يؤثر على الدم ، وإذا أصبح الدم لزجاً ، يتجمد فوراً . والتجمد يعني الشلل، أو فقد البصر ، أو فقد الذاكرة ، فالإنسان شديد ، الله هو الذي خلق الأشياء كلها لا يستغني عنه شيء . الإنسان يربي ابنه وعندما يكبر يستقل عن أبيه ، وقد يغدو أقوى من أبيه وقد يغدو أغنى من أبيه ، وقد يصبح أبوه بحاجة إليه . الله الذي خلق كل شيء ، وكل هذه الأشياء لا تستغني عنه .

الإمام الرازي له تعريفات أُخرى لاسم **الصمد** يقول : " **الصمد** ؛ هـو العـالم بجميـع المعلومات " .. هذه إشارة دقيقة .. فالإنسان إذا نقصته المعلومات ضعف وضـعفت قوتـه ، فأحد أسباب القوة ؛ المعلومات الدقيقة . فالإنسان إن كان يحتـل موقعـاً قياديـاً ؛ إذا كانـت معلوماته غير دقيقة ، أو ناقصة ، أو غير كاملة ، يضعف مركزة ، فأحد أسباب القوة ؛ أن لا يغيب عنك شيء. وهذه صفةٌ لله عز وجل ، فالإنسان قد يعلم شيئاً وقد تغيب عنه أشياء .

قل لمن يدعي في العلم فلسفةً حفظت شيئاً وغابت عنك أشياء

فالله سبحانه وتعالى من معاني اسم **الصمد** : أنه يعلم كل شيء ، ولا يخفى عليه شيء .

وقيل : **الصـمد** ؛ هو الحكيم .. أولاً : يعلم كل شيء ، لكن مع هذا العلم أفعالـه فيهـا حكمة ، فالحكمة هي أحد الأدلة الكبيرة على وجود الله .. فقد يكون هناك أشياء متراجحـة .. فإذا أنت خاطبت إنساناً فهل من الممكن أن ترفع الصوت إلى درجة ليسمع من مئتي متـراً ؟ فلا يكون هناك حكمة . أو أن تهمس همساً من على بعد خمسة أمتار بحيث لا يسمعك ، فلا بد من أن ترفع الصوت إلى درجة ليصله . فتعيير الصوت بحيث يصل إلـى السـامع دون أن يتجاوزه كثيراً ، ودون أن يقصر عنه ؛ هذه هي الحكمة . فالحكمة ؛ وضع الأشياء في أماكنها . والحكمة ؛ أن تفعل الشيء المناسب ، في الوقت المناسب ، في القدر المناسب ، للشـخص المناسب على الشكل المناسب ، فالله سبحانه **صمد** هو حكيم ..

وقال : **الصمد** ؛ " هو السيد الذي عظم سؤدده "، أي مجده .

وقيل : **الصمد** .. " هو الخالق للأشياء ، فإن كونه سيداً يقتضي ذلك" .

تعريفات أُخرى للصمد ، فعندما يقرأ الإنسان في صلاته :

" **قُلْ هُوَ اللهُ أَحدٌ لم يلد ولم يُولد ولم يكُن لهُ كُفُوا أَحدٌ** " .

هذه المعاني كلها ينبغي أن ترد إليه . فالإنسان يتدبر في كلام الله عز وجل ، ويتأمل في المعاني الدقيقة التي يقرأها فيخشع قلبه ، ويرقى إلى الله عز وجل بهذه المعاني .

قيل : **الصمد** ؛ " هو المقصود إليه في الرغائب ، المستغاث به عند المصائب ". وقيل : **الصمد** ؛ " الذي يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ".

الإنسان يشاء ولا يفعل ، لا يستطيع ، الله عز وجل وصف ذاته بقوله تعالى ، فالإنسان يريد تحقيق قضية ما لا يستطيعها .

ما كل ما يتمنّى المرءُ يدركه تجري الرياح بما لا تشتهي السفنُ .

أما الله عز وجل :

فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾

(سورة البروج)

فقد تجد إنساناً يحبك ولك عنده مكانة كبيرة، وتلجأ إليه فيقول لك : والله لا أستطيع كان بإمكاني قبل هذا الوقت . كان هناك شاغراً وظيفياً وقد سد هذا الشاغر ، كان هنـاك شخصـاً أعرفه نقل من منصبه ، على أنك أثير عنده يعجز عن مساعدتك .

الدين أساساً صلة بالله . التجاء إلى الله . وغير المؤمن يلتجئ إلى إنسان ، يعني إما أن تكون عبداً لله ، أو إما أن تكون عبداً لعبد الله . فالله سبحانه وتعالى يفعل ما يشاء ، ويحكم ما يريد ، وما دام يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ، ولا معقب لحكمه ولا راد لقضـائه إذاً ؛ هـو المقصود، هو القوي ، هو الغني ، هو القهار .

وقال بعض العلماء : " الصمد هو الماجد الذي لا يتم أمر إلا به " ، وقيل : **الصمد** .. " الكبير ، الذي ليس فوقه أحد ".

ففي ذات مرة سئِل أحدهم فقالوا له : هناك من أكبر منك ؟ فقال: نعم ، والأكبر هنـاك من هو أكبر منه ؟ وأكبر وأكبر وهكذا .. والله أكبر من الجميع . وأنا مـع الله . فـالأكبر ؛ هناك من هو أكبر منه . فإن كنت عالماً ؛ فهناك أعلم منك ، وإن كنت قوياً ، فهناك أقـوى . وإن كنت غنياً، فهناك أغنى . أما الكبير الذي ليس فوقه أحد ، هو الله ؛ بالقدرة والعلم والغنى ، فإذا كنت مع الله ، فأنت أقوى الناس ، وأنت أغنى الناس ، وأنت أعلم الناس .

وقيل : **الصمد** .. " الكامل في كل الصفات ، فيدخل فيه الكمـال فـي العلـم والقـدرة والحكمة والغنى ".

وقيل **الصمد** .. " الذي يحتاج إليه كلّ أحد ، وهو مستغنٍ عن كل أحد ".

الإنسان الغني يحتاجه الناس ، وهو محتاج الناس من أجل أن يأكل ، ومن أجل أن ينام ، مهما كنت غنياً أنت بحاجة لكل الناس ، بحاجة لمن يقدم لك رغيف الخبز ، بحاجـة لمـن يمسح لك سيارتك ، بحاجة لمن يمدد لك الكهرباء في البيت ، فالغني يحتاجه الناس ، ولكنّـه في المقابل يحتاج الناس. أما الصمد .. هو الذي يحتاجه كل مخلوق ؛ وهو مستغنٍ عن كـل أحد، يحتاجه كل أحد ، وهو مستغنٍ عن كل أحد .

وقيل : **الصمد** .. " هو الذي تقدست ذاته عن إدراك الأبصار والعيان.. وتنزه جلاله عن أن يدخل تحت الشرح والبيان " فالأبصار والحواس لا تسـتطيع أن تُدركـه ، هـذا الصـمد

والشرح مهما كان لا يفي بجلاله ، وقيل: -كما قلت قبل قليل- الباقي بعد خلقه لا يموت ، ولا يورث ، هو الذي يرث الأرض ومن عليها ، المطلق الأزلي ، الأبدي ، الذات الكاملة .

وقيل : **الصمد** .. " الذي لا ينام ، ولا يسهو ، ولا يغفو ".

أحياناً تجد براداً -ثمنه عشرون أو ثلاثون مليوناً -ومنقلباً على الطريق ، وسبب ذلـك أن السائق قد نام وهو يقود السيارة ، والنوم سلطان ولكن الله تعالى قال يصف نفسه :

لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ

(سورة البقرة)

وقيل : " إن **الصمد** هو الذي يصمد إليه في الحوائج ، ويقصد إليه في الرغائب " ، وقال القشيري : " **الصمد** هو الذي لا يزول أبداً " .

هذه المعاني كلها مما وردت في ثنيات الكتب التي تحدثت عن أسماء الله الحسـنى ، أو فسرت كلامه جل جلاله ، كل هذه المعاني تشير إلى اسم **الصمد** .

لله عز وجل وصف نفسه بهذا الاسم ليكون مقصد عباده . أحياناً يسأل الإنسان قويـاً ، لكن القوي لا يرغب أن يلبي الحاجة ، فقد يحرج لكي يلبي لك حاجتك ، لكن الله عـز وجـل عندما قال لعباده : يا عبادي ، أنا صمد في قوله تعالى : " **قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ اللهُ الصمدُ لم يلد ولم يُولد ولم يكُن لهُ كُفُوا أَحَدٌ** " أي اقصدوني ، إذاً هناك فرقٌ بين الله جل جلاله ّ، وبين العبد فهو يغضب عليك إن لم تسأله :

لا تسألن بُنَي آدم حاجةً وسل الذي أبوابه لا تغلقُ
الله يغضب إن تركت سؤاله وبُنَي آدم حين يُسأل يغضب

لله قال لك : أنا **صمد** ، أي اسألني ، وهذا معنى قول النبي الكريم في الحديث الصحيح :

عن الأَغَر قَالَ أَشْهَدُ على أَبِي هُرَيرةَ وَأَبِي سعيد الْخُدري أَنهُما شَهِدا على النبِي صلى اللهم عليه وسلام أَنهُ قَالَ إِن الله عز وجل يُمهلُ حتى يذْهب ثُلُثُ الليل ثُم ينْزِلُ فَيقُولُ هلْ من سائِلٍ هلْ من تَائِبٍ هلْ من مُستَغْفر هلْ من مُذْنبٍ قَالَ فَقَالَ لهُ رجُلٌ حتى يطْلُع الْفَجرُ قَالَ نَعم *

(مسند الإمام أحمد)

وهنا يقول الإمام الغزالي : الله جل جلاله اختار هذا الاسم لذاته، ليقصده عبـاده فـي المهمات في دنياهم وفي دينهم .

يقولون لك : دنيا .. نعم ولكن هناك دنيا ضرورية للآخرة ؛ ففي الدعاء الشريف : اللهم أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا ، أصلح لنا دنيانا التي فيها معاشنا ، وأصلح لنا آخرتنـا التي إليها مردنا .

وأصلح لنا دنيانا التي فيها معاشنا : إذا كان الإنسان صحته طيبة، ومعـه مـال يكفـي حاجاته، وله أهل محصن ، وله أولاد ، فهذه دنيا لكن صالحة ، أصلح لنا ديننـا الـذي هـو عصمة أمرنا ، وأصلح لنا دنيانا التي فيها معاشنا ، وأصلح لنا آخرتنا التـي إليهـا مردنـا . فالنبي واقعي ، وهناك حديث آخر يقول عليه الصلاة والسلام : " ليس بخيركم من ترك دنيـاه لآخرته ، ولا من ترك آخرته لدنياه ، إلا أن يتزود منهما معاً فإن الأولى مطيةٌ للثانية " .

وقال بعض العارفين : " إن من أراد أن يتحلّى بأخلاق **الصمد** ، فليقلـل مـن الأكـل والشرب، وليترك فضول الكلام ، ويداوم على ذكر **الصمد** " .

ألم نقل قبل قليل : **الصمد** هو الذي يحتاجه كلّ شيء ، وهو مستغنٍ عن كـل شـيء . فكلما كان الإنسان شرهاً يريد أن يأكل ، وأن يلبس، وأن يسـكن ، وأن يتـزوج ، وشـرهاً للشهوات ، ابتعد عن التخلق بأخلاق الصمد ، لكن يقول أحد الأدباء :

لي صديق كان من أعظم الناس في عيني
وكان رأس ما عظمه في عيني ، صغر الدنيا في عينيه .

أي أن تتأدب بهذا الأدب ؛ تصغر الدنيا في عينيك - فكان خارجاً عن سلطان بطنـه .. كيف ؟ قال : لا يشتهي ما لا يجد ولا يكثر إذا وجد .. كلام معيار دقيق ..كان لا يشتهي مالا يجد الأكثر إذا وجد ، تجد المؤمن مؤونته خفيفة ، وظله خفيفاً ، وحاجاته خفيفـة . بـل إن النبي- عليه الصلاة والسلام- وصف الزوجة الصالحة بأنها قليلة المؤونة ؛ أي طلباتها قليلـة تقنع بالقليل . ففي الحديث :

عن عائِشَةَ عن النبي صلى اللهم عليه وسلم قالَ أعظمُ النساء بركةً أيسرُهُن مؤونَةً * (مسند الإمام أحمد)

والله أعرف رجالاً كثيرين جداً دمرتهم زوجاتهم . زوجاتهم حملنهم على أكل المال الحرام ، وكُشفوا وسرحوا وعوقبوا وسجنوا ؛ هذا معنى قول الله عز وجل :

إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ

(سورة التغابن)

تحمله على كسب المال الحرام . أما الصحابية الجليلة كانت تقف مودعةً زوجها قبل ذهابه إلى عمله وتقول له : يا فلان ، اتق الله بنا فنحن بك ، نصبر على الجوع ، ولا نصبر على الحرام .

من أراد أن يتحلى بأخلاق **الصمد** فليقلل من الأكل والشرب وليترك فضول الكلام ، أي الهذر .. من كثر كلامه كثر خطؤه .. فكان صاحب هذا الأديب خارجاً عن سلطان بطنه ، فلا يشتهي ما لا يجد ، ولا يكثر إذا وجد ، وكان خارجاً عن سلطان الجهالة ، فلا يتكلم بما لا يعلم ، ولا يماري فيما علم ، وكان لا يدلي بحجة إلا إذا رأى قاضياً فهماً ، وشهوداً عدولاً ، وكان يرى ضعيفاً مستضعفاً ، فإذا جد الجد فهو الليثُ عادياً .

فالتخلق بأخلاق **الصمد** .. أن تُقلل تعلقك بالدنيا ، أن تُقلل تعلقك بحوائج الدنيا ..قال دخلت امرأة إلى سوق من أرقى الأسواق في بعض المدن ، فالأصناف التي فيه لا تُعد ولا تُحصى ، قالت هذه المرأة : يا إلهي كم هي الحاجات التي لا يحتاجها الإنسان !!

يقولون لك : فلان فقير ، الفقير ساكن في بيت آكلاً وشارباً ولابساً ، ولكن مقياس الفقر والغنى -الكماليات ؛ الأشياء الثانوية ، فعندما يقنع الإنسان بالقليل يكون غنياً .

وكنت أقول دائماً : هناك فقر القدر ، وهناك فقر الكسل .. فقر الكسل مذموم ، لكن فقر القدر مقبول . وهناك غنى البطر ، وهناك غنى الكفاية ، أسع لغنى الكفاية لا لغنى البطر . وأقبل فقر القدر ، وارفض فقر الكسل .. فالفقر الذي أسبابه الكسل ينبغي أن ترفضه ؛ لأن علو الهمة من الإيمان . أما الفقر الذي أسبابه القدر ينبغي أن ترضى به ؛ لأن هذه مشيئة الله . إن سعيت إلى المال لا تسع إلى غنى الترف والبطر ، بل اسع إلى غنى الكفاية : اللهم من أحبني فاجعل رزقه كفافاً .

ومن تخلق بأخلاق **الصمد ؛** عليه أن يكثر من ذكر **الصمد** . من أحب السور إلى النبي سورةُ الإخلاص .. وقد ورد في بعض الأحاديث أنّها تعدل ثُلث القرآن سورة الإخلاص ، فنلاحظ في شهر رمضان ترك الإنسان الطعام والشراب تصفو نفسه .

قال : ومما نستفيد من اسم **الصمد** ؛ أن المؤمن يعرف جيداً أن الله هو الذي يطعم ولا يطعم .. فإذا كان الله وحده هو الذي يطعم ؛ توجه إليه وتوكل عليه ، ورغب فيما عنده وأيس مما في أيدي الناس .

من عرف أن الله دائم لا يزول ، زهد في حطام الدنيا . كلكم يرى رأي العين الإنسان عندما يغتني ، كل هذا المال لا يستطيع أن يأخذ منه شيئاً إلى القبر .. فإذا توقف القلب قـال الطبيب لأهله : لقد انتهى ومات، وعظم الله أجركم ، فكتبوا النعوات وقاموا بتشييعه ، وهـذا الميت لم يعد يملك شيئاً من الدنيا ، ولا أدق الأشياء ولا أخصها ، ولا غرفتـه ولا أثاثـه ولا مقتنياته الشخصية ، فإذا الإنسان أن الله حي لا يموت ، وأن الله لا يزول ، وأن الله باق علـى الدوام ، وأنه الباقي بعد فناء خلقه تعلق به وحده لأنه الباقي وغيره فاني.

موضوع الحوائج .. فلا تتعلق بالفاني ، ولكن تعلق بالباقي . فهناك بيوت جميلةً جداً ، وهناك أذواق رفيعة ، الإنسان يشتهي أن يسكنها ولكنها هل تدوم ؟ لا .. لا تدوم ، فلا بـد من أن يخرج منها أفقياً .. مرةً واحدة ولا يعود أبداً . والمشكلة أن توازن بين البيـت وبـين القبر فهناك تجد بوناً شاسعاً . وهذا هو مصير كلّ حي ، فإذا الإنسان أن اللهَ صمد ، بمعنـى أنه المقصود ، يقصده . وإذا أيقن أن الله هو الصمد بمعنى الباقي ، لا يتعلقُ بالفاني – وطبعاً هذه الأشياء مهمةً جداً في الدرس ـ فالآن التطبيق العملي نتيجة هذه التعريفات .. في عنـدك باقي عندك فاني ، فمن تعلق بما سوى الله ؛ فعنده خبز مؤلم جداً ؛ وهو أنه يفارقه لا بد مـن الفراق . عش ما شئت فإنك ميت ، وأحبب من شئت فإنك مفارق ، إن أحببت هذه الزوجـة ، لا بد من وقت تفارقها أو تفارقك . إذاً كما قال عليه الصلاة والسلام : لو كنت متخـذاً مـن العباد خليلاً لكان أبو بكرٍ خليلي ، ولكن أخٌ وصاحب في الله .

الآن الأدب الثالث .. من أدب المؤمن مع هذا الاسم ألا يقصد بحوائجه غيـر الله ، وألا يعول إلا على الله .

ألا يقصد إلا الله ، وألا يضع الآمال إلا بالله ؛ وهذا معنى الحديث الشريف : " لا يخافن العبد إلا ذنبه ، ولا يرجون إلا ربه " .

الاستدلال الرابع : أن يتخلق الإنسان بهذا الاسم ، فيجعل نفسه مقصوداً من قبل النـاس للخير ، معيناً لهم على حوائجهم ، أي إذا الإنسان فتح بابه ، واسـتقبل أصـدقاؤه وإخوانـه وأحبابه وأقرباؤه وجيرانه ، وقام بحل مشكلاتهم ، وأعانهم على حياتهم ، ووفق بينهم ، وزوج أعذبهم ، وأصلح فيما بينهم ، فإذا كان مقصوداً في حوائج الناس فقد تخلق بهذا الاسم . ويقول عليه الصلاة والسلام : " أحب الناس إلى الله أنفعهم لعباده".

أيها الإخوة ... الإنسان إذا تفكر في خلق السموات والأرض ، يرى جانباً من عظمة الله عز وجل ، وقد يرى أسماؤه الحسنى وصفاته الفُضلى ، ظاهرةً في الكـون ، ظهـوراً بينـاً واضحاً ، فالله سبحانه وتعالى يحتاجه كل مخلوق ، يحتاجه كلّ شيء في كل شيء ، إذاً هـو المقصود ، وهو باق على الدوام . إذاً تعلق بالباقي لا بالفاني . وكُلما خففـت مـن شـهواتك ومتطلباتك ورغباتك، اقتربت من خالقك . وكلما فتحت بابك للناس لتقضي حوائجهم ، تخلقت

بهذا الاسم .. أربع تطبيقات عملية لهذا الاسم **الصمد** : " " **قُلْ هُو اللهُ أحدٌ اللهُ الصمدُ لم يلـد ولم يُولد ولم يكُن لهُ كُفُوا أحدٌ** " .

الحمد لله **رب العالمين**

الدرس ٦٢ - اسم الله : "العظيم"

بسم الله الرحمن الرحيم

مع الاسم الثاني والستين من أسماء الله الحسنى ، والاسم هو اسم **العظيم** .

هذا الاسم قد أورده النبي صلّى الله عليه وسلّم في حديثيه الشهيرين الذين ذكر فيهما أسماء الله الحسنى . وأما المعنى اللُغوي لكلمة **العظيم** ، فإذا اشترك شيئان في قاسم مشترك ، ورجح الأول نُسمي الأول **عظيماً** . إذا كان أحدهما زائداً على الآخر في ذلك المعنى المشترك، سمي الزائد عظيماً ، نقول هذا جسم **عظيم** .. أي له أبعاد .. له طول أطول، وعرض أعرض ، وعمقٌ أعمق ، نقول هذا الشيء **عظيم** .

أيها القارىء الكريم ... يمكن أن نقول : فلان **عظيم** في العلم ، أي يتمتع بعلمٍ غزير ، ونقول فلان **عظيم** في المال ، وفلان **عظيم** في الملك، وقد نقول **عظيم** القرية أي سيدها ، **والعظيم** مشتقٌ من العظم .. والعظْم ؛ هو الضخامة والعز والمجد والكبرياء .. لا زلنا في اللغة .. الشيء **العظيم** الشيء القوي ، الشيء الضخم ، الشيء العزيز ، الشيء الماجد ، ذو الكبرياء .

أما إذا قلنا: إن الله سبحانه وتعالى **عظيم** ، فمعنى ذلك : أنه عظيم في وجوده . المخلوقات موجودة ، فالجبل موجود ، والبحر موجود ، والسهل موجود ، والإنسان كذلك موجود ، والحيوانات موجودة ، والنبات موجود ، لكن هذه الموجودات جميعاً سبقها عدم ، وسوف تنتهي إلى عدم . أما إذا قلنا : إن الله عظيم في وجوده ؛ أي ؛ وجوده أزلي أبدي ، لا شيء قبله ، ولا شيء بعده ، هو الحي الباقي على الدوام .

موضوع الفناء موضوع يتصف به الخلق ، بينما موضوع البقاء من صفات الخالق . موضوع الحداثة من صفات الخلق ، أما موضوع القدم من صفات الخالق . أنت موجود والله موجود ، وشتان بين الوجودين ، أولاً : وجود الإنسان يسبقه عدم وينتهي إلى عدم ، هو حادثٌ فانٍ ، لكن الشيء الأهم أن وجود الإنسان مفتقر إلى شروط لا يملكها ، فمن منا يملك استمرار وجوده ؟ لا أحد فقد قال تعالى :

إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾

(سورة الزمر)

وجود الإنسان متعلقٌ بشروط ، لو منعت عنه الهواء يموت ، لو منعت عنه المـاء يموت ، ولو منعت عنه الطعام إلى أمد معلوم يموت ، لو حرمته من الزوجة يختل توازنـه ، لو حرمته من الأولاد يشعر بالقلق ، وجود الإنسان وجود قائم على غيره ، علـى شـروط لا يملكها ، لكن وجود الله سبحانه وتعالى ذاتي لذلك قال تعالى :

قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾

(سورة الإخلاص)

فشتّان بين الوجودين ، فالله سبحانه وتعالى عظيم في وجوده ، **عظيم** فـي علمـه ، علْمنَا الآن في هذا المكان ، لا يمكن أن يتجاوز الجدران، ماذا يجري في الشارع ؟ لا نعلم ، ماذا في البيت ؟ لا نعلم علمه محدود متعلق بالحواس الخمس ، ومتعلق بالحواجز ، لكن علم الله سبحانه وتعالى علم مطلق تعلق بكل ممكن فقد قال تعالى :

وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٦﴾

(سورة الحجرات)

" **والله بِكُل شَيء عليم** " علم ما كان ، وعلم ما يكون ، وعلم ما سيكون ، وعلم ما لم يكن لو كان كيف كان يكون . فالله سبحانه وتعالى **عظيم** في وجوده ، **عظيم** فـي علمـه ، **عظيم** في قدرته ، هو على كل شيء قدير ، لا يعجزه شيء في السموات ولا في الأرض .

تصور إنساناً ينضوي تحت ظل القدير ، هل يخشى قوياً ؟ إذا كان الله معـك فمـن عليك ؟ وإذا كان عليك فمن معك ؟ يا رب ماذا فقد من وجدك ؟ وماذا وجد من فقدك ؟

الله عز وجل **عظيم** في وجوده ؛ وجوده أزلي أبدي ذاتي . عظيم في علمه ؛ بكـل شيء عليم .. يعلم الظاهر والباطن ، ما جلا وما خفي ، يعلم دبيب النملـة السـمراء علـى الصخرة الصماء في الليلة الظلماء ، إنه بكل شيء عليم .

على كل شيء قدير **عظيم** في قدرته ، فمثلا بحسب علم الأطباء يقـال لـك : هـذا مرض عضال لا شفاء منه . الإنسان أحياناً يتوجه إلى الله عز وجل بالـدعاء ؛ فتقـف هـذه الخلايا التي تنمو نمواً عشوائياً ، وينحسر المرض ، ويظهر الله آياته .. عظيم فـي قدرتـه .

عظيم في قهره ؛! سبحان من قهر عباده بالموت ، قهر الجبابرة، قهر الطغاة ، قهـر الـذين نازعوه الكبرياء والعظمة .

عظيم في سلطانه ، عظيم في قهره ، فالله عز وجل سلطانه ممتد إلى أي مكـان ، وفي أي زمان ومع أيَ مخلوق .. يعني مدير الدائرة، سلطانه على موظفيه في أثناء الـدوام ، أما إذا تغيبوا في البيت فسلطانه عليهم لا يزيد عن أن يحسم من رواتبهم ، أما سلطان الله على الإنسان ؛ كل أجهزته بيد الله ، وكل أعضائه بيد الله ، كل حواسه بيد الله ، ذاكرته بيـد الله ، ودسامات قلبه ، وكليته بيد الله ، يعني أن الإنسان إذا استيقظ صباحاً ، ورأى أنه قد سمح لـه أن يعيش يوماً جديداً ، وأنه معافى في جسمه ، فهذه نعمةٌ لا يعرفها إلا من فقدها ، الكليتان تعملان بانتظام ، جهاز الهضم بانتظام، البنكرياس يفرز الأنسولين ، القلب ينبض ثمانين نبضة في الدقيقة ، الدسامات في القلب لا تسمح للدم أن يرجع ، فإذا رجع الدم إلـى القلـب أجـرة العملية الجراحية لإصلاح ذلك تبلغ ستمائة ألف من الليرات ، وقد تنجح وقد لا تنجح ، وقـد تجرى في القطر أو في خارج القطر ، هذا إذا رجع الدم إلى القلب ، فمن ضبط الدسـامات ؟ فنحن تحت ألطاف الله عز وجل .

يقولون : أصيب فجأةً بعمى ألوان .. فتجده على إشارة المرور الحمـراء ينطلـق بسيارته بدلاً من الوقوف ، إذا أصيب الإنسان بعمى الألوان يمنع فوراً من قيـادة السـيارة ، وأنتم تسمعون .. وما أكثر الأمراض ، وما أكثر الخلل الذي يصـيب بعـض الأجهـزة ، أو بعض الأعضاء ، فالله سبحانه وتعالى **عظيم** ، **عظيم** في سلطانه .

يعني أنت لِكونك جسماً ونفساً .. فأحياناً تشعر بانقباض ، وأحياناً ينشرح صدرك ، وأحياناً يضيق صدرك ، أحياناً تتفاءل ، وأحياناً تتشاءم ، أحياناً يعروك الهم : فإذا قصر العبد في العبادة ابتلاه الله بالهم والحزن.

أحياناً تضعف معنوياتك ، تضعف أمام عدوك ، وأحياناً يقويك عليه ، جسمك بيده ، ونفسك بيده ، ومن حولك بيده ، وتجارتك بيده، وزوجتك بيده ، وأولادك بيده .. قال بعضهم : أعرف مقامي عند ربي من أخلاق زوجتي ، قد يساس قيادها وقد لا يساس !!

أيها الإخوة القراء الكرام ، الله **عظيم** في وجوده ، **عظيم** في علمه ، **عظيم** في قدرته ، **عظيم** في قهره ، **عظيم** في سلطانه ، **عظيم** في نفاذ حكمه .. قد يتمنّى الإنسان مثلا مئـات الحاجات والأشياء فلا تتحقق ، ولكن الله سبحانه وتعالى فعالٌ لما يريد ، إذا أراد شيئاً يقـول: كن فيكون . كل شيء وقع أراده الله ، كل شيء أراده الله وقع ، أي أن هذا **العظيم** ، أينسى ؟ أينصرف عنه ؟ أيعرض عنه ؟

أرى لزاما علي أن أقول هذه الكلمة : لا يليق بالإنسان أن يكون لغير الله . وما أكثر الناس الذين يعبدون عباداً لله من دون الله ، إما أن تكون عبداً لله .. فعبد الله حـر ، وإمـا أن تكون عبداً لعبد لئيم !!

وأشد الناس خسارةً من ربط مصيره بمصير إنسان ، لأن هذا الإنسان لا يملك لـه نفعاً ولا ضراً ، ولا موتاً ولا حياةً ولا نشورا ، ولا رزقاً ولا عطاء ولا حرمانا .

أرسل أحد الولاد إلى سيدنا عمر بن عبد العزيز رسالةً قال فيها : يا أمير المـؤمنين إن أُناساً قد اغتصبوا مالاً ليس لهم ، لستُ أقدرعلى استخراجه منهم ، إلا أن أمسهم بالعذاب ، فإن أذنت لي فعلته .

فقال هذا الخليفة الراشد : يا سبحان الله .. أتستأذنني في تعذيب بشر ؟ وهل أنا لـك حصن من عذاب الله ؟ وهل رضائي عنك ينجيك من سخط الله ؟ أقم عليهم البينة ، فإن قامت فخذهم بالبينة ، فإن لم تقُم فادعهم إلى الإقرار ، فإن أقروا فخذهم بإقرارهم ، فإن لـم يقـروا فادعهم لحلف اليمين ، فإن حلفوا فأطلق سراحهم ، وايم الله لأن يلقوا الله بخيانتهم ، أهون من أن ألقى الله بدمائهم ، هل أنا لك حصن من عذاب الله ؟

أيها القارىء الكريم ... قيل : **العظيم** عظيم لأن العقول لا تصل إلى كنه صمديته . أيام يكون شيء عظيماً ، لكن يحاط به علماً ، تُدرك أبعاده ، لكن إذا قلت : إن الله عظـيم .. العقول عاجزة عن أن تصل إلى كُنه صمديته ، لذلك لا يعرف اللهَ إلا اللهُ ، وليس هناك نبـي بما فيهم سيد الأنبياء والمرسلين- عرف الله المعرفة المطلقة ، هو أعرفنا بالله ؛ لكـن اللهَ لا يعرفه إلا اللهُ .

ف**العظيم** ؛ هو الذي تعجز العقول عن أن تُدرك صمديته ، وتعجز الأبصار عن أن ترى كما قال بعض العلماء : سرادقات عزته .

الآن هناك نقطة دقيقة المعنى جداً .. من الممكن أن يحيط البشر إنسانا عاديا بهالـة عظيمة ، فبعض شعوب آسيا المتخلفة يأتون كاهنا من كهانهم بطفل فيسمونه إلهـاً ، ويحـاط بالتعظيم ، والإجلال والإكبار والتقديس ،.. فصار هذا الطفل عند كبره إلهاً لهـم ، ويعظّمـه الناس ، فهو عظيم لأن الناس عظموه ، أما هو في ذاته ليس بعظيم ، أمـا إذا قلـت : إن الله عظيم ؛ لا لأن العباد عظموه ، لا لكن ؛ لأنه عظيم في ذاته ، هومستغنٍ عن تعظيم العباد له ، ففي الحديث القدسي :

عن أبِي ذَر عنِ النبِي صلى الله علَيه وسلم فيما روى عنِ الله تَبارك وتَعالَى أَنه قالَ يا عبادي إِني حرمتُ الظلْم علَى نَفْسي وجعلْتُه بينَكُم محرما فَلا تَظَالَموا يا عبادي كُلكُم ضـال إِلا مـن هديتُه فَاستَهدوني أَهدكُم يا عبادي كُلكُم جائِع إِلا من أَطْعمتُه فَاستَطْعموني أُطْعمكُم يا عبـادي كُلكُم عارٍ إِلا من كَسوتُه فَاستَكْسوني أَكْسكُم يا عبادي إِنكُم تُخْطئُون بِالليل والنهارِ وأَنَا أَغْفـر

الذنُوب جميعا فَاستَغْفرونِي أَغْفر لَكُم يا عبادي إِنكُم لَن تَبلُغُوا ضري فَتَضرونِي ولَـن تَبلُغُـوا نَفْعي فَتَنْفَعونِي يا عبادي لَو أَن أَولَكُم وآخرَكُم وإِنْسكُم وجِنكُم كَانُوا علَى أَتْقَى قَلْبِ رجلٍ واحد منْكُم ما زاد ذَلِك في ملْكي شَيئًا يا عبادي لَو أَن أَولَكُم وآخرَكُم وإِنْسكُم وجِنكُم كَانُوا علَى أَفْجرِ قَلْبِ رجلٍ واحد ما نَقَص ذَلِك من ملْكي شَيئًا يا عبادي لَو أَن أَولَكُم وآخرَكُم وإِنْسـكُم وجِـنكُم قَاموا في صعيد واحد فَسأَلُونِي فَأَعطَيتُ كُل إِنْسانٍ مسأَلَتَه ما نَقَص ذَلِك مما عنْـدي إِلا كَمـا ينْقُص الْمخْيطُ إِذَا أُدخلَ الْبحر يا عبادي إِنما هي أَعمالُكُم أُحصيها لَكُم ثُم أُوفيكُم إِياها فَمن وجد خَيرا فَلْيحمد الله ومن وجد غَير ذَلِك فَلا يلُومن إِلا نَفْسه *

(صحيح مسلم)

أحياناً لشدة ما يحاط الإنسان بالتعظيم ؛ يبدو للناس عظيماً ، لكن الله سبحانه وتعالى ليس كذلك ، فهو **عظيم** ، سواء أعظمه الناس أو لم يعظموه ، أعرفوه أم لم يعرفوه ، أقدسـوه أم لم يقدسوه .

فقد تجد إنساناً يقال لك عنه: هذا **عظيم** في المال ، أي حجمه المالي كبيـر ، إسـأل وتحقق عن ماله فتجده مئتي مليون ، أصبح محدوداً ، أو يبلغ ماله ثلاثمائة ، أو أربعمائة ، أو ثمانمائة ، أو ألف مليون ، أو أربعة آلاف مليون ، فقد تحدد الرقم ، لكن إذا قلت إن الله عظيم ، العلماء يقولون : " لا حدود لعظمته ".

عظمته لا نهائية . وليس في الإسلام كلمة تُعبر عن هذا الإطلاق كقولك : الله أكبر. مهما عرفت من قدرته فهو أكبر ، مهما عرفت من علمه فهو أكبر، مهما عرفت من رحمتـه فهو أكبر ، مهما عرفت من سلطانه فهو أكبر ، مهما عرفت من جلاله فهو أكبر .

وقيل : **العظيم** .. هو الذي ليس لعظمته بداية ، على مستوى البشر يقولـون لـك : فلان هذا كان لا يملك شيئاً .. الآن **عظيم** بماله ، وقد كان فقيراً ، معنـى هـذا أن العظمـة البشرية لها بداية .. فلان ملك ، لقد كان جندياً في بداية أمره مثلا ، فلان دكتور من أسـاطين العلم ، كان جاهلاً من قبل ذلك، فلهذه العظمة بداية ، إذا قلت : إن الله عظيم .. فليس لعظمته بداية ، ولا لجلاله نهاية ، هذا معنى أن يكون الله **عظيماً** .

وقيل : **العظيم** الذي لا تهتدي العقول لوصف عظمته ، ولا تحيط بكنهه بصيرة . أي يستحيل أن تحيط بعظمة الله ، من المعاني الدقيقة جداً التي يمكن أن تفسر قوله تعالى :

وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ

(سورة غافر)

ما ذنب النبي عليه الصلاة والسلام ؟ وقد قال تعالى :

لِّيَغۡفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ

(سورة الفتح)

وقد قال تعالى كذلك :

لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ

(سورة التوبة)

" **لقد تاب الله على النبي** " ما الذنب الذي ارتكبه النبي ؟! قال بعض العلماء : " هذه خاصةٌ برسول الله ، لأنّه كلما عرف جانباً من عظمة الله، استحيى من المعرفة السابقة ، وكلما ارتقت معرفته بالله رأى أنه أذنب في حق الله، حينما عرفه أقل مما ينبغي ".

إذا كنت مثلاً ولله المثل الأعلى .. تتصور إنساناً يحمل شهادة الليسانس ثم تفاجأ بأنه يحمل الماجستير ، ظننته يحمل ماجستيرا ثم تفاجأ أنه يحمل دكتوراه ، ظننته يحمل دكتوراه ثم تفاجأ بأن له ثلاثين مؤلّفاً بعض هذه المؤلفات فريد نوعها في العالم ، فكلما أدركت جانباً من علمه تكشف لك علم لا تعرفه ، إذاً أنت تشعر أنك مقصر في معرفته ، فربما كان ذنب النبي عليه الصلاة والسلام ، أنه كلما تكشف له جانب من عظمة الله عز وجل ، شعر أن معرفته السابقة هي ذنب وقع فيه فلزمه الاستغناء جراء ذلك .

وبعد فإن كلمة عظيم وردت في مواضع من القرآن الكريم ، الموضع الأول :

ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾

(سورة البقرة)

أما الآية الثانية :

لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٤﴾

(سورة الشورى)

الآية الثالثة :

فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾

(سورة الواقعة)

الآية الرابعة :

إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾

(سورة الحاقّة)

أيها القراء الكرام ... ما من مخلوق من بني البشر إلا ما ندر إلا وهو يؤمن بالله ، لكن الإيمان الذي ينجي هو أن تؤمن بالله **العظيم** ، إن آمنت أنه **عظيم** ؛ استحييت أن تعصيه ، وكبر عليك أن تعرض عنه ، العبرة أن تؤمن بالله **العظيم** ، إنك إن لم تؤمن بالله **العظيم** ، لن تُطيع الله عز وجل ، اسأل هؤلاء الناس الذين يعصون الله عز وجل ليلاً ونهاراً في كسب أموالهم ، وفي علاقاتهم بالنساء ، وفي عدوانهم على الآخرين ، وفي انحيازهم لمصالحهم ، اسأل هؤلاء الناس : ألا تؤمن بوجود الله ؟ فستجده يقول لك : أعوذ بالله أنا مؤمن .

إذًا كيف تعصيه ؟! لأنه ما آمن بالله **العظيم** .. هو آمن بالله ؛ لكنه ما آمن بالله **العظيم** ، آمن بأن لهذا الكون خالقاً ، لكن ما آمن بالله **العظيم** ، الإيمان بأن لهذا الكون خالقاً ؛ هذه ضرورةٌ فطرية ، أما الإيمان الكسبي الذي يبنى على جهد بشري ؛ هو أن تؤمن بالله **العظيم** ، لأن الإيمان بالله **العظيم** يحملك على طاعة الله **العظيم** ، وأي إيمان لا يحملك على طاعة الله لا قيمة له، لا يقدم ولا يؤخر ، أرأيت إلى إبليس ، أليس مؤمناً فقد قال :

قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى

(سورة الحجر)

وقال في آية أخرى :

قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾

(سورة ص)

لكن هذه المعرفة وهذه الأقوال لم تغنه شيئًا ، فقد عصى الله وكفر.

وأحياناً تجد راقصة تقول : الله قد وفقها بأداء هذه الرقصة ، إذاً فهي مثـل أبلـيس تماماً " **فبعزتك لأغْوينهم أجمعين** " فهل هذ إيمان ؟! هذا إيمان إبليسي ، أي إنك أن آمنت أن لهذا الكون إلهاً فهذا إيمان ، لكن لا يرقى بك إلى السعادة ؛ لأنه ما حملك علـى طاعـة الله ، كيف أن إبليس " **قَالَ فَبِعزتك لأغْوينهم أجمعين** " .

وفي الآية الأولى " **قَالَ رب** " ولكنّه ما آمن بالله **العظيم** ، فلو أنه آمن بالله **العظـيم** لخشع قلبه لذكر الله .

فالإنسان أحياناً يتساءل يا تُرى حينما قال ربنا سبحانه وتعالى :

خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ
ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾ إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾

(سورة الحاقة)

يا ترى لِم استحق النار ؟ لأنه ما آمن بالله **العظيم** ؟ إن الجواب الشافي أنه حينما لم يؤمن بالله **العظيم** فقد هان أمر الله عليه ، وعصى أمر ربه **العظيم** ، استحق النار على معصية ، وعلى عدوان ، وعلى انحراف ، وعلى إغواء ، فإن لم تؤمن بالله العظيم ، فلـن تطيـع الله عز وجل ، فالعذاب في النار على المعاصي والآثام ، وعلى البغي والعدوان ، وهـذه نتيجـة جهل الإنسان قدر ربه .

الآن ما هو المنعكس الذي ينعكس على المؤمن من هذا الإسـم **العظـيم** ؟ أجـل ؛ أتساءل لأثير خواطر القارىء الكريم .

أنت مؤمن .. وهذا موضوع دقيق بالغ الدقة .. إن رأيت عظمة الله عـز وجـل ، تلاشت عظمة نفسك . فأحياناً تجد إنساناً يملك مركبة صنعت في عام ثمانية وأربعين ، فيهـا كلّ علّة ، فلو رأى مركبة حديثة مصنوعة في العام ستّة وتسـعين ، ويبلـغ ثمنهـا خمسـة وعشرين مليوناً ، فهل سيرى نفسه شيئًا بمركبته الأولى ؟ سيتضاءل وسيتلاشى !!

إذا كان مالكاً بيتاً مئة متر تحت الأرض ، وله اتجاهه شمالي ، ودخل إلـى بيـت مساحته أربعمائة متر ، في أرقى أحياء دمشق ، وله إطلالة جميلة جداً ، وفـي كـل أنـواع

الأثاث الفخم والتزينات ، فهل بعد ذلك يفتخر ببيته ؟ ويتطاول قائلاً : بيتي . لا فبيته لا شيء إزاء ما رأى !!

إذا كان يخدم في الجيش ، ويحمل رتبة وكيل العريف - يضع شارة سبعة على ذراعه - ثم جلس مع لواء ؛ فهل سيقول لك : أنا أخدم في السلك العسكري ؟ وأنا وكيل عريف أم سيسكت ؟ سيسكت قطعا .

إذا كان معلماً في قرية ، وجلس أمام دكتور في الجامعة ، وهو أعلى أستاذ في الجامعة ، وله خمسون مؤلّفاً ، فهل يقول لك هذا المعلم: أنا ، وعلمي ، وأقوم بالتدريس في القرية الفلانية ، أم سيسكت ؟ سيسكت بالطبع ويتطامن !!

بائع متجول قعد أمام عضو غرفة تجارة وحجمه المالي ثمانمئة مليون فهل سيقول : أنا تاجر ؟ ومثله ممرض أمام جراحٍ للقلب ، والأمثلة كثيرة فالإنسان أمام خالق الأكوان هل يقول لك : أنا .

فهذا حال الفناء .. إن رأيت الله **عظيماً** تلاشت ذاتك ، فتجد المؤمن متواضعاً لأنه رأى عظمة الله ، فلا يقول : أنا فتذوب أناه ، يا رب أنت العالم، ونحن الجهلاء ، إني أنت القوي ونحن الضعفاء ، ربي أنت الغني ونحن الفقراء ، يا رب : نحن بك

فأول أدبٍ يتأدب به المؤمن مع اسم الله **العظيم** .. أن الكبر والاستعلاء والغطرسة والاعتداد بالنفس يتلاشى ، وحينما يتلاشى الكبر والاستعلاء والغطرسة والاعتداد بالنفس ، يزيده الله عزاً .

فهل تعتقدون أن هناك في الأرض إنساناً أعزه الله ، ورفع ذكره، وأعلى مقامه كرسول الله ؟ أنا لا أعتقد . اذهب إلى المدينة المنورة في أي وقت ، فهل من المعقول أن ترى جامعاً يتّسع لثلاثة ملايين إنسان ، جاؤوا من أقطار الدنيا ؛ من باكستان وأمريكا والفلبين ، ومن أستراليا من الصين من الهند وغيرها ، جاؤوا ليزوروا هذا الإنسان ، فمن هذا الإنسان وماذا أعطاهم ؟ يقفون أمامه خاشعين يبكون ، أنا لا أعتقد أن في الأرض كلها إنساناً رفع الله ذكره وأعلى مقامه وأعزه كرسول الله ، وفي الوقت نفسه لا أعتقد أن إنساناً افتقر إلى الله ، وتذلل له ، وتلاشى أمامه كرسول الله .

فالقضية محيرة .. كلما ازدت افتقاراً إلى الله ، أعزك . كلما ازدت افتقاراً وتذللاً وتواضعاً ، رفع الله لك ذكرك . النبي -عليه الصلاة والسلام -يذْكر كلّما ذُكر الله في قولك : **أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله** ، خمس مرات على مدار عقارب الساعة في الكون الرحيب

هل هناك إنسان أقسم الله عز وجل بعمره كرسول الله :

لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٢﴾

(سورة الحجر)

أنت حينما تفتقر لله ، وحينما تتواضع ، وحينما تقول يا رب أنا لا أعلم ، إنك أنـت العالم ، أنا ضعيفٌ ، في رضاك قوتي ، أنا فقير أغنني ، أنا جاهلٌ علمني ، أنا ضعيفٌ .. أنا أضعف خلقك ، يا رب أنت الكريم العظيم .. يزيدك الله عزاً .

الأدب الذي ينبغي أن تتأدب به مع اسم الله العظيم ، أن تشعر بالفناء أمامه . لـذلك إن رأيت إنساناً متغطرساً ، متكبراً معتداً بذاته يقول لك : أنا فهو هباء لا يساوي شيئاً .. إنك لم تؤمن بالله العظيم ، لو آمنت بالله العظيم لتلاشت ذاتك ، ولضعفت قواك ، ولذلت نفسـك ، وسبحان الله .. هذه العلاقة المعكوسة .. كلما ازدت تواضعاً ، زادك الله عزاً .

بالأرض كلها ما من فاتح على الإطلاق دخل مدينةً ، نكلت به سابقاً ، وناصبته العـداء عشرين عاماً ، إلا ويدخلها متغطرساً ، متكبراً متعجرفاً .. فتيمورلنك دخل إلى الشام ؛ فـأمر أن يبنى هرم من جماجم الناس ، خمسون ألف رأسٍ صفت من رؤوس البشر فوق بعضـها ، في المكان المسمى الآن برج الروس . ليس هناك غازٍ دخـل بلـدةً إلا واسـتباحها ، دخـل متعجرفاً متغطرساً ، إلا النبي- عليه الصلاة والسلام - دخل مكةً فاتحاً ، فكادت ذؤابة عمامته تلامس عنق بعيره ، تواضعاً لله عز وجل ، هذا من فضل ربي .

صدقني أيها الأخ الكريم ... بكل انجازاتك قل : هذا من فضل ربي ، قل الله وفقني ، الله أكرمني ، الله سمح لي أن أتكلم عنه ، الله أطلق لساني ، الله أعانني على طاعته ، أعانني على تربية أولادي ، أعانني على كسب رزقي ، أعانني على الاستقامة ، هذا واقع ؛ لأنه من قدوتك بهذا ؟ سيدنا يوسف فقد قال :

وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّى

كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَـٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾

(سورة يوسف)

قد تجد إنساناً ذا شخصية مرموقة جداً ، يقع في شرك امرأة لا تساوي واحداً بالألف من زوجته !! ويذل وتلوكه الألسن ، ويعاديه أولاده ، ويصبح في الوحل ، أين مكانته ؟ وأين عقله ؟ وأين شخصيته ؟

إذا القضية أن تتأدب مع الله بالافتقار إليه ، إذا كان الله **عظيماً** ، ينبغي أن تتلاشـى نفسك وتفنى . وأوضح مثلٍ على ذلك الصحابة الكرام ؛ ففي موقعة بدر قال تعالى عنهم :

وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ

(سورة آل عمران)

أذلة في العدة والعدد ، ثلاثمئة رجل فقط من الصحابة ، وقريش القبيلة العريقة القوية ، الأبطال الصناديد ، الفرسان ، والأسلحة ، سيوفاً خيولاً .. " **ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة** " .

أما بحنين .. فقد كان أصحاب النبي عشرة آلاف ، أقوياء عدة وعددا قال الله تعالى لهم : إذاً فانتظروا ما سيصيبكم بسبب عجبكم لنقرأ الآية الكريمة :

وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ

فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم

مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾

(سورة التوبة)

" **ثم وليتم مدبرين** " خطيب من نوادر الخطباء ألقى خطبة في يوم جمعة رائعة جداً ، ثم نزل ليصلّي بالناس ، فبعد أن قال : الله وأكبر نسي الفاتحة . فالله قد ينسيك .. ينسيك أهم شيء بالخطبة ، أو بالصلاة ، فاحذر أن تقول أنا .

لذلك فالمؤمن الصادق إذا أقدم على عمل يقول : اللهم إني تبرأت من حولي وقوتي ، والتجأت إلى حولك وقوتك يا ذا القوة المتين .

وهناك رواية ثانية : اللهم إنّي تبرأت إليك من حولي وقوتي وعلمي ، والتجأت إليك بحولك وقوتك وعلمك يا ذا القوة المتين .

حدثني أحد الأصخاص عن نفسه أنّه منذ أربعين عاماً قال: كنت أنا لا أصلّي لأني كنت آنذاك طالبا ، وكنت أستغل هذا الوقت الضائع بتقديري في الصلاة بقراءة صفحتين أو ثلاث .. فدخل لأداء الإمتحان يوما وكان السؤال عن مؤتمر برلين ، فأجاب بأنه عقد في باريس ، الله توه أفكاره وأضلّه ، من ابتغى أمراً بمعصية ، كان أبعد مما رجى ، وأقرب مما إتقى .

لا تؤاثر شيئاً على طاعة الله ، لا تؤاثر شيئاً على مجلس علم ، لا تؤاثر شيئاً على عمل صالح ، على أداء صلاة .

ورد في الأثر : " من تعلم وعمل بما علم ، ثم علم الغير ، فذلك يدعى في السماء عظيماً " .

هو بنظر نفسه فقير جداً ، أما في السماء **عظيم** ، لذلك دخل على النبي رجل فقال له النبي الكريم : أهلاً بمن خبرني جبريلُ بقدومه . قال : أومثلي ؟! قال : نعم يا أخي .. خامـلٌ في الأرض ، علم في السماء .

فأنت قد تكون موظفاً في الدرجة العاشرة .. كاتب .. تجلس إلـى طاولـة وعلـى كرسي متواضعين ، مراسلاً ، حاجباً ، معلماً ، موظفاً بسيطاً قد تكون علماً في السماء ، قـد تكون عند الله عظيماً ، وعند الناس شخصاً مغموراً ، لذلك:

عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ابتغوا الرفعة عند الله ، قالوا : ومـا هي يا رسول الله ؟ قال : تصل من قطعك ، وتعطي من حرمك ، وتحلم عمن جهل عليك .

أجل ، عند الله ؛ لأن مراتب الله عز وجل ؛ تنفعك بعد الموت ، لكن مراتب الـدنيا تفنى عند الموت ، فقد يكتبون في النعوات مثلاً.. الطبيب الفلاني ، أو المهنـدس ، أو عميـد أسرتهم ؛ فليكتبوا ما يشاؤون ، لكن العبرة أن يكون عند الله مقبولاً ، أحياناً يكتب في النعـوة أكثر من مائة اسماً أقرباء كما يكتب آل فلان وفلان وفلان الخ ياترى هل هـو عنـد الله **عظيم** ؟ إن لم يكن في طاعة الله ، إن لم يكن يعرف الله عز وجل ؛ فأولئك لهم صغار عنـد الله ، فقد قال تعالى :

فَلَا

نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾

(سورة الكهف)

روى الإمام البخاري أن النبي صلّى الله عليه وسلم كان يدعو عنـد الكـرب بهـذه الكلمات :

عن ابنِ عباسٍ رضي اللهم عنْهمما قَالَ كَان النبِي صلى الله علَيه وسلم يدعو عنْد الْكَربِ يقُولُ لا إِلَه إِلا الله الْعظيم الْحليم ...

(رواه البخاري)

هذا دعاء النبي عند الكرب .. وهذا الدعاء فيه علم .. فكل شـيء بيـد الله ، فهـو القوي الغني العليم الرحيم الغفور التواب .. حنّان ، منان.

لا إله إلا الله العظيم ، لا إله إلا الله رب العرش العظيم ، لا إله إلا الله رب السـماوات ورب العرش العظيم ، هذا دعاء النبي عند الليل .

وورد في الحديث القدسي :

عن أبِي هريرةَ قَالَ قَالَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يقُولُ الله سبحانَه الْكبرِياء ردائِي والْعظَمةُ إزارِي من نَازعني واحدا منْهما أَلْقَيتُه في جهنم *

(سنن ابن ماجة)

أرسلوا مركبة فضائية وسموها المتحدي - اتشالنجر - وبعد سبعين ثانية أصبحت كتلةً من اللهب ، وفي داخلها سبعة رواد فضاء وامرأة طبعاً قمةً في العلم والتقنية ومراجعات قبل إطلاقها وعد تنازلي ، وكلّ جهاز مضاعف ، سموها المتحدي .. فمن تتحدون ؟ بعد سبعين ثانية أصبحت كتلة من اللهب .

وكلكم يرى كيف أن قلاعاً صامدةً جبارةً ، تهاوت كخيط العنكبوت!! وهناك غطرسة ، إنسان فرد يرعب أمة بأسرها كما تسمعون في الأخبار ، وأن واحد فجر نفسه فهز الكيان كلّه ، فالله عز وجل أحياناً يقهر المتجبر ، " عن أبِي هريرةَ قَالَ قَالَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يقُولُ الله سبحانَه الْكبرِياء ردائِي والْعظَمةُ إزارِي من نَازعني واحدا منْهما أَلْقَيتُه في جهنم

(سنن ابن ماجة)

أيها القارىء الكريم... عود على بدء ، **العظيم** ؛ قد لا تُدركه عامة العقول ؛ لكن بعض العقول تدركه ، فقل لأحد الناس ما هي الذرة ؟ يقول لك : ذرة قمح ذرة تراب . لا .. الذرة ؛ شيء موضوعه كبير جداً ، وهو موضوع في علم الفيزياء ذو تعقيد كبير جداً ، كلّ عناصر الكون ذرات ، وهي تتكون من نوية موجبة الشحنة ، وجسيم سالب الشحنة - إلكترون - ومدارات يدور فيها هذا الإلكترون ، الذرة العقول البسيطة لا تحيط بها ، أما دكاترة العلوم يعرفون عنها الشيء الكثير .

فالشيء **العظيم** هو الذي تعرفه بعض العقول .. الذي تستحيل أن تحيط به كل العقول .

المعنى الثاني .. إن رأيت أن الله **عظيم** ؛ ينبغي أن تُعظم أمره ، إن رأيت أن الله عظيم ؛ ينبغي أن تتلاشى أمامه فأنت صغير صغير، إن رأيت أن الله عظيم ! ينبغي أن تعظم أمره ، أن تعظم شعائره ، أن تعظم كتابه ، أن تعظم رسوله ، أن تعظم الذي آمن به ، فالناس من يعظمون ؟ الأثرياء والأغنياء أما المؤمن الضعيف ، يقولون لك عنه أنه درويش أي [أجدب] ، لكن المؤمن الراقي يعظم المؤمنين ولو كانوا فقراء ، ولو كانوا ضعفاء ، النبي سيد الخلق يقول : اللهم إني أشكو إليك ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس .. يا رب المستضعفين إلى من تكلني ؟ إلى عدو ملكته أمري .. إن لم يكن بك غضب علي ، فلا أُبالي ، ولك العتبى حتى ترضى، لكن عافيتك أوسع لي .

سيد الخلق لما قدم الطائف سخروا منه وضربوه بالحجارة وكذبوا دعوته ، وقال له أحدهم : لو أنك رسول كما تدعي ، لمزقتُ أثواب الكعبة ، ألم يجد الله إنساناً غيـرك يبعثـه رسولاً ؟! هو **عظيم** .

فيا أخي القارىء الكريم : إن رأيت أن الله عظيم فعليك أن تعظمه ، تُعظم أمـره ، تعظم نهيه ، تعظم كتابه ، تعظّم نبيه ، تعظم المؤمنين ، تعظم الذين يلقون العلم على الناس ، لا تستخف بهم ، لا تنهش أعراضهم ، لا تُحقرهم، فتجد شخصاً يتلذذ إذا حجم إنساناً آخر لـه دعوة إلى الله ، يظُن أنه يفعل شيئاً عظيماً ويقول لك : صغرته . ففي الحقيقة هو الصـغير ، فلو أنه عرف الله لعظم أولياؤه ، فقد قال تعالى :

أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾
ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾

(سورة يونس)

فلو كنت راكباً في سيارة عامة وصعد إليها رجل له زي إسلامي أجلسه مكانك وقف باحترام فأنت تعظم الدين لا تعظم شخصاً ، فإذا رأيت إنساناً له مظهر ديني ، أو مكانة دينيـة ، لا ينبغي أن تحقره وتصغّره هذا مما يعاقبك الله عليه ، هذا الذي يقع في أعراض العلمـاء يذُمهم يطعن بهم ، يصغّرهم دون أن يبالي ؛ فيعاقبه الله عقاباً شديداً لتماديه وتطاوله .

فأولاً يجب أن تعظم الله ، تعظم كتابه ، ورسوله وأمره ونهيه ، وتعظـم شـعائره والدليل على ذلك قوله تعالى :

ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾

(سورة الحج)

وكذلك أن تعظم المصحف فهو كتاب الله تعالى ، وليكن في مكان عالي مرموق في البيت ، لا أن تضعه في أماكن مرذولة ، تعظيم المصحف دليل تعظيمك لله . تعظيم الصـلاة دليل تعظيمك لله . تعظيم الأمر والنهي دليل تعظيمك لله عز وجل ، هذا الموقف الثاني الـذي ينبغي أن يقفه المؤمن حينما يؤمن بالله **العظيم** .

بعض العلماء تكلموا عن أدب المؤمن مع الله **العظيم** ، فذكروا " أن من غاب على عقله تعظيم الله عز وجل ، خضع لهيبته ، ورضي بقسمته ، ولا يرضى بدونه عوضـاً ، ولا

ينازع له اختياراً ، ويبذل في رضاه كل مستطاع ، لأن من أدرك عظمة ربه ، صغرت عنده الدنيا بما فيها ، فإذا أهمه أمر قال : يا عظيم ".

قال أحدهم لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم : لمن هذا الوادي ؟ قال : هو لـك . قال : أتهزأ بي ؟ قال : لا والله هو لك . قال : أشهد أنك رسول الله تعطـي عطـاء مـن لا يخشى الفقر .

إن عظمت الله عز وجل حق التعظيم ، يستوي عندك التبر والتراب ، تبذل الشـيء الكثير بلا وجل من أجل الله عز وجل .

وبعد فمن هم العظماء من العباد ؟ أنبياء الله ، وأولياؤه ، والمؤمنون ، هولاء هـم العظماء .. أما بيكاسو الرسام الفنان الذي بلغ ثمن لوحته مائة مليون . فلـيس عظيمـاً ..لأن العظيم ينبغي أن يكون عند الله **عظيمـاً** ، فهناك رساموون وأصحاب فنون ، وملك الحديد فـي أمريكا ، وملك الصلب ، وملك البترول وغيرهم عظماء عند أهل الدنيا.. لكن **العظيم** هو النبي ، **والعظيم** هو الولي . **والعظيم** هو الذي آمن بالله عز وجل ، هؤلاء الذين يستحقّون أن تقـول عن أحدهم فلان **عظيم** .

وفي نهاية البحث فإنّي أؤكد على معنيين اثنين ، أن تتلاشى نفسك أيها الأخ المؤمن أمام **عظمة** الله وأن تُعظم أمر الله ونهيه وكتابه ونبيه وأولياءه ، وإذا كان لأحد مـن النـاس دعوةً إلى الله عز وجل فلا ينبغي أنتطلق لسانك لتنال منه ، وهذا من لوازم إيمانك بالله عـز وجل ، فلو أن شخصاً له مظهر إسلامي فمن المفروض عليك أن تحترمه إحتراماً للدين .

هذه بعض المعاني التي تنطوي حول اسم الله **العظيم** ، وأرجو الله سبحانه وتعالى أن ينفعنا بما علمنا وأن يلهمنا الخير .

والحمد لله رب العالمين

الدرس ٦٣ – اسم الله : الحكم .

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الإخوة المؤمنون ... مع الدرس الثالث والستين من دروس أسماء الله الحسنى ، والاسم اليوم اسم **الحكم** .

والحكم بفتح الحاء والكاف . **والحكُمُ** ، **والحاكم** بمعنىً واحد ، إلا أن فقهاء اللغـة يقولون: أية زيادةٌ في المبنى ؛ لا بد من أن يقابلها زيادةٌ في المعنى .

أصل **الحكم** المنع . حكمه أي منعه . والحكمةُ : هي الحديدة التي تمنع الفرس من السفاهة .. هكذا جاء في معاجم اللغة . **والحكُمُ** اسم من أسماء الله الحسنى ، ولا تنسوا أن الله سبحانه وتعالى يقول :

وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ

(سورة الأعراف)

أسماؤه حسنى ، صفاته فُضلى ، كمال الله مطلق ، أي اسمٍ ، إن بحثت عن وجـوه الكمال فيه فقد أصبت ، وإن خطر ببالك غير ذلك فقد أخطأت ، قال بعـض العلمـاء : " **الحكم؛** صاحب الفصل بين الحق والباطل ".

أحياناً الباطل له جولةٌ وصولة ، ربما سمح الله له أن يعلو ، ربما أرخـى الله لـه الحبل لكن إلى أمد . لأنه حكم ؛ لا بد من أن يزهق الباطل ، لأن الله موجود . لـو أن الباطل استشرى وامتد وطغى وبغى إلى أمد طويل ، هذه الفكرة تتناقض مع وجود الله ، أن يستشري الباطل ، أن يمتد ويمتد أن يطغى أن يبغي ، أن يضع كل الخطط فتـنجح ، هذه الحقيقة تتناقض مع وجود الله ؛ لا بد من أن يظهر الله آياته ، وما أكثـر الآيـات ، والآيات نراها كل يوم .

والله سبحانه وتعالى ، ألقى على النبي هذا القرآن الكريم ، فهو آياته ، هي كلامه . وخلق الكون ، والكون آياته . وأفعاله كلّها آياته . أفعاله كلها تدل على كمالاتـه ، علـى عدالته وعلى حلمه ، على رحمته، على قدرته ، على علمه ، فلك أن تعرف الله من آياته الكونية ، ولك أن تعرفه من آياته القرآنية ، ولك أن تعرفه من آياته التكوينية .

صاحب الفصل بين الحق والباطل .. أحياناً زوجان ؛ كل يدعي أنه مظلوم ، وكل طرف معه الحجج والبراهين والقصص ، لكن المظلوم فعلاً يوفقه الله ، والظالم يسـحقه

الله .. شريكان ؛ كل يدعي أنه على حق ، وأن شريكه الآخر ظلمه . الإنسان أحياناً يتكلم ، ويأتي بالحجج الواهية ، ويفتري ويخترع أدلةً غير صحيحة ، يوهم الناس ، ولكـن الله هو الحكم . فالشريكان ؛ الظالم يهلكه الله ، والمظلوم يوفقه الله . توفيق الله للمظلوم ؛ هو حكْم الله فيه . إهلاك الظالم حكْم الله فيه . زوجان افترقا ، توفيق أحدهما في زواجٍ آخـر ، حكْم الله فيه . هلاك الثاني في زواجٍ آخر ، حكْم الله فيه .

إنسان يدعي أنه ورع وأنه على حق ، علامة حكم الله له أنه يوفقه، وعلامة حكـم الله على الآخر أنه يخذله .. فطبعاً الحكم هنا توفيقه نصر ، وإهلاكه حكم . هو صـاحب الفصل بين الحق والباطل ، بين البار والفاجر .

أيام يتوفّى أب ويترك أولاداً ، أحد أولاده الأقوياء يأخذ المال كله ، ويحرم إخوته ، تدور الأيام هؤلاء المظلومون إخوة هذا الأخ الباغي الظالم ، يوفقون في أعمالهم ، وهذا الذي أخذ المال الحرام ، يتلف الله ماله ، وأحياناً يضطر أن يعمل عند إخوته .. الذي أخذ المال كله وحرم إخوته منه ، يخذله الله ، ويتلف ماله ، فيضطر أن يعمل عنـد إخوتـه الذين حرمهم من إرث أبيهم ، فالله هو الحكم .

فعندنا **حكم** يوم القيامة ، لكن هناك **حكم** في الدنيا هو نصر الله أو خذلانه ، توفيقه أو عدم توفيقه ، تيسيره أو تعسيره ، وما أكثر الشواهد ، حياتنا زاخرةٌ بهذه الشـواهد .. الذي كسب مالاً حلالاً قليلاً ، يبارك الله له فيه . والذي كسب مالاً حراماً كثيراً ، يتلـفُ الله ماله . الذي بر والديه يهبه الله أولاداً أبراراً . والذي عق والديه يهبه الله أولاداً عاقّين ؛ هذا حكم الله له .

فالله سبحانه وتعالى هو **الحكم** ، صاحب الفصل بين الحق والباطل، صاحب الفصل بين البار والفاجر ، المجازي كل نفسٍ بما عملت ، وهناك آيات كثيرةٌ جـداً تؤكـد هـذا المعنى .. فقد قال تعالى :

أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾

(سورة الجاثية)

وقد قال تعالى :

أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ لَّا يَسْتَوُۥنَ ﴿١٨﴾

(سورة السجدة)

وقال تعالى :

أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾

(سورة القلم)

إخواننا الكرام ... أرجو الله سبحانه وتعالى أن يوفقني لترسيخ هذه الحقيقة .

يعني شاب مؤمن مستقيم ، ويخاف الله ويرجو رحمته ، ويتحرى الحلال ، ويبحث عن زوجة صالحة ، لا يكذب ، ضابطاً لجوارحه ، ضابط لدخله وإنفاقه ، وشاب آخـر متفلتٌ ليس عنده عقيدة ، ولا استقامة ، ولا عبادة ، ولا حلال ولا حرام ، يفعل ما يشاء . فإذا تساوى هذان الشابان في التوفيق وفي النصر والتأييد ، وفي التمتع في الحياة الدنيا . إن تساويا ولم يكن هناك فرقٌ بينهما ، هذه الفكرة تتناقض مع وجود الله "**أم حسب الذين اجترَحُوا السيئات أن نَجعلهُم كالذين آمنُوا وعملُوا الصالحات** " .

إنسان دخله حلال ؛ أيعقل أن يعامل كما يعامل صاحب الدخل الحـرام ؟! إنسـان ضبط أهله وأولاده وبناته ؛ أيعقل أن يعامل من قبلهم كما يعامل إنسان تفلت من أوامـر الشرع ، وأطلق لزوجته ولبناته العنان ؟!

هذا مستحيل **فالحكمُ** توفيقه **حُكْم** ، تيسيره **حكم** . تعسيره **حكم** إلقاء الأمن في قلـب المؤمن **حكم** . إلقاء الخوف والفزع في قلب المشرك **حكم** . أن يقدر للإنسان حياةَ ضنك ؛ معيشةً ضنكاً **حكم** ، أن يقدر للإنسان حياةً طيبة **حكم** ، أن ينصرك **حكم** ، أن يخذلك **حكم** ، إن دعوته فاستجاب لك فدعاؤك صادق ومخلص ، وإن لم يستجب فهناك سـبب حـال دون أن يستجاب لك **حكم** .

أيام أذكر لكم مثلاً أوضح .. أب عنده ولدان ، ولد بار ، والثاني عاق ، فإذا دخـل البار رحب به وقال له : أهلاً وسهلاً قد اشتقنا لك ، وأين أنت وكيف حالـك ؟ وكيـف أولادك ؟ وكيف أهلك ؟ هل تناولت طعام الغذاء ؟ فلاحظ أنت إذا أحب أب ابنـه . وإذا دخل العاق يتمنّى أن لا يدخل عليه ، فانكماش الأب من ولده العاق حكم ، وترحيبه بولده البار حكم ، التوفيق **حكم** والتعسير **حكم** ، إلقاء الأمن في قلب المؤمن **حكم** ، وإلقاء الفزع في قلب المشرك **حكم** .

والذي يقصد بين مخلوقاته .. أوسع .. ربما لم تصدقوا أن شاةً قرناء لـو نطحـت شاةً أخرى لاقتص منها أبداً ، **الحكم** بين مخلوقاته لا بين بني البشر فحسـب ، ولا بـين الإنس والجن فحسب بل بين كل مخلوقاته بما شاء ، أن يميز بين الشقي والسعيد فقد قال تعالى :

مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ۗ

(سورة آل عمران)

مؤمن مخلص ، مؤمن مقصر هل هما عند الله سيان ؟ لا .. لابد من أن يميـز الله بينهما ، يضع الأول في ظرف فيتألق ، يضع الثاني في ظرف فيسقط ، امتحنهما وفـرق بينهما .

المميز بين الشقي والسعيد بالعقاب والثواب ، ما من مخلوق يعتصم بي مـن دون خلقي أعرف ذلك من نيته ، فتكيده أهل السماوات والأرض ، إلاّ جعلت له من بين ذلـك مخرجاً . أن يجعل الله له من بين ذلك مخرجا حكم . " وما من مخلوق يعتصم بمخلـوق دوني أعرف ذلك من نيته إلا جعلت الأرض هوياً تحت قدميه ، وقطعت أسباب السـماء بين يديه " ، أن يجعل الأرض هوياً تحت قدميه **حكم** .. هو **حكم** .

قال الغزالي : " **الحكم** ؛ هو الحاكم المحكم ، والقاضي المسلم ، لا راد لقضـائه ، ولا معقب لحكمه " .

في الدنيا قد يحكم القاضي ، ولكن محكمة النقض تنقُض حكمه ، وقد يحكم رئـيس محكمة النقض ، ولا يصدق حكمه ، لكن الله سبحانه وتعالى لا معقب لحكمه ، وإذا أراد الله بقومٍ سوءاً فلا مرد له لا تعقب لحكمه .

ذكرت البارحة في بعض الدروس .. أنه لو التقيت رسولَ الله

- صلّى الله عليه وسلم - وهو سيد الخلق وحبيب الحقّ ، وعرضت عليه مشكلتك ، وكانت خصومةً بينك وبين أحد الناس ، وانتزعت من فمه الشريف حكماً لصـالحك ، من هو **الحكم** ؟ هو الله .. ولم تكن محقّاً لا تنجو من عذاب الله ، من هو **الحكم** ؟ هو الله .

لما نزلت براءة السيدة عائشة قال لها أبوها : قومي إلى النبي صلّى الله عليه وسلم فاشكريه . قالت لا والله لا أقوم إلا لله . فقال عليه الصلاة والسلام : عرفت الحق لأهله . هو **الحكم** ..

قال : " الحكم ؛ هو الذي لا يقع في وعده ريب " ، إذا وعد .. لأن ربنا عز وجـل يطمئننا ، إذا حدثنا عن المستقبل ، جاء الفعل ماضياً ففي قوله تعالى :

أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُۚ

(سورة النحل)

" **أَتَى أَمرُ الله** ".. لم يأت بعد .. " **فَلا تَستَعجِلُوهُ** " ، معنى ذلك أنه لم يأت ، لكـن ليقين وقوعه أتى ، وقال تعالى :

وَإِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ءَأَنتَ قُلۡتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي

(سورة المائدة)

لم يقل بعد .. قال : " الحكم ؛ هو الذي لا يقع في وعده ريب ، ومن أصدق من الله حديثاً ، ومن أوفى بعهده من الله ، ولا في فعله عيب .. لا في وعده ريب ، ولا في فعله عيب " .

" والحكم ؛ هو الذي حكم على القلوب بالرضى والقناعة " .. في واحد هذه الـدنيا مرحلةٌ إعدادية في الحياة الأبدية ، والمؤمن عرف أنها حياةٌ دنيا ، حياة إعـداد ، حيـاة تمهيد ، لذلك رضي عن الله ، رضي عن جسمه ، عن عقله ، عن إمكاناته ، عن دخله ، عن بيته ، عن زوجه ، عن أولاده ، عن بناته ، راضي .. من الـذي ألقـى فـي قلبـه الرضى ؟ الله سبحانه وتعالى ، لقربه من الله ألقى في قلبه السكينة والرضى .

قال : " الحكم ؛ هو الذي حكم على القلوب بالرضى والقناعـة ، وعلـى النفـوس بالانقياد والطاعة ".

الحكم ؛ من بعض معاني هذا الاسم العظيم **الحكم** .. النّافذ حكمه ، فالإنسان أحياناً يصدر تعليمات فلا تنفذ ، أو تنفذ في مركز المدينة ، وفي أطرافها لا تنفـذ ، مـا أكثـر التعليمات التي تصدر والتي لا تنفذ . فبالطبع ليس كل إنسان حكمـه نافـذ . أو لـو أن الإنسان أراد أن ينفذ حكمه ، لاحتاج إلى جهاز كبير جداً ، يعني السـاعة الثالثـة فـي منتصف الليل لا يوجد شرطي ، فإذا كانت الإشارة حمراء يمكنه أن ينفذ منها ويتخطّاها ، وبذلك نكون قد خرقنا حكم قانون السير ، فمن غير المعقول وضع عند كل إشارة شرطي ليلاً ونهاراً . إذاً الحكم لم يَنَفَذْ ، فالإنسان أضعف من أن ينفذ حكمه ، أمـا الله سـبحانه وتعالى ، الحكم النافذ حكمه .

لذلك عظمة الدين .. أن الدين أساسه الوازع الداخلي ، لأن المؤمن يعلم أن الله معه ، وفي القصة المشهورة عن سيدنا عمر والراعي .. قال له : بعني هذه الشـاة ، قـال : ليست لي ، قال : خذ ثمنها ، قال : ليست لي .. والله إنني في أشد الحاجة إلى ثمنهـا ، ولو قلت لصاحبها ماتت أو أكلها الذئب لصدقني ، فإني عنده صادق أمين ؛ لكن أين الله ؟

وإني أعتقد أنه ما من نظامٍ وضعي ، إلا ويعتمد على الرادع لا علـى الـوازع . والردع مرتبط بأشخاص ، أو بأجهزة ، أو بآلات ، يعني ممكن إذا انقطعت الكهرباء في إحدى المدن التي توصف بالرقي ، والمجتمع الحضاري ، فمن الممكن أن ترتكب في ليلة واحدة مائتا ألف سرقة ، انقطعت الكهرباء في إحدى مدن الغرب وفي ساعات معـدودة وارتكبت مائتا ألف سرقة ، فلا يوجد الوازع ، ولكن هناك الـرادع . والـرادع أساسـه المراقبة ، فلما انقطعت الكهرباء التغى الرادع فتفلتت النفوس ، أما عظمة هذا الدين ، أنه مبني على الوازع .

أرسل لي أخٌ أراد أن لا أعرفه ، رسالةً قال لي فيها : والله لقـد أرجعـت لورثـة عشرين مليون ليرة ، وهم لا يعلمون عنها شيئاً ، وقد مات أبوهم فجأةً وأبوهم من النوع الذي لا يعلم عن أمواله إطلاقاً ، وقد رددت المبلغ لهم كاملاً . ما الذي جعله يـرد هـذا المبلغ ؟ الوازع أم الرادع ؟ فالرادع غير موجود فليس هناك إيصالاً بالمبلغ ، ليس مـديناً أمامهم إطلاقاً ، فليس هناك إيصالاً وإيصال ولا هناك علم بالمبلغ ، ولا خبر أبداً ، لكـن الوازع الديني حمله على أن يرد هذا المبلغ .

تجد في المؤمنين مواقف لا تصدق ، أما هي معقولةً جداً ؛ لأن المؤمن يراقب الله عز وجل . إنسان متزوج شعرت امرأته كأنه متزوج من أُخرى ، هكذا شعرت وبعد أن تقصت فإذا توقعها في محله ، ولم تفاتحه في هذا الأمر ، ثم توفي هذا الزوج ؛ فمن شدة ورعها أرسلت حصة ضرتها بعد الوفاة ، ومن شدة ورع الثانية قالت : والله طلقني قبـل أن يموت . ولم تأخذ شيئاً ، هذا هو الإسلام .

الحكم ؛ هو النافذ حكمه ، الذي لا راد لقضائه ، ولا معقـب لحكمـه ، والـذي يفصل بين الحق والباطل .

الآن الحكم في نقطةً مهمة جداً .. لو أن أباً ارتكب ابنه غلطاً ما ، فضـربه ولـم ينطق ببنت شفه ، فالضرب لم يفد.. فمن لوازم إقامة العـدل ، ومـن لـوازم التربيـة الصحيحة ، أن يبين الأب لابنه لماذا ضربه ، ماذا فعل ، فعل كذا وكذا فاستحق العقاب ، فقال : الحكم ؛ هو الذي يبين لكل نفسٍ ما عملت من خيرٍ أو شر يبين ، كيف يبـين ؟ .. أحياناً الإنسان يلقى في روعه ، فعندنا وحي للأنبياء ، وهناك وحي **إلهام** فقد قال تعالى :

وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ

(سورة القصص)

وهناك وحي **غريزة** ، فقد قال تعالى :

وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ

(سورة النحل)

وأيضاً هناك وحي **أمر** لقوله تعالى :

بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ۝٥

(سورة الزلزلة)

أما الوحي إلى النبي ؛ فهذا وحي الرسالة ، وليس لنا علاقة به الآن . لكن أحياناً الإنسان تأتيه مصيبة ، ويلقى في قلبه أنها من أجل كذا .

فإنسان خالف مخالفة بسيطة ، بحسب ثقافته الدينية ، وأقوال أساتذته أنه لا بد له من مصيبة بدأ ينتظر ، فصحته سليمة ، ولا شيء حدث لأولاده وزوجته ، فلم يصبه شيء على الرغم من مخالفته البسيطة، ففي الصلاة ناجى ربه فقال : يا رب ، لقد عصيتك فلم تعاقبني قال : وقع في قلبه ، أُلقي في قلبه ؛ أن يا عبدي قد عاقبتك ولم تدرِ ، ألم أحرمك لذة مناجاتي ؟

فهناك أخ من إخواننا لديه معملٌ بسيطٌ ، زاره شخص من المسجد ليشتري من القطع من هذه الألبسة ، وهذا الأخ يبيع بالجملة ، فهذا الطلب رآه مهيناً ، فلا يبيع أربع قطع ، ولكنه يبع خمسمائة دزينة ، فقال له : أنا لا أبيع بالمفرق . فقال له هذا الأخ : لا تؤاخذني . يقول صاحب هذا المعمل : والله ثلاثون يوماً متواليةً ، لم يدخل معملي إنسان ، ثم وقع في قلبه لماذا لم تبع فلاناً ؟

فمعنى **الحكم** ،. الله عز وجل مرب ، يعاقب ، ويلقي في روع الإنسان لماذا فعل معك كذا وكذا .

أحد الأشخاص عليه زكاة ماله ولم يدفعها ، سيارته أُصيبت بحادث وهذا شيء طبيعي أما أن يأتي ثمن التصليح مع الطلاء ، قطع الغيار مطابقاً لمبلغ الزكاة بدقّة على مستوى الليرة الواحدة - فكان مبلغ الزكاة - ١١٨١٥ ليرة سورية - ، وهو نفسه مبلغ

التصليح ، فهذا تعليم من الله .. بخلت بزكاة مالك فدفعت المال بلا طائل ، فالله عز وجل **حكم** يعاقب ، ويلقي في روع الإنسان أنه فعل كذا وكذا .

شخص تزوج امرأة في الشهر الخامس كانت هي حاملاً في الشهر التاسع ، فبالطبع هذا الجنين ليس منه ، وكان بإمكانه أن يفضحها أو يسحقها أو يطلقها ، ولكنّه غلب على ظنه أنّها زلّت قدمها وتمنى على الله أن تتوب على يديه ، فأخذ منها الغلام ودخـل إلـى أحد المساجد مع صلاة الفجر ، ووضع الغلام خلف الباب ، ودقق في المسـجد بعـد أن نوى الإمام الفرض ، فلما انتهت الصلاة بكى الغلام ، تحلق المسلمون حوله ، وجاء هـو كواحد منهم وسأل ما القصة ؟ فقالوا له : انظر هذا الغلام ، فقال لهم : آتني به أنا أكفلـه ، وأعاده إلى أمه . ولكن جاره رأى رسول الله في المنام قال له : قل لجارك فلان أنـه رفيقي في الجنة .

فالله أحياناً يشجع العملَ الطيب ، فكان يمكن أن يطلقّها ، أو يفضحها أو يقتلها أهلُها ، ولكنه أدرك أن عملها هذا غلطة لن تتكرر ، فاستوعب القضية ، وأراد أن يرضـي الله بأن يجعلها تتوب على يديه ، فبشره رسول الله بأنه رفيقه في الجنّة . فـالله **حكـم** ، إن عملت عملاً طيباً ، يلقي في روعك أنه راضٍ عنك ، وإن عملت لا سمح الله عملاً سيئاً ، يريك مناماً مخيفاً أحياناً ، أو انقباضا فتشعر بضيق ، والدنيا كلها لا تسعه ، فضيق القلب ، أو انشراح الصدر هو من أساليب ربنا التربوية ، فهو يربي ، فإن كان عملـك طيبـاً تجدك منطلقاً ، والناس قد يكونوا في هم وغم ، وأنت مستثنى وليس لك علاقة بشـيء ، وإذا لم يكن عملك طيباً فيكون هناك انقباض .

أما من أجمل الآيات المتعلقة بهذا الاسم قوله تعالى :

أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا

(سورة الأنعام)

أحياناً يكون معه وثائق .. فيقول لك : و معه وثائق ، والقاضي أعرفه ، ويترافـع عني المحامي فلان ، وما أدراك ما فلان ، ومطمئن ، هل اتّخذ هذا الإنسان الله حكمـاً ؟ لا .. لقد اتخذ القاضي حكماً ، فقد يفاجأ بحكمٍ غير متوقع " **قل أَفَغَير الله أَبتَغـي حكمـا وهُو الذي أَنزلَ إِليكُم الكتَاب مُفَصلا** " .

فالإنسان ليس له الحق في أن يحتكم لغير الله ، فلغير الله يصبح محكوماً ، ولـيس حاكماً ، فأحياناً الذي اعتمدت عليه يخيب ظنك ، وقد قال تعالى :

وَٱتَّبِعۡ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ وَٱصۡبِرۡ حَتَّىٰ يَحۡكُمَ ٱللَّهُۚ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ﴿١٠٩﴾

(سورة يونس)

لذلك أجمل دعاء أن تقول إذا ألم بك مكروه أو نزلت بك ظُلامة : **حسبي الله ونعم الوكيل** .

فالله ينصرك ، والله عز وجل من أسمائه الحق .. فما معنى الحق ؟ معنى الحق أنّه لا بد من أن يظهر الحقّ ، لا بد من أن يظهر الحقّ لأنّه هو الحق ، فلا تخشَ ، العاقبة للمتقين والأيام تدور ولا تستقر إلا على إنصاف المظلوم ، وعلى إهلاك الظالم ، وعلى رفعة المؤمن وعلى إذلال الكافر أبداً ، وهذا التاريخ أمامكم .

أصحاب النبي - رضوان الله عليهم - الذين التفّوا حوله ، وعزروه ونصروه ، ودافعوا عنه ، وآمنوا به ، وأحبوه ، وافتدوه بأرواحهم ، أين هم الآن ؟ في أعلى عليين ، والذين حاربوه وخذلوه وأخرجوه ، وقاتلوه وكذبوه أين هم ؟ في اسفل السافلين ، هذا هو التاريخ .

سيدنا عمر بن عبد العزيز .. كيف اسمه ؟ كالنجم في السماء ، كلّ شيء له نهاية ، والعاقبة للمتقين ، وقد قال تعالى :

وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٣٩﴾

(سورة آل عمران)

كلمة " **واصبر حتى يحكُم اللهُ** " ، معنى ذلك ؛ أن هناك وقتاً وفيه ظلم فقد يكون الإنسان مظلوماً . فالسيدة عائشة ألم تُظلم ؟ فلماذا أخر الله الوحي شهراً ؟ من أجل أن تُكشف النفوس . أخر براءتها شهراً بأكمله ، المؤمنون ظنّوا بأنفسهم خيراً ، والمنافقون روجوا هذا الخبر وأشاعوه وأرجفوا في المدينة ، الله عز وجل كشف النفوس على حقيقتها لو أن هذا الخبر أُشيع في المدينة ، وفي اليوم الثاني جاءت البراءة ، فبذلك يكون أربع أخماس الناس لم يمتحنوا ، لكن لا ، والخبر ينتشر ويزداد انتشاراً ، والتهمة كبيرة جداً فهي تهمة الفاحشة ! وهي زوجة رسول الله وابنة الصديق ، الطاهرة العفيفة والبريئة

، ولكن الخبر شاع ، والنبي مقيد ليس معه دليل إثبات ولا دليل نفي ، وزوجته ، وهـي أقرب الناس إليه ، وهي عرضه ، والخبر يمشي ويشيع ، فانظروا إلى دقة الله " **واصبر حتى يحكم الله** حتى حرف غاية .. أي أن هناك وقتاً فقد تكون مظلومـاً ، وقـد يكـون المبطل هو الأقوى ، وكلمته هي النافذة ، وأنت لا أحد يسمع لك ، والناس كلهم ضـدك ، ممكن ذلك فعليك أن تصبر " **واصبر حتى يحكُم اللهُ وهُو خَيرُ الْحاكمين** " ، وبعد ثلاثين يوماً نزلت براءتُها .. وانتهى بذلك الأمر .

والآية تقول :

فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ ﴿٧﴾ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ ﴿٨﴾

(سورة التين)

كأنه بقي الله عز وجل من سياسته مع عباده ، أو بعبارة أدق : من سننه مع خلقه ؛ أنه يرخي الحبل للكل ، بقي بإمكانك أن تفعل ما تشاء ، أن تعصي الله ، وأن تقول كلاماً غير معقول ، وأن تأتي بالإفك والإثم ، وأنت قوي وصحيح ، والفحص الـدموي مائـة بالمائة مالك يزداد ، قوتك تزداد ، ولكن هذا الشيء لا إلى ما لا نهايـة ، إلـى حـين ، فالحبل مرخى إلى حين ، ففي أية لحظة يشد الحبل ؛ فإذا أنت في قبضة الله .

والله هذه القصة - أيها الإخوة - تتكرر كلّ يوم ... ممكن لإنسان أن يؤذي الناس ، ويكون شديد الذكاء ، ويحتال عليهم إلى حين ، ثم يقع في شر عمله ، ثم يفضحه الله ، فدائماً وأبداً ؛ الطائع لله هو الفائز .

لذلك هناك مقولة تقول : " كفاك على عدوك نصراً ؛ أنه في معصـية الله " ، لـو كنت أضعف منه لو كان هو الأقوى ، وأنت الأضعف . لو كان هـو الأغنـى ، وأنـت الأفقر . لو كان هو الأذكى ، وأنت الأقل ذكاءً . فالعاقبة للمستقيم .

دققوا في هذه الكلمة من الآية " **واصبر حتى** " أي اصبر إلى أن ، فحتـى حـرف غاية .. " **حتى يحكُم اللهُ** " حتى يتصرف ، حتى يقصم الظالم، وينصر المـؤمن " **وهُـو خَيرُ الْحاكمين** " .

فإنسان أساء إساءة بالغة للناس ، وله عملٌ صغير في أطراف المدينة أساء إسـاءة بالغة للناس ، ثم كُشف بشكلٍ - درامي بالتعبير الحديث - وأُهين إهانةً ما بعدها إهانة ، جاء أمر الله ، من هو الجاهل ؟ هو الذي يظُن أنه يفعل ما يشاء ، ولا أحد سيحاسـبه ، لكن ربك بالمرصاد ، " **فَما يُكذِّبُك بعدُ بالدين أليس اللهُ بأحكَم الحاكمين** " .

سيدنا يوسف .. ماذا حكم عليه إخوته ؟ أن يقتلوه ، ألقوه في غيابت الجب ليمـوت .. بعد حين ماذا كانت النتيجة ؟ دخلوا عليه فإذا هو عزيز مصر ، مقامه كبيـر جـداً ، فمصر كانت أكبر مملكة هو رئيس وزارتها فقالوا له :

قَالُوٓاْ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُۖ قَالَ أَنَاْ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِيۖ قَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَآۖ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٩٠﴾

(سورة يوسف)

وقال أبوه سيدنا يعقوب :

إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۖ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُۖ وَعَلَيۡهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ ﴿٦٧﴾

(سورة يوسف)

لذلك : إذا أردت أن تكون أقوى الناس ، فتوكل علـى الله . وإذا أردت أن تكـون أغنى الناس ، فكن بما في يدي الله أوثق منك بما في يديك. وإذا أردت أن تكـون أكـرم الناس ، فاتق الله .

من **حكم** الله في حق العباد :

الآن بعض أهم أحكام الله ... قال : حكم الله ؛ أنه ليس للإنسان إلا ما سعى .. الله عز وجل ليس عنده تمنيات ، ولا محاباة ، ولا تمييز فقد قال تعالى :

لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ

(سورة الحجرات)

وقال تعالى :

وَأَن لَّيۡسَ لِلۡإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعۡيَهُۥ سَوۡفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾

(سورة النجم)

هذا من حكم الله .. ومن حكم الله ، قال تعالى :

إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٖ ١٣ وَإِنَّ ٱلۡفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٖ ١٤

(سورة الانفطار)

وكذلك قول الله تعالى :

مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗ

(سورة النحل)

" **من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن** " .. حكم الله .. " **ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون** " ، وقال تعالى :

وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا

(سورة طه)

" **ومن أعرض عن ذكري** " .. حكم الله .. " **فإن له معيشة ضنكا** " ، وقال تعالى :

فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ ١٢٣

(سورة طه)

" **فمن اتبع هداي** " .. حكم الله .. " **فلا يضل ولا يشقى** " ، من لم يتبع هدى الله عز وجل ، حكم اللهِ ، يضلُ عقله ، وتشقى نفسه .

فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا

خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٣٨

(سورة البقرة)

" **فمن تبع هداي** " .. حكم الله .. " **فلا خوفٌ عليهم ولا هُم يحزنُون** ".. هذا أول حكم: من لم يتبع هدى الله عز وجل ، يندم على ما فات ويخشى من ما هو آت .

هذا هو القرآن بين أيديكم ، أي أن الله عز وجل أعطانا أحكاماً جاهزة ، وقال تعالى :

وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مَعَكُمْ ۖ لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ

(سورة المائدة)

" **وقالَ اللهُ إني معكُم لئِن أقَمتُم الصلاةَ وآتَيتُم الزكاةَ** " .. حكم ، وقال تعالى :

إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾

(سورة محمد)

" **إن تَنصُرُوا الله ينصُركُم ويُثَبِّتْ أقْدامكُم** " .. حكم ، وقال تعالى :

وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ

(سورة النور)

" **وعد اللهُ الذين آمنُوا منكُم وعملُوا الصالِحات ليستَخْلفَنهُم في الأرض** " .. حكم .

ما قولكم أن نقرأ القرآن ونتبع أحكام الله في خلقه ، كلها قوانين فقد قال تعالى :

كَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ فَسَقُوٓا۟ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾

(سورة يونس)

إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ

كَفَّارٌ ﴿٣﴾

(سورة الزمر)

وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى كَيْدَ

ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٢﴾

(سورة يوسف)

أي : أية خيانة على وجه الأرض ؛ لا يمكن إلا أن تُكْشَفَ ، هذا حكـم الله ، أيـة مخادعة تعود على صاحبها ؛ فقد قال تعالى :

إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ يُخَـٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَـٰدِعُهُمْ

(سورة النساء)

وأي مكرٍ يعود على صاحبه فقد قال تعالى :

وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ

(سورة فاطر)

هذه كلها أحكام الله عز وجل .. إن الله مع الصابرين ، إن الله مع المتقين ، إن الله مع الصادقين فقد قال تعالى :

إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ

(سورة البقرة)

وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩٤﴾

(سورة البقرة)

حكم الله على المعتدين ؛ أنه لا يستجيب لهم لأنه لا يحبهم هذا حكم الله عز وجل .. فقد قال تعالى : " **ادعُوا ربكُم تَضرعا وخُفْيةً إنهُ لا يُحب المُعتَدين** " .

ما قولكم أن نقرأ القرآن ونتبع الآيات التي فيها حكم الله .. فقد قال تعالى :

وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ

(سورة الأحزاب)

هذا هو حكم الله ، فالمؤمن .. مؤمن ، قضية أعطى الله فيها حكماً ، إن وضـعتَ هذه القضية على بساط البحث ، فلست مؤمناً .. " **وما كان لِمُؤْمنٍ** ".. هذا حكم الله عـز وجل وكفى .

أيها الإخوة ... حدث الربيع بن نافع عن جده شريح عن أبيه هانئ أنه لما وفد إلى النبي صلى الله عليه وسلم مع قومه ، سمعهم النبي يكنونه بأبي الحكم ، فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :

حدثَنَا الربيعُ بنُ نَافعٍ عن يزيد يعني ابن المقْدام بن شُريحٍ عن أَبيه عن جده شُريحٍ عن أَبيه هانئٍ أَنهُ لما وفَد إِلى رسُول الله صلى اللهم عليه وسلم مع قَومه سمعهُم يكْنُونَهُ بِأَبي الْحكَم فَدعاهُ رسُولُ الله صلى اللهم عليه وسلم فَقَالَ إِن الله هُو الْحكَمُ وإِليه الْحُكْمُ فَلم تُكْنَى أَبا الْحكَم فَقَالَ إِن قَومي إِذَا اخْتَلفُوا في شَيء أَتَوني فَحكَمتُ بينَهُم فَرضي كلا الْفَريقَين فَقَالَ رسُولُ الله صلى اللهم عليه وسلم ما أَحسن هذَا فَما لَك من الْولد قَالَ لِي شُريح ومُسلم وعبدُ الله قَالَ فَمن أَكْبرُهُم قُلْتُ شُريح قَالَ فَأَنْتَ أَبُو شُريحٍ *

(سنن أبي داود)

هذا من لطف النبي - اللهم صل عليه - فالله هو الحكم ، وأنت لست حكماً .

لِم تُكنى أبا الحكم ؟ لأن قومي يحتكمون إلي وحكمي منصف فقال له الرسول : ما أحسن هذا.. جيد . وعرف منه أسماء أولاده واسم أكبرهم شريح فسماه أبا شريح .. هذا من أدب النبي مع ربه . فهذا الاسم لله عز وجل ، هو **الحكم** ، أما الإنسان إذا صار حكماً أي صار قاضياً واستلم القضاء .

حدثَنَا خَلَفُ بنُ خَليفَةَ حدثَنَا أَبُو هاشمٍ قَالَ لولا حديثُ ابن بُريدةَ عن أَبيه عن رسُول الله صلى اللهم عليه وسلم قَالَ الْقُضاةُ ثَلاثَةٌ اثْنَان في النار وواحد في الْجنة رجُلٌ علم الْحق فَقَضى بِه فَهُو في الْجنة ورجُلٌ قَضى لِلناس على جهلٍ فَهُو في النار ورجُلٌ جار في الْحُكْم فَهُو في النار لولا أَن النبي قال ذلك لَقُلْنَا إِن الْقَاضي إِذَا اجتَهد فَهُو في الْجنة *

(سنن أبي داود)

أي قاضيان إلى النار .. إنسان حكم بلا علم ، وإنسان حكم على علم ظلماً ، كلاهما في النار .. والذي عرف الحق فحكم به فهو في الجنة .

أحدهم علق على هذا الموضوع قائلاً : قاضيان في النار ، وقاضٍ في جهـنم . أي لم يبقَ أحد إلا ودخل النار من القضاة .. على كلٍ القضاء شـيء مخيـف ، لأن الظلـم ظُلماتٌ يوم القيامة .

أيها الإخوة : اسم الله الحكم ، يقتضينا أن نحتكم إلى الله أول موقف ..أما إذا حكمنا .. أن نحكم بالعدل ، ينبغي أن نحتكم إلى الله لأنه يعلم كل شيء ، يعلم السـر وأخفـى ، ويقتضينا إذا حكمنا في قضية ألا ننحاز مع أحد .

.. أحد القضاة وكان معروفاً في مدينته أنه يحب الرطب في بواكيرها ، طُرِق بابه ، فتح الغلام الباب ، رأى رجلاً معه طبقاً رطب - وهذا شيء نفيس جداً في بـواكيره ، وهو غالٍ كثيراً ، ومن نوع جيد - ، فرجع إلى القاضي قال له : يا سيدي بالباب رجـل ومعه طبقٌ رطب . فقال له : صف لي إياه . قال : صفته كيت وكيت . فعرف أنه أحـد المتخاصمين ، فقال : رد الطبق إليه . بعد حين قابل الخليفة وطلب إعفاءه من منصـب القضاء . قال : ولِم وأنت الورع النزيه العالم الفقيه المجتهد ؟ قال : والله جاءني قبل أيام رجل قدم لي طبق رطب ، وفي اليوم التالي جاء مع خصمه ليحتكما إلـي ، تمنيـتُ أن يكون الحق مع صاحب الطبق الذي قدمه إلي ، هذا مع أني رددته فكيف لو قبلتـه ؟.... كان القضاة هكذا يحاسبون أنفسهم .

أنت حكماً بين ابنتك وصهرك ، وتكلمت البنت على كيفها ، فزمجـرت وأرعـدت وغضبت وقلت : هذا الصهر ليس عنده أدب ، وسوف أقوم بتربيته وحرمانه من زوجته ست‘ أشهر .. فهل أسمعت منه قبل أن تحكم .

قال أحدهم لأحد الشيوخ : يا سيدي قد لطمني أحدهم كفاً ، فرددته له ، أعلي شيء ؟ قال له الشيخ : لا ليس عليك شيء . ثم ظهر أن الذي ضربه هو أبوه . فالفتوى علـى قدر الوصف .

فالقضاء دقيق .. سمعت من ابنتك شيء وتكلمت عن زوجهـا كـل شـيء ، ألا يقتضي الحكم العدل أن تسمع من زوجها ، ماذا فعلت به ؟ سمعت من والدتك ، فاسـمع من زوجتك رأساً طلقها دون سماعها ، فأنت أحياناً تكون حكماً بين زوجتك وأمك ، وبين ابنتك وصهرك هؤلاء أقرب الناس إليك ، أو تكون رئيسـاً لـدائرة وعنـدك موظفـان متشاجران دوماً ، فإذا سمعت من واحد منهم ، فاستمع للآخر ، ولا تعاقب علـى الفـور بعدما سمعت من الأول ، فماذا تعلمنا من سيدنا سليمان ؟ فقد قال تعالى :

﴿قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾﴾

(سورة النمل)

فإذا كنت حكماً يجب أن تحكم بالعدل ، وإن احتكمت فلا تحتكم إلا لله ، فكيف تقول لله: يا رب أنا حكمتك لك ؟ كيف تحتكم لله ؟ الاحتكام لله بأن تنصاع لكتابه ، والاحتكـام لرسوله بأن تخضع لسنة ، إما لكتاب الله ، وإما لسنة رسول الله فقد قال تعالى :

فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾

(سورة النساء)

يعني ورد في السيرة أن سيدنا العباس ، كان عين النبي في مكة ، ولحكمةً أرادهـا النبي قال : لا تقتلوا عمي العباس في معركة بدر . فبعضهم قال : ينهانا عن قتل عمـه وأحدنا يقتل أباه وأخاه !! ثم كشفت حكمة النبي الكريم قـال : - والله - بقيـت عشـر سنوات وأنا أستغفر الله ، لسوء ظني برسول الله .. " **فلا وربك لا يُؤْمنُون حتى يُحكمُوك فيما شَجر بينَهُم** " ، وعند النزاع ... قال تعالى :

فَـإِن تَنَـٰزَعْتُمْ فِـى شَـىْءٍ فَـرُدُّوهُ إِلَـى ٱللَّـهِ وَٱلرَّسُـولِ

(سورة النساء)

" **فَإن تَنَازعتُم في شَيء فَرُدوهُ إلى الله والرسُول** " .. فردوه إلـى الله ، أي إلـى قرآنه وإلى رسوله أي سنته . فإذا كنت مؤمناً ، فترد الأمر المتنازع فيه إلى الله ورسوله .

أما أكثر الناس عنده حاسة سادسة ، إذا كانت قضيته تُحل بالقانون، يقول لك : نحن في بلد فيه حكم وقانون وقضاء ؛ فيذهب إلى المحكمة . وإذا كانت القضية القانون ضـده فيها فتنحل عند العلماء ويذهب إليهم ويقول لك : أنا أريد حكم الشرع . لمـاذا تريـد أن تحتكم للشرع ، ومرة لحكم القانون ؟ إذا كنت مؤمناً صادقاً ، تحتكم إلى الله دائماً ، إلـى كتاب الله وإلى سنة رسوله صلّى الله عليه وسلم .

والحمد لله رب العالمين

الدرس ٦٤ - اسم الله : "الشهيد"

بسم الله الرحمن الرحيم

مع الدرس الرابع والستين من أسماء الله الحسنى ، والاسم هو **الشهيد** .. وقـد ورد هذا الاسم في الأحاديث الصحيحة التي عدد بها النبي صلّى الله عليه وسلم أسماء الله الحسنى .

فالشهيد ؛ اسم من أسماء الله الحسنى ، والنبي - صلّى الله عليه وسلّم - وهو سـيد الخلق ، وحبيب الحق سماه الله في كتابه الكريم شاهدا وشهيداً فقد قال تعالى :

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ شَـٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾

(سورة الأحزاب)

وقال تعالى :

فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَـٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾

(سورة النساء)

والذي يقدم أثمن ما يملكفي سبيل الله ، وفي ساحات القتال ، سمي شهيدا .. والجود بالنفس أقصى غاية الجود ، والله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم حينما حدثنا عن بذل المال والنفس في سبيله قدم المال على النفس فقد قال تعالى :

وَجَـٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ

(سورة الأنفال)

في معظم الآيات التي تحدثت عن البذل ، جاء بذل المال مقدماً على بذل النفس لأنه أسهل ، وفي آية واحدة ، قال تعالى :

۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم

(سورة التوبة)

هنا تقديم أهمية ، قضية بيع قطعي فبدأ بالأهم فالمهم .

أيها الإخوة القراء ... معنى **شهيد** صيغة مبالغة لاسم الفاعل ، شَهد ، يشهد ، شاهد .. الشهيد صيغة مبالغة اسم الفاعل فمعنى شَهد أي حضر ، شهد هـذا الحفـل فـلان أي : حضره فلان . شهد هذه الصفقة فلان أي : حضرها فلان . شهد هـذه الوليمـة فـلان أي : حضرها فلان . فالشهيد هو الذي يشهد أي : يحضر .. والذي يحضر يعلم ، والذي يعلم يعلم .

فهناك معان ثلاثة تُستفاد من كلمة شهيد ؛ .. حضر ، وعلم ، وأعلم. فالله سبحانه وتعالى بهذا المعنى **شهيد** ، مع كل مخلوق أجل ، مع كل مخلوق شهيد بعلمه فقد قال تعالى :

وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾

(سورة الحديد)

"**أَينَ مَا كُنْتُم** ".. إن كنتم في أطباق الجو ، أو تحت أمواج الماء ، أو في الصحراء ، أو على ظهر اليابسة ، في المدن ، في السفر ، أين ما كنت الله معك . قال العلماء : هـذه معيةٌ عامة ، أي أن الله جل جلاله مع المخلوقات بعلمه .

وقالوا : وهناك معيةٌ خاصة فقد قال تعالى :

وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ

ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٩﴾

(سورة الأنفال)

وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩٤﴾

(سورة البقرة)

إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾

(سورة الأنفال)

" **وَهوَ مَعَكُم أَينَ مَا كُنْتُم** " معيةٌ عامة ، " واعلموا **أن اللهَ مَعَ المتقـينَ** " معيـةٌ خاصة . معية الله الخاصة أي : معهم مؤيداً ، وناصراً ، وحافظاً ، وموفقـاً . إذا كـان الله معك فمن عليك ؟ وإذا كان الله عليك فمن معك ؟ فلا أحد معك ، أقرب الناس إليك يتنكـرون لك ، لكن الله معكم مؤيداً ، معكم ناصراً ، معكم موفقاً ، معكم حافظاً ، فقد قال تعالى :

فَٱللَّهُ خَيۡرٌ

حَٰفِظٗاۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٦٤﴾

(سورة يوسف)

في الحديث القدسي : " عبدي أعطيتُك مالاً فماذا صنعت فيه ؟ قال يا رب لم أُنفـق منه شيئاً مخافة الفقر على أولادي من بعدي . قال ألم تعلم بأنّي أنا الرزاق ذو القوة المتـين ، إن الذي خشيته على أولادك من بعدك قد أنزلته بهم " ، يسأل عبداً آخر : " أعطيتـك مـالاً فماذا صنعت فيه ؟ قال يا رب أنفقته على كل محتاجٍ ومسكين لثقتي بأنك خير حافظاً وأنـت أرحم الراحمين . قال : عبدي أنا الحافظ لأولادك من بعدك ".

فالله عز وجل يكون مع المؤمن حافظاً ومؤيداً وناصراً وموفقاً ، وما توفيقي إلا بالله . " **فالله خَير حَافظًا وَهوَ أرحَم الراحمينَ** " وقد قال تعالى :

إِن يَنصُرۡكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمۡۖ

(سورة آل عمران)

وقال تعالى :

هُوَ

ٱلَّذِيٓ أَيَّدَكَ بِنَصۡرِهِۦ وَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٦٢﴾

(سورة الأنفال)

أيدك .. ونصر . وحفظ .. ووفق ، هذه هي المعية الخاصة ، إلا أن المعية الخاصة مشروطة فقد قال تعالى :

وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مَعَكُمۡۖ لَئِنۡ أَقَمۡتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيۡتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِي وَعَزَّرۡتُمُوهُمۡ وَأَقۡرَضۡتُمُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا

(سورة المائدة)

هناك ثمن " **وَقالَ الله إني مَعَكُم لَئِن أقمتُم الصلاةَ وَآتَيتُم الزكاةَ وَآمَنْـتُم بِرسـلي وَعَزرتُموهم وَأقرَضتُم اللهَ قرضا حَسَنًا** " .

إذاً ؛ معنى شهيد أي : معك .. يا موسى أتُحب أن أكون جليسك ؟ قال كيف ذلك يا رب وأنت رب العالمين ؟! قال : أما علمت أنني جليس من ذكرني ، وحيث التمسني عبـدي وجدني .

هو معك ، إن ذكرته هو معك ، [وكن مع الله تر الله معك / وإذا أعطاك من يمنعه / واترك الكُل وحاذر طمعك / ثم من يعطي إذا ما منعك .

الشهيد مع كل مخلوق بعلمه ، ومع المؤمن بتوفيقه ، وحفظه ، وتأييده ، ونصره .. فهو **شهيد** ، قال تعالى :

قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾

(سورة طه)

فرعون ، كان قَتْلُ الإنسانِ عنده كقتل ذبابه ، ولكن الله تعالى قال لكل مـن سـيدنا موسى وأخيه هارون :

قَالَ لَا تَخَافَآ ۖ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾

(سورة طه)

أنا معكما .. "**إنني مَعَكُمَا أسمَع وَأرَى** " وكل مؤمن إن شعر أن الله معه ، يشـعر بقـوة لا حدود لها .

قال الصديق لرسول الله - صلّى الله عليه وسلم - وهما في الغار: يا رسول الله : لو نظر أحدهم إلى موطئ قدمه لرآنا . قال يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما ؟ وهي معيـة الله عز وجل ، الإيمانِ .. أفضل الإيمان ؛ أن تعلم أن الله معك حيثُ كنت .

إذاً الشهيد هو معك .. معك علماً إذا كنت مخلوقاً عادياً . ومعك حافظاً ، وناصراً ، وموفقاً ، ومؤيداً ، إن كنت مؤمناً ، أو صابراً ، أو متقياً .

من لوازم الشهيد ؛ أنه يعلم .. ومن لوازم الشهيد ؛ أنه يعلم . حضر، علم ، يعلم .. هو حاضر مع كلّ مخلوق ، في كل زمانٍ ومكان ، وهو عالم به .

قال بعض العلماء : " **الشهيد** ؛ الأمين بشهادته ، الأمـين فـي أداء شـهادته " أي شهادة دقيقة جداً ، فأحياناً الإنسان قد يحضر ويقول لك : والله لم أشعر ماذا فعلوا ، كنت معهم

ولكنهم غافلوني وراغوا . إذا كان الله عز وجل شهيدا فلا تخفى عليه خافية ، ولا حركة ، ولا سكنة ، ولا خاطر ، ولا صراع أبداً فنفوس العباد مكشوفةٌ له ، فقد قال تعالى :

وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ

(سورة الأنفال)

وَنَحْنُ أَقْرَبُ

إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾

(سورة ق)

وبعد ، فإن المعنى الفرعي الآن : **الشهيد ؛** الأمين في شهادته ، أي : لا يغيب عن علمه شيء ، البالغ الغاية في علمه بالأمور الظاهرة . فهو شهيد حاضر ، وشهيد يعلم ، والآن **الشهيد** يعلم .. فقد قال تعالى :

شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ

(سورة آل عمران)

هنا السؤال كيف يشهد ؟ .. إنسان من جنس البشر ، يشهد لك بلسانه ؛ فيقول لـك: أنا كنت في المكان الفلاني ، وفعلاً حدث ما حدث ، يشهد لك بلسانه ؛ ولكن الله جل جلالـه كيف يشهد لك ؟ " **شَهِدَ الله أنه لا إِلَهَ إلا هوَ** ".

قال : عرفت الله من نقض العزائم . الإنسان الغافل الشارد المشرك ؛ يأخـذ بكـلّ الأسباب ويعتمد عليها ، ويظُن أن الأمور تجري على ما يريد ، ثم يفاجأ أن الله أبطـل كـل مسعاه .. عرفت الله من نقض العزائم .

ألا ترون في كلّ مكانٍ وزمان ؛ أن الله يشهد لخلقه "**أنه لا إِلَهَ إلا هوَ** " أي بالتعبير المألوف - مع الله لا حيلة لِذَكي - ، النجاح بالتوفيق لا بالذكاء. نجاح الإنسان بتوفيق الله ، وتوفيق الله باستقامته على أمره ، فالله يشهد .

وأمثلة على ذلك ... أب توفّي وترك خمسة أولاد ، أكبر الأولاد أخذ كل الثـروة ، كيف يشهد الله "**أنه لا إِلَهَ إلا هوَ** " يوفقُ المظلومين ويمحق الظالم ، أما بحسـب قـوانين الأرض ، فالذي استولى على كل المال ينبغي أن ينمو كل هذا المال عنده ، والذي حرِم منه ، ينبغي أن يعيش فقيراً بائساً ، يشهد الله للناس أن الأمر بيده .

هو أخذ المال كله .. أتلف الله المال وأتلف صاحبه ، والذي حرم منه وليس لـه إلا الله وفقه الله ، وكم من أخٍ استولى على كل الثروة، ثم عمل عند إخوته فيما بعد أجيـراً فقـد أتلف الله ماله كلّه !! وعلى هذا فقس ، يشهد الله لخلقه "**أنه لا إلَهَ إلا هوَ**" ، فالأمر بيده .

تجد الأقوياء .. يأتيهم بأس الله جل جلاله ويدمرهم أحياناً كثيرة والضعفاء ينصرهم . الأغنياء إن أدوا زكاة مالهم ، يبارك لهم في مالهم ، إن لم يؤدوا الزكاة يمحق مالهم .

الإنسان أحياناً لا يملك من الدنيا شيئاً ، لكن يملك استقامته ، فالله عز وجل يكرمـه ويعلي مكانه ، يرزقه ، ينصره ، يؤيده . فعندما ينصر ربنا إنساناً ضعيفاً وفقيراً ، نَصـر اللهِ لهذا الضعيف الفقير شهادةٌ من الله لخلقه ؛ أن الأمر بيده ، ليس بالمال ، ولا بالسـلطان ، ولا بالذكاء ، لا بالحسب ، ولا بالنسب ، ولكن بطاعة الله عز وجل .

وهأنذا أقدم معنى دقيقاً .. هناك بالحياة قواعد مادية ، هذه القواعد المادية تخـرق ، فمثلاً : حسب إجراءات الآلة الحاسبة أربح - مئة ألف زائد ثمانية عشر بالمئة ؛ فـالمجموع يساوي مئة وثمانية عشر - دفعتها مئة فقبضها مئة وثمانية عشر ، وهذه حسابات على الآلـة الحاسبة ، ولكن الله قال :

يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ

(سورة البقرة)

أقرضت إنساناً مئة ألف .. وبحسب التضخم النقدي ردت لك أقلّ بثمانيـة عشـرة بالمئة ، ردت لك أثنين وثمانين ألفًا ، لكن ربنا عز وجل بالطافه الخفية يحفظ المال ، وينمـي المال ، ويحفظ صاحب المال ، يحفظ له أهله ، وأولاده ، وصحته ، ويؤيده ، ينصره ، يوفقه ، فقد قال تعالى :

مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ

(سورة البقرة)

معناها أن الله **شهيد** أي : يشهد . أي : يحضر ، وحاضر ، وعـالم والآن يعلـم ، يعلمنا أن الأمر بيده ، لا بذكائكم ولا بأموالكم ولا بأحسابكم ولا بأنسابكم ولا بتجمعـاتكم ولا بكل ماتملكون ، الأمر بيد الله ، الله مع المحسن ومع الطائع ومع المستقيم ينصره ويؤيده لأنه **شهيد ويشهد** لنا .

يعني أقرب الأمثلة التاريخية .. النبي - عليه الصلاة والسلام - أخرجه قومه إلـى المدينة ؛ فقريش أقوى قبيلة في الجزيرة .. وكذلك فقريش لديها أموال وفيها أبطال وفيها عتاد وفرسان وعدد ، والنبي ضعيفٌ مستضعف .

لم يستطع إنقاذ عمار بن ياسر من التعذيب يقول : صبراً آل ياسر إن موعدكم الجنة . لايستطيع أن يتدخل ، وعندما هاجر هدر دمه ، لمن كانت العاقبة ؟

فما معنى أن الله **شهيد** ؟ أي أن قريش بخيلها وصولتها وقوتها وفرسانها ومؤامراتها ، وشدة بأس رجالها ؛ دمرها الله عز وجل ، ونصر النبي -عليه الصلاة والسلام -.. وهـذا الشيء يتكرر .

أي أنك إذا أردت أن تكون أقوى الناس ، فتوكل على الله . فالله عز وجل **شـهيد** .. حاضر ، عالِم ، معلم .. شهيد ، بشهد لك .

فمثلاً .. تجد شاباً مستقيما يعرف الله ويخافه ، ويتحرى الحلال ، ويرجو رضى الله ، ويخاف سخطه ، لا يعصيه ، يغُض بصره ، يضبط لسانه ، يضبط سمعه وبصـره ، لكنـه فقير ، وتجد شاباً آخر ذا قوة ومنعة ومال وأهل ودعم ، الله عز وجل ينصر المستقيم ، ويدمر المنحرف . ما معنى ذلك ؟ أن الله يشهد .. ألم يقل الله عز وجل :

أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾

(سورة الجاثية)

شيء دقيق المعنى جداً .. فكلام ربنا كقوله تعالى :

مَنْ عَمِلَ صَـٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ

(سورة النحل)

فهذا قانون سماوي ، أيها القارىء الكريم ، زوال الكون ، أهون على الله مـن أن يضيع مؤمناً . وزوال الكون ، أهون على الله من أن يتبدى لكم ، أن هذا الإنسان القوي الكافر المنحرف ، الذي يخطط لمستقبلٍ رائع . تحقيق ما خطط له يتناقض مع وجـود الله - لـذلك يفاجأ الإنسان بأحداث مذهلة .

فقلاع عمرت سبعين عاماً ، تهاوت كبيت العنكبوت . أليس هذا من فعـل الله عـز وجل ؟ ليريكم آياته ؟ الله **شهيد** يشهد لنا "**أنه لا إِلَهَ إِلا هوَ** " العوام يستخدمون هذه الكلمة : "

ما في غير الله .. الله كبير " ، فهذه الكلمات لها مدلول عميق .. يقولون لا إله إلا الله ، هـو المعطي ، هو المانع ، هو القابض ، هو الباسط ، هو المعز ، هو المذل ، هو الـرازق هـو الحافظ ، إلخ ... فهذه الكلمات لها مدلول عميق ، فليس هناك سوى الله ، فهناك إنسان قـوي جداً ويؤتى من مأمنه .. كقول الله تعالى :

إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾

(سورة البروج)

الشهيد : هو الحاضر الذي لا يغيب عنه شيء في ملكه .. فقد قال تعالى :

أَوَلَمْ

يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾

(سورة فصلت)

والله قد قال لي ذات مرة أحدهم كلمة أعجبتني كثيرا قال : الحمد لله على وجود الله ووجوده يفوت على أهل المكر مكرهم ، فأحياناً تجد الإنسان لئيماً يتجاهل إمكاناتك ، يتجاهـل عطاءآتك ، يتجاهل ميزاتك ، يضايقك ، ولكن الله شهيد ، اصنع المعروف مع أهله ومع غير أهله ، إن أصبت أهله أصبت أهله ، وإن لم تُصب أهله فأنت أهله .

إذا كنت تعلم أن الله يعلم ، فليست هناك مشكلة إطلاقاً . يكفيك أن الله يعلم .. فأحياناً يكون للإنسان عملٌ عظيم لكنه لا يظهر . ويعتم عليه بشكل مقصود ، ولكن الله شهيد . أهـلا بمن خبرني جبريل بقدومه قالها النبي عليه الصلاة والسلام لصحابي ، فقال : أومثلي!! قال : نعم يا أخي خاملٌ في الأرض ، علم في السماء .

فإذا كان الله **شهيداً** ، فليست هناك مشكلة ... الحمد لله على أنه يشهد كـلّ شـيء " **أَوَلَم يَكْفِ بِرَبِكَ أنه عَلى كُل شَيء شَهيد** " ، فلو فرضنا موظفاً .. والمدير العام الـذي بيـده ترفيعه ، وزيادة رواتبه ، ودعمه ، وتقليده المناصب العليا ، يعلم إمكانات هـذا الموظـف ، ويعلم عطاءآته ، ويعلم دقته في عمله ، فإذا كان الآذن لا يعرف .. فخير إن شاء الله عرف أم لم يعرف فذلك لا يضيره في شيء .

فأجمل كلمة قالها سيدنا عمر - رضي الله عنه -عندما جاءه رسولٌ مـن معركـة نهاوند ، فقال : حدثني ماذا حدث ؟ قال له والله مات خلقٌ كثير . فقال له : من هم ؟ فذكر له

بعض الأسماء . فقال له : من أيضاً؟ فقال له : إنك لا تعرفهم . فبكى عمر وقال : ما ضرهم أني لا أعرفهم إذا كان الله يعلمهم .

أنت عملت عملاً طيباً ، والناس لم يقدروك .. - ولم يقدروا عملك فخير إن شاء الله - "**أَوَلَم يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنه عَلَى كُلِّ شَيءٍ شَهِيد** " ، فعلامة المخلص ؛ أنه لا يبحث عن تقـدير الناس ، ولا عن انتزاع إعجابهم .. لا بل يهمه أن الله يعلم وانتهى كل شـيء ، إلهـي أنـت مقصودي ورضاك مطلوبي .

هو **شهيد** حاضر ويعلم ... قال العلماء : إذا كان العلم مطلقاً فهو العلـيم.. شـهيد يعني عليم علماً مطلقاً ، أما إذا أُضيف إلى الأمور الباطنة فهو الخبير، أما إذا أُضـيف إلـى الأمور الظاهرة فهو **الشهيد** .

الله **يشهد** ما ظهر ، وخبير بما بطن ، ويعلم ما ظهر وما بطن .

العلم مطلقاً شهيد ، العلم مطلقاً عليم ، العلم بظواهر الأشياء شهيد ، وببواطنها خبير .

بعض العلماء يقول : " الشهيد ؛ الذي لا يغيب عنه شيء ، ولا يعرب عنـه مثقـال ذرة في الأرض ولا في السماء ، مطّلع على كل شيء ، مشاهد له ، عليم بتفاصيله ".

فأنت أحياناً تلتقي مع مدير عام بمؤسسة يعرف الأمور الكبيرة، أما دقائق ما يجري فلا يعرفها ، ويقول لك ليس عندي علم . لكن مقام الأُلوهية يقتضي أن يعلم كل التفاصـيل ، أدق أدق خواطر الإنسان يعلمها الله .

أحياناً الإنسان يعلن عن شيء ويبطن خلافه . فيزوره شخص ويعلن أن لهذه الزيارة سبب ، كأن يقول : لقد بلغني عنك أنك مريض ، ويكون قد أتى في الحقيقة لأن له ديناً عنده ، وليطالبه به ، فأظهر بذلك شيئاً وأخفى شيئاً آخر .. ولكن الله عز وجل يعلم السر وأخفـى ، يعلم ما أعلنت ، ويعلم ما أسررت ، ويعلم ما خفي عنك .. ما خفي عنـك أنـت ذاتـك والله سبحانه وتعالى هو **الشهيد** ؛ لأنه يشهد على الخلق يوم القيامة .

وبعد ، فأحدث طريقة في التحقيق أن تصور المخالف وأن تعرض عليه الصـورة ، فانتهى الأمر بذلك ولا يستطيع أن يتكلم بكلمة واحدة ، يقولون له : أنت في الوقـت الفلانـي وفي الشارع الفلاني خالفت . فلو قلت لهم : لا .. لم أكن هناك . أظهروا لك صورة سيارتك ، وهذا هو التاريخ ، وهذا هو الشارع . فينتهي كل شيء .. فإذا عرض على الإنسان عملـه مصوراً ، يصمت ..

فقال بعض العلماء : " الله شهيد ، يشهد لعباده يوم القيامة ، يشـهدهم أعمـالهم " .. وهذا معنى جديد .. يشهدهم أعمالهم فقد قال تعالى :

ٱقۡرَأۡ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفۡسِكَ ٱلۡيَوۡمَ عَلَيۡكَ حَسِيبٗا ﴿١٤﴾

(سورة الإسراء)

تفضل هذه أعمالك ، طلقت ظلماً ، قبضت هذا المال ظلماً ، دلست بهذه الصفقة ، أخفيت هذا العيب ، أكلت هذا المال ولا يحق لك أن تأكله ، سهرت في المكان الفلاني ، أطلقت بصرك في المكان الفلاني، كل الأعمال ، وبالتعبير الحديث أعمالك مسجلة على هيئة فيلمٍ ملونٍ وناطق مع التاريخ والساعات ، والمكان والزمان . تكلم .. " **كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبا** ".. هذا معنى جديد ؛ يشْهدك أعمالك يوم القيامة.

لذلك ، إن علمت أن الله يراقبك ؛ فهذا أكبر دافعٍ لك على طاعة الله.. قال الله تعالى :

وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ رَّقِيبٗا ﴿٥٢﴾

(سورة الأحزاب)

إِنَّ

ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ﴿١٧﴾

(سورة الحج)

بالمناسبة ؛ هل تصدق أيها القارىء الكريم أنه من أجل أن تعلم ؛ علْمك أن الله يعلم؛ هو علة وجودك على وجه الأرض فقد قال تعالى :

ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنَهُنَّ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا ﴿١٢﴾

(سورة الطلاق)

في الحقيقة ؛ أسماء الله تسعة وتسعون ، لكن الله اختار من أسمائه كلها اسمين العلم والقدرة . إن علمت أن الله يعلم : و أنه سيحاسب، وأنه قوي ، لابد من أن تستقيم على أمره .

أنا أضرب أمثلة كثيرة ؛ ممكن وأنت راكب مركبتك ، والإشارة حمراء ، والشرطي واقف معه دراجة ، وسيارة الضابطة واقفه فيها ضابط ، والقانون صارم ، والعقوبة شـديدة ، وأنت إنسان عادي ليس لك قوة .. هل يمكن أن تتجاوز الإشارة ؟ لا ، فهذا شيء مسـتحيل ، إن علمت أن الله يعلم ، وسيحاسبك ؛ مستحيل أن تعصيه ؛ فإن عصيته فلضعف في علمك أنه يعلم ، أو لضعف في علمك أنه سيحاسب ، أما إذا أيقنت أنه يعلم و سيحاسب لا يمكن أن تعصيه فهذا المعنى الثاني .

لو حللت المعصية تحليلاً علمياً .. الإنسان يتجاوز الإشارة الحمراء الساعة الثالثـة في الليل يقول لك : لايوجد أحد لأن الذي يحاسبك لايعلم، وينطلق بسـيارته غيـر عـابىء بالإشارة الحمراء إذا كان أقوى من الشرطي ومن رؤسائه ، أما إذا كان ضعيفاً ، والشـرطي يقف أمامه ، هل يستطيع أن يتجاوز الإشارة ؟ لا ، هذا قانون نفسي .. أي أنت لو علمت أن الله يعلم ، ولا تخفى عليه خافية .. وأنه سيحاسب - لا بد مـن أن يحاسـب - لا يمكـن أن تعصيه ، فالله عز وجل شهيد ، حاضر ، عالم ، يعلم .

ذُكر اسم **الشهيد** في القرآن الكريم تسع عشرة مرة .. الله سبحانه وتعالى يقـول فـي سورة النساء :

إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ شَهِيدًا ﴿٣٣﴾

(سورة النساء)

كل حادث ، وكل أمر ، الله عز وجل **شهيد** ، ويعلم ، وسيفصل بـين خلقـه يـوم القيامة . فأحياناً يكون الإنسان طليقَ اللسان ، ولديه قوة حجة؛ ولو بالباطل فيقنع الآخـرين ، مثل هؤلاء إذا كانوا منحرفين في حياتهم وكانوا معتدين على الآخرين ؛ الله عز وجل يسـلبهم هذا السلاح ، يقول تعالى :

ٱلۡيَوۡمَ نَخۡتِمُ عَلَىٰٓ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَتُكَلِّمُنَآ أَيۡدِيهِمۡ وَتَشۡهَدُ أَرۡجُلُهُم

(سورة يس)

شهيد الله عز وجل .. وقال تعالى :

وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمۡ لِمَ شَهِدتُّمۡ عَلَيۡنَاۖ قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَنطَقَ كُلَّ شَيۡءٍ

(سورة فصلت)

وقال تعالى : " **وَلِكُل جَعَلْنَا مَوَالِيَ مما تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبـونَ وَالـذينَ عَقَـدَتْ أَيمَانُكُم فَآتُوهم نَصيبَهم إِن اللهَ كَانَ عَلى كُل شَيء شَهيدا** " ، هذه أول آية .. أي هو رقيب عليكم .

فبربكم ، إذا كنت بحضرة إنسان من علية القوم ، فهل تتكلم بأية كلمة أمامـه ؟ إذا زارك ضيفٌ من علية القوم ، وهو شخص محترم ، عالم ، عميد الأسرة مثلاً ، مكانته كبيرة ، منصبه رفيع ، أخلاقه عالية ، أي أنه شخص متفوق ؛ إن في علمه ، أو في مرتبتـه ، أو إلى آخر الصفات .. فهو ضيفك وأنت أمامه ، فهل تتكلم بأية كلمة ؟ هل من الممكن أن تتكلم بكلمات بذيئة أمامه ؟ أيمكن أن تخاصم أهلك أمامه ؟ ممكن تُطلق لسانك بالسـباب أمامـه ؟ إنسان من جنسك ولكن له مكانة ، فأنت إذا أيقنت " **إِن اللهَ عَلى كُل شَيء شَهيدا** " وهو معك فلا يمكن أن تفعل ، فأحد أكبر أسباب الانضباط شعور الإنسان أن الله معه.. أفضـل إيمـان المرء أن يعلم أن الله معه حيث كان ، " **إِن اللهَ كَانَ عَلى كُل شَيء شَهيدا** " أي كان رقيبـاً عليكم .

وفي آل عمران يقول تعالى :

لِـمَ تَكْفُـرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّـهِ وَٱللَّـهُ شَـهِيدٌ

عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٨﴾

(سورة آل عمران)

بعضهم يقول لك : دبرت الأمر وعملت كل ما ينبغي وأوقعته فيها - لبسته إياها - ، أخفيت عليه العيب ، مرتْ البضاعة بالرغم من العيب الخطير الموجود فيها ! يظن نفسه ذكياً ، والله عز وجل " **عَلى كُل شَيء شَهيدا** " ، " **لِمَ تَكْفُرونَ بِآيَات الله وَالله شَـهيد عَلى مَا تَعمَلُونَ** " أي **شهيد** ، حاضر ، يعلم يعلم ، سيجازي ، فمعنى ذلك إنك لم تكن ذكياً .

والله آلاف الوقائع والحوادث ، إنسان ظن أن هذا العمل يخفى على الله فعله ، وظن نفسه ذكياً ثم كُشف ودفع ثمنه غالياً ، ولقي جزاء عمله ، ودمره الله عز وجل ، معنى ذلك أنه لم يكن ذكياً .

هناك شخص كتبت عنه الصحف منذ فترة ، وعنده نوع من الدجل في علاقاته مـع الآخرين ، يبتز أموالهم ، ويعمل في الطب ، ودخله كل ثلاثة أيام مليون ليرة مقابل إجرائـه لعمليات جراحية كبيرة وضخمة ، ثم كُشف ، أي معنى ذلك إنه لم يكن ذكياً .

أقول هذا مراراً .. الإنحراف عدوان ؛ فقد يستمر ذلك إلى حين ، أما دائمـا فلـن يستمر ، لا بد من أن يكشفه الله ، وأن يلقى صاحبه جزاء عمله في الدنيا قبل الآخرة ، وهـذا من آيات الله ، هذا من دلائل قدرته عز وجل ، فقد قال تعالى :

وَأَنَّ ٱللَّـهَ لَا يَهۡدِى كَيۡدَ ٱلۡخَآئِنِينَ ﴿٥٢﴾

(سورة يوسف)

سيدنا عيسى عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام في سورة المائـدة يقـول الله سبحانه وتعالى سائلاً إياه ثم يجيب:

ءَأَنتَ قُلۡتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيۡنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ‌ۖ قَالَ سُبۡحَـٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنۡ أَقُولَ مَا لَيۡسَ لِى بِحَقٍّ‌ۚ إِن كُنتُ قُلۡتُهُۥ فَقَدۡ عَلِمۡتَهُۥ‌ۚ تَعۡلَمُ مَا فِى نَفۡسِى وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِى نَفۡسِكَ‌ۚ

وَكُنتُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدً۬ا مَّا دُمۡتُ فِيهِمۡ‌ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيۡتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيۡهِمۡ‌ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىۡءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِن تُعَذِّبۡهُمۡ فَإِنَّهُمۡ عِبَادُكَ‌ۖ وَإِن تَغۡفِرۡ لَهُمۡ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿١١٨﴾

(سورة المائدة)

في سورة النساء :

رَّسُولاً۬ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدً۬ا

(سورة النساء)

فهذا محمد صلى الله عليه وسلّم ، فبالطائف كذبوه ، وسخروا منه ، وردوا دعوته ، وأغروا سفهاءهم به، آذوه ، وضربوه . وجاء بعد الطائف حادث الإسراء والمعراج ، رفع الله نبيه إلى أعلى عليين ، أعلمه أنه سيد الخلق وحبيب الحق .. قال تعالى :

إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾

(سورة الإسراء)

سمع دعاءك وأبصر ما جرى لك في الطائف ، وقال تعالى :

قُلْ أَىُّ شَىْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً ۖ

(سورة الأنعام)

أحياناً الإنسان يجهز شهوداً أقوياء ، يقول لك : فلان يعرف الموضوع ، وفلان كان حاضراً ، وفلان معي منه إقرار ، وفلان كتب لي تصريحاً ، ولكن هناك أقوى من كل هـذه الشهادات ؛ وهي أن يشهد الله لك أنك مستقيم " **قُلْ أي شَيء أَكْبَر شَهَادَةً قُلْ الله شَهِيد بَينـي وَبينكُم** "، إذا شهد الله لك أنك على الحق هذه أكبر شهادة .

هذه الآيات أيها القارىء الكريم وردت في كتاب الله إنّها تسع عشرة آية ورد فيهـا إسم **الشهيد** ..

تومىء إلى شهادة الله لهذا الإنسان :

وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾

(سورة يونس)

وأنت تصلي يعلم الله أنك تصلّي ، وتقرأ القرآن ، تسبح ، تذكر، تستغفر ، تغُـض البصر ، تأمر بالمعروف ، كل عملك في علم الله ، وهو يشهد عملك .. لكن الله يشـهد بمـا أنزله إليك ، أنزله بعلمه والملائكة يشهدون " **وَكَفَى بِالله شَهِيدا** ". يكفي أن الله يشهد ، وفـي سورة يونس :

وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ ۚ أَفَأَنتَ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٤٣﴾

(سورة يونس)

وقال تعالى :

فَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَٰفِلِينَ ﴿٢٩﴾

(سورة يونس)

وقال تعالى :

وَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ ثُمَّ تُرَدُّونَ

إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٤﴾

(سورة التوبة)

وقال تعالى :

وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ۚ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۚ

(سورة الأنعام)

أي يشهد لما ظهر ، ويعلم لما ظهر ولما بطن .. وقد قال تعالى :

وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ

عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾

(سورة التوبة)

وقال تعالى :

وَكُلُّ شَيْءٍ

عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ ﴿٨﴾ عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ﴿٩﴾

(سورة الرعد)

وقال تعالى :

ذَٰلِكَ عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦﴾

(سورة السجدة)

وقال تعالى :

قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ عَـٰلِمَ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِى مَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٤٦﴾

(سورة الزمر)

وقال تعالى :

هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَـٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾

(سورة الحشر)

وقال تعالى :

قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَـٰقِيكُمْ ۖ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَـٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾

(سورة الجمعة)

أيها الأخوة القراء ... ملخص هذا الاسم الجليل أن الله معكم أينما كنتم، معكم بعلمه ، ومعكم بتأييده ، إن كنتم على طاعته ، معكم بعلمه ، ومعكم بنصره وحفظه وتأييده وتوفيقه ؛ إن أقمتم الصلاة ، وآتيتم الزكاة ، وآمنتم برسله ، وعزرتموهم ، وأقرضتم الله قرضاً حسناً .

من لوازم أنه معكم يعلم ما تفعلون ، يعلم ظاهر العمل ، وباطن العمـل . ونوايـا صاحب العمل ومؤدى العمل ، وخلفية العمل ، عملك بكل تفاصيله ، وملابساته ، وخلفياتـه ، وأهدافه ، ومراميه ، في علم الله عز وجل .

ثم هو ينبئك عن عملك في الدنيا والآخرة ، ينبئك عن ذاتة ، يشهد لك أنه لا إله إلا هو ، أنت تريد وأنا أريد والله يفعل ما يريد .

وقد ورد بالأثر القدسي : " أن يا عبدي خلقت لك السماوات والأرض ولـم أعـي بخلقهن ، أفيعييني رغيفٌ أسوقه لك كل حين ؟ وعزتي وجلالي إن لم ترض بما قسمته لـك فلأسلطن عليك الدنيا تركض فيها ركض الوحش في البرية ثم لا ينالُك منها إلا ما قسمته لـك ولا أُبالي وكنت عندي مذموماً ، أنت تريد وأنا أُريد ، فإذا سلمتني فيما أُريد كفيتك ما تريـد ، وإن لم تُسلمني فيما أُريد أتعبتُك فيما تُريد ثم لا يكون إلا ما أُريد ".

إذاً **شهيد** .. يعلم ، **وشهيد** .. يعلم ، ينبئك أنه لا إله إلا الله ، وينبئُك عـن عملـك بحبه لك ، فإذا كان هناك شخص مستقيم يشهد الله له أنه مستقيم من خلال التوفيق ، وإذا كان إنسان ماله حرام ، يشهد الله له بأن ماله حرام من خلال التدمير .. يدمر له ماله . فقـد قـال تعالى : " **وَمَن أَعرَضَ عَن ذكْري فَإن له مَعيشَةً ضَنكًا وَنَحشُره يَومَ القيَامَة أَعمَى** " .

المعيشة الضنك ، شهادة الله للمنحرف ؛ بأن هذا القرآن كلامه ، ثم هو يشهد لك عن ذاته ، وعن أفعاله ، وعن كلامه ، ويشهدك عملك في الدنيا والآخرة ، إذاً هو سبحانه حاضر .. ويعلم .. ويعلم ، هذا هو **الشهيد** .

أخيرا ، أدب المؤمن مع هذا الاسم .. إذا علمت أن الله معك ، وأنه **شهيدٌ** عليـك ، وأنه يسمع كلامك ، ويرى حركتك ويعلم باطنك ؛ لا بد من أن تتأدب معه . فالأدب مـع الله من نتائج إدراك العبد أنه يوقن أن الله على أفعاله **شهيد** .

والحمد لله رب العالمين

الدرس٦٥ – اسم الله : الغني والمغني .

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الإخوة المؤمنون ... مع الدرس الخـامس والسـتين مـن دروس أسـماء الله الحسنى ، والاسم اليوم هو اسم **الغني والمغني** .

الغني والمغني : اسمان من أسماء الله الحسنى ، إلا أن أكثر الذين بحثوا في هذين الاسمين ؛ بحثوا فيهما معاً ، وذكروهما معاً ، فكان الجمع بينهما من تقليد العلماء الـذين درسوا أسماء الله الحسنى ، لذلك الاسم اليوم **الغني والمغني** ، والأصح أن نقول الاسمان اليوم **الغني والمغني** .

الغنى - كما تعلمون - ضد الفقر ، والغنى له معانٍ عديدة .. أحدها عدم الحاجة إطلاقاً ، وليس ذلك إلا لله تعالى . الله وحده الذي لا يحتاج إلى أحد ، بل إن الله وحده يحتاجـه كـل شيء في كل شيء . الله وحده لا يحتاج أحداً ، إذاً غني .. غني عن خلقه ، آمنوا ، كفـروا ، أحسنوا، أساءوا ، قدروا لم يقدروا ، عرفوا جهلوا ، جحدوا ، ألحدوا ، غني عن خلقه ، فقـد قال تعالى :

إِن تَكْفُرُوٓاْ أَنتُمْ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٨﴾

(سورة إبراهيم)

شأن المخلوق أنه يحتاج ربه في كل شيء ، شأن العبد أنه يحتاج ربه في كل شـيء ، وشأن الرب أنه لا يحتاج أحداً .

لذلك أيها الإخوة : كتطبيق سريع لهذا الاسم .. كلما استغنيت عـن النـاس ، شـعرت براحة نفسية . كلما استغنيت عن ما في أيدي الناس ، أحبك الناس . كلما استغنيت عن أموالهم ، وعن عطاءاتهم ، وعن ما يخصونك به، شعرت بكرامة . دققوا في هذه الأقوال الثلاثـة .. احتج إلى الرجل تكن أسيره ، أحسن إليه تكن أميره ، استغن عنه تكن نظيـره . لـذلك مـن بعض الأدعية اللطيفة : اللهم لا تجعل حوائجنا إلا إليك ، ودلنا بك عليك .

الغنيّ هو الذي لا يحتاج أحداً ، وهذه ليست إلا لله . أما العبد فإنه يحتاج ، إلا أنـه إذا احتاج إلى ربه بقي عزيزاً ، أما إذا احتاج إلى عبيده كان ذليلاً لهم .

الإمام الحسن البصري من كبار التابعين وله هيبةٌ لا توصف ، وله مكانةٌ علية ، سـئِلَ مرةً بِم نلت هذا المقام ؟ قال : باستغنائي عن دنيا الناس ، وحاجتهم إلى علمي .

أما إذا تعلم الإنسان العلم الشرعي ، ثم احتاج إلى دنيا الناس واستغنوا عن علمه ، فـو الله هذا منتهى الذل .. أن يستغني الناس عن علمك ، وأن تحتاج إلى دنيـاهم ، لكـن الإمـام الحسن البصري نال هذا المقام الرفيع باستغنائه عن دنيا الناس ، وحاجتهم إلى علمه .

والحقيقة : اسم **الغني** .. والمؤمن إذا أقبل على الله عز وجل ، يشتق من هذا الاسم شيئاً ، يشعر أنه غني عن المطامع . الطمع أذل رقاب الرجال ، غني عن ما في أيدي النـاس ، لا يشتهي ما لا يجد .. لي صديقٌ كان من أعظم الناس في عيني ، وكان رأس ما عظمـه فـي عيني صغر الدنيا في عينيه ، كان لا يشتهي ما لا يجد ، ولا يكثر إذا وجد . خذ من الدنيا ما شئت وخذ بقدرها هماً .. من أخذ من الدنيا فوق ما يكفيه أخذ من حتفه وهو لا يشعر .

الله **غنيّ** .. لا يحتاج إلى خلقه . المؤمن باتصاله بالله عز وجل يشتق من هـذا الاسـم شيئاً ، يصبح غنياً عن الناس ، لا ينظر إلى ما عندهم . الإنسان يدخل إلى أحد البيوت ، تجده ينظر إلى كل ما فيه من أشياء ويسأل : كم ثمن هذه الثُريا ، ومن أين اشتريت هذه ، وكيـف حصلت هذه ؟ تشعر بضعفه وتشعر بدنوه .. أما هناك إنساناً لا يأبه بكل هذه المظاهر .. ربما يركب مركبة فخمة فلا بد من أن يسأل عن ميزاتها وعن سرعتها ، وعن مصـروفها وعـن ثمنها ، وكيف طَوبتَها ، و هل مستأجرة أم هي ملكا لك ؟ أم سياحي وما وضعها ؟ يبدو أن نفسه قد تاقت لها .. المؤمن المتصل بالله يستغني ، يشعر بغنى .

دخلوا على سيدنا أبي عبيدة الجراح ، وكان قائد الجيوش الإسلامية في بـلاد الشـام ، رأوا في غرفته قدر ماء مغطى برغيف خبزٍ ، وجلداً يجلس عليه ، وسيفٌاً معلقٌاً في الحجرة . قيل له : يا أبا عبيدة ما هذا ؟ قال: هو للدنيا وعلى الدنيا كثير ، ألا يبلغنا المقيل .

ازهد بما في أيدي الناس ، يحبك الناس .. ارغب بما عند الله ، يحبك الله ، الله بالعكس إن أحببت ما عنده أحبك ، وإن زهدتَ بما في أيدي الناس ، أحبك الناس .

فالغني هو الله الذي لا يحتاج أحداً ، وجوده ذاتي أما الإنسان يحتـاج ؛ لكـن بـين أن يحتاج الله عز وجل ، ويحتاج إلى ما عنده ، وبين أن يحتاج إلى خلقه . إذا احتاج مـا عنـده علا ، إن احتاج إلى خلقه دنى .. احتج إلى الرجل تكن أسيره ، استغنِ عنه تكـن نظيـره ، أحسن إليه تكن أميره .

بالمناسبة إن أدق ما في هذا الموضوع ؛ حديثٌ صحيح قاله النبي عليه الصلاة والسلام :

عن سلمةَ بن عبيد الله بن محصنٍ الأنْصاري عن أبيه قَالَ : قَالَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من أصبح منْكُم معافًى في جسده آمنًا في سربِه عنْده قُوتُ يومه فَكأنما حيزتْ له الدنْيا *

(سنن الترمذي)

لا تنسوا .. أن ، خذ من الدنيا ما شئت ، وخذ بقدرها هماً . إذا كان لديك آلـة بسـيطة فتصليحها سهلٌ ، أما إذا كانت تعمل بالحاسوب وتعطلت ، ولا يوجد من يصلحها لك ، يأتيـك الهم فكلما كانت الآلة شديدة التعقيد ، فتصليحها يكون صعباً وهماً أكبر .. هذه قاعدة .. خـذ من الدنيا ما شئت وخذ بقدرها هماً .

يقول الله عن ذاته " **فَإن الله لغَني حميد** ". وهذه لها معنى دقيـق .. فأحيانـاً الإنسـان يستغني عن الناس ، لأنه مستغنٍ عنهم ، يترفع عنهم، ويستعلي عليهم ، وأحيانـاً يحتقـرهم ، يؤذيهم بقوله لكن الله جل جلاله مع أنه غني عن خلقه ؛ لكن كماله مطلق .

تجد غنياً بعيداً عن الله ، به كبر ، وغطرسة ، واستعلاء ، وتأفف .. وأحياناً تجد غنيـاً على حجمه المالي الكبير متواضعاً ، قريباً منك .. العظمة أن تكون مسـتغنياً عـن النـاس ؛ وأنت معهم ، تصغي إلى حديثهم ، تتعاطف مع مشكلاتهم ، يعنيك ما يعنـيهم ، يؤلمـك مـا يؤلمهم ، ترجو لهم ما ترجو لنفسك . وهذه صفة عالية جداً ، الأنبياء كـانوا مـع الخلـق ، يمشون في الأسواق ، يعيشون معهم ، لذلك قالوا : هناك برج عاجي فكري ، وهنـاك بـرج عاجي أخلاقي .. البرج العاجي مذموم .. يقولون لك : فلان يعيش في برج عـاجي ، لـيس واقعياً ، بعيداً عن هموم الناس ، إذا ابتعدت عن هموم الناس وعن حياتهم اليوميـة ، وعـن مآسيهم ، وعن آلامهم ، وعن طموحاتهم فأنت في برجٍ عاجي فكري . أنت تعيش في الأحلام . أما إذا ابتعدت عن سقطاتهم وانحرافاتهم ومعاصيهم فأنت في برجٍ عاجيٍ أخلاقي .

فالمؤمن ينأى بأخلاقه عن سقطات مجتمعه ، أما بفكره يعيش معهم ؛ يـألم لألمهـم .. سيدنا عمر جاءته هديةٌ من أذربيجان ، فقال لرسول أذربيجان : ما هذه ؟ قال له : هديـةٌ .. طعام أهداه إليك عاملك على أذربيجان ، ففتح العلبة ، فوجد فيها طعاماً نفيساً جـداً . فسـأل رسول عامله على أذربيجان : هل يأكل عندكم عامة المسلمين هذا الطعام ؟ قـال : لا هـذا طعام الخاصة . أخرجها من فمه وقال : قل لصاحبك كيف يعنيك أمر المسلمين إن لم تأكـل مما يأكلون ؟ حرام على بطن عمر أن يذوق طعاماً لا يطعمه فقراء المسلمين ، خذ هذه الهدية ووزعها على فقراء المسلمين في المسجد النبوي . ولم يأكل منها .

سيدنا عمر حينما كان هناك عام مجاعة في المدينة ، ترك اللحم أربعة أشهر ، فقرقـر بطنه فخاطبه قال : قرقر أيها البطن أو لا تُقرقر ، فو الله تذوق اللحم حتى يشبع منه صـبيةُ المسلمين .

المعنى الأول .. أن الله هو **الغني** ، أي هو الذي لا يحتاج أحداً . شأن الخالق أنه **غنـي** عن خلقه ، وشأن المخلوقات أنهم مفتقرون إلى ربهم . لذلك قالوا : الرب رب ، والعبد عبد . شأنُك يا رب أنك غني عنا، وشأنُنا أننا مفتقرون إليك ، لكن أيها الإخوة : ما أحلى وما أجمل وما أكرم أن تفتقر إلى الله ، وما أصعب وما أقسى أن تفتقر إلى عبد لئيم .

سيدنا علي كرم الله وجهه سئِل ما الذل ؟ قال : أن يقف الكريم بباب اللئيم ثـم يـرده . ويقول سيدنا علي : والله و الله مرتين لحفر بئرين بإبرتين - مسـتحيل - ، وكـنس أرض الحجاز في يومٍ عاصف بريشتين - أيضاً مستحيل - ، ونقل بحـرين زاخـرين بمنْخَلـين ، وغسل عبدين أسودين حتى يصيرا أبيضين ، أهون علي من طلب حاجة من لئيمٍ لوفاء دين .

أيها الإخوة : المؤمن غني بالله ، عبارة في الفقه تُعجبني .. هل يجوز أن تُعطي طفـلاً صغيراً زكاة مالك وله أب غني ؟ قد يقول القائل ليس معه مال ، لا يملك قرشاً واحـداً فـي جيبه . يجيب الفقهاء عن هذه المسألة : الطفل الصغير الفقير غني بغنى أبيه . فمـا دام أبـوه غني هو غني ، غني بأبيه ، ولو سحبنا هذه القاعدة على موضوع درسنا .. المؤمن فقير لكنه غني بالله ، غني بربه ، لذلك تجد أحياناً إنساناً مطمئناً ويقول لك : أنا أملك خمسة كيلو ذهباً ، وكل كيلو ثمنه نصف مليونٍ من الليرات .. أو معي عملة صعبة ، القول الرائع : كن بما في يدي الله ، أوثق بما في يديك .

فأحياناً تجد إنساناً معتمداً على توفيق الله وعلى حفظه ، ومتوكلاً عليه يثق بما عند الله ، هذا أغنى ممن يملك ملايين كثيرة ، بالداخل وبالخارج جامداً وسائلاً ، فهذا أغنى .

المعنى الثاني من معاني **الغني** .. قال : قلة الحاجات ، وهو المشار إليه في قوله تعالى :

وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغۡنَىٰ ﴿٨﴾

(سورة الضحى)

أي أن الإنسان محتاج إلى طعام ، إلى شراب ، إلى مسكن ، إلى ثياب ، إلى أوانٍ ، إلى سرير ، الإنسان يحتاج إلى آلاف مؤلفة من الحاجات ، مثلاً لو اشترى بيتاً ملكه ومفـروش ، وعنده مركبة فرضاً ، وله محل تجاري مورداً لرزقه ، ويملك بيتاً في المصيف ، عنده ألبسة كثيرة جداً ، عنده مال سائل ؛ هذا بالمعنى الثاني غني ، فبيته ملكه البيت مفروش ، في عنده وقود للتدفئة ، في عنده أجهزة ومركبة وطعام ، وعنده مال سائل. لكن هذا يحتاج إلى طبيب

، ويحتاج إلى معلّم ابنه ضعيف بالرياضيات لكن حاجاته قليلة ، أما أكثـر الحاجـات لديـه موجودة .

فالمعنى الثاني **للغني** قالوا : قلة الحاجات .. وهو المشار إليه في قوله تعالى : " **ووجدك عائلاً فأغْنَى** ". أغناك ، فإذا أغنى الله رسول الله لن يعد النبي الكريم محتاجاً إلـى الله ؟ لا .. الحاجة إلى الله ثابتة ، و دائمة ، ثم إن النبي عليه الصلاة والسلام أشار إلى هذا المعنى بشـق آخر قال :

عن أبي هريرةَ عن النبي صلى الله عليه وسلم قالَ ليس الغنَى عن كثْرة العرض ولكن الغنَى غنَى النفْس *

(صحيح البخاري)

فأحياناً الإنسان يكون لديه نفس عظيمة تبتغي الوصول إلى الله ، وأمور الدنيا عنـدها ثانوية ، مستغني عن دنيا الناس ؛ لكنه مفتقر إلى فضل الله ، هذا شأن الصديقين ، والمؤمنين الكبار ، الغنى غنى النفس .

أحياناً تجد شخصاً ذا نفس عفيفة ، تقول له : هل يلزمك شيء من المكـان الفلانـي ؟ يقول لك : شكراً . لا يطلب . وهناك شخصاً يقول لك : أين ذاهب ؟ أين أنت مسافر ؟ أحضر لي كذا وكذا . يبحث ولا يترك إنساناً إلا وسخره ، يقول : هناك هذا الشيء رخيص أحضـره لي . وهناك إنسان لا يطلب شيئاً .. وكلما قلت طلباتك ، ارتقى مقامك . حتى النبـي الكـريم قال :

عن عائِشَةَ عن النبي صلى الله عليه وسلم قالَ أعظَم النساء بركَةً أيسرهن مؤُونَةً *

(مسند الإمام أحمد)

من قبل عدة أيام ، توفي شيخ الأزهر ، وقد لفت نظري تحقيقٌ كتب عنه وعن بيته وهو شيء مدهش .. فهو يسكن في بيت صغير ، ومكتبه طاولة من الفورميكا ، و كتبـه داخـل العلب الكرتونية ، فلا يوجد لديه مكتبة لوضعها فيها . كم تقدرون ما تحت يده من ميزانيـة ؟ تحت يده مبالغ كبيرةً جداً جداً ، و يسكن في بيت في الطابق الرابع ، وقد أجرى عمليتين فـي ركبتيه ، بسبب التهاب المفاصل ، ولم يتمكن من أن يبدل بيته . والذي مسـاحته صـغيرة . وشيخ الأزهر تأتي رتبته بعد رئيس الوزارة ، وتحت يده أموالٌ طائلة ، ملايين مملينة ، ولكن عنده غنى .. وهذا هو الغنى ، وفيه عفة ، وخرج لجنازته خمس عشرة مليوناً من المشيعين .

فالغنى غنى النفس ، فأحياناً الإنسان يستغني بالله ؛ فلا يحتاج لشيء ما دام طعام يأكله ، وشراب يشربه ، ولباس يستره ، وبيتٌ يسكنه ويؤويه انتهى الأمر .

المعنى الثالث : **الغني** ؛ الذي عنده الشيء الكثير من متاع الدنيا ، فهو يملك بيتين أو ثلاث ، وسيارتين أو ثلاث ، و مئة وكلها أجنبية الصنع ، و ثلاثمائة حذاء من الدرجة الأولى .. ثمن الحذاء ثمانية آلاف .

فالمعنى الثالث ؛ من عنده مقتنيات كثيرة فهو غني . المعنى الأول للغنى أن لا تحتـاج إلى أحد .. من ؟ الله وحده .. شأن الله أنه لا يحتاج أحداً ، شأن العبد أنه يحتاج ، إن احتـاج الله عز وجل علا ، وإن احتاج إلى خلقه دنا .

المعنى الثاني : قلة الحاجات .. عنده كل شيء ، حاجاته قليلة لكنه يحتاج إلـى طبيـب لأسنانه ، ولو كان معه ملايين ! يحتاج إلى طبيب صحة ، إلى أستاذ لأولاده ، يحتـاج إلـى صاحب مهنة معينة لإصلاح خللٍ طرأ في بيته .

المعنى الثالث أن تكْثُر مقتنياتك .. هذا الغنى بالنسبة للمعنى الثالث وأشير إليه في قوله تعالى :

وَمَن

كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ

(سورة النساء)

" **ومن كان غنيا فَلْيستَعفِفْ** " اليهود حينما سمعوا قول الله عز وجل :

مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَـٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً

(سورة البقرة)

قالوا :

إِنَّ ٱللَّـهَ فَقِيرٌ

وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ

(سورة آل عمران)

قالوا : " **قالُوا إن الله فَقير ونَحن أَغْنياء** " فقال الله عز وجل : " **سنَكْتُب ما قالُوا** " .

هذه معاني الغنى في اللغة .. معانٍ ثلاث .

الإمام الغزالي يرى ؛ أنه من معاني **الغني** : هو الذي لا تعلق له في ذاته . أي أن ذاته لا تتعلق بشيء . فأنت متعلق بالحرارة .. فإذا كان البرد شديداً ؛ فأنت بحاجة إلى معطـف ،

متعلق بالبرودة ، فإذا كان البرد شديداً كانت بحاجة إلى معطف ، وإذا كان الحر شديداً ؛ فأنت بحاجة إلى جهاز تكييف ، وإذا كنت جائعاً ؛ فأنت بحاجة إلى الطعام ، وإذا كان هناك عطـشٌ ؛ فأنت بحاجة إلى ماء ، وكنت بلا مأوى ؛ فأنت بحاجة إلى بيت ، وبحاجة إلى سرير ، وإلى أن تنام . فأنت ترى سيارة ثمنها ملايين ، وقالبة على الطريق ؛ والسبب أن السائق قد نـام ؛ فالنوم سلطان وحاجته للنوم أودت به في هذا الحادث ؛ فأنت محتاج للنوم ، محتاج للطعـام ، وللشراب ، ولجو مريح ، ولهواء ، ولثياب ، ولمأوى ، وتحتاج إلى زوجة .

فأحياناً . الإنسان يكون قد تعود على زوجته ، فالأكل واللبس والطعام المطبوخ . وهي تؤنسه أحياناً ، فإذا سافرت أو مرضت يقول لك : تغيرت حياتي . فأنت مفتقر إلى زوجـة كذلك مفتقر إلى طفل .. يقول لك : هذا الطفل ملأ البيت بهجة . فأحياناً لا ينجب الزوجـان ؛ فتجد البيت أصبح مثل القبر ، فالأطفال لهم ضجيج و لهم لعب و لهم مطاليب لكن يملؤه البيت فرحةً .

فكم حاجة أنت تحتاجها ؟ تحتاج إلى زوجة ، وإلى ولد ، وأن تشرب ، وأن تأكل ، وأن تنام ، ولثياب ، وأن تأكل شيء ذي مذاق حلو، أو لكأسٍ من الشاي لتشربه ، وتحتـاج إلـى فاكهة لتأكلها ، فلو مكثت شهراً من غير أن تأكل الفاكهة ، تشعر بحاجتك الأساسـية لهـا .. فأنت محتاج إلى مليون حاجة ، أما **الغني** الحقيقي ذاته لا تتعلق بشيء ، فأنت مربوط بمليون رابط .

مثلاً معك كمية من الذهب ، فتجدك متتبعاً للأسعار هل غلي الذهب أم رخص سـعره ؟ ولو اشتريت بضاعة فتسأل نفسك هل هناك بالسوق منافس لك ؟ وما هي أسعار البضـاعة ؟ وأنت بحاجة إلى أن تربح ، فيومياً لديك آلاف الحاجات ، لكن الغني الحقيقـي هـو الـذي لا يتعلقُ بشيء .. ذلك هو الله ففي الحديث :

لو أن أولكم و آخركم و إنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجلٍ واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئًا يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجلٍ واحد ما نقص ذلك من ملكي شيئًا *

(صحيح مسلم)

وقيل : من تعلق بغيره فهو محتاج إليه

وقيل : **الغني ؛** هو الذي لا يحتاج إلى شيء ، وهو المستغني عن كل شيء ، المفتقـر إليه كل شيء .

وقيل : **الغني ؛** هو الغني بذاته عن العالمين ، المتعالي عن جميع الخلائق في كل زمنٍ وحين ، الغني عن العباد ، المتفضل على الكل بمحض الوداد .

هذا هو **الغنيّ** ... ورد اسم **الغني** في القرآن الكريم في مواطن كثيرة .. فـي سـورة البقرة قال تعالى :

﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى ۗ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَلِيمٌ ﴿٢٦٣﴾

(سورة البقرة)

أي : إن الله عز وجل **غني** عن صدقة يتبعها أذى .. هذه الصدقة لك وليست لله ، أمرك أن تدفعها من أجل أن تقبل عليه ، فإن أتبعتها بالمن والأذى ؛ لا قيمة لها ، هو غني عنـك ، وقال تعالى :

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِن طَيِّبَـٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُوا۟ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُوا۟ فِيهِ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٢٦٧﴾

(سورة البقرة)

أيضاً .. **غني** عن صدقة تكرهها .. أكلةٌ عافتها نفسك ، وتصدقت بها .. هذه الصـدقة الله غني عنها ، أمرك أن تُعطي مما تحب ؛ من أجل أن تقبل عليه ، من أجل أن ترقى عنده ، فإن فعلت ما لا تُحب ، فهو غني عن هذه الصدقة ، وقال تعالى :

وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ

حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَـٰلَمِينَ

(سورة آل عمران)

" **ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ومن كفر** " أي من لم يحج البيت " **فإن الله غني عن العالمين** " . فإن تحج فأهلاً وسهلاً بك ، وإن كنت لا تريد أن تحج فـلا تحج حرمت نفسك الخير ، والمعاني دقيقة فكل آية لها معنى .

وَرَبُّكَ ٱلْغَنِىُّ ذُو ٱلرَّحْمَةِ

(سورة الأنعام)

انظر إلى أول آية " غني حميد ". مع أنه غني عنك ، لا يعاملك معاملةً إلا وتحمده عليها ، وفي هذه الآية " **وربك الغَني ذُو الرحمة** ". مع أنه غني عنك يرحمك .. هذا الكمال .

وفي سورة يونس قال تعالى :

قَالُوا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا سُبْحَٰنَهُۥ هُوَ ٱلْغَنِىُّ

(سورة يونس)

الإنسان يتمنّى ولداً حتى يعينه في الكبر ، وهذه هي سنة الله في خلقه . فتجد الشاب يصعد على الدرجات قافزاً كل عشر درجات معاً ، وبعد فترة يصعد درجة درجة ، ثم يضع رجله فوق الدرجة ويرتاح ، دقيقتين ثم ينقل رجله الأخرى ويرتاح كذلك دقيقتين ، ثم بعد ذلك لا يستطيع الصعود ؛ فينتقل إلى بيت غير مرتفع أرضي . فالله عز وجل غني أما الإنسان مفتقر .

" **قالُوا اتخَذَ الله ولدا سبحانَه هو الغَني** " فنحن بحاجة إلى أولاد لأن الإنسان فانٍ ، وبابنه يشعر بامتداد أثره ، الإنسان ابنه يعوض نقصه ، فإذا لم يكن قد درس ، فيكون حريصاً على أن يدرِس ابنه . وإذا لم يتاجر يقول لك : لا أريد أن أجعله موظفاً . وإذا لم يكن الأب متعلماً للغة من اللغات ، يقول لك : أريد أن أعلم ابني للغة . فالإنسان أحياناً يحقق نقصه بابنه ، ويحقق فيه امتداده لأنه فاني ؛ فيقول لك: هذا من أثري ، يخلفُني ، ذكْر لي بعد أن أموت . فالإنسان بحاجة إلى ولد .. " **قالُوا اتخَذَ الله ولدا سبحانَه هو الغَني** " ليس بحاجة إلى ولد .

وفي سورة إبراهيم يقول تعالى : " **وقالَ موسى إن تَكْفُروا أنْتُم ومن في الأرض جميعا فَإن الله لغَني حميد** "

وقال تعالى :

يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا۟ ۖ قُل لَّا تَمُنُّوا۟ عَلَىَّ إِسْلَٰمَكُم ۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ

(سورة الحجرات)

وقال تعالى :

وَإِن تَتَوَلَّوْاْ

يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمْثَٰلَكُم ﴿٣٨﴾

(سورة محمد)

وفي سورة العنكبوت وقال تعالى :

وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾

(سورة العنكبوت)

يقول لك : يا أخي أنا صليت التراويح كلها في رمضان ؛ فهذه لك .. دفعت نصف مالي صدقة ، فهذه لك ، عملت ختمة قرآن ؛ فهذه كذلك لك " **ومن جاهد فإنما يجاهد لِنَفْسه إن الله لغَني عن العالمين** " .

وقال تعالى :

وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾

(سورة لقمان)

وقال تعالى :

لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٦﴾

(سورة لقمان)

معنى أنه **غني** عنك ؛ هو كامل ، لا يعاملك معاملةً إلا تحمده عليها ، فأحياناً الإنسـان يكون مستغنياً ؛ ولا يلزمه أحد من الناس ، فيطرق بابه فيستقبل القدوم ويرحب بهم ويضيفهم ، ويصغي ويتواضع ويخدم ، وهو ليس محتاجاً لهم فهذا من كماله .

وفي سورة فاطر قال تعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴿١٥﴾ ﴾

(سورة فاطر)

"**أَنْتُم الفُقَراء إلى الله والله هو الغَني الحميد** " ، إخواننا الكرام: لعلّي أقدم لكـم هـذه الحقيقة: الله هو **الغنـي** ، وأنت فقير حقيقةً وليس تواضعاً .. فإذا كان أحد الناس يملـك مئـة مليونٍ ونقطة من الدم تجمدت في شرايين مخه فشُل عن الحركة ، ممكن أن يحدث ذلك لملك ؟ فتفضل تحرك امش !!

فقد درس رجل في فرنسا ، وحصل على الدكتوراه في العلوم ، ووصل إلـى منصـبٍ رفيعٍ جداً ، وتزوج وتملك بيتاً وسيارات ؛ وأقام الحفلات والسهرات ، وكان طليقاً في لسـانه وجميلاً وأنيقاً . وبعد حين فقد بصره وهو في ريعان شبابه ، فكان يأتيه البريد الخاص بعملـه إلى البيت ، ويقرؤونه له، ويشرحون له مضامين المعاملات ، التي يريدون منه أن يوقعها . وهو يقول لمن يقرأ له المعاملة : اكتب مع الموافقة .. ثم يوقع عليها . ظل شهراً علـى هـذا الحال ، وبعد ذلك ليس من المعقول أن يستمر في مثل هذا العمل ؛ فأعفي من منصبه ، زاره صديق لي .. فقال له: يا فلان والله أتمنّى أن أجلس على الرصيف ، وأن أتسول ولا أملك من الدنيا إلا معطفاً على كتفي ، وأن يرد لي بصري - والله كلمته وبالحرف الواحد

أنت مفتقر إلى عين ، مفتقر إلى سمع ، مفتقر إلى توازن ، مفتقر إلى كُليتين تعمـلان . ذهب شخص لغسيل كليته فقالت له الممرضة : لا تشرب الماء طوال هذه الأسبوع ؛ فالجهاز معطل عن العمل . فهل هذا قليل ؟ فعندك كلية تعمل بصمت ، لا تحتاج للانتظار في الدور ، ولا لأجرة تدفعها ، ولا ضجيج ولا تثقيب شرايين ، وغسيل الكلية مرتين في الأسـبوع كـل اثنين وخميس وباستمرار فهل أنت غني ؟ أنت مفتقر لكلية ؟

الغدة النخامية وزنها نصف غرام ؛ تفرز اثنا عشر هرموناً أحد هذه الهرمونات يحقـق توازن السوائل ، فتشرب في اليوم أربع أو خمس كاسات من الماء وتقوم بـإخراجهم ، فلـو اختلت هذه الغدة تحتاج لشرب أربع تنكات من الماء لتشربهم ، فلا تستطيع مغادرة صـنبور الماء ولا المرحاض وهذا هو يكون عملك ! فهل أنت غني ؟ !!

قال لي أحد الإخوة : زارني طبيب جلس عنده بالغرفة ، وضع يده على مفتاح الكهرباء ، وضغط عليه فانطفأت الثريا وقال له : هكذا الإنسان كبسة علـى الـزر وينتهـي .. أنـت وأموالك ومكانتك وصلاحياتك ؛ بكبسة زر ، وينتهي كل شيء ، سكتة دماغية ، فيصبح فـي

عداد الأموات! فأين بيته الفخم ؟ ومركبته الفخمة ؟ ومنصبه الرفيع ؟ وأين مكتبه التجـاري؟ وأين وجوده ؟ الصارخ بالمجتمع ؟ فهل أنت غني ؟! أنت فقير !! أنت فقير إلى شرايين مرنه ، لو تصلبت ، تنتهي ويموت ، فقير إلى شرايين مفتوحة ، ولو أغلقـت ؟ يقولـون : خمـس شرايين مسدودة ؛ فلا بد من عملية قلب مفتوح ، فهل أنت غني ؟ أنت مفتقر إلى أي شيء !!

قال لي شخص : فجأةً اهتزت الصورة أمامي لمسافة عشرين سنتيمتر كل الصور مـن حولي ، وفقدت التوازن الحركي ، ولا بد من إنسان يسير بي ، وكذلك فقدت التوافق الحركي ، فلا أستطيع الإمساك بكأس ، وإن أردت ذلك ذهبت يدي لمكان آخر ! ذهب إلى فرنسا مكث فيها ستة أشهر ولا أمل في الشفاء .. صورة مهتزة ، فقد للتوافق الحركي ، وفقد التـوازن .. فهل أنت غني ؟ مليون من القضايا أنت بحاجة لها .

من كان له خبرة بالطب ، ونظر إلى التحاليل وقرأ : أسيد أوريك مرتفع ، وكوليسترول زائد ، وكذلك الشحوم الثلاثية ، والمفاصل متيبسة ، والغضاريف مهترئة ، فكيف تكون غنياً ؟ فالإنسان فقير!! وكلما عرف ضعفه يصبح متواضعاً ، فليس الإنسان غنياً ولكنه يتواضـع ، لا ولكن أنت فقير والله هو الغني ، وإن اعترفت بفقرك أصبحت غنياً . أغناك الله وأمدك بقوة وبحيوية ، وأعطاك عافيةً ، أحد الأيام أعطاك ذاكرةً .

توفي منذ فترة أحد إخواننا ، قال لي ابنه : خرج من معمله ولم يستطع التعرف علـى بيته وضاع عنه لمدة ساعة ، أصيب بمرض فَقْد ذاكرة جزئي ، وليست الذاكرة كلها ولكن فقد عنوان بيته . معمله بالقدم وبيته بخور شيد ، وبعد ساعة من البحث عن بيته لم يجده ! وهـو يتذكر بيت ابنه فذهب إليه وقال له : يا بني ، أين بيتي دلني عليه . لـي قريبـة فـي أعلـى درجات الذكاء ، وفجأةً فقدت الوعي ، دخل عليها ابنها وهو أقرب الناس لها ، فقالت له مـن أنت ؟! فهل أنت غني ؟ بل مفتقر الله هو **الغني** وأنت الفقير . إن عرفت فقرك أغنـاك الله ، وإن ادعيت الغنى أفقرك الله ، قال تعالى : " **يا أيها الناس أنتُم الفُقَراء إلى الله والله هـو الغَني الحميد** " ، " **هاأنْتُم هؤُلاء تُدعون لِتُنفقُوا في سبِيل الله فَمنْكُم من يبخَلُ ومـن يبخَـلْ فَإنما يبخَلُ عن نَفْسه والله الغَني وأَنْتُم الفُقَراء وإن تَتَولوا يستَبدلْ قَوما غَيركُم ثُم لا يكُونُوا أَمثَالكُم** " .

وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٤﴾

(سورة الحديد)

" **ومن يتَول فَإن الله هو الغَني** " فأحياناً والعياذ بالله يكون الإنسان ضعيف التفكير ، يحضر دروس العلم ، ويلتقي مع إخوان مؤمنين فيسر فتتغير حياته كلها ، فيصلي ، ويقرأ القرآن ، ويستقيم ويغُض بصره ، ويدقق في دخله وإنفاقه ويعيش في جنة . ويأتي إنسان يسيء له ، فيريد أن ينتقم منه ، فيترك الدروس كلها ويترك الصلاة . فأين ذهب عقلك ؟ إذا إنسان أساء لك والجامع مفتوحاً للجميع ، فليس عندنا اصطفاء في الجامع ، والباب مفتوح لمن يحضر فإذا أساء شخص لك ؛ فالله ليس له علاقة بذلك ، فيريد أن ينتقم ، فيترك الصلاة والدروس وانحرف لأن أحد الأشخاص أساء له ، فعقلك صغير !!

فإذا كنت طالباً في كلية الطب ، ومعلق آمالاً كبيرة على هذه الكلية ، وأساء لك أحد الطلاب ، فهل تهجر الكلية وتخرج منها ؟! كل مستقبلك في هذه الكلية ؟ فستصبح طبيباً ، وتفتح عيادة ويأتيك المرضى ، وتأخذ ألوفاً مؤلفة ، إذا كان أحد الطلاب أساء لك ، لو أساء لك أستاذ ، لا تترك ولو أساء لك عميد الكلية فلا تترك ، هذا المؤمن " **ومن يتَول فَإن الله هو الغَني الحميد**".

لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْأَخِرَ ۚ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٦﴾

(سورة الممتحنة)

أيها الإخوة ... هذا هو **الغني** ، أما **المغني** قال : هو الذي يغني من يشاء أن يغنيه :

ولو كانت الأرزاق تجري مع الجهل هلكن إذاً من جهلهن البهائم

تجد شخصاً شعلة من الذكاء ، ولا يملك مالاً ! وإنساناً على بساطته وفطريته ، تجد رزقه وفيراً . فالله هو الرزاق وهو **الغني** ، فمعنى **مغني** أنه يغني من يشاء .

مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ

(سورة الإسراء)

المغني ؛ هو الذي يعطي الغنى لعباده ، إما أن يعطيهم الكفاية ؛ أي أغناهم عن السؤال ، أو **يغني** بعض عبادة عن بعض .. فالحقيقة إن الحوائج لله ، لا تكون إلا لله ، فعندما يهبها

لك ربنا عز وجل من خلال رزق تملكه أعزك . أما إذا جعلك تحتاج إلى إنسان أذلك .. لذلك الدعاء يقول : " اللهم اجمعنا عليك وفرقنا عليك ، اللهم لا تجعل حوائجنا إلا إليك ".

ربنا سبحانه وتعالى **مغنـي** بمعنى : أعطى كل شيء خَلْقَه ثم هدى أعطاك قدمين تمشي بهما ، أعطاك سمعاً ، أعطاك بصراً ، أعطاك حركة ، أعطاك يداً ، مفاصل ، أصابع ، رسغاً ، مرفقاً ، كتفاً ، أعطاك جهازاً للهضم ، جهازاً للأمعاء ، جهـاز دوران ، جهـاز إفـراز ، أعطاك هيكلاً عظمياً "**أعطى كُل شَيء خَلْقه** " أعطاه ما يصلحه ، أعطاك إدراكاً وذاكرة " **ثُم هدى** " .

ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾

(سورة طه)

والمغني ؛ هو الذي أفاض الغنى على عباده ، وسهل لهم المراد ، وما من غنى فـي الوجود ، إلا وهو من جناب الحق ممدود ، الغنى الحقيقي من الله عز وجل .. وهو **المغنـي** لأوليائه من كنوز أنواره .. الآن غنى من نوع ثانٍ ؛ فقد أغناك بالعلم .

فقد أطلعني أخ على مجلة فرنسية ، فيها صور عن مقاطعة في الهند ، يعبدون- لـيس الأبقار ولكن –الجرذان ، وتبين الصورة معبداً ضخماً وأكثر من ثلاثمائة جرذ يقـدمون لهـم الحليب واللبن ، القمح ، البرغل ، يأكلون مع الجرذان في طبق واحد .. امرأة تضـع علـى رأسها خماراً والجرذان يقفون على رأسها وكتفها ، يعبدونهم كآلهة .. تحقيق علمي ، موثق .

فهل ذلك ممكن ؟ ممكن ذلك ؟ فهناك من يعبد البقر وأشياء أخرى ، ولكن الله عرفـك بذاته فتعبده هو ، تعبد خالق الكون ، خالق السماوات والأرض .. وهناك من يعبد البقـر ، أو الشجر ، أو الحجر ، أو الشمس، أو يعبد الموج .. والله سبحانه وتعالى كرمنا وأغنانا عن هذه الخرافات، وعن هذه السخافات ، وعن هذه النُّرهات .

إما أن يغنيك بالدنيا ، وإما أن يغنيك بمعرفته ، يغنيك بتقريبك إليه ، يغنيك بإلقاء النور في قلبك ، يغنيك بأن يعطيك رؤيةً صحيحة ، حكمةٌ بالغة ، سداد في الأقوال ، وصواب فـي الأفعال؛ هذا هو **الغنى** .

الحقيقة إذا أردنا أن نصل إلى ملخص الدرس .. **المغني** ؛ هو الذي أغنى عبده بمعرفته .. فأنت غني بمعرفة الله ، أغناه بمنهجه ، معك منهج صحيح بالمائة ، فليس لديك مفاجـأة . أغناه بالقرب منه ، أغناه بإلقاء النور في قلبه ، أعطاه رؤيةً صحيحة ، حكمةً بليغة .

اسم **المغني** لم يرد بلفظه في القرآن الكريم . ولكن ورد في سورة التوبة في قوله تعالى :

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡمُشۡرِكُونَ نَجَسٞ فَلَا يَقۡرَبُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ بَعۡدَ عَامِهِمۡ هَٰذَاۚ وَإِنۡ خِفۡتُمۡ عَيۡلَةٗ فَسَوۡفَ يُغۡنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦٓ إِن شَآءَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٢٨

(سورة التوبة)

الآن .. الله **مغني ، غني** ويعطي الغنى لمن يشاء . لكن صدقوني أيها الإخوة -الغنـى الحقيقي أن تعرفه ، فسيدنا ربيعة خدم النبي أياماً عديدة ، قال له : يا ربيعة سلني حاجتـك . قال له : أنظرني . بعد أيام قال له : ماذا يا ربيعة ؟ قال إنّي أسألك أن أكون رفيقك في الجنة فقال له : من علمك هذا ؟ قال : والله ما أحد علمني ، لكن رأيت الدنيا فانية ، ما قيمة الدنيا ؟ أنا أريد شيئاً ثابتاً في الجنة ، أن أكون معك في الجنة .

فلذلك الغنى الحقيقي ان تصل إليه ، أن تعرفه ، أن تُقبل عليه، أن تلـوذ بحمـاه ، أن يكون قلبك مهبطاً لتجلياته ، يطمئنك ، يكرمك ، يفقهك ، يقربك منه ، يسعدك ، وفي سـورة النور قال تعالى :

وَلۡيَسۡتَعۡفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغۡنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۗ

(سورة النور)

" **حتى يغْنيهم الله من فَضله** " فإخواننا المتزوجون فالزواج ليس شيئاً سهلاً فمن عنـده بيتٌ فلا يهم ، وعنده ابن ، والبيت فيه طبخٌ أي طبخ . والثياب نظيفة ، فـالله أغنـاك بهـذه الزوجة ؟ وجعلها ستراً لك فلا تقسوا عليها كثيراً ، ولا تقرحها فهي هدية الله إليك ، لا تكفـر بنعمة الله ، الزواج نعمة ، هناك من يضايق زوجته حتى يجعلها تترك البيت !! هذه نعمة الله .

وأحياناً تجد زوجة عندها زوج ، وعندها أولاد ، تعمل أعمالاً إلى أن تُطلق هذه كفرت نعمة الزواج !! " **حتى يغْنيهم الله من فَضله** " أحياناً يغنيك بالمال ، تحصل على شهادة فتُعين ، وتحصل على راتبٍ في آخر كلّ شهر ، فلا تمد يدك لأحد ، أو تتقن مهنة عليك طبعاً فيدخل لك مصروفٌ فتشتري أكلاً وشرباً وتأكل ، فأغناك بالمال ، وأحياناً أغناك بـالعلم .. أغنـاك بالصحة الأجهزة كلها سليمة ، أغناك بزوجة ، أغناك ببيت " **حتى يغْنيهم الله من فَضله** " ، وفي سورة النجم قال تعالى :

وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغۡنَىٰ وَأَقۡنَىٰ ﴿٤٨﴾

(سورة النجم)

أعطى ... وفي سورة الضحى : " **ووجدك عائِلاً فأغْنَى** " .

هذه الآيات كلها عن **المغني** .. قال الإمام القُشيري : " إغناء الله لعباده على قسـمين ؛ منهم من يغنيه الله بتنمية الأموال وهم العوام - يقولون لك : الله متفضل ، ربحنا عامودين أي مليونين ويضع يده على جبينه بعد أن يقبلها - ومنهم من يغنيه بتصفية الأحوال وهم الخواص ".

وهو **الغني** الحقيقي قريب من الله ، عنده علم و عنده حكمة وعنده شفافية ، فالنبي عليه الصلاة والسلام خطب على نخلة ، قطعت له نخلة فخطب عليها ، فلما صنعوا له منبراً ، قال فخطب على المنبر فحنت النخلة إليه ، فوضع يده عليها إكراماً لها . وقال : " أعرف حجـراً بمكة كان يسلم علي ".

- عن الْحسن بن سعد مولى الْحسن بن علي عن عبد الله بن جعفَر قَالَ أَردفَني رسولُ الله صلى الله عليه وسلم خَلْفَه ذَاتَ يومٍ فَأسر إِلي حديثًا لا أُحدثُ بِه أَحدا من الناس وكَان أَحب ما استَتَر بِه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لِحاجته هدفًا أَو حائِشَ نَخْلٍ قَالَ فَدخَلَ حائِطًا لِرجلٍ من الأَنْصار فَإِذَا جملٌ فَلما رأَى النبِي صلى الله عليه وسلم حن وذَرفَتْ عينَاه فَأَتَاه النبِي صلى الله عليه وسلم فَمسح ذفْراه فَسكَتَ فَقَالَ من رب هذَا الْجمل لِمن هذَا الْجملُ فَجاء فَتًى من الأَنْصار فَقَالَ لِي يا رسولَ الله فَقَالَ أَفَلا تَتقي الله في هذه الْبهيمة التي ملكَك الله إِياها فَإِنه شَكَا إِلي أَنك تُجِيعه وتُدئِبه *

(سنن أبي داود)

فأحياناً ؛ الله عز وجل يعطيك شفافية ، فتتفاعل مع المخلوقات ، وتتناغم مع الكـون ، وتتذوق الجمال ، جمال الفجر ، جمال الشجر ، جمال البحر ، تتذوق الجمـال فهـذا غنـى ، أحياناً يكون لديك نفس واسعة عندك قلب كبير ، وعندك نفس صافية ، وعندك رضا ، وعندك حلم وتوازن فهذا غنى .

تجد شخصاً عنده من المقتنيات الثمينة ، ويملك بيتاً فخماً ولكنه إذا غضب ، فيصبح مثل الوحش ، فهذا فقير ، أحمق ، أرعن . الحلم غنى ، الحكمة غنى ، معرفة الله غنى ، وطاعتك

لله غنى ؛ أن تصلّى الصلوات الخمس غنى ، أن تصوم رمضان غنى ، العـوام يغنـيهم الله بتنمية الأموال ، والخواص بتصفية الأحوال .

من أدب المؤمن مع اسم **المغني** : أن من عرف أن الله تعالى هـو **الغنـي المغنـي** ، استغنى بالاعتماد عليه عن كل شيء .

قال سيدنا جبريل لسيدنا إبراهيم : ألك حاجة . قال له : منك ؟ قال : لا ، من الله . قال : علمه بحالي يغني عن سؤالي .

وما لي سوى فقري إليك وسيلةٌ فبالافتقار إليك فقري أدفع .
إذا كنت في كل حالٍ معي فعن حمل زادي أنا في غنى .

من أدب المؤمن مع الله عز وجل أن تعتمد عليه وحده .

من مسالك التخلق بالغنى **والمغني ،** أن التخلق بالغنى يناسبه إظهار الفاقة والفقر إلى الله تعالى أبداً .

فأنت في الأصل فقير الله هو **الغني** ، فإذا عملت إنجازاً ما ، فقل هذا من فضـل الله . وإذا نجحت لا تقل " ذاب لب مخي " لا .. ليس كذلك بل قل : الله وفقني وأعانني ونجحـت . أسست عملاً ما ونجحت ، فلا تقل : أنا خططت له وجمعت خبرات متراكمة ، لا ... لا تقل ذلك بل قل : الله عز وجل وفقني ، وسمح لي أن أنجح في هذا العمل . فأنت في الأصل فقير ، فإذا عزوت الغنى إلى ذاتك ، فأنت مخطئ . وهي حقيقة ، إذا عزوت الفضـل لله ، فأنـت الآن تأدبت مع الله ، **الغني** لفقرك في الأساس . وكلما افتقرت إلى الله ، زادك غنى ، وكلما تذللت إليه ، زادك عزاً . فهذه العملية معكوسة ، كلما خضعت إليه زادك رفعاً .

قال : التخلق بالمعنى باسم الغني .. أن تكون بما في يدي الله ، أوثق منك بما في يديك ، وأن تُحسن السخاء والبذل لعباد الله تعالى ، أن تثق بالله ، وأن تُغني .. الله **غني مغني** ، أن تستغني بالله عمن سواه ، وأن تُغني من حولك ، أعط .. فمن لوازم التخلق بـأخلاق الله عـز وجل؛ أن تُعطي . كما أن الله يغني عباده ، أنت أغنِ من حولك .

فإذا كنت تملك معملاً ، أو مشروعاً ؛ فإذا كان العـاملون عنـدك ، ووسـعت علـيهم واشتروا بيوتاً ، وتزوجوا فهل هذا غلط ؟ تجد من يقول لك: أخذ العامل من لحمـي . لا .. ليس هكذا فإذا كان عندك عاملٌ واشترى بيتاً وزوجته فعل هذا غلط ؟ لا ليس غلطاً أبداً ، فإذا أغنيت من حولك فأنت أغنى واحد ، أنت تعرف الله عز وجل ، بعض الناس يحبون أن يكون كل من حولهم غنياً ، يعطوا .

كثير من الإخوان لديهم معامل ومؤسسات . فإذا كان زوج هذا ، وأمن لهذا بيتاً وأعطى هذا مساعدة ، إن رزقه الله مولوداً ، وهذا لديه مشكلةٌ أو مرض فأجرى له عملية على حسابه الخاص ، فهذا صواب . مثل ما أن الله مغنٍ فتأدب مع هذا الاسم وأغنِ من حولك ، فتكن أنت أغنى واحد فيهم .

والحمد لله **رب العالمين**

الدرس ٦٦ - اسم الله : "العفو"

بسم الله الرحمن الرحيم

مع الاسم السادس والستين من أسماء الله الحسنى والاسم هو **العفو** .. وقبل أن نمضي في الحديث عن هذا الاسم العظيم لا بد من وقفة مع موضوعين ، موضوع التوبة ، وموضوع **العفو** .

فالله سبحانه وتعالى فتح لعباده باب التوبة ، هو يعلم أن عباده يصيبون ويخطئون ، يقبلون ويدبرون ، يحسنون ويسيئون ، ذلك لأن الله سبحانه وتعالى ركب فيهم الشهوات ، وما ركب فيهم الشهوات إلا ليرقوا بها إلى الله ، لكن هذه الشهوة إن لم يصحبها نور من الله عز وجل ومنهج قويم تهتدي به فإنها مدمرة ، فالشهوات قوةٌ محركة ، أو قوةٌ مدمرة .

إذاً لا بد من أن تكون التوبة من أجل أن تُرمم ، ولو تصورنا أن الله سبحانه وتعالى لم يفتح باب التوبة ، وإنسان وقع في إساءة فماذا يفعل ؟ يزداد إساءةً ، يفجر ، لأنه أيس من رحمة الله ، لهذا يقول الله عز وجل :

﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾

(سورة الزمر)

أعظم ما في هذا الدين أن الإنسان مهما بلغت إساءته ، ومهما بلغت ومهما تفاقمت ذنوبه ، ومهما شرد عن ربه ، ومهما انغمس في المعاصي فلمجرد أن يقول : يا رب لقد تُبت إليك . يقول الله عز وجل : لبيك عبدي وأنا قبلت .

فباب التوبةُ مفتوح لمن غلبته نفسه ، لمن زلت قدمه ، لمن طُمست بصيرته ، لم آثر الشهوة فباب التوبة مفتوح .. ماذا يكمل فكرة أن هذا الباب مفتوح ؟ يكملها أن الله عفو .. لولا انه عفو ما فتح باب التوبة .

أيها الأخوة القراء في القرآن آية كريمة تتحدث عن التوبة .. يقول الله تعالى :

إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾

(سورة النساء)

الأكمل والأولى والأصح والأصوب أنه لمجرد أن وقع الإنسان في ذنب أن يتوب فوراً إلى الله عز وجل " **من قريب** " فكلما قلت المسافة الزمنية بين الذنب والتوبة كلما كانت التوبة أسهل ، وكلما جهل الإنسان أن هذا ذنب كانت التوبة أسهل ، فإذا علم أنه ذنب وفعله ، ثـم إذا فعلـه تراخى عن أن يتوب كانت التوبة أصعب ، التوبة تسهل إذا ضاقت المسافة الزمنية بين الذنب ، وبين التوبة ، وتسهل إذا رافقها جهل ، قال الله تعالى :

وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَـٰتِنَا فَقُلْ سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمْ ۖ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۖ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَـٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٤﴾

(سورة ا لأنعام)

لأن الله عفو كريم فتح لعباده باب التوبة ، فالإنسان ليس له عذر في التراخي عن توبته فمهما ارتكب من ذنوب فقد قال تعالى :

إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾

(سورة النساء)

يغفر كل الذنوب دون الشرك بالله " **ويغْفر ما دون ذلك** " وقد قال تعالى : " **قُلْ يـا عبـادي الذين أسرفُوا على أنْفُسهم لا تَقْنَطُوا من رحمة الله إن الله يغْفر الذنُوب جميعـا إنـه هـو الغَفُور الرحيم** " .

ولا يعرف قيمة التوبة إلا من ذاق طعم التوبة ، حينما يتوب إلى الله يشعر إن الله قبلـه ، وأن الله أنسى حافظيه والملائكة وبقاع الأرض كلها خطاياه وذنوبه .

وبعد فإن اسم **العفو** ماذا يعني في اللغة ؟ **العفو** اسم من أسماء الله الحسنى ورد في الأحاديث الصحيحة التي ذكر فيها النبي عليه الصلاة والسلام أصحابه بأسماء الله الحسنى ، ومن هـذه الأسماء اسم **العفو** .. **العفو** مشتق من العفْو ، فالعفو اسم من أسماء الله الحسنى ، والمصـدر هو العفْو ، ومعنى المصدر في المعاجم اللغوية : القصد لتناول الشيء .

العفْو .. القصد لتناول الشيء . يقال : عافاه .. و اعتفاه ، أي قصده .. العافون القاصـدون ، القاصدون باب الكريم يقال لهم عافون ، ورد هذا في الأشعار وفي لغة العرب . هـذا معنـى العافون أي القاصدون العطاء.

والمعنى الثاني .. هذا من عفو مالي : أي من حلاله وأطيبه ، عفو المال حلاله وطيبه

والمعنى الثالث .. أعطيته عفواً .. من غير سؤال .

والمنى الرابع .. عفا مال فلان .. أي كثُر .

والمعنى الخامس .. العافي هو الذي يمحو ويزيل .

خمسة معانٍ للعفو .. القصد ، عفو المال حلاله ، أعطيته عفواً من غير سؤال ، عفا مال فلان أي زاد وكثُر ، العافي هو الذي يمحو ويزيل، ومنه قولهم : عفت الرياح الآثـار إذا محتهـا وأزالتها .. العفو محو الذنوب ، وفي الدعاء : اللهم إنّي أسألك العفـو والعافيـة . أي تـرك العقوبة والسلامة .

وبالطبع البحث المنهجي في أسماء الله الحسنى يقتضي أن نفهم المعنى اللغوي أصلاً ، وفـي قاموس تاج العروس **العفو** أقل من الصفح ، لأن الصفح أبلغ من **العفو** ، والصـفح لا تأنيـب معه ، قد أعفو عن إنسان وأُؤنبه . فقد يعفو إنسان ولا يصفح .

الإمام الغزالي رحمه الله تعالى يقول :

" العفّو منه العفو " .. والآن قد دخلنا باسم الله الأعظم .. **العفو** هو الذي يمحو السيئات .

أحياناً يكون للإنسان في جهة من الجهات صحيفة مسجلة فيها سيئاته وسلبياته فإذا أُحرِقـت ، أو شُطبت ، أو طُويت ، أو أهملت ، انتهى الأمر وغدا أبيض الحائف ، العفو هو الذي يمحو السيئات لهذا قال عليه الصلاة والسلام :

" إذا تاب العبد توبةً نصوحا ، أنسى الله حافظيه ، والملائكة ، وبقاع الأرض كلهـا خطاياـاه وذنوبه " .

لذلك فالمؤمن الصادق يحدثُ عند كل ذنبٍ توبةً ، وكلما ارتقى الإنسان تقل ذنوبه عدداً وتقـل حجماً ، فإذا ارتقى أكثر يكاد يبتعد عن مقارفة الذنوب كلّية إلا ما كان عن غير قصد أو عـن زلة لم تكن متعمدة .

العفو هو الذي يمحو السيئات ويتجاوز عن المعاصي ، وهو قريب من اسم الغفور ولكنه أبلغ منه ، فإن الغُفران ينبئ عن الشر ، بينما العفو ينبئ عن المحو .. وجدت مشكلة فغفرت ولـم

يعاقب الله عز وجل عليها ، هو غفور ، أما عفو أبلغ من المغفـرة فقـد أنسـاها لصـاحبها، ومحاها من ذاكرته ، محاها من صحائفه .

المغفرة .. ذنب وقعت فيه لكن ربنا سبحانه وتعالى لم يعاقبك عليه لأنه غفور، أما **العفـو** .. أبلغ من الغفور ، فهذا الذنب لعله يؤلمك ، لعاك إذا تذكرته تستحي من الله ، لعلـه يقلقـك .. العفو محا هذا الذنب كُليةً من صفحة نفسك . فلو أن صحيفة مليئة بالذنوب وكلّ ذنب له عقاب ، نكتب في أسفلها : صاحب هذه الذنوب لا يعاقب .. ونوقع في أسفلها ، فمن بعد إما أن نأخذ هذه الصحيفة ونمزقها ونُلغي وجودها ، هذا عفو ، فالمغفرة ألا تعاقب على ذنب ، أما العفـو أن يمحى هذا الذنب من صفحة نفسك ومن ذاكرتك ، فسيدنا يوسف عندما التقى بإخوته الذين كادوا له حينما كان صغيراً ، وألقوه في غيابة الجب وأرادوا له أن يموت ، فعندما التقى بهـم ماذا قال ؟

قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ ۖ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٩٢﴾

(سورة يوسف)

هذه مغفرة .. لكن عندما قال الله عز وجل :

وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّوا۟ لَهُۥ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَـٰىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا ۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَـٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾

(سورة يوسف)

" **وقد أحسن بي إذْ أخْرجني من السجن** " ولم يقل من الجب ، الآن هل غفر لهم أم عفا ؟ لقد عفا .. لأنه ما أراد أن يذكرهم بعمله ، فقد تجاهل عملهم كليةً ، لو ذكرهم بعمله ولم يعـاقبهم لكان غفوراً ، لكنه لم يذكرهم بعملهم إطلاقاً ، وهذا من فضل الله عز وجل هو عفو وغفور .

الإمام الرازي يرى أن العفو له معنيان .. " المعنى الأول هو المحو والإزالة " .. عفت الديار إذا درست ، فقد كان العرب ينصبون خيامهم في الصحراء ، وهذه الخيمة يحفـرون حولهـا خندقاً لئلا يدخل الماء إليها إذا هطلت الأمطار ، ويسمون هذا الخندق النُؤي ، فـإذا ارتحـل

العرب من مكان إلى مكان بقيت آثار الديار على شكل مستطيلات ، ودوائـر ، ترمـز إلـى الخنادق التي حفرت حول الخيام ، بعد حين تأتي الرياح فتعفوها أي تمحو آثارها .. وهذا هو أصل معنى العفو .

فالمعنى الأول هو المحو والإزالة .. يقال عفت الديار إذا درست وانطمست معالمها ، وذهبت آثارها .. وعلى هذا فالعفو في حق الله تعالى عبارةٌ عن إزالة آثار الذنوب ، آثار الذنوب أي تذكرها ، وتذكر الذنب يحجب عن الرب لو أن الله لم يعاقب ، لكن لمجـرد أن تـذكر ذنبـك تستحي من ربك ، فمن أسماء الله الحسنى أنه عفو ينسيك هذا الذنب ، وهذه من رحمة الله بنا.

فهل هناك أحد لم يقُل كلمةً غير مناسبة طوال حياته ؟ يقول لك : ظللت اسبوعاً كلما ذكـرت هذه الكلمة ذبتُ خجلاً .. وبعد ذلك نسيها ، فلو أنّها بقيت ماثلةً أمامه لأهلكت صاحبها ، فمن رحمة الله بنا أننا ننسى ، والنسيان رحمة كبيرة جداً ، فأحياناً يقف موقفًا حرجا ويتكلم كلمـةً غير لائقة ، أو يسمع كلمة قاسية ، جارحة فيقول لك : لم أنم الليل .. فكم ليلةً لم ينم الليـل ؟ ليلةً واحدة فقط ، وفي الليلة الثانية تذكرها ولكنه نام ، وفي الليلة الثالثة نسيها ، وبعد أسـبوع نسيها تماماً.

لو إن المواقف الحرجة ، والكلمات الجارحة ، والمواقف المهينة التي ساقها الله للإنسان رحمةً به لا ينساها أبداً لأهلكته ، لكن الله عز وجل ينسي ، فالنسيان من العفو ومن دلائل عفوه أنـه ينسيك هذا الذنب ، ولعل فناء الإنسان في القبر ومع هذا الفناء يفنى دماغه ، ومع فناء الدماغ تفنى ذاكرته ، ومع فناء الذاكرة ينسى ذنوبه ، فإذا أحياه الله يوم القيامة يحي نفسـاً طـاهرةً مشرقةً محبةً طائعةً لله ، فالماضي الذي سبق إيمانه وسبق اصطلاحه مـع الله يصـبح نسـيا منْسيا.

وقد دخلنا الآن في موضوع دقيق .. فالإنسان كانت له في الدنيا جاهلية ثم تاب إلى الله توبـةً نصوحا ، أعماله في جاهليته فمع أنه تاب منها توبةً نصوحا وغفرها الله له وأنساه إياها لكنـه إذا ذكرها يتألم أشد الألم ، أما حينما يموت المؤمن تائبا وتفنى ذاكرته ، ومع فنـاء ذاكرتـه فنيت ذنوبه أصلاً فلم يعد لها وجود ، فقلب المؤمن طاهر ، نفسه التي بين جنبيه طاهرة منيبة ومستقيمة ومقبلة ، أما الذاكرة فقد فنيت وفنيت معها الذنوب ، فيأتي يوم القيامة ولأنـه مـات تائباً لا يذكره الله بذنوبه إطلاقاً .

فقد يقول أحدهم عن نفسه إنه تائب منذ عشر سنوات ، أو من عشرين سنة وأنا سـائراً فـي طريق الإيمان ، لكن قبل عشرين سنة لعله أخطأ، أو زلت قدمه ، فهذا الماضي فـي الـدنيا تذكره ، ولكن في يوم القيامة إن كنت قد تبت فلا تذكره أبداً وهذا من رحمة الله بالإنسان .

لذلك **العفو** في حق الله تعالى إزالة آثار الذنوب بالكلية ، فيمحوهـا الله مـن ديـوان الكـرام الكاتبين ، فلو فرضنا أن إنسانًا له صحيفة أعمال سوداء ، ومن يشرف على هذه الصـحائف

أراد أن يكرِمه فماذا يفعل ؟ يأتي بهذه الإضبارة فيحرقها أمامه ، فلم يبقَ أصل لهذه الـذنوب فقد انتهت إلى فناء ، وهذا للتقريب .
فالله سبحانه وتعالى يمحو ذنوب العبد التائب من ديوان الكرام الكـاتبين أي الملائكـة الـذين يكتبون ، ولا يطالبه بها يوم القيامة ، وينسيهم إياها حتى من جذر قلوبهم كي لا يخجلوا عنـد تذكرها ، ويثبت مكان كل سيئة حسنة قال تعالى :

إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾

(سورة الفرقان)

يجب أن نستفيد ، وأن نسعد بهذا الاسم العظيم .
المعنى الثاني في حق الله تعالى :

۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾

(سورة البقرة)

" **ويسألونَك ماذَا ينفقُون قُلْ العفْو** " العفو أي الفضل ، فالله عز وجل يمحـو ذنـوب عبـاده ويتفضل عليهم بفضله ، هذا أسموه التخلية والتحلية، التطهير والتعطير ، العفـو والرحمـة ، يمحو ويكرم ، يطهر ويعطر ، يشفي ويزكي .. إذاً معنى العفو معنيان ؛ معنى سلبي ، ومعنى إيجابي ، السلبي المحو ، والإيجابي العطاء .
أحياناً يغسل الإنسان كأساً لها رائحة كريهة مثلاً ، أو بقايا طعام ، أو بقايا شراب ، فإن غسلها بشكلٍ جيد وبعد أن غسلها ملأها شراباً طيباً فهذا من معاني العفو .. **فالعفو** لا يعني أنه محى الذنوب ، وستر العيوب فقط ، لا .. بل أعطاك من فضله ما شاء فوق ما محا ، هذا معنـى جديد للعفو أي عفا محى ، وعفا أعطى ، هذا من عفوٍ مالي .. أي من حلاله وطيبه ، أعطيته **عفواً** .. أي من دون سؤال، فمن معاني **العفو** العطاء ، والمعنى السلبي المحـو ، والمعنـى الإيجابي العطاء .

وقال بعضهم " **العفو** هو أن تزول عن النفوس ظلمة الزلات برحمته ، و وحشة الغفلات عن القلوب بكرامته " ، وقيل " **العفو** الذي أزال الذنوب من الصحائف ، وأبدل الوحشة بفنون اللطائف ".. إزالة ، وعطاء .

الإمام القشيري يقول : " **العفو** هو الذي يمحو آثار الذنوب ، ويزيلها بريح المغفرة ، فهو يمحو الذنوب من ديوان الحفظة حتى إنّه ينسيها من قلوبهم ومن قلوب المذنبين .. أو هو الذي يترك المؤاخذة على الذنوب ولا يذكر بالعيوب ".

هذه كلها من معاني **العفو** .. فما عليك إلا أن تقول يا رب لقد تُبت إليك .. وقد ورد أنه إذا قال العبد : يا رب وهو راكع . قال الله : لبيك يا عبدي . وإذا قال العبد : يا رب وهو ساجد . قال : لبيك يا عبدي فإذا قال العبد وهو عاصٍ : يا رب تبتُ إليك وأنا عاصٍ . قال: لبيك ثم لبيك ثم لبيك .

فلتوضيح الفكرة .. الأب إن كان عنده أولاد أبرار طائعون وواحد منهم كان شارداً وعاقّا ، ففرح الأب برجوع ابنه إليه وتوبته إليه أضعاف مضاعفة عن فرحه بهؤلاء الأبرار ، لأنهم سلكوا الطريق الصحيح وانتهى الأمر إلى خير ، أما هذا الشارد فيتألم الأب له أشد الألم ، فإذا عاد فرح الأب بعودته، ومن هنا قال عليه الصلاة والسلام :

" لله أفرح بتوبة عبده من الضال الواجد ، والعقيم الوالد ، والظمآن الوارد "

اسم **العفو** ورد في القرآن الكريم في آيات كثيرة تزيد عن تسعٍ وثلاثين آية .. ومن هذه الآيات قال تعالى :

فَأُوْلَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٩٩﴾

(سورة النساء)

كلمة " **وكان الله عفُوا غَفُورا** " .. أو كان الله عليماً حكيما . هذه الكينونة تفيد أن أسماء الله الحسنى قديمةٌ قدم الله عز وجل ، منذ أن كان الله كان عفواً غفورا .. منذ أن كان الله كان عليماً حكيما .. منذ أن كان الله كان على كل شيء قديرا ، أي أن أسماءه متلازمةٌ مع وجوده.

وقال تعالى :

إِن تُبْدُواْ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُواْ عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا

﴿١٤٩﴾

(سورة النساء)

طبعاً المقولة الثابتة : تخلقوا بأخلاق الله . فإذا كان الله عفواً ينبغي أن تكون أنت عفـواً ، إذا كان الله حليماً ينبغي أن تكون أنت حليماً فقال تعالى : "**إن تُبدوا خَيرا أَو تُخْفُوه أَو تَعفُوا عن سوء فَإن الله كَان عفُوا قَديرا** " أي أنت ما تقربت إلى الله بمثل أن تتخلق بأخلاق الله ، وقـد ورد في الأثر : أن تخلقوا بأخلاق الله .

وفي سورة الحج قال تعالى :

۞ ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِىَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٦٠﴾

(سورة الحج)

أي حينما يظلم الإنسان . وفي سورة المجادلة قال تعالى :

ٱلَّذِينَ يُظَـٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَـٰتِهِمْ ۖ إِنْ أُمَّهَـٰتُهُمْ إِلَّا ٱلَّـٰٓـِٔى وَلَدْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ وَزُورًا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٢﴾

(سورة المجادلة)

أيها الأخوة القراء ... هل أدركتم حكمة تلازم اسم **العفو** مع الغفور كثيرا ؟ الغفور لم يعاقبك ، أما **العفو** أنساك الذنب كله ، وهذا منتهى الإكرام " **وإن الله لعفُو غَفُور** " .

قال العلماء : ورد اسم **العفو** مع اسم الغفور وورد مع اسم القدير ، ولله المثل الأعلى فالإنسان أحياناً لا يستطيع أن يعفو ، فهناك من هو أقوى منه يحاسبه ويؤاخذه ، فإن كان هناك مـن لا يستطيع أن يعفو ، فإن الله عز وجل قال فإن الله كان عفوا قديرا .. أي قدير أن يعفو عنك كل الذنوب ، فقد قال تعالى :

"**إن تُبدوا خَيرا أَو تُخْفُوه أَو تَعفُوا عن سوء فَإن الله كَان عفُوا قَديرا** " ، ولذلك ورد في قوله تعالى على لسان سيدنا عيسى :

إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾

(سورة المائدة)

فالعزيز .. أي أنك لو غفرت لهم فلا تستطيع أية جهة في الكون أن تسأل لما غفـرت لهـم ؟ لأن الله سبحانه وتعالى إله عظيم ومن شأن الإله العظيم ألا يسأل عما يفعل ، فالله وحده قدير أن يعفو عنك دون أن يسأل .

وهناك نقطةٌ بالغة الأهمية في طريق الإيمان ، يقول لك إنسان أحياناً أنا قد تبت إلى الله من هذا الذنب ، لكن عندما تكون هناك توبة عقب توبة ويعقبها توبة للذنب نفسه ، فتضعف ثقـة الإنسان بنفسه ، وربما وقعت بينه وبين الله جفوة ، والإنسان حكيم نفسه فإذا وقع انهدام بينـه وبين الله ، أو جفوةٌ بينه وبين الله فما العمل ؟ دققوا النظر فيما سأقوله :

إنسان ارتكب إساءة في حق إنسان ، فما دامت هذه الإساءة قد ارتكبها ولم يستسمح هي حجاب بينه وبين هذا الإنسان ، لو أنه قدم له هديةً ثمينة ففي الأعم الأغلب أن هذه الهدية تُنسي الذي أساء إليه تلك الإساءة، فماذا حدث ؟ حدث ترميم وجبر ، وإعادة توازن ، وإعادة علاقـات ، وحدث محو .. وهذا معنى مهم جداً ويحتاجه كل مؤمن .

قال عليه الصلاة والسلام :

عن أَبِي ذَر قَالَ قَالَ لِي رسولُ الله صلى الله عليه وسلم اتق الله حيثُما كُنْتَ وأَتْبِـعِ السـيئَةَ الْحسنَةَ تَمحها وخَالِق الناس بِخُلُق حسنٍ *

السيئة هل ينبغي أن نتوب منها أم نتبعها بحسنة ؟ فأحياناً الإنسان يقع في الذنب نفسه مـرةً أو مرتين ، ففي المرة الثانية يخجل ولو تاب ، فما الذي يذهب عنه الخجل ؟ أن يتبعها بحسـنة . فعودوا أنفسكم أيها المؤمنون أن كل ذنب وقعت فيه عن غير قصد بإمكانك أن تتبعـه بعمـلٍ صالح ، وهذا العمل الصالح ينسي صاحبه هذا الذنب ، واعتقد أن العمل الصالح الذي قام بـه سيفرحه.

فإذا الإنسان عند الحج أحرم بعمرة ثم تمتع إلى الحج ، فعليه هدي جبرٍ ، أما إذا جمـع بـين الحج والعمرة قارناً فعليه دم شُكرٍ ، لأن الله قد قواه ومكنه أن يعتمر ويتابع إحرامه إلى الحج ثم يحج ، وهذا قارن وعليه دم شكرٍ ، أما إذا اعتمر ثم تحال من عمرته ولبس الثياب المخيطة وتعطر وأكل وشرب وحلق رأسه واغتسل وقص شعره وأظافره، وفي اليوم الثامن مـن ذي الحجة أحرم بالحج ، يقال له هذا متمتع ، والمتمتع عليه هدي ، هدي جبرٍ .. و القارن عليـه

هدي شُكر.. وسائر الكفارات في الإسلام هدفها أن هذا الشرخ الذي وقـع ، وهـذه الهـوة، واختلال التوازن الذي وقع يرمم بهذه الصدقة .

وقد ورد أن الإمام أبا حنيفة رحمه الله تعالى ألزم نفسه أن يتصدق بدينار ذهبٍ عن كل يمـينٍ يحلفها صادقاً بها ، لأن الله تعالى يقول

" **واحفَظُوا أيمانَكُم** " في قوله تعالى :

لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَـٰنِكُمْ وَلَـٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَـٰنَ ۖ فَكَفَّـٰرَتُهُۥٓ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَـٰكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَـٰثَةِ أَيَّامٍ ۚ ذَٰلِكَ كَفَّـٰرَةُ أَيْمَـٰنِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ ۚ وَٱحْفَظُوٓا۟ أَيْمَـٰنَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٨٩﴾

(سورة المائدة)

فأهم شيء في هذا البحث أن الله عز وجل عفو ، وغفور ، فالغفور لا يعاقب .. والعفو ينسي الذنوب لكنّك أنت حينما تزل القدم بك مرةً أو مرتين في الذنب نفسه ينشـأ بينـك وبـين الله حجاب ، وهذا الحجاب ما الذي يهتكه ؟ العمل الصالح .. فعود نفسك أن تعمل العمل الصالح كلما غفلت ، أو أخطأت ، أو تسرعت ، أو تكلمت كلمةً ، أو فعلت شيئاً لا يرضـي الله عـز وجل .

لذلك قال تعالى :

وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَىِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَـٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴿١١٤﴾

(سورة هود)

وقال عليه الصلاة والسلام :

عن أبي ذر أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قالَ ستةَ أيامٍ ثُم اعقلْ يا أبا ذر ما أقُولُ لـك بعد فلما كان اليوم السابع قالَ أوصيك بتقْوى الله في سر أمرك وعلانيته وإذا أسأتَ فأحسـن ولا تسألن أحدا شيئًا وإن سقط سوطُك ولا تقْبض أمانَةً ولا تقْض بين اثْنين *

وفي الحديث الشريف :

عن معاذ بن رفاعةَ بن رافعٍ الأنْصاري عن أبيه رفاعةَ بن رافعٍ قالَ سمعتُ أبا بكْرٍ الصـديقَ رضي الله عنْهم يقُولُ علَى منْبرِ رسول الله صلى الله عليه وسلم سمعتُ رسولَ اللـه صـلى الله عليه وسلم يقُولُ فبكى أبو بكْرٍ حين ذكر رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ثُم سري عنْه ثُم قالَ سمعتُ رسولَ الله صلى اللهم عليه وسلم يقُولُ في مثل هذا الْقيظ عام الأول سـلُوا اللـه الْعفْو والْعافيةَ واليقين في الآخرة والأولى *

وكان سيدنا عمر رضي الله عنه إذا أصابته مصيبةٌ كان يقول : الحمد لله ثلاثاً ، الحمد لله إذ لم تكُن في ديني ، والحمد لله إذ لم تكُن أكبر منها ، والحمد لله إذ ألهمتُ الصبر عليها .

وبعد هذا الشرح الواضح فمن التخلق بأخلاق **العفو** .. أن تعفو عمن ظلمك ، وأن تُعطي مـن حرمك ، وأن تصل من قطعك ، هذه أخلاق المؤمنين فقد قال تعالى :

وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾

(سورة فصلت)

سيدنا الصديق ... إنسان افترى على ابنته السيدة عائشة رضي الله عنها كذباً وروج أن ابنتـه زانية في حديث الإفك .. فهل هناك إساءةً أشد من أن يسيء الإنسان إلى عرض أخيه وهـي بريئةٌ وطاهرةٌ وعفيفة ؟ ومع ذلك مسطح روج هذه القصة وأشاعها في المدينة وتأخر الوحي في تبرئة السيدة عائشة ثلاثين يوماً والنبي عليه الصلاة والسلام لا يدري ماذا يفعل ، وسـيدنا الصديق كان يحسن لهذا الإنسان ، فلما وقع في هذه الإساءة الكبيرة الإجرامية نوى أن يكُـف عن الإحسان إليه فجاء قول الله تعالى :

وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾

(سورة النور)

فقد ورد في الأثر أن الصديق عليه رضوان الله عليه "
عن حديث عائِشَةَ زوج النبي صلى الله عليه وسلم حين قالَ لها أَهلُ الإِفْك ما قالُوا فبرأَها الله مما قالُوا كُل حدثَني طائِفَةً من الْحديث فأَنْزلَ الله (إِن الذين جاءوا بِالإِفْك) الْعشْر الآيات كُلها في براءتي فَقَالَ أَبو بكْرٍ الصديقُ وكان ينْفقُ علَى مسطَحٍ لِقَرابته منْه والله لا أُنْفقُ علَى مسطَحٍ شَيئًا أَبدا بعد الذي قَالَ لِعائِشَةَ فَأَنْزلَ الله (ولا يأْتَل أُولُوا الْفَضل منْكُم والسعة أَن يؤْتُوا أُولي الْقُربى) الآيةَ قَالَ أَبو بكْرٍ بلَى والله إِني لأُحب أَن يغْفر الله لي فَرجع إِلَى مسطَحٍ النفَقَةَ التي كَان ينْفقُ علَيه وقَالَ والله لا أَنْزِعها عنْه أَبدا *
وعاد إلى ما كان عليه وهذا شيء فوق طاقة البشر .. إنسان روج عن ابنته الخبر السيء وأرجف في المدينة ، ثم يعاتبه الله لماذا كف عن مساعدته ؟ هكذا أخلاق المؤمنين... وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم .
الحقيقة أن الله عز وجل لم يأمرنا أن نعفو عن المسيء فحسب بل أمرنا أن نُحسن إليه ، فقد قال تعالى :

۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾

(سورة آل عمران)

" **والكاظمين الغَيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين** "
وكذلك الآية الكريمة التي تقول : " **ولا تَستَوي الْحسنَةُ ولا السيئَةُ ادفَع بِالتي هي أَحسن فَإِذَا الذي بينَك وبينَه عداوةٌ كَأَنه ولي حميم وما يلَقاها إِلا الذين صبروا وما يلَقاها إِلا ذُو حظ عظيم** "

من كان حظه عظيماً من الاتصال بالله عز وجل فليحمد الله كثيرا ، فسبحان الله عندما يعفـو الإنسان عن أخيه يملأ الله قلبه أمناً وإيماناً ، أما حينما ينتقم منه يملأ الله قلبه خوفاً وجفـوةً ، فالمنتقم يعاقب من قبل الله عز وجل ، باللعنة والطرد من رحمته وجفوة قلبه والقلق الذي يأكل قلبه ، أما الذي يعفو يملأ الله قلبه أمناً وإيماناً ، فما دمت قد عفوت عنه اشتريته ، ولأن يربح الإنسان إنساناً خير له من أن يربح الدنيا وما فيها .

فالإنسان حينما تعفو عنه تربحه .. فسيدنا النبي اللهم صلّ عليه أمر بقتل بضـعة أشـخاص لأنهم أساءوا إساءةً ما أساءها أحد قبلهم إلى الإسلام وإلى دين الله عز وجل ، منهم عكرمه بن أبي جهل .. فلما جاء عكرمةُ مسلماً تائباً مستغفراً ، قال عليه الصلاة والسلام : جاءكم عكرمةٌ مسلماً ، فإياكم أن تسبوا أباه فإن سب الميت يؤذي الحي ولا يبلُغ الميت

فالنبي بالغ بإكرامه ونهى عن أن يسب أبوه إكراماً له .

فالخلاصة أن هذه الأسماء الحسنى ينبغي أن تزيدنا حباً بالله عز وجل وتخلقاً بهذه الأخلاق .

والحمد لله رب العالمين

الدرس ٦٧ - اسم الله : "الجامع"

بسم الله الرحمن الرحيم

مع الدرس السابع والستين من أسماء الله الحسنى ، والاسم هو **الجـامع** .. فقـد ورد هذا الإسم في الأحاديث الصحيحة التي ذكر فيها الرسول صلى الله عليـه وسـلم أسـماء الله الحسنى .

أما معنى هذا الإسم في اللغة .. **فالجمع** هو الضم ، **جمعتُ** يـدي أي ضـممتهما ، **تجميع** أجزاء الشيء بعضها إلى بعض هو **الجمع** ، ويوم **الجمع** هو يوم القيامة ، كل الخلائق **يجمعها** الله عز وجل للحساب ، فالله سبحانه وتعالى في هذا اليوم **يجمع** الأولين والآخرين ، و**يجمع** الإنس والجن ، و**يجمع** أهل السماء وأهل الأرض ، ويوم **الجمـع** أيضـا يجمـع الله سبحانه وتعالى العبد وعمله .

قد تلتقي بإنسان في مكانٍ ما يقول لك : أنا اسمي فلان وأحمل الشـهادة الفلانيـة ، ولي المؤلف الفلاني ، فلو طلبت إضبارته في دائرته لوجدت هناك عقوبات وأعمالاً لا تُرضي ، فأنت لم تكتشف حقيقته ، أما إذا جمع مع أعماله كان التقييم صحيحاً .

أعود وأقول يوم **الجمع** يوم القيامة ، **يجمع** الله فيه بين الأولـين والآخـرين ، بـين الإنس والجن ، بين أهل السماء وأهل الأرض ، **يجمع** بين العبد وعمله فقد قال تعالى :

ٱقۡرَأۡ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفۡسِكَ ٱلۡيَوۡمَ عَلَيۡكَ حَسِيبٗا ﴿١٤﴾

(سورة الإسراء)

الإنسان أحياناً يفتضح في مكان فينتقل إلى بلدة أخرى ، وفي هذه البلدة لا أحد يعرفه ، أما إذا انتقلت المعلومات عنه إلى تلك البلدة فقد **جُمع** مع عمله ، شيء مخيـف أن **يُجمـع** الإنسان مع عمله ، أن يكون عمله كله مسطوراً في كتاب ، وأن هذا الكتاب يرافقـه إلـى أي مكانٍ انتقل إليه .

وسمي يوم **الجمع** لأن الله سبحانه وتعالى **يجمع** بين الظالم والمظلوم ، بـين القـوي والضعيف ، بين المعطي والآخذ ، بين المتكبر والمتواضع ، بين القوي الظالم والمستضـعف المظلوم ، **يجمع** بينهم ليقتص لله للضعيف من القوي ، للمظلوم من الظالم ، للمستضعف مـن

المستكبر ، و**يجمع** الله سبحانه وتعالى في هذا اليوم بين كل نبيٍ وأمته ، كل نبيٍ يأتي مع أُمته ليكون شهيداً عليهم فقد قال تعالى :

مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾

(سورة المائدة)

و**يجمع** الله عز وجل في هذا اليوم بين ثواب أهل طاعته ، وعقاب أهل معصـيته ، وسمى الله سبحانه وتعالى يوم القيامة يوم **الجمع**، لأنه **يجمع** فيه كل هذه الخلائق من أولها إلى آخرها ، **يجمع** الإنس والجن ، **يجمع** أهل السماء وأهل الأرض ، **يجمع** كل عبد مع عملـه ، **يجمع** بين الظالم والمظلوم ، والمستكبر والمستضعف ، والقوي والضعيف ، و**يجمع** كل نبـيٍ مع أمته ، و**يجمع** بين ثواب أهل الطاعة وعقاب أهل المعصية ، ذلك يوم **الجمع** .. فمن هـذا الاسم يشتق إسم **الجامع** .. فمن الذي **جمع** هؤلاء ؟

فأحياناً تقف عقبة في سبيل إحقاق الحق ، ذلك أن الطرف الآخر لم يبلغ لعدم وجود عنوان معروف للتبليغ عليه ، فماذا يفعل المظلوم ؟ أقام دعوة ، فكيف يحضر الطرف الآخـر ويأتي به إلى ساحة القضاء وهو ليس له عنوان وإبلاغه مستحيل ؟ لكن الله سبحانه وتعـالى ولله المثل الأعلى **يجمع** ، **يجمع** القوي مع الضعيف ، والظالم مع المظلوم ، والمسـتكبر مـع المستضعف ، هذا معنى .. لأن يوم القيامة هو يوم **الجمع** فالله سبحانه وتعالى **جامعٌ** أي **يجمع** كل هذه الخلائق ليحاسبها .

والله سبحانه وتعالى **جامعٌ** بمعنىً آخر .. هو **جمع** الكمالات كلها، ذاتاً ، وصفات ، وأفعالاً ، وكما تعلم أيها القارىء الكريم أن كل إنسانٍ يتفوق في جانبٍ من جوانب الكمال ، أما أن يجمع الكمالات كلها هذا مستحيل ، أما أن يجمع الإختصاصات كلها أشد إستحالةً ، أما أن يجمع الحرف كلها فمستحيل كذلك أما أن يجمع الخبرات كلها مستحيل .

فالحق الإنسان له حرفةٌ واحدة ، واختصاص واحد ، وتفوق واحد، واهتمام واحـد ، ونشاط واحد ، أما أن **يجمع** كل الكمالات ، **يجمع** كل الإختصاصات فلا ، فعندما يتقن الإنسان عملين يدهشنا .. نقول : ما شاء الله هذا له إختصاص علمـي وحرفـة يدويـة ، أو تجـارة وتدريس ، يذهلنا أن يجمع الإنسان بين شيئين .

لكن الله سبحانه جل في علاه **جمع** الكمالات كلها ، أجل **جمع** كل ذلك أسماؤه كلهـا حسنى .. فالإنسان لا يستطيع إلا أن يتفوق في جانب ، إلا أن النبي صلّى الله عليه وسلم **جمع** الكمالات كلها ، **جمع** الكمالات البشرية كلها ، وكل صحابي من صحابته حاز على بعضـها ، فهذا تفوق في شجاعته ، وهذا في حلمه ، وهذا في جوده ، وهذا في عفوه ، وهذا في عبادته ، وهذا في قيادته ، لكن النبي صلى الله عليه وسلم كان بطلاً في كل الإختصاصات ، فلذلك مدح فقيل فيه :

وأجمل منك لم تر قط عيني وأكمل منك لم تلد النساء
خُلقتَ مبرأً من كل عيبٍ ... كأنك قد خُلقت كما تشاء

كان عليه الصلاة والسلام في أعلى درجات الأدب ، في أعلى درجات الحلم ، فـي أعلى درجات الرحمة ... ما رؤي مادأ رجليه قط حتى ولا بين أصحابه ، في أعلى درجـات الوقار ، في أعلى درجات الهيبة ، في أعلى درجات العلم .

يا أيها الأُمي حسبك رتبةً في العلم أن دانت لك العلماء ... فالنبي جمع هذه الكمالات البشرية كلها ، والله سبحانه وتعالى جمع الكمالات كلها في ذاته وفي صفاته ، وفي أفعاله .

الإمام الغزالي رحمه الله تعالى له في إسم **الجامع** وقفةٌ متأنية يقول : " هو المؤلف بين المتماثلات والمتباينات والمتضادات " .

وكمثالٍ في حياتنا الواقعية أن يجمع إنسان مائة ألف من الناس دفعة واحـدة فهـذا مستحيل فقد يجمع خمسة آلاف ، ثلاثة آلاف ، فجمع الناس يحتاج إلى طاقات كبيرة جـداً ، يحتاج إلى ملكات قيادية ، يحتاج إلى تفوق مذهل ، من أجل أن تجمع النـاس إليـك الإمـام الغزالي رحمه الله تعالى يقول : **الجامع** في حق الله تعالى هو الذي جمع بين المتماثلات وبين المتباينات وبين المتضادات .

كم إنسان في هذه الأرض ؟ ستة آلاف مليون كلهم من بنية واحـدة ، والـدليل أن الدواء الذي يصنع في كندا يستعمل في أستراليا ، وأن المسكن الذي صنع في فرنسا يؤثر في اليابان ، وأن الدواء المضاد للإلتهاب إذا صنع في اليابان يؤثر في البرازيل ، فمعنى ذلـك أن بنية الخلق واحدة ، جمع بين المتماثلات ، إلا أنه من وسعة الله عز وجل أن كل إنسانٍ نسـيج وحده ، فالإنسان لكرامته على الله عز وجل جعله فرداً فهو فرد في شكله ، فرد في قوامـه ، فرد في ملامحه ، فرد في لونه ، فرد في قُزحية عينه ، فرد في تركيب دمه ، فرد في بصمته ، فرد في رائحة جلده ، فرد في نبرة صوته ، فالله عز وجل **جامع** وواسع ، جمع المتماثلات وواسع جعل كل إنسان نسيج وحده وله طابع خاص لا يشركه فيه أحد .

أما المتباينات .. جمع بين السماء والأرض ، والطول والعرض ، وجمع المـاء .. البحر واليابسة .. فعند الساحل تجد هذا هو البحر وهذه هي اليابسة ، يجمع بين المتباينات .. ماء ويابسة ، بحر ونهر ، جبلٌ وسهلٌ ، سهلٌ وغور ، ساحلٌ وداخل .. فالأشكال متباينـة ، والطعوم متباينة ، فكم لوناً موجوداً في الكون ؟ لو نظرت إلى باقة من الورد فكم لونًا فيهـا ؟ قرأت قبل ايام أن في البحر وحده مليون نوع من الأسماك أي ألف ألف نوع من السمك ، هذا جمع بين المتباينات .

فتجد سمكة شفافة صغيرة من أسماك الزينة ، وسمكة سـوداء ، وأخـرى عملاقـة طولها ثلاثون متراً وتزن مائة وخمسين طناً وهو الحوت الأزرق ويعيش في المحيط الجنوبي ، ويستخرج منه تسعون برميلاً من زيت الحوت ، وخمسين طناً من الدهون ، وخمسون طنـاً من اللحم ، ويزن لسانه أربعمائة وخمسون كيلو غراماً مثلاً ، .. وإذا أرضع وليده فالرضـعة الواحدة تبلغ ثلاثمائة كيلو غرام ، وإذا أراد ان يأكل فيلتهم في الوجبة المعتدلة والمقننة أربعة أطنان ، فبداخل الحوت بحر وتعوم فيه سمكةً سوداء طولها سنتيمتر واحد تزيينية .

وهناك سمكةٌ كأنها باقة من الورد ، وهناك سمك يمشي على أربع أرجل في أعماق المحيطات وقاعها ، وهناك سمك يدافع عن نفسه بشرارة صاعقة كهربائية تبلـغ سـتة آلاف فولط ، وهناك سمك يهرب من عدوه عن طريق سحابة سوداء كأنه حبراً وهذا الذي يستخرج منه حبر المطابع ، وهناك سمك له ضوء يهتدي به أثناء سيره في أعماق المحيطات ويجذب إليه فريسته ليأكلها ، فإذا قرأ الإنسان موسوعةٌ عن البحار يرى العجب العجاب، وهناك سمكةٌ من نوع الأفعى طولها سبعة وعشرون متراً ، وهناك خنزير البحر ، وقنفذ البحر ، والـدلفين وهو من أذكى الحيوانات وهو صديق الإنسان ، فسبحانه وتعالى جعله في السواحل ومهمته أن ينقذ الغرقى ، وأن يدل ربابنة السفن ، فهو كالقائد ، وهو أليفٌ للإنسان بدرجة غير معقولـة وصديقٌ له ، فإذا كان رأى غريقاً أنقذه ، أو تائهاً أرشده وهو مشهور .

فكم نوعاً من الأسماك ؟ وكم نوعاً من الطيور ؟ وكم نوعاً من الأزهار ؟ كم نوعـاً من الأبصال ؟ كم نباتًا ؟ الجواب أنّه كثير كثير .. فقد جمع الله بين المتمـاثلات كالإنسـان ، فهو متماثل في بنيته مختلف في طباعه ، والمتباينات كذلك .. فتخيل كم شكلٍ لورقة النبات .. فهناك ورقة مثل الإبرة وورق دائري ، وورق مثلث الشكل ، وورق مسـتطيل ، وورق لـه طرف مسنن ، وورق له طرف مستقيم ، وورق له ثنيات كورق بعض نخيل الزينـة ، فلـو حاولت أن تستقصي أشكال أوراق النباتات فلن تنتهي منها ، فورق صـغير ، ونبـات دائـم الخضرة ، ونبات متساقط الأوراق ، ونبات جذري ، ونبات ساقي ، ونبات أساسه الـورق ، شيء لا يعد ولا يحصى ، فإذا دخلنا في شرح نبات واحد كالقمح مثلاً فكم نوعاً له ؟ ثلاثـة

آلاف وخمسمائة نوع .. والعنب له ثلاثمائة وثلاثون نوعًا .. فليس هناك فاكهة أو محصـول زراعي إلا ينقسم إلى مئات بل بضع مئات من الأنواع .

وبعد ، ... فاسم **الجامع** أنه جمع بين المتباينات ، وجمع بين المتمـاثلات ، وجمـع بين النتضادات ، فأحياناً هناك شيء مضاد للشيء الآخر .. كالحرارة والبرودة ، ظلام دامس ثم بعد حين شمس مشرقة .. يا رب أين الليل إذا جاء النهار؟! ففي العصر شمس جميلةٌ جـداً وهي شمس الأصيل ، وفجأةً غابت وأصبح الظلام دامساً ، وأين النهار إذا جاء الليل ؟ ويقال : درجة الحرارة أربعون درجة مئوية ، وفجأة تأتي موجة من البرودة فتلطّف الجو كثيـرًا ، موجة من الحر فيتخفف الناس من ثيابهم وفجأة تعقبها موجة مـن البـرد .. فحـر وبـرد ، ورطوبة ويبوسة ، هذه كلها متضادات يجمع بينها .

فهو سبحانه يجمع بين المتضادات ، وبين المتباينات ، وبين المتماثلات .

شيء آخر .. الجمع مع الوساطة .. فمثلاً الحجر ، وهو أساسي في حياتنا ، فبناؤنا من الحجر ، والحديد هذا أساسي كذلك في حياتنا ، فكيف تسـتطيع أن تجمـع بـين الحديـد والحجر ؟ لو أردت أن تُثبت سور حديديًا على جدار حجري فكيف ذلك ؟ خلق الله لك معـدناً للجمع بينهما وهو معدن الرصاص ، فتجد الرصاص ينصهر ببساطة عند الدرجة مائة مئوية ويصبح سائلاً ، فإذا حفرنا حفرةً في الجدار الحجري كشكل ثمرة الكمثـرى - الإجاصـة - وسكب فيها الرصاص الذي من خصائصه التمدد بعد البرودة ، فإذا تمدد لـيس فـي الأرض جهةٌ تستطيع قلع هذا القضيب الحديدي من الحجر إلا بقطعه بالمنشار . فكيف جمع بين الحجر وبين الحديد ؟ عن طريق معدن الرصاص .

وقد تجد متضادات جمعت بعضها مع بعض من خلال أجسام ثالثة وسيطة .

هناك شيء آخر بالإسم **الجامع** ... فأحياناً سبحانه وتعالى يجمع ولكن مع الجمـع هناك تنسيق .. فليس من السهولة أن تكون مديراً لمؤسسة ويعمل لديك مائتان من المـوظفين وكلهم في مكان واحد ، وكل إنسان يعمل في عمله دون أن يتضارب عمل مع عمل آخر ، أو أن يتناقض عمل مع عمل ، أو يزدوج عمل مع عمل ، الجمع مع التنسيق .

فكذلك الحيوانات والحشرات .. فالنحل يتحرك نحو حقول الأزهار، فكيف يتحرك ؟ تجد النحلات المستطلعات تتعرف باديء ذي بدء إلى موقع الحقول وتعود وترقص ، وطريقة رقص هذه النحلات يحدد بعد الحقل عن خلية النحل ، وتواتر الرقصة يحدد غزارة المحصول ، وجهة الرقصة يحدد جهة المحصول ، فهذه النحلات تنظر إلى الراقصـات فتعـرف جهـة الحقل ، وبعد الحقل ، وغزارة الحقل ، فتنطلق .. النحلة وتقع على الزهرة وتمتص رحيقها ، وبينما هي تمتص رحيقها تُلقحها ، فالنحل له وظيفة التلقيح أيضًا ولعلها من أخطر الوظائف ، النحلة حينما تعود إلى خليتها .. إذا كان موسم الأزهار كثيفاً فلا تدخل إلى الخلية بل تُعطـي

حمولتها من الرحيق وحبوب اللقاح لنحلة على باب الخلية من أجل توفير الوقـت .. وهنـاك نحلةٌ حارسة ، ونحلةٌ وصيفة ، ونحلةٌ منظفة ، تنظف الخلايا ، ونحلات تصقلها ، ونحـلات تُلمعها .. تنظيف ، وصقل ، وتلميع .. هناك نحلات مستطلعة ، وهنـاك نحـلات مغذيـة ، وظائف رائعة جداً وتنسيق بديع ، فهناك ملكة واحدة في كل خلية فإذا نافستها ملكـةٌ أخـرى قُتلت ، والذكور لها وظيفة ، والإناث لها وظيفة ، والحارسات لها وظيفة ، ونحـلات موكلـة بتهوية الخلية ، فلا تسمح لنحلة بالدخول للخلية إلا إذا ألقت كلمة السر وإلا تُقتـل .. فكيـف جمعت هذه النحلات ؟ كيف كان التنسيق بينها ؟!

فصدقني .. أحياناً الإنسان إذا عنده عشرة موظفين فإذا استطاع أن يجعلهم جميعـاً يعملون بتنسيق فيكون إدارياً ناجحاً جداً ، أحياناً يكون العاملون كثُرًا وهم قليلون في الإنتاج - كثيرون وقليلون - أحياناً القدرة على تشغيل أعداد كبيرة من الأشخاص من دون أي تضارب أو إزدواجية ومع التنسيق فهي قدرة عالية جداً ، فالله عز وجل إسمه **الجامع** .. جمع الأجزاء ونسق بينها .

فمثلاً الإنسان حراً في اختيار مهنته أليس كذلك ؟ فتجد مدينة مثل دمشق كم خطاطاً فيها ؟ لو فيها مثلاً عشرة آلاف خطاط لماتوا من الجوع .. ولكن ليس فيها سوى خمسـة أو ستة خطاطين ، فمن الذي حدد عددهم ، تجد المهن النادرة أصحابها قلائـل ، وتجـد المهـن كثيرة جداً وكل إنسان حر في إختيار مهنته ، ولكنك تجد في النهاية تنسيقاً عجيبـاً ، والمهـن موزعة توزيعاً بالتساوي ، فتجد هذا له إتجاه لمهنة الميكانيك ، وهذا للدراسة بالجامعة ، وهذا للبيع والشراء ، وهذا مهندس ، وهذا طبيب ، وهذا محام ، وفي النهاية تجد المحصلة أن لدينا أطباء ومهندسين ومحامين وأصحاب حرف ومدرسين ودعاة ، فتجد في هذا الكـون تنسـيقاً عجيباً والإنسان مخير ، فبالرغم من أنه مخير هناك تنسيق عجيب ، فمعنى **الجامع** هنـا أنـه جمع عباده وألف بينهم ، ومعنى التأليف هو التنسيق .

وإليك معنى آخر .. أن الله سبحانه وتعالى جمع قلوب الأحباب فقد قال تعالى :

وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾

(سورة الأنفال)

فقد جمع القلوب .. فزوج وزوجة .. فهذا من أسرة وهذه من أسرة ، هذا من بيئـة وهي من بيئة أخرى ، هذا له ثقافة مغايرة وهي لها ثقافة ، يتزاوجان ، فتجد أقـرب إنسـان

للرجل في الحياة زوجته وأقرب رجل في حياتها زوجها ، فمن ألف بين القلوب فقد قال تعالى :

وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾

(سورة الروم)

من آياته الدالة على عظمته ، أن الإنسان يلتقي مع شبيهه ، مع مثيله أو صنفه ، مع من يلتقي ؟ يلتي مع من يشبهه في فكره وفي قيمه وفي أخلاقه فمن ألف بين القلوب ومن جمع بين الشتات ؟ هذا من معاني اسم **الجامع**.

لو فرضنا طائرة إحترقت ومات فيها إنساناً ، فكيف يجمع الله رفاته ؟ رفاته التـي احترقـت تجمع يوم القيامة فقد قال تعالى :

بَلَىٰ قَـٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّىَ بَنَانَهُۥ ﴿٤﴾

(سورة القيامة)

كيف ؟ .. وقد قال تعالى :

هَـٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ۖ جَمَعْنَـٰكُمْ وَٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾

(سورة المرسلات)

الجمع واسع جداً .. جمع خلقه ، جمعهم في الدنيا ، فقهرهم علـى أن يجتمعـوا .. ولندقق متأملين .. قهرهم على أن يجتمعوا ، فالإنسان مهما كان ذكياً فهل بإمكانه أن يعـيش وحده ؟ فهو يحتاج إلى خبزٍ ليأكله ، فلو كان يعيش وحده لإحتاج إلى أن يزرع ، أن يحـرث الأرض وأن يسمدها ويقلبها ويحصد محصولها ، وأن يطحن وأن يخبز فمعنى ذلك يبذل جهداً مستحيلاً ، ويحتاج إلى ثياب ، لكن الله سمح لك ان تُتقن حاجة وأن تفتقر إلـى الكثيـر مـن الحاجات ، فأنت مقهور أن تجتمع فهو الذي جمعنا مع بعضنا بعضاً، قال تعالى :

وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا
وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ
إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا
﴿١٤٠﴾

(سورة النساء)

"**إن الله جامعُ المُنَافقين والكافرين في جهنم جميعا** " .. يجمع ويفـرق ، يؤلـف ويحبب .

وقيل : " **الجامع** هو الذي يجمع أجزاء الخلق بعد تفرقها عند الحشر والنشر للحساب والجزاء ، أو يجمع الخلق في موقف القيامة ".

وقال بعض الأئمة ومنهم الإمام الرازي في تعريف **الجامع**

" هو الذي يجمع قلوب أوليائه إلى شهود عظمته ، ويصونهم عن ملاحظة الأغيار برحمته " .

أيها القراء الكرام ... إسم **الجامع**إسم عظيم وهو إسم ذو معانٍ لا تنفُذ كثيرةٌ جداً .. ولعل من أجل معاني هذا الإسم أنه يجمع الخلق ليحاسبهم ، وأنت من أجل أن تعرف عظمـة هذا الاسم حاول أن تدعو مائة شخص لعقد قران ، فهذا يحتاج إلى إتصال هاتفي ، وهذا ليس لديه هاتف ، وهذا ذهبت إليه فلم تجده ، فالأمر صعب ولا يعرف قيمة الجمع إلا من أراد أن يجمع حتى يخبر المائة مدعو يقول لك : هلكت .. فقد بذلت جهداً فوق طاقتي .. وهـذا فقـط للإعلام فكيف أن يأتوا جميعاً إليك.. فإسم **الجامع** لا يعرفه إلا من أراد أن يجمع الناس علـى احتفال أو لقاء ، وهذه صورة مصغّرة جدا ، فالأمر صعب جدا ، أما ربنا عز وجل كل هؤلاء الخلق يجمعهم يوم القيامة ليحاسبهم في وقت يسير وعلى صعيد واحد.

قال القشيري : " **الجامع** في وصفه تعالى بمعنى الحاشر للخلق والناشر لهـم يـوم القيامة للثواب والعقاب " .. يجمعهم ويحاسبهم .. بل إنه يجمع لحومهم المتفرقة .. هذا مـات في البحر غرقاً ، وهذا مات في الجو احتراقاً ، وهذا دفن في صحراء ، وذاك دفن في سـفح جبل ، حتى لحوم هؤلاء الموتى نفسها تجمع يوم القيامة .. وجلودهم المتمزقـة ، وعظـامهم النخرة ، وهو **الجامع** بين الأشكال والأمثال، وبين المختلفات والأضـداد كالجمـاد والنبـات والحيوان .

فمثلاً الماء .. فاسأل كل علماء الفيزياء والكيميـاء فيقولـون لـك : أوكسـيجين وهيدروجين وهما غازان ، ولكن الهيدروجين شديد الاشتعال والأوكسيجين غاز يساعد علـى الاشتعال ، والماء جمع بينهما وبه تُطفأُ النار .. إسم **الجامع** فبالماء تطفأ النار ، والماء أساسه غازان أحدهما شديد الإشتعال ، والثاني يساعد على الإشتعال وقد جمعا في الماء ، والدليل إذا كان لديك مدفأة تعمل على الوقود السائل فوضع عدة نقاط من الماء مع الوقود يجعل الشـعلة تتألق ويحدث شبه إنفجارات لتحلل الماء إلى غازين وهذان الغازان ساعدا علـى الاشـتعال ، حتى أعلمني بعض الإخوة في بعض الأفران يضعون نقطة من الماء بنظام معين مع الوقـود السائل ليزداد اشتعاله .. فكيف جمع الأوكسيجين والأيدروجين بالماء ؟

نضرب لكم أمثلة بسيطة لا تحتاج إلى بحوث علمية .. فالدجاجة ماذا تأكل ؟ تأكـل كل شيء حتى الفضلات ، وحتى فضلات الإنسان ، وتقدم لك بيضاً ، وهـذا البـيض شـيء مدهش فهو يحتوي على أربعة عشر فيتامينـاً ، وبروتينات ومواد دهنيـة ، ومـواد كلسـية ، والدليل أن هذه البيضة تنقلب إلى فرخ صغير - صوص - ، معنى ذلك أن فيها خلقًا كـاملاً ففيها من العناصر التي يتكون منها هذا المخلوق كـالمنغنيز والحديـد والكالسـيوم والمـواد البروتينية والمواد الدهنية والعديد من المواد .. فلو أنت قمت بجمع طعام الدجاجة وضعته بين أيدي أكبر علماء الأرض وأعظم المخابر وتركته يعملون ليلاً نهاراً يطحنون ويضيفون مـواد كما يشاؤون ولكن في النهاية هل يستطيع الخلق جميعاً أن يصنعوا من هذا الطعام التي تأكلـه الدجاجة بيضة ؟

الأبقار ماذا تأكل ؟ تأكل مواد نباتية وتعطيناً حليباً ، فهل في إمكـان أهـل الأرض جميعاً أن يصنعوا من هذه الحشائش التي تأكلها البقرة حليباً خالصا سائغاً للشاربين ؟ مستحيل أن يفعلوه .. فكيف جمع هذه المواد ؟ فقد أطلعني أخ يعمل في هذا المجال على بحـث عـن حليب الأبقار ، فثدي البقرة عبارة عن غدة كالقبة مغطاةٌ بشبكة من الأوعية الدموية بالغة الدقة وهذه القبة مجموعة من الخلايا تسمى الخلايا الثديية ، وهذه الخلية تأخذ حاجتها مـن الـدم ، والدم ماذا به ؟ به مواد كالبروتين والعناصر المعدنية الكالسيوم والمنجنيز والحديد ، وفيه مواد سكرية ومواد دهنية وشحوم ، وحمض البول وهو الفرث ، فالفرث يطلق على أنواع ثلاث .. فرث سائل ، وفرث صلب ، وفرث غازي ، فالإنسان عندما يستنشـق الأوكسـيجين وهـذا الأوكسيجين يتفاعل مع الدم فتحترق المواد بهذا الأوكسيجين والناتج عن هذا الإحتـراق هـو غاز الفحم أي ثاني أوكسيد الكربون وهذا الغاز هو فضلات أي فرثٌ غازي ، وحمض البول فرثٌ سائل ، والروث فرثٌ صلب فقد قال الله عز وجل :

وَإِنَّ لَكُمْ فِي ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٦٦﴾

(سورة النحل)

هذه الخلية الذبية ، كيف جمعت هذه المواد فيها بنسب رائعة تتناسب مع حاجة الإنسان ، هذا عمل اسم **الجامع** .

قال : " هو **الجامع** قلوب أوليائه إلى شهود تقديره ليتخلصوا من أسباب التفرقة فيطيب عيشهم لأنهم لا يرون الوسائط ولا ينظرون إلى الحادثات إلا بعين التقدير ".

وقيل : " **الجامع** سبحانه هو الذي جمع بين الكثيف واللطيف ، جمع بين قلوب المؤمنين ، ألف بين أرواح المحبين ، هو الذي جمع في الإنسان روحاً من نور وجسماً من ظُلمة ، ونفساً أمارةً وعقلاً مستضيئاً ".

فأوضح شيء نأخذه إجتماع القلوب .. الأم وابنُها .. ما هذا الجمع؟ فقد لا يهدأ لها عيش إلا إذا كان معافى ، لا تشبع إلا إذا شبع ، ولا تنام إلا إذا نام ، لا تسعد إلا إذا سعد من جمع هذه العواطف والقلوب ووحد بينها ؟

أيها القارىء الكريم ... أحياناً يجمعك الله جل جلاله مع إنسان على غير ميعاد ، فملاحظة دقيقة جداً فقد تركب سيارة بعد انتظارك لها لفترة ثم تمشي على قدميك فإذ بهذا الإنسان تراه وجهاً لوجه ، فكيف حرك الله هذا الإنسان وحرك الآخر وكيف التقيا في ذاك مكان ؟ وأحياناً هذا اللقاء قد ينتج عنه خير كثير ، وهذا من تسيير الله عز وجل أن يجمعنا على غير ميعاد .

فقد ذكر لي أحد الإخوة وكنا في دعوة فوجدته مهتماً إهتماماً كبيراً بما أقول ، فقال لي : في إحدى المرات كنت أسير من أمام مسجد الشيخ عبد الغني النابلسي فأذن المغرب فدخلت لأُصلي فوجدت جمعاً غفيراً فجلست وقد ألقيت درساً .. وكنت أعاني من مشكلة وأقسم بالله لو أنني حدثتك عن مشكلتي مائة مرة وكلفتك أن تضع لها حلولاً ما سمعت معالجةً لمشكلتي مع طرح حلولها كما سمعت في هذا الدرس .. وأنا والله لا أعرفه ، فقلت سبحان الله الملهم فكيف ساقه الله إلى باب هذا المسجد وكيف دخل إليه وكيف أُلهمت أن أُعالج قضيةً يعاني منها ، وأن أطرح حلاً لها .. هذا الجمع من قبل الله عز وجل .. فهذا الموضوع يمكن أن نذكر عليه ألف قصة أو أكثر ، كيف أن الله جمعك مع فلان ومع فلان ، فقد قال تعالى :

إِذْ أَنتُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلدُّنْيَا وَهُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلْقُصْوَىٰ وَٱلرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ ۚ وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَٱخْتَلَفْتُمْ فِى ٱلْمِيعَٰدِ ۙ وَلَٰكِن لِّيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَىَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٤٢﴾

(سورة الأنفال)

" ولو **تَواعدتم لاخْتَلَفْتُم في الميعاد** " .. فأحياناً الإنسان قد يضيع منه شيء يقـول : اللهم يا **جامع** الناس ليوم لا ريب فيه اجمع بيني وبين حاجتي .. فيلتقي بحاجته ويجدها .

ولقد ورد هذا الاسم في القرآن الكريم قال تعالى :

رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٩﴾

(سورة آل عمران)

سيجمعنا جميعاً ليحاسبنا .. وفي سورة النساء قال تعالى :

" **وقد نَزلَ عليكُم في الكتَابِ أن إذَا سمعتُم آيات الله يُكْفَرُ بها ويُستَهزأُ بها فَلا تَقْعُدُوا معهُم حتى يخُوضُوا في حديث غَيره إنكُم إذًا مثْلُهُم إن الله جامعُ المُنَافقين والكَافرين فـي جهـنم جميعا** "

وفي سورة النساء أيضاً قال تعالى :

ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۗ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ﴿٨٧﴾

(سورة النساء)

وفي سورة الأنعام قال تعالى :

قُل لِّمَن مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُل لِّلَّهِ ۚ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾

(سورة الأنعام)

وفي سورة الكهف قال تعالى :

۞ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِى بَعْضٍ ۖ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَجَمَعْنَٰهُمْ جَمْعًا ﴿٩٩﴾

(سورة الكهف)

وفي سورة سبأ قال تعالى :

قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٦﴾

(سورة سبأ)

وفي سورة الجاثية قال تعالى :

قُلِ ٱللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾

(سورة الجاثية)

وفي سورة الشورى قال تعالى :

وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾

(سورة الشورى)

وفي التغابن قال تعالى :

يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِ ۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَـٰلِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُدْخِلْهُ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٩﴾

(سورة التغابن)

وأخيرًا فإن من آداب العبد مع هذا الإسم كما قال الإمام الغزالي .. أن تجمع بين الآداب الظاهرة في الجوارح ، وبين الحقائق الباطنة في القلوب ، فمن كملت معرفته ، وحسنت سيرته فهو **الجامع** .

لذلك قيل : الكامل من لا يطفأ نور معرفته ، ونور ورعه ، **والجامع** من جمع بين البصر والبصيرة ، من جمع بين الحق وأهله ، والدنيا والآخرة ، والحقيقة والشريعة ، هذا مما ينبغي أن نفعله إقتداءً بإسم **الجامع** .

وبعد ، هذا الذي تكلمت عنه حول اسم **الجامع** هو غيض من فيض ، وكل واحد منا ينبغي أن يسير في أنماط التفكير التي يمكن أن يستزيد منها في معرفة اسم **الجامع** .

والحمد لله رب العالمين

الدرس ٦٨ - اسم الله : "الواجد"

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الإخوة المؤمنون ... مع الدرس الثامن والستين مـن دروس أسـماء الله الحسنى ، الإسم اليوم **الواجد** ، وقد ورد هذا الاسم في الأحاديث الشريفة التي ذكر فيها النبـي المصطفى صلّى الله عليه وسلم أسماء الله الحسنى .

الواجد أيها الإخوة من حيث اللغة .. فيه معنى الغنى من **الجِدى** أي الغنى ، و**الواجد** فيه معنى العلم كما في قوله تعالى :

وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾

(سورة الضحى)

وجدك أي علمك ، **والواجد** أيضاً في معنى الشعور النفسي ، **فالوجـد** الغضـب .. **أوجدت** علي . قال نعم .

يروى أن سيدنا عمر رضي الله عنه كان عنده أبو الحسن سيدنا علي كرم الله وجهه ، فجاء رجل من أهل الكتاب يرفع شكوى إلى سيدنا عمر على سيدنا عليٍ بن أبي طالب ، فما من كان من هذا الخليفة العظيم إلا أن قال لسيدنا علي : يا أبا الحسن قم فقف إلى جنب الرجل .. ليستوي الخصمان .. فلما حكم بينهما رأى سيدنا علياً كرم الله وجهه قد تغير فقال : يا أبـا الحسن أوجدت علي ؟ قال : نعم . قال : ولِم ؟ قال : لما ناديتني يا أبا الحسن ولم تقل لي يـا علي ، لقد كرمتني وفضلتني عنه . وليس هذا من العدل المطلق ، فقد كان أصحاب النبـي رضوان الله عليهم يحاسبون أنفسهم حساباً لا يصدق .

فسيدنا أبو حنيفة النعمان وهو من التابعين رفض أن يقف في ظل بيت مرتهن عنده لئلا ينتفع بظل البيت ، لأن كل رهنٍ جر نفعاً فهو ربا.. أي فيه شبهة الربـا . وعلـى كـلِ ركعتان من ورع خير من ألف ركعة من مخاط ، ومن لم يكن له ورع يصده عن معصية الله إذا خلى لم يعبأ اللهُ بشيء من عمله .

الوجد .. شعور نفسي ، إما أنه الحب ، وإما أنـه الغضـب .. **أوجـدت** علـي .. أغضبت علي ، أما : **وجد** فلان بفلانه .. أي أحبها .

فلا زلنا في اللغة .. ف**الواجد** فيه معنى الغنى من **الجِدى** وهي السعة والغنى، وفيه معنى العلم كما في قوله تعالى " **ووجدك ضالا فهدى** " والقول : **وجدت** العلم نافعاً . وفيه معنى الحـب ، وفيه معنى الغضب .

الآن .. **الموجود** خلاف المعدوم ، هناك المعدوم ، وهناك **الموجود** .. فربنا سبحانه وتعالى واجب **الوجود** وما سوى الله عز وجل ممكن **الوجود** أي سبقه عدم وسينتهي إلى عدم ، فالله سبحانه وتعالى هو الأزلي الأبدي ، هو القديم الباقي ، هو الذي لا شـيء قبلـه ، ولا شيء بعده .

ما سوى الله عز وجل معدوماً أي سبقه عدم وسينتهي إلى عدم في الدنيا ، أما النفس البشرية سبقها عدم وسوف تبقى إلى أبد الآبدين في جنة ربها أو في النار ، فـي الآخـرة .. وهي وحدها النفس البشرية في الدنيا قد سبقها عدم وستنتهي إلى عدم عند المـوت ، ولكـن النفس البشرية في الآخرة ، سبقها عدم وهي خالدةٌ في جنة ربها في نعـيمٍ لا ينفـد ، أو فـي عذابٍ لا ينفد .

هناك معنى آخر **للوجد** .. **وجدتُ** طعم الشيء أي أدركته ، لكن هناك معنيٍ أخـرى لكلمة **الوجد** .. **فالواجد** هو الغني الذي لا يفتقر ، فالمؤمن هو عبد الغني ، عبد الرزاق ، عبد الرحيم ، عبد القوي ، عبد الحكيم ، عبد الولي ، عبد الرؤوف ، فإذا كنت مع الله فهذه أسماؤه الحسنى.

الواجد .. الغني الذي لا يفتقر ، **والواجد** هو الذي لا يضل عنـه شـيء ، فأحياناً الإنسان لضعفه يقول : بحثت عنه كثيراً فلم **أجده** ، أي احترت في أمري فأين **أجـده** ، فاتـه الشيء غاب عنه ، لكن الله سبحانه وتعالى هو **الواجد** الذي لا يضل عنه شـيء ، ولا يفوتـه شيء ، الله جل جلاله **الواجد** .. قال : " هو الذي **يجد** كل ما يطلبه ويريده ".

فالإنسان قد يطلب آلاف الطلبات ولا **يجدها** ، يريد آلاف الأهداف ولا يحصـلها ، لكن الله سبحانه وتعالى لا يضل عنه شيء ولا يفوته شيء ، وهو الذي **يجـد** كل مـا يطلبـه ويريده ولا يعوزه شيء من ذلك ، ولا يعجزه شيء ذلكم الله رب العالمين ، أي شتان بين من يكون عبداً لغير الله وبين من يكون عبداً لله .

ولندقق في معنى ما أقول .. ففي الإنسان ضعفاً فطرياً خَلْقي ، فقد أراده الله ضعيفاً ، وهذا الإنسان الضعيف لا بد من جهة يلجأُ إليها ، يعتمد عليها ، يلوذُ بها ، يحتمـي بهـا ، يتقوى بها كي تطمئن نفسه ، فإما أن تلوذُ بالله ، فإما أن تلجأ إلى الله ، فإما أن تعتـز بـالله ، فإما أن تقبل على الله ، وإما أن تكون عبداً لعبد لئيم ، تتوهمه قوياً فتخضع لـه ، تتوهَمعـه يرفعك فتُقبل عليه ، تتوهمه قادراً على ان يفعل كل شيء فتبيعه دينك بدنياه ، فلأن الإنسـان في ضعف فلا بد من أن يكمل ضعفه ، فإما أن يعبد الله ، وإما أن يعبد غير الله ، فيعبد أحساناً

الأقوياء أو الأغنياء أو الأشخاص الذين يتوهم أنهم ينفعلون ما يريدون وهذا هو الشرك بعينه .

الإمام الغزالي يقول : " **الواجد** هو الذي لا يعوزه شيء ، والذي يحضره ما لا تعلقَ له بذاته لا يسمى **واجداً** ، والذي لا يحضره ما لا يتعلقُ بكمال ذاته لا يسمى **واجداً** ".

أما الذي يعوزه شيء هو الفاقد وليس **الواجد** .. فأحياناً الإنسان يفتقد إلى أشياء كثيرة ، فيفتقد إلى من حوله فقد يفتقدهم ولا **يجدهم** ، يفتقد إلى حاجات كثيرة لا يحصلُها ، لكن هناك تعليقاً لطيفاً وهو أنه من فاته ما ليس بحاجة به إلى **وجوده** لا يسمى فاقداً.. فلو أنك فاتك شيء لا تحتاجه إنك لا تُسمى فاقداً ، أما إذا فاتك شيء أنت في أمس الحاجة إليه عند إذ تُسمى فاقداً ، فالإنسان فاقد ، فقد يفقد مقومات حياته ، قد يفقد صحته ، قد يفقد ماله ، قد يفقد أهله ، قد ينفض الناس من حوله ، قد يتخلى عنه أولاده ، فاقد ، لكن الله **واجد** .. فإذا شيء أراده فهو في قبضته ، وكل شيء طلبه قادر عليه .

أما **الواجد** هو الذي يجد ما هو بحاجة إليه ، أو ما هو مكملٌ له ، لكن الله سبحانه وتعالى يحتاجه كل شيء في كل شيء ، وبه يكمل الشيء ، ثم إن بعض العلماء يقول : " **الواجد** كل ما لابد منه في صفات الألوهية وكمالها فهو موجود لله تعالى ".

فمن بعض التعبيرات نقول : من لوازم كمال الله تعالى أنه يعلم ، ومن لوازم كمال الله أنه قادر ، من لوازم كمال الله أنه مريد ، من لوازم كمال الله أنه فعال ، **فالواجد** هو الذي يجد كل صفات كماله ، صفات كماله واجدةٌ له .

ليس إلا الله هو **الواجد** المطلق .. تعلمون أيها الإخوة أن الإنسان إذا اتصف بصفة فهذا الإتصاف نسبي ، أما إذا اتصف الله عز وجل بصفة أو سمى إسمه بإسمٍ فهذه التسمية أو ذاك الإتصاف مطلق .

أي أن لو أن إنساناً واحداً من بين خمسة آلاف مليون إنسان الآن يعيشون في القارات الخمس ظُلم ظلماً حقيقياً لا ظلماً ظاهراً فالله سبحانه وتعالى لا يسمى العادل ، أما هناك ظلم ظاهري كثير لقوله تعالى :

وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٢٩﴾

(سورة الأنعام)

فالظالم لنفسه قد يسوق الله له ظالماً يظلمه ليعيده إلى جادة الصواب ، ليدفعه إلى باب العبودية ، أما الظلم الحقيقي المطلق لا وجود له ولو وجد لما كان الله عادلاً ، لأن الله

عز وجل عدالته مطلقة ، فلو حكم قاضياً مائة حكمٍ ، لو كانت الأحكام تسعون بالمائـة منهـا عادله يسمى القاضي عادلاً ، أما ربنا عز وجل لأنه مطلق ، فهو كمال مطلق ، وعدل مطلق ، وراحة مطلقة ، وقدرة مطلقة ، وغنى مطلق ، فلا يليقُ بحق الله عز وجـل النسـبية فـي الأسماء ولا في الصفات ، فالنسبية من شأن الإنسان ، أما الإطلاق من شأن خالق الإنسان .

فربنا عز وجل عدالته مطلقة وقدرته مطلقة فلا يعجزه شيء ، وعلمه مطلـق فـلا يغيب عنه شيء ، واجد لكل شيء ، كل شيء في قبضته، كل شيء رهن إشارته ، كل شيء مقهور له .. ذلكم الله رب العالمين .

فأحياناً يكون الإنسان ضعيفاً ، ولكن إذا كان الله معه ليس ضعيفاً .. فأحب أن أضع فكرةً بين أيديكم ونحن في أمس الحاجة إليها .. فمن يراقب الأحداث قد يجد بين أُناسٍ وأُناسٍ آخرين بوناً شاسعاً ، ومسافةً كبيرةً، والهوة تتفاقم بينهما وكمثالاً على ذلك .. جهل ، علـم ، ضعف ، قوة، تخلف ، تقدم ، يقول لك : نحن ضعاف . لكن لو كنت مع الله وكان الله معـك كنت أقوى من أقوى قوي ، لأن الإله المطلق مع المؤمنين ، إذاً فمهما يكن هناك من أخطـاء أو من ضعف فهذا الضعف يرمم ، لأن الإنسان أحياناً حينما تضعف معنوياته يضعف عملـه فقد قال تعالى :

وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾

(سورة آل عمران)

" **وأَنْتُم الأعلون** " .. وقال تعالى :

وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا۟ وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾

(سورة آل عمران)

فأخطر شيء يصيب الأمة أن تضعف ، أن تستخزي ، أن تتطامن أمـام عـدوها ، المؤمن مع الله وإذا كان الله معك فأنت أقوى الأقوياء ، وإذا كان الله معك فأنت أعلم العلماء ، وإذا كان الله معك فأنت أحكم الحكماء .. فالله عز وجل قال :

وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾

(سورة الأنفال)

الله عز وجل ما كلفنا أن نُعد القوة المكافئة ، لكن أمرنا أن نُعـد القـوة المتاحـة ، وهناك فرقٌ كبير بين القوة المكافئة والقوة المتاحة ، إننا إن أعددنا القوة المتاحـة تـولى الله بإمدادنا بما نحتاج إليه كي ننتصر على اعدائنا ، فالقضية قضية إيمان ، قضية شـعور ان الله لا يتخلى عن المؤمنين، بل إن كل خطة يضعها الكافر وتبدو لنا محكمةً ، وتبدو لنـا مدعمـةً بقوة جبارة ، إن كل خطة يضعها الكافر تستوعبها خطة الله عز وجل ، ولا ينفذ منها إلا مـا يسمح الله به .. هذا شعور المؤمن ، هذا المؤمن الموحد ، هـذا المـؤمن الـذي لا تضـعف معنوياته ، ولا تتطامن نفسه أمام أعدائه .

إذاً الله عز وجل **واجد** مطلقاً .. يجب أن نقف على هذا التعبير.. اتصاف الله بصفاته الفُضلى ، وأسمائه الحسنى اتصافٌ مطلق ، أي عالم لا يعجزه شيء ولا يغيب عنه شيء ، قدير قدرته متعلقةٌ بكل شيء .

هناك بعض الفرق الإسلامية كالصوفيون الذين يستخدمون هذه العبارة : **الواجـد** .. من **الوجد** ، و**الوجد** عندهم ما يجده الإنسان وما يصيب قلبه من الأحوال .

والحقيقة نحن بحاجة إلى علمٍ ، وإلى حال ، فالعلم شيء والحال شيء آخر ، فالعلم هو إدراك الحقائق ، أما الحال الإتصال بالله عز وجل ، فالحال وقود والعلم مقود ، أنت بالعلم تُسير ذاتك تسييراً صحيحاً، لكن الحال يدفعك إلى الله عز وجل .. الحال هو ثمرةٌ من ثمرات الإستقامة والعمل الصالح ، فأنت استقمت ، أنت عملت عملاً صالحاً .. ماذا تتوقع من الله عز وجل ؟ أن يملأ قلبك غنى ، فغنى النفس حال ، أن يملأ قلبك أمناً ، أن يملأ قلبك رضـاً ، أن يملأ قلبك ثقةً بالله عز وجل ، أن يملأ قلبك حباً، أن يملأ قلبك قرباً ، فحـال الثقـة بـالله ،

والطمأنينة ، والحب ، والشوق .. هذه أحوال ، وهذه الأحوال هي غذاء القلب ، لأن الله عـز وجل قال :

ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴿٢٨﴾

(سورة الرعد)

كما أن عقلك بحاجة إلى علم ، قلبك بحاجة إلى ذكر ، فالذكر يطمئن القلب ، لـذلك جناحان لا يستغني المؤمن عنهما معاً ، جناح العلم ، وجناح الحال ، الحال يدعى ، لكن نحن نقول : الحال هو السكينة التي يلقيها الله في قلب المؤمن مكافأةً له على إستقامته وعلى طاعته وعلى عمله الصالح .. يمكن أن تدعي أنك قريب من الله ، لكن هذه الدعوى لا قيمة لها، هذا شيء يعرفه من ذاقه .

ف**الوجد** .. م**ا يجده** الإنسان ، ويصيب قلبه من الأحوال ، وأنتم تعلمون علم اليقين أن الإنسان عقب عمل صالح ، عقب تلاوة قرآن ، عقب صلاة متقنه ، عقب ضبط الـنفس ، عقب ضبط اللسان ، أو إذا ضحى بشيء، قدم شيء لله عز وجل يشعر بسعادة ، وهذه السعادة هي الحال ، فيصح أن تسميها سكينة ، أو تسميها رحمة ، أو تسميها قـرب ، أو تجلـي ، أو تسميها أن الله سبحانه وتعالى قذف في قلبه نورا ، فيقولون : فلان قلبه منور .. فلا شـك أن المؤمن الصادق المستقيم المخلص له احوالٌ يتميز بها سائر الناس ، يتميز بشـكلٍ صـارخ ، بشكلٍ واضح ، والدليل قوي وهو قول الله تعالى :

۞ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلۡخَيۡرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾

(سورة المعارج)

أصل جبلته هلوع .. فما معنى هلوع ؟ الله قد فسرها لنا فقال : "**إِذَا مسه الشـر جزوعا** " .. أي شديد الجزع أي كثير الخوف ، " **وإِذَا مسه الْخَير منُوعـا** " يخاف مرتين ، يخاف من خطرٍ ، ويخاف على ما في يديه ، يخاف من خطرٍ داهم ، ويخاف على ما في يـده ، الخوف من خطرٍ داهم يجعله جزوعاً ، والخوف على ما في يديه يجعله بخيلاً حريصاً :

۞ إِنَّ ٱلۡإِنسَـٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلۡخَيۡرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلۡمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾

(سورة المعارج)

المصلي ليس جزوعاً وليس هلوعاً وليس منوعاً ، هذا هو الحال، معنى الحال ، أي أنت غير علمك وتصوراتك الصحيحة عن الكون وغير ثقافتك الإسلامية ، وغيـر معرفتـك لمنهج الله هناك شيء آخر ، قلبك ممتليء محبةً لله ، قلبك ممتليء طمأنينة ، قلبـك ممتلـيء سعادة ، قلبك ممتلئ رضا ، قلبك ممتليء رحمة ، قلبك ممتلئ إنصاف ، إن مكارم الأخـلاق مخزونة عند الله تعالى فإذا أحب الله عبداً منحه خُلقاً حسن .

إذاً **الوجد** في المصطلح هو الإنسان الذي أصابه **الوجد** ، أي ما يجده من أحوال في قلبه ، فأنتم بربكم أحياناً يشعر الإنسان بإنقباض ، أو يحس بكآبة ، أو بـإنطلاق ، أو يحـس بالغنى الحقيقي ، يكون إنسان عادي ودخله محدود وهو من عامة الناس ، يشعر أنه غني وأن الله سبحانه وتعالى تفضل عليه بالمعرفة ، وتفضل عليه بالقرب ، وأمـده بـالتوفيق ، هـذا الشعور بالغنى والشعور بالطمأنينة ، والشعور بالرضا ، والشعور بالأمن ، فقد قال الله عـز وجل :

وَكَيۡفَ أَخَافُ مَآ أَشۡرَكۡتُمۡ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمۡ أَشۡرَكۡتُم بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ عَلَيۡكُمۡ سُلۡطَٰنٗاۚ فَأَيُّ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ أَحَقُّ بِٱلۡأَمۡنِۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٨١﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴿٨٢﴾

(سورة الأنعام)

أيها الإخوة .. الآن خطر في بالي لو أن الإنسان تتبع الآيات التي تشير إلى الحـال .. فمثلاً المشرك قال تعالى عنه :

سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعْبَ بِمَآ أَشْرَكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا ۖ وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۚ وَبِئْسَ مَثْوَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥١﴾

(سورة آل عمران)

وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾

(سورة الأحزاب)

معنى ذلك أن المشرك الله عز وجل يقذف في قلبه الرعب ، المؤمن يقذف في قلبـه الأمن فقد قال تعالى : " **وكيفَ أخَافُ ما أشْرَكْتُم ولا تَخَافُون أنكُم أشْرَكْتُم بِالله ما لم ينَزلْ بِه عليكُم سلطَانًا فأي الفَرِيقَين أحق بِالأمن إن كُنتُم تَعلمون الذين آمنُوا ولم يلبِسوا إيمانَهم بِظُلْمٍ أُولئِك لهم الأمن وهم مهتَدون** "

الآن الضيق .. قال تعالى :

وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾

(سورة التوبة)

هناك ضيق .. إذاً فقد قال تعالى :

وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾

(سورة آل عمران)

وقال تعالى أيضاً :

وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسْتَكَانُواْ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾

(سورة آل عمران)

أحوال القلب ... القلب يضعف ، يقوى يذلّ ، يعتز ، يتضعضع ، يتماسك ، ينهار ، يصمد ، يحب ن يكره ، ينقبض ، ينشرح ، هذه هي الأحوال ، والحقيقة أن أحد أكبر ثمرات الإيمان عند المؤمن هذا الحال الذي في قلبه .. شعور الغنى .. المؤمن لا يخـاف إذا خـاف الناس وهذا أكيد ، لا يقلق إذا قلق الناس ، لا يستخزي إذا إستخزى النـاس ، لا يـذل إذا ذل الناس، لأنه مع الله والله هو العزيز هو القوي .

إجعل لربك كل عزك يستقر ويثبت ...
فإذا إعتززت بمن يموتُ فإن عزك ميتُ

قال بعضهم : " **الوجد** .. مكاشفة الأسرار ومشاهدة المحبوب " .

هناك شيء في الدين فوق الصلاة والصيام والحج والزكاة ، وفوق غـض البصـر والتزام الأمر والنهي ، هذا هو الإشراق ، هذا القرب من الله .. هذا هـو الـدين .. مكاشـفة الأسرار ، مشاهدة المحبوب ، ألم يقل لله : يا رب لقد عصيتك فلم تعاقبني !! فوقع في قلبـه : أن يا عبدي قد عاقبتك ولم تدري ، ألم أحرمك لذة مناجاتي .

بربكم ... إستقامتكم ، وإخلاصكم ، وإلتزامكم ، وخوفكم من أن تعصـوا الله عـز وجل ، هذا الحرص على طاعته ألا يلقي في قلبكم الأمن والطمأنينة ، والبشر والسعادة ، هذا هو الوجد الذي تحدث عنه بعضهم .

أيها الإخوة ... يقول الإمام الرازي رحمه الله تعالى : **الواجد** إما أن يكون بمعنـى الغنى ، كما في الحديث الشريف : " لي الواجد ظلم .

أي مماطلة الغني ظلم .. لي أي المماطلة ، **الواجد** أي الغني .. ظلم .

او بمعنى العلم .. كما في الآية الكريمة :

وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٖ يَحۡسَبُهُ ٱلظَّمۡـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمۡ يَجِدۡهُ شَيۡـٔٗا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ٣٩

(سورة النور)

وجدت العلم نافعاً .. أي علمت العلم نافعاً ، أو بمعنى الحزن .. وجد فلان على فلان .. أي غضب منه وحزن منه .

بعض العارفين يقول : **الواجد** هو الذي لا يحتاج إلى شيء ، منزه عن أن يحتاج إلى شيء لأنه يجد كل شيء ، ليس بحاجة إلى شيء من افتقد شيئاً إحتاجه ، لكن الله سبحانه وتعالى لا يفتقد شيئاً ، إذاً هو **الواجد** ، كل الكمالات موجود له .

فأحياناً يقولون لك : فلان ذو علم ولكنه غضوب ، حليم ولكنه جاهل ، يفتقد إلى أشياء كثيرة .

قال : " **الواجد** نافذُ المراد " ، جميع أحكامه لا نقص لها ، فكما قال تعالى :

أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا نَأۡتِي ٱلۡأَرۡضَ نَنقُصُهَا مِنۡ أَطۡرَافِهَاۚ وَٱللَّهُ يَحۡكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكۡمِهِۦۚ وَهُوَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ٤١

(سورة الرعد)

الواجد .. هو الله وحده ، وما سوى الله عز وجل لا يكون **واجداً** إنما يسمى فاقداً ، فالله واجد وما سواه فاقد ، الله عز وجل لا يحتاج إلى شيء لأنه يجد كل شيء ، والإنسان يحتاج إلى كل شيء لأنه فاقد إلى كل شيء ، هذه حقيقة الإنسان وهذا حجمه الحقيقي .

إن وجد في الإنسان بعض الكمالات ، فهو فاقد لأكثرها ، إذا فهو يغلب عليه أنه فاقد ، وحينما توجد فيه بعض هذه الكمالات الله وحده الذي اوجدها فيه .. إن مكارم الأخلاق مخزونة عند الله تعالى فإذا أحب الله عبداً منحه خلقاً حسناً ، حتى الصفات الأخلاقية في الإنسان هي من الله عز وجل.

قال : متى أشرق على قلبك نور إسم **الواجد** .. فهذه الأسماء الحسـنى إذا إقتـرب الإنسان من الله عز وجل يشتق منها بعض الكمال .. إذا أشرق على نفسك نور إسم **الواجـد** **وجدت** جميع الكمالات موجودةٌ لله تعالى مفقودةٌ لغيره .

لذلك المؤمن لا يرى الكمال إلا في الله ، لذلك لا يحـب إلا الله ، ومـا سـوى الله يحسن إليهم يفي بعهدهم ينجز وعده معهم ويفعل كل شيء معهم ، أما قلبه معلقٌ بالله عز وجل .

قالوا : **الواجد** .. هو الغني **الواجد** كل ما يطلب ، المدرك كل ما يريد ، القادر على تنفيذ مراده .. يعلم كل شيء .. من العلم .. ويقدر على كل شيء ، ولا يفوتـه شـيء ، ولا يستعصي عليه مطلوب ، رفيع القدر ، عظيم الشرف ، كامل القدرة ، واسع الجود والعطاء .

هذا إسم **الواجد** .. لكن هناك وجود بمعنى علم ، ووجود بمعنى غنـى ، الوجـود بمعنى العلم .. أحياناً أنت من خلال الحواس تجد ، تضع هذا الطعام على لسانك تقول طعـام مالح ، وجدت ملوحته حينما تذوقته ، فوجدانك لطعم ملوحته عن طريـق لسـانك .. لمسـته فرأيته ناعم الملمس هذا الوجدان عن طريق الحس ، نظرت إليه فرأيته جميلاً ، فهذا الوجدان بمعنى العلم عن طريق الحواس .. وجدت طعمه بلساني ، وجدتُ خشونته ببناني ، أو أحيانـاً الإنسان يجد بقوة الشهوة .. يأكل فيشبع ، يجد الشبع لأنه يشتهي الطعام .

أحياناً يجد بقوة الغضب .. فيوجد عنده طبع نفسي معين يتألم ، أو يسر ، فإذا وجد الألم بسبب قوة الغضب أو بقوة الرضا ، وأحياناً يجد عن طريق عقله .. يقول لك : فكـرت فوجدت .

فهناك وجدان حسي ، ووجدان غضبي ، ووجدان شهواني ، ووجدان عقلي .. لكـن الله سبحانه وتعالى إسمه **الواجد** منزه عن أن يجد بأداة ، أو بوسيلة ، الله جل جلاله منزه عن الوسيلة ، لأن الوسيلة تُعبر عن ضعف .. أنا ضعيف لذلك أستعين بوسيلة ، فالإنسـان الـذي يستخدم المنظار، لماذا يستخدمه ؟ لأن عينه لا تكفي لرؤية المسافات البعيدة فيستخدم المنظار .. إذا ضعفه تجسد في إستعانته بالمنظار .. هذا هو الضعف ، فالله سبحانه وتعـالى واجـد ، لكن هذا الإسم من أسمائه الحسنى لا يليقُ به أن يكون عن طريق آلة أو أداة أو جارحة أو ما شاكل ذلك .

أيها الإخوة الكرام ... الله سبحانه وتعالى وحده **الواجد** وما سواه فاقد .. لذلك قـال بعضهم : الموجودات ثلاثة أضرب .. موجود لا مبدأ له ولا منتهى وهو الله وحده وليس ذلك إلا للباري تعالى ، وموجود له مبدأ ومنتهى كالناس في النشأة الدنيا ، وموجود له مبدأ ولـيس له منتهى كالناس في النشأة الآخرة ، في جنت الخُلد إلى أبد الآبدين .

بالمناسبة .. إسم **الواجد** لم يرد في القرآن الكريم وقد ورد في الحديث الصحيح ، إلا أنه ورد في القرآن الكريم مادة الوجد فقد قال تعالى :

وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ ۗ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ
إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾

(سورة ص)

أي إنا علمناه صابر .. " **نعم العبد إنه أواب** " وقال تعالى :

أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ﴿٦﴾ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾ وَوَجَدَكَ عَآئِلًا
فَأَغْنَىٰ ﴿٨﴾

(سورة الضحى)

الآن .. لكي يكون المؤمن موصولاً بنفحات إسم **الواجد** ينبغي أن يكون **واجداً** لكـل ما يراد منه .. أي تحرى ليجد كل ما أراده الله تعالى منه، فالإنسان إذا سعى وإذا طلب قـال تعالى :

وَمَنْ أَرَادَ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ
كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ
رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾

(سورة الإسراء)

أيها الإخوة الكرام ... إسم **الواجد** من أسماء الله الحسنى ، **الواجـد** هـو الغنـي ، **والواجد** هو العالم ، **والواجد** هو المستغني عن كل شيء ، **والواجد** هو الذي لا يفوته شيء ، وكلما تعمقنا في فهم أسماء الله الحسنى كنا أقرب إلى الله ، وكنا أكثر إستفادةً من معرفـة الله لأن هذه المعرفة تنعكس علينا قرباً ، وسعادةً وتوفيقاً .

والحمد لله رب العالمين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين ، اللهم أعطنا ولا تحرمنا ، وأكرمنا ولا تهنا ، وآثرنا ولا تؤثر علينا ، وأرضنا وأرضى عنا ، وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم .

والحمد لله رب العالمين

الدرس ٦٩ - اسم الله : "المبدي المعيد"

بسم الله الرحمن الرحيم

مع الاسم التاسع والستين من أسماء الله الحسنى ، والاسم هو **المُبدي المُعيد** .

أيها الإخوة ... فضلاً عن أن هذين الاسمين وردا في حديث رسول الله صـلى الله عليه وسلم حينما ذكر أسماء الله الحسنى ، فإن هذين الاسمين يذكرا معاً دائماً ، وقد نوهت من قبل إلى أن العلماء في بعض الأسماء يرون أنه يذكرا معاً ، كأن تقول : المعطـي المـانع ، القابض الباسط، الخافض الرافع ، المعز المذل، الضار النافع ، إنه يضر لينفـع ، ويخفـض ليرفع ، ويذل ليعز ، ويقبض ليبسط ، ويمنع ليعطي .

وهذان الاسمان .. **المبدي المعيد** أِلفا العلماء أيضا أن يذكروهما معاً في بحث واحد ، ولا بد من أن أُنوه مرةً ثانية إلى أن معرفة الله عز وجل تقتضي أن تعرف أسماؤه الحسنى .. لذلك قال تعالى :

وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾

(سورة الأعراف)

والذي يدعوك إلى معرفة الله ، أو الذي يدعوك إلى محبته ، والانقيـاد لأمـره أن تعرف أسماؤه الحسنى ، لأن النفوس جبلت على حب الكمال ، والله سـبحانه وتعـالى جمـع الكمالات كلها .

وسنتعرف أين ورد هذان الإسمان في القرآن الكريم ؟ وبـالطبع فـإن أسـماء الله الحسنى قد وردت في الكتاب والسنة ، لكن بعض الأسماء ورد بالنص الدقيق ، وبعضها ورد بالجذرِ ، أي بالفعل ، كما مر بنا في البحث السابق ، فالله سبحانه وتعالى واجد .. لكنـه ورد في القرآن الكريم:

وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْۗ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًاۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾

(سورة ص)

فلم يرد في القرآن إسم الواجد لكن ورد فعل وجد ، من الوجود أو الوجـد ، وقـد ذكرت ماذا يعني كلمة الواجد .. أي الغني ، الواجد الذي يعلم ، الواجد الذي وجـد عليـه اي غضب منه ، وقد بينت ما يتناسب مع أسماء الله الحسنى من هذا المعنى .

يقول الله عز وجل :

قُلْ أَمَرَ رَبِّى بِٱلْقِسْطِۖ وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۚ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾

(سورة الأعراف)

يقول بعض العلماء وهذا القول حق ورائع : " الشريعة عدلٌ كلها ، رحمـةٌ كلهـا ، مصلحةٌ كلها ، فأية قضية خرجت من العدل إلى الجور ، من المصلحة إلى المفسـدة ، مـن الرحمة إلى خلافها فليست من الشريعة ولو أُدخلت عليها بألف تأويلٍ وتأويل " .

"**قُلْ أمر ربي بالقسط وأقيمُوا وُجُوهكُم عنْد كُل مسجِد وادعُوهُ مُخْلصين لـهُ الدين كما بدأكُم تعُودُون** " : بدأكم ... تعودون ، **المبدىء المعيد** .

في هذه الآية وردت الإشارة إلى اسم الله **المبدي** وإلى اسم الله **المعيد** ، وفي سـورة الأنبياء قال تعالى :

يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِۚ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥۚ وَعْدًا عَلَيْنَآۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٠٤﴾

(سورة الأنبياء)

وفي سورة النمل قال تعالى :

أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦٤﴾

(سورة النمل)

وفي سورة العنكبوت قال تعالى :

قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾

(سورة العنكبوت)

وفي سورة الروم قال تعالى :

ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾

(سورة الروم)

وفي السورة نفسها قال تعالى :

وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾

(سورة الروم)

وفي سورة البروج قال تعالى :

إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾

(سورة البروج)

فالإنسان أحياناً يقول : والله قد فعلت هذا الأمر ولكنّي لا أستطيع أن أُعيده . أي جاءته معونةٌ خاصة خارجةٌ عنه ، فإذا كلفته أن يعيده لا يستطيع ، فالإنسان من ضعفه أحياناً

تأتيه بوارق ، حالات إستثنائية، إشراقات ، فهو لا يملك هذا الإشراق دائماً ، فكل من يعمـل في أعمال الفكر أو الإبداع ، يعرف أن الإبداع لا يأتيهم متى يشاؤون ، الإبـداع قـد يـوافي الرجل ، وقد لا يوافيه ، فمعنى ذلك أن الإنسان مفتقر ، أحياناً يبدع في إلقاء كلمة ، يبدع في قراءة ، يبدع في فكرة ، يبدع في إكتشاف ، لكن قد لا يبدع أحياناً.

قال بعضهم : " العبقرية تسع وتسعون بالمائة عرق وواحد بالمائـة إلهـام"، وهـذا الشيء ثابت فكل الأدباء والكتاب والشعراء ، حتى كل الأعمال التي تتسم بالإبداع أصـحابها يعترفون أنه في بعض اللحظات يأتيهم إشراق ، في بعض اللحظات تأتيهم معونة ، في بعض اللحظات يتألقون ، ولكن هذه اللحظات لا يملكونها ، تأتيهم أو لا تأتيهم ، ولذلك الذي فعلتـه اليوم بإشراقة أو بإبداعٍ أو باستثناء لا تملك أن تُعيده وهذا من ضـعف الإنسـان ، لكـن الله سبحانه وتعالى كل شيء خلقه يعيده مرةً ثانية كما ورد في الآية الكريمة :

" **وهُو الذي يبدأُ الخَلقَ ثُم يُعيدُهُ** " .

في اللغة العربية بدأ وابتدى بمعنى واحد .. ولكن لي تعليقٌ على هذا الكلام هـو أن كل زيادة في المبنى تدل على زيادة في المعنى وهذا في أصل اللغة ، فسوف غير السين فقط - س - سأفعل كذا غير سوف أفعل كذا ولا شك في ذلك ، مثلاً : كتب غير إكتَتَب .. فكتب أي كتب رسالة ، واكتتب أي إتخذ الكتابةَ مهنةً له .

بدأ الله الخلق .. أي خلقهم وأوجدهم ، فلان لا يبدي ولا يعيد أي ليست له حيلة ، لا يفعل شيئاً باديء ذي بدء ، وليس بإمكانه أن يعيده ، إذاً ضعيف ولا حيلةَ له ، قاصر .

وفي سورة سبأ قال تعالى :

قُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَـٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴿٤٩﴾

(سورة سبأ)

الباطل ضعيف ، الباطل زهوق وقد قال تعالى :

وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَـٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَـٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾

(سورة الإسراء)

والله عز وجل عندما قال "**إن الباطلَ كان زهُوقًا** " زهوق علـى وزن فعـول أي شديد الزهوق ، وصيغة المبالغة دائماً في اللغة تعني شيئين ، تعني الكم وتعني الكيف ، أي أن

أكبر باطل زهوق ، وأكثر باطل زهوق ، فلو كان هناك مليون باطل ، وبالطبع هناك باطـل إعتقادي ، وباطل فكري ، وباطل سلوكي ، أي شيء خلاف المنهج فقد قال الله تعالى :

وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾

(سورة الأنعام)

فالحق واحد لا يتكرر ، الحق واحد كما أن بين نقطتين يمر مستقيم واحد فقط ، ولو مررنا مستقيم آخر لانطبق على الأول ، فبين نقطتين يمر مستقيم واحد ، والحق كذلك واحد ، فالحق لا يتعدد ، أما الباطل فإنه يتعدد.. فبين نقطتين يمر ألف خط منحن وألف خط منكسر ، فالباطل يتعدد أما الحق لا يتعدد .

والآية الكريمة التي وردت في سورة البقرة أيضا تؤدي المعنى ذاته قال تعالى :

ٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥٧﴾

(سورة البقرة)

الظلمات جمع .. والنور مفرد ، فالحق واحد ، فهذا الـذي لا يبـدي ولا يعيـد أي ضعيفاً ، مفتقراً ، ولا حيلة له ، لكن الله سبحانه وتعالى **يبدي ويعيد** .

الحقيقة كلمة **يُبدي** .. تشير إلى معنى **المبدع** .. فالإنسان حينما يخترع شيئاً لا يمكن إلا وأن يكون لهذا الإختراع أصل ، حتى إن الذي اخترع العجلة وكما قال بعضهم لا بد أنـه رأى شجرة تتدحرج على الأرض فاستنبط من الشجرة العجلة ، والذي اخترع الغواصـة رأى السمكة في أعماق البحر ، فعلى مستوى البشر ليس هناك إنسان اخترع شيئاً وأبدع شـيئاً إلا على مثالٍ سابق ، حتى أن الكتّاب الخياليين إذا أرادوا أن يصوروا قصة خيالية فـي العـالم الآخر ، يصورون أشخاصًا وهؤلاء الأشخاص على مثالٍ سابق ، فيصورونه لـه رأس ولـه يدان وله رجلان وله جذع ، ولكن مع بعض التعديلات .

والمهندسون الذين يصممون الأبنية هناك عدة أشكال في ذهنه ، فـأول شـكل ، والثاني والثالث والرابع والخامس وبعد السادس مثلاتجده يعيد الشكل الأول ، فالقـدرة علـى إحداث شيء من غير مثال سابق عند الإنسان محدودة للغاية ، فلا بد من مثال سابق ، لكـن ربنا عز وجل عندما قال عن نفسه إنه هو **المبدع** أي خلق الكون على غير مثالٍ سابق .

فمثلاً فكرة النبات .. فأنت إذا أردت أن تصنع شيئاً يتكرر فكيف؟ تقول : نكثرهم . لكن ربنا سبحانه وتعالى جعل بداخل الثمرة بذرة ، وهذه البذرة تزرع وتنتج شجرة ، والشجرة تثمر هذه الثمار ، فمبدأ البذور في الكون هذا **إبداع** وهو على غير مثالٍ سابق ، مبدأ الألـوان كذلك .. فهناك ألوان والعين تحتاج إلى نور فالله خلق كل شيء على غير مثالٍ سابق .

فمعنى كلمة **المبدئ** فيها معنى **المبدع** ، فالإنسان له رأس وجذع وله أطراف ، وله يدان ورجلان ، وهو يرى ويسمع ، وينطق ويتحرك ، وهو ينام ويجوع ويعطش ، من قال إن الإنسان بحاجة إلى أن يشرب ؟؟ الله عز وجل .. من صمم هذا الإنسان على أنه يحتاج إلـى أن يشرب ؟ من خلق الماء ؟ فالإنسان مصمم على أن يشرب أوجد الله ماء ، فهـو مصـمم كذلك على أن يتنفس وهناك هواء .

بل إن الجنين في بطن أمه له رئتان وليس بحاجة إليهما إطلاقاً لأن دمه يتجدد عـن طريق الأم ، فهذا الأوكسيجين يأخذه من دم أمه عن طريق المشيمة ، فمعنى ذلـك أن هنـاك خالقًا مبدعًا خلق له الرئتين ليستعملهما حينما يولد .

من صمم الكون على أنه كُرات ؟ فالكرة شكل هندسي له خصائص ، ومـن صـمم الكون على أنه يتحرك ؟ هذه الحركات المغلقة ، من صمم قوى الجاذبية ؟ من صـمم النـور والظلام ؟ من صمم أن الحياة أساسها الماء ؟ فهذا كله مبدع على غير مثالٍ سابق .

نحن ألفنا الكون ، ألفنا القوانين ، ألفنا الخصائص ، فإذا أردنا أن نتحـرك نتحـرك وفق مثلٍ سابق فقد قال الله تعالى :

ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾

(سورة المؤمنون)

الله عز وجل سمى الإنسان الذي يصنع شيئاً سماه مجازاً خالقاً وسمح لذاته العلية أن يوازنها مع مخلوقاته فقال :

" **فَتَبارك اللهُ أحسنُ الخَالِقين** " ،

لكن بين خلق الإنسان وخلق الله بون شاسع .

الإنسان يصنع من كل شيء شيئاً ، لكن الله سبحانه وتعالى يصنع كل شيء مـن لا شيء ، فقال تعالى : " **فَتَبارك اللهُ أحسنُ الخَالِقين** " ، وربنا عز وجل سمح لذاته العليـة أن يوازنها مع مخلوقاته فقال تعالى :

ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوۡلَىٰهُمُ ٱلۡحَقِّۚ أَلَا لَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَهُوَ أَسۡرَعُ ٱلۡحَٰسِبِينَ ﴿٦٢﴾

(سورة الأنعام)

الآن هناك حاسوباً ، وهذا الحاسوب الذي اخترعه الإنسان شـيء مـذهل ، يقـرأ أربعمائة وخمسين مليون حرفاً في الثانية الواحدة ، والله سبحانه وتعالى يقول : " **وهُو أسـرعُ الحاسبين** " .. أي أنه ليس هناك زمناً فهو القائل سبحانه :

إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾

(سورة يس)

فهنا أردت أن أقف قليلاً عند كلمة **مبدئ** .. أي **مبدع** ، وأضيف على هذا المعنـى معنىً آخر وهو أن الله سبحانه وتعالى لكرامة الإنسان عليه هو **مبدع** وصمم الكون بطريقـة يستطيع الإنسان بها أن **يبدع** .

فمثلاً هناك نباتات مقزمة فهذا إبداع ، وكذلك شجرة فاكهة ضخمة تقزم وتصبح في حجم صغير ، وكثيراً من النباتات الآن مثل الليمون والبرتقال والرمان توضع فـي أصـص صغيرة جداً فهذا إبداع ، ولكن ربنا عز وجل صمم الكون بطريقة إذا أراد الإنسان أن يبدع ، إنه يبدع فيه .

اللغة مثلاً مؤلفةً من حروف معدودة ، ولكن من هذه الحروف المعدودة يمكنـك أن تبدع كلمات غير محدودة ، فأصبح **المبدئ** هو **المبدع**، **والمبدع** هو الذي يوجد الشيء علـى غير مثالٍ سابق ، فليس هناك مثال سابق للمبدع سبحانه.

فالإنسان يمشي وله يدان .. فهذا الشكل شيء رائع جداً ، لكن هناك أكثر من سـتة آلاف مليون إنسان ، فلا يوجد إنسان مثل الآخر.. فالله **يبدع** ، فبصمة الإبهام **إبداع** ، وقُزحية

العين **إبداع** ، وكيمياء الدم **إبداع** ، ونبرة الصوت **إبداع** ، ورائحة الجلد **إبـداع** ، فالإنسـان متميز برائحة جلده ، ونبرة صوته ، وفُزحية عينه ، وبصمة إبهامه ينفرد بها ، والآن اكتشف العلماء الزمر النسيجية وهي غير الزمر الدموية ، فأثناء نقل الأعضاء فلا بد من حد أدنى من التوافق النسيجي وإلا هذا العضو المزروع يلفظ ولا يقبله الجسم ، فكم زمرة نسيجية مكتشـفة إلى الآن ؟ إثنان ونصف مليار زمرة نسيجية أي ليس هناك سوى شخص آخر في هذا العـالم يشبهك من خيث الزمرة النسيجية .

فأنت عندك زمرة نسيجية ، وزمرة دموية ، وبصمة إبهام ، وكيمياء دم ، ورائحـة جلد ، ونبرة صوت وفُزحية عين تتميز بها عمن سواك ، فالله عز وجل اسمه الفـرد ، ومـن تفضله على هذا الإنسان أن جعله فرداً لا مثيل له ، فلك مكانتك عند الله عز وجل .

فالمبدي .. هو **المبدع** ، أي خلق خلقاً على غير مثالٍ سابق .. كان الله ولـم يكـن معه شيء ، ثم خلق الأشياء .

لو قلنا لك : صمم لنا ورقة شجر . فإذا قمت بإجراء المحاولة فسترسم ورقة دائرية ، أو ورقة مثلثة ، أو مستطيله ، أو ورقة مسننه ، أو ورقة نحيلة وطويلة ، أو ورقة قصـيرة وثخينه ، عدة أمثلة ترسمها ، ولكنك لو دخلت لحديقة وراقبت فقط أشكال أوراق النباتات تجد أعداداً لا تُحصى من أشكال أوراق النباتات ، ودقق نظرك في الأزهار فهي كذلك لا تُحصى .

دخلت إلى أحد المعارض التي خصصت لعرض الفراشات بمصر وعلى ما أذكـر فقد ضم المعرض أربع قاعات علقت على جدرانها كلها فراشات وكل واحدة غير الأخرى ، وكل واحدة أجمل من الثانية شيء لا يصدق ، أشكال متباينة ، وألوان مختلفة فهـو سـبحانه مبدع على غير مثالٍ سابق.

ذكرت من قبل في أحد الأبحاث السابقة : أن القمح أكثر من أربعة آلاف وخمسمائة نوعاً ، فصحح لي أخ كريم هذه المعلومة وقال لي : بل إثنى عشر ألف نوع من القمح . فالله **مبدع** والأنواع لا تُعد ولا تُحصى .

أيها القارىء الكريم ... هذا الكون معرض لأسماء الله الحسنى ، فكلمـا زدت هـذا الكون نظراً وتأملاً تعرفت إلى الله أكثر فأكثر، إن هذا الكون باب واسع تدخل منه على الله ، وطريقٌ قصير تصل به إليه .

فالمعنى الأول .. **المبدئ** .. **المبدع** الذي خلق فأبدع على غير مثالٍ سـابق ، أمـا الإنسان .. فقد قرأت موسوعة عن الطيور ففي المقدمة كتب المؤلف قائلاً : إن أرقى طـائرة صنعها الإنسان حتى الآن لا ترقى إلى مستوى الطائر . فأحد أنواع الطيور يطير ستة وثمانين ساعة طيران بلا توقف ، ونحن إذا طرنا بطائرة سبع عشرة ساعة فوق مياه المحيط الأطلسي نقول : هذا شيء يفوق عجائب الدنيا السبع .

وبعض الطيور تقطع سبعة عشر ألف كيلومتر ولا تضل الطريق بلا بوصلة وبدون الاستعانة بمراكز البث المنتشرة في أنحاء المعمورة ، فالطائرة تعرف موقعها من خلال هـذه المراكز وبالاتصال المستمر مع هذه المحطات الأرضية ، ويعرف منها حـوادث الطـائرات بالساعة والدقيقة ومكان الوقوع إذا انقطع اتصال الطائرة بالأرض ، ولكن هذا الطائر الـذي يطير من شمال الكرة الأرضية إلى جنوبها ، من شمال بريطانيا إلى جنوب أفريقيا ، وحينمـا يعود لو أنه أخطأ في زاوية العودة بمقدار درجة واحدة لهبط في هولندا ، ولو أخطـأ زاويـة أخرى لجاء في ألمانيا .

والأغرب من ذلك هذه الطيور التي تبني أعشاشها .. تُعشعش .. في البيوت والتـي تهاجر إلى الجنوب ويعود ، كطائر مثلاً وصل إلى جنوب أفريقيا وسيعود ، وهو مـثلاً فـي دمشق في بيت من بيوت الصالحية ، لو أخطأ نحو اليسار درجة واحدة لجاء بمصـر ، ولـو أخطأ نحو اليمين درجة لجاء بالعراق .. لكنه إذا عاد فإنّه يصل إلى عشه الذي بناه في دمشق ، فالله سبحانه وتعالى هو الذي يهدي .

أيها المؤمن ... كلما تأملت في خلق السماوات والأرض ذابت نفسك خشوعاً لله عـز وجل وتعظيماً له .

وقال بعضهم : " المبدئ هو الذي إبتدى العباد بالفيض والمدد ، وهو نعم السند ".

أحياناً تقدم لك هدية إبتداءً فتنتبه فترد عليها ، ولكن لمن الفضل؟ الفضل لمن بـدأ .. لأن رد الفعل أقل من الفعل .. فربنا عز وجل أنعم عليك بنعمة الوجود ، فأنت موجـود ، وبدأ فضله عليك بنعمة الإمداد ونعمة الإرشاد والهدى ، وهو قد بدأك بالفضل فقد قال تعالى :

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ يُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾

(سورة المائدة)

لم يقل : يحبونه ويحبهم بل قال : "**يُحبهُم ويُحبونَهُ** ".. حينما خلق الإنسان ولم يكن من قبل شيئاً مذكورا بدأه بالفضل وقد قال تعالى :

هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ ﴿٦٠﴾

(سورة الرحمن)

إلى متى أنت باللذات مشغولُ وأنت عن كل ما قدمت مسؤولُ

أيضاً **المبدئ** .. المظهر . قال أظهر جميع الخلق من العدم إلى الوجود .

فالمعنى الأول **للمبدئ** .. هو المبدع . أي خلق على غير مثالٍ سابق .

المعنى الثاني **للمبدئ** .. هو الذي بدأك بالإحسان فأوجدك ، المعنى الثالـث .. هـو الذي أظهرك ، فقد كنت في حيز العدم أي عدماً فأظهرك .

وقال بعض العارفين بالله : " المبدي هو الذي يقذف في قلب عبده النور فيشـرق "، أي كان إنساناً خاملاً تافهاً بعيداً ، ضائع شارد ضال ، فلما ألقى في قلبه النور إنتبـه وصـار شيئاً مذكورا ، فالله عز وجل يرفع الإنسان ويسمو به ، ألم يقل في كتابه الكريم :

أَلَمۡ نَشۡرَحۡ لَكَ صَدۡرَكَ ﴿١﴾ وَوَضَعۡنَا عَنكَ وِزۡرَكَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِيٓ أَنقَضَ ظَهۡرَكَ ﴿٣﴾ وَرَفَعۡنَا لَكَ ذِكۡرَكَ ﴿٤﴾

(سورة الشرح)

كان إنساناً خاملاً .. فأحياناً تجلس مع إنسان تجد همومه سخيفة جداً ، وأحياناً أخرى تجالس إنسانًا آخر فتدهش ، فهناك أشخاص اتصالهم بالله ومعرفتهم باليوم الآخر وسعيهم إلى الدار الآخرة وبذلهم وتضحياتهم جعلت من شخصيتهم شخصيات فذة .

فهذا الصحابي الجليل سيدنا ربيعة مثّل ناطق فعندما خدم سيدنا رسول الله وقد انتهى وقت الخدمة فقد أذن العشاء وصلى النبي وآوى إلى فراشه ولكن ربيعة لم يستطع أن يغـادر بيت النبي ونام على عتبة الباب من شدة تعلقه به .

والحقيقة المؤمن كما قيل : " أولياء أُمتي إذا رؤوا ذكر الله بهم " فهناك سر ، فهـذا الاتصال بالله عز وجل ، هذا النور الذي يسري إلى قلب المؤمن يجعله كالكوكب الدري مشعاً من حوله ، فسبحان الله المؤمن له هيبته وشخصيته ووقاره ، وله الأنوار من حولـه ، فكّـل إنسان التقى بمؤمن صادق يسري في كيانه ما يشبه التيار الكربائي ، ويشعر برعشة ، ووجل.

فقد دخل على النبي الكريم رجل فأصابته رِعدة ، فقال له : هون عليك إنما أنا ابـن إمرأة من قريش كانت تأكل القديد بمكة .

الظاهر بيبرس وهو بطل من الأبطال رد التتار ومع ذلك قال : والله مـا اسـتقر ملكي حتى مات العز بن عبد السلام ، والعز كان أحد العلماء في عصره ، وقد كان له من قوة الشخصية والهيبة وقوة التاثير ما دعى الظاهر بيبرس إلا أن يقول هذا القول .

الحسن البصري عندما ألقى كلمة في جمع تنفيذاً لوصية النّبي ولأداء الأمانة ، هـذه الكلمة أزعجت الحجاج ، فقال لجلسائه : يا جبناء ، والله لأروينكم من دمه ، وأمـر بقتلـه - بكل هذه البساطة - ، طلب السياف، مد النطع ، ذهب الحاجب وأتى بالحسن ليقتل ، فلما دخل الحسن البصري على الحجاج حرك شفتيه فإذا بالحجاج يقف له ويستقبله ويدنيـه حتـى إنـه أجلسه إلى جنبه على السرير ، وقال له : يا أبا سعيد أنت خير العلماء ، أنت سيد العلماء يا أبا سعيد ، وفيما تروي القصة عطره واستفتاه ، ثم شيعه إلى باب قصره ، ولكن السياف دهـش من هذا التصرف فقد أحضر ليقتل الحسن البصري ، وحاجب الحجاج دهش كذلك فتبعه وقال له : يا أبا سعيد ماذا قلت لربك ، جيء بك بغير الذي فُعل فيك ؟ قال : والله قلت لربي .. يـا ملاذي عند كُربتي ، يا مؤنسي في وحشتي ، إجعل نقمته علي برداً وسلاماً كما جعلت النـار برداً وسلاماً على إبراهيم .

فالمؤمن له هيبةً كبيرةً جداً من اتصاله بالله .

وقد قيل للحسن البصري : بما نلت هذا المقام ؟ قال : باستغنائي عن دنيـا النـاس وحاجتهم إلى علمي .

فعندما يكون العالم مريض النفس فيستغنى الناس عن علمه ويحتاجهم هو لـدنياه .. تسقطُ مكانته ، وتسقط قيمته .. فما نال الحسن البصري هذا المقام إلا بإستغنائه عن دنيا الناس وحاجتهم إلى علمه .

فمن بعض معاني كلمة **مُبدي** أن الله يلقي على هذا المؤمن هيبةً، ويلقي فـي قلبـه نوراً ، مما يجعله كريماً عزيزاً .

أما إسم **المعيد** .. ففي اللغة : العوْد هو الرجوع ، كالعودة .. ومن كلمات السـلف الصالح اللهم : ارزقنا إلى بيتك معاداً وعودةً ، والعوْد .. هو الرجـوع إلـى الشـيء بعـد الإنصراف عنه ، **والمُعيدُ** من الرجال العالم بالأمور . ففي الجامعة عنـدنا مصـطلح إسـمه **المُعيد** ، وقد كان الطالب المتفوق يعيد الدرس على زملائه ، فلتفوقه إستوعب الدرس ، فـإذا كان هناك طالب ضعيف فيستمع من المعيد إلى الدرس ، وهو يعيد الـدرس علـى قُرنائـه ، **فالمعيد** هو العالم بالأمور .

والعائدة هي المعروف .. اللهم لا تحرمنا عوائد فضلك ، فالعائد هو المعـروف أي يعود نفعه على من فعله ، فإذا فعل إنسان معروفاً فيعود عليه الخير.. فالعود هـو المعـروف لأن الإنسان إذا فعل المعروف عاد عليه الخير ، والعائدة هي المعروف والصلة .

والمعاد .. الآخرة ، ففي الدعاء الشريف : " اللهم أصلح لنا ديننا الذي هو عصـمةُ أمرنا ، وأصلح لنا دنيانا التي فيها معاشُنا ، وأصلح لنا آخرتنا التي إليها معادنا ".

فالمُعيد هو الذي يرجع بعد أن إنصرف عن الشيء .. **والمُعيد** هو العالم بالأمور ، والعائدة المعروف لأنه يعود على صاحبه بالخير ، والمعاد هو الدار الآخرة ، فقد قال تعالى :

إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ مَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨٥﴾

(سورة القصص)

" **لرادك إلى معاد** " أي سوف يرجع بك أو يعيدك ، وقد قال تعالى :

۞ مِنْهَا خَلَقْنَـٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾

(سورة طه)

أما **المُعيدُ** في صفة الله تعالى قال : " هو الذي يعيد الخلق بعد الحياة إلى الممات " .

كل الناس هلكى ، كل من عليها فان ، كل شيء هالك إلا وجهه ، فالإنسـان مهمـا علا لابد من أن يعود إلى التراب ، لا بد من دخول القبر، الليل مهما طال فلا بد من طلـوع الفجر ، والعمر مهما طال فلا بد من نزول القبر .

فالمُعيد هو الذي يعيدنا إلى الموت بعد أن أحيانا فالموت نهاية كلّ حـي ، فـالموت يأتي فجأةً والقبر صندوق العمل ، هذا هو النهاية والمصير .

قال العلماء : " ثم يعيدهم بعد الموت إلى الحياة " : " **يقُولُ ياليتَني قدمتُ لِحياتي** " ، فهو ينقُلك من الحياة إلى الموت ، ومن الموت إلى الحياة ، لو كان الموت نهاية كلّ حي وهو فناء وأنتهى أمر الإنسان بعده لكانت القضية إذاً سهلة جداً ، ولكن الموت بداية حياة فقد قـال تعالى :

يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي قَدَّمۡتُ لِحَيَاتِي ﴿٢٤﴾ فَيَوۡمَئِذٖ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٞ ﴿٢٥﴾
وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٞ ﴿٢٦﴾

(سورة الفجر)

قال العلماء أيضًا : **المُعيد** هو الذي يعيد الخلق للحساب .. فقد قال تعالى :

إِنَّ إِلَيۡنَآ إِيَابَهُمۡ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيۡنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾

(سورة الغاشية)

هناك عودة ، وهناك سؤال ، ومحاسبة ، ودقة بالغة وعرض للأعمال ، **والمعيد** هو الذي يجازي كل مخلوق بعمله وقوله ، ويحاسبه على نعمه وطوله .

ورأي الإمام الرازي في هذا الموضوع " أن المعيد هو الذي يعيد الأشياء بأعيانها " ، فهذا الجسم الذي فني إلى ذرات ، فالذرات نفسها تجتمع ويعاد خلقها من جديـد ، فلـو أن الإنسان أُحرق كما في الهند وأُلقي رماده في الآفاق ، فهذه الذرات يعيده الله سبحانه وتعالى ، لو أنه أُلقي في البحر ، أو لو أنه احترق في الجو ، فذرات الإنسان التي خلقها الله يعيدها هي هي ، وقد إستنبط الإمام الرازي هذا من قوله تعالى :

قُلۡ يُحۡيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلۡقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾

(سورة يس)

فالذرات نفسها يعيد خلقها .. وقد قال تعالى :

وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمۡ لِمَ شَهِدتُّمۡ عَلَيۡنَاۖ قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَنطَقَ كُلَّ شَيۡءٖ
وَهُوَ خَلَقَكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٢١﴾

(سورة فصلت)

معنى ذلك أنها نفس الجلود "**لِم شَهِدتُم علينَا قالُوا أَنطَقَنَا اللهُ الذي أَنطَقَ كُل شَيء** " ، فإذا إرتكب الإنسان معاصي بأعضائه فهذه الأعضاء نفسها تجتمع ويعاد خلق الإنسان منها ثانيةً وتشهد عليه .

يروى أن سيدنا داوود كان يبكي فأوحى الله تعالى إليه قال : لم تبكي يا داوود ؟! إن كان بكاؤك خوفاً من النار فقد أمنتك ، وإن كان رجاء الجنة فقد أعطيتك ، وإن كان لحـديث الخصم فقد أرضيتك ، فزاد داوود بالبكاء وقال : إنما أبكي لما فاتني من صفاء ذلـك الوقـت الذي ولّى ، فارددة علي . فقال له ربه جل جلاله : هيهات يا داوود لا سبيل إلـى رد ذلـك الوقت .

فالوقت لا يعود .. الدنيا ساعة إجعلها طاعة ، فمستحيل أن تستعيد الوقت ، فالوقت إذا مضى لا يستعاد ، لذلك ما مضى فات والمؤمل غيب ولك الساعة التي أنت فيها .

أيها القارىء الكريم... من أدب المؤمن مع إسم **المُعيد** أن يكثر من ترداد هذا الاسم كي يتذكر العودة إلى الله عز وجل ، فهناك عودة إلى الله ..

أحد الأشخاص إتفق مع شخص آخر على أن يقرضه ثلاثمائة ألف ويسجل له بستاناً جميلاً جداً كرهن ، فلما لم يستطع المستقرِض أن يرد القرض ، قال له الآخر : لا كل إنسان معه حقه ، وكان ثمن البستان مليوناً . فصاحب هذا البستان تألم ألماً شديداً لدرجة أنه أصـيب بأزمة قلبية وشارف على الموت ، فأوصى ابنه قائلاً : يا بني إني إن مت سر بالجنازة أمـام هذا الذي اغتصب مني البستان وأوقف الجنازة أمام دكانه ، وأدخل إليه وأعطه هذه الرسالة ، وبعد موت الرجل وكان بيته بطرف المدينة فانتقلت الجنازة للطرف الآخر وسارت إلى جانب دكان المغتصب ، وأوقف ابنه الجنازة أمام الناس ودخل إلى هـذا المغتصـب وقـال : هـذه الرسالة من هذا الميت ، قبل أن يموت كتبها لك . ففتحها فقرأ ما كتبه المتوفّى فيهـا قـائلاً : إنني ذاهب إلى الله ، فإذا كنت بطلاً فلا تأتي إلينا ، سوف أُقاضيك هناك .

إذًا معنى **المُعيد** أننا لا بد من أن نعود إلى الله وسوف نُحاسب ، لذلك الغنى والفقـر بعد العرض على الله "**إِن إِلينَا إِيابَهُم ثُم إِن علينَا حسابَهُم** " . وقد قال تعالى :

فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾

(سورة الزلزلة)

وللمزيد من البيان ... **المُبدئ ،** أقول : إن الإنسان إذا عرف بدايته من ماء مهـين ، وأنّه خرج من عورة ودخل في عورة ثم خرج من عورة ، هذه هي البدية ، ثم بعد هذا الخلق سوف يعيده الله إلى الموت ، وبعد الموت يعيده الله إلى الحياة ، فالبدية أي أصل خلق الإنسان الأول من تراب ، وأصل خلقه بالذات من ماء مهين ، والنهاية موت وبعد الموت هناك حياة أبدية ، فأدب المؤمن مع هذين الاسمين المبدي المعيد أن يذكر بدايته ونهايته .

لذلك .. طوبى لمن ذكر المبتدى والمنتهى .. ذكر المبتدى أي أنه كان نقطة من ماء مهين ثم صار طفلاً ضعيفاً ثم كبر واشتد عوده ثم بدأ يقول : أنا وأنا ، ثم يعود إلى ما كـان عليه من الضعف والجهل ، ثم يطويه الردى ثم يعيده الله تارةً أُخرى ليحاسبه على كل أعماله .. فالله يبدأ الخلق ثم يعيده لتجزى كل نفسٍ بما تسعى فقد قال تعالى :

ٱللَّهُ يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿١١﴾

(سورة الروم)

إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخۡفِيهَا لِتُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا تَسۡعَىٰ ﴿١٥﴾

(سورة طه)

فالله عز وجل هو **مبدي والمعيد** ، بدأك بالإحسان إليك حيا وأعادك إلى مـا كنـت عليه من العدم عند الموت ، ثم أعادك من العدم إلى الحياة لتلقى جزاء عملك .

والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين ، اللهم أعطنا ولا تحرمنا ، وأكرمنا ولا تهنا ، وآثرنا ولا تؤثر علينا ، وأرضنا وأرضى عنا ، وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم .

والحمد لله رب العالمين

الدرس ٧٠ - اسم الله : "الحميد"

بسم الله الرحمن الرحيم

مع الاسم السبعين من أسماء الله الحسنى ، والإسم هو الحميد .. هذا الإسـم ورد في أحاديث رسول الله صلّى الله عليه وسلم المتعلّقة بأسماء الله الحسنى .

وبعد فهذا الاسم مشتقٌ من مادة الحمد ، أما كلمة مادة ، هذه كلمة معجميـة .. أي المعجم مؤلف من مواد ، فالحمد : حاء ، وميم ، ودالٌ هذه مادة الحمد ، فيها حمد ، ويحمد ، وحامد ، ومحمود ، الحمد ، الحميد ، هذه كلها مشتقات .. فكلمة الحميد مشتقةٌ من مـادة الحمد ، والحمد نقيض الذم ، تحمده أو تذمه ، الحمد متعلق بالكمال ، والذم متعلق بالنقص ، أنت بفطرتك تحمد الكامل وتذم الناقص، فموطن الحمد الكمال وموطن الذم النقص فـلأن الله سبحانه وتعالى كاملٌ كمالاً مطلقاً فهو يحمد ولأن الإنسان المنحرف منحرفٌ وناقص فهو يذم ، فالحمد نقيض الذم ، وعلينا أن لا ننسى أن القرآن الكريم كله مجموع في الفاتحـة ، وأن مطلع الفاتحة :

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾

(سورة الفاتحة)

إلا أن الحمد لله رب العالمين .. الحمد في هذه الأية مفروغٌ منه ولكن بعض الناس ضلّت بهم السبل فجعلوا الحمد لغير الله تعالى ، وهذا بيان ذلك :

إن الإنسان يشرب كأس الماء ، ويأكل الطعام ، ويأوي إلى بيت ، ويلتقي مع أهل بيته ، هذه نعم لا يختلف فيها اثنان على وجه الأرض فالجائع يأكل فيشعر أن الطعام نعمة ، والعطشان يشرب الماء القراح البارد فيرتوي ويشعر أن الماء نعمة ، والمشرد إذا أوى إلى بيته يشعر أن المأوى نعمة ، فهذه النعم لايختلف عليها اثنان على وجه الأرض ولكن أناسا عزو هذه النعم إلى البقر فعبدوها من دون الله ، وأناسا عزوها إلـى الشـمس ، لكـن الله سبحانه وتعالى هو صاحب الحمد : وإن الحمد هو الشيء الثابـت ، والقاسـم المشـترك ، والشيء الذي لايختلف عليه اثنان .. " الحمد لِله رب العالمين " .

المنعم هو الله ، فالحمد نقيض الذم ، وقيل الحمد والشكر لافرق بينهما ، والأصح كما يقول علماء اللغة : أن الإختلاف في المبنى ، دليل الإختلاف في المعنى .. الشكر غير الحمد .

قيل : الفرق بين المعنيين ، أن الحمد يكون عن يد وعن غير يد، أما الشكر فـلا يكون إلا عن يد .. ما معنى ذلك ؟ أي إذا إنسان أسدى إليك معروفاً ، أنت تشكره ، أمـا إذا أسدى إنسان إلى إنسانٍ معروفاً فأنت بفطرتك العالية تقدر هذا المعروف ، فأنت تحمده ، مع أن معروفه لم يصل إليك .

فنحن نحمد صاحب اليد ، صاحب الإحسان ، نحمد الكامل ، أصابنا كمالـه أو لـم يصبنا ، ونشكر الذي أكرمنا ، فالشكر متعلقٌ بنعمة وصلت إليك ، أما الحمد متعلقٌ بالإنسان الكامل وصلت إليك نعمه أو لم تصل .

والمعنى الثالث .. قيل : الحمد أعم من الشكر .. الحمد الشـعور المتغلغـل فـي أعماق النفس بالإمتنان .

حدثني رجل محسن ، قال: طفل صغير أصيب بحادث وهو فقير وهـذا المحسـن أجرى له سبع عشرة عمليةً جراحية إلى أن إستطاع أن يقف على قدميـه ، فهـذا الطفـل الصغير عرف أن هذا الإنسان هو المحسن، فعبر عن شكره بشكلٍ لا يوصف لهذا المحسـن وهو طفلٌ صغير ، فالأجدر بك أيها الإنسان أن تعرف قدر الله الذي أحسن إليك كل الإحسان .

وإني أرجو أن أكون صادقًا فيما أقول : أحياناً تشعر أن كل خلية في جسمك تحمد اللّه عز وجل ، بل أن كل قطرة في دمك تحمد اللّه عز وجل ، تحمده على أن أوجدك ، لـو لم يوجدك هل لك عنده شيء ؟ أوجدك ، وأمدك ، وهداك إليه ، وأراد أن يسعدك فـي جنـة إلى أبد الآبدين لذلك آخر دعواهم أن الحمد للّه رب العالمين .. كما قال تعالى :

دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌۚ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾

(سورة يونس)

إن لم يكن الحمد متغلغلاً في أعماق أعماق نفسك ، وإن لم يلهج لسـانُك بالثنـاء على اللّه عز وجل فأنت لست مؤمناً ، لأنك تقرأ الفاتحة في اليوم أعتقد زهاء مئة مـرة ،

وفي كل مرة تقول الحمد للّه رب العالمين ، الحمد للّه رب العالمين ، فعندما يقرأ الإنسـان الفاتحة ويستشعر هذه النعم ، إذ أوجدك ، وهداك إليه .

أي عندما أنت تقرأ أن أُناساً في بعض البلاد في شرق آسيا يعبـدون الجـرذان ، وأنت تعبد اللّه الذي خلق الكون ، وزودك بمنهج ، واضح ، والطريق تعـرف نهايتـه ، تعرف ماذا بعد الموت ، اللّه جل جلاله خلقك ليسعدك ، فالحمد من ألزم لـوازم المـؤمن .. لذلك قال عليه الصلاة والسلام :

عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن صهيبٍ قَالَ بينَا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قَاعد مع أَصحابِه إِذْ ضحك فَقَالَ أَلا تَسأَلُوني مم أَضحك قَالُوا يا رسولَ الله ومم تَضحك قَـالَ عجِبـتُ لأَمرِ الْمؤْمنِ إِن أَمره كُله خَير إِن أَصابه ما يحب حمِد الله وكَان له خَير وإِن أَصابه ما يكْره فَصبر كَان له خَير وليس كُل أَحد أَمره كُله له خَير إِلا الْمؤْمن *

أحياناً الإنسان يشرب كأس ماء بارد .. كان عليه الصلاة والسـلام تعظـم عنـده النعمة مهما دقت .. ولا بد من قول الحمد للّه ، طريق سالك ، والكليتان تعملان بانتظـام ، والماء موجود فاعتبروا يا أولي الأبصار .

أقام إنسان بإحدى دول الخليج لفترة طويلة ، وهي قصة قديمة ، أراد أن يعـود إلى بلاده أي إلى سورية لم يكن الطريق كما هو الآن معبد فضل الطريقَ فـي الصـحراء ، ووجدوه على بعد خمسة كيلو مترات ، وقد مزق بأظافره جلد وجهه من شدة العطـش ، ووجدوا زوجته وأولاده في المركبة ميتين .

قطرة من الماء تعدل الحياة فأنت تشرب الماء القراح ، فإذا الإنسان شرب كـأس من الماء وقال : ولا بد من قول الحمد للّه رب العالمين هذا إيمان .. كان سيدنا عمر مهمـا أكل حمد الله.. مرةً جاءه رسول من أذربيجان فأراد الرسول أن يتنعم بتناول طعـام الغـداء عند سيدنا عمر - وقد كان خيره - أتأكل مع فقراء المسلمين أم تأكلُ في بيتي ؟ قال لـه : في بيتك . فليست هناك نسبة في نظر الضيف بين طعام عمر وطعام فقـراء المسـلمين ! فإذا في بيته الملح والخبز فقط ، فقراء المسلمين يأكلون اللحم الطيب ، قال : يا أم كلثـوم ماذا عندك من طعام ؟ قالت : واللّه ما عندنا إلا خبز وملح ، قال : فأكل عمر وضيفه هـذا الطعام وقال : الحمد للّه الذي أطعمنا وسقانا .

أحياناً إنسان يشكو لي همه ، أقول له : هل لك مأوى تأوي إليه ؟ فيجيب : طبعاً ، هل عندك قوتُ يومك ؟ فقال : طبعاً فأقول له : أنت إذاً ملك ، لست مضـطراً أن تغسـل كليتيك ، فيقول : هذا صحيح لست مضطراً أن تغير دسامات قلبك في بريطانيا وتدفع أجرة عملية مليون ليرة، فالسعادة عندما يكون الإنسان في صحة جيدة وعنده قوت يومه .

لذلك ذات مرة سأل ملك وزيره وكان ملكًا جبارا قال له : من الملك ؟ فقال الوزير أنت . فقال له الملك : لا .. الملك هو رجلٌ لا يعرفنا ولا نعرفه له بيتٌ يؤويـه ، وزوجـة ترضيه ، ودخلٌ يكفيه . هذا هو الملك .

النبي قال :

عن سلمةَ بن عبيد الله بن محصنٍ الأنْصاري عن أبيه قالَ قالَ رسولُ الله صلى الله عليـه وسلم من أصبح منكُم معافًى في جسده آمنًا في سربه عنْده قُوتُ يومه فكأنما حيزتْ له الدنْيا *

استيقظت فوجدت أن أجهزة جسمك سليمة ، قمت من فراشك ، سرت إلى الوضوء توضأت وصليت إذاً أنت ملك ، اللّه عز وجل سمح لك ان تعيش يوماً جديداً ، عافـاك فـي بدنك ، أذن لك أن تذكره وتشكره .

أحياناً تجد أثناء آذان الفجر إنسان يغسل سيارته في الساحات العامة ، فهل هـذا الوقت وقت غسيل السيارات !! أم وقت ذكر للّه عز وجل ؟ فإنه لا يعرف اللّـه ، سـيارته وغسيلها أهم عنده من أداء الصلاة .

لذلك قيل : ليس الولي الذي يطير في الهواء ولا الذي يمشي على وجه المـاء ، ولكن الولي كل الولي الذي تجده عند الحلال والحرام .. أن يجدك حيثُ أمرك ، وأن يفقـدك حيثُ نهاك .

فالحمد أعم من الشكر .. فالحمد يعني أن كيانك ، ذرات جسمك ، خلاياك، قطرات دمائك كلها عليها أن تشكر الله سبحانه وتعالى :

وجدناك مضطّراً ففلنا لك: أدعنا نُجبك ..فهل أنت حقاً دعوتنا ؟

دعوناك للخيرات أعرضت نائياً فهل تلقى من يحسن لمثلك مثلنا؟

فيا خجلي منه إذا هو قال لي : أيا عبدنا ما قرأت كتابنا ؟

أما تستحي منّا ويكفيك ما جرى؟ أما تختشي من عتبنا يوم جمعنا ؟

أما آن أن تقلع عن الذنب راجعاً وتنظر ما به جاء وعدنا

إلى متى أنت باللذات مشغولٌ .. وأنت عن كل ما قدمت مسؤولٌ

إلى متى ؟ ؟ ؟

الحمد أيها القارىء الكريم ... يجب أن يدخل في كيانك كله ، يجب أن يتغلغل فـي ذرات جسمك ، في خلاياك ، في قطرات دمك ، لأن وجودك نعمة ، وإمدادك نعمة ، وهدايتك نعمة ، وأنت نعمةٌ من نعم الله عز وجل ، وقد قال الله تعالى :

هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ ﴿٦٠﴾

(سورة الرحمن)

حتى عندما يصلي الإنسان أية فريضة من الصلاة فليحمد الله أن وفّقه لطاعتـه ، فهذه نعمة .

أجل ، الهداية نعمة ، يقول الله عز وجل :

مَّا يَفۡعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمۡ إِن شَكَرۡتُمۡ وَءَامَنتُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾

(سورة النساء)

أي حينما تؤمن وتشكر ، أنت تحقق الهدف من وجودك ، لأن هذا الكون مسـخر لك تسخيرين ، تسخير تعريف ، وتسخير تكريم ، إنك إن آمنت حققت المعرفـة ، وإنـك إن شكرت حققت الشكران .

الحمد أن ترضى عن الله عز وجل ، وقد قال الله تعالى :

قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوۡمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدۡقُهُمۡۚ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿١١٩﴾

(سورة المائدة)

يارب هل أنت راضٍ عني . قال له رجل يمشي خلفه : هل أنت راضٍ عن الله حتى يرضى عنك ؟ قال له : من أنت يرحمك الله ؟ قال: أنا محمد بن إدريس الشـافعي . قـال : كيف أرضى عنه وأنا أتمنى رضاه؟ قال إذا كان سرورك بالنقمة كسـرورك بالنعمـة فقـد رضيت عن الله .

طبعاً أيها القارىء الكريم : مرت بنا هذه العبارة مـن قبـل... الحـزن خـلاق ، المصيبة تفتق العبقريات ، أما الرخاء والنعيم والطعام والشراب يؤدي إلى الخمول والقعـود

والجمود ، فالإنسان يجب ألا يتألم من المصيبة ، لعل المصيبة هي الباعث الحثيث إلـى الله عز وجل .

فإنك لاتكون مؤمناً إلا إذا رأيت أفعال الله كلها تستحق أن يحمد عليهـا ، أحيانـاً يكون الموسم مطيراً ، والفواكه رخيصة ، والجو لطيف ، أحياناً غلاء ، أو حر شـديد ، أو زلزال ، أو فيضان ، أو براكين ، أو يذيق الله بعض الناس بأس بعض ، أفعاله كلها يحمـد عليها .

كن عن همومك معرضاً وكل الأمور إلى القضى
وأبشر بخير عاجل تنسى به ما قد مضى
فلرب أمر مسخط لك في عواقبه رضى
ولرب ما ضاق المضيق . . ولرب ما إتسع الفضا
الله يفعل ما يشاء فلا تكونن معترضا
الله عودك الجميل فقس على ماقد مضى

وبعد : فالحمد .. هو الرضى ، والحمد هو الجزاء ، والحمد هو قضاء الحق ، أن ترضى وأن تجازي وتكافىء وأن تقضي الحق ، هذا من معاني الحمد .

والمحمدة .. الخصلة التي يحمد عليها الإنسان ، وجمع محمدة محامد ، والتحميد .. هو حمد الله عز وجل ، أو كثرة الحمد ، حمد ، يحمد ، تحميداً ، محمد ، محمد صلى الله عليه وسلم ، حمد فعل ثلاثي ، أما حمد فعل رباعي ، مزيد بالتضعيف لقصد المبالغة .

هناك إنسان قد يحمد الله على إحدى النعم ، أما إذا حمده .. يحمده على كل النعم ، فحمد تفيد المبالغة ، حمد ، يحمد ، تحميداً ، محمد إسم فاعل ، أما محمد النبي عليه الصلاة والسلام فهو النبي المحمود .

والتحميد .. هو حمد الله أو كثرة الحمد ، والحمدلةُ ، فلان حمدلَ أي قال : الحمـد لله ، سبحلَ أي قال : سبحان الله ، حوقلَ أي قال : لا حول ولا قوةَ إلا بالله ، دمعز أي قال : آدام الله عزك ، حيهلَ أي قال : حي على الفلاح ، هللَ أي قال : لا إله إلا الله ، كبـر أي قال: الله أكبر ، هذه صيغة النحت في اللغة العربية ، الحمدلةُ هي أن تقـول الحمـد لله رب العالمين .

وليعلم كلّ مؤمن أنّه ... لا بد من الإبتلاء ، فإن ساق الله لهذا الإنسان مصـيبةً ، وتلقاها بصبر جميل ، وقال : الحمد لله رب العالمين ، نجح مئة على مئة ، والصـبر عنـد

الصدمة الأولى ، لذلك المؤمن لا سمح الله ولا قدر لو أنه ساق الله له مصيبة ، لمجـرد أن الله ساقها له يقول : الحمد لله رب العالمين .. نجح .

الإمام الرازي يرى أن معنى الحميد وهو اسم الله وهو اسم من اسماء الله الحسنى ، أن الحميد بمعنى حامد ، أي لم يزل سبحانه بثنائه على نفسه ، أي يحمد نفسـه ، لمـاذا يحمد نفسه ؟ طبعاً الإنسان لا يحق له أن يحمد نفسه ، لأنـه لـيس لـه هـذه المرتبـة ، والمؤمن لا يتحدث عن نفسه أبداً لمادا ؟ سيدنا الصديق مرةً أثنى عليه بعض الأشـخاص ، فدعا دعاء رائعاً، قال : اللهم أنت أعلم بي من نفسي ، وأنا أعلم بنفسـي مـنهم ، اللهـم اجعلني خيراً مما يقولون ، واغفر لي مالا يعلمون ، ولا تؤاخذني بما يقولون .

والإنسان المؤمن الصادق لا يمدح نفسه أبداً ، أي إذا كان فيـه كمـال ، النـاس يمدحونه ، أما أنت فلتتهم نفسك دائماً كلما بالغت في اتهامها كنت موفقاً أكثـر ، لكـن الله يمدح نفسه ليعرفنا بذاته ، ولكي نصل إليه ، ولكي نقبل عليه ، ولكي نطمع في مغفرتـه ، ولكي نطمع في عطائه ، ويمدح نفسه كي نطمع في جنته ، فهنـاك فـرق بـين الإنسـان الضعيف الحادث الفاني الفقير الجاهل لا ينبغي أن يمدح نفسه ، ولكن الله حميد بمعنى حامد ، يحمد نفسه لخلقه ، لكي يعرفوه يحمد نفسه لخلقه ليقبلوا عليه فيسعدوا بإقبالهم ، ويحمد نفسه لخلقه ليتجهوا إليه ، ويحمد نفسه لخلقه لينالوا من عطائه .. قال الله تعالى :

لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ ۖ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦٠﴾

(سورة النحل)

فمثلا إذا كنت إنسانًا كريما جداً ، وكنت بمظهر لا يشير إلى غناك ، وإنسان فقيـر يتلوى جوعاً ، تجد نفسك مضطراً أن تقول له : أنا معي أطلب ما تشاء فأنا معي . أنت الآن تقول له : أنا معي مال ، فهل هدفك أن تفتخر ؟ لا .. بل أنت تقدم نفسك ليستعين بك ، فهذه حالات نادرة .

الإنسان أحياناً يلبس ثيابا لا تدل على غناه يرى شخصا يتلوى جوعاً يقول له : أنا معي أطلب ما تشاء معي مبلغ كبير أطلب وسأعطيك فهل هو يفتخر بهذا القول ؟! لا .. بـل يعرف هذا الفقير بأنه قادر على عطائه ، فالله عز وجل .. حميد ، أي حامد ، يحمد نفسـه لخلقه كي يعرفوه ، وحميد بمعنى محمود ، أي محمود بحمد نفسه وبحمد عباده له ، فـالله عز وجل محمود ، يحمده الخلق كله .

وقال الإمام الغزالي : " الحميد هو المحمود ، والله تعالى هو الحميد بحمده بنفسه أزلاً وبحمد عباده له أبداً ، من قبل أن يخلق الخلق حمد ذاته، فلما خلق الخلق حمده خلقه ".

إذاً هو محمود ، فالحميد بمعنى حامد يحمد نفسه لخلقه ، والحميد بمعنى محمود .

قال : " الحميد يرجع هذا الإسم إلى صفات الجلال والعلو والكمال منسوباً إلى الله عز وجل " ، الله عز وجل له أسماء جلال ، وأسماء كمال ، وأسماء جمال ، وأسماء قهر ، فالله عز وجل جبار ، قال تعالى:

وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٨﴾

(سورة الأنعام)

ومن أسمائه الجميل واللطيف والرحيم ، وهناك أسماء جمال ، وأسماء جلال ، وأسماء قهر .. المتعالي والعزيز والمتكبر ، فهذا الإسم اسم الحميد منسوب إلى أسماء صفات الجلال والعلو والكمال .

قالوا الحميد له معنى آخر : " الحميد هو مستوجب الحمد ومستحقه " .

إذا دعيت إلى وليمة غداء ، والطعام نفيس جداً ، وعلى المائدة عشرون شخصاً ، بعد أن تنتهي من الطعام تشكر من ؟ تقول للشخص الذي يجلس بجوارك - دايمة - ؟ لا فهذا مدعو مثلك ، أم تبحث عن صاحب الوليمة الذي دعاك وتكلف وجاء بهذا الطعام النفيس ودعاك إليه . فمن حمق الإنسان أن يشكر إنسانا مدعوا مثله ، من هو المستوجب الحمد في هذه الوليمة ؟ صاحب الدعوة لذلك الإنسان يسأل من الداعي ؟ وعندما ينتهي يقول له : أكل طعامكم الأبرار ، فهذا فيما بين الناس بعضهم بعضا .. فمن الذي يستوجب الحمد وحده ؟ الله جل جلاله لأن كل النعم من عنده .

قال العلماء : " هو مستوجب الحمد ومستحقه ، وهو أهل الثناء بما أثنى على نفسه الذي يحمد على كل حال " .

هناك عبارة شهيرة : الحمد لله الذي لا يحمد على مكروه سواه

يحمد على كل حال ، يحمد على العطاء وعلى المنع ، وعلى الرفعة ، وعلى الخفض ، وعلى الإعزاز ، وعلى الإزلال يحمد على كل شيء ، وأُذكّر أن الله يذلّ ليعز ، ويضر لينفع.

وقيل الحميد : " الذي يوفقك لفعل الخيرات ويحمدك عليها ".. هذا معنى دقيق جداً .. يعينك على فعل الخير ويحمدك عليه .

إذا أراد ربك إظهار فضله عليك ، خلق الفضل ونسبه إليك . أعطاك مالاً وأعطيت من هذا المال ، وبعد هذا يحمدك الله على إنفاقك والمال منه .

ألا ترون في بعض الأحيان ، كما يجري في عيد الأم أن يأخذ الطفل من والده ثمن الهدية ، ثم يقدمها لأمه ، فنحن نشكر هذا الطفل على هذه البادرة الطيبة ولكن المـال مـن الأب ، والأب أثنى عليه ، أعطاه ثمن الهدية وقدمها لأمه فإذا الأب يثني على أبنه على هذه الهدية ، وثمن الهدية منه.

لذلك إذا أراد ربك إظهار فضله عليك ، خلق الفضلَ ونسبه إليك ، أذن لك الطلب ، يا رب أضرع إليك أن توفقني أن أدعو إليك ، فالله تعالى يلهمك ويطلق لسـانك ، ويؤلـف النّاس حولك ، يجعل بعض الأفئدة تهوي إليك ، فهذا فضل من الله عز وجل ، فقال الله تعالى :

فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾

(سورة آل عمران)

قال : " الحميد هو الذي يوفقُك للخيرات ويحمدك عليها ، ويمحو عنك السـيئات ولا يخْجِلك بذكرها " ، أي ينسيك إياها .. فهل أحدمبرأ من موقف ارتكب فيـه غلـط فـي زمانه؟ لو لم ينسه لاحترق كلما ذكره ، ولكنه بعد أيام ينساه ، فالله عز وجل ينسيك ويمحو عنك السيئة ، ويغفرها لك ، ثم ينيسك إياها ، من أجل أن تقبل عليه ، هذا هـو الحميـد ، وقيل " الحميد .. هو الحامد بنفسه ، المحمود بحمده لنفسه ، وبحمد عباده له " .

هذا الاسم العظيم ورد في آيات كثيرة .. ورد في سورة البقرة .. قال الله تعالى :

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُوا۟ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُوا۟ فِيهِ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٢٦٧﴾

(سورة البقرة)

قد يقدم إنسان شيئًا يكرهه أو تعافه نفسه لفقير ، فثوابه معدوم ، طعام لم يعد محبب له ، يقدمه إلى فقير ، أما إذا لو قدمت طعاما نفيسا أو أكلة محببة عندك لإنسان فقير فالله تعالى يقبل عطاءك ويثيبك عليه ، قال تعالى : " واعلموا أن الله غَني حميد " لا ينسى لك هذا المعروف .

يا داوود مرضت فلم تعدني ؟ قال : يا رب ، كيف أعودك وأنت رب العالمين ؟! قال: مرض عبدي فلان فلم تعده ، أما علمت لو أنك عودتَه لوجدتني عنده .

أنت عندما تقدم شيئًا نفيسا لإنسان مؤمن ، فقير ، جائع ، الله عز وجل " غَني حميد " .. يغنيك ، ويحمدك على هذا العمل ، لذلك قال الله تعالى : "ولا تَيمموا الْخَبِيثَ منْه تُنفقُون ولستُم بِآخذيه إلا أن تُغْمضوا فيه واعلموا أن الله غَني حميد ".

وفي سورة هود :

قَالُوٓاْ أَتَعۡجَبِينَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۖ رَحۡمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٞ مَّجِيدٞ ٧٣

(سورة هود)

إن أي إنسان دعا إلى الله ، وبذل وقته ، وماله ، وصحته ، وطاقاته ، لنشر الحقّ ، فهل الله عز وجل يضيعه وينساه من فضله ، يسلمه لأعدائه ، يخزيه ؟ قالت خديجة لرسول الله عليه الصلاة والسلام : ما يخْزيك الله أبداً .

إخواننا الكرام ... السيدة خديجة أقوى دليل على الفطرة ، أن هذه المرأة التي كانت زوجة النبي عليه الصلاة والسلام ، حينما رأت من النبي الصدق ، والأمانة ، والعفاف ، والطهر ، وخدمة الخلق ، كان عليه الصلاة والسلام يقري الضيف ، يعين الضعيف ، يتصدق ، يعين على نوائب الدهر ، قالت له السيدة خديجة : والله ما يخزيك الله أبداً .

هذه الكلمة أرجو أن يصغي إليها كلّ مؤمن ... والله زوال الكون أهون على الله ، من أن يخزي مؤمناً ، أنت آمنت ، واستقمت ، وعاهدته ، واصطلحت معه ، وتسعى جهدك لطلب رضاه ، تتحرى الحلال ، تبحث عما يرضيه فهل يخزيك ؟.. لا والله .. والله ما يخزيك الله أبداً .

تفاءلوا أيها المؤمنون ، النبي كان يحب التفاؤل ، لا يحب التشاؤم ، الله جلّ جلاله لا يتخلى عن المؤمنين ، لكن يؤدبهم ، يبتليهم ، أما في النهاية يكرمهم ، ويعطيهم ، الآيـة الكريمة التي يقشعر منها الجلد .. قال الله تعالى :

وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ﴿٥﴾

(سورة الضحى)

معنى ذلك أنك الآن في طور المعالجة ، انتظر " ولسوفَ يعطيك ربك فَتَرضى ".

قال الله تعالى : " قَالُوا أَتَعجبِين من أَمرِ الله رحمةُ الله وبركَاتُه عليكُم أَهلَ الْبيـت إِنه حميد مجِيد "

الله حميد ، ويحمدكم على عملكم ، هو يحمد ، ومحمود كما قلنا حامد ومحمـود ، حميد بمعنى حامد أي يحمد ذاته ويحمد خلقه ، إذا خلقه وإذا عباده المؤمنون أعطوا ، بذلوا ، ونصحوا ، وآسروا ، ضحوا ، وإلتزموا ، وصبروا فإن الله يحمدهم ، يحمد نفسه ليعرفوه ، ويحمدهم ليذكروه ، وهو محمود في أفعاله كلها .

في سورة إبراهيم قال تعالى :

الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ﴿١﴾

(سورة إبراهيم)

هذا الصراط صراط الله عز وجل ، الصراط المستقيم هذا يوصلك إلى العزيز الحميد ، العزيز هو الذي لا ينال جانبه ، العزيز القوي ، العزيز الفرد الواحد الصمد ، العزيز الذي لا إله غيره ، وتشتد الحاجة إليه وتصعب الإحاطة به من معاني العزيز ، عزيـز حميـد .. دقيق المعنى .. هو علي عظيم وفي الوقت نفسه يكافئ على كل معروف.

قد يكون شخص عالي المقام ولعلو مقامه ، ليس لديه وقت ليعرف ماذا حدث معه ، ماذا قُدم له ؟... أما ربنا عز وجل على علو مقامه ، وعلى عظمة ذاته ، مـع عبـاده إذا فعلوا معروفاً حمدهم عليه ، عزيز حميد .

وفي سورة الحج :

وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡحَمِيدِ ﴿٢٤﴾

(سورة الحج)

أصعب شيء أن تُسدي إلى إنسان معروف ثم تفاجأ أن هذا الإنسان تنكـر لـك ، وجحد فضلك ، وأدار لك ظهر المجن ..

أُعلمه الرماية كلّ يوم فلما اشتد ساعده رماني
وكم علمتُه نظم القوافي فلما قال قافيةً هجاني

فإذا تعامل الإنسان مع الله ، فلا تجد عنده مشكة ، لو تعامل مع قـوي ، أو مـع إنسان آخر ، أحياناً يقول لك : أنا أخلصت له ، وبذلت من أجله الغالي والرخيص ، ومـع ذلك كان لئيماً ، وكان جحوداً ، تنكر لي ، أدار لي ظهره ، لم يعبأ بي ، وتخلى عني ، فهذا شيء لا يحتمل أن تُسدي إلى إنسان معروفاً ، ثم يتنكر لك .. ولقد قال الله تعالى : " وهدوا إِلى الطيبِ من القَول وهدوا إِلى صراط الْحميد " .

أما إذا أقبلت على الله ، لن يضيعك .. السيدة هاجر نادتْ زوجها سيدنا إبراهيم لما تركها وإسماعيل ولده في واد غير ذي زرع قالت له : الله أمرك بهذا ؟ قال : نعم ، قالت : إذاً لا يضيعنا ، هذا هو شعور المسلم أن الله لن يضيع عبده ، قال الله تعالى :

لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴿٦٤﴾

(سورة الحج)

هذا معنى جديد ، هو غني عنّا ، ومع أنه غني عنّا يعاملنا معاملةً نحمده عليها .

تجد إنسانًا أحياناً يغتني ، فيترفع ، ويتأفف ، ويستغني ، وينسى أقرباءه الفقراء ، وينسى جيرانه ، فهو إذًا غني غير حميد ، أما ربنا عز وجل غني عنا ، وعـن عبادتنـا ، وعن طاعتنا ، وعن ذكرنا ، وعن إبتهالنا ، ومع ذلك لا يعاملنا إلا بما نحمده عليه ، الله هو " الغني الحميد. عزيز حميد ، حميد مجيد ".

قال الله تعالى :

وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَـٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾

(سورة لقمان)

هذه غني حميد دقيقة الدلالة جداً .. هو غني عنا ومع ذلك كاملٌ في معاملته ، لايعاملنا إلا معاملة نحمده عليها .

في سورة سبأ قال تعالى :

وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٦﴾

(سورة سبأ)

إن علينا نحن المسلمين أن ندقق النظر عند كلمة " عزيز حميد ، غني حميد ، حميد مجيد " ، وندرك أبعادها وأثرها علينا ، وفي سورة فاطر قال تعالى :

۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾

(سورة فاطر)

وبعد ، من الحميد من العباد ؟ قال العلماء : من استقامت عقيدته ، واستقامت أخلاقه وأعماله وأقواله وأفعاله .

من هو الذي يحمد على عقيدته وعلى أخلاقه وعلى أعماله وعلى أقواله ؟ هو النّبي عليه الصلاة والسلام ، رسول الله صلى الله عليه وسلم هو من العباد الحميد ، سماه الله محموداً ، محمود عند ربه ، ومحمود عند الخلق ، ومحمود عند نفسه ، بعد النّبي عليه الصلاة والسلام يأتي الرسل والأنبياء والصديقون والأولياء والعلماء ، كلّ واحداً منهم كما يقول الإمام الغزالي حميد بقدر سلامة عقيدته واستقامة أخلاقه وصلاح أعماله وسداد أقواله .

فأنت تُحمد على قدر سلامة عقيدتك واستقامة أخلاقك وصلاح أعمالك وسداد قولك ، فكلما ارتقيت في سلم الكمال تحمد على هذا الكمال، أي هناك علاقة طردية بين الكمال وبين الحمد ، من هو الحميد المطلق ؟ هو الله عز وجل .

الإنسان كامل في ألف موقف ، فتزل قدمه في موقف يبقى عند الناس كاملاً ، أماربنا عز وجل كماله مطلق .. إذاً هو الحميد المطلق .

بعضهم يقول : " الحميد من العباد هو من حسنت عقيدته ، وأخلاقه، وأعماله ، وأقواله ، من غير نقصٍ ولا خلل ".

قال العلماء : " لم تظهر خصائص اسم الحميد في العباد جليةً ، واضحةً في فرد في الوجود ، إلا النّبي عليه الصلاة والسلام " .

وأجمل منك لم تر قط عيني وأكمل منك لم تلد النساء
خلقت مبرأً من كل عيبٍ ... كأنك قد خلقت كما تشاء

قال : الناس على أطباق ثلاثة في علاقتهم بحمد الله عز وجل ، العامة : يحمدونه على إيصال اللذات الجسمانية . أكل ، وشرب، وبيت وزوجة ، ويقول لك الله مفضل ، العوام يحمدون الله على اللذائذ الحسية .. والخواص يحمدونه على اللذات الروحانية . قرأت قرآن ، وشعرت بتجليات وسكينة ، أو صليت صلاة متقنة ، شعرت أنّك اقتربت من الله ، تفتقت معان لطيفة حينما تقرأ القرآن .. قال هؤلاء الخواص : يحمدونه على اللذات الروحانية ..

قال العلماء أيضا : أما خواص الخواص المقربون يحمدونه لأنه أهلٌ للحمد . إما أن تحمده على نعمة حسية ، أو على نعمة روحية ، أو لأنه أهلٌ للحمد .

قالوا أدب المؤمن مع الحميد سبحانه .. هو أنه يمدح الله عز وجل دائماً ، ويثني عليه ، ويحمده على كل شيء ، إلا

ولندقق النظر بعد كل هذا الشرح فقد قال العلماء: " من حمد الله ولم يتحقق من هذه النعم حمده تقليداً ، فهذا الحمد غير مقبولٍ منه " ، ما الدليل ؟ قال تعالى :

إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَن تَقُولُواْ عَلَى اللَّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ



(سورة البقرة)

هل تحققت من نعم الله ؟ لذلك الحمد لا يقبل إلا إذا كان عن تحقُق .. فهل تحققـت من نعمة الوجود ، نعمة الإمداد ، نعمة الهدى والرشاد ، وإلا حمدك هو الحمد التقليدي .

أنا أحياناً أسأل إنساناً ملحداً أقول له : كيف صحتك ؟ يقول : الحمـد لله . وهـو ملحد ينكر وجود الله ، يقول لك : الحمد لله . هذا الكلام لامعنى له إطلاقاً ، لا بـد مـن أن تقول الحمد لله وأنت متحققٌ من نعم الله عز وجل .. أوجدك وأمدك وهداك إليه .

لذلك كان النّبي الكريم تعظم عنده النعمة مهما دقت .

الفرق بين الكافر والمؤمن فرق بسيط ، فالكافر يشهد النعمـة ويسـتمتع بهـا ، والمؤمن يشهد المنعم من وراء النعمة ، أو من خلالها .

الفرق بين المؤمن والكافر ، الكافر مع النعمة ، أما المؤمن مع المـنعم ، الكـافر يستمتع بالدنيا ، بيت فخم وأثاث جميل ، وطعام طيب كلّ شيء من أعلى مستوى ، يستمتع بها أشد الإستمتاع ، هو مع النعمة ، لا مع المنعم ، المؤمن مع المنعم هذا هـو الفـرق ، وهو فرق صارخ .

قال العلماء : ورد أن داود عليه السلام قال لربه : يـا إلهـي كيـف أشـكرك ؟ وشكري لك نعمةٌ منك علي . أي إذا شكرتك هذه نعمة جديدة تضيفها علي ، فقال الله عـز وجل لهذا النّبي الكريم : الآن شكرتني .

إذا علمت أن هذه النعم من الله وأنك إذا شكرته عليها ، اكتسبت نعمة جديدة فقـد شكرت الله عز وجل .. الحديث القدسي " ابن آدم ، إنك إن ذكرتنـي شـكرتني ، وإذا مـا نسيتني كفرتني ".

آخر كلمة أقولها وأختم بها البحث : الشكر الحقيقي لـه ثلاثـة مسـتويات ، أول مستوى : أن تعرف أن هذه النعمة من الله ، هذا مستوى جيد ، الأرقى منه أن تقابـل هـذه النعمة بامتنانٍ وحمد بلسانك وقلبك ، أما الثالثة أرقى وأرقى وهي أن تقابل هذه النعمة بعملٍ صالحٍ .. والدليل :

يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَـٰرِيبَ وَتَمَـٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ
رَّاسِيَـٰتٍ ۚ ٱعْمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾

(سورة سبأ)

الخلاصة إذًا أن تعرف أن هذه النعمة من الله هذا مستوى ، وأن تثنـي علـى الله بلسانك وبقلبك هذا مستوى آخر ، أما أن تقابل هذه النعمة بعملٍ جليل لخدمة الخلق فهـذا معنى قوله تعالى : " اعملُوا آلَ داود شُكْرا وقَليلٌ من عبادي الشكُور " .

أرجوا الله سبحانه وتعالى أن ينفعنا بما علمنا ، وأن يلهمنا الخير.

والحمد لله رب العالمين

الدرس ٧١ - اسم الله : "البر"

بسم الله الرحمن الرحيم

مع الاسم الواحد والسبعين من دروس أسماء الله الحسنى ، والإسم هو اسم **البـرّ** .. **البر** اسمٌ من أسماء الله الحسنى ورد في الأحاديث الشريفة التي أُدرجت فيها أسماء الله تعالى .

والبر .. هذه الكلمة باؤها مثلثة .. ومعنى ذلك أي أن هناك برٌ ، وبرٌ ، وبِر ، فالبر هو القمح .. والبِر هو الإحسان .. والبر هو اليابسة في الأصل، أما **البرّ** إذا كان إسـماً مـن أسماء الله الحسنى هو بالفتح ، أي فاعل البِر ، والبِر هو الإحسان ، أي المحسن فقد قال تعالى :

إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾

(سورة الطور)

أي هو المحسن .

البِر هو الصلة ، والمعروف هو الخير ، المبالغة في الإحسان ، **البـر** هو المحسن ، فلانٌ بارٌ بأبويه إذا كان محسناً لهما ، **البر** من الخلق من تتوالى منه أعمال البِـر ، فهنـاك مبالغة فمن تتوالى منه أعمال البِر من الخلق يسمى براً ، أما إذا كان هذا الإسم منسوباً إلى الله عز وجل فالبر هو مطلق الإحسان .

البِر بالكسر .. الصلة والإحسان ، فلان يبر والديه أي يصلهما بإحسانه ، وفلان يبر رحمه أي يصلهم ، والصلة العطاء مع إتصال ، عطاء مع زيارة، والله جل جلاله يقول :

لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَـٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَـٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾

(سورة الممتحنة)

هذه الآية أيها الإخوة القراء دقيقة المعنى جداً ، قد تلتقي في عملك وفي محيطـك، وقد تلتقي مع أقربائك بنماذج لا يناصبونك العداء ، ولا ينكرون عليك تدينك ، بل إنهم أضعف من أن يتمسكوا بما أنت عليه ، هؤلاء يقدرونك لكنهم ليسوا ملتزمين ، لم يصطلحوا مـع الله بعد ، لم يقبلوا عليه ليسوا ملتزمين لكنهم لا يناصبونك العداء ، بل يقدرون فيك هذا الإتجـاه الطيب ، هذا التدين الصادق ، مثل هذه النماذج من الناس فمن الجريمة أن تُسيء إليهم، هؤلاء يقدرون ، منصفون ، يتمنون ، وهم غير ملتزمين ، فلا تعنفهم، لا تناصبهم العداء بـل أمـل قلوبهم نحوك ، إستمل قلوبهم إليك ، لقوله تعالى: " **لا ينْهاكُم الله عن الذين لم يقَاتلُوكُم فـي الدين ولم يخْرجوكُم من دياركُم أن تَبروهم وتُقْسطُوا إليهم إن الله يحب الْمقْسطين** " .

أن تبرهم أي أن تُحسنوا إليهم ، فإذا لم يكن يصلّي ولكنـه لا يعاديـك ، أنـت إن أحسنت إليه حملته على الصلاة ، أنت إن أحسنت إليه حملته على حضور مجلس علم ، أنـت إن أحسنت إليه حملته على الطاعة .

لذلك من الحمق الشديد أن تجد إنساناً غير ملتزم لكنه لا يعاديك ويقدر فيك تدينك ، يكبر فيك إستقامتك لكنه لم يصطلح بعد مع الله ، هذا النموزج ينبغي أن تُحسن إليه ، وينبغـي أن ترعاه ، ينبغي أن تُمد إليه يد المساعدة ، ينبغي أن يرى فيك تواضعاً ، وإنفتاحاً وإحسـاناً لأنه قد ورد في الحديث القدسي : أن يا داوود ذكر عبادي بإحساني إليهم فإن النفوس جبلـت على حب من أحسن إليها ، وبغض من أساء إليها .

وليثق القارىء الكريم أن كثيرا من المؤمنين ممن هم أرقى مستويات الإيمان سـبب إيمانه وإلتفاته إلى الله وإقباله عليه موقفٌ أخلاقي من مؤمنٍ ، فإنه يوم كان متفلتاً وغير ملتزم التقى بمؤمن فأحسن إليه وتلطف معه وأكرمه فانشرح قلبه للإيمان .

فقد قرأت قصة عن عدة فتيات في بلاد عربي اشتُهر بالفن ، فهؤلاء الفتيات تُبن إلى الله عز وجل وتحجبن وإصطلحن معه ، وشكلن مجتمعاً صغيراً وإعتزلن الفن ، إحدى اللواتي لم تستقمن ولم تصطلح مع الله ولم تتُب بعد تاقت إلى أن تعرف حياة هؤلاء النسـوة اللـواتي إصطلحن مع الله، فذهبت لزيارتهن .. والنقطة الدقيقة في هذه القصة أنهـن رحـبن بهـا وإستقبلنها ورأت بأُم عينها مجتمع الصدق والوفاء والحـب والإسـتقامة والطهـر والعفـاف والإلتزام ، ولأنهن إستقبلنها ورحبن بها وأرينها ما هن عليه من تواصل ، ومن حب ، ومـن وئام ، ومن مودة ، ومن عفاف ، ومن طهر ، انضمت إليهن ، حينما طرقت بابهن لـم تكـن ملتزمة ، لو رفضنها وطردنها لبقيت شاردةً ، بقيت بعيدةً في سكة التيه والضلال .

فأقول وبهذه الدقة .. عليك إذا إنسان ليس ملتزماً إطلاقـاً أراد أن يـزورك أراد أن يلتقي بك ، أراد أن يرى على أي شيء أنت ، فينبغي أن تفتح له صدرك وأن تُرحـب بـه ، وينبغي أن يرى من كمالك ومن تواضعك ، ومن كريم خصالك ومن حبك له ، هذا الموقـف

الأخلاقي هو الذي سوف يجره إليك ، هذا الموقف المتواضع هو الذي يحمله علـى التوبـة ، ورحم الله القائل :

أحسن إلى الناس تستعد قلوبهم فطالما استعبد الإنسان إحسان.

أنت لم تكن ملتزماً وقد من الله عليك واصطلحت معه وأقبلت عليه ، ألا تُحـب أن يكون الخير عاماً ؟ كيف كنت بعيداً عن الإلتزام وجاء أُناسٌ تتقرب منك وحملوك على طاعة الله ، كما فُعل بك إفعل مع غيرك ، كما ذكرك الله ذكر غيرك ، كما أحسن الله إليك أحسن إلى عباده ، كما أنعم الله عليك بنعمة الهدى أنعم على عباده بنعمة الهدى ، لا تكن مغلقاً ، لا تكن محدوداً ، لا تكن متعصباً ، لا تكن متشنجاً من هؤلاء غير الملتزمين ، فماذا يحدث لـو رأوا منك الكمال .

أبو حنيفة النعمان له جار يغني طيلة الليل ، بحيث يعكّر علـى الإمـام ليلـه ، ولا يستطيع أن ينام ، ويقول :

أضاعوني وأي فتى أضاعوا .. ليوم كريهة وطعان خلس .

أُلقي القبض عليه فذهب أبو حنيفة إلى السجن يشفع له ، فلما رأى السجان أبا حنيفة النعمان بمهابته يأتي ليشفع لجاره فأطلق سراح كل من في السجن إكراماً له ، وفـي طريـق العودة إلى البيت قال : يا فتى هل أضعناك ؟ تقول دائماً أضاعوني وأي فتى أضـاعوا فهـل أضعناك .. فكان هذا الموقف الأخلاقي سبب توبته .

يروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان له جارٌ يؤذيه أبلغ الأذى ، وفي أحـد الأيام انقطع عنه أذاه .. فمعنى ذلك أنه مريض .. فذهب إلى عيادته ، فكانت هذه العيادة سبب إيمانه ، وإسلامه وإصطلاحه مع الله.

فالبطولة لا أن تكون مكافئاً .. ليس الواصل بالمكافيء ، لكن الواصل من إذا قطعه الناس وصلهم ، بطولتك لا أن ترد على زيارة بزيارة، أو هدية بهدية ، أو لقـاء بلقـاء ، أو وليمة بوليمة ، فليس لك فضل بذلك ، أما البطولة أن تبادر ، ألم يقل النبـي عليـه الصـلاة والسلام :

" أمرني ربي بتسع .. خشية الله في السر والعلانية ، كلمة العدل في الغضب والرضا ، القصد في الفقر والغنى ، وأن أصل من قطعني، وأن أعفو عمن ظلمني ، وأن أُعطي من حرمني " .

هذا الذي يقرب الناس إليك ، وهذه الآية دقيقة دلالتها جداً قال تعالى :

" لا ينْهاكُم الله عن الذين لم يقاتلُوكُم في الدين ولم يخْرجـوكُم مـن ديـاركُم أن تَبـروهم وتُقْسطُوا إليهم إن الله يحب الْمقْسطين "

أن تبروهم أي أن تحسنوا إليهم ، وما دمنا في هذا الموضوع أذكر لكم آيةً أخـرى يقول الله عز وجل :

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾

(سورة المائدة)

" **ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا** " لا تحملنكم عداوة قومٍ .. وأعداؤكم هـم الكفار .. على ألا تعدلوا معهم " **اعدلوا هو أقرب للتقوى** " ، إن عدلتم معهم قربتموهم إلى الله ، وتقربوا منكم ، أما إن ظلمتموهم أبعدتموهم عن الله .

فلو أن إنساناً يصلي وأساء لنفر الناس من دينه ، أو إنساناً يصوم وأساء نفر النـاس من دينه ، إنسان يؤدي زكاة ماله لو أساء نفر الناس من دينه ، فأنت إما أن تكـون مقربـا ، وإما أن تكون منفرا ، إما أن تكون جامعا، وإما أن تكون مفرقًا .

وفي سورة آل عمران قال تعالى :

لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَىْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٩٢﴾

(سورة آل عمران)

" البِر ".. مطلق عطاء الله ، إحسانه لكم في الدنيا ، إحسانه لكم في الآخرة ، سعادةٌ تملأ القلب ، صحةٌ تحفظ الإنسان ، هيبةٌ تعين الإنسان على معيشته ، كل أنواع الخير ينطوي تحت بكلمة البر" **لن تَنَالُوا البِر حتى تُنْفقُوا مما تُحبـون** " .. أي إذا توهمت أن الجنة ركعتان تؤديهما ودرهمان تنفقهما وأنتهى الأمر عند ذلك الحد وأفعل بعدها ما تريد فأنت مخطىء كل الخطأ.. لا .. إن سلعة الله غالية، إن سلعة الله غالية ،إن سلعة الله غالية فاسمع قول الله تعالى :

" **لن تَنَالُوا البِر حتى تُنْفقُوا مما تُحبون** " الشيء النفيس ، الوقت الثمـين ، المـال الذي جمعته من كدك الحلال ، الشيء الذي بذلت جهداً فيه للوصول إليه ، هذا ينبغي أن تُنفقه .. " **وما تُنْفقُوا من شَيء فَإن الله بِه عليم** ".

شاهد آخر : الحج المبرور ، ونحن لا زلنا في كلمة **البِر** ، والبر، والبر .. اسم الله تعالى **البر** .. أي المحسن لأنه يعطي البِر ويعين عليه وهو الإحسان ، الحج المبرور هو الذي لا يخالطه شيءٌ من المآثم ، والنبي عليه الصلاة والسلام يقول :

عن أَبِي هريرةَ رضي الله عنْهم أَن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قَالَ الْعمرةُ إِلَى الْعمـرة كَفارةٌ لِما بينَهما والْحج الْمبرور لَيس لَه جزاءٌ إِلا الْجنةُ *

أي حجٌ لم يخالطه إثم ، لا رفث ، ولا فسوق ، ولا جدال فـي الحـج .. والحـج المبرور ليس له ثوابٌ إلا الجنة فقد قال تعالى :

ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَـٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿١٩٧﴾

(سورة االبقرة)

البِر .. التقوى ، وهذا من معاني البر فقد قال تعالى :

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحِلُّوا۟ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَلَا ٱلْهَدْىَ وَلَا ٱلْقَلَـٰٓئِدَ وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَٰنًا ۚ وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَٱصْطَادُوا۟ ۚ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا۟ ۘ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢﴾

(سورة المائدة)

وقيل البر .. التقوى .. التوسع في فعل الخير ، وقيل إسمٌ جامعٌ لكـل الطاعـات ، ولكل أعمال الخير المقربة إلى الله ، أو إسمٌ جامعٌ لمرضي الخصال .. وهذا شيء دقيق جـداً

فالتقوى .. إسمٌ جامعٌ لكل الطاعات ، إسمٌ جامعٌ لكل القربات ، إسمٌ جـامعٌ لكـل الخصـال الفاضلة ، إسمٌ جامعٌ لكل الأفعال المرضية .. والبر هو التقوى ، وفي قاموس تاج العروس .. البر خير الدنيا والآخرة .

خير الدنيا ما ييسره الله تعالى للعبد من الهدى والصحة وراحة البـال والطُمأنينـة والرزق النفسي ، وفيها من السرور والسعادة والهيبة ، وفيهـا الزوجـة الصـالحة والأولاد الأبرار والدخل الحلال .

وخير الآخرة .. الفوز بجنة الله وما فيها من النعيم المقيم ، النعيم الدائم ، ومن حورٍ عين ، ومن ولدانٍ مخَلدين ، من جنات تجري من تحتها الأنهار ، من فواكهٌ وهم مكرمـون ، وفيها النظر إلى وجه الله الكريم ، والفوز برضوان الله عز وجل الذي هو أكبر من كل شيء في الجنة ، فقد قال تعالى :

وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾

(سورة التوبة)

فالبر إسم جامع لخيري الدنيا والآخرة .

النبي عليه الصلاة والسلام حينما قال :

عن أبي الأحوص قَالَ كَان عبد الله يقُولُ إن الْكذب لا يصلُح منْه جِد ولا هزلٌ وقَـالَ عفـان مرةً جِد ولا يعد الرجلُ صبيا ثُم لا ينْجِز لَه قَالَ وإن محمدا قَالَ لَنَا لا يزالُ الرجـلُ يصـدقُ حتى يكْتَب عنْد الله صديقًا ولا يزالُ الرجلُ يكْذب حتى يكْتَب عنْد الله كَذابا *

خير الدنيا والآخرة منطو بكلمة البر .. فقد قال تعالى : " **لن تَنَالُوا الْبِر حتى تُنْفقُوا مما تُحبون وما تُنْفقُوا من شَيء فَإن الله به عليم** " .

عليكم بالصدق ، فإن الصدق يهدي إلى البر ، وأرقى أنواع الصدق أن تكون صادقاً مع الله ، ثم يلي ذلك أن تكون صادقاً مع نفسك ، ثم يلي ذلك أن تكون صادقاً مع الناس .

أن تكون صادقاً مع الله .. فأنك إذا عاهدته على التوبة ألا تنتكس بعد التوبـة ، وإذا عاهدته على الطاعة ألا تعصيه بعد العهد ، وإذا قبلت الحجر الأسود وفاوضته وزرفت عنده الدموع ، وعاهدته وقتها ألا تعصيه في بلدك ، الصدق أن تنفذ هذا العهد .

إن الصدق يهدي إلى البر ... أي إلى الصلاح ، إلى خير الدنيا ، إلى خيري الـدنيا والآخرة ، إلى الخير المطلق .

قال العلماء : زمزم هذا النبع الذي تفضل الله به على السيدة هاجر وعلى المسـلمين من بعد ذلك ، يسمى هذا النبع برةً .. لكثرة منافعها وكثرة مائها وسعة خيراتها .

البر أبلغ من البار .. نقول مثلاً علامةٌ وعالم ، العلامة أبلغ ، البر أبلغ مـن البـار وإن كانا بمعنى واحد وهو المحسن ، فلو قلنا : فلان بارٌ بوالديه . وأما إذا قلنا : فلان بر أي تتالى بِره ، وتوالى إحسانه ، وكثر عطاؤه ، وكثر خيره وطاب ، البر أبلغ من البار .

أما البر في حقه تعالى فهو فاعلُ البِر والإحسان ، يحسن إلى عباده بالخير ، فـالله عز وجل لماذا خلق الخلق ؟ خلقهم ليسعدهم ، خلقهم ليحسن إليهم ، خلقهم ليكـرمهم ، أصـل الخلق إحسان ، ففي الحديث القدسي يقول الله تعالى : إني والإنس والجن في نبـإٍ عظـيم .. أخلق ويعبد غيري ، أرزق ويشكر سواي .

مشروع الكون كله هدفه الإحسان فقد قال تعالى :

إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾

(سورة هود)

فالبر .. في حقه تعالى أي فاعل البِر والإحسان ، يحسن إلى عباده بالخير .

والإمام الغزالي يقول : " البر .. المحسن بالبِر المطلق " ، فأحياناً المصيبة إحسان ، فتجد إنساناً شارداً غافلاً تائهاً ومنحرفاً ، والله عز وجل بر أي إحسانه مطلق يسوق له بعض الشدائد ليحمله على التوبة ، وإذا حمله على التوبة وتاب إليه قبلـه وأكرمـه ، فأحيانـاً كـل مصائب الدنيا تنطوي تحت إسم البر .

طفل يتيم تُوفي والده وله جار محسن ، لمحة مرةً يسرق فاكهةً من دكان ، فأمسـك بيده وعنفه ووبخه وذكره بالقيم الأخلاقية وصار يتابعه ، إلى أن إنضبط هذا الطفـل وتـابع دراسته وكبرت سنه ونجح في حياته ، فبقي سنوات عديدة يقول : لولا هذا الإنسان المحسـن الذي أدبني ونبهني وراقبني وعنفني ما كنت فيما أنا عليه .

وكذلك الله سبحانه وتعالى يكشف لعبده المؤمن يوم القيامة عن كل شيء ساقه له في الدنيا من متاعب ، لا شك أن هذا الإنسان يذوب من شدة الإمتنان إلى الله عز وجل ، "**إنـه هو البر الرحيم** " .

لا أريد أن أطيل في هذا الموضوع لكن كل مسلم يعلم لولا أن الله تداركه باللطف ، وبالتأديب أحياناً ، وبالتخويف أحياناً ، أحياناً مرضٌ يبدو أنه عضال ، أحياناً فقرٌ مدقع ، أحياناً إنسانٌ قاهر يضيق عليه هذه كلها تضييقاتٌ تنطوي على الرحمة ويؤكد هذا قول الله عز وجل :

فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُۥ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٤٧﴾

(سورة الأنعام)

قيل : البر .. هو الذي لا يصدر عنه القبيح . وهذا التعريف سلبي، فالبر لا يمكـن أن يصدر عنه شيءٌ قبيح .

وقد ذكر الإمام الرازي أقوالاً : " البر .. هو الذي من على المريدين بكشف طريقه ، وعلى العابدين بفضله وتوفيقه ".

أي أن عابداً من الله عليه بقبول العبادة ، سالك إلى الله يسر له الطريـق إلـى الله ، وأن إنسانًا أراد الإحسان مكنه من الإحسان ، البر المحسن يعطي كُلاً سؤله فقد قال تعالى :

كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾

(سورة الإسراء)

قيل : " البر .. هو الذي من على السائلين بحسن عطائه ، وعلى العابـدين بجميـل جزائه .

وقيل : " البر .. الذي لا يقطع الإحسان بسبب العصيان " .

إذا قال العبد : يارب وهو راكع . قال له الله : لبيك يا عبدي فإذا قال : يا رب وهو ساجد . قال له : لبيك يا عبدي . فإذا قال : يارب وهو عاصٍ . قال الله له : لبيك ثم لبيك ثـم لبيك .

وأنت حينما ترى أما لها إبنٌ شارد عنها بعيد ، ولها أولاد بررة معها دائمـاً ، كـل قلبها مع الشارد ، كل تعلقها مع الشارد ، فإذا عاد هذا الشارد إليها فيوم عودته عيد عنـدها ،

لذلك الله عز وجل كما في الحديث الشريف : لله أشد فرحاً بتوبة عبده من الضـال الواجـد ، والعقيم الوالد ، والظمآن الوارد .

وقيل : " البر .. هو الذي يحسن إلى السائلين بحسن عطائه ، ويتفضل على العابدين بجزيل جزائه ، لا يقطع الإحسان بسبب العصيان وهو الذي لا يصدر عنه القبيح ، وكل فعله مليح ".

مرةً ثانية .. **البر** هو الله عز وجل ، أما البِر هو خير الدنيا والآخرة ، لـذلك مـن الأدعية اللاطيفة : اللهم اجعل نعم الآخرة متصلة بنعم الدنيا ، فهناك حـالات رائعـة جـداً .. كإنسان متعه الله بالصحة ، ومتعه بالعمر المديد ، ومتعه بالعمل الصـالح ، ومتعـه باليقظـة الفكرية ، ومتعه بالحب ، فلما توفي إنتقل إلى الجنة ، هذه النعم العظيمة في الآخرة إتصـلت بنعم الدنيا ، لأن الله سبحانه وتعالى يقول " **ما يفْعلُ الله بِعذَابِكُم إِن شَكَرتُم وآمنْتُم وكَان الله شَاكرا عليما** " .

إسم البر ورد في القرآن مرةً واحدة فجاء في سورة الطور :

" **إِنا كُنا من قَبلُ نَدعوه إِنه هو الْبر الرحيم** " ، " **إِنا كُنا مـن قَبـلُ** " هـم فـي الجنـة الآن ويتحدثون عن ربهم " **نَدعوه** " في الدنيا " **إِنه هو الْبر الرحيم** ". أي برٌ رحيمٌ بنا في الـدنيا والآخرة .

ورد مشتق هذا الإسم في سورة مريم ، في قوله تعالى :

وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ﴿١٤﴾

(سورة مريم)

وفي السورة نفسها ورد على لسان سيدنا عيسى :

وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾

(سورة مريم)

معنى ذلك أن الإنسان إذا أراد الله تأديبه في حياة أمه ربما كان بعض هذا التأديـب لأمه . لذلك ورد في الأثر القدسي أنه إذا ماتت الأم قال الله سبحانه وتعالى : " عبدي ماتـت التي كنا نكرمك لأجلها ، فاعمل صالحاً نكرمك لأجله .

أي أن جزءا من إكرام الله لك في حياة أمك من أجل أمك ، لأن الله إذا أدب عبـده في حياة أمه نصف التأديب لأمه .

فأحياناً أباً يتألم من ابنه فيدعو عليه ، فإذا إستجاب الله دعاءه تألم ألماً أشـد .. فـلا تتمن ذلك .. " **وبرا بوالدتي ولم يجعلني جبارا شَقيا** " .

أيها القارىء الكريم ... شعور الأب حينما يكون ابنه شارداً منحرفاً ، شقياً ، بعيـداً عن الدين شعور أسى لا يوصف ، فقد يتألم ألماً يوجعه ويقعده ، لو أن الدنيا كلها بيديه وانفقها من أجل أن يصلُح ابنه لفعل ، فمن رزقه الله ابناً صالحاً ، وطاهراً ، منيباً ، مصلياً ، عفيفًا ، سلوكه حسن ، هذا الأب عليه أن يقبل الأرض شكراً لله عز وجل .

سبحان الله فالإنسان كلما تذلل إلى الله إرتقى عند الله ، فمنذ يـومين أخ كـريم لـه مشكلة كبيرة جداً ، فلجأ إلى قيام الليل ، يصلّي قيام الليل وفي السجود دعا ربـه لحـل هـذه المشكلة ، والقصة من أغرب القصص حلت بشكلٍ هين ولا عنت فيه ، وقد ذكر لي التفاصيل ومن غير المعقول أن تُحل بهذه الطريقة ، ومن شدة تأثره وبينما هو يجلس في المسـجد قـام وسجد لله عز وجل شكراً .

فالمؤمن إذا أصابه خير ، أو له مشكلة حلت ، له قضية فُرجت ، أو شبح مصـيبة أزيح عنه ، أو شيء ناله ، وقام وصلى لله صلاة الشكر وسجد فهذا من مكارم الأخلاق ، فقد تأثرت .. قام وسجد وشكر الله على حل هذه المشكلة " **وبرا بوالدتي ولم يجعلني جبارا شَقيا** " .

ورد هذا الإسم مشتقاً في آية ثالثة في سورة عبس قال الله تعالى:

بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾ كِرَامٍ بَرَرَةٍ ﴿١٦﴾

(سورة عبس)

فالبر أي المحسن ، مطلق الإحسان .. يجوز أن تقول فلان برٌ سعيد .. فالنبي قال : عن ابنِ عمرَ أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم خَطَب الناس يوم فَتْحِ مكةَ فَقَالَ يا أيها الناس إن الله قَد أَذْهب عنْكُم عبيةَ الْجاهلية وتَعاظُمها بِآبائِها فَالناس رجلَانِ بر تَقي كَرِيمٌ علَـى اللـه وفَاجِرٌ شَقي هينٌ علَى الله والناس بنُو آدم وخَلَقَ الله آدم من تُرابٍ قَالَ الله (يا أيها الناس إنا خَلَقْنَاكُم من ذَكَرٍ وأُنْثَى وجعلْنَاكُم شُعوبا وقَبائِلَ لِتَعارفُوا إن أَكْرمكُم عنْد الله أَتْقَاكُم إن الله عليمٌ خَبِيرٌ) *

قال العلماء : يجوز أن تقول فلان بر .. فالعبد يكون براً بقدر ما يفعل من البـر ، وأفضل إنسان عليك أن تبره أبوك وأمك ومن علمك ومن زوجك، فقد أتألم أشد الألم من صهر يناصب عمه العداء ، فقد زوجك ابنته ورباها عشرين سـنة ، أطعمهـا وأسـقاها وأكرمهـا وعالجها وأدبها وقدمها لك هدية ، فليس لك هماً بعد ذلك إلا إغاظته ، فهذا منتهى اللؤم .

لذلك قالوا : أبٌ أنجبك ، وأبٌ زوجك ، وأبٌ دلك على الله .

أبٌ أنجبك .. الأب النسبي ، وأبٌ زوجك .. وهو عمك والد زوجتـك ، وأبٌ دلـك على الله وهو من أخذ بيدك إلى الهداية ، فهذه الزوجة التي عندك في البيت ، وهذا أبوها فإن أسأت إليه أسأت إليها ، فليس هناك إنسان إلا وهو يحب أمه وأباه، فإذا أسأت إلى أُمها وإلـى أبيها أسأت إليها ، فإذا أردتها أن تموت في حبك وأنت تسيء إلى أُمها وأبيها فهذا فعل إنسان غبي ، واعلم أنّها لن تحبك ، فإذا أردت أن تُكافئها على إخلاصها بإخلاصٍ أكرم أبويها .

أُعلمه الرماية كل يومٍ فلما اشتد ساعده رماني
وكم علمته نظم القوافي .. فلما قال قافيةً هجاني

إذا لم يكن في الإنسان خير لأمه وأبيه ولمن علمه ولمن زوجه فليس فيه خير لأحد ، لأن هؤلاء لهم فضلٌ كبير .

وقد ذكرت ذات مرة مثلاً إفتراضيا والفقرة الأولى فيه واقعية .. شخص يمشي فـي الطريق رأى حركة داخل كيس أسود في حاوية للقمامة ، فأمسك به فإذا بطفل ولـد لتـوه .. وهذه القصة وقعت ، وهذا الطفل ابن زنى أُلقي في الحاوية .. فأخذه إلى المشـفى وعالجـه وإعتنى به وأحضره إلى بيته ، وجعله أحد أفراد أسرته وأدخله المدرسة ، فإجتـاز المراحـل الدراسية من إبتدائي وإعدادي وثانوي فنبغ فأدخله كلية الطب ، ثم أرسله إلى أمريكا ، وجـاء بشهادة بورد ، وزوجه ابنته واشترى له عيادة وأعطاه رأس مال ، واشترى لـه جهازهـا ، واشترى له سيارة وبيتاً ، وفي ذات يوم كان عمه يمشي في الطريق فـرأى صـهره يركـب مركبته ، فقال له : يا فلان أوصلني إلى البيت. إن هذا الطبيب اللامع الذي كان داخل كـيس أسود في الحاوية لو أنه تردد في تلبية طلب عمه ثانية واحدة لكان في حقه مجرماً .

سيدنا عبد الله بن رواحة عندما رأى صاحبيه قد استُشهدا قال :

يا نفس إلا تُقتلي تموتي هذا حمام الموت قد صليتي
إن تفعلي فعلهما رضيتي .. وإن توليتي فقد شقيتي .

لو حسبنا الوقت الذي قال فيهما البيتين لكان ثلاثين ثانية .. تردد، فلما قال النبـي : أخذ الراية أخوكم زيد فقاتل بها حتى قُتل ، وإنّي لأرى مقامه في الجنة ، ثم أخـذها أخـوكم جعفر فقاتل بها حتى قُتل وإني لأرى مقامه في الجنة ، ثم سكت .. فقال أصحاب النبي : مـا فعل عبد الله ؟ فقال: ثم أخذها عبد الله فقاتل بها حتى قُتل وإني لأرى في مقامه إزوراراً عـن صاحبيه .

درجته نزلت لترددهلعدة ثوانٍ .. ثم مات شهيداً ، إحسان الله كبير جداً ، فإذا ترددت في خدمة إنسان بإنفاق ، أو بصدقة ، أو ترددت بأداء صلاة ، أو بحضور مجلس علم فهـذه مشكلة كبيرة .

قالوا : من أدب المؤمن مع هذا الإسم العظيم .. أن تكون أعماله كلها خيـرةً ، أي يتخلق بأخلاق هذا الإسم ، إن فعل هذا غُرِست محبته في قلوب العباد .

ألوان بِر الله لعباده كثيرة .. قال بعض العارفين : " سبحان ربي الحنـان المنـان ، الذي من على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويـزكيهم ويعلمهـم الكتاب والحكمة ، والذي من على المؤمنين بأن جعلهم من أصحاب اليمين ، وهو الذي ألهمهم القيام بالأعمال الصالحة ، وهو الذي رزقهم القبول، وقبول أحسن ما عملـوا ، وهـو الـذي يتجاوز عن سيئاتهم ".

فالله عز وجل عطاؤه كبير لذلك قيل :

وجدناك مضطّراً فقلنا لك : أدعنا نُجبك ..فهل أنت حقاً دعوتنا ؟
دعوناك للخيرات أعرضت نائياً فهل تلقى من يحسن لمثاك مثلنا ؟
فيا خجلي منه إذا هو قال لي : أيا عبدنا ما قرأت كتابنا ؟
أما تستحي منّا ويكفيك ما جرى أما تختشي من عتبنا يوم جمعنا أما آن أن تقلع عن الذنب راجعاً وتنظر ما به جاء وعدنا
إلى متى أنت باللذات مشغولُ وأنت عن كل ما قدمت مسؤولُ

قال العلماء : حظ العبد من هذا الإسم البر أن يكون مشتغلاً بأعمال البِر، كما قـال العلماء " **تخلقوا بأخلاق الله** " .

الله عز وجل بر .. أي محسن ، أنت ينبغي أن تشتغل بأعمال البِر ، وقد جمـع الله أعمال البِر في آية واحدة في سورة البقرة قال الله تعالى :

۞ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ
ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ
عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ
وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ
وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ
وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾

(سورة البقرة)

" **ليس البِر أن تُولوا وجوهكُم قبلَ المشْرق والمغْرب ولكن البِر من آمن بالله** " لا بد من أن تقتطع من وقتك وقتاً كي تؤمن بالله .

فالجانب الإعتقادي .. " **ليس البِر أن تُولوا وجوهكُم قبلَ المشْرق والمغْرب ولكـن البِر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتَاب والنبيين" .**

أما الجانب العملي أوله البذل .. " **وآتَى المالَ على حبـه ذَوي القُربـى واليتَـامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقَاب** " .

أما العبادات الشعائرية .. " **وأقَام الصلاةَ وآتَى الزكَاةَ** " **.**

وأما العبادات الأخلاقية .." **والموفُون بعهدهم إذَا عاهدوا والصابِرين في البَأسـاء والضراء وحين البَأس أُولئِك الذين صدقُوا وأُولئِك هم المتقُون** " **.**

ولعل النبي صلّى الله عليه وسلم مستلهما هذه الآية قال :

عن عبد الله بن مسعود قَالَ قَالَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عليكُم بالصدق فَإن الصـدقَ يهدي إلَى البِر وإن البِر يهدي إلَى الْجنة وما يزالُ الرجلُ يصدقُ ويتَحرى الصدقَ حتى يكْتَب عنْد الله صديقًا وإياكُم والْكذب فَإن الْكذب يهدي إلَى الْفُجورِ وإن الْفُجور يهدي إلَى النارِ ومـا يزالُ الْعبد يكْذب ويتَحرى الْكذب حتى يكْتَب عنْد الله كَذابا وفي الْباب *

قال العلماء : من شرط البر أن تبذل الأحسن .. كما قال الله تعالى :

" **لن تَنَالُوا البِر حتى تُنْفقُوا مما تُحبون وما تُنْفقُوا من شَيء فَإن الله بِه عليم** " **.**

وفهمكم أيها القراء الكرام كفاية .. " **تُنْفِقُوا مما تُحبون** "، أحياناً أغلى شيء عليـك الوقت ينبغي أن تنفقه في سبيل الله ، أحياناً أغلى شيء عليك مكانتك يجب أن توظفهـا فـي خدمة الحقّ .

أيها القارىء الكريم ... قال العلماء: من تخلق العبد بهذا الإسم أن يكـون مشـتغلاً بأعمال البِر واستباق الخيرات .. وهناك معنى سلبي .. وألا يضمر الشر لأحد وألا يؤذي أحدا ، فإن البر هو الذي لا يؤذي .

" عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : سمعت النبي صلّى الله عليه وسلم يقول : البِر لا يبلى ، والذنب لا ينسى ، والديان لا يموت ، إعمل ما شئت كما تَدين تُدان ".

أي أن المؤمن معطاء ، وغير المؤمن أخاذ ، المؤمن بالتعبير الحديث إتخذ قـرارا إستراتيجيا أن يعطي .. يعطي من وقته ومن ماله ومن خبرته ، والكافر بنيته مبنية على الأخذ .

لا زلنا في الحديث عن أدب المؤمن مع اسم **البر** .. قالوا : المؤمن متى عـرف أن الله هو البر الرحيم ينبغي أن يكون باراً بكل أحد كما يقول الإمام القشيري ، لا سيما بوالديـه لحديث : رضا الرب في رضا الوالدين ، وسخْطه في سخطهما .

حكي عن موسى عليه السلام لما كلمه ربه رأى رجلاً في أعلـى مكانـةً عنـد الله فتعجب من علو مكانته ، فقال : يا رب .. بِم بلغ هذا العبد ذاك المكان !؟ فقال : إنه كـان لا يحسد عبداً من عبادي على ما آتيته ، وكان براً بوالديه .

لأن الله عز وجل قال :

﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾

(سورة الإسراء)

قالوا : من كان الله باراً به عصم عن المخالفات نفسه ، وأدام بفنون اللطائف أُنسه ، ووفر في طريقه إجتهاده ، وجعل التوفيق زاده ، وجعل قصده سداده ، ومنبع سلوكه إرشاده ، وأغناه عن أشكاله بأفضاله، وحماه عن مخالفته بيمن إقباله .

هذا الإسم متعلق بالإحسان ، بالحركة ، فأحياناً تجد المؤمن له خصائص عقائديـة ، أو خصائص أخلاقية ، وكذلك خصائص سلوكية ، أي أنك حجمك عنـد الله بحجـم عملـك الصالح ، ماذا فعلت ؟

أنواع البر لا تُعد ولا تُحصى ، فهناك المساكين والفقراء ، وهناك العنايـة بالأيتـام والأرامل ، وهناك معاونة العجزة ، وأيضاً هناك الدعوة إلى الله ، والأمر بالمعروف ، وتعليم العلم ، وتعلم العلم ، فأنواع البر لا تعد ولا تحصى ، فالإسم حركي ، أي أن هذا الإسم متعلق بأعمالك الصالحة، ولا تنس أن حجمك عند الله بحجم أعمالـك الصـالحة ، وأن الله سـبحانه وتعالى يقول :

وَلِكُلٍّ دَرَجَـٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟ ۖ وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَـٰلَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٩﴾

(سورة الأحقاف)

والحمد لله رب العالمين

الـ ـدرس ٧٢ – اسم الله : الباعث .

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الأخوة المؤمنون ... مع الدرس الثاني والسبعين من دروس أسماء الله الحسـنى ، والاسم اليوم **الباعـث** .. وقد ورد هذا الاسم في أحاديث رسول الله صـلى الله عليـه وسـلم الصحيحة التي ذكر فيها أسماء الله الحسنى.

البعث في اللُغة .. الإثارةُ والإنهاض .. يقال : بعث بعيره فانبعث أي استنهضه فنهض .. أنهضه ، وبعثه أرسله ، وانبعث فلان لشأنه أي سار لشأنه ، بعث الناقة أثارها ، بعث فلاناً من نومه أيقظه ، البعث بعث الجنود إلى الغزو ، البعث هو الجيش ، البعث الإحياء مـن الله عز وجل، البعث : النشر . هذا ما ورد في معاجم اللغة حول معنى كلمة البعث كمصدر فـي اللغة .

وأما **الباعث** في حق الله تعالى .. فلهذا الاسم معانٍ كثيرة ، ومن هـذه المعـاني أن الله سبحانه وتعالى **باعث** الخلق يوم القيامة كما يقول في سورة الحج ، قال تعالى :

وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبۡعَثُ مَن فِي ٱلۡقُبُورِ ﴿٧﴾

(سورة الحج)

أي أن الله سبحانه وتعالى ينهض الموتى من قبورهم ليحاسبهم ، وقد قال تعـالى فـي سورة الزلزلة :

إِذَا زُلۡزِلَتِ ٱلۡأَرۡضُ زِلۡزَالَهَا ﴿١﴾ وَأَخۡرَجَتِ ٱلۡأَرۡضُ أَثۡقَالَهَا ﴿٢﴾ وَقَالَ ٱلۡإِنسَٰنُ مَا لَهَا ﴿٣﴾ يَوۡمَئِذٖ تُحَدِّثُ أَخۡبَارَهَا ﴿٤﴾ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوۡحَىٰ لَهَا ﴿٥﴾ يَوۡمَئِذٖ يَصۡدُرُ ٱلنَّاسُ أَشۡتَاتٗا لِّيُرَوۡاْ أَعۡمَٰلَهُمۡ ﴿٦﴾

(سورة الزلزلة)

هذا هو البعث .. فالمؤمن يؤمن بيوم البعث .

المعنى الآخر لاسم الباعث أن الله جل جلاله باعث الرسل إلى الخلق ، يقول تعالى فـي سورة النحل :

وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا

(سورة النحل)

إنهاض الناس من قبورهم **باعث** ، وإرسال الرسل إلى الناس كافةً **باعث** .

وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا

والمعنى الثالث أنه تعالى يبعث عباده على الأفعال المخصوصة أي أن الله عز وجل يلهم الإنسان في حركاته وسكناته .. وذلك بالطبع لصالحه مكافأةً أو تأديباً .. قال تعالى :

هُوَ ٱلَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ

(سورة يونس)

ألم يقل النبي عليه الصلاة والسلام :

حدثَنَا حيوةُ أَخْبرني أَبو هانئ أَنه سمع أَبا عبد الرحمن الْحبلي أَنه سمع عبد الله بن عمرو ابن الْعاص يقُولا أَنه سمع رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقُولُ إِن قُلُوب بني آدم كُلها بين إِصبعين من أَصابِع الرحمن كَقَلْبٍ واحد يصرفُه حيثُ يشَاء ثُم قَالَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم اللهم مصرفَ الْقُلُوبِ صرفْ قُلُوبنَا على طَاعتك *

هذا التقليب لصالح العباد ، فالإنسان أحياناً يلهم أن يتحرك ، يلهم أن يسير في هذا الطريق، يلهم أن يشتري ، يلهم أن يبيع ، وقد يستجيب أحياناً لوسوسة الشيطان . والله سبحانه وتعالى لا يسمح لفعلٍ إلا إذا كان فيه صالح للعبد نفسه ، الله تعالى يقلب قلوب العباد بين إصبعيه .

فمثلاً لو أن الإنسان اختار طريق الحق أو اختار طاعة الله عز وجل ، أو اختار التوبة النصوح ، ربنا سبحانه وتعالى يشرح له صدره ، شَرح صدره إعانةٌ لهذا العبد على طاعة ربه ، فقد قال تعالى :

نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾

(سورة الكهف)

فالإنسان مثلاً إذا تحرك نحو الله قليلاً فالله سبحانه وتعالى يبارك حركتـه ويشـجعه ويشرح له صدره ويعينه على طاعته ، ألم يجمع القرآن كله في الفاتحة ؟ ألا تُجمع الفاتحة في آية " **إياك نَعبد وإياك نَستَعين** " .

ولو أن الإنسان اختار طريق الباطل ، أو طريق الشهوة ، أو طريق المكاسب المادية ، أو طريق الأذى ، فالله سبحانه وتعالى كيف يعينه على أن يبتعد عن هذا القـرار ؟ يجعـل صدره ضيقاً حرجاً كأنما يصعد في السماء كما ورد في قوله تعالى :

فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾

(سورة الأنعام)

فهنا وقفة دقيقة .. إن اتخذت قراراً صحيحاً شرح الله لك صدرك وهو بهذا أعانك على متابعة هذا القرار ، وإن اتخذت قراراً خاطئاً ضيق الله عليك نفسك " **يجعلْ صدره ضيقًا حرجا كأنما يصعد في السماء** " لعلك ترتدع عن متابعة هذا القرار .

فالله سبحانه وتعالى حينما جعل قلوب العباد بين إصبعيه ما جعلها كذلك إلا ليعين عباده على الخير ، وليبعدهم عن الشر ، **فالباعث** أحياناً هذا الانشراح ، والمثبط هذا الضيق ، فـالله سبحانه وتعالى يبعث عباده على الأفعال المخصوصة .

هناك معنى آخر : إن الله سبحانه وتعالى أمر ونهى وكلف ، وأعطى الإنسان حريـة الاختيار ، ولو أن الإنسان اتخذ قراراً خاطئاً وتابع خطأه إلى ما لا نهاية حتى جـاءه المـوت وهو متلبس بالمعصية والكفر ، لاستحق جهنم إلى أبد الآبدين ، هذا محض العدل ، ولكـن الله سبحانه وتعالى رحيم يربي هذا العبد ، فلو أنه اتخذ قراراً خاطئاً وأراد أن يؤدبه بعثـه إلـى عملٍ يستحق عليه عقاباً شديداً .. إذا أراد ربك إنفاذ أمرٍ أخذ من كل ذي لبٍ لُبه.

فمثلاً : إذا اتخذ إنسان قراراً في أن يؤذي الناس ، كأن يغُشهم فـي بضـاعته ، وأن يغتصب بعض أموالهم ، وحاز هذا المال ؛ فلو أن الله تركه إلى نهاية المطاف لاستحق النار ، لكنه يتحرك حركةً خاطئة فيبعثه إلى عملٍ يستحق عليه العقوبة كي يؤدب ، فقد قال تعالى :

فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُۥ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٤٧﴾

(سورة الأنعام)

إذاً إن الله تعالى يبعث عباده على الأفعال المخصوصة إما تحقيقاً لاختيارهم ، أو تأديباً لهم، أو مكافأةً لهم ، فلو إنساناً أدى زكاة ماله يبعثه لشراء صفقة رابحة ، يعوض عليه كل ما دفع، و إنسان آخر بخل أن يزكي ماله يبعثه إلى صفقة خاسرة .

فالله عز وجل يبعث .. بالمعنى الأول يحقق لك اختيارك ، وبالمعنى الثاني يكافئك على حسن اختيارك أو يؤدبك على سوء اختيارك ، هذا التسيير الأول .. لتحقيق الاختيار .. أما الثاني لدفع ثمن الاختيار .

التسيير الأول هو أن تحقق اختيارك .. أما التسيير الثاني تسيير تربوي فإما أن يشجع وإما أن يعاقب ، وهذا هو معنى يبعث عباده على الأفعال المخصوصة .

يبعث من في القبور .. ينهضهم .

يبعث الأنبياء والمرسلين .. يرسلهم .

يبعث عباده على الأفعال المخصوصة .. أي يخلق الإرادات والدواعي في قلوبهم .

والمعنى الرابع .. أن الله سبحانه وتعالى يبعث عباده عند العجز بالمعونة والإغاثة .

فالإنسان بين حالين لا ثالث لهما ، حال الاعتداد بالنفس كما حدث للصحابة الكرام يوم حنين فقد قال تعالى :

وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ۙ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ

فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا

(سورة التوبة)

وحال الافتقار إلى الله مثلما حدث للصحابة الكرام في بدر فقد قال تعالى :

وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ

(سورة آل عمران)

أنت بين حال الاعتداد بالنفس أن تقول : أنا ، وبين حال الافتقار إلى الله أن تقول : الله ، إن قلت : أنا تخلى عنك ، " فلم تغن عنكم شيئاً " **وضاقتْ عليكُم الأرض بما رحبتْ** " .

والحالة الثانية حال أن تقول : الله وعندها يتولاك الله بالرعاية والتوفيق . في حياة كـلٍ منا كل يوم عشرات الدروس ، إن قلت : أنا تخلى الله عنك ، وإن قلت : الله : تولاك ورعاك وأيدك ونصرك وأعانك وألهمك وحفظك ودافع عنك ، شتان بين أن تقـول : الله ، وبـين أن تقول : أنا ، ولا يخفى عليكم أن .. أنا، ونحن ، ولي ، وعندي أربع كلمات مهلكـات ، فقـد قالها إبليس فأهلكه الله في سورة ص مخاطباً ربه :

قَالَ أَنَاْ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿٧٦﴾

(سورة ص)

وقال قوم سبأ فأهلكهم الله تعالى :

قَالُواْ نَحْنُ أُوْلُواْ قُوَّةٍ وَأُوْلُواْ بَأْسٍ شَدِيدٍ

(سورة النمل)

وقال فرعون فأهلكه الله :

أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ

(سورة الزخرف)

وقال قارون فأهلكه الله :

إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ

(سورة القصص)

المعنى الرابع .. أن الله سبحانه وتعالى يبعث عباده عند العجز بالمعونـة والإغاثـة ، وعند الذنب بقبول التوبة .

هذا مجمل المعاني التي وردت في الكتاب والسنة عن اسم **الباعث**، وقيل : **الباعـث** .. الذي يبعث من في القبور ، باعثُ الساكن ، ساكن يبعثه الله فيتحرك ، كل شيء ساكن يبعثـه

الله فيتحرك ، فالنبات في الشتاء ساكن يكون حطباً ، ويأتي الربيع فيبعثه الله فيزهر ويـورق ويثمر ، بعض الحيوانات تنام في الشتاء ويأتي فصل الصيف فيبعثها الله .

البذرة .. فيها رشيم ، فيها جذَير ، فيها سويق ، فيها حيـاةٌ يمكـن أن تُخزنهـا آلاف السنوات، القمح الذي وجد في الأهرامات زرع فأنبت وقد مضى عليه ستة آلاف عام ، فلمـا وضعت هذه البذرة في الأرض بعثها الله، نبتت ..

وهذا معنى اسم **الباعث** مطلقاً .. باعث الساكن ، شيء ساكن فيتحرك .

باعث الهمم .. فالإنسان أحياناً تضعف نفسه فإذا استعان بالله عز وجل أعطـاه همـةً ، وأعطاه قوةً وأعطاه اندفاعاً ، لذلك فالمؤمن الصادق يدعو ويقول :

" اللهم تبرأت من حولي وقوتي والتجأت إلى حولك وقوتك ياذا القوة المتين".

يقول الإمام الغزالي : " **الباعث** .. هو الذي يحيي الخلق يوم النشور ويبعث مـن فـي القبور، ويحصل ما في الصدور " .

كل أعمالك مسجلةٌ عليك ، سوف نُبعث ونراها أمامنا واحدةً واحدة فقد قال تعالى :

ٱقۡرَأۡ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفۡسِكَ ٱلۡيَوۡمَ عَلَيۡكَ حَسِيبٗا ﴿١٤﴾

(سورة الإسراء)

والبعث هو النشأة الآخرة ، فالنشأة الأولى في الدنيا ، والنشأة الآخرة يوم القيامة .

أيها الإخوة ... قال بعض العلماء : " الإنسان أحياناً يتوهم أن الموت عدم وأن البعـث إيجاد إبتداءً " ، والحقيقة غير ذلك ، الإنسان يموت ولكنه في القبر إما أن يكون من أهل النعيم ، وإما أن يكون من أهل الجحيم ، إما أن يكون القبر روضةً من رياض الجنة ، وإما أن يكون القبر حفرةً من حفر النيران ، والدليل قوله تعالى :

وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتَۢاۚ بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ ﴿١٦٩﴾

(سورة آل عمران)

الموت ليس فناءً ونهايةً ومن ثم يوم القيامة فيه بدء جديد لا -بل هناك حياة برزخيـة ، ألم يقل الله عز وجل :

ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾

(سورة غافر)

مضى على عذابهم أكثر من ستة آلاف عام وإلى يوم القيامة غُدواً وعشياً ، هذه الآيـة أصلٌ في عذاب القبر أو عذاب البرزخ مطلقاً .

أيها الإخوة ... الموتى إما أن يكونوا أشقياء ، وإما أن يكونوا سعداء ، إن كانت أعمالهم سيئة كانوا أشقياء في القبر وإلى يوم القيامة ، وإن كانت أعمالهم صالحة كانوا سـعداء فـي القبر وإلى يوم القيامة ، لذلك فإن القبر كما قلت قبل قليل روضةٌ من رياض الجنة ، أو حفرةٌ من حفر النيران.

ورد في بعض الأحاديث الشريفة : " أن روح الميت ترفرف فوق النعش تقول .. يـا أهلي يا ولدي لا تلعبن بكم الدنيا كما لعبت بي ، جمعت المال مما حل وحرم فأنفقته في حلـه وفي غير حله ، فالهناء لكم والتبعة علي "

الإنسان بعد الموت كما ورد في السنة والسيرة يسمع ويرى ، ألم يخاطب النبي صـلى الله عليه وسلم قتلى بدر قال : يا فلان يا فلان سماهم بأسمائهم واحداً واحـداً ، قـال : إنـي وجدت ما وعدني ربي حقاً ، فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا ؟ ولما قيل له : يا رسول الله كيف تُنادي قوماً قد جيفوا !! فقال عليه الصلاة والسلام : ما أنتم بأسمع لما أقول مـنهم ولكـنهم لا يجيبونني .

قالت عائِشَةَ لما أمر النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر بِأُولئِك الرهط فَـأُلقُوا فـي الطوى عتْبةُ وأبو جهلٍ وأصحابه وقَفَ عليهم فَقَالَ جزاكُم الله شَرا من قوم نَبِي مـا كـان أسوأ الطرد وأشَد التكْذيبِ قَالُوا يا رسولَ الله كَيفَ تُكلم قوما جيفُوا فَقَالَ ما أَنْتُم بِأَفْهم لِقَولِي منْهم أو لهم أَفْهم لِقَولِي منْكُم *

(مسند الإمام أحمد)

إذاً الإنسان يحيى فإذا جاء الموت .. أي عملية انفصال نفسه عن جسده عن روحه .. روح الإنسان هي القوة المحركة ، وجسده وعاؤه ، ونفسه ذاته . النفس خالدةٌ إلى أبد الآبدين ، إما في جنات النعيم وإما في أعماق الجحيم ، فقد قال تعالى :

وَنَادَوْاْ يَـٰمَـٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۖ قَالَ إِنَّكُم مَّـٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾

(سورة الزخرف)

فأنت خُلقت لتبقى ، إما في نعيمٍ مقيم وهذا ما نرجوه إن شاء الله تعالى ، وإما في جحيمٍ لا يطاق ولا يحتمل ، فلذلك عندما يؤثر الإنسان الدنيا على الآخرة يكون أحمق وغبياً .

من آثر دنياه على آخرته خسرهما معاً ، ومن آثر آخرته على دنياه ربحهما معاً .

إني وجدت ما وعدني ربي حقا ، فهل وجدتم ما وعد ربكم حقاً؟ خاطبهم .. أحـدهم ألف كتاباً اسمه الحياة بعد الموت .. وكان الباعث على تأليف هذا الكتاب أن مريضاً توقـف قلبه أمداً طويلاً ثم عاد ونبض ، فذكر هذا الإنسان كيف أنه تصور أعماله كلها ، وكيـف أن نفسه ابتعدت عن جسده ، وكيف أنه ندم على أعماله السيئة ، هذا الوصف جعل مؤلف الكتاب يتحرك إلى أكثر المشافي وأراد أن يأخذ تقاريراً مشابهةً عن هذه الحالات ، وقام بجمع هـذه التقارير وألفها في كتاب .

والملخص .. أن الإنسان حينما يموت تبتعد نفسه عن جسده ، المؤمن يستعرض حياتـه كلها طيلة حياته ، ويقيم أعماله كلها وفق مقياسٍ واحد هو مدى ما ينفع بها عباد الله ، ويـرى أن أعماله ولو عظمت إن لم ينتفع بها أحد فلا قيمة لها فإن خير عباد الله أنفعهم للناس .

فالإنسان حينما يدقق ، أو حينما يعلم علم اليقين أنه سوف يدخل في القبـر ، وأن هـذا القبر حياةٌ برزخية تسبق الحياة الأخروية ، وأن هذه الحياة في القبر نعيم أو جحيم ينبغـي ان يعد ألف مرة قبل أن يقترف المعصية .

الإمام القُشيري يقول : " **الباعث** .. هو الذي يبعث الخواطر الخفية في الأسرار ، فمـن دواعٍ ما يبعثها إلى الحسنات ، ومن دواعٍ ما يبعثها إلى السيئات "

كما قلت قبل قليل .. العمل أساسه إرادة ، الإرادة تتحرك بالباعـث والباعـث هـو الله سبحانه وتعالى يبعثنا إلى أعمالٍ اخترناها صالحة ، أو إلى أعمالٍ اخترناها سـيئة ، فلـذلك حينما قال الله عز وجل :

لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ۗ

(سورة البقرة)

" **لها ما كسبتْ وعليها ما اكْتَسبتْ** " ما هو الكسب ؟ أنت حينما تقول : أنا سأُصلي هذا هو **الباعث** ، هذا هو الكسب . الله سبحانه وتعالى يمدك بقوة منه ، فالله جل جلاله حينما يراك تريد أن تُصلي يعينك على آداء الصلاة ، هو الذي يحقق أفعال العبـاد ، الأفعـال بيـد الله ،

والإنسان يملك الانبعاث ، يملك الإرادة ، يملك الاختيار ، يملك الكسب ، وما سوى ذلك مـن خلق الله عز وجل وهذه هي عقيدة أهل السنة والجماعة .

وقيل : " **الباعث** ... هو الذي يبعث الهمم إلى الترقّي في ساحات التوحيد" .

فالإنسان أحياناً إذا وصل إلى مستوى معين ولم يتجاوزه إلى مستوىً أعلى قد يصـاب بالسأم والضجر والملل .. من لم يكن في زيادة فهو في نقصان ، فقرار الهدى قرار مسـتمر فكلما ازددت علماً ارتقيت عند الله، وكلما ارتقيت عند الله ارتفع مستوى عملك ، وكلما ارتفع مستوى عملك زاد إقبالك ، فهي سلسلة متتابعة ، فالذي يبقى في مرتبة واحدة هذا معرض بأن يقول : مللت ، والله سبحانه وتعالى لا يملّ حتى تملّوا ، فإذا لم يكن هناك ازدياد علمي ورقي علمي فلن يكون رقي عملي ، ولن يكون هناك عمل صالح ترقى به . وربما انعكس هذا سلباً على مكانة الإنسان عند الله عز وجل .

وقيل : الباعث .. هو الذي يبعثك على عليات الأمور " ، أي إذا أراد ربك إظهار فضله عليك خلق الفضل ونسبه إليك .

الحقيقة أيها الإخوة ، أن هناك في الدين حقيقة خطيرة جـداً ، أنـت لا شـيء ، أنـت ضعيف ، أنت فقير ، أنت جاهل ، ولكنك إذا أقبلت على الله أصبحت عالماً ، وإن أقبلت على الله عز وجل أمدك بقوة من عنده ، إن أقبلت على الله علمك مالم تكن تعلم .

فالإنسان بذاته ضعيف ، أما بالله فهو قوي ، بذاته جاهل ، أما بالله فهـو عـالم بذاتـه ضعيف وجاهل وفقير ، أما بالله فهو غني .

وبعد فملخص التوحيد ألا ترى مع الله أحداً ، وألا ترى لنفسك شيئاً ، حينما تفتقر ذاتُك إلى الله ، تستحق كل مكرمة .. لذلك قالوا : الأبواب إلى الله كثيرة ، وباب الانكسـار : هـو أعظم هذه الأبواب ، فكلما ازددت افتقاراً إلى الله ، رفعك الله إلى أعلى المراتب ، والأمر هو أمر متعلق بالتوحيد . كلما رأيت أن الله هو الإله العظيم الذي لا ند له وهو الواحـد ، وهـو المعطي ، هو المانع ، هو المغني ، هو الممد ، هو القابض ، هو الباسط ، هو المعز ، هـو المذل ، تتوحد وجهتك .

أيها الإخوة ... من أين يأتي الإخلاص ؟ من التوحيد ، هنـاك علاقـة بـين التوحيـد والإخلاص ، كلما ازددت توحيداً ازددت إخلاصاً ، لأنه مادام هناك جهـات أخـرى تعطـي وتمنع ، ترفع وتخفض ، تعز وتذل ، فأنت موزع وبين ما تعتقده في هذه الجهات من أنهـا تعطي وتمنع، أما إذا أيقنت يقيناً قطعياً أن كل الجهات عاجزة وهي لا تعطي ولا تمنـع ، لا ترفع ولا تخفض ، لا تعز ولا تذل ، وأيقنت أن الله هو وحده لا شريك له ، وبيده كلّ شيء ، إليه يرجع الأمر كلّه ، عندئذ تعبده وتتوكل عليه .

أيها الإخوة .. ما تعلمت العبيد أفضل من التوحيد ، قال الله عز وجل :

فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾

(سورة الشعراء)

أحد أكبرِ أسباب عذابات النفس ، أن تدعو مع الله إلهاً آخر ، وأحد أكبر أسباب الخوف أن تشرك بالله مالم ينزل به سلطاناً ، فمثلاً قال الله تعالى :

وَقَذَفَ

فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ

(سورة الأحزاب)

الرعب متعلق بالشرك ، فهذا قانون ، أنت تخاف بقدر ما تبتعد عن التوحيد فإذا وحدت الله عز وجل نُزع من قلبك الخوف ، لأن أمرك كله بيدي الله .. ولـذلك فالإنسـان إذا وحـد أخلص ، وإذا أخلص ارتقت همته

ورد أن اصنع المعروف مع أهله ، ومع غير أهله ، فإن أصبت أهله أصبت أهله ، وإن لم تصب أهله فأنت أهله .

الموحد لا يعلّق أهمية على ردود فعل الناس ، أما غير الموحد فإن أسدى إليهم معروفاً ولم يتلقَ إستحساناً أو ثناءً يتألم ، أما الموحد إن أسدى إلى الناس معروفاً فهو يدرك أن ما فعل ذلك إلا ابتغاء وجه الله .. قال الله تعالى :

وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾

وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴿٢١﴾

(سورة الليل)

إخواننا الكرام التوحيد طريق مختصر ، والإخلاص مسرع ، إلاّ أن التوحيد كلمة واحدة وتلخص الإيمان كلّه ، وتلخص العمل كلّه ، وتلخص مجاهدة النفس والهوى كلّه ، والتوحيـد ملخص معرفتك بالله كلّها، وهو الهدف الكبير لهذا الدين ، والآية الكريمة تقول :

وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ٢٥

(سورة الأنبياء)

إذاً : **الباعث** أيضاً هو الذي يبعثك على عليات الأمور ، ويرفع عـن قلبـك وسـاوس الصدور، وهذا من تعريفات اسم **الباعث** .

وقيل : " الباعث الذي يصفي الأسرار عن الهوس ، ويسمو بالأفعال عن الدنس " ، أي أن الله عز وجل إن أقبلتَ عليه طهر قلبك من الأدران .

لقد ذكرت اليوم نقطة دقيقة .. ذلك أن الله سبحانه وتعالى حينما قال :

فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ

(سورة آل عمران)

" **فبما رحمة من الله لِنْتَ لهم** " الباء باء السبب أي بسبب رحمة استقرت في قلبك . يا محمد من خلال اتصالك بالله لنت لهم ، فلما لنت لهم التفوا حولك ، وأحبوك وأقبلوا عليك .

لو أن الإنسان انقطع عن الله خلا قلبه من الرحمة ، فكان فظاً غليظاً ، فلما كـان فظـاً غليظاً انفض الناس من حوله ، فهل بالإمكان أن نستنبط قانوناً ؟ القـانون : هـو اتصـالٌ .. رحمةٌ .. لين.. التفافٌ ، انقطاع.. قسوة .. غلظة .. انفضاض ، هذا هو القانون .

إن اتصلت بالله عز وجل تستقر الرحمة في قلبك ، مـنْعكس هـذا الاسـتقرار لـين ، وتواضع وإيناس وذوق ، عندئذ يجتمع الناس حولك فلو أن القلب أقفر من الاتصال بالله عـز وجل ، أصبح قاسياً وعندئذ يصبح فظاً غليظاً ، وينفض الناس من حوله .

ويا أيها الإخوة الكرام ... هناك حقيقة أحب أن أضعها بين أيديكم: هي أن الدعوة إلـى الله ليست المعلومات وحدها ، بل هي الشرط اللازم لها ، إن المعلومات شـرط لازم وغيـر كاف ، لكن القلب الكبير الذي يسع الخلق ، القلب الكبير الذي يرحم الخلق ، والقلـب الكبيـر الذي يتواضع للخلق، القلب الكبير الذي يعطف على الخلق ، هذا القلب هو أساس الدعوة إلـى الله، لأن أصحاب النّبي عليه الصلاة والسلام أحبوه حباً لا يوصف .

سيدنا ربيعة حينما أراد أن يخدم النبي صلى الله عليه وسلم ، وانتهت خدمته ذات ليلـة وأمره أن ينصرف ، بقي على عتبة داره حتى الفجر من شدة التعلق به ، مامعنى ذلك؟ التعلق

له علاقة بالكمال كلّما كنت أكثر كمالاً تعلق الناس بك ، وكلما ابتعدت عـن الله عـز وجـل انخفض مستوى الكمال ، وعندئذ ينفض الناس من حولك .

قيل : " **الباعث** هو الذي يبعثك على عليات الأمور ويرفع عن قلبك وساوس الصدور ، **والباعث** هو الذي يصفي الأسرار عن الهوس وينقي الأفعال من الدنس " .

وقيل " **الباعث** .. باعث الرسل بالأحكام ، فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين ، وباعث الموتى بالقيام ".

قال الله تعالى :

ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ

(سورة البقرة)

وباعث النيام بيقظة الأجسام .. الإنسان ينام ، ما هو النوم ؟ موتٌ مؤقـت ، قـال الله تعالى :

ٱللَّـهُ يَتَـوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِـينَ مَوْتِهَـا وَٱلَّتِـى لَـمْ تَمُـتْ فِـى مَنَامِهَـا ۖ

(سورة الزمر)

النوم موت مؤقت ، لهذا كان عليه الصلاة والسلام إذا أوى إلى فراشه ، يقول :

عن أبي هريرةَ رضي الله عنْه أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قالَ إذَا قام أحدكُم عن فراشه ثُم رجع إليه فَليَنْفُضه بِصنفَة إزاره ثَلاثَ مرات فَإنه لا يدري ما خَلَفَه عليه بعد فَإذَا اضطَجع فَليقُلْ باسمك ربي وضعتُ جنْبي وبِك أرفَعه فَإن أمسكْتَ نَفْسي فَارحمها وإن أرسلتَها فَاحفَظْها بِما تَحفَظُ به عبادك الصالِحين فَإذَا استَيقَظَ فَليقُل الْحمد لِله الذي عافَاني في جسدي ورد علَي روحي وأذن لِي بِذكْره

(سنن الترمذي)

وكان عليه الصلاة والسلام إذا استيقظ يقول :

الْحمد لِله الذي أحيانَا بعد ما أَماتَنَا وإليه النشُور

ما من يومٍ إلا وينادي يابن آدم أنا خلقٌ جديد وعلى عملك شهيد فتزود منـي فـإنني لا أعود إلى يوم القيامة .

ولقد ورد في بعض الأدعية : أن لا بورك لي في طلوع شمس يومٍ لم أزدد فيه من الله علماً ، ولا بورك لي في طلوع شمس يومٍ ، لم أزدد فيه من الله قرباً ، والإنسان بضعة أيـام كلما انقضى يوم انقضى بضع منه .

إذاً يبعثك من نومك ، أي إذا استيقظ الإنسان ينبغي أن يعلم أن الله سمح لـه أن يعـيش يوماً جديداً .. إذاً فهو يبعث الموتى ، ويبعث الرسل ، ويبعث النيام ، ويبعث كل ساكن .

عند الإمام الغزالي تجد أن حقيقة البعث .. هي إحياء الموتى بإنشائهم نشأةً أخرى .

والحقيقة كما قلت لكم دائماً ، أن أسماء الله سبحانه وتعالى محققةٌ كلها في الحياة الدنيا ، كل الأسماء الحسنى الكون مظهر لها ، إلا أن اسم العدل لا يتحقق كاملاً إلا في الدار الآخـرة لأن الله سبحانه وتعالى يبدأ الخلق ثم يعيده لتُجزى كل نفسٍ بما كسبت .

في الدنيا قد يعاقب الله بعض المسيئين عقاباً تربوياً تأديبياً لبقية المسيئين ، وقد يكـافئ الله بعض المحسنين ، مكافأةً تشجيعيةً لبقية المحسنين ، ولكن قـد تجـد مسـيئاً لا يعاقـب ، ومحسناً لا يكافأ ، لأن الحياة الدنيا دار عمل ، ودار ابتلاء ، ودار تكليف ، أما الجزاء الأوفى ، والحساب الكامل والرصيد في الآخرة .. قال الله تعالى :

كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ

(سورة آل عمران)

أي فأنت في دار عمل ، ثم هناك دار جزاء ، هنا عمل ولا جزاء ، وفي الآخرة جزاء ولا عمل ، أنت في دار تكليف ، والآخرة دار تشريف ، فإذا اختلطت عندك الأمـور ، وإذا ظننت أن الدنيا دار تشريف ، وأن القوي مكرم ، والغني مكرم ، وقعت في وهمٍ كبير .

عن أَنَس بن مالِك قَالَ قَالَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم كم من أَشْعثَ أَغْبـر ذي طمرين لا يؤْبه له لو أَقْسم على الله لأَبره منْهم الْبراء بن مالِك

(سنن الترمذي)

أنت في دار ابتلاء ، لا دار قرار ، الآخرة هي دار القرار ، والآخرة هي دار الجـزاء ، الآخرة هي دار النعيم ، الآخرة هي الدار التي تُؤتى فيها ما تشتهي بدون عمل .. قال تعالى :

لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾

(سورة ق)

أما الدنيا فهي دار سعي ، لا بد من أن تسعى حتى تصل ، لذلك الله عز وجل قال :

وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَـٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾

(سورة النجم)

فحقيقة البعث عند الإمام الغزالي : هو أن الله سبحانه وتعالى يحيي المـوتى بإنشـائهم نشأةً أخرى .

الإمام الغزالي يقول : " الجهل هو الموت الأكبر " أي الجاهل يفعل فـي نفسـه مـالا يستطيع عدوه أن يفعله به ، والعلم هو الحياة العليا ، أي أعلى درجات الحياة أن تعـرف الله ، وأدنى درجات الموت أن تجهله فلا تعرفه ، وقد ذكر الله تعالى العلم والجهـل فـي القـرآن وسماهما ، حياةً وموتاً .. قال الله تعالى :

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ

(سورة الأنفال)

"**إذَا دعاكُم لِما يحييكُم** ".. أي كنتم موتى بالجهل ثم أحياكم بالعلم، وكنتم موتى بالبعـد وأحياكم بالقرب ، كنتم موتى بالضياع فأحياكم بالوجدان ، كنتم موتى بالإدبار فأحياكم بالإقبال ، كنتم موتى بالتفلت فأحياكم بالانضباط .

لذلك فإن العلماء يقولون في تفسير هذه الآية : " إن أعلى درجات الحياة أن تعـرف الله وأن تتصل به " ، فقد قال تعالى : " **يا أيها الذين آمنُوا استَجِيبوا لِله وللرسول إذَا دعاكُم لِما يحييكُم**"

ليس من مات فاستراح بميت إنما الميتُ ميت الأحياء .

سيدنا علي يقول : " يا بني مات خُزان المال وهم أحياء ، والعلماء باقون ما بقي الدهر ، أعيانهم مفقودة وأمثالهم في القلوب موجودة ، يا بني العلم خير من المال لأن العلم يحرسـك ، وأنت تحرس المال ، والمال تنقصه النفقة والعلم يزكو على الإنفاق " .

يقول الإمام الغزالي : " الجهل هو الموت الأكبر والعلم هو الحياة العليا وقـد ذكـر الله تعالى الجهل والعلم في القرآن فسماهما حياةً وموتاً ".

هناك معنى يضيفه الإمام الغزالي : " أنه من رقى إنساناً من الجهل إلى العلـم ، ومـن البعد إلى القرب ، ومن الإدبار إلى الإقبال ، فقد أنشأه نشأةً أخرى "، هناك نشـأة حيوانيـة : جسم ، قلب رئتان ومعدة أمعاء فم سمع بصر يتحرك يأكل ينام يتزوج ، هذه حيـاة لا تليـق

بالإنسان ، إلا أن هناك حياة أرقى ، أن تفكر وأن تعرف الله وأن تعرف منهجه وأن تعـرف من أين .. وإلى أين .. ولماذا ؟ هذا أكبر سؤال ، فعندما يعرف الإنسان سر وجـوده وغايـة وجوده ويعرف ربه ويعرف منهج ربه ، وأن هذه الحياة حياة دنيا، إعدادية لحياة عليا أبديـة عندئذ يصبح في أعلى درجات الحياة .. قال تعالى : " **استَجِيبوا لِلهِ وللرسول إِذَا دعاكُم لِمـا يحييكُم**".

قالوا : هذا هو التعليم الحق .. نقل الناس من الموت إلى الحياة، من الجهل إلى العلـم ، من الإدبار إلى الإقبال ، من الضياع إلى الوجدان ، فهذه رتبة الأنبياء والمرسـلين ، ومـن ينوب منابهم من العلماء الصادقين لذلك قال الله تعالى :

وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾

(سورة فصلت)

أيها الإخوة ... اسم **الباعث** لم يرد في القرآن الكريم بصيغة الباعث ولكن ورد بصيغة الفعل .. قال الله تعالى :

وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٦٠﴾

(سورة الأنعام)

هذا الاسم ورد " **يبعثُكُم فيه** " أي أن تبعث من النوم إلى اليقظة ، وهو المعنى الأول ، وفي سورة النحل قال تعالى : " **ولقَد بعثْنَا في كُل أُمة رسـولا أَن اُعبـدوا اللـه واجتَنبـوا الطاغُوتَ فَمنْهم من هدى الله ومنْهم من حقتْ عليه الضلالةُ فَسيروا فـي الأَرض فَـانْظُروا كَيفَ كَان عاقبةُ الْمكذبين** "

المعنى الثاني : إرسال الأنبياء .

وفي سورة الإسراء قال تعالى :

أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ وَقُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِۖ إِنَّ قُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِ كَانَ مَشۡهُودٗا ﴿٧٨﴾ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةٗ لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ﴿٧٩﴾

(سورة الإسراء)

وفي سورة الكهف قال تعالى عن أهل الكهف :

ثُمَّ بَعَثۡنَٰهُمۡ لِنَعۡلَمَ أَيُّ ٱلۡحِزۡبَيۡنِ أَحۡصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓاْ أَمَدٗا ﴿١٢﴾

(سور الكهف)

وفي الحج :

وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٞ لَّا رَيۡبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبۡعَثُ مَن فِي ٱلۡقُبُورِ ﴿٧﴾

(سورة الحج)

المعاني كلها التي وردت عن اسم **الباعث** وردت في هذه الآيات .. وفي سورة التغـابن قال تعالى :

زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْۚ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلۡتُمۡۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ﴿٧﴾

(سورة التغابن)

أيها الإخوة ... هناك نقطة دقيقة ، فالله عز وجل عندما قال :

أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ﴿١﴾

(سورة الفيل)

بربكم من منكم رأى هذه الحادثة ؟ لا أحد . لعل أحدهم يقول : لو أن الله عز وجل قال : ألم تصدق ، ألم تسمع ، بدل قوله : ألم تَر .

العلماء قالوا : " إن إخبار الله عز وجل لمصداقيته المطلقة ينبغي أن يقع منـك موقـع الرؤية، إن مصداقية الله عز وجل في أخباره ينبغي أن تقع هذه الأخبارمنك موقع الرؤية ، بل إن الفعل الماضي الذي يستخدم في القرآن الكريم في التعبير عن المستقبل كقوله تعالى :

وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ

(سورة المائدة)

" **وإذْ قالَ الله يا عيسى ابن مريم** " .. هذا لم يقع بعد " **أأنتَ قُلتَ لِلناسِ اتخذُوني وأُمي إلهين من دون الله قالَ سبحانَك** "، استخدام الفعل الماضي من أجل أن يقع هذا الخبـر فـي نفسك موقع الوقوع الحتمي اليقيني ، أتى أمر الله فعل ماض فلا تستعجلوه إذاً ، لم يأت . أتى أمر الله فلا تستعجلوه ، الفعل الماضي حينما يعبر به عن المستقبل وحينما يقول الله عز وجل : " **ألم تَر كيفَ فَعلَ ربك بِأصحابِ الفيل** " ، أي ينبغي أن تقع أخبار الله التي أخبرك بها فـي كتابه موقع اليقين الشهودي .

أيها الإخوة ... بقي من الدرس فقرةٌ أخيرة وهي ما حظ العبد من هذا الاسم **الباعـث** ؟ كيف أن الله سبحانه وتعالى يبعث الموتى ؟ والإنسان قبل أن يعرف الله ميت ، فإذا أحيا قلبـه بالمعرفة، وبالطاعة فكأنه تخلق بأخلاق الله هذا أول معنى .. ففي الآية الكريمة قال تعالى :

أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾

(سورة الأنعام)

وفي سورة النحل قال تعالى :

يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓا۟ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ﴿٢﴾

(سورة النحل)

فالعبد إذا سعى لمعرفة الله ، وطاعته والإقبال عليه ، والإستنارة بنوره ، فقد بعث نفسه من الموت إلى الحياة ، هذا من تخلق أخلاق العبد باسم **الباعث** .

التخلّق الثاني : المتخلّق باسم **الباعـث** ينبغي أن يبعث نفسه دائماً كما يريد مولاه فعـلاً وقولاً أي أن تأتي أفعاله مطابقة لكتاب الله .

عن سعد بن هشَامٍ قَالَ سألْتُ عائِشَةَ فَقُلْتُ أَخْبِرِيني عن خُلُق رسول الله صـلى اللـه عليه وسلم فَقالَتْ كان خُلُقُه القُرآن *

(مسند الإمام أحمد)

قالوا : الكون قرآن صامت ، والقرآن كون ناطق ، والنّبي صلّى الله عليه وسلّم قـرآن يمشي.

فمن تطبيقات اسم **الباعث** على العباد أنّه من تأدبِ العبد باسم **الباعث** أن يبعث نفسه بما يرضي ربه ، وأن يجعل أعماله متوافقةً مع منهج ربه .

الأدب الثالث : من أدب المؤمن مع اسم **الباعث** أنه إذا تحقق وأيقـن ، أن الله سـبحانه وتعالى يبعث الناس بعد الموت ثم يجزيهم بالثواب والعقاب ، فعندئذ يشغل وقته كلّه بطاعته ، والتزود للدار الآخرة وتصفح أعماله ومحاسبة نفسه حساباً دقيقاً .

يروي ابن ماجة أن رسول الله صلى الله عليه وسلّم كان يضع عند النوم يـده اليمنـى تحت خده الأيمن ثم يقول : اللهم قني عذابك يوم تبعث عبادك ، وكان يقول وعند الاستيقاظ : الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور .

أيها الإخوة الكرام ... اسم **الباعث** من أسماء الله الحسنى ، يبعث الله الرسل ، يبعث الله من في القبور ، يبعث الله العباد لأعمالٍ تحقق اختيارهم ثم تربيهم ، ويبعث الله تعـالى كـل ساكن، وأدب المؤمن مع الله عز وجل بالنسبة لهذا الاسم كما ذكرت قبل قليل أن يبعث نفسـه دائماً كما يريد فولاه فعلاً وقولاً .

والحمد لله **رب العالمين**

الـ ـدرس ٧٣ – اسم الله : الفادر المقتدر .

بسم الله الر حمن الرحيم

أيها الأخوة المؤمنون ... مع الدرس الثالث والسبعين من دروس أسماء الله الحسـنى ، والاسم اليوم القادر والمقتدر .. وهما اسمان من أسماء الله الحسنى وردا في الأحاديث التـي ذكرت أسماء الله الحسنى .

أكثر المصادر التي تحدثت عن أسماء الله الحسنى أوردت هذين الاسـمين معـاً فـي موضوعٍ واحد ، إلا أن بعضهم فصل ، لكن أغلب المفسرين ودارسي هذا الموضوع جمعـوا هذين الاسمين في موضوعٍ واحد.

الحقيقة : القادر والمقتدر .. إما من القدرة أو من التقدير ، وفرقٌ بين القدرة والتقدير ، القدرة القوة ، التقدير متعلق بالعلم والمهارة ، فلذلك جاء في بعض المعاجم أن القدير والقـادر من صفات الله عز وجل ، يكونان من التقدير ويكونان من القُدرة .

فأحياناً يجب أن تضع مبضع الجراح في هذا المكان بالذات ، لو أخرته قلـيلاً لانقطـع العصب ولشُل الإنسان ، فوضع هذا المشرط في المكان المناسب من التقدير .. أما أن يحتـاج الشيء إلى قدرة قادرة .. هذا من القدرة ، فاسم القادر والقدير والمقتدر من موضوعين ، من موضوع التقدير ، ومن موضوع القدرة .

العلماء لهم بعض الملاحظات حول الفرق بين هذين الاسمين .. فالقادر هو الذي يقـدر على إيجاد المعدوم وإعدام الموجود .

ومعلوم أن الله عز وجل واجب الوجود ، لكن الكون كله ممكن الوجود ، فالذي أوجـد الممكن هو الله عز وجل ، والذي سينهي هذا الممكن هو الله عز وجل ، هو قادر على إيجـاد المعدوم ، وإعدام الموجود .

أما المقتدر كما قال العلماء فهو الذي يقدر على إصلاح الخلائق على وجه لا يقدر عليه إلا الله ، فأحياناً تشعر بمشكلة ليس لها حلٌ لكن الله سبحانه وتعالى مقتـدر علـى أن يصـلح الخلائق على وجه لا يستطيعه إلا هو.

أيها الإخوة ... القادر من مادة القُدرة ، فهو قادر ذو قدرة ومقدرة، وفي التنزيـل ورد اسم القادر في آيات كثيرة ، ففي سورة الأنعام قال تعالى :

وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ

(سورة الأنعام)

" وما قدروا الله حق قدره " .. أي ما وصفوه حق صفته . وقدره: أي عـرف قـدره ، قدره من التقدير ، قدره من التعظيم ، ومنها ليلة القدر فقد قال تعالى :

إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ﴿٢﴾

(سورة القدر)

والقادر .. أيضاً في صفة الله تعالى معناه المتمكن من الفعل بلا واسطة ، نحن جميعـاً نقدر على أن نصل إلى حلب في خمس ساعات عن طريق السيارة ، وفي نصف ساعة عـن طريق الطائرة ، نقدر أن نقطف ثماراً عن طريق زرع نباتاتها ، نقدر أن نصل إلى الماء عن طريق حفر البئر ، فالإنسان من خصائصه أنه ضعيف ، فإذا وصل إلى غايته فمـن خـلال وسيلة أو واسطة ، لذلك فالعلماء يقولون : " إن العلة الغائية لا تليق بالله عز وجل " .

فنحن مقهورون بالوسيلة .. فإذا أردنا أن نرى الجرثوم نحتاج إلى مجهر ، وإذا أردنـا أن نرى الكواكب البعيدة نحتاج إلى مرصد ، وإذا أردنا أن نصل إلى الماء نحتاج إلـى حفـر البئر ، إذا أردنا أن نأكل نحتاج إلى أن نزرع ، إذا أردنا أن نصل نحتاج إلـى أن نركـب ، فالإنسان الذي يصل إلى أهدافه عن طريق وسائل ووسائط ، هذا ليس مقتدراً ولا قادراً ، لكن الله سبحانه وتعالى :

إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾

(سورة يس)

الإنسان ضعيف يكمل ضعفه بالأدوات ..الميكروسكوب - يكمل به ضـعف بصـره ، والتليسكوب - يكمل به قصر بصره ، والمركبة والقطار والطائرة يكمل بهـا بـطء سـيره، والأداة التي بيده يكمل به ضعف يده كالمفك ، هذه أدوات ووسائل ، فالله سبحانه وتعالى منزه عن العلة الغائية ، منزه عن أن يصل إلى أهدافه بوسيلة ، أما الإنسان ليس منزهـاً .. فـالله سبحانه وتعالى يقول :

وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ

(سورة الزمر)

أيضاً قال تعالى :

وَقَالُواْ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ ءَايَةً وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٧﴾

(سورة الأنعام)

والسؤال الذي يفرض نفسه الآن هو : لماذا ينبغي للإنسان أن يعرف الله ، وأن يحبه ؟ لأنه قادر .. فالإنسان يحب القوي ، وأذكر لكم مثلاً منتزعاً من حياة الناس ، فإذا كان هنـاك إنسان قوي تجد الناس ملتفين حوله ويصادقونه ، ويدعونه إلى ولائمهم ويقدمون له الهدايا من أجل أن يطمئنّوا أنهم على صلة مع فلان .

فالإنسان أحياناً يزيل عن نفسه الخوف والقلق باعتماده على قوي من بني البشر ، فكيف إذا كان اعتماده على الله خالق البشر ، الحقيقة: إن الإنسان يحب القوي . والقـوي محتـرم وأقوى الأقوياء هو الله عز وجل ، لذلك سر قوة المؤمن لا لأنه قوي . هو أضعف الضعفاء ، لكنه يحتمي بقوي .

فأحياناً تجد طفلاً صغيراً لا تستطيع أن تتكلم معه بكلمة أو بحرف واحد لأن أباه كبير ، وإن الطفل ضعيف يمكن أن تضربه لكنك تخشى والده ، فهذا الطفل قوي بأبيـه لا بذاتـه ، المؤمن سر قوته رغم ضعفه أنه قوي مستمد من قوة الله، فإذا أردت أن تكون أقـوى النـاس فتوكل على الله .

هناك نقطة دقيقة .. وهي إنك لو احتككت مع مؤمن ترى معنوياته عاليةً جداً ، فما سر ذلك ؟ لا أحد يدعمه ، وليس معه مال كثير يعتمد عليه ، وليس حوله أناس يتكيء علـيهم ، فما سر قوته ؟ سر قوته إتكاله على الله ، فإذا أردت أن تكون أقوى الناس فتوكل على الله .

فتَصور جيشاً ضخماً على رأسه قائد فذ ، وفي هذا الجيش بن القائـد ، برتبـة جنـدي عادي ، وعلاقة الابن مع الأب متينة جداً ، فهذا الجندي الذي أبوه قائد الجيش هل يخشى أحداً في هذا الجيش كله مهما علت الرتب ؟

فحال المؤمن مع الله .. أن كل الخلق بيد الله ، وهو مع الله ، فسر معنوياته العالية آتيةٌ من هذه النقطة ، فقد قال تعالى :

إِنِّى تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّى وَرَبِّكُمْ ۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾

(سورة هود)

وهكذا صار واضحاً أن الإنسان إذا شعر بالقوة يقوى على خصمه ويقوى على شهواته ويقوى على أعدائه ، أما إذا شعر بالضعف يصبح منافقاً ، فمع الضعف نفاق ، ومع الضـعف كذب ، ومع الضعف مجاملة ، وكلام الضعيف كلام مخزٍ تجده يتصاغر يتذلل يخنع ، الخنوع والتذلل والشعور بالنقص والخوف وبذل ماء الوجه سببه الشعور بالضعف ، لو كنت مـع الله لرفعت رأسك من دون كبر ومن دون استطالة على أحد ومن دون عدوان ، ولكنك تشـعر أن الله معك وأن الله لن يتركك ولن يسلمك إلى خصومك .

ومعنى القادر أي ذو القدرة التامة الذي لا يعجزه شيء ولا يتقيد بأسبابٍ أياً كانت . هو المقدر بقضائه ، المدبر لشؤون الكون بقدره وحكمته ، فقد قال تعالى :

فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَـٰدِرُونَ ﴿٢٣﴾

(سورة المرسلات)

إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَـٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾

(سورة القمر)

إن الإنسان قد تُجرح يده ، فإذا تناول طعاماً فيه حمض شعر بلذعة في يده معنى ذلـك أن الأعصاب مقدرة تقديراً دقيقاً جداً ، والإنسان له عينان يرى بهما فلو أن الرؤيا تضـاعفت

لرأى الجراثيم وأنواع البيكتيريا في الماء فعاف شرب الماء ، ولرأى جلد وجه الأنثى كأنه جبال وأخاديد ، لكن .. "إنا كُل شَيء خَلَقْنَاه بِقَدرٍ" .

ولو أن عتبة السمع ازدادت لسمع الإنسان حركة أمعائه ولم ينم الليل كله فبالأمعاء حركة ، فإذا وضع الإنسان أصبعه بأذنه ينتقل الصوت عن طريق العظام فيجد دوياً كأن معملاً بجسمه .

فالعين لها قدر معلوم ، والأذن لها قدر معلوم ، وحساسية الجلد لها قدر معلوم .. "إنا كُل شَيء خَلَقْنَاه بِقَدرٍ" .

و قال تعالى أيضاً :

قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْآيَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾

(سورة الأنعام)

وهنا نقطة دقيقة ... إذا كنت مع القدير تشعر بالقوة ، وإذا عرفت قدرة الله عز وجل تشعر بالضعف أمامه ، فهناك معنيان ضروريان .. أحياناً تغيب عن الإنسان قدرة الله عز وجل فيظلم الناس ويعتدي عليهم ويتحداهم ويأخذ ما في أيديهم ويهينهم فيأتي عقاب الله الرادع له ، فالإنسان إن إعتز بالله شعر بالقوة ، وإن رأى قوة الله شعر بالضعف أمامه فتأدب بأدبه ، فأنت بحاجة إلى أن تعرف قدرة الله كي تقف عند حدك ، رحم الله عبداً عرف قدره فوقف عنده ولم يتعد طوره.

صدقوني أيها الإخوة ... أحياناً ترى إنساناً يتطاول ويطغى ويعتدي وكأن الله غير موجود إطلاقاً ، وربنا عز وجل يقول :

إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾

(سورة البروج)

فالذي يتحرك وكأن الله غير موجود هو إنسان غبي وأحمق وجاهل لأن الله سبحانه وتعالى سيبطش به وسيحجمه وسيقفه عند حده ، أنت بحاجة إلى أن تعرف القدير من أجل أن

تعتز به وتقوى به ، وأن تستمد منه القوة ، وأنت بحاجة وأقولها مرةً ثانية لتعرف الله القـدير كي تتحجم وكي تقف عند حدك وكي لا تتعدى طورك .

لدينا الآن معنى سلبي ، وآخر إيجابي .. المعنى الإيجابي أنت تقـوى بـالله القـدير ، والمعنى السلبي أنت تتحجم أمام الله القدير .

قال تعالى في سورة الإسراء :

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى ٱلظَّٰلِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ﴿٩٩﴾

(سورة الإسراء)

" الذي خَلَقَ السموات والأرض قادر علَى أَن يخْلُقَ مثْلهم " إن الله عز وجل أخبرنا أنه سوف يعيد خلقنا ، وسوف تعرض علينا أعمالنا كلها عملاً عملاً بكل تفصـيلاتها ، وسـوف نحاسب على هذه الأعمال إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر ، فإذا أنكرنا يـوم البعـث وأن الله سيحي من في القبور فهذا من ضعف تفكيرنا ، أليس " الذي خَلَقَ السـموات والأرض قَـادر علَى أَن يخْلُقَ مثْلهم وجعلَ لهم أَجلا لا ريب فيه فَأبى الظالِمون إِلا كُفُورا " .

وفي سورة يس قال تعالى :

أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾

(سورة يس)

وفي سورة الأحقاف قال تعالى :

أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٣﴾

(سورة الأحقاف)

وقد ورد بالحديث القدسي :

" أن عبدي خلقت لك السماوات والأرض ولم أعي بخلقهن أفيعييني رغيفٌ أسوقه لـك كل حين ، لي عليك فريضة ولك علي رزق ، فإذا خالفتني في فريضتي ، لـم أخالفـك فـي رزقك ، وعزتي وجلالي إن لم ترض بما قسمته لك فلأسلطن عليك الدنيا تركض فيها ركض الوحش في البرية ثم لا ينالك منها إلا ما قسمته لك ولا أبالي وكنت عندي مذموماً ، أنت أُريد وأنا أريد فإذا سلمت لي فيما أريد كفيتك ما تريد ، وإن لم تسلم لي فيما أريد أتعبتك فيما تريد ثم لا يكون إلا ما أريد " .

وفي سورة يس أيضاً قال تعالى : "أَو لَيس الذي خَلَقَ السموات والأرض بِقَادرٍ علَى أَن يخْلُقَ مثْلَهم بلَى وهو الْخَلاقُ الْعليم " فيجب أن نؤمن أن الله سيعيد خلقنا وسيحاسبنا وهذا أكبر رادع للإنسان يحميه من أن ينحرف .

وفي سورة القيامة قال تعالى :

أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَـٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧيَ ٱلْمَوْتَىٰ ﴿٤٠﴾

(سورة القيامة)

وفي سورة الطارق قال تعالى :

إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجْعِهِۦ لَقَادِرٌ ﴿٨﴾

(سورة الطارق)

هل تلاحظون أن أكثر أسماء القادر وردت في قدرته على إحياء الموتى وبعث من فـي القبور ليحاسب الإنسان على أعماله إن خيراً فخير، وإن شراً فشر .

أيها الإخوة ... إذاً القادر والمقتدر من القدرة والتقدير ، والتقدير أي التعظيم ، ومنهـا قوله تعالى : "إنا أَنزلْنَاه في لَيلَة الْقَدرِ " ، والتقدير " وما قَدروا الله حق قَدرِه " .

أما القادرون جمع قادر فقد وردت في كتاب الله أربع مرات ففي قوله تعالى :

وَأَنزَلْنَـا مِـنَ ٱلسَّـمَآءِ مَـآءًۢ بِقَـدَرٍ

(سورة المؤمنون)

" وأنزلْنَا من السماء ماء بِقَدرٍ فَأسكناه في الأرض " .. بقدر حكيم ، بقدر دقيق .. " وإنا علَى ذَهابٍ بِه لَقَادرون ". تجد بلداً كل قيمته بأنهاره فإذا جفت الأنهار انتهت قيمة هذا البلـد ، مثلاً : فدمشق كلها ما قيمتها لولا نبع الفيجة هذا النبع الذي يمدها بالماء على مدار العام " وإنا علَى ذَهابٍ بِه لَقَادرون " فالله عز وجل قادر على أن يعطي وقادر على أن يأخذ ، فإذا أعطى أدهش وإذا أخذ أدهش .

وَإِنَّا عَلَىٰٓ أَن نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَـٰدِرُونَ ﴿٩٥﴾

(سورة المؤمنون)

أي أن الله عز وجل وعد المستقيم بحياة طيبة ، ووعد المنحرف والمعـرض بمعيشـة ضنك والله قادر على أن يحقق وعده ووعيده لأن الفعل بيده ، فلذلك أحد الأدلة الكبرى علـى أحقية القرآن الكريم أن أفعال الله كلها تطابق أقواله في كتابه ، مطابقة أفعاله لأقوالـه شـهادةٌ منه بأن هذا الكلام كلامه ، وقال تعالى :

فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَـٰرِقِ وَٱلْمَغَـٰرِبِ إِنَّا لَقَـٰدِرُونَ ﴿٤٠﴾

(سورة المعارج)

قادرون على كل شيء .. فالله عز وجل تعلقت قدرته بكل شيء.

أيها الإخوة : اسألوا أطباء كثيرين فهناك أمراض عضال لا يرجى شفاؤها ، وليس في علم الطب أنها تشفى ، وهناك حالات كثيرة تجد أن المرض قد تراجع بلا سبب ، ألم يقل الله عز وجل :

ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾

(سورة الشعراء)

شعور المؤمن أن الله على كل شيء قدير .

لي صديقٌ قد أصيب بورم خبيث في الرئتين وهذه القصة منذ عشرين سـنة تقريبـاً ، وأُخذت خزعة من رئته إلى كل المخابر حتى أنه قد أرسلت منها قطعة إلى بريطانيا للتحليل ، وجاء التشخيص مرض خبيث من الدرجة الخامسة ، ولا أمل في شفائه من مرضه إطلاقاً إلا بزرع رئة في أمريكا ونجاح العملية نسبته عشرون في المائة ، وتكلفة هذه العملية ثمن بيتـه الذي يسكنه ولا يملك غيره ، وقد عاصرت القضية والذين فحصوا وحللوا وصوروا وشخصوا أعرفهم معرفةً تامة وكان قرارهم جميعاً أنه لا أمل في الشفاء ، لكن المرض تراجع بعد حين تلقائياً وفجأة وشفي المريض. وكيف تراجع هذا المرض تلقائياً والمريض الآن في صحة جيدة ولا يشكو شيئاً والحادثة منذ عشرين عاما .

أريد أن أقول لكم .. إذا اعتقدت جازماً أن الله على كل شيء قدير في كل موضـوع ؛ يعطيك ، يغنيك ، يقويك ، يحفظك ، يؤيدك ، ينصرك ، يشفيك، يحميك ، إن اعتقـدت ولـم يساورك شك أن الله على كل شيء قدير فأنت في كنف الله ورحمته ورعايته، و تعلقت بـه ، وقطعت الآمال ممن سواه ، وتوجهت إليه وأعرضت عن الخلق ، هذا هو الدين ، فالدين هـو التوحيد الخالص و أن تقطع أملك من الخلق وأن تعلق أملك بالحق ، أن تيأس من المخلوقين ، وأن تتطلع إلى رب المخلوقين .

الإنسان له قدرة ، ولكنها ناقصة ، ولماذا جعلها الله ناقصة ؟ ليكون مفتقراً في ضعفه ، سعيداً بافتقاره ، لو جعله قوياً لاستغنى بقوته .. فالإنسان ضعيفٌ ، فقد تجد إنساناً ملء السمع والبصر ، بخثرة دموية في بعض شراييبنه تجعله مشلولاً ، وخثرةٌ أُخـرى تجعلـه أعمـى ، وخثرةٌ ثالثة يفقد ذاكرته، فالإنسان ضعيف .

فلذلك الإنسان المؤمن لا يفتأ يقول : إن شاء الله ، وإن جاءه خير قال : هذا من فضـل الله، وإن نجح في عمله .. هذا بتوفيق الله ، وإن رزقه الله مالاً .. هذا من كرم الله ، وإن أدبه الله عز وجل .. هذا من رحمة الله ، هذا هو حال المؤمن .

الإنسان قدرته محدودة يكملها بأدوات ، والأدوات لا تفعل فعلها إلا أن يأذن الله لها .

أذكر لكم حديثاً شريفاً وهو في غاية الدقة .. فالنبي عليه الصلاة والسلام يقول :

لِكُل داء دواء

" لكل داء دواء ".. فتصور مريضاً يعاني من مرضٍ قرأ هذا الحديث فبمـاذا يشـعر ؟ يشعر بالثقة .. القضية سهلة ، فكل داء خلقه الله خلق له دواء ، إذا قرأ هذا الحـديث طبيـب يشعر بالتقصير ، إذا كانت هناك أمراض حتى الآن لم يكتشف لها دواء فهـذا مـن تقصـير الإنسان ، فهذا الحديث يحث الطبيب على أن يكتشف الدواء ، ويطمئن المريض ، ثـم يقـول عليه الصلاة والسلام: " فإذا أُصيب دواء الداء برأ بإذن الله " فالطبيب توفيق الله له أن يصيب في تشخيص المرض ووصف الدواء .

ليطمئن المريض وليثق الطبيب فإذا أُصيب دواء الداء ، أي إذا شُخص المرض صحيحاً وصف الدواء صحيحاً .

فإذا أُصيب دواء الداء بريء .. لكن بإذن الله .. فالله عز وجل لا يسمح للدواء أن يفعل فعله إلا بإذن الله .

إن الله أعطى الإنسان قدرةً ناقصة ليفتقر .. إن الإنسان خلق هلوعا.. إن الإنسان خلـق عجولا .. وخلق الإنسان كذلك ضعيفاً ، وبهذه القدرة الناقصة يفعل ويفعل ويطغى ويطغـي ، هذا الإنسان الضعيف الذي لا يملك زمام نفسه ولو ساعة ، لا يعرف فيها ما سيكون ، يتحدى ويطغى ويتكبر ويقول ويفعل ويقتل بلا رحمة كما نرى من أعـدائنا الألـداء كيـف يقتلـون الأبرياء والصغار، الإنسان على ضعفه يجرم ويطغى ، فكيف إذا كان قوياً ؟

لهذا قيل : سبحان من قهر عباده بالموت ، فالموت يحل مليون مشكلة .

قال : ومن أدب المؤمن مع اسم القادر أن يستشعر حال ذكره هـذا الاسـم قـدرة الله وتقديره وحكمته وتدبيره ، فيشعر بعبوديته وضعفه .

أول ما قلت لكم ، أنت أيها الإنسان بحاجة ماسة لأن تعرف من هو الله عز وجل ؟ من أجل أن تعرف من أنت أمامه ؟ أنت لا شيء .. فالذي يقول : أنا وأنا وينسى الكبير المتعال فقد سها وتعالى بغير حق ، بئس العبد من سهى ولها ونسي المبتدى والمنتهى ، بئس العبد عبد عتا وتجبر ونسي الجبار الأكبر .

فإذا عرف الإنسان القدير وعرف القادر تحجم ، أما إذا عرف عبوديته وافتقاره فعندئـذ يرقى .

أما اسم المقتدر .. نحن عندنا قاعدة لغوية وهي أن كل زيادة في المبنـى زيـادة فـي المعنى ، فالقادر ... أربعةُ حروف وهي : قاف ، ألف ، دال ، راء ، اسم فاعل .

أما المقتدر .. خمسةُ حروف ، فالمقتدر حروفها أكثر إذاً معناها أوسع ، والعلماء قـالوا هي مبالغة من اسم القادر ، فماذا تعني المبالغة إذا نُسبت إلى الله عز وجل ؟ أي أن الله عـز وجل على كل شيء قدير مهما تعددت الأشياء ، وقدير على أكبر شيء مهمـا كبـر ، فأمـا المبالغة مبالغة عدد ، أو مبالغة نوع .

فإذا قلنا إن الله عز وجل فعال لما يريد .. فعال صيغة مبالغة أي مهما كان الفعل كبيراً يفعله الله ، ومهما كانت الأفعال كثيرة يفعلها الله كلها أما اسم المقتدر فيفيد معنى القادر مبالغةً وأكثر تعظيماً ، المقتدر هو المستولي على كل شيء ، المقتدر على جميع الممكنات ، صاحب القدرة العظيمة ، المسيطر بقدرته البالغة على خلقه ، المتناهي في الاقتدار .

فمثلاً .. هل يوجد في الأرض قوةً مهما كبرت أن تزيح جبلاً كجبل قاسيون مائة كيلـو متر؟ فلو طلبنا من أكبر جهة هندسية أن تنقل لنا جبل قاسيون بأكمله من دمشق إلى حلب هل تستطيع ؟ مستحيل ، أما الله عز وجل .. كن فيكون .. قال تعالى :

وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗاۚ

(سورة الأعراف)

" قَالَ رب أَرِني أَنظُر إِلَيك قَالَ لَن تَراني ولٰكن انظُر إِلَى الْجبل فَإِن استَقَر مكَانَه فَسوفَ تَراني فَلَما تَجلى ربه لِلْجبل جعلَه دكًا وخَر موسى صعقًا " .. فالله على كل شيء قدير .

وقد قال تعالى : " وما قَدروا الله حق قَـدره والأرض جميعـا قَبضـتُه يـوم الْقيامـة والسمواتُ مطْوِياتٌ بِيمينه سبحانَه وتَعالَى عما يشْرِكُون " .

فقد قرأت مقالة عن بناء في ألمانيا مؤلف من عشرة طوابق ، ولا بد من أن يهدم ليشق شارع مكانه ، فجاءت شركة وعرضت على صاحب البناء أن تأخذ منه نصفَ تكاليف البنـاء وأن تنقل البناء إلى مكان آخر، وقد نقلوه ثلاثين متراً ، وبالفعل فهـذا شـيء لا يصـدق ، وشعرنا باندهاش ما بعده اندهاش من أجل بناء مؤلف من عشرة طوابق ، نقلـوه ثـم قـاموا بوصل المياه والكهرباء بعد أن حركوه على أسطوانات وهيؤوا له أساسات وبذلك تـم نقـل البناء وأخذوا نصف تكاليفه .

أما الله عز وجل على كل شيء قدير ، " وما قَدروا الله حـق قَـدره والأرض جميعـا قَبضتُه يوم الْقيامة والسمواتُ مطْوِياتٌ بِيمينه ".

وفي مجال السفن البحرية ، فهناك الآن سفن حمولتها مليون طن ، فقـد قـرأت عـن بعض السفن أن قوتها تبلغ أكثر من ثلاثة آلاف حصان لتحريك الدفة فقط فهـي كالمدينـة ، وهناك سفن تأخذ الفلزات من قارة أستراليا وتقوم بتصنيعها في الطريق وتنقلهـا إلـى قـارة أخرى وهي مصنعة، هذه السفن العملاقة التي هي كالجبال ، موج بسيط يجعلها كريشـة فـي مهب الريح ، فبعض الأمواج يبلغ ارتفاعها أكثر من ثلاثين متراً ، بارتفاع بناء ، فهذه قـدرة الله عز وجل .

أما في مجال الزلازل .. مدينة بأكملها ابتلعتها الأرض بفعل الزلزال في أربع ثـوان ، فمدينة بالمغرب اسمها أغادير وهي مدينة سياحية وساحلية جميلة جداً ، وفيهـا مـن الفسـق والفجور ما لا يوصف كنوادي العراة وغير ذلك من الموبقات ، أصابها زلزالٌ وفـي خـلال أربع ثوانٍ أصبحت تحت الأرض ، وأبرز بناء فيها فندق من أضخم الفنادق في العالم خمـس نجوم ومؤلف من ثلاثين طابقاً ، أصبح الفندق بأكمله تحت الأرض وبقي اسمه الـذي علـى الطابق الأخير كشاهدة على هذا الفندق .

ففي ثانية واحدة تجد مدينة إستغرق بناؤها خمسين عاماً يبتلعها الزلزال في هذه الثانيـة الواحدة .. ألا تعلم إذاً أن الله قدير وأن قُدرتَه غير متناهية .

ويقولون عن مثلث برمودا .. إن سفناً عملاقة دخلت إليه فاختفت وليس لها أثر ، وكذلك الطائرات دخلت في محيطه فسقطت وليس لها أثر وحتى الآن يصعب عليهم تفسير ذلـك ولا أحد يعلم ما سر هذا المثلث الواقع في المحيط الهادي .. هناك أشياء يتحدى الله بها عباده .

مدينة كان يسكنها الرومان حينما كانوا في أوج قوتهم وسيطرتهم علـى العـالم ، تقـع بالقرب من سفح أحد جبال إيطاليا اسمه فيزوف ، يطل على هذه المدينة ، سار في سفح الجبل بركان أرسل رماداً بركانياً حرارته ثمانمائة درجة وسمكه ثمانية أمتار غطى المدينة بأكملهـا بمن فيها كما يغطي شوارعها وبيوتها وقصورها وحماماتها ، بدأ هذا البركـان يثـور بعـد الظهيرة والطعام على الموائد ، وهذا الرماد البركاني عندما غطى هذه المدينة مات كل شيء فيها ولكن بعد حين أصبح هذا الرماد صخرياً ، وبعد مائة عام جاؤوا بهذه الصخور وثقبوهـا فوجدوا في داخلها فراغات فحقنوها بالجبس السائل ، ولما جف هذا الجبس وجـدوا أشـكال الناس فيه ، فأم مثلاً تنحني على ابنها ، كما وجدوا أنواع الطعام الموضوعة على الموائـد ، أناس علائم الهلع على وجوههم ، استطاع العلماء بهذه الوسيلة أن يروا حالة مدينة أهلكها الله دفعةً واحدة ، حتى إن بعض النساء يأخذن الحلي ليضعنها في صدورهن حفاظاً عليهـا ظنـاً منهن أنهن سيبقين على قيد الحياة ، وعندي مقالات واضحة جداً تتحدث عن هذه الصـور ، فقدرة الله عز وجل لا نهاية لها .

المقتدر عظيم القدرة المسيطر بقدرته البالغة على خلقه ، المتمكن بسلطانه ..

وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ

شَيۡءٖ مُّقۡتَدِرًا ﴿٤٥﴾

(سورة الكهف)

وقد ورد اسم المقتدر في آيات كثيرة من كتاب الله ففي سورة القمر قال تعالى :

كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَـٰهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٤٢﴾

(سورة القمر)

أيها الأخ الكريم : أنظر إلى صور الأعاصير في أمريكا ، فتجد إعصاراً يـأتي علـى مدينة بأكملها فيها معامل وبنايات وحدائق ومتنزهات وفيها آليات ومركبـات، هـذه المدينـة يزرها قاعاً صف صفا لا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً ، فسرعة الهواء ثمانمائة كيلو متر فـي الساعة ، نحن بحمد الله ليس في بلادنا رياح مثل هذه الرياح والأعاصير المـدمرة التـي لا تبقي على شيء أتت عليه ، هذه كلها من آيات الله عز وجل .. " فَأَخَذْنَاهم أَخْذَ عزِيزٍ مقْتَدِرٍ " .

وقال تعالى :

إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّـٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٥٥﴾

(سورة القمر)

وقال تعالى : " واضرِب لَهم مثَلَ الْحياة الدنْيا كماء أَنزلْنَاه من السماء فَاخْتَلَطَ بِه نَبـاتُ الأَرضِ فَأَصبح هشيما تَذْروه الرياح وكَان الله علَى كُل شَيء مقْتَدرا " .

أوسع كلمة على الإطلاق في شمولية معناها كلمة شيء ، وإن من شيء إلا يسبح بحمده ، وهنا قال تعالى " وكَان الله علَى كُل شَيء مقْتَدرا " .. واللهُ بكل شيء عليم ، فالله عز وجل بكل شيء عليم وعلى كل شيء مقتدر .

وفي سورة الزخرف قال تعالى : "أَو نُرِينك الذي وعدنَاهم فَإِنا علَيهِم مقْتَدرون " .

فإذا شعر الإنسان أن أحداً قادر عليه تعامل معه بالحسنى ، فكيف إذا شعرت بأن الله في كل ثانية مقتدر عليك ؟

قال العلماء : من أدب المؤمن مع ربه في اسم المقتدر أن يستحضر قدرة الله دائماً أمامه .

عنْ أبي مسْعود الأنْصاري قَالَ كُنْتُ أضْرب غُلاما لِي فَسمعْتُ منْ خَلفي صوْتًا اعْلَمْ أبا مسْعود لله أقْدر عليْك منْك عليْه فَالْتَفَت فَإذَا هو رسولُ الله صلى الله عليْه وسلم فَقُلْتُ يـا رسولَ الله هو حر لِوجْه الله فَقَالَ أما لوْ لمْ تَفْعلْ للفَحتْك النار أوْ لمستْك النار *

(صحيح مسلم)

وقد خاطب الحجاج رجل يعظه فقال له عندما أوقف الحجاج رجلاً بين يديـه : أسـألك بالذي أنت بين يديه والذي هو أقدر عليك منك عليه أن تعفو عنه .

فعندما يتحرك الإنسان ويعلم دائماً أن الله على كل شيء قدير ، يكون في حركته رحمة .

كان عليه الصلاة والسلام يعلم أصحابه الاستخارة في الأمور كلها كما يعلم الصورة من القرآن يقول :

.... إذَا هم أحدكُمْ بِالأمْرِ فَليرْكعْ ركْعتيْن منْ غيْرِ الفَريضة ثُم لِيقُل اللهم إنـي أسْتَخيرك بِعلمك وأسْتَقْدرك بِقُدْرتك

(صحيح البخاري)

أي أستعين بقدرتك على تحقيق هذا الأمر .. و أطلب منك أن تجعل لي يـا رب قـدرةً على المطلوب لأني ضعيف .

ذكرت هذا الحديث لقول النبي .. فإنك تقدر ولا أقدر ، وتعلـم ولا أعلـم ، أسـتخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك .. فالإنسان ضعيف والله هو القدير .

آخر كلمة في موضوع اسم المقتدر والقادر .. إن عرفت قدرته وقدره خضـعت لـه ، واستعنت به ، واعتمدت عليه ، وتوكلت عليه ، فأصبحت أقـوى الأقويـاء ، وإن عرفـت قدرته صغُرت نفسك ووقفت عند حدها ، وافتقرت إليه وتحققت عبوديتك ، فأنـت تعبـده إن عرفته ، وتستعين به إن عرفته ، وهذا ملخص اسم القادر المقتدر .

والحمد لله رب العالمين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعـد الأمـين ، اللهم أعطنا ولا تحرمنا ، وأكرمنا ولا تُهنّا ، وآثرنا ولا تؤثر علينا ، وأرضنا وأرض عنـا ، وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم .

والحمد لله رب العالمين

الدرس ٧٤ - اسم الله : "الماجد المجيد"

بسم الله الرحمن الرحيم

مع الاسم الرابع والسبعين من أسماء الله الحسنى ، والإسم هو الماجد والمجيد .

فالماجد اسم من أسماء الله الحسنى ورد في حديث رسول الله صلّى الله عليه وسـلّم الذي ذكر فيه أسماء الله الحسنى عداً وإحصاء .

قبل أن نبدأ بشرح هذا الاسم الجليل ، ينبغي أن نعلم علم اليقين أن طبيعـة الـنفس البشرية مفطورةٌ على حب الكمال ، وأن أسماء الله الحسنى أسماء حسنى كاملة ، فكمـال الله عز وجل وفطرة النفس التي فُطرت على حب الكمال يتوافقان .

فلذلك لا يطمئن الإنسان ، ولا تقبل نفسه على الله إلا إذا رأى في الله الكمال المطلق ، بينما الإنسان كماله نسبي يصيب كثيراً وقد يخطيء قليلاً ، ويبقى عند الناس كاملاً ، لكـن الله سبحانه وتعالى كماله مطلق ، لذلك الشر المطلق لا وجود له ، لأنه يتناقض مع وجود الله ، لكن الشر النسبي يوظفه الله سبحانه وتعالى للخير المطلق .

فالماجد اسم مشتقٌ من المجد ، والمجد في لغة العرب نهاية الشرف ، نهاية السمو ، نهاية الرفعة ، نهاية الكمال ، يقال رجلٌ ماجد أي رجلٌ شريف له آباء متقدمون في الشرف .

كلمة الماجد معناها : من حيث النسب ؛ ينتمي إلى أشرف أسرة ، ومن حيث السلوك ؛ كثير الخير مفضال معطاء ، فربنا عز وجل كماله مطلق وفعله خير كله .

والماجد في حق الله تعالى المتناهي في الكمال والعز ، ونفس الإنسان تحب الكمال ، لذلك النفس الإنسانية لا يملؤها إلا معرفة الله ، فلو أنها اختارت غير الله ، اختارت مادون الله ، فإنها تبقى في اضطراب ، لا تسكن، ولا تستريح .

يمر الإنسان في مراحل من حياته في حالات متنوعة ، يطلب المال مثلاً فـإذا بلغـه وجمعه سقط من عينيه وأصبح شيئاً تافهاً ، يطلب اللذائذ فإذا اقتنصها صغرت في عينه ، أما إذا طلب الله سبحانه وتعالى ومهما جد في الطلب يبقى سعيداً إلى أقصـى درجـة لأن الله لا نهائي ، لأن الله كماله مطلق .

لذلك هناك نقطة دقيقة .. الشاب يوصف بأنه يعيش أحلاماً وإذ هو شاب في مقتبـل العمر يتصور بيته ويتصور زوجته ، ويتصور عمله ، واختصاصه ومكانته ، فهـو لايـزال شاباً ، ويسعده الحلم ، وتسعده الآمال ، فإذا وصل إلى حدوده القصوى ، أي إذا تـزوج ، أو

توظف ، أو اختار هذه الحرفة دون تلك وزوال العمل فيها فإن حياته أصبحت مغلقة ، محددة ، هذا بيته ، وهذه زوجته ، وهؤلاء أولاده ، وهذا دخله ، وهذه مكانته . وهذه حرفته.

ومن ثم يشعر بالفراغ ، كما يشعر بالرتابة .. لذلك الناجحون في الحياة المادية من عجيب أمرهم أنهم ينصرفون إلى الميسر أحياناً لأن حياتهم أصبحت مملة ، بلغوا قمة النجاح ، ماذا بعد النجاح ؟ لابد من التغيير .

فالإنسان إذا نجح في عمله ، وفي زواجه وكان بعيداً عن الله عز وجل معرفةً وسلوكاً ، فإنه يبحث عن لذائذ مستجدة ، فلذلك تراه ينحرف انحرفات خطيرة لا لأنه يحبها ، بل لأنه يجدد من خلالها حياته .

أما المؤمن إذا عرف الله عز وجل فمعرفتُه بالله تملأ نفسه إلى أبد الآبدين ، لأن النفس لا نهائية ، لا يملؤها إلا المطلق ، أما المحدود لا يملؤها ، فهي أكبر ، فالدنيا محدودة ، والدنيا بكلّ لذائذها محدودة ، فالشيء الثابت أن الإنسان يشتري بيتاً واسعاً ، في الأسبوعين الأولين أو الثلاثة يسعد به أشد السعادة ، أما بعد حين فيغدو لا معنى له ، يتزوج أجمل امرأة ثم لا يلبث أن يركب أفخر مركبة وبعد حين تجده في سأم وفتور وتناقص ، الأشياء الدنيوية محدودة ، والنفس لا محدودة ، فإذا طلبت السعادة في المحدود لن تجدها ، وما سوى الله محدود ، أجل كلّ ماسوى الله كلّه محدود ، كل شيء ما سوى الله يخبو بريقه ، تتناقص لذته، تتناقص ثمرته .

إذًا إن أردت الله فأنت في سعادة متنامية ، وإن أردت ما سوى الله فأنت في سعادة متناقصة ، إذًا فالمشكلة ليست مع الشاب ، فقط بل ومع كل إنسانٍ ولو بلغ كهولته وتوضحت معالم حياته وتحددت ، إن نفسه لا نهائية ، فإن أراد المحدود وتحلقت نفسه به ، وقع في الحيرة وفي الضجر ، فإما أن ينحرف ، وإما أن يهديه الله إليه .

فالماجد في حق الله تعالى هو المتناهي في الكمال والعز ، له الجمال في الأوصاف والأفعال ، الذي يعامل عباده بالكرم والجود ويتجلى لهم بنور الوداد ، ماجد وذاته ماجدة ، أفعاله كريمة ، مودته لعباده بالغة ، ومن كلمات الدعاء .. اللهم أنت الماجد المجيد ، الفعال لما يريد ، نسألك الأمن يوم الوعيد ، أنت الماجد المجيد .

ومن الحقائق التي لا تخفي أن الإنسان إذا أحب شيئاً تغنى به ، فإذا أنت أحببت صديقاً فلتراقب نفسك خلال شهر مثلاً فأينما جلست تتحدث عنه وأنت لاتشعر ، فمن أحب شيئاً تغنى به ، ومن أحب الله تغنى بكماله ، والثناء على الله عز وجل مسعد ، الله عز وجل عنده كل شيء يسعدك فيه ، إذا أقبلت عليه أسعدك .

ذكرت في بعض الأبحاث نقطة دقيقة خلاصتها أن الدعاء وسيلة ، والدعاء غاية ،هو وسيلة لأنه سلاح بيدك ، أما غاية لأنك لمجرد أن تدعو الله وأن تتصل به فأنت أسعد

الناس ، فإذا كان إقبالك على الدعاء ضعيف يخلق الله لك حاجةً عنده من أجل أن تدعوه فـإذا دعوته اتصلت به وسعدت بقربه .

الماجد هو الواسع الكرم ، الغني المغني .

سمعت قصة من إنسان تأثرت لها .. رجل يحب الخير ، وقد أصيب طفل صـغير بحادث سير ، ومات أبوه وأمه في الحادث وبقي الطفل الصغير حياً، فهذا المحسن امتلأ قلبـه رقةً لهذا الطفل المصاب فأجرى له في سبع أو ثماني سنوات سبع عشرة عمليةً جراحية بالغة التكاليف ، نشأ هذا الطفل و هو يرى هذا المحسن يعطف عليه وينقله من مشفى إلى آخـر ، ومن بلد عربي إلى بلاد أجنبي ، إلى أن استطاع هذا الطفل أن يمشي على قدميه ، فـي أثنـاء الوداع عندما أراد أن يرسله إلى أهله الأباعد طبعاً ، رفض أن يذهب حتى يودع عمه المحسن ، فلما التقى به أقبل عليه ليودعه فتعثرت قدمه فوقع من شدة محبته وتعلقه ، قـال لـي هـذا المحسن : لقد أعطاني الطفل علبةً من العلكة -المسكة- ساعة وداعه ، وأقسم لي هذا الإنسان أن هذه العلبة أغلى عندي من حي المالكي كله عندكم على الصفين أحد أحياء دمشق الراقية .. طفل ماذا يملك ؟ يملك هذه العلبة قدمها هديةً رمزيةً لمن أحسن إليه ..

فقد أردت أن أقيس وقائع هذه القصة على حالنا .. أنت ماذا قدمت إلى الله ؟ الـذي قدم لك الوجود ، قدم لك الحواس الخمس ، قدم لك العقل ، قدم لك الأعضاء ، قدم لك زوجـة صممها لك أجمل تصميم وأحسنه ، قدم لك بيتاً ، وأولاداً ومكانةً ، أمدك بكلّ ما تحتـاج ثـم هداك إليه .. فأنت ماذا قدمت ؟ هذا الطفل لا يملك إلا هذه العلبة فقدمها ، تكاليف سبع عشرة عملية جراحية أنفقها عليه ، مئات الألوف بل بضع عشرات مئات الألوف حتى تمكن مـن أن يمشي على قدميه ، وهذا الطفل يشعر أن هذا الإنسانَ قدم له كل شيء ، فرفض أن يذهب إلى أهله قبل أن يودعه فلما التقى به ومن شدة فرحه تعثر وقدم له هذه العلبة ، قال لي : والله تلك العلبة أغلى عندي من حي المالكي .. أقسم على ذلك ، لأنه عبر بها عن شكره .. فهل يا ترى أنت شكرت الله عز وجل ؟ لو أن الله لم يخلقنا لما كان لنا وجـود ، إذًا وجودنـا منّـة منـه وتفضلاً.. فقد قال الله تعالى :

هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ لَمۡ يَكُن شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا ١

(سورة الإنسان)

أنت موجود فقد قال الله تعالى :

ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾

(سورة الإنفطار)

وجعلك مكرماً .. دخلت منذ يومين إلى مشتل فواجهتني لوحة يبلغ ارتفاعها من الأرض إلى ارتفاع المنبر ، ورأيت فيها صفاً فيه ثلاثون صورة عرضاً ، وفيه تسعون صورة طولاً ، كلّ صورة تمثل نوعاً من النبات خلقه الله تعالى خصيصاً لتمتع عينيك بهذا النبات ، هذا النبات نبات زينة لا يؤكل ولا يشرب لكنه مخلوقٌ لتمتع عينيك به ، أنواع لا تعد ولا تحصى ، كم نوع من الورود ومن نباتات الزينة ، من ألوان الأطعمة من ألوان الفواكه ، من أنواع الأطيار، هذا كله مخلوق للإنسان فقد قال تعالى :

۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾

(سورة الإسراء)

فلذلك تجد الإنسان أحياناً يسأل نفسه : الله عز وجل منحك نعماً كثيرة .. نعمة الإيجاد والإمداد والهدى والرشاد ، أنت ماذا قدمت لخلقه ؟.. أكبر سؤال ينبغي أن تسأل نفسك عنه ماذا فعلت من أجل ربي ؟ ماذا فعلت إرضاء لربي ؟ .

في الأعم الأغلب يأتي اسم الماجد بعد اسم الواجد .. الواجد هو الغني ، والماجد هو المغني ، أي غني مغْنٍ ، أما في بني البشر فهناك غني غير مغن ، حريص على المال يكدسه أكداساً طائلة ، يعيش فقيراً ليموت غنياً ، وهذا من أندم الناس .. وبالمناسبة .. المال قوة ، وبالمال بإمكانك أن تصل به إلى أعلى درجات الجِنان .

ذات مرة سألني أخٌ سؤالاً دقيقاً ، قال لي : هل هناك من حرج أن ننفق على معيشتنا أموالاً طائلة بغير حساب ، مادمنا نؤدي زكاة أموالنا ، لا نقترف إثماً ؟ فقلت أنا لن أجيبك بكلمةً واحدة بنعم أو لا بل سأذكر لك مثلاً:

لو أن إنساناً معه مائة مليون ، وعلم أن شركة استثمارية تعطي ربما على الليرة الواحدة (فرضاً) ملياراً -وهذا الكلام كلام افتراضي - ربح بكل ليرة ملياراً ، وأنت معك مائة مليون ، فهل تغامر وتشتري بأربعين مليوناً سيارة ، وبستين مليوناً بيتاً وتمكث بدون أكل ؟ ، أم أنك تشتري بيتاً بعشرة ملايين ليرة وسيارة بمليونين وتضع باقي المبلغ بالاستثمار ، فالأرباح مغرية، وكل ليرة تربح ملياراً ؟ إن الذي معه كتلة نقدية يمكن أن يعيش حياة معقولة مكرمة ،

ثم إذا كان عنده فائض من ذاك المال فلينفقه في طاعة الله ، فهذا الفائض في الآخـرة. كـل ليرة منه بمليار ، كل ليرة تعود عليه بألف مليار ، كل ليرة مليار مليار هذا في الآخرة ، فهل من المعقول أن أستهلك الفائض النقدي كله في النفقة اليومية ؟ لا .. فالقضـية هـذه قضـية تجارية ، الذي يمتلك كتلة نقدية زائدة من الممكن أن يصل بها في الجنة إلى أعلى عليين .

فللإنسان حق أن يأكل ويشرب ويسكن ويركب باعتدال ، ومـا زاد عـن حاجاتـه بإمكانه أن ينفقه في مرضاة الله ، وسيرى اللقمة إذا أطعمها فقيراً في سبيل الله كجبل أحد يوم القيامة ، فهذه اللقمة الواحدة إذا أطعمتها معوزاً ، فلو قلت إذًا إن الليرة أعطَتْ ربحـا مليـارا فإن الكلام معقول ، حجم جبل مقابل حجم لقمة يفوق المليار .

فالواجد الماجد الغني المغني هو الله ، والله عز وجل إذا أعطى أدهش، فقد أعطـاك صحة .. يقول لك الطبيب هذا الدسام مثلاً ثمنه ثمانون ألفًا تكلفة العملية أربعمائة وخمسـون ألفاً ، زرع كبد سبعة ملايين ، زرع كلية ثمانمائة ألف .. فإذا عافاك الله عز وجل ، فأنت إذاً تملك ألف مليون وأنت ماشٍ على رجليك ، حواس خمس ، جهاز هضـم ، وجهـاز دوران ، وجهاز تنفس، وجهاز طرح الفضلات ، وجهاز تصفية ، وأعصاب ، وعضـلات ، وهيكـل عظمي ، وعقل في رأسك ، وجلد سليم ، معنى ذلك أن ثمنك يعدل ألف مليون، فإذا أنعم الله عز وجل عليك بالصحة فقد أعطاك شيئاً ثميناً ، والصحة تنتهي عند الموت ، فعلى قدرِ مـا كنت معتنياً بصحتك يتحاشاك الموت إلى حين ، إلاّ أنه لابد آت ذات يوم .

ذكرتُ ذات مرة أن مغنيا لم يركب طائرة في حياته ، خوفاً من أن يموت في حادث طيران ، أكْلُه أكلٌ مدهشٌ فيوماً يأكل سمكاً ، ويوماً يأكل دجاجاً ، مساء فواكه متنوعة ، أعتقد أنه عاش إلى التسعين ، لكن بعد كل هذا العمر مات ، ولقد قرأت عنه مقالة أن عنايته بصحته لا توصف ، شيء مثل الخيال ، ومع ذلك مات، معنى ذلك أن الموت يأتي على كـل شـيء حتى الصحة ، فما الذي يبقى؟ العمل الصالح ، لذلك أعظم نعمة ، نعمة الهدى ، ثم الصـحة ، ثم الكفاية ، لذلك قال عليه الصلاة والسلام :

... من أصبح منْكُم معافًى في جسده آمنًا في سربِه عنْده قُوتُ يومه فكأنما حيزتْ له الـدنْيا*

(سنن ابن ماجة)

اسم الماجد لم يرد في القرآن الكريم ، إلا أن الذي ورد هو المجيد، وبعد قليل ننتقل إلى اسم المجيد إن شاء الله ، فالماجد أي رفيع الشرف ، المتناهي بالمجد والكمـال ، الواسـع العطاء الغني ، المغني . المغني هذا هو الماجد .. أنت كمؤمن ماعلاقتك بهذا الاسم ؟

فالمؤمن أيها القارىء الكريم .. وهذا كلام دقيق جداً .. لأنه عرف الله ، كل حياتـه عطاء ، يعطي من وقته ، من جهده ومن ماله ، ومن خبراته يقدم كل شيء فالأنبياء أعطـوا

ولم يأخذوا ، إلا أن هذا العطاء أساسه إيمان ، يعد صاحبه لاجتياز عقبات الآخرة ، فـالمؤمن طموح جداً ، فإذا إنسان قدم لك خدمة وقال لك : أريد عليها مائة ألـف ، هنـاك أشـخاص يأخذون الأجر المكافئ لجهدهم تماماً ، فإنه يعرف قيمة جهده يقول لك : إن هذه العملية تكلف أربعمائة وخمسين ألفاً ، لو فرضنا أن إنساناً قدمها لوجه الله . أيهما أكثر طموحـاً ؟ الثـاني الذي قدمها لوجه الله لأن الله عز وجل يعطيه عطاء لا يصدق يوم القيامة، فأسـاس الإيمـان مبني على العطاء لا على الأخذ ، تعيش وتأكل وتشرب وتزوج أولادك ، أما أساس إيمانك أن تعطي مما أعطاك الله ، لذلك الله عز وجل قال :

الٓمٓ ﴿١﴾ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾

(سورة البقرة)

أي أن أحد أركان حياة المؤمن ، أحد سماته الأساسية ، أحد ركائز حياته " ومما رزقْنَاهم ينفقُون " لكنك تعامل من ؟ تعامل الكريم ، يعطيك عطاء لا يصدق ، أولاً : يعطيـك في الدنيا رحمته وهي تشمل الصحة، وتشمل راحة البال ، وتشمل الرفعة ، والطمأنينة والثقة بالمستقبل ، أما الكافر فكثيراً ما ترتعد فرائصه خوفاً من تقلبات الأيام وعثرات الزمان ، مهما كان غنياً ، فحسبه بؤساً أن سلبه نعمةَ الأمن فقد قال تعالى :

فَأَيُّ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ أَحَقُّۚ بِٱلۡأَمۡنِۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٨١﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴿٨٢﴾

(سورة الأنعام)

الله يعطيك المال وقد يأخذ منك نعمة الأمن ، ويأخذ منك نعمة راحة البال ، يأخـذ منك نعمة الطمأنينة ، يأخذ منك السعادة تعيش في لذائذ متناقصة تعقبها كآبات متنامية .

فالله عز وجل قال :

وَرَحۡمَتُ رَبِّكَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ﴿٣٢﴾

(سورة الزخرف)

مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ

(سورة فاطر)

فأنت كمؤمن إذا عرفت أن الله ماجد أي غني مغنٍ ، متناه في الشرف والرفعة والمجد وهو يعطي عطاء لا نهائياً ، إذًا فَتَخلقْ بأخلاق الله .

فحظ العبد من هذا الاسم أن يعامل الخلق بالصفح والإحسان ، والعفو والإكرام ، واللين والبشاشة ، وتجنّب الشقاق ، وأن يعطي من ماله للفقراء، وأن يتواضع مع الخلق ، وان يرفق بالضعفاء ، وأن يعامل الناس كأنهم أهله وجيرانه .

فأنت عليك أن تَتَخلّق بأخلاق الله .. بالمناسبة دائماً عندما نضع قطعة من الحديد تحت أشعة الشمس ، تكتسب منها شيئاً فتكتسب الحرارة ، حارةً ، ثم ضع هذه القطعة في البراد تجدها باردة ، معنى ذلك أن هذه القطعة اكتسبت من هذه الثلاجة البرودة كما اكتسبت من تلك الشمس الساطعة الحرارة .. أنت إذا اتصلت بالله فلابد أن تكتسب شيئاً !! فقطعة حديد لا تعقل إن وضعتها تحت أشعة الشمس تكتسب الحرارة وإن وضعتها في ثلاجة تكتسب البرودة ، وأنت إذا اتصلت بالله ألا ينبغي أن تكتسب منه شيئاً ؟ فالصلاة التي هي عماد الدين وعصام اليقين ودرة الطاعات ، وأعظم القربات ، هذه الصلاة من أجل أن تكتسب الكمال من الله ، لا يمكن أن تكون صلاتك صحيحة وتكون بخيلاً ، معنى ذلك أنك غير متصل بالله ، لا يمكن أن تكون الصلاة صحيحة وتكون جباناً ، لا يمكن أن تكون الصلاة صحيحة وأنت حقود هذا شيء مستحيل حقد ، جبن ، بخل ، لؤم ، قسوة ، قلب قاسٍ لايرقّ للناس هذا كله يتناقض مع الصلاة .

فقد قال الله تعالى :

إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ

عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ

(سورة العنكبوت)

" إن الصلاةَ تَنْهى عن الْفَحشَاء والْمنْكرِ ولَذكْر الله أَكْبر ".. أي أكبر ما فيها .. فلذلك إذا أنت اتصلت بالله يجب أن تشتق لنفسك من اسمه صفة الكرم ، فإنك إذا خرجت من البيت ساعياً لعملك فالتقيت بإنسان وسألك أجبته، أو طلب إعانة أعنته ، أو وجدته ضالاً هديته ، أو وجدته فقيراً أغنيته ، همك الأول أن تسعد خلق الله عز وجل .

فأنا لي ملاحظة سأضعها بين أيدي القراء الكرام .. فأضرب أمثلة من واقع الحياة.. أنت راكب بسيارة عامة وبجانبك صديق فدفعت عنه ، فهل يظل ساكتاً ولا يتحـرك نحـوك شاكراً لك ، أم يبتسم ولا يقول لك شكراً ؟ فهل من المعقول أن تدفع ثلاث ليرات بهذه السيارة العامة ولا يلتفت لك شاكراً ، مهما كان لئيماً ، مهما كان عديم الإحساس ، مهما كان جلفـاً ، وهل من الممكن أن تدفع عن إنسان بمركبة عامة ولا يبتسم لك ويقول لك شكراً؟! وهل مـن الممكن أن تقدم لإنسان هدية ويأخذها ويضعها بجواره ويقول لك : خير . نعم . ويبقى صامتاً ، لا بل سوف يقول لك شكراً لقد كلفت نفسك من أجلي .. إنك لن تجد إنسـاناً تصـنع معـه معروفاً ، إلاّ و يكون له رد فعل حميد نحوك ، لن تجد إنساناً مهما كان لئيماً ، مهمـا كـان موقعه منك وقدمت له شيئاً إلاّ ويقدم لك شيئاً بالمقابل ، فلو قلتَ له كلمة طيبة ، لرد عليـك بكلمة طيبة ، لو ابتسمت له ابتسامة ، سيبتسم لك بابتسامة مثلها ، لو صـافحته مصـافحة حارة لرد بمصافحة حارة مثلها أو أحسن منها .

فخالق الأكوان ذو الكمال المطلق إذا أنت خطبت وده بالتوبة وخطبت وده بالطاعة ، خطبت وده بالعمل الصالح ، إن خطبت وده بالإحسان إلى خلقه وجدت جزاء ذلك عنـده ، فهل من الممكن أن تتقرب إلى الله وألاّ تجد رد فعل من الله؟! مستحيل .. فإذا الإنسان أحسـن لخلق الله سوف يجد في نفسه الطمأنينة ، والسعادة ، والتوفيق ، والحفظ ، والتأييد ، سوف يجد تكريما ، والتكريم شيء استثنائي ، شيء مستثنى عن معاملة عامة النـاس ، مسـتثنى عـن القواعد العامة التي تحكم البشر ، هذه الكرامة دليل أن الله قبل هذا العمل . ألم يقل النبي عليه الصلاة والسلام :

عن أَنَس بن مالِك قالَ قالَ رسولُ الله صلى اللهم عليه وسلم إن الصدقَةَ لتُطْفئُ غَضب الرب وتَدفَع عن ميتَة السوء *

(سنن الترمذي)

التعامل بهذا الدين كما قلت مرارا تجارة رابحة.. كيف تكون التجارة ؟ ما أكثر مـا يكون فيها من جهد ونشاط نشاط تجاري ؟ بدءاً من شراء المحل وتزيين المحل وترتيب المحل وتعيين الموظفين وشراء مستودعات وفتح اعتمادات واستيراد بضـاعة وعـرض البضـاعة ومندوب مبيعات ومندوب مشتريات والتسويق ، وبعد هذا قبض ثمن البضاعة ثم صفقة ثانيـة وثالثة الخ هذا النشاط الطويل العريض إذا لم ينته بربح فهو سلوك مضحك لا معنى له ، للتجارة هدفٌ واحد هو تحقيق الربح فإذا لم يتحقق الربح فكل هذا النشاط لا معنى له ، جهـد ضائع وهو جهد غير ذي معنى ..

فلو طبقنا ذلك على الدين .. قرأنا قرآن صلينا وصمنا وحججنا وزكينا ، وحضـرنا مجالس العلم ، وكانت عندنا مكتبة إسلامية ، والكتاب الفلاني لابن فـلان ، وغيـره لفـلان

الفلاني وهكذا ، والطبعة حديثة ، أحاديث الكتاب مخرجة ، هذا الكاتب رد عليه فلان هذا هو النشاط الديني ، بين مطالعة وبين تأليف وبين استماع إلى أشرطة ، بين حضور مجالس للعلم و بين أداء الصلوات هذا النشاط كله إجمالاً ، إذا لم ينته بك إلى أن تتصل بـالله وأن تسـعد بقربه لا معنى له إطلاقاً .

فأصبح الدين اليوم لدى الكثيرين من المسلمين ثقافة علـى فلوكلـور علـى تقاليـد وعادات على عاطفة جوفاء وهم بذلك يخدعون أنفسهم ويوردونها الموارد الآسنة ، أما حينما تتصل بالله وتقطف ثمار القرب ، وتجني الأمن والطمأنينة ، وتجني سعادة القرب ، عندئذ أنت متدين ، المشكلة في الدين : أنك لن تستطيع أن تتصل بالله إلا إذا كنت مستقيماً على أمـره ، هذا هو بيت القصيد ، لكي لا يضيع الإنسان وقته ، ولكي يتحرك العبد حركة ناجحة ولكي لا يبدد نشاطه في حركة غير ذات طائل عليه أن يدرك حقيقة علاقته بالله تعالى ثم يخلـص لـه العبادة .

ملخص الملخص يجب أن تعرفه وأن تستقيم على أمره حتى تسعد بقربه هذه هـي العبادة فقد قال تعالى :

وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾

(سورة الذاريات)

تعرفه ، تطيعه ، تسعد بقربه ، وانتهى الأمر إلى رضوان الله ولا شيء غير ذلك .

شيء آخر .. من لوازم هذا الاسم أدب المؤمن مع هذا الاسم أن ترتفع همتـه عـن الخلائق ، فمادام الله كمالُه مطلق وعطاؤه مطلق ، دع الخلق إلى الخـالق ، دعهـم ، تجـد الإنسان المنافق والمنحرف أرضياً مع الناس ، ماذا تكلم فلان ، لا أنا سوف أقوم بالرد عليه ، أما المؤمن فهو تارك الناس ، ويلتفت إلى رب الناس ، هناك شيء أساسي في حياته . فالله هو الأساس والغاية .

أحياناً تدخل إلى دائرة لتقابل فلاناً المسؤولَ ، وقد تجد في الممشى مائة شـخص ، وخمسين باباً مفتوحاً ، وخمسين موظفاً جالساً لا تريد أحداً منهم ، لكن تريد المدير العام فقط ، هدفك واحد فقط وكل هؤلاء الذين في دربك تتجاوزهم والمؤمن كذلك هدفه الوصول إلـى الله تعالى.

قيل : علاقة المؤمن بهذا الاسم : أن ترتفع همته عن الخلائق مع تعلقه بمولاه ، فمن عرف أن الله هو الواجد الماجد سمت همته إليه واعتمد عليه في كل الأمور ، أي أن المـؤمن رباني ، والمنافق شيطاني .

الحديث القدسي :

... إني حرمتُ الظلم على نَفْسي وجعلتُه بينَكُم محرما فَلا تَظَالموا يا عبادي كُلكُم ضـال إلا من هديتُه فَاستَهدوني أَهدكُم كُلكُم جائِع إلا من أَطْعمتُه فَاستَطْعموني أُطْعمكُم كُلكُم عـار إلا من كسوتُه فَاستَكْسوني أَكْسكُم لو أن أَولكُم وآخركُم وإنْسكُم وجِنكُم قَاموا في صعيد واحـد فَسأَلوني فَأعطَيتُ كُل إنْسانٍ مسأَلتَه ما نَقَص ذَلِك مما عنْدي إلا كما ينْقُص المخْيطُ إذَا أُدخلَ البحر يا عبادي إنما هي أَعمالكُم أُحصيها لكُم ثُم أُوفيكُم إياها فَمن وجد خَيرا فَليحمـد اللـه ومن وجد غَير ذَلِك فَلا يلُومن إلا نَفْسه *

(صحيح مسلم)

وأنتقل بك أيها القارىء الكريم بعد هذا إلى اسمٍ آخر قريب من هذا الاسم وهو اسـم المجيد .. الماجد على وزن فاعل ، أما المجيد على وزن فعيل ، المجيد صيغة مبالغـة ، أي سامع وسميع ، ماجد ومجيد ، حافظ وحفيظ ، وزن فعيل من أوزان صيغ المبالغة .

وإذا قلنا مبالغة في حق الله عز وجل ، فهذه المبالغة كماً وكيفاً ، إذا قلنا إن الله عز وجل مجيد أي يتناهى في الرفعة في كل صفاته هذا معنى المبالغة .. أما المبالغة النوعية فالله على كلّ شيء قدير مهما بدا كبيراً ، وعلى الأشياء كلّها قدير مهما كثـرت ، مهمـا كثـرت ومهما كبرت .

في اسم المجيد قالوا : المجد هو الشرف كما قلت قبل قليل لكن شـرف الـذات إذا قارنه حسن الفعال سمي مجداً .

مثلاً : إنسان درسنا نسبه ينتمي إلى أرقى أسرة لكن أفعاله سيئة لا يسمى ماجـداً ، إنسان آخر أعماله طيبة لكن لا نعرف أصله ولا الأسرة التي ينتمي إليها ولا ماضيه . فهو إذاً ماجد ، أسرع به عمله ، ولو بطأ به نسبه . شرف الذات إذا قارنه حسن الفعال سمي مجـداً ، والمجد المروءة والسخاء والكرم وكرم الفعال .

سيدنا سعد بن عبادة كان يقول : اللهم هب لي حمداً ومجداً لا مجد إلا بفعـال ، ولا فعال إلا بمال ، اللهم لا يصلحني إلا هو ، ولا أصلح إلا عليه .

كلام دقيق .. إن من عبادي من لا يصلح له إلا الغنى ، فإذا أفقرته أفسدت عليه دينه ، وبعض الناس مقاومته هشة إذا أغناه الله يعصيه على الفور ، أي أنه على الـدخل الكبيـر يرتكب الموبقات ، أما على الدخل المحدود مستقيم ، " وإن من عبادي من لا يصلحه إلا الفقر فإذا أغنيته أفسدت عليه دينه " هذا حديث شريف .. إلا أن الآية الكريمة تعطيك قاعدة عامـة وثابتة ، قال الله تعالى :

۞وَلَوۡ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزۡقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٖ مَّا يَشَآءُۚ

(سورة الشورى)

معنى ذلك أن الله عز وجل إذا قنن ، فإنّه يقنن تقنين تأديب لا تقنـين عجـز ، إذا وجدتَ الأمطار قد شحت ، والموارد قلت ، والأعمال أصبحت عسيرة ، والأمور غير ميسرة ، معنى ذلك أنه تقنين من الله عز وجل، وهذا التقنين لا يمكن أن يكون تقنين عجـز إلا أنـه تقنين تأديب .

إذا قطعوا مرافق الماء عن بيوتنا فالسبب أن المياه غير كافية ، هذا تقنين عجز ، إذا قطعت الكهرباء باليوم ساعة معنى ذلك يوجد تقنين عجز ، أما إذا الله عز وجل قنن المـوارد فلا يمكن أن يكون عجزاً لأن الله عنده خزائن كل شيء :

وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ

(سورة الحجر)

فإذا قنن فالتقنين تقنين تأديب ، فهذا الصحابي الجليل قال داعياً : اللهم هـب لـي حمداً ومجداً ولا مجد إلا بفعال ولا فعال إلا بمال اللهم لا يصلحني إلا هو ولا أصلح إلا عليه .

فإذا رأيت إنساناً عظيماً وليس له عمل صالح فإن عظمته تكون فارغة، العظمـة أساسها العمل العظيم ، لا مجد إلا بفعال ولا فعال إلا بمال .

وبعد فإذا رجا إنسان ربه أن يكون غنياً ليكون بهذا المال ماجداً إنقلب هذا الطلـب إلى عبادة ، فلو أن شخصاً يبحث عن مال وهدفه إذا اغتنى أن يبني مسجداً ، أو يبني معهـداً شرعياً ، أو يطعم الفقراء ، أويكرم الأيتام وينشئ ميتماً مثلاً ، وينفق إنفاق الطامع برحمة الله ويرجو وجهه ، أو يعلم الطلاب على حسابه لكي يصبحوا دعاة ، فإذا كان هذا هدفـه فعملـه عبادة ، وأي عبادة .

التقيت مرة بإنسان بينما كنت في زيارات إحدى المحافظات فوجدت مسـجداً قـد أنشيء حديثاً على الساحل فأعجبني ودخلت وصليت فيه ، ثم دعاني هذا الإنسان لشرب كأس من القهوة ، فقال لي : أنا الذي بنيت هذا المسجد ، حدثني عن قصته فسمعت كلاماً غريباً قال لي : لما أنهيت الخدمة الإلزامية من حوالي عشرين سنة ، وكنت والله ، لا أملك درهمـاً ولا ديناراً فأخذت من أُختي سوارها وبعته بثلاثمائة ليرة وسافرت إلى إحدى دول الخليج ، وبينما

أنا بالطائرة ما تكلمت بلساني إلا أنّه قد خطر في بالي خاطر : لو أن الله جبر خـاطري فـي هذه السفرة لأعمرن مسجداً ، أقسم بالله أنه لم ينطق هذا بشفتيه ، ثم قال لي: وأكرمني الله عز وجل إكراماً منقطع النظير ثم رجعت إلى بلدي واشتريت أرضاً مساحتها خمسـة دونمـات وتقدمت بطلب رخصة فلميحصل عليها ، قالوا : المنطقة غير منظمة ثم قابل مسؤولاً كبيـراً هو المحافظ الذي قال له : عمر ولا بأس عليك ثم قال : وبكل بساطة عمرنا مسـجداً كبيـراً ضخماً ومرتب نظيف وهو الذي صليت فيه قبل قليل ، وهو على مرأى من المسافرين قبـل مدينة بانياس ، لونه بني لطيف ، أمنيته كانت إلى الله : إذا أكرمتني يارب فإني أعمر مسجداً ، طلب بصدق النية فالله أعطاه ، فإذا طلب أحد مال من الله لكي يعمرمسجداً أو لينشئ معهداً شرعياً ، أوليبني داراً للأيتام ، لينفق على طلاب علم ولكي ينشر الدعوة إلى الله ، هذا الغنى آل أمره إلى عبادة ولم يصبح غنى مطغياً أو غنى منسياً لأنه أدى حق الله فـي المـال ، لأن المؤمن القوي خير وأحب إلى الله تعالى من المؤمن الضعيف .. والمال قوة ، لكن هذا المـال يحتاج إلى نية ويحتاج إلى إيمان ، والإيمان يفرز نية عالية ، والنية العالية تحول طلب المـال إلى عبادة .

أما إذا كان إنسان همه أن ينشئ هنا فيلا ، هناك شاليه ، وأن يشتري السيارة الشبح ويستقلها زهواً ، هذه لم تصبح عبادة بل أصبحت أعماله للدنيا .

فلذلك طلب المال من أجل الأفعال الصالحة يعد عبادة ، يقول : اللهم هب لي حمـداً ومجداً ، ولا مجد إلا بفعال ، ولا فعال إلا بمال اللهم لا يصلحني إلا هو ولا أصلح إلا عليه .

وإنّني أدعو أحياناً فأقول : اللهم صن وجوهنا باليسار ، ولا تبذلها بالاقتدار ، فنسأل عندئذ شر خلقك ونبتلى بحمد من أعطى وذم من منع ، وأنت من فوقهم ولي العطاء ، وبيدك وحدك خزائن الأرض والسماء .

فإذا الإنسان أتقن عمله ، أتقن مصلحته ، أتقن تجارته ، أتقن صناعته ، أتقن وظيفته ، أتقن طبه ، أتقن هندسته ، وجاءه دخل كبير وحل مشاكل الناس به فهو في أعلى درجـات العبادة ، إنه مستقيم ، طاهر ، ورع ، كسب مالاً وزوج شاباً ، واشترى بيتاً لإنسان فقير آواه به ، حل مشكلة إنسان ، وفق بين زوجين ، آوى إنساناً عليه دعوى إخلاء مثلاً ، فتاة أمن لها بيتاً وبعد هذا تقدم لها شاب ليتزوجها ، أحياناً تجد البنت إذا ملكت بيتاً فإنها على الفور تتزوج ، إذا كنت ميسور الحال وعندك بنتٌ مستقيمة وطاهرة نقية وتقدم لها شاب لا بيت عنـده ولا يملك ثمنه فاشتر لها بيتًا وزوجهما ، فهناك آباء أعجلّ أفعالهم كثيراً .

قال لي أخ أنا أمنت بيتاً لهذه البنت فإذا تقدم أحد خطبها وتزوجها فله هذا البيت ولم يمض إلا وقت قليل حتى تزوجت ، وانحلت مشكلة شابين بحاجة إلى زواج ، والله في عـون العبد ما كان العبد في عون أخيه ..

.... ومن فَرج عن مسلمٍ كُربةً فَرج الله عنْه كُربةً من كُربات يوم القيامة ...

(صحيح البخاري)

فإذا أحد طلب المال من الله تعالى ليحل فيه مشاكل المسلمين نقول له : نعم الطالـب حباً وكرامة لطلبك ، وهذا عملٌ من أرقى الأعمال وأرجاها عند الله تعالى.

الله عز وجل ذكر اسمه المجيد في القرآن الكريم ، قال الله تعالى:

قٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ ١

(سورة ق)

فالقرآن كتابنا المقرربحدث عنه ولا حرج ، حدث عن نظمه ، وعن إعجازه ، وعن تشريعه ، وعن أخباره، وعن حلاله وعن حرامه ، وعن وعده ، وعن وعيده ، وعن صوره ، وعن مشاهد يوم القيامة فيه وعن قصص أنبيائه هذا الكلام كلام الله عز وجل .

فالله عز وجل قال :

ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ

(سورة الأنعام)

ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبۡدِهِ ٱلۡكِتَٰبَ

(سورة الكهف)

الكون كله في كفة والقرآن في كفة وهو بين أيدينا ، والله الذي لا إله إلا هـو لـو وقفت عند حروفه حرفاً حرفاً لوجدت العجب العجاب ، لو وقفت عنـد حركـات الحـروف لوجدت العجب العجاب ، قواعد هامة .

قال تعالى : "والقرآن المجيد " أي الشريف ، فلله الشرف والمجد والعلو والعظمة في ذاته وصفاته وأفعاله ، ووصف الله تعالى قرآنه بأنه مجيد لكثرة فوائده ، فالمجيد في صفة الله يدل على كثرة إحسانه وأفضاله ، والمجيد هو الشريف بذاته الجليل بأفعاله الجزيل بعطائـه ، البالغ المنتهى في الكرم ، وقيل المجيد المتناهي في الشرف في ذاته وصفاته وأفعالـه وهـو الجليل في نعوته والجميل في ملكه وملكوته .

جاء اسم المجيد في آيات أخرى فالله عز وجل في سورة هود قال :

قَالُوٓاْ أَتَعۡجَبِينَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۖ رَحۡمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٞ مَّجِيدٞ ٧٣

(سورة هود)

أي أنه كثير العطاء "إنه حميد مجيد " .

فإذا الإنسان تعرف إلى الله واستقام على أمره يهديه سبل السلام ، فهناك أزمات طاحنة .. ويوجد دعاء للنبي ، اللهم صل عليه يقول فيه : " اللهم إني أعوذ بك من فجأة نقمتك ، وتحول عافيتك ، وجميع سخطك " .

أحياناً يقع البلاء فجأةً ، ويداهم المرض العضال فجأةً ..فاللهم إنا نعوذ بك من فجأة نقمتك ، وتحول عافيتك ، وجميع سخطك .. أحياناً تكون المفاجأة في الأولاد ، أو المفاجأة في الزوجة ، مفاجأة عنده خمسة أولاد وعندما حلل إكتشف أنه لا ينجب ، وعنده خمسة أولاد من غيره . فجأةً وقع الخبر عليه وقع الصاعقة !! فمثل هذا الخبر يكون مدمراً وهو شيء لا يحتمل ، ففي حياة الكافر والعاصي مفاجآت ، وأخبار كالصواعق .

أما المؤمن فالله عز وجل يهديه سبل السلام ، فهو في سلام مع نفسه ، وفي سلام مع من حوله ، وفي سلام مع ربه ، وفي سلام مع مستقبله :

قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا

(سورة التوبة)

المؤمن في سلام ، لن تجد عنده مفارقات وأخباراً صاعقة ، ذات مرة دعينا من قبل أحد الإخوان لمزرعة ، وقال لي : هذه مزرعة عمي ، و بينما نحن في المزرعة دخل عمه ولم يسلم على الموجودين جميعاً وعددهم ثلاثون رجلاً ، ولكنني ضقت ذرعا من تصرفه هذا ، فقال لي هذا الأخ : عمي حضر من المشفى الآن حيث كان يقوم بتكرير دمه وغسل كليتيه . فلا تؤاخذه على تصرفه فهو لم يعد يرى بعينيه من كثرة الألم ، والغسيل كل أسبوع مرة ، يمشي دون أن يرى أحداً أو يحس بأحد ، فالهم حجبه عن الناس كلهم .

فقد يصاب الإنسان بمصيبة في جسده أو ماله أو عياله مما يجعله لا يرى شيئاً مما حوله ، فإذا طمأنك الله عز وجل وقال لك :

فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَاۖ

(سورة الطور)

" فَإِنك بِأَعيننَا ".. فلا تخف ، فأنت موضع عنايتنا ، فأحياناً تجد أن الله عـز وجـل يلقي بقلبك الطمأنينة وتشعر بالثقة ، وتشعر بأن العناية تحوطك ، فاحمد الله على نعمائه فـالله قال : " فَإِنك بِأَعيننَا " .. فهل هذا شيء قليل أن يعتني الله بك ويدافع عنك ويطمئنك ، ويلقـي السكينة بقلبك والسعادة فهل هذا قليل ؟ والثمن بيدك وهو طاعتك ، فأطعه وانظر متدبرا فـي قول القائل :

أطع أمرنا نرفع لأجلك حجبنا ..فإنا منحنا بالرضى من أحبنا
وأذ بحمانا واحتم بجنابنا .. لنحميك مما فيه أشرار خلقنا
وعن ذكرنا لا يشغُلنك شاغلٌ وأخلص لنا تلق المسرة والهنا
وسلم إلينا الأمر في كل ما يكُن فما القرب والإبعاد إلا بأمرنا.

الله عز وجل قال : " **قَالُوا أَتَعجبِين من أَمرِ الله رحمةُ الله وبركَاتُه علَـيكُم أَهـلَ الْبيت إِنه حميد مجِيد** " .

عطاؤه لا حدود له ، فالله عز وجل أحياناً يعطي الإنسان قليلا من الدنيا قـد يختـل توازنه بسببه ،كأن يعطيه بيتاً جميلاً ، زوجةً جميلة ، تجارة رابحة ، فكيـف إذا أعطـاك الله الجنة .. ولندقق النظر في هذا الكلام ، إذا ذهبنا إلى طرطوس ، وركبنا زورقاً إلـى جزيـرة أرواد وأخرجت من جيبك إبرةً وقمت بغمسها في مياه البحر وسحبتها بعد ذلك فانظر مقدار ما حملته وتعلق بها من ماء .. يقول النبي اللهم صل عليه : " ما أخذت الدنيا من الآخرة إلا كما يأخذ المخيط إذا غُمس في مياه البحر " ، الدنيا بقصورها ، بنسائها ، بمركباتها ، بمياههـا ، بأماكنها الجميلة .. ما أخذت الدنيا من الآخرة إلا كما يأخذ المخيط إذا غُمس في مياه البحر .

... أَعددتُ لِعبادي الصالِحين ما لا عين رأَتْ ولا أُذُن سمعتْ ولا خَطَر على قَلْبِ بشَرٍ

(صحيح البخاري)

لذلك الموت عند المؤمن تُحفته وعرسه ، لأنه دخل الجنة وقد رأى مقامه فيها " إنه حميد مجيد " فالله يهيئ لنا مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر إذا أكرمنا بالجنة فهناك كل ما لا يتصوره العقل ، والثمن طاعته فقط .

وفي سورة البروج قال تعالى :

وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ﴿١٤﴾ ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾

(سورة البروج)

فلا إرادةَ فوقَ إرادة الله أبداً ، فالله هو المريد ، هو القادر، هو الفعال ، هو الحكم ، هو العدل ، لا راد لما أمر ، ولا معقب لحكمه ، وقد وصف الله سبحانه وتعالى عرشه بأنـه مجيد ، ملكه ملك عظيم .

وهناك آية ثالثة قال تعالى :

بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴿٢٢﴾

(سورة البروج)

معنى قرآن مجيد أي كثير الخير ، إن قرأته ، إن تعلمت أحكام تلاوته، إن فهمته ، إن طبقته ، إن تعلمت منه ، لا حدود لفضائل القرآن ، لذلك من أُوتي القرآن ورأى أن أحـداً أُوتي خيراً منه فقد حقر ما عظمه الله ، من تعلم القرآن متعه الله بعقله حتى يموت ، أكرر من أوتي القرآن فرأى أن أحداً أُوتي خيراً منه فقد حقر ما عظمه الله .

قال : من تخلق بإسم المجيد ، ينبغي أن يكون كريماً في جميع الأحوال مع ملازمة الأدب ، فمن المستحيل أن ترى مؤمناً بخيلاً .. بل تجده كريماً يعطي ولا يضن بعلمه ولا بخبرته.

حدثني أخ .. عافاه الله من مرضه ، وهذه القصة منذ ثلاثين عاماً .. عنـده محـل لصناعة الحلويات - الكاتو - ، دخل عليه شخص من أقاصي الجزيرة وببساطة قـال لـه : أتعلمني صنع الكاتو ؟ فقال له : على العين ، تفضل للداخل ، وقام بعمل العيـارات والأوزان المناسبة أمامه، وطبخها أمامه وبعد أن انتهى من العمل طلب منه أن يقوم بعمل مثلها أمامه .. ثم أقسم هذا الأخ .. أنه منذ ثلاثين سنة وإلى الآن يزوره ذاك الأخ ويحضر لـه هديـة مـن الحسكة ، فقد أسس محلاً هناك في بلده وأخذ الله بيده ولم ينس الفضل لثلاثين سنه فيحضر له كل سنة تنكة من السمن .

الإيمان أساسه العطاء ، وقد حدثني طبيب متخصص في الأورام الخبيثة قال لـي : جاءت إمرأة شابة في ريعان الشباب مصابة بمرض خبيث في الحنجرة وكادت تختنـق ، ولا أمل في شفائها ، وقد قامت مع ذويها بزيارة مشافي وعيادات عدة جامعات بما فيها الجامعـة الأمريكية في لبنان والكل أجمعوا على أنه لا أمل بشفائها ، قالوا لزوجها ، لا أمل في شفائها .. ولكن بعد أن غادر العيادة رجع إلى الطبيب ليحاول مرةً أخرى وقال له : أنا سوف أقـوم بإجراء محاولة أخيرة ، ولكن الأمل ضعيفٌ جداً ، وأقاموا بفندق قريب وأجرى الطبيب للمرأة جلسة أشعة يومياً ، وبعد حين تحسنت حالها ، وبعد ثمانية أشهر تقريباً بدأ شبح هذا المـرض الخطير يتراجع ، ثم أذن الله بشفائها وعافاها وأنجبت الأولاد .. وهذه القصة منذ أكثـر مـن

خمسٍ وعشرين سنة .. ويقول الطبيب لي : كل سنة يأتي الزوج للطبيب بخروفين صفيحة من السمن . فقال له الطبيب أخيراً : والله لقد رددت الجميل بالجميل الكثير فوفيتْ ، بل أكثرت ، فيقول له الزوج : والله لئن مت أنا ، فأولادي من بعدي يتابعون هذا العمل وفاء منـا لحسـن صنيعك .

فقد كان ميؤوساً من شفائها ولم يتقاص الطبيب شيئاً على علاجها ، وكان هذا الزوج فقيراً جداً وأغناه الله بعد ذلك ، ونظير علاجه وخدمته طيلة ثمانية أشهر وتراجـع المـرض وشفاء الزوجة بفضل الله ، ومنه ولم ينس الزوج هذا الفضل ، فإذا كان الفضل لإنسـان قلّـم ينسه الزوج " ولا تَنسوا الْفَضلَ بينَكُم " فكيف إذا كان الفضل لله عز وجل ؟؟ فقد قال تعالى :

وَلَا تَنسَوُاْ ٱلۡفَضۡلَ بَيۡنَكُمۡۚ

(سورة البقرة)

الماجد والمجيد إسمان من أسماء الله الحسنى .. وبشكلٍ ملخص.. الشريف بذاتـه ، الحميد بأفعاله ، الغني المغني ، الذي يعطي الخير الجزيل .

أخلاق المؤمن نحو هذين الاسمين يترتّب عليه .. أن يقصد وجه الله الكـريم لأنـه المغني وحده ، وأن يحسن للمخلوقات تأسياً بأخلاق الله ، فاتجِه إلى الله وحده وأكرم خلقه إن كنت آمنت بهذا الإسم الجليل .

والحمد لله رب العالمين

الدرس ٧٥ - اسم الله : "المحيي المميت"

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الأخوة المؤمنون ... مع الدرس الخامس والسبعين من دروس أسماء الله الحسنى ، والاسم اليوم المحيي المميت ، وأكثر الذين ألفوا عن أسماء الله الحسنى جمعوا بين الاسمين في موضوعٍ واحد لأن الله سبحانه وتعالى في أكثر الآيات التي ورد فيها اسم المحيي المميت ورد المحيي المميت معاً في آية واحدة .

أيها الإخوة الكرام ... المعنى الأول لاسم المحيي أن الله سبحانه وتعالى يحيي الأجساد بإيجاد الأرواح فيها .

يعني العلقة في رحم الأم تنمو ، لكن بعد أن تنمو يلقي الله فيها الروح ، فتتحرك والقلب ينبض ، والأجهزة تتكامل إلى أن يصبح الجنين طفلاً سوياً ، دماغ جمجمة أعصاب للحس ، أعصاب للحركة ، جهاز هضم متكامل ، جهاز للتنفس ، جهاز دوران ، جهاز لطرح الفضلات ، عظام عضلات أربطة ، طفل صغير كان قبل تسعة أشهر نطفةً من الماء المهين ، كان حويناً من خمسمائة مليون حوين بعد تسعة أشهر والأم غافلةٌ عن ما في بطنها إذا طفلٌ يخرج من رحم أمه سوي مكتمل الخلق .. من أودع فيه الروح ؟ قال تعالى :

وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾

(سورة الإسراء)

يعني لو درسنا مكونات الحليب وجئنا بكل هذه المكونات هل نستطيع أن نصنع حليباً ؟ لو جئنا بكل مكونات البيضة هل نستطيع أن نصنع بيضةً ؟ ماذا يجري في بطن الدجاجة ؟ وماذا يجري في الخلية من الخلايا الثديية للبقرة ؟ هذه الروح .

الكبد .. ما دامت الروح في الإنسان له خمس آلاف وظيفة ، فإذا مات الإنسان أُلقي في المهملات ، كبد الدجاج .. والدجاج حي له وظائف خطيرة ، فإذا مات الدجاج أصبح - سودة - ويؤكل ، فما سر هذه الحياة ؟

هذه المعدة .. ما دامت الحياة فيها لا تهضم نفسها ، أما إذا ذبح الخروف تأكلها وتهضمها معدتك ، والحياة فيها لا تهضم بعد أن ماتت تهضم ؟ هناك أمثلة لا تُعد ولا تحصى ... فأول معنى من أسماء المحيي .. هو الذي يحيي الأجسام بإيجاد الأرواح فيها .

وردة صنعت من مادة بلاستيكية كبيرة ولها ألوان زاهية تجد أن النفس تعافها ، الوردة الطبيعية تشعر وتحس بتعاطف معها عجيب ، فيها حياة ، فالطبيعي فيه حياة ، أما الوردة البلاستيكية لا يوجد فيها حياة .

وقد نرى في واجهات المحلات التجارية أجساماً توضع عليها الأقمشة ، تشعر أنها بلاستيك أو شمع ليس فيها حياة ، أما إنسان أمامك يتكلم يتحرك يتفاعل يبتسم يضحك يفكر ، يعتقد لا يعتقد ، يناقش ، يأكل يهضم يتنفس ، إنسان .. فرقٌ كبير بين الدمية وبين الإنسان ، من الذي أوجد الروح في الإنسان ؟ الله جل جلاله هو المحيي ، فهل هناك أحد من الحاضرين ليس له أب أو ام أو لا يعرف قصة خلقه ، قصة خلقه هو أن أباه تزوج أمه وخرج واحد خمسمائة مليون حوين مع البويضة هذا الحوين له غلاف نواة لها غلاف والنواة فيها خمسة آلاف مليون معلومة مبرمجة ، وخمسة آلاف مليون معلومة مبرمجة بالبويضة ، ويدخل الحوين إلى البويضة ويبدأ الانقسام ، تنقسم البويضة الملقحة إلى عشرة آلاف قسم وهي في طريقها إلى الرحم من دون أن يزداد حجمها ، لو ازداد حجمها لوقفت في الأنبوب وتعثر سيرها ، كيف تغرس في الرحم ؟ كيف تأتي الدماء غزيرةً إلى الرحم ؟ كيف يتشكل هذا الجنين ؟ يدء من دماغه إلى قلبه إلى أحشائه إلى أطرافه إلى أن يكون في الشهر التاسع والأيام العشر بعد التاسع طفل مكتمل ، يتثاءب ، يضحك ، يبكي ، يتنفس ، يهضم الحليب ، فيه حياة ، فالمحيي هو الذي يوجد الأرواح في الأجسام .

أو المحيي خالق الحياة ومعطيها لمن يشاء ، أحياناً إنسان تجده في بيته مصدراً لسعادة البيت كلّه ، إذا دخل تلاقيى البيت صار عيداً كله ، الأولاد يتراكضون إليه يتعلقون عليه يجلسون في حضنه الزوجة تستقبله الضيوف يرحب بهم ، فإذا مات خاف أقرب الناس إليه الدخول إلى غرفته ، فأين هو ؟ أقرب الناس إليه زوجته أولاده الضيوف ، ما الذي فقده ؟ لو وزناه قبل أن يموت وبعد أن يموت وزنه هو هو ، إنسحبت الروح فأصبح مخيفاً ، هناك من يخاف أن ينظر إلى ميت ، من الذي أودع فيه الروح ؟ الله جل جلاله .

الله عز وجل من أسمائه المحيي أي أنه خالق الحياة في كل شيء حي ، في النبات .. الشجرة حطب يابس يأتي الربيع تزهر ، تورق ، تثمر ، من دب فيها الحياة ؟ ، هرة تولد أمامك أربع هرر صغيرة تنمو ترضع ، من أودع فيها الحياة ؟ الله جل جلاله هو المحيي ، أتعبد مخلوقاً يحتاج إلى من يحييه ؟ أتعبد مخلوقاً سوف يموت ؟ أم تعبد الخالق المحيي المميت ؟

خالق الحياة في كل شيء ، النبات فيه حياة ، لو توسعنا أكثر : هذه الطاولـة التـي تبدو لكم جماداً لا يتحرك ولا يدرك ولا يسمع ولا ينظر، اسألوا علماء الفيزياء فيهـا حيـاة ؟ هذه الطاولة تتألف من ذرات ، والذرة عبارة من نواة وكهارب تدور حول النواة ، وكـل ذرة لها معينة الكهارب ومسارات معينة وسرعات معينة ، وقد ينتقل العنصر من الطبيعة الغازية إلى الطبيعة الجمودية باختلاف كهروبٍ واحد على السطح الخارجي ، فحتى الجماد فيه حياة ، قال تعالى :

كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ

(سورة الأنبياء)

وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ

يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾

(سورة يس)

" وكُل في فَلَك يسبحون ".. كل ما في الكون يسبح في أفلاك مغلقة ، بدأً من الـذرة وانتهائاً بالمجرة ، من الذي أودع الحياة في الجماد ؟ الجماد حي والنبات حي والحيوان حي والإنسان حي والله هو المحيي .

أما الجماد .. يشغل حيزاً له طول وعرض وارتفاع ، لكنه لا ينمو ولا يتحرك ، أما النبات .. يشغل حيزاً وله وزن إلا أنه ينمو ، والحيوان .. يشغل حيزاً وينمو ويتحرك .

أما الإنسان .. له وزن يشغل حيزاً ، وينمو ويتحرك ويفكر . قال تعالى :

ٱلرَّحْمَـٰنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ﴿٤﴾

(سورة الرحمن)

من الذي أودع الحياة ؟ هو الله جل جلاله هو المحيي .

الآن .. يحيي الخلق من العدم ، ويحيي الخلق بعد الموت .. إحيائين . قال تعالى :

قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ

(سورة غافر)

الإحياء الأول الإحياء من العدم ، والإحياء الثاني الإحياء بعد المـوت ، أمتنـا اثنين وأحييتنا اثنين ، معنى الاحياء أنه يحيينا من العدم ، سبقنا عدم فـي بطـون أمهاتنـا ، والاحياء الثاني يحيينا يوم القيامة ، يبعثنا من قبورنا ونحيا مرةً ثانية .

الآن .في حياة معنى آخر ، تجلس مع إنسان كتلة من لحم ودم لا يعي خير يوجد ، يريد أن يأكل وأن يشرب وأن يتمتع ، لا يعبأ بقيمة ولا بخلاق ولا مبدأ ولا بدين ولا بعقيـدة ، كائن يبحث عن طعامٍ وشراب وعن لذة يقتنصها ، تشعر أنت بكل خلية فـي جسـمك وبكـل قطرة في دمك أن هذا الإنسان ميت ، أما قلبه في أعلى درجة ونبضه نظامي ، تنفسه جيـد ، ضغطه جيد لو فحصته فهو في أحسن حال مائة في المائة ، لكنه ميت ، قلبه ميت .

معنى المحيي معنى جديد .. هو الذي يحيي القلوب بمعرفته والاتصال به ، يحيـي الأجسام بالأرواح ، ويحيي النفوس بمعرفته وطاعته .. تجلس مع مؤمن فيه حياة فيه مبدأ فيه خُلق فيه خجل من رحمة من انصاف من تواضع وعلم ، قال تعالى :

أَوَمَـــن كَـــانَ مَيْتًـــا فَأَحْيَيْنَـــٰهُ

(سورة الأنعام)

"أومن كان ميتًا فأحييناه " .. بالمعنى الثالث .

أول معنى .. يحيي الأجسام بإيجاد الأرواح فيها وهي من عدم

المعنى الثاني .. يحيي النفوس بعد موتها ، المعنى الثالث .. يحيي القلوب بمعرفته والإقبال عليه.

المؤمن حي .. يا بني مات خُزان المال وهم أحياء ، والعلماء باقون ما بقي الدهر ، أعيانهم مفقودة وأمثالهم موجودة .

أيها الإخوة ... "أومن كان ميتًا فأحييناه " .. هذا المعنى الثالث .. تجد المؤمن حي القلب ، إذا قرأ القرآن تدمع عينيه ، إذا قرأ القرآن يقشعر جلده ، يجِفُ قلبـه ويضـطرب ، يحب ربه ، يحب طاعته ، يحب الخير ، يصغي إلى الحق ، ينطق بالحق ، يذكر الله ، يـذكر بالله ، يدعو إلى الله يفصل يبين يشرح ، له أهداف كبيرة سامية جداً يسعى إلى مرضاته .

يحيي الأجسام بإيجاد الأرواح فيها ، ويحيي القلوب بمعرفته والإقبال عليه ، قال تعالى:

يُحْـيِ ٱلْأَرْضَ بَعْـدَ مَوْتِهَاۚ

(سورة الحديد)

وَٱللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَآۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَسۡمَعُونَ ٦٥

(سورة االنحل)

وَٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابٗا فَسُقۡنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٖ مَّيِّتٖ فَأَحۡيَيۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ٩

(سورة فاطر)

وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزۡقٖ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَا وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٞ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ٥

(سورة الجاثية)

" فأحيا به الأرض بعد موتها " .. بإنزال المطر .

والمحيي كما قال بعض العلماء : " يحيي العوالم بسره "، العوالم جمع عالم كما في قوله تعالى :

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ١ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢

(سورة الفاتحة)

" العالمين ".. جمع عالم ، عالم الحشرات ، عالم الفيروسات ، عـالم البكتيريـات ، عالم الأحياء الدقيقة ، الآن توجد بحوث جديدة تشير إلى أن هناك مسببات للمرض هي كائنات حية أقل من الفيروس ، أصغر مخلوق هو الفيروس ، الآن في مسببات تسببها هذه الكائنـات التي هي أصغر من الفيروس مرض جنون البقر ، أقل من الفيروس وهو كائن حي .

أحياناً ترى على صفحة الكتاب نقطة تمشي أقل من عشـر المليمتـر فلـو قسـمنا المليمتر إلى عشر أقسام لكانت هذه الدويبية عشر المليمتر تمشي ، ولو وضعت يدك أمامهـا

لوقفت ، ومعنى ذلك أنها أدركت أن هناك حاجز أمامها ، والجرثوم أصغر منها ، والفيـروس أصغر من الجرثوم ، وبعض مكونات الأمراض أصغر من الفيروس ، أودع فيها الحياة .

وهناك الحوت الأزرق يزن مائة وخمسين طناً ، ووجبته المعتدلة أربعـة أطنـان ، وإذا أرادت أُنثاه أن ترضع وليدها ترضعه في الرضعة الواحدة ثلاثمائة كيلو من الحليب ، أي طناً من الحليب في الرضعات الثلاث ، يستخرجون منه تسعين برميلاً من الزيوت ، خمسـين طناً من اللحم، خمسين طناً أخرى من الدهون ، ودماغة كتلة كبيرة جداً ، وهذا الفيروس فيـه حياة ، أقل من الفيروس في حياة ، والحوت الأزرق فيه حياة ، هو المحيي .

إذاً أحيا العوالم بسره .. عالم الأسماك ، عالم الطيور ، عـالم الحشـرات ، عـالم الفراشات، عالم البكتيريات ، عالم الفيروسات ، عالم الإنسان ، عالم الحيوانات البرية ، عـالم النباتات ، كل شيء بيده .

قال أحيا العوالم بسره ، وغمر الموجودات بوافر بره ، فهل هناك مخلوقٌ لا يأكل أو لا يشرب ؟ ببعض قمم جبال هيمالايا توجد ينابيع ماء ، فما معنى أن تجد ينبوع ماء في قمـة جبل ، كطالب دارسٍ للفيزياء بحسب معلوماتك عن قانون الأواني المسـتطرقة ؟ مـا معنـى وجود حاء في جبل ؟ معنى فيه مستودعات للمياه وهناك تمديدات إلى الجبل الأدنى ارتفاعاً ، لأن هناك أنواعاً من الوعول تعيش في قمم الجبال ، رحمةً بها جعل الله لها بعض الينابيع في قمم الجبال .

إذاً .. هو الذي أحيا العوالم بسره ، وغمر الموجودات بوافر بره، فلو مسكت بسنبلة من القمح فهي غذاء كامل ، ساق هذه السنبلة بفرمه يصبح تبناً ، وهذا التبن هـل تصـدق أن ساق السنبلة غذاء كامل للحيوان ، وهو أرقى أنواع العلف ، وأغلى أنواع العلف ، كيـف أن القمح غذاء كامل ، ساق السنبلة غذاء كامل ، من صمم السـنبلة للإنسـان وسـاق السـنبلة للحيوان؟ قال تعالى :

وَفَـٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾

(سورة عبس)

الفاكهة للإنسان ، والأب للحيوان .

قال : وجمل نفوس المخلصين بالمجاهدة .

بقي شيء الحقيقة أن المؤمن حي تنجذب نحوه ماالذي يجذب فيه ؟ أنت ضـع فـي إناءين باقة من الورد البلاستيك وباقة من الورد الطبيعي وانظر إليهما تجـد نفسـك منجـذباً للطبيعي ، تشمها وتنتعش ، تنظر إليها وتستمتع ، فيها حياة نضارة في ألوان رائعة ، كـذلك المؤمن كالوردة الطبيعية.

فقد تجد إنساناً ذكياً وعاقلاً ومتجملاً وأنيقاً لكنه كالوردة البلاستيكية . النفوس لا تنجذب إليها ، لذلك أمد أحبابه بنور المعرفة والمحبة ، منح المخلصين أنوار القربات ، أوصلهم إليه بعد الغربة ، قال تعالى "**أومن كان ميتًا فأحييناه وجعلنا له نُورا يمشي به في الناس** " .

أيها الإخوة ... أنت بإمكانك أن تملأ قلبك حياةً بالاتصال بالله ، أن تملأ قلبك غنى بالاتصال بالله ، أن تملأ قلبك طمأنينةً بالاتصال بالله ، أن تملأ قلبك قناعةً بالاتصال بالله ، أن تملأ قلبك أمناً بالاتصال بالله ، القلب الموصول حي ، والاتصال ثمنه الطاعة ، قضيةً سهلةً بسيطةً جداً ، أطع واتصل ، فأنت مؤمن حي القلب ، لا سمح الله أعص وانقطع . القلب ميت ، حقد على ضغينة على لؤم على كبر على أنانية ، على استعلاء ، على كذب على جحود ، على خيانة القلب مقطوع وميت .

قال : أدب المؤمن مع هذا الاسم هو الإكثار من ذكر الحي ، أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه .. نقولها بعد الصلاة ، أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم بعد الصلاة الحي القيوم مصدر حياة قلوبنا ، مصدر حياة أرواحنا .

قال : أدب المؤمن مع هذا الاسم هو الإكثار من ذكر الحي حتى يحيي القلب بنور المعرفة ، وتُضيء النفس بأسرار المكاشفة ، والإكثار من ذكره ولا سيما في جوف الليل .

كانت إحدى المؤمنات التقيات وهي السيدة رابعة العدوية إذا كانت في جوف الليل قالت: يا رب أغلقت الملوك أبوابها ، وخلا كل حبيبٍ بحبيبه ، وها أنا ذا بين يديك أتوسل إليك ، أرجوك أن تغفر لي ذنبي ، أن تحيي قلبي ، أن تقيل عثرتي ، أن تقبل توبتي ، أن تمدني بمدد من عندك .

إذا لم يكن للإنسان مع الله مناجاة وصلة في جوف الليل ، في الصلوات المكتوبات ، في السجود ، فليس هناك شيء أجمل من أن تناجي خالق الكون من أن تتصل به ، لكن الله عز وجل كلنا عباده وليس هناك فرقاً بين عبداً وآخر إلا بالطاعة ، أطعه وادخل عليه ، أطعه ، أطعه وأقبل عليه ، أطعه وناجِه ، أطعه وابتهل إليه تر بابه مفتوحاً لك أبداً.

قال أحد العارفين بالله الفضيل بن عياضٍ كان مضرب المثل بالصبر سئل مرةً يا فُضيل ممن تعلمت الصبر؟ قال من طفلٍ صغير . قالوا : كيف ؟ قال : كنت في أحد سككك المدينة ، فإذا باب يفتح ويلقى منه طفلٌ صغير ويغلق الباب ، هذا الطفل بدلاً من أن يعدو مبتعداً عن بيته وقف على عتبة البيت يبكي ويستعطف ويرجو ويعد ، إلى أن فتحت له أُمه الباب وضمته وقالت : يا ولدي من لي غيرك ! الفضيل صار يبكي ، قال : سبحان الله لو صبر الناس على باب الله لفتحه لهم .

لو صبر الناس على باب الله .. صليت وما شعرت بشيء أعـد الصـلاة ، قـرأت القرآن وما شعرت بشيء فأعد القراءة ، جلست لذكر الله وبعد المائة تسبيحة الأولى اكتفيت .. لم تصبر، سلعة الله غالية ، سلعة الله لا تأخذها مباشرةً إلا بعد تعطيش لنفسك وتأخير ، قال : سبحان الله لو صبر الناس على باب الله لفتحه لهم .. لذلك :

أخلقْ بذي الصبر أن يحظى بحاجته
. . . ومدمن القرع للأبواب أن يلجأ

أخلاق .. إخواننا الكرام ... صدقوني ما في أعظم من إنسان له صلة بالله ، فأحيانـاً إذا كان هناك إنسان عظيم ينادونه قائلين : سعادة فلان .. وقديماً دولة فلان .. لأنـه دولـة ، فالله سمى إبراهيم : أمة فقد قال تعالى

إِنَّ إِبْـــــرَٰهِيمَ

(سورة النحل)

وإذا كان من له صلة بالله ، فالصلة فيها علم ، فيها حلم ، فيها توازن ، فيها طمأنينة ، فيها حكمة ، فيها رحمة ، فيها إنصاف ، فيها عدل، فعلاً صار أمة "إن إبراهيم كان أُمةً " ، فالقضية بسيطة جداً ، لا يكلف الله نفساً إلا وسعها ، أطعه واتصل به فأنت حي .

لو تفلت من منهجه وانقطعت عنه فأنت ميت ، ولو كنت في أوج حياتك ، فـي أوج شبابك ، في أوج نشاطك .. ميت "أومن كان ميتًا فَأحييناه " .. " وما أَنْتَ بِمسمعٍ مـن فـي القُبورِ".. قال تعالى :

وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٢٢﴾

(سورة فاطر)

مرة إلتقيت بإنسان من بلد أجنبي فقلت بنفسي لعلي أذكره بالله ، فذكرت له بعـض الكلمات فقال لي : هذه المعلومات لا تهمني ولا أهتم بها ولا تعنيني ولا أبحث عنهـا ، أنـا يعنيني امرأةٌ جميلة ، وسيارةٌ فارهة ومنزلٌ واسع . وانتهى الأمر بحياتي لم أشـعر بإنسـان ميت كهذا الإنسان ، منتهي ، فأحياناً يأتي الطبيب فيجس النبض فلا يجد نبضاً فيطلب مـرآة

فيضعها أمام الأنف فلا يجد بخاراً من الماء خارجاً مع التنفس ، ويأخذ كاشفاً للضـوء فيفـتح عينه ويسلط عليها الضوء فلا تصغر الحدقة إذاً هذا ميت انتهت حياته ، وعظم الله أجـركم ، فالفحص الأول بالنبض، وبالتخطيط الدماغي إذا كان الخط مستقيماً فهذا ميت ، فطالما هنـاك تعرجاً فهناك حياة ، فموت الدماغ ولو كان قلبه يعمل إذا ظهر التخطيط خطاً مستقيماً ينتهي ! فلم أشعر بإنسان ميت كهذا .. فقد تكلمت معه عن خلق الله وهن إعجاز الكون ، قـال: هـذه المعلومات لا تعنيني ولا أعبأ بها ولا أكترث لها ، فقط ثلاثة تعنيني : إمرأةٌ جميلة ، وسـيارة فارهة ، ومنزلٌ واسع .. وقد مات منذ حوالي سنتان بحادث .. فقال تعالى :

فَلَا

نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾

(سورة الكهف)

هان الله عليه فهان على الله .

ورد اسم المحيي في القرآن الكريم ، فجاء في سورة الروم :

فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَـٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ

(سورة الروم)

ألم تدخل إلى بستان في الربيع ؟ قطعة من الجنة ، انظر إليه في الشـتاء مـوت ، ترى الأرض جرداء ، شجر كأنه حطب يابس ، أدخل إلى البستان في الربيع ... " فَانظُر إِلَى آثَارِ رحمة الله كَيفَ يحيي الأرض بعد موتها إِن ذَلِك لَمحيي الْموتَى وهو علَى كُل شَيء قَدير ".

وفي سورة فصلت قال تعالى :

وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَـٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾

(سورة فصلت)

وفي سورة البقرة :

فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْىِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾

(سورة البقرة)

وفي سورة آل عمران قال تعالى :

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ كَانُوا۟ غُزًّى لَّوْ كَانُوا۟ عِندَنَا مَا مَاتُوا۟ وَمَا قُتِلُوا۟ لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِى قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٥٦﴾

(سورة آل عمران)

وفي سورة الأعراف قال تعالى :

قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾

(سورة الأعراف)

آياتٌ كثيرةٌ جداً ورد فيها اسم المحيي والمميت معاً يحيي ويميت .

كل منا يتمتع بصحته والحمد لله ، هل يدري متى سيموت ؟ وفي أي مكان سـوف يموت؟ وبأي سببٍ سوف يموت ؟ يموت في بلده أم في بلد آخر ؟ يمـوت لـيلاً أو نهـاراً ؟ يموت صبحاً أو مساء ؟ يموت وحوله أهله أم وحده ؟ من يدري .. يحيي ويميت ، ومـادام الإنسان لا يدري متى يموت ، ينبغي أن يستعد للموت ، فقد قال الله تعالى :

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ



(سورة آل عمران)

أي لا يأتيكم الموت إلا وأنتم في أعلى درجات الاستسلام إلى الله عز وجل .

الآن الموت ضد الحياة ، ماتت الريح إذا ركدت وسكنت ، مات الإنسان إذا نـام ، سمي النوم موتاً لأنه يزول معه العقل والحركة تمثيلاً وتشبيهاً لا تحقيقاً ، والمـوات الأرض التي لم تُزرع .. من أحيا أرضاً مواتاً فهي له ، وفلان موتان الفؤاد أي بليد غير ذكي .

ليس من مات فاستراح بميت إنما الميتُ ميتُ الأحياء

المميت في حق الله تعالى هو مقَدر الموت على كل من أماته ، ذكـرت قصـة أعيدها كثيراً لأنها مؤثرة ، جلست مع إنسان ساعة تقريباً حدثني عن طموحاته إلى عشـرين عاماً .. سيسافر من البلد الفلاني إلى البلد الفلاني إلى البلد الفلاني إلـى الفلانـي ، وسـيعود وسيفتح محلاً تجارياً ، ويكبر أولاده ، وفي اليوم نفسه رأيت نعوته على الجدران مساء .

لا أحد منا يعرف متى سيموت ؟ هل سيموت في الستين من عمره أم في الخامسـة والخمسين أم في الثامنة والأربعين ، أم في الثالثة والسبعين ، أم في التسعين من عمـره ؟ لا أحد يعرف ، فهناك شباب يموتون.

إنسان مات قبل عامين ترك ألف مليون ، أحد الورثة نصيبه تسعين مليون ، أغلـق محله التجاري وبدأ في متابعة المعاملات فذلك أربح من كل عمله ، و سـتة أشـهر بالتمـام والكمال من دائرة إلى دائرة لاستخراج براءة الذمة ، ودخل إلى الحمام فإذا به يموت فجأة قبل أن يقبض قرشاً واحداً ، فيا ترى وهو يبحث من مكان إلى مكان هل كان يتصور أنه سيموت قبل أن يقبض هذا المبلغ ؟ الذي مات مسكين ما زال شاباً لن يدركه الموت بعد .

من منا يعرف متى سيموت ؟ تجد شخصاً بذهنه بخطط يستغرق عشر سنوات لتحقيقها، ويأتي الموت فجأةً :

كم من عروسٍ زينوها لزوجها وقد قُبِضت أرواحهم ليلة القدر

ليلة العرس ماتت .. فما دام الموت ليس بيدنا فالإنسان العاقل هو الذي يكون مستعداً للموت ، وهو شاب يدرس يؤسس عملاً ما يتزوج ، فالموت ليس معناه أن لا يعمل الإنسان ، ولكن إن حسب للموت حساباً يستقيم ، فإذا قال : أنا سوف أموت فجأةً سيستقيم ، أيةُ ساعةُ جاء الموت أهلاً وسهلاً ، مرحباً بالموت.

وا كربتاه يا أبتي . قال : لا كرب على أبيك بعد اليوم ، غداً نلقى الأحبة محمداً وصحبه .

شيء عند معظم الناس مصيبة ولكن عند المؤمن عرس هو الموت ، والله سماه في القرآن مصيبة الموت لأن الإنسان في حياته الدنيا ينمو ، قد يكون طالباً فيحصل على الليسانس ثم الدكتوراه فيصبح دكتوراً ، يتعين بمشفى وظيفة ويشتري بيتاً ويتزوج ، ثم ينتقل إلى بيت أكبر ، ثم يضع جهازاً للتكييف ، ثم يشتري سيارة ، وبعد ذلك يأخذ بيتاً في المصيف ، ينمو ويكبر ، من بيت كانت مساحته مائة متراً إلى بيت مساحته مائتان من الأمتار وبمنطقة جميلة ، فهو ينمو ، يحسن أثاثه ، ويزين بيته وبالسجاد فهو ينمو ، ثم يأتي ملك الموت ويخلصه من الدنيا وينزعه منها في أقل من ثانية التي قام بجمعها في خمسين سنة أو بثمانين سنة درجة درجة ، ويقبض روحه في ثانية واحدة ولا يأخذ شيئاً معه ، حتى لو كان في فمه سناً من الذهب لخلعوه - بالبنسة - ويقولون من حرصهم الحي أبقى من الميت.. لذلك : الله محيي مميت .

قال : مقدر الموت على كل من أماته ولا مميت سواه .. يجب أن تعتقد اعتقاداً جازماً أنه ليس في الكون جهةٌ تقرر إنهاء الحياة إلا الله ، ولو بدا لك بالعين أن فلاناً أنهى حياته .. لا ، مهما بدا لك بعينك القاصرة وعقلك الضعيف أن فلاناً أنهى حياة فلان ، فلاناً قتل فلان ، لا يموت الإنسان إلا بأجله الذي حدده الله له .

لذلك كلمة الحق لا تقطع رزقاً ولا تقرب أجلاً ، الذي أودع الحياة هو وحده الذي يقرر الموت علاقتك مع الله ، إن آمنت هذا الإيمان تغدو شجاعاً، تغدو جريئاً ، تغدو صادقاً، تعتمد على الله لا تخاف أحداً ، أما إذا توهمت أن فلاناً يمكنه أن ينهي الحياة عبدته وأنت لا تشعر ، عبدته من دون الله ، وأرضيته بسخط الله ، وأشركته مع الله .

ولا مميت سواه ... قهر عباده بالموت ، مهما كبر الإنسان وعلا سيموت .

فقد قرأت كتاباً لطبيبٍ لامع حوالي مئتي مقالة كل واحدة أروع من الأخرى ، كيف يجب عليك أن تتجنب الملح ، وكيف تقوم بأداء التمارين الرياضية ، والمحافظة على المفاصل الجلد المعدة الأمعاء القلب ، والفيتامينات ، والمواد السيللوزية الفواكه الخضراوات ، نضارة الجلد، نضارة القلب ، فمعنى ذلك أنه لو قرأ أحد الكتاب وقام بتطبيق ما فيه من تعليمات فلن يموت أبداً .. لكن المؤلف بعد ذلك هو الذي مات .

فسبحان الذي قهر عباده بالموت ، فالطغاة يموتون ، الأنبياء يموتون ، كذلك الصالحون ، الأشرار يموتون ، الأذكياء يموتون ، الأغبياء يموتون ، النساء تموت والرجال يموتون أبداً ، فسبحان من قهر عباده بالموت .

فقد قرأت كتاب قصص العرب وهو كتاب ممتع جداً ، فيه قصص واقعية وقعت في العالم العربي ، وبعد ما قرأته نظرت نظرة كانت بالغة الموعظة ، قلت كل هـؤلاء مـاتوا ، الأغنياء والفقراء ، الأقوياء والضعفاء ، الأصحاء والمرضى ، الأذكياء والأغبيـاء ، الظُـلام والمظلومين كلهم ماتوا ، وسيأتي يوم بعد حين كل من تراه عينك في الطريـق سـيموت .. فنحن الموجودين هنا بعد مائة سنة لن تجد أحداً هنا وكلنا تحت رحمة الله ، وتحـت أطبـاق الثرى ، وقبل مائة سنة لم يكن أحد منا موجوداً .. محيي مميت، سبحان مـن قهـر عبـاده بالموت .

الإنسان يكون كل شيء بيده وكل الأطباء في خدمته ، أي دواء من أي مكان يـأتي فوراً، ومع ذلك يموت الإنسان ، فالله قدر الموت على العباد ، فالأنبياء ماتوا وسـيدنا النبـي محمد مات اللهم صلي عليه ، فالموت هذا مما قهر الله به عباده .

فعادوا إلى الأرض وطواهم التراب .. فأكبر موعظة إن كان لـديك وقـت فـراغ ورأيت جنازة فامش وراءها ، فلاحظ عندما يضعون النعش على قبـرين ويرفعـوا الغطـاء ويحملون الميت، وينزل شخص إلى القبر ليستلقيه ويضعونه ويكشفون عن وجهه ويلقنونـه ، ويطلع الحفار من حفرة القبر ويضع بلاطات من الأحجار ويجرف عليها التـراب ، ويقـف أولاده يتقبلون التعازي في والدهم وصفحة انطوت .. وفي بيته لا أحد يتسائل لماذا فلان لـم يعد ؟ لن يرجع وانتهى الأمر بموته ، أما إذا كان حياً يسألون عنه وعن سبب تـأخيره حتـى الساعة الثانية عشر فأين هو ، وإن كان يزور اخته فيخبرونه ويسألون عنه ، أمـا إذا مـات ودفن فلن يسألوا عنه ، حتى ملابسه لكي لا يتذكروه يعطونها للفقراء علـى الفـور ، فـأكثر الأسر لا يتركون له غرضاً من أغراضه من ألبسة أو من أحذية أو أي شـيء لـه حتـى لا يتذكروه، فكأن صفحة وانطوت .

فالإنسان عندما يولد كل من حوله يضحك وهو يبكي وحده ، وإذا مات كل من حوله يبكي .. فإذا كان بطلاً يضحك وحده ، فالآن يجب علينا جميعاً أن نعمل ونشتغل بطاعـة الله وبذكره بالعمل الصالح بطلب العلم بتعليمه ، بالأمر بالمعروف بالنهي عن المنكر ، بالأذكـار بالأوراد ، بالتلاوة للقرآن ، فباب الله مفتوح للكل .. يجب أن نستعد للموت بطاعـة الله ، أن نستعد للموت بالتوبة إلى الله ، أن نستعد للموت بالعمل الصالح ، ومفهوم الغنى والفقـر بعـد العرض على الله ، هو الغنى غنى العمل ، والفقر فقر العمل.

فهناك أغنياء تركوا مبالغ خيالية .. ثلاثين مليار دولار ، وإبنته انتحرت ، فبالعـالم الغربي أغنياء مخيفة تبلغ أموالهم أرقاماً فلكية .. كملك الحديد ، وملك الصـلب ، وغيـرهم ماتوا كلهم .

المميت .. قال : هو الذي أمات الجبابرة رحمةً بأحبابه ، أمات الظلمة لعدم احترامهم لجنابه ، أمات الأرض إذ خلت من النبات .

هو المميت .. فأحياناً تجد أرضاً ميته لعدم هطول الأمطار .. فقد رأيت صورة عن أفريقيا . شيء مخيف ، الأشجار يابسة والحيوانات كلها نافقة ، والشعب هـاجر مـن الـبلاد وتركها لعدم سقوط المطر ، فأمات الجماد وأمات الحيوان وأمات النبات وهجر الإنسان ، تجد فلاحاً يملك بقرة ثمنها سبعين ألف وتموت فجأةً ، ففي ثانية واحدة أين ثمنهـا ؟ فقـد ذهبـت وذهب ثمنها .. فالحياة بيد الله عز وجل .

لذلك الله عز وجل مميت ليعلم الناس أن الله قادر على التصرف بالإحياء وبالإماتـة متى شاء ومتى أراد .

جاء من أمريكا وهو يحمل شهادة الدكتوراه والبورد ، أنزل حقائبه مـن السـيارة ، وكان السائق ليس منتبهاً فرجع للخلف فصدمه وحصره بين السيارة والجدار ، ودون أن يبلـغ أهله بمجيئه .

أو يموت يوم عرسه ، أو أخذ شهادة ويموت ، فالقصص مذهلة سبحان مـن قهـر عباده بالموت ، شخص خطب وذهب إلى أمريكا مسافراً وقد مات وهو في المطار ترك خلفه ملايين من الأموال ، ولو كان العقد مكتوباً بينه وبين زوجته لربحت نصف المبلـغ ، ففاتهـا عليها كل شيء لعدم كتابة العقد ، فلا أحد يعرف متى موته ولا بأي طريقة سيموت أو في أي مكان .

هناك إشكالٌ في موضوع المميت .. إذا كان الله تعالى هو المميت ، فما معنى قوله تعالى :

﴿ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ

(سورة السجدة)

ومعنى قوله تعالى توفته رسلنا أيضاً :

۞ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾

(سورة الأنعام)

يجيب بعض العلماء عن هذا التساؤل : خَلقُ الموت في الحقيقة من الله عز وجل ، خلق فعل الموت من الله ، لكن الموت في عالم الأسباب مفوض إلى ملك الموت أو إلى أتباعٍ وأعوان .

الفاعل في الحقيقة هو الله ، أحياناً يضاف ملك الموت إلى فعل الموت أو يضاف إلى الأعوان .. " تَوفتْه رسلُنَا " .

إذا قال الله عز وجل .. " قُلْ يتَوفاكُم ملَك الْموت " .. الفاعل الحقيقي هو الله ، أما في عالم الأسباب عن طريق ملك الموت أو ..

" تَوفتْه رسلُنَا " .

ففي الحقيقة الله المتوفي ، وفي المجاز توفاه ملك الموت ، أو توفته رسـلنا ، إلا أن الموت ورد في القرآن الكريم بمعاني متعددة ، وهي خمسة معانٍ تقريباً .

أولاً .. الموت : انعدام القوة النامية في الإنسان والحيوان والنبات لقوله تعالى :

يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا

(سورة الحديد)

حينما تنمو الأرض بالنبات هي الحياة ، وحينما لا تنمو بالنبات هو الموت .. وهذا هو المعنى الأول للموت .

المعنى الثاني .. زوال القوة الحساسة في الإنسان كما جاء في القرآن الكريم على لسان السيدة مريم :

يَـٰلَيْتَنِى مِتُّ

قَبْلَ هَـٰذَا

(سورة مريم)

" ياليْتَني مت " يا ليتني لم أُحس بهذا الحمل .

النوع الثالث .. زوال القوة العاقلة كما قال تعالى "أومن كان ميتًا فأحييناه وجعلْنَا له نُورا يمشي به في الناس كمن مثَلُه في الظلُمات ليس بِخَارِجٍ منْها كذَلِك زين لِلْكافرين ما كانُوا يعملُون " ، كان مغفلاً وكان جاهلاً فاستيقظ وأصبح حياً ، فعدم النماء موت ، عدم الإحساس موت ، عدم الإدراك موت .

النوع الرابع .. الحزن والألم والكدر ، والضيق موت قال تعالى :

وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ ۖ

(سورة ابراهيم)

" ويأتيه الْموتُ من كُل مكانٍ " .. الطريق مسدود فبالبيت جحيم ، والشغل متوقف ، أصدقاء تخلوا عنه ،ويأتيه الموت من كل مكان " وما هو بِميت " .. انعدام السعادة انعدام التوفيق، انعدام الحفظ ، انعدام النجاح في الحياة ، الطرق كلها مسدودة .. موت ، يقول لك : الحياة مثل الموت هذا النوع الرابع.

النوع الخامس .. النوم ، فالنوم موتٌ خفيف ، والموت نوم ثقيل :

عن أَبِي هريرةَ قَالَ قَالَ رسولُ الله صلى اللهم عليه وسلم إِذَا أَوى أَحدكُم إِلَى فراشه فَلْيَنْفُض فراشَه بِداخلَة إِزارِه فَإِنه لا يدرِي ما خَلَفَه عليه ثُم لِيضطَجِع علَى شقه الأيمن ثُم لِيقُلْ بِاسمك ربي وضعتُ جنْبِي وبِك أَرفَعه إِن أَمسكْتَ نَفْسي فَارحمها وإِن أَرسلْتَها فَاحفَظْها بِما تَحفَظُ بِه عبادك الصالِحين *

(صحيح البخاري)

فأحدنا إن نام إما أن يصحو من النوم أو لا يصحو ، فإذا لم يصح من نومه الله يرحمه، وإذا صحا من نومه الله يحفظه من المعاصي ، قال تعالى :

ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾

(سورة الزمر)

حظ المؤمن من اسم المميت أن يذكره كثيراً ، قال عليه الصلاة والسلام : " أكثروا ذكر هازم اللذات مفرق الأحباب مشتت الجماعات "

وقال صلى الله عليه وسلم : عش ما شئت فإنك ميت ، أحبب ما شئت فإنك مفارق ، إعمل ما شئت فإنك مجزي به .

وقال :

عن شَداد بنِ أَوسٍ قَالَ قَالَ رسولُ الله صلى اللهم علَيه وسلم الْكيس من دان نَفْسه وعملَ لِما بعد الْموت والْعاجِز من أَتْبع نَفْسه هواها وتَمنى علَى الله *

(سنن ابن ماجة)

إن أكيسكم - يعني أعقلكم - أكثركم للموت ذكرا ، وأحزمكم أشد استعداداً له ، وإن من علامات العقل التجافي عن دار الغرور ، والإنابة إلى دار الخلود ، والتزود لسكنى القبور ، والتأهب ليوم النشور .

أيها الإخوة ... هذا بعض ما في جعبة هذا الدرس من حقائق حول المميت والمحيي .. الله يحيينا بالإيمان ، ويميت الشهوات من قلوبنا .

والحمد لله رب العالمين

الدرس ٧٦ - اسم الله : "المقدم المؤخر"

بسم الله الرحمن الرحيم

مع الاسم السادس والسبعين من أسماء الله الحسنى ، والاسم هو المقدم والمؤخر .

شاءت حكمة الله جل جلاله أن يكون الناس درجات في حياتهم الدنيا قال تعالى :

انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ

(سورة الإسراء)

من حيث الشكل أشكال متباينة ، ومن حيث المال مستويات متباينة ، من حيث القوة مستويات مختلفة ، من حيث الذكاء مستويات متفاوتة ، فربنا عز وجل قدم إنساناً وأخر إنساناً .

كلكم يعلم أن الإنسان مكلف ، وهو مخير فيما كُلف ، لكنه مسير في أشياء كثيـرة ، فالإنسان مسير من حيث والداه ، من حيث مكان ولادته ، من حيث زمن ولادته ، من حيـث قدراته من حيث إمكاناته ، أشياء كثيرة قدرها الله عز وجل على الإنسان لكن يجب أن يعلـم الإنسان علماً يقينياً أن هذا الذي قدره الله عليه لصالحه ، وليس في الإمكان أبدع مما كـان ، وإذا كُشف الغطاء اخترتم الواقع ، فالإنسان إذا صدق الله عز وجل وعلم أن حكمة الله حكمـةٌ مطلقة ، وأن حكمته تقتضي أن كل شيء لو كان على غير ما كان عليه لكان نقصاً في حكمة الله يرضى ويستسلم .

قد يفضل الله عز وجل إنساناً بالشكل ، وقد يفضله بالذكاء ، وقد يفضله بالمال ، أو يفضله بالقوة ، أو يفضله بأن يكون ابناً لملك ، أو يكون ابناً لإنسان عادي جداً ، فـالله عـز وجل يقدم ويؤخر ، إما أنه يقدم رتبةً أو أنه يقدم زمناً ... إنسان قبل فلان جاء زماناً أو مكانة ، فقد نجد أنفسنا نذهب لنعزي أناساً في عميد أسرتهم وفي نفس اليوم قد نهذب ونهنيء أُناسـاً آخرين بمولود جديد ، من قرر أن هذا الذي توفاه الله اليوم مثلاً وِلد قبل هذا الذي ولد اليـوم بسبعين سنة؟ تقديم زمني ، و تقديم رتبي ، فالله عز وجل هو المقدم وهو المؤخر .

إذا أيقنت بحكمته ، وإذا أيقنت برحمته ، وإذا أيقنت بعدالته تستسلم وترضى .

فأولاً : " التقديم كما قال بعض العلماء ضد التأخير ، والمقدم لُغةً هو الـذي يقـدم الأشياء ويضعها في موضعها ، فمن استحق التقديم قدمه " .. وبعد فلدينا معنى جديد وهـو أن

الله يقدم استحقاقاً ، ويؤخر استحقاقاً ، يقدم رتبةً استحقاقاً ويؤخر رتبةً استحقاقاً ، ويوجد مع التقديم حكمة، ومع التقديم عدالة ، ومع التقديم علم .

والله تعالى هو المقدم الذي قدم الأحباء بخدمته .. فهل من الممكن أو من المعقول أن إنساناً خطب ود الله عز وجل والله لا يقدمه ؟! إنسان أطاع الله والله لا يقدمه ؟ فإذا لم يقدم الله عز وجل الطائعين واستوى عند الناس الطائع والعاصي ، فالطائع عندئذ فقد الباعث والحافز ، والعاصي فقد الرادع ، وإذا لم يقدم الله الطائع ولم يؤخر العاصي ، وإذا لم يقدم المحسن ولم يؤخر المسيء ، وإذا لم يقدم المستقيم ولم يؤخر المنحرف ، وإذا لم يقدم الرحيم ولم يؤخر القاسي .. فالرحيم يمل من عمله والمنحرف يستمرىء عمله .

لذلك هناك بعلم التربية قاعدة أساسية .. ما لم يكافأ المحسن ويعاقب المسيء فالأمور تصبح فوضى . على مستوى مدرسة ، على مستوى مشفى ، على مستوى معمل .. فمثلاً يتأخر عامل كل يوم ساعة ولا يعاقب ، وعامل ينضبط أشد الانضباط ولا يكافأ ! بعد حينٍ نجد المنضبط يتفلت والمقصر يزداد تقصيراً .

فكأن اسم المقدم والمؤخر مرتبطٌ باسم المربي .. والله يقدم ويؤخر ، فهل من المعقول أنك شاب تستقيم ولا يقدمك ؟ ليس هذا معقولاً بل يقدمك ويكرمك ، فالله عز وجل قال :

أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ﴿٣﴾ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾

(سورة الشرح)

فهل تجد إنساناً بالأرض يذكر مع الله إلاّ رسول الله ؟ ألا تقول: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، "رفَعنَا لَك ذكْرك".. كلمة محمد الآن في العالم ضمن خمسة آلاف مليون إنسان كم إنسان يذكر كلمة محمد ؟ " ورفَعنَا لَك ذكْرك " .

... الله تعالى هو المقدم الذي قدم الأحباء بخدمته .. أجل لقد قدمهم ، دائماً أريد من المؤمنين أن تكون معنوياتهم عالية ، اللهم صل عليه ذهب إلى الطائف بعد أن أخرجته مكة وكذبته ونكلت بأصحابه ، ذهب إلى الطائف يستنصرهم فكذبوه وردوا دعوته وسخروا منه وأغروا سفهاءهم بإيذائه ، فلما عاد قال له سيدنا زيد : يا رسول الله أتعود إلى مكة وقد أخرجتك؟ قال : إن الله ناصر نبيه .

حينما كان في طريقه إلى الهجرة تبعه سراقة بن مالك قال : كيف بك يا سـراقة إذا لبست سواري كسرى ، معنى ذلك أن النبي واثقٌ من نصر الله عز وجل ، فأنت كمؤمن يجب أن تؤمن أنك إذا استقمت على أمر الله ، وإذا أحببته وإذا أخلصت له ، وإذا أقبلت عليه فلا بد من أن يقدمك أبداً .. هكذا حكمة الله وهكذا عدالته وهكذا رحمته .

قال العلماء : " الله تعالى هو المقدم قدم الأحباء بخدمته ، وعصمهم من معصـيته". وقال بعض العارفين : " المقدم هو الذي قدم أحبابه وأسعدهم بالفهم والحكـم ، والـذي قـدم العارفين على الجاهلين ". الله عز وجل قال :

هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ

(سورة الزمر)

" هلْ يستَوِي الذين يعلَمون والذين لا يعلَمون ".. ليس هناك نسـبة .. فهـل يكـون إنسان طائع كالعاصي ، أو أن تجد إنساناً مستقيماً كالمنحرف ، فالله يقدم المستقيم ويدافع عنه .

فقد حدثني أخ يعمل في دائرة له مدير غير ملتزم إطلاقاً ، لكنه يحترم هذا الموظف أشد أنواع الإحترام لأنه ملتزم ، ويتورع هذا المدير عن أن يرتكب مخالفة للشرع أمام هـذا الموظف .. ففي ظاهر الأمر أن هذا موظف بسيط والمدير لا شك أعلى مرتبة منه ، فـانظر إلى الأعلى يحترم الأدنى لدينه ، فالله قدمه ، فبدينك واستقامتك قد تكون مكانتك أعلـى مـن مرتبتك .

قد يكون هناك في البيت شاب ، وله أربعة أو خمسة إخوة متفلتون يأتون في سـاعة متأخرة ليلاً لهم أصدقاء وأصحاب منحرفون ، هذا الشاب الورع المستقيم له مكانة في البيـت لا تقل عن مكانة والده ، هذا المقدم .. الله قدم ، كل إنسان في عمله و في حيه و في أسـرته إذا كان مستقيماً له اتصال بالله عز وجل الله يقدمه ، هو المقدم .

قال العلماء : قدم العارفين على الجاهلين وفتح لهم أبواب اليقين ، قدم العلماء علـى الجهلاء ، وجعلهم نجوم الاهتداء ، قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم بدءاً وختاماً .

سيدنا عمر عندما وقف على المنبر ليخطب بعد أن تولى الخلافة نزل درجة ، وقال : ما كان الله ليراني أضع نفسي في مقام أبي بكر.. معنى ذلك أن مقام أبي بكر محفوظ أشـد الحفظ.

الله عز وجل قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم على كل الرسل والأنبيـاء ، قـال تعالى مخاطباً رسله وأنبياءه :

ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ

(سورة آل عمران)

قدمه ليلة الإسراء حيث صلى بجميع الأنبياء .. أريد أن أستخلص من هذا الشـرح أنك لك مكانة عند الله بحجم عملك الصالح ، هذه المكانة تنالها بدقة بالغة وبعدالة مطلقـة ، لا يمكن أن يستوي عند الله إنسانان متفاوتان في عملهما أبداً ، إذا كان عملك أصـلح فمرتبتـك أعلى ، ورعك أكثر فمرتبتك أعلى ، محبتك أسمى فمرتبتك أعلى ، استقامتك أبلـغ فمرتبتـك أعلى ، فقد قال تعالى:

وَرَبُّكَ ٱلْغَنِىُّ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ۚ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنۢ بَعْدِكُم مَّا يَشَآءُ كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ ءَاخَرِينَ ﴿١٣٣﴾

(سورة الأنعام)

كل واحد منا له عند الله مرتبة .. له درجة ، له مكانة من خلال هذه المكانة يعامل ، قد نرى إنساناً غالياً على الله ، وقد نرى إنساناً هيناً على الله ، فالكفار لهم صغار عنـد الله .. قال تعالى :

فَلَا

نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾

(سورة الكهف)

" فَلا نُقيم لهم يوم الْقيامة وزنًا " .. يسقطون من عين الله ، هناك أناس كمـا قـال بعضهم: ومعنى هذه الكلمة محصور ، لله رجال إذا أرادوا أراد . دعاؤهم مستجاب .

فالله يقدم .. وإذا قدم الله فالأمر عجيب مذهل ، وإذا ألقى محبتك في قلـوب الخلـق هذه سعادةً كبيرةً جداً ، الإنسان المؤمن كيفما تحرك يكون محبوبـاً ، كيفمـا مشـي يكـون محترماً ، في غيبته يثنى عليه ، وفي حضرته يثنى عليه ، فالله قدمه .. لماذا قدمـه ؟ لعملـه الصالح ، لطهارته ، قدمه لإخلاصه وقدمه لاستقامته ، الله مقدم ومؤخر .

يؤخر إنساناً .. هو يعمل لكن في عمله شرك خفي ، هو يعمل ليرضي زيداً أو عبيداً ، لكنه لا يستطيع أن يرضى زيداً أو عبيداً ، فيؤخره الله عز وجل ، إما أن يؤخره رتبةً ، أو أن يؤخره زمناً .

في القرآن الكريم في سورة ق قال تعالى :

قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا۟ لَدَىَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِٱلْوَعِيدِ ﴿٢٨﴾ مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٢٩﴾

(سورة ق)

أتظن أن الله عز وجل يظلمك ؟ ! أو يبخسك عملك ؟ ! ويقال مكانتك التي تستحقها ؟! أو يطمس لك تألقك ؟ هذا شيء مستحيل ، أنت بعلمك وعملك وإخلاصك واستقامتك تحتل عند الله مرتبةً تتناسب مع أحوالك .

فمثلاً .. أتجد إنساناً قوياً جداً وتقول له افعل بي ما تشاء ؟ لا يمكن فلعـل عنـدك أخطاء سابقة فينتقم منك انتقاماً شديداً ، أما سيدنا هود قال لقومه :

مِن دُونِهِۦ ۖ فَكِيدُونِى جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾ إِنِّى تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّى وَرَبِّكُمْ ۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾

(سورة هود)

بالمناسبة : الإنسان يمتحن مكانته عند الله بالدعاء ، يقع في أزمة وفي شدة ، فيدعو الله بإخلاصٍ شديد ، إن أستجيب له معنى ذلك أن له شأناً عند الله ، دائماً كما قيـل : ابتغـوا الرفعة عند الله .

بعض الناس يبتغي الرفعة عند الخلق .. يحسن بيته يزين بيته ، ويشتري أثاثاً فخمـاً ويركب مركبةً فخمةً ويرتدي ثياباً قشيبة غاليه ، يزهو بثيابه بمركبته ببيته ، هـو يحـول أن ينتزع إعجاب الناس بهذه المظاهر الفارغة يسعى ليسمو مكانةً عند الناس ، ومن علامات آخر الزمان أن قيمة المرء متاعه .

عشرة أشخاص يملكون مركبات من ماركة واحدة لكن يتباهون .. فهذه مرسـيدس مائة وتسعون ، وهذه مائة وثمانون ، وهذه مائتان وثمانون ، هذه ستمائة .. فالإنسان ينتـزع مكانته فقط من مركبته ، من موقع بيته ، من مساحة بيته ، من ثيابه ، وهذا كله من علامـات تخاف المجتمع ، القول الرائع النافع " ابتغوا الرفعة عند الله " .

سلم الرفعة عند الله بيد كل إنسان ، فهو بيدك .. ألا تستطيع أن تقيم الإسـلام فـي بيتك ؟ ألا تستطيع أن تقيمه في عملك ؟ ألا تستطيع أن تضع متع الدنيا ومغرياتها تحت قدميك إرضاء لله عز وجل ؟ ألا تستطيع أن تكون صادقاً، ألا تستطيع أن تصلي الصـلوات علـى وقتها ؟ ألا تستطيع أن تضبط لسانك ؟ أن تضبط جوارحك ، أن تربي أولادك ؟ سلم الرفعـة إلى الله بيد كل واحد ، فالقول الدقيق ابتغوا الرفعة عند الله ، هذا هو العاقل ، إن هذه الرفعـة تراها شيئاً لا يقدر بثمن حينما ينتهي الأجل قال تعالى :

قِيلَ ٱدۡخُلِ ٱلۡجَنَّةَۖ قَالَ يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ﴿٢٧﴾

(سورة يس)

الله هو الذي يقدم .. أنتُ تقدم على الله فيقدمك ، وتتـأخر عـن الله فيـؤخرك ، إذا الإنسان أخلص لله ألقى الله في قلب الناس محبته وهيبته ، من اتقى الله هابـه كـل شـيء ، والإنسان إذا ازوّر عن الله ، وأعرض عنه انتزع هيبته من قلوب الخلق ، تطـاولٌ ، مـزاح رخيص ، يمزح معه من هو دونه وقد ينال من كرامته .

المؤمن لا يبتغي الرفعة في الدنيا بل يبتغي الرفعة عند الله لكن الله عز وجل أجـلّ وأكرم من أن يكافئه في الآخرة فحسب ، ويدعه في الدنيا هيناً ، فالدنيا تأتيه وهـي راغمـة تكرمةً له من ربه .

مادام الله عز وجل يقدم ويؤخر ، أنت كعبد ألا تسطتيع أن تتخلق بأخلاق الله ؟ أنت أمام ألف خيار ما الذي ينبغي أن تقدمه ؟ ومماالذي ينبغي أن تؤخره ؟ المؤمن الصـادق يقـدم أعمال الآخرة ، ويؤخر أعمال الدنيا .

إذا كان منهمكاً في عمل ودخل وقت الصلاة ، فإذا أخر الصلاة وتابع العمل فقد تخلف عن أن يتخلق بأخلاق الله ، أما إذا قدم عمل الآخرة وأخر عمل الدنيا يكون عرف قيمة الدنيا ، وعرف أنها مزرعة الآخرة ، فكن ممن يقدم الأعمال الصالحة ففيها رفعة شأنك ، ومن آثـر الآخرة على الدنيا رح الدنيا والآخرة .

هناك أشخاص أرى نفسي معجباً بهم ففي حياتهم أولويات مثلاً حفاظه على أوقـات صلواته ، طلبه للعلم ، طاعته لله عز وجل ، فهو برمج حياته كلّها وفق هذه الأهداف ، ووقته الزائد يصلح فيه شأن دنياه ، فلن يؤثر نزهة على صلاة الجمعة ؟ ولن يقدم جلسة تافهة علـى مجلس علم ؟ دنياه مرتبتها الثانية في كل أحواله ، يؤثر مرضاة ربه على سائر متطلباته .

مامعنى مقدم ومؤخر ؟ لقد تحدثنا قبل قليل عن أن الله جلّ جلاله يقـدم ويـؤخر .. يقدم الصالح ويؤخر الطالح ، يقدم العالم يؤخر الجاهل ، يقدم المحب ويؤخر المبغض ، ويقدم الطائع ويؤخر العاصي، يقدم المقبل ويؤخر المعرض ، يقدم مرتبةً ويقدم زمناً ، وهـذا كلـه عدل منه سبحانه .

إذا أدركت أنك عبد لله حقاً فماحظك من هذا الاسم ؟ أنت أمام خيارات كثيرة ينبغي أن تقدم ماكان لله ورسوله ، أن تقدم ماكان للآخرة ، تلاحظ بائعاً مثلاً لديه زبون فيهـتم بـه اهتماماً بالغاً ، فلو طلب منه شخص خدمة لله ، فمادام عنده ازدحام زبـائن ، يقـول لـه - مشغول ليس لدي فراغ - ، أي هو بحسب رؤيته أن هذا الزبون يأتيه منه ربح نقدي ، وأمـا الآخر فاربما يدعو له، فماذا سيجني من الدعوة ؟ أما لو عرف قيمة حياته الدنيا وعرف أنهـا مزرعة الآخرة ، لأقبل على العمل الصالح أكثر من إقباله على الربح المادي .

وثق أن هناك أشخاصاً يقدمون خدمات لله دون أن يرجو أحدهم أجراً ، وإذا علمـوا ستقدم لهم أجراً لتألموا أشد الألم ، ولسارع قائلاً لك : أنا فعلت هذا لله ، لا أريـد جـزاء ولا شكوراً.

قال لي يوماً أخ كريم .. لديه أزمة في قلبه ، يحتاج إلى عملية ، تكلف مبلغاً ضخماً - فوق الثلاثمائة ألف - تلّقى اتصالاً هاتفياً من امرأة محسنة ، قالت له اتصل غداً بالطبيـب الفلاني إنه سيجري لك العملية مجاناً، دفعت ثمن العملية بينما هناك إنسان آخـر يقـيم احتفالاً يكلف ملايين ليزهو أمام الناس ويضن أن يتصدق بمئة ليرة .

الذي قدم العمل الصالح كان مقدماً عند الله ، والذي قـدم شـهواته علـى أعمالـه الصالحة كان مؤخراً عند الله ، فالله سبحانه وتعالى يقدم ويؤخر .

في الحقيقة ينبغي أن يكون مسارك في الحياة واضحاً جلياً .. فكثير هي المقـاييس المادية ، فإنسان يتقدم بماله ، يتقدم بمرتبته ، أحياناً يتقدم بنسبه ، أو بقوته ، يتقـدم بذكائـه ، يتقدم تقدماً مبدئياً ، أو تقدماً مؤقتاً ، فإن لم يكن مطيعاً لله أخره الله ، هذا التقديم تقديم امتحان ، أو تقديم استدراج ، إن لم يكن في مستوى هذا التقديم أخره الله عز وجل ، إمـا أن يـؤخره بفضيحة ، أو بكف يد ، أو بإهمالٍ وإزراء ، أو بخطأٍ فاحشٍ يرتكبه يعاقب عليه ، أما المؤمن فدائماً خطه البياني صاعد صعوداً مستمراً ...

فالكافر قد يصعد خطه البياني صعوداً حاداً ليسقط سقوطاً مريعاً ، أما المؤمن يصعد خطه صعوداً منتظماً بطيئاً مستمراً ، وهذا الصعود إلى أبد الآبدين ، الله مقدم ومؤخر ، يقـدم أُناساً ويؤخر أُناساً .

كلكم يعلم قصة سيدنا عبد الله بن رواحة عندما عينه النبي قائداً ثالثاً لجيشٍ إسلامي ، وكيف أن القائد الأول سيدنا زيد تقدم وأخذ الراية فقاتل بها حتى قُتل ، وقد قال عنه النبي : إني لأرى مقامه في الجنة ، وكيف أن سيدنا جعفراً رضي الله عنه أخذ الراية وتقدم بها فقاتل حتى قُتل وقال عنه النبي : وإني لأرى مقامه في الجنة ، وتروي بعض الروايـات أن القائـد الثالث سيدنا عبد الله بن رواحة لما رأى صاحبيه قُتلا في وقت قصير تردد في أخذ الرايـة و قال بيتين من الشعر :

يا نفس إلا تُقتلي تموتي هذا حمام الموت قد لُقيت
إن تفعلي فعلهما رضيت .. وإن توليت فقد شَقيت .

حدث النبي أصحابه عن سيدنا زيد وسيدنا جعفر ثم سكت. قال أصحابه : يا رسول الله ما فعل عبد الله بن رواحة ؟! قال : ثم أخذ الراية أخوكم عبد الله ، فقاتل بها حتـى قُتـل وإني لأرى في مقامه ازوراراً عن صاحبيه لأنه تردد .. فالله يقدم ويؤخر ، فقـد قـال صلى الله عليه وسلم : ما طلعت شمس على رجلٍ بعد النبيين أفضل من أبي بكر ، الله قدمـه وجعله سيد الصحابة.

وقال صلى الله عليه وسلم : " ما دعوت أحداً إلى الإسلام إلا كانت لـه كبـوة ، إلا أخي أبا بكر " . لم تكن له كبوة .. وقال كذلك : " تسابقت أنا وأبو بكر فكنا كهاتين " .

فالله قدمه .. ما أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحد ماله كله إلا أبا بكر .

لذلك أنت حينما تعتمر تقف أمام مقام النبي ثم تقف أمام مقام سيدنا الصـديق ، ثـم أمام مقام سيدنا عمر .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في حقهما : " أبو بكر وعمر مني مثل السـمع والبصر " .

الله قدمهما .. ففي كل مجتمع مقدم ومؤخر ، الله يقدم الطائع ، فقد تجد إنساناً يعمل بلا ضجيج ، وهؤلاء الأتقياء الأخفياء يعملون بصمت يعملون بلا ضجيج ، يبـذلون جهـوداً كبيرة ، يعلمون ، يتصدقون ، يمسحون عن الناس جراحاتهم ، هؤلاء قد تـراهم فـي الظـل وفجأةً يتقدمون .. فالله قدمهم ، الله هو المقدم وهو المؤخر .

حتى في عملك إذا كنت من المحبوبين عند الله يقدمك في عملك ، يلهمك من الأساليب التي لا يلهمها غيرك ، يلهمك تصرفات لا يعرفها الآخرون ، يدافع عنك في غيبتك فهو المقدم ، يقدمك .

ورد في بعض الكتب أن سيدنا جبريل خاطب النبي عليه الصلاة والسلام قال : بلغ صاحبك أن الله راضٍ عن أبي بكر . أهذه قليلة ؟ فالله قدمه .

المؤمن إذا أراد أن يتخلق بأخلاق الله ، يقدم أمور الآخرة على أمور الدنيا .. فقد تجد إنساناً مستعداً لأن يترك صلاة ومجلساً للعلم لإصلاح آلة تافهة في بيته .. أليس كذلك ؟ أو يترك صلاة ومجلس علم لاستقبال ضيف بسيط حديثه فارغ ، يستحي أن يقول له لدي الآن درس وهيا نذهب معاً إلى المسجد لسماعه ..

المؤمن إذا أراد أن يتخلق بأخلاق الله يقدم أعمال الآخرة على أعمال الدنيا ، ففي حياته أولويات .. تلاحظ أن أصحاب الأعمال الناجحين أحدهم يمضي وقتاً معيناً يقرأ جريدة ، ويشرب كأساً من الشاي ، لكن إذا جاءه زبون ترك الجريدة وترك كأس الشاي ، وقام بإقناع الزبون بالبيع .. معنى ذلك أن هذا المحل تجاري وأساسه الربح ، فإذا جاء زبون يجب أن نهتم جميعاً به ، وليس من المعقول أن ينتظر الزبون حتى تنتهي المقالة التي نقرؤها ؟ لا أحد يفعل ذلك ، الأهم على المهم ، وإذا أنت فعلت ذلك فمن باب أولى أن تقدم الأهم على التافه ، فأمور الدنيا تافهة .

قمنا بتشييع جنازة يوماً ودخلنا إلى المقبرة في الباب الصغير ، قلت لمن كان إلى جانبي: كل هؤلاء الموتى ماتوا وفي دفاترهم قوائم لأعمال طويلة وكثيرة لم تنته بعد .

الإنسان ينتزع من بيته ، من عمله ، لم يفرغ بعد من صب سقف لبيته ، أو لم ينته من دراسته الجامعية ، فكل هؤلاء الموتى تركوا الدنيا وتركوا همومها ومتاعبها ، كما تركوا قوائم أعمال لم تشطب بعد .. فعلى الإنسان أن يقدم الآخرة على الدنيا .

ومن معاني المؤخر في حق الله تعالى كما يقول بعض العارفين : الذي يؤخر المشركين.. القتلى المشركون في بدر .. خاطبهم النبي واحداً واحداً وبأسمائهم قائلاً لهم : يا أمية بن خلف ، يا فلان ، يا فلان ، يا فلان ، هل وجدتم ما وعد ربكم حقا ؟ فإني وجدت ما وعدني ربي حقا ، لقد كذبتموني وصدقني الناس ، وأخرجتموني وآواني الناس ، وخذلتموني ونصرني الناس، قالوا : يا رسول الله أتخاطب قوماً جيفوا !! قال : ما أنتم بأسمع لما أقول منهم .

عن عائِشَةَ أنها قالَتْ لما أمر النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدرٍ بِأُولِئك الرهط قَذُفُوا في الطوى عتْبةُ وأبو جهلٍ وأصحابه وقَفَ عليهم فَقَالَ جزاكُم الله شَرا من قومٍ نَبي ما كان أسوأ

الطرد وأشَد التكْذيبِ قالُوا يا رسولَ الله كيفَ تُكلم قوما جيفُوا فَقَالَ ما أَنْتُم بِأَفْهم لِقَولِي منْهم أَو لهم أَفْهم لِقَولِي منْكُم *

(مسند الإمام أحمد)

الله أخّرهم .. ماتوا حتفَ أنوفهم ، ماتوا كالجيف ، أما أصحابه الكرام تألقوا كالنجوم .

فنحن نذكر اسم سيدنا عمر أكثر من مئات المرات ، ونترضى عنه كل يـوم وكـل ساعة، وفي كل مسجد ، وفي كل بلد إسلامي .. استحق ثناء الخالق والمخلوقين ، بينما هناك من استحق لعنة الله والملائكة والناس أجمعين كأبي جهل وأمثاله .

قال : المؤخر في حق الله تعالى هو الذي يؤخر المشـركين ، ويرفـع المـؤمنين ، يؤخر العصاة ويرفع الطائعين .

أبو سفيان .. كان سيد قومه ، طبعاً أسلم في آخر حياته ، ولكنه وقف علـى بـاب سيدنا عمر ساعات طويلة يريد الدخول عليه وما أذن له ، أما بلال وصهيب فكانا يدخلان بلا استئذان ، فلما دخل عليه عاتبه قائلاً له : سيد قريش يقف على بابك ساعات طـويلاً وبـلال وصهيب يدخلان بلا استئذان ؟! فقال له : أأنت مثلهما ؟!

الله قدم بلالاً وصهيباً وأخّر أبا سفيان .. أسلم متأخراً ورضي الله عنـه ، ولكـن ليسوا سواء ، فمن خاض ضد رسول الله المعارك أكثر من عشرين سنة ثم بعد ذلك أسـلم ، كمن قام بنصره منذ البداية ، فهناك فرقٌ كبير جداً بينهما ولكلٍ حسابه .

إذاً .. يؤخر المشركين ، ويقدم المؤمنين ، ويؤخر العصاة ويقدم الطائعين .

وأحياناً من معاني المؤخر .. أنه يؤخر العقوبة لحكمة بالغة ، قـد يكـون إنسـان مرتكباً لمعصية ، ومتلبساً بها ولكن في علم الله فيه خير ، لو أن الله عاقبه بمعصيته لأهلكه ، فالله عز وجل يعلم حقيقة نفسه فيؤخر عنه العقوبة فلعله يتوب ، فيكون التأخير منه سـبحانه لحكمة بالغة .

لذلك فالمصائب خمسة أنواع : مصائب المنحرفين ، والعصاة ، نوعان .. مصـائب قصمٍ ، ومصائب ردعٍ ، القصم كما قال الله عز وجل عن قوم نوح :

وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾

(سورة هود)

هناك أشخاص في علم الله لا يهتدون ، لذلك يقصمهم الله عز وجل ، أشخاص فيهم بقية خير ، فالله عز وجل يسوق لهم بعض الشدائد ليردعهم لكن لا يقصمهم ، فالله يقدم هلاك إنسان ويؤخر هلاك إنسان ، لذلك أخر فَتْح مكة قال الله عز وجل :

وَلَـــوْلَا رِجَـــالٌ مُّؤْمِنُـــونَ
وَنِسَـآءٌ مُّـؤْمِنَـٰتٌ لَّـمْ تَعْلَمُـوهُمْ أَن تَطَـُٔوهُمْ فَتُصِيبَكُـم مِّنْهُـم مَّعَـرَّةٌۢ
بِغَـيْرِ عِلْـمٍ

(سورة الفتح)

" ولولا رِجالٌ مؤْمنُون ونساء مؤْمنَاتٌ لم تَعلَموهم أن تَطؤوهم فَتُصيبكُم منْهم معـرةٌ بِغَيرِ علْمٍ " .. أناس مؤمنون ضعفاء خافوا أن يعلنوا إيمانهم في مكة فالله عز وجل أخّر فـتح مكة ومنع الصحابة الكرام من قتال أهل مكة إكراماً لهؤلاء .. معنى ثالث .. يقدم العقوبـة أو يؤخرها ، يقدم المكافأة أو يؤخرها .

أحياناً قد يقدم له الله المكافأة لإنسان فيرتاح ويقعد ويتوانى ويتكاسل ، وأحيانـاً الله يؤخر لإنسان المكافأة فييأس .. ولحكمة أرادها الله يقدم المكافأة أو يؤخرها ، يقدم العقـاب أو يؤخره .. فمن أسمائه المقدم والمؤخر .

قال العلماء : متى أشرق في قلبك نور اسمه المؤخر ، صرت في كل الأمور متدبراً فتؤخر كل ما أخره الله ، فما أخره الله تؤخره ، وما قدمه الله تقدمه .

فالله يقدم ويؤخر .. وأنت كمؤمن من لوازم تأدبك مع اسم المقدم المؤخر أن تقـدم أهل الإيمان ، وأن تؤخر أهل الدنيا ، فإذا دعي الإنسان العادي من قبل إنسانٍ غني تراه يلبي الدعوة مائة في المائة ، أما إذا دعي من قبل إنسانٍ فقيرٍ يسكن في أطـراف المدينـة اعتـذر متعللاً بعمله وانشغاله وبعدم فراغه وأنه محمي عن الطعام .. تلبية دعوة الأغنياء والأقويـاء من الدنيا ، وتلبية دعوة المؤمنين من الآخرة ، قال عليه الصلاة والسلام : لو دعيت إلى كُراعٍ لغنيمٍ لأجبت .

والنبي عليه الصلاة والسلام بهذه المناسبة حضنا على تلبية الدعوة فقـال : " مـن دعي ولم يلبِ فقد عصى أبا القاسم ".

وفي رواية أخرى :

عنْ نَافعٍ قَالَ قَالَ عبْد الله بْن عمر قَالَ رسولُ الله صلى الله عليْه وسلم منْ دعي فَلَمْ يجِبْ فَقَدْ عصى الله ورسوله ومنْ دخَلَ على غيْرِ دعْوة دخَلَ سارِقًا وخَرج مغيرا *

(سنن أبي داوود)

دعي أحد الصحابة ذات مرة إلى وليمة فقال : إني صائم ، فقيل له : اذهـب معنـا وصل وقت طعامنا .

معنى ذلك أن ليس القصد من الدعوة أن تملأ البطن ، القصد من الدعوة أن تلتقـي بإخوانك ، أن تجتمع إليهم ، أن تذْكُر الله معهم ، يعني أنك لو كنت صائماً فاب الدعوة وإن لم تأكل شيئاً ، فإذا كان الهدف الأكل ليس للدعوة أية قيمة في أن يلبي صائم الدعوة ، وأمـا إذا كان الهدف اللقاء مع إخوانك وأن تتذاكر معهم أمور الدين فالأكل أصبح شيئاً ثانويـاً ، فـإذا كنت صائماً فاب الدعوة واجتمع إليهم وصل وقت الطعام ، وإذاً من دعي ولم يابِ فقد عصى الله ورسوله ، من دعي ولم يابِ فقد عصى أبا القاسم .

حتى إن الرسول صلّى الله عليه وسلم قال لأحد الصحابة وكان صـائماً : أفطـر ، أخوك دعاك وتكلف لك وتقول إني صائم ، أفطر وصم يوماً مكانه ، إذاً المؤمن يقدم أهـل الإيمان ودعوة أهل الإيمان .

سرني أن أحد الأشخاص وصل إلى منصب رفيع جداً ، وزاره أستاذه وهو رجـل علم ودين ، فنزل من الطابق الثالث وفتح له باب السيارة واحترمه أمام الناس ورافقـه فـي صعوده لمنزله ، فهذه القصة بقيتْ في ذهني وانطربت لها، أن إنساناً على مسـتوى رئـيس وزارة يزوره أستاذه في التعليم الثانوي مفْت في بعض المحافظات ، له قيمته ، رجل وقـور معمر فنزل من الطابق الثالث ، وفتح له باب السيارة أمام الناس كلهم ، فاحترام العلـم مـن الدين ، طبعاً ، وإن من إجلال الله إجلال ذي الشيبة المسلم .

فأنت عندما تقدم أهل الإيمان تنعشهم ، ألم يقل رسول الله : إن الملائكـة لتضـع أجنحتها لطالب العلم ، رضاً بما يصنع .. أنت عندما تتخلـق بـأخلاق الله ، تقـدم المـؤمن وتحترمه ، وإذا وجدت فاسقاً أوفاجراً تؤخره ، تأخيرك إياه له معنى ردع له وتحجيم لحاله ، أما أكثر الناس يعظمون أهل الدنيا ، ويثنون عليهم ، وقد يكون لا يصلي ، بل ويشرب الخمر .

ولقد سمعنا عن أدباء في مصر من خلال كتاباتهم أنهم كانوا زناة فـي أوروبـا ، والآن يوصف بأنه الأديب الكبير ، المسرحي الكبير ، فهذا إنسان غير ملتـزم بقـيم دينـه ، مقترف لأكبر المعاصي ، فأنت كمؤمن عليك أن تتخاق بأخلاق الله ، أن تقدم المـؤمنين ، أن تقدم الورعين ، أن تقدم الأتقياء ، وأن تؤخر أهل الدنيا العصاة ، الفساق ، لأن الله عز وجـل كما ورد : إن الله ليغضب إذا مدح الفاسق .

أي إذا مدحت فاسقاً فإنك قلبت الأمور رأساً على عقب ، ابنك يعرفه مثلاً منحرفاً ، يعرف بيته متفلتاً ، وأنت تثني عليه أمام ابنك ، وابنك في الصف السابع... تقول عنـه : مـا شاء الله فهم وذكاء ولباقة وعلم وأدب وأسرة راقية ونسب رغم أنه لا يصلي ،سلوكه منحرف

وكلامه أحياناً بذيء ، والابن يراه أمامه ، فهذا المديح لأشخاص ينبغي أن يؤخروا اسـتهتار منك وهدر للقيم ، أنت كمقدم يجب أن تقدم أهل الإيمان ، وكلّ إنسان يقدم أهل العلـم وأهـل الإيمان ، يكون ذا إيمان قوي، وإذا وجد إنساناً عاصياً ومنحرفاً وفاجراً أخّره .

لذلك من السنّة ألا تحترم المبتدع ، فالإنسان المبتدع عقيدته فاسدة ، ويروج فكـراً منحرفاً ، ويروج ضلالات . تحترمه وتعظمه وتبجله وتثني عليه ؟ أنت أحدثت في الناس فتنة وبلبلات الأمور ، فإن الله ليغضب إذا مدح الفاسق .

من تطبيقات هذا الاسم : يجب أن تقدم المستقيم المؤمن الورع ، فإذا كانت قيمنـا مادية، نقدم الأغنياء ، ونقدم الأقوياء ، أما إذا كانت قيمنا إسلامية نقدم أهل العلم، تقـدم أهـل الفضل، نقدم الورعين ، الطائعين .

يقول عليه الصلاة والسلام :

عنْ عائِشَةَ أن قُرَيْشًا أهمهمْ شأن المرْأة المخْزومية التي سرقَتْ فَقَالُوا منْ يكلم فيها رسولَ الله صلى الله عليْه وسلم فَقَالُوا ومنْ يجْتَرئُ عليْه إلا أسامةُ حب رسول الله صلى الله عليْه وسلم فكلمه أسامةُ فَقَالَ رسولُ الله صلى الله عليْه وسلم أتَشْفَع في حد منْ حدود الله ثُـم قام فَاخْتَطب فَقَالَ أيها الناس إنما أهْلك الذين قبلكُمْ أنهمْ كانُوا إذَا سرقَ فيهم الشريفُ تَركُوه وإذَا سرقَ فيهم الضعيفُ أقاموا عليْه الْحد وايْم الله لوْ أن فَاطمةَ بِنْتَ محمد سرقَتْ لقَطعْـتُ يدها *

(صحيح البخاري)

هذا هو ديننا ، لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها .

لذلك فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم .. فالنبي عليه الصلاة والسلام يقول : " اللهم لا تجعل لي خيراً على يد كافرٍ أو منافق " .

لا تخضع لكافر ، لا تقبل منه عطاء أو نحوه كأن يقوم بإيصالك بمركبته ويسـتعلي عليك ، فأنت عزيز ، أما إذا كان مؤمناً فلا مانع من ذلك ، لكن إذا كان إنساناً منحرفاً ومتفلتاً يمن عليك ويتفضل عليك أوتقبل عطاءه ؟ لا فلا تقبل منه شيئاً .

قال العلماء : من أدب المؤمن مع اسم المؤخر .. أن يؤخر حظـوظ نفسـه ، وأن يؤخر نزواتها ، أن يؤخر أهواءها ، إن اتباع الهوى هوان وضلال .

واخجلتي من عتاب ربي إذا قال لي أسرفت يا فلان

إلى متى أنت في المعاصي ... تسير مرخى لك العنان

عندي لك الصلح وهو بري .. ولي عندك السيف والسنان

ترضى بأن تنقضي الليالي وما انقضت حربك العوان

يجب أن تؤخر حظوظ النفس ، وقد ذكرت كثيراً : ضع حظوظ نفسك تحت قدميك ، إذا كنت تحب الله ورسوله .

قال أحدهم لسيدنا عمر: أتحبني . فقال له : لا والله لا أحبك . فقال له : وهل يمنعك بغضك لي من أن تعطيني حقي ؟ قال له : لا والله ، أنت تقدم الحق لأصحابه ..

بعض العلماء يقول : " المقدم والمؤخر .. هو الذي يقدم من شاء ويؤخر من شـاء على بابه ".

ففي بعض الأيام يفتح لك بابه ، وفي بعضها الآخر يغلقه ، وأحياناً يحجبك ، وأحياناً يفتح قلبك ، ويتجلى ، أولا يتجلى ، هو المقدم والمؤخر.

فأنت لا تكن عبد الفتح بل كن عبد الفتاح ، فالله إذا فتح فاحمد الله على ذلـك ، وإن لم يفتح فأنت مستقيم ولا تضجر ، لا يفتح تعطيشاً لك ثم يفتح عليك فتحاً كبيراً ، يضر لينفع ، يأخذ ليعطي، ويذل ليعز ، ويقبض ليبسط .

أحياناً الإنسان يكون صادقاً مع الله صدقاً من مستوى عالٍ ، فالله يقدم لـه قـدرات تتناسب مع هذا الصدق .

فلدينا سؤال له جواب وهو : لم أعطى الله فلاناً قدرات عالية ولم يعطهـا لفـلان ؟ يكون هذا المعطى له طلب عالٍ جداً ، الشاب إذا كان طموحاً جداً فيعطى إمكانات تتناسب مع طموحاته، فالله إذا أخر وقدم فالتقديم أولاً متعلق بتطلعات الإنسان ومتعلق بحكمة وعدالة ، فقد تشعر بإنسان في نفسه طموحات عالية جداً ، هذه الطموحات تحتاج لقدرات عالية فيمنح هـذه القدرات ، هذه القدرات قُدم بها ولكن لم يقدم بها ظلماً ، أو تخصيصاً لا معنى له ، بل قدم بها لسببٍ يعلمه الله عز وجل ، فكن أديباً مع الله عز وجل .

فإذا قدم الله عليك إنساناً في باب الخير معنى ذلك أن صدقه أكبـر مـن صـدقك ، ومعنى ذلك أن الله عنده علم أن هذا الشخص له قدم صدق عند ربه أعلى مما تتحلى أنت به ، من صدق.

قال العلماء : " هو الذي قدم الأبرار وأخّر الفجار ، قدم الأبرار وشغلهم به ، وأخّر الفجار وشغلهم بالأغيار ".

فإذا استرذل الله عز وجل عبداً شغله بالدنيا ، حتى لكأنه يعيش في قنوات المجاري ، أما إذا أحب الله عبداً شرفه بمعرفته ، فالنبي الكريم بالأفق الأعلى منزلة ، وهناك من يعيش في تفاهات الناس وقصصهم وخلافاتهم وصراعاتهم ، في قلبه حسد وغيرة ، وحشـري فـي أمور الآخرين ، ويدخل فيما لا يعنيه ، فإذا غضب الله على إنسان شغله بتوافه الأمور ، قـال تعالى:

وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنِ ٱللَّغۡوِ مُعۡرِضُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ۝٤

(سورة المؤمنون)

اللغو كل حديثفيما سوى مرضاة الله ، إن الله يحب معالي الأمور ويكـره سفسـافها ودنيها، فليلاحظ أحدنا ما الذي يشغله ؟ قد تشغله معرفة الله وخدمة الخلـق ، ونشـر الحـق والأمر بالمعروف ، وقد تشغله هموم المسلمين ، وقد يشغله بيته ، وأثاث بيته وطلبات زوجته ونزوات أولاده ، فمن كان هذا مستواه فهو بالرثاء جدير ، فكلما كبر الإنسان عنـد الله عـز وجل تكبر همومه ، وكلما صغر يصبح شغله الشاغل في تفاهات لا تقدم ولا تؤخر .

الإمام الغزالي يقول : " المقدم والمؤخر هو الذي يقرب ويبعد ، يقرب أحبابه ، يبعد أعداءه " .

فأكبر عقاب يناله أعداؤه أنه يلعنهم ، يحجبهم ، وأكبر مكافأة ينالها أحبابه أنه يتجلى على قلوبهم .

قال : " يقرب أنبياءه وأولياءه بتقريبهم وهدايتهم ، ويؤخر أعداءه بإبعادهم وضـرب الحجاب بينه وبينهم " .

أيها القارئ الكريم ... الإنسان يوم القيامة ينبأ بما قدم وأخر .. مثلاً استحق علـى هذا الإنسان زكاة ماله ، وبيته يحتاج إلى طلاء ، فإذا قدم أداء زكاة ماله فهو مؤمن ، أمـا إذا قدم طلاء بيته على أداء زكاة ماله أخر ما ينبغي أن يقدمه وقدم ما ينبغي أن يـؤخره .. ينبـأ الإنسان يومئذ بما قدم وأخر .

بعض الناس قد يقدم مصالحه الشخصية على دينه ، ويقدم دخلاً مشبوهاً على نزاهته ، يقدم شيئاً ينفعه في دنياه لكن يغضب ربه ، ينبأ الإنسان يومئذ بما قدم وأخر .

قد يقدم شهوته على طاعة ربه ، يقْدم على كسب مال غير مشروع على طاعة ربه ، وكل إنسان يوم القيامة ينبأ بما قدم وأخر ، هذا قدمته وهذا أخرته ، هذا فضلته وهذا أهملته ، هذا أعطيته وهذا منعته ، هذه الشهوة فعلتها خلاف منهج الله ، وهذه الطاعة تركتها خـلاف منهج الله ، فقد قال تعالى :

يُنَبَّؤُاْ ٱلۡإِنسَٰنُ يَوۡمَئِذِۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ۝١٣ بَلِ ٱلۡإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ بَصِيرَةٞ ۝١٤ وَلَوۡ أَلۡقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ۝١٥

(سورة القيامة)

من أدعية النبي عليه الصلاة والسلام أنه كان يدعو ويقول :

عن ابْن أَبِي موسى عنْ أَبِيه عن النبِي صلى الله عليْه وسلم أَنه كَان يدْعو بِهذَا الدعاء رب اغْفرْ لِي خَطيئَتي وجهْلي وإِسْرافي في أَمْري كُله وما أَنْتَ أَعْلَم بِه مني اللهـم اغْفـرْ لِـي خَطَاياي وعمْدي وجهْلي وهزْلي وكُل ذَلك عنْدي اللهم اغْفرْ لِي ما قَدمْتُ وما أَخـرْتُ ومـا أَسْررْتُ وما أَعْلَنْتُ أَنْتَ المقَدم وأَنْتَ المؤَخر وأَنْتَ على كُل شَيْء قَدير *

(صحيح البخاري)

قدم كل ما يرضي الله وأخر شهوتك وكل ما لا يرضي الله ، تكن من أسعد النـاس في الدنيا والآخرة .

والحمد لله رب العالمين

الدرس ٧٧ - اسم الله : "المانع"

بسم الله الرحمن الرحيم

مع الإسم السابع والسبعين من أسماء الله الحسنى ، والاسم هو المانع .

فالله سبحانه وتعالى مانع ، قد تفهم من كلمة مانع أنه يعطي ويمنع ، يخفض ويرفع ، يعز ويذل ، ولهذا الاسم معانٍ كثيرة غير المعنى الأولي الذي يتبادر إلى ذهنك .

المنع في اللغة ضد الإعطاء .. في البلاغة ما يسمى بالمطابقة .. كأعطى ومنـع ، ضر ونفع ، خفض وأعلى ، قبض وبسط ، هذه بالأفعال ، أما بالأسماء .. حر وقـر ، عـدلٌ وجور ، صالح وطالح ، كريم وبخيل .. إلى آخره .. إذا جاءت الكلمات متعاكسة في معانيها فهذا ما يسمى بالمطابقة ، فإذا جاءت مجموعة كلمات تعاكس مجموعة كلمات في جملة واحدة فهذا ما يسمى بالمقابلة .

فالمانع في اللغة .. المنع ضد الإعطاء ، منع ضده أعطى ، والمنع ضد العطيـة ، يعطي أو يمنع ، والمعنى الذي قد لا يخطر في البالي : هو المانع بمعنى الحماية .. يمنعك من خصومك، يمنعك من أعدائك ، يمنعك من أن ينزل بك شر ، يمنعك من الأشرار ، يحميـك ، يحفظك ، أنت في حمايته ، أنت في منَعة ، لا أحد يصل إليك ، لا أحد يستطيع أن ينال منك ، فهذا معنى آخر من معاني المانع .

المانع : هو الذي يمنعك من كل ما يؤذيك ، يمنعك من العطب في دينك ودنيـاك ، الله عز وجل مانع للمؤمنين ، يدافع عنهم ويحفظهم ويوفقهم ، ويؤيدهم .

المانع بشكل مطلق .. هو الذي يجعل الحيلولة بين شيئين ، إنسان هجم على إنسـان لينال منه فاحتمى بإنسان قوي ، فهذا القوي منع الأول من أن يعتدي على الثاني فهو مانع أي جعله في منعة وحماية ، وهذا غير معنى المانع ضد الإعطاء ، المانع هو الحافظ .

قولهم .. حصن منيع أي لا يستطيع أحد أن يصل إليه ، فلان في عز ومنعـة ، أي هو عزيز ممتنع على من يرومه ، الشعور بالمنعة شعور رائع جداً تشعر أنك في حماية الله ، أن الله معك ، أن الله يحفظك ، أن الله يؤيدك ، أن أحداً لا يستطيع أن يصـل إليـك ، هـذا الشعور يقابل الطمأنينة ، يقابل الشعور بالأمن .

فأحياناً الإنسان يركب بمركبة حديثةً جداً فيشعر بعدم وجود مشكلة فيها ولن تتقطعـه بالطريق ، وأحياناً يركب مركبةً قديمةً جداً وقد يصل بسلامة لكنه طوال الطرق يكـون قلقـاً

يخشى أن تتعطل ، فالمنعة شعور بالأمن والاطمئنان ، عدم توقع المصيبة .. وقد قالوا : توقع المصيبة مصيبةٌ أكبر منها .

وقالوا : أنت من خوف الفقر في فقر ، وأنت من خوف المرض في مرض . لـذلك فالله عز وجل إذا أراد أن يعاقب المعرضين ينزع من أحدهم شعور الأمن ، هم أغنياء وأقوياء وأذكياء ومع ذلك خائفون ، يقذف الله في قلوب المشركين الرعب بسبب شـركهم ، وعلامـة الإيمان الطمأنينة لأنك مع الله ، والله معك ، ومن كان مع الله لا يخشى أحداً إلا الله ، وللأنبياء مواقف صعب تفسيرها .. فهذا سيدنا هود يخاطب قومه قائلاً لهم :

مِن دُونِهِۦ فَكِيدُونِى جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾ إِنِّى تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّى وَرَبِّكُمْ ۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾

(سورة هود)

فبالنهاية لك مشاعر نفسية ، هذه المشاعر النفسية مهمةٌ جداً جداً في حياتك ، وفـي معادك إلى الله ، لأن هذه المشاعر الراقية تقودك إلى أن تعمـل عمـلاً صـحيحاً ، والعمـل الصحيح سبب سعادتك في الدنيا والآخرة ، والمشاعر السوداوية تثـبط عزائمـك ، فأحيانـاً الإنسان يصاب بمرض نفسي ، هذا المرض يقعده في البيت ، يمنعه من العمل ، فيلجـأ إلـى التدخين ، إلى المخدرات أحياناً ، وبهذا المرض النفسي يتوهم أن الناس كلهم أعداؤه ، فالحالة النفسية مهمة جداً، أهم شيء تعيشه حالتك النفسية ، فالمؤمن له حالة شعورية عاليـة جـداً ، وأساسها أنه ممنوع ، أي أن الله منع خصومه أن يصلوا إليه ، ومعنى قوله تعالى :

فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا

(سورة الطور)

" فَإِنك بِأَعيننَا " .. أي بحفظنا وتوفيقنا ورعايتنا .

وفي بعض المعاجم .. المانع في أسمائه جل ذكره هو الذي يمنع من يستحق المنع ، ما كل واحد من الناس يستحق المنع ، فهناك إنسان لا يستحق المنع بل يستحق أن يتـورط ، يستحق أن يكون مكشوفاً ، يستحق أن يصل أعداؤه إليه ، فقد قال تعالى :

رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟

(سورة الممتحنة)

إذا لم يستقم الإنسان يفتن بالكفار ، ينالون منه ، لهم عليه ألف سبيلٍ وسبيل ، لأن الله لم يمنعه ، لأنه ما استحق المنع ، استحق أن يصلوا إليه ، استحق أن ينالوا منه ، استحق أن يتحكموا فيه ، استحق أن يقهروه ، أما إذا كنت مطبقاً لمنهج الله ، إذا كنت مع الله عز وجل فأنت ممن يستحقّ المنع ، عندئذ يمنعك الله عز وجل .

وبعد ، فالعوامل الممرضة موجودة في الدنيا ، إنسان يصاب ، إنسان آخر لا يصاب ، الذي لم يصب ممنوع من قبل الله عز وجل ، والذي أُصيب سمح الله لهذا الجرثوم ولهذا المرض أن يفعل فعله، كلمة (ممنوع) شيء دقيق الدلالة جداً ، يعني أنت تحوطك رعاية الله ، لا يسمح الله لأحد أن يصل إليك ، إنك معه ، هو يحميك .. فقد قال تعالى :

فَٱللَّهُ خَيْرٌ

حَٰفِظًا ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٦٤﴾

(سورة يوسف)

" فالله خَير حافظًا وهو أرحم الراحمين " ، سبق أن ذكرت كيف أن النبي عليه الصلاة والسلام اتجه إلى بني النضير مع ثُلّة من كبار أصحابه ليطالبهم بما عليهم من عهد وقعه معهم ، فجلس في مكانٍ في حيهم وأسند ظهره إلى جدار بيت فأتمروا به بأن يصعد أحدهم إلى السطح ويلقي عليه صخرةً يقتله ويستريح منه الناس بزعمهم ، فجاءه الوحي بالخبر فنهض النبي من مجلسه وتبعه أصحابه وفوت الله على العدو تدبيرهم ، وأنت كمؤمن لن يأتيك الوحي ولكن يأتيك من الله إلهام .

امرأة صالحة تطهو طعامها في قدر تعمل بالبخار- طنجرة بخار - يبدو أن فيها خللاً وصارت على وشك الانفجار ، وإذا انفجرت شيء مخيف جداً ، وقبيل أن تنفجر بدقيقة واحدة قُرِع الجرس ، ذهبت لتفتح فلم تجد أحداً ، كان طفل صغير يلهو فقرع الجرس وهرب ، في أثناء فتحها للباب انفجرت القدر - الطنجرة - فالله مانع ، منع المرأة أن تصاب بأذى .

إخوةٌ كُثُر .. حدثوني وكانوا في طريقهم في سفر ، وبعد أن قطع أحدهم ألفاً وخمسمائة كيلو مترٍ من الطريق وأوقف السيارة أمام البيت تفككت بعض قطع السيارة وتساقطت على الأرض - فرطت - لو أنها أصابها الخلل أثناء السير لهلكوا كلهم ، من الذي منع وقوع الحادث ؟ الله جل جلاله .. الله يمنعك من الحوادث .

قال لي أحد الطلاب الذين يدرسون الطب .. ركب سيارة عازماً على السـفر إلـى محافظة إدلب .. فجاء إنسان فظ غليظ وشأنه غير معقول فهو كالوحش ، فتح الباب وبدلاً من أن يقول لهذا الطالب اسمح لي بهذا المقعد ، وهذا الطالب حجمه صغير ، فحملـه ووضـعه على الأرض وركب بدلاً منه وأخذ مكانه ، فقال لي هذا الطالب : امتلأت غيظاً إلى حد كبير وغير معقول ، ومضت ساعة ونصف حتى تمكن من ركوب سيارة أخرى ، وعند قريـة - تفتناز وهي إحدى قرى محافظات الشمال- وجدت السيارة الأولى قد تدهورت وفيهـا أربعـه قتلى من ركابها الخمسة ، والناس متجمعون حولها .. كان أحد ركاب تلك السيارة المنكوبـة لكنه أرغم على النزول .. من الذي منعه وأنزله منها ؟ الله جل جلاله ، إما عن طريق إلهام ، أو عن طريق سبب آخر .

ولقد وقع قديماً حادثٌ بمكان سمعت أن كل من كان في هذا المكان قُتلـوا ، ولـي صديق موظف في المكان نفسه وتوقعت أنه في عداد القتلى ، ثم فوجئت به في الطريق بعـد أيام فسألته عن أحواله فقال لي : قبل خمس دقائق من الحادث خطر لي أن أشتري ربطة مـن الخبز من مكان قريب فخرجت ، وأثناء غيابي وقع الحادث .

قد يحدث حريق أو انفجار لأسطوانة الغاز ، أو يكون الشـخص بمطعـم فتنفجـر أسطوانة الغاز ويكون مقدراً لها أن تقتل عشرة أشخاص وفيهم شخص ممنوع فيخطر في باله بالخروج لشراء شيء ما وأثناء خروجه تنفجر ، فليس هناك شيء يقع صدفةً في الكون كلـه أبداً ، فالله عز وجل مانع .. يمنع الخطر .

لذلك فالمؤمن يشعر بطمأنينة لا يعلمها إلا الله لأنه لم يؤذ أحداً ، ولم يكن سبباً فـي ألم إنسان أو ترويعه ، ولم يكن سبباً في ابتزاز إنسان أو سبباً في إدخال الرعب على قلب أحد ، لم يبنِ مجده على أنقاض الآخرين ولم يبن غناه على فقرهم ، بل هو محسن في كل عمـل فالله عز وجل يمنعه .. فمن أسماء الله الحسنى المانع .. يمنع كثيراً .. وفي هذا المجال توجد أكثر من ألف واقعة وحادثة .. فأحياناً يكون سنتيمتر أو مليمتر أو دقائق بينه وبين الخطـر .. فالله يمنعه وينجيه ، فاعتبروا يأولي الأبصار .

قال العلماء : " هو الذي يمنع من يستحق المنع " ، فكن أنت مستحقاً للمنـع ، مـا رأيت دعاء يقطُر أدباً كدعاء النبي :

عَنْ عَبْد الله بْن أَبِي أَوْفَى الأَسْلَمي قَالَ : خَرَج عَلَيْنَا رسولُ الله صلى الله عليْه وسلام فَقَالَ : مَنْ كَانَتْ له حاجةٌ إلى الله أَوْ إلى أَحد منْ خَلْقه فَلْيَتَوضأْ وليصل رَكْعَتَيْن ثُم لِيقُلْ لا إله إلا الله الحليم الكَريم سبْحان الله رب العَرْش العظيم الحَمْد لِله رب العالمين اللهم إنـي أَسْـأَلك موجبات رَحْمتك وعزائم مغْفرتك والغَنيمةَ منْ كُل بِر والسلامةَ منْ كُل إِثْم أَسْأَلك أَلا تَدع لِي

ذَنْبا إلا غَفَرْتَه ولا هما إلا فَرجْتَه ولا حاجةً هي لك رضا إلا قَضيْتَها لِي ثُم يسْألُ الله منْ أمْرِ الدنْيا والآخرة ما شَاء فَإنه يقْدر *

(سنن الترمذي)

أي كُن أهلاً للمنع فيمنعك الله من خصومك ، لن يسمح بك ، فسيدنا سراقة بن مالك قبل أن يسلم أراد قتل النبي ليأخذ مئة ناقة وضعت مكافأة لمن يأتي به حيـاً أو ميتـاً ، هـل استطاع أن يصل إليه ؟ اقترب منه غارت قوائم فرسه في الرمال ، مـرة أولـى ، وثانيـة ، وثالثة .. فقال : إنه ممنوع مني .

فإذا كان الله مع أحد فهنيئاً له ، فلا يخشى أحداً ، ولكن بأدب وليس بوقاحـة كـأن يقول : أنا لا أخاف من أحد .. فهذا من سوء الأدب ، اجعلها بينك وبين ربك .

فأحد الأشخاص فهم ذات غلطاً وقال : أنا لا أخاف من أحد ولا من فلان ولا مـن فلان طول بالك.. لا فهذا اسمه تحد ، وسوء فهم ، فكن أديباً ، فهذا الحال شعور بينك وبـين الله ، فإذا كنت مع الله كان الله معك ، إذا كنت مع الله أشعرك بالأمن وأشعرك بـالمودة .. إذاً هو الذي يمنع من يستحق المنع .

قال العلماء : هو يمنع أهل دينه .. هل تجد إنساناً ينتمي إلى جماعة متنفذة وليس له ميزات ؟ مستحيل .. فكيف إذا انتميت إلى أهل الله ؟ أو إلى الدين ، ليكن انتماؤك إلى الله فهو الركن الركين .

أحد العلماء المشاهير في إحدى الدول العربية ، أراد أن يجري عملية في بريطانيا ، فوضعت أربع طائرات في خدمته ليختار إحداها ، وصل إلى بريطانيا وأجريت له العمليـة ، ولم يلبث أن وصلت إليه هواتف كثيرة ورسائل بأعداد غير معقولة وبالآلاف مما لفـت إليـه أنظار المسؤولين ، وأجرى معه مذيع من إذاعة لندن مقابلة ، قائلاً له : ما هذه المكانة التـي تتمتع بها ، الأمر غير معقول كأنك أسمى مكانة من الملوك .. سمعتها من شخص .. فبمـاذا أجاب هل سيقول : لأنني مخلص أحظى بهذه المكانة ، أو لأنني عالم ، أو لأنني محبوب ؟ .. هذا افتخار وادعاء .. ولكنه قال: لأنني محسوب على الله .

كلمة فيها أدب بالغ جداً ، فهو قد قال : أنا لست أهلاً لذلك ، ولكننـي محسـوب لا على أهل الأرض ولكن على رب السماء ، أنا محسوب على الله .

المؤمن رباني .. فقد تجد شخصاً ينتمي إلى فلان أوفلان أوفلان أي ينتمي إلى شيء مآله إلى الزوال .. انتهى أمره فهو مجير لصالح فلان ، معروف كم هو سـعرك ، أمـا أن تكون محسوباً على الله .. فوالله الذي لا إله إلا هو أيها الأخوة القراء والأخـوات : لا يليـق بالإنسان أن يكون لغير الله ، ولكن كونوا ربانيين ، لا تكن لصالح زيد أو عبيد ، لصالح فلان أو علان ، لا تكن محسوباً على أهل الأرض ، ولا على جهـات الأرض ، ولا علـى قـوى

الأرض ، ولا على تجمعات الأرض ، كن محسوباً على الله .. لكن الذي يحسـب علـى الله يجب أن يكون مطيعاً لله .

إذاً هو الذي يمنع أهل دينه .. أي يحوطهم وينصرهم ..

وقيل : هو الذي يرد أسباب الهلاك والنقصان في الأديان والأبدان .. كما كان يدعو النبي عليه الصلاة والسلام **: " اللهم أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا ، وأصلح لنا دنيانا التي فيها معاشُنا ، وأصلح لنا آخرتنا التي إليها مردنا ، وأجعل الحياة زاداً لنا من كل خير ، وأجعل الموت لنا راحةً من كل شر "** .

أيها القارئ الكريم ... قد يكون الإنسان مستقيماً ويمشي ببطء إلى الله .. والله عـز وجل سيمنعه من التقصير .. وهذا معنى جديد .. فـالمعنى الأول .. يمنـع أي لا يعطـي ، والمعنى الثاني: يمنع أي يحفظ من الشر .

وإليك المعنى الثالث : يمنعك من التقصير .. فقد يكون أب حريص علـى أن ينـال ابنه الدرجة الأولى ، ليس حريصاً على أن ينجح ابنه فحسب .. لا .. حريص على أن ينـال الدرجة الأولى ، أكثر معالجات المؤمن أن يمنعه من التقصير ، فكلما قصر يأتي اللهله بمشكلة ، كلما قصر يلوح له شبح مصيبة، كلما قصر يحبط الله بعض عمله فيفر المـؤمن إلـى الله عندئذ ينوب ويضرع .

فمن معاني اسم المانع .. يمنعك من النقص في دينك .. والله عز وجل هو الـرب ، هو رب العالمين .

وقيل : " هو الذي يمنع البلاء حفظاً وعنايةً ، ويمنع العطاء عمـن يشـاء إبـتلاء وحمايةً ".

لا يعطي لأنه يعلم ، كما أن الأب الطبيب الماهر الذي يعلم أن ابنه مصاب بالتهابٍ في معدته ، وأن هذه الأكلة تؤذيه ، يمنعه من هذا الطعام بحزمٍ وقسوة ، والطعام شهي وطيب وإخوته يـأكلون في حضوره ، لكن الأب مصر على منع هذا الابن من هذه الأكلـة الشـهية الطيبة لأنها تؤذي معدته ، فهو يمنعه .. ولكن هذا المنع لحكمة بالغة .

ابن عطاء الله السكندري يقول : " إذا فتح الله بصيرتك رأيت المنع عين العطاء " .

أحياناً قد بيعدك الله عز وجل عن مجال معين ، لأن هذا المجال فيه دنيا ، كأن يعمل شاب في محل تجاري فخم والراتب مغرٍ جداً والبضاعة والبيع للنساء وهـو شـاب فـي أول نشأته ، ومقاومته هشة ضعيفة ، فلسببٍ أو لآخر يصرفه صاحب العمل ، ما وافـق وضـعه صاحب المحل فوضع دونه شرطاً تعجيزياً ، أو لعدم التزامه صرفه ، فيبدو آنياً أنه قد منـع من هذا المرتب الضخم ، ولكن هذا المكان مكان موبوء وهذا الشاب طاهر ومقاومته هشة لا تحتمل هؤلاء الغاديات والرائحات ، فالله عز وجل صرفه عن هذا العمل ، وهو فـي ظـاهر

الأمر وباطنه منعه .. والأمثلة في هذا المجال كثيرة لا حصر لهـا ، كيـف أن الله سـبحانه وتعالى صرف عن أحبابه ما يبدو لهم أنه منع وهو في الحقيقة عطاء .. صرفه عـنهم عـين العطاء .

قد تجد ابناً نشأ بالنعيم ، والأب غني ومتساهل مرن فيعطي ابنه مايشتهي ، وأحياناً ينشأ ابن يتيم في حرمان وفقر وله أُم حازمة مربية ، ودخلُهم قليلٌ جداً ، فتحضه على الدراسة ، لا تنيمه الليل تحثه ، ليس في البيت مغريات أو ملهيات ولا ماديات ، فبحسب الظـاهر أن الأول مدلل وابن أسرة غنية يأكل ما يشتهي ويذهب إلى حيث يشتهي ويريد ، والثاني طفـلٌ يتيم ومحروم ، ولكن بعد حين ترى أنه شتان بين الاثنين ، اليتيم في تـألق كبيـر ورفعـة ، والآخر في شقاء وتراجع، فاليتم والحرمان مع أم حازمةٌ مربيةٌ دفعته إلى أن يبني نفسه بنـاء صحيحاً وغرست فيه القيم الأخلاقية فأصبح إنساناً عظيماً بهذه النشأة المتقشفة ، وذاك الطفـل الذي نشأ برخاء منقطع النظير ، ينام في غرفة خاصة فيها حاسوب- كمبيوتر - كما حـوت غرفته كل الألعاب ، وقد يشحن أبوه سيارته من الخليج إلى الشام ليستمتع بها في المصـايف والمنتزهات ، دون أن يكلف نفسه عناء قيادتها ولا أسرته متاعب السفر .

فهناك شباب يعيشون حياةً خيالية ، يحمل هاتفاً - تليفوناً - خلوياً ثمنه ثمانون ألـف ليرة، وله هاتفان أو ثلاث ، وسيارتان أو ثلاثة ، فتجد ذاك الشاب الذي نشأ في أسرة فقيـرة ولكن فيها الكثير من القيم تجده إنساناً عظيماً .. لذلك لو كُشف الغطاء لاخترتم الواقع .

يقول سيدنا على رضي الله عنه : " والله لو كُشف الغطاء ما ازددت يقيناً " ، يقينـه قبل كشف الغطاء كيقينه بعد كشف الغطاء .

وكذلك يقول سيدنا علي كرم الله وجهه : " والله لو علمت أن غداً أجلي ما قدرت أن أزيد في عملي " .. لشدة مسارعته إلى الله .

إذاً العطاء قد يكون منعاً ، ولكن هذه تحتاج إلى ثقة بالله ، وإلى إيمان ، وإلى يقين بحكمة الله ، وبمحبة الله .

فالإنسان هو خاطيء .. فإذا اجتمع للإنسان مال وكانت صحته سليمة وهو بعافية ، وفي حال مبسوط النفس ، وبيته ممتاز فإنه يظن أن الله يحبه ، وإذا كان بيته داني المسـتوى ودخله قليل وصحته معلولة ظن أن الله لا يحبه قال تعالى :

فَأَمَّا ٱلْإِنسَـٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَـٰنَنِ ﴿١٦﴾ كَلَّا ۖ بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ ﴿١٧﴾

(سورة الفجر)

" كلا " .. كلا كلامكم غلط ، كلامكم غير صحيح ، ليس عطائي إكراماً ، ولا منعي حرماناً ، إن عطائي إبتلاء ، وحرماني دواء .

أيها القراء الكرام ... لا بد أن تعلموا علم اليقين أن الفقير المؤمن أفضـل عنـد الله ألف مرة من الغني العاصي .. لأن الدنيا عرض حاضر يأكل منه البر والفاجر ، وعندنا أدلة قوية جداً .. منها قارون ، قال تعالى :

۞ إِنَّ قَـٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَـٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ

(سورة القصص)

أعطى الله سبحانه وتعالى المال لقارون وهو لا يحبه ، وأعطى فرعون الملك وهـو لا يحبه .. الدنيا لا قيمة لها .

إذاً .. هو الذي يمنع البلاء حفظاً وعنايةً ، ويمنع العطاء عمن يشاء ابتلاء أو حماية .. ويعطي الدنيا لمن يحب ولمن لا يحب ، ولا يعطي نعيم الآخرة إلا لمن يحب .

أجل يعطي الدنيا لمن يحب ولمن لا يحب .. فقد قال تعالى على لسان سيدنا إبراهيم :

وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَـٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾

(سورة البقرة)

" قالَ ومن كفَر فأُمتعه قليلا ثُم أَضطَره إِلى عذَابِ النارِ وبِئْس الْمصير " ... تجـد بعض الناس يقع في غلط فاحش فيقول : لأن الله يحبني أعطاني هذا البيت فيجعل عطاء الدنيا مقياساً لمحبة الله ، فالله أعطى شخصاً كافراً منزلاً أكبر من منزلك بمئة مرة ، يوجـد ملـوك الحديد والصلب ، وملوك المعامل الضخمة في أوروبا وأمريكا ، معهم أموال خيالية ، وبيوتهم مدن بأكملها ، قصره في غابة ، فهل معنى ذلك أنه يحبه ؟ لا .. لا تجعل الدنيا مقياساً للمنـع والعطاء ، فالدنيا لحقارتها عند الله ، لم يشأ أن يجعلها علامة رضوانه ، ولا علامة بغضـه ، إن الدنيا لصغر شأنها عند الله أبى أن يجعلها علامة رضوانه ، وأبى أن يجعاها علامة سخطه ، فلا علاقة لها برضوانه ولا بسخطه ، لكن لها علاقةٌ بحكمة يريدها الله عز وجل ..

إن من عبادي من لا يصلح له إلا الغنى ، فإذا أفقرته أفسدت عليه دينه ، وإن مـن عبادي من لا يصلح له إلا الفقر ، فإذا أغنيته أفسدت عليه دينه .

في أسماء الله تعالى المانع .. قال : هو الذي يدفع عن أهل طاعته ، يـدفع عـنهم البلايا ، ويحوطهم وينصرهم ، يمنع ما يريد من خلقه مما يريد .

المانع هو الله .. فمثلاً باليابان منطقة صناعية فيها أضـخم المعامـل والشـركات كشركة - سوني ، ومتسوبيشي ، ومازدا - وقد قاموا بتركيب أجهزة للإنذار المبكر للزلازل مربوطة بالكمبيوتر ، فالله سبحانه أنزل بها أضخم زلزال وتعطل الكمبيوتر عن أداء وظيفته ، فهل من مدكر ؟

فكلمة .. يمنع من يريد ما يريد ، لا مانع إلا الله ، ما الذي يمنعك من المرض ؟ الله .. ما الذي يمنعك من حادث في الطريق ؟ الله .. من الذي يمنعك من شرير ؟ الله .. من الذي يمنعك من الخوف ؟ الله .. يمنع من يريد ما يريد ، لا مانع إلا الله .

الإمام الغزالي يقول : " المانع هو الذي يرد أسباب الهلاك والنقصان فـي الأديـان والأبدان ، بما يخلق من الأسباب المعدة للحفظ " .

ولا تنسى أن الله جعل نواميس وأسباباً .. أي يمنعك ولكن لا يمنعك بلا سبب ، بـل إن هناك للكون نظاماً ،فالكون فيه نظام ولكل ما يقع أسباب .. فقد قال تعالى :

وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَـٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾

(سورة الكهف)

" وآتَيناه من كُل شَيء سببا فَأتْبع سببا " فإذا أراد الله عز وجل أن يمنع إنسـاناً وأن يكون نظامه سائداً في المجتمع وفي الحياة ، يلهم هذا الممنوع من هذا الشر أن يأخذ بالأسباب .. فكذلك منع الله علمي وليس منعاً عشوائياً ، وفي بعض الحالات يمنع بلا سبب كما ورد في قوله تعالى :

أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ
أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾

(سورة النمل)

"أمن يجيب المضطر إذا دعاه " .. أما الأصل أنه إذا أراد أن يمنعك يلهمك أسباب المنع .

فمن فهم معنى الحفيظ فهم معنى المنع ، المانع هو الحافظ .. قد يتبـادر للمـرء أن المانع هو الذي لا يعطي ، فهذا معنى ، وكذلك المانع هوالحافظ ، أنت في حصنٍ منيع ، أنت في حرزٍ حريز ، أنت لا أحد ينالُك .

قال بعض العلماء : " المنع يضاف إلى السـبب المهلـك، والحفـظ يضـاف إلـى المحروس عن الهلاك " ، أي لو إنساناً محروساً من أن يهلك فهذا محفوظ ، وإنسان يمكن أن يهلك فهذا ممنوع .. فقد قال تعالى:" فَالله خَير حافظًا وهو أرحم الراحمين " .

قال : " كل حافظ مانع ، وما كل مانع حافظ " .

كل حافظ مانع .. ما دام أن الله حفظك فهو يمنعك من خصومك ، وليس كل منـع حفظاً .. أحياناً يكون المنع عقوبة ، قد يحرم المرء بعض الرزق بالذنب يصيبه ، قـد يحـرم المرء بعض العلم بالذنب يصيبه ، الذنب يمنعك من العلم ويمنعك من الرزق .

يقول بعض العلماء : " المانع يعني أن الممكنات بالنسبة إلى تأثير قدرته على السوية .. فدخول بعضها في الوجود دون البعض يكون بتخصيصه أو ترجيحه " ، فكل شيء بيد الله عز وجل ، والله دائماً قادر على أن يمنعك من أعدائك .

فدخول بعضها في الوجود دون البعض يكـون بتخصيصـه أو ترجيحـه .. كـل المؤثرات بيد الله عز وجل ، فإذا أطلق واحدة ومنع واحدة فهناك ترجيح عند الله لحكمة ، فلو أن شخصاً في جسمه ثلاث جراثيم حرك الله واحدة منها والاثنتان لم يحركهما ، أجـل ثـلاث جراثيم، فربما واحدة منهم فعلت فعلها فكل الممكنات بيد الله عز وجل ، وكل الأسباب بيد الله أطلق جرثوماً ومنع جرثومين .

وبعد ، فالمانع في وصفه سبحانه وتعالى منع البلاء عن أوليائه ، أو منـع العطـاء عمن شاء مطلقاً ، فإما أن يمنع العطاء تأديباً أو تحصيناً أو وقايةً بحسب الممنوع منه أو يمنع البلاء عن أوليائه .

الأولياء يمنعون من البلاء فهو مانعهم ، وهو المانع أي الحافظ ، أمـا المخطئـون فيمنعون من العطاء تأديباً لهم ، والمؤمنون يمنعون من بعض حظوظ الدنيا وقايةً لهم تأديبـاً للعصاة ووقايةً للمؤمنين ، هذا المنع الثاني، وقد عرفنا من قبل أن المنع الأول : الحفظ .

قال العلماء : " إذا منع البلاء عن بعض أوليائه كان ذلك لطفاً جمـيلاً ، وإن منـع العطاء عنهم كان ذلك فضلاً جزيلاً " ، منع البلاء لطف ، ومنع العطاء فضل .

لذلك المؤمن كما قال عليه الصلاة والسلام :

عَنْ صهيْبٍ قَالَ بيْنَا رسولُ الله صلى الله عليْه وسلم قاعد مع أَصْحابِه إِذْ ضـحك فَقَـالَ أَلا تَسْأَلوني مم أَضْحك قَالُوا يا رسولَ الله ومم تَضْحك قَالَ عجِبْتُ لأَمْرِ الْمؤْمنِ إِن أَمْـره كُلـه خيْر إِنْ أَصابه ما يحب حمد الله وكَان له خيْر وإِنْ أَصابه ما يكْره فَصبر كَان له خيْر ولَيْس كُل أَحد أَمْره كُله له خيْر إِلا الْمؤْمن *

(مسند الإمام أحمد)

بعض العلماء قال : " الله جل جلاله يعطي كل شيء ما هو في مصلحته ، بمعنى أن حكمة الله مطلقة ، وبمعنى أنه ليس في الإمكان أبدع مما كان . ويمنع ما هو سبب فسـاده ، يغني من يشاء بالعطاء ويمنع من يشاء بالابتلاء، سبحانه يغني ويفقر ، يسعد ويشقي ، يعطي ويحرم ، يمنح ويمنع فهو المعطي المانع ".

إنسان ليس عنده أولاد (عقيم) لايترك طبيباً للمعالجة ، ولكن لا جدوى فالمنع إلهي ، إنسان آخر رزقه الله ذكوراً فقط ، وإنسان آخر نسله إناث فقط ، بينما إنسان رابـع نسـله ذكور و إناث ، رجل أولاده نجباء ، ورجل أولاده كالبلاء .

فقد قال لي أحد الإخوة الكرام يوماً وقد أقسم بالله : إن مات ابنه فلسوف يقيم احتفالاً بمناسبة موت ابنه لشدة عقوقه ، فابن يكون بلاء ونقمة ، وابن يكون عطاء ونعمة قال تعالى :

وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَـٰقَ

(سورة الأنعام)

والله سبحانه وتعالى يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب ، ولكنه لا يحمي قلب عبد عن المخالفات إلا وهو من خواص أوليائه .

قد تكون غالياً على الله وقريباً منه ، و في ساعة غفلة تفكر بعمـل لا يرضـي الله تجد أن الله عز وجل وضع أمامك العراقيل منعك ولم يوافق المسؤولون لك على السفر مثلاً ،

فهناك منع قاسٍ وظاهره من البشر لكن حقيقته من رب البشر ، فالمؤمن محفوظٌ من المخالفات ، فلعله بهذا السفر تضعف مقاومته ، أو عنده هشاشة في مقاومته فالله عز وجلّ يعلم سره وعلانيته .

قال بعض العارفين .. وهذا الكلام يشبه كلام الإمام الغزالي : "المانع هو الذي يدفع أسباب الهلاك والنقص في الدين والدنيا ، وذلك بخلق الأسباب التي تحفظ من الهلاك والنقصان ".

يمنع الهلاك بأسباب النجاة من الهلاك ، ويمنع النقصان بأسباب النجاة من النقصان ، المنع بأسباب .. الله عز وجل يخلق بعض الممكنات ، ويمنع وجود بعض الممكنات ، يعطي الله لشخص مؤهلات ليتفوق ، وقد لا يعطيها لآخر ، فيعطي لحكمة ويمنع لحكمة ، مرة أخرى : يعطي كل شيء ما هو في مصلحته ويمنع ما هو فيه فساد لدينه فقد قال تعالى :

﴿ وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٧﴾

(سورة الشورى)

يعني أنا أريد في هذا البحث أن أبين أن المؤمن المتصل بربه يتلقى المنع برضى ، والمؤمن المتفتح يرى يد الله فوق أيديهم ، يرى يد الله تعمل في الخفاء ، يتلو قوله تعالى :

وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ۚ

(سورة الأنفال)

المؤمن البصير يذكر الحديث الشريف وهو قوله صلى الله عليه وسلم :

عنْ أبي الدرْداء عن النبي صلى الله عليْه وسلم قَالَ لِكُل شَيْء حقيقَةٌ وما بلغَ عبْد حقيقَةَ الإيمان حتى يعْلم أن ما أصابه لمْ يكُنْ لِيخْطئَه وما أخْطأه لمْ يكُنْ لِيصيبه *

(مسند الإمام أحمد)

لا يندم ولا يحقد ولا يتألم ولا يتذلل ولا يتضعضع ، ولا يستخزي، ولا يلح ، اطلبوا الحوائج بعزة الأنفس ، فإن الأمور تجري بالمقادير .

وما كان لمؤمنٍ أن يهون ، بل لا ينبغي للمؤمن أن يذل نفسه، هذا بسبب إيمانـه أن العطاء من الله والمنع من الله ، فقد قال تعالى :

مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾

(سورة فاطر)

الشيء الدقيق جداً في هذا الموضوع .. هو أن النبي عليه الصلاة والسلام يقول :

عن ابْن عباسٍ قَالَ كُنْتُ خَلْفَ رسول الله صلى الله عليْه وسلم يوْما فَقَالَ يـا غُـلام إنـي أعلمك كلمات احْفَظ الله يحْفَظْك احْفَظ الله تَجِدْه تُجاهك إذَا سألْتَ فَاسْأل اللـه وإذَا اسْـتَعنْتَ فَاسْتَعنْ بِالله واعْلَمْ أن الأمةَ لو اجْتَمعتْ على أنْ ينْفَعوك بِشَيْء لَمْ ينْفَعوك إلا بِشَيْء قَدْ كَتَبه الله لك ولو اجْتَمعوا على أنْ يضروك بِشَيْء لَمْ يضروك إلا بِشَيْء قَدْ كَتَبه الله عليْك رفعت الأقْلام وجفت الصحفُ *

(سنن الترمذي)

هذا هو التوحيد ...

وقال بعضهم : " المانع هو الذي يمنع من شاء ما يشاء ، وقد يكون بـاطن المنـع عطاء وهنا الدقة " .. قد يمنع العبد كثرة الأموال ويعطيه الكمال و الجمال، وقد يمنـع العبـد صحة الأجسام ويعطيه الرضى عن الأحكام .. المانع هو المعطي فقد يكون باطن المنع عطاء وقد يكون في ظاهر العطاء بلاء .

كثيراً ما يطغى الإنسان في حال الغنى قال تعالى :

كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴿٦﴾ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴿٧﴾

(سورة العلق)

النبي عد الغنى بلاء فقال : **عنْ أبي هريْرةَ أن رسولَ الله صلى الله عليْه وسلم قَالَ بادروا بِالأعْمال سبْعا هلْ تَنْتَظرون إلا فَقْرا منْسيا أوْ غنًى مطْغيا أوْ مرضا مفْسدا أوْ هرمـا مفْندا أوْ موْتًا مجْهزا أوِ الدجالَ فَشَر غَائِبٍ ينْتَظَر أو الساعةَ فَالساعةُ أدْهى وأمر ***

(سنن الترمذي)

قال العلماء : اسم المانع قريب في معناه من اسم الحفيظ ، ولكن الفـرق بينهمـا أن الحافظ مضاف إلى معنى والمانع مضاف إلى معنى آخر .

المانع مضاف إلى سبب مهلك يمنعك من هذا السبب ، أما الحافظ مضاف إلى شيء محروس في الأصل من قبل الله عز وجل .

هذا الاسم الكريم ورد في الحديث الشريف ، إلا أنه لم يرد في القرآن الكـريم بـل ورد معناه ليس المطابق ولكنه المقابل ، لذالك قال تعالى :

وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾

(سورة يونس)

الآية الكريمة أيها القارئ الكريم عميقة الدلالة جداً .. " وإن يمسسك الله بِضر فَـلا كَاشفَ لَه إلا هو " ، لم يقل : وإن يمسسك بخيرٍ .. بل قال : "وإن يردك بِخَيرٍ فَلا راد لِفَضله يصيب به من يشَاء من عباده وهو الْغَفُور الرحيم ".

وبعد ... فينبغي لمن يتخلق باسم المانع ألا يسأل غير الله ، لأنه هو وحده المعطـى المانع ، لا أحد يمنعك ، ولا أحد يعطيك إلا الله ، فالتخلق بهذا الاسم يعني أن تعقد الأمل على الله، وألاّ ترجو غير الله، وألاّ تغتر بإعطاء الإنسان ، لأن عطاء الإنسان من عطاء الله .

لذالك فالنبي الكريم كان يرجو ألا يجعل الله له خيراً على يـد كـافر أومنـافق لأن العطاء من الله عز وجل ، وفي ساعة غفلة ترى أن العطاء أتى من زيد أو عبيد ، والمـؤمن إذا منع شيئاً لا يرى هذ المنع إلا من الله ، ولو رآه من زيد أوعبيد لوقع في حـرج شـديد ، اللهم لا معطي لما منعت ولا مانع لما أعطيت .

وينبغي ألاّ تحقد على الناس لأنهم منعوا عنك شيئاً ، فالله هو الذي منعه ، العطـاء من المعطي الحقيقي وهو الله ، والمنع من المانع الحقيقي وهو الله ، هذا ملخـص الملخـص للبحث .

العطاء .. مطلق العطاء من المعطي الحقيقي وهو الله ، والمنع مطلق المنـع مـن المانع الحقيقي وهو الله ، علاقتك مع الله فلا تحقد على أحد .. لا تحمدن إنساناً على فضل الله ، ولا تذمنه على ما لم يؤتك الله ، إذا منعك إنسان لاتحقد عليه هو مانع صوري ، أما المـانع الحقيقي فهو الله ، الله هو المعطي وهو المانع الحقيقي ، وأحياناً يعطي مباشرةً ويمنع مباشرةً، وأحياناً يعطي من خلال عباده ، ويمنع من خلال عباده ، إن وافق لك المسؤول على السـفر أو لم يوافق لك فقل : حسبي الله ونعم الوكيل ، ولكن على يقين أن المانع والمعطـي هـو الله سبحانه ، قال تعالى :

فِـى بُيُـوتٍ أَذِنَ ٱللَّـهُ أَن تُـرْفَعَ وَيُذْكَـرَ فِيهَـا ٱسْـمُهُۥ

(سورة النور)

ملخص البحث أيها القراء ... أن المعطي الحقيقي هو الله والمانع الحقيقي هو الله ، قد يعطي مباشرةً ، أو عن طريق خلقه ، وقد يمنع مباشرةً ، أو عن طريق خلقه ، المـؤمن موحد إن أُعطي مباشرة يحمد الله ، وإن أُعطي عن طريق خلقه يحمد الله ، إن منع يرضـى بقضاء الله ، إن منع عن طريق خلقه يرضى بقضاء الله ، والمؤمن لا يحقد أبداً ، وهـذا هـو التوحيد ، وما تعلمت العبيد أفضل من التوحيد .

ورد في أدعية النبي عليه الصلا ة والسلام من حديث أخرجه البخاري : " اللهم من منعت فهو ممنوع . أي من حرمت فهو محروم لا يستطيع أحد أن يعطيه " .

كقوله تعالى :

وَمَـن يُهِـنِ ٱللَّـهُ فَمَا لَـهُۥ مِـن مُّكْـرِمٍۚ

(سورة الحج)

" ومن يهن الله فما له من مكْرِمٍ " .. سبحانك فإنه لا يذلُ من واليت ولا يعـز مـن عاديت .. أي أن ليس لنا إلا الله عز وجل ، فلا تبذل ماء وجهك أمام أحد ، كن عزيـزاً ، لا تبذل ماء وجهك إلا أمام ربك ، لا تبذل دموعك إلا لله ، إلا في السجود لله عز وجل ، لا تبك أمام الناس لن يعطوك ولن يمنعوك ، المانع هو الله ، والمعطي هو الله ، صن مـاء وجهـك، احفظ ماء وجهك، لا تتضعضع لغني ، تضعضع لله عز وجل ، تذلل له ، مرغ جبهتـك فـي أعتابه ، أما أمام الناس كن عزيز النفس .

هذا هو ملخص البحث ، واعلم علم اليقين أن الله عز وجل مانع بمعنى يمنعك مـن كل ما يؤذيك ، يحفظك ، ويمنعك من كل ما يطغيك ، ويمنعك تأديباً لك ، فهو مانع بالمعـاني كلها ، وإذا أراد أن يمنعك مما يؤذيك ألهمك أسباب الحفظ والمنع ، ووجهك وجهـة الخيـر وقذف في قلبك الرضى .

والحمد لله رب العالمين

الدرس ٧٨ - اسم الله : "المقسط "

بسم الله الرحمن الرحيم

مع الاسم الثامن والسبعين من أسماء الله الحسنى ، والاسم هو المقسط .

في اللغة .. أقسط فلان إذا عدل ، وقسط فلان إذا جار .. أقسط : عدل ، وقسـط : ظلم وجار .. المقسط : العادل ، القاسط : الظالم ، قال تعالى :

وَأَمَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾

(سورة الجن)

قال بعض علماء اللغة : " المقسط هو العادل في حكمه قال تعالى : وأقيموا الـوزن بالقسط : أي بالعدل ، والقسطُ أيضاً هو النقيض " ، القسطُ .. أقساط ، أجزاء ، أنصبة .

ذكر بعض علماء اللغة أن القَسطَ : " هو أن يأخذ الإنسان قسطَ غيره أي يظلـم " .. فالقَسط مصدر .. أي يأخذ نصيب غيره ، أن يأخذ ما ليس له فهو ظالم .

والإقساطُ أن يعطى قسط غيره فهو عادل .. أن تعطي حق الناس إلى الناس فأنـت عادل، أن تأخذ ما ليس لك بحق فأنت ظالم .. أن تأخذ قسطَ غيرك هـذا ظلـم ، أن تعطـي الآخرين قسطَهم هذا عدل .. هذا الفرق بين قَسطَ وأقْسطَ .

دخل رجل على الحجاج فسأله الحجاج من أنا ؟ فقال له الرجل: أنت قاسطٌ عادل . فظن الحاضرون أنه يمدحه ، فقال : أتدرون ماذا قال لي؟ لقد قال لي أنت ظالم كافر ، قـالوا كيف؟ قال : أما قاسط فقد قال تعالى : " وَأما الْقَاسطُون فَكَانُوا لِجهنم حطَبا " .

وقال أيضاً : " ثُم الذين كَفَروا بِربهم يعدلُون " .. أي عدل عن الحق إلى الباطـل ، وعن الجنة إلى النار .. في قوله تعالى :

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَـٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾

(سورة الأنعام)

فأحياناً كلمة "قاسط عادل" لا تعني مدحاً ، بل تعني ذماً ، كما قيلت للحجاج أعلاه .

المقسطُ في حق الله تعالى هو العادل في الأحكام ، الذي يتصرف في العـوالم بكـل نظام .

ذكرت ذات مرة أن إنساناً كان يطوف حول الكعبة ويقول : رب اغفر لي ذنبي ولا أظُنك تفعل . فمشى وراءه الإمام الشافعي وقال : يا هذا ما أشد يأسك من رحمة الله . قـال : ذنبي عظيم . قال : ما ذنبك ؟ قال: كنت جندياً في حملة لقمع فتنة ، فلما قُمعـت أُحلـت لنـا المدينة ، فدخلت أحد البيوت فرأيت فيه رجلاً وامرأةً وطفلين ، قتلت الرجـل وقلـت للمـرأةَ أعطني كل ما عندك من مال ، أعطتني كل ما لديها ، فقتلت ولدها الأول فلما رأتني جاداً في قتل الثاني أعطتني درعاً مذْهبة - من الذهب - ، أعجبتني ، تأملتُها فإذا عليها بيتـان مـن الشعر :

إذا جار الأمير وحاجباه وقاضي الأرض أسرف في القضاء
فويلٌ ثم ويلٌ ثم ويلٌ لقاضي الأرض من قاضي السماء.

أحياناً يكون الظالم زوجاً يقول لنفسه : إن زوجتي ليس لها سند ، ومقطوعة من الأهل .. فيظلمها أشد الظُلم ، ويضغط عليها أشد الضغط ، فنقول له :

فويلٌ ثم ويلٌ ثم ويلٌ لقاضي الأرض من قاضي السماء.

أحياناً تكون بوظيفة يمكن أن تؤذي الناس من خلالها ، تستخدم هذه الثقة التي منحت إياها لحفظ مصالح الأمة في سبيل ابتزاز أموال الأمة، فيقال لك:

فويلٌ ثم ويلٌ ثم ويلٌ لقاضي الأرض من قاضي السماء.

وما أكثر أنواع الظلم ، والظلم ظلماتٌ يوم القيامة والله سبحانه وتعالى من أسـمائه المقسط ، لذلك فالمؤمن يعد للمليون قبل أن يظلم إنساناً لأنه يعلم أن الله أقدر عليه منه علـى هذا الإنسان .. وقد ورد هذا في نص حديث رسول الله عليه الصلاة والسلام عندما رأى أحـد أصحابه يضرب غلاماً له فقال : اعلم أبا ذر أن الله أقدر عليك منك عليه .

وقال بعضهم :

إذا دعتك قدرتك إلى ظلم الناس تذكر قدرة الله عليك .

ذات مرة أراد الحجاج أن يحاكم إنساناً ليقتله فقال هذا الإنسان : أسألك بالذي أنـت بين يديه أذل منّي بين يديك ، وهو على عقابك أقدر منك على عقابي فتفكر الحجاج م عفا عنه ، فالإنسان كلما ازداد علماً ازداد خوفاً من الله ، إذا ظن أنه قوي وأنه يفعل ما يريد فاسـتخدم هذه القوة في غير العدل فقد استوجب سخط الله عز وجل ، وإذا سخط الله عليـه فـبطشُ الله شديد كما ورد في الآية الكريمة قال تعالى :

إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾

(سورة البروج)

من ذكريات الماضي المقدس أنه : يوم أرسل النبي الكريم عبد الله بن رواحة إلـى اليهود ليأخذ منهم ما اتُفق على أن يعطوه للنبي من ثمارٍ وزروع ، فأراد هؤلاء أن يرشوا عبد الله بن رواحة لعله يترفق بهم في قسمة الزروع بينهم وبين النبي - فقال عبد الله بن رواحة : والله لقد جئتكم من عند أحب الخلق إلي - من عند رسول الله - وأنتم أبغض إلي من عـددكم من القردة والخنازير ، ومع ذلك لا يحملني حبي لرسول الله وبغضي لكم أن أظلمكـم ، أو أن أفعل معكم غير الحق . فقالوا : بهذا قامت السموات والأرض ، وبهذا تغلبوننا ، بهذا العـدل تغلبوننا .. فأنا أشعر أن قيمة العدل هي أخطر قيمة في المجتمع .

يروي التاريخ المعاصر أن بريطانيا عقب الحرب العالمية الثانية هدمت كلياً ، وقف أحد زعمائها في مجلس العموم يسأل وزراءه وزيراً وزيراً ، كيف الصناعة عندك يا فـلان ؟ يقول له المعامل مدمرة ، كيف الزراعة عندك يا فلان ؟ يقول له : لا ثمار ولا غلال ، كم في الخزينة عندك يا فلان ؟ يقول له : لا شيء خواء . فكل ما عندهم دمر .. فالتفت إلى وزيـر العدل وقال : كيف العدل عندك يا فلان ؟ قال : بخير . قال : كلنا إذاً بخير .

يبدأ هذا العدل من داخل أسرتك لا تظلم لا تميز ولداً على ولد ، لا تميز زوجةً على زوجة إن كانت لك زوجتان ، لا تميز أخاً على أخ ، السموات والأرض لا تقومان إلا بالعدل ، والعدل أساس الملك ، أن تملك زمام أولادك فأساس هذا الملـك العـدل ، أن تملـك قيـاد الموظفين العاملين عندك فأساس هذا الملك العدل، قيمة العدل هي أفضل قيمة ، يمكن أن تأكل أخشن الطعام، وأن تلبس أخشن الثياب ، وأن تشعر أنك قد أخذت حقك ، أما حينمـا يشـعر الإنسان بالظلم عندئذ تنقلب حياته إلى جحيم من هنا قال الله عزَ وجل في الحديث القدسي :

عن أبي ذَر عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يروي عن ربه عز وجل إني حرمتُ علـى نَفْسي الظلْم وعلى عبادي ألا فَلا تَظَالموا كُل بني آدم يخْطئُ بالليل والنهار ثُـم يسـتَغْفرني فأغْفر له ولا أُبالِي وقالَ يا بني آدم كُلكُم كان ضالا إلا من هديتُ وكُلكُم كان عاريـا إلا مـن كسوتُ وكُلكُم كان جائِعا إلا من أطْعمتُ وكُلكُم كان ظَمآنًا إلا من سقَيتُ فَاسـتَهدوني أَهـدكُم واستَكْسوني أَكْسكُم واستَطْعموني أُطْعمكُم واستَسقُوني أَسقكُم ... *

(مسند الإمام أحمد)

الظلم ظلماتٌ يوم القيامة ، الظلم مرتعه وخيم ، والله عز وجـل مقسـط ، الإمـام الغزالي يقول : " المقسط هو الذي ينتصف للمظلوم من الظالم ".

فقد ذكرت من قبل قصةٌ سابقة ولكن لا بد من أن أذكرها هنا .. إنسان يركب مركبة ويسير بها في طريق المطار ، وكلب صغير في أيام الشتاء القارس وجد أن الطريق المزفـت أدفأ له من التراب لسواد لونه ، فاللون الأسود يمتص الحرارة فقبع على طـرف الطريـق ، وهذا الذي يقود المركبة عن له أن يظهر براعته في القيادة أمام من إلى جـواره ، فاسـتطاع بدقة بالغة أن يقطع يدي الكلب دون أن يقتله وأطلق ضحكةً هيستيرية ، يذكر لي الـذي كـان إلى جانبه أنه في أول أيام الأسبوع التالي وفي المكان نفسه تعطلت مركبته إذ أصيبت إحدى العجلات فنزل لإصلاحها ، فرفع المركبة بالأداة الرافعة وأزال البراغي من العجلة وبينما هو يسحب العجلة اختل توازن المركبة فوقعت فوق العجلة والعجلة فوق رسغيه فُهرِستا ، فإلى أن وصل إلى المشفى كان قد وصل الموات إلى أطراف أصابعه ، فأمر الطبيب بقطع كفيه مـن رسغيه ، كما فعل يوم السبت الماضي بالكلب ، وقال لي هذا الذي كان بجوار قائد المركبـة : رأيته بعيني بعد أسبوعٍ بلا يدين .

أيها القراء الكرام : أليس هذا جزاء وفقاً ، فالله عز وجل مقْسط .. وكلمـا عرفـتَ عدله تأدبتَ معه ، وكلما أكبرتَ عدالته ازدت معه أدباً .

قال الإمام الغزالي : " المقسط هو الذي ينتصف للمظلوم من الظالم " ، قـد يكـون المظلوم هرة .. فقد قال صلى الله عليه وسلم :

حدثَنَا أَبو هريرةَ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فَذَكَر أَحاديثَ منْها وقَالَ رسولُ اللـه صلى الله عليه وسلم دخَلَت امرأَةٌ النار من جراء هرة لها أَو هر ربطَتْها فَلَا هي أَطْعمتْها ولا هي أَرسلَتْها تُرمرِم من خَشَاش الأَرض حتى ماتَتْ هزلا*

(صحيح مسلم)

أيدخل إنسان النار في هرة ؟ .. نعم فدققوا النظر متأملين .. قبل أن تقتلوا حيوانـاً فقد قال تعالى :

وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾

(سورة الفرقان)

سمح لك أن تقتل الفأرة ، وأن تقتل العقرب ، أن تقتل الحية ، أما أي حيوان تدعسه وتدوس عليه وأنت في راحة تامة ؟ لا .. فهناك حيوانات لا يجوز أن تقتلها لأنها مـا فعلـت شيئاً .

وكلكم يستمع إلى آلاف الوقائع والحوادث عن إنسان تعدى على حيوان .. فقد بصره ، أو فقد حركته بشلل أصابه ، إنسان غضب من هرة فألقاها من الطابق السابع ، بعد حـينٍ اختل توازنه في المشي ، وأمضى حياته كلها على عكازين .. فالظلم ظلماتٌ يوم القيامة .

الإمام الغزالي يقول : " المقسط هو الذي ينتصف للمظلوم من الظالم ، وكماله فـي أن يضيف إلى إرضاء المظلوم إرضاء الظالم ".

أكمل شيء بالمقسط .. أن الله عز وجل ينتصر للمظلوم من الظـالم ، وبعـد ذلـك يرضي الظالم ، بعدما قام بتأديبه ورجع إلى الحق يكرمه ، والدليل الآية الكريمة :

إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ ﴿٦﴾

(سورة القصص)

فإذا طغى عبد على عبد ، انتصر للمظلوم من الظالم ، فإذا رجع الظالم عـن ظلمـه وتاب إلى الله أكرمه الله ، فالإمام الغزالي يقول : " المقسط هو الذي ينتصف للمظلـوم مـن الظالم ، وكماله في أن يضيف إلى إرضاء المظلوم إرضاء الظالم " .

أدقّ نقطة أن الله جل جلاله لا يبغض الكافر ، ولكن يبغض عمله، فإذا قال الله عـز وجل " فَإن الله لا يحب الْكَافِرِين " .. في الآية الكريمة :

قُلۡ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾

(سورة آل عمران)

العلماء أجمعوا على أن الله عز وجل لا يحب عملهم ، فإذا تابوا وأنـابوا أحـبهم ، والمؤمن الصادق المخلص .. لو أن له خصماً عنيداً كافراً فاجراً منحرفـاً إلـى آخـر هـذه الأوصاف، إذا أناب إلى الله وتاب إليه واصطلح معه فبأقل من ثانية ينقلب حاله فيكون أقـرب الناس إليه ، والدليل على ذلك :

عندما جاء عمير بن وهب إلى المدينة المنورة ، فرآه عمر بن الخطاب رضـي الله عنه وكان عملاق الإسلام ، قال : هذا عدو الله عمير جاء يريد شراً ، فأمسكه وقيده بحمالـة سيفه وساقه إلى النبي وأدخل إليه صلى الله عليه وسلم ، قال : يا رسول الله إن عدو الله عمير جاء يريد شراً . قال : يا عمر أطلقه .. فأطلقه .. يا عمر ابتعد عنه .. فابتعد عنه . وسأله : يا عمير ما الذي جاء بك إلينا ؟ قال : جئت أفدي أخي . قال : يا عمير وما هذا السيفُ الـذي على عاتقك؟ قال : يا محمد قاتلها الله من سيوف وهل نفعتنا يوم بدر . قال : ألم تقُل لصفوان بن أمية .. لولا ديون ركبتني وأطفالٌ أخاف عليهم العنت لذهبت إلى محمد وقتلته وأرحـتكم منه فهب واقفاً وقال: أشهد أنك رسول الله ، لأن هذا الذي جرى بيني وبين صفوان لا يعلمه أحد إلا الله وأنت رسول الله حقاً، وأسلم .

فاستمعوا أيها القراء الكرام إلى ما قاله عمر قال : دخل عميـر علـى رسـول الله والخنزير أحب إلي منه ، وخرج من عنده وهو أحب إلي من بعض أولادي.

في ثانية .. . المؤمن ليس له عدو ، فإن كره الكافر يكره عمله، إن كره الظالم يكره ظلمه ، إن كره الفاسق يكره فسقه ، إن كره المعتدي يكره عدوانه ، أما إذا عاد المعتدي إلـى جادة الصواب ، وترك الفاسق فسقه، وترك الكافر كفره .. صار أقرب الناس للمؤمن ، ولقـد جاء في الأثر : تخلقوا بأخلاق الله ، إن الله عز وجل لا يبغض الكافر لذاته، بل يبغض عمله .

قال : لا يقدر على الانتصاف من الظالم للمظلوم ثم إرضاء المظلوم والظالم إلا الله ، هذا من اختصاص الله .. إليكم هذه القصة :

بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس ضحك حتى بدت ثناياه ، فقال عمـر : بأبي أنت وأمي يا رسول الله ما الذي أضحكك!؟ فقال عليه الصلاة والسلام : رجلان من أمتي جثيا بين يدي رب العزة يوم القيامة فقال أحدهما : يا ربي خذ مظلمتي من هذا - يوم القيامة - فقال الله عز وجل للظالم : رد على أخيك مظلمته . فقال : يا رب لم يبقَ مـن حسـناتي شيء . فقال عز وجل للمظلوم : كيف تصنع بأخيك ولم يبقَ من حسناته شيء ؟ قال: يا ربي ليحمل عني من أوزاري .. فالمظلوم أخذ كل حسنات الظالم ، ولم تف بحقه ، فقال المظلوم :

ليحمل عني أوزاري .. قال : ففاضت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبكاء وقـال: إن ذلك ليومٍ عظيم ، يوم يحتاج الناس أن يحمل عنهم من أوزارهم قال عليه الصلاة والسـلام : فيقول الله عز وجل للمتظلم ارفع بصرك فانظر في الجِنان . فقال يا ربي أرى مدائن من فضة وقصوراً من ذهبٍ مكلّلةً باللؤلؤ لأي نبيٍ هذا القصر !؟ أو لأي صديق هذا القصر!!؟ أو لأي شهيد هذا !!!؟ قال الله عز وجل : لمن دفع الثمن . فقال المظلوم : يا رب ومن يملـك ذلـك الثمن !؟ فقال : تملكه أنت . قال: بماذا يا ربي !!؟ قال : بعفوك عن أخيك . إذا عفوت عنـه دفعت ثمن هذا القصر . فقال : يا رب لقد عفوت عنه . يقول الله عز وجل : خذ بيـد أخيـك فأدخله الجنة .. ثم قال عليه الصلاة والسلام : اتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم ، فإن الله يعـدل بين المؤمنين يوم القيامة .

فالله عز وجل مختص بهذا وحده ، وهو الذي يستطيع أن ينتصر للمظلوم من الظالم ، فإذا رجع الظالم عن ظلمه أرضى الظالم أيضاً وشملته رحمته .. هذه ليست لغير الله .. لأن الإمام الغزالي يقول : " إن أكمل درجات الإقساط ، العدل أن تعامل كلا الطـرفين معاملـةً يرضيان عنها " .

حقيقة تملأ جوانحي .. المؤمن لا يحقد !! لأنه يرى الأمراض التي أمامـه مـن بنـي البشر هي أمراض وليست سجايا ، أمراض الإعراض ، أعراض الإعراض ، فكما أن الطبيب لا يحقد على مريضٍ مصاب بمرضٍ معد ، كذلك ولله المثل الأعلى ، فالله جل جلاله يعلـم أن هذه الأخطاء والرعونات والإنحرافات هي أعراض لمرض واحد هي الإعراض عن الله عـز وجل ، وأكبر دليل أن الإنسان عندما يقبل تراه لطيفاً ومنصفاً، وقافاً عند حدود الله ، فسـبحان من يغير ولا يتغير.

وسرعان ما نعود إلى المقسط فقد ورد المعنى في بعض آيات القرآن الكـريم ففـي سورة المائدة قال تعالى :

سَمَّـٰعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّـٰلُونَ لِلسُّحْتِ ۚ فَإِن جَآءُوكَ فَٱحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ ۖ وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْـًٔا ۖ وَإِنْ حَكَمْتَ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ ۖ إِنَّ ٱللَّـهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٤٢﴾

(سورة المائدة)

" وإن حكمتَ فَاحكُم بينَهم بِالْقسط إن الله يحب الْمقْسطين " .. جاء رجل إلى النبـي وهو البشير بن النعمان قال : يا رسول الله اشهد أنني نحلت ابني هذا حديقة . فقال : ألك ولد غيره ؟ قال : نعم . قال : أنحلت كلاً منهم ما نحلته ؟ ولندقق ملياً الآن .. قـال : لا . قـال النبي عليه الصلاة والسلام للبشير : اشهد غيري ، فإني لا أشهد على جور.

وقد ورد في بعض الأحاديث :

حدثني شَهر بن حوشَبٍ أن أبا هريرةَ حدثه أن رسولَ الله صلى الله عليه وسـلم قَـالَ إن الرجلَ ليعملُ والمرأةُ بطاعة الله ستين سنَةً ثُم يحضرهما الموتُ فَيضاران في الوصية فَتَجِب لهما النار*

(سنن الترمذي)

عن النعمان بن بشير أن النبي صلى الله عليه وسلم قَالَ قَاربوا بين أَبنَـائِكُم يعنـي سـووا بينَهم *

(مسند الإمام أحمد)

من أعجب ماسمعت أن أُسرةً توفي الأب وترك أولاداً وبنتاً وحيدة متزوجة ، وهذه البنت الوحيدة نصيبها من الميراث ستة عشر مليوناً لم يعطها إخوتها شيئاً ، لأنها متزوجـة ، فوراً فطلقها زوجها فوراً ، فأهلُها ظلموها ، وزوجها ظلمها ، أعط كل ذي حـق حقـه .. لا علاقة لك بغنيٍ أو فقير ، فموضوع الحق ليس له علاقة بالغنى أو الفقر .

" وإن حكمتَ فَاحكُم بينَهم بِالْقسط إن الله يحب الْمقْسطين " لو ظلمتْ ابنتك صهرك وجارت عليه ، فكن عادلاً وأنصف المظلوم ، وإذا بغى ابنك على صديقه فرد الباغي : كـن عادلاً، وخذ بيد المظلوم .

لكن أكثر الناس مع ابنه على حق أو على باطل ، ومع ابنته على حق أو على باطل ، ما الذي يميز المؤمن من الكافر ؟ العدل .. وساعة عدلٍ خيرعند الله من أن تعبد الله ثمانين عاماً.

ساعة عدل .. كلمة عدل خير من الدنيا وما فيها النبـي عليـه الصـلاة والسـلام استعرض أسرى بدر فإذا صهره بين الأسرى ... أُلقي عليه القبض وأسر لأنه كـان فـي عداد المحاربين يريد أن يقتل المسلمين ، فلما استعرض الأسرى قال عليه الصلاة والسـلام : والله ما ذممناه صهراً، فهو صهر ممتاز .. لكنه الآن مشرك وجاء ليقاتل وقد وقـع أسـيراً ، هذه الكلمة التي أنصفه بها فعلت فيه فعل السحر وانتهت به إلى الإيمان .

من السهل جداً أن تُحب إنساناً محبةً عمياء .. ومن السهل جداً أن تبغضـه بغضـاً أعمى، ولكن الإنصاف يفرض عليك أن تحبه وأن تبغضه بالعدل ، أن تحبـه منصـفاً ، وأن

تبغضه منصفاً، معظم االناس إذا أحبوا إنساناً ستروا كل عيوبه ، وإذا أبغضوا إنساناً سـتروا كل فضائله ، فهذا ظلم .

تعامل أحد أولادك معاملة جيدة وتسيء لأخيه هذا ظلم وتعامل إحدى بناتك بغير مـا تعامل أُختها هذا ظلم ، تعامل موظفاً في المكتب بغير ما تعامل الموظف الآخر فهذا ظلـم .. ثم وسع الأمر كما شئت .

وفي سورة الحجرات قال تعالى :

وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَـٰتِلُواْ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾

(سورة الحجرات)

كثير من الناس يرى أن معاملتك للكافر الفاجر الفاسق الملحد لا غبار عليهـا مهمـا أسأت إليه ، فلا عليك مثلاً أن تأخذ ماله وأن تضطهده وأن تظلمه ، أن تغُشه ، هذا هو الجهل بعينه، وهذا هو الخطأ بعينه ، وهذا هو الظلم بعينه ، قال تعالى :

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾

(سورة المائدة)

" ولا يجرِمنكُم شَنَآن قَومٍ علَى أَلا تَعدلُوا ".. يخاطب الله المؤمنين ويحضـهم علـى العدل: من هم أعداء المؤمنين التقليديين ؟ الكفار ، الفجار ، العصاة ، الفاسقون ، المـارقون ، هؤلاء الكفار ، الفجار ، العصاة ، المارقون قال تعالى : " ولا يجرِمنكُم شَنَآن قَومٍ علَـى أَلا تَعدلُوا اعدلُوا ".. مع هؤلاء " هو أَقْرب لِلتقْوى " .. إن عدلتم معهم قربتموهم إلـى الله ، وإن عدلتم معهم قربتموهم إليكم ، أما إن ظلمتموهم زدتموهم بعداً ، زدتموهم كفراً .

يسألني أخ وهو في حيرة من أمره : لي ولدان .. أحدهما فاسق والآخر طائع، أريـد أن أعطي الطائع نصيباً أوفر من أخيه . أقول له وبلا تردد : لا تفعل .. إنك إن ظلمـت الثـاني زدته عقوقاً ، اعدل بينهما والله سبحانه وتعالى يبارك للبار بما أعطيته .

أنا وقّاف عند كلمة "يبارك" لأنني أطرب لسماعها ويهزني معناها.. يقولون : رجل مبـارك ، رزق مبارك ، زوجة مباركة ، بيت مبارك ، بارك الله لك ، الله يبارك عليك ، تباركنا فيك ، هذه الكلمات .. تستخدم على أوسع نطاق في العالم الإسلامي ، ما معنى بركة ؟ الخير الكثير ، ما معنى تبارك الذي بيده الملك ؟ أي ما أعظم خيره وأكثره .

الله عز وجل أحياناً يبارك لك بمالك أي ينتج لك من الشيء القليل الخيـر الكثيـر ، مال يكون قليلاً فتنتفع به ببركة الله ، تتزوج به ، تأكل منه تشرب ، تلبس ، وهو مال قليـل ، وأحياناً المال الكثير يمحق الله بركته فإذا هو نقمةٌ على صاحبه ..

أما المستقيم فالله عز وجل يبارك له في ماله ، وأحياناً يبارك لك بوقتك ، في الوقت القليل تفعل الشيء الكثير .

أحد العلماء ترك كُتُباً من تأليفه وعدت صفحاتها وقسمت على سني حياتـه فكـان نصيب كل يوم تأليف تسعين صفحة ، وقد ورد في بعض الأحاديث : أنه من أخر الصلاة عن وقتها ، أذهب الله البركة من عمره ، وأن أحب الأعمال إلى الله الصلاة على وقتها .

فهناك وقت مبارك .. أنت إذا صليت ، إذا اقتطعت من وقتك الثمين وقتـاً لخدمـة الخلق ، وقتاً لنشر الحق ، وقتاً لنصرة الضعيف ، وقتاً لمواساة المسكين ، هذا الوقـت الـذي اقتطعته من وقتك كأنه زكاة وقتك .. ومن أدى زكاة ماله حفظ الله له بقية مالـه .. حصـنوا أموالكم بالزكاة ، ومن أدى زكاة وقته حفظ الله له بقية وقته ، تجد فيما تبقى له من وقت يفعل خلاله الشيء الكثير رغم أنه قصير .

أحياناً تتعسر أمور الإنسان ، يطلب أحد أصدقائه فلا يجده فيذهب وأضاع وقتـه .. أو بعد أن يقوم بإصلاح محرك لآلة فينسى أن يضع قطعة صغيرة في محلها ، فيفك أجـزاءه مرةً أخرى وقد أخذ من وقته الساعات الطوال ، أحياناً الله عز وجل يذهب لك زبـدة وقتـك وخلاصته وخيره في أتفه الموضوعات ، فقد ينقصك قطعة تبـديل لآلـة معطلـة والعمـال ينتظرون إحضارها ، فتقوم باستيرادها وقد تأتي ناقصة من الخارج - وذلك بأنـك ضـننت بوقتك على أن تصلي أو على أن تحضر مجلس علـم ، أو أن تطلـب العلـم ، أو أن تـأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر أذهب الله البركة من وقتك .. وضيعه سدى بلا طائل .

دائماً نعجب من المؤمن .. فالله يوفقه بأن يبارك له بوقته ؟ يفعل أشياء كثيرة فـي وقت قصير هذه هي البركة ، ومن هنا كان دعاء القنوت : اللهم اهدنا فيمن هديت ، وعافنـا فيمن عافيت ، وتولنا فيمن توليت ، وبارك اللهم لنا فيما أعطيت .

يعطيك دخلاً يكفيك ويغطي جميع نفقاتك ، يكفي أن يكون الإنسان معافى في صحته ، فقد خلّص نفسه من الذهاب إلى الأطباء والمشافي والتصوير الإشعاعي والطبقي المحـوري والمرنان ، والتحاليل ، والذهاب للخارج وتبديل دسام قلبه ، أو الكلية ، كـل ذلـك بمئـات الألوف، بالملايين .

إذا استقام الإنسان على أمر الله حفظ الله له صحته ، إذا أدى زكاة ماله حفظ الله لـه ماله، فلا حريق ، ولا ضياع ، ولا مصادرات، ولا مخالفات ، ولا استملاك ، والله ينجيه من كل ذلك.

فقد سمعت عن رجل والشيء بالشيء يروى .. له دكّان صغير في سوق شعبي وهو مستقيم طوال حياته ، لم يأكل مالاً حراماً إطلاقاً ، جاءه رجل وبتطفل وبأسلوب عدواني يريد شراء دكانه والرجل يرفض بيعها لأنها مورد رزقه . فقال له : أحببت هذا الدكان ويجـب أن تبيعني إياها .. فقد وقعت ء في قلبي ، وإلا أحسدك ، وما زال به حتـى باعـه إياهـا بسبعمائة ألف . وهي في سوق شعبي في طرف دمشق ، قبض الثمن منه ، وبعد عشرة أيـام استُملك السوق، فأعطوا الشاري الجديد سبعة آلاف ليرة تعويضاً .

فالمالك الأول كان صادقاً طوال حياته مع الناس ولم يكذب عليهم ، ولم يغشـهم .. فكافأه اللخ سبحانه بأن حفظ له ماله ، سأجعل هذه الدكان تحلو بعين فلان .. فما زال به يلح إلى أن باعه إياها بسبعمائة ألف ثم قبض الآخر تعويضاً لهذه الدكان سبعة آلاف ليرة .

فلذلك أركز على البركة .. فإذا أنت اتقيت الله عز وجل بـارك الله لـك بوقتـك ، وبارك لك بصحتك ، وبارك لك بمالك ، وبارك لك بزوجتك .

فقد حضرت تعزية بوفاة امرأة ، وزوجها حي وعمره يقـارب السـبعين وزوجتـه المتوفاة في الستين ، فقد بكى بكاء غير معقول على الإطلاق .. فهو في السـبعين وزوجتـه المتوفاةفي الستين .. فلما انتهى وقت التعزية وذهب المعزون جرى حديث بغية وعظ الـزوج عن البكاء الشديد وأن عليه أن يصبر ويحتسب . فقال : والله عشتُ معها خمسةً وأربعين عاماً ما نمت ليلةً واحدة وأنا غاضب عليها .

فقد بارك الله له بزوجته .. وقد تجد شخصاً يقول لك : لم أرتح يوماً واحداً معها .. فلا توسط في الزواج لنا الصدر دون العالمين أو القبر ، فالزوجة إما بلاء من الله وإمـاأنها هـي الـدنيا وزينتها كما في قوله تعالى :

وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾

(سورة البقرة)

" ربنَا آتنَا في الدنْيا حسنَةً وفي الآخرة حسنَةً وقنَا عذَاب النارِ " .. العلماء فسـروا حسنة الدنيا بالزوجة الصالحة ، التي إن نظرت إليها سرتك ، وإن أمرتها أطاعتك ، وإن غبت عنها حفظتك في مالك ونفسها.. وهي ستيرة ، وإذا خلا بها بذلت له ما أراد منها ، فبارك الله لك في مالك ، وبارك الله لك في وقتك ، وبارك الله لك في زوجتك ، وبـارك الله لـك فـي أولادك ..

تجد ابناً باراً مع أبيه دائماً ، فوالله أرى هذه نعمة كبرى ، هوفي خدمتـه ، وبـأدب وتواضع هذا من فضل الله ، فأشعر أن هنالك أسراً ناعمة البال راغدة تاعيش ببـر بعضـهم لبعض، ففي حياتهم بركة .

فإذا استقام الإنسان على أمر الله ينال البركة من الله .. وإذا محقت البركـة يصـبح المال نقمة ، قد يقتل من أجل ماله ، وقد تكون الزوجة شؤماً قد ينتحر من أجلهـا وبسـببها ، وقد يكون الابن شؤماً كذلك .. وهكذا تقلب له الحياة ظهر المجد.

أيها القرائ الكريم أحياناً يكون لك قريب تقول عنه لا دين له ، إنه لا يصـلي ومغموس في الملذات إلى قمة رأسه ، لكنه يحترمك كثيراً ، ويكبر فيك إيمانـك واسـتقامتك ولك مكانة عنده ، فيأتي المؤمن الجاهل أحياناً يسيء إلى هذا الإنسان غير الملتزم بدعوى أنه غير ملتزم فاستمع إلى هذه الآية قال تعالى :

لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَـٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَـٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾

(سورة الممتحنة)

هو لا يعارضك ولا يحاربك ، ولا يطعن بك ، ولا يذُمك بليقـدر فيـك اسـتقامتك وإيمانك وصلاتك وهو مقصر وغارق في الشهوات ، هذا الإنسان ينبغي أن يرى منـك كـل استقامة وكل بر وكل إقساط كما في الآية السابقة .

وهأنذا أؤكد أن آلاف الحالات .. حالات التوبة أساسها عمل ذكي بسبب إحسان بادر به مؤمن ، فعندما قال الله عز وجل :

وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْىُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾ وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾

(سورة الشورى)

يسألني أحياناً أحدهم : هل أستطيع أن أعطي زكاة مالي لقريب لا دين له ؟ فـأقول : إن غلب على ظنك أن إعطاءه هذا المال يقربه منك ومن الدين فافعل .. أما إذا كان هذا المال يزيده بعداً عنك وعن الدينفلا تفعل .. فالضابط المنظم لهذا العمل هو : ما إذا غلب على ظنك أن إحسانك إليه يزيده قرباً من الله .

فدائماً وأبداً .. العدل العدل ، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

عنِ ابنِ عباسٍ رضي الله عنْهما أَن النبي صلى الله عليه وسلم بعثَ معاذًا إِلَى الْيمنِ فَقَـالَ اتق دعوةَ الْمظْلُومِ فَإِنها لَيس بينَها وبين الله حجاب *

(صحيح البخاري)

الأبلغ من ذلك .. أنك إذا ظلمت مسلماً ، المسلم أبغضك أي أبغض ذاتك ، أمـا إذا ظلمت غير مسلم فإن المظلوم يبغض دينك ، ويقول : الإسلام ظلمني .. ينسى الإنسان ويتهم الدين كله بالظلم لذلك قال عليه الصلاة والسلام : " أنت على ثغرة من ثُغر الإسلام فلا يؤتَين من قبلك "

الآية الرابعة في المقسط قال تعالى :

وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾

(سورة الأنبياء)

قال : أوفر الناس حظاً من هذا الإسم من ينتصف من نفسه ، فلو أخطـأت وأنـت القوي جداً مع إنسان ضعيف جداً وظلمته فقل له : أنا أخطأت معك وسامحني . فهذا أرقى ما يتصف به أحد بالعدل ، أن تنتصف لنفسك ممن هو أضعف منك ، أن تنتصـف مـن نفسـك وليس لنفسك ، أن تنتصر لمن هو أضعف منك .

أحياناً يكون الزوج في البيت هو كل شيء وعنده زوجة ضعيفة إذا أخطأ قال لها : أنا أخطأت وهذا خطئي .. فهذا أعلى درجات الإنصاف .

وقد يكون عندك صانع يعمل لديك في الدكان ، وهو شاب وإخراجه من ممكن المحل بكلمة واحدة : اذهب ولا تعد .. وأخطأت معه والصانع خاف منك ، فعليك أن تقول أنا أخطأت وهذا الخطأ خطئي ؟ هذه أعلى درجة من أنواع الكمال والإنصاف .. ألم يرد في الأثر وكرره العلماء كثيراً : " تخلقوا بأخلاق الله " ، والإمام الغزالي يقول : " إن أوفر الناس حظاً من هذا الاسم من ينتصف أولاً من نفسه ".

فقد يكون الإنسان بموقع لا أحد يستطيع محاسبته ، فكماله أن ينتصف من نفسه ، وأن يعترف بخطئه .

سمعت عن طبيب في مصر ، وصف دواء لطفل صغير الجرعة منه تعطى لكبير ، وبحسب علمه لو تناول هذه الجرعة لمات الطفل من فوره ، فماذا يفعل؟ لا يوجد عنده عنوانه وهو في مستوصف عام فاتصل بوسائل الإعلام وقال أرجو أن تبلغوا المواطنين أن رجلاً وابنه دخلا إلى المستوصف الفلاني وقد أعطيتهما وصفة فليمتنعا عن أخذ الوصفة وإلا يموت الطفل ، فهو إذا سكت لا أحد يعلم وقد يموت الطفل دون أن يكون مداناً لكنه أعلن على الملأ أمام خمسين مليون أنني أخطأت والشيء الذي لا يصدق أن الذي أخذ هذا الدواء وصله الخبر قبل أن يعطي لإبنه الدواء ، فالذي حصل عكس ماتصور الطبيب ، فإنه اكتسب سمعة وشهرة تفوق حد الخيال .

الإمام الغزالي يقول " إن أوفر الناس حظاً من هذا الإسم من ينتصف أولاً من نفسه ثم ينتصف من غيره نعم ، أولاً من نفسه ثم من غيره ".

وقال بعض العارفين : " متى أكثر العبد من ذكر اسم المقسط أشرق عليه نوره ، فسرى في جوارحه ، فعدل فيها " .

يهودي دخل على سيدنا عمر يشكو سيدنا علياً ، فقال له : قم يا أبا الحسن فقف إلى جانب الرجل .. فأصبح على خصماً في قاعة القضاء وهو من المقربين لعمر .. فوقف ، وتغير لون سيدنا علي ، فلما حكم له وانصرف اليهودي قال له : أوجدت علي يا أبا الحسن ؟ فقال : نعم. فقال له : لِم ؟ فقال : لأنك قلت لي يا أبا الحسن ولم تقل لي يا علي ، لقد ميزتني عليه ما هذه النزاهة ؟ لِم لم تقل لي قم يا على فقف إلى جانب الرجل قلت لي قم يا أبا الحسن ؟ بهذا قامت السموات والأرض ، نعم قامت بالعدل .

أُعيد على مسامع القراء قصةً ذكرتها في أول البحث ليكون عوداً على بدء عندما أرسل سيدنا رسول الله إلى بني النضير عبد الله بن رواحة ليأخذ ما اتفقوا عليه من ثمارهم وزروعهم ، أرادوا أن يرشوه ليترفق بهم ، فعلم ذلك فقال : لقد جئتكم من عند أحب الخلق

إلي ، ولأنتم أبغض خلق الله إلي من عددكم من القردة والخنازير ، ومع ذلك لا يحملني حبي لمحمد عليه الصلاة والسلام ولا بغضي لكم إلا أن أعطيكم حقكم وأن آخذ حقي فقال اليهود : بهذا قامت السموات والأرض ، وبهذا تغلبوننا .

وأنت تقوم وتقوى بالعدل ، وتسقط بالظلم .. ألا ترون معي أن العالم كله يئن من أن الظلام يكيلون بمكيالين ، ومن أنهم يقيسون بمقياسين ، يشددون التنكير على من يهـتم بقتـل إنسان ولا ولا يحاسبون من يتهمون بقتل شعب ، ألا يشعر بالظلم كل العالم اليوم .

لذلك كما قال سيدنا رسول الله :

عن أبي سعيد الخُدري قالَ قالَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم تُملأُ الأرض جورا وظُلْمـا فَيخْرج رجلٌ من عتْرتي يملك سبعا أو تسعا فَيملأُ الأرض قسطًا وعدلا *

(مسند الإمام أحمد)

هذا الاسم من أخطر الأسماء في دنيا الناس .. بهذا قامـت السـموات والأرض ، لاتصلح سواء أكنت زوجاً ، أو تاجراً ، أو موظفاً إلا بالعدل ، والعدل أساس المُلك، والعـدل يزيدك قوةً ، والعدل أن تنتصف من نفسك قبل أن تنتصف من غيرك ، أن تقول أخطأت على الملأ فهذا الذي يرفعك عند الله عز وجل .

من أدعية هذا الإسم : إلهي أنت المقسط في الأحكام ، المتفضل بالإسلام ، عـدلت في أقدارك الأزلية ، وتفضلت في حكمك العلية .

والحمد لله رب العالمين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين ، اللهم أعطنا ولا تحرمنا ، أكرمنا ولا تهنا ، آثرنا ولا تؤثر علينـا ، أرضـنا وأرض عنـا ، وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم .

والحمد لله رب العالمين

الدرس ٧٩ - اسم الله : "الوالي"

بسم الله الرحمن الرحيم

مع الاسم التاسع والسبعين من أسماء الله الحسنى ، والاسم هو اسم **الوالي** ، والوالي اسم من أسماء الله الحسنى .

هذا الاسم من مادة الولاية .. والولي ، والمولى ، **والوالي** هذه الأسماء الثلاثة مشتقةٌ من مادة واحدة وهي ولي ، والولاية .. تدبير الشؤون ، ففي الأسرة الأب يدبر شؤون أسرته ، وفي أي مجتمعٍ ، وفي أي مؤسسة من على رأس هذه المؤسسة يدبر شؤونها .

فالوالي هو الذي يدبر شؤون خلقه .

جاء في بعض المعاجم ، أن **الوالي** مالك الأشياء جميعها والمتصـرف فيهـا ، أي مالك ومتصرف ، قد تطلق يدك في بيت ولا تملكه ، وقد تملكه وليس لك الحق أن تتصـرف فيه ، أما مطلق الملكية والتصرف يسمى الولاية ، ولي الأمر يملك ويتصرف ، فلان ولي أمر المسلمين ، يملك مقدراتهم ويتصرف فيها ويدبر شؤونهم .

فالوالي هو المالك للأشياء جميعها المتصرف فيها .

أكرر **والوالي** من الولاية .. تشعر بالتدبير ، والقدرة ، والفعل في خطـة ، وهـذه الخطة تنفذ ، لابد من أن تملك الشيء ، ولا بد من أن تملك التصرف فيه ، ولا بد من أن تدبر شأنه ، ولا بد من أن تفعل ما تريد ، إذا اجتمعت هذه المعاني كلها في جهة ما يمكن أن نسمي هذه الجهة **الوالي** .

قلت قبل قليل الولاية يشتق منها المولى ، يشتق منها الولي، يشتق منهـا **الـوالي** ، **والوالي** اسم من أسماء الله الحسنى ، الإمام الغزالي يرى أن **الوالي** هو الذي يدبر أمور الخلق ويتولاها .

لهذا الكون مدبر ، لهذا الكون مشرف ، لهذا الكون مرب ، **الـوالي** يجمـع هـذه المعاني كلها .. لابد من أن يكون عليماً ، لابد من أن يكون مقتدراً ، لابد من أن يكون خبيراً .

والحقيقة أن الخبرة مهمة جداً في الولاية ، العلم شيء والخبرة شيء آخـر ، فـي بعض الأحيان تصمم آلة وفق أعلى درجات العلم ، عند التطبيق والممارسة تكتشـف بعـض

الأخطاء فتتلافاها في الآلة القادمة ، حينما تكشف الأخطاء وتتلافاها نقول إن خبرتك حادثـة تتأتي من التجربة ، مهما وضعت الخطط النظرية المحكمة ، مهما انطلقت من علمٍ غزيـر ، مهما أحكمت الصنعة ، فعند التدريب ومع الاستعمال تظهر بعض الأخطاء ، تظهـر نقطـة ضعف في هذه الآلة ، سريعاً ما تنكسر فيقويها في التصميم اللاحق .. نقول خبـرة الإنسـان خبرة حادثة تتنامى بالتجربة ، أما خبرة الله خبرة قديمة .

وما زلنا نتحدث عن **الوالي** .. **الوالي** هو المدبر ، المالك ، المتصرف ، الفعال لما يريد ، هذه المعاني كلها ينبغي أن تستند إلى خبرة ، والخبرة أعمق وأشمل من العلم ، يمكـن أن تعلم كل شيء ، ويمكن أن تصنع آلةً وفق علمٍ غزير ، أما حينما تجـرب هـذه الآلـة ، وتضعها موضع الاستعمال تتبدى لك بعض الأخطاء التي لا بد مـن معالجتهـا ، وتجـد أن الأكمل مثلاً أن يكون هذا الشيء في مكانٍ آخر ، تجد أن الأكمل أن تُفْتَح في هذه الآلة فتحـةً من هذا المكان ، كل شيء تكتشفه في أثناء التطبيق ، وإن التجريب يعد خبرة وهي زيادةٌ على العلم .

الشيء الذي ينبغي أن نعتقده أن علم الله وخبرته قديمان ، بينما علم الإنسان وخبرته حادثان ، العلم والخبرة تتناميان وتتكاملان عن طريق الخطأ والصواب ، والتجربة والتطبيـق ..

لذلك **الوالي** هو المدبر لشؤون خلقه ، لا بد من أن يملك ، ولابد من أن يتصرف ، ولا بد من أن يدبر، ويقدر ، وينفذ ، يفعل .. كل هذا ينبغي أن يستند إلى خبـرة وخبـرة الله قديمة .

وقد يتساءل الإنسان كم من التعديلات المتجددة طرأت على صنع الآلات ؟ ولنأخـذ مثلاً المركبة .. فالمركبة التي صنعت في عام ألف وتسعمائة ، والمركبة التي صنعت في عام ألف وتسعمائة وستة وتسعين فإذا أجرينا مقارنة بينهما ، كم هو الفرق بينهما ؟ كبير وشاسـع وهذا يعني أن خبرة الإنسان تتنامى ، وخبرته حادثة وتتكامل .

أما هل طرأ على الإنسان تعديل منذ أن خلق ؟ لعل هذا المفصل الذي فـي يـده أو رجله يقربه إلى هناك قليلاً أو إلى هنا قليلاً ، لعل هذه الأصابع نختصرها ، لعل هذا الرسـغ نثبته ، لعل هذه العين نضعها في مكانٍ آخر ، ولعل قائل يقول نكتفي بأذن واحدة ، فهل طرأ تغيير على خلق الإنسان ؟ لا ز ثم لا ، معنى ذلك أن خبرة الله عز وجل قديمة وكاملة .

قال : " الولاية تشعر بتدبير الأمور ، تشعر أن الله يتولى أمور خلقه ".

أحياناً قد تجد أباً مهملاً ، أباً غائباً عن ساحة التربية ، أباً مشغولاً، لكن الله سـبحانه وتعالى هو **الوالي** لأمور خلقه يرعاهم ، ويرشدهم ، يبين لهم ، أحياناً يـؤدبهم ، يـردعهم ،

يشجعهم ، ويكافئهم ويعاقبهم ، يتولى أمر أجسادهم ، ويتولى أمر نفوسهم ، يتولى أمر دينهم ، يتولى أمر دنياهم .

قالوا : " الولاية ومنها **الوالي** تشعرك بالعلم والخبرة وبالتدبير والقدرة والفعـل " ، ومالم تجتمع هذه الصفات في جهة ما لا يمكن أن يطلق عليها اسم **الوالي** .

الله عز وجل **والٍ** ، ولا والي للأمور إلا الله تعالى .. لذلك كلما تعمقت في الإيمـان ترى أن يد الله هي وحدها التي تعمل ، وكلما ابتعدت عن خصائص الإيمـان رأيـت أيـادي الخلق هي التي تعمل ، اقرأ قوله تعالى:

إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيۡهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمَۢا ﴿١٠﴾

(سورة الفتح)

أحياناً تجد طفلاً يتيماً ، ففي الحقيقة إن اليتيم وليه الله جل جلاله وليه ووالِيهِ ومتولي أمره ، بالمعنى المطلق لا **والي** للأمور إلا الله ، ولا متولي لها إلا الله ، لا مدبر للشـؤون إلا الله .

قال العلماء : " إنه المتفرد بتدبيرها أولاً ، والمنفرد بتدبيرها حقاً " .

وإن من علامات الإيمان أن تتجاوز الخلق إلى الحق ، أن تتجاوز النعمة إلى المنعم ، أن تتجاوز التسيير إلى المسير ، التكوين إلى المكون ، الخلق إلى الخـالق ، التنظـيم إلـى المنظم ، هذا التجاوز هو الإيمان ، وإن أهل الدنيا عند التنظيم لا عند المنظم ، عند الخلـق لا عند الخالق ، **فالوالي** هو المتفرد بالتدبير أولاً ، المتكفل بتنفيذ التدبير والتحقيق ثانياً .

أحياناً الإنسان يدبر ويأتي إلى التطبيق فلا يستطيع ، ويقول لك لم أستطع .. هناك عقبات ، هناك موانع ، هناك صوارف ، فالله تعالى :

فَعَّالٞ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾

(سورة البروج)

الإنسان يريد أشياء كثيرة وقد لا يستطيع أن يفعل بعضاً منها ، لكن الله هو **الوالي** ، أي مدبر ، وعالم ، وخبير ، ومالك ، ومتصرف ، ومع خلقه يدبر أمر حياتهم ، أمر مماتهم ، أمر دنياهم ، أمر آخرتهم ، أمر أنفسهم ، أمر أجسادهم ، أمر من حولهم ، أمر ما حولهم .. .

ولابد من ولله المثل الأعلى .. فأحياناً تجد أباً كاملاً يدبر شؤون أسرته مـن أكبـر الأشياء إلى أدق الأشياء فيركن إليه جميع أفراد الأسرة ، أما المؤمن فحينما يشعر أن الله هـو **الوالي** ، هو المدبر ، هو المتكفل ، هو العليم ، هو الخبير ، هو الفعال لمـا يريـد ، وأن الله سبحانه وتعالى لا يغيب عن علمه شيء ، ولا يعْجزه شيء ، عندئذ يركن إلى الله .

... ولعل من سمات العصر البعد عن الله ، ومن سمات المعصية والبعد عن الله عز وجل القلق الشديد ، فغير المؤمن يعيش في وحشة ، لأن الحياة شديدة التعقيد ، والظروف التي تتداخل وتتفاعل في حياة الإنسان لا تُعد ولا تحصى ، القِوى المحيطة بالإنسان كبيرةً جـداً ، المتغيرات سريعة جداً ، العقبات كثيرة ومحبطة ، فما الذي يحل هذه المشكلة ؟ فأنت أمـام ركام من المشكلات ، من القوى المتضاده ، ومن البيئات الجاذبة ، لا يعينك على أن تنجو من هذه الحياة المعقدة إلا أن تستسلم لله عز وجل ، الحالة النفسية الآن وراء أكثـر الأمـراض ، يعبر عنها الأطباء بالشدة .. الشدة النفسية التي تضغط على الإنسان ربما كانت سـبب أكثـر أمراضه ، وكلما تقدم العلم اليوم، وكلما تقدم علم الطب وجد أن الشـدة النفسـية وراء أكثـر الأمراض المستعصية .

أما حينما تستسلم للمدبر ، وحينما تستسلم لمن بيده الخلق والأمر تستطيع أن تنجـو من هذا الضغط النفسي .

وقيل أيضاً : " **الوالي** هو المالك للأشياء المتصرف فيها ، بمشيئة وحكمة ينفذ فيهـا أمره ، ويجري عليها حكمه ".

ذكرت من قبل : أن **الوالي** والولي والمولى .. هذه الأسماء الثلاثة مشتقةٌ من الولاية ، والولاية علم ، وقدرةٌ ، وملك ، وتصرفٌ ، وتدبير وخبرةٌ .

بالتعريف البسيط .. **الـوالي** هو الذي يتولى أمور الخلق ، أو هو الذي يباشر كل ما من شأنه إصلاح المتولي عليه .

وبعد فنحن الآن أمام معنى جديد .. أحياناً الإنسان يملك ، ويـتحكم لصـالحه ، لا لصالح المتحكم به ، فقد يملك الإنسان شيئاً وهذه الملكية يرجح من خلالهـا مصـلحته علـى مصلحة المملوك ، كم من إنسانٍ ملك ، كم من إنسانٍ يتصرف بقوته في شأنٍ من شؤون الحياة ، لكن هذا التصرف أساسه مصلحته ، قد يبني مجده على أنقاض الناس ، قد يبني غناه علـى إفقارهم ، قد يبني أمنه على خوفهم ، نقول عنه مالك متصرف ، لكن **الـوالي** الله جل جلالـه يملك ويتصرف ويدبر ويعلم وهو الخبير ولكن لمصلحة خلقه .. من هذه النقطة قـارن بـين

إنسانٍ قوي تولى أمر أُناسٍ آخرين ورب كريم تولى أمر عباده ، فولاية الإنسـان لمصـلحة القوي ، لمصلحة المتولي ، ولكن ولاية الله عز وجل لمصلحة المتولى الذي يتولى الله أمره .

لذلك كنت سابقاً أقول : الإنسان مخير في دائرة التكليف ، وهو في الحقيقة في دائرة أوسع مسير ، هل كان باختيارك أن تأتي من هذه الأم أو هذا الأب ؟ لا .. أنت مسير في أمك وأبيك ، أنت مسير في قدراتك العامة ، أنت مسير في زمن ولادتك ، أنت مسير فـي مكـان ولادتك .. فالمكان والزمان والأم والأب والمحيط والقدرات هذه أنت لا تملكها ، ولكن لأن الله تولى أمرك فهذه النقاط البارزة في حياتك لمصلحتك ، كل ما لا تملك فيه أمراً هو لصالحك .

فالوالي .. هو الذي يتولى أمور الخلق ، أو هو الذي يباشر كل ما من شأنه إصلاح المتولى .. أي هو الحاكم على الإطلاق لا يزْحمه أحد .. " **واللهُ يحكُمُ لا مُعقب لِحُكْمـه** " .. فقد قال تعالى :

أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ۚ وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ ۚ وَهُوَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٤١﴾

(سورة الرعد)

أما الإنسان فأحياناً يحكم ، ثم تأتي ضغوط ، وتتلاحق وسـائط ، وتتـوالى عليـه رجاءات ، وضغطٌ شديد فيجد نفسه مرغماً على التراجع في الحكم ، لكن الله سبحانه وتعـالى .. " **يحكُمُ لا مُعقب لِحُكْمه** " .. " **وإذا أراد اللهُ بِقومٍ سُوءا فلا مرد لهُ** " .. فقد قال تعالى :

لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴿١١﴾

(سورة الرعد)

الحسن البصري كان عند والي البصرة فجاءه أمر من الخليفة يزيد إذا نفذه أغضب الله ، وإن لم ينفذه أغضب يزيد ، فوقع كما يقولون - في حيص بيص - فاستشار الحسن البصري فقال هذا الإمام التابعي الجليل : " إن الله يمنعك من يزيد ، ولكن يزيد لا يمنعك من الله " ... والله هذه الكلمة على إيجازها لو عقلناها .. فأيةُ جهة قوية مهما كانت ضاغطة ،

وتجعلك أمام خيار صعب : إما أن ترضي زيداً وتعصي الله ، وإما أن تطيع الله وتغضب زيداً ، فما العمل ؟ ... الجواب : إن الله يمنعك من يزيد ، ولكن يزيد لا يمنعك من الله .

فالإنسان إذا استيقظ صباحاً معافى في جسمه ، هذا من فضل الله عليه ، ولو أن الله سبحانه وتعالى تخلى عنه أي خلل في جسمه يجعل حياته جحيماً لا يطاق .

وقيل **الوالي** " هو المنفرد بالتدبير ، القائم على كل شيء ، ولا دوام ولا بقاء إلا بإذنه ".

المنفرد بالتدبير فنحن يهمنا التوحيد .. فالله عز وجل موجود ، وواحد ، وكامل ، أي واحد في ذاته ، واحد في صفاته ، واحد في أفعاله ، واحد في ذاته لا إله إلا الله .. واحد في صفاته إذا قلنا الوالي المتفرد بالولاية ، إذا قلنا الرحمن المتفرد بالرحمة .. الآن في الأفعال هو وحده الجبار ، هو وحده القهار ، فقد قال تعالى :

إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأٓيَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾

(سورة يونس)

" **أَتَاهَا أَمْرُنَا** " .. لا أمرهم .

وبديهي جداً أن الإنسان يميل للأقوى ، فلو عرضوا عليك أن تعمل مع إنسان ضعيف أم مع إنسان قوي ؟ فإنك تؤثر الأقوى لأنه إذا وعدك ينفذ ، وإذا أمر ينفذ ، وإذا منع ينفذ ، أما الضعيف ولو أنه يحبك لكنه ضعيف ولا يقدر أن يتصرف .. فإذا تيقنت أن الله وحده متفرد بالولاية ، انتقلت من أن تكون خاضعاً لإنسان يتولّى أمرك لصالحه ، وبين أن تخضع للواحد الديان يتولى أمرك لصالحك ، فرق كبير ، فقد يتولى أمرك إنسان ويكلفك أعمالاً لا تطيقها ، يأخذ من مالك ، هو قوي عليك ، يبتز مالك ليزيد ماله أو يبتز مالك ووقتك وطاقتك ، لكن الله سبحانه وتعالى كماله مطلق فقد قال تعالى :

تَبَـٰرَكَ ٱسۡمُ رَبِّكَ ذِي ٱلۡجَلَـٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ ﴿٧٨﴾

(سورة الرحمن)

بقدر ما هو عظيم بقدر ما هو كريم ، بقدرما ينبغي أن تخافه بقدر ما ينبغي أن تحبه ، كما تعلمون قد تحب جهةً ولا تقدرها ، وقد تقدرها ولا تحبها ، أما الذات الكاملة ، الله جـل جلاله تعظمه لأنه قوي ، تعظمه لأن الأمر كله بيده ، لأنه ولي ، لأنـه والٍ ، لأنـه متـولي أمرك ، وفي الوقت نفسه تحبه لأنه رحيم .

المعنى الثاني .. أنه يتولى أمرك لإصلاح شأنك .

والمعنى الثالث .. أنه يتولى أمرك لينقلك من حالٍ إلى حال ، القائم على كل شيء ، المنفرد بالتدبير ، ولا دوام ولا بقاء إلا بإذنه ، وكل شيء يجري بحكمه وبأمره .

وقال بعضهم " **الوالي** هو المنعم بالعطاء ، الدافع للبلاء ، يدفع البلاء وينعم بالعطاء ".

إن بعض الذين كتبوا عن أسماء الله الحسنى ذكروا اسم **الوالي** مستقلاً عـن بقيـة الاسماء ، ذلك أن هذا الاسم لم يرد كثيراً في القرآن الكريم .. ولعل القارئ الكريم قد علم أن بعض الأسماء الحسنى قد يرد كثيراً ، وبعضها قلّلما يرد ، وبعضها ترد مادته ولا يرد لفظه ، لم يرِد في القرآن الكريم ولكنه مجمع عليه وقد ورد في سورة الرعد في قوله تعـالى : " **لَـهُ مُعقباتٌ من بين يديه ومن خَلفه يحفَظُونَهُ من أمر الله إن الله لا يُغَيرُ ما بِقَومٍ حتى يُغَيـرُوا ما بِأنفُسهم وإذَا أراد اللهُ بِقَومٍ سُوءا فَلا مرد لهُ وما لهُم من دُونه من والٍ** "

هناك معقباتٌ أو ملائكة يسجلون عليه كل حركة وسكنة ، وكل أقواله وأفعاله ، أما هنا معنى آخر يحفظونه من أمر الله ، فقد تجد أحياناً طفلاً صغيراً يقع مئات المرات ، ومـن الممكن أنه في كل مرة يقع ، فقد يصاب بمرضٍ عضال ، لكن الذي يحفظه هو الله عز وجل من خلال الملائكة، فقد قال تعالى : " **لهُ مُعقباتٌ من بين يديه ومن خَلفه يحفَظُونَهُ من أمـرِ الله** " .

المؤمن محفوظ ، والنبي معصوم ، وبما أن المؤمن محفوظ ، فقد تجد أن أخطـاراً كثيرة تحدق به ، سنتيمتر واحد وكاد أن يموت ، مسافة قصيرة كاد أن يدهس ، خطأ طفيـف كاد يقتل ، من الذي يحفظ الإنسان من هذه الأخطار ؟ هو الله عز وجل .. " **لهُ مُعقباتٌ مـن بين يديه ومن خَلفه يحفَظُونَهُ من أمرِ الله** " .. من بين يديه من أمامه ، من خلفه من ورائـه هؤلاء الملائكة الذين يحفظونه هم من أمر الله ، يحفظونه بأمر الله .

قال الله تعالى : " **لَهُ مُعقباتٌ من بين يديه ومن خَلْفه يحفَظُونَهُ من أمـر الله إن الله لا يُغَيرُ ما بقوم حتى يُغَيرُوا ما بأنفُسهم وإذَا أراد اللهُ بقوم سُوءا فَلا مرد لهُ وما لهُـم من دُونه من والٍ** " .

وما دمنا قد قرأنا هذه الآية ، فوالله الذي لا إله إلا هو إن هذه الآية وحدها .. لـو عقلها المسلمون لكانوا في حالٍ غير هذا الحال ، أنت مؤمن هذه الكرة أنت مالك لها ، كـرةٌ أكبر لا تملكها فيها قِوى مسيطرةٌ تمنعك .. "**إن الله لا يُغَيرُ ما بقوم** " أنت إذا أقمت أمـر الله فيما تملك ، كفاك ما لا تملك ، لا تحل مشكلة المسلمين إلا بهذه الآية ، فيما أنت فيه ، فيما أنت قادر عليه ، فيما أنت مسيطر عليه ، فيما وكلك الله به، فيما أناطه الله بك .. هذه الـدائرة بيتك فيها ، عملك فيها ، حركتك فيها ، سكونك فيها ، سفرك فيها إقامتك فيها ، كسب المـال فيها ، إنفاق المال فيها، وقت الفراغ فيها ، أفراحك فيها ، أتراحك لا سمح الله فيها ، الشـيء الذي أنت مسيطر عليه ، الموكول إليك ، المناط بك مملكتك ، منطقة نفوذك ، إذا أقمت أمـر الله في هذه المنطقة ، إذا أقمت أمر الله فيما تملك ، كفاك ما لا تملك .

والإنسان محاط بقوى لا يملكها .. بقوى مادية ومعنوية ، وقوى لا يراهـا بـالعين المجردة .. فالجراثيم ، والفيروسات ، ومسببات الأمراض هذه لا يراها ، لا يملـك زمامهـا وكذلك الزلازل ، الفيضانات ، الصواعق ، البراكين ، القذائف ، الألغام ، الأمراض ... "**إن الله لا يُغَيرُ ما بقوم حتى يُغَيرُوا ما بأنفُسهم** " .. واقع المسلمين اليوم عكس ذلك ، أهملوا ما هم مالكون له ، تطلعوا إلى ما لا يملكون فأصابهم اليأس .. تفلت في البيت ، تفلت في العمل ، عدم انضباط شرعي ، يقابل ذلك ضعفٌ أمام القوي ، يأس أمام المتملك ، فلماذا أنت فيمـا تملك مقصر ، وفيما لا تملك متطفل ؟ " **لا يُكلفُ اللهُ نَفْسا إلا وُسعها** ".. فقد قال تعالى :

لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾

(سورة البقرة)

وهانحن أمام آية أخرى : هي قوله تعالى :

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ١٠٥

(سورة المائدة)

الأصل أن تأمر بالمعروف وأن تنهى عن المنكر ، الأصل أن تحمل هموم المسلمين ، ولكن قبل أن تأمر وقبل أن تنهى وقبل أن تحمل هموم المسلمين عليك أن تعتني بنفسك ، عليك أن تهذبها ، عليك أن تحملها على طاعة الله ، عليك أن ترقى بنفسك ، عندئذ يكفيك الله ما لا تملك ، أقم أمر الله فيما تملك ، يكفك ما لا تملك .. هذا المعنى ورد في حديث قدسي : " عبدي .. خلقت السماوات والأرض ولم أعي بخلقهن ، أفيعييني رغيفٌ أسوقه لك كل حين ؟ لي عليك فريضة ولك علي رزق ، فإذا خالفتني في فريضتي لم أُخالفك في رزقك ، وعِزتي وجلالي إن لم ترض بما قسمته لك فلأسلطن عليك الدنيا ، تركض فيها ركض الوحش في البرية ، ثم لا ينالك منها إلا ما قسمته لك ولا أُبالي وكنت عندي مذموماً .. أنت تريد وأنا أريد ، فإذا سلمت لي فيما أريد كفيتك ما تريد ، وإن لم تسلم لي فيما أريد أتعبتك فيما تريد ثم لا يكون إلا ما أريد ، خلقت لك السماوات والأرض من أجلك فلا تتعب ، وخلقتك من أجلي فلا تلعب ، فبحقي عليك لا تتشاغل بما ضمنته لك عما افترضه عليك " .

قديماً كانت في دمشق مدرسةً ثانوية ضخمةً جداً وكانت الأولى في القطر ، وهي مدرسة التجهيز الأولى ، وكنت في الخمسينات طالباً فيها ، القسم العلوي يشتمل على أضخم مكتبة في دمشق وقاعات للمطالعة ومهاجع، والقسم الشمالي مطعم .. كانت الدراسة فيها داخلية فيأتي الطلاب إليها من كل المحافظات ليكونوا طلاباً داخليين ، فيجد الطالب سريراً وثيراً والطعام الجيد ، ويوجد طبيب مقيم ، ومسجد وإمام ، فتقريباً كأنها جامعة .. خطر في ذهني ذات مرة أن هؤلاء الطلاب لهم مواعيد دقيقةً جداً ، فيستيقظون في وقت معين ، وطعام الإفطار يكون جاهزاً الساعة السابعة والربع ، وكل شيء معد وجاهز ، وينطلقون إلى قاعات التدريس الساعة الثامنة ، وينتهي الدوام فيصلّون صلاة الظهر ثم إلى مهاجعهم ، وفي تمام الساعة الثانية يكون طعام الغذاء جاهزاً ، وبعد الطعام والقيلولة يذهبون إلى قاعات المطالعة ليدرسوا ، ويحضروا ، ويذاكروا حتى الساعة العاشرة .

لو أن طالباً ترك قاعة المطالعة وقد كلف أن يدرس ، ترك المذاكرة وقد كلف أن يذاكر ، ترك حفظ هذا الدرس وقد كلف أن يحفظه، ترك حل هذه المسألة وقد كلف أن يحلها ، ترك مراجعة دروسه وقد كلف أن يراجعها وذهب إلى المطبخ ليتفقد أحوال الطباخين .. ماذا فعلتم ؟ هل أنجزتم هذا العمل ، هل قطعتم هذه الخضراوات ، هل وضعتم الملح في الطعام ؟

ماذا يقال له ؟ عد إلى قاعة المطالعة ، واشتغل بما أنت مكلفٌ به وسوف ترى الطعام جاهزاً في الساعة الثانية بعد الظهر ، إذاً فهذا طالب ترك مهمته الأساسية ووضع نفسه في موضوعٍ لا علاقة له به ، في حين أن كل شيء معد وجاهز

لذلك : لا تتشاغل بما ضمنته لك عما افترضته عليك ، وهذا مـرض خطيـر مـن أمراض المسلمين ، يتشاغلون بما ضمن لهم ، ويتغافلون عما طُلب منهم ، المضمون يشـتغل به ، والمطلوب يتساهل فيه .

لذلك فأنت في الدنيا من أجل أن تعرف الله ، أنت في الدنيا من أجل أن تعمل صالحاً تتقرب إليه ، وقد تكفل الله لك برزقك ، تكفل الله لك بأمرك .. يحمل هموم الدنيا وينسى هموم الآخرة ، يحمل هم العيش وينسى هم الإيمان والعمل بمقتضاه .. فبحقي عليك لا تتشاغل بمـا ضمنته لك عما افترضته عليك.

لذلك فالإمام أبو حنيفة رحمه الله تعالى قرأ حديثاً شريفاً ، هذا الحديث أحـدث فـي حياته إنعطافاً خطيراً .. ما هذا الحديث ؟ قال : " من طلب العلم تكفل الله له برزقه " .

ليس معنى هذا أن تستيقظ فتجد تحت الوسادة خمسين ألفاً ..لا .. معنى ذلك أنك إذا طلبت العلم يسر الله لك رزقاً حلالاً بجهد قليل ومردود كثير .

.. ما من إنسان يطلب العلم ويخطب ود الله عز وجل ، ويعمل الأعمال الصالحة ، ويحرص على التقرب إلى الله ، إلا يسر الله له رزقاً حلالاً طيباً بجهد قليل ، والله عز وجـل قادر على أن يجعل الإنسان يعمل عشرين ساعة ليأكل فقط ، وليحصل لقمة العيش فقط .. فقد قال تعالى :

كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ ﴿٥١﴾

(سورة المدثر)

" وعزتي وجلالي .. إن لم ترض بما قسمته لك فلأسلطن عليك الدنيا تركض فيهـا ركض الوحش في البرية ثم لا ينالك منها إلا ما قسمته لك ولا أبالي وكنت عندي مذموما ... "

الله قادر على أن يعينك فتبذل جهداً معقولاً وتعيش حياةً مريحة إذا طلبت العلم ، لـذلك هذا الوقت الذي أنت فيه له زكاة ، زكاة الوقت أن تطلب العلم ، زكاة الوقت أن تعمـل فيـه عملاً صالحاً ، أن تدعو إلى الله ، أن تصل رحمك ، أن تُعين الآخرين ، أن ترعى الأرملـة واليتيم ، زكاة الوقت تضمن لك حفظ بقية الوقت من أن يتبدد ، كما أن زكاة المال تضمن لك حفظ بقية المال من أن يتلف .. إذا أديت زكاة الوقت فطلبت العلم حفِظ الله لك بقية الوقت .

وبالمناسبة فإن الله قادر على أن يصرف الإنسان لتبديد عشرين ساعة بلا طائـل .. ففي يوم مثلاًقد ترتفع حرارة أحد أبنائه لأربعين درجة ، فيذهب للطبيب الأول ولم يستفد ، ثم للطبيب الثاني ، ثم للثالث ويطلب منه أن يحلل ويصور ، وتصوير طبقي محوري - مرنان - بستة عشر ألف ليرة ، وتصوير - بالإيكو - ويقوم بدفع خمسة وعشرين ألفاً ولمدة أربعـة أو خمسة أسابيع ولا ينام الليل ثم بعد ذلك يتعافى ابنه من المرض فكم أضاع من السـاعات ؟ وكم من الساعات قام بانتظار المحلل ، والمصور ، والطبيب ، وكم من الساعات وقـف فـي الدور لحين وقت دخوله على الطبيب ، وكم من المبالغ دفع ؟

إخواننا الكرام ... هذا كلام دقيق ، فالله قادر على أن يتلف لك وقتك ومالك ، فإن لم تدفع زكاة مالك ، وإن لم تدفع زكاة وقتك تلف الوقت والمال معاً ، ألا يقولون : فلان مبارك . أي أن الله عز وجل بارك له في ماله ، بالمال القليل رأى الخير الكثير ، وبالوقت القليل أنجز الفعل الكبير .

كان السلف الصالح أوقاتهم مباركة ، فقد عملوا من الأعمال التي تفوق حد الخيال ، فإذا عندك فراغ فأقرأ كتب الإمام النووي في الفقه ، وفي الحديث ، وفي الأذكار ، وفي شرح مسلم ، متى كتب هذا كله ؟ لم يصل عمره إلى الخمسين عاماً .

قال لي أحد الإخوة الكرام : حدثتني نفسي ذات مرةً أن أترك مجلس العلم ، فذهب هو وأهله إلى نزهة فوصل إلى مكان فيه نبع ، فأراد أن يملأ الوعاء فجاء شاب لـه مظهـر أديب أخذ منه الوعاء وعبأه له ، أثنى على أخلاقه وأدبه .. فإذا هويته ومحفظته وفي داخلهـا شهادة قيادته وبطاقة السيارة وهويته الأساسية الشخصية ، ومبلغ ثمانمائة ليرة أخذها منه هـذا الشاب دون أن يدري بعد مغافلته .. فقال لي : بقيت ستة أشهر أذهب من دائرة إلـى دائـرة لأجدد هذه البطاقات الضائعة .. ثم قال لنفسه : لعله عقاب من الله لأنه ترك الدرس .

وبالطبع ليس كل إنسان يعامل هذه المعاملة .. فقط القريب من الله يعامل ، والملتزم الحريص على طاعة الله إذا غلط أو اتخذ قراراً غلطاً ، فالله عز وجل يحاسبه حساباً دقيقـاً .. " ما ترك عبد شيئاً لله إلا عوضه الله خيراً منه في دينه ودنياه " .

هذا الكلام أتأثر به كثيراً .. هم في مساجدهم ، والله في حوائجهم.

قال لي رجل : لابد من أن أسافر إلى حلب أبحث عن مورد لبضـاعة معينـة ولا أملك عنوانه الدقيق ، ولا بد من أن أنام ليلةً هناك وتستغرق المهمة يومين .. ركوب ذهـاب وإياب ، وفندق وطعام وشراب وإنفاق .. فكلف بعمل لله فأنجزه عن طيب خاطر ، فإذا يهـذا الرجل الذي كان ينبغي أن ياسفر إليه إذا به أمامه في متجره في الشام .

أنت أنفقت ساعتين في خدمة الخلق فوفرت ثلاثين ساعة ، .. فهناك وقت يـذهب هدراً ، بلا طائل ، ومع الألم ، فمثلاً أنت تقصد شخصاً فتركب السيارات الواحدة تلو الأخرى

وتترد على بيته ويقولون لك : الآن خرج من البيت .. فلا حول ولا قوة إلا بالله . أو يعِـدك إنسان لإنجاز عمل ما ، وبعد أن تأتيه في الموعد المحدد يقال لك : لم ينتهوا بعد من إنجـاز العمل وئتَ غداً .

تتابع قضية في دائرة فيأخذ الموظف المسؤول إجازة ثمانية أيام فتنتظر ، أو ترسـل لاستيراد قطعة تبديل من الخارج لمعملك فتأتي والقياس خطأ ، فتعيدها مـرةً أخـرى لجلـب غيرها ، فالله قادر أن يهدر لك الوقت ، وقادر أن يتلف لك المال ، فأدِ زكاة وقتك بطلب العلم ، وأدِ زكاة مالك بالإنفاق يحفظ الله لك وقتك ومالك .

" إن الله لا يغَير ما بِقَوْمٍ حتى يغَيروا ما بِأنفُسِهِمْ وإذَا أراد الله بِقَوْمٍ سوءا فَلا مـرد لَه وما لَهُمْ مِنْ دونِهِ مِنْ والٍ ".. **الوالي** هو الله وحده ولا **والي** إلا الله .

وقيل **الوالي** : " هو المتصرف بمشيئته في العـوالم ، دبـر شـؤون خلقـه أزلاً ، وأبرزها أبداً بحكمة الكريم الراحم ، هو الذي يوالي عباده بالإحسان ، ويفيض عليهم ممـداً بالحنان ، عطاؤه يتكرر بغير انقطاع ، ويتكرر دون امتناع ".

وقيل **الوالي** : " هو المتولي أمور خلقه بالتدبير والقدرة والفعل ".

وقيل **الوالي** : " المالك للأشياء المتكفل بها ، القائم عليها بالإدامة والإبقاء ، المنفرد بتدبيرها ، المتصرف بمشيئته فيها ، ينفذ فيها أمره ويجري عليها حكمه فلا والي للأمور سواه ".

الإنسان من أجل أن يتأدب بهذا الإسم عليه أن يذكر اسم **الوالي**، وعليه أن يتخلـق بأخلاق الله ، فيعتني بمن دونه ، أي أن يكون والياً لأسرته، والياً في محيط عمله أن يـدبر ، وأن يرتب ، وأن يعطي ، وأن يمنع ، وأن يذكر ، وأن يؤنب ، وأن ينصح ، وأن يكرم ، وأن يعاقب .. كما أن الله سبحانه وتعالى تولاك فنقلك من الظلمات إلى النور ، تولّ أنـت عبـاده فانقلهم من الضياع إلى الهدى ، من الشقاء إلى السعادة ، فتخلق بأخلاق الله .

وبعد أن ذكرت موضوع الوقت ، وتأدية زكاته ، والمال وتأدية زكاته ، وكيـف أن الإنسان إما في تعسير ، وإما في تيسير فإني أريد بعدها أن أذكر بقوله تعالى :

فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾

(سورة الليل)

" **أعطى** "..أعطى من وقته لطلاب العلم ، أعطى من ماله ، " **واتقى** " أن يعصي الله عز وجل ، " **وصدقَ بِالْحُسنَى** ".. آمن ، آمن واستقام وأعطى عطاء مطلقاً .. قال : " فَسنُيسره لِلْيسْرى ".. هذا هو التيسير ، فلا تقل لي : فلان محظوظ ، فلان يده خضراء ، فلان كيف ما تحرك أصاب فهذا كلام لا معنى له ، ولكن قل لي : هذا أموره ميسرة ، وهذا أموره معسرة ، والتيسير له قانون ، والتعسير له قانون .. " **فأما من أعطى واتقى وصدقَ بِالْحُسنَى** " .. آمن واستقام وأعطى من وقته وماله .. " **فَسنُيسرُهُ لِلْيسرى** "..

وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسۡتَغۡنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡعُسۡرَىٰ ﴿١٠﴾

(سورة الليل)

" **وأما من بخلَ** " .. لم ينفق لا وقته ولا ماله .. " **واستَغْنَى** " .. عن أن يطيع الله ، " **وكذب بِالْحُسنَى فَسنُيسرُهُ لِلْعُسرى** " .. للتيسير قانون ، وللتعسير قانون .

واسم **الوالي** يصلح لمن يتولى أمور العباد ، الله يتولى أمور العباد لصالحهم ، والإنسان الشارد أحياناً يتولى أمرهم لصالحه ، وشتان بين الولايتين ، إذا توليت أمر عشرة فَتَول أمرهم لصالحهم ، فإذا أمرت عليهم من ليس أهلاً لهذه الإمارة فقد خُنت الله ورسوله .

سيدنا عمر كان إذا أراد أن يعين والياً امتحنه وقال له : ماذا تفعل إذا جاءك الناس بسارقٌ أو ناهب ؟ قال : أقطع يده . قال : إذاً فإن جاءني من رعيتك من هو جائع أو عاطل فسأقطع يدك ، إن الله قد استخلفنا على خلقه لنسد جوعتهم ، ونستر عورتهم ، ونوفر لهم حرفتهم ، فإن وفينا لهم ذلك تقاضيناهم شكرها ، إن هذه الأيدي خُلقت لتعمل ، فإذا لم تجد في الطاعة عملاً التمست في المعصية أعمالاً ، فاشغلها بالطاعة قبل أن تشغلك بالمعصية .

فلو عين معلم في الإبتدائي مثلاًعريفاً على هؤلاء الطلاب في الصف الأول ، وفيهم من هو خير منه فقد خان الله ورسوله . عينه لأنه ابن اخته فقد خان الله ورسوله وقِس على هذه الحقيقة ما شئت .

فإذا كنت والياً عليك أن تتخلق بأخلاق الله **الوالي** ، وأخيراً .. اللهم أعطنا ولا تحرمنا، أكرمنا ولا تهنا ، آثرنا ولا تؤثر علينا ، أرضنا وأرض عنا ، وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آلِهِ وصحبه وسلم .

والحمد لله رب العالمين

الدرس ٨٠ - اسم الله : "الباقي"

بسم الله الرحمن الرحيم

مع الاسم الثمانين من أسماء الله الحسنى ، والاسم هو الباقي .

هو الحي الباقي على الدوام ، البقاء أخي القارئ الكريم ضد الفناء ، شأن الخلـق الفناء، و شأن الله البقاء ، شأن الخلق أن كل من عليها فان ، و شأن الخالق أنه بـاق علـى الدوام، إلا أن كلمة (بقية) تعني طاعة .. قال تعالى :

بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيۡكُم بِحَفِيظٖ

٨٦

(سورة هود)

" بقيةُ الله خَير لكُم " .. أي طاعته خير لكم ، من أين استنبطنا أن البقية هي الطاعة ؟

الله جل جلاله أودع فى الإنسان الشهوات ، هذه الشهوات حيادية يمكن أن نستخدمها وفق منهج الله وبخلاف منهج الله ، إن مارست الشهوات وفق منهج الله فأنت أخذت بقية الله ، كسب المال أنواع كثيرة محرمة ، يكون اغتصاباً ، سرقةً، تدليساً ، كذباً ، غشاً ، خداعاً ، أما التجارةُ الشرعيةُ عن قبولٍ ورضى وصدق وأمانة هذه بقية الله خير لكم ، هذه المرأة الأجنبية محرم أن تنظر إليها ، وهذه وتلك ، إلا أن الزوجة والمحارم بقية لك من النساء فلك أن تنظر إليهن .

فالبقية هى الطاعة .. وسر تسمية البقية الطاعة أن الله سبحانه وتعـالى أودع فـى الإنسان شهوات يمكن أن نتحرك من خلالها بشكلٍ واسعٍ جداً، إلا أن من هذا التحرك الواسع تحركاً منهجياً ، تحركاً شرعياً ، تحركاً وفق ما أمر الله ، " بقيةُ الله خَيـر لَكُـم ".. لـذلك المؤمن لو عرض عليه مالٌ كثير إن لم يكن شرعياً يركله بقدمه يقول الله هو الغني ، ويسـأل الله الغني أن يغنيه الله مالاً حلالاً من فضله .

أحياناً تدعو إمرأةٌ ذات منصبٍ وجمال شاباً طائعاً لله يقول : معاذ الله إني أخاف الله رب العالمين ، بقية الله لهذا الشاب زوجته .

إذاً البقاء ضد الفناء ، وبقية الله طاعته وانتظار ثوابه .. أحياناً الطاعة تكون مجهدةٌ ومتعبة وفيها كلفة ، ماسمي التكليف تكليفاً إلا لأنه ذو كلفة ، لكن هذه الكلفة تمضـي ويبقـى الثواب ، أما المعصية ممتعة ، والمتعة تمضي ويبقى العقاب ، فهذا كله شيء عابر ، متاعـب الطاعة عابرة ، متاعب المعاصي عابرة .. ماالذي يبقى إلى أبد الآبدين ؟ ثواب الطاعـة ، وجزاء المعصية. فالمؤمن يفكر فيما سيبقى ، لا فيما سيفنى .

لذلك .. ألا يا رب شهوة ساعة أورثت حزناً طويلاً .. أحياناً شهوة سـاعة تسـبب مرضاً جادياً مزمناً إن لم يكن قاتلاً فيصيب قلب هذا الإنسان المنحرف : الآلام والحزن والغم والضيق والقلق والخوف ما لا سبيل إلى وصفه . اللذة انتهت في ربع ساعة ، وبقيـت الآلام إلى عشرين عاماً .

لذلك فالعاقل هو الذي يتحرك وفق منهج الله .. فلدينا آيةٌ دقيقة جداً في هذا المعنـى وهي قول الله تعالى :

فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾

(سورة القصص)

هناك معنى مخالف لهذا المعنى .. أي أنك إذا انطلقت وفق هدى الله عز وجل فـلا شيء عليك ، وفق منهج الله لا حرج عليك ولا إثم .

تتوق نفسك للنساء فتزوج ، لا شيء عليك ، يمكن أن يلتقي بأهله ، وأن يصـلي قيام الليل وأن يبكي في قيام الليل لأنه لم يفعل شيئاً خلاف منهج الله ، يمكن أن تكسب مـالاً حلالاً تشتري به طعاماً وشراباً وثياباً لنفسك ولأهلك ولأولادك ولزوجتك ، ويمكن أن تستمتع بجمال الطبيعة وأنت تصلّي وتُقبلُ لأنك وفق منهج الله ، إنك تتبع الهوى وفق ما أمر الله عـز وجل .. " ومن أضل ممن اتبع هواه بِغَيرِ هدى من الله " .. المشكلة أن تتبع الهوى من دون منهج الله ، أن تتحرك حركةً عشوائية ، أن تنطلق إلى حيث تريد دون أن تنظر إلى قواعـد الشرع .

وهناك معنى ثالث للباقيات وهي الباقيات الصالحات ، وهي نتاج الاستقامة مـع الله .. البقاء ضد الفناء وهذا ورد في اللغة ، وقد عرفت أيضاً أن بقية الله طاعته أو انتظار ثوابه ، أما الباقيات الصالحات : فالإنسان يجتهد ويجتهد ويؤدي امتحاناً و ينتظر النتائج .. ينتظـر التكريم ، ينتظر احتفالاً تكريمياً له ، ينتظر أن يدخل إلى الجامعة ، ينتظر أن يصبح ذا مرتبة

علمية عاليه، ينتظر أن يكون مرموقاً في المجتمع ، هذا الذي ينتظره .. لذلك قال عليه الصلاة والسلام في كلام دقيق ولطيف جداً : "أما الأنصار فقد أدوا ما عليهم وبقي الذي لهم ".

وأنت كمؤمن تعيش في زمنٍ صعبٍ ، في زمن الفتن ، في زمن النساء الكاسيات العاريات ، في زمن الشهوات المستعرة ، في زمنٍ القابض على دينه كالقابض على جمر ، في زمن ترى أن كل ما حولك يدعوك إلى المعصية ، في زمن ترى أن استقامة الإنسان على أمر الله مجهدة .

أنت إذا فعلت هذا وضبطت نفسك ، وحملت نفسك على طاعة الله ماذا بقي لك ؟ بقي لك ثواب الطاعة ، بقي لك الإقبال على الله ، بقي لك التوفيق .

ولنعلم جميعاً أن هناك خيرات لا يعلمها إلا الله تنتظر المؤمن .. لذلك قال عليه الصلاة والسلام :

عن ثَوبان قَالَ قَالَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم استَقيموا ولن تُحصوا واعلموا أن خَير أعمالِكُم الصلاةَ ولا يحافظُ على الوضوء إلا مؤْمن *

(سنن ابن ماجة)

أي لن تستطيعوا أن تُحصوا الخيرات التي سوف تأتيكم من طاعتكم لله .

أنا أخص بكلامي هذا الإخوة الشباب .. شاب في ريعان شبابه ، لا أحد في الأرض يمنعه من أن يطلق بصره في الحرام ، وأذكر في هذه النقطة الدقيقة أن هناك في منهج الله عز وجل محرمات ، وفي القوانين الوضعية لكل مجتمعٍ محرمات ، أحياناً تنطبق بنود المحرمات في منهج الله على بنود المحرمات في قوانين البلاد .

فالسرقة حرمها الشرع والقوانين الوضعية تحرمها ، والرشوة حرمها الشرع والقوانين تحرمها ، وهناك كثير من البنود تتفق فيها القوانين مع الشرع ، فترك السرقة قد يكون خوفاً من الله وحده ، وقد يكون ترك السرقة خوفاً من العقاب الأليم الذي ينتظر السارق بحسب القوانين ، إلا أن الله سبحانه وتعالى شاءت حكمته أن يبقي في الدين بنود لا تتفق مع القوانين أبداً ، منها غض البصر .. فليس في الأرض كلها قانون يمنعك أن تنظر إلى إمرأةٌ لا تحل لك .. فإذا غضضت بصرك عن محارم الله فالدافع إلى هذا ؟ خوف الله وحده .

فهناك حالات .. كأن تكون في البيت والنافذة مفتوحة ، وامرأة الجار خرجت إلى الشرفة بثيابٍ متبذلة ، ليس في الأرض كلها جهةٌ يمكن أن تحاسبك إذا نظرت إليها ، لا هي تعلم ولا أحد يعلم ، لكنك إذا قلت كما قال سيدنا يوسف .. قال تعالى :

وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ
قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾

(سورة يوسف)

لو قلت .. " معاذَ الله إنه ربي أحسن مثْواي " .. وغضضت البصر، فأنـت بهـذا تخاف ممن ؟ الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور .

ثق أيها القارئ الكريم ولا أتألى على الله أنه في هذا الزمن الصعب أن كل غـض بصرٍ يرقى بك إلى الله كالصلاة تماماً .

الباقيات الصالحات .. الأنصار أدوا الذي عليهم وبقي الذي لهم .. والشاب التائب قد أدى ما عليه من صلاة وصيامٍ وزكاة وطاعة لله وتلاوة وذكرٍ وغضٍ للبصر وصـدق فـي الحديث، وعفة عن المحارم ، وتحريرٍ في الدخل ، وإنفاق شرعي أدى الذي عليه .. والـذي بقي له ؟ كل خير .. لذلك : " إستقيموا ولن تُحصوا ".

أما الباقيات الصالحات هي الأعمال الصالحة التي تبقى ، وما سواها يفنى .

.. بيتك مهما كان فخماً عند الموت تتركه ، زوجتك مهما أحسنت اختيارهـا عنـد الموت تتركها ، الإنسان في الدنيا له ثلاثة أشياء : ماله ، وأهله ، وعمله .. ماله يبقـى فـي البيت ، وأهله يشيعونه إلى شفير القبر ثم يرجعون ، أما الذي يدخل معه عمله .

يا قُييس إن لك قريناً تدفن معه وهو حي ويدفن معك وأنت ميت ، فإن كان كريمـاً أكرمك ، وإن كان لئيماً أسلمك ، ألا وهو عملك .

قالوا : القبر صندوق العمل ، إن كان العمل كريماً أكرمك ، وإن كان لئيماً أسلمك ".

.. الآية الكريمة :

ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ
رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾

(سورة الكهف)

" الْمالُ والْبنُون زِينَةُ الْحياة الدنْيا " .. تقام وليمة فيقول لك: كلفتني ثمانين ألفـاً .. شيء بالفعل نفيس ، يدعو الناس ويفتخر بماله وبأذواقه ، تشتري مركبةً فخمةً جداً يتيـه بهـا على الناس، يسكن في بيت فخم ويعرضه على كل زائر ويتكلم عن مساحته وأبهائه ، وغرفه

، وأثاثه .. المال والبنون ، أولاد يرتدون أجمل الثياب متألقون ، وهو يقول لك : هذا ابنـي ، وهذه ابنتي .. " الْمالُ والْبنُون زِينَةُ الْحياة الدنْيا والْباقياتُ الصالِحاتُ " .. فقد عرف الله المال والبنين أما قوله تعالى: " والْباقياتُ الصالِحاتُ "فهي محط الرجاء .. وفي القرآن مـا يسـمى بمفهوم المخالفة .. فقد قال لك :

" الْمالُ والْبنُون زِينَةُ الْحياة الدنْيا " .. لم يقل لك تبقى أو لا تبقى ، فالغناء ضمني ، فمـادام زينة الحياة الدنيا فهذا يفنى لا محالة ولكن قال : " والْباقياتُ الصالِحاتُ " أي الـذي يبقـى الأعمال الصالحة .

أيها القارئ الكريم ... بعد أن تعرف الله حقاً ، وبعد أن تستقيم عقيدتك ، وبعـد أن تستقر قناعاتك فليس أمامك إلا العمل الصالح ، ويتفاوت الناس عند الله بأعمـالهم الصـالحة والدليل قول الله عز وجل :

وَلِكُلٍّ دَرَجَـٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٢﴾

(سورة الأنعام)

أنت لك عند الله درجة بقدر عملك الصالح .. أي أن حجمك عند الله بحجم عملـك ، وكلما كنت صادقاً في خدمة الخلق أجرى الله على يديك الأعمال الصالحة .

أقول مرةً ثانيةً وثالثة ... كلنا ضعفاء ، كلنا فقراء ، كلنـا عـاجزون ، إلا أن الله سبحانه وتعالى يمنحنا من الأعمال الصالحة بقدر سلامة توجهنا نحوه ، وبقدر صدقنا ، فقـد قال تعالى :

مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾

(سورة الأحزاب)

إن الدنيا لها سقف ، فمهما كان حجمك المالي كبيراً لا تستطيع أن تأكل إلا ما تمـلأ به معدتك ، لا تستطيع أن ترتدي إلا ثوباً واحداً ، لا تستطيع أن تنام إلا على فراشٍ واحد ، لا تستطيع إلا أن تكون في مكانٍ واحد في وقت واحد ، ففي الدنيا سقف ، إلا أن العمل للآخـرة بلا سقف ، يمكن أن يهدي الله بك رجلاً ، أو رجلين ، أو ثلاثة ، أو أربعة ، أو خمسة ، ولكل أجر فأنت في مزيد .

سيدنا محمد كان رحمةً للعالمين ، سيدنا الصديق كـان المؤسـس الثـاني للدولـة الإسلامية ، حينما ظهرت حروب الردة وقف الموقف الحازم فكان بحق المؤسـس الثـاني ، سيدنا عمر أكثر هذه البلاد فتحت في عهده ، وكل هؤلاء المسلمين في شتى أقطار البلاد فـي صحيفته ، فأنت كن طموحاً فبإمكانك أن تصل إلى مراتب عالية ، فإلههم إلهنا ، وإلهنا إلههم ، والمنهج واحد .. الكتاب واحد ، والنبي واحد وما عليك إلا أن تسير في طريق الإيمـان .. " والْباقياتُ الصالِحاتُ"..

وهناك تفسيرآخر ولكنه مركب .. الباقيات الصالحات هي : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر ، أي إذا سبحته ، وحمدته ، ووحدته ، وكبرته ، معنى ذلك فقـد عرفته، وإن عرفته أطعته ، إن أطعته سعدت بقربه .

أما التفسير الأول فهو أسهل .. " والْباقياتُ الصالِحاتُ " .. الأعمـال الصـالحة " خَير عنْد ربك ثَوابا وخَير أَملا " ، أما الباقي حقيقة فهو الله عز وجل .. فسبحان من له البقاء ، أما نحن فلنا الفناء .

فهل هناك أعظم من سيدنا رسول الله ؟ فقد مات .. ماذا فعل الصديق ؟ وأنا لا أعتقد أن في الأرض إنسانين أحبا بعضهما كما أحب الصديق رسول الله ، وكما أحب النبـي الكـريم الصديق ، أحبه حباً لا حدود له ، إلا أن هذا الحب ما حمله على أن يشرك به ، حينما كشـف عن وجهه الشريف وقبله ، وقال : طبت حياً وميتاً يا رسول الله ، ثم خرج وقال : من كـان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ، و من كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت .

أرأيت إلى التوحيد !! فأعلى درجات الحب ما نقلت هذا الصـديق إلـى الشـرك ، فالتوحيد هو الأصل ..

فالله سبحانه وتعالى له البقاء ، والبقاء صفةٌ من صفات ذاته .. فنحن نعرف صفات الذات ، وصفات الأفعال .. البقاء صفةٌ من صفات ذاته ، الباقي أيضاً هو الواجب الوجـود بذاته ..

فأنا وأنت وأي شخص غيرنا باق ولكن بإمداد الله له ، فإذا قطع الله الإمداد حصلت الوفاة ، فوازن بين إنسان حي ينظر ويتحرك ، عيناه تتألقان ، وينطلق لسانه ، ويحرك يديه ، ويمشي ، وكله آذان ، وشعور وإحساس ، يفكر ، يلقي محاضرة ، فإذا مات يصبح جثة هامدة ، لا شيء ، مسافةٌ كبيرةٌ جداً بين إنسان يتحرك أمامك وبين جثةٌ هامدة ، إن لم تـدفنها فـي أقرب وقت تتفسخ .

فأحياناً يدفع الإنسان مليون ليرة لإصلاح شريان بقلبه ، أما إذا مات انتهى كل شيء ، وبعد أيام تتفسخ هذه الأجهزة .

فمن شأن الله عز وجلّ البقاء ، ومن شأن الإنسان الفناء ، أما الباقي هـو الواجـب الوجود، أما نحن فممكن الوجود ، واجب الوجود بذاته، أما نحن إذا كنا موجودين فوجودنا لا بذواتنا بل بإمداد الله لنا ، أوضح من ذالك وجودنا متوقفٌ على تناول الطعام والشراب .

سمعتُ أن بعض المساجين في تركيا أضربوا عن الطعام ثمانية أسابيع ، مات منهم أكثر من عشرة أشخاص ، فبدون طعام تموت فهل يعد الوجود ذاتياً ؟ أبداً ، إن وجودك متعلق بكأس الماء هذا ، وباللقيمات التي تأكلها والتي يقمن صلبك ، فمن كان وجوده متعلقاً بالطعـام والشراب فليس وجوده ذاتياً ، فحركتك متعلقةً بسيولة دمك ، فلو تجلط الدم انتهت الحركـة .. يقولون : جاءته خثرةً في دماغه ، أو احتشاء في الدماغ أو جلطة في الدماغ ، أو نقطة فـي الدماغ ، أصبح جثةً هامدةً .

وجودك متوقفٌ على إمداد الله لك ، وفي أية لحظة يقطع الله عنك الإمداد .

مثلاً : إذا كانت آلة تعمل على الكهرباء وعندك المفتاح الذي به تعمل أو تتوقف فإذا تبجحت الآلة مثلاًوقالت : أنظروا إلى حركتي . فإنك تضغط يدك على الزر فتتوقف ، فهـذه شأن الآلة الكهربائية ، وهناك ألعاب للأطفال منها سيارات كهربائية لها حركة طائشة ، فتجـد صاحب الملعب يضغط ضغطة قليلة على مفتاح الكهرباء يقطع الكهرباء عن هذه السـيارات فتستمر كل واحدة في مكانها وانتهى أمرها إلى السكون .

هذا تعريف .. الباقي الواجب الوجود بذاته ، وهناك تعريف ثان .. الدائم الوجود ، الموصوف بالبقاء الأبدي والأزلي ، أزلاً وأبداً ، هو الأول بلا بداية ، وهو الآخر بلا نهاية ، هو الأول والآخر والظاهر والباطن ، هو الموجود أزلاً والموجود أبداً .

وقال بعضهم : " هو الموجود من أزل الأزل إلى الآبدين " . فكما أنه لا بداية فهـو بلا نهاية كذلك ، أما نحن فلنا بداية ولنا نهاية .

لكن البشارة أن المؤمن غال على الله ، فإذا حسن عمله في الدنيا وتوفـاه الله عـز وجل فهو في جنة الخلد إلى أبد الآبدين ، فبداخل الإنسان رغبة جامحة لأن يعيش طويلاً ، فلا يوجد إنسان على وجه الأرض إلا ويتمنى أن يعيش مئة عام ، أو مئة وعشرين ، ولا يرغب في أن ينتهي أجله ، فلدينا شيء فطري .. نحب وجودنا ، ونحب سلامة وجودنـا ، ونحـب استمرار وجودنا ، ونُحب كمال وجودنا .

فإذا آمن الإنسان واستقام على أمر الله وجاءته منيته وهو مؤمن فقد حقق اسـتمرار وجوده ، هو في جنات الله إلى أبد الآبدين ، والمشكلة الخطيرة أن الذي لا يستقيم على أمر الله يستحق النار قال تعالى :

وَنَادَوْاْ يَـٰمَـٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۖ قَالَ إِنَّكُم مَّـٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾

(سورة الزخرف)

أصعب شيء أن تكون في حالة لا حرب ولا سلم ، لا يموت فيها ولا يحيا ، فالموت مريح ، لا يحيا حياةً مريحة ، ولا يموت فيستريح ، هذه هي المشكلة ، فهذه المعاني الخطيرة التي جاء بها القرآن كيف نغفل عنها ؟ كيف نتحرك في الحياة دون أن نحسب حسـاباً لهـذه الحقائق؟ شيء خطير ، فالل هو الذي خلق ويقول لك :

إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّـٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٥٥﴾

(سورة القمر)

ويقول لك أيضاً :

وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَـٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَـٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَـٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَـٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّى مَالِيَهْ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّى سُلْطَـٰنِيَهْ ﴿٢٩﴾ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾

(سورة الحاقة)

هذا كلام خالق الكون ، والله الذي لا إله إلا هو لو قيل لك تعالَ إلينا يوم الخمـيس للتحقيق معك لا تنام ليلتين ، وهو إنسان سيسألك لكنه قوي فلا تنام الليل ، فكيف إذا قـال الله عز وجل :

فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾

(سورة الحجر)

وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾

(سورة ابراهيم)

فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٤٧﴾

(سورة ابراهيم)

... الإمام الغزالي يقول : " الباقي هو الموجود الواجب الوجود بذاتـه " .. ولكـن واجب الوجود إذا أضيف إلى المستقبل فهو الباقي .. وإذا أضيف إلى الماضي سمي قديماً .

واجب الوجود من زاوية الماضي قديم ، ومن زاوية المستقبل باق ، معنى الله قـديم وباق ، هو في الحقيقة واجب الوجود بذاته ، وكل شيء بلا إمداد خارجي لا يستمر .

فالسيارة تحتاج إلى وقود فإذا قطع عنها الوقود تتوقف عن الحركة ، فهل حركتهـا ذاتية؟ لا .. حركتها متوقفة على إمداد خارجي .

الباقي المطلق هو الذي لاينتهي تقدير وجوده في الإستقبال إلى آخر ، يعبر عنه أنه أبدي ، والقديم المطلق هو الذي لا ينتهي تمادي وجوده في الماضي إلى أول ويعبر عنه أنـه أزلي.. وقولنا واجب الوجود أي أبدي أزلي .

الإمام الرازي يقول : " إن الله تعالى واجب الوجود أي غير قابـل للعـدم" ، ففـي المنطق هناك شيء واجب وجود ، وممكن وجود ، ومستحيل الوجود ، إذاً مستحيل ، وواجب ، وممكن.. كل ما سوى الله ممكن ومعنى ممكن أي ممكن أن يكون وممكن ألا يكون .

أما معنى واجب الوجود أي لا بد من أن يكون ، لكن مستحيل الوجود أي يسـتحيل عقلاً أن يكون .. فمن المستحيلات أن الله سبحانه وتعالى غير قابلٍ للعدم بوجه من الوجوه .

فكل ما كان ذاتي الوجود في الأزل والأبد فدوامه في الأزل هو القدم ، ودوامه فـي الأبد هو البقاء ، فالله قديم وباق ، أزلي وأبدي لأنه واجب الوجود بذاته ، هذا هو المعنى .

وقيل الباقي : " هو الذي لا ابتداء لوجوده ، ولا نهاية لوجوده " . فكل شـيء مـن الخلق له بداية وله نهاية ، فأنت لك بداية ، فقد قال تعالى :

هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ لَمۡ يَكُن شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا ١

(سورة الإنسان)

تمسك كتاباً طبع قديماً ، وأنت مولود في سنة الأربعين والكتاب قد انتهى طبعه عـام ثمانية وثلاثين مثلاً ، معنى ذلك أنهم حينما انتهوا من طبعه ، أنت أيها القاريء للكتاب لم تكن في الأصل موجوداً ، ليس لك وجود .. " هلْ أتَى علَى الإنسانِ حين من الدهرِ لَم يكُن شَـيئًا مذْكُورا " .. وبعد أن يموت الإنسان تقام له التعازي لمدة ثلاثة أيام ، وتلقى كلمة تأبين يتحدث فيها المتحدثون عن أعماله ، وبعد فترةً من الزمن يطويه النسيان وكأنه ما كان ، فأنـت بـين عدمين ، بين عدمٍ يسبق وجودك ، وبين عدمٍ ينتهي به وجودك .. إذاً فانٍ .

فالمشكلة أن الإنسان بضعة أيام فقد تجد من يعيش ثلاثـين سـنة أو أربعـين ، أو خمسين أو ستين سنة ، فلو عاش ستين سنه وضربنا هذه السنين في عدد أيام السنة - ثلاثمائة وخمسة وستين يوماً - وكذلك نستطيع حسابها بالساعات ، ويمكننا أن نعد وجبات طعامه التي تناولها ، وكم نزهة ذهب إليها ، وكم احتفال حضره ، وكم تعزية حضرها ، وقد أنجب أربعة أولاد وزوجهم ، كله محدود ويعد عداً ، فالإنسان بضعة أيام كل ما انقضى يوم انقضى بضع منه .

فالتعريف الدقيق الفلسفي العميق للإنسان أنه زمن ، ومشكلة الزمن أنـه يتحـرك ، وتحرك الزمن يستهلك الإنسان ، كائن يتحرك نحو هدف ثابت ، كل ثانية يقترب من هدفـه ، فمعنى ذلك أنك زمن ، أنت فانٍ .

الباقي الذي لا ابتداء لوجوده ولا نهاية لوجوده ، الباقي هـو الأول بـلا ابتـداء ، والآخربلا انتهاء ، والحق باق ببقائه ، والخلق باق ببقائه .

فأنت موجود لا لأنك ذكي ، ولا لأنك تعتني بصحتك ، ولا لأن أجهزة جسمك تعمل ، أنت موجود لأن الله يمدك بالوجود ، فإذا أوقف إمداده بالوجود كنت لا شيء .. كن فيكون ، زل فيزول ..

ففي الحديث القدسي يقول رب العز :

عن أبي ذَر عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما روى عن الله تَبارك وتَعالى أنه قَـالَ يـا عبادي إني حرمتُ الظلْم على نَفْسي وجعلْتُه بينَكُم محرما فَلا تَظَالموا يا عبادي كُلكُم ضال إلا من هديتُه فَاستَهدوني أَهدكُم يا عبادي كُلكُم جائِع إلا من أَطْعمتُه فَاستَطْعموني أُطْعمكُـم يـا عبادي كُلكُم عار إلا من كَسوتُه فَاستَكْسوني أَكْسكُم يا عبادي إنكُم تُخْطئُون بِالليـل والنهـار وأَنَا أَغْفر الذنُوب جميعا فَاستَغْفروني أَغْفر لَكُم يا عبادي إنكُم لن تَبلُغُوا ضـري فَتَضـروني

ولن تبلغُوا نَفْعي فتَنْفَعوني يا عبادي لو أن أولكُم وآخركُم وإنْسكُم وجِنكُم كانُوا علـى أتْقـى قلْبِ رجلٍ واحد منْكُم ما زاد ذَلك في ملكي شَيئًا يا عبادي لو أن أولكُـم وآخـركُم وإنْسـكُم وجِنكُم كانُوا على أفْجر قلْبِ رجلٍ واحد ما نَقص ذَلك من ملكي شَيئًا يا عبادي لو أن أولكُـم وآخركُم وإنْسكُم وجِنكُم قاموا في صعيد واحد فَسألوني فأعطيتُ كُل إنْسانٍ مسألتَه ما نَقـص ذَلك مما عنْدي إلا كما ينْقُص المخْيطُ إذَا أُدخلَ البحر يا عبادي إنما هي أعمالكُم أُحصيها لكُم ثُم أُوفيكُم إياها فَمن وجد خَيرا فَليحمد الله ومن وجد غَير ذَلك فَلا يلُومن إلا نَفْسه *

(صحيح مسلم)

قال العلماء : الباقي : " هو الموجود الدائم الذي لا يقبل الفناء ، ومنه استمداد البقاء ، والذي لا إبتداء لوجوده هو الذي يكون في الأبد على ما هو عليه في الأزل".

يكون الإنسان طفلاً صغيراً ثم يكبر ، فما دام يتطور فليس باقياً ، ثم يصبح هرمـاً .. " ومنْكُم من يرد إلى أرذَل الْعمرِ لكَيلا يعلَم من بعد علْمٍ شَيئًا ".. فقد قال تعالى :

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٥﴾

(سورة الحج)

منذ سنوات كان الناس يعرفون إنساناً رياضياً لو أمسك بمركبة مهما كانـت قويـة تقف في مكانها ولا تتحرك ، ولكن عندما أصبح في أرذل العمر صار ضعيف البنية هـزيلاً يئن ويشكو .. فكل حالٍ يزول ، فما دام هناك تطور فلا بقاء معه .

وهذا معنى جديد .. الباقي : هو الذي يكون في الأبد على ما هو عليه فـي الأزل .. فأنت كلّ يوم تتطور ، يضاف إلى معلوماتك معلومات ، ينمو جسمك وتزداد خطوط وجهك ، ويشيب شعرك ، وينحني ظهرك ، ويضعف بصرك ، أي تتطور ، أما ربنا عز وجل باق لأنه كما هو في الأبد هو في الأزل .

إلاّ أن اسم الباقي لم يرد بلفظه في القرآن الكريم ، ولكن مادة البقاء وردت منسوبةً إلى الله عز وجل في مواطن كثيرة من التنزيل المجيد، ومن أبرز هذه المواطن قال تعالى :

قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى
عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ ۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ
فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴿٧١﴾ قَالُوا۟ لَن
نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ
قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴿٧٢﴾ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ
لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ ۗ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿٧٣﴾

(سورة طه)

أخي الكريم تعال معي إلى مثل أضربه لعله يقرب الفكرة ، فلو خُيـرت أن تركـب سيارة لمدة ربع ساعة ، وبين دراجة تتملكها ، فماذا تختار ؟ لا شك أنك تختار الدراجة لأنها أبقى ، ولو خيرت بين مركبتين الأولى تركبها ربع ساعة ، والثانية تتملكها ، فماذا تختـار ؟ تختار المركبة الثانية التي يبقى ملكها لك .. فكذلك الآخرة .. " خَير وأبقَى " ..

" والله خَير وأبقَى " .. إذا اخترت ما عند الله خير إلى درجة غير معقولة وأبقـى ، الدنيا دار ابتلاء وإنها فانية ، لذلك فكل إنسان يختار الدنيا على الآخرة متهماً بعقله .. والآيـة الثانية تقول :

كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾

(سورة الرحمن)

من العاقل ؟ أهو الذي يتعلق بالفاني أم بالباقي ؟ إن تعلقت بإنسانٍ فهـو فـانٍ ، إن تعلقت بمتاع الدنيا فهو فانٍ ، إن تعلقت بالغرائز والشهوات فهي فانية ، أما إذا تعلقت بالواحد الديان فهو أبدي باق ، وما لك عند الله فهو خير وأبقى .

وفي سورة طه .. " ورِزقُ ربك خَير وأبقَى " .. قال تعالى :

وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾

(سورة طه)

" والله خَير وأَبقَى " .. " ورِزقُ ربك خَير وأَبقَى ".. فعطاء الله عز وجل للمـؤمن خير وأبقى .

وفي سورة الشورى قال تعالى :

فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٦﴾

(سورة الشورى)

والمؤمن يقوده رجاحة عقله إلى أن يختار الآخرة فيعمل لها ، وعندئذ ربنا عز وجل يكرمه في الدنيا والآخرة .

وفي سورة مريم قال تعالى :

وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًى ۗ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا ﴿٧٦﴾

(سورة مريم)

" والْباقياتُ الصالِحاتُ خَير عنْد ربك ثَوابا " إذاً كلمة الباقي لم ترد في القرآن الكريم إنما وردت مادة البقاء في هذه الآيات .." والله خَير وأَبقَى " .. " ورِزقُ ربك خَير وأَبقَـى ".. وفي غير ذلك من الآيات التي ذكرناها .

أما التطبيق العملي لهذا الإسم الجليل ... فقد قال العلماء : حظ العبد من ذكر اسـم الباقي أنك إذا أكثرت من ذكر اسم الباقي كاشفك الله بالحقائق الباقية وأشهدك الآثار الفانية .

فمعنى ذلك أن في هذه الحياة شيئين : شيئاً باقياً ، وشيئاً فانياً ، كيف ؟ فهناك شيء مهما كان الإنجاز عظيماً ينتهي عند الموت ، وهناك شيء يبدأ عند الموت ، العاقل هو الـذي يتعلق بالذي يبدأ بعد الموت : (الباقي) ، ولا يعبأ بالذي ينتهي عند الموت .

فمثلا يمكنك تزيين بيتك تزييناً عالياً ، مهما كنت ذا ذوق رفيع في تزيين البيت فهذا التزيين حينما يموت الإنسان ينتهي مفعوله ، يمكن أن تأكل أطيب الطعام ، وأن تجلـس فـي أجمل مكان وهذا كله ينتهي عند الموت .

أما إذا دعوت إلى الله ، إذا ساهمت في نشر الحق ، إذا ساهمت في ترسيخ الفضيلة ، إذا ساهمت في إصلاح ذات البين ، إذا ساهمت في تعليم العلم ، إذا أمرت بـالمعروف ، إذا نهيت عن المنكر ، إذا كنت سبب سعادة الأسر ، إذا بثثت الحق بين الناس ، إذا كنت موفقـاً بينهم ، تجمع ولا تفَرق ، تحببهم بالله ولا تنفرهم ، هذا كله باق بعد المـوت ويكبـر حجمـه ومردوده ، أحدكم يضع لقمةً في فم زوجته يراها يوم القيامة كجبل أُحد ، فإذا هـديت إنسـاناً فكل الخير الذي يأتي من هذا الإنسان إلى يوم القيامة في صحيفتك ، قد تتفاجأ في أن ثمانمائة ألف إنسان مثلاً من ذرية هذا الذي هديته إلى الله كلهم في صحيفتك .

فلذلك لا يليق بالإنسان أن يكون لغير الله ، لا يليق به أن يعمل لغير الله ، لا يليق به أن يتوجه لغير الله ، لا يليق به أن يكون محسوباً على غير الله .. لا يليق بك أن تكون تابعاً لغير الله لأنه هو الباقي وسواه فانٍ .

إذاً إذا توجهت إلى الله صادقاً أشهدك الله الباقيات والفانيات، فتعلقـت بالباقيـات وتركت الفانيات .

فلو كان عندنا فقاعة من الصابون وألماسة ، فالفقاعة بحركة واحدة تتلاشى وتفنى ، أما الألماسة فثمنها ثمانية ملايين ويزداد سعرها يوما بعد يوم وعلى الدوام غالية .. فكل إنسان يتعلق بالفانيات كمن يتعلق بفقاعة الصابون ويدع قطعة ألماس .

أيها القراء ... أرجحكم عقلاً أشدكم لله حباً .. فالقصد من هذا الشـرح أن تتعلـق بالباقي ، وألا تهتم بالفاني ، اما إذا نظرت إلى عامة الناس تجـد العجـب العجـاب ، كلهـم متعلقون بالفاني ، معرضون عن الباقي .. شهوات ، أجهزة لهو ، تفاخر ، انهماك في الملذات هذه كلها فانيات ، أما الباقيات فقد أداروا لها ظهورهم وأشاحوا بوجوههم فدفعوا ثمن جهلهم ، فاللهم أعطنا ولا تحرمنا، أكرمنا ولاتهنا ، آثرنا ولا تؤثر علينا ، أرضنا وأرض عنا ، وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم والحمد لله رب العالمين .

الـ ـدرس٨١ – اسم الله : " الرشيد " .

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الأخوة الكرام ... مع الدرس الواحد والثمانين مـن دروس أسـماء الله الحسـنى ، والاسم اليوم الرشيد .

صيغة الرشيد .. فعيل ، وصيغة فعيل في علم الصرف تعني المبالغة ، فهناك اسم فاعل ، وهناك اسم فاعلٍ مبالغٍ فيه . تقول مثلاً .. صادق ، صدوق أي كثير الصدق ، فاعل ، فعول .. فهذا الاسم الرشيد على وزن فعيل ، وماذا يعني اسم المبالغة في حق ذات الله عز وجل ؟

يعني شيئين .. فهو يعني عدداً ونوعاً .. كل أفعال الله عز وجل رشيدة ، والرشـيد إذا وصف الله بهذا الوصف فهو الرشد المطلق ، الله عز وجل مطلق ، فعلمه مطلـق ، قدرتـه مطلقة ، رحمته مطلقة ، يجب أن تعلم علم اليقين أن الله سبحانه وتعـالى فـي كـل أسـمائه وصفاته مطلق.

بينما أسماء الإنسان وصفاته نسبية ، قد تقول : هذا القاضـي عـادل إذا حكـم تسـعةً وتسعين حكماً من أصل مئة بشكل صحيح ، وهذا الوصف نسبي ، وكل وصف يوصف بـه الإنسان هو وصفٌ نسبي، و أوصاف الله عز وجل كلها مطلقة .

على الأرض يعيش خمسة آلاف مليون إنسان ، إذا ظُلم إنسان واحد فالله سبحانه وتعالى لأنه مطلق يصبح ليس عادلاً ، فقد قال تعالى :

وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾

(سورة الأنبياء)

وقال تعالى :

ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۚ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٧﴾

(سورة غافر)

وقال تعالى أيضاً :

وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴿١٢٤﴾

(سورة النساء)

أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓا۟ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً ۚ وَقَالُوا۟ رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا ٱلْقِتَالَ لَوْلَآ أَخَّرْتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ ۗ قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧٧﴾

(سورة النساء)

" ولا يظْلمون نَقيرا " .. " ولا تُظْلمون فَتيلا ".. ولا قطمير .. ولا تظلمون شيئاً .. ولا ظلم اليوم .. وما كان الله ليظلمهم .

الإنسان حينما يؤمن بالمطلق تطمئن نفسه ، الإيمان أن الله بيده كل شيء ، وأنه فعـال لما يريد ، وأنه في السماء إله وفي الأرض إله ، وأن كل شيء خلقه وهو عليه وكيـل هـذا الإيمان يلقي في نفس الإنسان طُمأنينةً لا يعرفها إلا من فقدها ، لأنه كما يقال إن الله يعطـي الصحة والذكاء والمال والجمال للكثيرين من خلقه ، ولكنه يعطي السـكينة بقـدرٍ لأصـفيائه المؤمنين .

إذاً اتفقنا على أن الله في أسمائه وصفاته مطلق ، فمن أين يأتي الفساد ؟ يأتي الفساد من إنسان أعطاه الله حرية الاختيار ، وأمده بقوة فيما يبدو فتحرك هذا الإنسان بخلاف منهج الله ، ومثل ذلك .. السكر مادةٌ أساسية ، والملح مادة أساسية ، والمنظفات مادة أساسية في حياة كل أسرة .. الآن إذا وضعت في طعامك النفيس جداً والغالي الثمن مسحوقاً للتنظيف فسـتلقيه لا محالة، لأنه فسد ، المواد التي بين أيدينا كلها جيدة ورائعة وكاملة ولكن سوء استخدام المـواد سبب الفساد ، الزنى فساد فالأصل الزواج ، كسب المال الحرام فساد ، معنى ذلك أن الفسـاد ليس له وجود أصلي ، بل وجوده طارئ ناتج عن سوء الاستخدام .

إخواننا الذين يعملون في المركبات يقولون : لو وضع في المحرك كيلو غرام من مادة السكر ثمنها ثلاثين ليرة يكلف إصلاحه ثلاثين ألف ليرة ، فالسكر ثمين والمحرك ثمين ولكـن من أين طرأ الفساد ؟ طرأ من سوء الاستخدام ، لماذا أنت بحاجة إلى الدين ؟ مـن أجـل أن يعطيك الله الذي خلق هذه المواد أصول استخدامها .. أفعل ولا تفعل ، هذا مـنهج الله عـز وجل .

أنت حينما تستجيب لأمر الله هل تدري ماذا فعلت ؟ أنت تملكت خبرة الخبير ، وعلـم العليم ، وقدرة القدير ، ورحمة الرحيم ،لأنك تقبل منهج الله ، ولأنك تقبل على تطبيق مـنهج الله دون أن تشعر تملكت خبرة الخبير قال تعالى :

إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾

(سورة فاطر)

" ولا ينَبئُك مثْلُ خَبِيرٍ " وعندما تملكت قدرة القدير ، ورحمة الـرحيم ، وحكمـة الحكيم، سهل عليك أن تتحرك .

إنسان عظيم وعليه أن يتخذ قرارات هامة تجد حوله عدداً كبيراً من الخبراء بالعشرات والمئات يشيرون عليه أليس كذلك ، فيجمع حوله خبراء قمم في تخصصاتهم فتجد خبراء فـي علم النفس ، وعلم الاجتماع ، والطب ، والهندسـة ، والتـاريخ ، والجغرافيـا ، والفلـك ، والرياضيات ، لو أراد أن يتخذ قراراً فسأل الخبير فأعطاه خلاصة العلم ماذا نقول ؟ هذا الذي استعان بالخبير تملك كل علمه .

أن تُقبل على منهج الله تملكت قدرة القدير وأنت لا تدري ، وعلم العليم ، ورحمة الرحيم ، وحكمة الحكيم ، فلذلك أسعد إنسان هو الذي يبحث عن منهج الله ليطبقه في حياته ، لن يفاجأ ، ولن يشعر بالإحباط إطلاقاً ، خطه البياني صاعد صعوداً مستمراً لأنه يتحرك وفـق خبـرة الخبير .

إخواننا الكرام ... ما في الأرض إنسان على الإطـلاق إلا ويتمنّـى شـيئين السـلامة والسعادة ، والسلامة والسعادة لا تكون إلا بطاعة الخبير .

فحينما يحب الإنسان ذاته حباً لا حدود له ينطلق إلى طاعة الله فقد قال تعالى :

يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾

(سورة الأحزاب)

ذكر لي أخ اليوم مفارقة أعجبتني .. قال لي : لي جار مضى على زواجه من زوجته خمسةٌ وستون عاماً وما نام ليلةً غاضباً على زوجته ، وقد أنجبت سبعة عشر ولداً هم أعلام في المجتمع ، لأن هذا الذي تزوج بحث عن امرأة صالحة ..

عن أبي هريرةَ رضي اللهم عنْه عن النبي صلى اللهم عليه وسلم قالَ تُنْكح المرأةُ لأربعٍ لِمالِها ولِحسبِها وجمالِها ولِدينها فَاظْفَر بِذَات الدين تَربتْ يداك *

(صحيح البخاري)

ويبدو أنه كسب مالاً حلالاً وأنفقه في طاعة الله فرزقه الله هذه الذرية الصالحة .

المفارقة .. في أحد الفنادق الكبرى في دمشق ، في ستة أشهر تم فيه ستة عشـر عقـد قران لم يبق من هذه العقود في خلال ستة أشهر إلا ثلاثة وهي في طريقها إلـى الطـلاق ، وآخر عقد أقيم في هذا الفندق كلفته فيما سمعت أربعين مليون ، وبعد أيام تـم الطـلاق ، لأن هذا الزواج لم يبن على منهج الله ، أي زواج بني على طاعـة الله تـولى الله التوفيـق بـين الزوجين ، وأي زواج بني على معصية الله تولى الشيطان التفريق بينهما ، القصد من ذلك أن يكون الإنسان رشيداً .. فالنبي قال : " تخلقوا بأخلاق الله .

قال : الرشد هو الصلاح والاستقامة ، والرشد خلاف الغَي والضلال . الإسـتقامة .. أن تتحرك تحركاً صحيحاً ، أن تصل إلى قصدك النبيل بأقصر الطرق ، ألا تحيـد يمنـةً ولا يسرة ، الغَي .. الإنحراف ، والضلال .. التيه .

والرشيد كما يذكر الإمام الرازي على وجهين أحدهما فعيل بمعنى فاعـل ، رشـيد أي راشد.. صيغة مبالغة من اسم الفاعل راشد .

والراشد هو الذي له الرشد ، أي يتمتع برؤية صحيحة .. بالمناسبة فلسـفة الرشـد .. الإنسان متى يكون رشيداً ؟ إذا كان مبصراً ، فأي إنسان لا على التعيين أعطه مصباحاً وضاء وقل له : سر في غابة ليلاً ، فما دام معه مصباح وضاء فسيرى كل شيء أمامه ، هل يعقـل أن يقع في حفرةً بل يحيد عنها ، ولا يعقل أن يدوس على أفعى تلدغه بـل يبتعـد عنهـا ، انطلاقا من حبه لذاته يسلم ، فقضية الرشد أساسها الرؤيا ..

بالمناسبة .. النبي عليه الصلاة والسلام قال :

عن أبي مالِك الأشْعري قَالَ قَالَ رسولُ الله صلى اللهم عليه وسلم الطهور شَطْر الإيمانِ والْحمد لِلّه تَملأُ الْميزان وسبحان الله والْحمد لِلّه تَملآن أو تَملأُ ما بين السماوات والأرضِ والصلاةُ نُور والصدقَةُ برهان والصبر ضياء والْقُرآن حجةٌ لك أو عليك كُل الناس يغْدو فَبايع نَفْسه فَمعتقُها أو موبِقُها *

(صحيح مسلم)

أنت حينما تتصل بالله تطهر نفسك من كل أدرانها .. فالمصلي لا يحقد ولا يتكبـر ولا يبخل ولا يظلم .. لأن مكارم الأخلاق مخزونةٌ عند الله تعالى فإذا أحب الله عبداً منحـه خُلُقـاً حسناً .

فأنت أخلاقي بقدر اتصالك بالله .

ومؤمن لأن رؤيتك صحيحة وقد ألقى الله في قلبك نوراً فرأيت الحق حقاً فسلكت طريق الحق فأصبحت رشيداً .

إذا ركب أحد مركبته متوجهاً إلى بلدة ولم يخطيء إطلاقاً فهـذا دليـل علـى قراءتـه للعلامات وللوحات الإرشادية الموضوعة على جوانب الطريق وهو قد قرأها واستوعبها وسار وفق توجيهاتها ، فوصل إلى البلد المقصود في أقرب وقت وفي أيسر حال ، إذا هو رشيد .

الرشد أن تسير مستقيماً دون أن تحيد يمنةً ولا يسرة ، وأن تصل إلى هدفك بأقل جهـد وأقصر وقت ، " وتخلقوا بأخلاق الله ".

فالرشيد هو الراشد ، الرشيد حكيم وقد يلتقي هذا الاسم مع اسم الحكيم من خلال الرؤية الصحيحة .

في ذهني حقيقة .. المجرمون حينما يرتكبون الجرائم ، مـاذا رأوا قبـل أن يرتكبـوا الجريمة؟ رأوا في الجريمة مغنماً ، فالمجرم يقتل ضحيته فتختفي معالم جريمته ، ويأخذ هـذا المال الكثير.. فقد قتل عدة مجرمين صائغاً في بلدة على طريق حمص ، وسرقوا ثلاثة عشر كيلو غراماً من الذهب من مكانه ، وبعد أقل من أربع وعشرين ساعة ألقي القـبض علـيهم ،

وبعد أقل من شهرٍ تم إعدامهم في مدينة ييرود ، كانوايظنون أنفسهم أذكياء ، لأن مـنهم مـن يحمل شهادة عليا في الهندسة ، فحينما أقدموا على هذا العمل ماذا رأوا ؟ رأوا أن فـي هـذا العمل مغنماً كبيراً ، وجهداً يسيراً ، وغنى فاحشاً ، واستمتاعاً بالحياة ، هل تحقق هـدفهم ؟ إذً كانوا ضالين .

فالإنسان حينما ينطلق من حبه لذاته ، يتصل بالله ، فيلقي الله في قلبه النـور ، وهـذا النور يطهر نفسه من الدرن ، ويريه الحق حقاً فيتبعه، ويريه الباطل باطلاً فيجتنبه ، فصـار بذلك رشيداً .. وإذا كنت رشيداً كنت في أعلى درجات الكمال .

نقرأ بعض الآيات لو وقفنا عندها وقفة متأنية لرأينا العجب العجاب .. قال تعالى :

يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿٢٦٩﴾

(سورة البقرة)

" ومن يؤْتَ الْحكْمةَ فَقَد أُوتي خَيرا كثيرا " .. هنا الرشد يلتقي مـع الحكمـة ، الرشـد والحكمة يقتربان من بعضهما بعضاً ، أساسهما رؤيةٌ صحيحة ، أساس هذه الرؤية اتصال بالله ، قال تعالى: " ومن يؤْتَ الْحكْمةَ فَقَد أُوتي خَيرا كثيرا ".. تذكرت مزارعاً ينمـي محصـوله بالبيوت المحمية والتي إنتاجها غالٍ جداً يبلغ خمسمائة ألفاً تقريباً ، فلا بد من أن يشتري سماداً لتسميدها ، وإنطلاقاً من رغبة أن يكون النماء شديداً ضاعف السماد، أصبح في اليوم التـالي كل النبات أسود اللون .. هو أراد أن يربح ، وأراد أن يكثر رزقه فمحق رزقه لأنه جاهـل ، هل كان رشيداً ؟ أبداً.. " ومن يؤْتَ الْحكْمةَ فَقَد أُوتي خَيرا كثيرا " ..

العلماء قالوا : " إنك بالحكمة تصلح الزوجة الفاسدة ، وبالحمق تفسد الصالحة " ، أنـت بالحكمة تكسب المال ، وبالحمق تبدده ، أنت بالحكمة ينمو جسمك وتنمو مداركك ، وتعـيش سعيداً، وبالحمق تدمر ذاتك ، فالحكمة هي الرشد .

أحياناً يقول لك أحد الأشخاص : والله اتخذّت قراراً هو أكثر قراراتـي حكمـة ، هـذا القرار المصيري قد تُبنى عليه سعادة أبدية .

وثاني هذه المعاني أن يكون بمعنى مفْعل .. أي مرشد ، فإما يأتي بمعنـى راشـد ، أو بمعنى مرشد ، راشد صفة ذات ، مرشد صفة أفعال ، الله عز وجل في حقيقة الأمـر رشـيد بمعنى فعيل ، ومفعل ، أي راشد ومرشد .ابنك الصغير ذو إدراك محدود يقترب من المدفأة ، وسيحترق وأنت أب قلبك مليء بالرحمة لن تبتسم وتبقى مكانك دون ضربه ! فقد أجاز لـك

الشرع أن تقطع صلاتك من أجل أن تنقذ ابنك ، ماذا في قلب الأب ؟ رحمةٌ صغيرة .. أرحم الخلق بالخلق النبي الكريم فقد قال له الله تعالى :

فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾

(سورة آل عمران)

" فَبِما رحمة من الله لِنْتَ لَهم " .. كل هذا القلب الكبير ، وكل هذه الرحمة التي وسعت الخلائق جعلها الله في كتابه نكرةً .

وفي آية أخرى قال تعالى :

وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ۖ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا۟ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلْعَذَابَ ۚ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا۟ مِن دُونِهِۦ مَوْئِلًا ﴿٥٨﴾

(سورة الكهف)

" وربك الْغَفُور ذُو الرحمة " .. وربنا الذي خلقنا أرحم بنا.

حدثني أخ دخل إلى معمله شخص لشراء بعض المنتجات من معمله وهو يبيع ما ينتجة بالجملة ، فطلب منه أربع قطع فقط فشعر صاحب المعمل بمهانة من هذا الطلـب المتواضـع فمبيعاته مئتا دزينة تقريباً ، فرفض أن يبيعه قائلاً له : لا أبيع بالمفرق ، فقال لـي هـذا الأخ الكريم : ثلاثون يوماً لم يدخل معملي إنسان ، وكأن الله أدبه .. وأرشده ؟ رشيد يرشد بقرآنه فقد قال تعالى :

قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾

(سورة النور)

هذا إرشاد بالآيات .. ويرشد بحديث نبيه فقد قال تعالى :

وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾

(سورة النجم)

فقد قال صلى الله عليه وسلم : " النظرة سهم مسموم من سهام إبليس ... من ملأ عينيه من الحرام ملأهما الله من جمر جهنم ... من غض بصره عن محارم الله أورثه الله حلاوةً في قلبه إلى يوم يلقاه " .

فالله مرشد ، قد أرشدنا إلى طاعته من خلال حديث نبيه .

والله مرشد بأفعاله .. أعرف رجلاً يسكن بأحد أحياء دمشق ، وهو موظف ولديه أبناء شباب وفتيات كلهن متزوجات .. فهو جِد .. له هواية أن يسير في عصر كل يوم على طريق في دمشق مليء بالكاسيات العاريات الغاديات الرائحات ، وليس له هواية غير ذلك فينزل من المزة إلى طريق الصالحية ثم يرجع إلى بيته بعد أن يمتع عينيه بمنظر الحسناوات ، أصيب بمرض وهو من أغرب الأمراض واسمه - ارتخاء الجفون - فمن أجل أن يرى يمسك جفنه بيده فإذا تركه عاد جفنه مغمضاً ، .. فالله عز وجل يرشد بالقرآن ويرشد بالسنة ، ويرشد بالفعل يؤدبه .. أحياناً يريه مناماً مخيفاً .

إذاً المعنى الأول .. رشيد بمعنى راشد ، أي حكيم ، ورشيد بمعنى مرشد يرشد عباده إلى الصواب .

إخواننا الكرام .. صدقوني لا يمكن لإنسان منحرف إلا أن يرشده الله عز وجل بطريقة أو بأخرى ، وكلما ارتقى الإنسان فهناك إرشاد بياني وهو أرقى شيء ، كأن تستمع إلى خطبة ، وتقرأ القرآن وتقرأ الحديث .. كحديث :

عن حذَيفَةَ أنه بلغَه أن رجلا ينُم الْحديثَ فَقَالَ حذَيفَةُ سمعتُ رسولَ الله صلى اللهم عليه وسلم يقُولُ لا يدخُلُ الْجنةَ نَمام *

(صحيح مسلم)

فتتعوذ بالله من أن تنم وتمتنع ، وهذا هو أرقى أنواع التعليم ، أن تتلقى من الله بياناً قرآنياً، أو من النبي سنةً ، أو من عالمٍ توجيهاً فترتدع .

ولدينا إرشاد من نوع آخر .. إرشاد تأديبي عن طريق مشكلة ، مصيبة .

ولدينا نوع ثالث من الإرشاد .. وهو إكرام استدراجي .

والإرشاد الرابع .. هو القصم .

أربع مراحل .. الدعوة البيانية أكمل شيء فيها أن تستجيب إلى الله عز وجل ، والإرشاد التأديبي أكمل شيء فيه أن تتوب إلى الله ، والإكرام الاستدراجي أكمل شيء فيه أن تشكره وتتوب ، فإن لم يجد معك لا البيان ، ولا التأديب ، ولا الإكرام ، فأصبح هذا الإنسان ينتظر القصم فيهلكه الله .. " فَأَهْلَكْنَاهم بِذُنُوبِهِم " .. كما قال تعالى :

أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ ﴿٦﴾

(سورة الأنعام)

وكما أبعد الله قوم عاد كما أبعد ثمود قال تعالى :

وَأُتْبِعُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ ﴿٦٠﴾

(سورة هود)

إرشاد الله تعالى يرجع إلى هدايته قال تعالى :

قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَا مُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾

(سورة طه)

" ثُم هدى " .. هدى إلى ماذا ؟ عندنا أربعه أنواع من الهداية :

فالإنسان هداه الله تعالى أولاً إلى مصالحه ، الطفل يولد دون أن يكون عنده أيةُ مهارة على الإطلاق .. هكذا درسنا في الجامعة وتعلمنا .. إلا منعكساً واحداً ولولا هذا المنعكس لما

كنا في هذا المسجد ، وهو منعكس المص وهذا المنعكس شديد التعقيد ، فالطفل يضع شـفتيه على حلمة ثدي أمه ويحكم الإغلاق ويسحب الهواء فيأتيه الحليب ، وهو قد ولد علـى التـو واللحظة ، فلولا هذا المنعكس لجاء المولود وثدي أمه مليء بالحليب ولا يستطيع الرضـاع ، فهل تستطيع أن تفهم هذا المولود كيف يرضع ؟ فيموت الطفل وما سوى هذا المنعكس كلـه يأتي بالتدريج .

فالله عز وجل هدانا إلى مصالحنا ، إذا رأيت راكباً لدراجة فكيف يستقيم عليها دون أن يقع؟ لوجود جهاز التوازن بالأذنين ، وهو ثلاثة أقواس فيها أهداب وسائل فعندما يميـل إلـى جهة ما فالسائل الموجود في الأذن يرتفع فيمس هذه الأهداب فيتنبه فيعدل الراكب عن طريـق جسمه توازنه ، ولولا هذه القنوات الثلاث لا يستطيع إنسان أن يركب دراجة ، فلو مال لوقع .

ألاحظ في بعض المحلات التجارية وجود تماثيل لتعليق الألبسة عليها ، أنظر إلى قاعدة التمثال تجدها سبعين أو ثمانين سنتيمتراً ، فهي قاعدة إستناد عريضة جداً وإلا لوقع التمثال ، فانظر لرجليك ما ألطف حجمها ، فلو كانت الأرجل كبيرة مثل خف الجمل ولبست حذاء يزن خمسة كيلو غرامات ، لأصبحت الحياة غير معقولة أن يمشي برجل تزن خمسـة وعشـرين كيلو غراماً فإذا مشى في الطين وحمل حذاءه يشعر كأنه يقوم بأعمال شاقة ، فإذا لم تكن هذه القنوات الدائرية بالأذن لإضطر إلى أقدام ذات قاعدة استناد عريضة جداً ليستطيع الوقـوف ، ومن أجل أن يستقر فلا بد من قاعدة عرضها من سبعين إلى ثمانين سـنتيمتراً ، أمـا قـدما الإنسان فلطيفتان .

الله هداه إلى توازنه ، هداه إلى طعامه ، هداه إلى شرابه ، فإذا دخلت نقطة من المـاء وهو يشرب إلى الرئة يسعل لإخراجها ، فأساس السعال حركة تشنجية تدفع الأجسام الغريبـة والسوائل التي في القصبة الهوائية إلى الأعلى ثم إلى الخارج ، وبهذه المناسبة عادة التـدخين وهذا الدخان الذي يستنشقه شاربه يشل هذه الأهداب ، فالنيكوتين الموجود في هذا الدخان يشل هذه الأهداب الموجودة في القصبة الهوائية المصممة من أجل طرد الأجسام الغريبة .. فهـذه هي الهداية الأولى قد هداك الله إلى مصالحك .

الهداية الثانية .. هداك إليه عن طريق الوحي ، فقد أرسل الرسـل وأنـزل القـرآن ، والرسل تكلموا .

أما الهداية الثالثة .. هداية التوفيق ، فأنت حينما أردت أن تكون مؤمناً هداك الله فقد قال تعالى في سورة الكهف :

نَّحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ نَبَأَهُم بِٱلۡحَقِّۚ إِنَّهُمۡ فِتۡيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمۡ وَزِدۡنَٰهُمۡ هُدٗى ﴿١٣﴾

(سورة الكهف)

والهداية الرابعة .. إلى الجنة .. ، هداية المصالح .. وهداية الوحي .. وهداية التوفيـق .. وهداية إلى الجنة .. هذه هي الهداية .

معنى رشيد أي راشد ، حكيم ، معنى رشيد أي مرشد .. يرشد عباده إلى سبل السـلام إلى سعادتهم ، إلى نجاتهم .

والإمام الغزالي يرى أن الرشيد هو الذي تساق تدبيراته إلى غاياتها ، من غير إشـارة مشير ولا تسديد مسدد .

فقد تسلك طريقاً أحياناً تصل به إلى الهدف لكنك تستعين بإشارات المرور ، واللوحـات الفوسفورية والأسهم وما يكتب عليها من أسهم أو ممنوع للمرور ، أو المنعطف خطر ، أنت وصلت إلى هدفك بسلامة ولكنك استعنت بإشارات كثيرة .

أما إذا قلنا الله رشيد قال : هو الذي تساق تدبيراته إلى غاياتها ، من غير إشارة مشير ولا تسديد مسدد .. أي حركة ذاتية صحيحة ، وهو الله تعالى .. هو الرشيد .

وقيل الرشيد : الذي أسعد من شاء بإرشاده ، وأشقى من شاء بإبعاده ، رشيد أرشـدنا إلى محبته .

ذهب شخص إلى بلاد الهند ونزل في أحد الفنادق فاستيقظ في الصباح الباكر على جلبة وضجيج ، فسأل عن السبب فعرف أن هناك جنازة ، فنظر فوجد نعشين ، النعش الثاني عليه امرأة مسجاة على خشب وتتحرك ، فسال عن ذلك فقيل له : إنها زوجته ولا بد من أن تُحرق معه ، هذا في ديانتهم إن مات الزوج يجب أن يحرق وكذلك ينبغي أن تُحرق الزوجة معـه ، أما إذا ماتت الزوجة فيحق له أن يتزوج غيرها .. فهل هذا دين ؟ الله هدانا إلى ديـن قـويم وأرشدنا إلى دينه ، وهذه من أكبر النعم .

وهناك تدخل بقرة إلى دكان للفواكه فتأكل كل ما لذ وطاب ، وبعض أنواعهـا يصـل سعرها إلى مئتي ليرة ، وصاحب المحل سعيد أشد السعادة بما يحدث ، فقد دخل لمحله إلهـه ليأكل وهذا شيء عظيم عندهم .. سبع مئة وخمسين مليوناً هذا ديـنهم ؟ وفـي يـوم العيـد يضعون على أثاث البيت روث البقر وبول البقر كالعطر ، بول البقر عطـرهم وروث البقـر حلواهم .

الله مرشد أرشدنا إلى دينه ، أرشدنا إلى نبيه ، أرشدنا إلى الحقيقة ، أرشدنا إلى ذاتـه ، أرشدنا إلى محبته .

في إحدى المجلات الفرنسية تحقيق عن طائفة في الهند أعوانها يعبدون الجرذان ، معبد فخم جداً وشاهق الارتفاع وبه زخارف وأحجاره منحوته وبداخله أكثر من خمسمائة جـرذ ، وأتباع هذا المذهب يأتون إلى هذا المعبد وتقف الجرذان على رؤوسهم وتقفز فـوق أكتـافهم ويأكلون معهم في صحن واحد .

الله عز وجل أرشدنا إلى ذاته ، والله أيها الإخوة .. ما من سعادة أعظم من نعمة الهدى ، تعرف الله ، ولماذا أنت في الدنيا ، تعرف ماذا بعد الموت ، فبعد المـوت جنـة عرضـها السماوات والأرض .

يقول بعض العارفين : " الرشيد هو المتصف بكمال الكمال ، عظـيم الحكمـة ، بـالغ الرشاد الذي تتجه تدبيراته إلى غاية الصواب والسداد ، والذي يرشد الخلق ويهديهم إلى فيـه صلاحهم ، الرشيد يوجهم بحكمته إلى ما فيه خيرهم ورشادهم في الدنيا والآخرة ".

قولٌ آخر : " الرشيد هو الذي أسعد من شاء ، وأرشد الأولياء إليه لا يوجد سـهو فـي تدبيره ولا في تقديره ، وهو الموصوف بالعدل ، والمتجلي بالفضل " .

والرشيد هو الذي يلهم أهل الرشد إلى طاعته ، والذي أرشد الخلائق إلى هدايتـه ، ذو الحبل الشديد والأمر الرشيد .

هذا الاسم ورد في القرآن الكريم في قوله تعالى :

إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾

(سورة الكهف)

" وهيئْ لنَا من أمرنَا رشَدا " .. الرشد والرشد من رشَد راشد رشيد.. رشَد ورشْد مصدران، والفعل رشَد يرشُد ، راشد اسم فاعل ، رشيد بمعنى راشد أو مرشد .

الآية الثانية قال تعالى :

۞وَتَرَى ٱلشَّمۡسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهۡفِهِمۡ ذَاتَ ٱلۡيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقۡرِضُهُمۡ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمۡ فِي فَجۡوَةٖ مِّنۡهُۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِۗ مَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِۖ وَمَن يُضۡلِلۡ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيّٗا مُّرۡشِدٗا ﴿١٧﴾

(سورة الكهف)

" من يهد الله فهو المهتَدي ومن يضللْ فلَن تَجِد له وليا مرشدا ".. من يضلل نفسه عـن الله لن تجد له ولياً مرشداً .

فمثلاً .. كل التوجيهات في الجامعة ، الخبراء الأطباء والعلماء فإذا إنسان ترك الجامعة واتجه إلى الملعب ، هل يعقل أن يجد في الملعب مرشد ؟ المرشدون فـي الجامعـة .. فـإذا الإنسان أضل نفسه عن الله فقد المرشد ، إذا إنسان ترك المدرسة فقد المعلم ، ترك المشفى فقد الطبيب ، ترك المحكة فقد القاضي ، ترك بيته فقد المأوى ، أليس كذلك ؟ " ومن يضـلل " أي أضل نفسه عن الله " ومن يضللْ فلَن تَجِد له وليا مرشدا " .

والإنسان يكون رشيداً بقدر اتصاله بالله ، فاتصاله بالله يكسبه نوراً والدليل علـى ذلـك قوله تعالى :

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤۡتِكُمۡ كِفۡلَيۡنِ مِن رَّحۡمَتِهِۦ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ نُورٗا تَمۡشُونَ بِهِۦ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٢٨﴾

(سورة الحديد)

آيةٌ ثانية قال تعالى :

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا وَيُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٢٩﴾

(سورة الأنفال)

" يجعلْ لكُم فُرقانًا " .. تُفرقوا به الحق من الباطل .

من أدعية النبي صلى الله عليه وسلم :

عن داود بن علي هو ابن عبد الله بن عباس عن أبيه عن جده ابن عباس قَالَ سمعتُ نَبِي الله صلى اللهم عليه وسلم يقُولُ ليلةً حين فَرغَ من صلاته اللهم إِني أَسأَلك رحمةً من عنْدك تَهدي بها قَلْبي وتَجمع بها أَمري وتَلُم بها شَعثي وتُصلح بها غَائِبي وتَرفَع بها شَاهدي وتُزكي بها عملي وتُلْهمني بها رشْدي وتَرد بها أُلْفَتي وتَعصمني بها من كُل سوء اللهم أَعطني إِيمانًا ويقينًا ليس بعده كُفْر ورحمةً أَنَالُ بها شَرفَ كَرامتك في الدنْيا والآخرة اللهم إِني أَسأَلك الفَوز في العطَاء ونُزلَ الشهداء وعيشَ السعداء والنصر على الأعداء*

(سنن الترمذي)

هذه رحمة الله :

وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿١٥٧﴾

(سورة آل عمران)

دعاء آخر .. اللهم هذا الدعاء وعليك الإجابة ، وهذا الجهد وعليك التُكْلان ، وإنا لله وإنا إليه راجعون ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، ذي الحبل الشديد ، والأمر الرشيد .

فإذا كنت مع الرشيد فلن تضل أبداً .. لا تُخطيء لأنك مع التوجيه الإلهي ، مع الخبير ، ولا ينبئك مثل خبير .

فيا أيها الإخوة الكرام ... تخلقوا بأخلاق الله وكونوا راشدين فقد قال تعالى :

وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ ۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ﴿٧﴾ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةً ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٨﴾

(سورة الحجرات)

فالراشد هو الذي عرف الصواب من الخطأ فاتَبع الصواب ، وتحرك نحو الهدف بأقـل جهد وأقل وقت ، سار إلى هدفه مستقيماً ، هذا معنى الراشد .

نرجو الله سبحانه وتعالى أن ينفعنا بما علمنا ، وأن يلهمنا الخير.

والحمد لله رب العالمين

الـ ـدرس ٨٢- اسم الله : " الوارث " .

بسم الله الر حمن الرحيم

أيها الأخوة الكرام ... مع الدرس الثاني والثمانين مـن دروس أسـماء الله الحسـنى ، والإسم اليوم هو الوارث .

الوارث اسم من أسماء الله الحسنى ، ومعنى هذا الاسم الوارث هو الباقي ، لأننـا فـي حياتنا الدنيا الذي لم يمت هو الوارث ، ولأن الله سبحانه وتعالى حي باق على الـدوام فهـو الوارث ، كل ما بيدك مصيره إلى الله .

قد تقول إن هذا البيت ملكي ، هذا كلام فيه مجاز ، البيت لله.. سئل أحد الأعراب وهو يقود قطيعاً من الإبل لمن هذه الإبل ؟ قال : لله في يدي .

إخواننا الكرام ...كل شيء تحت يدك تملكه من بيت وتجر ومركبة وممتلكات ليست لك ، إذا أردت الكلمة الصحيحة التوحيدية التي ليس عليها مأخذ قل كما قال هذا الأعرابـي : لله في يدي .

بعض الأبنية يكتبون عليها الملك لله ، حينما تشعر أن يدك على ممتلكاتك يد الأمانـة ، وأن يدك على مالك يد الأمانة هذا الشعور يجعلك بنفسية من سيحاسب ، هذا المال وضع بين يديك موقتاً لينظر الله كيف تعمل وأنت مستخلفٌ فيه ، وقد أشار القرآن إلى هذا المعنى فقد قال الله تعالى :

ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِۖ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَأَنفَقُواْ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾

(سورة الحديد)

أنت أمين صندوق مؤتمن عليه ، والله مطلع عليك سيحاسبك وسينبئك بما عملت .

وكل شيء في حوزتك مصيره إلى الله هو الوارث .

الوارث سبحانه وتعالى هو الباقي بعد فناء خلقه .. هذا المعنى نشعر به في حياتنا الدنيا ، ندخل إلى بيت في أعلى المستويات وصاحبه تحت التراب ، أولاده هم الذين يستمتعون الآن

بهذا البيت هم الورثة ، وإذا تابعنا نجد أن أحفاده يرثون آبائهم ، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، فالوارث ؟ هو الباقي ..

حدثني رجل قال إنسان من أهل العلم يملك مكتبة نادرة في بيته له ، صديقٌ حميم رجاه أن يستعير كتاباً لليلة واحدة فلم يوافق لأن الكتاب أغلى عليه من أولاده ، هذا الصديق الحميم أقسم بالله العظيم أنه بعد موت هذا العالم رأى الكتاب في الحاوية ، كيف كان صاحب هذه المكتبة حريصاً على كتبه ، فلما مات أصبح الكتاب ملك أهله ، لم يعبأوا به فألقوه في الحاوية .

الشيء بالشيء يذكر .. أتمنى على كل أخٍ مؤمن عنده مكتبة متواضعة أن يحرص حرصاً لا حدود له على تعليم أولاده لئلا توضع هذه المكتبة في مكان مهمل من البيت ، ولئلا يكون من سقط المتاع فتلقى خارج البيت بشكلٍ أو بآخر ، حبب إليهم الكتاب ولا تجعلهم أعداء له كثير من الأسر المثقف فيها هو الأب وحده وكل من حوله يناهضون الكتاب ، عودهم أن يقرأوا ، اجعل القراءة أعلى متعة في البيت ، إن أرقى هواية يهواها الإنسان هواية القراءة ، لأنك بالقراءة تأخذ عقول النابغين ، عقل النابغ كله في مئة صفحة، فإذا قرأتها اطلعت على خبرات الكبار .

عود على بدء .. الوارث هو الباقي بعد فناء خلقه ، وهو الوارث لجميع الأشياء بعد فناء أهلها فقد قال تعالى :

إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٤٠﴾

(سورة مريم)

تدبر معي هذه القصة التي تكاد تكون من نسج الخيال ذلك أن أغنى أغنياء العالم سبائكه الذهبية يضعها في صناديق على مستوى غُرف ، أي غرفة لها باب حديدي ، وهذا الباب محكم الإغلاق ، دخل إلى غرفته وقد أُغلق عليه الباب خطأً ، هو رجل لا يكاد يلقى عصا الدجال فظن أهله أنه مسافر ، فمات من الجوع وقبل أن يلفظ أنفاسه الأخيرة جرح أُصبعه وكتب على الحائط أغنى رجل في العالم يموت جوعاً .

نمضي معاً في رحاب قصة واقعية رجل ركب ناقته ليقطع بها الصحراء ، فضل الطريق ونفد طعامه وزاده وشرابه ، وأيقن بالهلاك ، ثم لمح عن بعد واحةً فأشرق في نفسه الأمل ، هرع نحو الواحة فإذا فيها بركة ماء شرب منها حتى ارتوى ثم تولى إلى الظل ، حانت منه التفاتة فإذا كيس إلى جانب البركة فسر به سروراً عظيماً وهو يحسب أن فيه خبزاً

ليأكل ففتحه فقال : وا أسفاه هذه لآليء .. ما قيمة الآليء في الصحراء . هـو يحتـاج إلـى رغيف خبز لا يقدر ثمنه بمال الدنيا .

والإنسان ضعيفٌ أمام الله عز وجل كل شيء تملكه قد يتلاشى أمام شربة مـاء ، وقـد وصف الله تعالى نفسه بأنه الوارث من حيث أن الأشياء كلها صائرةٌ إليه ، فماذا نفهم من قوله تعالى :

صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥٣﴾

(سورة الشورى)

بيد من كانت الأمور حتى قال الله عز وجل : "ألا إلى الله تَصير الأُمور " ؟.. أجاب العلماء : بأن الأمور كلها بيد الله دائماً ، " وإليه يرجع الأمر كُله ".. فقد قال تعالى :

وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾

(سورة هود)

ولكن هل الدنيا هؤلاء الذين انقطعوا عن الله عز وجل وانطمسـت بصـيرتهم يـرون الأقوياء في الدنيا بيدهم الأمور ، هم يعبدونهم من دون الله ، هم يرون أن الأقوياء بيدهم كـل شيء ، أما يوم القيامة هؤلاء الذين انقطعوا عن الله عز وجل وتوهموا أن الأمر بيد الأقويـاء يرون أن الأمر بيد الله عز وجل ، يصير الأمر بيد الله يوم القيامة بمعنى أن هـذا الإنسـان الجاهل كان يتوهم أن الأمر بيد زيد أو عبيد أما يوم القيامة لا يرى الأمر إلا بيد الله عز وجل .

يقول الله عز وجل :

وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠﴾

(سورة الحديد)

" ولله ميراثُ السماوات والأرض " .. بالمناسبة .. النبي عليه الصلاة والسلام لم تورث درهماً ولا ديناراً ، ولكن ماذا ورث ؟ ورثت هذا العلم ، فمن أخذ به أخذ بحظ وافر .

لذلك الإنسان حينما يكون حظه من الدنيا مالاً كمال قارون نقول لـه : إن الله أعطـى قارون المال وهو لا يحبه ، ثم سلبه منه فجأةً فقد قال تعالى :

فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾

(سورة القصص)

وحينما يكون نصيبك من الدنيا كنصيب فرعون نقول لك : إن الله أعطى الملك لفرعون وهو لا يحبه ، وسلبه منه فجأةً حينما غرق وقال : " آمنْتُ أنه لا إله إلا الذي آمنَتْ بِـه بنُـو إسرائِيلَ " .. في قوله تعالى :

۞ وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾

(سورة يونس)

ولكن الله إذا أحبك أعطاك في الدنيا من مثل ما أعطى الأنبياء فقد قال تعالى :

وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ



(سورة يوسف)

فإذا كان نصيبك من الدنيا علماً صحيحاً ، معرفة بالله عميقة ، فكراً نيراً ، قلباً طاهراً ، استقامة على أمر الله ، عملاً طيباً ، إخلاصاً لله ، هذا الذي نال من الله عز وجل أكبر نصيب لأنه نال من ميراث النبي .

ماذا يقول بعضهم إذا أرادوا الثناء على عالم يقولون عنه : هـذا وارث محمـدي . أي ورث عن النبي صلى الله عليه وسلم العلم ، والحكمة ، والعمل .. فينبغي أن يكون كل واحـد منا وارثاً محمدياً ، يأخذ من ميراث النبي وهو العلم .. إن الأنبياء لم يورثوا درهما ولا ديناراً ولكن ورثوا هذا العلم ، فمن أخذ به أخذ بحظ وافر .

أحد الصحابة الكرام ذات مرة قال لمن حوله : أنتم هنا في الأسواق وميراث النبي فـي مسجده يوزع ! فطاروا إلى المسجد ليأخذوا بعض ميراث النبي ، فراشه مـثلاً ، عمامتـه ، رداءه ، رأوا في المسجد حلقة علم ، فسألوه : أين ميراث النبي ؟! قال : هذا العلم ، هذا الذي ورثه .

لما يأتي إنسان من مكان بعيد ويستغرق منه الطريق ساعة ليحضر مجلس علم ، ليأخذ من هذا المسجد بعض ميراث النبي .. معنى ذلك أنه اخذ بحظ وافر ، أخذ من ميراث النبي .

سبحان الله .. جمال القرآن الكريم أن الله عز وجل كلما أشار إلى شيء يعقب بالقـانون .. فقد قال تعالى :

وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ



(سورة القصص)

شيء جميل ، لكن ماذا قال الله بعدها ؟ .. " وكذَلِك نَجزِي الْمحسنين ".. فهذا قـانون ، أي إذا أردت أن تنال علماً وحكماً كن محسناً ، ثمن العلم والحكمة الإحسان .

قال تعالى :

وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠﴾

(سورة الحديد)

وقال أيضاً :

وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْىِۦ وَنُمِيتُ وَنَحْنُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿٢٣﴾

(سورة الحجر)

لذلك ينادي ربنا جل جلاله يوم القيامة : "لِمن الْملْك الْيوم " .. فيجيب الخلائق جميعاً : "لِلهِ الْواحد الْقَهارِ ".. فقد قال تعالى :

يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَ ۖ لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌ ۚ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿١٦﴾

(سورة غافر)

إذا كنت أنت في الدنيا على صلة محكمة مع الله عز وجل وهو راضٍ عنك وأنت محب له متفانٍ في خدمة خلقه هذا هو الفوز العظيم ، أن يكون لك مكان عند الله عز وجل فقد قال تعالى :

إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٥٥﴾

(سورة القمر)

والله هذا هو الفوز العظيم ، هذا هو الفلاح ، هذا هو النجاح ، هذا هو التفوق ، هذا هو الفوز ، هذا هو التألق ، هذه هي البطولة .

ليس من يقطع طُرقاً بطلاً إنما من يتقي الله البطل

في معجم تاج العروس : الوارث صفةٌ من صفات الله تعالى وهو الباقي الدائم بعد فناء خلقه ، وهو يرث الأرض ومن عليها ، إذا قلنا : يرث الأرض ومن عليها .. أو وما عليها ، للعاقل ولغير العاقل .

يجول في خاطري قصة سأرويها يوجد رجل من أصحاب النشاطات الصناعية الكبيرة ، له ثروة طائلة جداً ، وقد رأيت بيته في بعض المدن الشمالية عام أربعة وسبعين ، في ذاك الوقت ثمنه خمسة وثلاثين مليوناً ، وتبلغ قيمته الآن خمس مئة مليون ، وقد توفي في عمر الثانية والأربعين وكان مديد القامة ، وضع في قبرٍ لعله كان صغيراً فما اتسع القبر لقامته المديدة فاضطُر الحفار أن يدفعه في صدره ، فأصبح رأسه مع جسمه يشكل زاويةً قائمة وهو الذي يملك أفخم قصر في إحدى مدن الشمال ، بلاط أرضياته من الرخام الشفاف - الأونكس - وهو من أغلى أنواع الرخام ، لمن هذا المنزل الفخم ؟ لغيره ، وبعد غيره ؟ "لِله الْواحد الْقَهار " .

إخواننا الكرام ... معنى أن يدك على كل شيء يد الأمانة فهذا معنى هام جداً ، البيت مؤقت ، والمركبة مؤقته ، والمتجر كذلك مؤقت كل شيء تحوزه يداك يدك عليه يد الأمانة ، يد الإستخلاف والله ينظر كيف تعمل ، وفي النهاية هذا كله يؤول إلى الله عز وجل .. لأن الله عز وجل ملكه للأشياء أوسع أنواع الملكية ، إذا قلنا : الله هو الملك ، أو المالك ، مالك خلقاً ، ومالك تصرفاً ، ومالك مصيراً ..

هو الذي خلق ، وهو المتصرف ومصير هذا الشيء إليه فهذا هو المالك ، نحن نملك تملكاً مجازياً ، قد تشتري بيتاً وتعطي ثمنه نقداً ، والبيت فخم لم تبنه أنت ، قد تنتفع به ، وقد لا تنتفع به ، إما أن تتركه وإما أن يتركك .

وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾

(سورة الأنبياء)

الله عز وجل كما قلت لكم من قبل سمح لذاته العلية أن يوازنها مع خلقه في عدة مواضع ، من هذه المواضع .. " فَتَبارك الله أحسن الْخَالِقين ".. في قوله تعالى :

ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿١٤﴾

(سورة المؤمنون)

وكذلك من هذه المواضع : " وهو أسرع الْحاسبين ".. في قوله تعالى :

ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ ﴿٦٢﴾

(سورة الأنعام)

في بعض أجهزة الحواسب يقرأ أربعمائة وخمسون مليون حرف في ثانية ، أما الحواسب الشخصية التي بين أيدي الناس يقرأ مليون حرف في الثانية ، هل هناك حساب أسرع من هذا الحساب ؟ ومع ذلك ربنا عز وجل لعلمه أنه سيكون هناك حواسب ذات سرعات عالية سمح لذاته العلية أن يوازنها مع خلقه فقال : " وهو أسرع الْحاسبين " .. هذا الذي يأخذ الحديد من فلذات الأرض ويجعله صفائح ويشكله على شكل مركبة وهذه المركبة تزود بمحرك وعجلات وأبواب وفرش وكهرباء وتكييف.. إلى آخره من المستلزمات ، هذه المركبة سمى صانعها مجازاً خالق .

قال تعالى : " فَتَبارك الله أحسن الْخَالِقين " .. فأقرب شيء وازن بين كلية صناعية وكلية طبيعية ، الكلية الصناعية حجمها كبير ولها صوت من أجل أن تصفي الدم تحتاج إلى ثماني ساعات ، أما الكلية الطبيعية حجمها كقبضة الكف فيها طريق طوله مليون كيلو متراً وتعمل بصمت تام وأنت مستلق ، وأنت تمشي ، وأنت تركب ، وأنت نائم ، وأنت يقظ ، وأنت تحاضر في الناس وهي تعمل ، والدم يمر في هذه الكلية خمس مرات في اليوم يقطع طريقاً يزيد عن مئة كيلو متر وأنت لا تدري ، وازن بين كلية طبيعية وكلية صناعية ..

وازن بين آلة تصوير وبين العين ، آلة التصوير تريك الصور صغيرة أما عينك تريك الأشياء بحجمها الحقيقي ، فتريك الجبل جبلاً ، وملوناً ، العين تدرك الفرق بين درجتين من ثمان مئة ألف درجة من لونٍ واحد ، فلو أخذنا لوناً واحداً وقمنا بتدريجه ثمانمائة ألف درجة فالعين السليمة تدرك الفرق بين لونين ، ربنا عز وجل قال : " فَتَبارك الله أَحسن الْخَالِقين " ..

وازن بين الحاسب وذاكرة الإنسان .. فقد قال بعض العلماء ذاكرتنا بحجم حبة من حبوب العدس ، هذه الذاكرة تتسع لسبعين مليار صورة ، الإنسان الذي يعيش سبعين سنة تقريباً مخزن في ذاكرته سبعين مليار صورة كلها جمعت في مكان مقدار حبة العدس ، فهذا خلق الله ، ولو نظرنا إلى أي ارشيف أو أي إضبارات تجد معلومات قليلة موضوعة في حجم كبير ، وتحركها بالغ الصعوبة ، هذه الذواكر الموجودة في الدماغ مفروزة ، ذاكرة سمعية ، ذاكرة بصرية ، ذاكرة للمشمومات ، ذاكرة ألوان ، ذاكرة روائح ، ذاكرة أرقام ، ذاكرة وجوه ، وهذه الحيزات في الذاكرة في مكان قريب كثير الاستعمال ، وهناك مكان متوسط ، ومكان بعيد ، وهناك مكان ممحو الذاكرة وحدها من آيات الله الدالة على عظمته ، فوازن بين أرشيف ، أو دفتر ، أو حاسوب ، وبين الذاكرة البشرية .

وازن بين الحاسوب وبين الذاكرة البشرية ، وبين آلة التصوير والعين الطبيعية ، وبين كلية صناعية كلية طبيعية ، وازن بين الأرض وبين مركبة فضائية قال تعالى : " فَتَبارك الله أَحسن الْخَالِقين "

والآن وازن ربنا عز وجل بينه وبين خلقه فقال : " وَأَنْتَ خَير الْوارِثين ".

تحضرني قصة ترك أحد الأشخاص في الشام مبلغاً ضخماً يبلغ الألف مليون ، أحد الورثة نصيبه من هذا الميراث تسعون مليوناً ، فترك محله التجاري وبدأ يسعى من دائرة إلى دائرة ليأخذ براءات الذمة وينهي أمور المالية والتركات ، وهو في زحمة العمل من دائرة إلى أخرى ، ومن مكتب إلى مكتب ، ومن مستشار إلى مستشار ليحصل على هذا المبلغ الضخم البالغ تسعين مليوناً ، وفي أحد الأيام دخل إلى الحمام فوافته المنية قبل أن يقبض درهماً واحداً .. هل هذا وارث جيد ؟ لم يستطع أن يتنعم بمال مورثه إطلاقاً .

ومن الورثة من يستمتع بالمال عدد سنين ، و في النهاية ما من وارث إلا وسيموت ، لأن كل مخلوق يموت ولا يبقى إلا ذو العزة والجبروت ، الله عز وجل فهو خير الوارثين .

أصبح لدينا ثلاث موازنات : " فَتَبارك الله أَحسن الْخَالِقين " وهو أسرع الْحاسبين ".. " وَأَنْتَ خَير الْوارِثين ".

أنت مع قصة جديدة إنسان اشترى بيتاً مع أخته مناصفةً ، ودفع كل طرف الثمن بالتمام والكمال ، إلا أن البيت سجل باسم اخته لأنها هي المعنية في الجمعية التعاونية ، ثمن البيت

خمس مئة ألف أصبح بعد حين ثمنه ثمانية عشر مليوناً ، وتعمل أخته في المحاماه ، فقالت له : لابد من أن تأخذ مليوناً واحداً وأن تخرج فالبيت باسمي ، فخرج منـه .. فهـي ذات قـوة وتعرف دخائل القوانين فأخرجته بطريقة ذكية قانونية ، وعنده أكثر من أربعـة عشـر ولـداً فشردتهم بين أهل زوجته وأهله وبقيت وحدها في البيت .. أصيبت بمرض خبيث في أمعائها وعانت منه شهرين ثم توفيت وأخوها هو وريثها الوحيد ، فرجع إلـى البيـت وأولاده معـه واستأثر به ، الله عز وجل قال : " وَأَنْتَ خَيرِ الْوارِثين " .

الإمام الغزالي يرى أن الوارث هو الذي يرجع إليه الأملاك بعد فناء المـلاك ، إذ هـو الباقي بعد فناء خلقه ، وإليه مرجع كل شيء ومصيره ، وهو القائل إذ ذاك : لمن الملك اليوم ؟ وهو المجيب : لله الواحد القهار .

إذا وقف أحدنا أمام سوق الحميدية وقرأ الأسماء على الصفين وغاب خمساً وعشـرين سنة ، سوف يجد الأسماء كلها مختلفة ، فقد استلم هذه المحلات أشخاص جدد ، كل خمسـين سنة تتبدل الأشخاص ويستلم الورثة الجدد ، الأراضي ، والمزارع ، والمحلات ، والبيوت من واحد إلى آخر إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

يتوهم الأكثرون أن لأنفسهم ملكاً ، ينكشف لهم في ذلك اليوم حقيقة الحال أن الملك ليس لهم لكنه للواحد القهار .

إخواننا الكرام ... المؤمن يرى وهو في الدنيا ما سوف يراه جميع الناس عند الموت ، هذه هي بطولته .. والله لو كُشف الغطاء ما ازددت يقيناً .. المؤمنون الكبار يرون وهم فـي الدنيا ما لو كشف الغطاء قبل كشف الغطاء ، أما غير المؤمنين هم هنا في الدنيا فـي أوهـام وفي ضلالات، أما إذا انكشف الغطاء بدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون كما في قوله تعالى :

وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْاْ بِهِۦ مِن سُوٓءِ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُواْ يَحْتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾

(سورة الزمر)

أيها الإخوة ... بطولة المؤمن أنه يرى الحقائق قبل فوات الأوان ، يراها فـي الوقـت المناسب فينتفع منها ، بينما كل الناس بعد فوات الأوان يرون جميع الحقائق قال تعالى :

ءَآلْـٰٔـنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾

(سورة يونس)

وقال تعالى :

هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَـٰتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَـٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَـٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَـٰنِهَا خَيْرًا ۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٥٨﴾

(سورة الأنعام)

فبذلك طوبى لمن رأى أن كل ما في يديه مستخافٌ فيـه ، محاسـب عليـه ، وأن الله سبحانه وتعالى ينظر ماذا يفعل به ، لذلك يحاسب نفسه حسابا شديداً ، أما الجاهل هـو الـذي يظن أن الذي بين يديه ملكه وحصله بجهده وعرق جبينه ، فهو في هذا كقارون الذي قال :

قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ۚ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾

(سورة القصص)

قال تعالى : " فَخَسَفْنَا بِه وبِدارِه الأرض فَما كَان لَه من فئَة ينصرونَه من دونِ الله وما كَان من المنْتَصرِين " .

" قَالَ إِنما أُوتيتُه علَى علْمٍ عندي " .. أي خبرات متراكمه وقد حصلت هذا المال بجهدي وبذكائي ، وبخبراتي ، وبمتابعتي ، وغاب عنه أن الله سبحانه وتعالى وفقه وهناك أذكى منـه ولم يحصل هذا المال .

ولو كانت الأرزاق تجري رجع الحجى هلكن إذاً من جهلهن البهائم .

فالبطولة أن ترى الشيء قبل أن تصل إليه ، أو أن تصل إلى الشيء بعقلك قبل أن تصل إليه بجسدك ، أن تعيش المستقبل ، فهذا كله صائر إلى الله عز وجل .

الإمام الرازي يقول : " الوارث مالك جميع الممكنات هو الله سـبحانه وتعـالى ولكنـه بفضله جعل بعض الأشياء ملكاً لبعض عباده ، فالعباد إنما ماتوا وبقي الحق سبحانه وتعالى ، فالمراد يكون وارثاً هو هذا الله جل جلاله " ، أي أن الله عز وجل مالك الملك ، كـل شـيء يملك هو مالكه وهبه لك ليمتحنك ، إذاً هو ملك الله في يدك ، وهذا الجواب ابلغ جواب .

وقال بعضهم : " الوارث هو الذي تسربل بالصمدية بلا ثناء ، وتفرد بالأحدية بلا انتفاء ".

وقيل : " الوارث الذي يرث بلا توريث أحد ، الباقي الذي ليس لملكه أمـد " ، وذكـر القشيري : " أن الوارث هو الباقي بعد فناء الخلق " .

ويقول بعض العارفين : " الوارث هو الذي تفرد بالأحدية بـلا انتهـاء " ، أي وارث واحد أحد وليس له وارث ، يرث كل خلقه وليس له وارث ، وتسربل بالصمدية بلا فناء الذي لا يرثه أحد ولكنه يمنح من يشاء من عباده الولاية والمدد .

اسم الوارث ورد في مواضع عدة من كتاب الله ففي سورة الحجر قال تعالى : " وإنـا لَنَحن نُحيِ ونُميتُ ونَحن الْوارِثُون " .

وفي سورة مريم قال تعالى : "ـإنا نَحن نَرِثُ الأرض ومن عليها وإلَينَا يرجعون " .

وفي سورة القصص قال تعالى :

وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾

(سورة القصص)

فهنا معنى جديد .. إن الأرض لله يرثها عباده الصالحون ، أحياناً الله عز وجل يـورث الممتلكات لعباده الصالحين إذا إستقاموا على أمره .

وفي سورة الأنبياء قال تعالى : " وزكَرِيا إِذْ نَادى ربه رب لا تَذَرني فَردا وأَنْتَ خَيـر الْوارِثين " .

النبي عليه الصلاة والسلام من دعائه الشهير :

عن خَالِد بن أبي عمران أن ابن عمر قَالَ فلما كان رسولُ الله صلى اللهم عليه وسلم يقُوم من مجلسٍ حتى يدعو بهؤُلاء الدعوات لِأصحابه اللهم اقْسم لنَا من خَشْيتك ما يحولُ بيننَا وبين معاصيك ومن طَاعتك ما تُبلغُنَا به جنتَك ومن الْيقين ما تُهون به علينَا مصيبات الدنْيا ومتعنَا بِأسماعنَا وأبصارنَا وقُوتنَا ما أحييتَنَا واجعله الْوارثَ منا واجعلْ ثأرنَا على من ظَلَمنَا وانْصرنَا على من عادانَا ولا تَجعلْ مصيبتَنَا في ديننَا ولا تَجعل الدنْيا أكْبر همنَا ولا مبلغَ علْمنَا ولا تُسلطْ علينَا من لا يرحمنَا *

(سنن الترمذي)

إذا الإنسان فقد بصره قبل أن يموت من ورث الآخر ؟ هو ورث بصره ، إذا فقد سمعه قبل أن يموت هو ورث سمعه ، أما إذا استمتع ببصره وبسمعه وعقله وقوته إلى أن مات هذه هي التي ورثته ومتعنا اللهم بأسمعنا ، وأبصارنا ، وقوتنا ، وعقولنا مـا أحييتنـا ، واجعلهـا الوارث منا .

وفي بعض الأدعية : إلهي أنت الوارث للعباد ، المتجلي بهذا السر لأهل الوداد ، أشرق على قلبي نور اسمك الوارث الدائم حتى أرى الكل لك وأقبل عليك بقلبٍ هائم ، ورثني يا رب علوم أنبيائك ، وأسرار أصفيائك ، ومواهب أهل سمائك ، ورثني أرض العبودية فـي نفسـي حتى أتكمل ، إنك على كل شيء قدير وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصـحبه وسلم .

ملخص الدرس .. اسم الوارث أي هو الذي يرث خلقه بعد فنائهم لأنه الباقي بعد فنـاء خلقه، كل شيء آيلٌ إليه .

علاقتنا بهذا الاسم .. أن تشعر أن الذي بين يديك ليس لك صائر إلى غيرك يدك عليـه يد الأمانة ، وأنت مستخافٌ فيه ، وعليك أن تحاسب نفسك حساباً عسيرا لأن الله ملكـك مـا ملكك لينظر ماذا ستفعل .

اسم الوارث يجعل علاقة الإنسان بما في يده علاقة الإستخلاف لا علاقة التملك .

والحمد لله رب العالمين

الدرس ٨٣ - اسم الله : "القوي المتين"

بسم الله الرحمن الرحيم

مع الاسم الثالث والثمانين من أسماء الله الحسنى ، والإسم هو القوي ، وقـد ورد في الكتب التي تناولت هذه الأسماء بالدراسة الاسمان معاً القوي المتين ، فهذا الاسم في ترتيب أسماء الله الحسنى يأتي مع المتين .. القوي المتين ، وبينهما مشاركةٌ في أصل المعنى فلنبـدأ باسم القوي.

الإنسان يعجب بالقوة ، ويتأثر بالكمال ، وأحياناً يتأثر بـالقوة وأصـحابها ، فـالله سبحانه وتعالى يجمع في أسمائه بين الكمال والجلال ، فقد قال تعالى :

تَبَـٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَـٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾

(سورة الرحمن)

قد تجد مجموعة صفات أساسها الرحمة ، كاللطف والشفقة ، والعناية ، والحرص ، وهناك أسماء أساسها القوة كالقهار ، والجبار ، والقوي ، والمتين ، فالإنسان كما يتأثر تـأثراً بالغاً بالكمال الإلهي فهو أيضاً يتأثر تأثراً بالغاً بالجلال الإلهي ، لأن الإنسان ضعيف ، وكـل إنسان ضعيف يميل إلى أن يحتمي بقوي .

منذ يومين حدثت مناقشة عن سر هذه الديانات الوثنية ؟ كمن يعبد الشمس ، أو يعبد البقر ، أو إله مختلف كبوذا ، ذلك لأن الإنسان مفطور على تعظيم القوي ، ولأنه ضـعيف لا تركن نفسه إلا أن يستعين بقوي ، فإذا ضل الإنسان عن الله يلجأ إلى ما يتوهم أنه قوي ، لذلك الحاجة إلى التدين حاجة أساسية .

لك صديق قوي تطمئن له ، وتقول : معي رقم هاتفه ، وتشعر أن أية مشكلة سـتحلعن طريقه ، وهذا بالطبع شرك وجهل وخطأ ، وعليك أن تشعر أنك عبد لقوي ، عبد لغني ، فلله الذي تعبده بيده كل شيء ، الذي تعبده إليه مرجع كل شيء ، الذي تعبده قادر على كل شيء ، الذي تعبده غني وقوي وحكم عدل ، فهذا سر توازن نفسية المؤمن لأنه يركن لقوي .

المؤمن ضعيف بنفسه ولكنه قوي بربه ، وهذه القوة ليست ذاتية ولكنه قوي بقوة الله ، غني بغنى الله ، مطمئن لأن الله طمأنه ، متوازن لأن الله يبشره .. فلذلك الاسم القوي اسـم يبعث في النفس الطُمأنينة .

أحياناً تكون علاقة الإنسان مع شخص ضعيف ، يقول له : والله لم أستطع خدمتك ، فقد كان بودي أن أفعل ولكن عيني بصيرة ويدي قصيرة ، فلا بد لمعاملتك من موافقة الجهـة الأعلى ، ولكنها لم تتأمن معي ، فأنت معتمد عليه وواضع كل الثقة فيه ، وتعتقد أنه يسـتطيع أن يقوم لك بهذه الخدمة ولكنه اعتذر لأنه ضعيف فصغر في عينيك ، وما عدت تعتز به .

أما إذا الإنسان اعتز بالله عز وجل فهو أقوى الأقوياء ، أنا ملـك الملـوك ومالـك الملوك ، فليس من الصعب أن تكون عبداً لله لقوي ، اصدق في التوجه إليه واعتمـد عليـه وعندئذ أنت قوي من قوة الله ، غني من غنى الله عز وجل .

قال العلماء : مادة القوة تدل على شدة خلافَ الضعف ، فالقوي عكس الضـعيف ، ورجلٌ شديد القوى أي شديد أسر الخلق .

أحياناً تركب مركبة ومعك خمسة أشخاص في طريق صاعد صعوداً شديداً ولكنهـا تسير، معنى ذلك أن المحرك قوي ، أحياناً تجد في الميناء البحري رافعة ترفع حاوية كبيرة - كونتينر - زنة عشرين أو ثلاثين طناً فالرافعة قوية ، وأحياناً ترى باخرة تبلغ حمولتها مليون طن كبعض ناقلات النفط ، تسير بمحرك جبار .

تجد آلات تقوم بهدم بناء بأكمله ، هذه أمثلة أمامنا ، ولكن هذا الجبل من يزحزحه ؟ تجد بعض الجبال تؤخذ منها الرمال - مقالع - فمنذ أربعين سنة يؤخذ منه يومياً مائة سـيارة ولا يزال شكله كما هو ، فبمحافظة السويداء يوجد جبل نادر في القطر يمدنا برمل مفرغ مثل الإسفنج ، وأعرف منذ أكثر من عشرين سنة تعبأ منه كل يوم مئة سيارة من الرمال السـوداء والجبل ما يزال كما هو ، فمن يستطيع أن يزحزح جبلاً ؟

توجد شركة بألمانيا قامت بنقل بناء كان يجب أن يهدم ، فقامت هذه الشركة بتقـديم عرض تنقل هذا البناء بنصف كلفة بنائه ، فقامت بفصل الأساسات ورفعهـا علـى عجـلات وربطت المجاري وأسلاك الكهرباء والهاتف وبشرط أن السكان لم يغادروه ونقل ثلاثين متراً وهذا البناء مؤلف من ستة طوابق ، فهذه الشركة العملاقة التي قامت بهذا العمل تشعر بأنهـا شركة جبارة ، وهذه الأمثلة أرضية .

لكن حينما ترى أن الأرض تدور بسرعة ألف وستمائة كيلو مترٍ فـي السـاعة .. أسرع طائرة تسير بسرعة من تسعمائة إلى ألف كيلو مترٍ وبعض الطـائرات الأسـرع مـن الصوت كطائرة - الكونكورد - تقترب من سرعة الأرض حول نفسها ، الأرض كـم يبلـغ وزنها ؟ فانظر إلى موقع سوريا على خارطة كبيرة تجدها لا تتسع لكلمة دمشـق العاصـمة

وبحروف صغيرة ، فما بالكم بقارة آسيا ، أو قارة أفريقيا ، أو قارة أمريكا ، أو قارة أستراليا ، القارات الخمس وهذه القارات تبلغ خمس اليابسة في المساحة وأربعة الأخماس الباقية بحـراً ، فهذه الكرة الأرضية من يديرها ؟ ومنذ كم من السنين ؟ والشمس تتسع لمليون وثلاثمئة ألف كرة من حجم الأرض ، والشمس والمجموعة الشمسية كلها نقطة على درب التبانـة ، ودرب التبانة مجرة على شكل عضلة ، تراها في أيام غياب القمر كسحابة بيضاء في السـماء علـى شكل مغزلي وهذه هي مجرتنا، والمجموعة الشمسية بأكملهـا بجميـع كواكبهـا كـالأرض والمشتري وعطارد والمريخ والزهرة وبلوتو وزحل وإلى آخرة نقطة على هذه المجرة ، فمن يدير هذا الكون ؟ فأنت مع القوي .. الذي بيده كل شيء .

قال : القوة تدل على القدرة التامة ..

الإنسان يحمل علبة مكعبة الشكل طولها مثل عرضها مثل ارتفاعها ويبلـغ ضـلعها ستين سنتيمتراً ، أما لو حملْناه علبة بداخلها مواد ثقيلة فتجده لا يقوى على حملها ، ولو حمل إنسان صندوقاً من الحديد وزنه ثلاثمائة كيلو غرامٍ فتجد نفسك قد عظمته كيف حمله ؟ ولو أن صخرة مكعبة الشكل ، طول ضلعها خمسة أمتار ، وطلبت من إنسـان أن يزحزحهـا فلـن يستطيع ، فهذا فوق طاقته ، فما بالك بالجبال ؟.. جبال الهيمالايا مثلاً يبلغ ارتفاعها اثني عشر ألف متر، ولها قاعدة تغوص تحت الأرض أربعة وعشرين ألف متر ، فجميع الجبـال ثلثهـا فوق الأرض وثلثاها تحت الأرض ، فمن خلق هذه الجبال ؟ ومن ألقاها في الأرض رواسي أن تميد بكم ؟ من جعلها أكناناً ؟ من جعلها أوتاداً؟ ومن جعلها مصدات للرياح ؟ من جعلهـا مستودعات للمياه ؟ من جعلها قمماً عاليةً ذات مناخ لطيف ؟ الله عز وجل .

الإنسان عندما ينسى الله ويخضع لقوي من بني البشر ويمحضه كـل وده ، وكـل ولائه وهو ليس على حق ، يكون هذا الإنسان قد ضيع نفسه وباعها بـثمنٍ بخـس ، أمـا إذا عرف الله وجعل كل طاقاته لله عز وجل يكون عرف قيمة نفسه .. أساساً ما عرف قيمة نفسه إلا من باع نفسه لله ، لأنه أحسن الاختيار .

قال العلماء :"القوة تدل على القدرة التامة ، والمتانة تدل على شدة القوة ".

أحياناً نريد قوة تحمل هذه الطاولة ، القوة تدل على القدرة التامة ، أما لو رفعت هذه الطاولة رافعة بإمكانها أن ترفع خمسين طناً ، تكون هذه القوة تامة ومتينة ، تامـة أي كافيـة لإنجاز هذا العمل ، أما عندما يكون معها احتياطي يبلغ مائة ضعف تكون متينة .

فقالوا : القوة تدل على القدرة التامة ، والمتانة تدل على شدة القوة .. إلاّ أنـه فـي المصطلحات الحديثة .. المتانة والقساوة ، فالقساوة هي تحمل قوى الضغط ، أما المتانة هـي تحمل قوى الشد ، فعندنا قوى للشد وقوى للضغط ، فلو وضعنا يدنا فوق مكعب من الفخـار موضوعاً على الطاولة وضغطنا فإذا كسر نقول أن قوى الضغط الواقعة عليه عالية وكبيـرة

جداً حتى إن هذا المكعب سحق ، أما إذا كان لدينا خيط وأردنا أن نمتحن متانته نشده فإذا قُطع نقول متانته ضعيفه ، فالقسوة تحمل قوى الضغط ، أما المتانة تحمل قوى الشد .

لا بد من وقفة قصيرة عند عظمة الخالق ، لا تخطر على بالك أن أسنانك فيها قوة بالغة ، فميناء الأسنان هو ثاني عنصر قاسٍ في هذا الكون بعد الماس ، لا يزيد عليه في قسوته إلا الماس، وهذا الإنسان خلق من ماء مهين ، وهذا الماء صار عظاماً قاسيةً وصار ميناء قاسياً .

إذاً : تمام القوة أن تؤدي مهمتها ، أما متانة القوة أن تكون هذه القوة بالغة الشدة ، فالله تعالى من حيث إنه بالغ القدرة تامها قوى ، ومن حيث إنه شديد القوة متين ، إذاً هو قوى متين ، فكلمة قوى أي تعلقت قوته بكل ممكن ، فكل شيء ممكن قدرته تغطيه ، وقوته شديدة أي متينة .

الله جل جلاله صاحب القدرة التامة البالغة الكمال ، "إن ربك هو الْقَوِي الْعزِيز " .. قال تعالى :

فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَـٰلِحًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ ۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ ﴿٦٦﴾

(سورة هود)

فالضعيف ليس عزيزاً ، الضعيف تضعف عزته أمام أي شيء ، فقد يخجل الإنسان أحياناً فخجله ضعف ، وإذا لم يعرف يصغر ويضعف ، وإذا لم يتمكن من حمل شيء يصغر ، وإذا كانت آلته توقفت أمام عقبةً كأداء يصغر ، أما العزة ألا ينالك أحد فمعنى ذلك أنت عزيز ، فمن لوازم العزة القوة ، فالله سبحانه وتعالى قوى عزيز .. "إن ربك هو الْقَوِي الْعزِيز " .. ولا ننسى أن كلمة (هو) تفيد الحصر والقصر .

وقيل القوي : " هو المتناهي في القوة التي تتصاغر كلّ قوة أمام حضرته ، ويتضاءل كل عظيمٍ عند ذكر عظمته " ، فالله تعالى أعطى الملائكة قوةً كبيرة يستطيع الملك بها أن يقتلع الجبال ويقلب المدن .

بعض الأمثلة على ذلك .. فمنأن الممكن يأتي إعصار على أمريكا ويدمر مدينة بأكملها ولا يبقي فيها شيئاً ، فقد قرأت عن إعصار قبل ثلاثين عاماً بلغت سرعته ألف كيلو مترٍ وهو من أعتى الرياح أتى على مدينة ، وكان فيها بناء ضخم ومتين ، فصاحبه لم يجد أثراً لبنائه ، وقد وجد محرك مركبته بعد أكثر من خمسة كيلو مترات من موقع البناء .

وأحياناً المياه تدمر كل شيء ، والنار تحرق كل شيء ، تجد حريقاً بالغابات قضى على مئتين وخمسين دونماً ، أو على ألفين وخمسمائة دونم ، فالله عز وجل قوي .

ومن الشيء الغريب أن الأشياء الأساسية في حياتنا تنقلب إلى قوى مدمرة ، فالهواء مثلاً أساسي في حياتنا ينقلب إلى مدمر كالرياح المدمرة، والماء أساسي في حياتنا ينقلب إلى قوة مدمرة .

فقد ذكر الله تعالى في القرآن عن هذا الذي أتى بعرش بلقيس ملكة سبأ من اليمن إلى سيدنا سليمان في بيت المقدس فقال : "أَنَا آتيك به قبلَ أن يرتَد إليك طَرفُك " .. فقد قال تعالى :

قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلۡمٌ مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن يَرۡتَدَّ إِلَيۡكَ طَرۡفُكَۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسۡتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضۡلِ رَبِّى لِيَبۡلُوَنِىٓ ءَأَشۡكُرُ أَمۡ أَكۡفُرُۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشۡكُرُ لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾

(سورة النمل)

.. عندما أرادوا إنشاء السد العالي بمصر كانت البحيرة خلف السد ستغمر تمثالاً أثرياً بالمياه ، فتعاونت أكثر من سبعين دولة على نقل هذا التمثال بعد أن قطع على شكل مكعبات ، واشترك في ذلك شركات عملاقة وبروافعها العملاقة ثم نقله من مكانه لمكان آخر ، فقلت سبحان الله هذا عرش بلقيس نقل من سبأ في اليمن إلى بيت المقدس في أقل من لمح البصر ، وهذا ما يذكره القرآن الكريم ، لهذا فالملائكة والجن أُعطوا قدرات تفوق حد الخيال ، لذلك قال تعالى :

يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ إِنِ ٱسۡتَطَعۡتُمۡ أَن تَنفُذُواْ مِنۡ أَقۡطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ فَٱنفُذُواْۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلۡطَٰنٍ ﴿٣٣﴾

(سورة الرحمن)

لماذا بدأ بالجن ؟ قال : لأن الجن أقدر من الإنس على خرق السـماوات والأرض ، والنبي الكريم في بعض الروايات رأى جبريل ملء الأفق ، ملء السماء ، فالملائكـة أوتـوا قدرات عالية المستوى .

ومع ذلك يخشون سطوته سبحانه ، ويرتعدون من هيبته ، وقيل القوي " هو الذي له كمال القدرة والعظمة " ، له كمال القدرة لا يعجزه شيء ، فأحياناً تجد رافعات تقف أمـام عقبة كأداء ، أو تجد سيارات في طريق شديد الصعود تقف ولا تكمل الطريق ، وآلات تعجز عن متابعة المهمات ، والله بالغ القدرة لا يعجزه شيء في السماوات ولا في الأرض ، فأنـت مدعو لأن تكون عبداً للإله القوي ، فإذا كنت عبداً له كنت قوياً بقوته .

قال العلماء : " غالب لا يغلب ، يجير ولا يجار عليه ، فقوته فوق كل قوة ".

قد تجد في الحروب الحديثة دولة قوية عندها من الأسلحة المتطورة فتأتي دولة أقوى منها تحيد أسلحتها كلها ، يكون لديها سلاح ذو فاعلية شديدة جداً ، كأن يقولوا مـثلاً : قنبلـة تركب من أشعة الضوء المركز - آشعة الليزر - ، أو قنابل عنقودية أو قنابل ذكيـة ، فهـذه الدول المالكة للأسلحة الفتاكة تتفوق على الدول الأقل منها قوةً ، إذاً الدولة الضـعيفة ليسـت عزيزة . " غالب لا يغلب ، يجير ولا يجار عليه ، فقوته فوق كل قوة ".

وقيل : " هو الذي لا يلحقه ضعفٌ في ذاته ، ولا في صفاته ، ولا في أفعاله " .

ألا ترون إلى مصارعين أشداء ، رياضيين ، عدائين ، ففي الرياضـة كثيـر مـن الفروع ، انظر إلى هذا البطل في سن الثمانين تجد ظهره قد انحنى ويده ارتجفـت ، وصـعد درجات السلم درجة درجة ، فقد كان في بلاد الشام رجل قـوي إذا أمسـك عربـة يجرهـا حصانان قويان وشديدان يوقفها .

حدثني رجل توفي رحمه الله كان يركب في مركبة عامة وصعد إلى جانبـه هـذا البطل الشديد فرجا السائق أن يوقف له المركبة أمام بيته لأنه لا يقوى أن يمشي مسافة عشرة أمتار ، رجاه رجاء طفولياً .. أين قوته ؟ تلاشت .

اسم القوي جاء في سبع آيات .. الآية الأولى في سورة هود قال تعالى : " فَلَما جاء أَمرنَا نَجينَا صالِحا والذين آمنُوا معه بِرحمة منا ومن خزي يومئِذ إِن ربك هو الْقَوي الْعزيز " .

أنا أركز على كلمة " هو " أي هو وحده القوي العزيز ، فما بال الأقوياء في الأرض ؟ قوتهم مستمدة من قوة الله ، فلو تخلى عنهم لأصبحوا ضعفاء .

أضرب لكم مثلاً على ذلك .. ففي معامل الحديد توجـد رافعـات تعمـل بالجـذب الكهربائي المغناطيسي ، سطح مربع كبير جداً محاط بوشيعة كهربائية يمر بها تيار كهربائي ، فيمكن أن تحمل عشرة أطنان من الحديد ، ولسهولة العمل في هذه المعامل تنتقل الرافعة من

مكان إلى مكان، ويكفي أن تسري الكهرباء في الأسلاك فتحمل عشرة أطنان ، والعامـل فـي هذه الرافعة لو ضغط على زر في أقل من عشر المليمتر من الثانية يفصل الكهرباء عن هـذه الخطوط فتجد كل ما علق في الرافعة يسقط ، وذلك عن طريق عملية الضغط على الزر .

الله عز وجل قوي وإذا منح القوة لأشخاص فبأي ثانية يجعلهم ضعافلا يقدرون على شيء ، إن الله هو القوي ، فقوة الأقوياء من قوته وفي أية لحظة يسلبهم هـذه القـوة والله إذا أعطى أدهش وإذا سلب أدهش .

جاء في الآية الكريمة كلمة ربك التي تذكرني بأنها ، أقرب اسم للإنسان فالرب هـو الذي يربيك ، هو الذي يرعاك ، هو الذي يربي جسدك ، ويربي روحك ، ويربـي نفسـك ، ويعطيك ويمنعك ، ويقلبك على أحوال شتى ، إن ربك الذي يربيك هو وحده " الْقَوِي الْعزِيز " .. فاطمئن ، فتوكل عليه ، والتفت إليه ، وأقبل عليه ، وأخلص له ، ولا تلتفت إلى أحد سواه ، لأنهم لاشيء إلى جانبه .

والآية الثانية في سورة الشورى كما قال تعالى :

ٱللَّهُ لَطِيفٌۢ بِعِبَادِهِۦ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡعَزِيزُ ﴿١٩﴾

(سورة الشورى)

ربي ما أعظمك سبحانك ، يا قوي يا لطيف ، هناك قوي غير لطيف ، أعماله كلهـا قاسيةً .. أما ربنا عز وجل مع أنه قوي عزيز لطيفٌ بعباده ، فالهواء لطيف ، والماء لطيف ، والأرض فيها لطف إلهي كبير ، وإذا ربنا عز وجل أراد أن ينزع سن طفل دون أن يشـعر بأي ألم على الإطلاق ينزعه وهو يأكل يراه في فمه مع لقمة الطعام ، أما أي طبيـب إذا أراد أن ينزع سن طفل فلابد من أن يؤلمه فالله لطيف .

فالماء له سيولة عالية جداً ولكنه مدمر أحياناً ، والهواء لاتراه بعينك ولكنه يحمـل طائرة وزنها ثلاثمائة وخمسين طناً ، فالهواء يحملها.. فاللُطف الإلهي واضح جداً فـي كـل شيء .

وفي سورة الأنفال قال تعالى :

كَدَأۡبِ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيّٞ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿٥٢﴾

(سورة الأنفال)

في الآيتين الأولى والثانية القوي ورد مع العزيز ، فيها تناسب ، أما في الآية الأخيرة قال تعالى : " إن الله قوي شَديد الْعقَابِ " عقابه أليم لأنه قوي ، والإنسان لايخاف تهديد الضعيف .. فقد قيل :

زعم الفرزدقُ أن سيقتل مربعاً .. أبشربطول سلامة يامربع

إذا هددك إنسان ضعيف لاتعبأ بتهديده ، أما القوي إذا هدد فهذا شيء مخيف .. " إن الله قوي شَديد الْعقَابِ " .. لاتعاند من إذا قال فعل .

وقد قال تعالى في سورة الحج :

ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَـٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾

(سورة الحج)

" لَقَوي عزيز " .. " قَوي شَديد الْعقَابِ " .. " لَقَوي عزيز " .

وقال الله تعالى في سورة الحج أيضاً :

مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾

(سورة الحج)

قال بعضهم : " عرفت الله من نقض العزائم " .. أحياناً جهةٌ في الأرض قويةٌ جداً ترتب وتخطط وتحكم ، فإذا كل إحكامها وخطتها وتدبيرها هباء منثورا .. عرفت الله من نقض العزائم .. " ما قدروا الله حق قدره إن الله لَقَوي عزيز " .

فالإنسان في حركته اليومية في الحياة يجب أن يدخل في حساباته أنه ماشاء الله كان وما لم يشأ لم يكن .

فقريش جاءت عن بكرة أبيها ومعها حليفاتها من القبائل ، جاؤوا ليستأصلوا الإسلام في معركة الخندق ، فالمسلمون لم يحاربوا أحداً ولكن الله أرسل على عدوهم رياحـاً عاتيـةً اقتلعت خيامهم وقلبت قدورهم وأطفأت نيرانهم فلم يحتملوا ، هذه الرياح وما نتج عنها : قـد قال تعالى :

وَرَدَّ ٱللَّـهُ ٱلَّـذِينَ كَفَرُواْ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُواْ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّـهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّـهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾

(سورة الأحزاب)

في برمودا مثلث إلى الآن هو سر ، طائرات عملاقة تطير فوقه فتسقط في المياه بلا أي خبر يعرف عنها ، بواخر عملاقة تدخل فيه فتختفي ، وحتى الآن لايزال هذا المثلـث سراً من أسرار الأرض ، كل ما قيل من تحليلات فهي غير كافية لما يجري في هذا المثلث ، "إن الله لقوي عزيز " .

وقد قال تعالى في سورة الأحزاب : " ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيـرا وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزا " .

و موضوع قوة الله عز وجل أكثر ما تبدو في الحروب .. فتجد أنه رغـم الإعـداد الشديد للحرب يخسرها طرفٌ دون آخر لأسبابٍ تافهة .

يحضرني خاطرة : الحروب ثلاث : حرب لا تكون ، وحرب لا تطول ، وحرب لا تنتهي .. الحرب بين حقين لا تكون ، فالحق لا يتعدد ، والحرب بين حق وباطلٍ لاتطول لأن الله مع الحق ، والحرب بين باطلين لاتنتهي لدخول العوامل الأرضية ، الأقوى والأذكى ومن عنده سلاح أكثر جدوى .

وقد قال تعالى في سورة غافر :

ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ فَكَفَرُواْ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّـهُ ۚ إِنَّهُۥ قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢٢﴾

(سورة غافر)

وقد قال تعالى في سورة الحديد :

لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ ۚ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾

(سورة الحديد)

فإنك تجد أحياناً سريراً معلقاً على سلاسل ، آخر السلسلة يوجد حـرف إس - S - قطره أقل من أربعة مليمترات يحمل هذا السرير وعليه خمسة أشخاص وهـو يتحـرك ، ألا تعجب لهذا الحديد الذي يحمل هذا الوزن ؟ وقد تجد أحياناً - تلفريك - وهو مؤلف من غرف ما بين الغرفة والغرفة خمسون مترا ، مئتا غرفة محمولة على شريط حديـدي ، المصـاعد الكهربائية تعلق بالفولاذ المضفور وهو متين جداً ، هذا هو الحديد الذي أنزله الله فيـه بـأس شديد ومنافع للناس .

وقد قال تعالى في سورة المجادلة :

كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي ۚ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾

(سورة المجادلة)

" كَتَب الله " .. الله ليس عنده كتابة ، لكن كلمة كتب لإقناع عباده أن هذا شيء ثابت .. نحن في حياتنا الشيء المكتوب ثابت ، يقول لك معي عقد ، أو معي إيصال ، أو معي سند ، معي تصريح ، معي إقرار ، كل شيء مكتوب ثابت ، أما الشفهيف ضعيف ، فـالله عـز وجل ليس عنده كتابة .. عنده كن فيكون .. ولكن تقريباً لأذهان عباده .

قال الله تعالى : " كَتَب الله لأَغْلبن أَنَا ورسلي إن الله قَوي عزيز " .

آخر آية وهي دقيقة جداً كما قال تعالى :

وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾

(سورة البقرة)

الإنسان غير المؤمن قد يخضع لقوي لتأثره بالقوة ولا يخضع لله ، يتأثر بقوة الجمال فيخضع لهذا الجمال ولا يخضع لله ، يتأثر بقوة العطاء فيخضع للمعطي ولا يخضع لله .

فهذا الذي عصى الله من أجل الناس ، من أجل الأقوياء ، أو الكرماء ، أو من أجـل المتع الرخيصة .. هذا الذي عصى الله من أجل الناس لو كان يعلم قبل أن يعصيه أن القـوةَ لله جميعاً ، قوة العطاء من عند الله ، وقوة الجمال من عند الله ، وقوة كل شيء من عند الله ، لو كان يعلم هذا حق العلم لما عصاه .

فلو عرفت أن مصدر القوة هو الله عز وجل ما عصيته وأطعت مخلوقاً .

قال الله تعالى :

وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾

(سورة الكهف)

انظر إلى عبارة .. " لا قُوةَ إلا بالله " .

ورد في بعض الأحاديث :

عن عبد اللّه بن علقمة بن وقاص قال:إني لعند معاوية إذا أذّن مؤذنه فقال معاوية كما قـال مؤذنه حتى إذا قال: حي على الصلاة قال: لاحولَ ولاقُوةَ إلاّ باللّه ولما قال: حي على الفَـلاح قال: لاحولَ ولاقُوةَ إلاّ باللّه (ولا حول ولا قوة إلا باللّه قيل معناه لا حول عن المعصـية ولا قوة على الطاعة إلاّ بتوفيق الله وقيل الحول الحركة تقول حال الشخص إذا تحرك فالمعنى لا حركة ولا استطاعة إلا بمشيئة اللّه) .

أنـت بحاجة إلى قوة على طاعته .. " وإلا تَصرِفْ عني كيدهن أَصب إليهن " قال الله تعالى على لسان يوسف :

قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾

(سورة يوسف)

أنت بحاجة إلى قوة على طاعته ، لاقوة إلا بالله ، لاقوة على وجه الأرض من آدم إلى يوم القيامة إلا بالله ، الله هو القوي ، وكلّ الأقوياء يستمدون قوتهم من الله عز وجل .

قال الله تعالى :

فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُوا۟ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ۖ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾

(سورة فصلت)

فأحياناً الإنسان لجهله يتكلم كلمات توحي بكفر ، يقول لك : لو أن الله عز وجل شاء لم أفعل هذا الشيء ، يقولها الجهلة ، هذه الكلمة كلمة كفر ، فالله عز وجل قادر بلحظة أن يفنيه .. كن فيكون زلّ فيزول ، لكن بعض الجهلة يقولون مثل هذه الكلمات التي هي كفر بواح وهم لا يشعرون بما يقولون .. فالإنسان كلما ازداد علمه ضبط لسانه واستقام كلامه وسلوكه.

وقد قال الله تعالى في سورة الذاريات :

إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾

(سورة الذاريات)

يرزق لأنه قوي ، فالضعيف لايرزق .

وبعد فماذا نستفيد من هذا الاسم (القوي)... نستفيد من هذا أن الإنسان المؤمن إذا عرف قوة الله تواضع ، لا يجتمع كبر مع معرفة قوة الله عز وجل ، أنت لاشيءإزاء قوة الله عزوجل ، فكلما تمت معرفتك بقوة الله تلاشت قدراتك أمام قوته ، فأصبحت متواضعاً ، والتواضع علم ، المتواضع يعلم حجمه أنه لاشيء وأن الله هو كل شيء .

إذا عرف قدرة الله عز وجل وقوته يتواضع له فيزيده الله قوةً إلى قوتـه ، أمـا إذا وضعه الله في مكانٍ قوي واعتد بقوته فالله عز وجل يجعله مثلاً في الضعف ليتعظ العباد به ، يجعله عبرة لغيرة .

إن الإنسان أحياناً يعتد بقوته أو بماله أو بعمله ، فإذا اعتد بقوته ونسي قدرة الله .. عليه أن يتذكر مقولة الرسول صلى الله عليه وسلم " إعلم أبا ذر أن الله أقدر عليك منك عليه " .

وقف رجل أمام الحجاج فقال له : أسألُك بالذي أنت بين يديه أذل منّي بين يـديك ، وهو على عقابك أقدر منك على عقابي ، فما كان إلا أن عفا الحجج عنه .

ثم لنذكر المعنى الثاني .. إذا نسيت قدرة الله عز وجل جعل الله هذا القوي المتعالي عبرةً لخلقه ، فمن أجل أن تزداد قوةً إلى قوتك اعرف حجمك الحقيقي وتواضع لله عز وجل ، واعترف أمامه بضعفك يزدك قوةً إلى قوتك .

. ما من اسمٍ من أسماء الله الحسنى إلا وله تطبيقات ، ففي الحقيقة عنـدما يتعـرف الإنسان إلى الله عز وجل يسلك سلوكاً صحيحاً ، فيصبح كلامه سـديدا ، وحركتـه أديبـة ، وطاعته لله متينة، وإخلاصه شديداً لأنه عرف الله ، وأصل الدين معرفـة الله عـز وجـل ، والإنسان إذا عرف الله عرف نفسه ، أما إذا جهل ربه جهل سر وجـوده وغايـة وجـوده ، فتجاذبه قوى الأهواء واردته صريعا.

اللهم أعطنـا ولا تحرمنا ، أكرمنا ولا تهنا ، آثرنا ولا تؤثر علينـا ، أرضـنا وأرض عنا ، وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم .

والحمد لله رب العالمين

الـ ـ درس٨٤ – اسم الله : " المتين " .

بسم الله الر حمن الرحيم

أيها الإخوة الكرام ... لعل هذا الدرس هو الدرس الأخير من دروس أسماء الله الحسنى ، والاسم اليوم المتين ، وكان من الممكن أن يكون الدرس الماضي في الاسمين معـاً القـوى المتين ولكن انتهى الوقت ولا زلنا في اسم القوي فأرجأت اسم المتين إلى هذا الـدرس وهـو الدرس الرابع والثمانون والأخير من دروس أسماء الله الحسنى .

أيها الإخوة قبل أن نمضي في الحديث عن هذا الاسم الجليل أريد أن أُنوه إلى أن النبـي عليه الصلاة والسلام حينما كانت تنزل النوازل يقول : لا إله إلا الله الرحمن الرحيم .

ماذا نفهم من هذا الثناء الذي هو في معرض الدعاء ، الثناء دعاء، حينما كـان سـيدنا يونس في بطن الحوت نادى في الظلمات قائلاً :

" لا إِلَه إِلا أَنْتَ سبحانَك إِني كُنتُ من الظالِمين " .. قال تعالى :

" فَاستَجبنَا لَه " .. فالثناء دعاء .. وذلك ورد في الآيتين الكريمتين :

وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَـٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَـٰتِ أَن لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَـٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَـٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۡٔجِى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٨٨﴾

(سورة الأنبياء)

فالنبي عليه الصلاة والسلام حينما كانت تشتد به الأمور يقول :

عن الحارث عن علي رضي الله عنْه قالَ قالَ لِي رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ألا أُعلمك كلمات إِذَا قُلْتَهن غَفَر الله لك وإِن كُنْتَ مغْفُورا لك قالَ قُلْ لا إِله إِلا الله العلي العظيم لا إِله إِلا الله الحليم الكريم لا إِله إِلا الله سبحان الله رب العرش العظيم *

(سنن الترمذي)

ماذا يعني هذا الدعاء ؟ يعني شيئين .. التوحيد والتسبيح ، أي أن أمرك بيد جهة واحدة وهذه الجهة كاملة ، هل من حقيقة تُلقَى على نفس الإنسان أشد تطميناً له من هـذه الحقيقـة ، أمرك كله بيد الله ولا يستطيع أحد غير الله أن يتدخل في أمرك مع الله ، والله سبحانه وتعالى

صاحب الأسماء الحسنى والصفات الفُضلى ، رحمن رحيم ، علي عظيم ، حليم كريم ، فنحن إذا عرفنا الله وصلنا إلى كل شيء .

للإمام عليٍ كرم الله وجهه قولٌ رائع يقول : " أصل الدين معرفته".

أي معرفة الله سبحانه وتعالى .

الذي أتمنى على إخوتنا الكرام أن يعقلوه هو أن النبي حينما دعا الناس إلى الله بماذا بدأ ؟ بدأ بتعريف الناس بالله ثلاث عشرة سنة وهو يعرفهم بالله ، أما حينما انتقل إلى المدينة نزلت آيات التشريع ، الطريق الطبيعي أنك إذا عرفت الله تشعر باندفاع قوي إلى طاعته ، إلى التقرب إليه ، إلى الأعمال الصالحة التي ترضيه ، إلى معرفة منهجه ، إلى معرفة أمره ونهيه ، أما حينما تضعف معرفتك بالله عز وجل تتحايل لأنك لا تجد رغبةً في طاعته ، لا تجد رغبةً في الانصياع لأمره .. إذاً أيةُ دعوة معاصرة إن لم تسلك طريقة النبي عليه الصلاة والسلام في الدعوة إلى ربه لا تنجح .

فلذلك كنت أقول دائماً : إن الإنسان إذا عرف الأمر الموجه إليه من الله ولم يعرف الآمر وهو الله تفنن في التفلت من أمر الله ، تفنن بالحيل الشرعية ، بالتقصير ، بدعة الصعوبة ، وبدعوى الاستحالة ، وبدعوى لأوامر فوق طاقة الإنسان ، بدعوى البلوى العامة ، فهناك كثير من الدعاوى تطرح للتفلت من طاعة الله لا لسببٍ وجيه بل لأن الإنسان عرف الأمر ولم يعرف الآمر ، أما حينما نعرف الآمر قبل الأمر نتفانى في طاعته .

وهذا هو السبب الذي حملني على تدريس أسماء الله الحسنى لسنوات عدة ، نحن مع الاسم الرابع والثمانين أي أكثر من سنة ، ففي السنة اثنان وخمسون أسبوعاً ، أي نحن ندرس قريباً من سنتين أسماء اللهِ الحسنى من أجل أن نعرفه ، لأننا إذا عرفناه أطعناه ، إذا عرفناه تقربنا إليه ، إذا عرفناه أخلصنا له ، إذا عرفناه بذلنا من أجله الغالي والرخيص ، والنفس والنفيس ، أما إذا ضعفت معرفتنا به نبحث عن الحيل الشرعية وعن الفتاوى الضعيفة ، وعن الرخص ، وعن الخلافيات ، ونبحث عن الأعذار الواهية ، وعن كل ما من شأنه أن يغطي انحرافنا وتقصيرنا .

فلذلك من أوجه الدروس التي ينبغي أن نحافظ عليها دروس أسماء الله الحسنى ، في الحقيقة ؛ العلم ميسر إلى درجة مذهله ، فمن الممكن أن نقتني هذه الأشرطة التي مضت دراستها أو أن نستعيرها لنعود إلى الدروس السابقة كلها ، لو أن الإنسان خصص من وقته كل يوم سماع شريط واحد ، وعاد إلى سماع أسماء الله الحسنى اسماً اسماً .لاستفاد كثيراً من خصائص هذه الأسماء ، ولتذكر الكثير مما قد يكون انتسى .

إخوتنا الكرام ... صدقوني ان الإنسان إذا نمت معرفته بالله عز وجل عن طريق حضور دروس العلم ، من دون أن يتكلف عناء الكشف والبحث ، من دون أن يجاهد نفسه

ويحمل المشقة بل يكتفي بالسماع يرى نفسه على الطريق الصحيح ، يرى نفسه منضبطاً ، يرى نفسه مطبقاً والتلقي عن غيره للشرع ، يرى نفسه مع الله وقريباً منه عز وجل ، فالقضية أخطر من أن درساً في هذا المسجد ألقيت فيه موضوعاتٌ عن أسماء الله الحسنى ، القضية أخطر من ذلك لأن أصل الدين معرفة الله عز وجل وقد تمت بإذن الله ، بالتلقي والاستماع ، وإذا عرفت أن الله لا إله إلا هو وعرفت أن أسماءه حسنى ، وأن أمرك بيده وحده انتهى الأمر بك إلى وضوح منهجك واستقامة سبيلك .

اليوم ذكرت في الدروس التي ألقيتها في جامع الطاووسية أن الله عز وجل قال :

ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ٦٢

(سورة الزمر)

إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَ يَطۡلُبُهُۥ حَثِيثٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتِۭ بِأَمۡرِهِۦٓۗ أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٥٤

(سورة الأعراف)

" الله خَالِقُ كُل شَيء وهو على كُل شَيء وكيلٌ ".. " لَه الْخَلْقُ والأمر " .. لو أن الله عز وجل قال : الخلق له ، أو لو أنه قال : نعبد إياك ولو أنه قال : مفاتح الغيب عنده لكان هناك بعد في المعنى عن معنى الآيات الحقيقي وهو بعد فيه خلل كثير في أداء المعنى ، فماذا نستنبط من قوله تعالى : وعنده مفاتح الغيب ، إياك نعبد ، له الخلق ؟..

إذا قلنا : الخلق له .. لا يمنع أن يكون لغيره ، إذا قلنا : مفاتح الغيب عنده ، لا يمنع أن تكون عنده وعند غيره ، إذا قلنا نعبد إياك لا يمنع أن نعبد غيرك ، أما إذا عكسناها وقلنا : إياك نعبد ، وعنده مفاتيح الغيب ، له الخلق .. أي إياك نعبد وحدك يارب ، وعندك مفاتح وحدك يارب ، ولك الأمر وحدك يا رب ، له الخلق وحده ، فتقديم الخبر إذا كان شبه الجملة على المبتدأ يعني الحصر والقصر .

إذاً نحن حينما ندرس أسماء الله الحسنى نريد من هذه الأسماء أن تزيدنا معرفةً بالله عز وجل ، وإذا عرفنا أن الله هو الفعال وهو الكامل انتهى الأمر ، فأمرنا بيده وهو وحده يفعل ما

يشاء ، ما شاء الله كان ، وما لم يشأ لم يكن ، وهو كاملٌ كمالاً مطلقاً ..ومن ثَم ما عليـك إلا أن تتحرك في المهمة التي أُنيطت بك وهي كما قال تعالى :

بَلِ ٱللَّهَ فَٱعۡبُدۡ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾

(سورة الزمر)

الآية الكريمة قال تعالى :

وَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ
وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعۡبُدۡ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾

(سورة الزمر)

" ولَقَد أُوحي إِلَيك وإِلَى الذين من قَبلك " أي إن هذه سنة الله في خلقه ، إن هذه حقيقـةٌ قديمة، وهي حقيقةٌ مستمرة .

" لَئِن أَشْرَكْتَ لَيحبطَن عملُك " .. ما معنى إحباط العمل ؟ إما أن يسقط من حيث القيمة ، وإما أن يسقط من حيث النوعية .. لو فرضنا أن إنساناً يعبد المال مـن دون الله ، أشـرك المال في حبه مع الله فكيف يحبط عمله ؟ قد يجد أن أكثر المشاريع ربحاً هي الملاهي فيقـوم بإنشاء ملهى والأرباح طائلة ولكنه مبني على معاصي الله ، كيف يحبط العمل؟ حينما تعبد من دون الله المال وتجعله إلهك كما قال الله عز وجل :

أَفَرَءَيۡتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلۡمٖ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمۡعِهِۦ
وَقَلۡبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةٗ فَمَن يَهۡدِيهِ مِنۢ بَعۡدِ ٱللَّهِۚ أَفَلَا
تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾

(سورة الجاثية)

" أَفَرَأَيتَ من اتخَذَ إِلٰهه هواه " .. عندئذ تبحث عن عمل مربح وقد تجد بعض الأعمـال الساقطة المنحرفة التي تُبنى على إفساد المجتمع هي أربح المشاريع إذاً .. " ولَقَد أُوحي إِلَيـك وإِلَى الذين من قَبلك لَئِن أَشْرَكْتَ لَيحبطَن عملُك " .. وقد يكون العمل في ظاهره راقياً ، إلاّ أن النوايا ليست تعبداً لله عز وجل بل النوايا المكاسب المادية ، كما لو أنشأت مشفى .. فالغايـة المردود المادي لا مساعدة المرضى ، إذاً إن إحباط العمل من حيث النوع .. إنشاء ملهى مثلاً .

وأما إحباط العمل من حيث القيمة .. إنشاء مشفى ولكن الهدف مادي محض ، لذلك قـد تجد من التصرفات المادية ما يتقزز منها الإنسان ويؤول أمرها إلى أن يحبط العمل ، والعمل يسقط ويتهاوى .

فالعمل إما أن يكون له شكل إنساني تسقط قيمته لأن المادة من ورائه ، وإما أن يكون له شكل منحط ساقط ، وعلى كلٍ فالمشرك يسقط عمله ، أياً كانت قيمته أو نوعيته وأيـاً تقـوم بعملك: يا قُبيس إن لك قريناً يدفن معك وهو حي وتدفن معه وأنت ميت، فـإن كـان كريمـاً أكرمك ، وإن كان لئيماً أسلمك ألا وهو عملك ، تقول له : من أنت ؟!! فيجيبك : عملك .. أما هذا الجسم يفنى، والطعام الذي أكلته يفنى ، البيت الذي سكنته تغادره ، الأهل الـذين عشـت معهم تتركهم ، المال الذي كان في حوزتك لا تستطيع أن تحافظ عليه بعد الموت .. لذلك ماذا يبقى لك ؟ عملك ، وعملك أساسه العلم .

نرجع إلى الأفكار المضغوطة ... الدين أن تعرف الله ، وأن تعمل صالحاً فـي سـبيله تقرباً إليه ، فلذلك لا يمكن أن يصلح العمل إن لم تصلح العقيدة ، والعقيدة أساسها العلم .

نعود إلى اسم الله المتين .. أصل المادة في اللغة يدل على صلابة في الشيء ، فقد لفت نظري ذات مرة قوله تعالى :

إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾

(سورة الذاريات)

وهناك آية فيها :

وَأُمْلِى لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ ﴿٤٥﴾

(سورة القلم)

في العلوم الحديثة .. الحبال التي تقاوم قوى الشد تسمى متينة ، وأمـتن عنصـر فـي الأرض هو الفولاذ المجدول - المضفور - متين لذلك ترفع به المصاعد ، وتعلق عليه الغرف المتحركة التي تسير بين الجبال - التليفريك - لمتانته ، فهو يقاوم قوى الشـد ، إن الشـيء القاسي يقاوم قوى الضغط وأقسى شيء هو عنصر الماس ، وبعده ميناء الأسنان ، فالقسـاوة مقاومة قوى الضغط ، والمتانة مقاومة قوى الشد ، فما الحكمة من قول الله عز وجـل : "إن كيدي متين " ؟ أي كأن الإنسان مربوط بحبلٍ متين لا يمكن أن يتفلت منه مهما تحرك ، مهما قوي ، مهما ذاع صيته ، أو كثر ماله ، مهما نجحت صحته ، إنه مربوطٌ بحبلٍ متين ففي أية لحظة يشد الله الحبل في الإنسان بين قبضة الله عز وجل .

إخواننا الكرام ... قلت لكم في درسٍ سابق إن هناك دعاء للنبي عليه الصلاة والسـلام يقصم الظهر ، كان عليه الصلاة والسلام يدعو ويقول :

عن عبد الله بن عمر قَالَ كان من دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم إنـي أعوذُ بِك من زوال نعمتك وتَحول عافيتك وفُجاءة نقْمتك وجميع سخَطك *

(صحيح مسلم)

تجد أشخاصاً كثيرين أحدهم مثلاً في تمام صحته فجأةً يشعر بشيء ينمو نمـواً طارئـاً وغير عادي يسارع إلى الطبيب فيجد هذا الشيء ورم ، فهل يا ترى هذا الورم خبيث أم حميد ، فيحال فتظهر النتيجة أنه ورم خبيث في أماكن مميتة بلا سبب .

فالإنسان تحت رحمة الله عز وجل فإذا لم يكن مصطلحاً معه ومطيعاً لـه ، ومنيبـاً ، ومقبلاً، ومخلصاً ، ومشتاقاً ، ويقدم للأعمال الصالحة ما تمكنه عنـد الله فمشـكلته مـع الله خطيرة .

إذاً : أصل المادة في اللغة يدل على صلابة في الشيء مع إمتداد وطول صلابة مع إمتداد وطول .. فيمكن لسنتيمترٍ مكعبٍ واحد من الإسمنت أن يحمل تقريبـاً فـي الحـالات الخاصة خمسمائة كيلو غرامٍ ، أما على قوى الشد فلا يتحمل أكثر من خمسة كيلو غرامـات شداً ، فالإسمنت ضعيفٌ على الشد ويحتاج لذلك إلى تسليح ، أما على الضـغط فهـو قـاسٍ ويتحمل ضغوطاً عالية جداً ، إذاً فلا بد من إسمنت مسلح ، فالحديد ضمن الإسمنت ليقاوم قوى الشد ، والإسمنت نفسه ليقاوم قوى الضغط ، هذا معنى قول الله عز وجل : "إن كيدي متين " .. أي أن كل واحد منا شاء أم أبى في قبضة الله دائماً ، شعر أم لم يشعر ، أحس أم لم يحس ، أدرك أم لم يدرك .. "إن كيدي متين " .. والمتْن ما صلب من الأرض وارتفع .

المتن .. المنطقة الصلبة في الأرض المرتفعة ، نقول : أرض متينة ، والممانته المباعدة في الغاية .. أي أن هدفه بعيد ، تشعر أن المتين الشيء الممتد الطويل مع الإحكام ، ومع القوة ، ومع المتانة ، والممانته المباعدة في الغاية ، وسار سيراً مماتناً أي شديداً وبعيداً .

والمتين على وزن فَعيل .. اسم فاعلٌ مبالَغٌ به مشتقٌ من المتانة ، وهي شـدة الشـيء واستحكامه وصلابته .

أحياناً من الممكن أن تضع عشرة أطنان من الحديد ، أو تضع خمسة أطنـان منـه أو ثلاثة أطنان ، فإذا كان بداخله شوائب فَحمية فبالتالي لا يصبح متيناً فيضاعفون الكمية ، أمـا إذا كان خالياً من الشوائب الفحمية فالحديد متين ، ويكفي أقل كمية ممكنة منه وحسب التصميم لتوضع في البناء ، فإذا الإنسان لم يتقن عمله وأنتج حديداً غير متين وغير متقن وبه شوائب فيكلف الإنسان ثلاثة أضعاف ثمن الحديد حتى يطمئن المهندس على البنـاء ، ولكنـه حمـل صاحب البناء ثلاثة أمثال ثمن الحديد لعدم متانة الحديد ، وكما قلنا في دروس سابقة : إتقـان العمل جزء أساسي من الدين .

حضر النبي عليه الصلاة والسلام ذات مرة دفن بعض أصحابه الكرام ، فالذي حفر القبر ثم ردمه أبقى فرجةً صغيرةً ، فقال عليه الصلاة والسلام :

عن عائِشَةَ رضي الله عنْها أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قالَ اكْلفُوا من العمل ما تُطيقُون فإن الله لا يمل حتى تَملوا وإن أحب العمل إلى الله أدومه وإن قل وكان إذَا عملَ عملا أثْبتَه *

(سنن أبي داوود)

إتقان العمل جزء من الدين ..

اليوم تذاكرتُ مع صديق لي وجود كساد عند بعض الحرفين ، وتوقف أعمالهم أحيانـاً فأما المتقن عمله فلا يتوقف ، فبكل حرفة درجات ، فتجد شخصاً من الدرجـة الأولـى ، أو الثانية ، أو الرابعة ، أو الخامسة .. وهكذا .. فالذي في الدرجة الأولى لا يتوقف عن العمـل إطلاقاً لأن الطلبات عليه أشد وأكثر من الوقت المتاح له ، وكل ما تدنّت درجة الإتقان فكـاد عمله أكثر والطلب عليه قليل ويعاني عندئذ من بطالة ، يشتغل أسبوعاً ويتوقف شهراً ، فهـذه بطالة مقنعة ، وعندئذ دخله لا يكفيه ، وهذه قاعدة .. فإتقاننا للعمل هو الذي يسبب التفـوق ، وأنت ادرس الأمر وهذه سنة الله في خلقه أينما ذهبت فالمتقن متفوق ويعمل عملاً مسـتمراً ، والمتقن دخله كبير وفي بحبوحة ، فالإتقان سبب من أسباب زيادة الرزق .

بالمناسبة .. أهم موضوع بعد حياة الإنسان هو رزقه ، فهناك أولويات للإنسان .. فأول شيء سلامته ، فإذا كان صحيحاً من كل الأمراض فقد حقق السلامة ، وبعد السلامة الرزق ، والإنسان إذا أيقن أن الله سبحانه وتعالى لم يسمح لمخلوق أن يتدخل في شأن الحياة والـرزق اطمأن قلبه ، فهذه الروح التي أودعها الله في الإنسان لا يمكن لمخلوق كـائنٍ مـن كـان أن ينزعها منه ، أما إذا بدا لك بالعين المجردة أن فلاناً قتل فلاناً فالمقتول قُتل في أجله ، ففي علم

العقيدة : المقتول يقتل في أجله لا في أجلٍ قبل أجله ، فأمر الحياة منوطٌ بالله عز وجل ، وأمر الرزق منوط بالله عز وجل .

أخطر شيء بوجودك حياتُك ورزقُك ، فالحياة والرزق أمران مقطوع قضاء الله فيهما عن أن يتسلمهما إنسان ، ولو بدا لك أن هذا الإنسان قوي أو أمره نافذ ، ولو بدا لك أنه يفعل ما يريد، إلا أن الحقيقة أن أمر الحياة وأمر الرزق لم يتح لمخلوق أن يتسلمهما ، فبهذا قالوا : كلمة الحق لا تقطع رزقاً ولا تقرب أجلاً .

وبعد فإن المتين كما قلنا قبل قليل : مشتقٌ من المتانة وهي شدة الشيء واستحكامه وصلابته ، وقيل المتين هو الشديد ، يقال : هو متين القوى أي شديد القوى .

ومن المجاز أن نقول : رأي متين ، خطبةٌ متينة ، مقالةٌ متينة أي متماسكة ، فقد يكون الأسلوب قوياً فيقال لك : التراكيب متينة ، أي مشدودة ، متراصة ، محكمة ، فتشعر بتركيب قوي ، وأحياناً تجد التركيب ضعيفاً مهلهلاً غير محكم ، وهذا استخدام مجازي للمتانة .. ومن المجاز رأي متين .

وقيل المتين بمعنى القوي ، فهو على ما يشاء قدير .

إذا قلنا أن الله قوي متين .. أي لا يحتاج في إمضاء حكمه إلى جند أو مدد ، ولا إلى معينٍ أو عضد .. ولا إلى من يعضده .. لأن الله سبحانه وتعالى قوي بذاته ، متين بذاته .

وبالمناسبة .. فالإنسان يحب القوي ويلتفت إليه ، فالله سبحانه وتعالى صاحب الأسماء الحسنى ، فمن القوة قوي ، ومن الغنى غني ، ومن الحكمة حكيم ، وفي الرحمة رحيم ، من اللطف لطيف ، فكلما اشتدت معرفتك بأسماء الله الحسنى اشتد حبك له ، وقد قال عليه الصلاة والسلام : " أرجحكم عقلاً أشدكم لله حباً " .

الآن .. ماذا يعني أن نعرف أن الله قوي متين ؟ قال العلماء : إذا عرفت أن الله قوي متين وأن الأمر كله بيده قطعت الرجاء عمن سواه ، فانظر إلى ما الذي يهلك الناس ؟ الناس يحتاجون إلى بعضهم بعضاً ، فيقفون على أبواب اللئام ، فقد سئل الإمام علي كرم الله وجهه : ما الذل ؟ قال : أن يقف الكريم بباب اللئيم ثم يرده ..

والإمام علي كرم الله وجهه يقول مرةً ثانية : " والله والله مرتين لحفر بئرين بإبرتين ، وكنس أرض الحجاز في يومٍ عاصف بريشتين ، ونقل بحرين زاخرين بمنخلين ، وغسل عبدين أسودين حتى يصيرا أبيضين ، أهون علي من طلب حاجة من لئيمٍ لوفاء دين " .

ولئن عرف الإنسان : أن الله هو القوي .. فقد تبددت أمام ناظريه كل العقبات . ومعنى القوة واسع فسيح ؛ فالقوة لله جميعاً ، حتى القوة في الجمال ، والقوة في العطاء ، والقوة في العلم، وحتى القوة في الحكمة فأعلى الصفات المتعلقة بأسماء الله الحسنى قد توصف بالقوة .. فحينما تعلم علم اليقين أن الله قوي متين تقطع الرجاء من غيره .

و الحقيقة أيها الإخوة ... أن الإنسان ما دام يرجو غير الله فالطريق إلى الله مسـدود ، وأحياناً لحكمة بالغة ما دامت هناك منافذ أرضية فالطريق إلى الله مسدود ، ومتى تلتجئ إليه ؟ حينما تغلق الأبواب كلها ، فأحياناً يطرق الإنسان أول باب فيجده مغلقاً ، والثاني كذلك مغلقاً ، والثالث والرابع مغلقان فيضجر ، عندئذ لا يجد إلا الله ملجأً له ، فهو إذا كان عاقلاً فمنـذ البداية يجب أن يعلم انه لا إله إلا الله .. لكن بسبب ضعف الإيمان في قلبه ، وضعف التوحيد في عقيدته يتجه إلى زيد وإلى عبيد ، وإلى فلان أو علان فيجد ان الطرق جميعهـا مغلقـة ، فيخيب ظنه بالناس جميعا ، فيلجأ بعد ذلك إلى الله .

تُروى قصةٌ لها موعظة في أيام العهد العثماني .. عن إنسان في دمشق افتقر الافتقـار الشديد ، فضاقت به السبل ولم يجد قوت يومه ، وكان له قريب يعمل في منصب رفيع جـداً لدى السلطان العثماني في عاصمة الخلافة العثمانية إسطنبول ، فخطر في نفسه أن يذهب إليه ليعمل هناك في وظيفة معينة فتحل بذلك مشكلته ، فذهب إلى إسطنبول ودخـل علـى قريبـه فرحب به ، وكتب قريبه استدعاء إلى السلطان لتعيين هذا القريب في منصب جيـد ، وكلمـا دخل على السلطان يرى هذا الاستدعاء غير ممهورٍ بخاتم السلطان فيضعه على أعلى الأوراق فيفاجأ بعدم توقيع السلطان له لأكثر من أسبوعين وهو ينتظر ، وكان يبدو أن هذا الموظـف الكبير على شيء من التوحيد وسلامة الاعتقاد فذهب إلى قريبه وتجهم به وأسمعه كلاماً قاسياً ، وأن الضيافة ثلاثة أيام لا مثل هذه المدة فكفاك هذا وأذهب عنا .. فحينما سمع الضيف هـذا الكلام القاسي وهذا الطرد البشع خرج من بيت قريبه هائماً على وجهه وهو يبكي فقد كان هذا القريب أمله الأخير.. لكن هذا القريب أرسل وراءه خادما يتبعه ليعرف أين سيذهب ، فـذهب إلى خان - فندق - ولكن المفاجأة أن السلطان في اليوم التالي وافق على المعاملـة المقدمـة ووقع عليها ، فاستدعاه وأبلغه النتيجة بأن قضيته قد حلت .

وتفسيرها أن كل هذه الأيام كان هذا الضيف الذي أتى من الشام يعلق الآمال كلها علـى قريبه ، نسي الله ، لذلك لم يلهم السلطان أن يوقع على الكتاب ، فلما طرد هذا المسؤول قريبه شر طردة ، وقطع الأمل منه لجأ إلى الله عز وجل ، وعندما أخلص رجـاءه إلـى الله ألهـم السلطان أن يوقع على الكتاب .

فهذه قاعدة مهمةٌ جداً .. كلما علقت الأمل على إنسان خاب ظنك لأن الله يغار أن تعلق الأمل بغيره ، أن تعتمد على غيره ، أن تنقاد إلى غيره ، أن تريـق مـاء وجهـك لغيـره ، فالمؤمن فيما بينه وبين الله ليبالغ في التذلل ، أما فيما بينه وبين الناس فليبالغ في العزة ، أنت مع الناس عزيز ، أما فيما بينك وبين الله ذليل تقطعت بك الأسباب ، وهذا شأن المـؤمن .. " أذلة علَى الْمؤْمنين أعزة علَى الْكافرِين " .. فقد قال تعالى :

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ يُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾

(سورة المائدة)

فالإنسان مع الله يتذلل ويمرغ جبهته في التراب ، أما حينما يقف أمام إنسان يقف عزيز النفس : " لذلك رأى النبي عليه الصلاة والسلام أحد أصحابه في بعض المعارك يمشي متبختراً ، فقال عليه الصلاة والسلام : إن الله يكره هذه المشية إلا في هذا الموطن " .

عن عبد الله بن عمرو قَالَ قَالَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بينَما رجلٌ يتَبخْتَر في حلة إِذْ أمر الله عز وجل به الأرض فَأَخَذَتْه فَهو يتَجلجلُ فيها أَو يتَجرجر فيها إِلى يوم القيامة

(مسند الإمام أحمد)

المؤمن لا ينبغي أن يضعف أمام كافر ، أن يتوسل إليه ، أن يتضعضع له .. من جلس إلى غني فتضعضع له ذهب ثلثا دينه .

إذاً أول تطبيق عملي لهذا الاسم .. مادام الله هو القوي المتين اقطع الأمل ممن سواه ، فلا تجد مؤمناً صادقاً إلا وله مناجاة لله عز وجل يناجيه ، يسترضيه ، يستغفره ، يتوب إليه ، يسأله.. إن الله يحب من عبده أن يسأله حاجته كلها .. إن الله يحب من عبده أن يسأله ملح طعامه.. إن الله يحب من العبد أن يسأله شسع نعله إذا انقطع .. من لا يدعوني أغضب عليه ، إن الله يحب الملحين بالدعاء .

وقيل المتين : " هو الكامل القوة ، الذي بلغت قدرته أقصى الغايات ولا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماوات " .

وقيل المتين : " البالغ الشدة ، فالله شديد القوة والقدرة ، والله متم قدرته ، وبالغٌ أمره " .

وقيل المتين : " المتناهي في المتانة ، يؤثر في الأشياء ولا تؤثر فيه الأشياء " .

ذكر اسم المتين في القرآن الكريم مرةً واحدة في قوله تعالى في سورة الذاريات : " إن الله هو الرزاقُ ذُو الْقُوة الْمتين " .

ووصف كيده بأنه متين فقال تعالى : " وأُملي لهم إن كيدي متين " .

وفي بعض الأدعية : إلهي أنت المتين المعين ، تمد الوجود بالقوة ، وتجعل أحبابك في حصنٍ حصين ، أعطنا متانةً في أجسامنا نصبر بها على الطاعة ، وامنحنا قوةً في قلوبنا نكن بها على السنة والجماعة ، أعطنا مدداً من غيب قدرتك نهزم به النفس والشـيطان والكفـار وأهل العصيان إنك على كل شيء قدير .

يقولون : من علم أن مولاه على كل شيء قدير قطع الرجاء ممن سواه وأفرد له سـره كما قال الخليل إبراهيم عليه السلام .. " ربنَا إني أسكنتُ من ذُريتي بِواد غَيرِ ذي زرعٍ عنْـد بيتك المحرمِ " .. أراد أني سهلت طريقهم إليك ، وقطعت رجاءهم عمن سـواك ثـم قـال .. " ربنَا ليقيموا الصلاةَ ".. أي شغلتُهم بخدمتك خاصةً ، وأنت أولى بهم مني ومنهم .. لذلك قال .. " فَاجعلْ أفْئِدةً من الناسِ تَهوِي إليهم " .. أي إذا احتاجوا إلى شيء ذللت عبادك لهم فإنـك على كل شيء قدير .

وهذا في الآية الكريمة :

رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ ٣٧

(سورة إبراهيم)

الإمام الجنيد قال : سمعت السري يقول : إن في قُرى بغداد لله تعالى أولياء لا يعـرفهم الخلق ، كنت أدور في قرى بغداد لعلي أرى منهم واحداً ، فقال الإمام الجنيـد : هيهـات أن تراهم، ولكن كُن منهم تراهم وأنت في بيتك .

إخواننا الكرام ... من تطبيقات هذا الاسم أن اللائق بالإنسان ألاّ يغتر بقوته لأنه أمـام قوة الله لا شيء ، بل يطالبه الأدب بإظهار الضعف أمام ربه القوي مهما كان المرء غنيـاً ، وأنت مهما كنت قوياً ، مهما كنت صحيحاً ، يجب أن تظهر ضعفك أمام الله عز وجل ..

سيدنا عمر كان يوماً على المنبر يخطب وهو أمير المؤمنين ، فجأةً قطع الخطبة وقال : يا ابن الخطاب - يخاطب نفسه - كنت ترعى غنيمات على قراريط لبني مخزوم . فهذا الكلام ليس له معنى إطلاقاً وليس له علاقة بالخطبة ، فلما نزل سأله عبد الرحمن بن عوف رضـي الله عنه قال : يا أمير المؤمنين ما حملك على ما قلت ؟!! قال : قالت لي نفسي وأنا أخطـب

أنت أمير المؤمنين ، ليس بينك وبين الله أحد - أنت القمة - فأردتُ أن أعرف نفسي حقيقتهـا .. - أن أحجمها - .

فإذا كنت ضعيفاً وربك قوي متين فلا تخف . فأنت عبد القـوي ، عبـد المتـين ، وإذا أعطاك ربك قوة فكنت قوياً ، والقوة لله وحده فلا تغتر بقوتك لأن الله عز وجل كما يدهش في العطاء يدهش في الأخذ .

فكان سيدنا عمر يقول : اللهم كبرت سني وضعفت قوتي ، إنه لا حول ولا قوة إلا بالله .

وكان من أدعية النبي عليه الصلاة والسلام : أعوذ بعزة الله وقوته .

والآن لدي تعليقٌ دقيقٌ أتمنى أن تدققوا فيه .. قالوا : هذا الاسم ؛ اسم القوي المتـين لا يتعارض مع سعي الإنسان ليكون قوياً لأن الله عز وجل يقول :

وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾

(سورة الأنفال)

" وأعدوا لهم ما استَطَعتُم من قُوة ".. أي أن ضعفك وتذللك وافتقارك ، وعبوديتـك ، وتمريغ وجهك في التراب تواضعاً لله عز وجل هذا فيما بينك وبين الله ، أما أمام أهل الدنيا ، أمام المنحرفين ، أمام الكفار يجب أن تظهر قوياً فقد قال تعالى :

وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْىُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾

(سورة الشورى)

قال تعالى : " وأعدوا لهم ما استَطَعتُم من قُوة " ، والنبي عليه الصلاة والسلام يقول :

عن أبي هريرةَ قالَ قالَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم المؤمن القوي خَير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كُل خَير احرص على ما ينْفَعك واستَعن بالله ولا تَعجز

وإن أصابك شَيء فَلا تَقُلْ لو أني فَعلْتُ كان كذَا وكذَا ولكن قُلْ قدر الله وما شَاء فَعلَ فَإن لو تَفْتَح عملَ الشيطَان *

(صحيح مسلم)

" رحم الله عبداً أراهم منه قوةً " .

هذا افتقارك فيما بينك وبين الله ، الصحابة كانوا في الليل رهباناً ، أما في النهار فهـم فرسان ، أما إذا الإنسان تمسكن أمام الناس وأظهر الضعف أمامهم فحنى ظهره مثلاً .. فقـد باء خاسراً مهزوماً في عهد عمر بن الخطاب كان من حنى ظهره علاه عمر بالدرة وقال له : إرفع رأسك يا أخي متى موت علينا ديننا .

فالإنسان ينبغي أن يسير رافع الرأس ، ينبغي أن يظهر أنه قوي ، أما فيما بينه وبين الله فإنه يتذلل .

يروى ان سيدنا عمر كان شديداً جداً فالناس اشتكوا ، فجاءه أبو ذر وقال له : إن الناس هابوا شدتك يا أخي . فقال له : والله يا أبا ذر لو يعلم الناس ما في قلبي من الرحمة لأخـذوا عباءتي هذه ، ولكن هذا الأمر لا يناسبه إلا كما ترى .

إذاً : " المؤمن القوي خير وأحب إلى الله تعالى من المؤمن الضعيف ، وفي كلٍ خير " .

يذكر الإمام البخاري أن من صفة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم كـانوا أهل قوة ، وطريق القوة والمتانة هو طريق الله ، لأن الكتاب الإلهي حبل الله المتين ، ودينـه هو الدين المتين .

" إذا أردت أن تكون أقوى الناس فتوكل على الله ، وإذا أردت أن تكون أغنـى النـاس فكن بما في يد الله أوثق منك بما في يديك ، وإذا أردت أن تكون أكرم الناس فاتق الله " .

تجد الإنسان أحياناً من ضعف إيمانه ومن ضعف توحيده يعلق الآمال بالآخرين ، ويعلق الآمال بكفار ، يريقُ ماء وجهه دونهم ، ويتذلل لهم ، ويتمسكن أمامهم ، فيسقط من عيـونهم وقد سقط من عين الله قبل أن يسقط من أعينهم .

يا أيها الإخوة الكرام .. لأن يسقط الإنسان من السماء إلى الأرض فتـتحطم أضـلاعه أهون من أن يسقط من عين الله .

قالت العلماء : ويعاب أن تشكو الرحيم إلى الذي لا يرحم ، فكلما قوي إيمان الإنسـان يصبح عزيزاً ، ويصبح رافع الرأس ، وكُلّما قوي إيمانه زاد اعتماده علـى الله وهـو أهـل التقوى وأهل المغفرة ، وقال تعالى :

وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ
بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا ٣

(سورة الطلاق)

والحمد لله رب العالمين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعـد الأمـين ، اللهم أعنّا على دوام ذكرك وشكرك وحسن عبادتك ، وارزقنا الشوق إلى لقائك ولذة النظر إلى وجهك الكريم ، اللهم أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه ، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابـه ، وأجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين ، وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم .

والحمد لله رب العالمين

الـ ـدرس ٨٥ – اسم الله : " الستار " .

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الإخوة الكرام ... ذكرت لكم في الدرس السابق أنه قد انتهت أسـماء الله الحسـنى التي وردت في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولكن أسماء الله الحسنى كثيرةٌ جداً ، والتي وردت في القرآن الكريم تزيد عن بضع المئات من الأسماء ، سأُلقي علـى مسـامعكم بعض هذه الأسماء التي لم ترد في حديث رسول الله : الأحد ، المعطي ، الحنان ، المنـان ، الرب ، المطعم، المدبر ، الشافي ، الستار ، المحيط ، القديم ، المسخر ، الجاعل ، الكـافي .. إن شاء الله تعالى سنشرح بعضاً من هذه الأسماء التي يمكن أن نستفيد منها فائدةً كبيرة .

مع الدرس الخامس والثمانين من دروس أسماء الله الحسنى ، والاسم اليـوم السـتار ، وهو من أحب الأسماء إلى المؤمن ، الستار إسم من أسماء الله الحسنى ، وهو اسم زائد علـى الأسماء التسعة والتسعين المشهورة.

الستر في اللغة ما يستر به ، اسم .. وجمعه أستار ، وستَر الشيء أخفاه فانستر ، انستر مطاوع من ستَر .. ينْستر .. انْستَر ، قِيل أن يستر ، تستر أي تغطى ، الستر هـو الحيـاء ، يقال: ما لفلانٍ ستْر ولا حجر أي لا حياء ولا عقل ، الستْر هو الحياء ، فلان لا يستتر من الله بستر أي لا يستحيي من الله بنوعٍ من الحياء ، والستر هو العقل ، مـن كـان عقلـه برأسـه تصرف بحكمة فحجب عن الناس مغيبته .. والستارة .. ما يستتَر به من شيء كائناً ما كان ، وفي الحديث الشريف :

قال أبو حنيفة وأصحابه ، قالوا: إذا خلا بها خلوة صحيحة يجب كمال المهر والعـدة ، دخل بها أو لم يدخل بها؛ لما رواه الدار قطني عن ثوبان قال: قال رسول الله صلى الله عليـه وسلم: (من كشف خمار امرأة ونظر إليها وجب الصداق). وقال عمر: إذا أغلق بابا وأرخـى سترا ورأى عورة فقد وجب الصداق وعليها العدة ولها الميراث. وعن علي: إذا أغلـق بابـا وأرخى سترا ورأى عورة فقد وجب الصداق.

فانتبهوا إلى ذلك .. إذا خطب أحدكم وقد كُتب العقد ، وزار خطيبته ، وأغلـق البـاب وأرخى الستار ، ثم أراد أن يتنصل من هذا الزواج وجب عليه المهر كاملاً ولو لم يدخل بهـا .. ولندقق في قول النبي صلى الله عليه وسلم : " أيما رجلٍ أغلق بابه على امرأة ، وأرخـى دونها أستاره فقد تم صداقُها " .. أي وجب صداقها ..

إذا عقد إنسان على امرأة ولم يدخل بها وجب عليه نصف المهر ، أما إذا دخـل بهـا وجب عليه كل المهر ، أما إذا عقد عقده عليها وزارها وأغلق الباب وأرخى الستر ولـو لـم يدخل بها وجب المهر كاملاً ، هكذا قال عليه الصلاة والسلام .

فلان هتك ستر فلان .. أي أطلعه على معاييه ، والاستتار الإختفاء ، وفي التنزيل قـال تعالى :

حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطۡلِعَ ٱلشَّمۡسِ وَجَدَهَا تَطۡلُعُ عَلَىٰ قَوۡمٖ لَّمۡ نَجۡعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتۡرٗا ﴿٩٠﴾

(سورة الكهف)

والستار في حق الله تعالى كثير الستر لعيوب عباده ، الستار صيغة مبالغـة ، سـتَر ، يستُر ، ساتر ، ستار ، الستار صيغة مبالغة أي كثير الستر، أو شديد الستر ، أي مهما تكـن الأعمال مشينة ..

لله أفرح بتوبة التائب من الظمآن الوارد، ومن العقيم الوالد، ومن الضال الواجد ، فمن تاب إلى الله توبة نصوحا أنسى الله حافظَيه وجوارحه وبقاع الأرض كلها خطاياه وذنوبه

التخريج (مفصلا): أبو العباس بن تركان الهمذاني في كتاب التائبين

فإذا جاء اسم الله مبالغاً به ، فالمبالغة على نوعين .. كمية ، ونوعية .. أي أن الله غفار يغفر مليون ذنبٍ ، ويغفر أكبر ذنب ، فإذا استخدمنا صيغة المبالغة في أسـماء الله الحسـنى فالمبالغة على نوعين ، مبالغة نوعٍ ، ومبالغةُ عدد .

الستار في حق الله تعالى كثير الستر لعيوب عبادة ، فسبحان الله .. الإنسان العادي من شأنه أن يظهر القبيح ويخفي المليح ، وقد دعا النبي عليه الصلاة والسلام فقال :

تعوذوا بالله من ثلاث فواقر: جار سوء إن رأى خيرا كتمـه، وإن رأى شـرا أذاعـه؛ وزوجة سوء إن دخلت عليها لسنتك ، وإن غبت عنها خانتك ؛ وإمام سوء إن أحسنت لم يقبل ، وإن أسأت لم يغفر .

التخريج (مفصلا): البيهقي في شعب الإيمان عن أبي هريرة

لذلك فأصغ سمعك وقلبك لزوجة القاضي شريح عندما قالت له : أما بعد .. فيا أبا أمية إني امرأةٌ غريبة لا أعرف ما تحب ولا ما تكره ، فقل لي ما تحب حتى أُتيه ، وما تكره حتى أجتنبه، ويا أبا أُمية لقد كان لك من نساء قومك من هي كفؤٌ لك ، وكان لي من رجال قـومي من هو كفؤٌ لي ، ولكن كنتُ لك زوجةً على كتاب الله وسنة رسوله ليقضـي الله أمـراً كـان

مفعولا ، فاتّق الله في وامتثلْ قوله تعالى : " فَإمساك بمعروف أو تَسريح بإحسانٍ ".. ثم قعدت ، قال فألجأتني إلى أن أخطب فقلت لها :

أما بعد .. فقد قلت كلاماً إن تصدقي فيه وتثبتي عليه يكن لك ذخراً وأجراً ، وإن تدعيه يكن حجةً عليك ، أحب كذا وكذا ، وأكره كذا وكذا - الشاهد من هذا الكلام هو - وما وجدت من حسنة فانشريها ، وما وجدت من سيئة فاستريها :

ٱلطَّلَـٰقُ مَرَّتَانِ ۖ فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَـٰنٍ ۗ وَلَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَأۡخُذُواْ مِمَّآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ شَيۡـًٔا إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ ۖ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَا فِيمَا ٱفۡتَدَتۡ بِهِۦ ۗ تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعۡتَدُوهَا ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٢٢٩﴾

(سورة البقرة)

إخواننا الكرام ... من أرقى صفات المرأة المؤمنة أنها ستيرة ، فالإنسان في بيته أحياناً يغضب ، وأحياناً يفتقر فلا تجد بين يديه مالاً فيأكل أخشن الطعام ، وأحياناً ينضغط من الخارج فينفجر في الداخل ، والمرأة المؤمنة لا تفضح زوجها ، لا تنشر قصصه بين الناس ، لا تعطي الناس أسوأ صورة عن زوجها ، المرأة المؤمنة ستيرة ، يقول عليه الصلاة والسلام :

" إنّي أكره المرأة تخرج من بيتها تشتكي على زوجها " .. أكرهها .. " لا ينظر الله إلى إمرأة لا تشكر لزوجها وهي لا تستغني عنه ".

فالستار في حق الله تعالى كثير الستر لعيوب عباده قال تعالى :

أَوۡ يُوبِقۡهُنَّ بِمَا كَسَبُواْ وَيَعۡفُ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٤﴾

(سورة الشورى)

من كمال ربنا عز وجل أنه يظهر الحسن ويستر القبيح ، الإنسان من لؤمه يظهر القبيح ويستر الحسن ، فالمؤمن كلما اقترب من الله يتخلق بأخلاق الله ، الله ستار والمؤمن ستار ، يستر العيوب .

وبعد ، أدب الإسلام يدعو المؤمن إلى أن يستتر ولا يجاهر بالمعصية ، كلكم يعلـم أن هناك عاصياً ، وأن هناك فاجراً ، فالعاصي مثلاً كالذي يفطر في رمضان ، من هو الفاجر ؟ الذي يفطر في الطريق أمام الناس ، إذا جاهرت بالمعصـية بالمعصـية فالمجـاهر فـاجر ، والفاجر لا غيبة له ، لأنه لا يستحي من هذه المعصية فهو يذكرها للناس ، هو يـري النـاس معصيته .. وقد ورد : " إذا بليتم بالمعاصي فاستتروا ".

على من يقع حد الرجم ؟ يقع على الزانية الفاجرة التي استطاع أربعة من الرجـال أن يروها وهي تزني ، أي أنها لا تُبالي ، فحد الرجم ليس على الزانية المحصنة فحسب بل على الزانية المحصنة التي تمكن أربعةُ رجالٍ من أن يروها وهي تزني ، ما اسمها إذاً ؟ فاجرة .. فقد قال تعالى :

إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ٣٣

(سورة المائدة)

" إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فَسادا أن يقَتلُوا " هل من فساد أشد من أن يزني رجل محصن له زوجة وأولاد بامرأة محصنة لها زوج وأولاد جهـاراً حتى تمكن الشهود من أن يروها وهي تزني ؟ إذاً : " إذا بليتم بالمعاصي فاستتروا " .

وقد نعى القرآن الكريم على الذين لا يستترون من غيرهم أو من جوارحهم فقال تعالى :

وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا
شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾
وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ
وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن
يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ
ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾

وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ
﴿٢٣﴾ فَإِن يَصْبِرُواْ فَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ۖ وَإِن يَسْتَعْتِبُواْ فَمَا هُم مِّنَ ٱلْمُعْتَبِينَ
﴿٢٤﴾

(سورة فصلت)

أيها الإخوة ... قال تعالى :

ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُواْ
يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾

(سورة يس)

يروى أن النبي عليه الصلاة والسلام استأجر أجيراً فرآه يغتسلُ عرياناً لا يستتر بستر فقال له عليه الصلاة والسلام : خذ أجارتك لا حاجة لنا بك إني أراك لا تستحيي من الله .

بالمناسبة .. الإسلام أمر بالتستر في مواضع ، منها التستر عند الغُسل ، وعند اللقاء الزوجي ، وعند قضاء الحاجة .

فقد حدثني صديق ذهب إلى بلد شرقي من البلاد التي يؤمن أهلها بأنه لا إله ، كان يدرس في جامعة من أضخم الجامعات ، فدورات المياه في هذه الجامعة بهو كبير جداً يتسع لمئة دورة مياه بلا ستر ، كل الناس يقضون حاجاتهم أمام بعضهم بعضاً .. أدب الإسلام

ينبغي أن يستتر الإنسان في مواضع ، عند الغُسل ، وعند اللقاء الزوجي ، وعند قضاء الحاجة .

وقد روى أبو داوود والنسائي وأحمد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

عن عطاء عن يعلى أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم رأى رجلا يغْتَسـلُ بِـالبراز فَصعد المنْبر فَحمد الله وأَثْنَى عليه وقَالَ إن الله عز وجل حليم حيي سـتير يحـب الحيـاء والستْر فَإِذَا اغْتَسلَ أَحدكُم فَليستَتر *

(رواه أبو داوود والنسائي وأحمد)

ستار ، وستير ، فعال ، وفعيل .

فالإنسان كلما اقترب من الإيمان يزداد تستراً ، وكلما تفلت من قواعد الشرع يقل تستره ، فالآن جاءتنا مظاهر من الغرب وتفشت في بعض الناس ، تجد إنساناً يسافر من بلد إلى بلد آخر ببنطال قصير ، وممكن أن يخلع معظم ثيابه ويقوم بعمل ما .

وقد ورد في الحديث الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم يقول:

عن سالِم بن عبد الله قَالَ سمعتُ أَبا هريرةَ يقُولُ سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليـه وسلم يقُولُ كُل أُمتي معافًى إِلا المجاهرين وإن من المجاهرة أَن يعملَ الرجلُ بِالليل عملا ثُم يصبح وقَد سترَه الله عليه فَيقُولَ يا فُلان عملْتُ البارِحةَ كَذَا وكَذَا وقَد بـاتَ يسـتُره ربـه ويصـــــــبح يكْشـــــــفُ ســـــــتْر اللـــــــه عنْـــــــه

(صحيح البخاري)

أليس في بيوت المسلمين الفتيات الشابات يقمن بثيابٍ رقيقة أمام إخوتهن ، وهناك إخوةٌ يقومون بثياب داخلية أمام أخواتهم ، وأمام أمهاتهم وآبائهم ، هذا التبذل في البيت فيمـا بـين الإخوة، وفيما بين الأخوات ، وفيما بين الإخوة والأخوات ، وفيمـا بـين الآبـاء والأبنـاء ، والأبناء والآباء ، والبنات والأمهات ، هذا مخالفٌ للشرع ، كلما ازداد إيمانك ازداد التسـتر ، وكلما بعد عن الإيمان تفلت من الستر ، وإن من المجون أن يعمل الرجل بالليـل عمـلاً ثـم يصبح فيقول : يا فلان عملت البارحة كذا وكذا ، وقد بات يستره ربه ويكشف هـو سـتر الله عليه .

من أخطر الأعمال أن يحدث الناس بعضهم بعضاً بما لا ينبغي أن يتحدثوا به ، الأسرار الزوجية أسرار مصونة لا ينبغي أن تشيع ، في أكثر من مجتمع يتحدث الأزواج عن زوجاتهم وعن لقاءاتهم ، وتتحدث الزوجات عن أزواجهن وعن لقاءاتهن ، وهذا من أكبر المعاصـي ، لأن هذا ينبغي أن يبقى سراً بين الزوجين .

ذكرت لكم سابقاً أن امرأةً تعمل في الفن في بلاد غربي وهي امرأة فاسقة فاجرة لكنهـا تكلمت بصدق سئِلت عن شعورها وهي على خشبة المسرح - وقد حفظت كلامها لدقته البالغة

- قالت : إن شعوري شعور الخزي والعار ، وهو شعور كلٌ امرأة تعـرض مفاتنهـا علـى الناس ، إن الحب يجب أن يبقى بين الزوجين وفي غرف مغلقة .

فموضوع الستر إذاً أنه كلما تفلت الناس وكلما اقتربوا من طباع الغرب وعاداته ، وكلما تغذوا بالثقافات الغربية التي تأتيهم عبر الصحون التي على أسطح المنازل ، وكلما تفلتوا مـن ثيابهم في بيوتهم ، وكلما تفلت الإنسان من ثيابه كان هناك إحتمال الإنزلاق ، والذي لم نكـن نعرفُه إطلاقاً وبدأنا نعرفه ، بلادنا والحمد لله لا تعرف ما يسـمى بزنـى المحـارم ، أي أخٌ وأخته ، وأب وابنته ، وأم وابنها ، لكن بدأت تظهر هذه الحالات والكلام مؤلم جداً بدأت تظهر هذه الحالات في بلادنا ، فحالات زنى المحارم أصبحت موجودة ، فحينما يأمر الشرع الحنيف ألا تظهر امرأة على أُختها بملابس فوق الركبة هناك حكمةٌ بالغة ، حتى بين الأخوات ، حتى بين البنت وأمها ، هناك حدود أما إذا رفعنا الحدود ربما انزلق الناس إلى ما لا يحتمل .

حدثني رجل وهو يبكي .. فقلت له خيراً إن شاء الله ! قال : لي : ابنةٌ في البيت ، فقد تركت بيت زوجها لمشكلة بينها وبينه ، وابني في البيت أيضاً وهناك مشكلة بينه وبين امرأته ، فجأةً بدأت ابنتي تتألم من بطنها ، فأخذتها أمها إلى الطبيب فطلب منها الطبيب فحصاً للحمل ، فإذا هي حامل ، وظهر أن الحمل من أخيها وهي متزوجة وأخوها كذلك ، وحينمـا علـم المسؤولون بالأمر أُودع الابن في السجن ، والبنت في السجن ، فهـذه مصـيبةٌ مـن أكبـر المصائب.. إذا كان هناك تفلت ، وتكشف ، فالشرع ليس قيوداً لحرية الإنسان ، ولكنه ضمان لسلامته ، تماماً كما لو كنت في مكان ورأيت لوحةً كتب عليها انتبه حقل ألغام ، فهل تعد هذه اللوحة تقييداً لحريتك ، أم ضماناً لسلامتك ؟ إنها ضمان لسلامتك ، أنا لا أتكلـم مـن فـراغ فبحكم عملي في الدعوة إلى الله تأتيني قضايا كثيرة ، قضايا زنى المحارم وردت بشكلٍ غير معقول ، بسبب التفلت .

قد ذكرت لكم أن أحد خطباء دمشق ألقى من على منبر النبي عليـه الصـلاة والسـلام خطبةً ذكر فيها ما يلي قال : جاءني رجل وحدثني بمشكلة وقعـت فـي بيتـه ورجـاني أن أعرضها على الناس من على المنبر لأنها وقعت معه ، ليأخذ الآباء حذرهم فما الذي حـدث ؟ أنه كان يتابع بعض المحطات الغربية من خلال هذا الصحن المشؤوم فظهر منظر لا يحتمـل فأدار المؤشر إلى محطة أُخرى .. الابن حفظ رقم المحطة .. ثم يقول : في الساعة الثانية ليلاً سمعت أنيناً فاستيقظت فإذا إبني فوق ابنتي وابني الآخر فوق ابنتي الأُخرى في غرفة الجلوس ، وقال للخطيب معي حدث هذا وأذكر قصتي من فوق المنبر لعل الآباء يعتبرون .

أقول هذا الكلام لأن هناك أخطاراً بدأت تهدد المسلمين ، فأكبر شيء يجر الإنسان إلـى المعاصي موضوع النساء ، وموضوع المال وقد ذكرت هذا من قبل .

وفي حديث مسلم رحمه الله تعالى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

" عن سالِم بن عبد الله قالَ سمعتُ أبا هريرةَ يقُولُ سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقُولُ كُل أُمتي معافًى إلا المجاهرين وإن من المجاهرة أن يعملَ الرجلُ بالليل عملًا ثُـم يصبح وقد ستَره الله عليه فَيقُولَ يا فُلان عملتُ البارحةَ كذَا وكذَا وقد بـاتَ يسـتُره ربـه ويصبح يكْشفُ ستْر الله عنْه "

(رواه مسلم)

فإذا تفضلَ الله عز وجل تفضل بستره على عبد في الدنيا فإن هذا الستر يستمر إلى يوم القيامة .

وروى أبو داوود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه :

حدثَنَا ابن أخي ابن شهابٍ عن عمه قالَ أخْبرني أبو إدريس عائِذُ الله أن عبـادةَ بـن الصامت من الذين شَهدوا بدرا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومـن أصـحابه ليلـةَ العقَبة أخْبره أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قالَ وحوله عصابةٌ من أصـحابه تَعـالوا بايعوني على أن لا تُشْركُوا بالله شَيئًا ولا تَسرقُوا ولا تَزنُوا ولا تَقْتُلُوا أولادكُـم ولَ تَـأْتُوا ببهتَانٍ تَفْتَرونَه بين أيديكُم وأرجلكُم ولا تَعصوني في معروف فَمن وفَى منكُم فَأجره على الله ومن أصاب من ذَلك شَيئًا فَعوقب به في الدنْيا فَهو له كفارةٌ ومن أصاب من ذَلك شَيئًا فَستَره الله فَأمره إلى الله إن شَاء عاقَبه وإن شَاء عفَا عنْه قالَ فَبايعتُه على ذَلك *

(رواه أبو داوود)

دققوا أيها الإخوة ... لو أن إنساناً اقترف معصية ليس مكلفاً إطلاقاً أن يبلغ عـن هـذه المعصية أحداً ، فما دام لم يدر به أحد فمعنى ذلك أن الله أسبل عليه ستره ، ويقترف معصيةً كبيرة حينما يفضح نفسه .

في عهد النبي سأل النبي أصحابه قائلاً : من له سؤال ؟ قال أحدهم : إننـي نـؤوم يـا رسول الله . فقال عمر : ويحك فضحت نفسك ! قال : دعه يا عمر فضوح الدنيا خيـر مـن فُضوح الآخرة ، اللهم أذهب عنه النوم إذا شئت .

فإذا اقترف الإنسان ذنباً فليس مكلّفاً شرعاً أن يبلغ عن نفسه ، ما دام لم يدرِ بـه أحـد معنى ذلك أن الله أسبل عليه ستره ، فإذا فضح نفسه كأنه ارتكب معصيةً جديده .. هذا حكـم شرعي .. أنت لست مكلّفاً أن تفضح نفسك ما دام الله قد سترك .

شيء آخر .. لو لم تكن ممن يكلف بتنفيذ أمر الله ، فأنت إنسان عادي لست كالإمام فإذا اقترف إنسان آخر معصيةً أمامك لست مكلّفاً أن تُبلغ عنه ، أما الإمام إذا بلغه أحـد أنـه قـد انتُهك حد من حدود الله فلا عفا الله عنه إن عفا ، فالإمام شيء والمؤمن شيء ، فالمؤمن ليس مكلّفاً أن يفضح نفسه ولا أن يفضح غيره ، أما الإمام إذا بلغه عن أحد أنه قد اقترف حـداً أو اقترف ما يوجب الحد فلا عفا الله عنه إن عفا .

لذلك ورد في البخاري :

عن ابن شهابٍ أن سالِما أخْبره أن عبد الله بن عمر رضي اللـه عنْهمـا أخْبـره أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قالَ المسلم أخُو المسلم لا يظْلمه ولا يسلمه ومن كان فـي حاجة أخيه كان الله في حاجته ومن فَرج عن مسلمٍ كُربةً فَرج الله عنْه كُربةً من كُربات يومِ القيامة ومن ستَر مسلما ستَره الله يوم القيامة *

(رواه البخاري)

وهذا الذي بلغ النبي عن إنسان يزني فقال عليه الصلاة والسلام : ألا سترته ولو بثوبك فكان خيراً لك .

فهذا حكم شرعي .. ليس القصد أن تقطع الأيدي ولا أن يجلد الناس ، فالقصد أن تكون الحدود الشرعية رادعةً للمسلمين ، لذلك حينما يطالب الشرع بأربعة شهود رأوا حالـة الزنـا رأي العين هذا شرط شبه مستحيل وهو شرط تعجيزي . الهدف منه أن يكون هذا الحد رادعاً لا أن يكون مطبقاً .

ومما يدل على محبة الله الستار بإخفاء الذنوب والمعاصي قوله تعالى :

إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَـٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾

(سورة النور)

أي أن هذا الذي يحب أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا له عذاب أليم في الدنيا والآخرة .. ماذا فعل ؟ لم يفعل شيئاً إلا أنه تمنى أن تشيع هذه الفاحشة ، معنى ذلك أنـه فـي خنـدق المنافقين ، لو كان في خندق المؤمنين لآلمه هذا الأمر أيما إيلام ، فلمجرد أنه رضي أو تمنى أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا معنى ذلك أنه ليس مؤمناً .. فقد قال تعالى :

إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا۟ بِهَا ۖ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾

(سورة آل عمران)

قال ابن كثير : " هذه الآية تأديب لمن سمع شيئاً من الكلام السيئ فقام بذهنه منه شـيء وتكلم به " .

سمعت قصة لا تليق بمؤمن و لا ينبغي أن تروجها ، لا ينبغي أن تنقلها ، لا ينبغـي أن تفرح بها ، إن فرحت بها فلست مؤمناً ، وإن روجتها فقد سببت فتنـة لا يعلـم إلا الله متـى تنتهي.. ففي بعض الأحيان خطأ بسيط قد ينتهي بجريمة ،

أنا ذكرت لكم نقلاً عن أحد مخابر التحليل أن إنساناً توجد بينه وبين ابنته مشكلة ، شك بابنته ، فطلب منها إجراء تحليل . فالموظف في هذا المخبر وقعت منه العينة فانكسرت فخاف من سيده فكتب نتيجة التحليل حمل إيجابي ، فلما جاء الأب مساء وتلقى النتيجة أنها إيجابيـة فذهب وقتل ابنته مع أن النتيجة غير صحيحة والبنت بريئة .. فهؤلاء الذين يسـمعون قصـةً لعلها كاذبة ، و قذف محصنة يهدم عمل مئة سنة ولعلها قصة كاذبة ، إذا نقلها وروجها فمـا أدراك قد تقع جريمة من أجلها ، فقضايا الأعراض خطيرة جداً ، فلذلك هؤلاء الذين يرمـون المحصنات الغافلات المؤمنات عليهم أن يجلدوا ثمانين جلدة وأن يفقدوا حقهم المدني فلا تُقْبل شهادتهم أبداً لعظم حق المرأة المؤمنة عند الله .

هناك معنى آخر ذكره بعض العلماء وهو أن الذي يفعل شيئاً قبيحاً ويحدث الناس بـه كأنه أراد أن تفشو الفاحشة في الذين آمنوا ، ألم تسمعوا بالقول : رحم الله عبداً جب الغيبة عن نفسه

الآن إليك معنى آخر : إنسان فعل فاحشة ، والفاحشة انتقلت وشاعت وسرت بين الناس ، ما الذي حصل ؟ إن هذا العمل القبيح شاع بين الناس ، وكلما شاعت الفـاحش اسـتمرأها الناس ، وأقبل عليها ولم يروا بها شيئاً خطيراً .. أيضاً هذا المعنى آخر .

وعن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم :

عن ثَوبان عن النبي صلى الله عليه وسلم قَالَ لا تُؤْذُوا عباد اللـه ولا تُعيـروهم ولا تَطْلُبوا عوراتهم فَإنه من طَلَب عورةَ أخيه المسلمِ طَلَب الله عورتَه حتى يفْضحه في بيته * (مسند الإمام أحمد)

يوجد أشخاص - سبحان الله - همهم تتبع العـورات ، قـنص الـزلات ، همهـم أن يصطادوا في الماء العكر ، أن يبحثوا عن زلة فيشيعوها ، هؤلاء يتتبعون عورات النـاس .. من تتبع عورة أخيه المسلم تتبع الله عورته حتى يفضحه في عقر داره .

وقد قال عليه الصلاة والسلام حينما أمر أن يستر الإنسان ذنبه قال عليه الصلاة والسلام :

عن أبي اليسر قَالَ أَتَتْني امرأَةٌ تَبتَاع تَمرا فَقُلْتُ إن في البيت تَمرا أَطْيب منْه فَـدخَلَتْ معي في البيت فَأهويتُ إليها فَتَقَبلتُها فَأَتَيتُ أبا بكْرٍ فَذَكَرتُ ذَلِك له فَقَالَ استُر على نَفْسك وتُب

ولا تُخْبِر أحدا قَدْم أصبر فأتَيتُ عمر فَذكرتُ ذَاك له فَقَالَ استُر على نَفْسك وتُـب ولا تُخْبِـر أحدا قَدْم أصبر فأتَيتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فَذكرتُ ذَاك له فَقَالَ أخَلَفْتَ غَازيا في سبيل الله في أهله بِمثْل هذَا حتى تَمنى أنه لم يكُن أسلم إلا تلْك الساعةَ حتى ظَن أنـه مـن أهل النار قَالَ وأطْرقَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم طَويلا حتى أوحى الله إليـه (وأقـم الصلاةَ طَرفَي النهار وزلفًا من الليل) إلى قَوله (ذكْرى لِلذاكرين) *

(سنن الترمذي)

وفي حديث الدعاء :

عن جبير بن أبي سليمان بن جبير بن مطْعم قَالَ سمعتُ ابن عمر يقُولُ لم يكُن رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يدع هؤُلاء الدعوات حين يمسي وحين يصبح اللهم إنـي أسـأَلُك الْعافيةَ في الدنْيا والآخرة اللهم إني أسأَلُك العفْو والْعافيةَ في ديني ودنْياي وأهلـي ومـالِي اللهم استُر عورتي وقَالَ عثْمان عوراتي وآمن روعاتي اللهم احفَظْني من بين يـدي ومـن خَلْفي وعن يميني وعن شمالِي ومن فَوقي وأعوذُ بِعظَمتك أن أُغْتَالَ من تَحتي

(سنن أبي داوود)

أيها الإخوة أعتقد أن المؤمن الصافي حينما يسمع قصة ويكتمها يشعر بسعادة لا يعلمها إلا الله ، فالنفس تميل للفضائح ، الإنسان يميل إلى أن يضحك الناس فيقول : هل سمعتم فلاناً ماذا فعل ؟ هل عرفتم لماذا طلق زوجته ، هل عرفتم فلاناً عندما صاحب فلاناً كيف خانه مع زوجته، هذه قصص يراها مرضى القلوب ممتعة ويحب الناس أن يروووها ويتحدثوا بها فـي مجالسهم ، دائماً التكليف يتناقض مع طبع الإنسان ، لكن الفطرة تتوافق مع التكليف ، عنـدما ينفذ الإنسان أمر الله عز وجل يشعر في البداية بمجاهدة ، أما حينما ينتصر على نفسه ترتـاح نفسه .. فالتكاليف سماها الله تكاليف لأنها ذات كُلفة ، أما الأعمال الكاملة والصالحة تتوافـق مع الفطرة ، فالتكاليف تتناقض في البداية مع الطبع المتعلق بالجسم ، وتتوافق في النهاية مـع الفطرة المتعلقة بالنفس ، لذلك المستقيم مرتاحةٌ نفسه لعل جسمه يتعب أما نفسه مرتاحة .

من الأدعية المتعلقة باسم الستار : اللهم أنت الحليم السـتار ، وأنـت عـالم الغيـوب والأسرار، أمد إليك يدي تحت ستار الليل وقد مد الليل أستاره ومددت لعبادك يدا الحليم الغفار ، فاستر اللهم عورتي ، وامح حوبتي ، وآمن روعتي ، وشد من عزيمتي ، فـإني اسـتحيي منك ، وأنا في الدنيا تشغلني عنك ، فكيف بحالي يوم لقائك ياغفار الذنوب وسـتار العيـوب بضعفي أمام قوتك ، وعجزي أمام قدرتك ، أسألك العفو والصفح، والمغفرة والرضوان يـاذا الجلال والإكرام .

إخواننا الكرام ... أرجو الله سبحانه وتعالى ، أن يكون من هذا الاسم الستار مبـدأً لنـا بقدر ما نستطيع هذا المبدأ " طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس ".

عن أبي هريرةَ قالَ قالَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من حسن إسلام المرء تَركُه ما لا يعنيه *

(سنن الترمذي)

" من ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة " .

موضوع الستر أحد أخلاق المؤمن الأساسية والله عز وجل هو الستار ، فإذا تاب العبـد توبةً نصوحاً أنسى الله حافظيه والملائكة وبقاع الأرض كلها خطاياه وذنوبه .. فالله عز وجل يظهر الحسن ويخفي القبيح ، والإنسان المؤمن يتخلق بأخلاق الله ، ويقتـدي برسـول الله ، والإنسان الكافر والعاصي يبحث عن العيوب ويخفي الصفات الطيبة في غيره ، فهو قناص ، فحينما يعثر على خطيئة كأنه عثر على كنزٍ ثمين يأخذها ويفضح بها وينشرها في الناس .

فأنت مؤمن بمعنى أنك ستار ، مؤمن تستُر على إخوتك أخطاءهم حتى النصـيحة إن كانت أمام ملأ كانت فضيحة ، لا تكون النصيحة نصيحةً إلا إذا كانت بينك وبين أخيك .. فإذا أحببت أن تنصح يجب أن تختار الوقت المناسب والمكان المناسب ، أما إذا نصـح الناصـح أمام ملأٍ فربما انقلبت النصيحة فضيحة وابتعد عن اسم الستار ، والنبي قال :

" تخلقوا بأخلاق الله " .

فأحياناً يخطب شاب فتاة ثم تفسخ هذه الخطبة ، فتجد معظم الماس يتكلمون عن أشـياء كانت وأشياء لم تكن حتى يبرروا انسحابهم من هذه الخطبة ، ما كان ينقصهم لو قالوا كلامـاً موجزاً : لا يوجد نصيب ، والله هم أحسن منا ولكن لا يوجد نصيب ، لكنهم طلبوا أشـياء لا نقوى على تحملها ، فانقطع النصيب ، فلا تدخل في الأعراض والأخطاء .

فكلما ارتقى الإنسان في مراقي الإيمان يظهر الحسن ويخفي القبيح ، وكلّما هبط يظهـر القبيح ويخفي الحسن ، ودائماً وأبداً أو دعو أذهانكم هذا القول : " تخلقوا بأخلاق الله " الله عز وجل ستار ، وستار صيغة مبالغة تعني أنه كثير الستر نوعاً وكماً ، وكلما كنت أقرب إلى الله كنت أكثر ستراً على إخوانك .

والحمد لله رب العالمين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعـد الأمـين ، اللهم أعطنا ولا تحرمنا ، أكرمنا ولا تُهنّا ، آثرنا ولا تؤثر علينـا ، أرضـنا وأرض عنـا ، وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم .

والحمد لله رب العالمين

الـ ـدرس٨٦ – اسم الله : " الرب " .

بسم الله الر حمن الرحيم

أيها الإخوة الكرام ... مع الدرس السادس والثمانين من دروس أسـماء الله الحسـنى ، والاسم اليوم الرب .. وهو من أقرب الأسماء إلى العبد، والرب إسم من أسماء الله الحسنى إلا أنه من الأسماء الزائدة على الأسماء التسعة والتسعين التي وردت في أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم .

الرب في اللُغة هو المالك ، هو السيد هو المنعم ، هو المربي ، ولعل أقرب المعاني إلى الإنسان أنه المربي ، ولا يطلَقُ غير مضاف إلى على الله تعالى ، رب ، أو الرب ، لا يطلَـق إلا على الله تعالى ، أما إذا أُضيف يطلق على الله تعالى وعلى عباده ، كقولنا : رب الدار أي صاحبها، إذا أُضيف .. مشترك بين الذات الإلهية وبين الإنسان ، أما من دون إضافة .. رب أو الرب لا يطلق إلا على الله تعالى .

عالم رباني أي راسخٌ في العلم ، إنسان رباني : أي كل حياته محصورةٌ في معرفة الله وذكره وخدمة عباده ، فالرباني هو الذي لا يتحرك إلا وفق منهج الله ، لا يقف موقفـاً ، ولا يعطي، ولا يمنع ، ولا يغضب ، ولا يرضى ، ولا يصل ، ولا يقطع ، إلا وفق مرضاة الله ، عالم رباني .. أي راسخٌ في العلم ، وكما يقول سيدنا علي : الناس ثلاث .. عـالم ربـاني ، ومستمع على سبيل نجاة ، وهمج رعاع أتباع كل ناعق ، لم يستضيؤوا بنور العلم ولم يلجؤوا إلى ركنٍ وثيق .

العالم الرباني الراسخ في العلم ، الإنسان الرباني هو الذي لا يتحرك إلا وفق مرضـاة الله ، كل حركاته في حياته بما يرضي الله عز وجل .

لفظ الرب مشتقٌ من التربية ، فالله سبحانه وتعالى مرب ومدبر لخلقـه ، المربـي لـه صفتان أساسيتان .. أنه ممد ، وأنه يرعى ، الذي يمدنا بما نحتاج هو ربنـا ، والـذي يمـد أجسادنا هو ربنا، والذي يربي نفوسنا ، يهدينا إلى صراطه المستقيم ، يلْجئنا إلى بابه هو ربنا .

تقريباً ولله المثل الأعلى الأب يوفر لأولاده حاجاتهم المادية ، طعام ، شراب ، كسـاء ، حاجات ثم يربيهم بمعنى آخر يرعى أخلاقهم ، يرعى ديـنهم ، يرعـى تعلـيمهم ، يرعـى مستقبلهم ، ففي معنى الربوبية المشتقة من التربية معنى مادي ومعنى روحي .

قالت العلماء : وإذا أُدخلت - ال -على كلمةٌ رب اختص الله تعالى بها الرب هـو الله لأنها للعهد ، أي الرب المعهود ولا رب سواه .

الله سبحانه وتعالى مالك الملك ، مالك المالك والمملوك ، فما معنى قوله تعالى :

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾

(سورة الفاتحة)

أي مالك المالك ومالك المملوك ، مالك السيد ومالك العبد .

الرب من معانيه أنه خالقٌ ورازقٌ ، وكل ربٍ سواه غير خالق وغير رازق .

الأب يربي أولاده لكن لم يخلقهم ولم يرزقهم ، فإذا قلنا فلان مرب ، والأب مـرب ، والمعلم مرب أي يقدم توجيهات ، يتابع ، يحاسب ، يضيق ، يشدد ، يكافيء ، يعاقب أما إذا قلنا: الله رب العالمين أي خلقنا وأمدنا ووجهنا .

لذلك أنت في نعمٍ ثلاث .. نعمة الإيجاد ، ونعمة الإمداد ، ونعمـة الهـدى والرشـاد ، أوجدك ولم تكن شيئاً من قبل ، وأمدك بما تحتاج ، ثم هداك إليه .

كلمة الرب وردت في القرآن الكريم بضع مئـات مـن المـرات ، حتـى إن بعـض المصاحف التي تُلون كلمة الله باللون الأحمر ، تلون معها كلمة رب لأنه ورد أن الرب هـو إسم الله الأعظم، فأقرب اسم لك هو رب العالمين .

والحقيقة أن كل واحد من الإخوة الحاضرين ، وبشكلٍ موسع كل مؤمن يتحـدث عـن ربوبية الله الشيء الكثير ، فيقول لك : فعلت كذا فأدبني، فعلت كذا فكافأني ، دعوته فاستجاب لي ، ظلمت فظُلمتُ ، اعتديتُ فاعتُدي علي ، أكلت مالاً مشبوهاً فأتلف الله مالي .. كل واحـد فيما بينه وبين الله يعلم أن الله سبحانه وتعالى يحاسبه حساباً دقيقاً ، هذه هي التربية الروحية ، ففي سورة الفاتحة قال تعالى : " الْحمدِلله رب الْعالَمين " .

فالله عز وجل قوي ، وقدير ، وعليم ، وجبار ، ومتكبر ، وقاهر، أما أنت كعبد الله عز وجل ربك هو الذي خلقك ورزقك ودلك عليه .. قال الله تعالى حكاية عن سيدنا إبراهيم :

ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا
مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ
أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾

(سورة الشعراء)

الحقيقة كلمة (رب)..ذات خصائص جمة أولاً من خصائص التربية العلم والرحمـة ، ومن خصائص التربية القدرة ، يعلم ، وهو على كل شيء قدير ، وهو رحيم بنا، أما معنـى قول الله عز وجل في سورة الفاتحة " الْحمد ِلله رب الْعالمين " أي أنه خالق الأكوان وجميـع العوالم التي خلقها ، فالعلاقة بين خالق الأكوان وبين جميع العوالم التي خلقهـا - الأكـوان - علاقة تربية أي خلق وإمداد وإكرام وعناية ، علاقة حب ، علاقة عناية ، فأحياناً يكون هناك علاقة بين شخصين علاقة محاسبة ، علاقة انتقام ، علاقة قسوة .

وأوضح مثل : علاقةُ أية أمٍ على وجه الأرض بابنها علاقة حب ، علاقـة رحمـة ، علاقة صلاح ، فإذا قلنا الله رب العالمين ، أو " الْحمـد ِللـه رب الْعـالمين " أي أن الله سبحانه وتعالى هو خالق الأكوان ، وما سوى الله عوالم ، والعلاقة بين الخالق وبين العـوالم التي خلقها علاقة رحمة ، فالرحمة عطاء فيها علم ، وفيها قدرة ، وفيها جمال ، وفيها لطف ، وفيها عناية .

لذلك يقول سيدنا علي كرم الله وجهه : " والله لو كُشفَ الغطـاء مـا ازدتُ يقينـاً " ، والحقيقة لن تكون على نحوٍ يرضى الله عنك إلا إذا أيقنت بربوبيته لك .

لقد سمعت ذات مرة كلمة .. فقد كان إنسان يصيح في الطريق ويبدو أن لديه مشكلة ما ، فصاح غاضباً وقال : - يعني : إذا لم يكن له أب أما له رب!- هذه الكلمة تركت في نفسي أثراً كبيراً ، فالمربي هو الله ، قد تجد يتيماً تولاه الله بالعناية ففاق كل الأطفال الذين ربـاهم أهلوهم .

في الفاتحة .. " الْحمد ِلله رب الْعالمين " .. وكلمة رب العـالمين لا تعنـي أنـه رب الإنسان فقط ، فأحياناً الإنسان لضيق نظره ، ولضيق أفقه، ولمحدوديته يظُن أن الله له وحده ، أو له ولإخوانه ، أو له ولجماعته ، أو له ولمسجده ، ألا فاعلم أن ربنا عز وجل لكل عباده ، لكل المؤمنين هو ربهم ، لكل الناس ، لكل الحيوانات ، لكل النباتات ، لكل الجمادات ، لكـل العوالم .

يقولون : عالم الحشرات ، عالم النبات ، عـالم الأسـماك ، عـالم الأطيـار ، عـالم الفضاءالخارجي ، عالم الأرض ، عالم الجبال ، عالم البحيرات ، عالم البحار ، كل المخلوقات المتجانسه اسمها عالم ، واللهُ رب العالمين .. " الْحمد لِله رب الْعالَمين " .

وفي سورة الأنعام قال تعالى :

قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ ۚ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١٦٤﴾

(سورة الأنعام)

ما من كلمة في اللُغة أوسع شمولاً وأكثر استغراقاً من كلمة شيء .. فالـذرة شـيء ، وجزئيات الذرة شيء ، النواة شيء ، والكُهيرب - الإلكترون - شـيء ، المـدار شـيء ، الفيروس شيء ، عوامل المرض وهي أقل من الفيروس شيء ، الشمس شـيء ، المجـرات شيء ، الكون شيء ، ما من كلمة في اللُغة أوسع شمولاً ولا أكثر استغراقاً من كلمة شيء .. قال الله تعالى : " قُلْ أَغَير الله أبغي ربا وهو رب كُل شَيء " ،

فإذا أردت أن تقيم علاقة طيبة ؛ أتُفَضلُ أن تقيمها مع شُرطي وتسترضيه وأنت تعرف أن عمله محدود بساحة من الساحات وهو فقط ينظم شؤوون السير ، ولا يملك أي شيء آخر ، أم تقيمها مع ملك يملك البلاد كلها بخيراتها وبمواردها ، وبثرواتها وسائر شؤونها.. أيهمـا تتخذ ولياً لك ؟!! " قُلْ أَغَير الله أبغي ربا وهو رب كُل شَيء " .. ليس رب النـاس ، رب العوالم ، رب المخلوقات جميعاً .

فربما ينام أحد في خيمة في الصحراء ، وقد يخاف من وجود أفعى ليلاً وهذا ممكن في الصحراء ، ولابد أن ينام لأنه متعب مرهق ، فينام متوكلاً على الله . وأنت حينما تنام علـى من تتوكل ؟ تتوكل على رب العالمين ، هذه الأفعى بيد الله عز وجل وهو الذي يحول بينهـا وبينك إن تتوكل عليه ، أنت حينما تتعامل مع خالق الكون كل المخلوقات بيده .. " رب كُـل شَيء " .

وفي سورة الأعراف قال الله تعالى :

إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾

(سورة الأعراف)

كأن هذه الآية أشارت إلى تعريف الربوبية .. أحياناً نصنع طائرة ونبيعها ، فنحن صنعناها. أما أمرها الآن فبيد من اشتراها ، قد يستخدمها لعدوان، أو يستخدمها لنقل ، أو يستخدمها في أعمال الاستطلاع ، أو يجعلها على أرض المطار جاثمة ، أو يخفيها ، الذي اشتراها هو الذي يملك أمرها ، نحن صنعناها ثم بعناها ، لكن الله سبحانه وتعالى ولله المثل الأعلى أي شيء خلقه بيده ، بملكوته .. "ألا له الْخَلْقُ والأمر تَبارك الله رب الْعالمين ".

هناك شيء آخر .. فهذا الشيء الذي خلقه الله عز وجل : صلاح أمره وكل الأحوال منوطٌ بخالقه ، التوجيه الذي يسعده توجيه خالقه ، التوجيه الذي يحفظه توجيه خالقه .. "ألا له الْخَلْقُ والأمر " .. أي ينبغي أن تتبع أمر الذي خلق .

فالمعنى الأول .. " له الْخَلْقُ والأمر " .. أي خَلْقَه ويأمره دائماً، أي أمره بيده ، تحت سيطرته ، في قبضته ، في ملكوته .

المعنى الثاني .. أن هذا الشيء الذي خُلق لا يصلُح ولا يستقيم أمره إلا إن اتبع أمر الذي خلق .. " له الْخَلْقُ والأمر تَبارك الله رب الْعالمين " .. رب العالمين هو الذي " له الْخَلْقُ والأمر".

وقال الله تعالى في سورة التوبة :

فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾

(سورة التوبة)

" لا إله إلا هو " .. هو الرب أي ما من حركة ، ولا من سكنة ، ولا خفض ، ولا إعزاز، ولا إذلالٍ ، ولا قبضٍ ، ولا بسط ، ولا سكينة، ولا خوف ، ولا قلق ، ولا طُمأنينة إلا بيده .. " فَإن تَولوا فَقُلْ حسبي الله لا إله إلا هو ".. أي يكفيني .

إذا أعطينا إنساناً شيكاً مفتوحاً وموقعاً وتركنا له الخيار في أن يضع فيه ما يشـاء مـن المبالغ، فلو سجل مليوناً أو ألف مليون أو مليون مليون كله نافذ ، فمن يملـك هـذا الشـيك المفتوح والذي سجل فيه أكبر رقمٍ حتى لو كان رقماً فلكياً .. أم من يفرح بعدد من الليـرات الحديد التي ترن في جيبه ؟ " فَإِن تَولوا فَقُلْ حسبِي الله "..

فإذا قال المؤمن : " حسبِي الله " .. فأنت مع القوي ، ومع الغني ، ومع الرحيم ، فأنت مع الخالق ، ومع القديم ، ومع الأبدي ، أنت مع من بيده كل شيء .. " حسبِي الله " .. ونعـم الوكيل .. فهذه آية ، وقد كان النبي عليه الصلاة والسلام يقول : " حسبنَا الله ونعم الْوكيلُ " :

ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾

(سورة آل عمران)

قرأت عن سيدنا الصديق قال : ما ندم على شيء فاته من الدنيا قط ، لأن الله حسـبه ، ومن كان الله حسبه كفاه أمر الدنيا كلها .

فقد قال أهل الكهف :

وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُواْ فَقَالُواْ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَاْ مِن دُونِهِۦٓ إِلَـٰهًا ۖ لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا ﴿١٤﴾

(سورة الكهف)

لا أدري ما إذا كنت قد أوضحت هذه النقطة .. أنت حينما تكون مع إنسان فـإن هـذا الإنسان محدود مهما علا شأنه ، لكن حينما تكون مع الخالق ربك هو رب السماوات والأرض .

ذات مرة هاجت عاصفة شديدة جداً ولعل سرعتها كانت تزيد عن مائـة كيلـو متـراً فاقتلعت مئات البيوت المحمية .. ولكن حدثت حادثة شديدة الغرابـة .. بيتـان متلاصـقان ، فالقوس الأول ملتصق بالقوس الثاني ، وهذه البيوت مزروع بداخلها ثمار ، والثمار في أيام البرد ترتفع أسعارها ارتفاعاً كبيراً ، فحجم إنتاج البيت مئتا ألفاً من الليرات تقريبـاً ، وهـذه العاصفة الهوجاء هبت فاقتلعت أحد البيتين وأبقت الآخر ، والبيتان لأخوين أحـدهما صـالح

والآخر شرير ، فالشرير اقْتُلِع بيته وأُتلف محصوله ، وأصبح بيته أنقاضاً على بعد أمتار من مكانه ، والشيء الذي لا يصدق ؛ فالعاصفة عاصفة والمنطقة واحدة بل إن البيتين متلاصـقان ، فكلمة الفتية .. " وربطْنَا علَى قُلُوبِهِم إِذْ قَامُوا فَقَالُوا ربنَا رب السماوات والأَرضِ ".. فكلمة الفتية هذه تعني غاية التوكل والتفويض .

أي ربك الذي يرعاك بيده الرياح ، بيده العواصف ، بيده الأعاصير ، بيده الأمطـار ، بيده إنبات النبات ، بيده مسببات الأمراض ، بيده الفيروسات ، كل شيء بيده .. " لَن نَدعو من دونه إِلَها ".. أي إله تعبده يكون دون الله عز وجل ، فأحياناً يكون دوناً بدرجة أو بدرجتين أو بثلاث أو بأربع ، أما إذا وازنا بين جهة قوية تمحضها ودك وبين خالق الكون فلـيس هنـاك نسبة تجمع بينهما " من دونه " .. فالله عز وجل فوق الخلق جميعاً وخلقه لا شـيء أمامـه ، لذلك قالوا : " وربطْنَا علَى قُلُوبِهِم إِذْ قَامُوا فَقَالُوا ربنَا رب السموات والأَرضِ لَن نَدعو مـن دونه إِلَها لَقَد قُلْنَا إِذًا شَطَطًا " .

وقال الله تعالى في سورة الرحمن :

رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ ﴿١٧﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٨﴾

(سورة الرحمن)

هناك ظاهرة لا أحد ينتبه لها .. افتح تقويما وقلب أوراقه وافـتح علـى يـوم ثمانيـة وعشرين تشرين ثان فتجد أن شروق الشمس عند الساعة الخامسة وسبع دقائق ، وهذا التقويم من خمسين سنة ويمكن أن يكون من مائة سنة وهو صالح لمليون سنة قادمة ، فحركة الأفلاك بمعشار الثانية:

ٱللَّـهُ ٱلَّـذِى جَـعَلَ لَكُـمُ ٱلْأَرْضَ قَـرَارًا وَٱلسَّـمَآءَ بِنَـآءً وَصَـوَّرَكُمْ فَأَحْسَـنَ صُـوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّـهُ رَبُّكُـمْ ۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّـهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٦٤﴾

(سورة غافر)

فثبات حركة الأفلاك ، دليل واضح على أن حركتها وسكونها بيد الله تعالى . حتـى إن أضخم ساعة في العالم في العاصمة لندن - بيج بن - تضبط على نجم ، فقد تؤخر أو تُقَدم في

السنة عدة ثوانٍ فقط ، فمن يصححها ؟ النجم وهو أدق منها ، تضبط عليه ، فهذا معنى قولـه تعالى : " رب الْمشْرِقَينِ " فإذا كان للإنسان بيتاً مشرفاً على جهة الغرب أو جهة الشرق يقول لك: في الشتاء الشمس تشرق من ها هنا ، وفي الصيف تشرق من هاهنا ، فهناك مسافة كبيرة جداً بين المشرقين ، فالقوس الذي يسع أقصى المشرق وأقصى المشرق على مدار الفصـول قوس واسع جداً ، فهو في آية .. " رب الْمشْرِقَينِ ورب الْمغْرِبينِ " .. هو الذي جعل الشـمس تشرق وجعلها تغيب ، أما رب المشرقين النهاية العظمى صيفاً والعظمى شتاء .

إذا كان بيت الإنسان يطل على الغرب فإنه يرى الشمس تغيب فـي الشـتاء بالاتجـاه الغربي الجنوبي ، أما في الصيف فاتجاهها غرب تقريباً ، السبب في ذلك أن الشمس تكون في فصل الصيف عامودية ، أما في فصل الشتاء تدخل إلى أقصى الغرف لإنها تكون في فصـل الشتاء مائلة .. فمن جعلها هكذا ! لو أنها دائماً عامودية كنا في صيف دائم ، لو أنها مائلة دائماً كنا في شتاء دائم ، أما أن تتنوع بين العامودية وبين المائلة فهو سبحانه الذي جعلها هكذا .

هذا معنى " رب الْمشْرِقَينِ ورب الْمغْرِبينِ " ، أما إذا قال الله عز وجل :

فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَـٰرِقِ وَٱلْمَغَـٰرِبِ إِنَّا لَقَـٰدِرُونَ ﴿٤٠﴾

(سورة المعارج)

فكل يوم لها شروق معين ، يتحرك على مدار العام من أقصى اليمين إلى أقصى الشمال وبالعكس ، كل يوم لها زاوية تشرق منها ، ورب العالمين أي مالكهم .. وكل من ملك شـيئاً فهو ربه ، رب الدار أي صاحب الدار ، رب البيت أي صاحب البيت ، رب الأسرة أي مالك الأسرة، ومعنى آخر فالرب هو المالك .

وفي الصحاح : الرب اسم من أسماء الله تعالى ، ولا يقال في غيره إلا بالإضافة .

الرب هو الله ، أما رب البيت قد يكون إنساناً ، والرب هو المصلح ، والرب هو السيد ، والرب هو المدبر ، والرب هو الجابر ، والرب هو القائم .. ويقال لمن قام بإصـلاح شـيء وإتمامه ربه يربه فهو رب له والرب هو المعبود .

أيها الأخوة ... أذكركم مرة ثانية بأن أقرب اسم من أسماء الله الحسنى إلى المؤمن هو اسم رب العالمين على الحكاية ، أو اسم رب العالمين على الإعراب ، هذه لها تعليق فلـك أن تقول سورة المؤمنون وبالإعراب سورة المؤمنين ، لكن لك أن تقول المؤمنون اسم للسـورة . لك أن تلفظها بالرفع دائماً تقول سورة المؤمنون ، العلماء يقولون : " على الحكاية أي تحكـى

هكذا فلا نخضعها للإعراب " ، فلك أن تقول سورة المؤمنون و سـورة المـؤمنين وكلاهمـا صحيح .

في بعض التفاسير شرحت كلمة رب العالمين بما يشعر بأنها تعني الثناء المطلق علـى الله ، مثلاً هناك إنسان جلاد عمله أن يجلد الناس ، وهناك مربيٍ ، وهناك سارق ، وهنـاك معتد أثيم ، أما إذا دخلت إلى مدرسة فمدير المدرسة ماذا يمثل الأذى أم الخير ؟ طبعاً الخير ، والتربية والتعليم والتهذيب ، وتفقد الطلاب ، ورعايتهم ، رعاية سلوكهم وأخلاقهم وصـحتهم وعلمهم ورعاية علاقاتهم الإجتماعية ، فمدير مدرسة ومدير مشفى هذا منصب خيـري فيـه خيرية وفيه رحمة ، لكن قد يكون السجان له وظيفة ثانية، قد يجلد قد يعذب ، لكـن علاقـة السجان مع السجين علاقة تعذيب لا علاقة رعاية ، علاقة تعذيب ، علاقة قهر .

فالمعنى الذي أريد أن أقوله كلمة رب العالمين هي ثناء مطلق على الله .. رب العالمين أي هو خالق ، رب العالمين أي هو رازق ، رب العالمين أي ممد ، رب العالمين أي رحيم ، رب العالمين أي عليم ، رب العالمين أي قدير ، رب العالمين أي محب ، رب العـالمين أي رؤوف ، فأجمع الخلق والرزق الإمداد والعلم والرحمة والقدرة والحب والإكرام والرأفة كلهـا جمعت بكلمة رب العالمين .

فقد قال بعض المفسرين : كلمة رب العالمين تعني الثناء المطلق على الله " ، إذا قلت " الْحمد ِلله رب الْعالَمين " فإنك تثني على الله عز وجل .

الآن التربية تربية الله لعباده تأخذ منحيين اثنين : تربية خَلْقية ، وتربيةٌ شرعيةٌ تعليمية .

فأنت بشكل عام والجو برد قارص وابنك الذي تحبه بلا معطف ، تذهب وتشـتري لـه معطفاً، هذه تربية خَلْقية ، يحتاج إلى غرفة خاصة ، يحتاج إلى مال ، يحتـاج إلـى كتـب ، يحتاج إلى أقساط ، يحتاج إلى أشياء ثانوية .. فتعطيه إياها هذه كلها تربيةٌ خَلقية .. لكن أحياناً رأيته يكذب فتؤدبه ، رأيته لا يصلي فتأمره بصلاة ، رأيته يلهو بأشياء سخيفة تنهاه عنهـا ، أنت الآن عملك شرعي .

يوجد تربية خَلقية وتربية شرعية ، فربنا عز وجل يربي أجسامنا بإمدادها بما تحتـاج ، ويربي نفوسنا بتزكيتها لتكون أهلاً لجنته ، فتربية الله تربيتان ، لذلك ليس لغير رب النـاس جهةٌ يمكن أن تشرع للعبادة أبداً ، العبادة لرب العالمين .

شيء آخر .. قالوا : الله عز وجل يربي نفوس العابـدين بالتأييـد ، ويربـي قلـوب الطالبين بالتسديد ، ويربي أرواح العارفين بالتوحيد ، ويربي الأشباح بوجود النعم ، ويربـي الأرواح بشهود الكرم ، الأرواح يربيها ، والأشباح يربيها بالطعـام والشـراب ، والعـارفين

يربيهم تربية رفيعة جداً ، كلما ارتقى الإنسان يحاسب حساباً دقيقاً ، أحياناً يحاسب على ابتسامة .

فبمستوى الدكتوراه في بعض البلاد ، إذا أخطأ المتقدم لنيل هذه الشهادة في مناقشته بحركة يعيد العام ويؤخر إلى عامٍ قادم ، كلما ارتقى مستواه يحاسب حساب أدق ، فالعارفون بالله لهم حساب دقيق ، كلما ارتقى الإنسان في سلم الإيمان يحاسب على الخطرات ، وكلما هبط مستواه يحاسب على الكبائر .

أيضاً من معاني الربوبية قالوا : " إصلاح أمور العباد وهذا مشتق من ربيت العديم " .. أربه فأنا أصلحته ، فالله سبحانه وتعالى يصلح أمور الزاهدين بجميل رعايته ، ويصلح أمور العابدين بحسن كفايته ، ويصلح أمور الواجدين بقديم عنايته ، ويصلح أمور قومٍ يستغنون بعطائه، ويصلح أمور الخلق جميعاً .

الآية الكريمة تقول :

وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ ۖ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَىْءٍ ۚ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾

(سورة النساء)

" وكان فضلُ الله عليك عظيما ".. رباك وساقك إلى مجالس العلم ، ساقك إلى طاعته ، ألقى في قلبك محبته ، حبب إليك الإيمان وزينه في قلبك ، وكره إليك الكفر والفسوق والعصيان هذه تربية .

إذا كان أب يسمع وابنه تكلم كلمة بذيئة أمامه ، فضحك له ، فإن الولد يكررها ويتفوه بما هو أفحش وأسوأ ، أما إذا تكلم كلمة بذيئة فنهره وزجره ، فإن هذا الابن لن يعود للكلام البذيء أبداً ، أما إذا وجده يقرأ القرآن فكافأه ، معنى المكافأة والعقاب هذه تربية ، وأساساً أول صفة من صفات المربي ، أن تكافئ المحسن وأن تعاقب المسي ، وربنا عز وجل بمجرد أن تفكر في التحرك نحوه تجد أن الله شرح لك صدرك ، ألقى في قلبك السكينة والطمأنينة ، وتيسرت أمورك وعاملك معاملة جديدة وأشعرك أنه يحبك ، ولمجرد أن ترتكب معصيةً يلقي في قلب العاصي الضيق والكآبة والحيرة ، فالله يربينا عن طريق قلوبنا ..

عن عائِشَةَ أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم كان يكْثر أن يقُولَ يا مقلب القُلُـوبِ ثَبتْ قَلْبِي على دينك وطَاعتك فَقيلَ له يا رسولَ الله قَالَ عفان فَقَالَتْ له عائِشَةُ إنك تُكْثـر أن تَقُولَ يا مقلب القُلُوبِ ثَبتْ قَلْبِي على دينك وطَاعتك قَالَ وما يؤْمنُني وإنما قُلُوب العباد بـين أُصبعي الرحمن إنه إذَا أراد أن يقلب قَلْب عبد قَلبه قَالَ عفان بين أُصبعين من أَصابِع اللـه عز وجل *

(مسند الإمام أحمد)

فأنت حينما تتخذ قراراً حكيماً في صالح إيمانك يشرح الله لك صدرك ، وحينما تنحرف قليلاً عن طريق الحق يملأ قلبك ضيقاً وقلقاً وحيرةً . فلذلك ؛ القضية دقيقة جداً .

بعض العارفين قال الرب : " هو اسم الله الأعظم لكثرة دعوة الداعيين به " .. فقد قـال الله تعالى :

لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾

(سورة البقرة)

لكثرة ورود كلمة رب في الدعاء استنبط بعض العارفين أن الرب هو اسم الله الأعظم ، وقد قال الله تعالى :

ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ
ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدۡخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدۡ أَخۡزَيۡتَهُۥۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ
أَنصَارٖ ﴿١٩٢﴾ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعۡنَا مُنَادِيٗا يُنَادِي لِلۡإِيمَٰنِ أَنۡ ءَامِنُواْ بِرَبِّكُمۡ
فَـَٔامَنَّاۚ رَبَّنَا فَٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرۡ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلۡأَبۡرَارِ ﴿١٩٣﴾
رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخۡزِنَا يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ
إِنَّكَ لَا تُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾ فَٱسۡتَجَابَ لَهُمۡ رَبُّهُمۡ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ
عَٰمِلٖ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰۖ بَعۡضُكُم مِّنۢ بَعۡضٖۖ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ
وَأُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأُوذُواْ فِي سَبِيلِي وَقَٰتَلُواْ وَقُتِلُواْ لَأُكَفِّرَنَّ
عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَلَأُدۡخِلَنَّهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ ثَوَابٗا مِّنۡ
عِندِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلثَّوَابِ ﴿١٩٥﴾

(سورة آل عمران)

إخواننا الكرام ... تعقيب أخير على اسم الله رب العالمين ، صدقوني أن أحدكم إذا شعر أن الله يتابعه ، ويحاسبه على حركاته وسكناته، ويعاقبه سريعاً ويؤدبه سريعاً فهو في مـوطن عناية مشددة ، أما إذا ارتكب الإنسان المعاصي ولم يحاسبه الله عز وجل ، ولم يتابعه فاعلموا أنه خارج العناية الإلهية لأن الله علم فيه انحرافاً شديداً ، وتمـرداً وعتـواً وإصـراراً علـى انحرافه ، فأحدنا إذا كان الله يؤدبه ويحاسبه ويحصي عليه أنفاسه ، يحاسبه على كلمة أو على نظرة ، أو على حركة لا ترضيه ويؤدبه سريعاً فهذا محض ربوبية الله عز وجل وفي هـذا الإنسان خير كبير وهو مطلوب لرحمة الله ، والله عز وجل يؤهله لرحمته.

لذلك ورد في الحديث القدسي : " وعزتي وجلالي لا أقبض عبدي المؤمن وأنا أحب أن أرحمه إلا ابتليته بكل سيئة كان عملها سقماً في جسده ، أو إقتاراً في رزقه ، أو مصيبةً فـي

ماله أو ولده حتى أبلُغ منه مثل الذر ، فإذا بقي عليه شيء شددت عليه سكرات الموت حتـى يلقاني كيوم ولدته أمه .

هذه تربية الله لنا ، وصدقوني أيها الإخوة .. أن المصائب كلها لو كُشفت حكمتها لكـم لكنتم في درجة من قبولها لا توصف ، فأنا أعرف أُناساً كثيرين سبب توبتهم ، وسبب دخولهم في حظيرة الإيمان ، وسبب سعادتهم وتوفيقهم مصيبةٌ ساقها الله لهم فأرجعتهم إلى الله ، قـال تعالى :

وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢١﴾

(سورة السجدة)

" ولَنُذيقَنهم من الْعذَابِ الأدنَى " .. بالدنيا .. " دون الْعذَابِ الأكْبـرِ " .. بـالآخرة .. " لعلهم يرجِعون " .. فلنفهم : أن الله إذا ساق لنا بعض الشدائد فهذا من أجل أن نتـوب إليـه ، لذلك ورد في القرآن الكريم .. " ثُم تَاب علَيهِم لِيتُوبوا ".. في قوله تعالى :

وَعَلَى ٱلثَّلَـٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾

(سورة التوبة)

أي أن الله ساق لهم الشدائد ليحملهم بها على التوبة ، فإذا قلنا : تابوا فتاب عليهم ، أي قبل توبتهم ، أما إذا قلنا : " ثُم تَاب علَيهِم لِيتُوبوا " .. أي أن الله ساق لهم الشدائد ليحملهم بها على التوبة .

فالإنسان المؤمن لا يتضجر إذا الله عز وجل أدبه ومعنى ذلك أنه مطلوب، فـإذا قـال أحدهم لصديقه : أنا لست في راحة من كثرة الوظائف والتبعات والتكاليف ، فأنا في الصـف الرابع في الجامعة والدروس علينا مكثفة والكتب صعبة ، والوظائف متتالية ، وعلينـا تقـديم أطروحة في آخر العام الدراسي ، ودوام كثير ودروس عملية ، فلست في راحة .

وقال له الآخر : أنا ليست لدي أية مشكلة ، فأنا أنام إلى الظهيرة، لأنه بالطبع لا يدرس وهو خارج الجامعة ، وبدون عمل ولا مستقبل ، فليست لديه أي مشكلة وفي راحـة ، فهـذه الراحة راحة الموتى ، وتعب الأول تعب الأحياء ، إن الله عز وجل إذا علـم فيـك خيـراً ، ووضعك ضمن العناية المشددة ويتابعك ، فلا توازن نفسك مع من هو شارد ثائه ، كالدابـة المتفلته ، قوي ، غني ، صحيح ويمارس كل شهواته بحرية بلا قيد أو شرط ، فـلا تـوازن نفسك معه فأنت طالب علم ، أنت ترجو رحمة الله ، أنت تطلب الجنة ، أما ذاك شرد على الله شرود البعير ، قال تعالى:

فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحۡنَا عَلَيۡهِمۡ أَبۡوَٰبَ كُلِّ شَيۡءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذۡنَٰهُم بَغۡتَةٗ فَإِذَا هُم مُّبۡلِسُونَ ٤٤

(سورة الأنعام)

وقد قال تعالى :

يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ١٩٦ مَتَٰعٞ قَلِيلٞ ثُمَّ مَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۚ وَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ١٩٧ لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا نُزُلٗا مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۗ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لِّلۡأَبۡرَارِ ١٩٨

(سورة آل عمران)

يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِى ٱلْبِلَـٰدِ ﴿١٩٦﴾ مَتَـٰعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ
جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٩٧﴾ لَـٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّـٰتٌ تَجْرِى
مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ
لِّلْأَبْرَارِ ﴿١٩٨﴾

(سورة البقرة)

" آمن منْهم بِالله والْيومِ الآخرِ " .. فقط المؤمن يا ربي ، فقال له الله تعالى : " ومن كفَر فَأمتعه قَليلا ثُم أَضطَره إِلَى عذَابِ النارِ وبِئْس الْمصير " ..

ملخص الدرس .. إذا ساق الله لأحدنا بعض الشدائد ليعلم علم اليقين أنه مطلوب لرحمة الله، وأن فيه خيراً ، وأنه في العناية المشددة.. فإذا الطبيب رأى مريضاً مصاباً بالسرطان من الدرجة الخامسة ومنتشر في كل أحشائه ، فبماذا ينصح المريض ؟ يقول له : ليست هناك مشكلة فكل ما شئت .. وإذا سأله المريض عن نوع من حبوب الدواء هل يتناوله ؟ فيجيبه : كيف ما تريد وتحب وعلى حسب راحتك .. فتجده متساهلاً معه كثيراً ، أما إذا كان مريضاً بالتهاب في المعدة تجده ثائراً عليه فيما إذا تناول طعاماً غير مناسب ، فإذا كان هناك أملٌ في الشفاء فتجد الطبيب يعامله بشدة بالغة ، أما إذا لم يكن هناك أملٌ في الشفاء فتجده يسيب له الأمور ، فإذا كان الله يتابع الإنسان فمعنى ذلك أن الله يحبه وهو في العناية المشددة .

لذلك .. إذا أحب الله عبده عجل له بالعقوبة .. إذا أحب الله عبده ابتلاه ، فإن صبر اجتباه، فإن شكر اقتناه .. إذا أحب الله عبده جعل له وازعاً من نفسه .. إذا أحب الله عبده جعل حوائج الناس إليه .

فالإنسان لا يتضجر ولا يتأفف من تضييق من الله عز وجل ، فهذا التضييق محض رحمة، ومحض إكرام ، وهو النعمة الباطنة التي فسرها المفسرون .. " وأَسبغَ علَيكُم نعمه ظَاهرةً وباطنَةً ".. في قوله تعالى :

أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾

(سورة لقمان)

والحمد لله رب العالمين

الدرس ٨٧ - اسم الله : "الحافظ"

بسم الله الرحمن الرحيم

مع الاسم السابع والثمانين من أسماء الله الحسنى ، والاسم هو الحافظ .

الحافظ اسم من أسماء الله الحسنى وهو اسم زائد على الأسماء التسعة والتسعين التي وردت فيها الأحاديث الصحيحة ، الحافظ في اللُغة هو الحارس ، وحفظه حفظاً أي حرسه حراسةً، وحفظ المال أي رعاه ، وحفظ القرآن أي استظهره ، وهذا حافظٌ من قومٍ حفاظ أي من الذين رزقوا حفظ ما سمعوا .

والحقيقة من نعم الله الكبرى على الإنسان أن تكون له حافظةٌ قوية أو ذاكرةٌ قوية ، لأن الإنسان إذا استمع كثيراً ونسي الذي استمعه ، فماذا يستفيد منه ؟ حينما تجلس في مجلس ، أو حينما تُلقي كلمة ، أو حينما تتحدث إلى صديق ، فإذا خانتك ذاكرتك فلم تحفظ النصوص ولا القصص ، ولا الوقائع ، ولا الأفكار ، ولا التحليلات ، ولا التعليقات كيـف تسـتطيع أن تصول وتجول ؟ لذلك نعمة الذاكرة القوية من أعظم النعم على الإنسان ، إلا أن العلماء يرون أن الذاكرة متعلقةٌ بالاهتمام ، وهذا تعلقٌ عادل فالشيء الذي تهتم به تحفظه .

ادخل إلى محلٍ تجاري فيه خمسون ألف قطعة وكل قطعة لها اسم ولها قياس ، ولها سعر ، ولها وضع معين ، ولها مصدر ، ولها منشأ ، فتجد صاحب المحل لأن رزقه متعلـقٌ بهذه البضاعة يحفظها جميعاً ، يحفظ حالاتها وأنواعها ، وقياساتها ، ومصدرها ، ومنشـأها ، وأسعارها كل ذلك في ذاكرته ، بل قد يقول أحياناً لغلامٍ في المحل : اصعد تجد قطعةً واحـدةً بقيت من هذا الصنف فائتني بها .. معنى ذلك أن المحل كله في ذاكرته .

فقل لي ما الذي تهتم له ، أقُل لك إنك تحفظه ، ففي ذلك عدل فقد قال الله تعالى :

سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ﴿٦﴾ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ ﴿٧﴾

(سورة الأعلى)

كان عليه الصلاة والسلام إذا أنزل الله على قلبه الشريف سورةً من كتاب الله حفظها من أول مرة ، والذي يحفظ دليل أنه مهتم بما يحفظ ، فالأشياء التي لا تعنيك لا تحفظها بـل إنك تنساها ، بل إن الذاكرة صممت بشكلٍ عجيب ، فالذاكرة كما قال لي بعض الإخوة العلماء

المختصين في علم التشريح والفيزيولوجيا - علم وظائف الأعضاء - " أن مكان الذاكرة في الدماغ يتسع لسبعين مليار صورة ، وهذه الصور مبوبة ومصنفة ، والذواكر أنواع كثيرة لا حصر لها ، منها الذاكرة السمعية، والذاكرة الشمية ، والذاكرة البصرية ، وذاكرةٌ للألوان ، وذاكرة للوجوه ، وذاكرة للأسماء ، وذاكرة للأرقام ، وأن هذه الصور مرتبة ترتيباً زمنياً " فالذي تحتاجه كل يوم موضوع في أقرب مكان ، والذي تحتاجه قليلاً يوضع في مكان متوسط ، والذي تحتاجه نادراً في مكان بعيد ، والذي لا تحتاجه أبداً يمحى من الذاكرة ، بل إن طريقة الحاسوب في قراءة المعلومات تقليد لطريقة الذاكرة في استرجاع المعلومات .

أنت إذا شممت رائحةً تحاول أن تتعرف إلى هذه الرائحة ، فما الذي يحدث في الذاكرة؟ أن أثر هذه الرائحة يمر على كل ذاكرات الشم أكثر من مائة ذاكرة شمية ، فحيثما يكن التوافق تقل : إنها رائحة الياسمين ، أو الفل .. وإلى آخره من الروائح .

الذاكرة وحدها من آيات الله العجيبة الدالة على عظمته ، وأنت تتذكر الشيء الذي تهتم به ، وهذا عدلٌ من الله عز وجل .

قد تجد إنساناً ، أنا أسميه نساء ، كثير النسيان في موضوعات لا تعنيه ، أما في الموضوعات التي تعنيه كأن ذهنه مسجله ، سريعاً ما يحفظ، فلذلك إذا اهتم أحدنا بكتاب الله عز وجل يحفظه ، وإذا اهتم أحدنا بالحديث الشريف يحفظه ، وإذا اهتم أحدنا بالمعاني الدقيقة التي هي كنز ثمين والمتعلقة بكتاب الله يحفظها .

وقد يقول أحدهم : والله ما سمعت معنى دقيقاً متعلقاً بكتاب الله إلا حفظته ، وهذا الإنسان نفسه قد ينسى أشياء واضحة جداً وقريبة جداً لأنها لا تعنيه ، فالمؤمن مشغول بموجبات الإيمان .

قلنا : هذا حافظ من قومٍ حفاظ ، أي من الذين رزقوا حفظ ما سمعوا، والقاعدة : أكتب أجمل ما قرأت ، وأحفظ أجمل ما كتبت .

لذلك ، فالإنسان أحياناً يأتي إلى مجلس علم ، فلماذا يطرب لما سمع ؟ لأن هذا الذي ألقي شفاهاً من الذاكرة أجمل ما كُتب ، والذي كُتب أجمل ما قُرىء ، والذي قُرىء أجمل ما سمع.. فهناك كلام يسمع ، وهذا المسموع كلام فيه الشيء الحسن ، فيه أيضاً كلام يلقى على عواهنه ، ولكن المكتوب أرقى لأنه مدروس وهو خلاصة المسموع ، وخلاصة المكتوب يحفَظ .

فأحياناً تجد إنساناً يصغي إلى درس إصغاء تاماً ، لأن الأمور كلها التي تطرح في الدرس هي أجملُ ما تحويه ذاكرة المتحدث ، وهي أجمل التحليلات ، وأجمل التعليقات ، وأجمل الإرشادات .

فقد حدثني أخ قال لي : كنت في أمريكا وهم الآن يسجلون الكتـب الثمينـة علـى أشرطة بصوت يحبونه ، فالإنسان أحياناً يكون لديه وقت ميت؛ وهذا تعريف للوقت الضـائع بالتعبير الاقتصادي ، وهذا الوقت هو وقت انطلاقه بمركبته إلى عمله ، ووقت الرياضة أيضاً ، فأصبح هناك بين كل الناس سلوك شائع ، وهو أن يمضي هذا الوقت في طريقه إلى عملـه وفي عودته من عمله وفي ساعات الرياضة في سماع شيء ثمين ، وهذا الشريط من نعمة الله على الناس ، فيمكنك أن تستمع إلى درس علم ، أو إلى تفسير ، أو حـديث ، أو إلـى درس سيرة ، وأنت في بيتك ، أو وأنت تعمل ، أو وأنت في مركبتك ، أو وأنت في السفر، المؤمن الموفق لا يضيع ثانيةً من وقته ، فبإمكانه حتى في الأوقات الميته أن يستفيد منها فـي طلـب العلم .

قالوا : هناك رجلٌ حافظُ العين ، أي لا يغلبه النوم لأن العين تحفظ صاحبها " فهـو أثناء جلوسه في مكان ، يكون هذا المكان تحت سيطرة عينيه ، أما في الليل فالمكان يصـبح تحت سيطرة أُذنيه ، أرأيتم إلى نعم الله عز وجل ، لذلك أصغ بسمعك للآيات التـي قـال الله تعالى فيها :

قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَنْ إِلَـٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ ۖ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَنْ إِلَـٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٧٢﴾

(سورة القصص)

" الليلَ " إن الحاسة الأولى فيه السمع .. "أفَلا تَسمعون " .. والعكـس .. الحاسـة الأولى في " النهار " هي العين .. "أفَلا تُبصرون " .

أنت في النهار مسيطر بعينيك .. وفي الليل مسيطر بأُذنيك ، فإذا دخلت فويسقة إلى بيتك - الفأرة - وقد سماها النبي فويسقة ، وماتت تحت السرير فلا تراها عينك ولا تسمعها أُذنك ، فالحاسة الثالثة التي تكشفها لك حاسة الشم ، فأنت بالحواس الخمس مسيطر على العالم الخارجي ، والآلات الحديثة استطالةٌ للحواس .. فالمجهر .. استطالةٌ للعينين ، وكذلك المنظار - التليسكوب - .

رجلٌ حفَظَة أي كثير الحفظ .

فمن منكم اطلّع على كتاب الإحياء وهو من أعظم الكُتب التي تركها الغزالي ، هـذا الإمام العظيم ، فالإحياء يعد أول كتاب في علم النفس الإسلامي ، ففيه أحوال النفس ، ودقائق النفس ، وأمراض النفس ، وفضائل النفس ، ومناهج لتحلية النفس بالكمال ، وهو من أروع ما كُتب ولكن هل تصدقون أيها القراء الكرام أن الإحياء كتبه الإمام الغزالي من ذاكرته وهو في بلاد الشام ؟!!

إذاً من أوتي حافظةً جيدةً فقد أوتي خيراً كثيراً .. وقد علمونا ونحن في الجامعة أن الذكاء شيء والذاكرة شيء آخر ، فما كل ذكيٍ ذا ذاكرة قوية ، وما كل ذي ذاكرة قوية ذكـي .. قالوا : إلاّ أن هناك منطقةً مشتركةً بين دائرتين متداخلتين وهـذه المنطقـة هـي القاسـم المشترك بين الذكاء والذاكرة ، فكل إنسان يتمتع بذكاء فلا بد من أن يستعين بذاكرة ، وكـل إنسان عنده ذاكرة جيدة لا بد من أن يكون على حد ما من الذكاء ، إلا أن الـذاكرة شـيء ، والذكاء شيء آخر .

قيل مرةً للإمام الغزالي فيما أذكر : إن فلاناً حفظ كتاب الأم للشافعي . فتبسم وقال : زادت نسخُه نسخةً . فالحفظ وحده لا يقدم ولا يؤخر ، لكن العقل والتدبر والفهم العميق هـو الذي يرقى بالإنسان .

الحافظ .هو الذي يثبتك على الطريق البين المستقيم الذي لا ينقطع ، ويحفظك علـى المواظبة عليه ، أما الحفَظَةُ الذين يحصون أعمال العباد ويكتبونها عليهم هم مـن الملائكـة ، والمحافظة المواظبة على الأمر .. أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل .

المحافظة تصنع تراكم المعلومات أو غيرها ، والإنسان بلا تراكم لمعلوماته لا يحقق شيئاً ..

عن عائِشَةَ أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قالَ سددوا وقارِبوا واعلَموا أن لن يدخلَ أحدكُم عملُه الْجنةَ وأن أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل *

(صحيح البخاري)

فلو ثَبت على المجيء لحضور درس ما من دروس العلم فاثْبتْ عليه تتراكم لـديك الحقائق ، وإذا ثبت على صلاة أو على صدقة ، أو ثبت على ذكر ، أو على تلاوة .. فأحـب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل .

المحافظة .. أي المواظبة على الأمر ومنه قوله تعالى :

حَـٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَـٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾

(سورة البقرة)

وقيل : المحافظة هي المراقبة ، والمحافظة الذَب عن المحارم ، أي: الـدفاع عـن المحارم ، والمحافظة على العهد الوفاء به والتمسك بالود .. هذه اللُغة ، فإذا قلنا الله جل جلاله هو الحافظ ، فقد حفظ خلقه وعباده من كل سوء ، وحفظ عليهم ما يعملون ، وحفظ السماوات والأرض بقدرته .. " ولا يئُوده حفْظُهما وهو الْعلي الْعظيم ".. فقد قال تعالى :

ٱللَّـهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُـوَ ٱلْحَـىُّ ٱلْقَيُّـومُ ۚ لَا تَـأْخُذُهُۥ سِـنَةٌ وَلَا نَـوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾

(سورة البقرة)

أحياناً يقول أحدهم : هذا الأمر فوق طاقتي ، لا أستطيع ان أستوعبه ، ولا أن أُحيط به، ولا أن أديره فهو يحتاج إلى خمسة أشخاص لإنجازه ، ولكن الله جل يقول : " ولا يئُـوده حفْظُهما وهو الْعلي الْعظيم ".

وقد قال تعالى في سورة يوسف :

قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمْ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبْلُ ۖ فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَـٰفِظًا ۖ وَهُـوَ أَرْحَـمُ ٱلرَّٰحِـمِينَ ﴿٦٤﴾

(سورة يوسف)

وإذا العناية لاحظتك جفونها نَم فالمخاوف كلهن أمان .

إذا حفظك الله عز وجل سخر لك كل شيء حتى أعداءك هم في خـدمتك ، " فَاللـه خَير حافظًا وهو أرحم الراحمين ".

فالإنسان قد يحكم الأقفال .. كما حدثوني عن أحد الصاغة وهـو يعـد الأول فـي صنعته وليس له شبيه قام بتصميم صندوق وصنعه من الحديد بحيـث لا يمكـن أن يفـتح ، وبقدرة قادر دخل اللصوص وفتحوه وأخذوا كل ما فيه .. فهو قد ظن أن هذا الصندوق " خَير حافظًا ".. لكن الله هو خير حافظ .. " فَالله خَير حافظًا وهو أرحم الراحمين ".

الإنسان كثيراً مايأخذ بالأسباب إلى حد غير معقول ويعتمد عليها، وينسى أن الله هو " خَير حافظًا " ، فيؤتى من مأمنه ، يؤتى وهو في أعلى درجات اليقظة ، يؤتى الحذر مـن المنطقة المطمئن إليها ، وهذا من آيات الله فقد قيل : عرفت الله من نقض العـزائم .. جميـلٌ جداً أن تأخذ بالأسباب وأن تأخذ الاحتياط ، ولكن الأجمل من ذلك أن تأخـذ بالأسـباب وأن تعتمد على الله الواحد القهار ، أن يكون اعتمادك على الله حقاً مع الأخذ بالأسباب.

أحياناً يقولون : قمنا بعمل مراجعة كاملة على السيارة فـاطمئن ، فتقطعـه فـي الطريق ، وأحياناً تُجرى عليها مراجعة كاملة ويقول صاحبها أنت يا رب المسلم وأنت الحافظ .. فالقضية قضية دقيقة ؛ فاعقل وتوكل. فيجب أن تأخذ بكل الأسباب وألاّ تعتمد في حفظهـا لك إلا على الله عز وجل .

" فَالله خَير حافظًا " .. إعراب حافظاً : تمييز .. أي : اللهُ خير ، خير معطياً ، خير آخذاً ، خير حافظاً و"خير" لفظٌ مبهم ، لولا التمييز لصدق على أشياء كثيرة .. " فَالاـه خَيـر حافظًا وهو أرحم الراحمين " .. أي حفظٌ مطلق .

قد يسافر الإنسان ؛ فَهلْ في الأرض جهةٌ يمكن أن ترافقه وأن تخلفه في بيته وسفره معا وفي وقت واحد ؟ مستحيل ذلك إلا على الله ، فإذا سافر الإنسان يقول : اللهم أنت الرفيق في السفر ، والخليفة في الأهل والمال والولد .

وقد يتعرض طفل صغير لحادث ؛ كأن يقع على رأسه إبريقٌ من الشاي الساخن قليلاً ويشوه وجهه ، وكلما ألقى الأب على ابنه نظرةً شعر بحرقة في قلبه ، فالإنسان أثناء سـفره يفكر هل أهله بخير ، ويضرع لله ألاّ تكون هناك مشكلة لديهم ، ويتساءل هل هم مستقرون في البيت ، وهل حدث لهم حادث مزعج .. فمن الذي يحفظ أهلك في غيبتك ؟ الله جل جلالـه . فأنت إذا سافرت حتى تكون مطمئناً فوض الأمر إلى الله وادع بهذا الدعاء : اللهم أنت الرفيق في السفر ، والخليفة في الأهل والمال والولد .

كلام ربنا كلام رائع جداً : " فَالله خَير حافظًا " .. يحفظ لك صحتك ، ويحفظ لـك مالك.. وقد يسافر المرء إلى بلد بعيد ومعه أموال طائلة وفيه يقظة وحرص وانتباه ولا ينقصه شيء فتسرق محفظته وفيها كل لوازمه الشخصية من جواز للسفر ، للشـيكات المصـرفية ، والمعاملات والوثائق الضرورية وبطاقة الطائرة فيصبح شريداً متسكعاً في الطرقات .. " فَالله

خَير حافظًا " .. أي يحفظ اك صحتك ، ويحفظ اك أهلك وأولادك ، ومالك، وبيتك ، ومحلك ، ومستودعك ، وبضاعتك ، وسمعتك ، ومكانتك .. " فَالله خَير حافظًا ".

كن لي كما أريد أكن اك كما تريد .. كن لي كما أريد ولا تُعلمني بما يصلحك .

وهذه الآية الكريمة وردت على لسان سيدنا يعقوب فقد قال تعالى: " قَالَ هَلْ آمَنُكُم عَلَيه إلا كما أَمنتُكُم علَى أَخيه من قَبلُ فَالله خَير حافظًا وهو أَرحم الراحمين " أي فالله خير حافظاً يحفظ ابني يوسف ، وسيرحم كبري وضعفي ووجدي بولادي ، وأرجو من الله أن يرده علي ويجمع شملي به إنه أرحم الراحمين .

لذلك فاليأس من روح الله كُفر ، اليأس والقنوط يساويان الكُفر ، قال تعالى : إنه لَا ييئَس من روح الله إلا الْقَوم الْكَافرون(٨٧)

(سورة يوسف)

وقال تعالى :

إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾

(سورة الحجر)

هذا قرآننا الكريم الذي نزل على سيد المرسلين هو هو الذي بين أيدينا ، ليس فيه حرفٌ زائد ولا حرفٌ ناقص ، وجميع المحاولات التي جرت لتغيير كلماته أخفقت ، فقد طُبع في العهد العثماني خمسون ألف نسخة حذفت منها كلمة واحدة من سورة آل عمران في قوله تعالى :

وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾

(سورة آل عمران)

وقد حذفوا كلمة واحدة ولم يطبعوها وهي كلمة " غَير " فأصبحت الآية : " ومن يبتَغ... الإسلام دينًا فَلَن يقْبلَ منْه وهو في الآخرة من الْخَاسرين " فأتلفت النسخ وأحرقت ، فالله عز وجل تولى بذاته حفظ كلامه، فلا يمكن لجهة في الأرض أن تُبدل أو أن تغير فيه ، وليس معنى هذا أنه لا تجري محاولات بل تجري وما أكثر ما تجري ، ولكنها لا تنجح ، ولن تنجح بإذن الله .

وقد قال العلماء أيضاً " من لوازم حفظ القرآن الكريم حفظ سنة رسـول الله لأنهـا مبينه "، فالقرآن قانون والسنة معه كمرسوم تفسيري تشريعي ، إذا حافظنا على القانون ولـم نحافظ على المرسوم فلم نستفد من ذلك شيئاً لأن القانون مقنن والمرسوم مفسر .. فمن لوازم حفظ كلامه حفظ سنة نبيه ..

لذلك هؤلاء العلماء الأجلاء أمثال البخاري ومسلم وابن ماجة والترمـذي والإمـام مالك وغيرهم ، هؤلاء العلماء الذين شمروا ودرسوا حديث رسول الله ودرسوا أحوال الرجال ، وصنفوا ، وعدلوا وجرحوا ، واعتمدوا قواعد دقيقة جداً لتدوين الحديث ، هؤلاء أعانهم الله على أعمالهم ، ويسر الله لهم عملهم ، لأنه تولى بنفسه حفظ كتابه وحفظ سنة نبيـه .. لقولـه تعالى : " إنا نَحن نَزلْنَا الذكْر وإنا لَه لَحافظُون ".

وفي سورة الأنبياء ، يقول الله عز وجل :

وَمِنَ ٱلشَّيَـٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَكُنَّا لَهُمْ حَـٰفِظِينَ ﴿٨٢﴾

(سورة الأنبياء)

أي مدققين فيما يعملون ومراقبين لهم . والحفظ له معنيان إما أن أحفظ كل ما تفعله وكل ما تقوله ، وأسجل عليك كل ما تفعله وكل ما تقوله ، وإما أن أحفظك من كل مكـروه .. فالمعنى الأول هو العلم ، والمعنى الثاني هو التربية ، أي حفظٌ في الذاكرة وإحصاء ، وحفـظٌ من كل مكروه وأذية .

قال الله تعالى :

لَهُۥ مُعَقِّبَـٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴿١١﴾

(سورة الرعد)

" له معقباتٌ من بين يديه ومن خَلْفه يحفَظُونَه ".. من كل سوء.. " يحفَظُونَـه مـن أمرِ الله " ، يعني أن هؤلاء الحفظة يؤدون عملهم بأمر من الله .

وفي سورة البروج ، قال الله تعالى :

بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴿٢٢﴾

(سورة البروج)

فهذا اللوح المحفوظ ، اختلف العلماء في تفسيره ، فأقرب مـا يكـون أن المبـادئ الكبرى التي خلق الله الخلق وفقها ، والسنن العظمى التي سنها الله في تعامله مع خلقه ، هـي في اللوح المحفوظ ، ومن باب التقريب والتوضيح ؛ أن أمةً عظيمةً لها دولةٌ كبيرة ولها أجهزةٌ بالغة الدقة ، لا بد لها من دستورٍ فيه كل الأمور الأساسية ، ويصدر مع هذا الدستور قـوانين كثيرة ومراسيم تشريعية ، ومراسيم تفسيرية ، ومراسيم تنظيميـة ، إلا أن الأصـل أن كـل القوانين تنطلق من الدستور ، مثلاً حرية الكلمة ، حرية العمل ، حرية التعلم ، حرية التعبيـر هذه كلها في الدستور ، ثم القوانين تفسرها وتوضح كيفية الأخذ بها ، فاللوح المحفوظ يضـم المبادئ العظمى ، والسنن الكبرى التي يتعامل الله بها مع خلقه في اللوح المحفوظ .

الإمام الحسن البصري يقول : " إن هذا القرآن المجيد عند الله في لوحٍ محفوظ ينَزل منه ما يشاء على من يشاء من خلقه " .

ويقول الله تعالى في سورة النساء عندما يتحدث عن الأسرة وقوامة الرجل في بيتـه وأهله :

ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ ۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ ۚ وَٱلَّٰتِى تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِى ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ ۖ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا۟ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴿٣٤﴾

(سورة النساء)

فأرقى صفة في المرأة أنها تحفظ زوجها ، تحفظ عرضها في غيبة زوجها ، وتحفظ مال زوجها في غيبته ، وتحفظ سر زوجها ، وتحفظ نفسها .

المرأة الصالحة تحفظ نفسها ، لا تسمح لأجنبي أن ينظر إليها ، لا تلين ولا تخضع بالقول للبائع إذا اشترت ، لا تضرب برجلها ليظهر ما يخْفى من زينتها ، كلامها جاد ، مشيتها جادة ، نظراتها مستقيمة لا يزيغ بصرها ، لا تسمح لأحداً أن يطمع فيها .. فقد قال تعالى :

يَـٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ۚ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾

(سورة الأحزاب)

وَقُل لِّلْمُؤْمِنَـٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَـٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّـٰبِعِينَ غَيْرِ أُو۟لِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ ۖ

وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ۚ وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾

(سورة النور)

أما هذه التي تبدو بأجمل زينة ، تثير كل الناس حولها ، لسان حالها يدعو الآخرين إلى التحرش بها ، هذه المتبرجة ، المتفلتة التي لا ترعى حق الله في خروجها ، فلسان حالها يدعو الناس إلى الدنو منها والطمع فيها ، فالمرأة المؤمنة تحفظ نفسها ، وتحفظ مال زوجها ، وتحفظ سر زوجها .

يقول عليه الصلاة والسلام : " إني أكره المرأة تخرج من بيتها تشتكي على زوجها "

.

عن ثَوبان عنِ النبي صلى الله علَيه وسلم قالَ الْمخْتَلعاتُ هن الْمنَافقَاتُ قَـالَ أَبـو عيسى هذَا حديثٌ غَرِيب من هذَا الْوجه ولَيس إِسنَاده بِالْقَوي وروي عنِ النبي صلى الله علَيه وسلم أَنه قالَ أَيما امرأَة اخْتَلَعتْ من زوجِها من غَيرِ بأْسٍ لَم تَرِح رائِحةَ الْجنة *

(سنن الترمذي)

وأخرج البزار والحاكم وصححه عن ابن عمرو قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا ينظر الله إلى امرأة لا تشكر لزوجها وهي لا تستغني عنه".

فالآية الكريمة : " الرجالُ قَوامون علَى النساء بِما فَضلَ الله بعضهم علَـى بعـضٍ وبِما أَنفَقُوا من أَموالِهِم فَالصالِحاتُ قَانتَاتٌ حافظَاتٌ لِلْغَيبِ بِما حفظَ اللـه واللاتـي تَخَـافُون نُشُوزهن فَعظُوهن واهجروهن في الْمضاجعِ واضربوهن " .

حدثني أخ يعمل في طلاء البيوت قال لي : كنا مجموعة من العمال نعمل في البيت وبه غرفة مغلقة من الداخل ، الرجل حريص على أهل بيته وفي تلك الغرفة زوجته ، قـال : "سبحان الله " في أثناء غيبته خرجت بثيابٍ لا يعقل أن يراها فيها إلا زوجها ، ثياب شـفافة ، إنها متفلتة خرجت بين الشباب في غيبة زوجها ، فإن هذا السلوك لا يكـون مـن مؤمنـة ، المؤمنة تحفظ نفسها وتحفظ سر زوجها وتحفظ مال زوجها وتحافظ على سمعته وكرامته مـن خلال حشمتها وصونها لذاتها .

وقد قال عليه الصلاة والسلام :

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (خير النساء التي إذا نظرت إليهـا سرتك وإذا أمرتها أطاعتك وإذا غبت عنها حفظتك في نفسها ومالك) قال: وتلا هـذه الآيـة "الرجال قوامون على النساء" إلى آخر الآية.

والحفظ أيضاً ورد في القرآن الكريم :

إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ﴿٦﴾ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَـٰنٍ مَّارِدٍ ﴿٧﴾

(سورة الصافات)

أي إذا استرق الشيطان السمع أتبعه شهاب ثاقب .

أيها الإخوة القراء ... مامنا واحد إلا ويتمنى أن يحفظه الله .. إلا أن النبي عليـه الصلاة والسلام كان أديباً مع الله كان يدعو ويقول :

عن عبد الله بن أبي أوفى الأسلمي قالَ خَرج علَينَا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فَقَالَ مـن كَانَتْ لَه حاجةٌ إِلَى الله أَو إِلَى أَحد من خَلْقه فَلْيتَوضأْ ولْيصل ركْعتَينِ ثُم لِيقُلْ لا إِلَـه إِلا اللـه الْحلِيم الْكَرِيم سبحان الله رب الْعرشِ الْعظِيمِ الْحمد لِلَه رب الْعالَمين اللهم إِني أَسأَلُك موجِبات رحمتك وعزائِم مغْفرتك والْغَنيمةَ من كُل بِر والسلامةَ من كُل إِثْمٍ أَسأَلُك أَلا تَدع لِي ذَنْبـا إِلا غَفَرتَه ولا هما إِلا فَرجتَه ولا حاجةً هي لَك رِضا إِلا قَضيتَها لِي ثُم يسأَلُ الله من أَمرِ الـدنْيا والآخرة ما شَاء فَإِنه يقَدر *

(سنن ابن ماجة)

والحفظ له موجبات ؛ احفظ الله يحفظك ، هذا هو أهم مافي البحث الذي نحن بصدده ، احفظ أمر الله يحفظك الله عز وجل .. إذا سألت فاسأل الله ، وإن استعنت فاستعن بالله .. أما الأساس أنك لن تستطيع أن تصل إلى حفظ الله عز وجل إلا إذا حفظت أمره ، يـراك حيـث أمرك ويفقدك حيث نهاك ، إن حفظت أمر الله عز وجل فالله يحفظك ، وحفظ الله شامل يحفظ لك عقلك من أن يصيبه الخلل ، يحفظ لك حواسك وأعضاءك ، يحفظ لك زوجتـك وأولادك ، يحفظ لك بناتك ، يحفظ لك مالك ، يحفظ لك سمعتك ، يحفظ لك دينك ، يحفظ لك كرامتك .

يا ابن عمر لا يغرنك ما سبق لأبويك من قبل، فإن العبد لو جاء يوم القيامة بالحسنات كأمثال الجبال الرواسي ظن أنه لا ينجو من أهوال ذلك اليوم، يا ابن عمر دينك دينك إنما هو لحمـك ودمك، فانظر عمن تأخذ، خذ الدين عن الذين استقاموا، ولا تأخذ عن الذين مالوا.

أيضاً هذا الإسم محبب للإنسان .. فالإنسان حينما يرى كل شيء له محفوظاً فهـذه هي الاستقامة ، وعزة الاستقامة ، الاستقامة عين الكرامة ، أنت إذا استقمت على أمر الله حفظ الله لك كل شيء ، أنت في ظل الله .. " فَإِنك بِأَعيننَا " .. فقد قال الله تعالى :

وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَاۖ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾

(سورة الطور)

هذه الآية موجهةٌ للنبي عليه الصلاة والسلام ، وكلُّ آية موجهة للنبي عليه الصـلاة والسلام ، للمؤمن منها نصيب على قدر استقامته وإيمانه وإخلاصه .. " فَإِنـك بِأَعينِنَـا " .. وإذا كان الله معك فمن عليك ، وإذا كان عليك فمن معك ، وحفظ الله يغني عن كل شيء .

فالنبي عليه الصلاة والسلام وهو في غار ثور كان دمه مهدوراً، مائتا ناقة لمن يأتي به حياً أو ميتاً ، ودخلا إلى غار ثور، قال الصديق : لو نظر أحدهم إلى موطيء قدمه لرآنا .

قال النبي الكريم : يا أبا بكر لا تحزن إن الله معنا . .. نظروا إليه فوقعت أعينهم على عينه ، قال: يا رسول الله لقد رأونا . قال يا أبا بكر ألم تقرأ قوله تعالى :" وتَراهم ينظُـرون إِلَيـك وهم لا يبصرون " قال تعالى :

وَإِن تَدۡعُوهُمۡ إِلَى ٱلۡهُدَىٰ لَا يَسۡمَعُواْۖ وَتَرَىٰهُمۡ يَنظُرُونَ إِلَيۡكَ وَهُمۡ لَا يُبۡصِرُونَ ١٩٨

(سورة الأعراف)

حفظه الله ، فقد تبعه سراقة على حصانه ، غاصت قوائمه في الرمل ، طلب الأمان لكنه عاد ثانيةً فغاصت قوائم فرسه في الرمل ثانيةً فاستسلم لأمر النبي .

فإذا كان الله معك فمن عليك ؟ إذا حفظك الله فأي شيء يضرك .. واللهِ لـيس فـي الأرض كلها جهةٌ مهما قويت تستطيع أن تصل إليك ، وإذا تَخلّى الله عنك ، فقد أسلمك لعدوك ، فقد قال الله تعالى :

لَقَدۡ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٖ وَيَوۡمَ حُنَيۡنٍ إِذۡ أَعۡجَبَتۡكُمۡ كَثۡرَتُكُمۡ فَلَمۡ تُغۡنِ عَنكُمۡ شَيۡـٔٗا وَضَاقَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ ثُمَّ وَلَّيۡتُم مُّدۡبِرِينَ ٢٥

(سورة التوبة)

أرجو الإخوة القراء أن يصغوا إلي وأنا أنهي البحث بهذه الحقيقة .. أنت في كل يوم لك حالان مع الله ، حال التولي ، وحال التخلي ، إذا قلت : أنا، أصابك التخلي ، وإذا قلـت : الله ؛ نالك التولي ، أي إذا وحدت الله تولاك الله ، إذا اعتددتَ بنفسك ، بمالك ، بقوتك ، بعلمك ، بذكائك ، بخبرتك تخلى الله عنك ، تخلى عن أصحاب رسول الله يوم حنين وفيهم النبي .

" لَقَد نَصركُم الله في مواطن كثيرة ويوم حنَين إِذْ أَعجبتْكُم كثْرتُكُم فَلم تُغْـن عـنْكُم شَيئًا وضاقَتْ عليكُم الأرض بِما رحبتْ ثُم وليتُم مدبِرين " ، بينما في بدر قال الله تعالى :

وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾

(سورة آل عمران)

فقد كانوا يوم بدر في غاية الضراعة والذلّة بين يدي الله عزوجل فنصرهم وأيدهم .

أما ملخص الملخص ... فإنه مامنا واحد من دون استثناء إلا ويتمنى أن يحفظـه الله ، أن يحفظ له صحته ، هناك أمراض عضالٌ إذا ألمت بالإنسان جعلت حياته جحيماً لا يطـاق ، يتمنى كلٌ منا أن يحفظ الله له صحته ، وأهله وأولاده وبناته وأصهاره وبيته وماله وتجارتـه وسمعته ومكانته .

قد تسمع أخباراً كأنها الصاعقة يرتجف منها كل إنسان عاقل.. قال لي رجل ابنتـي حاملة والأصح أن نقول حامل ، إذا قلنا إمرأةٌ حاملة أي على ظهرها ، أما حاملٌ في بطنها ، ابنتي حاملٌ من ابني . أين مكانته أمام الأسرة ، الابن في السجن والبنت فـي المشـفى هـذه مشكلة ، مشكلة كبيرة جداً ، وإني أعقّب على هذا فـأقول : لقـد قصـر فـي تربيـة أولاده ومراقبتهم والالتجاء إلى الله ليعينه على توجيههم ، وتخلى عن الله ، فتخلى الله عنهم وعنـه ! بينما هنالك إنسان سمعته طيبة بيته نظيف ، علاقاته كلها إيجابية ، وعمله جيد ، محفوظ فـي مكانته وسمعته ، موفق في عمله ولعل هذا حفظَ اللهَ فحفظ اللهُ عليه بيته وأهلهفقد قال يعقـوب لأولاده كما حكى الله عنه : " قَالَ هَلْ آمَنُكُم عَلَيه إلا كَما أَمنتُكُم عَلَى أَخيه من قَبلُ فَالله خَيـر حافظًا وهو أَرحم الراحمين " .

لا تعتمد على غير الله في الحفظ ولا في أي أمر من أمورك ، أما القول الفيصـل : احفظ الله يحفظك ، أي كن لي كما أريد ، أكن لك كما تريد ، عبدي أنت تريد وأنا أريد ، فإذا سلّمت لي فيما أريد كفيتك ما تريد ، وإن لم تسلّم لي فيما أريد أتعبتك فيما تريد ثم لا يكون إلا ما أريد .

اللهم أعطنا ولا تحرمنا ، أكرمنا ولا تهنا ، آثرنا ولا تـؤثر علينـا ، أرضـنا وارض عنا ، وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم .

والحمد لله رب العالمين

الـ ـدرس ٨٨ – اسم الله : " الأكرم " .

بسم الله الر حمن الرحيم

أيها الأخوة الكرام ... مع الدرس الثامن والثمانين مـن دروس أسـماء الله الحسـنى ، والإسم اليوم الأكرم ، قال الله تعالى :

ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾

(سورة العلق)

الأكرم : من أسماء الله الحسنى ، لكن هذا الإسم زائد على الأسماء التسـعة والتسـعين المعروفة ، قريب من هذا الاسم اسم الكريم ، وقريب من هذا الإسم ذو الجلال والإكرام .

أيها الإخوة ... يجب أن نعلم علم اليقين أنه ما من موضوعٍ في الدين يرقى إلى مستوى أن تعرف أسماء الله الحسنى ، لأن الله عز وجل هو القصـد .. إلهـي أنـت مقصـودي .. ورضاك مطلوبي ، ولأن الإنسان سوف يكون في حضرة الله عز وجل إلى أبد الآبدين ، فكلما ازدات معرفته في الدنيا برب العالمين سعد بقربه وكان في عداد أوليائه المقربين ، فقد قال الله تعالى :

إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٥٥﴾

(سورة القمر)

أيها الإخوة ... انظروا إلى الإنسان أحياناً كيف أنه يفخر إذا كانت له مكانةٌ عند إنسانٍ قوي ، لا يفتأ يتحدث عنه وعن علاقته به وعن مكانته عنده وعن حظوته بين يديه ، فكيف إذا كانت لك مكانةٌ عند خالق السموات والأرض ، الله جل جلاله يقول :

إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾

(سورة مريم)

أنت في الدنيا تتعرف إلى الناس بعينيك ، ترى قامته ، ولون جلده لون عينيه ، شعره ، أناقته ، ثيابه ، تحدثه ويحدثُك ، تكلمه ويكلمك ، تعامله ويعاملك ، تسافر معه ، تجاوره تعرفه جيداً ، كيف السبيل إلى معرفة الله من أجل أن تحبه ، من أجل أن تخاف منه ، من أجـل أن تعظمه ، من أجل أن تخضع له ، من أجل أن تجعله نهاية المطاف ، وأن تجعله هـدفك الأول والأخير ، من أجل أن تعرف أنه هو الأول والآخر والظاهر والباطن وأنه بكل شيء علـيم ، من أجل أن تعرف الله ، من أجل أن تسعد بقربه ، من أجل أن تُفني شبابك في طاعته ، مـن أجل أن تُمضي حياتك في خدمة خلقه يجب أن تعرفه ، لذلك ما من عملٍ ، ما من جهد ، مـا من نشاط فكريٍ يعلو على عمل يؤدي بك إلى أن تعرف الله .

الحقيقة وهذه أقولها كثيراً .. المعرفة المختصرة لا تقوى على حملك علـى طاعتـه ، فلابد من أن تتبحر في المعرفة من أجل أن تعرف من هو الله .. الله عز وجل يقول :

ٱللَّـهُ ٱلَّـذِى خَـلَقَ سَـبۡعَ سَمَـٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنَهُنَّ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّـهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىۡءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّـهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىۡءٍ عِلۡمَۢا ﴿١٢﴾

(سورة الطلاق)

وَٱللَّـهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَةً لِّقَوۡمٍ يَسۡمَعُونَ ﴿٦٥﴾

(سورة النحل)

۞ٱللَّـهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعۡفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعۡدِ ضَعۡفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعۡدِ قُوَّةٍ ضَعۡفًا وَشَيۡبَةً ۚ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡقَدِيرُ ﴿٥٤﴾

(سورة الروم)

ماذا يريد الله من هذه الآيات ؟ أي : يا عبادي اعرفوني ، بيدي الشمس والقمر ، بيدي الليل والنهار ، بيدي خلقكم وبعثكم ، حياتكم وموتكم ورزقكم ، بيدي المطر ، بيدي المرض ، بيدي كلّ شيء فلا تلتفت إلى سواي.

فلذلك عندما يعرف الإنسان الله عز وجل وهو يدري من هو ويقدر لله قدره ، وهو يعلم علم اليقين أنه رب وخالقه ، تجده قد التزم منهجه بشكلٍ صحيح ، أقبل عليه ، ابتغى مرضاته ، سعى إلى طاعته .

إذاً : هذه المقدمة لا شيء يعلو على أن تعرف الله ، إنك إن عرفته أطعته ، وإن أطعته أقبلت عليه ، وإن أقبلت عليه سعدت بقربه ، وإن سعدت بقربه تاقت نفسك إلى الجنة .

سيدنا عمر بن عبد العزيز يقول : تاقت نفسي إلى الإمارة فلما بلغتها تاقت نفسي إلى الخلافة ، فلما بلغتها تاقت نفسي إلى الجنة ، معنى ذلك أنه أراد الإمارة والخلافة لتكونا مطيتين إلى الجنة .. فلما بلغتهما تاقت نفسي إلى الجنة .

إخواننا الكرام .. في مقتبل العمر الأمور متشابهة عند جميع الناس إلى حد بعيد ..فالشاب في أول حياته الخط البياني في حياته صاعد ، أما عندما يبدأ الخط البياني الصاعد يسير مستقيماً ثم يبدأ ينحدر ، فإن الخط البياني عندئذ يؤذن ببدء النهاية ، نهاية المطاف وهي صعبة جداً ، إلا لمن أمضى حياته في طاعة الله ، المغادرة لا تحتمل إلا لمن قدم بين يديه أعمالاً صالحة كبيرة.

الاسم اليوم الأكرم ، والأكرم اسم تفضيل .. قال الله تعالى : "اقْرَأْ وربك الأَكْرم " ، من الكرم ، والكرم ضد اللؤم .

بالمناسبة الأخلاق لها مفردات مثلاً مثل الشجاعة ، أو الصبر ، أو الحلم ، وتحمل بعض الصفات الإنسانية معاني جامعة ، مثلاً المروءة .. صاحب المروءة كريم ، صاحب المروءة عفيف ، صاحب المروءة شجاع ، صاحب المروءة يلبي حاجة الضعيف ، صاحب المروءة صاحب نجدة ، صاحب المروءة صاحب إغاثة للهفان ، كلمة مروءة ، كلمة تشمل عشرات الصفات .. أما اللؤم والعياذ بالله ، بخل على جبن على كبر على أَثَرة على قسوة على دناءة .

فكما قال سيدنا علي بن أبي طالب : والله والله مرتين لحفر بئرين بإبرتين .. هل يمكن حفر بئر بإبرة ؟!! حفر بئرين بإبرتين ، وكنس أرض الحجاز في يومٍ عاصف بريشتين ، ونقل بحرين زاخرين بمنخلين ، وغسل عبدين أسودين حتى يصيرا أبيضين .. قال : أهون علي من طلب حاجة من لئيمٍ لوفاء دين .

هل تعلمون أيها الإخوة ما هو الذل ؟ الذل أن يقف الكريم باب اللئيم ثم يـرده ، أنـت كريم احتجت إلى لئيم .. الآن هناك إخوان كرام لا يسمح أحدهم لنفسه أن يقف موقف ضعف أمام لئيم ولو ضاعت منه الدنيا بأكملها .

فإذا كنت واقفاً على إشارة المرور الحمراء انتظر دقيقتين حتى تلوح الخضراء خير من أن تقف موقفاً أمام إنسانٍ سيحاسبك بقسوة ، الإنسان المؤمن كريم ، لا ينبغي للمؤمن أن يـذل نفسه ولا ينبغي له .. أطلبوا الحوائج بعزة الأنفس فإن الأمور تجري بالمقادير .. من جلـس إلى غنيٍ فتضعضع له ذهب ثلثا دينه .

إليكم هذه القصة التي من المناسب أن أذكرها لكم .. إنسان جاء إلى النبي عليه الصلاة و السلام يطلب منه مساعدة ، سبحان الله : النبي الكريم أراد أن يعلمه درساً ويعلـم النـاس درساً ، قال له : أعندك شيء في البيت ؟ قال له : والله ما عندي إلا قعب أشرب به وحلـس أجلس عليه - القعب : (إناء) ، والحلس (بساط) - قال إئتني بهما - فلم يبقَ في بيته شيء - قال الرجل : فأتيته بهما ، فقال عليه الصلاة والسلام : من يشتري هذين مـنكم ؟ قـال أحـد الصحابة : أنا أشتريهما بدرهم، قال عليه الصلاة والسلام : من يزد على درهم ؟ مـن هنـا شُرِعت المزايدة ، فقال صحابي آخر : أنا أشتريهما بدرهمين ، قال : هـات الـثمن ، باعـه الحلس والقعب وأخذ الدرهمين ، قال عليه الصلاة والسلام للرجل السائل : اذهب إلى أهلـك فاشترِ لهم بدرهمٍ طعاماً فامدده إليهم ، وائتني بالدرهم الآخر بقدوم - هذه خطة النبي : فاشترِ بدرهمٍ طعاماً فامدده إلى أهلك ، وائتني بالدرهم الآخر بقدوم - ، جاءه بقدوم شد عليه النبـي صلّى الله عليه وسلّم عصاً بيده الشريفة ، وقال : اذهب واحتطب ولا أرينك لخمسة عشر يوماً .

العلماء فسروا هذا الموقف .. أن الإنسان إذا أهله جياع لا ينتج، أمـا حينمـا يـؤمن الطعام لأهله ينتج .

النبي عليه الصلاة والسلام قال له : اشترِ بدرهمٍ طعاماً فامدده لأهلك وائتني واشترِ بهذا الدرهم قدوماً واذهب واحتطب .. عاد بعد سبعة أيام وقد جمع عشرة دراهم ، قال : هذا خير لك من أن تسأل الناس . علمه درساً في التعفف عن المسألة كما عليـه أن يقـرع أبـواب الرزق التي شرعها الله لعباده .

فالإنسان إذا فتح على نفسه باب مسألة ، فتح الله عليه باب فقرٍ. لأن الذي أعطى غيرك سوف يعطيك .. أنا الذي يلفت نظري أن شاباً مؤمناً تكون الطرق كلها أمامه مغلقة ، فيطرق باب الله تعالى قائلاً : يارب الأمر بيدك وقد تعلق قلبه ورجاؤه بالله فهل يرده الله خائباً ؟

قال لي أخ كريم : صليت قيام الليل ودعوت الله من أعماقي أن يرزقني كي أتـزوج ، وذكر لي : أنه يملك محلاً في أطراف المدينة لتصليح مكيفات ، ولكنه لا يجد زبونـاً واحـداً

مردوداً ولا تجد شيء على الإطلاق ،من أسباب الرزق قال : وأنا على أحر من الجمر أريـد الزواج ، وخطبت فتاة صالحة وممتازة ، لكن تنتظر مني أن أقدم لهـا شـيئاً ، وأن أخطبهـا بشكل رسمي وأن أعقد العقد ولكن لا أملك شيئاً ، فلم يجد إلا الله ملجأً وملاذاً ، قال لي : والله صليت ركعتين في جوف الليل ، وسألت الله في السجود أن يرزقني رزقاً حلالاً طيبـاً كـي أتزوج ، ولم يلبث وهو يقص القصة أن بكى ، وقال : والله خلال مدة عشرين يوماً حصـلت على سبعين ألف ليرة من المحل نفسه وقال لي : وصار عنده تصليح وتركيب وبيع كثيـر ، وقد مضى على المحل مفتوحاً سنتان ، كانت أموري خلالها بائسة ، ثم بالدعاء والابتهال فتح الله ما كان مغلقاً ، والأمر بيد الله عز وجل .

إن الحديث الذي أقوله لكم دائماً وهو من أدق الأحاديث :

عن أبي هريرةَ عن النبي صلى الله عليه وسلم قالَ لولا أن أشُق على أُمتي لأمـرتُهم بالسواك مع الوضوء ولأخرتُ العشَاء إلى ثُلث الليل أو نصف الليل فإذَا مضى ثُلثُ الليـل أو نصفُ الليل نَزلَ إلى السماء الدنْيا جل وعز فَقالَ هلْ من سائِلٍ فأعطيه هـلْ مـن مسـتَغْفرٍ فأغْفر له هلْ من تَائِبٍ فأتُوب عليه هلْ من داعٍ فأُجيبه *

(مسند الإمام أحمد)

الأيامِ طويلة ربنا عز وجل لحكمة بالغة يقَطع آمالك من الخلق فإذا يئست منهم فتح لـك بابه، فأنت كن ذكياً ألمعياً واتجه إليه مباشرةً ولا تطرق باب الخلق أصلاً .

إذاً : الكرم ضد اللؤم .. والكرم في أدق تعاريفه فعلٌ ما ينبغي لا لغرض .

أكثر الأجانب أذكياء جداً قد ينتزعون إعجابك بدقة مواعيدهم بإتقان صـنعتهم ، لكـن غرضهم الربح ، غرضهم التنمية بالتعبير الاقتصادي الحديث ، غرضهم رفع مستوى الأرباح ، لذلك يعتنون جداً بصناعتهم وبتجارتهم وبمواعيدهم وبإتقان صنعتهم . هم يفعلون ما ينبغـي ولكن يفعلونه لغرض .. أما الكرم فهو أن تفعل ما ينبغي لا لغرض قال الله تعالى :

إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾

(سورة الإنسان)

فمن وهب المال لجلب النفع ، أو لدفع الضر ، أو للخلاص من ذمٍ فليس بكريم ، وبعد ، إذا عمل الإنسان عملاً بطولياً ، يقول لك لأغراض انتخابية انتهى العمل ، هذا ليس بطولياً .. والآن وفي العالم كله إذا عمل إنسان عملاً بطولياً فهو بمقياس الإنسانية عمل إنسـاني ، مـا الذي يفرغه من مضمونه؟ أنه لأسبابٍ انتخابية فقط ، سقط العمل ، هذا معنى إحباط العمل ..

أما المؤمن يفعل الأعمال الصالحة ابتغاء مرضاة الله لا لمديحٍ ولا لثناء ولا لمكافأة ولا لـذكرٍ يجري بين الناس .

قالوا : من وهب المال لجلب نفعٍ أو دفع ضررٍ أو خلاصٍ من ذمٍ فليس بكريم .. والجمع كُرماء .. وأكرمه إكراماً أي عظمه ونزهه والكريم هو الصفوح عنـد الـذنب ، والكـرم إذا وصف به إنسان فهو اسم لأخلاق عديدة وأفعالٍ محمودة تظهر منه ، اسم جامع كـالمروءة ، كاللؤم ، اللؤم اسم جامع لمفردات من الأخلاق الخسيسة ، والكرم اسم جامع لعدد كبيـر مـن الأخلاق الفاضلة .

قالوا : الكرم يقترب من الحرية ، الحرية صفة مديح ، فلان حر ، الإنسان إذا خضـع لنزواته ليس حراً فهو عبد ، كما قال عليه الصلاة والسلام : تعس عبد الدرهم ، - أي عبـد المال- .

عن أبي هريرةَ رضي الله عنْه عن النبي صلى الله عليه وسلم قالَ تَعس عبد الدينَارِ والدرهمِ والقَطيفَة والخَميصة إن أُعطي رضي وإن لم يعطَ لم يرض ...*

فالإنسان أحياناً يخضع لنزواته ، إذاً هذا ليس حراً بل هو عبد، الإنسان يخضـع إلـى عصبيته الضيقة ، فابنه مثلاً على حق ولو كان أسوأ الناس ، ورفيق ابنه على باطل ولو كان أحسن الناس ، وهذا الشيء يظهر عند النساء تثني على ابنتها وتمدح ابنتها ، وابنتها ليس أرقّ ولا أحسن منها بين بنات الناس منها ، وابنتها فهيمه ، وابنتها طباخة ، وابنتها مثقفة ، وابنتها وابنتها .. وحينما تتزوج هذه البنت يبدو منها مالا تحمد عقباه ، فهذه المرأة ليست حرة لأنهـا تزور الحقائق بدافع من عصبية ضيقة .

من هو الحر ؟ الذي ينطق بالحقيقة ولو أنها مرة . من هو الحر؟ الذي ينصف النـاس من نفسه ، فكلمة حر أي لا يخضع لهوى ، لا يخضع لنزوة ، لا يخضع لضغط ، لا يخضـع لفقر، لا يخضع لطمع ، الطمع أذل رقاب الرجال ، كاد الفقر أن يكون كفراً ، الإنسان يحـب عشيرته ، وأبناء ملته ، وأبناء جلدته يحبهم إلى درجة الكذب والنفاق ، ويكره أعـداءه إلـى درجة الظلم يجحف بحقهم ، من هو الحر ؟ الذي ينطق بالحق ولو كان مراً.

إلاّ أن العلماء قالوا : " الحرية تقال في المحاسن الصغيرة والكبيرة ، والكرم لا يقال إلا في المحاسن الكبيرة ، كمن ينفق مالاً في تجهيز جيشٍ في سبيل الله " .. اللهم صل علـى محمد وآله ، حينما جهز عثمان بن عفان رضي الله عنه الصحابي الجليل جيش العسرة بأكمله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما ضر عثمان ما فعل بعد اليوم ، فالنبي عليه الصـلاة والسلام كان يقدر المعروف .

جاء رجل اسمه تميم الداري كان في الشام واشترى سرجاً ، وحبالاً ، وزيتاً ، وجاء مع غلمانه وعلق القناديل في المسجد ربطها بحبال ثم حينما دخل وقت العشاء أسرجها ، فـدخل

النبي عليه الصلاة والسلام وسر بهذا سروراً بالغاً قال من فعل هذا ؟ قالوا : تميم الداري ، فقال عليه الصلاة والسلام : يا تميم نور الله قلبك كما نورت هذا المسـجد لـو أن لـي بنتـاً لزوجتك . من شدة تقديره لهذا العمل .

أحياناً يقدم إنسان خدمات إلى المسجد مثلاً ، يقدم خدمات لدعوة ، يقوم بعمل طيـب ، يسهم في خدمة الآخرين ، فالله سبحانه وتعالى لا يضيع أجر من أحسن عملاً ، وأنا لا أنسـى أبداً الآية الكريمة التي تذكر أن إمرأة عمران قالت : رب إني وهبت إليك مافي بطنك محرراً .. في قوله تعالى :

إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾

(سورة آل عمران)

هل يوجد بيننا نحن الحاضرين شخص وأنا معكم ليس له ميزة ؟ مستحيل ، هذا يـتقن الرياضيات ، مثلاً هذه المرأة تتقن الطبخ .. وهكذا أصيبت امرأة بمرضٍ خبيث في دماغهـا وشفاها الله عز وجل فنذرت لله عز وجل أن تعمل صالحاً ، فقيرة لا تملك من حطـام الـدنيا شيئاً ، ماذا تملك ؟ إستأجرت غرفة وصارت تطبخ الطعام الشهي النفيس وتبيعـه للأسـر الغنية التي تحب أن تأكل طعاماً بيتياً ، وبالربح صارت تعالج المرضى ، هذا مثل .. امرأة لا تملك إلا فن الطبخ وظفت هذه القدرة في العمل الصالح وبدأت تدفع نفقات عمليات وخـدمات للفقراء المرضى، هذه تقربت إلى الله بطبخها .

هل يوجد إنسان ليس له ميزة ؟؟ . امرأة عمران ماذا تملك ؟ تملك ما في بطنها قالت : رب إني نذرت لك ما في بطني محرراً .

عندنا أخ محامٍ ، وأخ طبيب ، وأخ مهندس ، وأخ مدرس، وإنسان حالته المادية جيدة ، وإنسان عنده قدرة على الإقناع ، وإنسان عنده خبرات معينة ، فتجد الحياة تحتاج إلى تعاون ، قدم شيئاً ما لله عز وجل ولا تعجز

قال له : يا بشر : لا صدقة ولا صيام ولا جهاد فبم تلقى الله إذاً؟.

والله أنا أحياناً أكون ممتن جداً ومسروراً من بعض الإخوان يقول لي أحدهم : أنا محامٍ إذا اتصل بك أخ فقير له قضية فابعثه إلي ، الله يجزيك الخير.. ويقول لي آخر : أنا محال في مخبر إذا علمت بأخ فقير يريد أن يحال فأنا جاهز.. أنا طبيب لو أرسلت لي أخاً فقيراً أعالجه

مجاناً .. ذات مرة أخ من إخواننا الكرام جراح ، قال لي : أنا مستعد أن أستقبل أي أخٍ يريـد إجراء عملية ، بعثنا له أول أخ عمل له عملية ، بالمشفى وفي الدرجة الثانية ونجحت العملية ، بعثنا له أخاً ثانياً وأخاً ثالثاً .. هذا أدى زكاة اختصاصه ، يجب أن نتوسع في مفهوم الزكـاة ، فهناك زكاة مال ، وهناك زكاة وقت ، و زكاة خبرة الخ .

لنا قريب عنده محل للحلويات في المرجة ، وهذه القصة من ثلاثين سنة دخـل لمحلـه شخص أرمني ، قال له : هل تعلمني الكاتو ؟ قال له: على عيني تفضل .. عمل أمامه طبخة - خلطة - وأدخلها إلى الفرن وقال له : اكتب الكميات والمعايير ، ثم كلفه أن يعمل واحـدة أمام صاحب المحل ، فعمل واحدة أمامه ، ثم أقسم : والله يا أستاذ منذ ثلاثين سنة كـل سـنة يزورني ويحضر لي هدية من القامشلي ويقول : كل هذا الخير من فضلك .. لم يضيع معـه المعروف .. هذا ماذا فعل ؟ أدى زكاة خبرته ، ومن الممكن أن تؤدي زكاة مالك ، زكاة وقتك بدرس علم ، زكاة خبرتك علم ، بعث لك ابنه بدون أجر ليعلم الصنعة فلا يعلمه ، لكن يشغله فقط ، عندما يريد أن يفك المحرك يقول له : اذهب خارج المكان ، يا أحمق .. علمـه ، والله هو الرزاق ، أد زكاة خبرتك ، أد زكاة مالك ، أد زكاة وقتـك ، أد زكـاة صـحتك عـاون المرضى ، أد زكاة وقت فراغك ، عاون الضعفاء .

إذاً من الحر ؟ قد يقال فلان حر إن صدرت عنه محاسن صغيرة وكبيرة، أما لا يقال له كريم إلا إن صدرت عنه المحاسن الكبيرة ، كمن ينفق ماله في تجهيز جيشٍ بأكملـه ، كمـن يتحمل ديات القتلى ويحقن دماء المسلمين هذا عمل جليل .

أما النقطة الدقيقة أيها الإخوة ... ليس المهم أن تقرأ الآية وتجري على اللسـان كثيـراً لكن المطلوب منك دقق في معانيها .. قال الله تعالى :

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣

(سورة الحجرات)

" إن أكْرمكُم عنْد الله أتْقَاكُم " .. أعلاكم مكانةً عند الله أشرفكم أقربكم إلى الله أتقاكم .. المعاني مفهومة واضحة ، فهل عملت بها ؟

الله عز وجل قال لك إن المقياس عندي التقوى أي الطاعة ، قال الله تعالى :

يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾

(سورة الأحزاب)

" يأأيها الناس إنا خَلَقْنَاكُم من ذَكَرٍ وأُنثَى وجعلْنَاكُم شُعوبا وقبائِلَ لِتَعـارفُوا إن أَكْـرمكُم عنْد الله أَتْقَاكُم إن الله عليم خَبِير " .

أتحب أن تكون عند الله أكرم الناس ؟ أطعه .. الشيء بين يديك مبذول ، آلاف الناس لن تستطيع أن تصل إليهم ، ولن تستطيع أن تخطب ودا أحدهم ، ولن تستطيع أن تقابله ، لكن الله جل جلاله خالق الكون يقول لك : " إن أَكْرمكُم عنْد الله أَتْقَاكُم " فأي إنسان يطيـع الله عـز وجل الله يقربه ويرفع له مكانته ، أما إذا وصف الله عز وجل بالكرم ، فإنما هو اسم لإحسانه وإنعامه المتلاحق ..

جاء اسم الأكرم في قوله تعالى في سورة العلق : " اقْرأْ وربك الأكْرم * الذي علم بِالْقَلَمِ " ، أي هو أكرم الأكرمين ، هو المعطي ، هو المسعد ، هو المحسن ، والناس والعياذ بالله لا يرون إحسان الله .

أحياناً تدفع عن إنسان أجرة الركوب في السيارة خمس ليرات تكرمة له ، فتجده طـوال الطريق يتشكرك بتعبيرات وهو ممنون منك كأن يقول لك : غلبت نفسك ، وجزاك الله الخير ، قد خجلتني ويعيدها لك عدة مرات من أجل خمس ليرات دفعتها عنه .

فالذي منحك نعمة الوجود بعد أن لم تكن شيئاً مذكوراً ، نعمة الإيجاد ، نعمة الإمـداد ، نعمة الهدى والرشاد ، خلق لك من جنسك امرأة هديةٌ لك بها آية سكن ومودة ورحمة ، آواك في بيت، أطعمك ألوان الطعام ، خلق لك أنواع الفواكه ، رزقك ابناً يملأ عليك البيت فرحـاً وسروراً ، أعطاك أجهزة دقيقة فقد قال تعالى :

أَلَمۡ نَجۡعَل لَّهُۥ عَيۡنَيۡنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانٗا وَشَفَتَيۡنِ ﴿٩﴾ وَهَدَيۡنَٰهُ ٱلنَّجۡدَيۡنِ ﴿١٠﴾

(سورة البلد)

فهذا الذي خلق كل هذه النعم ألا يستحق أن تشكره ، أن تـذكره .. إنـك إن ذكرتنـي شكرتني.

وفي سورة الرحمن أيضاً آية ثانية :

كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾

(سورة الرحمن)

العلماء قالوا : لا ينبغي أن تقول : " كُل من عليها فَانٍ " .. وتقف بل ينبغـي أن تتـابع الآية فتقول : " كُل من عليها فَانٍ ويبقَى وجه ربك ذُو الْجلال والإكْرام ".

أي أن الله عز وجل هو المكرم هو الكريم ، هو المعطي ، منحك كل النعم ، أمـا هـذا الإنسان الجاهل الغافل فهو مسكين إذ يعزو هذه النعم إلى غير الله ، فيعزوها تارةً إلى ذكائـه ..

قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِيٓ ۚ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ وَلَا يُسْأَلُ عَن ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾

(سورة القصص)

وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾

(سورة الزخرف)

وما إلى ذلك كأن يعزوها إلى مهارته في العمل أو حسن حظه .

والإنسان ينبغي أن يعلم حقيقة الألوهية .. فالكون كله عطاء من عطاءاته .. فأنا أذكـر ذلك كثيراً .. فهل من الممكن أن تصدق أن هناك مليون مليون مجرة ، وفي كل مجرة فيهـا مليون مليون نجم ، أي لو كتبنا رقم واحد وأمامه أربعة وعشرون صفراً فما هذا الرقم !!! إنه رقم خيالي وكل هذه الكواكب والنجوم مسخرةٌ للإنسان ، الله عز وجل قال :

أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾

(سورة لقمان)

فإذا قرأ أحدكم قوله تعالى : " اقْرَأْ وربك الأكْرم * الذي علم بِالْقَلَمِ " ، ألا يشعر برعشة ، بخفقان ، بجلد يقشعر ، بقلب يخفق .. " اقْرَأْ وربك الأكْرم * الذي علم بِالْقَلَمِ ".

إخواننا الكرام ... الدين أساسه الحب ، إذا ألغي الحب من الدين صار الـدين ثقافـة ، وطقوس ، وفلكلور ، وعادات ، وتقاليد ، ومعلومات ، مشاعر ، وكتب وهكذا ، أما إذا كـان في الدين حب فإنه يفعل كل مستحيل .

النبي عليه الصلاة والسلام من أدعيته الشريفة : " يا حي يا قيوم، يا بديع السـماوات والأرض ، يا ذا الجلال والإكرام ، لا إله إلا أنت برحمتك نستغيث، أصلح لنا شأننا كلـه ولا تكلنا إلى أنفسنا طرفةَ عين ، ولا أقل من ذلك " .

وكان عليه الصلاة والسلام يكثر من قراءة هذه الآية : " كُل من عليها فَانٍ ويبقَى وجـه ربك ذُو الْجلال والإِكْرام ".

أيها الإخوة ... من إجلال الله عز وجل ، من إجلالك لكرمه قال: المؤمن يجل الله فـلا يعصيه ، ويطيعه فلا يخالفه لأنه ذو الجلال والإكرام وذو العظمة والكبرياء ، فـلا أريـد أن أُطيل عليكم .. الكافر يقف عند النعمة، ويعمى عن المنعم ، والمؤمن يتجاوزها إلى المنعم .

النبي عليه الصلاة والسلام كانت تَعظُم عنده النعمة مهما دقت ، والمؤمن يتقلب فـي نعم الله ، والنبي عليه الصلاة والسلام يقول : أحبوا الله لما يغزوكم به من نعمه ، وأحبـوني بحب الله، وأحبوا آل بيتي لحبي .

وأخرج البيهقي عن ابن عباس، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "ان داود عليه السلام قال فيما يخاطب ربه عز وجل: يا رب، أي عبادك أحب اليك أحبه بحبك؟ قال: يا داود أحب عبادي الي نقي القلب، نقي الكفين، لا يأتي إلى أحد سوء ، ولا يمشي بالنميمة ، تـزول الجبال ولا يزول ، أحبني وأحب من يحبني ، وحببني إلى عبادي ، قال: يا رب إنك لتعلم أني أحبك وأحب من يحبك ، فكيف أحببك إلى عبادك؟! قال : ذكرهم بآلائي وبلائي ونعمائي ، يا داود إنه ليس من عبد يعين مظلوما ، أو يمشي معه في مظلمته ، إلا أثبت قدميه يـوم تـزل الأقدام"

ذكرهم بآلائي كي يعظموني ، وذكرهم بنعمائي كي يحبوني ، وذكـرهم ببلائـي كـي يخافوني.

فالملخص : أنه لا بد من أن يجتمع في قلب المؤمن تعظيم لله ، وخوفٌ منه ، وحـب له ، تعظيم بالآلاء .. وخوف بالمصائب .. محبة بالنعم.

كأس من الماء تشربه وطريق الخروج سالك نعمة كبرى ، فلو كان غير سـالك فـآلام حصر البول لا تُحتمل ، فيلزمه الذهاب للإسعاف في الساعة الثالثة ليلاً لفتح مجرى البـول ، أكلت طعاماً .. والطريق سالك نعمة أخرى كبرى ، أيضاً لو كان هناك انسداد .. قال تعالى :

مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَـٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَـٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَـٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّـٰرِبِينَ وَأَنْهَـٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ۖ وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ۖ كَمَنْ هُوَ خَـٰلِدٌ فِى ٱلنَّارِ وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ ﴿١٥﴾

(سورة محمد)

" وسقُوا ماء حميما فَقَطع أمعاءهم " .. فالأمعاء ليس بها إحساس لا بالحر ولا بـالبرد ، فلو وضعت فيها ماء يغلي ، أما آلام الضغط داخلها لا يحتمل ، إذا أكلت طعاماً وكان الطريق سالك ، مشيت متوازناً . فلو اختل جهاز التوازن لاحتجت إلى عصا لتمشي مسـتعيناً بهـا ، فأنت تمشي متوازناً ، والأجهزة تعمل بانتظام ، والحواس الخمس سليمة .. فهذه من نعم الله العظمى .

إخواننا الكرام مرة ثانية ... الآلاء للتعظيم ، والنعم للحـب ، والمصـائب للخـوف .. بالخوف تتقي أن تعصيه ، وبالحب تقبل عليه ، وبالتعظيم تتابع الرقي إليه .. وهذا من بعض الخواطر الإيمانية المتعلقة باسم الله الأكرم .. " اقْرَأْ وربك الأكْرم * الذي علم بِالْقَلَمِ "..

في النهاية أنت إنسان أودع الله فيك قوةً إدراكية فإن لم تتعرف عليـه عطلتهـا ، وإذا عطلت القوة الإدراكية هبطت إلى مستوى لا يليق بك.

والحمد لله رب العالمين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعـد الأمـين ، اللهم أعطنا ولا تحرمنا ، أكرمنا ولا تُهنّا ، آثرنا ولا تؤثر علينـا ، أرضـنا وأرض عنـا ، وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم .

الحمد لله **رب العالمين**

الـ ـدرس٨٩ – اسم الله : " المضل " .

بسم الله الر حمن الرحيم

أيها الأخوة المؤمنون ... مع الدرس التاسع والثمانين من دروس أسماء الله الحسـنى ، والاسم اليوم المضل .

قبل أن نشرع في الحديث عن هذا الإسم لابد من مقدمة ، هذه المقدمة لغوية .. الكلمـة تحتمل من المعاني بقدر ما يملك الإنسان من خبرات، كأن الكلمة مشجب يعلق عليه كل إنسانٍ ما يملكه من خبرات حول هذه الكلمة ، لذلك هناك خطر كبير أن نملك مفهوماً خاطئـاً عـن كلمة ، فكلّما ذكرنا هذه الكلمة حملناها ذلك المفهوم .

مثلاً .. كلمة جرثومة في استعمالاتنا اليومية هي كلمةٌ تشير إلى المرض ، أما أن يقف شاعر يقول وهو يخاطب خليفةً كبيراً :

أنت جرثومة الدين والإسلام والحسب ...

معنى ذلك أن كلمة جرثومةُ وقت ما مدح الشاعر الخليفةَ بها كانت تعني شيئاً كبيـراً ، كانت تعني أصل الشيء ، فلما سمينا تلك الكائنات المجهرية التي هي سبب الأمراض جراثيم فلم يعد من المناسب أن تمدح إنساناً وتصفه بأنه جرثومة ، إذاً هذه الكلمة حملت معنـى فـي حقبة ما غير المعنى الذي تحمله الآن .

فكلمة استعمار ، ليست هذه الكلمة محببة ، لأن أقوياء منحرفين معتدين احتلـوا بـلاداً ونهبوا ثرواتها وقهروا أهلها واستعبدوهم فسموا أنفسهم مسـتعمرين بمعنـى أنهـم أرادوا أن يعمروا الأرض، الممارسة المؤلمة الخاطئة والتي أُلصقت بهذه الكلمة أعطتها معنى لا يقبـل الآن ككلمة يمكن أن يمدح بها إنسان .

أردت من هذه المقدمة أن نحرر مفاهيم الكلمات مما لصق بها من خبرات . ربما كانت الكلمة لها معنى في اللُغة غير هذه المعنى .

العلماء قالوا : " لا ينبغي أن نذكر اسم المضل إلا مع اسم الهادي ، ولا ينبغي أن نذكر اسم الضار إلا مع اسم النافع ، ولا اسم المذل إلا مع اسم المعز ، ولا اسم الخافض إلا مـع اسم الرافع ، ولا اسم القابض إلا مع اسم الباسط .. فهو يقبض ليبسط ، ويخفض ليرفع ، ويذل ليعز، ويأخذ ليعطي ، ويضل ليهدي " ، ما دامت أسماء الله حسنى وصفاته فُضلى .. إذاً لا بد من تفسيرٍ يليقُ بكمال الله لهذه الأسماء الحسنى ، ويليق بعظمته ، ويليـق بقدرتـه ، ويليـق بعدالته ، ويليق برحمته .

الاسم المضل ربما من خلال الممارسات وجدنا أن إنساناً يضل إنساناً آخر ، فهذا العمل ليس محبوباً عندنا ، ليس عملاً مستحسناً أن يضل إنسان إنساناً ، إنه عملٌ مخالفٌ للفطـرة ، مخالفٌ للقيم الإنسانية الرفيعة ، أما إذا قلنا أن الله هو المضل فلا بد لهذا الإسم من معنى يليق بكمال الله .

كما هي العادة نقف وقفةً متأنية عند اللُغة .. فالمضل اسم من أسماء الله الحسنى التـي تضاف إلى التسعة والتسعين اسماً التي وردت في الأحاديث الصحيحة .

الضلالُ النسيان والضياع .. فقد قال تعالى :

قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾

(سورة طه)

وضل الكافر .. إذا غاب عن الهدف الذي خلق من أجله .

إنسان ذهب إلى بلد غربي لينال الدكتوراه ، فتنته هذه الـبلاد بمسـارحها ومقاصـفها ونواديها وحدائقها وشهواتها فانغمس في هذه الشهوات وضل عن هدفه الذي أُرسل من أجله ، فيقال : هذا الطالب ضالّ : أي غاب عن الهدف الذي جاء من أجله ، وقد يكون الضلال هـو الانحراف عن الطريق المستقيم .. الطريق المستقيم إذا خرج الإنسان عنه فقد ضـل ضـلالاً مبيناً .

أضله .. جعله ضالاً .. إذا قلنا فلان أضل فلاناً أي جعله ضالاً ، أما إذا قلنا الله جـل جلاله أضل فلاناً أي وجده ضالاً وعلمه ضالاً .. هذا معنى آخر.

يقال : " الضلالُ كل عدولٍ عن المنهج عمداً أو سهواً ، يسيراً أو كثيراً".

في الحقيقة : وردت كلمة الضلال في القـرآن الكـريم كثيـراً ، وورد أن الله يضـل الكافرين ، فكيف نفسر هذا الاسم الذي هو بالتأكيد من أسماء الله الحسنى ، وبالتأكيد لو عرفت مضمونه لذابت نفسك محبةً لله عز وجل ؟

قال بعض العلماء : " إن إضلال الله تعالى للإنسان على أحد وجهين ، أحدهما أن يكون الإنسان ضالاً " .. أي اختار الضلال فقدر الله عليه الضلال الجزائي المبنـي علـى ضـلال اختياري .. هذا ذكرته كثيراً ، إذا عزي الإضلال إلى الله فهو الإضلال الجزائي المبني على ضلال اختياري .. إذا قلنا إن رئاسة الجامعة قد طردت هذا الطالب من الجامعة فليس معنـى هذا الكلام إلاّ أن الطالب رفض أن يدرس ، ورفض أن يداوم ، ورفض أن يقدم الإمتحـان ، ورفض أن يجيب على الإنذارات ، وتجاهل كل دعوة إلى أن يعود إلى الجامعة ، عندئـذ لـم

تجد رئاسة الجامعة بدأ من أن تصدر قراراً يجسد سلوك الطالب ، يجسد اختيار الطالب ، فإذا عزي الإضلال إلى الله فهو الإضلال الجزائي المبني على ضلال اختياري .

لو فتحنا معجم اللُغة وأردنا أن نستشف معنى فعل أَفْعَلَ ، فعندنا فعلٌ فَعَلَ وهو فعل لازم ، وأما أَفْعَلَ قد يأتي للتعدية .. ذهب أذهب ، ضل تاه ، أَضل .. من معنى الفعل الثلاثي المزيد بهمزة في أوله " أَفْعَلَ " الوجدان ، العلم ، كأن نقول : اختبرت هذه القبيلة فما أجبنتها .. أي ما وجدتها جبانةً ، أو نقول : عاملتها فما أبخلتها .. أي ما وجدتها بخيلةً ، إذاً معنى أضله .. هناك معنى آخر أي أنه وجده ضالاً ، علمه ضالاً ، أعطاه الخيار فاختار الضلال فحكم الله عليه بالضلال فأضله .

الشيء الدقيق .. لو أخذنا جامعة كمثال .. فليست البطولة أن ينجح جميع الطلاب بعلامات تامة ، ولكن كمال هذه الجامعة أن تأتي علامات الطلاب مطابقةً لمستوياتهم العلمية ، فتطابق النتائج مع المقدمات هو الكمال ، أما أن ننتظر من جامعة ما أن يكون طلابها جميعاً في الدرجة الأولى الواحدة هذا يتنافى مع طبيعة الإنسان المخير ، إلا أن النتائج إذا جاءت ، ومطابقةً للمقدمات فهذا هو الكمال .

فالإنسان حينما يختار الضلال يذكره الله فلا يذكُر ، ينذره فلا يتأثر ، يدله فلا يسلك ، يخيفه فلا يتوب ، يكرمه فلا يشكر ، كما تعلمون ؛ إن الله جل جلاله يهدي الإنسان بياناً ثم يأتيه تأديباً ثم يهديه إكراماً.. لم يستجب في البيان ، ولا في التأديب تضرع ، ولا في الإكرام شكر ، إذاً أصر على الضلال فبحسب قوانين الله عز وجل وبحسب سننه في الكون هذا الإنسان الذي اختار الضلال بمحض مشيئته سوف يسلك الله به إلى النار ليدفع الإنسان به ثمن اختياره .

الشيء الثاني .. معنى الإضلال كما قلت قبل قليل : الحكم على هذا الإنسان بأنه ضال والعدول به عن طريق الجنة إلى النار وهذا العدول حقٌ وعدل .

وهناك معنى ثالث .. هو أن الله سبحانه وتعالى جبلَ نفسية الإنسان جِبِلةً بحيث إذا اختارت طريقاً تألفه ويصعب أن تحيد عنه ، فمن شب على شيء شاب عليه ، ومن شاب على شيء مات عليه ، ومن مات على شيء حشر عليه ، فلو أن الإنسان اختار طريق الضلال ، وأَلِفَ الضلال ومارسه ، وانغمس بالمعاصي والآثام أَلِف هذه الحياة ، يصعب عليه بناء على جبلته أن يغير ما ألفه ، هذه الجبلة التي يصعب عليها أن تُغير المألوف عندها ، هي في الأصل لمصلحة الإنسان .

في علوم الفيزياء قانون يسمى : " قانون العطالة "، فالأشياء المتحركة ترفض السكون ، والأشياء الساكنة ترفض الحركة ، فلو كنت تركب مركبةً وأوقف السائق المركبة فجأةً أنت كراكب ترفض أن تقف فتتابع الحركة ، هذا الذي يدفع صانعي السيارات لوضع أحزمة الأمان

في المقاعد لتكون مرتبطاً بالمركبة ولست حراً ، فالمركبة حينما تقف فجـأةً يبقـى الراكـب مندفعاً نحو الأمام وقد يموت بهذا الاندفاع فلا بد من حزام الأمان ، وهذا أساس مبدأ العطالة ، والأشياء الساكنة ترفض الحركة ، فلو كنت جالساً في مركبة وأقلعت تشعر أن شيئاً دفعك نحو الأمام ، فالمقعد دفعك نحو الأمام لأنك ترفض الحركة والمركبة تحركـت .. فهـذا القـانون لصالح الإنسان . فلو أن الإنسان هدي هدايةً كبيرة جداً ولسببٍ تافه يعدل عن هذه الهدايـة ، فهذه مشكلة كبيرة تواجهه وتحدث عنده خللاً .

فأنت جبلتك تقترب من مبدأ العطالة ، فإذا ألفت الهدى تابعت الهدى ، أما بالمقابـل إذا ألف الإنسان الضلال تابع الضلال ، فهذا القانون قانون ذو حدين لصالح المؤمن ، كذلك ليس لصالح الكافر ، المؤمن يزداد به إيماناً والكافر يزداد به كفراً ، والحياة أساسها الاختيار ، فكل شيء حيادي ، فهذا القانون يمكن أن يكون لصالح المؤمن ، ويمكن أن يكـون لغيـر صـالح الكافر .

ففي جبلة الإنسان ، أن الإنسان إذا سلك طريقاً محموداً أو مذموماً ألفه واستطابه ولزمه وتعذر عليه صرفه أو انصرافه عنه ، لذلك أهون شيء أن ترشد الصغار لأنهم لينوا العـود ، أما الكبار فقد ثبتوا على طريقة معينة فمن الصعب جداً أن تغير سلوك الكبير لأنه ألف شـيئاً يصعب عليه أن يتركه .

فالإنسان الجاهل بالله عز وجل والجاهل بمعاني الكلمات قد يفهم الإضلال فهماً لا يليـق بكمال الله عز وجل ، قد يفهمه أن الله أضله أي جعله ضالاً وخلق فيه الضلال ، يا ربـي إذا خلقت فيه الضلال لماذا تحاسبه ؟ هذا المعنى لا يليق بالله عز وجل .. فبناء على أن المقدمات لابد لها من نتائج متوافقة معها . فمن اختار الضلال بمحض مشيئته وأصر عليه خلقه الله فيه جزاء لا إبتداء .. هذا معنى .

والمعنى الثاني أن طبيعة الإنسان ذات عطالة فإذا ألفت الخير ثبتت عليه ، وإذا ألفـت الشر ثبتت عليه ، فهذا القانون حيادي يمكن أن يكون لصالح المؤمن ، وقد لا يكون لصـالح غير المؤمن .

لذلك أيها الإخوة ... الإنسان إذا انتبه للهدى في وقت مبكر ، فهذا من نعم الله العظمـى لأنه سيبني بيتاً إسلامياً ، وسيختار عملاً إسلامياً ، أما إذا تأخر في البداية فقـد يجـد نفسـه ضائعاً فبيته ليس إسلامياً ، وعمله ليس إسلامياً ، وقد ألف حياة التفلت عندئذ يصعب عليه أن يعود إلى الله كما لو كان شاباً .

لذلك يقول الله عز وجل :

وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًۢا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾

(سورة التوبة)

فعندما يختار الإنسان الهدى والله سبحانه ييسر له سبيل الهدى يستحيل على كمـال الله عز وجل أن يضله بعد أن اهتدى إليه .. لذلك : " وما كان الله لِيضل قوما بعد إذْ هـداهم " ..

والمؤمنون كما قال الله عنهم فلن يضل أعمالهم سيهديهم ويصلح بالهم قال تعالى :

فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا۟ ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ۚ ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَا۟ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ ۗ وَٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٤﴾ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴿٥﴾

(سورة محمد)

ومعنى آخر .. إن الكافر أحياناً يضله الله لا عن ذاته تعالى بل عن شركائه ، فلـو أن إنساناً أشرك جهةً مع الله أيةُ جهة فمن تربية الله له ومن تأديب الله له أن هـذه الجهـة التـي أشركها مع الله يسخرها الله لتخييب ظنه ، ويجب أن يحبط عملُ هذا الإنسان الذي اعتمد فيـه على شريك لله عز وجل ، كأن الله أضله عنه ولم يبق له إلا الله .

والحقيقة : ما أكثر ما يقع هذا الشيء . فكلّما علقتَ الآمال على جهة أرضية على ابـنٍ مثلاً، أو على زوجة ، أو على أخٍ ، أو على صديق علقتَ عليه الآمال ونسيت الله عز وجل لا بد من هذا الذي علقتَ عليه الآمال أن يخيب ظنك ، قد يكون هو وفياً لكن يلهمه الله أن يخيب ظنك ليضلك عنه ، كي تتجه إلى الله وحده لا إلى شركائه في الأرض .

فلو أن إنساناً له صديقٌ قوي يعمل في منصبٍ حساس وقال له أنا في خـدمتك ، فأيـة قضية آلمتك تعالَ إلي ، فهذا الإنسان يتكىء على هذا الصديق ويشعر بالأمن والقوة ، أشـرك

وهو لا يدري ، ونسي الله وهو لا يدري ، فلو أنه استجاره مرةً ، وطرق بابه مرةً قـد يجـد خلاف ما يظن قد يتخلى عنه ، قد يقف منه موقفاً قاسياً ، هذا التخلي أو تلك القسوة بإلهام الله لهذا القوي كي يضل هذا المشرك عن شريك الله عز وجل .

فإذاً ، كلّما قلت : أنا ، أو نحن ، أو زيد ، أو عبيد تخلى الله عنك، وإذا قلـت : الله .. تولاك ، فأنت دائماً وأبداً بين التولي والتخلي ، إذا وحدت الله تولى أمرك ، وإذا أشركت معه تخلى عنك .. وهذا الدرس نحتاجه كل يوم .

كل إنسان له عمل ، له خبرات ، عنده مال ، عنده مراكز قوة ، عند إيجابيات ، عند ه قدرات ، عنده ملكات ، إذا اعتمد على ملكاته ، على قدراته ، على أمواله ، على جماعتـه ، على أقربائه ، على إمكاناته ، على شأنه ، على وجاهته ، على ذكائه ، على قدرتـه ، علـى رصيده كلما اعتمد على شيء أرضي تخلى الله عنه .

أضله عن هذا الشريك ليوحد ، فالمؤمن لو أنه أخذ بالأسباب لا ينسى مسبب الأسباب ، لو أنه وسط فلاناً في قضية ما لا ينسى أن الله هو الملهم وأن الخير والتوفيق بيده .. فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن .

الكافر .. قال تعالى :

وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَتَعْسًا لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَـٰلَهُمْ ﴿٨﴾

(سورة محمد)

إذاً : لماذا لم يرد في القرآن إطلاقاً أن الله أضل مؤمناً ؟ فهذه النقطة نقطة إيجابية دقيقة .. لأن المؤمن آمن فقد قال تعالى عنه :

وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْاْ هُدًى ۗ وَٱلْبَـٰقِيَـٰتُ ٱلصَّـٰلِحَـٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا ﴿٧٦﴾

(سورة مريم)

وقال تعالى عن أهل الكهف :

نَّحْــنُ نَقُــصُّ عَلَيْــكَ نَبَــأَهُم بِــٱلْحَقِّ ۚ إِنَّهُــمْ فِتْيَــةٌ ءَامَنُــوا۟ بِــرَبِّهِمْ وَزِدْنَـٰهُــمْ هُــدًى ﴿١٣﴾

(سورة الكهف)

أي أن قضاء الله وقدره مع المؤمن ومع الكافر ، فالمؤمن إذا اختار الهدى يزداد هدى ، إذا آمن يلقي الله في قلبه السكينة ليزداد إيماناً مع إيمانه ، إذا اتخذ قراراً يرضي الله عز وجل شرح الله له صدره ، أما إذا اتخذ قراراً يسخط الله عز وجل ضاق صدره وأصبح صدره حرجاً ضيقا كأنما يصعد في السماء كما قال تعالى :

فَمَــن يُــرِدِ ٱللَّــهُ أَن يَهْدِيَــهُۥ يَشْــرَحْ صَــدْرَهُۥ لِلْإِسْــلَـٰمِ ۖ وَمَــن يُــرِدْ أَن يُضِلَّــهُۥ يَجْــعَلْ صَــدْرَهُۥ ضَيِّقًــا حَرَجًــا كَأَنَّمَــا يَصَّعَّــدُ فِــى ٱلسَّــمَآءِ ۚ كَــذَٰلِكَ يَجْــعَلُ ٱللَّــهُ ٱلرِّجْــسَ عَلَــى ٱلَّــذِينَ لَا يُؤْمِنُــونَ ﴿١٢٥﴾

(سورة الأنعام)

"يجعلْ صدره ضيقًا حرجا كأنما يصعد في السماء " .. من هنا قال النبي عليه الصلاة والسلام :

حدثَنَا حيوةُ أخْبرني أبو هانئ أنه سمع أبا عبد الرحمن الحبلي أنه سمع عبد الله بن عمرو بن العاص يقُول إنه سمع رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقُولُ إن قُلُوب بني آدم كُلها بين إصبعين من أصابع الرحمن كقلْبٍ واحد يصرفُه حيثُ يشَاء ثُم قَالَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم اللهم مصرفَ القُلُوبِ صرفْ قُلُوبنَا على طَاعتك *

(صحيح مسلم)

إذاً : معنى الإضلال معنى دقيق جداً ، الله جل جلاله هو الكامل فأي فهمٍ لكلام الله عز وجل على غير الكمال الذي يليق بالله هذا فهمٍ خاطئ .

في معجم ألفاظ القرآن الكريم قال : أضله .. وجده ضالاً .

العامي قد يتوهم أضله أي خلق فيه الضلال .. كما قيل في بيت من الشعر :

ألقاه في اليم مكتوفاً وقال له ..إياك إياك أن تبتل بالماء

عقيدة الجبر عقيدةٌ زائغة ، عقيدةٌ مرفوضة ، عقيدةٌ لا تليق بالله عز وجـل ، لا تليـق بكماله، وتتناقض مع تكليف الإنسان ، ومع حرية اختياره ، ومع كسبه ، ومع الثواب والعقاب ، ومع الجنة والنار ، عقيدة الجبر تنفيها آيةٌ كريمة قال تعالى :

سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشۡرَكۡنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمۡنَا مِن شَيۡءٖۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ حَتَّىٰ ذَاقُواْ بَأۡسَنَاۗ قُلۡ هَلۡ عِندَكُم مِّنۡ عِلۡمٖ فَتُخۡرِجُوهُ لَنَآۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَخۡرُصُونَ ١٤٨

(سورة الأنعام)

قال علماء اللغة : " أضله .. وجده ضالاً " ، كأن تقول أحمدته وأبخلتـه ، أي وجدتـه محموداً وبخيلاً .. أحمدته وجدته محموداً ، أبخلته وجدته بخيلاً .

عندنا قاعدة في أصول الفقه .. الآيات المتشابهات مهما كثُرت تُحمـل علـى الآيـات المحكمات مهما قلت .. كيف ؟ الكلمة المتشابهة تشبه معنى ومعنى آخر ، إذا قلنـا كلمـة : خطير.. القمح مادةٌ خطيرة ، فما معنى خطير ؟ فالقنبلة خطيرة لأنها مدمرة ونقول عنها سلاح خطير .. واللحم مادة خطيرة أي أساسية في حياة الإنسان ، فيا تُرى كلمة خطيرة التي وصف بها القمح أو اللحم هل تعني أنها مدمرة أو أساسية ؟ فلو قلنا : القمح مادةٌ خطيرة ماذا نقصـد بها ؟ لو قلنا بعد حين : القمح مادةٌ مهمةٌ في حياة الإنسان ، فكلمة مهمة تعبير محكم واضـح جلي ، كلمة القمح مادةٌ خطيرة كلمة متشابهه ، كيف نفهم كلمة خطيرة ، إذا قرأنا جملة ثانيـة أن القمح مادة أساسية ، فنحمل كلمة خطيرة على أنها أساسية ، لأن الكلمات المتشابهة تحمـل على الكلمات المحكمة .. هذه قاعدة .

فإذا نطق القرآن الكريم بأن الله سبحانه وتعالى خلقنا ليرحمنا ، وخلقنا ليهدينا ، وإن الله لا يأمر بالفحشاء فقد قال تعالى :

وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِن تَكۡفُرُوٓاْ أَنتُمۡ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٨﴾

(سورة إبراهيم)

والله .. " ولا يرضى لِعباده الْكُفْر " .. قال تعالى :

إِن تَكۡفُرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمۡۖ وَلَا يَرۡضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلۡكُفۡرَۖ وَإِن تَشۡكُرُواْ يَرۡضَهُ لَكُمۡۗ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰۗ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرۡجِعُكُمۡ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٧﴾

(سورة الزمر)

مادامت آيات كتاب الله تؤكد أن الإنسان مخير ، وأن الشر ليس إيجابياً بل هـو شـيء سلبي، وليس مقصوداً لذاته فهو موظف للخير المطلق، عندئذ يجب أن نفهم معنى الإضلال لا على أن الله خلق في الإنسان الضلال بل على أنه أعطاه حرية الاختيار فاختار الضلال فوجده الله ضالاً، ولأن هناك قوانين إلهية فالضلال له نهاية والهدى له نهاية .

يضل الله من يشاء .. عندنا آية تقوي هذا المعنى قال تعالى :

وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ لِمَ تُؤۡذُونَنِي وَقَد تَّعۡلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡۖ فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿٥﴾

(سورة الصف)

" فَلما زاغُوا " .. زيغاً ابتدائياً مختارين به أزاغ الله قلوبهم .. زيغاً جزائياً .

وأذكركم مرة ثانية بمثل الجامعة ، طالب بمحض اختياره ترك الدوام ، فإنه لم يـداوم ، ولم يؤد الامتحان ، ولم يشترِ الكتب ، ولم يرد على الإنذارات ، ولم يستجب للدعوة للعودة إلى الجامعة ، أصر على هذا الموقف ، الآن يصدر من إدارة الجامعة قرار بترقين قيـده ، هـذا

القرار تجسيد لإرادته الحرة ، نقول الجامعة طردته ، الجامعة رقنت قيده، الجامعة جهةٌ خيرةٌ حكيمةٌ أنشأت الجامعة ليتعلم الطلاب ، لا لتطردهم منها ، ولا لتُرقن قيودهم منها .

إذاً : نفهم أن ترقين القيد والطرد من الجامعة نفهمه فهماً جزائياً لا فهماً جبرياً ، فهناك فرقٌ بين الفهم الجزائي والجبري .. " يضل الله من يشَاء " ، ومن يشاء الهدى يهديه الله .. " ويهدي من يشَاء " .. فقد قال تعالى :

وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَـٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَـٰٓئِكَةً ۙ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَـٰنًا ۙ وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۙ وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْكَـٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَـٰذَا مَثَلًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ۚ وَمَا هِىَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ ﴿٣١﴾

(سورة المدثر)

هناك معنى سادس للإضلال .. إنسان يتجه إلى حمص ، وقبل حمص رأى طريقين بلا لافتات ، ورأى رجلاً فسأله قائلاً : من فضلك : من أين طريق حمص ؟ قال له الرجل : من هذا الطريق . فقال : هذا السائل لهذا المسؤول جزاك الله خيراً ، بارك الله بك ، فلما قبل هذه النصيحة وقبل هذا الإرشاد قال له الآخر : انتبه هناك حاجز ، وهناك طريق فرعي ، وهناك مقطع من الطريق شديد السوء انتبه .. عندما قبل منه هذا الإرشاد أمده بكثير من التفاصيل .. لو أن إنساناً آخر وصل لهذا المفترق الذي دون لافتات ، وسأل هذا الرجل : من أين طريـق حمص؟ قال له : من هنا . قال : أنت كاذب ، هذا الذي يقف على مفترق الطرق هل بإمكانـه أن يقدم له تعليمات تفصيلية ؟ رفض دعوته كلياً ، رفض نصيحته كلياً ، رفض دلالته .

معنى ذلك أن الإنسان حينما يرفض أصل الدين ، حينما يرفض أصل الشريعة ، حينمـا يرفض منهج الله عز وجل فلن يستفيد من منهج الله وكأن الله أضله .

هناك ألف ميزة لطالب الجامعة .. مكتبة مجانية ، وإعارة كتـب وتعـويض ، ولبـاس مجاني، وبطاقات تخفيض للمطاعم وفي السفر وفي الطائرات ، إذا رفض الإنسـان دخـول الجامعة هل يتمتع بهذه الميزات ؟ إذاً هو حرم منها كلياً .. هذا معنى سادس للإضلال .. أنت

حين ترفض أصل الدين لن تقبل من الله توجيهاته ، لن تقبل شرعه ، لن تقبل أمره ، لن تقبل نهيه، لن تقبل القيم التي أرادها لخير الإنسان ، فأنت الذي رفضت الـدين إذاً فرفضـت كـل ميزاته وكل ثمراته .

إذاً .. " يضل الله من يشَاء " .. من يشاء الضلالة يضله الله ، يشاء الضـلال اختيـاراً يضله الله جزاء ، أي يحرم من ثمرات الدين .

وقد قال تعالى في الآية الكريمة :

ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٖ ﴿٢٣﴾

(سورة الزمر)

" ومن يضلْ الله فَما لَه من هاد " .. أي أن الإنسان حينما يختار الضلال لا يسـتطيع أحد في الكون أن يهديه .. أبو لهب مثلاً ألم يعش مع رسول الله ، ألم ير دلائل نبوته ، ألم ير كماله !!؟ هو رفض الحقيقة كلياً ، فلا تتعب نفسك فقد قال تعالى :

إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴿٥٦﴾

(سورة القصص)

"ـإنك لا تَهدي من أَحببتَ ولٰكن الله يهدي من يشَاء " .. مالهداية ؟ فالهداية قرار داخلي .

أقول لكم هذه الكلمة .. أنت إذا أردت الحقيقة كل شيء في الكون يـدلك عليهـا ، وإذا رفضتها .. فقوم موسى رأوا البحر وقد أصبح طريقاً يبساً ، ورأوا العصاة وقد أصبحت ثعباناً مبيناً ، رأوا يد سيدنا موسى بيضاء للناظرين، فلما أتوا على قومٍ يعكفون على أصنامٍ لهم قالوا يا موسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة .. كما ذكر في قصة سيدنا موسى مع قومه فـي الآيـة الكريمة :

وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ فَأَتَوۡاْ عَلَىٰ قَوۡمٖ يَعۡكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصۡنَامٖ لَّهُمۡۚ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ قَالَ إِنَّكُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ ١٣٨

(سورة الأعراف)

فالإنسان إذا لم يتخذ قراراً داخلياً بالبحث عن الحقيقة ، ليس في الكون كله شيء يمكـن أن يهديه إليها ، أُناس عاشوا مع رسول الله في الوقت الذي كان القرآن ينزل عليه والمعجزات تتوالى ، والآيات واضحة ، والدلائل كثيرة ، ومع ذلك ناصبوا النبي العداء .

إذاً .. ومن يضلل الله أي من يتخذ قرار الضلال ، من يرد الشهوات ، من يرد الدنيا ، من يعرض عن الله عز وجل لن يستطيع أحد في الأرض ولا الأنبياء أن يهدوه إلى الله ، لأن الهدى ذاتي ، وهو قرار داخلي .

أضرب لكم مثلاً .. الإنسان قد يكون شديد الذكاء ، وقد يكون عبقريـاً ، وقـد يكـون كإنشتاين، هذا الذكاء يشبه آلة للتصوير عالية التقنية ، فهنـاك آلات ثمنهـا ألـوفٌ ، وآلات أُخرى ثمنها ملايين من الليرات كالآلات التي تستخدمها محطات التليفزيون وقد يصل ثمنهـا إلى أكثر من مليونين من الليرات ، فلو كانت هذه الآلات ليس في داخلها فيلم فما قيمتها ؟ .

الإنسان إذا أراد الحقيقة يكون في داخل آلته فيلم ينطبع عليه كل شيء ، أما إذا لم يـرد الحقيقة آلته غالية الثمن جداً ولكن بدون فيلم .. فما قيمة التصوير وضـبط العدسـة وضـبط المسافة والسرعة ، لا قيمة لهذه الآلة كلها ، إما إن أردت الحقيقة أي في داخل آلتك فيلم فكل شيء تلتقطه ، وإذا لم ترد الحقيقة مهما تكن آلتك غالية الثمن ولكن بدون فيلم في داخلهـا ، هذا معنى قول الله عز وجل .. " ومن يضلْ الله فَما لَه من هاد ".. في الآية الكريمة : " الله نَزلَ أَحسن الْحديث كتَابا متَشَابِها مثَاني تَقْشَعر منْه جلُود الذين يخْشَون ربهم ثُم تَلين جلُـودهم وقُلُوبهم إِلَى ذكْرِ الله ذَلك هدى الله يهدي بِه من يشَاء ومن يضلْ الله فَما لَه من هاد " .

إذاً أضلّ الإنسان نفسه عن الله فأراد الدنيا وأراد الشهوات فلن تجد له في الأرض مـن يهديه .

أما المؤمنون قال تعالى : " وما كَان الله لِيضل قَوما بعد إِذْ هداهم حتى يبين لَهـم مـا يتقُون إِن الله بِكُل شَيء عليم " ، مستحيل ذلك فكلكم يعلم ان هذه الصيغة من أشد صيغ النفي ، فهذا نفي الشأن وفرقٌ كبير بين نفي الشأن وبين نفي الحدث .. ما كان له أن يسـرق .. لا

يسرق ، ولا يحب أن يسرق ، ولا يريد أن يسرق ، ولا يتمنى أن يسرق ، ولا يفكر أن يسرق ، ولا يرضى أن يسرق ، ولا يرضى لأحد أن يسرق .. " وما كان الله لِيضل قوما بعد إِذْ هداهم " ..

هذا المعنى الذي يلقيه الجهلة على الناس فيه مكر . فهم يقولون : قد تَعبد الله طوال حياتك وقبل أن تموت بقليل يقدر عليك الضلال فتزل قدمك فتستحق النار ، هذا قنص ، هذا غدر .. " وما كان الله لِيضل قوما بعد إِذْ هداهم ".. كن في طُمأنينة ، الله جل جلاله ينمي الخير القليل فيجعله كثيراً، ينمي الطلب القليل ليجعله طلباً كبيراً .

وفي آية أُخرى قال تعالى : " فَإِذا لَقيتُم الذين كَفَروا فَضرب الرقَابِ حتى إِذَا أَثْخَنتُموهم فَشُدوا الْوثَاقَ فَإِما منا بعد وإِما فداء حتى تَضع الْحرب أَوزارها ذَلِك ولَو يشَاء الله لانتَصر منْهم ولَكن لِيبلُو بعضكُم بِبعضٍ والذين قُتلُوا في سبِيل الله فَلَن يضل أَعمالَهم * سيهديهم ويصلح بالَهم"، أي فأنت رأس مالك أن تبحث عن الحقيقة ، فإذا اتخذت قراراً صادقاً مخلصاً في البحث عن الحقيقة وصلت إليها ورب الكعبة ، وزوال الكون أهون على الله من أن تبحث عنها فلا تصل إليها ..

فقد قال تعالى :

وَٱلَّذِينَ جَـٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾

(سورة العنكبوت)

وقال تعالى في آية أخرى :

وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَـٰتِنَا ۖ فَلَمَّآ أَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّـَٰىَ ۖ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ ۖ إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِى مَن تَشَآءُ ۖ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا ۖ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَـٰفِرِينَ ﴿١٥٥﴾

(سورة الأعراف)

أي أن الله عز وجل دائماً من سننه في معاملة خلقه ، أنه ما كان ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب كما في قوله تعالى :

مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِى مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٩﴾

(سورة آل عمران)

فلابد من فرز مستمر .. فحديث الإفك فرز للمؤمنين ، فمنهم من صدق ومنهم من كذب ، منهم من سكت توقيراً للنبي وزوجه المصون ، ومنهم من خاض في حديث الإفك .. قصة الإسراء والمعراج فرز للمؤمنين ، منهم من ازداد إيماناً برسالة النبي ، ومنهم من انتكس بهذا الخبر .. فهذا الفرز دائم ، فإذا كنت أمام خمسين طالباً بدون إجراء مذاكرات وامتحانات فتصبح مشكلة ، فتجدهم كلهم يرتدون ثياباً موحدة ، وكلهم يطلبون العلم ، ولكن بعضهم لا يدرس أبداً ، وبعضهم في راحة ، وبعضهم عبء على أهله .. فلا بد من مذاكرة من حين لآخر ، فهذه المذاكرة تفرز الطلاب ومن خلالها يتم إعلام الآباء بمستويات أبنائهم ، فهذا كسلان في الدراسة ، وهذا علاماته متدنية في الرياضيات مثلاً فبذلك يتلافى القصور ، ونشجع المجتهد .. أما أن يكون كامل العام الدراسي بلا مذاكرات ، وبلا فرز ، وبلا تقييم فهذه مشكلة .

فلحكمة أرادها الله دائماً هناك امتحانات قال .. " إن هي إلا فتْنَتُك ".. الفتنة الامتحان .. " تُضل بِها من تَشَاء وتَهدي من تَشَاء " .. أي أن الضال الذي يخفي الضلال ويظهر الهداية نفاقاً يكشفه الله ، والمهتدي الذي ينطوي على هداية ، وعلى استقامة وعلى إخلاص لله عز وجل يكافئه .. هذا معنى هذه الآية .

وقال تعالى :

وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ ﴿٢٧﴾

(سورة الرعد)

هنا معنى مخالف .. " ويهدي إليه من أناب " .. من يضل إذاً ؟ من أعرض ، فالمنيب يهديه الله ، أما المعرض لا يهديه الله عز وجل ، وقال تعالى :

يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّـٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣١﴾

(سورة الإنسان)

وهذا معنى آخر .. من يشاء هكذا ؟ قال : " والظالمين أعد لهم عذابا أليما " .. معنى ذلك يشاء الله غير الظالمين ، وهذا بالمقابل .

وقال تعالى :

وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِهِۦ ۖ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَـٰهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾

(سورة الإسراء)

أيها الإخوة ... آياتٌ كثيرة يعزى فيها الإضلال إلى الله هو الإضلال الجزائي المبني على ضلال اختياري ، أو أن الله يضل الإنسان المشرك عن شركائه .. بيده الخير ، فهذا الإنسان متجه نحو شريك ضعيف يضله عن شركائه ليهتدي إلى الله .

هناك أشياء قد تقع كثيراً وقد يكون عند الإنسان منافذ لمواجهتها .. فإذا ضاقت به الأمور يقول سألجأ إلى فلان أو فلان ، وإذا كان ابنه مسافراً مثلاً يقول له : ابعث لي ويلتجئ بعضهم إلى أخيه ، أو ابنه ، أو صديقه ، أو إلى شيء يبيعه ليفرج أزمته المالية التي ألمت به ، إنه يركن إلى الدنيا ، ويتمسك بأهدابها على ضعفها ، وتقلب أهلها ويبقى غافلاً عن الله الذي يقدر وحده على رد لهفته وإيماتته . ..

وأحياناً يقع في شدة فيسأل ابنه فيعتذر إليه الابن ، ويطرق باب فلان فيعتذر ، يحـاول السفر فلا يسمح له ، يعرض البيت للبيع فلا يأتيه أحد ليشتريه منه ، يغلق الله عليه كل المنافذ ليتجه إلى الله أي أضل الله هذا الإنسان عن شركائه .. مشرك متكىء على فلان وعلى زيـد وعلى عبيد وعلى مال وعلى وساطة وعلى وجاهة ونسي الله ، فإذا قلنا فـلان أضـله الله أي أضله عن هذه الجهات الأرضية ليتجه إلى الله خالق البرية .

أيها الإخوة الكرام ... حسن الظن بالله ثمن الجنة .. إن أردت أن تصل إلى الجنة فعليك أن تحسن ظنك بالله ، وأن تفهم أسماء الله الحسنى على نحوٍ يليق بكماله ، ويليق بجلاله ، والله سبحانه وتعالى يقول :

وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾

(سورة الأعراف)

ويقول أيضاً :

وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٦﴾

(سورة الفتح)

وقال أيضاً :

ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ ۖ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ ۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ۗ يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ ۖ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَـٰهُنَا ۗ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ۖ وَلِيَبْتَلِىَ ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾

(سورة آل عمران)

فكلما ازددت معرفةً بالله ارتاحت نفسك وانعقدت صلتك به وأقبلت عليه وسعدت بقربه ، وكلما ابتعدت عن حسن الظن به صار حجاباً بينك وبينه ، لذلك :

**عن أنَس بن مالِك قالَ قالَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم طلَب العلْمِ فَريضةٌ علَى كُل مسلمٍ وواضع العلْمِ عنْد غَيرِ أَهله كمقَلد الخَنَازيرِ الجوهر واللؤْلؤَ والذهب *

(سنن ابن ماجة)

فليس للإنسان عذر إن أساء الظن بالله أن يظل ساكتاً فقد حضنا الله على أن نسـأل .. " فَاسأَلْ بِه خَبِيرا " .. " فَاسأَلُوا أَهلَ الذكْرِ إِن كُنْتُم لا تَعلَمون " .. قال تعالى :

ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۛ ٱلرَّحْمَـٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٩﴾

(سورة الفرقان)

وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ ۚ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾

(سورة النحل)

أرجو الله سبحانه وتعالى أن ينفعنا بما علمنا ، وأن يلهمنا الحق والخير .

والحمد لله **رب العالمين**

الدرس ٩٠ - اسم الله : "عالم الغيب والشهادة"

بسم الله الرحمن الرحيم

مع الاسم التسعين من أسماء الله الحسنى ، والإسم هو عالم الغيب والشهادة ، وهذا الإسم كما تعلمون زائد عن التسعة والتسعين اسماً ، التي وردت في أحاديث رسول الله صلّى الله عليه وسلّم.

عالم الغيب ، الغيب مصدر غاب أي استتر عن العين ، غابت الشمس أي استترت وراء الأفق .. بل إن الغيب ستعمل في كل غائبة تغيب عن الحواس ، أيةُ غائبة تغيب عن الحواس فهي غيب بالنسبة إلى الإنسان ، وكل شيء غاب عن علم الإنسان فهو غيب .. لكن هذه الكلمات ، وتلك هي التعريفات بالنسبة إلى الإنسان فقط .

لو أن إنساناً يقف خلف حاجز ، هذا حاجز يغَيب عنه ما وراءه ، أما الذي يقف أمامه الحاجز فإنه يرى كل ما غيبه ذلك الحاجز ، نقول هذا المكان غيب بالنسبة لمن يقف وراء هذا الحاجز ، أما الذي يرى من قبلُ ومن بعد فليس غيباً بالنسبة إليه ، هذا كلام سوف ينفعنا كثيراً بعد قليل .

عالم الغيب ، الغيب بالنسبة إلينا ، لا أحد من بني البشر يعلم الغيب ، وقد ذكرت في بحث سابق أن الغيب أنواع .. نوع من الغيب استأثر الله به ، لا يعلمه أحداً من خلقه كائناً من كان .. من هذا الغيب موعد يوم القيامة ، ومن هذا الغيب قيامة الإنسان الصغْرى : الموت ولحكمة بالغة جداً أن الإنسان لا يعلم متى يموت ، وهذا لصالحه ، فلو علم تباطأ بالتوبة وخسر الآخرة .. فكل شيء يغيب عن علم الإنسان هو غيب ، لكن ربنا عالم الغيب والشهادة .

مثلٌ بسيطٌ جداً من يقف هنا في هذه الغرفة لا يعلم ماذا يجري في الغرفة التي تليها ، أما ربنا جل جلاله كلّ شيء أمامه مكشوف ، عالم الشهادة التي تشهده ، وعالم الغيب الذي يغيب عنك .

في بلد مجاور وقعت مآسٍ كثيرة ، ستمرت هذه الحروب أكثر من ستة عشر عاماً ، أكلت الأخضر واليابس ، أعرف واحداً يسكن في ذاك البلد المجاور ، وله معمل ، وله تجارة ، وقبل أن يقع أي حادث ضاقت عليه نفسه وضاق به ذلك البلد أشد الضيق وتعثرت أموره ، إلى أن انتقل إلى الشام هو وتجارته ومعمله ، وبعد أن انتقل ، بدأت المشكلات وإحترقت المعامل وأتْلافَ المال، وانتهى كل شيء إلى دمار و خراب .

من الذي سيعلم ما سيكون ؟ الله جل جلاله ، فإذا كنت معه ألهمك رشدك ، ألهمـك تصـرفاً يحفظك به ، أو ألهمك تصرفاً ترضى بنتائجه لأن الغيب معلوم لديه ، فأنت لا تعلم الغيـب ، قد تشعر بحاجة إلى أن تغادر هذا المكان ، فتغادره ، وبعد أن تغادره تنشأ مشكلة أنت عـاجز عن مواجهتها، كذلك قد تشعر بانقباض في أن تسافر على هذه الطائرة ، فتحجم عـن السـفر عليها فتسقط الطائرة ، من الذي يعلم الغيب ؟ الله وحده ، إذا كنت مع الله فهو الذي يعلم الغيب ويحفظك بهذا العلم ، يعلم الغيب ويوفقُك ، يعلم الغيب ويلهمك رشدك ، يعلم الغيب ويكيد لك ، يعلم الغيب ويدبر أمراً يحفظك به .. الغيب عند الله كالشهادة ، علم ما كان وعلم ما يكـون ، وعلم ما سيكون، وعلم مالم يكن لو كان كيف كان يكون .

إذاً لا يعزب عن الله جل جلاله مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض ، ولا أصغر من ذلك ولا أكبر .. إذا كنت معه وهو الذي لا يغيب شيء عن علمه يوجهك إلى الخير ويدفع عنـك الشر قبل أن يقع

هناك حوادث كثيرة جداً تغني هذا الموضوع .. إنسان قبل اجتياح الكويت بأيام سحب أموالـه كلها دون أن يشعر لماذا فعل ذلك ، حفظَ الله له أمواله ، يبدو أنه كان يؤدي زكاة ماله .

شيء لا يصدق أحياناً ، الأحداث أحداث خطيرة تقع ، أنت قبل أن تقع يحفظـك الله منهـا ، يلهمك أن تغادر ، يلهمك أن تنقل مالك من مكان إلى آخر ، من جهة إلى جهة ، من عملة إلى عملة ، وأنت لا تدري ، لأن الله يعلم الغيب ، فإذا كنت معه وتؤدي حقوق العباد ، وتقيم منهج الله يحفظك ، وعلمه للغيب يفيدك به إذ ربنا جل جلاله يصرف الأحوال ويقبلها لصالح عبـاده المؤمنين .

أما الشهود والشهادة ، الحضور مع المشاهدة ، عالِم الغيب والشهادة ، أي أنت حاضر وتشهد ، عالم الغيب أي غاب عنك ، عالم الشهادة حضرت وشهدت ، إما بالبصـر أو بالبصـيرة ، البصر رؤية العين ، والبصيرة رؤية القلب ، قال الله تعالى :

وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۖ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ ۚ قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ ۚ وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ۚ عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿٧٣﴾

(سورة الأنعام)

ذُكر اسمه هذا في آيات كثيرة .. طبعاً الحضور والشهود هو الأصل ، أما العلم والشهود فهو فرع ، قد تحضر وتشاهد بأم عينك ، وقد تعلم وكأنك تشاهد .
لكن من اللطائف في قوله تعالى :

أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ﴿١﴾

(سورة الفيل)

مع أن هذا الحادث لم نره نحن ، فالله سبحانه وتعالى قال: "ألم تَر " .. قال بعض العلماء : " يجب أن يقع إخبار الله لك موقع الرؤية لمصداقية الله عز وجل " .
شهده كسمعه ، شهده شهوداً أي حضره ، أنا شهدت الجنازة أي حضرتها ، شهدت هذا الحفل أي حضرته ، شهدت هذا المأتم ، شهدت هذه المشكلة أو الواقعة أي حضرتها ، عالم الغيـب والشهادة.
ومن ثم فما معنى قوله تعالى :

الٓمٓ ﴿١﴾ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾

(سورة البقرة)

أي أن الله جل جلاله لا تدركه الأبصار ، غابت عنا ذاته وبقيت آثاره ، نحن من آثاره نتعرف إليه وهذه مهمة العقل .. أدواتٌ ثلاث للمعرفة، إما أن ترى بحواسك ، وإما أن تدرك بعقلك ، وإما أن تتلقى خبراً بأذنك ، هذه هي أدوات المعرفة وليس هناك أداةٌ أخرى .. إن كان هنـاك أداةٌ أخرى كالإشراق ، أو الإلهام أو الرؤيا الصالحة يجب أن تكون مقيدةٌ بالشرع ولا نقبل لا رؤيا ولا إلهاماً ، يخرم الشرع قيد أنملة .. ديننا دين كاملٌ تام .. قال تعالى :

حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ
وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا
ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا۟ بِٱلْأَزْلَٰمِ ۚ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ ۗ
ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ ۚ ٱلْيَوْمَ
أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ
فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِى مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ ۙ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣﴾

(سورة المائدة)

" اليوم أكْملْتُ لكُم دينَكُم وأتْممتُ عليكُم نعمتي ورضيتُ لكُم الإسلام دينًا " .. ديننا دين كاملٌ تام.

لو أن رجلاً رأى النبي عليه الصلاة والسلام طبعًا في المنام ، هكذا قال العلماء ، وأمره بما يخالف الشرع ، ترد الرؤيا ويثبت الشرع .. بل لو أن قاضياً رأى في الرؤيا أن هذا الشاهد كاذب لا تقبل شهادته ، وهو عنده في اليقظة صادق يجب ألا يأخذ بالرؤيا .

الرؤيا يستأنس بها ولا يعتمد عليها إطلاقاً ، لا في حكمٍ شرعي ، ولا في إثبات قضية ، ولا في تصحيح حديث ، ولا في تقييم إنسان .. الرؤيا والإلهام مصادر فرعية للمعرفة ، إلا أنها يجب أن تنضبط بالشرع .

من معاني الغيب أيضاً ، يؤمنون بالغيب ، يؤمنون بشيء غاب عنهم ، ذات الله لا نراها لكن نرى آثار خلق الله ، مصير الإنسان لا نراه، لكن الله أخبرنا عن مصير الإنسان إما في جنة يدوم نعيمها ، أو في نارٍ لا ينفد عذابها .

الخلاصة أن الغيب بالمعنى الثاني الدقيق ، مالا يقع تحت الحواس أبداً ، الشيء الذي يقع تحت الحواس عالم الشهادة ، والشيء الذي لا يقع تحت الحواس عالم الغيب ، لكن الله عالم الغيب والشهادة .

فإذا الإنسان لم يؤمن بالغيب أصبح كافراً ، من لوازم المتقين أنهم يؤمنون بالغيب ، أي عقلك يعطيك دليلاً قطعياً ، على أنه لا دخان بلا نار النار ، لا تراها ، لكنك رأيت الدخان ، وعقلك يعطيك دليلاً قطعياً على أن في المسجد كهرباء وأنت لا ترى الكهرباء ترى آثارها ، ترى حركة المراوح وتسمع تكبير الصوت ، وترى تألقَ المصابيح فقط ، تحكم على سريان تيار الكهرباء من آثارها .

بعضهم قال إن الغيب هو القرآن الكريم أو إنه القدر ، لكن الغيب كل شيء غاب عن حواسك ، أو كل شيء غاب عن علمك ، وعالم الشهادة كل شيء تشهده .
لقد ذكرت في بداية البحث أن الغيب أنواع ، نوع من الغيب استأثر الله به ، ونوع أطْلع بعض أنبيائه عليه .
قال الله تعالى :

عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ
فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾

(سورة الجن)

لذلك فإن النبي عليه الصلاة والسلام ، في أحاديث كثيرة حدثنا عن أشراط الساعة ، الكُبـرى والصغْرى ، وحدثنا عن آخر الزمان ، وكيف أن الأمةَ تلد ربتها ، وكيف أن الحفاة العـراة ، رعاء الشاة يتطاولون في البنيان، وكيف يوسد الأمر إلى غير أهله ، وكيف يكون المطر قيظاً والولد غيظاً ويفيض اللئام فيضاً ، ويغيض الكرام غيضاً ، وكيف يأْمر بالمنكر ، وينهى عـن المعروف ، وكيف يصدق الكاذب ، ويكذب الصادق ، ويخَون الأمين ويؤتمن الخائن ، وكيف تركب ذوات الفروج السروج ، وكيف تكثر الأشجار وتقل الثمار ..
هناك أحاديث كثيرة جداً عن أشراط الساعة ، من أين جاء بها النبي عليه الصلاة والسـلام ؟ هو لا يعلم الغيب بذاته وأكبر دليل لما جاءه وفد ليأخذ القُراء ، أعطاهم النبي سبعين قارئًا ثـم غدروا بهم في الطريق وقتلوهم ، لم يعلم النبي بهذه الواقعة ، وهذه الواقعة لها دلالـة كبيـرة جداً ، أي أن النبي عليه الصلاة والسلام لا يعلم الغيب بذاته إلا أن يطلعه الله عليه .. بل إنـه حينما اختار موقع بدر، جاء صحابي جليل اسمه الحباب بن المنذر ، قال يا رسول الله : أهذا الموقع وحي أوحاه الله إليك، أم هو الرأي والمشورة ؟ قال : بل هو الرأي والمشورة ، فقـال هذا الصحابي الجليل انطلاقاً من غيرته على الإسلام و المسلمين : يا رسول الله لـيس هـذا بموقع ، الله عز وجل أطلع النبي على آلاف القضايا التي هي أقل من هذا الموضوع ، ولكـن شاءت حكمته أن يعلمنا النبي أدب الإصغاء إلى النصيحة ، يعلمنا النبي وهو قدوتنا وأسـوتنا أدب الإصغاء إلى النصيحة فلما سأله أين الموقع الذي تختاره ؟ قـال هنـاك يارسـول الله ، وأشار إليه وأعطى الرسول صلى الله عليه و سلم أمراً بالإنتقال إليه .
إذاً : الغيب لا يعلمه إلا الله ، والشهادة يعلمها الإنسان في حدود إمكانه .. فالغيب الذي يمكـن أن يطلع الله نبيه عليه ، أنواع ثلاثة : غيب الماضي ، وغيب الحاضر ، وغيب المسـتقبل ..

غيب الماضي قبل الوقت الذي تعيش فيه ، وغيب المستقبل بعد الوقت الـذي تعـيش فيـه ، وغيب الحاضر غير المكان الذي تجلس فيه .

مثلاً : أنا في دمشق لا أدري ماذا يجري في حلب ، حلب بالنسبة إلي غيب حاضر ، أما قبل مئة عام غيب ماضٍ ، وبعد مئة عام غيب مستقبلٍ ، والله سبحانه وتعالى ، يعلم غيب الماضي ، وغيب الحاضر ، وغيب المستقبل .

قال الله تعالى :

ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۚ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَـٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾

(سورة آل عمران)

هذا غيب الماضي .. أما غيب الحاضر .. قال الله تعالى :

وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَـٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾

(سورة الأنفال)

أما غيب المستقبل .. قال الله تعالى :

غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴿٢﴾ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴿٣﴾ فِى بِضْعِ سِنِينَ ۗ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ۚ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾

(سورة الروم)

أيها الإخوة القراء أريد أن أركز على هذه الحقيقة وأوضحها ؛ فأنت إذا كنت مـع الله ، والله يعلم الغيب ، يعلم غيب الحاضر ، فالطرف الآخر وهم خصومك ؛ يعلم ماذا سيفعلون بـك ، كما يعلم ماذا سيخططون ، يعلم ماذا يأتمرون ، وهو يعلمهم ، ويلْهمك شيئاً يقيك تخطيطهم ،

يلهمك تدبيراً يحميك من غدرهم، يلهمك خطةً تنجو بها من مكرهم وتدبيرهم ، فأنت إذا كنـت مع الله أنت مع عالم الغيب والشهادة الذي يفسد على الآخرين مكرهم ، و مـا أحـداث ليلـة البحرة مجهولة لديكم .. لذلك قال الله تعالى :

قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾

(سورة التوبة)

لكن قد توجد مفاجآت ، الحقيقة هناك آلاف الوقائع والأحداث ، والإنسان المتخلي عن الله فـي بضع دقائق قد يفقد كل ماله ، أحياناً في دقائق قد يفقد أهله ، أما الإنسان المتولي ربه حينمـا يكون مع الله فهو عالم الغيب والشهادة ، يعلم ما كان ، ويعلم ما سيكون ، ويعلم ماهو كـائن في أي مكانٍ آخر .

ذكر لي أخ مشكلة كبيرة جداً وقعت في مكان ، وكان هو في المكان نفسه والمشكلة مـدمرة ، قال لي والله قبل خمس دقائق ، ألهمت أن أخرج لكي أشتري الخبز ، ما إن خرجـت مئـات الأمتار ، حتى رأيت المشكلة قد نشبت ، شيء مدمر ، فربنا عز وجل .. إذا كنت مع الله كان الله معك ، والله عز وجل إذا قال إن الله مع المؤمنين ، أو مع المتقين ، أو مع الصـابرين .. فهذا يعني أي أنه معهم حفظاً ، وتأييداً ، ونصراً ، وتوفيقاً .

لذلك فعلى الإنسان إذا هم بعمل شيء أن يصلي صلاة الإستخارة فيقول : يا رب إنك تعلـم ولا أعلم ، إن كان في هذا الأمر صلاح لي في ديني ودنياي وعاقبة أمري فاقدره لي ويسـره لي .

هو يعلم أن هذه المرأة لا تُسعدك فيصرفها عنك ويصرفُك عنها ، هو يعلم أن هذه التجـارة لا تُغنيك بل تُسقط في يدك ، هو يعلم أن هذا السفر ليس في صالح إيمانك .. هو يعلـم الغيـب وأنت لا تعلم ، فإذا فوضت ، فقد فوض الذي لا يعلم لمن يعلم .. يكون في أعلـى درجـات الذكاء ، الذي لا يعلم يفوض الذي يعلم .

قد تقف عند بائع تثق به وتقول له : أنت اختر لي ، فقد سلمت أمري إليك وفوضـت أمـري إليك واختر لي ما يعجبك .. هذا مع إنسان تثق به تفوضه فكيف مع الواحد الديان ؟!

بالمناسبة .. كلما ارتقى الإنسان في سلم الإنسانية يخاف بالغيب ، وكلما هبط إلـى مسـتوى البهيمية يخاف بالشهود .. وهذه فكرة دقيقة .. كلما ارتقى الإنسان في سلم الإنسـانية يخـاف

بعقله ، وكلما هبط إلى مستوى البهيمية يخاف بعينه ، أي إلى أن يرى الخطر مـاثلاً عنـدها تخاف ، علمًا بأن الخطر يدرك بالعقل .

فمثلاً يقول الأطباء : إن الدخان يسبب سرطان بالرئة ، وهذا النيكوتين الموجود فيـه تسـرع القلب، ويزيد من خفقان الرئتين ، ويضيق الأوعية ، فيرفع نسب السكر في الدم ، وترفع نسبة هرمون التجلط ، فاحتمال التجلط في دم المدخن كبير جداً ، الأمراض القلبية عنـد المـدخنين عشرة أمثالها عند غير المدخنين ، هذا كله بالعقل يدرك ، أما المدخن الذي يخـاف بعينـه لا يقلع عن الدخان إلا بعد أن يصاب بمرض السرطان ، فبعد أن يصاب على الفـور يقلـع .. فمعنى هذا أنه إنسان بهيمي.. كلما ارتقى مستواك الإنساني خفت بعقلك ، وكلما تدنى المستوى الإنساني إلى المستوى البهيمي خاف بعينه .

قد تجد الدابة إن رأت حفرة في الأرض تقف لقد رأت بعينها ..، بينما قد يجد إنسـان طريقـاً واسعاً وممهدًا ومعبدًا ويجد لوحة كتب عليها انتبه الطريق مغلق فالإنسـان العاقـل لا يكمـل السير ، فالطريق تراه بعينيك مفتوحاً أمامك ، ولكن قراءتك للوحة صغيرة تفيدك أن الطريـق بعد قليل مغلقٌ فلا تكمل المسير ، فأنت الآن لم تر الإغلاق ولكن رأيت فكرة الإغلاق ، فكلما ارتقى الإنسان يتعامل مع الأفكار، أما إذا هبط إلى مستوى البهيمية يتعامل مع الصور .

قد ترى دوراً للهو ذات فخامة كبيرة ، فيها أجمل أنواع الثريات والتزينـات والأناقـة لكـن المعاصي كلها تُرتكب فيها ، فالمؤمن يكرهها بعقله، بينما ضعيف التفكير يقـدرها ويعظمهـا بعينيه فيمدح فخامتها .. فكلما إرتقى الإنسان تَعامل مع الأفكار بعقله ، وكلما هـبط مسـتواه تَعامل مع الصور بعينيه .

إذًا فأخطر شيء على الصغار أن تريهم قصة ممثلة .. فلو أريناهم إنسانًا متـدينًا أحمـق أو امرأة متدينة حمقاء مثلاً مهملة أولادها ، فهذا الصغير يكره الدين بلا سبب فهوفي كل الأحوال لا يتعامل مع الأفكار ، فليس عنده إدراك أو عمق أن هذه تمثيلية والذي كتب هـذه التمثيليـة أراد تشويه صورة الدين ، فهو قد رأى أن الإنسان الذي يمثل الدين إنسان غير جيـد بينمـا الإنسان الجيد هو الذي أسبغ عليه الكاتب كل صفات الرجولة فهو إنسان شجاع ووفي إلا أنـه يشرب الخمر ، فخطورة أجهزة اللهو مع الصغار خطيرة جداً ، لأن الصغير لا يتعامـل مـع الأفكار بل يتعامل مع الصور ، فيكفي أن تريه امرأةً سيئةً جداً بزي إسلامي ، فيكره الإسلام كله ، ويكفي أن تريه امرأةً تحب أولادها حباً جماً لكنها متفلته من الدين فيحب الصغير التفلت من الدين ، هنا الخطورة أن نسمح لأطفالنا أن يشاهدوا كل ما هب ودب ، فالطفـل الصـغير يتعامل مع الصور ، وقد نستطيع أن نفسد عقيدته بالصور ، وأن نشوه له كل شيء يعـرض عليه بالصور .

فلدينا غيب وكذلك شهادة .. وهناك أمثلة كثيرة جداً .. إنسان ينتظر إلى أن تأتي موجة مـن البرد قارسة فيهيء المدافيء ويشتري الوقود السائل للتدفئة ، وإنسان آخر تجده وهو في أشهر الصيف يهيء المدافيء ويشتري الوقود السائل اللازم ويجهز كل شيء لفصـل الشـتاء دون مشقة ودون ازدحام على الوقود ، أما حينما تأتي الموجة القارسة فجأةً تجد صعوبة بالغة عند شراء الوقود السائل ، فالذي يتعامل مع الأشياء بإحساساته فهو ذو إدراك ضعيف ، أما الـذي يتعامل معها بإدراكه فهو ذو إدراك عالٍ .

كتاب الله جل جلاله أشار إلى كلمة عالم الغيب والشهادة في آيات كثيرة .. فقد قال تعالى :

﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَـٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾

(سورة الأنعام)

ذكرت في أبحاث سابقة حكمة .. " وعنْده مفَاتح الْغَيبِ " .. لو قال الله تعالى : ومفاتح الغيـب عنده ، أي هي عنده وقد تكون عند غيره ، أما حينما يقول الله عز وجل : " وعنْـده مفَـاتح الْغَيبِ " .. أي مفاتح الغيب عنده حصراً .

وفي سورة الفاتحة ورد قوله تعالى :

إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾

(سورة الفاتحة)

فلو قال : نعبد إياك يا رب ، فهذا يعني أننا قد نعبد غيرك أيضًا، أما قولنا .. "إياك نَعبـد ".. أي نعبدك وحدك يا رب ، هذا هو القصر ، فأحياناً التقديم يفيد القصر والحصر .

" وعنْده مفَاتح الْغَيبِ لا يعلَمها إلا هو ويعلَم ما في الْبر والْبحرِ " .. إن كان لديك مجلة قديمة صدرت من قبل عشرين سنة فإقرأها فستجد أن الأحداث التي وقعت بعد إصدار هذه المجلة لو عشت في تاريخ صدورها لا يمكن أن تتصور أن الذي وقع يمكن أن يقع ، كان غيباً ، حينما تُهد عروش ، وحينما تدك معسكرات كبيرة وضخمة جداً ، فاقرأ في هـذه المجلـة القديمـة

وتصور أن الذي وقع لو تنبأت به قبل أن يقع لأودعوك في مشفىً للمختلين عقلياً - للمجانين - لكنه وقع فعلاً.. فمن يعلم الغيب ؟ الله جل جلاله هو وحده يعلم الغيب .

فقد يقول لك أكثرالناس : قد عرض علي شراء أرض مساحتها مائتا دونـمٍ وسـعر الـدونم يومذاك ليرتان فقط ولكنني لم أشترها والآن ثمن الدونم الواحد مليونان .. لو أنك تعلم الغيـب لكنت الآن من أغنى أغنياء العصر .. أراضٍ شاسعة وواسعة ومئات الدونمات بثمن بخـس ، فقد ذكر لي شخص أنه قد باع خمسين دونما بدابة صغيرة - حمارة صغيرة - كـان بحاجـة إليها وهذه الأرض ماذا يفعل بها فهي عبء عليه ، أما الآن فسعر الدونم الواحد مليونـان .. هذا كان في علم الغيب .

لذلك التجار يقولون كلمة لطيفة : تاجر ومنجم لا يجتمعان .. لا أحد يعلم ما سيكون ، أحيانـاً تجد الأمور تسير في طريق مسدود إلى أن نيأس ، فقد كان في بلادنا جفـاف مخيـف كـاد حوض دمشق يجف ، وكادت دمشق تعاني من العطش ولكن الله جل جلالـه أنـزل أمطـاراً غزيرةً في الأعوام التالية ، وهذا كان غيباً .. فموضوع الغيب موضوع دقيقٌ جداً .

فأحياناً يقال لك : إنهم تمكنوا من معرفة الجنين ذكراً أو أنثى ، فأين قول الله عز وجل :

إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٣٤﴾

(سورة لقمان)

" ويعلم ما في الأرحام " .. فلم يقل الله : يعلم من في الأرحام ذكراً كان أو أنثـى . قـال : " ويعلم ما " .. فالحوين المنوي يوجد على النوية خمسة آلاف مليون معلومة مبرمجـة ، فهـذا الجنين هل سيكون عالماً كبيراً ، أو استاذاً في الجامعة ، أو مؤلفاً خطيراً ، أو بائعاً متجولاً ، أو مجرما ، أو سجيناً ، أو مصلحاً ، فاسداً مثلاً وهل ياترى سـيكون صـاحب ملهـى أم صاحب دارٍ للنشر ، من سيكون ؟ من سيتزوج ؟ من سينجب ؟ ما دوره في الحياة ؟ هـل يكون دوراً هامشيًا أم دورًا قصيرًا فمن يعلم هذا ؟ إذا وجد على النوية خمسـة آلاف مليـون معلومة مبرمجة لا يعلمها إلا الله ، فما نسبة معرفة ذكورته أو أنوثته إلا واحد لخمسـة آلاف مليون .

أحياناً تجد أباً لديه خمسة أولاد لا يعلم من هو المتفوق ، وبعد ثلاثين سنة تجد ولداً منهم قـد تألق تألقاً كبيراً جداً ، وولداً آخر أصبح في الدرجة الدنيا من المجتمع من الذي يعلم الغيـب ؟

الله وحده يعلم الغيب .. علم ما كان ، وعلم ما يكون ، وعلم ما سيكون ، وعلم ما لم يكن لـو كان كيف كان يكون ، فقد قال تعالى : " وعنْده مفَاتح الْغَيبِ لا يعلَمها إلا هو ويعلَم ما في الْبر والْبحرِ وما تَسقُطُ من ورقَة إلا يعلَمها ولا حبة في ظُلُمات الأرضِ ولا رطْبٍ ولا يابِسٍ إلا في كتَابٍ مبِينٍ "

هل أنت مرتاح إلى أن الله الذي تعبده يعلم كل شيء ، وعلمه لصالحك فقد قال تعالى :

لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ
لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوۡمٍ سُوٓءٗا فَلَا
مَرَدَّ لَهُۥۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴿١١﴾

(سورة الرعد)

" له معقباتٌ من بين يديه ومن خَلْفه يحفَظُونَه من أَمرِ الله "

فأحياناً يقول لك أحد الأشخاص أثناء قيادة مركبة لو تقدمت سنتيمتراً واحداً لكـان وقـع لـي حادث حادث أليم ، فمن يعلم الغيب .

أحياناً الله عز وجل يصرفك عن شيء مدمر فيلهمك رشدك .. إنسـان لـه تجـارة معينـة والبضاعة موجودة والطلب عليها شديد والتصدير ميسر ولكنه قال لي بالحرف الواحد : والله شعرت بضيق وإنقباض بصورة غير معقولة وبلا سبب أو تعليل واشتد الضـيق علـي إلـى درجة أنّني أحجمت عن تصدير هذه البضاعة ، ثم كان الذي كان ، فُرِض على الـذي قـاموا بالتصدير ضرائب أكلت أخضرهم ويابسهم ونجاه الله من هذه الضرائب التي لـم تكـن فـي الحسبان ، والسبب أنه أنفق مالاً وفيراً في خدمة بيوت الله عز وجل .. ولأن الله عـز وجـل يعلم الغيب صرفه عن هذا العمل ، وهناك آلاف الشواهد المشابهة فأنت حينما تعبد الذي يعلم الغيب فعلمه للغيب كله لصالحك وأنت لا تدري .. من هنا قال الله عز وجل :

كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ وَهُوَ كُرۡهٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ
لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ

﴿٢١٦﴾

(سورة البقرة)

سألني أخ ذات مرة عن قضية فيها شبهة ، فأخبرته بأن فيها شبهة، فقال لي : ليس لي دخـل إلا منها . فقلت له : هذا شأنك لا شأني وقد سألتني فأجبتك . ولكن يبدو أن خوفه من الله غلب عليه فامتنع عن هذه الطريقة في التعامل وكان امتناعه لله ، في حين أنها كانت رائجـة جـداً وتدر عليه دخلاً كبيراً جداً ، وكان في بحبوحة كبيرة ، فلما امتنع عن هذه الطريقة المشبوهة في البضاعة التزاما بشرع الله سبحانه ، ومضى عليه أكثر من ثلاثة أشهر ودخله قليل جداً ثم منعت هذه الطريقة من أصلها قصراً ، فجاءني وقال : الحمد لله الذي تركتها لله ، ولكن بعـد حين كنت سأتركها مقهوراً ومجبوراً مع الإثم و الوزر، أما الآن وقد تركتهرجاء مرضات الله وأنا في الأوج، ثم كافأني الله بأن فتح لي باب رزق وفير لم يكن بالحسبان .

موضوع أنك تعبد الذي يعلم الغيب موضوع دقيق ، فأنت في راحة لأن كل ما سيكون هو في علم الله ، لذلك يوجهك الله توجيهاً لصالحك ، فالمؤمن يلهمه المَلَك ، والمنافق يدفعه الشـيطان ، يدفعه إلى أن يبخل ، يدفعه إلى أن يحقد ، يدفعه إلى أن يخاصم زوجته ، يدفعه إلـى كـل المشكلات.

آيةٌ ثانية قال تعالى : " وهو الذي خَلَقَ السماوات والأرض بِالْحق ويوم يقُولُ كُن فَيكُون قَولُـه الْحق ولَه الْملْك يوم ينفَخُ في الصورِ عالِم الْغَيبِ والشهادة وهو الْحكيم الْخَبِير "

" وهو الْحكيم " .. الحكيم كما تعلمون يضع الشيء بالقدر المناسب ، وفي المكان المناسـب ، وفي الوقت المناسب ، وليس في الإمكان أبدع مما كان ، وكل شيء وقع أراده الله ..

و " الْخَبِير " : الخبرة هي العلم الذي يتعلق بالمستقبل .. فأحياناً تقوم ببناء آلة بمعرفة وعلـم على علم عالٍ جداً ، لكن مع الإستعمال تكشف أن فيها أخطاء لم تكن في الحسبان ، فالعلم مع المستقبل يصبح خبرة .

وفي سورة التوبة قال تعالى :

يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ ۚ قُل لَّا تَعْتَذِرُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ ۚ وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٤﴾

(سورة التوبة)

وفي السورة نفسها قال تعالى :

وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ١٠٥

(سورة التوبة)

فالآيتان متشابهتان .

وفي سورة الرعد قال تعالى :

عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡكَبِيرُ ٱلۡمُتَعَالِ ٩

(سورة الرعد)

وفي سورة المؤمنون قال تعالى :

عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٩٢

(سورة المؤمنون)

وفي سورة السجدة قال تعالى :

ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ٦

(سورة السجدة)

وفي سورة الزمر قال تعالى :

قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ عَٰلِمَ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ أَنتَ تَحۡكُمُ بَيۡنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ٤٦

(سورة الزمر)

وفي سورة الحشر قال تعالى :

هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾

(سورة الحشر)

وفي سورة الجمعة قال تعالى :

قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ ۖ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾

(سورة الجمعة)

وفي سورة التغابن قال تعالى :

عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾

(سورة التغابن)

ممكن أن نلخص المواقف العملية للمؤمن من خلال هذا الإسم أنت إذا استقمت على أمر عالم الغيب والشهادة لن تفاجأ بغيبٍ مدمر ، أنت إذا استقمت على أمر عالم الغيب والشـهادة كـان علام الله للغيب لصالحك ، يحميك من كل سوء ، يقيك شر أعدائك ، يلهمك رشـدك ، يلهمـك الخير وأنت في حرز حريز .

أيها القارئ الكريم... حينما تعلم أن الله يعلم .. وهذه الحقيقة وردت في قوله تعالى :

ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾

(سورة الطلاق)

أي إنك إذا علمت أن الله يعلم استسلمتَ وارتحتَ ، لذلك يقول المؤمن أحياناً : اللهم خر لـي واختر لي .. أي يا رب أنت اختر لي .

دعيت لعقد قران ذات مرة فدعوت بهذا الدعاء : اللهم ما رزقتني مما أحب ، فاجعله عوناً لي فيما تُحب ، وما زويت عني ما أُحب ، فأجعله فراغاً لي فيما تحب ..فكان إلهاما من الله فيـه خير لي .

عن عبد الله بن يزيد الْخَطْمي الأَنْصاري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان يقُـولُ في دعائِه اللهم ارزقْني حبك وحب من ينْفَعني حبه عنْدك اللهم ما رزقْتَني مما أُحب فَاجعلْـه قُوةً لِي فيما تُحب اللهم وما زويتَ عني مما أُحب فَاجعلْه فَراغًا لِي فيما تُحب *

" وعسى أن تَكْرهوا شَيئًا وهو خَير لَكُم وعسى أن تُحبوا شَيئًا وهو شَر لَكُم والله يعلَم وأَنْتُم لا تَعلَمون "

وأقول مرة أخيرة ... أنت تقف هنا ، لا تعلم هناك ما سيكون ، فقد يكون لك عدو كبير خطير مخيف يدبر لك أمراً ما ، لكن الله يعلم ما أنت فيه وما خصمك فيه ، فإذا كنت مـع الله عـز وجل ألهمك رشدك ، ألهمك الخلاص من هذا العدو ، أو ألهمك تدبيراً مضاداً لتـدبيره ، أو ألهمك سلوكاً يعطل عليه مكره لأنه يعلم الغيب ، وهذه هي أهم فكرة في هذا البحث ، أنت إذا كنت مع الله فأنت مع عالم الغيب والشهادة ، الغيب لصالحك فلا توجد لديك مفاجـأة ، فتجـد المؤمن الصالح كل شيء يسيره الله به لصالحه والغيب يكشف له الحقيقة .

وتجد الإنسان غير المستقيم يخطط .. فذات مرة فكر إنسان وأكثر من التفكير الجاد ثم باع كل ما يملك واشترى به عملة لبنانية ، فمن يعلم أن هذه العملة سوف تصبح متدنية وسيصل سعر كل دولارٍ واحد يساوي ثلاثة آلاف وثمانمائة ليرة لبنانية ؟ باع كل أملاكه وتاجر في العملـة الصعبة فكانت خسارته دمارًا ووبالاً ، فمن يعلم الغيب ؟ الله عز وجل وحده هو الذي يعلم .

فحينما يكون الإنسان مع الشيطان ومنحرفاً عن الخط الإسلامي الصحيح فالغيـب لـيس فـي صالحه ، فيفكر ثم يفكر حتى يجهد نفسه تقليبا للأمور واستكشافًا لخفاياها ثم يجعل الله تدميره في تدبيره لأنه لا يعلم الغيب ، و تخلى عمن بيده الخير .

أحياناً تجده يضع كل أمواله في مشروع غير ناجح ، لو علم الغيب لما أقدم على هذا المشروع ، أما المؤمن فهو لا يعلم الغيب ولكن الله يدافع عنه ، لكن الله يسيره ، لكن الله يحفظه ، لكـن الله يلهمه ، لكن الله يصرفه عن هذا الشيء ، و قد قال تعالى : إِن الله يدافع عنِ الذين آمنُوا"

(سورة الحج)

فأدق ما في بحثنا هذا النقطة التالية : أنت إذا كنت مع الله فهو يعلم الغيب ، ويعلم ما سـيكون فلذلك يلهمك رشدك حيال ما سيكون ، فاللهم اجعلنا من هؤلاء الذين يستسلمون لك يـا رب ، ويفوضون إليك كل أموره .

اللهم أعطنا ولا تحرمنا، أكرمنا ولا تهنا ، آثرنا ولا تؤثر علينا ، أرضنا وارض عنا اقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معصيتك ، ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك ، ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا ، ومتعنا اللهم بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا مـا أحييتنـا وأجعلـه الوارث منا ، واجعل ثأرنا على من ظلمنا ، وانصرنا على من عادانا ، ولا تجعل الدنيا أكبـر همنا ولا مبلغ علمنا ، ولا تُسلط علينا من لا يخافك ولا يرحمنا ، وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم .

الحمد لله رب العالمين

الدرس ٩١ - اسم الله : "المدبر"

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الإخوة المؤمنون ؛ مع الاسم الواحد والتسعين من أسماء الله الحسنى والاسم هو اسم المدبر ، والمدبر هو أحد أسماء الله الحسنى، وهو زائد عن الأسماء التسعة والتسعين المعروفة والتي وردت في أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم .

المدبر: اسم فاعل من التدبير و التدبير مصدر وفي اللغة التدبير مأخوذ مـن لفـظ الدبر ؛ لأنه نظر في عواقب الأمور ؛ تدبر الأمر أي نظر في عواقبه ؛ العاقل يتـدبر الأمـر وينظر في عواقب الأمور ؛ قد تُعجِبه امرأة حسناء رقيق دينها فتجده يرفض هـذا الـزواج ! لماذا ؟ لأنه تدبر عاقبة الأمر فهي أم أولاده مستقبلاً وستُربيهم تربيةً فاسدة وسيخْجلون بِـأمهم إذا كبِروا ، فَتَدبر الأمر : هو النظر في عواقبه .

قد يذهب الإنسان إلى بلد غربي ويجد بحبوحة كبيرة : جمال طبيعي ما بعده جمـال ورخاء في المواد والأسعار ، ورخْص في المركبات وبيوت فخمة جداً ، فَطَبيعة الحياة تُغريه أن يذهب إلى هناك ويستقر فيه، فالعاقل يتدبر عاقبة هذا الأمر ، سوف يكبر أبنـاؤه هنـاك ، وسوف ينشؤون نشأةً لا تُرضي الله ، وسيجِد مع ابنته صديقاً فماذا يفعل ؟ وماذا يفعل إذا كبر أبناؤه في مجتمعٍ فاسد وسيىء ولا حرج على أحدهم أن يمارس الزنى فالأمر سـهل كشَـربة الماء ؟ فإذا أردت تنفيذ أمرٍ تدبر عاقبته .

قد يسافر الإنسان فما عاقبة هذا السفر ؟ وقد يعملعملاً ما فما عاقبة هذا العمل ؟ وقد يقبِض المال الحرام فما عاقبة هذا المال ؟ وقد يتزوج هذه المرأة اللعوب فما عاقبـة ذلـك ؟ فالتدبر هو التفكر في عواقب الأمور ، والتفكر في نتائجِها ، فالمؤمن لا يقبل على أمر حتـى يتدبر عاقبته، فهناك أناس كثيرون يغْريهم العمل بِما يخالِف القوانين فيربحون ثم يخسـرون كل شيء ولو أنهم تدبروا عاقبة الأمور لَما فعلوا ذلك ، و لما وقعوا في سوء أفعالهم .

أمثلة كثيرة ؛ فَلَو أن الإنسان رفض أن يتعلم فإذا تدبر عاقبة هذا الأمر ورأى نفسه جاهلاً تائهاً وشارِداً وضعيف الشأن في المجتمع لما أحجم عن التعلم . فالإنسان العاقل هـو الذي يفكر في عاقبة الشيء قبل أن يصل إليه فهو يخاف بِعقله ؛ والإنسان الأقل عقْلانيـةً أو الضعيف العقل أو الذي يعطل عقله فهو يخاف بِعينه ، وهذا هو الفرق بين الإنسان والحيوان ؛

فالإنسان يخاف بعقله والحيوان يخاف بعينه ، فالذي يدخن لا يقْلع عن التدخين حتى يصـاب بمرضٍ عضال فعند فحص العينة بالمخبر ويأتي الجواب مرض خبيث بالورم ، بسبب الدخان عندئذ يقْلع عن التدخين ، أما العاقل فيعرف عاقبة التدخين قبل أن يصل إليها، فالعقـل يريـك النتيجة قبل أن تصل إليها ، وتصل إليها بعقْلك قبل أن تصل إليها بجسمك ، فإذا كـان هنـاك طريق مغلق بعد خمسة كيلو مترات فهل تُكْمل المسير ؟ فالذي يتحرك بعينه يقـول الطريـق سالم وبيسير فإذا به بعد قليل يجد الطريق محفورا ومغلقًا ، فلو قرأت اللوحة لوصلْت إلى هذه النتيجة بيسر و أرحت نفسك ، فاللوحة تعطيك النتيجة قبل المجازفة ، فهذا هو العاقـل . أمـا غير العاقل فإنه يقرأ اللوحة ويكمل سيره لأنه يرى الطريق سالما إلى أن يجد الحفر فيقـول : لا حول ولا قوة إلا بالله ويعود راغما ، فإذا تحركتَ بحواسك الخمس فأنت دون مستوى البشر أما إذا تحركت بعقْلك ووصلت إلى النتائج مسبقًا فأنت عاقل حقا .

إنسان ذهب إلى بلَد وزلت قدمه فَعانى من مرضٍ جنسي عشرين عاماً وهو يتمـزق كي يخْفيه عن أولاده وزوجته وكيف يعالجه ؛ فهذا لو تدبر الأمر قبل أن يفعله لما فعله فهـذا هو التدبر ؛ التفكر في عواقب الأمور والتفكر في نتائجها ومؤداها وعقابها ، أحيانـاً يكـون الإنسان في أوج شبابه يعيش لحظته يأكل ويشرب ويستمتع ولا يتعلم ولا ينضـبط ولا يسـأل عن شيء فإذا تقدمت به السن يجد نفسه بعيداً عن مراتب البطولة وفي مؤَخرة الركْب وفـي الدرجة الدنيا في المجتمع فهذا عطّل عقلهولم يفكر، وتجد آخر يفكر ويتروى ويبني مسـتقبله لبنةً لبنَة ويجعل لنفسه بدايةً محرقة فتكون له نهاية مشرقة .

التدبر هو النظر في عواقب الأمور وأدبارها ، والتدبير هو أن يحسن المرء التـدبر والتفكر ، وهو النظر في عاقبة الأمر ، أو ما يؤول إليه وعاقبتُه أي مؤداه ومنتهـاه والتـدبر قريب من التفكر ، أما الدبر فهو النحل والزنابير سلاحها في أدبارها ، وقيـل سـميت دبـراً لتدبيرها وتألقها في العمل العجيب ، ومنه بناء بيوتها فلذلك سميت بهذا الاسم هذا في اللغـة ، فإذا قلنا: الله جل جلاله مدبر كان لدينا معنى آخر قال تعالى :

إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾

(سورة يونس)

فما معنى يدبر الأمر؟

آية ثانية : قال تعالى :

قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾

(سورة يونس)

قال ومن يدبر الأمر .

آية ثالثة : قوله تعالى :

ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْأَيَـٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾

(سورة الرعد)

وقال تعالى في سورة السجدة :

يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٥﴾

(سورة السجدة)

ففي هذه الآيات القرآنية ورد قوله تعالى "يدبر الأمر" فهو المدبر ، هنا التـدبير إذا عزي إلى الله عز وجل كان له معنى آخر ؛ قال : هو التوفيق بـين أوائـل الأمـور وبـين عواقبها ، فإذا طلب المرء الزواج فالزواج يبدأ بنية ؛ فهذا نوى أن يتزوج فمن الذي ييسر له البيت والزوجة الصالحة وأن يملك المهر والمال كي يؤسس بيتًا يضمهما وأن يقتَـرن بهـذه المرأة وأن ينْجِب منها أولاداً صالحين ، وبعد حين يجد نفسه في بيت يزدان بزوجة وأولاد ،

وغدا ذا مكانة في المجتمع ، وقد كان بالأمس شاباً لا يملك من حطام الدنيا شيئاً ، فَمن دبـر أمره ؟ ومن أوصلَه من مبتدأ رغْبته بالزواج إلى نهاية المطاف ؟ هو الله عز وجل .

وذاك أراد أن يتاجِر فمن يسر له رأس المال والمحل والرخص وشـراء البضـاعة والبيع والربح وتأمين الحاجات فمن يدبر الأمر ؟ هو الله تعالى وهذه كلمة واسعة جداً ، وأنت تنام وتذهب إلى فراشك فمن يحرك الأرض حول ذاتها من أجل أن يشْرِق الصباح ؟ هـو الله سبحانه ومن الذي يجعلها على خط سيرِها حول الشمس ؟ هو الله سبحانه ، ومن الذي ينـزِل من السماء ماء فيحيي به الأرض بعد موتها ؟ هو الله سبحانه . وأنت ما عليـك إلا أن تُلْقـي حبة في الأرض فهذه الحبة من الذي أعطاها شروط النمو ومن الذي أودع فيها هذه القـوة ؟ حبةٌ صغيرة تُصبِح بعد حين شجرةً كبيرة فمن نَمى هذه الحبة ومن الذي جعـل لهـا سـويقاً وجذَيراً وكذلك الرشَيم ؟ هو الله سبحانه ، فهو يدبر الأمر في النبات والحيوان والإنسان فـإذا تم اللقاء بين الزوجين خرج حويصل وتم لِقاح في البويضة وما عليك بعد ذلك مـن شـيء ، فأنت في حالك وزوجتك في حالِها ، إن الله هو الخالق للنطفة والمدبر لها ثم يخرجه طفلاً .

فكيف لقّحت هذه البويضة وكيف انقسمت وكيف سارت إلى الرحم وكيف انغرسـت في جِدار الرحم وكيف جاء الدم الكثيف وكيف نمت هذه البويضة فأصبحت على شكل ورقـة ثم كيف اتّضح الدماغ والجِذع وكيف نبتت الأطراف وبعد تسعة أشهر تجد طفلاً كامل الخلق ؛ رأس وجمجمة وبصر وأعصاب حس وأعصاب حركة وعضلات وعظـام وجِهـاز هضـم وجِهاز تنفس وجِهاز دوران وإفراز وغدة صماء وغدة درقية وغدة نخامية وغدة البنكرياس ؛ في تسعة أشهر وعشرة أيام من حويصل لا يرى بالعين إلى طفلٍ كامل الخلق ، فمـن يـدبر الأمر ؟ يدبر الأمر يعني يوصل المقدمات إلى النتائج فالمقدمات حويصل والنتـائج طفـل ، المقدمات رغبة في الزواج والنتائج زوجة وأولاد وبيت ، المقدمات مشروع تجاري والنتـائج تجارة رابِحة ؛ يدبر الأمر ، إنه الله .

قالوا : التدبير إذا عزِي إلى الله عز وجل هو التوفيق بين أوائل الأمـور ومبادئهـا وأدبارها وعواقبِها ؛ فالطفل في بطن أمه معرض إلى أخطار كبيرة وكثيرة ، فإذا بـه يولـد سليماً ومعافى ، فمن دبر أمره ؟ هو الله جل جلاله والمقدمات يجعلها الله تؤدي ما يجب مـن الغايات .

شيء آخر وهو أنه يدبر الأمر أي يهدي عباده إلى ما أرادهم لهم فهذا تدبير روحي ؛ يدبر أمرهم في إمدادهم بِما يحتاجون بالهواء والماء والطعام والشراب والحاجات والمعـادن وما إلى ذلك فهذا تدبير عيشي ،لكنه أيضا يدبر أمرهم الروحي بإيصالهم إليه ، أحيانيبعث إليه من ينصحه وأحياناً يبعث إليه من يضغط عليه ويسوق له شدةً ويخيفه ويريه مناماً مزعجـا و يجمعه الله مع إنسانٍ طيب ويرزقه رِزقاً وافياً كي يستحيي ويقتر عليه في الـرزق ويحيط ـه

يخَوف شديد ويطمِئنه ، ويمرِضه أحيانًا ثم يشفيه ؛ فمن الذي يدبر أمره حتى يصل إليه هو الله .

والحقيقة أن أدق المعاني وهو أن الله يدبر أمر عباده أي يهديهم إليه ، فأحياناً تجـد إنساناً أشرك بالله ، وهذا الذي أشرك به يلْهمه أن يتخلى عنه تأديباً لِمن أشرك بالله فمن الـذي لقن هذا الإنسان المشرك درساً قاسياً ؟ هو الله عز وجل ، فهو تعالى يدبر الأمر ؛ يعطي هذا مالاً ، وذاك علماً، فالأول ينفعه المال فيعطيه المال ، وذاك ينفعه العلم فيعطيه العلم ، وهـذا ينفعه الذكاء فيعطيه الذكاء ، وذاك يضره المال يجعله فقيراً ، إن من عبادي مـن إذا أغْنَيتُـه أفْسدت عليه دينه وإن منهم من إن أفْقَرته أفسدت عليه دينه ؛ من يدبر الأمـر؟ ومـن الـذي يعطي الإنسان الشيء المناسب في الوقت المناسب بالكم المناسب وفي المناسبة المناسبة ؟ هو الله جل جلاله .

هناك شيء دقيق بالنسبة لمفهوم المدبر ، وهو أن الله عز وجل لِماذا خلَقنا ؟ خلقنـا لِنَعرفه ونسعد بِقُربِه ، فكل أفعال الله هي سوق العباد لهذا الهدف ، مـدبر أي يسـوقهم مـن بداياتهم إلى الغايات التي أرادها لهم ؛ هذا معنى المدبر .

هناك بعض الكلمات يقولها بعض الإخوة لها معنى لطيف : توكل دبر أو لا تُـدبر واستسلم لله عز وجل فهو المدبر . وهو الذي يدبر أمور عباده ، والحقيقة أن الـوحي الـذي جاءنا من السماء هو من التدبير وإرسال الرسل من التدبير وإلهام الدعاة إلى الله لإيصال الحق إلى الناس هو من التدبير وأن تجِف السماء من التدبير وأن تنهمر أمطار غزيرة من التدبير ؛ يدبر الأمر ثم قال تعالى : **" يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثُم يعرج إليه في يـوم كـان مقْداره ألْفَ سنَة مما تَعدون "**

(سورة السجدة)

ويقول الله عز وجل في ختام هذه الآيات : " أفلا تذكّرون " أي أتجهلون أن هذا هو الحق المبين ؟ .

قال بعضهم في معنى قوله تعالى :

ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ

(سورة الحديد : الآية ٤)

أي توحد بِجلال ، بالكبرياء ، في وصف الملكوت ، كما قال الإمام مالك: الاسـتواء معلوم والكيف مجهول ؛ هذا لا نعلمه إلا أن الذي نعلمه هو أنه استوى على العرش ، أحيانـاً

كل شيء جاهز وما علينا إلا الضغط على مفتاح التشغيل وتتحرك كل الأمور ، فهذا تصـميم وتشغيل وتهيئة وفعل ، فمعنى استوى على العرش : يدبر الأمر .

أيضاً يدبر الأمر أي أن كل الحوادث تصدر عن تقديره وحاصلةٌ بِتَـدبيره ، وهـذا شيء أساسي في التوحيد ، وهو أن كل شيء وقع في الكون أراده الله ولا يقع حادث إلا بأمر الله ومشيئته لأنه المدبر .

هناك معنى إضافي وهو أن الله هو المحدث فلا يقع حادث إلا بأمر الله أما المـدبر يسوق الحوادث إلى أهدافها الصحيحة ، أحياناً تجد حركـة عشْـوائية دون هـدف ، فَلُعـب السيارات الكهربائية تمشي دون هدف أما الإنسان إذا أقلع بسيارته هناك هدف يريد أن يصـل إليه ، فالحركةُ تعني أن الله هو المحدث . أما إذا قلنا : المدبر يعني هذه الأحداث تَتجه كلهـا إلى غايات رسمها الله لها ، أحياناً تجد اهتماماً بليغاً من الأب لِدفْع ابنه إلى الدراسـة فَتَجِـده يكافئه مرةً ويؤَنبه أخرى ويدفع له ما يشاء من أجل تحصيل القمة في الدراسـة فكـل هـذه الأفعال المختلفة الصادرة من الأب وذات الهدف الواحد هي من أجل تحصيل مسـتوى فـي الدراسة .

فالتدبير له معنى بلوغ الهدف . أما المحدث فله معنى الحركة فالحادث له محدث هو الله عز وجل أما المدبر هو أن يساق هذا الحادث لِما خُلق له ومن هنا قـال عليـه الصـلاة والسلام :

عن علي قَالَ بينَما نَحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ينْكُتُ في الأرض إِذْ رفَع رأْسه إِلى السماء ثُم قَالَ ما منْكُم من أَحد إِلا قَد علم وقَالَ وكيع إِلا قَد كُتب مقْعده من النـار ومقْعده من الْجنة قَالُوا أَفَلا نَتكلُ يا رسولَ الله قَالَ لا اعملُوا فَكُل ميسر لِما خُلقَ له *

(رواه الترمذي)

كل إنسان خُلق للجنّة فهو ميسر لها فإما أن يأتيها طائعـاً وإمـا أن يسـاق إليهـا بالسلاسل قال عليه الصلاة والسلام :

عن أَبِي غَالِبٍ عن أَبِي أُمامةَ قَالَ استَضحك رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يوما فَقيلَ له يا رسولَ الله ما أَضحكَك قَالَ قَوم يساقُون إِلى الْجنة مقْرنين في السلاسل *

(رواه أحمد)

" **عجِب ربكم إلى قومٍ يساقون إلى الجنة بالسلاسل** " إما أن تأْتيها طائِعاً مبـادراً وإمـا أن يسوقك الله إليها بالسلاسل بالامتحانات والتأديبات والشدائِد.

قال بعض العلماء : " المدبر : لا شريك له تعبده ، وما قضى فما أحد يرده وما من شفيعٍ إلا من بعد إذنه ، وهو الذي ينطق من يخاطبه ، وهو الذي يخلق ما يشاء على ما يشاء

إذا التَمس يطالِبه " ، هذا من معاني المدبر قال تعالى : " ذَلِكُم الله ربكُـم فَاعبـدوه أَفَـلا تَذَكرون " .

وفي سورة يونس عليه السلام :

قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أَمَّن يَمۡلِكُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَـٰرَ وَمَن يُخۡرِجُ ٱلۡحَىَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُۚ فَقُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾

(سورة يونس)

أحياناً تأتي موجة حر في الربيع فهناك بعض النباتات لا تنضج إلا بهذا الحر فمـن المدبر ؟ هو الله جل جلاله ، ذهبنا مرةً إلى بلدة في محافظة القنيطرة ووجـدت أنواعـاً مـن الديدان لا تعد ولا تحصى وغير معقول عددها فسألت فقيل لي : هذا العام لم يأت ثلج كـاف فحينما ينزل الثلج بشكل كاف تموت الديدان هناك تدبير إلهي ، وحينما يداهم الحر هناك تدبير إلهي ، وحينما تأتي الرياح هناك تدبير إلهي ، وأحياناً لا بد من تلقيح النباتات فتـأتي الريـاح اللواقح ، فالحر له وظيفة في إنضاج الثمار ، وهناك برد له وظيفة في قتْل الحشرات ، وهناك رياح لها وظيفة في تلقيح النباتات فَمن المدبر ؟ الله هو المدبر فهو تعالى يسوق كل شيء إلى هدفه .

قوله تعالى : **قُلْ من يرزقُكُم من السماء والأرض أمن يملك السمع والأبصار ومـن يخْرج الحي من الميت ويخْرج الميتَ من الحي ومن يدبر الأمر فَسيقُولُون اللـه فَقُـلْ أَفَـلا تَتقُون "**

وقوله : "**أمن يملك السمع والأبصار** " هذا من التدبير ، وقوله : " **ومـن يخْـرج الحي من الميت** " هذا من التدبير ، وقوله : " **ويخْرج الميتَ من الحي** " وملَخّص كـل هذا : من يدبر الأمر ، فالخلق تدبير والهداية تدبير والرزق تدبير والمصائب تدبير قال تعالى :

" **فَسيقُولُون الله فَقُلْ أَفَلا تَتقُون** " ماذا تنتظر ؟ فما دام الله هو المدبر ، فأنت ماذا تفعل ؟ ومن الذي يمنعك من أن تطيعه ؟

أحد العلماء يتساءل : أين كانت تكمن السنبلة في الحبة ؟ أحياناً تجد حبـةً صـغيرة بذرة خيار ، يقول لك البائع هذه البذرة تُنْتج خيارا طوله ثمانية عشر سنتمتر لونه أخضر داكن وملْمع وإنتاجه كثير وغزير ومديد ، فهذه الكلمات التي ينطق بها بائع البذور ، لو أمسـكت هذه البذرة أين ترى هذه الخصائص ؟ قد تجد عشرين خاصية لِبذرة فهل عندما تأتي البـذور

في الأغلفة أيكون مكتوبا عليها هذه الخصائص ؟، فلو أنك فتحت هذه البذرة وقمت بِتَشْريحها ؛ هل ترى هذه الخصائص ؟ ما عليك إلا أن تزرعها وهي تنبت بمواصـفات عاليـة كثيفـة وغزيرة ومديدة بِحجمٍ معين وبِلَونٍ معين وبِخصائص معينة وتُقاوِم أمراضا معينة ، فمن جعل هذه الخصائص في هذه البِذرة ؟ الله جلّ جلاله ؛ يدبر الأمر.

قال : أين كانت تكمن السنبلة في الحبة ؟ وفي النواة أين يكمن اللّب واللحاء ؟ فالتين مثلاً كم تحوي الواحدة من بذرة ؟ وهل تستطيع عدها ؟ فهناك ما يقرب عشرة آلاف حبـة ، البِذرة الواحدة يمكنُها أن تُنْبِت شجرة تين بِكاملها ، لها ساق معين وجِذع معين ولـون معـين وأغصان معينة وشكل معين وأوراق معينة وطبائع معينة فقد تجدها تحمل أوراقًا متساقطة أو دائمة الخضرة ، فكل هذه الخصائص في هذه البذرة التي لا تُرى بِالعين وتحوي كل خصائص التّين ، وهذا تين بعل وذاك تين أسود وهذا حجمه كبير وذاك حجمه صغير وهذا سكّره جارح وذاك سكّره قليل ، فكل هذه الخصائص أين هي ؟ هو المدبر ، وهذه البيضة التـي تحـوي صفاراً بعد عشرين يوماً تصبح فرخاً صغيراً فيه عين وأُذن ومنقار ، وقالوا : هذا الصـوص حينما يأتي وقت خروجِه من البيضة ينبت على منقارِه نتوء كالإبرة تماماً يكسر بـه البيضـة وبعد أن يخرج يضمر هذا النتوء ويعود المنقار كما هو عليه في الأصل ؛ منقار ينبت له نتوء مدبب كالإبرة تماماً وبه يكسر البيضة ويخرج ولما تنتهي مهمة هذا المنقار يرجع إلى وضعه الطبيعي .

ومن أوضح آيات التدبير أن الجنين في بطن أمه ليس لديه تنفّس فالرئـة معطلـةٌ ، عنده دورة دموية إلا أن التنفس معطل ، فربنا عز وجل خلق ثقباً بين الأُذينين فالدم بـدلَ أن ينتقل من الأذين إلى الرئتين ثم إلى البطَين ينتقل من أُذين إلى أُذين لأن طريق الرئتين مسدود ، فما دام الطفل في بطن أمه فالهواء منعدم ، لكن بعدما الطفل يولد قال الأطباء : فتأتي جلطة تُغلق هذا الثقب في الوقت المناسب وإلا يصاب هذا الطفل المولود حديثاً بِمرضِ الزرق ، فلا يستطيع أن يتحرك لأن دمه أزرق ولا يذهب الدم للرئتين لِيطْرح غاز الفحم ويأخذ الأكسجين ويبقى في الدم غاز الفحم وبِذلك تنعدم القوة على الحركة ، وأغلب هؤلاء الأطفال يموتون في عشر سنوات تقريباً ما لم تُجر لهم عملية باهظة التكاليف لإغلاق هذا الثقب بـين الأُذَينـين ، فمن المدبر ؟ الله عز وجل .

وهذا الكائن البشري أين هو في البويضة ؟ أين كانت تكْمن ملامحه ؟ وأين كانـت تكمن نبرات صوته ؟ ونظرات عينَيه ولفتات جِيده واستعدادات الأعصاب وموروثات الجِنس ؟ أين كانت تكمن كل هذه الصفات في البويضة وفي الحوين ؟ فمن المدبرومن الـذي أخرجهـا إلى حيز الوجود؟ هل تصدقون أن على الحوين خمسة آلاف مليون أمر مبرمج ؟ وهـذا هـو معنى قوله تعالى :

إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَۖ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ٣٤

(سورة لقمان)

ويسوق الحوادث إلى غاياتها ويسوق الإنسان إلى ما خُلق له ويحرك الشمس والقمر ويولج الليل في النهار وينزل الماء من السماء وينبت النبت ، لقد كان وزنك ثلاثة كلـغ عنـد الولادة فإذا وزنت نفسك عند الكبر ربما تجدها ثمانين كلغ فكيف تم لك هذا الـوزن ؟ ومـن حول الطعام والشراب والتفاح والخبز والجبن والسكر إلى لحمٍ وعظام ونُسجٍ وأجهـزة ؟ إنـه المدبر .

وهناك أمر آخر في هذا الباب فلو أنك دخلت لِعالم النحل لوجدت العجـب العجـاب أيضا؛ ولو دخلت لِعالم النّمل لوجدت العجب العجاب ؛ تعقيدات اجتماعية لِحشَرة النحل والنمل لا تصدق، وشيء لا يصدق أن تبني هذه النحلة بيتاً بِشكل سداسي ، والسداسي هـو الشـكل الهندسي الذي لا يأخذ فراغات بينية ويكْتَفى بِالسداسي بِأقْصر ضلع ، ومعنى ذلك أنـه متـين كلما طال الضلع كلما ضعفت المتانة فهناك مواصفات رياضية لِشَكل السداسي ، فمـن الـذي ألهم النحلة أن تبني بيتها على شكلٍ سداسي ؟ ومن الذي ألهمها أن تذهب للحقـول وتمـتص رحيق الأزهار؟ ومن الذي ألهمها رقصة بها تحدد جِهة الأزهار وبعدها وكثافَتَهـا ؟ الله جـل جلاله . ومن الذي ألهم النحلة أن هذه الزهرة ممتصة الرحيق فلا تقع عليها لأنها قد امـتُص منها الرحيق ؟ من الذي يدبر الأمر ؟ وهل تعتقد أن النحلة بِها عقل ؟ لا ، لكنها تقوم بِعمـلٍ مذهل في عقلانيته وتعقيداته ، إذاً من الذي يدبر أمر النحلة ؟ هو الله عز وجل .

وفي سورة الرعد : " **الله الذي رفَع السماوات بِغَير عمد تَرونَها ثُم استَوى علـى العرش وسخر الشمس والقَمر كُل يجري لِأَجلٍ مسمى يدبر الأمر يفَصلُ الآيات لعلكُم بِلقـاء ربكُم تُوقنُون** " .

فالله تعالى كلما أورد التفاصيل وساقها للإنسان أوجزها بِكلمة يدبر الأمر ؛ فخلقـه تدبير ورزقه تدبير وهدايته تدبير وفي النهاية يدبر الأمر قال تعالى :

قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا

يَـٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَىۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾

(طه : الآية ٤٩-٥٠)

رجل كان في بستان فرأى قنفداً يأكل أفعى كلما أكل جزءاً ذهب إلى نبات وأكل ورقاً من هذا النبات فهذا البستاني كان ذا فضول فقام لِهذا النبات واقتْلعه فلما عاد القنفد وأكل جزءا من تلك الأفعى ذهب لِيأكل من هذا النبات فلم يجِده فمات ! فمن الذي ألهم هذا القنفد أن لهـذا النبـات أثرا متوزيا مع لحم الأفعى ؟ الله جل جلاله ، قال تعالى :

قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَـٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَىۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾

(سورة طه)

وفي قوله تعالى :

ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبۡعَ سَمَـٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنَهُنَّ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىۡءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىۡءٍ عِلۡمَۢا ﴿١٢﴾

(سورة الطلاق)

فقوله **: " يتَنَزلُ الأمر بينَهن "** ؛ هذا من التدبير ، يجب أن تعلموا أن الله تعالى هـو الذي يسوق كل شيء لِكل شيء .

إخواننا القراء الكرام ؛ من تطبيقات هذا الاسم ؛ إذا رأيت يد الله تعمل فـي الخفـاء فهو المدبر وإذا رأيت يد الله فوق أيديهم فهو المدبر وإذا رأيت أن كل شيء لا يقـع إلا منـه تعالى فهو المدبر .

لذلك توكل على هذا المدبر الحكيم الرحيم العليم القدير فهو حكيم في كـل تـدبيره رحيم عليم قدير بِيده الأمر كلّه قال تعالى :

وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾

(سورة هود)

وأنت الذي من فَضلِ ومن رحمة بعثت إلى موسى رسولاً منادياً
فقلت له اذهب وهارون فادعوا إلى الله فرعون الذي كان طاغيا
وقولا له هل أنت سويت هذه بِلا وتَد حتى اطْمأنت كما هي
وقولا له أأنت رفعتها بلا عمد أرفقْ إذًا بك بانياً
وقولا له هل أنت سويت وسطها منيراً إذا ما جنك الليل هاديا
وقولا له من يرسل الشمس غدوة فَيصبح ما مست من الأرض ضاحيا
وقولا له من ينبت الحب في الثرى فيصبح منه العشب يهتز رابيا
ويخرج منه حبه في رؤوسه ففي ذاك آيات لِمن كان واعيا

والحقيقةُ - واللهِ - فيما يبدو أن كل ما في الكون ينطق باسم المدبر خلْقاً وتَصـرفاً ومصيراً نباتاً وحيواناً وإنساناً وجماداً وشمساً وقمراً وكواكب ومجرات ومذنّبات وليلاً ونهارا ورزقًا وهداية وتوفيقًا ألم يقل الله عز وجل:

وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾

(سورة هود)

فمن الذي يستطيع أن يسوق الحوادث إلى غاياتها ؟ هو الله عز وجل .

ومن ثَم فإنه يمكننا أن نستنبط استنباطاً أن الله جل جلاله جعلك خليفةً فـي الأرض وينبغي أن تدبر أمورك فأنت أب وعليك أن تُدبر أمر أسرتك ؛ بناتـك وأولادك وأعمالـك ، وأنت طبيب فعليك أن تدبر أمر مرضاك، وأنت محامي فعليك أن تدبر أمر موكليك ، فالـذي يهمل عمله لا يتخلّق بأخلاق الله .

فالمدبر يوحي بحكمة بالغة ، أذكر أنني اشتريت مرة عنَبا من منطقة باردة وظننتـه من شكله حلْو المذاق فلما سألت البائع لِم لم يكن حلْو المذاق ؟ قال : لم يأتنا حر في هذا العام ، فالحر هو الذي يرفع كثافة السكر في الفواكه ، فمن المدبر ؟ إذًا يتضح لكم أنه تعـالى هـو المدبر وأنت خليفته في الأرض ، واللهُ وكلك بهؤلاء الناس فعليك أن تُدبر أحوالهم .

تجد أحياناً أباً يعتني بأولاده في أجسادهم وأفكارهم ودراسـتهم وديـنهم ، هـذبهم وعلّمهم وأحسن علاقتهم بغَيرِهم ومنحهم بعض الإمكانات إلى أن يزوجهم ؛ نقول : هذا الأب مدبر ، وكذلك الأم فهي مدبرة ترعى أولادها وتخيط لهم و تطـبخ لهـم وتعتنـي بِـأخلاقهم وتُحاسبهم وتراقبهم وتسهر على راحتهم وتعالِجهم إن هم مرضوا ، فكما أن الله تعالى مـدبر فإذا وكلْك بأسرة فَكُن لها مدبراً ، ووكلك بطلابٍ فكن مدبراً لهم ، جاء لِيشْتري من متجـرك فأعط له الشيء الجيد .

فَمن التطبيقات العملية لِهذا الإسم ؛ كما أن الله تعالى دبر أمر عباده وأنت خليفته في الأرض ، ما عليك إلا أن تدبر أمر من دونك ، فمدير المدرسة والمستشفى والمؤسسة كل من حوله ومن دونه تحت سمعه وبصره ؛ فلان زوجته حامل فهو يحتاج إلى مسـاعدة ، وفـلان يحتاج إلى توجيه ، والآخر إلى طبيب ، فأنت إذا كنت في منصبٍ أعلى كُن مدبراً ، كمـا أن الله تعالى يدبر أمور عباده ، فهذا من التطبيقات العملية لاسم المدبر وكلما كنت من الطـراز الرفيع كلما كنت أكثر إيماناً وإتقاناً ، فإتقان العمل هو التدبير والمؤمن يتقن عملـه ، ولـيكن أخي المؤمن لك حظك من اسم المدبر .

والحمد لله رب العالمين

الدرس ٩٢ - اسم الله : "الشافي"

بسم الله الرحمن الرحيم

مع الاسم الثاني والتسعين من أسماء الله الحسنى والاسم هو الشافي ، ولكن قبل أن نخوض في دقائق هذا الاسم العظيم لا بد من وقْفَة متأنية حول موضوعٍ آخر يتَمم هذا الاسم ويكمل المعاني التي سوف تُساق فيه ، المرض في الأصل ليس من الله لأن الله عز وجل يقول حكاية عن سيدنا إبراهيم :

ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾

(سورة الشعراء)

قال الذي خلقني وأطعمني وما قال الذي أمرضني ؛ بل قال :

وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾

(سورة الشعراء)

فنسب إبراهيم عليه السلام المرض لنفسه .

ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾

(سورة الشعراء)

أصل المرض خروج عن منهج الله ، وإن صح أن نقول هناك مرض للأجسام ومرض للقلوب ، المرضان بِنَوعيهما مرض الأجسام ومرض القلوب أصلها خروج عن منهج الله ، لأن الله تعالى كاملٌ كمالاً مطلَقاً فإذا خلق شيئاً فقد خَلَقَه كاملاً ، ما ترى من خلْق

الرحمن من تفاوت ، من الذي يخْطىء ؟ ومن الذي يفسد ؟ ومن الذي يطغَى ؟ ومـن الـذي يظلم ؟ ومن الذي يسيء ؟ هو مخلوقٌ أودع الله فيه الشهوات لِيرقى بها صابِراً تارةً وشـاكراً تارةً أخرى إلى رب الأرض والسماوات ، وهذه الشهوات إذا أُودعت في مخلوق ولم يكن هذا المخلوق متصلاً بِالله ولم يسر على منهج الله يفسد .

فالشيء الجامد إذا وضعته في مكانٍ لا يتحرك ، فليس ضرورِياً أن يعلم هذا الشيء الجامد ، أما إذا مشى ولم يكن هناك مقْود فالدمار حتْمي ، ومن الذي يعبـر عـن حركـات الإنسان ؟ شهواته ؛ والإنسان مندفع لِتَلْبِية حاجاته وشهواته وهذا الاندفاع يشبه الحركة ، إنـه اندفاع دون منهج يسير عليه ، ومن دون مقْود وهو العلم ، ومن دون اتصال بالله وهو الهدى ، وهذه الحركة دون منهج ودون هدى ستُدمر صاحبها ، إذاً الإنس والجِن وحدهما اللذان أودع الله فيهما حرية الاختيار وأودع فيهما الشهوات اقرأ قوله تعالى :

إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾

(سورة الأحزاب)

وفي آيات أخرى تجد الجن تشترك مع الإنسان في حمل الأمانة هـذان المخلوقـان تحملا الأمانة ، والأمانة نفْس الإنسان ؛ وعليه أن يزكيها وكيف يزكيهـا ؟ بِتَعريفهـا بـالله وحملها على طاعته ، فالدين يحمل جانباً سلوكياً وآخر معرفيا وثالثًا جماليا الجانب المعرفـي هو السبب والجانب السلوكي هو الثمن والجانب الجمالي ..

إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾

(سورة هود)

هذا المخلوق (الإنسان) فيه شهوات وفيه اختيار ولكن مع هذه الحريـة أعطـاه الله عقلاً ، بِمثابة ميزانٍ دقيق ، وأعطاه على هذا الميزان الدقيق ميزاناً مهيمنًـا هـو الشـرع ، فأرسل إليهم الأنبياء ومعهم الكتُب فرغم وجود أنبياء وكتب وشريعة وعقل ومع كل هذا وضع الإنسان كل شيء وراء ظهره وانطلق مع شهواته بِلا منهج وبلا هدى وبلا كتاب منير فَفَسد ، ومن مقْتضيات حياة الإنسان أن فساده محتَمل لِذلك هيأ له شفاعين ، هيأ له القرآن الكريم شفاء

لِنَفْسه وهيأ له الأدوية شفاء لِجسمه ، فالشفاء يقتضي المرض ، والمرض في الأصل خـروج عن منهج الله عز وجل .

فإذا قلنا : إن هناك مرضا للقلب كالضغينة والحقـد والكبـر والكراهيـة والأثـرة والجحود والإجحاف والظلم هذه كلها أمراض القلب ، وهناك مقولةٌ رائِعة وهي : إن أمراض القلب ليست بأمراض ، بل هي أعراض لِمرضٍ واحد ألا وهو الإعراض ؛ إن أعرضت عـن الله عز وجل تَكشفت أمراض القلب ، فكل أمراض القلب وكل الصفات الخسيسة في الإنسـان هي أعراض لِمرضٍ واحد هو الإعراض فالإنسان ما لم يتّصل بالله عز وجل لن تَزكُو نفسـه قال تعالى :

قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾

(سورة الشمس)

فلو أنه أعرض عن الله ولم يطبق منهجه وشَرد عنه شروداً بعيداً ، فعندئذ تكون قد نفْسه تعلقت بِشهوات وأُصيبتْ بِأمراض ، والقرآن الكريم شفاء لِهذه النفْس إذا قرأ القرآن عاد إلى الله وسار على منهجه ، كذلك هذا الجسم حينما يخالِف مـنهج الله عـز وجـل المتَمثـل بِتوجيهات النبي عليه الصلاة والسلام في التعامل مع الجِسم يمرض ، ومـا خلـق الله داء إلا وخلق له دواء ، فبحثنا يتناول اسم الشافي ، وهو اسم من أسماء الله الحسنى وهذا الاسم زائـد عن الأسماء التسعة والتسعين المشهورة والتي وردت فيها الأحاديث الصحيحة .

الشفاء في اللغة : البرء من المرض ، يقال شفاه الله يشفيه، إشْتَفى : افْتَعـل منـه ، فللمبالغة في الشفاء نقول : اشْتفى ؛ فعندنا إذًا شَفي وإشْـتَفى ، ومـن هنـا نقـول : مشـفى ومستَشْفى ، والشيء الذي ينبغي أن يكون لدى القراء الكرام واضحاً هو أن أمـراض القلـب أخطر من أمراض الجِسم لأن أمراض الجسد مهما تفاقمت ومهما كانت خطيرةً تنتهـي عنـد الموت ، والموت ينْهي كل ما له علاقة بالجسم ، وينْهي المرض وينْهي الصحة وينْهي القـوة وينْهي الضعف وينْهي الغنى وينْهي الفقر والوسامة والدمامة والذكاء والغباء ينْهي كل شيء ، إلا أن أمراض النفس خطورتُها وآثارها الخطيرة تبدأ بعد الموت ومن هنا قال الله عز وجل :

يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾

(سورة الشعراء)

فالقلب له في حياة المؤمن شأن كبير ، والقلب منظر الرب يصفو ويتعكّـر ويسـمو ويسفُل ويكبر ويضعف ؛ يكبر القلب ولا ترى كبره فَيتَضاءل أمامه كل كبير ، ويصغر القلب ولا ترى صغَره فَيتَعاظم عليه كل حقير ، قلب صفا وآخر انحرف ، وقلب استَعلى وقلب كان في تَجليات الله عز وجل وقلب عرف الله ، فلذلك من الأقوال الشهيرة لسيدنا عمر رضـي الله عنه : " تعاهد قلْبك " أنظر إلى قلبك على ماذا ينْطَوي ، وورد في بعض الأحاديث القدسية : " أن عبدي طهرت منظر الخلق سنين أفلا طهرت منظري ساعة "

القلب منظر الرب لذلك أعلى درجات الإيمان أن تتعامل مع الله مباشرة ، وأن تنظر إلى الله عز وجل وهو ناظر إلى قلبك ؛ هل فيه غلٌ لأحد؟ وهل فيه حقد لأحد ؟ وهـل فيـه ضغينة وكراهية وكبر واستعلاء وأَثَرة وعجرفة ؟ فَكُلما طهر القلب تَجلـى عليـه الـرب ، وصدقوني أيها الإخوة القراء أن أسعد الناس من كان قلْبه موصولاً ، يقال مثلاً : إن فلانًا لـه قلب كبير ، أي قلب موصولٌ بالله ، ومعنى موصول أن القلب اصطَبغ بِصبغَة الله ، تجـد أن من علامات المؤمن إذا رأيتَه تذكرت الله ، " أَولياء أُمتي إذا رؤوا ذُكر اللـه بهم " .

وإذا عاملْتَه أحببته وحدث ولا حرج عن تواضعه وعن لُطْفه وعن حيائه وعن كرمه وبذْله وعن عطائِه وعن حبه وعن غيرته ، فَلذلك نتفيأ مظلة اسم الشافي في بحثنا هذا ؛ إنـه يشْفي أجسادنا ويشفي قلوبنا ، لكن النبي عليه الصلاة والسلام حينما قال فيما رواه :

عن جابرٍ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قَالَ لِكُل داء دواء فَإِذَا أُصيب دواء الداء برأَ بِإِذْن الله عز وجل *

(رواه مسلم)

ولعله معلوم لدى كل مؤمن أن هذا الحديث وحده يعد من أعظم الأحاديث الشريفة ، لأنه ذو صلة بكل الأمراض قاطبة ، فلو سمعه طبيب ولم يهتد إلى تشخيص بعض الأمراض يتّهم نفسه بالتقصير ، فكأن هذا الحديث يدفع العلماء والأطباء والمخترعين إلى البحـث عـن الدواء ، ولأن الله عز وجل يقول فيما أخبرنا عنه النبي صلى الله عليه وسلم : " لِكُل داء دواء " فإذا سمع هذا الحديث أي مريض وقرأه يمتلىء قلبه أملاً بالله عز وجل أن يشفيه ، فما مـن داء خلقه الله إلا وخلق له دواء .

قال العلماء : فإذا أُصيب دواء الداء ؛ أي إذا وفق الطبيب إلى تشـخيص المـرض أولاً ثم وفق الطبيب إلى اخْتيار الدواء المناسب ثانياً برِئ ولكن لابد من أن يأْذَن الله عز وجل ، فالمريض ارتَبط من جهة بالعلم والبحث والدراسة الجادة وأن هذا المـرض لـه دواء فـي مخابر الباحثين و العلماء وارتَبط بالله عز وجل لأنه إذا أُصيب دواء الداء برِئ ولكن بِإذن الله فلا بد من أن يأْذَن الله حتى يبرأ المريض .

بعضهم قال : " الشفاء هو الدواء لأنه أحد نتائج الدواء " ، يقول العـرب : رعينـا الغَيث، والغيث لا يرعى ولكن رعينا كلأً سببه الغَيث .

فَبعضهم قال الشفاء هو الدواء نفسه وتعريف الشفاء : البرء من المرض ، ثم وضع موضع العلاج والدواء ، أما استَشْفى يعني طلب الشفاء، والكل يعلم أن الفعل الذي يبدأ بِـأَلِف وسينٍ وتاء فيه معنى الطلب ؛ استَشفى: طلب الشفاء ، واستَغْفر : طلب المغفـرة واسـتَعلم : طلب العلم ، واستَرحم : طلب الرحمة .

وقد ورد ذكْر الشفاء في مواطن كثيرة من كتاب الله فقال تعالى في سورة التوبة :

قَـٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾

(سورة التوبة)

معنى ذلك أن المؤمن حينما ينتصر الحق ويعلو ، وحينما يسقط الباطـل ويغْلَـب ، تَرتاح نفسه وهذه هي فطْرة الإنسان السليمة .

وهذا القرآن سماه الله عز وجل شفاء لما في الصدور ، أحياناً تجد أن الكفار أَقْوِياء وأغْنياء ويعيشون حياةً فوق التصور وهم مستَهترون ولا يطيعون الله ولا يصـلّون ويـأكلون الربا ويزنون ومع ذلك بِلادهم جميلة وهم أغْنياء ومعيشَتُهم فيما يبدو راقية وفيها هناءة ورغد فهذا المنظر يحدث اخْتلالَ توازنٍ وإذا فَتَحتَ القرآن يقول الله عز وجل :

لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى ٱلْبِلَـٰدِ ﴿١٩٦﴾ مَتَـٰعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٩٧﴾ لَـٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّـٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ ﴿١٩٨﴾

(سورة آل عمران)

وتفتح القرآن وتجد قوله تعالى :

فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحۡنَا عَلَيۡهِمۡ أَبۡوَٰبَ كُلِّ شَيۡءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذۡنَٰهُم بَغۡتَةً فَإِذَا هُم مُّبۡلِسُونَ ﴿٤٤﴾

(سورة الأنعام)

فترتاح عندئذ وتستعيد توازنك ، تفتح القرآن الكريم تجد قوله تعالى :

وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعۡمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمۡ لِيَوۡمٖ تَشۡخَصُ فِيهِ ٱلۡأَبۡصَٰرُ ﴿٤٢﴾

(سورة إبراهيم)

فترتاح كذلك ، ترى أن الدنيا جميلة ونضرة وخَضرة وكل شيء فيها مغرٍ فإذا فتحت القرآن الكريم تجد قوله تعالى :

إِنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞۚ وَإِن تُؤۡمِنُواْ وَتَتَّقُواْ يُؤۡتِكُمۡ أُجُورَكُمۡ وَلَا يَسۡـَٔلۡكُمۡ أَمۡوَٰلَكُمۡ ﴿٣٦﴾

(سورة محمد)

فالله ينبهك وكل الأمراض التي تنشأ في نفس الإنسان يعالجها القرآن ويحلها، أحياناً يكون الإنسان في بدايته لا يملك شيئًا ؛ لا مالاً ولا بيتًا ولا عملاً ولا دخْلاً ، ويبدو أن الطرق مسدودة أمامه ولكنه مستقيم في سلوكه مع الله فتبعث الآيات في نفسه الآمال الكبار عن طريق الثقة بربه الذي بيده الخير ، ثم يقرأ القرآن فيجد قوله تعالى يزيده تفاؤلاً وسكينة :

مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٩٧﴾

(سورة النحل)

فيطمئن ويقرأ قوله تعالى :

وَإِن كَانَ لِلْكَٰفِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوٓاْ أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۗ وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴿١٤١﴾

(سورة النساء)

وقوله تعالى :

وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾

(سورة آل عمران)

وقوله تعالى :

إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾

(سورة فصلت)

وهذا كله شفاء لِما في الصدور وقوله تعالى :

أَفَمَن وَعَدْنَٰهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَٰقِيهِ كَمَن مَّتَّعْنَٰهُ مَتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴿٦١﴾

(سورة القصص)

وقوله تعالى : " **لا يغُرنك تَقَلب الذين كفَروا في البِلاد * متَاع قَليلٌ ثُم مأْواهم جهنم وبِئْس المهاد * لكن الذين اتقَوا ربهم لهم جناتٌ تَجري من تَحتها الأَنْهار خَالِدين فيها نُـزلا من عنْد الله وما عنْد الله خَير لِلأَبرار * "**

أية آية تقرؤها تجد أنها تشفي النفس من بعض أمراضها ، فَربنا عز وجل جعل هذا القرآن شفاء لِما في الصدور قال تعالى :

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ٥٧

(سورة يونس)

فالذي أنزل الشفاء هو الشافي ، المؤمن متوازن والمؤمن ليست عنده مشكلات فكرية ، ولو أنه رأى كافراً قوياً ورأى مؤمناً ضعيفاً ، ولو أنه رأى منْحرفاً غنياً ورأى مستَقيماً متَقَشفاً فله موازين خاصة ، قد تجد موازين الناس تدعو للإنقباض فهناك من يرى أن المال هو الذي يثقل الميزان ، وكذلك الطيش والقوة الرعناء ، أما عند الله فالعمل الصالح فيه رجاحة الميزان .

لما سيدنا موسى سقى للمرأتين ابنتي سيدنا شُعيب ماذا قال : قال تعالى :

فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلۡتَ إِلَيَّ مِنۡ خَيۡرٖ فَقِيرٞ ٢٤

(سورة القصص)

فَفُهم من هذه الآية أن الغنى عند الله غنى الأعمال الصالحة وأن الفقر هو فقْر الأعمال الصالحة . والحقيقة أن حجمك عند الله لا يحجمِ أموالِك ولكن يحجم أعمالك ، والعمر لا قيمة له إلا بمضمونه الصالح ، قد تعيش عمراً قصيراً مفعماً بالأعمال الصالحة ، وقد يعيش آخر عمراً مديداً فارِغاً من العمل الصالح ؛ فهذه كلها موازين أيها الإخوة القراء ، والإنسان لما يجعل الغلط ميزانه يقع في المتاهات والضيق والتشاؤم والحيرة والاضطراب .

وفي سورة النحل قال تعالى :

وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾

(سورة النحل)

قال العلماء : " هناك شفاءان : شفاء النفوس كلام الله ؛ وشفاء الأبدان العسل " لكن لو أن الله عز وجل قال : فيه الشفاء للناس لصار العسل شفاء من كل مرض ، أما و قد جاءت الكلمة نكرة فيه شفاء للناس ؛ يعني شفاء من بعض الأمراض التي تصيب الناس . وعلى كل فالعسل كما يقولون : صيدلية ثانية ، فعدد الفيتامينات والمعادن والأنْزيمات التي في العسل لا تعد ولا تحصى ، ومع ذلك ربنا عز وجل قال : " فيه شفَاء لِلناسِ " ، وفي سورة فصلت قال تعالى :

وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ ۗ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾

(سورة فصلت)

فقارىء القرآن لا يحزن ، ومن تعلم القرآن متعه الله بعقْله حتى يموت ؛ من أكثر من تلاوة القرآن متعه الله بعقْله حتى يموت ، والقرآن الكريم لا يقلّ في عظمته عن عظمة الكون قال تعالى :

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾

(سورة الانعام)

وقال تعالى :

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَـٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴿١﴾

(سورة الكهف)

فهذا كتابنا المقرر ومنهجنا ودستورنا وحبل الله المتين والصراط المستقيم والعمـل بأمره ونهيه ويرفعنا إلى أعلى عليين ، قال تعالى :

قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾

(سورة فصلت)

المعنى المخالِف لِهذه الآية أن المؤمن ينادى من مكانٍ قريب ، إذاً أحد أسباب فهـم كلام الله أن تكون قريباً من الله ، وإن كان الإنسان بعيداً عن الله فماذا يكون حاله مع القـرآن ؟: " ولو جعلْنَاه قُرآنًا أعجميا لَقَالُوا لولا فُصلَتْ آياتُه أأعجمي وعربِي قُلْ هو لِلذين آمنُوا هدى وشفَاء والذين لا يؤْمنُون في آذَانهم وقْر وهو علَيهم عمى أُولَئِك ينَادون من مكَانٍ بعيد "

أما إذا كان قريباً من الله عز وجل يفهم كلام الله كما أراد الله، فعلـى الإنسـان أن يشَمر لِيكون قريباً من الله عز وجل حتى يفهم عن الله تعالى كلامه ، ومن هنا قـال بعـض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلّم : " أوتينا الإيمان قبل القرآن " فإذا اتّصلت بالله عز وجل وأقْبلت عليه وقرأْت القرآن كنت قريباً من المعاني التي أرادها الله عز وجل، والقـرآن مـع ذلك لا تنقضي عجائبه .

أيها القارئ الكريم ن بمناسبة الحديث عن العسل ، فقد ورد عن أَبِي سعيد الْخُـدرِي قَالَ جاء رجلٌ إِلَى النبِي صلى الله علَيه وسلم فَقَالَ إِن أَخي استَطْلَقَ بطْنُه - يعنـي أصـيب بإسهال شديد - **فَقَالَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم اسقه عسلًا فَسقَاه ثُم جاءه فَقَالَ إِنـي سقَيتُه عسلًا فَلَم يزده إِلا استطْلَاقًا فَقَالَ له ثَلَاثَ مرات ثُم جاء الرابِعةَ فَقَالَ اسقه عسلًا فَقَالَ لَقَد سقَيتُه فَلَم يزده إِلا استطْلَاقًا فَقَالَ رسولُ الله صلى الله علَيه وسلم صدقَ الله وكَذَب بطْن أَخيك فَسقَاه فَبرأَ***

(رواه مسلم)

قرأت مقالةً علمية لِطبيب متَفَوق جداً في تحليل هذا الحديث أن الإسهالات الإنتانيـة يكون الدواء المناسب لها المواد السكرية ففي بِداية الأمر يزداد البطن إسهالاً إلـى أن تـذهب هذه المواد التي سببت الإنتان بعدئذ تُمسك الأمعاء ما فيها ويعود الوضع إلى الشكل الطبيعـي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

" **صدق الله وكذب بطْن أخيك** "

هذا الحديث يمكن أن نقيس عليه أشياء كثيرة ، مثلاً الله عز وجل قال :

يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَـٰتِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿٢٧٦﴾

(سورة البقرة)

لو قال لك واحد أنا دفَعت صدقات كثيرة وأنا فقير وما عوض الله علَي نقول لـه : صدق الله العظيم وكذبت أيها الإنسان لأن زوال الكون أهون على الله من أن يعد إنسـاناً ثـم يخْلف وعده.

أحد العلماء قال : من دعا إلى الله ولم يوفق فكأنه يكذب قولَه تعالى :

إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَـٰدُ ﴿٥١﴾

(سورة غافر)

لعلّك تظن أن المكافأة على الصدقات وأنها تربو يوم القيامة لا في الدنيا ، نقول : لا . فهذا يكون في الحياة الدنيا ، قال تعالى :

إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَـٰدُ ﴿٥١﴾

(سورة غافر)

إذا دعوت إلى الله بِصدق وإخلاص وطبقْت منهج الله وكانت السريرة كالعلانية فلا بد من أن تُوفّق فإن لم تُوفّق فقد صدق الله ، وابحث عن خلل في دعوتك ؛

إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾

(سورة غافر)

فإذا كان هناك خلل فإما في النوايا وإما في المنهج ، وحاش أن يكون في منهج الله عزوجـل أي خلل ، وقبول الصدقات منوط بشرطين :

- أن تكون خالِصةً لله تعالى أولاً .
- ثم أن تكون وفق السنة .

فإن كانت خالصة ولم تكن وفْق السنة راجع حساباتك وإن كانت وفق السنة ولم تكن خالِصةً عليك أن تُراجع حساباتك ، وأنا أقول لكم كلاماً دقيقاً فأنتم أيها القراء الكرام مؤمنـون ولا أُزكي على الله أحداً وكل واحد منكم من طُموحاته أن يستخْدمه الله تعالى في نشْر الحـق ويلْهمه الصواب وأن يجرِي الخير على يديه وأن يستخْدمه ويستَعمله في الخير ، فإذا تحركْت حركةً سريعةً ومكثّفةً ولم تلقَ نجاحاً في الدنيا يجب وأقول يجب أن تعزو عدم النجـاح إلـى ذاتك إما إلى خلل في النوايا وإما إلى خلل في المنهج فإذا قلت النوايا طيبة والمنهج صـحيح ولم أُوفّق هل تدري أنك وقَعت في الكفر ؟ وهو رد آية في كتاب الله ، والإنسان إذا رد آيـةً في كتاب الله فقد كفروالله عز وجل يقول : "إنا لَنَنصر رسلَنَا والذين آمنُوا في الْحيـاة الـدنْيا ويوم يقُوم الأَشْهاد " .

فإذا لم تنْجح الدعوة ابحث عن الخلل وعن التقصير لعل هذا يذكّرنا بموقـف نبينـا عليه الصلاة والسلام يوم بدرٍ ؛ وهو سيد العالمين وسيد الخلق وأقرب الخلق إلى الله فقد وقف قُبيل المعركة ورفع يديه إلى السماء حتى بدا بياض إبطَيه أو حتى وقع الرداء من أعلى منْكبيه كما روى ذلك عمر بن الْخَطابِ قَالَ لَما كَان يوم بدرٍ لَما كَان يوم بدرٍ نَظَر رسـولُ اللـه صلى الله علَيه وسلم إِلَى الْمشْرِكين وهم أَلْفٌ وأَصحابه ثَلَاثُ مائَة وتسعةَ عشَر رجلًا فَاستَقْبلَ نَبِي الله صلى الله علَيه وسلم الْقبلَةَ ثُم مد يديه فَجعلَ يهتفُ بِربه اللهم أَنْجِز لِي مـا وعـدتَني اللهم آت ما وعدتَني اللهم إِن تُهلك هذه الْعصابةَ من أَهل الْإِسلَامِ لَا تُعبد في الْأَرضِ فَمـا زالَ يهتفُ بِربه مادا يديه مستَقْبِلَ الْقبلَة حتى سقَطَ رِداؤُه عن منْكبيه فَأَتَاه أَبو بكْرٍ فَأَخَذَ رِداءه فَأَلْقَاه علَى منْكبيه ثُم الْتَزمه من ورائِه وقَالَ يا نَبِي الله كَفَاك منَاشَدتُك ربك فَإِنه سينْجِز لَك ما وعدك فَأَنْزلَ الله عز وجل إِذْ تَستَغيثُون ربكُم فَاستَجاب لَكُم أَني ممدكُم بِأَلْف من الْملَائِكـة مـردفين فَأمده الله بِالْملَائِكة*

(رواه مسلم)

وقد يسأل سائلٌ أيكون الصديق أكثر ثقة بالله من رسول الله عليه الصلاة والسلام ؟ مسـتَحيل كيف نُفَسر هذا الموقف إذاً ؟ النبي عليه الصلاة والسلام متأدب مع الله أشد التأدب وكان النبي يخْشى أن يكون هناك تقصير في الإعداد ؛ وهو يعلم أن الأمر بيد الله ولكن النبي عليه الصلاة والسلام خشي أن يكون هناك تقصير في الإعداد لأن الله عز وجل يقول :

وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾

(سورة الأنفال)

وبعد فإني أتَمنى على الله أن تكون هذه الحقيقة واضحة تماماً ؛ العمل لا يقْبـل إلا بِشَرطين : الشرط الأول أن يكون خالِصاً ، و الشرط الآخر أن يكون صواباً ، فَخالِصـاً مـا ابتُغي به وجه الله ، وصواباً ما وافق السنّة .

دعوتَ إلى الله فلم تنجح معك الدعوة دقق في نواياك ؛ من تعلم العلم لِيبـاهي بِـه العلماء أو لِيماري به السفهاء أو لِيصرِف وجوه الناس إليه فَلْيتَجهز إلى النار ، قد تقول وأنت صادق : أنا أعلم نفسي حق المعرفة إنني أنْطوي على نية طيبة خالصة إذاً الخلل في المـنهج لعلّك خالفْت منهج رسول الله فلم تنْجح الدعوة فكل إنسان من عزا عدم نجاح الدعوة إلـى الله ويدعي أنه كان خالِصاً لله فهو يكّذب قوله تعالى : "إنا لَنَنصر رسلَنَا والذين آمنُوا في الْحيـاة الدنْيا ويوم يقُوم الأَشْهاد " .

المؤمن نقاد ، وأول نقْده يجب أن يتجه إلى ذاته ، وكل إنسانٍ يتعامى عن أخْطائـه يتداعى وينتهي ، والنجاح أُمثلُه بِقمة جبل ، فَبلوغ القمة صعب جداً ، فلابد من جهـد كبيـر وعرق كثير واجتيازعقَبات متلاحقة وصعود طويل عسير ومثَبطات عظيمة ، لو أنك استطعت أن تصل إلى قمة الجبل فهذا جهد كبير ، فهل أنت بطل ؟ لا إذْ إن بطولَتُك أن تبقى في القمة لأن فيها طرقًا زلِقةً بحكم منحدراتها تجعلك إن لم تحزم أمرك فـي الحضـيض فـي ثـوانٍ معدودات ؛ فاحذر الغرور والكبر وعدم الانْصياع للحق ، إذاً ربنا عز وجل يقول في الحديث عن موضوع الشفاء ، قال تعالى :

"وإِذَا مرِضتُ فَهو يشْفين " .

فالله هو الشافي والمعافي ، والحقيقة أن كلمة الشفاء تتعلـق بـالمرض والإنسـان يمرض حينما يستهين بصحة جسده ، وحينما ينْحرِف في تعامله مع ربه فرحمة الله عز وجل

تقْتَضي أن يعالجه ، هو الشافي والمعافي فالله سبحانه وتعالى يشفي ويعافي ، والمصلي مـاذا يقول في الصلاة:

ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾

(سورة الفاتحة)

فلم لم يقل : غير الذين غَضبت عليهم ، إنما قـال : غيـر المغضـوب علـيهم ولا الضالين " فالإنسان ينْحرِف فَيغْضب الله عليه ويستقيم فَيثْني الله عليه .

وفي سورة يونس قال تعالى :

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾

(سورة يونس)

ألا فاعلم أيها المؤمن أن : من أوتي القرآن فظن أن أحداً أوتي خيراً منه فقد حقر ما عظمه اللهُ ، فالذي يؤْتَى القرآن تلاوةً وفهماً وتفْسيراً وتطبيقاً فقد بلغ قمة المجـد لأن السـيدة عائشة رضي الله عنها سئلت عن أخلاق النبي عليه الصلاة والسلام فقالت كان خلقه القرآن ، قال تعالى:

وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾

(سورة الفرقان)

تابع هذه الآيات تجد أنها أخلاق عباد الرحمن فاعلم بها و تخلق بأخلاقها .

وقال تعالى :

إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ
ءَايَـٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَـٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾

(سورة الأنفال)

اقْرأ القرآن وإبحث عن أوصاف المؤمنين فإذا كانت هذه الأوصاف منْطَبِقَةً عليـك فأُشْكُر الله عز وجل وإلا فابحث عن الخلل .

النبي عليه الصلاة والسلام كان إذا عاد مريضاً يدعو له ويقول كما جاء في حـديث عائِشَةَ رضي الله عنْها أَن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم كان إِذَا أَتَى مريضا أَو أُتي به قَالَ أَذْهِبِ الْباس رب الناسِ اشْف وَأَنْتَ الشافي لا شفَاء إِلاّ شفَاؤُك شفَاء لا يغَادر سقَما *

(رواه مسلم)

أنت الشافي وحدك ، وربنا عز وجل أحياناً يشفي مريضا بمرضٍ عضال وقد كـان مستَعصيا ، ولِحكْمة بالِغة ورحمة غامرة يشفي هذا المريض شفاء ذاتيا على الـرغم مـن أن مرضه عضال ، فمن أجل ماذا ؟ من أجل ألاّ تعتَقد أن الدواء هو الشافي ، إذْ الشافي هو الله ، فالله عز وجل يسمح للدواء أن يفْعَلَ فعلَه ، فكل مريضٍ نَسي الله وبحثَ عن الـدواء فقـط لا يشْفى ، والمريض لا يشْفى إلا إذا اعتَقد أن الله هو الشافي .

ومعنى آخر من معاني الشفاء : لو أن إنساناً كان منْحرِفاً ثم تاب إلى الله عز وجل فقد شفاه إذا أقبل عليه تائبا ، قال تعالى :

أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَـٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن
مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَـٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَـٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟
يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾

(سورة الأنعام)

التوبة تُحيي القلب ، فالله شاف ، ويشفي جسدك ولو أُصيب بأي مرضٍ ، ويشـفي قلبك من كل مرضٍ ، فما عليك إلا أن تبادر إليه وتأوي إليه مستسلما ، قال تعالى :

فَفِرُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾

(سورة الذاريات)

وما عليك إلا أن تتصل به وأن تتجه نحوه وأن تُخْلص له هو الشافي يشفي جسـدك ويشفي قلبك ، شفاء الجسد مريح في الحياة الدنيا، لكن شفاء القلب سبب سعادة المرء إلى أبد الآبِدين . ومن هنا تتجلّى أهمية الدعاء الشريف : " اللهم اهدنا فيمن هديت وعافنا فيمن عافيت وتولّنا فيمن تولّيت ".

- عن عائِشَةَ رضي الله عنْها أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم كان إِذَا أَتَى مريضا أَو أُتي بِه قَالَ أَذْهبِ الْباس رب الناسِ اشْف وَأَنْتَ الشافي لا شفَاء إِلاّ شفَاؤُك شفَاء لا يغَادر سقَما *

(رواه مسلم)

أحياناً أشْعر أن الشفاء يخْلُقه الله خلْقاً ، كما أن المرض يخْلق ، فقد تجد المرء بعد مرضٍ عضال يعود كما كان قبل المرض فلا شفاء إلا شفاؤك .

إخواننا القراء الكرام ، اسم الشافي اسم عظيم ، وأنا لا أُقلل من قيمة شفاء الجِسم ، لأن الإنسان يحيى بِهذا الجسد ، واحفظ قوله عليه الصلاة و السلام فـي دعائـه الشـريف : واجعلْه الوارث منا " لأن شفاء القلب قمة أنواع الشفاء ، وهذا الشفاء سبب سعادة المرء إلـى أبد الآبِدين ، فالبطولة أن يكون قلبك معافى من كل أمراضه ، لأن القلب المريض لا يستطيع أن يقْبِل على الله عز وجل .

اللهم علمنا ما ينْفعنا وانْفعنا بِما علمتنا وزِدنا علما وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

الـ ـدرس٩٣ – اسم الله : المسخّر .

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الأخوة الكرام ؛ مع الدرس الثالث والتسعين من دروس أسماء الله الحسنى والاسم اليوم هو اسم **المسـخر** وهو اسم كما تعلمون ليس من الأسماء التسعة والتسعين التـي وردت في الحديث الشريف لكنه زائِد على هذه الأسماء .

التسخير هو سياقةٌ إلى الغرضِ المخْتَص قهراً والمسخر هو المقّيد للفعل هـذا فـي التعريف اللغوي و**التسخير** هو التذليل وكل ما ذل وانْقاد وتَهيأ هو مسخر وسـخره أي ذللـه وكلفَه وكل مقْهورٍ مدبرٍ لا يملك نفْسه يعد **مسخراً** وقبل أن نُتـابِع الحـديث عـن موضـوع **التسخير** لابد من حقائق أضعها بين أيديكم تُلْقي ضوءاً على سر **التسخير** .

أولاً جعل الله الإنْسان المخلوق الأول قال تعالى :

إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾

(سورة الأحزاب)

فالإنْسان قِيل حملَ الأمانة والإنْسان كرمه الله لأنه قِيل حمل الأمانة قال تعالى :

۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾

(سورة الإسراء)

لأنه قِيل حمل الأمانة كرمه الله أعظم تكْريم وقد كلفَه أن يعبده قال تعالى :

وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾

(سورة الذاريات)

فأولُ مقَومات العبادة أنه سخر له الكون **فالمسخر** هو الله **والمسخر** هـو الكـون ، **والمسخر** له هو الإنْسان والشيء البديهي أن **المسخر** له أكْرم من **المسخر** فالكون **مسـخر** أما الإنْسان **مسخر** له فالإنسان **مسخر** له الكون والدليل قوله تعالى :

وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾

(سورة الجاثية)

فالله عز وجل ذلّلَ ؛ فالجملُ مسخر لنا ووزنُه خمسة أطنان والفيل والحوت الأزرق والبقرة وحيواناتٌ أخْرى ضخْمة لو أنها متَوحشَةٌ هل نسـتَطيع أن نتعامـل معهـا ؟ ومـن المعروف أن مرضاً أصاب بعض البقَر في السنوات الأخيرة في بعض البلاد ، وهو عبـارة عن اعتلالٍ دماغي اسفَنْجي وبنتيجته صار سلوك البقرة عدوانياً إذْ أصـبح عنـدها اهتيـاج عضلي فهذه البقرة حينما جنت من المستحيل أن تنْتَفع بها ، أحد إخْواننا حدثني عن بقرة جنت في غوطة دمشْق قَتَلتْ رجلين وعطبت الثالث فاضطَر صاحبها أن يقْتُلها بالرصـاص ، فلمـا يقول ربنا عز وجل :

" **وسخر لكُم ما في السماوات وما في الأرض جميعا منْه إن في ذَلك لآيات لِقَومٍ يتَفَكرون** " .

ولما يقول سبحانه :

وَذَلَّلْنَٰهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾

(سورة يس)

فإنام يشير إلى نعمة كبرى أنعم بها على الإنسان ، فَنعمةُ التسخير نعمة كبيرة جداً ، فمثلاً عقْرب صغير من شدة خوفك منه تكاد تخرج من جِلْدك وهذه الأفْعى تَرتَعـد سـاعات طويلة من رؤْيتها أما الجمل فإنك لا تخاف منه وكذلك البقرة فالتسخير نعمة وهذه الحيوانـات سخرها الله لنا نأْلفُها وتأْلفُنا أما الحيوانات غير **المسخرة فإنها** تُعرفنا بقيمة **التسخير** .

لو أن الله سبحانه وتعالى ركب في الغَنَمِ أخلاق الضبع فهل نستَطيع أن نذْبحها وأن نأْكل من لحمها وأن نُسخرها لنا ؟ إذاً فالله عز وجل تكْريماً لِهذا الإنْسان الـذي قيـل حمـل الأمانة **سخر** له ما في السماوات وما في الأرض جميعاً منه والله عز وجل سخّر الحديد كيف سخره لنا ؟ جعلَه فلذات لو جعله حديداً صرفاً من سابِع المستَحيلات أن نستَفيد منه جعله مـع التراب تُعبئُ التراب وتنْقُلُه إلى الفرن العالي وهذا الفُرن يصهر الحديد وينقيه مـن الشـوائب فالحديد مسخر والبحر مسخر فكيف سخره الله لنا ؟ إن في هذا الماء قوةً تدفع نحـو الأعلـى ولولا هذه القوة لما أمكننا أن نركب البحر قال الله عز وجل :

وَلَهُ ٱلْجَوَارِ ٱلْمُنشَـَٔاتُ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَـٰمِ ﴿٢٤﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٥﴾

(سورة الرحمن)

فهذه السفن كالأعلام فلَولا قوة الدفع إلى الأعلى لما كان البحر مسخراً لنا ومن جعله مِلحاً ؟ ملوحتُه تسخير لنا والسمك كذلك كيف تصطاد السمك ؟ توضع الشبكة علـى شـكْل جِدار والسمك لا يرجِع إلى الوراء فإذا جذب الصياد الشبكة التي كانت باتجاهه ، جمع كلَ هذا السمك وكان صيد ه وفيراً ، ولو أن السمكة ترجِع القهقَرى لما أمكنَك أن تصـطادها فكيـف سخرت لك ؟ سخرت بِهذه الواسطة إذ ليس في استطاعتها الرجوع ، ولو تدبرت كل شـيء سخره الله لك لوجدت أمراً عجباً وتكريماً خصك الله به ...

أحياناً تجد كل الأشياء أحجامها معتَدلة الثمار دانية فلو أن هناك أشْجاراً عملاقة لما أمكنك أن تَجني ثمارها ولو كانت هذه الفواكه تحوي كل المواد المغَذية ولكـن طَعمهـا مـر لكانت بِهذه الحال غير مسخرة ؛ طَعمها طيب وشكْلها جميل ورائِحتُها عطرة ومـذاقُها حلْـو وفيها معادن وفيتامينات وسكريات وغيرها من الفوائد ، فَموضوع التسخيرأمر جلي واضح ، و الكون كله **مسخر** لنا وكذلك المياه مسخرة لنا ومن جعل الماء الأُجاج عذْباً ومستَساغاً ؟ عن طريق التبخر والأمطار والأنهار والينابيع إنك لو فكرت في خلق السماوات والأرض لَوجدتَ الهواء **مسخراً** لك فالله جعل نسب الهواء حكيمةً جداً .

رفعت نسبة الأكْسجين أكثر لأحرقَ الهواء كل شيء ولو كان للهواء حركةٌ عنيفَـةٌ لَدمرتْ كل شيء والله جعل للهواء أحياناً أن يتحرك حركةً عنيفة ليريك حكمته أثناء سكونه ! فالهواء مسخر والماء مسخر والنبات مسخر والمحاصيل مسخرةٌ لك والفواكه تَنْضج تباعاً أما

المحاصيل فإنها تنضج في يومٍ واحد ولو أن المحاصيل تنْضج تباعاً لكان مـن المسـتَحيل أن تَجني المحاصيل ولو أن الفواكه تنْضج في يومٍ واحد لكان من المستَحيل أن تنْتَفع بِها ؛ يوجـد إله عظيم يصمم كل شيء وهذا هو معنى سخر لك النبات والماء والهواء وهذه الحيوانات .

إذاً : التسخير هو التذليل والإنسان أحياناً يمر على الأشْياء مرور الكرام ولا ينْتَبِـه لِحكْمتها البالِغة فهذا عنْقود العنَب لو أردتَ أن تَقْطفَه وجذبته نحو الأسفل لعصر في يدك ولما انْقَطع فهو مصمم تصميماً رائِعاً ولكن لو جذبته عند قطفه نحو الأعلى أصبح بِيدك فمن سخره ؟ وهذا البطيخ كله ماء فَمن جعل له هذه القشْرة السميكة ؟ تجد شجرة منه تحمل عشرين طن بطيخٍ الذي في الأسفل قوي يحمل ثلاثة أو أربعة طُن فمن جعلَه بِهذه القشْرة الكروِية القاسية ؟ الله عز وجل فالتسخير قضية واسعة جداً .

وردت مادة **المسخر** في مواضع كثيرة من كتاب الله تعالى ففي سورة الرعد قال الله تعالى :

ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾

(سورة الرعد)

هل نستطيع أن نحمل هذا السقْفبِغَير أعمدة ؟ وهل هناك هنْدسةٌ تُتيح لنا أن نبني سقْفاً بِغَير أعمدة ؟ مستَحيل وإذا كان الأمر كذلك لكلفنا هذا الكثير ؛ سقْفٌ بِلا أعمـدة ولا جـدران يعتَمد إليها هذا فوق طاقَة البشر فالله هكذا قال : " **الله الذي رفَع السماوات بِغَير عمد** " هـذه قوى التجاذُب فالأرض مربوطةُ بالشمس بِقُوة جذْبٍ تُساوي اثنَي مليون طن ضـرب مليـون مليون طن أي رقم اثْنين أمامه ثمانية عشر صفْراً وهذه القوة تُمثل مليون مليون حبل فولاذي وقُطْر الحبل خَمسةُ أمتار وكل حبل يقاوِم من قوى الشد اثْني مليون طن وكل هـذه القـوة لا نراها ، فهل تستطيع أنت أن تسير داخل هذه الدعامة ؟ أعوذ بالله ، وهل بِإمكانك أن تصـنَع دعامةً لا تُرى وتسير في داخلها ؟ دعامةٌ لا تُرى هكذا قال الله عز وجل : " **الله الذي رفَـع السماوات بِغَير عمد تَرونَها ثُم استَوى على العرش وسخر الشمس والقَمر كُل يجري لأجـل مسمى يدبر الأمر يفَصلُ الآيات لعلكُم بِلقَاء ربكُم تُوقنُون** "

يعني بِعمد لا تَرونَها ، أن الكون كلّه متَرابِطٌ بِقوى التجاذب ولولا هذه القوى لأصبح الكون كله كُتْلَةً واحدة ؛ قوى تجاذب وقوى نَبذ حركةٌ شكلَتْ قوى نبذ والجاذبية هي التجـاذب بين الكُتَل التي في السماء بِحسبِ حجومها ومسافاتها وأبعادها وحركاتها وسكناتها " **الله الذي رفَع السماوات بِغَير عمد تَرونَها ثُم استَوى على العرش** " أرضنا مسخرةٌ لنا فلو أنها تَفَلتَـتْ من جاذبية الشمس لانْتَهت الحياة عليها لو أنها تَفَلتَتْ من جاذبية الشمس لأصبحت حرارتُهـا مئتين وسبعين تحت الصفر المطْلق وهو يعني الموت المطلق لكل الكائنات الحية .

ما معنى مسخرة لنا ؟ أي مربوطَةٌ بِالشمس كل ثلاث ميلي مثْرات في الثانية يجعل مسار الأرض مغْلق حول الشمس ولولا أن مسارها مغْلَقٌ حول الشمس لما سخرت لنا ، حسناً ، لو أنها دارتْ بِسرعة كبيرة صار الليل ساعةً والنهار ساعةً لكانت غير مسـخرة ولـو أن الدورة خمس سنوات لصار الزمن خمس سنوات نهاراً وخمس سنوات ليلاً و لكانـت غيـر مسخرة الحر الذي بِجِهة الشمس ثلاثمئة درجة فوق الصفْر وفي الجِهة الأخرى مئتان وسبعون تحت الصفْر لانْتَهت الحياة عندئذ فَمعنى مسخرة تدور ومعنى مسخرة تدور بِاعتدال ومعنـى **مسخرة** تدور بِمحور مائل ومعنى مسخرة خصائصها ثابِتة فهذه أول آية : " **الله الذي رفَـع السماوات بِغَير عمد تَرونَها ثُم استَوى على العرش وسخر الشمس والْقَمر كُل يجري لأجـلٍ مسمى يدبر الأمر يفَصلُ الآيات لعلكُم بِلقَاء ربكُم تُوقنُون** " .

العلماء يقولون الشمس متقدة منذ خمسة آلاف مليون عام وقالوا سوف تستَمر بِحسبِ دراساتهم إلى خمسة آلاف مليون أخرى ولِسان اللهب من الشمس طوله مليون كيلو متْر هـذه الطاقة من أين ؟ هل يوجد مدفأة من دون تشْغيل بِالوقود ؟وهل هناك مركبة تسير بِلا وقود ؟ وهل يوجد شيء يشْتَعل بِلا وقود ؟ خمسة آلاف مليون سنة مضت ولِخمسة آلاف مليون سنة قادمة وحرارتُها في باطنها عشرون مليون درجة وعلى سطْحها ستةُ آلاف فَمـن أيـن هـذه الحرارة؟ ومن سخرها لنا ؟ ضوء الشمس فيه دفء وثانياً نور وثالِثاً تَعقيم .

وورد أيضاً التسخير في سورة يس قال تعالى :

وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ﴿٣٨﴾

(سورة يس)

وذكر الشمس والقمر لِأنهما أظهر الكواكب السيارة والتي هي أشْرف وأعظـم مـن الكواكب الثوابِت فالشمس أمامنا والقمر أمامنا والليل مسخر والنهار مسخر ، الله تعالى **سـخر**

لنا الليل فهو سكينَةٌ لنا وضلام وهدوء وراحة ونَوم وستْر والنهار معاش ولـ ولا دورة الأرض حول الشمس لما كان ليلٌ ولما كان نهار .

وفي سورة ابراهيم قال تعالى :

ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴿٣٢﴾

(سورة إبراهيم)

أرَأيتُم إلى التسخير ؟ جمع اسم المسخر ، والمسخر والمسخر له بِآية واحدة : " **الله الذي خَلَقَ السماوات والأرض وَأنزلَ من السماء ماء فَأخْرج به من الثمرات رزقًا لكُم وسخر لكُم الفُلْك لِتَجري في البحر بِأمره وسخر لكُم الأنهار** "

كلمة " لكم " بحثْتُ عنها في القرآن الكريم بِبرنامج خاص فَوجدتُ أنها وردت أكثـر من مئة وثمانين مرة ؛ أنت أحياناً تُقيم مأْدبة على شَرف إنسان هذا الإنسان يجلس على هـذه المأْدبة ويأكل فإذا طُرِق الباب وكان القادم ضيفاً تقول له هلُم وكُلْ معنا فَيأْكل لكن هذه المأدبة أُقيمت خصيصاً لِضيف الشرف أما الثاني أكل عرضاً فَكلمة " لكم " تعني أن هذا الكون مسخر خصيصاً لكم وليس المعنى أنك عشْتَ على هذه الأرض فاستَفَدت مما فيهـا ! كـل مـا فـي الأرض من شيء مسخر للإنسان خصيصاً وكلمة " لكم " تُفيد هذا المعنى ؛ " **الله الذي خَلَـقَ السماوات والأرض وَأنزلَ من السماء ماء فَأخْرج به من الثمرات رزقًا لكُم وسخر لكُم الفُلْك لِتَجري في البحر بِأمره وسخر لكُم الأنهار** " .

طبعاً الفُلْك مسخرة حسب قانون أرخَميدس ، والأنهار مسخرة من خلال هذه الجِبال التي جعلها الله مستَودعات للمياه قال تعالى : " **وسخر لكُم الفُلْك لِتَجري فـي البحـر بِـأمره وسخر لكُم الأنهار** " .

فالله هو المسخر وأنت دائماً مسخر لك ؛ المسخر له أشْرف وأعظـم مـن الشـيء المسخر.

وورد أيضاً التسخير في آيات كثيرة والنبي عليه الصلاة والسلام يقول :

فيما رواه عن أبِي أُمامةَ أن النبِي صلى الله عليه وسلم كان إِذَا رفَع مائِدتَه قَالَ الْحمد لِله كثيرا طَيبا مباركًا فيه غَير مكْفي ولا مودعٍ ولا مستَغْنًى عنْه ربنَا*

(رواه البخاري)

نحن لا نستَغني عن الله أبداً ونحن مقْهورون مرتَين مرة عند الايجاد ، ومـة عنـد البعاد ، وقد ذكرتُ لكم أن الله عز وجل يقول :

مَّنْ عَمِلَ صَـٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّـٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾

(سورة فصلت)

وقال تعالى :

وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَـٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَـٰمًا ﴿٦٣﴾

(سورة الفرقان)

طبعاً ؛ العباد جمع عبد والعبيد جمع عبد ولكن العباد جمع عبد الشُكْر بينَما العبيـد جمع عبد القَهر ونحن كلنا عبيد لله بِمعنى أننا مقْهورون وبِمعنى أن حياتنا متَوقفَةٌ على إمـداد الله وكذلك وجودنا وأن حياتنا وأرزاقنا لا تقوم إلا بالله وأنّنا بِحاجة إلى الهواء ونحن مفْتَقرون إلى الله .

إذاً نحن عبيد له أما العباد فهم الذين عرفوه وَأَتَوه طائعين وأحبـوه وَأَقْبلـوا عليـه وتَقَربوا إليه وهذه العبودية لله عز وجل لها معنى آخر ، فالنبي عليه الصلاة والسلام يخْبِرنـا أنه لا يستَغْني عن ربه أبداً .

قال تعالى :

أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ﴿٩﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ﴿١٠﴾

(سورة العلق)

وقوله تعالى :

فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ
﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ
لِلْعُسْرَىٰ ﴿١٠﴾ وَمَا يُغْنِى عَنْهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ ﴿١١﴾ إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ﴿١٢﴾
وَإِنَّ لَنَا لَلْأَخِرَةَ وَٱلْأُولَىٰ ﴿١٣﴾

(سورة الليل)

بعض الناس يظن أنه يستَغْني عن الله فهو بحمقه أو بغبائِه أو بكُفْره أو بجهله يرى أنه قوي وغَني عن الله لكن الله سبحانه وتعالى يؤدبه ويحجمه أما المؤمن فمفْتَقر دائماً إلى الله عز وجل ولا تَنْسوا أيها الإخوة أن الإنسان حينما يستَغني عن الله حسب ظنه يلْقى أشَد أنواع التأديب ولْيكُن كائناً من كان ففي بدرٍ الصحابة الكرام أعلَنوا فقْرهم إلى الله قال تعالى :

وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾

(سورة آل عمران)

ومعنى أذلة هنا الافْتقار أما في حنَين قال تعالى :

لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ۙ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ۙ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ
فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم
مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾

(سورة التوبة)

فأنت حينما تستَغْني ولو كان استغناء خَفياً ولو كان اعتداداً بالصحة أو المال أو القوة أو الذكاء هذا كله في ظاهره نوع من الاستغناء ، والاستغْناء من لوازمه التخلي فالله عز وجل يتَولاك أو يتخلى عنك يتَولاك إذا افْتَقرتَ إليه ويتَخَلى عنك إذا استَغْنَيتَ عنه وليس شرطاً أن تقول أنا مستَغْنٍ عن الله فحينما تعتمد على شيء من قُدراتك الخاصة وتنْسى أن الله تعالى سخرها لك وأكْرمك بها فهذا أحد أنواع الاستغناء وتأْديبه سريع ولا سيما المؤمن فالله عز

وجل لا يسمح للمؤمن أن يغْفَلَ عنه لأنه يحبه ولا يسمح له أن يشْرِك به ، أنا أغنى الأغنيـاء عن الشرك والقلب المشْتَرك لا يقْبِلُ الله عليه والعمل المشْتَرك لا يقْبلُه الله .

لِذلك أخْطر شيء في الإيمان قضيةُ الشرك الخَفي ، فالإنسان أحياناً يشْعر أنه يملـك شيئاً قد يملك المال وقد يملك القوة وقد يملك الذكاء وقد يملك طلاقَةَ اللسان فهذا الذي تشْـعر أنك تَملكُه هو أحد أسباب الاستغْناء عن الله وأحد أسباب الشرك الخفي فبمجرد أن تَشْعر أنـك على شيء وأنك تملك قدرةً ذاتية إما علمية أو مالِية وقوة تستَعلي بها على الناس فـالله عـز وجل سريعاً ما يؤَدبك ويتَخلى عنك فهذا التخلي هو التربية فكُلما كنت أكثر تَعمقاً فـي الـدين وأكثر توحيداً لله وإخْلاصاً له تجعل من نفسك أكثر افْتقاراً دائماً ولهذا الافْتقار الدائم يجعلُ الله سبباً لمعونَتك .

ورد في الأثر أن النبي داود قال يا رب : كيف أشْكُرك وشُكْري لك نعمةٌ منك علي ؟ وسؤال داوود يذكرنا بهذا الحديث أيضاً :" إذا أراد ربك إظهار فضله عليك خلـق الفضـل ونَسبه إليك " بعد حين الإنسان يشْعر أنه لا شيء وكلما ازددت إفْتقاراً إلى الله زادك الله إمداداً وقُوةً وعلْماً وصحةً ويقيناً وقُدرةً على التمييز ، وكلما اعتَددت بِقُدراتك الذاتية كلما تخلـى الله عنك ؛ كيف أشْكُرك وشُكْري لك نعمةٌ منك علي ؟ فقال الله تعالى : الآن شَكرتَني يـا داود لأن العجز عن الإدراك إدراك ولما يقول الإنسان سبحانك لا نُحصي ثناء عليك أنت كما أثْنَيتَ على نَفْسك فهذا شُكْر فحينما تعجز عن الشكر فأنت شاكر وحينما تعجز أن تُعبر عن شُـكْرِك لله عز وجل فأنت الآن تشْكُره أما الغافل فهو الكافر فيا أيها الإخوة ، بما أن الكـون مسـخر تسخيرين :

- تسخير تعريف ، - وتسخير تكْريم .

رد فعل التعريف أن تؤمن به ورد فعل التكريم أن تشْكُره فإذا آمنْتَ بـه وشَـكرتَه حقْتَ الهدفَ من وجودك لذلك يقول الله عز وجل :

مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾

(سورة النساء)

وبالمناسبة بمجرد أن تَعرِف هذه النعمة أنها من الله فهذا نوع من الشكْر، ولِمجـرد أن تَعرِف هذه النعمة أنها من الله فهذا أحد أنواع الشكْر فأهلُ الدنيا تجد أحدهم يسـتَمع فـي الأخبار مثلاً أن منْخَفَضاً جوياً في طريقه إلى الشرق الأوسط فإذا لم يخْطُر ببالِه أن الله تعالى رحمةً منه بالبشَر ساق هذه المنْخَفَضات لِتَكون في النهاية أمطاراً تروي الزرع ويشرب منهـا

الإنسان ويسقي منها زرعه ويسقي بهائِمه هذا التفكير بِأن هذا منْخَفَض يسير بِسرعة كذا إلـى المكان الفُلاني ولا يذْكُر الله معه كان ذلك نوعاً من الشرك لِذلِك فلا بد أن تعتَـرِف أن كـل شيء أمامك نعمةٌ عظْمى ينْبغي أن تحمد الله تعالى عليها .

استنشاق الهواء نعمة وكم من جِهازٍ في الإنسان يعملُ بِانْتظام وهذه العـين تعمـلُ بانْتظام وهي من أكبرِ النعمِ التي أنْعم الله بِها علينا ترى الألوان كلها والأشـياء بِحجمهـا ولا تَحتاج إلى تَحميض فلْمٍ ولا إلى انْتظار حتى ترى ولا إلى ألوان باهتَة فالعين البشَـرية تُفَـرق بين ثمانمائة مئة نوع من اللون الأخْضر وتُفَرق بين درجتين من بين ثمانمئة ألف درجة فَهي حساسةٌ جداً فالعين نعمة والشم نعمة والسمع والنطق نعمة والقلب والرئتان والأوعية والأمعاء كلها نعم كذلك فالإنسان مغمور بِالنعم وكلما فكر في هذه النعم كلما أحب الله عز وجل والنبي عليه الصلاة والسلام يقول :

عنِ ابنِ عباسٍ قَالَ قَالَ رسولُ الله صلى اللهم عليه وسلم أَحبوا الله لِما يغْـذُوكُم مـن نعمـه وأَحبوني بِحب الله وأَحبوا أَهلَ بيتي بِحبي *

(رواه الترمذي)

" أحبوا الله لِما يغْذوكم من نعمه " وحالةُ المؤمن دائماً الشكْر لأن الله عز وجل سخر له جِسمه وأنت شيء غير جِسمك والدليل قوله تعالى :

وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾

(سورة فصلت)

فَجِلْدك خلايا والخلايا نفْس لها مسؤولية وتنطق يوم القيامة وتشْهد فَجِسمك مسـخر لك والإنسان نقطة ماء في هيكَلٍ عظمي وعظْم عنُق الفخذ يتحمل مئتين وخمسين كيلوا حمولَة فالعظْمان يتحملان نصف طن وهذا الحوين المنَوي الذي هو كالماء من أين جاء بِهذه المتانـة في العظام ؟ هذا يعني أن هناك في العظام كلْس متين فَمن أعطاه هذه المتانـة ؟ فـالمواد الكلْسية تترسب في العظام وبِطريقة لا يعلَمها إلا الله تعالى يصبح هذا العظْم متيناً بل إن ميناء الأسنان تأتي بعد الألماس في قساوتها والعظام لها متانَةٌ كبيرة .

انْظر إلى القصاب يرفَع الساطور إلى أعلى ويهوي بِه بِكُل قُوته لِيكْسر عظْما مـن عظام الخروف ما معنى ذلك ؟ أي أن الله عزوجل أعطاك هيكَلاً عظمياً وعضلات تتَحرك بِها ولو لا العضلات لما كانت هناك حركة ولا مشْي ولا تَكلم ولا نُطْق ولا تَنَفس ولا نَـبض

قلب ولتوقف كله فالله تعالى أعطاك عضلات تتحرك وهيكلاً عظمياً هو قوام جسمك وأعطاك الله عز وجل أجهزةً دقيقة جداً .

ذكرت لكم مرةً أن في الدماغ جهازاً يكْشف تفاضل وصول الصوتَين للأذُنَين فـإذا دخل صوتٌ من هنا قبل هنا بقدر واحد على ألف وستمئة جزء بالمئة حينها يعلم الإنسـان أن الصوت جاء من هنا فإذا كان يقود سيارة مثلاً فإنه ينْحرف نحو اليسار استجابة لذلك الصوت فهذا جهاز معقد جداً وهناك جهاز توازن السوائل وجهاز ضبط فالإنسان ينْطَوي علـى آلاف الأجهزة ؛ الغُدة النخامية وزنها نصف غرام وتُفْرِز اثْنى عشر هرموناً .

أيها الإخوة ، **التسخير** يعني أن جسمك مسخر لك والطعام مسخر والشراب مسـخر والأنعام مسخرة والبحار مسخرة والأمطار مسخرة والرياح مسخرة ولولا الرياح اللواقح مـا حمل النبات ولا أثمر قال تعالى :

وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ ﴿٢٢﴾

(سورة الحجر)

والتسخير كذلك ورد في سورة النحل قال تعالى :

وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ۖ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾

(سورة النحل)

فلو أن الله تعالى جعل لكم النهار سرمداً إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بِليلٍ تسكُنون فيه ؟ لو أنه جعل لكم الليل سرمداً إلى يوم القيامة من إله غيـر الله يـأتيكم بِنهـارٍ تنْتَشرون فيه ؟ إنه الله ، فالليل **مسخر** والنهار **مسخر** ، وهـذه دورة الشـمس والأرض قلْـو دارت الأرض على محور موازٍ لِمستوى دورانها لما كان هناك ليلٌ ولا نهـار فالدقـة التـي جعلها الله بينهما تدلّ على حكْمة بالغة وخلق دقيق لو أن المحـور عمـودي علـى مسـتَوي الدوران لما كان هناك فصول ولكنه مائل وهذا الميلان يسبب الفصول وهذا هو التسخير قـال

تعالى : " **وسخر لكُم الليلَ والنهار والشمس والقَمر والنجوم مسخراتٌ بِأمره إن فـي ذَلـك لآيات لِقَومٍ يعقلُون** " .

فالله جعل القمر ضياء والشمس جعلها سراجاً وهاجاً والقمر نوراً، قرأت أن القمـر يعطي ثمانية عشر بالمئة مما تعطيه الشمس فَيمكن للقمر أن يؤدي وظيفـة إضـاءة تُسـاوي ثمانية عشر جزءاً بالمئة من الشمس ، وذات مرةً كنت بالطائرة فرأيت في ليلة مقْمرة وأنا مار على بِلاد رأيت كل ما فيها على ضوء القمر فالقمر مسخر وجعله الله تقْويما للإنسان فالآيـة الكريمة : " **وسخر لكُم الليلَ والنهار والشمس والقَمر والنجوم مسخراتٌ بِأمره إن فـي ذَلِك لآيات لِقَومٍ يعقلُون** "

قد تكون نجمةٌ متألقة حجمها يزيد مئة مليون مرة عن حجم الشمس وهنـاك نجـوم تَتسع للأرض والشمس مع المسافة بينهما وهناك نجوم تبعد عنا ثلاثمئة مليون سنة ضوئية : " " **وسخر لكُم الليلَ والنهار والشمس والقَمر والنجوم مسخراتٌ بِأمره إن في ذَلِك لآيات لِقَومٍ يعقلُون** "

وما ذرأ (أي وما خلق) لكم في الأرض مخْتَلفاً أَلْوانُه ، ففي الفواكه تجد لوناً أصفر مع خد أحمر وأحمر غامق داكن وأخضر غامق وفاتح فالفاكهة ألوانُها من آيات الله الدالة على عظمته وأَلْوان الخُضر والجِبال وأَلْوان البِحار فهذا كلّه من فضل الله عز وجل ، قال تعالى :

وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ

﴿١٣﴾

(سورة النحل)

فالبحر أربعة أخْماس اليابِسة وفي أعمق نقاطه تقْريباً اثْنى عشر كيلـو متـراً فـي المحيط الوادي المعروف بِوادي مريانة فالكم المائي كبير جداً فإذا أربعة أخْماس اليابسة على عمق متوسط خمسة كيلومترات ، كم هي كُتْلة الماء في البِحار ؟ فالبحر الأبيض المتوسط يعد بحيرة إذا ما قيس بالمحيطات أما المحيط الهادي والأطْلسي فهي محيطات كبيـرة جـداً قـال تعالى :

وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُواْ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُواْ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾

(سورة النحل)

فالسمك مخلوقٌ خصيصاً للإنسان وهناك مليون نوع من السمك في البحار ولولا أن الأسماك الكبيرة تأكل الصغيرة لصار البحر كلّه أسماكاً وقال تعالى : " **وتَستَخْرِجوا منْه حلية تَلْبسونَها** " هذا اللؤلؤ شيء دقيق ؛ حيوان إذا شعر أن في محاره جِسماً غريباً مهما كان دقيقاً أفْرز عليه مادةً فوسفورية ِكلْسية يدافع بها عن نفسه ويحجم هذا الجِسم الغريب وهذه المادة الفوسفورية ِالكلْسية هي اللؤلؤ واللؤلؤ غالٍ جداً قال تعالى : " **وهو الذي سخر البحر لِتأْكُلوا منْه لحما طريا وتَستَخْرِجوا منْه حلية تَلْبسونَها وتَرى الفُلْك مواخر فيه ولِتَبتَغُوا من فَضله ولعلكُم تَشْكُرون** "

كل البضائع هذه الأيام استيراد وتصدير تنقل عبر السفُن وهناك الآن حاملات بواخر تَحمل مليون طن ؛ مدن تسير في البحار وهناك الآن معامل ِلصنْع ستانْلس هي بواخر تأخذ المواد الأولية من ُأستراليا وفي طريقها إلى الشرق الأوسط تُصنعها وتبيعها مصنعةً خالِصة فالبواخر مدن تمشي في الماء قال تعالى : " **وتَرى الفُلْك مواخر فيه ولِتَبتَغُوا من فَضله ولعلكُم تَشْكُرون** ".

أذْكُر مرةً أننا كنا في سفَرٍ وكان الطريق طويلاً وساحلياً ومن الممكن أن نقْطَعه في البحر كانت تقف أمامنا بواخر تُستعمل ناقلات للسيارات فيها سيارات كبيرة وشاحنات وبولْمانات وتكْسيات تحمل عدداً كبيراً من السيارات ؛ كيف تتحرك هذه الباخرة بهذا العدد ؟ وكيف يحملها الماء ؟ إذا قلت البترول قلنا لك من خلق البترول ؟ الله جل جلاله ، قال تعالى : " **وتَرى الفُلْك مواخر فيه ولِتَبتَغُوا من فَضله ولعلكُم تَشْكُرون** "

وقال :

وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَٰرًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾

(سورة النحل)

فالجبال هذه يبدو أنها موزعة توزيعاً دقيقاً جداً بحيث أن الأرض تدور دورةً مستقرة ؛ تجد بناء عمره سبعمئة سنة ليس به بأس ولو كانت هناك حركة لانْهدم فـالأرض متحركـة وكأنها ساكنة وهذا من آيات الله الدالة على عظَمته استقرار مطْلق مع حركة مذهلة قال تعالى :

أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَـٰلَهَآ أَنْهَـٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَءِلَـٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾

(سورة النمل)

من جعلها مستقرة ؟ ومن جعل الأشياء تستقر عليها ؟ الله جل جلاله قال : " **وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم وأنْهارا وسبلا لعلكم تهتدون** " .

كل شيء له علامة تميزه وتعلن عن حقيقة بواطنه ، إذا كان هناك جرثوم بالإنسان فإنها ترتفع حرارته فارتفاع الحرارة علامة وإذا الفاكهة نضجت يصفَر لونُهـا وهـذا اللـون الأصفر علامة وأحياناً الزيتون يسود والحب يشْتَد والعنب يصفَر كل شيء خلقه الله عز وجل جعل له علامةً تدلّ على باطنه حتى الأمراض كلها لها علامات ولولا هذه العلامات لما عرف الأطباء الأمراض وكل شيء باطن له علامة ظاهرة قال تعالى :

وَعَلَـٰمَـٰتٍ ۚ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾

(سورة النحل)

وقال تعالى :

وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾

(سورة النحل)

أي أنتم عاجِزون عن إحصاء النعم فَلأن تكونوا عاجِزين عن شُكْرِها من باب أولى ، ولذلك ختمت الآية بقوله تعالى : إن الله لغفور رحيم .

وفي سورة الأنْبياء قال تعالى :

فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ ۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿٧٩﴾

(سورة الأنبياء)

أيضاً هذه الآية وما بعدها تُبين تسخير الله تعالى لِهذا النبي الكريم .

وفي سورة الحج قال تعالى :

وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ ۖ فَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّ ۖ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَٰهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٦﴾

(سورة الحج)

فهذه الناقة قرأت عنها بعض المقالات في مجلات علْمية تستطيع أن تسـتَغْني عـن الماء ثلاثة أشْهر فهي تستطيع أن تستَهلك ماء خلاياها وتستطيع أن تستغني عن الطعام أكثـر من ستة أشهر لأن سنامها مدخَر غدائِي لها فهذا الحيوان مسـخر للإنسـان ولا سـيما فـي الصحراء أخْفافُها آية لها رموش تمنَع دخول الغُبار إلى عينها وعينُها آية وتُريها البعيد قريبـاً والصغير كبيراً عين الناقة كالمكْروسكوب تماماً فَعينُها آية وشَفَتاها آيـة وأعضـاؤها آيـة وتجلس جلْسةً نظامية وترتاح ولها ثفنة في بطْنها وعلى أيديها وأرجلها جلْستُها النظامية تُتيح لك أن تُحمل عليها .

وربنا عز وجل يقول :

أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾

(سورة الغاشية)

آية كريمةٌ ، قال تعالى : " **والبدن جعلنَاها لكُم من شَعائِر الله لكُم فيها خَير فَاذْكُروا اسم الله عليها صواف فَإِذَا وجبتْ جنُوبها فَكُلُوا منْها وَأَطْعموا الْقَانع والْمعتَر كَذَلك سخرنَاها لكُم لعلكُم تَشْكُرون** "

درسنا اليوم يتناول كل حركة من حركاتك ؛ ويريك كل ما سخره الله لك من خـلال ذلك، خرجت من المسجد ولبستَ حذاءك من جلْد الأنْعام فهذا الجلد مسخر لنا ، ركبتَ مركبةً تتحرك بالبترول فالبترول مسخّر لنا ، دخلت إلى البيت وشَربت كأساً من ماء فالماء مسخر لنا ومن جعله عذْباً فُراتاً؟ وكان من قبل ملْحاً أُجاجاً فالماء مسخر لنا رأيتَ زوجتَك فمن سـخرها زوجةً مطيعةً لك ورأيتَ أولادك واستَلْقَيت على فراشٍ وفير فمن خلق الصـوف ؟ والله هـذا الاسم العظيم اسم **المسخرْ** يدور معك في كل ثانية من حياتك ؛ كيفَما تحركْت وجدت الأشـياء مسخرة لك أعظم تسخير ألا تستَحيي من الله :

إلى متى أنت باللذات مشْغول ... وأنت عن كل ما قَدمتَ مسؤول
تعصي الإله وأنت تُظهر حبه ... هذا لَعمري في المقال بديع
لو كان حبك صادقاً لأطَعتَه ... إن المحب لِمن يحب يطيع

وفي سورة العنكبوت قال تعالى :

وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾

(سورة العنكبوت)

وفي سورة لُقْمان قال تعالى :

أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾

(سورة لقمان)

أذكُر مرةً كنت بالخليج وكان هناك سباق للهجن يعتنون به كثيراً ولكن الـذي لَفَـت نظري أن الذي يركب على هذه الناقة طفْلٌ صغير وهذا الطفل من شـدة الاهتـزاز ينْعطـب عموده الفقري ورأيت العكْس في هذا الموقف فالإنسان هنا مسخر ِلهذه الناقـة والأصـل أن الناقة هي المسخرة للإنسان فالإنسان حينما يسخر ِلمخْلوق أدنى منه ما عـرف قيمـة نفسـه وإنسانيته ِلذلك الله عز وجل قال :

وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَـٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾

(سورة البقرة)

هناك أشياء كثيرة قد ترفُضها لأنها لا تُعجِبك ولأنك تَحتَقرها إلا أنـك إذا رفضـت الدين فإنك تَحتَقر نفْسك قال : " **ومن يرغَب عن ملة ِإبراهيم ِإلا مـن سـفه نَفْسـه ولقَـد اصطفَينَاه في الدنْيا وإنه في الآخرة لمن الصالِحين** "

حينما يحتَقر الإنسان نفْسه يعرِض عن الدين ، قال تعالى : "**ألم تَروا أن اللـه سخر لكُم ما في السماوات وما في الأرض وأسبغَ عليكُم نعمه ظَاهرةً وباطنَةً ومن الناس من يجادلُ في الله بِغَير علْمٍ ولا هدى ولا كتَابٍ منير** "

وفي سورة الزمر قال تعالى :

خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۖ يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ أَلَا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّـٰرُ ﴿٥﴾

(سورة الزمر)

وفي سورة الزخرف قال تعالى :

وَٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ وَٱلْأَنْعَٰمِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٢﴾

(سورة الزخرف)

من أجل أن تعرف قيمة البِتْرول ؛ سيارة فيها خمسة ركاب وتحمل أغْراضاً وأمتعة ، وتسير في طريق صاعد فلو أنها وقَفَت وأُطْفىء محركُها وكلفْناك أن تدفَعها إلى الأعلى مع ركابِها وحاجاتها فهل تستطيع ؟ فلو كان هناك خمسة رجال أقوياء لما استطاعوا تحريك هـذه السيارة بِطريق صاعد لكن هذا البترول كيف ينْفَجِر وكيف يدفع هذا الوزن الثقيل من المركبة مع ما فيها من ركاب بِطريق صاعد هكذا ؟ سبحان الذي سخر لنا هذا وإذا ركبت باخرة مـن الذي جعل الماء يحملها ؟ الله عز وجل وكذلك الطائرة في الهواء وهناك دعاء قرآنـي كلمـا ركبت مركبةً أو دابةً أو سيارةً تقول :

كما روي أن أن ابن عمر علمهم أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم كان إِذَا اسـتَوى علَـى بعيرِه خَارِجا إِلَى سفَرٍ كبر ثَلاثًا ثُم قَالَ (سبحان الذي سخر لَنَا هذَا وما كُنا لَه مقْرِنين وإِنـا إِلَى ربنَا لَمنْقَلبون)...*

(رواه مسلم)

أيها الإخوة ، اسم **المسخر** اسم يدور في حياتنا كلها ولك أن تُفَكر فيه في كل ثانيـة فَكُل شيء تراه أمامك **مسخر** لك وكل ما تراه أمامك هو من نعم الله عز وجل وقد سخّره لـك ولولا أنك ذو شأنٍ عند الله عز وجل لما سخر لك الكون من أجلك قال تعالى :

وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾

(سورة النحل)

لذلك ملخص الدرس أحبوا الله لِما يغْدوكم به من نعمه وأحبوني بِحب الله وأحبوا آل بيتي بِحبي .

والحمد لله رب العالمين

الـ ـدرس٩٤ – اسم الله : المريد .

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الإخوة الكرام ؛ مع الدرس الرابع والتسعين من دروس أسماء الله الحسنى والاسم اليوم **المريد** ولهذا الاسم خُصوصيةٌ كبيرة جداً وهو اسم كما يبدو لكم زائد عن الأسماء التسعة والتسعين التي وردت في الأحاديث الصحيحة .

نبدأ بمعنى **المريد** في اللغة ؛ **المريد** اسم فاعل من فعلٍ رباعي أراد يريد فهو مريد من مادة الرود والرود معناه الطلب أراد أي طلب والفعل راد يرود و**الإرادة** أيضاً هي المشـيئة ؛ شاء وأراد بمعنى واحد و**الإرادة** من معانيها الفرعية السعي في طلب الشيء .

قال بعض العلماء : " الإرادة في الأصل إرادةٌ مركبة من شهوة وحاجة وأمـلٍ هـدفٌ أمامك وشهوة تُحركُك وحاجةٌ أنت بحاجة إليها " شهوةٌ وحاجةٌ وأملٌ أو بتَعريف آخـر **الإراد**ة نزوع النفس إلى شيء ، فمثلاً أردت أن أذهب إلى حلب وتاقتْ نفسي أو نزعتْ أو مالـتْ أو اتجهتْ إلى أن تُسافر إلى حلب إذاً نُزوع النفس إلى شيء ما يعني إرادة .

والمعنى الثاني الدقيق : الحكْم على الشيء والحقيقة النُزوع إلى الشيء هذا المعنى يليقُ بالإنسان ولكن لا يليق بالواحد الديان ؛ شيء بعيد عنك تتجه إليه شيء ليس بين يديك تبحـثُ عنه مكان بعيد تُسافر إليه ومنْصب رفيع تسعى إليه ومكاسب كبيـرة تمشـي فـي طريقهـا ف**الإرادة** نزوع الإنسان إلى شيء هو معنى أساسي من معـاني **الإرادة** ولكـن لا يليـق إلا بالإنسان أما الواحد الديان لا يمكن أن نقْبل هذا المعنى فيما يتعلق بالله عز وجل وبالنسـبة لله جلّ جلاله إرادتُه : أي حكْمه فإذا أراد الله كذا حكم على هذا الشيء بكذا قال تعالى :

لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ سُوٓءٗا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٖ ﴿١١﴾

(سورة الرعد)

إذاً : إذا قُلنا الإنسان أراد : أي نزع إلى شيء واتجه إلى شيء وأقْبـل علـى الشـيء وأغْلب الظن أن هذا الشيء بعيد عنه ولابد له من وسيلة؛ فالله عز وجل منَزه عن العلة الغائِية

أي أن يتخذ إلى غاياته وسيلةً أما الإنسان يكملُ ضعفَه بوسيلة فمثلاً من أجل أن يصل إلى بلْدة بعيدة يتخذ سيارة أو طائرة، ومن أجل أن يصل إلى الماء يجب أن يحفر البئر، ومن أجل أن يأكل يجب أن يزرع ، وهذه هي العلة الغائِية أما ربنا جلّ جلاله فهو منَزه عن العلة الغائية .

إذاً : من معاني **الإرادة** نُزوع النفس إلى شيء وأن هذا الشيء بعيد ولابد لكي أصل إليه من وسيلة والوسائل لا تُعد ولا تُحصى فإذا كان النزوع مكانياً فإنه يحتاج إلـى مركبـة وإذا النزوع علمياً فهو يحتاج إلى دراسة وإذا كان النزوع مالياً فهو يحتاج إلى عمـل . فالإنسـان حينما ينْزع إلى شيء يبحث عن وسيلة يكمل بها نقْصه ، أنا أريد أن أرى الخَلية فأنا عـاجِز فأستَخْدم الميكروسكوب لأرى الخلية فهنا نَزعت نفسي إلى أن أرى الخَليـة فاحتجـت إلـى ميكروسكوب فالنفْس التي نزعتْ إلى شيء تتخذ وسيلة وهذا من ضعف الإنسان أما ربنا عز وجل إذا أراد شيئاً حكم عليه أنه هكذا قال تعالى : " **له معقباتٌ من بين يديـه ومـن خَلْفـه يحفَظُونَه من أمر الله إن الله لا يغَير ما بقَومٍ حتى يغَيروا ما بأنفُسهم وإذَا أراد الله بقَـومٍ سوءا فَلا مرد له وما لهم من دونه من والٍ** " ، فإرادة الله هي الحكْم .

أيها الإخوة ؛ اسمحوا لي فإن أُناساً كثيرين تَخْتَلط عليهم الأمور ، الكون فيـه أشـياء مسخرة وأشياء مخَيرة والإنسان مخَير والجماد مسخر والحيوان مسخر وكذا النبات فإرادة الله في المسخرات هي نُفوذ حكْمه أما إرادة الله في المخَيرات فهي تعني السماح لأن الله عز وجل حينما جاء بالإنسان إلى الدنيا حمله الأمانة والأمانة من لوازمها حرية الاخْتيار والفعل بيد الله عز وجل فَكَيفَ نُوفق بين أن الفعل بيد الله وبين أن الإنسان مخَير ؟ نقول : إذا تعلقَـت إرادة الإنسان بشيء بمعنى أنه اخْتار تَعلقَت إرادة الله بتَحقيق هذا الشيء فإرادتُه سماح ، أيعقَـلُ أن يسرِق سارِقٌ في الأرض خلافَ مشيئة الله ؟ لا يمكن وهل يعقَلُ أن الله أمره أن يسرِق ؟ قال تعالى :

وَإِذَا فَعَلُوا۟ فَـٰحِشَةً قَالُوا۟ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾

(سورة الأعراف)

كيف نُوفقُ بين المعنَيين ؟ أيقَع في ملْكه ما لا يريد ؟ حاشا لله ، هناك شر يقع كيـف يقع هذا الشر ؟ إرادة الله مع المخَير إرادة سماح لكن مع المسير إرادة أمر فإذا اقْتَـرف أحـد معصيةً معنى ذلك أن الله تعالى سمح له ولماذا سمح له ؟ لأنه مخَير ولأنه جاء إلـى الـدنيا

لِيفْعل أفْعالاً اخْتيارِية والاختيار يكمل عمله إذاً يليق بالله عز وجل أن تكون إرادتُه في الكون إرادة حكْم إلا أن إرادتَه مع الكائن المخَير من الإنس والجن إرادة سماح .

شيء آخر وهو معنى من معاني **الإرادة** ، قال تعالى :

يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ
وَلِتُكْمِلُواْ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾

(سورة البقرة)

الله عز وجل يأمركم أن تكونوا ميسرين ، أريد منك كذا يعني آمرك بِكذا ، صـار أول معنى عندنا هو النزوع متَعلق بالإنسان ، والمعنى الثاني الحكْم وهو متَعلق بالله تعالى والحكم مع المسخرات أمر ومع المخَيرات هو سماح ، والآن هذا معنى فرعي من معاني **الإرادة** أراد الله كذا أي أمر بِكذا .

معنى آخر من معاني **الإرادة** وهو القصد قال تعالى :

تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْأَخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ
وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾

(سورة القصص)

فالقصد والأمر والحكْم والسماح والنزوع هذه هي معاني **الإراد**ة لكن هناك آياتٌ كثيـرة في كتاب الله تُوضح تفاصيل هذا المعنى ؛ يقول الله عز وجل :

فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَـٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ
يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ
ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾

(سورة الأنعام)

أنت إذا قرأت هذه الآية لعلك تظن أن الله شرح صدر إنسانٍ للإيمان فآمن وضيقَ صدر إنسانٍ آخر فلم يؤْمن وكأن المعنى يوحي بالجبر والحقيقة خلاف ذلك كما قلنا قبل قليل إذا أراد الإنسان شيئاً تعلّقَت إرادة الله بالسماح بأن يفْعل هذا الشيء ، إذا أراد الإنسان شيئاً ولأنه منح حرية الاخْتيار ولأن **الإرادة** من صفات الإنسان فإذا أراد الإنسان شيئاً تعلّقَت إرادة الله بالسماح بأن يفْعل هذا الشيء إلا أن هناك تَحفظاً واحداً وهو أن الإنسان مخَير أن يفْعل ما يشاء ولكنه لا يستَطيع أن يصب اخْتياره على من يشاء فَلَه أن يسرِق ولكن ليس له أن يسرِق ممن يشاء يسرِق ممن يسيره الله تعالى لِسرِقته وهذا هو معنى قوله تعالى :

وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّى بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٢٩﴾

(سورة الأنعام)

وهذا هو معنى قول الله تعالى :

إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾

(سورة القصص)

وهناك معنى فرعي آخر يجب أن أُضيفَه لِهذا المعنى ؛ لو أن إنساناً أراد شيئاً شريراً أراد أن يعصي مثلاً أو أن يأخذ مالاً ليس له أراد أن يفْعل فاحشَةً فماذا يفْعل معه ربنا سبحانه وتعالى؟ إن لم تكُن هذه الشهوة مستَحكمةً وإن لم تبلُغ هذه الشهوة درجة الحجاب فالشهوات تتنامى في نفسِ الإنسان وهناك حد إذا وصلَت إليه هذه الشهوة بلَغَت حد الحجاب وحجبتْه عن كل شيء ؛ حبك الشيء يعمي ويصم فإذا بلغ الإصرار على شهوة منْحرِفة درجةً عالِيةً جداً تعلقَتْ إرادة الله بِهذا العبد بأن يسمح له بِأن يفْعل ما اخْتار أما إذا إرادتُه ضعيفَةً فالله سبحانه وتعالى لا يسمح له بل ينَبهه ويحذره فصار هناك قَضيتان : القضية الأولى أن الله لا يطْلق إنساناً وفْقَ إرادته إلا إذا كانت الحكمة المطْلَقة أن يفْعل هذا الشيء إذ السماح بيد الله عز وجل أنت تريد وأنا أريد والله يفعل ما يريد .

إذاً **الإرادة** التي يريدها الإنسان إن كانت ليست في صالِحه ربنا سبحانه وتعالى لا يسمح له أن يفْعلْها أما إذا بلغَتْ إرادتُه درجةً عالِيةً من الإصرار عنْدئذ ربنا سبحانه وتعالى يسمح له

أن ينَفذها لا على من يشاء الإنسان ولكن على من يشاء الله عز وجل فأنت كن مطمئناً ، ولو أن إنساناً شريراً ويبدو لك أنه مخَير وأنه طليق اليدين وأنه يفْعل ما يشاء فالله جل جلاله لـن يسلمك لأحد فهذا الشرير طليق اليدين لا يستطيع أن يفْعل شـيئاً إلا إذا أراده الله عـز وجـل شاءت والله يسوق ظالِماً لِظالِمٍ ومنْحرِفاً لِمنْحرِف أو يسوق إنساناً لا يعرِفُه لِيؤدب من يعرِفُه ؛ إذا عصاني من يعرِفني سلطْت عليه من لا يعرِفُني فالإنسان مخَير والفعل فعل الله وإرادة الله مع غير المخَير إرادة أمر لأنه مسخر أما إرادة الله مع الإنس والجِن إرادة سماح لأن الإنسان مخَير ؛ سماح أن يفْعل حينما تَعلو الشهوة ويعلو الإصرار إلى درجة أن الحكمة المطْلقة تنْقَلب إلى عملٍ أما إذا أمكن عدم وجود الإصرار فربنا عز وجل يصرف عنه هذه الشهوة المنْحرِفة رحمةً به أما إذا أصر عليها يطْلقُه إليها .

والمعنى الثاني : أنه حينما يطلق الله هذا العبد لِفعل شيء ما يطْلقُه على من يسـتَحق أو على من يكون التسليط عليه حكْمةً في حقه فهذا هو فعل الله عزوجل .

في ضوء هذه المقدمة قوله تعالى : " **فَمن يرد الله أَن يهديه** "

الإنسان أراد الهدى وأراده ابتداء بحثاً عن الحقيقة وطلب معرفة الله عز وجل وحيثمـا عزِيت إرادة الهداية أو إرادة الضلال إلى الله عز وجل هي إرادة جزائِية تأتي عقَـب طلـب هداية شخصي أو إضلال جزائي مبني على ضلال اخْتياري .

القضية دقيقة جداً إذاً عزِيت إرادة الهداية أو إرادة الإضلال إلـى الله عزوجـل فهـي الإرادة الجزائِية المبنية على إرادة اخْتيارِية وفي ضوء هذا التفسير : " **فَمن يرد الله أَن يهديه** " الإنسان أراد الهدى فشاءتْ إرادة الله أن يهتدي ؛ كيف يعينُه الله على هذا الطلب الرفيـع ؟ قال : يشرح صدره للإسلام لأن القلب بين إصبعين من أصابع الرحمن فيشْـرح الله صـدره للإسلام ، وماذا نُسمي هذا الشرح ؟ إنه معونَةٌ من الله تعالى ؛ مثلاً أب عنده ولدان أحـدهما طلب أن يدرس فأفْرده بِغُرفَة خاصة وأعفاه من بعض المال وشَجعه وكافَأه فهذا تشْجيع مـن الوالد لولده والإنسان حينما يريد الهداية ويصدق في طلبها تتعلقُ إرادة الله في أن يهتَدي والله يشَجعه على ذلك ويشْرح صدره للإسلام وهذا شيء ثابت فَبمجرد أن تبحثَ عن الخير وعـن الهداية وبمجرد أن تعمل عملاً صالِحاً تشْعر بِراحة كبيرة جداً وهذه الراحة تشْجيعية مـن الله عز وجل وقوله تعالى :

" **فَمن يرد الله أَن يهديه يشْرح صدره لِلإسلام ومن يرد أَن يضله يجعلْ صدره ضـيقًا حرجا كَأنما يصعد في السماء كَذَلك يجعلُ الله الرجس على الذين لا يؤْمنُون** " .

طبعاً يضله الضلال الجزائي المبني على ضلال اخْتياري ؛ أراد الضـلال فَسـمح الله تعالى له به لأنه أصر عليه فيجعل صدره ضيقاً حرجاً وهذا أيضاً تربِية ، لو أنه شرح صدره للضلال لكان الله تعالى معيناً لِهذا العبد على الضلال أما الأمر عكس هذا لـو أراد الإنسـان

الضلال تضيق نفْسه وتتعسر أموره ويؤدب ويعاتَب ويوبخ قال تعالى : " **فَمن يـرد اللـه أن يهديه يشْرح صدره لِلإسلام ومن يرد أن يضله يجعلْ صدره ضيقًا حرجا كأنما يصـعد فـي السماء كذَلك يجعلُ الله الرجس على الذين لا يؤْمنُون** " .

أعرفْتُم الآن ما حكمة الله في أن قلوب العباد بين إصبعين من أصابع الرحمن ؟ الحكْمة أن القلب إذا كان بين أُصبعين من أصابع الرحمن يقَلبه لِصالِح عبده المؤمن كما يشاء ، شـاء الهدى فشرح الله صدره للهدى وشاء الضلالة فضيقَ الله له صدره .

إذاً : شرح الصدر وتضييق الصدر لِصالِح العبد فأنت مخَير إذا أَصبتَ فـي اخْتيـارك شَجعناك ودعوناك إلى متابعة الخير وأما إذا اخْتَرتَ شيئاً سيئاً وبخْنا وضيقْنا عليك من أجـل أن تكُف عن هذا الشيء فهذه الآية أساسية: " **فَمن يرد الله أن يهديه يشْرح صدره لِلإسـلام ومن يرد أن يضله يجعلْ صدره ضيقًا حرجا كأنما يصعد في السماء كذَلك يجعلُ الله الرجس على الذين لا يؤْمنُون** " .

آيةٌ أُخرى وهي قوله تعالى :

يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾

(سورة النساء)

قد يبحث الإنسان عن موقف إنْسانٍ منه ويقول له : ماذا تريد أن تفعل بي ؟ وماذا تريد مني؟ فَربنا عز وجل يطَمئِن عباده قال تعالى:

وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾

(سورة النساء)

يعني إرادتُه متَعلقة بِهدايتكم ، فقولُه تعالى : " **يريد الله لِيبين لكُم**" هناك معنـى دقيـق ولأنكم مخَيرون فَدور المربي مع المخَير التوضيح فالداعيةُ مثَلاً بالنسبة للمدعوين أن يتركهم لاختيارهم فهم مخَيرون يستَجيبون أو لا يستَجيبون يؤمنون أو لا يؤمنون ، يسـتَقيمون أو لا يستقيمون ؛ فما دور الداعية في الدعوة إلى الله حيال إنسانٍ مخَير ؟ عليه أن يقْنعه بالإيمـان فالإنسان مخَير ليس عليك هداهم وإنك لا تهدي من أحببت ولستَ عليهم بِمسيطر ومـا أنـت

عليهم بوكيل وما يوجد إجبار إلا أن مهمة الأنبياء والرسل ومهمة الذين ينوبون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في تبليغ الحق البيان والتوضيح لِتَحمله على أن يحمل الحق .

أحياناً البائِع يعرِض على الشاري بضائع كثيرة ولو أن البائِع استَحسن أن يبيعه نوعاً من البضاعة وهي جيدة جداً وسعرها رخيص وهذا الذي يشْتَري يحبه فإن البائع يعينُه على أن يخْتار ويقول له : اخْتر ما شئت هذه هي الأنواع وهذه هي الأسعار وأنت مخَير أما البائع الرحيم يقول له : أنا سأَنْصحك خُذْ هذه وهي جيدةٌ جداً وسعرها مناسب وعلى الاستعمال متينَةٌ فالبائع هنا تدخل فربنا عز وجل أعطانا حرية الاخْتيار وأعطانا عقْلاً في رؤوسنا وكوناً ينْطق بوجود الله وعدِله ورحمته وكمالاته وأعطانا شرعاً دقيقاً وشهوات نرقى بها وحرية اخْتيار نُكمل بها عملنا فلو تركنا لضاع منا كل شيء وعلى الرغم من أنه أعطانا كلّ شيء فإذا اتخَذْنا قراراً صحيحاً شرح صدورنا وشَجعنا وكافَأنا وأكْرمنا وإن اتخَذْنا قراراً خاطئاً ضيقَ صدرنا وعسر أمرنا وعاقَبنا ونبهنا فالله هو رب العالمين يربينا ومن هنا كان القلب بيده من أجل أن يربي عبده فإذا اتخَذَ قراراً صحيحاً شرح الله صدره ، فإذا أردت أن تعرِف ماذا يريد الله جل جلاله منك ؟ قال تعالى: " **يريد الله لِيبين لكُم ويهديكُم سنَن الذين من قبلكُم ويتُوب عليكُم والله عليم حكيم** "

وقوله تعالى :

" **والله يريد أن يتُوب عليكُم ويريد الذين يتبِعون الشهوات أن تَميلُوا ميلا عظيما** " .

لذلك كن من الذين قال فيهم الله تعالى :

وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾

(سورة الكهف)

هذا كلام رب العالمين فالله تعالى قال : " **والله يريد أن يتُوب علَيكُم ويريد الذين يتبِعون الشهوات أن تَميلُوا ميلا عظيما** " .

شيء آخر وهو أن الإنسان أحياناً يحمل نفْسه مالا يطيق ويحمل نفْسه من الأعباء والذنوب والخطايا ما لا يطيق أن يواجِه بها الله يوم القيامة فهو لا يدري وهو غافل فجاءت الآية الكريمة:

يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمۡۚ وَخُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ ضَعِيفٗا ﴿٢٨﴾

(سورة النساء)

قد يحمل الإنسان من الأوزار ما لا يطيق وهو غافل لكن الله يعلم فلو أنت رأيت إنساناً يشتري بِضاعةً ممنوعاً نقْلُها إلى داخل البِلاد يشْتريها من بلَد آخر ولن يستطيع إدخالُها وبقيت ساكتاً تكون من الذين خانوه أما إذا أردت أن تنْصحه ونبهتَه أن هذه البِضاعة غير مسموح أن تنْقُلها إلى بلَدك خففْتَ عنه لأنه سيدفَع ثمنها وسوف تُصادر من قبل موظفي جمارك بـلاده ، فالله عز وجل إذا رأى عبداً يحملُ نفْسه ما لا يطيق من المعاصي والانْحراف فهو الآن غافل ، أما حينما يأتيه ملَك الموت يصعق قال تعالى : " **يريد الله أن يخَفف عنكُم وخُلقَ الإنسـان ضعيفًا** " .

وقال تعالى :" خُلق الإنسان من عجلٍ " ثلاث آيات في سورة النساء " يريد ليتوب عليكم " ويريد ليبين لكم " و " يريد أن يخفف عنكم " يبين لكم كي تتوبوا وإذا تُبتُم خفف عنكم .

هناك آيةٌ أساسيةٌ في هذا الموضوع ، يقول الله عز وجل :

وَإِن يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ بِضُرّٖ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَۖ وَإِن يُرِدۡكَ بِخَيۡرٖ فَلَا رَآدَّ لِفَضۡلِهِۦۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾

(سورة يونس)

الشيء الذي يلْفتُ النظر هو قوله تعالى : " **وإن يمسسك الله بضر** " ، وقولـه : " **وإن يردك بخَير** " فالخير مراد من قبل الله عز وجل أما الشر ليس مراداً لذلك لم تأت كلمة يـرِدك بِشَرٍ إنما قال : " **وإن يمسسك الله بضر فلا كاشفَ له إلا هو وإن يردك بخَير فلا راد لِفَضله** " مثَلاً مدير مدرسة يمكنُه أن يعاقب طالِباً ويمكن أن يفْصله لكن الأصل في المدرسة هو تعليم الطلاب وليس طردهم ؛ أردنا من إنشاء هذه المدرسة تعليم الطلاب أما إذا شذ طالِب نفْصـلُه فالفَصل غير مراد من قبل مدير المدرسة أما الفصل أحياناً علاج طارئ نستَخْدمه ولا نُريـده وهذا الأب تجِده يحب ابنه حباً جما فإذا أخطأ الولد خطأً كبيراً يحتاج إلى تأديب يضربه لكنـه يتمنى ألاّ يضربه ؛ يضربه لِيؤدبه وهو يتألم أشَد الألَم حينما يضـربه فالحكْمـة اقْتَضـت أن

يضربه وهذا هو معنى قول الله عز وجل : " **وإن يمسسك الله بضر فلا كاشفَ لـه إلا هـو وإن يردك بخَير فلا رادَ لِفَضله يصيب به من يشَاء من عباده وهو الْغَفُور الرحيم** " .

يقول عليه الصلاة والسلام : " أطْلُبوا الخير دهركُم " يعني طول دهركم وهذا من أنْـدر الشواهد وهو أن ظرف الزمان قد يأتي له نائب فَدهركم تنوب عن ظرف الزمـان والتقـدير يعني : أطْلُبوا الخير طوال دهركُم ، وتعرضوا لِنفَحات الله إن طلبتم الخير تعرضتُم لِنَفَحـات الله عز وجل: إن في دهركم لَنَفَحات ألا فَتَعرضوا لها " فإن لله نفحاتٌ من رحمته يصيب بهـا من يشاء من عباده واسألوا الله أن يستُر عوراتكم وأن يؤَمن روعـاتكم ، والروعـات جمـع روعة وهي الخَوف فَنعمة الأمن لا تعدلها نعمةٌ على الإطلاق فإذا كان هنـاك خـوفٌ وقلْـقٌ تَنْقَلب معيشَتَه إلى معيشَة ضنكا والله عز وجل قال :

ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ﴿٤﴾

(سورة قريش)

ويقول الله عز وجل في سورة هود :

يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ فَمِنْهُمْ شَقِىٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾

(سورة هود)

الاستثناء هنا عائِد إلى العصاة من المؤمنين لأن النار يدخُلُها العصاة ولا خلود لهم فيها ، أما الخلود فهو للكفار أما من كان فيه ذرة من إيمان في النهاية يخْرج من النار : " **يوم يأْت لا تَكلم نَفْس إلا بإذْنه فَمنْهم شَقي وسعيد** "

أي بعضهم سعداء وبعضهم أشْقياء والحقيقة أن هذا المصير خطير قال تعالى :

أَفَمِنْ هَـٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ﴿٥٩﴾ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴿٦٠﴾ وَأَنتُمْ سَـٰمِدُونَ ﴿٦١﴾

(سورة النجم)

الإنسان في النهاية إما إلى شقاء أبدي وإما إلى سعادة أبدية وهناك حـالات خاصـة ؛ مؤمن مقَصر ومات عاصياً يدخل النار ولكن إلى حين وهذه الآية هي التي تؤكد هذا المعنى : " **يوم يأْت لا تكَلم نَفْس إلا بإذْنه فَمنْهم شَقي وسعيد** " .

فمن كان في قلبه مثقال ذرة من خيرٍ يخرج في النهاية من النار وقد يبقى ملايين السنين وقد يبقى آلاف ملايين السنين لكنه لا يخْلد في النار إلا من شرد على الله شرود البعير .

وفي سورة النحل قال تعالى :

إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَـٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾

(سورة النحل)

حتى العلماء قالوا : " كن هي حركة فيكون حركتَان وهناك ثلاث حركات إلا أن أمر الله تعالى أسرع من هذا وليس فيه زمن فكلمة كن ِلمجرد أن تتعلق مشيئة الله في أن يكون شـيء هو كائِن بِلا تأخر " ولكن الأمر تقْريب لأذْهاننا قال تعالى : "**إنما قَولُنَا لِشَيء إذَا أَردنَـاه أَن نَقُولَ له كُن فَيكُون** " .

التطبيق العملي ِلهذا الاسم العظيم هو أَنك إذا تعاملْت مـع الأشْـخاص فَهـم محـدود والقُدرات فقد يتمنون أن يعطوك شيئاً ولا يستَطيعون لكن الله سبحانه وتعالى إذا أراد شيئاً قال له كن فيكون فإذا كنت مع المريد أو مع الفعال ِلما يريد تحقق لك كل شيء ، واسـمع قولـه تعالى :

فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾

(سورة البروج)

لدينا شيء آخر الآية الكريمة :

وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَـٰهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾

(سورة الإسراء)

فالقرية حينما تفْسد يعاقب أهلها ، وبعض معاني هذه الآية أن آخر علاجٍ قبل أن يهلـك الله هذه القرية يؤَمر مترْفيها فهو آخر علاجٍ وهو علاج مـر ؛ أن يتَـأمر المتْـرف الغافـل المنْحرِف فقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم :

عن أبي هريرةَ قالَ : قالَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إذَا كان أمراؤُكُم خيـاركُم وأغْنياؤُكُم سمحاءكُم وأُمورُكُم شُورى بينَكُم فَظهر الأرض خَير لكُم مـن بطْنهـا وإذَا كـان أمراؤُكُم شراركُم وأغْنياؤُكُم بخَلاءكُم وأُمورُكُم إلى نسائِكُم فَبطْن الأرض خَير لكُم من ظَهرها *

(رواه الترمذي)

المعنى الأول أن الله سبحانه وتعالى إذا أراد أن يهلـك قريـةً لِعصـيانها وانْحرافهـا واستغْنائِها عن منهج الله هناك قراءةٌ تُناسب هذا المعنى هي : "أمرنا مترْفيها " جعلْنا مترْفيها أمراء فَفَسقوا فيها وبالتالي هؤلاء الذين أمر عليهم المترْفون وساموهم سوء العذاب لم يتوبـوا وقد تعجب أحياناً أن مصيبةً طاحنةً حلتْ ببلَد فإذا ذهبت إليه رأيتهم أشد تَفَلتاً مما كانوا وقـد قيل : من لم تُحدث فيه المصيبةُ موعظةً فَمصيبتُه في نفْسه أكبر ، فَقَريةٌ انْحرفت واسـتَحقت الهلاك وضلتْ سواء السبيل بحسب قوانين الله عز وجل وآخر علاج أمرنا مترْفيهـا فَفَسـقوا فيها ولم يعد الذين كانوا عرضةً لِهذا الفسق والفُجور ، لم يعودوا عن ضلالتهم ، فَحق علـيهم القَول فَدمرناها تدميراً .

والمعنى الثاني : وإذا أردنا أن نُهلك قريةً قبل أن نُهلكها نُنْذرها وأمرنـا مترْفيهـا أن يستقيموا فلَم يستقيموا ولما قال الله مترْفيها ؟ المترْفون هم المبذرون الذين يعيشون لِشَـهواتهم والأغْنياء الذين ينْفقون أموالَهم على المعاصي والآثام والعلُو في الأرض والمترْفون في آيـات ثمانية اقْترنوا بالكفار وكفروا مثلهم وأترْفْناهم في الحياة الدنيا والمترْف هو إنسان يعيش للدنيا فقط وهؤلاء المترْفون معقَل أنظار الناس والناس تَبع للأقوياء والأغنيـاء ؛ " **وإذَا أردنَـا أن نُهلك قريةً أمرنَا مترْفيها فَفَسقُوا فيها فَحق عليها الْقَولُ فَدمرنَاها تَدميرا** " وهو المعنى الثاني فإذا أردنا أن نُهلك قريةً لا نُهلكها ابتداء إنما نُنْذرها قبـل أن نُهلكهـا والإنـذار أمرنـاهم أن يستقيموا من خلال كتابِه وسنة نبيه ونصيحة الناصحين ودعوة الداعين وخُطَب الخُطباء وكُتُب المؤلفين أمرنا مترْفيها ففَسقوا فيها ؛ أمرناهم بالطاعة ففَسقوا فيها فحق عليها القَول فَـدمرناها تدميراً .

أيها الإخوة الشيء الذي يمكن أن نستَفيد منه كثيراً في هذا الدرس أن تُنَزه الله عمـا لا يليقُ به بمعنى : إذا خطر ببالِك معنى أن الله أراد الضلال للناس قال تعالى : "**إذَا أردنَـا أن نُهلك قريةً** " هذه الآية تحتاج إلى شرحٍ ؛ أراد الهلاك أو أراد الضـلال يجـب أن تعلَـم أن

الإرادةَ إذا كانت منْصرِفَةً إلى الإنسان فهي إرادة سماح أو تأديب أما إذا عزِي الإضلال إلـى الله عز وجل فهو الإضلال الجزائي المبني على ضلالٍ اخْتياري .

شيء آخر في هذا الموضوع وهو أن الله تعالى كل شيء أراده وقع وهو الفَعـالُ لِمـا يريد أما نحن نتمنى ونريد ولا يحققُ مما نريد إلا اليسير لأننا ضعفاء و محدودون وكل إنْسانٍ له قُدرةٌ محدودة أما ربنا عز وجل فعالٌ لِما يريد والمعنى الثاني أن كل شيء أراده الله وقـع وأن كل شيء وقع أراده الله فالأول واضح قولُه تعالى : " **وإذا أراد الله بقوم سوءا فلا مـرد له وما لهم من دونه من والٍ** " .

أما الثاني أي شيء وقع أراده الله فالعبارة هذه تُعكس أراد ووقع ، ووقع وأراد فإن أراد وقع وإن وقع الشيء أراده الله فهذه الفكْرة على أنها موجزة تَملأ قَلْبك رِضى ، إنسان ارتكـب حماقة كبيرة وسافر بِوقت معين فأصيب بِمشْكلة لا نقول لو لم يسافر لم يصب إنما نقول : ما دام هذا الشيء وقع في ملْك الله إذاً أراده فإذا كان مع الجماد أراده فعلاً ومـع المخَيـر أراده سماحاً .

لذلك قالوا : لِكُل واقعٍ حكمة وقد يكون الإنسان غير حكيم لكن ربنا عز وجـل لِحكْمـة بالِغة يوظفُ شر الناس إلى حكْمٍ فالشر لا وجود له إلا في النفوس أما في العالم المادي فالشر هو مداواة والشرير يريد أن يفْعلَ شيئاً مزعجاً ويريد أن يؤذي لكنه لا يؤْدي إلا من يسـتَحقّ الأذى أو لا يؤذي إلا من يستَحقّ التأديب أو لا يؤْذي إلا من يكون إيذاؤُه حكْمةً بالِغـةً ففـي الواقع المادي لا يوجد شر والشر المطلق غير موجود والشر من مخلوق مخير مقطوع عـن الله بالنفوس أما الأفْعال فهي أفْعال الله عز وجل وكُلها تُوظف الشر إلى الخير المطلق فالأفْعال توظيفُ الشر للخير المطلق .

لذلك : كل شيء وقع أراده الله وهذه المقولة تُلْغي كلمة لو ولكل شيء حقيقة ومـا بلـغ العبد حقيقة الإيمان حتى يعلم أن ما أصابه لم يكُن لِيخْطئه وما أخْطأه لم يكن لِيصـيبه وكـلّ شيء وقع أراده الله وكلّ شيء أراده الله وقع وإرادة الله متَعلقَةٌ بالحكمة المطلقـة والإنسـان أحياناً يريد شيئاً غير صحيح والسبب إما أنه وقع تحت إغْراء شديد قَطاشَ صوابه أو تحـت ضغْط شديد اخْتَلت رؤْيتُه أو لأنه يجهل والجهل والإغراء والضغط يشَوشان حكمة الإنسـان لكن هذه المعاني التي تقع من الإنسان لا تليق بالله عز وجل لذلك يجـب أن نقـول إرادة الله متَعلقةٌ بالحكمة المطلقة وحكمتُه المطلقة متَعلقةٌ بالخير المطلق وإذا عقَلْتَ هذه فالمقولة فـي آخر الدرس فإذا نظرت إلى كل ما يجري في العالم بادئ ذي بدء تشْعر بِراحة كبيرة والسبب أن كل شيء وقع أراده الله ومعنى أن الله أراده أنه لو لم يقع على نحو ما وقع لكان الله تعالى ملوماً في ذلك ولكان الذي وقع على نَحوٍ آخر نقْصاً في حكْمة الله عز وجل فالذي وقـع أراده

الله والذي أراده الله وقع **والإرادة** الإلهية متَعلقَةٌ بالخير المطلق والحكمـة المطلقـة والحكمـة المطلقة متعلقةٌ بالخير المطلق .

وآخر شيء أن لِكل واقعٍ حكمةً قد تُكْشَف بعد حين ، قد تنشأ مشكلة من سـببٍ بسـيط والإنسان لِضعف إيمانه لَيتَه بقي ساكتاً ؛ فالله عز وجل أراد شيئاً كثيراً مثلاً السـيدة عائشـة رضي الله عنها كانت في إحدى الغزوات مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فهي كما يـروي كُتاب السيرة كانت خفيفة الوزن فلما قادوا جملَها ظنوها في الهودج وسـاروا وقـد خلفوهـا وراءهم فلما فاتَها الجيش الْتَفَت أحد الصحابة المتَأخرين فرآها فَعاملَها كأُمه وغـض بصـره عنها وسار بها حتى أدرك الجيش ، فأراد المنافقون أن يثيروا فتْنَة وحديث الإفـك معـروفٌ عندكم ، قد يقول أحدكم لو أن الذي قاد الجمل تَفَقدها ولو أنها استَيقَظت ولو لم تغْفُ لما كـان هناك حديث إفْك ؛ مشْكلةٌ طويلة عريضة بقيت أربعين يوماً وأهل المدينة يرجِفون في المدينة والمنافقون وجدوا مادة دسمة جداً وتكلموا وأخذوا حريتَهم والمؤمنون سكتوا وتألموا ووقَعـت مشْكلة وفتْنَة ، هذا الحديث وهذه القضية الكبيرة سببها غفْلَةٌ من السيدة عائشة رضي الله عنها والذي قاد الجمل لَيتَه تفقدها ولما استَيقَظت وجدتْ نفْسها بعيدةٌ عن الجيش وأحد الصحابة في أعلى درجات الأدب والحياء أخذها إلى ما ينْبغي أن يكون فصارتْ هناك مشْكلة ماذا قـال الله عز وجل ؟ :

إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾

(سورة النور)

فالله تعالى امتَحن الناس وكانت عملية فرز و هذا هو الأمر الأول فالمؤمن ظن بِنَفْسـه خيراً والمنافق عبر عن حقْده وضغينَته وفَرحه والمؤمن سكت والكافر تكلم والأمر الثـاني : لِئلا نتَوهم أن الوحي قضية متَعلقةٌ بالنبي وأنه أمر سهل فَلَو أن النبي صلى الله عليـه وسـلّم يملك أمر الوحي لَحل المسألة بِدقيقة واحدة وبِآية واحدة فالوحي تأخر أربعين يوماً وليس مـع النبي أدلّة إثبات وليس معه أدلة نفْي والمنافقون يمرحون ويتكلمون ما يشاءون والنبي عليـه الصلاة والسلام يتألم أشَد الألَم والسيدة عائِشَة أصابها مرض شديد وأُمهـا مرتَبِكـة وأبوهـا وكذلك، رسول الله ! أيعقَلُ أن تفْعل زوجتُه ما يقولون ؟ وما شُعور الزوج إن تحدث النـاس

عن زوجته أنها زانية ؟ وما شُعور والِدة الفتاة ووالِدها ؟ وما شُعور المؤمنين ؟ تقول : يا رب لو أنها ما عَفَت لما وقع حديث الإفك كله؛ فمادام الشيء وقع نقول : قد أراده الله وقد يبدو لك أن شيئاً كبيراً وقع لِسببٍ يسير وهذا السبب الصغير مقَدر من الله عز وجل امتَحن المـؤمنين وفرزهم وارتَقى بعضهم وسقط بعضهم وظهرت نُبوة النبي عليه الصلاة والسلام وظهـر أن الوحي شيء مستَقل عن إرادة النبي ولا يملك له جلْباً ولا دفْعاً وتأخر الوحي أربعين ليلةً فيـه حكْمةٌ بالِغة وقس على هذا كل شيء .

وفي صلْح الحديبية أمليت على النبي شروط غير معقولة وافق عليها النبـي صـلى الله عليه وسلم لكن الصحابة ما ارتاحوا لِهذه الشروط ، سيدنا عمر قال : أوَلسنا مؤمنين ؟ قـال النبي: بلى أوَليسوا مشْركين ؟ قال النبي : بلى ؛ قال عمر : فَعلام نُعطي الدنية في ديننا ثـم ظهر فيما بعد أن وثيقة صلْح الحديبية كانت فيها حكمة ما بعدها حكْمة وكان فيها سياسة مـا بعدها سياسة وانْعكس الأمر على كُفار قُريش .

أردت من هذا كله أن الشيء إذا لم يعجِبك فانتظر ولا تتعجل في إبداء رأيك وما دام أنه وقع فقد أراده الله وقُلْ هذه المقولة : لكل واقعٍ حكمة وقد يكون الذي أوقع هذا الأمر من الناس ليس حكيماً وقد يكون أحمق ومنْحرِفاً فَلأنه وقع أراده الله أما عظمة الله عز وجل تتبدى في أنه يوظف الأشياء غير الحكيمة في حكمة لا تعلَمها أنت ولِحكْمة مطلقة فإنسان يفْحص صدر فتاة تطلب التوظيف ويعطي نتيجة خاطئة يلْتَبِس عليه الاسم فَيعطي نتيجة المصابة بِمرضٍ عضال للفتاة الصحيحة فهذه الفتاة حينما تعلم أنها مصابةٌ بِهذا المرض وقد ابتَعد عنهـا أهلُهـا لـذلك وعزلوها عنهم واسودت الدنيا في وجهها فهذا الذي أعطى النتيجة متَسرعاً ألم يقع في خطـأ كبير؟ فهذه الفتاة حينما علمت بِهذه النتيجة انْهارت ثم أرادت أن تتوب إلى الله عز وجل فَتابتْ وصلت وتحجبتْ ثم علمت بعد حين أنها صحيحة وليست مريضة فربنا وظـفَ خطـأ هـذا الموظف في الخير المطلق ، فهذه نقطة دقيقة جداً لكل واقعٍ حكمة وما دام أنه وقـع فـاطْمئِن والله عز وجل لا يريد إلا الخير أما الشر المطلقُ في الكون غير موجود ولا يمكن أن يكـون مع الله شر مطلق أما أن يكون شر نسبي موظفٌ للخير المطلق فهذا موجود .

ابن آدم أطْلُبني تجِدني فإذا وجدتني وجدتَ كل شيء وفي بعض الآثار القُدسية :" أنـت تريد وأنا أريد فإذا سلمت لي فيما أريد كَفَيتُك ما تريد وإن لم تُسلم لي فيما أريد أتْعبتُك فيمـا تريد ثم لا يكون إلا ما أريد .

والحمد لله رب العالمين

الـ ـدرس٩٥ – اسم الله : المصطفى .

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الإخوة الكرام ؛ مع الدرس السادس والتسعين من دروس أسماء الله الحسنى والاسم اليوم هو اسم **المصطفي** ، فهو اسم من أسماء الله الحسنى وهو زائد عن الأسماء الحسنى التي وردت في أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلّم والتي بلغت في أحاديثه التسعة والتسعين .

الاصطفاء في اللغة تناول صفْوِ الشيء كما أن الاخْتيار تناول خيرِه أن تأخذ **أصفى** مـا في الشيء **اصطفاء** وأن تأْخذ أَخْير ما في الشيء اخْتيار ، و**صفْوة** الشيء ما **صـفا** وخلـص والنبي عليه الصلاة والسلام كما تعلمون جميعاً **صفْوة** الله من خلقه ؛ من الـذي **اصـطفاه** ؟ **المصطفي** الله جل جلاله هو الذي **اصطفى** النبي صلى الله عليه وسلّم وجعلَه **صـفْوة** خلْقـه ، وتقول : **صفا** الجو لم تكُن فيه لطْخَة غَيمٍ سماء صافيةٌ زرقاء و**اصطفاه** أخذَ منه **صـفْوه** أي خياره .

ولو **اصطَفَيت** الفاكهة أخَذْت أطْيبها وأكْبرها إن كان الكبر فيها له ميزة أو أصـغَرها إن كان الصغَر له فيها ميزة أو أشدها زهواً إن كان اللون أجمل ما فيها ، و**الصفي** هو الحبيـب **المصافي** و**صافاه مصافاةً** صدقه في الإخاء والمودة ، والعسل **المصفى** كما تعلمون الذي أزيل عنه الشمع والقذى ، و**اصطَفَيت** كذا على كذا أي اخْتَرت كذا على كذا وهـي بعـض معـاني **الاصطفاء** في اللغة.

اصطفى الله بعض عباده قد يكون بإيجاده صافياً وقد يكون باخْتياره مـن بـين عبـاده المتَفَوقين قال تعالى :

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ

﴿٣٣﴾

(سورة آل عمران)

أيها الإخوة موضوع دقيق دقيق ، لو أن الله سبحانه وتعالى خلق في الإنسان **الصـفْوة** والخيرة عن غير قصد منه وعن غير إرادة واخْتيار لما كان لِكلمة **الاصطفاء** معنـى ، لكـن لِخلْق الله الناس من نفْسٍ واحدة أي من خصائص واحدة ومن جِبِلة واحدة ومن فطرة واحـدة ولأن الله عز وجل خلق البشر جميعاً من صبغة واحدة وخصائص واحدة وانْطلقـوا يحسـب اخْتيارهم وأهدافهم ، فإن الله تعالى بعد ذلك **اصطفى** منهم خيارهم قال تعالى :

"إن الله اصطفى آدم ونُوحا وآلَ إبراهيم وآلَ عمران على العالمين " .

إذاً هناك **بالاصطفاء** شيء كسبي وشيء وهبي وأوضح مثَلٍ لو أننا نريد أن نعين إنساناً في وظيفة مرموقة جداً وهذه الوظيفة تحتاج إلى لغة وإلى قُدرات وقوة شخصية وإلـى ثقافـة عامة وإلْمامٍ بالعلوم والحقوق وأجرينا مسابقة واشْتَرطْنا فيها إجازة في اللغة الإنجليزية وإجازة في العلوم والحقوق وهيئات معينة وملَكات معينة وخصائص ومن كل هذا الحشد نخْتار مـن بين المائة واحداً وهو كله كسبي كسبه المتسابِقون أما حينما نختار أحـدهم ونُعطيـه مهمـة ومركبة وراتباً ضخْماً وصلاحيات كبيرة وهذا وهبي .

في **الاصطفاء** هناك جانب كسبي وجانب وهبي ولو أن **الاصـطفاء** كلـه وهبـي لفَقَـد **الاصطفاء** معناه فَمثلاً لو أعطَينا الأسئِلة لِطلاَبٍ ثم طَرحنا السؤال على كل الطلاب فإذا بِهـذا الطالب ينال الدرجات التامة عنْدئذ نقول : هذا **نصطَفيه** فهذا **الاصطفاء** لا معنى لـه إذْ لـيس هناك تكافؤ فُرص وليس هناك تساوٍ بين الطلاب أما حينما تكافؤ الطلاب جميعـا فـي عـدد الأسئلة ويفوز أحدهم بِالدرجة الأولى عن جدارة وأهلية عندها نقول : فلان **اصطَفيناه** لِيتـابع تعليمه في جامعات الغرب.

فهذا **الاصطفاء** له معنى ، إذاً عندما ينعدم تكافؤ الفُرص ولم يكن تساوٍ بين المطلـوب ، ولم تتوفر خصائص مشْتَركة ف**الاصطفاء** لا معنى له ، **الاصطفاء** فيه جانب كسـبي وآخـر وهبي فالجانب الكسبي أن الله سبحانه وتعالى علم من بين خلقه أكثـرهم معرِفـةً وأكثـرهم استقامة وتضحيةً وإيثاراً وأكثرهم قرباً وأكثرهم إقْبالاً فاصطَفاه وجعله نبياً لذلك قـال عليـه الصلاة والسلام:

عن أنس : إن الله اختارني واختار لي أصحابا واختار لي منهم أصهارا وأنصارا فمـن حفظني فيهم حفظة الله ومن آذاني فيهم آذاه الله

الاصطفاء فيه جانب كسبي وآخر وهبي فإذا أَلْغَينا الكسبي أبطَلْنا معنى **الاصـطفاء** وإذا أَلْغَينا الوهبي أبطَلْنا ميزات **الاصطفاء** يقول الله عز وجل :

وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبۡرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعۡقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٣٢﴾

(سورة البقرة)

فما معنى هذه الآية ؟ معنى ذلك أن الدين **صاف** من كل شائِبة ومن كل ريـبٍ وشـك وتطرف وغُلُو ومن كل بعد عن الحقيقة قال تعالى :

ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ﴿٢﴾

(سورة البقرة)

وقال تعالى :

ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ

(سورة المائدة)

إن الله **اصـطفى** لكم الدين فلا تموتُن إلا وأنتم مسلمون ، كل من يعتَقد أن هـذا الـدين يحتاج إلى تبديل إلى إضافة أو تعديل أو حذف أو تغيير هو إنسان يرد كلام الله عز وجل ؛ إن الله **اصطفى** لكم الدين فلا تموتُن إلا وأنتم مسلمون أي أن القضايا التي عالجها الـدين قضـايا تامة وأن طريقة المعالجة طريقة كاملة .

وفي آل عمران قوله تعالى :

" **إن الله اصطفَى آدم ونُوحا وآلَ إبراهيم وآلَ عمران على العالمين** " .

أية قصة تنال من الأنبياء وتجعلهم كبقية البشر ينْحرِفون ويرتَكبون المعاصـي والآثـام كما ورد في الكتب القديمة المقدسة التي نُحلت وأُضيف عليها وحذف منها هذه قصص باطلـة لا تقوم على أساس لأن الله سبحانه وتعالى يقول :

" **إن الله اصطفَى آدم ونُوحا وآلَ إبراهيم وآلَ عمران على العالمين** " .

اخْتارهم على علْمٍ ، أيضاً **اصطفى** النبي عليه الصلاة والسلام لِيكون سيد البشر وخـاتم الأنبياء ولِيكون **صفْوة** البشر لذلك فالنبي عليه الصلاة والسلام حبيب الله وخليل الله و**صفي** الله وخيرة الله من خلقه .

وقال تعالى :

وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾

(سورة آل عمران)

أول **اصطفاء** واضح ولكن ما معنى **الاصطفاء** الثـاني ؟ إن الله اصـطفاك وطهـرك **واصطفاك** على نساء العالمين .

قال بعض المفسرين : " **الاصطفاء** الأول هو **اصطفاء** القُرب من الله و**الاصطفاء** الثاني أن هذه السيدة اخْتَصها الله بِأن تُنْجِب ابنها من دون زواج " أنى لك هذا ؟ قالت هو من عنـد الله .

وقال تعالى :

قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِى وَبِكَلَٰمِى فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾

(سورة الأعراف)

لو أردنا أن نُوسع الدائرة ؛ فأنت حينما تريد أن تُخْلص لله عز وجل وحينما تطلب العلم حثيثاً وحينما تعمل بِما علمت وتتقي الشبهات وتنطلق إلى الله بِهمة عالية فلعلّ الله **يصـطفيك** ويسمح لك أن تُعرف به وهذا شرفٌ عظيم ، فالإنسان الصادق إذا دعا إلى الله لا يرى إلا أن الله تعالى تفضل عليه وسمح له أن يدعو إلى الله وأن يتحدث عن الله وإلا كان في وضعٍ آخر .

" **قَالَ يا موسى إِني اصطَفَيتُك على الناس بِرسالاتي وبِكلامي فَخُذْ ما آتَيتُك وكُن مـن الشاكرين** "

هذه آية دقيقة جداً أي أن مهمة العبد تنتهي حينما يطيع الله عز وجل ثم يتلقـى الخيـر بِالشكر والامتنان ؛ تنتهي مهمتُك عند الطاعة والشكر وما سوى ذلك فهو من شأن الله لا مـن شأنك :

" قالَ يا موسى إني اصطفيتُك على الناس برسالاتي وبكلامي فخُذْ ما آتيتُك وكُن من الشاكرين " ،

طبقْ ما أمرتُك به ، ويؤيد هذا المعنى قولُه تعالى :

بَلِ ٱللَّهَ فَٱعۡبُدۡ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ٦٦

(سورة الزمر)

فالإنسان أحياناً يحمل هموم الأرض وأحياناً يتمزق ولكن لو عرف أنّه ليس مكلفاً إلا أن يطيع الله عز وجل وأن يشكُره لحلت مشْكلاته ؛ أنت تريد وأنا أريد والله يفعل ما يريد ؛

وَلِلَّهِ غَيۡبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَإِلَيۡهِ يُرۡجَعُ ٱلۡأَمۡرُ كُلُّهُۥ فَٱعۡبُدۡهُ وَتَوَكَّلۡ عَلَيۡهِۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ١٢٣

(سورة هود)

إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيۡهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمًا ١٠

(سورة الفتح)

وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطُۢ ٢٠

(سورة البروج)

وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٤﴾

(سورة الزخرف)

" بلْ الله فَاعبد وكُن من الشاكرين " .

" قَالَ يا موسى إِني اصطَفَيتُك على الناس بِرسالاتي وبِكَلامي فَخُذْ ما آتَيتُك وكُن مـن الشاكرين "

وقد يقول أحدكم ما علاقتنا بِهذا الدرس **إذْ الاصطفاء** للأنبياء ونحـن لسـنا أَنْبِيـاء ولا صديقين؟ استَمع أيها الأخ الكريم وأَبشر بِقولِه تعالى :

ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٧٥﴾

(سورة الحج)

لا تجد إنساناً دعا إلى الله إلا وسمح له ؛ فإن كانت دعوتُه صادقة يوفقُه ويصرف قلوب الناس إليه و من ثم تهفو إليه القلوب وتستَفيد منه وتنْعقد صلَتُها بالله عن طريق تَوجيهه فهـذا نَوع من **الاصطفاء** قال تعالى :

فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْـَٔاصَالِ ﴿٣٦﴾

(سورة النور)

أي أذن الله تعالى أن تُرفَع وأذن لِمن فيها أن يذكروا اسمه ، دلِئما الأشياء التي تخـص الأنبياء يمكن أن تُوسع الدائرة لتشمل كل صادق ليعمل مثل عملهم ولعل الله سبحانه وتعـالى يطْلق لِسانك ويلْهمك الصواب والكلام السديد والحكْمة وقَلْباً متَأججاً وتهفو إليه القلوب كل هذا نوع من **الاصطفاء** وما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ، قال تعالى :

" إِن الله اصطَفَى آدم ونُوحا وآلَ إِبراهيم وآلَ عمران على الْعالمين " .

" **وإذْ قالتْ الملائكةُ يا مريم إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين** "

.

" **قالَ يا موسى إني اصطفيتُك على الناس برسالاتي وبكلامي فَخُذْ ما آتيتُك وكُن من الشاكرين** " .

وقال تعالى :

" **الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس إن الله سميع بصير** " .

كل هذه الآيات فعلها في الماضي إلا هذه الآية الله يصطفي فَفعلها في الحاضر وهو فعلٌ مضارع يدل على الاستمرار فالله دائِماً **يصطفي** فإذا كنت من عباد الله الذين **اصطفاهم** الله عز وجل وسمح لهم أن ينْطقوا باسمه وأن ينْقُلوا للناس الحقائق وأن يكونوا دعاة خير لا دعاة شر ومفاتيح خير لا مفاتيح شر فهذا من أعظم العطاءات .

سمعت أن أحد الذين اخْتَرعوا برامج الحاسوب وتَفَوقوا جداً في مجالها كان أحدهم رغم أنه شاب في مقتبل العمر يملك ثلاثة وعشرين مليار دولارٍ أما حينما **يصطفيك** الله عز وجل لِتَنْطق بالحق وليكون عملُك في خدمة الخلق فإن هذا الاصطفاء هو العطاء الكبير الذي يربو على كل المليارات قال تعالى :

أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ﴿٣﴾ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾ فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ﴿٧﴾ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ﴿٨﴾

(سورة الشرح)

وقال تعالى :

وَٱلضُّحَىٰ ﴿١﴾ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ﴿٢﴾ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴿٣﴾
وَلَلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لَّكَ مِنَ ٱلۡأُولَىٰ ﴿٤﴾ وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ ﴿٥﴾
أَلَمۡ يَجِدۡكَ يَتِيمٗا فَـَٔاوَىٰ ﴿٦﴾ وَوَجَدَكَ ضَآلّٗا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾ وَوَجَدَكَ عَآئِلٗا
فَأَغۡنَىٰ ﴿٨﴾ فَأَمَّا ٱلۡيَتِيمَ فَلَا تَقۡهَرۡ ﴿٩﴾ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنۡهَرۡ ﴿١٠﴾ وَأَمَّا
بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثۡ ﴿١١﴾

(سورة الضحى)

هذا اصطفاء وقال تعالى :

لَعَمۡرُكَ إِنَّهُمۡ لَفِي سَكۡرَتِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ﴿٧٢﴾

(سورة الحجر)

وقال تعالى :

۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ
رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾

(سورة المائدة)

ولم يقل يا محمد . بل خاطبه وناداه يا أيها الرسول ، كل هذا اصطفاء ، ولقد أسري بالنبي صلى الله عليه وسلّم إلى بيت المقدس وعرج به إلى السماء وعلم وهو في السماء أنه سيد الخلق وحبيب الحق هذا كله من **الاصطفاء** ، بل قل غاية الاصطفاء .

عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول إذا سمعتُم المؤذن فقُولوا مثْلَ ما يقُولُ ثُم صلوا علي فإنه من صلى علي صلاةً صلى الله عليه بها عشْرا ثُم سلُوا الله لِي الْوسيلةَ فإنها منْزلةٌ في الْجنة لا تَنْبغي إِلا لِعبد من عباد الله وأرجو أن أكُون أنَا هو فمن سأَلَ لِي الْوسيلةَ حلتْ له الشفَاعةُ

(رواه مسلم)

أما البشارة أليس بعد النبي علماء أجِلاء أليس هناك دعاة مخْلصون وفقهاء ومحـدثون أليس هناك من دعوا إلى الله ، كل هؤلاء بالمعنى الواسع اصطَفاهم الله وأجرى على أيـديهم الخير وَأَنْطَق لِسانهم بالحق وجعل قلوب الناس تهفو إليهم ؛ هذا نوع من **الاصطفاء** .

لعلّ من أعظم طموحات المؤمن أن **يصطَفيه** الله عز وجل لِيكون داعيةً إليه ؛ يـا رب لقد شَرفْتني بمعرِفَتك والدعوة إليك فإن علمتَ صدق نيتي فاحفظْها لـي واحفَظْنـي لهـا وإن علمتَ خلاف ذلك فعالِجني قبل أن أموت ، فَعلى الإنْسان أن يطْمح ؛ ما هو دورك في الحيـاة ؟ هل هو الأكل والشرب والنوم والراحة واللهو واللعب ؟ أم هو معرِفة الله ولنُشَمر من أجـل أن نُطيعه ونتقرب إليه ؛ هذه بشارة :

" **الله يصطَفي من الْملائِكة رسلا ومن الناس إِن الله سميع بصير** " .

هؤلاء الذين عكفوا على العلْم وتَركوا مؤَلفات قيمة تجدها في كل بيت ، الإمام النـووي ألفَ كتاباً بالفقْه يعد فريداً في بابه وهو مغْني المحتاج وَألفَ كتاب الأذْكار ورِياض الصالحين وهذا الإمام الشافعي أول من ألف في أصول الفقْه وله كتاب الأم وله المذهب الشافعي هـؤلاء الذين اصطفاهم الله ومكنَهم من العلم وجعلَ لهم بصمات واضحة في الحيـاة فهـؤلاء أيضـاً بالمعنى الموسع ممن اصطفاهم الله عز وجل .

إذا كنت ممن اصطفاه الله عز وجل فلَقَد علم فيك الإخلاص والصدق والحب والطاعـة والورع فكُنت ممن اصطفاهم الله عز وجل ، ماذا ينتظرك في الدنيا والآخرة قال تعالى :

قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾

(سورة النمل)

فإذا كنت ممن اصطفاه الله عز وجل فأنت في سلامٍ ؛ في سلامٍ مع نفْسك وفي سلامٍ مع من هم حولك وفي سلامٍ مع ربك وحياتك سلام وتنْتَقل بعدها إلى دار السلام وتَتصل نعم الدنيا بنعمِ الآخرة .

ومن تَكْرِمة الله للنبي عليه الصلاة والسلام أن الله **اصطفاه واصطفى** له أصحابه ، فـإذا كنت تعيش ببلَد وحولك مؤمنون أطْهار طيبون وأتْقياء مخلصون ومحبون هذه حيـاةٌ متَميـزة وهذه الحياة قَدرها الله لك وليس هناك إنسان أسعد من أن يعيش مع أناس يتفاهمون فيما بينهم تحدوهم في علاقاتهم مرضاة الله . ومع من يكون على شاكلَته ومع الـذي يقَـدر مـا يقَـدر

ويبغض ما يبغض لا تُصاحب من لا ينْهضك حاله ولا يداك على الله مقالُه ولا تُصاحب من لا يرى لك من الفضل مثل ما ترى له .

فمن نعم الله الكُبرى على المؤمن أنه يعيش بين المؤمنين ؛ هـ و ظ ـاهر وحالُـه بـين الأطهار وهو صادق وهو بين الصادقين وهو محب لله ورسوله وهو بين المحبين فأجمل مـا في الحياة أن تعيش مع إنْسانٍ هو على شاكلتك يفهمك سلوكاً وعملاً ، ويفْهم منك وتفْهم منه ، هذه هي الحياة الحقيقية ، لذلك حينما اخْتار النبي عليه الصلاة والسلام سيدنا الصديق لِصحبته في الهجرة بكى من شدة الفَرح ، قال تعالى :

" **قُلْ الحمد لِلّه وسلام على عباده الذين اصطفَى آالله خَير أما يشْركُون** ".

إذا كان الله **صفيك** وإذا كانت مودتُك وحبك وطاعتُك لله عز وجل هذا خيـر لـك أم أن تكون لإنسانٍ لئيمٍ قوي لا يعرِف حجم تضحيتك من أجله فرقٌ كبير ؛ " **آالله خَير أما يشْركُون** " ؟ هذا استفهام إنْكار وليس هناك شيء يجمع بين حالتين قال تعالى :

أَفَمَن وَعَدْنَـٰهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَـٰقِيهِ كَمَن مَّتَّعْنَـٰهُ مَتَـٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴿٦١﴾

(سورة القصص)

وقال تعالى :

أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ لَّا يَسْتَوُۥنَ ﴿١٨﴾

(سورة السجدة)

وقال تعالى :

أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾

(سورة القلم)

وقال تعالى :

قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾

(سورة الزمر)

قال تعالى :

ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾

(سورة فاطر)

فإذا آتاك الله الكتاب تلاوةً وفَهماً وتطبيقاً فقد أوتيت خيراً كثيراً ومن أوتي القرآن وظن أن أحداً أوتي خيراً منه فقد حقر ما عظمه الله فالقرآن غنى لا فقْر بعده ، قال تعالى :

" **ثُم أَورثْنَا الْكتَاب الذين اصطفَينَا من عبادنَا فَمنْهم ظَالِم لِنَفْسه ومنْهم مقْتَصد ومنْهم سابِقٌ بِالْخَيرات بِإِذْن الله ذَلِك هو الْفَضلُ الْكَبِير** " .

من العباد حيال الكتاب من هو ظالِم لِنَفْسه ومنهم من هو مقْتَصد في فعل الخيرات ومنهم من هو سابِقٌ بِالخيرات بِإِذْن الله ، أَتُلاحظون **الاصطفاء** ؟

مثَلاً لدينا مائة طالِبٍ يريدون أن يتخرجوا من الجامعة ونريد أن نصطفي واحداً منهم ليكون في منْصبٍ رفيع لِيكون عميد كلية مثلاً أو أُستاذاً في الجامعة أو رئيس المجمع العلمي العربي فَحينما يصطفى من بين المتَفَوقين فهذه هي الجهة الكسبية ويمنَح اخْتصاصات ومكافآت وميزات وهذه الجهة الوهبية ، ففي **الاصطفاء** جانب كسبي وإلا لا معنى للاصطفاء وفي **الاصطفاء** جانب وهبي وإلا لا ميزة له عنْدئذ .

وفي القرآن الكريم يتحدث الله عن الأنبياء الكرام قوله تعالى :

وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٧﴾

(سورة ص)

الأنبياء **مصـطَفَون** فَهم قمم في الكمال ونُخْبةٌ البشَرية وقمم المجتَمع البشـري وملـوك البشر هؤلاء الصحابة الكرام ملوك المسلمين بالمعنى الروحي والأنبياء والمرسلون **صفْوة** الله من خَلْقه قال تعالى :

وَٱذْكُرْ عِبَـٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَـٰرِ ﴿٤٥﴾

(سورة ص)

رؤْيتُهم عميقة وأعمالُهم طيبة ؛ واذْكر عبادنا إبراهيم واسحق ويعقوب أولـي الأيـدي والأبصار فهم بقَدر ما هم متَفَوقون في رؤْيتهم بقَدر ما هم طيبون في أعمالهم .

أيها الإخوة الكرام ، علُو الهمة من الإيمان ، حينما يسمح الله لـك أن **يصـطفيك** أو أن يقَربك أو أن يلْهمك أو أن يجعلَك تنْطق بالحق أو أن يجعل هداية الناس على يديك أو أن تهفو قلوب المؤمنين إليك هذا نوع من **الاصطفاء** وما عند الله لا ينال بمعصية الله ألا إن سـلْعة الله غالية ألا إن سلعة الله الجنة ويجب أيها الإخوة أن تتأكّدوا أنه لا بد من الابتلاء والإنْسان كما تعلمون يمر بمراحل ثلاث :

- مرحلة يؤدب
- مرحلة يبتلى
- مرحلة يكرم

ففي مرحلة يؤدب وفي مرحلة يبتلى وفي مرحلة يكرم وهذه المراحل قد تتـداخل وقـد تتمايز لكن لا بد من التأديب ولا بد من الابتلاء ولا بد من الإكرام والعطاء لأن هذه سـنّة الله في خلْقه وقد ورد في تفسير قوله تعالى :

وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾

(سورة الرحمن)

جنّة في الدنيا وجنّة في الآخرة .

التطبيق العملي أو موقف المؤمن من هذا الاسم العظيم **المصطفي**، فَموقف المؤمن أنـه يطْمح في **اصطفاء** الله له لِخدمة خلْقه ، ومن هنا قال الله عز وجل :

۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَۖ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ وَٱلۡقُرۡءَانِۚ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِۚ فَٱسۡتَبۡشِرُواْ بِبَيۡعِكُمُ ٱلَّذِي بَايَعۡتُم بِهِۦۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١١١

(سورة التوبة)

حينما **اصطفى** الله عبده المؤمن فهذا المؤمن باع نفْسه لله ، أريد أن أُوسع الموضـوع ؛ الأنبياء **مصطَفَون** والرسل **مصطَفَون** الرسل قمم البشر والرسل **صفْوة** البشر ولكن المـؤمنين لهم قدر يسير على قدر إخلاصهم وعلى قدرِ طاعتهم لله فالله يكلف الإنسان أعمـالاً يجريهـا على يديه ويرفَعه بها فهذا نوع من **الاصطفاء** .

أعرِف شخْصاً قرأ القرآن في الخامسة والخمسين من عمره وحفظَه وكان طُموحـه أن يكون إماماً في مسجِد وسبحان الله قرأ القرآن وحفظه وعين إماماً لِمسجِد جيد فصار يصـلي الصلوات الخمس وله بعد الصلوات كلمةً يلْقيها على الناس هذا طُموحه **فاصطَفاه** الله عز وجل فالأمور دقيقة عند الله تعالى يحسبِ صدق الإنسان وطاعته لله **يصطَفيه** قال تعالى :

وَجَعَلۡنَا مِنۡهُمۡ أَئِمَّةٗ يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا لَمَّا صَبَرُواْۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ٢٤

(سورة السجدة)

فالصبر إذاً طريق **الاصطفاء** هذا أولاً وقوله تعالى :

۞ وَإِذِ ٱبۡتَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٖ فَأَتَمَّهُنَّۖ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامٗاۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِيۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهۡدِي ٱلظَّٰلِمِينَ ١٢٤

(سورة البقرة)

فَتَطْبيق الأمر والطاعة مع الإخلاص سبيلٌ إلى **الاصطفاء** هذا ثانياً ، وقوله تعالى :

وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾

(سورة يس)

فالترفع عن حطام الدنيا وعن متَاعها ومالِها وعن مكْتَسباتها سبيلٌ إلى **الاصطفاء** هـذا ثالثاً وقوله تعالى :

شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾

(سورة آل عمران)

فطلب العلم طريق إلى **الاصطفاء** ، تَصور إنساناً درس الابتدائي والإعدادي والثـانوي ونال درجات عالية جداً ثم دخل كلية الطب وتخرج طبيباً ثم تابع دراستَه العلْيا وعـاد بِـأكبر شهادة في العالم ؛ ماذا ينْبغي أن يفْعل هذا الإنسان بعد أن تخرج ونال الدرجة العلْيا ؟ ينْبغـي أن يطَبب الناس ويفْتَح عيادة وإلا لا معنى لِهذه الدراسة .

دقق الآن ! أنت حينما تطلب العلم تُؤَهل نفْسك لِماذا ؟ للدعوة إلى الله ومن الذي سوف يسمح لك أن تَدعو إلَيه ؟ هو الله ، فالله عز وجل بِطريقة أو أُخْرى بِشَكْلٍ معـروف أو غيـرِ معروف ييسر لك طريق الدعوة إليه لأنَّك تعلمت العلم فَصرتَ مؤَهلاً أن تدعو إلى الله ، فكل إنسان يطلب العلم بِإخلاص ويسعى لِطاعته تعالى بِإخلاص ويحرص على رِضوان الله وعلى القُربِ منه **يصطَفيه** الله عز وجل ويجري على يديه الخير بل بِالتعبير الشـائِع : " الله جبـار الخواطر " .

عندما يتعلم الإنسان يتعلم علْماً صحيحاً ويلْزم مجالِس العلْم ويجالس على ركْبتَيه ويطْلُب العلم لا بد من أن **يصطَفيه** الله عز وجل بِالمعنى الواسع فَيجعلُه بِشَكْلٍ أو بِآخر باباً للخيـر ، لذلك من أدعية النبي عليه الصلاة والسلام :

" **اللهم ارزقني طيباً واستَعملني صالِحاً** " ،

حدثَ عن بعض العلماء بأنه : اشْترى الصابون كَفَنَه والصابون الذي ينْبغي أن يكَفن به من بلَد ليس فيه مالٌ مغْتَصب من شدة الورع .

فالإنسان عليه أن يدعو : " اللهم ارزقني طيباً واستَعملني صالِحاً " ما معنى : واستَعملني صالِحاً ؟ أي الله **يصطفيك** لِعملٍ صالِحٍ وما معنى الحكْمة القائلة : إذا أردت أن تعرِف فيم أقامك فانْظر فيم استَعملك ؟ يعني الله اصطَفاك ، تجد شخْصاً آتاه الله حكْمة يتصرف فيها وفهماً دقيقاً وخبرات معينَة وعلْماً ودعوةً وجاهاً وقوةً وطلاقة وحكْمة فكل إنسان يهيئ نفسه لِفعل الخير الله جل جلاله لابد من أن يجرِ بكسره ويجري على يديه فعل الخير ، قد تقول : أنا من أنا حتى **أُصطفى** ؟ أنت إنسان ومؤَهل أن تكون من **المصطفين** هذا بالمعنى الواسع ؛ إن قلت بالمعنى الواسع هذا للمؤمنين وإن قلت بالمعنى الضيق فهم الأنبياء والمرسلون لأن الله **يصطفي** من الملائكة رسلاً ومن الناس قلَما يطلق الله تعالى لِسانك ويجعل قلوب الناس تهفو إليك فهذا هو معنى **الاصطفاء** وهو المعنى الموسع فإذا مكنَك الله من بناء مسجِد فهذا نوع من الاصطفاء ، وتُطْعم الناس من مالك الحلال فهذا نوع من الاصطفاء كذلك وإذا سمح لك أن تُعطي وقدر لك من يأخذ وسمح لك فهذا كذلك نوع من الاصطفاء ، تكون في بيت من بيوت الله وليس في ملهى من ملاهي الشياطين .

أنا لا أنْسى أني كنت مدعواً وعليك أن تحمد الله ذات مرة لافْتتاح مسجِد وجلس بِجانْبي مدير الأوقاف الذي سيفْتتَح هذا المسجِد ، فقلت له أُشْكُر الله عز وجل على أنه قد قدر الله على يديك أن تفْتَتح هذا المسجد إذْ هناك من يفْتَتح الملاهي ودور القمار ، قد تسعى وتهنأ فيكون عملُك مع العلماء فهناك من يعمل مع الفنانين ومع طبقات أخرى من الناس لهم انحرافاتهم فيشقى بهم ومعهم ، وهناك من يرعى شؤون المساجد فليحمد الله وهناك من يرعى شؤون الملاهي فليبتئس وليندب نفسه ، وآخر يفَكر كيف يدعو إلى الله وذاك يفَكر كيف يدعو إلى الشيطان وإلى المعاصي والآثام فلما يجند الإنسان نفسه لِطاعة الله **يصطفيه** الله تعالى فالله إذا أعطى أدهش .

هل تجد إنساناً في الأرض أعزه الله كالنبي عليه الصلاة والسلام ؟ شيء غير معقول أربعة ملايين إنسان يذهبون إلى الحج كل عامٍ ويزورون جميعاً النبي عليه الصلاة والسلام ويقفون أمام مقامه يبكون ولم يلْتَقوا به ولا سمعوا من كلامه ولا نالوا من ماله وبينه وبينهم آلاف الكيلومتْرات فما الذي هداهم إلى أن يأْتوا إلى مقامه الشريف ؟ متَذللين باكين متَضرعين ؛ هذا **اصطفاء** فالله تعالى لما قال :

" **وجعلْنَا منْهم أَئمةً يهدون بِأَمرنَا لما صبروا وكَانُوا بِآياتنَا يوقنُون** " ،

جعل الصبر طريق **الاصطفاء** وقوله تعالى :

" **وإِذْ ابتَلَى إِبراهيم ربه بِكلمات فَأَتَمهن قَالَ إِني جاعلُك لِلناس إِماما قَالَ ومن ذُريتي قَالَ لا ينَالُ عهدي الظَالِمين** " .

فالطاعة التامة المخْلصة طريق **الاصطفاء** وقوله تعالى :

وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ ٱتَّبِعُوا۟ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٢١﴾

(سورة يس)

فالترفع عن الدنيا طريق **الاصطفاء** وقوله تعالى :

شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾

(سورة آل عمران)

فَطَلَب العلم طريق **الاصطفاء** ، وقوله تعالى :

ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾

(سورة الأحزاب)

فعليك ألا تخشى إلا الله ، فهذا طريق **الاصطفاء** ؛ فلا أريد أن يكون درسي نظرياً وإنما أريده عملياً ؛ كُن طموحاً لقد قلت البارحة كلمة : أحياناً يتوهم الإنسان أن الدعاة هم خطَبـاء المساجد دون غيرهم ! لا ... أنت لديك أقْرباء وأصدقاء وجيـران وزمـلاء وأولاد وإخـوة وأخوات ... ألا تستطيع أن تنْصحهم وأن تجالس معهم وأن تُعلمهم وتهدية إليهم تكسب ودهـم وقلوبهم وإصغاءهم لحديثك ، ولك أن تكون من **المصطفَين** الأخْيار إذا كنت مخْلصاً لله الكبير ؛ إذاً طريق **الاصطفاء** يحتاج إلى طاعة وإلى طلب علْمٍ وإلى إخْلاص وإلى حب وإلى شجاعة وإلى جرأة فلَعل الله تعالى يصطفيك قال تعالى :

أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ لَّا يَسْتَوُۥنَ ﴿١٨﴾

(سورة السجدة)

وقال تعالى :

أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾

(سورة القلم)

إنسان همه الوحيد أن يرسخ الحق في المجتَمع ويدخل السعادة على المـؤمنين وآخـر هدفه أن يبني مجده على أنقاض الآخرين وغناه على فقْرهم وحياته على موتهم وأَمنَـه علـى خوفهم شتان بين هؤلاء وهؤلاء ! فلذلك ضع نفْسك موضعاً **يصطفيك** الله في هـذا الموضـع وليس الولي الذي يطير في الهواء ولا الذي يمشي على وجه الماء ولكن الولي كل الـولي أن يجدك الله حيث أمرك ويفْقدك حيث نهاك فإذا كنت في مجلسٍ وكانت هناك غيبة سكتّ أو قُمت وفارقت أهل المجلس فأنت الآن تَتَوسل أن **يصطفيك** الله عز وجل والله تعـالى مـن أسـمائه **المصطفي يصطفي** وإذا **اصطفى** مؤمنا فهو في سلامٍ معه والمؤمن في سـلام إذا كـان قـد **اصطفاه** الله عز وجل لكن قال تعالى :

أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾

(سورة العنكبوت)

لابد من الابتلاء .

أيها الإخوة الكرام : اسم **المصطفي** من أسماء الله الحسنى وهذا الاسـم مـرتَبِط أشـد الارتباط بالمؤمنين وكلما جهدوا بطاعته والفَوز برضاه **اصطفاهم** وكرمهم وأجرى على أيديهم الخير والغنى الحقيقي أن يجعلك الله مفْتاحاً للخير مغْلاقاً للشر ؛

عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن في بعـض مـا أنزل الله في الكتب : إني أنا الله لا إله إلا أنا ، قدرت الخير والشر فطوبى لمن قدرت علـى يده الخير ويسرته له، وويل لمن قدرت على يده الشر ويسرته له.. إني أنا الله لا إله إلا أنا لا أسأل عما أفعل وهم يسألون ، فويل لمن قال وكيف".

والحمد لله رب العالمين

الـ ـدرس ٩٦ – اسم الله : الديان .

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الإخوة الكرام ؛ مع الدرس السابع والتسعين من دروس أسماء الله الحسنى والاسم اليوم **الديان** ، كثيراً ما يقول العلماء في كلماتهم : الواحد **الديان** الذي يدين له الخلق أجمعون ، و**الـديان** هو اسم من أسماء الله الحسنى وهو زائِد كما تعلمون عن الأسماء التسعة والتسـعين كما ورد هذا في أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلّم .

في اللغة الدين بِكسر الدال ؛ الدين شيء والدين شيء آخر فالدين هو الجزاء والمكافـأة والدين هو العبادة والعبادة خُضوع لله عز وجل غاية الخُضوع مع غاية الحب وكلكم يعلـم أن في اللغة عباد وعبيد ، العباد جمع عبد الشكر بينما العبيد جمع عبد القهر وكل إنسانٍ عبـد لله عز وجل بِمعنى أن ناصيتَه بيد الله عز وجل وأنه مقْهور في وجوده وفي اسـتمرار وجـوده وفي سلامة وجوده وفي كمال وجوده لله عز وجل ؛ وجوده متَوقفٌ على إمداد الله له وكـذا استمرار وجوده وسلامة وجوده متَوقفٌ على حفْظ الله له وكمال وجوده متَوقفٌ على إكْرام الله له .

إذاً عبد القهر العبد الذي لا يملك لأمرِه شيئاً والعبد الذي هو في قبضة الله وأقْرب شاهد لِهذا الكلام أن نُقْطَةً من الدم إذا تجمدت في أحد أوعية الدماغ انْقَلبت حياة الإنسان إلى جحـيم وصار طريح الفراش ؛وإذا تجمدت في مكانٍ آخر يفْقد ذاكرتَه ولا يعرِف أولاده وفي مكـانٍ ثالث يفْقد سمعه وبصره فالإنسان لا يملك شيئاً قال تعالى :

قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾

(سورة آل عمران)

فهذا عبد القَهر فمن هو عبد الشكر ؟ هو الذي عرف الله ابتداء وعرف منهجه الكُتسـاباً وأقْبل عليه شَوقاً وخضع إلى أمره عبودية هذا عبد الشكر وعبد الشكر يجمع على عباد قـال تعالى :

وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا ﴿٦٣﴾

(سورة الفرقان)

أما عبد القهر يجمع على عبيد قال تعالى :

مَّنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا فَلِنَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ أَسَآءَ فَعَلَيۡهَاۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ﴿٤٦﴾

(سورة فصلت)

فالعباد شيء والعبيد شيء آخر ، والدين بِكسر الدال العبادة ويعني الخُضوع والطاعـة والدين الطاعة والحساب قال تعالى :

إِنَّ إِلَيۡنَآ إِيَابَهُمۡ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيۡنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾

(سورة الغاشية)

من الذي يحاسب ؟ هو المقْهور أما القاهر فلا يحاسب ؛ الموظف إذا فـرغ صـنْدوقُه يحاسب لأنّه مقْهور ولماذا الصندوق مكْسور ؛ يحاسب ويوضع في السجن فالـذي يحاسـب مقْهور دائِماً **فالدين** الطاعة والحساب والقَهر و**الدين** الغَلَبة والاستعلاء و**الدين** الملة والمـذهب تقول : فلان **دينُه** الإسلام ؛ هذا ما ورد في معاجِم اللغة حول كلمة **الدين** ؛ الجزاء والمكافَـأة والعبادة والطاعة والحساب والقَهر والغَلَبة والاستعلاء والملة ، أما **الديان** فَهو اسم من أسـماء الله الحسنى وقيل هو القهار والحافظ وهو القاضي :

إذا جار الأمير وحاجِبـاه ... وقاضي الأرض أسرفَ في القضاء

فَويلٌ ثم ويلٌ ثم ويـــــلٌ لِقاضي الأرض من قاضي السـماء

قال تعالى :

إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾

(سورة البروج)

الإنسان حينما يتوهم أنه طليق وأنه يفْعل ما يريد ، ففي ثانية واحدة تجده في قبضة الله .

الديان صيغَة مبالَغَة على وزن فَعال وصيغة المبالَغَة إذا اقْتَرنَت باسمٍ مـن أسـماء الله الحسنى لها معنى خاص وصيغُ المبالغة في أسماء الله عز وجل لا تعني الذي نحـن نعنيـه ؛ تقول: بالغ فلان أي يعطي الأشياء حجما زائِداً وفلان يزيد عن الحقيقـة أشْـياء كثيـرة أمـا المبالَغَة في حق الله عز وجلّ التعظيم ؛ التعظيم الكمي والتعظيم النوعي .

فالديان على وزن فعال شداد قهار وغفار ومعنى **الديان** الدقيق الذي لا يضيع عملاً بل يجزي عليه بالخير أو الشر ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم :

" **أنه ما أحسن من مسلمٍ أو كافر إلا وقع أجره على الله في الدنْيا أم في الآخرة** " .

فأي عملٍ له جزاء ولو كان ابتغاء الدنيا فله جزاء في الدنيا ؛ أي عملٍ على الإطْـلاق صالِحاً كان أم طالِحاً صغيراً أو كبيراً لو أن الإنسان ترفق بِنَملة وهو يتوضـأ فَنَجاهـا مـن الغرق فهذا العمل له جزاؤُه ولو رأى قَشةً في المسجد فَحملها ووضعها في جيبه هذا العمل له جزاؤُه ولو أنه قبل ابنه فهذا العمل له جزاؤه ولو أنه ذال مستذلّ فهذا العمل له جزاؤُه **؛ الديا**ن هو الذي لا يضيع عملاً قال تعالى :

فَلَا تَهِنُوا۟ وَتَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ ﴿٣٥﴾

(سورة محمد)

البِر لا يبلى والذنْب لا ينسى و**الديان** لا يموت اعمل ما شئت كما تدين تُدان ، كنت مرةً مع أحد الأصدقاء فارتَكب حادث سير ، خلاصته أنه رجع إلى الوراء دون أن ينْتَبه وكانـت

وراءه سيارة فدخَل في مؤخرتها وكسر مصابيحها وأتْلف بعض أجزائها فنَزلَ صاحب السيارة التي ضربت فنَظَر إليه فقال : أنا أُسامحك اذْهب وشأْنَك ؛ لم أفهم أنا الذي جرى ! فـإذا بـي أرى من صديقي دمعةً تنْحدر على خَديه ، فقلت : لعله رجلٌ ميسور الحال سـامحك ، هـلا وفرت على جيبك ألْف ليرة أو ألْفَين ؟ فقال : ليس الأمر كذلك بل إنني قبل عامين كنت فـي بلَد مجاور فصدمت مركبةٌ سيارتي وأصابتْها بالعطَب وكان صاحب المركبة الصادمة رجـلٌ دين وزوجتُه محجبة وكذا بناتُه فما أردت أن أُفْسد عليهم نُزهتَهم فقُلْت له : انْطَلق أنا أُسامحك فذاك العمل لم يضع ثوابه بل بعد عامين جنيت ثواب ما قدمت ، وهو ما رأيته الآن ! وعلـى هذا قَس .

البِر لا يبلى والذنْب لا ينسى **والديان** لا يموت اعمل ما شئت كما تدين تُدان ، وما أكْرم شاب شَيخاً لِسنه إلا سخر الله له من يكْرِمه عند سنه فهذا شاب وقف بِمركبة عامة لِشَيخٍ كبير قد تدور الأيام وتَمضي على هذا الحادث خَمسون عاماً ولا بد من أن يقفَ شاب بِغايـة الأدب لِهذا الشيخ الذي كان شاباً ويقَدم له آيات التبجيل والاحترام ؛ بل إن القَرض يؤَدى وما قَـولُكم أن الله سبحانه وتعالى وصف كل عملٍ صالِحٍ على الإطْلاق تجاه أي مخْلوق كائِناً مـن كـان بِأنه إقْراض لله عز وجل قال تعالى :

مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَـٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۚ وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ ۖ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾

(سورة البقرة)

حدِثني أخٌ أنّه جهد في إنْقاذ حياة هرة من الموت وفي اليوم التالي كاد ابنُـه أن يسـقُط تحت مركبة وتَشْطُره شَطْرين لكن إنْساناً اندفع من محل تجاري فأمسك ابنه وأنْقذه من الحادث ، البِر لا يبلى والذنْب لا ينسى **والديان** لا يموت اعمل ما شئت كما تدين تُدان حتى قوله تعالى :

إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ ءَايَـٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ ۗ أَفَمَن يُلْقَىٰ فِى ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِىٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ ۖ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤٠﴾

(سورة فصلت)

" **اعملُوا ما شئْتُم** " هو فعل أمر يفيد التهديد فَكُل شيء له ثمن وكُل عملٍ له جـزاء إن لِكُل حسنَة ثواباً ولِكُل سيئة عقاباً وما من عثْرة ولا اخْتلاج عرق ولا خدش عود إلا بِما قدمت أيديكم وما يعفو الله عنه أكثر قال تعالى :

وَمَآ أَصَـٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾

(سورة الشورى)

لكن نحن نرى حوادث كثيرة متَفَرقة لا نعلم خلْفياتها ومقَدماتها ولا نعلم الفُصول الأولى من هذه القصة وقد تنْتهي هذه القصة بِحادث مؤْلم وبِمصابٍ كبير أو بِإتْلاف مالٍ وقد تنْتَهـي بِتَدمير إنسان ولكن لو أن لك نَفَساً طويلاً ومتابعةً دقيقةً وتَقَصيتَ أحوال ما يصـيب النـاس لُوجدت العجب العجاب ولُوجدتَ يد الله تعمل في الخَفاء ولُوجدت يد الله فوق أيديهم قال تعالى :

فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ۚ وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾

(سورة الأنفال)

قال **:** " **الديان** في صفَة الله عز وجل هو المجازي والذي لا يضيع عملاً بـل يجـزي بالخير والشر " ، وقيل : " هو فَعال من الفعل دان الناس يدينهم أي قَهرهم على الطاعة " وهنا القَهر قَهر تَربوي ، لو فَرضنا : ابن مشاكس وأب حازِم وهذا الأب حملَ ابنه على الدراسـة إلى أن صار إنْساناً ذا مكانة مرموقة في المجتَمع وهو من رحمة أبيه الشديدة حمل ابنه علـى طاعته فهذا الحمل مؤَداه إلى الخير عنْدئذ ينْقلب الشعور بِالقهر إلى شُعورٍ بِالرضى والامتنان .

دنْتُهم فَدانوا ؛ أخْضعتُهم فَخَضعوا وقد جاء في الحديث الشريف وهو من أدق الأحاديث :

عن أبي يعلى شَداد بن أوس قَالَ : قَالَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الكيس مـن دان نَفْسه وعملَ لِما بعد الموت والعاجِز من أتْبع نَفْسه هواها ثُم تَمنى على الله

(رواه ابن ماجة والترمذي)

دان نفْسه أي ضبطَها وأخْضعها وَألْزمها كلمة التقْوى وحملْها على طاعـة الله وجعلهـا مستَقيمةً :

" الكَيس من دان نَفْسه وعملَ لِما بعد الموت والعاجِز من أتْبع نَفْسه هواها ثُم تَمنـى على الله " .

العاجِز يقول لك : نسأل الله تعالى أن يرحمنا وأن يغْفر لنا ونحن مقصرون ونحن عبيد إحسان ولسنا عبيد امتحان ولا تَسعنا إلا رحمة الله عز وجل ؛ يقول هذا وهو كلام حق لكـن يراد به الباطل ؛ فهو لا يخاف الله ولا ينْزجر ولا يأْتَمر بِما أمر الله ولا يحمل نفْسـه علـى طاعة الله ولا يحرِص على رِضوانه وهو يطْلق لشهواته العنان ويرخي لِنَفْسه الحبل ويقول : نحن عبيد إحسان ولسنا عبيد امتحان وهذا هو العاجِز الذي أتْبع نفْسه هواها وتمنى علـى الله الأماني ، الكَيس من دان نفْسه والقصة المعروفة التي ذكَرتُها لكم كثيراً .

السمكاتُ الثلاث التي رآها أحد الصيادين فقد توعد أن يرجِع مع صديقه لِيصطاد هـذه السمكات فَسمعتْ السمكات قَولَهما قال : هذه السمكات كيسة والثانية أكْيس منها والثالثة عاجِزة أما أكْيسهن فإنها ارتابتْ وتخَوفَتْ وقالت : العاقل يحتاط للأمور قبل وقوعها ثم إنها لم تُعرج على شيء حتى خَرجت من المكان الذي يدخل منه الماء من النهر إلى الغَدير فَنَجـتْ وأمـا الكيسة الأقل عقْلاً وذكاء فَبقيت في مكانها حتى عاد الصيادان فذَهبتْ لِتَخرج من حيث خرجت صديقَتُها فإذا بِالمكان قد سد فقالت : فَرطْت وهذه عاقبة التفْريط غير أن العاقل لا يفْـنَط مـن منافع الرأي ثم إنها تماوتَت فَطَفَتْ على وجه الماء فأخذها الصياد ووضعها على الأرض بين النهر والغدير فَوثَبت في النهر فَنَجتْ وأما العاجِزة فَلَم تزل في إقْبالٍ وإدبار حتى صيدتْ وهذه السمكات الثلاث تُمثل ثلاثة نماذج بشَرية ؛ إنسان يحتاط للأمور قبل وقوعها وإنسان يحتـاط لها حين وقوعها وإنسان لا يحتاط لها لا قبل وقوعها ولا حين وقوعها ولا بعد وقوعها .

قال تعالى :

وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾

(سورة الكهف)

والنبي عليه الصلاة والسلام يقول :

عن عوف بن مالِك أنه حدثهم أن النبي صلى الله عليه وسلم قضى بين رجلين فقال المقْضي عليه لما أدبر حسبي الله ونعم الوكيلُ فقالَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ردوا علي الرجلَ فقالَ ما قُلتَ قالَ قُلتُ حسبي الله ونعم الوكيلُ فقالَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إن الله يلُوم على العجزِ ولكن عليك بالكيس فإذَا غَلبك أمر فقُلْ حسبي الله ونعم الوكيلُ"

(رواه أحمد)

"إن الله يلُوم علَى الْعجزِ " الخُنوع والاستسلام والضعف وعدم السعي وعدم التدبير وهذا النمط الكسول والمستَسلم والمستَخْذي هذا النمط يلوم الله عليه : "إن الله يلُوم علَى الْعجزِ ولَكن عليك بِالْكيسِ فَإِذَا غَلَبك أمر فَقُلْ حسبِي الله ونعم الْوكيلُ " .

لو أن إنساناً أُصيب بِمرضٍ شديد جداً قبل الامتحان ماذا يفْعل ؟ هذا قهر الله عز وجلّ ولا تقُل حسبِي الله ونعم الوكيل إلا إذا غُلبت على أمرك ؛ على الإنسان أن يسعى وليس عليه إدراك النجاح والله أيها الإخوة ؛ هذا الحديث وحده لو فَهمه المسلمون في شتى أقْطارِهم ولو فهموا أبعاده لَكانوا في حالٍ غير هذا الحال وينْتَفي عندئذ عنهم الكسل والتواكُل والاستسلام والانهزام والخُنوع والخُضوع ؛ هو ليس بِيدك شيء وإنما بِيد الله كل شيء فإذا كنت مع الله كان الله معك وإذا استعنت به أعانك وإن استَنْصرتَه نصرك وإن استَهديتَه هداك وإن استَرشَدتَه أرشَدك وإن استَلْهمتَه ألْهمك :

أوحى الله تعالى إلى داود: ما من عبد يعتصم بي دون خلقي أعرف ذلك من نيته فتكيده السموات بمن فيها إلا جعلت له من بين ذلك مخرجا، وما من عبد يعتصم بمخلوق دوني أعرف ذلك من نيته إلا قطعت أسباب السماء بين يديه وأرسخت الهوى من تحت قدميه، وما من عبد يطيعني إلا وأنا معطيه قبل أن يسألني ، وغافر له قبل أن يستغفرني .

لذلك قالوا : إذا كان الله معك فَمن عليك وإذا كان الله عليك فمن معك .

" الكَيس من دان نَفْسه وعملَ لِما بعد الْموت "

أكثر الناس الآن يعيشون وقْتَهم ولحظَتَهم ويومهم وساعتَهم ويعطون أنفْسهم ما تشْتَهي أما الغد فلا يفَكرون فيه إطْلاقاً ؛ فمن علامات العاقل الفذ أنه يعيش الغد ومن علامات الأقلّ عقْلاً أنه يعيش الحاضر ومن علامات الجاهل أنه يتغَنى بِالماضي ،

ألْهى بني تغْلبٍ عن كل مكْرمة قصيدةٌ قالها عمرو ابن كلثوم

فالجاهل يتغَنى بِالماضي والأقل عقلاً يعيش لحظَتَه والعاقل جداً يعيش المستَقْبل .

لذلك هناك من يخَطط لِمستَقْبله وهناك من تكون حياتُه ردود فعلٍ دائِماً ، يكون الفعل من خَصمه ويفْرض عليه مكان وزمان الفعل ومهمتُه رد الفعل ؛ فهو إنسان ضعيف لا يخَطط

للمستَقْبل أما المؤمن فإنه يعيش المستَقْبل وساعة فراق الدنيا وهذه الساعة التي يغْفَـل عنهـا الناس قال تعالى :

لَّقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَـٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾

(سورة ق)

أما الصحابة الكرام فقد قال أحدهم : والله لو كُشف الغطاء ما ازددت يقيناً وقـال أحـد الصحابة للنبي عليه الصلاة والسلام : يا رسول الله كأني بأهل الجنة يتنعمون وبأهـل النـار يتصايحون فقال عليه الصلاة والسلام : عبد نور الله قلْبه بالإيمان عرفْتَ فـالزم ؛ فـالمؤمن يعيش المستَقْبل والمصير وهذه الساعة التي لابد منها ما نجا منها أحد لا نبـي ولا ملـك ولا غني ولا قوي ولا ضعيف ولا صحيح ولا مريض ولا عاجِز ولا وسيم ولا دميم ... سـاعة الموت المؤمن يستَعد لها بالعمل الصالح بإنفاق علْمه ومالِه ووقْته وعضلاته وخبراته وطاقاته وبكُل ما يملك ؛ يستَعد لِهذه اللحظة كي يكون القبر روضةٌ من رِياض الجنّة فإن لـم يسـتَعد للقبر أصبح القبر حفْرةً من حفر النار ، قال تعالى :

ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾

(سورة غافر)

في الحديث الشريف أن النبي عليه الصلاة والسلام دعا على قَومٍ فقال : اللهم دنْهم كما يدينونا " أي اجزِهم بِما يعاملون به من قبلهم ، طبعاً كلمة : مالك يوم الدين كلمة كبيرة جـداً قَيوم الدين يوم الدينونَة وأسماء الله الحسنى كلها محققة في الدنيا أما اسم العادل يحقق في الدنيا ويبدو أشَد جلاء في الآخرة ؛ هناك تَسوية حسابات وهناك غني وفقير وهناك مستَغِلّ ومستَغَلّ ومحتالٌ ونصاب وطاغية وظالِم وهناك من يغْتَصب أموال النـاس وهنـاك مـن يغْتَصـب أعراضهم ويحتال عليهم بِذَكائِه أو بِقُوته والمؤدى واحد إما احتيالاً أو قَهراً ؛ فهذا الذي أخذ ما ليس له متى سيحاسب ؟ .

سمعتُ مرةً من أحد الدعاة مثلاً أعجبني ؛ لو أن أحداً كان في مسرحية - ليس هذا من باب الإقْرار - ثم أُرخي الستار لم تجد أحداً قام من مكانه ، لِماذا ؟ لأنه ما انتهت المسـرحية

فكُلّ بداية لها نهاية وكُلّ مقدمة لها نتيجة ؛ وهذا الذي اغْتَصب وسرق أموال الناس بالباطـل متى توزن له الأعمال ؟ إنها توزن يوم الدين ؛ حيث توفى كل نفس ما كسبت ، هذا اليوم إذا عَفَلْنا عنه نحن أشْقى الأشْقياء ، قال تعالى :

مَـٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾

(سورة الفاتحة)

هناك سؤال وهو أليس الله هو مالك الدنيا ؟ وهل معنى مالك يوم الدين أنـه لا يملـك الدنيا ؟ الجواب : لا فهو تعالى يملك الدنيا والدين والآخرة لكن في الدنيا من يدعي أنه مالِكُها فهناك من يدعي أن الأمر بيد فلان وأساساً معظم الذين وقعوا في الشرك الخَفي يرون النـاس ولا يرون الله عز وجل ويرون أن الأقْوياء بيدهم الحلّ والعقْد والعطـاء والمنْـع والإعـزاز والإذْلال وبيدهم الحياة والموت فيما يبدو لهم وهناك من يدعي أن الأمر بيده في الحياة الـدنيا وهو المشْرك لكن في الآخرة لا يستطيع أحد أن يدعي أن الأمر بيده هناك آيةٌ تُشْبه هذه الآية قال تعالى :

صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥٣﴾

(سورة الشورى)

بحسب الظاهر إن الأمور صارتْ إلى الله ؛ فبيد من كانت ؟ كانت بيد الله فما معنى هذه الآية إذاً ؟ في الدنيا الأمر بيد الله وحده وليس لأحد من الأمر شيء إلا أن هناك في الدنيا من يدعي من الناس أن الأمر بيده أما في الآخرة يبدو الأمر جلياً أنه بيد الله عز وجـل ولا أحـد يدعي أن الأمر بيده فهي قضيةٌ نسبية .

إذاً مالك يوم الدين يوم لا يملكُه أحد أما أنت في الدنيا قد تجد أن إنساناً قُتل وآخر قُهـر وذاك أُخذ مالُه والقوي هو الذي أخذ ماله ؛ هناك في الدنيا من يدعي أن الأمر بيده أمـا فـي الآخرة لا يستطيع أحد أن يدعي أن الأمر بيده فهو مالك يوم الدين وهناك قراءة ملك يوم الدين فالمالك هو الذي يملك ولا يحكم والملك هو الذي يحكُم ولا يملك والله ملك ومالِك يملك ويحكُم أنت أحياناً تنتفع بشيء ولا تملك رقبتَه وقد تملك رقبتَه ولا تنْتَفع به والشيء الثالث أنـك قـد

تملكُه وتنْتَفع به ولا تملك مصيره لكن الله سبحانه وتعالى مالك يوم الدين وملك يـوم الـدين ويملك كل شيء خلْقاً وتَصرفاً ومصيراً .

ابن عباس رضي الله عنه : يفسر معنى قول الله عز وجل : مالك يوم الدين يقـول : لا يملك أحد في ذلك اليوم معه حكماً كملْكهم في الدنيا ، حيث كانوا يضعون أيديهم على الكثيـر ويمتلكونه، ويوم الدين يوم الحساب للخلائق وهو يوم الآخرة يدينُهم بِأعمالِهم ، إن خيراً فَخَير وإن شراً فشَر إلا من عفا الله عنه .

العلماء يقولون : " تخصيص الملك بِيوم الدين لا ينْفي عما عداه " وهذه نُقْطة دقيقة جداً فإذا قلْنا : الله مالك يوم الدين لا يعني أنه لا يملك الدنيا لكن في هذا اليوم يتضح لكل إنْسان أنه تعالى مالك يوم الدين أما في الدنيا فيتضح للمؤمنين فقط أن الله مالك يوم الدين ، فما الفـرق بين المؤمن والمشْرِك ؟ المؤمن يرى أن الله وحده هو الفَعال بينما المشْرِك يرى أن آلِهةً كثيرةً تفْعل ما تريد.

أيهما أبلَغ : أن تقول مالك أم ملك ؟ قال بعضهم إن مالِك أبلغ في مدح الخالق من ملـك وملك أبلَغُ في مدح المخلوقين من مالِك فالملك لا يملك لكنه يحكم فهـو لا يملـك سـمعه ولا بصره ولا دماغَه ولا شرايينه ولا دمه ولا قلْبه ولا أمعاءه فهو لا يملك شيئاً لكنه يحكم فـإذا أردت أن تمدح إنْساناً فقُل له ملك أما إن أردت أن تثني على الله عزوجل فهو تعالى المالـك قال تعالى : " **قُلْ اللهم مالِك الْملْك تُؤْتي الْملْك من تَشَاء وتَنْزع الْملْك ممن تَشَاء وتُعز مـن تَشَاء وتُذل من تَشَاء بِيدك الْخَير إنك على كُل شَيء قَدير**".

لذلك الأبلغ في الثناء على الله عز وجل أن تقول : مالك يوم الدين والأبلغ فـي مـدح الإنسان أن تقول ملك ، في الحديث الشريف : " يقْبض الله الأرض يوم القيامة ويطْوي السماء بِيمينه ثم يقول أنا الملك وأين ملوك الأرض " .

كان في الأندلس ملك شهير جداً كان ملكاً على أكبر مقاطعة في إسبانيا اسمه ابن عبـاد وكان ذا عز وشأْنٍ وسلطان وكان ذات يوم يتمشى في حديقة قصره فرأى بِركة ماء وقد أثرت فيها الريح فَشَكلت خُطوطاً متعارِضة وكأنها زرد فقال هذا الملك وكان شاعراً : **نسج الريح على الماء زرد** ، فلَما أراد أن يتَمم البيت ما استطاع وتعثرتْ بـه شـاعرِيتُه وكانـت وراءه جارِية فقالت له :

نسج الريح على الماء زرد يا له درعاً منيعا لو جمد

فَأعجِب بها وتَزوجها وأَكْرمها أيما إكرام لأنها زوجة ملك واشْتَهت يوماً أن تعيش حياة الجواري كما كانت قبل أن يتزوجها الملك ، وأن تدوس في الطين فجاء لها بِمسـك وكـافور

ومزجهما بماء الورد وجعل من المسك والورد طيناً وقال هذا هو الطين قدوسي فيه ثم جـاء ملك من ملوك إفريقيا اسمه ابن تاشْفين وغزا إسبانيا ووضع كل هؤلاء الملوك فـي السـجن ملوك دول الطوائف والتاريخ يروي هذه القصة فهذا الملك صار سجيناً وصار فقيراً ومعـذَباً وشَكَتْ بناتُه الجوع وزوجتُه العري وضاقَتْ به هذه الجارية ذرعاً إلى أن صارت تقسو عليه وقالت له مرةً : ما رَأيتُ منك خيراً قطّ فقال لها ولا يوم الطين فاستَحيتْ وسكتَتْ .

لِهذا ورد في بعض الأحاديث أن النسوة غير المؤمنات يكْفُرن العشير إذا أحسنْتَ إلـى إحداهن الدهر كُلّه ثم رَأتْ منك شيئاً قالت : لم أر منك خيراً قطّ ؛ وإن قُلْتَ لها كلمة قاسية لا تنْساها إلى الأبد أما كل الإكْرام تنْساه هذه المرأة ما عرفَتْ ربها وأيما امرأة لا تشْكر لِزوجِها وهي لا تستَغْني عنه ترِح رائِحة الجنة .

عن ثَوبان عن النبي صلى الله عليه وسلم قالَ المخْتَلعاتُ هن المنَافقاتُ قالَ أبو عيسى هذَا حديثٌ غَريب من هذَا الْوجه وليس إِسنَاده بِالْقَوي وروي عن النبي صـلى اللـه عليـه وسلم أَنه قالَ أَيما امرأَة اخْتَلعتْ من زوجِها من غَير بأْس لم تَرِح رائِحةَ الْجنة *

(سنن الترمذي)

والنبي عليه الصلاة والسلام قال :

" إني أكْره المرأة تخْرج من بيت زوجِها تشْتَكي على زوجِها ومـن صـفات المـرأة المؤمنة أنها ستيرة " .

وفي الحديث قال عليه الصلاة والسلام فيما يرويه عن ربه :

عن أبي الدرداء قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الله يقول : أنـا الله لا إله إلا أنا مالك الملوك وملك الملوك قلوب الملوك بيدي ، وإن العباد إذا أطـاعوني حولـت قلوب ملوكهم عليهم بالرأفة والرحمة ، وإن العباد إذا عصوني حولت قلوبهم عليهم بالسخط والنقمة فساموهم سوء العذاب ، فلا تشغلوا أنفسكم بالدعاء على الملـوك ولكـن اشـغلوا أنفسكم بالذكر والتضرع ، أكفكم ملوككم .

وفي القرآن الكريم قال تعالى :

وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ۚ قَالُوٓا۟ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ ۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ ۖ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾

(سورة البقرة)

فالإنسان يوصف بأنه ملك وفي الحديث قال صلى الله عليه وسلّم:

عن عبد الله بن عبد الرحمن الأنْصاري قالَ سمعتُ أنَسا رضي الله عنْه يقُـولُ دخَـلَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على ابنَة ملْحان فَاتكأ عنْدها ثُم ضحك فَقالتْ لِم تَضحك يـا رسولَ الله فَقالَ نَاس من أُمتي يركبون البحر الأخْضر في سبيل الله مثَلُهم مثَلُ الملُوك على الأسرة فَقالتْ يا رسولَ الله ادع الله أن يجعلني منْهم قالَ اللهم اجعلْها منْهم ثُم عاد فَضـحك فَقالتْ له مثْلَ أو مم ذَاك فَقالَ لها مثْلَ ذَاك فَقالت ادع الله أن يجعلني منْهم قَـالَ أنْـت مـن الأولين ولست من الآخرين

(صحيح البخاري)

هناك سؤال وهو : كيف نقول مالك يوم الدين و يوم الدين لم يأت بعد ؟ يجيب الإمـام القُرطبي عن هذا التساؤل فيقُول : اعلم أن مالك اسم فاعل من ملك ومن ملْـك يملـك واسـم الفاعل في كلام العرب قد يضاف إلى ما بعده بمعنى الفعل المستقْبل ويكون عندهم هذا كلاماً سديداً ومعقولاً صحيحاً كقَولك : هذا ضارب زيد غداً أي سيضربه غداً واللغة العامية كـذلك تُشير إلى هذا المعنى .

إذاً إذا قُلْنا مالِك يوم الدين أي الله جلّ جلاله حينما يأتي ذاك اليوم فلا مالِـك سـواه ، وعلى كل إن لِكُل سيئَة عقاباً ولِكُل حسنَة ثواباً واعملوا ما شئتم فالبر لا يبلى والذنب لا ينْسى والديان لا يموت اعمل ما شئت كما تدين تُدان **والديان** هو الذي لا يضيع على مخْلوق عملَه .

لي صديق يقيم ببلْد عربي له قريب حالُه وسط من حيث التَدين والأخْـلاق والاسـتقامة وله أولاد أقَل من الوسط من حيث البر وهذا القريب أصيب بمرضٍ قبل وفاته فَرأى الناس من بر أبنائِه به الشيء الذي لا يصدق فلا هو يستَحقّ هذا البر ولا أولاده في هذا المستوى الراقي ؛ من الذي جعلَهم يقْبلون على خدمته بِشَكْلٍ لا يوصف ؟ فهو وسطٌ في تدينه واستقامته وفـي أبوته وأولاده أقَلّ من الوسط في أخْلاقهم وتَدينهم أما حينما مرِض مرضاً عضالاً أقْبلوا علـى خدمته إقْبالاً منْقَطع النظير حتى أصبحت خدمتُهم له مضرب المثل فهذا الصديق بقي أشْـهراً

يحال هذا الموضوع إذْ يصعب تفْسيره وتفْسير هذه القصة أن هذا المريض كان باراً بِأبيه فبره أولاده ، البِر لا يبلى والذنب لا ينسى .

إخواننا الكرام : كل عملٍ له جزاؤُه إن خيراً فخير وإن شراً فَشر **الديان** هو الذي يـدين خلْقه أي يخْضعهم أو يجازيهم ويكافئهم أو يحملهم على طاعته أو يحاسبهم فالله سبحانه وتعالى هو المحاسب والشيء الدقيق أن الله تعالى له أوامر تَكْليفية وأوامر تَكْوينية .

وهذا أخٌ كان له أُخْتٌ عانس ويبالِغ في إهانَتها هو وزوجته وينفجر أمام أولاده وزوجته عليها ويؤنبها وهذه الأخت صابرة ليس لها إلا هذا الأخ ، وفي إحدى الليالي كانت جالِسة على الأرض وهو على كُرسي وزوجتُه إلى جنْبِه فأراد أن يشْرب كأس ماء فَركَلَ أُخته بِرِجله وقال : ائتني بِكأس ماء ، وفي اليوم التالي سافر فوقَع ضحية حادث فَقُطعتْ رِجلُه التي ركـل بهـا أخته من أعلى الفَخذ ، فالله هو **الديان** وهذا رجل آخر كان يقود مركبة في الطريق فوجد كلْباً صغيراً يقْبع في زاوِية الطريق ففَكر هذا السائِق أن يجرب براعتَه في السـواقة فقَطَـع يـدي الكلْب دون أن يقْتُله وأطْلاق ضحكةً استهزائِية ، أقسم لي رجل أعرِفُه وهو عندي صادق وكان يركب مع هذا الإنسان أنه في الأسبوع الثاني و في اليوم نفسه من الأسبوع التـالي انْفجـرت معه عجلة السيارة فأوقَفَها على الطريق لِيصلحها ورفع السيارة بِجِهاز الرفْع وفَك العجلَة وفي أثناء فك العجلَة من مكانها اخْتَل جِهاز الرفْع ووقَعتْ السيارة على يديه عند الرسغين وإلى أن وصل إلى المستشْفى اسودت يداه فاضطُر الطبيب إلى قَطْعهما ؛ هو **الديان** وهو الواحد **الديان** والبِر لا يبلى والذنب لا ينْسى والديان لا يموت اعمل ما شئت كما تدين تُدان .

والحمد لله **رب العالمين**

الـ ـدرس ٩٧ – اسم الله : العالِم .

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الإخوة الكرام ؛ مع الدرس الثامن والتسعين من دروس أسماء الله الحسنى والاسم اليوم هو **العالم** ، **فالعالم** اسم من أسماء الله الحسنى يضم إلى الأسماء التسعة والتسعين التـي وردت في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلّم .

العالم من مادة **العلْم والعلْم** إدراك الشيء على ما هو عليه مع الدليل ؛ إدراك الشـيء على ما هو عليه بالدليل أو هو مقولةٌ مقْطوع بِصحتها تُطابِق الواقع عليها دليل ، فلْو لم يكـن عليها دليل لكانت هذه المقولة تقْليداً ، ولو لم تُطابِق الواقع لكانت هذه المقولة جهلاً ، ولو لـم يكن مقْطوع بِصحتها تُعد هذه المقولةُ وهماً أو شَكاً أو ظناً ، ف**العلْم** ليس شـكاً ولا ظنـاً ولا وهماً ولكنه قطْعي ، و**العلم** ما طابق الواقع وما كان عليه دليل وبِشَكْلٍ مخْتَصرٍ إدراك الشيء على ما هو عليه بالدليل .

أيها الإخوة الكرام ، لا أُبالِغ إذاً قُلت إن من أخَص ما يخْتَص به الإنسان **العلْـم** وأكثـر صفات الإنسان مشْتَركةٌ بينه وبين بقية المخْلوقات إلا أنه يتميز بِقُـوة إدراكيـة وكرمـه الله بِ**العلم** وفي أثناء الحديث عن الكرامات يعد **العلم** أعظم كرامة ينالُها الإنسان من الله عز وجل مع أن هذه الكرامة ليس فيها خرقٌ للعادات .

وبعد فإن الله **عالم** يحب كُلّ **عالم** والناس رجلان : **عالِم ومتَعلم** ولا خير فيمن سواهما ، كُن **عالِما** أو **متَعلما** أو مستَمعاً أو محباً ولا تكُن الخامسة فتَهلك ف**العلم** إدراك الشيء علـى ما هو عليه ، لو أن الناس أدركوا الحقائق على ما هي عليها لما اخْتَلفوا ولما تحـاربوا ولمـا تخاصموا ولما عاشوا في شقاء ما بعده شقاء .

فالقضية قضية **علْم** بل إن الإنسان الكافر وهو في النار يتلوى من الحريق ينادي ويقول :

وَقَالُواْ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصْحَـٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٠﴾

(سورة الملك)

فالذي بينك وبين أهل الدنيا هو **العلم** لِذلك إذا أردت الـدنيا فعلَيـك بِـ**العلم** وإذا أردت الآخرة فعليك **بالعلم** وإذا أردتهما معاً فعلَيك **بالعلم** و**العلم** لا يعطيك بعضه إلا إذا أَعطَيتَه كُلك فإذا أعطَيتَه بعضك لم يعطك شيئاً ويظل **المرء عالِما** ما طلب **العلم** فإذا ظن أنه قد **علم** فقـد جهل .

قال العلماء : **العلم علمان** : إدراك ذات الشيء ، والحكْم على الشيء ، تقـول هـذه طاوِلة فالآن تُدرِك ذات الطاوِلة أو تقول : هذه الطاوِلة متْقَنَةٌ فأنت بهذه العبارة أطلقت حكمك عليها ، إذاً : فإما أن تُدرِك حقيقة الشيء وكُنْه الشيء وهوِيته وإما أن تحكُم على هذا الشـيء **فالعلم علمان**: إدراك الذات وإدراك الصفات .

و**العلم علمان** : علم نظري وعلم عملي ؛ علم تَقْتَبِسه بِإلْقاء السمع أو إعمال الفكـر أو قراءة الكتاب أو سماع المحاضرة وعلْم تستَنْبِطه من الحركة والعمل ، **فالعلم** الذي تستنبِطه من الحركة والواقع العملي هو **العلم** العملي و**العلم** الذي تستقيه مـن الـدروس والكُتُـب وإلْقـاء المحاضرات هو **العلم** النظري .

أيها الإخوة ؛ و**العلم علمان** : عقْلي وسمعي ؛ إما أن تصل إليه بِـذاتك وعـن طريـق التأمل وإما أن تُصيغ السمع إلى غَيرِك عن طريق التلقي ، فإما أن تُفَكر وإما أن تُصغي قـال تعالى :

" **وقالوا لو كُنا نَسمع أو نَعقِلُ ما كُنا في أَصحابِ السعيرِ** "

تفكر وتتأمل وتتدبر أو تُصغي ؛ تأْخُذُه جاهزاً عن طريق السمع وتَصـنَعه أنـت عـن طريق العقْل ، فَ**علم** يؤخذ عن طريق العقل و**علم** يؤخذ عن طريق السمع و**علم** تتلقاه نظرياً و**علم** تستَنْبِطُه عملياً و**علم** أساسه إدراك ذات الشيء و**علم** أساسه إدراك صفات الشيء .

وبِالمناسبة أقول : هناك قيم كثيرة يتفاضل بِها الناس ؛ فالمال قيمةٌ تفاضلية بين البشـر والوسامة والذكاء والقوة والوجاهة والنسب فهذه كُلها قيم تفاضلية ولكن الله تعالى لم يعتَمـدها فالله جلّ جلاله اعتَمد قيمة **العلم** وهي التي رفع شأْنها قال تعالى :

قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾

(سورة الزمر)

وقال تعالى :

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمۡ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلۡمَجَٰلِسِ فَٱفۡسَحُواْ يَفۡسَحِ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ١١

(سورة المجادلة)

وقيل رتْبةُ **العلم** أعلى الرتَب ، والدليل أن أقْوى إنسان فيما يبدو لكـم فـي الأرض لا يستطيع أن يتخذ قراراً إلا إذا سأل الخُبراء ؛ يؤلف لجنة من كبار **العلماء** في موضـوعٍ مـا ويطْرح عليهم سؤالاً فَيعطونَه خيارات فَيخْتار بين هذه الخيارات فَمن الذي يحكم **العـالم** إذاً ؟ هم **العلماء** ؛ فالذي بِيده إصدار القرار يحتاج إلى خبرة **العالم** .

وقد قال **العلماء** : " هناك فرقٌ بين أن **تُعلم** وبين أن **تُعلم** " فـالإعلام إلْقـاء الفكـرة بِسرعة لكن **علمتُه** : إلْقاء الفكرة مع التكْرار ومع الإتْقان ومع التعليم والتحفيظ .

وقال بعضهم **التعليم** تنْبيه النفوس لِتَصور المعاني أما **التعلم** تنبه النفس لِتلْـك المعـاني فالتَنَبه الذاتي **تعلّم** والتنْبيه القسري **تعليم** وقد حلت نظريات **التعلم** مكـان نظريـات **التعلـيم** فالإنسان لا **يتعلّم** إلا إذا أراد أن يتعلم وعنْصر الاختيار أساسي جداً في **التعلّم** لـذلك بعـض الجامعات الآن **تُعلم** الحقائق لا عن طريق التلْقين بل عن طريق البحث الذاتي والبحث العلمي ينمو في الجامعات المتقدمة .

هذا الاسم العظيم اسم **العالِم** ورد في كتاب الله عز وجل بِصيغٍ كثيرة قال تعالى :

ٱلرَّحۡمَٰنُ ١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ٢

(سورة الرحمن)

أيعقَل أن **يعلم** الإنسان القرآن قبل أن يخْلق ؟ قال بعضهم : قُدم **تعليم** القرآن على خلْق الإنسان تقْديماً رتَبِياً لا تقْديماً زمنياً بِمعنى أن الإنسان لا معنى لِوجوده دون منهجٍ يسير عليه " فالإنسان الشارِد الضائِع الذي لا يعلم هو دابةٌ متَفَلتة ، قيمة الإنسان **بالعلم** ؛ دخل على مجلس عمر ابن عبد العزيز وفود المهنئين وتَقَدمهم وفْد الحجازِيين وتقَدم هذا الوفْد غلام يافع لا تزيد سنه على اثنتَي عشْرة سنة فانْزعج الخليفة من هذا الغلام الذي يتَقَدم هذا الوفْـد قـال : أيهـا الغُلام اجلس أنت وليتَقَدم من هو أكْبر منك سناً فقال هذا الغُلام: أصـلح الله الأميـر المـرء بِأصغَريه قلبِه ولِسانه فإذا وهب الله العبد لِساناً لافظاً وقلْباً حافظاً فقد استَحق الكـلام ولـو أن الأمر كما تقول : لكان في الأمة من هو أحق منك بِهذا المجلس فَدهشَ الخليفة .

وصبي آخر دخل على عبد الملك ابن مروان فانْزعج عبد الملك وقال لِحاجِبِه ما شـاء أحد أن يدخل علي إلاّ دخل حتى الصبيان فقال هذا الصبي الناشئ : أيها الأميـر إن دخـولي عليك لم ينْقص من قدرِك شيئاً ولكنه شرفني أصابتْنا ثلاث سنين : سنَةٌ أذابت الشـحم وسـنَةٌ أكلت اللحم وسنَةٌ نقت العظم ومعكم فُضول مالٍ فإن كانت لكم فتَصدقوا بِهـا علينـا فـإن الله يجزي المتَصدقين وإن كانت لنا فَعلام تحبِسها عنا ونحن أولى بِها وإن كانت لله فَنَحن عبـاده فقال عبد الملك : والله ما ترك هذا الغلام لنا في واحدة عذْراً .

لِذلك قالوا : جمال الرجل فصاحتُه ، وسيدنا عمر ابن الخطاب عملاق الإسلام والخليفة العظيم كهف العدالة كان إذا مشى في الطريق من شدة هيبته تَفَرق الناس أمامه بل إن الصغار إذا رأوه تفرقوا ودخلوا إلى بيوتهم وذات مرةً مشى في سكك المدينة ورأى غلْماناً صغاراً فلما رأوه هربوا إلا واحداً منهم بقي رابِط الجأْش فلما وصل إليه قال يا غُلام لِم لم تهرب مع مـن هرب ؟ فقال : يا أمير المؤمنين لستَ ظالِماً فأخْشى ظُلْمك ولسـتُ مـذْنباً فأخْشـى عقابـك والطريق يسعني ويسعك ، فأعجب الخليفة بجرأته وحسن كلامه ، ثم إن الله عز وجل يقول :

ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾

(سورة العلق)

أيها الإخوة : لِكرامة الإنسان على الله أنه **علمه** البيان (اللغة) ، والشيء الـذي يأْلَفُـه الناس لا يثير اهتمامهم لألفته لديهم ، ولا توقظ فيهم حس تعظيم الله الذي تكرم بـه علـيهم . فأنت باللغة تتصل مع كل الناس فأنت صباحاً تستمع لِنَشْرة الأخبار وكلّ ما في **العالم** فيتجمع لديك الكثير من المعلومات ، فمثلاً : هنا سقَطت طائرة وهنا مذْبحة وهنا قامت حـرب أهليـة وهنا خُطفت طائِرة وهنا عقد مؤتمر وهنا ... أليس كذلك ؟ بِهذه الأُذُن وبِهذا النطْـق بِـدقائِق معدودات أحطت بالمعلومات كغيره وفي بلاد متعددة فاللغة أداة اتصال بين أفْراد النوع ويمكن أن تُعبر عن مشاعرِك وعن أفْكارِك بِاللُغة قال تعالى :

وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ۗ قُلْ
مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَـٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ تَجْعَلُونَهُۥ
قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۖ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓاْ أَنتُمْ وَلَآ
ءَابَآؤُكُمْ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾

(سورة الأنعام)

لا زِلْنا في مادة **علم** والاسم اليوم **عالِم** قال تعالى :

رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ
وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾

(سورة البقرة)

وقال تعالى :

وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ
هَـٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٣١﴾

(سورة البقرة)

فهذه كُلها أفْعال العلم التي وردت في القرآن الكريم وسيدنا موسى لما التقى بالعبد الصالح استأذنه في مصاحبته ليتعلم منه ورغم نبوته وفضله ، قال تعالى :

قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾

(سورة الكهف)

وقال تعالى :

" **وإذا قيلَ انشُزوا فانشُزوا يرفع الله الذين آمنُوا منكُم والذين أُوتُـوا العلـم درجـات والله بما تَعملُون خَبير** " .

أقول لكم هذه الفكرة : وهو أن الله سبحانه وتعالى له أسماء كثيرة فمن أسـمائِه **العلـيم** و**علام** الغيوب ومن أسمائِه **العالم** ولكرامة الإنسان على الله أعطاه قُوةً إدراكية يصـبح بهـا **عالِما** والحقيقة كُشوفات الإنسان العلمية تفوق حد الخيال .

فأنْشْتاين هذا العالِم الفيزيائي الذي اكْتَشَفَ ما يسمى بالنظرية النسبية وهي أن الخطـوط في الفراغ ليست مستقيمة لكنها منْحنية وأن كل جسم يسير بِسرعة الضـوء يصـبح ضـوء والضوء كُتْلَتُه صفر وحجمه لا نهائي فأي جِسمٍ سار بِسرعة الضوء صار ضوءاً بل إنـه إن سبق الضوء تراجع الزمن ؛ إن سار الجِسم بِسرعة الضوء صار ضوء وتوقفَ الـزمن فـإن سبق الضوء تراجع الزمن وإن قصر عن الضوء تراخى الزمن فلو أمكنَك أن تنْطَلق من موقع معركة اليرموك .

مثلاً : وأن تصعد إلى الفضاء الخارجي بِسرعة أعلى من سرعة الضوء بعد حين ترى المعركة وهي تقع لأنها حينما وقعت صدر عنها موجات ضوئية إلى الفضاء الخـارجي قبـل ألف وأربعمائة عام تقريباً ، فلو أنت سبقْتَ الضوء لرأيت هذه المعركة كما هي وكأنهـا تقـع الآن أمامك ولو سرت مع هذه المعركة لصارت هذه المعركة أبديةً وتوقف الزمن ولو قصرت عنها لكانت رِحلةٌ في الفضاء ساعةٌ كآلاف سنَة على الأرض وهو بعض معاني قوله تعالى :

وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ ۚ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾

(سورة الحج)

فإذا ركبتَ مركبةً فضائِية وسرتَ بِسرعة أقَلّ من الضوء قليلاً ولتعلم أن السـاعة فـي الفضاء الخارجي تُساوي مائة عام في الأرض ، فالله عز وجل سمح لِهذا الإنسان أن **يعلم** وإن الله **عالِم** يحب **العالِم** ورتْبةُ **العلم** أعلى الرتَب فلذلك حينما يغْفل الإنسان قيمة **العلم** في حياتـه أو حين لا يعتني بِإدراكه ولا يعتَني بِ**العلم** ولا يطْلُبه يهبِط عن مستوى إنْسانيته إلى مسـتوى لا يليق بِه ، والشيء الدقيق أن :

وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾

(سورة يوسف)

يروى قبل ستين عاماً فيما أذْكر وفيما سمعت أن أحد شيوخ الأزهر قَدم إلى الشام وشَيخ الأزهر في مصر يساوي مرتَبةً علمية وله أيضاً مرتبة إدارية مرموقة عالِيةً جداً فَجلَس في بعض مجالِس الشيوخ في دمشق وهو الشيخ بدر الدين وكان يملأ هذا الكرسي لأن مرتَبتَه العلمية العالية ، ومرتبته الإدارية تسمحان له بذلك ، فلما سمع علْم الشيخ بدر الدين غَير من جلْسته إلى أن تطامن " **وفَوقَ كُل ذي علْمٍ عليم** " .

وأحياناً يكون الإنسان في مجلْس لا يستطيع أحد أن يرد عليه فَيتَكلم بما يشاء فإذا اكْتَشَفَ أن في المجلس من هو أعلم منه يسكُت ولسان حاله يقول: سكَت إجلالاً **لِعلْمك** والإنسان من حكْمته البالِغة أنه إن كان في المجلس من هو **أعلم** منه عليه أن يلْزم الصمت فإذا تكلم في حضرة من يعلم فقد أساء الأدب ولكن الذي **يعلم** قد زانه أدب العلم ، فتراه يصغي للحديث بِسمعه وبِقَلْبِه ولَعله أدرى بِه .

من الآيات التي وردت فيها كلمة **العالِم** قوله تعالى : **عالم** الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول ، والنبي عليه الصلاة والسلام حدثنا عن آخر الزمان قال :

إِذَا رَأيتَ شُحا مطَاعا وهوى متبعا ودنْيا مؤْثَرةً وإعجاب كُل ذي رأْيٍ بِرأْيه فَعليك بِخَاصة نَفْسك ودع الْعوام فَإن من ورائِكُم أياما الصبر فيهن مثْلُ الْقَبض على الْجمرِ لِلعامل فيهن مثْلُ أجرِ خَمسين رجلا يعملُون مثْلَ عملكُم *

[رواه الترمذي]

وإذا وسدت الأمور لِغَير أهلها فانتَظر الساعة ومن علامات قيام الساعة أن يكون المطر قيظاً والولَد غيظاً ويفيض اللئام فيضاً ويغيض الكرام غيضاً ومن علامات قيام الساعة أن يصدق الكاذب ويكذب الصادق وأن يؤْتَمن الخائن ويخَون الأمين أحاديث كثيرة نبأنا بِها النبي صلى الله عليه وسلّم قال :

عن أَبِي هريرةَ قَالَ : قَالَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم صنْفَانِ من أَهل النار لَم أَرهما قَوم معهم سياطٌ كَأَذْنَابِ الْبقَرِ يضربون بِها الناس ونساء كَاسياتٌ عارِياتٌ مميلاتٌ مائِلاتٌ رءوسهن كَأَسنمة الْبخْت الْمائِلة لا يدخُلْن الْجنةَ ولا يجِدن ريحها وإِن ريحها ليوجد من مسيرة كَذَا وكَذَا *

[رواه مسلم]

كيف أنها كاسية عارية ؟ إما إن ثيابها تشف عما تحتها هي كاسية فيما يبـدو ولكنهـا عارية لما يشف عما تحت ثيابها أو أنها ضيقة تصف حجم أعضائِها فهي كاسية عارية ومائِلةٌ مميلة فَالْعنوهن لأنهن ملْعونات كما قال عليه الصلاة والسلام ؛ قال تعالى :

عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾

(سورة الجن)

عن عبد الله بن عمر قَالَ أَقْبَلَ علينَا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فَقَالَ يا معشَـر المهاجِرين خَمس إِذَا ابتُليتُم بِهن وأَعوذُ بِالله أَن تُدرِكُوهن لم تَظْهر الْفَاحشَةُ في قَـومٍ قَـط حتى يعلنُوا بِها إِلا فَشَا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تَكُن مضتْ في أَسلافهم الذين مضوا ولم ينْقُصوا المكْيالَ والميزان إِلا أُخذُوا بِالسنين وشدة المُئونَة وجور السلْطَان علَـيهم ولَـم يمنَعوا زكَاةَ أَموالِهم إِلا منعوا الْقَطْر من السماء ولَولا الْبهائِم لم يمطَروا ولم ينْقُضوا عهـد الله وعهد رسوله إِلا سلط الله عليهم عدوا من غَيرهم فَأَخَذُوا بعض ما في أَيديهم وما لَـم تَحكُم أَئِمتُهم بِكتَابِ الله ويتَخَيروا مما أَنْزلَ الله إِلا جعلَ الله بأْسهم بينَهم *

[رواه ابن ماجة]

أليس هذا الحديث من دلائل نُبوة النبي عليه الصلاة والسلام ؟ فهذا الحديث مـن أروع الأحاديث وكأن النبي عليه الصلاة والسلام معناً .

أيها الإخوة الكرام ، هذا الاسم **العالِم** ورد كثيراً مع الغيب والشهادة فقد قال عز وجل :

۞ وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِى ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣﴾

(سورة الأنعام)

عالِم الغيب والشهادة فكُلّ ما هو واقع هو من عالم الشهادة وكل ما لم يقع هو من **عالم** الغيب فالله سبحانه وتعالى **عالم** الغيب **وعالِم** الشهادة ؛ **عالِم** الغيب والشهادة فَهنـاك شـيء يغيب عنك لِبعد مكانه وهناك شيء يغيب عنك لِبعد زمانه ، فأنت الآن في الشام لا تدري مـا هو الآن كائِن بِحلب وفي الساحة الفُلانية وفي المكان الفلاني لا تدري ما يكون في حلب هـو من **عالم** الشهادة ولكنّه بعيد عنك فالذي بينك وبينه مسافاتٌ طويلة لكن **عالم** الغيب الزمنـي ؛ الماضي السحيق أو المستقْبل البعيد فَهناك غَيب الماضي هو بعد زماني وغيب المستَقْبل بعـد

زماني ولكن غيب الحاضر بعد مكاني فالله سبحانه وتعالى **عالِم** الغيب والشهادة ومن هنا كان سيدنا علي ابن أبي طالب رضي الله عنه أو رسول الله صلى الله عليه وسلّم إذا سافر دعا بهذا الدعاء : " اللهم أنت الرفيق في السفر والخليفة في الأهل والمال والولد " هو معك لأنه **عـالِم** الشهادة وهو مع أهلك لأنه **عالم** الغيب فإذا دعا الإنسان بهذا الدعاء قبل أن يسافر يلْقي الله في قلْبه الطمأنينة والسكينة لأن الله تعالى كما يقول :

قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمْ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبْلُ ۖ فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٦٤﴾

(سورة يوسف)

تَروي بعض الأحاديث أن الله يوقفُ عبدين يوم القيامة ؛ عبداً أعطاه مالاً فَيقول له : قد أعطيتُك مالا فماذا صنعتَ فيه ؟ يقول : يا رب لم أُنْفق منه شيئاً مخافَة الفقْر على أولادي من بعدي يقول الله عز وجل : ألم تعلم أني أنا الرزاق ذو القوة المتين ؟ إن الذي خشيتَه علـى أولادك من بعدك قد أنْزلْتُه بهم ويقول لِعبد آخر قد أعطيتُك مالا فماذا صنعتَ فيه ؟ يقول يـا رب أنْفَقْتُه على كل محتاجٍ ومسكين لِثقَتي أنك خير حافظاً وأنت أرحم الراحمين يقول الله عز وجل : أنا الحافظ لأولادك من بعدك ، وفي قولِه تعالى :

قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ عَٰلِمَ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِى مَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٤٦﴾

(سورة الزمر)

بِإمكانك أن تُسافر وأنت مطْمِئن على أهلك لأنك دعوت الله وهو الـذي **يعلـم** الغَيـب والشهادة أن يحفَظهم في غَيبتك ، قال تعالى :

وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾

(سورة التوبة)

وقال تعالى :

وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾

(سورة المائدة)

أحد مصادر قوة المؤمن أن الله تعالى **عالِم** الغيب والشهادة فقد يلْهمه أن يأْخذ الاحتيـاط من عدوه لأن الله **يعلم** الغيب والشهادة ؛ **يعلم** الشهادة التي يشْهدها المؤمن و**يعلم** ما يغيب عن المؤمن مثلاً لو كان هناك فريقانِ وكلاهما يكيد للآخر وكلا أعضاء الفريقين لا يعلم ما يفْعـل خصمه فإذا كان أحد الفريقَين مع الله فالله يعلم ما يفْعل أعضاء الفريق الآخر فَـيلْهم الأول أن يفْعل كذا وكذا قال تعالى :

۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾

(سورة الحج)

فإذا كنت مع الله فمن يستطيع أن يكون عليك ؟ وإذا كان الله معك فَمن عليك ؟ لأن الله مع خصمك يعلَم سره ونَجواه ويلْهمك الصواب في كل موقف وتأْخذ لنفسك الحيطة وتحـذر ، قال تعالى :

عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ﴿٩﴾

(سورة الرعد)

الله جلّ جلاله هو العلي الأعلى الوهاب ، قال تعالى :

عَـٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ فَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٩٢﴾

(سورة المؤمنون)

وقال تعالى :

يَعۡلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلۡأَرۡضِ وَمَا يَخۡرُجُ مِنۡهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعۡرُجُ فِيهَاۚ وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلۡغَفُورُ ﴿٢﴾

(سورة سبأ)

فإذا تولى إنسان أمراً وغاب عن **علمه** فيجري فيقال عنه جاهل وسيب عمله وضـعيف الضبط وما استطاع أن يضبط أموره ، أما الله سبحانه فكُل شيء يدخل إلـى الأرض **يعلمـه** وكل شيء يخْرج منها **يعلمه** ولا تخفى عليه خافية ، وقال تعالى :

وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَأۡتِينَا ٱلسَّاعَةُۖ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأۡتِيَنَّكُمۡ عَـٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِۖ لَا يَعۡزُبُ عَنۡهُ مِثۡقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلۡأَرۡضِ وَلَآ أَصۡغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرُ إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٣﴾

(سورة سبأ)

وقال تعالى :

۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعۡلَمُ مَا فِى ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۚ وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَـٰتِ ٱلۡأَرۡضِ وَلَا رَطۡبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾

(سورة الأنعام)

تصور أنك تمشي في بستان أيام الخريف ؛ كم من ورقة تسقط في الخريف ؟ إذا كـان أربعةُ أخْماسِ الأشْجار أشْجار متَساقطة الأوراق فَكم ورقَةً تسقُط في الخريف ؟ عددها كبيـر جداً والصيغَةُ صيغة قصرٍ لو قال سبحانه يعلم سقوط الأوراق كان له معنى معين ، وإنما قال : " وما تسقط من ورقة إلا **يعلمها** " فإذا كان **يعلم** سقوط ورقة ألا **يعلم** ما يدور في ذهنـك ؟ وما تنْوي أن تفْعل ؟ .

لِذلك أيها الإخوة ، من الآيات التي تلْفت النظر أن الحج كلّه من أجـل أن تعلـم أن الله يعلم أن المؤمنين سيملئون جنبات هذا المكان المقدس ويكذبون مصـدر رزق لسـكانه الـذي سكنوه وهو غير ذي زرع ، والكون كله من أجل أن تعلم أن الله يعلم قال تعالى :

ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَـٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾

(سورة الطلاق)

وقال تعالى : " **وقَالَ الذين كَفَروا لا تَأْتينَا الساعةُ قُلْ بلى وربي لتَأْتينكُم عالِمِ الغَيبِ لا يعزب عنْه مثْقَالُ ذَرة في السماوات ولا في الأرض ولا أَصغَر من ذَلك ولا أَكْبر إلا في كتَابٍ مبينٍ** " .

وقال تعالى :

إِنَّ ٱللَّهَ عَـٰلِمُ غَيْبِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٣٨﴾

(سورة فاطر)

إن الله سبحانه يعلم ما تنطوي عليه النفْس البشرية وما تُكن وما تُسر وما يخْفى عليهـا وما تَحلم به وما يدفَعها وبواعثُها : " **إن الله عالِم غَيبِ السماوات والأرض إنه علـيم بِـذَات الصدور** " **وهو سبحانه لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء** .

وفي الزمر قال تعالى : " **قُلْ اللهم فَاطر السماوات والأرض عالِم الْغَيبِ والشهادة أَنْتَ تَحكُم بين عبادك في ما كَانُوا فيه يخْتَلفُون** "

وفي سورة الحشر قال تعالى :

هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾

(سورة الحشر)

وفي سورة الجمعة ، قال تعالى :

قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ ۖ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾

(سورة الجمعة)

وفي سورة التغابن ، قال تعالى :

عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾

(سورة التغابن)

وفي سورة الجن ، قال تعالى :

عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾

(سورة الجن)

وقال تعالى :

❁ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾

(سورة الأنبياء)

آياتٌ كثيرةٌ جداً وردتْ فيها كلمة **عالِم** وهناك **علاّم** و**عليم** ؛ علام الغيوب سميع عليم ، أما الدرس اليوم **العالِم** اسم من أسماء الله الحسنى ويبدو أن أكثر الآيات التي وردت فيها كلمة

العالِم وهو اسم من أسماء الله الحسنى وردت هذه الكلمة مقْتَرِنة **بِعالِم** الغيب والشـهادة أي أن الغيب ما غاب عنك والشهادة ما تشْهده فإذا وكلْتَ أمرك إلى الله فهو يدافع عنك فيما تشْـهده وفيما هو غائِب عنك .

أيها الإخوة الكرام ، ملْخص هذا الدرس أو التطبيق العملي له هو كما يلي :

راقب نفْسك ؛ لو طرق بابك إنْسان كريم له هيبة ومكانة و**عالِم** ووقور ودخل إلى البيت كيفَ ستَتَصرف ؟ تَصرفٌ حكيم تَنْتقي أجمل الألْفاظ وتَرتَدي أجمل الثياب وتَجلس أمامه جلْسةً مؤَدبة فإذا كنت تهاب رجلاً من بني جِلْدتك له مكانةٌ في قومه وتتأدب في مجلسه فَكيـف إذا علمت أن الله **يعلم** ؟ وكيف إذا **علمت** أن الله **علاّم** الغيوب ؟ وكيف إذا علمت أن الله لا يخْفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء ؟ وكيف إذا **علمت** أن الله أقْرب إليك من حبل الوريد ؟ وكيفَ إذا **علمتَ** أن الله يحولُ بين المرء وقلْبِه ؟ وكيف إذا **علمت** أنه يعلم السـر وأخفـى ؟ وكيف إذا **علمت** أن الله **يعلم** ما كان وما يكون وما سيكون و**يعلم** ما لم يكن لو كان كيف كان يكون.

لذلك يقول عليه الصلاة والسلام : " أفْضل إيمان المرء أن يعلم أن الله معه حيثما كان " . وهذا يخفر المؤمن أن يعرف قدر ربه فيها به ويستجدي رحمته وتوفيقه .

هل يمكن أنّه إذا كنت تركب مركبةً والإشارة حمراء والشرطي واقف والضابط موجود والذين على الدراجة جاهزون ؛ هل يمكن أن تتجاوز الإشارة الحمراء ؟ لأنك **تعلم** أنـك لـن تنْجو منهم جميعا فكيف إذا علمت أن الله معك دائِماً وأنك في قبضته ولن تستطيع أن تتفلـت من عقابِه أبداً .

فيجب أن **تعلم** أن الله **يعلم** فإذا **علمت** أن الله **يعلم** استَقَمتَ على أمرِه وإن استَقَمتَ على أمرِه سعدتَ بِقُربِه في الدنيا والآخرة .

والحمد لله **رب العالمين**

الـ ـدرس ٩٨ – اسم الله : المبين .

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الإخوة الكرام : مع الدرس التاسع والتسعين من دروس أسماء الله الحسنى والاسـم اليوم **المبين** ، الله جلّ جلاله يقول في سورة الرحمن :

ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ۝٤

(سورة الرحمن)

البيان هو الإفْصاح والتعبير والكشف والإبانة والتوضيح وورد فـي الأثـر أن **البيـان** يطرد الشيطان ؛ وضح بين فصل ونَوه واشْرح ائت بالدليل .

لذلك فإن النبي عليه الصلاة والسلام حينما كان مع زوجته صفية مر صحابيان جلـيلان به في الطريق فقال : على رِسلكما هذه زوجتي صفية قالوا : أَفيك نشُك يا رسول الله ؟ قـال لئلا يدخل الشيطان عليكما فإن الشيطان يجري في الإنسان مجرى الدم ؛ **البيان** يطْرد الشيطان وأنا أعرِف أُناساً كثيرين تجد أحدهم أكثر مشكلته في صمته يسكت ولا يوضح قد يكون بريئاً وطاهراً وسليم الصدر حسن النية لكن صمتَه الدائم هو الذي يثير حوله الشـبهات ؛ وضـح ، **بين** ، هذه زوجتي صفية أفيك نشُك يا رسول الله ؟ قال: لا لئلا يدخل عليكما الشـيطان فـإن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم .

البيان هو الإظْهار إظْهار المقْصود بِأَبلَغ لفظ وهو الفهم وذكاء القلب بل إن صفَة **البيان** من امتنان الله عز وجل على الإنسان ومن أَخَص خصائص الإنسان **البيان** والقُدرة عن التعبير ، والتعبير عن الأفكار وعن التصورات والمشاعر وعن العواطف ، والتعبير عـن الحاجـات وعن الطموحات وكل ما يعتلج في نفْس الإنسان من أفْكار وتصورات وأهـداف وطُموحـات وآلام ومن مشاعر وعواطف وخواطر يمكن أن يعبر عنها **فالبيان** مـن أخـص خصـائص الإنسان فَيمكن أن يعبر عنها بِلسانه ويمكن أن يعبر عنها بِقَلَمه ويمكن أن يصغي إليها بِأُذُنـه ويمكن أن يفْهمها بِعقله فإذا كان الكلام إلْقاء وتَلَقياً بقي محصوراً في المتعاصرين أما إذا كُتب وقُرِئ انْتَقَل من جيلٍ إلى جيلٍ ومن أمة إلى أمة ومن قارة إلى قارة لِذلك قال تعالى:

الرحمن * علم القُرآن * خَلَقَ الإنسان * علمه البيان *

ثمانيةٌ وعشْرون حرفاً يمكن أن يصنع منها بلايين الكلمات وملايين وملايين الأفكـار والمشاعر والمقولات .

من أسماء الله الحسنى **المبين** واللغة تذكر أن **البينة** هي الدلالة الواضحة قال تعالى :

لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿١﴾

(سورة البينة)

هذه الآية إشارةٌ إلى مجيء سيدنا عيسى عليه وعلى نبينا أفْضل الصلاة والسلام ؛ **البينة** الدلالة الواضحة عقْليةً كانت أم محسوسة وفطْرِيةً كانت أم واقعية ، كلكم يعلم أن هناك دليـلٌ فطْري ودليل عقْلي ودليل نقْلي ودليل واقعي وكنت أُكثر الحديث حول هذه الفكرة .

الحق دائرة يتقاطع بها خط النقل مع خط العقْل مع خط الفطرة وخط الواقع ، الحق الذي ينْبغي أن تعتقد به جاء به النقْل الصحيح وأيده العقْل الصريح واطْمأنتْ إليه الفطـرة السـليمة وأكده الواقع الموضوعي ؛ الحق الذي ينْبغي أن تعتَقده وتؤمن به وأن تُدافع عنـه وأن تُفْنـي شبابك من أجله وأن تستَهلك عمرك الثمين في سبيله ؛ هو الذي جاء به النقل الصحيح وأقـره العقْل الصريح السليم واطمأنت إليه الفطرة السليمة وأكده الواقع الموضوعي والحـق هـو الله والله من أسمائِه الحق، الله جل جلاله خالق الكون فالكون خلقُه وأنزل القرآن والقرآن كلامـه وجبل النفوس جِبِلةً خاصة فالفطرة ما جبلنا عليه ، والعمل مقْياسه أودعه في الإنسان وخلـق الواقع على نظامٍ دقيق فالواقع خلقه والقرآن كلامه والعقل أداةٌ أودعه فينا والفطرة جِبِلة جبِلْنا عليها فالحق هو الذي يأْتي به النقل الصحيح مع العقل الصريح مع الفطرة السليمة مع الواقـع الموضوعي .

أيها الإخوة الكرام ، سمي الكلام **بياناً** لأنه يكْشف عن المعنى المقْصود ؛ مـثلاً طفْـلٌ صغير دخل في جِسمه من قماطه دبوس بكى بكاء مراً فحار أهلُه في سبب البكـاء سـاعات طويلة أطْعموه فَلَم يقْبل وسقَوه فلم يقبل وحملوه فلم يسكت ؛ لو قال : إن في جِسـمي دبـوس انْزعه مني انتهى الأمر عوض أربع ساعات من البكاء لكن الطفـل الصـغير لا **يبـين** ولا يستطيع أن يعبر عن حاجاته إلا بالبكاء والبكاء لغةٌ ضبابية عامة فهو يبكي يا ترى جـائِع أو عطْشان أو متَألم أو مغْص هضمي لا ندري ؛ **فالبيان** من أخص خصائص الإنسان .

وقال بعضهم **التبيان** هو الكشْف والإيضاح **والتبيين** والتثَبت وقد وردت مـادة **البيـان والإبانة** في مواطن من القرآن الكريم قال تعالى :

إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾

(سورة البقرة)

الإنسان أحياناً يتوهم جهلاً أو تجاهلاً أو تقْصيراً في البحث العلمي أو غباء يتَـوهم أن الدين لا يقوم على شيء بل إن كلّ شيء سوى الدين لا يقوم على شيء ؛ لستم علـى شـيء ولستم على حقيقة ولا على **بينة** ولستم على دليل ولا على برهان ، مـن أخـص خصـائص الإنسان أنه يملك الحجة البالِغة والدليل القاطع ويتحرك وفْقَ مبادئ ويتجه نحو أهداف ثابتـة ولا يمكن أن يفاجأ المسلم في وقْت من الأوقات أنه اعتَقَد خطأً ما دامت عقيدتُه مسـتَمدةً مـن كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلّم قال تعالى : "**إن الذين يكْتُمون ما أنزلنَا مـن البينَات والْهدى من بعد ما بيناه لِلناس في الْكتَابِ أُولَئِك يلعنُهم الله ويلعنُهم اللاعنُون** " .

يقولون لكم أحياناً : إن فلاناً إيمانُه في قلْبه ولا يستطيع أن يجهر به؛ مـا قيمـة هـذا الإيمان إذا بقي على شاكلَة أُناسٍ متَفَلتين ؟ وقال أنا إيماني في قلبي ! هذا كلام غيـر مقْبـول والإيمان إذا استَقَر في القلب حقيقةً لابد أن يعبر عن وجوده بِكلامٍ ينْطقُه أو بِسلوك يسـلُكُه أو بِدعوة ينْشُرها أو بِعملٍ يمارِسه أو بِصداقة ينْشئها أو بِخبر يفْعلُه وعلامـة الإيمـان التحـرك والإيمان حركة ولا يوجد مؤمن سكوني وباق في بيته ومؤمن لا يتدخلُ في شيء ولا هنـاك مؤمن لا يتمنى هداية الخلْق ولا يبحث عن طريقة يعرف الناس بِربهم لذلك ما إن تستَقر حقيقة الإيمان في قلْب المؤمن حتى يعبر عن إيمانه بِحركة وبِدعوة وكلام ونُصـح وأمـرٍ ونهـيٍ وإعطاء وبِمنْعٍ وبِصلة وبِقَطيعة وولاء وبراء فلا بد من حركة قال تعالى :

إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيۡءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْۚ وَإِنِ ٱسۡتَنصَرُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيۡكُمُ ٱلنَّصۡرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوۡمِۭ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٞۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ٧٢

(سورة الأنفال)

لذلك أن تَكْتُم علْما ولا **تُبينُه** وقعت في كبيرة من الكبائر ؛ كتْمان العلْم أمـر خطيـر ، لذلك ربنا عز وجل وصفَ دعاته الصادقين بِصفَة واحدة وهذه الصفة تُغْني عن آلاف الصفات ؛ الداعية الصادق لا يخْشى إلا الله فَلو خَشي أحداً غير الله لَتَكلم بالباطل إرضاء لِمـن يخافُـه ولَسكَت عن الحق خوفاً ممن يخافُه فإذا تكلم بالباطل وسكَتَ عن الحق ماذا بقي من دعوته إلى الله تعالى قال تعالى :

ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخۡشَوۡنَهُۥ وَلَا يَخۡشَوۡنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبٗا ٣٩

(سورة الأحزاب)

أذكر مرةً أني قرأتُ حدثاً واحداً لكنه معبر ؛ وذو دلالة بالغة ، والي البصرة جاءه كتاب من يزيد يأْمره بشيء لا يرضي الله عز وجل وكان عنده الإمام الحسن البصري من الأئمـة الأعلام ومن التابعين ووقع هذا الوالي في حيرة أَينَفذ أمر يزيد ويغْضب الله عـز وجـل ؟ أم يرفُض أمر يزيد فَيرضي الله ويغْضب يزيد ؟ ولعله يخْلَعه من عملْه فاستشار الإمام الحسـن البصري قال هذا الإمام كلمةً تُكْتَب بماء الذهب قال : إن الله يمنَعك من يزيد ولكـن يزيـد لا يمنعك من الله ، وفي الحديث الصحيح :

عن أَبي هريرةَ قَالَ : قَالَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من سئِلَ عن علْمٍ علمه ثُم كتَمه أُلجِم يوم القيامة بِلجامٍ من نَار *

(رواه الترمذي)

لكن بالمقابل لو سئلْت عن شيء وأنت لا تعلَمه قل : لا أدري بملء فمك ولا تستحي لأن نصف العلم لا أدري والإمام أحمد كما ذكرت لكم جاءه ثلاثون سؤالاً من وفْد جاءه من أقْصى المغرب لعلّ هذا الوفْد أمضى أشْهراً ثلاثة في السفر أجاب عن سبعة عشر سؤالاً ولم يجِب عن الأسئِلة الباقية فلما قيل له : والباقية قال : لا أعلم ، قالوا له : الإمام أحمد لا يعلم قال قولوا : لِمن أرسلَكم الإمام أحمد لا يعلم ؛ كُن موضوعياً فهذا النبي عليه الصلاة والسلام حينما كان يسأل عن أمر أو مسألة لم ينزل عليه الوحي فيه لا يجيب وهو سيد العلماء وسيد الخلق ، من سئِلَ عن علْمٍ علمه ثُم كتَمه أُلْجِم يوم الْقيامة بِلجامٍ من نَارٍ .

لذلك قال العلماء : " أمانة الأنبياء أمانة التبليغ أما أمانة العلماء أمانة التبيين فالأنبياء أمانتُهم تبليغ والعلماء أمانتُهم تبيين " .

وفي الآية الكريمة قال تعالى :

شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾

(سورة البقرة)

بينات كما قال عليه الصلاة والسلام :

عن عبد الرحمن بن عمرو السلمي أنه سمع العرباض بن سارية قَالَ وعظَنَا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم موعظةً ذَرفَتْ منْها العيون ووجِلَتْ منْها الْقُلوب قُلْنَا يا رسولَ الله إِن هذه لموعظَةُ مودعٍ فَماذَا تَعهد إِلينَا قَالَ قَد تَركْتُكُم على الْبيضاء ليلُها كنَهارها لا يزيغُ عنْها بعدي إِلا هالِك ومن يعشْ منْكُم فَسيرى اخْتلافًا كَثيرا فَعليكُم بِما عرفْتُم من سنتي وسنة الْخُلَفَاء الراشدين الْمهديين وعليكُم بِالطاعة وإِن عبدا حبشيا عضوا عليها بِالنواجِذ فَإِنما الْمؤْمن كَالْجملِ الأنف حيثُما انْقيد انْقَاد *

(رواه أحمد)

فَللمؤمن ميزة قد يغْفَل عنها أنت معك الحق وأنت معك الدليل والحجةُ القاطعة وأنت معك نور من الله وتقْرأ الوحي الذي أُنْزِل على النبي عليه الصلاة والسلام والوحي نداء السماء إلى الأرض ، فأنت حينما تجلس إلى آلة بالِغة التعقيد وتُحاوِل أن تفهمها من خلال

تحريك الأزرار قد تُعطبها وقد لا تفْهم حقيقة عملها ولا طريقة استعمالِها ولا طريقـة إيقافهـا ولا طريقة صيانَتها ، وقد تسأل فَتَأتيك أجوبةٌ متناقضة وقد تأتيك التعليمات فلا تفْهمهـا وقـد تسأل من عنده مثل هذه الآلة ويغْفَل عن بعض حركاتها أما إذا جلست إلى مخترِعها وصانعها وسأَلْتَه فجوابه صحيح ، حقٌ مائة بالمائة .

لذلك هناك علوم تجريبية وعلوم دينية أصلُها الوحي فالوحي قطْعي في صحته لأنه من عند الله عز وجل ولا ينَبئك مثل خبير ، أحد الأطباء وهو من العلماء استَنْبط من حديث رسول اله صلى الله عليه وسلّم أن للإنْسان أن يشْرب ما شاء مع الطعام من قول النبي عليه الصـلاة والسلام:

ما ملأ آدمي وِعاء شَرا من بطْنٍ حسب الآدمي لُقيماتٌ يقمن صلْبه فَإن غَلَبت الآدمي نَفْسه فَثُلُثٌ لِلطعامِ وثُلُثٌ لِلشرابِ وثُلُثٌ لِلنفَس *

(رواه ابن ماجة)

وبقي هذا الطبيب وهو أستاذ جامعي يؤكد لِطُلابه خلال عشْرين عاماً أنه لا مانع مـن شُرب الماء مع الطعام بالقدر الذي تريد بينما بقية الأطباء يـرددون نظريـة درسـوها فـي الجامعات الغَربية من أن شرب الماء مع الطعام يمدد العصارات الهاضمة ويضعفُ الهضم فلا بد من أن تنْتظر ساعات ثلاث حتى تشْرب من الماء ما تشاء وهذا الأستاذ الذي استَنبط مـن حديث رسول الله هذه الحقيقة يدافع عن رأْيه بِشَكْلٍ مخْتَصر .

النبي لا ينْطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى والنبي ينْطق عن الوحي والله الخبيـر إلى أن ثبتَ علْمياً قبل سنَة ونَيف وقد نُشر هذا في مجلّة أبحاث علْمية مرموقة جداً أن شُـرب الماء مع الطعام يعين على الهضم مهما أكْثرت من شُرب الماء لأنه يحثّ العصارات الهاضمة على الإفْراز وأن الطعام إذا تخَلّله الماء أمكن للعصارات الهاضمة أن تتَغَلْغَلَ في كل أنْحائِـه وأن تُعين على هضمه فالأصل هو الوحي فَكل شيء يخالِف الوحي فيه خطأٌ ؛ بدتْ لك حقيقَتُه أو لم تبد ؛ المؤمن يصدق الله عز وجل .

قال تعالى :

وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوْ تَأْتِينَآ ءَايَةٌ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ ۘ تَشَـٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْ ۗ قَدْ بَيَّنَّا ٱلْـَٔايَـٰتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ

﴿١١٨﴾

(سورة البقرة)

المشْكلة حلقة مفْرغة فالجاهل ينتَظر أن يهديه الله وأن تأْتيه معجِزة وأن يرى الله جهرةً وأن يرى كتاباً أُنْزِل من السماء وأن يرجع ميتٌ من قبرِه فَيحدثه : " **وقَالَ الـذين لا يعلَمـون لولا يكلمنَا الله أَو تَأْتينَا آيةٌ كَذَلِك قَالَ الذين من قَبلهم مثْلَ قَولِهم تَشَابهتْ قُلُوبهم قَـد بينـا الآيات لِقَومٍ يوقنُون** " .

بيناها وانتهى الأمر والكون كله ينْطق بِعظَمة الله وبِوحدانية الله وبِكمال الله والقرآن كله ينطق أنه كلام الله من خلال إعجازِه والقرآن ينْطق أن هذا الذي جاءه الكتاب هو رسول مـن عند الله فالله بين وانتهى قال تعالى :

إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ﴿١٢﴾ وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ ﴿١٣﴾

(سورة الليل)

فالله هدى الناس وبقي أن تستَجيبوا أَنْتم قال تعالى :

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ ۚ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَـٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾

(سورة التوبة)

وقال تعالى :

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾

(سورة الأنفال)

بقي لك أن تستجيب ؛ هداك بِالكون وأعطاك العقْل وجبلَك على فطْرة سـليمة وجعـل الحوادث كلها تؤيد كلامه في القرآن بل إن حوادث الكون تأْويلٌ للقرآن الكريم ، النقْطة الدقيقة هنا أنك إذا أردت الهدى وجدتَه في كل شيء وإذا أعرضت عنه لم تجِده في أوضح الأشـياء

فهناك من عاش مع النبي صلى الله عليه وسلّم ؛ ألم ير النبـي وكمالـه ومنْطقَـه وأخْلاقـه ومعجِزاتَه ألم يقْرأ هذا الكتاب الذي أُنزل عليه ومع ذلك لم يؤمن وقد يأتي إنْسان فـي آخـر الزمان ولم ير النبي ولم يجلس إليه ولم يستَمع إلى أقْوالِه ولم ير معجِزاته والنورانيات التـي كانت تُشع منه صلى الله عليه وسلّم ومع ذلك يؤمن به قال تعالى :

إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٩٧﴾

(سورة يونس)

والحقيقة أن الإنْسان كلما ارتقى يخافُ بِعقْله وكلما هبط مستواه يخافُ بِعينه الحيـوان يخافُ بِعينه والإنسان الذي أنْكر إنْسانيتَه وعطّل عقله ، لا يخافُ إلا بِعينه والكافر متى ينْزع ؟ حينما يأتيه ملك الملك ومتى يخاف؟ حينما يقرب أجلُه ومتى يضـطرب ؟ حينمـا تأْتيـه المصيبة أما وهو في البحبوحة والرخاء لا يبالي إطْلاقاً بهذا الحق ؛ لذلك الذي يخاف بِعينـه أقلّ مرتَبةً من الإنسان الذي يخاف بعقله أما الذي يخاف بِعقْله فهو الإنسان العاقل .

الشيء الثاني قال تعالى :

۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَـٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾

(سورة البقرة)

هناك معنى دقيق جداً ، أحياناً يتناول الإنسان مادة أولية لِيصنعها فهو لا ينْتَفع بها إلا إذا صنعها فالخشب مثلاً لو اشْترى إنْسان شجرة ووضعها في البيت ماذا يفْعـل بهـا ؟ إن هـذه الشجرة تُشْرح إلى ألواح وتصنع قطعة أثاث يجلس عليها وتُطْلى بِطلاء جميل فهنـاك مـواد أولية كثيرة جداً ليست لها قيمة بِذاتها إلا إذا صنعت ، وبعض النبات لا يؤكل إلا إذا طُبخ فهذه الآية دقيقة جداً يقول الله عز وجل : " **كذَلِك يبين الله لكُم الآيات لعلكُم تَتَفَكرون** " .

لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَـٰنِكُمْ وَلَـٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَـٰنَ ۖ فَكَفَّـٰرَتُهُۥٓ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَـٰكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَـٰثَةِ أَيَّامٍ ۚ ذَٰلِكَ كَفَّـٰرَةُ أَيْمَـٰنِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ ۚ وَٱحْفَظُوٓا۟ أَيْمَـٰنَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٨٩﴾

(سورة المائدة)

يجب أن تتناولوا هذه الآيات بالدراسة وتُفَكروا بها كي تَعقلوها وتستَفيدوا منهـا وكـي تكون متكأً لكم للوصول إلى الله عز وجل .

إذاً عليك مهمة فالشمس موجودة وكل إنسان يرى الشمس ساطعة لكنك محتاج إلـى أن تُفَكر فيها بل إن بعض الحيوانات حينما تميل الشمس للغُروب تتجه إلـى إصـطَبلها ؛ البقـر والدواب والأنعام حينما تميل الشمس إلى الغروب تتجه إلى إصطَبلها معنى ذلك أن الحيـوان يدرك أن الشمس مالتْ للغروب أما الإنسان فعليه أن يفَكر من خلقها ومن كونَها ومن رفعهـا ومن جعلها ملْتَهبة ويدرك أنها مصدر حراري للأرض وإنارة : " **كذَلِك يبين الله لكُم الآيـات لعلكُم تَتَفَكرون**".

والله أيها الإخوة هناك بِالكون آيات لا تُعد ولا تُحصى وَأينما الْتَفَت المرء وسار واتجـه وجلس ونظر رأى الآيات تُحيط به من كل جانب لِذلك العبرة أن تعكف علـى هـذه الآيـات وتُفَكر فيها ومن هنا قال الله عز وجل :

إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَـٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَـَٔايَـٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿١٩٠﴾

(سورة آل عمران)

هناك آيةٌ تحمل العظة والدلالة واضحة جداً في سورة النساء ، يقول الله تعالى :

يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾

(سورة النساء)

البيان الإلهي من ثمرات إرادة الله عز وجل ؛ أحياناً الإنسان يضرب ابنه ولا يريـد أن يضربه وأحياناً يتناولُ الدواء وكان يتمنى ألا يتناولَه فليس كـل فعـلٍ متوافـقٌ مـع الإرادة فالإنسان يفْعل أشْياء مضطَراً لكن هنا الآية دلالتها دقيقة جداً فالله يريد لِيبين لنا ولِيعرفَنـا وأن ينْقُلنا من الجهل إلى العلم وأن يخْرِجنا من الظلمات إلى النور ومن الضياع إلى الوجدان ومن الضلال إلى الهدى ومن الشقاء إلى السعادة : " **يريد الله لِيبين لكُم ويهديكُم سنَن الذين مـن قبلكُم ويتُوب عليكُم والله عليم حكيم** " .

وقال تعالى :

وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾

(سورة النساء)

يقول لك لِم لا تُصلي يا أخي ؟ تجد الجواب إلى أن يهديني الله فهذا الكـلام مضـحك وغير علمي فالله عز وجل خلقَك لِيهديك .

الذي أراه أن الله سبحانه وتعالى رحمةً بِعباده ينَوع لهم أسـاليب الهـدى وأودع فـيهم العقول لِيهتَدوا وأودع فيهم الفطَر السليمة لِتَكون مقْياساً لهم لأعمالِهم وسخر لهـم السـماوات والأرض لِيكون هذا الكون مظْهراً لأسماء الله الحسنى وصفاته الفضلى وجعل أفْعاله متَطابِقَـةً مع أقْوالِه كي يحصل الانْسجام في الكون ، فالله وعد المرابي بِحرب قال تعالى :

فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ فَأْذَنُوا۟ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾

(سورة البقرة)

تجد دائِما وأبداً الذي يجمع المال الحرام يدمر مالُه ؛ تواقُقُ أفْعال الله مع كلامه شـيء مهم جداً قال تعالى :

مَنْ عَمِلَ صَـٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾

(سورة النحل)

حياة المؤمن طيبة وهو شيء جميل ينوه الله تعالى إليه في القـرآن وتؤكـده الدراسـة الميدانية فإذا اجتَمعت مع الشباب المؤمن تجِدهم حقاً يعيشون حياةً طيبة قال تعالى :

وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾

(سورة طه)

لو تتبعتَ أحوال أهل الدنيا لوجدتهم يعيشون معيشَةً ضنكا تطابق أفْعال الله مع كلامـه نَوع من **البيان** فالكلام نظري والتطبيق عملي .

ويقول الله عز وجل :

يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ۗ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَـٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾

(سورة المائدة)

كلمة سلام ؛ فالسلام مريح جداً والسلام الذي أراده الله عز وجل هو السلام الذي مـن أسمائِه تعالى لأن الله جلّ جلاله أصل كل سلامٍ في الأرض والإنْسان قد يسلم مع نفْسـه هـو مطْمئِن لها قال تعالى :

يَـٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَـٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴿٣٠﴾

(سورة الفجر)

والإنسان قد يكون في سلامٍ مع من حوله وعلاقاته واضحة وصادقٌ وأمين وليس بينه و بين من حوله مشْكلة ومرتاح البال وهو في سلامٍ مع من حوله والإنسان المطيع في سلامٍ مع ربه قال تعالى : " **يا أهلَ الكتَابِ قد جاءكُم رسولُنَا يبين لكُم كثيرا مما كُنْتُم تُخْفُون من الكتَابِ ويعفُو عن كثيرٍ قد جاءكُم من الله نُور وكتَاب مبين** " .

من أسماء الله المبين يبين بأَفْوالِه وأفْعالِه وأنوارِه وتجليه وخلْقه والفطَر والعقـول والله عز وجل يعلمنا دائِماً ومن هنا قال بعض العلماء تفْسيراً لِهذه الآية ولهم فيها وِجهة نظر ، قال تعالى:

وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٨٢﴾

(سورة البقرة)

يفْهمها بعض المسلمين على الشكل التالي : إن اتقَيتم الله يعلمكم فلَو كان المعنى هكـذا لَجاء النص على الشكل التالي واتقوا الله يعلمكم الله جواب الطلب أما الآية واتقوا الله ويعلمكم الله ؛ يعني لِم لا تتقون الله والله يعلمكم دائِماً يعلمكم بِالوحيِ والعقول والفطَر وخلْقـه وأفْعالِـه وأنْوارِه آلاف الطرق .

وفي سورة المائدة يقول الله عز وجل :

مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۖ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾

(سورة المائدة)

والحقيقة أن التناقض بين ما يعتَقده الإنسان وبين سلوكه لا يحتَمل تجد أُناساً يستَمعون إلى خُطْبة في مسجِد أو إلى كلمة في عقْد قران أو إلى موعظة موت يتأثرون بها فإذا انْطلقوا إلى بيوتهم كأن شيئاً ما سمعوه أبداً ، وهذا شيء مريع أن تسمع للحق وأن تفْعل عكْسه وأن تأتي إلى بيت الله ويكون بيتُك على خلاف ما أمر الله تعالى وأن تطْلب العلم ولا تعمل به وأن تتزيا بِزي المسلمين ولا تفْعل ما يفْعل المسلمون وأن تدعي أنك مؤمن ولم تُدرك حقيقة الإيمان ؛ فهذا هو الذي ورد في هذه الآية قال تعالى : " **انظُر كيفَ نُبين لهم الآيات ثُم انظُر أنى يؤْفَكُون** " .

وفي سورة الأنعام قال تعالى :

أَوْ تَقُولُواْ لَوْ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْكِتَـٰبُ لَكُنَّآ أَهْدَىٰ مِنْهُمْ ۚ فَقَدْ جَآءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ ۚ

(سورة الأنعام)

شيء جميلٌ جداً أن الله سبحانه وتعالى أنزل كتابه على النبي وفيه كل الحق وفيه البينات والنور والمنْهج ثم من العجيب جداً ألا يأخذ منا كلام الله تعالى مأْخَذَ التطبيق .

وفي سورة الأعراف قال تعالى :

أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُواْ ۗ مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١٨٤﴾

(سورة الأعراف)

من هو المجنون ؟ هو الذي عصى الله تعالى فالمجنون الذي نراه في الطريق ليس مجنوناً هذا مبتلى بِعصاب ذهني أو بِمسٍ شيطاني لكن المجنون حقيقةً هو الذي عصى الله تعالى لذلك قال تعالى :

مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴿٢﴾

(سورة القلم)

وقال تعالى :

قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتۡ عَلَيۡكُمۡ أَنُلۡزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمۡ لَهَا كَٰرِهُونَ ٢٨

(سورة هود)

المؤمن على شيء من الهدى والمؤمن منْغَمس في رحمة الله تعالى لكن هـذه الرحمـة عميت عن الخلق والخلْق ماديون يقَيمون كل شيء بمقْياسٍ مادي فأنت مهما كنت على خلـقٍ عظيمٍ ومقْياسٍ عظيم أو على معرفَة بالله أو على إخلاصٍ شديد لا تُقَيم إلا من خـلال دخْلـك عند هؤلاء الماديين .

وفي سورة يوسف عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام :

الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ١

(سورة يوسف)

المبين يعني : الواضح لذلك ليس من المناسب أن تفْهم كلام الله فهماً لم يـرده الله ولـم يقصد إليه علماً بأن والقرآن الكريم نزل بلُغَة العرب وبلسانٍ عربي مبين ؛ هناك أُناس المعنى الجلي الواضح يصرِفون عنه النظر ويبحثون عن معانٍ لا تُدرك إلا بشق الأنْفُس أو بـالتكلف الذي لا يحتَمل لذلك من أخْطاء المفَسرين أن تُؤول الآية لِغَير ما تُفْصح عنه فهذه التـأويلات التي ما أنزل الله بها من سلْطان هي التي شَتتَتْ المسلمين وفرقَتْهم مع أن هذا القـرآن نـزل بلسانٍ عربي مبين ؛ بعض القراءات المعاصرة فَسرت قوله تعالى :

ٱلۡمَالُ وَٱلۡبَنُونَ زِينَةُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱلۡبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيۡرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابٗا وَخَيۡرٌ أَمَلٗا ٤٦

(سورة الكهف)

البنون البِناء ؛ هل في العالم العربي من يفْهم كلمة البنون أنها تعنـي البِنـاء ؛ المـال والبنون زينة الحياة الدنيا وهذا القرآن نزل بلُغَة العرب فَينْبغي أن نفْهمه وِفْق لُغَة العرب .

وفي سورة النحل قال تعالى :

وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِي ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِۖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ٦٤

(سورة النحل)

هناك اخْتلاف أساسه نقْص المعلومات وهذا اخْتلافٌ طبيعي والوحي يحسم هذا الأمـر قال تعالى :

كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِۚ وَمَا ٱخۡتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَا ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ ٱلۡحَقِّ بِإِذۡنِهِۦۗ وَٱللَّهُ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٍ ٢١٣

(سورة البقرة)

وهناك اخْتلاف أساسه البغْي والحسد قال تعالى :

إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ وَمَا ٱخۡتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۗ وَمَن يَكۡفُرۡ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ١٩

(سورة آل عمران)

الاخْتلاف الأول طبيعي وهو الاختلاف القائم على نقص المعلومات أما الاخْتلاف الثاني فهو قذر أساسه الحسد والبغي والعدوان أما الاخْتلاف الثالث اخْتلافٌ محمود وهو التنافُس في حقْل الدين وفي دائرة الحق ، وفي سورة النور قال تعالى :

وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْأَيَـٰتِ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾

(سورة النور)

الحق واضح لكن الناس في الدنيا نيام وإذا ماتوا انْتَبهوا وعند الموت يكْشَف الغطاء قال تعالى :

لَّقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَـٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾

(سورة ق)

وفي سورة النمل قال تعالى :

فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۖ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ ﴿٧٩﴾

(سورة النمل)

أيها المؤمن لا تَخَفْ ، فإن النبي صلى الله عليه وسلّم خاطَب عدي ابن حاتم فقال لـه : لعلك يا عدي إنما يمنَعك من دخولٍ في هذا الدين ما ترى من كثْرة عدوهم كما هي الحال الآن ؛ وأيم الله ليوشكن أن تسمع بالقُصور البابلية مفَتحةً لهم ولعلك يا عدي إنما يمنَعك من دخـولٍ في هذا الدين أنك ترى أن الملك والسلطان في غيرهم وأيم الله ليوشكن أن تسـمع بـالمرأة البابلية تَحج البيت على بعيرِها لا تخاف ولعلك يا عدي إنما يمنَعك من دخولٍ في هذا الدين ما ترى من حاجة بهم وأيم الله ليوشكن المال أن يفيض فيهم حتى لا يوجد من يأْخُـذُه ؛ فَتَوكـل على الله إنك على الحق المبين وعلامة المؤمن الصادق لو أن الناس جميعاً تنَكروا للدين ولـم يعبئوا به ولم يلْتَزِموا بتعالِيمه يكْفيه أنه على الحق المبين والإنسان العاقل لا يأخذ بالكثرة قال تعالى :

وَإِن تُطِعۡ أَكۡثَرَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ هُمۡ إِلَّا يَخۡرُصُونَ ﴿١١٦﴾

(سورة الأنعام)

وقال تعالى :

وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنۡ عِلۡمٍۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغۡنِي مِنَ ٱلۡحَقِّ شَيۡـٔٗا ﴿٢٨﴾

(سورة النجم)

وقال تعالى في سورة الحديد :

ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ قَدۡ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴿١٧﴾

(سورة الحديد)

فالآيات تحتاج إلى تفكر و إعمال عقْل والآيات إن صح التعبير مواد أولية تحتاج إلـى تصنيع ولا بد أن تُصنعها يعقْلك ويفكّرك ولا بد أن تتفكر بها أو أن تتذكرها ، قال تعالى :

لَا تُحَرِّكۡ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعۡجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيۡنَا جَمۡعَهُۥ وَقُرۡءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأۡنَٰهُ فَٱتَّبِعۡ قُرۡءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيۡنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾

(سورة القيامة)

أحداث العالم كله تتجه لِتأكيد ما في القرآن .

إخْواننا الكرام : لا يغيب عن بالِكم أن العالم فيما سبقَ شرقاً وغرباً ؛ كان شرقاً يـؤمن بالمجموع والقُيود وغرباً يؤمن بالفرد والحرية والآن الشرق والغرب عادا إلى الإسلام قهراً لا عبادةً واضطُروا إلى أن يعودوا إلى أصول الدين ؛ فمثلاً في بلاد طويلة عريضة عاتية بعيدة

حرمت الخمر والآن في بعض الجامعات بِأمريكا تُحرم الاخْتلاط بين الطلاب والطالِبات فكُلما تقَدم العلم ونضج في البشَرية تَتجه قهراً إلى تعاليم الدين لا إيمانا ولا تَعبـداً لِـذلك الشـرق والغَرب عاد إلى وسطية الإسلام والشرق عادا مقْهوراً لا مخَيراً والغرب كذلك وسوف تَرون بعد حين أن هذا الدين العظيم هو دين المستَقْبل قال تعالى :

هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾

(سورة التوبة)

قال تعالى :

فَإِذَا قَرَأْنَـٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾

(سورة القيامة)

حتى الآيات الكونية في القرآن الكريم كلما تقَدم العلم تكشفت له حقائق الإعجاز القُرآني العلمي .

من أدعية هذا الاسم الجليل : اللهم أنت **المبين** للحق والهادي إليـه والموفـق لاتباعـه فاجعل بين أيدينا نوراً من قُرآنك وهدايةً من بيانك فإنك أنت الحق المبين .

أيها الإخوة الكرام : ليس هناك أسعد من إنسانٍ عرف الحق ونعمة الهدى أعظم نعمة بل إن بعض العلماء قالوا في تفْسير قوله تعالى :

مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَـٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٦﴾

(سورة المائدة)

قالوا : تمام النعمة الهدى .

والحمد لله رب العالمين

الـ ـدرس ٩٩ – اسم الله : مؤتي الحكمة .

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الإخوة الكرام ؛ مع درسٍ جديد من دروس أسماء الله الحسنى ومع الدرس المـتم للمائة والاسم اليوم : مؤْتي الحكمة .

أولُ شيء في هذا الاسم إن الله حكيم ويؤْتي الحكمة وحليم يؤتي الحلم ورحـيم يـؤتي الرحمة ومن هنا ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم " أن تخلقوا بِأخلاق الله " ومن هنـا كان استخْلاف الإنسان في الأرض قال تعالى :

وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾

(سورة البقرة)

أيها الإخوة الكرام : قبل أن ندخل في تفاصيل هذا الدرس لابد من وقْفَة قصيرة حـولَ الحكْمة ؛ الحكْمة تَدلّ على الترجيح ولا ترجيح بِلا مرجح يعني شيء يمكـن أن يكـون فـي أوضاعٍ كثيرة وأنت اخْتَرت هذا الوضع المناسب فهذا العمل اسمه تـرجيح ؛ رجحـتَ هـذا المكان على هذا المكان فهذا الترجيح يحتاج إلى مرجح وأوضح مثَلٍ مفْتاح الكهرباء يمكن أن يوضع في أسفل الحائِط ويمكن أن يوضع في أعلى الحائط أما حينما وضع في مكانٍ معتَـدل يتناسب مع طول الإنسان وحركة يده نقول هذا المكان فيه حكْمة أو فيه ترجيح ولا ترجيح بِلا مرجح .

ولعلّ دليل الحكمة من أكبر الأدلة على وجود الله وعلى عظَمته فَمثَلاً الطيـر الصـغير الذي في البيضة كيف سيخْرج منها ؟ في وقْت مناسبٍ جداً وفي مكانٍ مناسبٍ جداً ينْمـو لـه نُتوء مدبب ويثقب بِه جِدار البيضة وبعد حينٍ يتلاشى هذا النتوء ويعود منْقاره إلى مـا كـان عليه في الوقْت المناسبِ وفي المكانِ المناسبِ وفي الحجم المناسب وفي الشكل المناسب ظهر هذا النتوء ونقول : هذا الترجيح يحتاج إلى مرجح والعقْل لا يقْبل أن هذا الشيء تَم وحده .

الماء إذا بردناه شأنُه كشأنِ أي عنْصر ينْكمشُ حجمه إلى درجة زائد أربعة تنْعكس الآية ولولا هذه الخاصة لما كان على الأرض حياة ؛ يتَمدد الماء إذا بلغَ درجة زائِد أربعة ، حكْمةٌ مطْلَقَة ولْولاها لما قامتْ حياة فالحكمة ترجيح ولا ترجيح بِلا مرجح .

قد يذهب إنسان إلى بلد في أقْصى الشمال وقد تصل الحرارة إلى سبعين تحت الصـفر كل شيء يمكن أن تُغَطيه تُغَطي يديك ورِجلَيك وجِهازك التنفسي وترتدي الألْبِسـة الصـوفية والمعطف والقُبعة فَكُل شيء يمكن أن تُغَطيه إلا العين إذا عَطيتها فقَدتَ البصر والهواء الـذي يلامسها سبعين تحت الصفر إذاً لا بد من أن يتَجمد ماء العين ويفْقد الإنسان البصـر ؛ مـن أودع في العين مادةً مضادةٌ للتَجمد ؟ هذه حكْمةٌ مطْلَقَة ولولا هذه المادة لَفَقَد كل الذين يعيشون في المناطق الباردة أبصارهم لا ترجيح بلا مرجح ولا حكْمة بِلا محكم ولا حكْمة بِلا حكيم .

فالله سبحانَه وتعالى هو الحكيم فَهو تعالى حكْمتُه مطْلَقَة والإنسان حكْمتُه نسبية وأحيانـاً يفْعلُ فعلاً غير حكيم بِسبب ضغْط أو إغراء أو بِسبب جهل فإما تحمل ضغْطاً كبيراً فَتَكلم كلمةً غير حكيمة أو وقف موقفاً غير حكيم أو سلك طريقاً غير مشْروع أو خضع لإغـراء شـديد فاخْتَل عقْلُه وانْساقَ مع شهوته أو يجهل حقيقة هذا الشيء فيرتَكب حماقة ، فالإنسان إذا بدا لك حكيماً فهو حكيم أحياناً أما الحكيم مطْلقاً هو الله عز وجل لأنه منَزه عن الضـغط والإكْـراه والجهل فأَفْعالُه تعالى تُلابِسها الحكْمة المطْلقة .

وهذه الحقيقة أيها الإخوة أن كُل شيء وقع له حكمة حتى إنهم قالوا لِكُل واقـعٍ حكْمـة فكْرة مريحة جداً وبسيطة وهي أنك لن تُعاني أزمة نفْسية ولن تُعـاني حقْـداً ولا ضـيقاً ولا كراهيةً ولا ندماً ، لا تقول : لو أنني فعلْتُ كذا وكذا فهذه الفكرة البسيطة وهي كُل شيء وقـع أراده الله لأنه لا يليق بالله أن يقع شيء لا يريده وكُل ما أراده الله وقَـع وأَفْعـال الله متَعلقَـةٌ بِالحكْمة المطلقة والحكمة المطلقة متَعلقةٌ بِالخير المطْلق وبذا انتهى الندم والحقد وانتهت كلمـة ليتَ .

لا تَقُل: لو أنني فعلْتُ كذا وكذا ولكن قُل : قدر الله وما شاء فعل فإن كلمة لو تفْتَح عملَ الشيطان أتَرى أيها الأخ الكريم ما يحدث في العالم، هناك شرور ومجاءـات وآثـام وزلازِل وبراكين تنْفَجِر وفَيضانات وصقيع لا يحتَمل وإتْلافٌ للمحاصيل وحروب أهليـة ، يجـب أن تؤمن وهذا الإيمان يحتاج إلى جهد أن كُل شيء وقع لِحكْمة بِالغة مطْلَقَة وهذه كُلهـا للخيـر المطْلق ، ولكنك أنت ترى هكذا رؤية محدودة فَتَرى الشر ولكن الله يريد من أفْعالِه كلها الخير المطلق .

تصور أن غلاماً يضرب من قبل أبٍ شديد وبعد أن ضرب كثيراً أصبح هـذا الغـلام الطالب في مستَقْبله من ألْمع الشخْصيات ، بِالنظر القريب والقصير هناك قسوة وشر وبِالنظر البعيد هناك خير كثير فبعد أن ضبط هذا الغلام ودرس وأخذ شهادات علْيا وشـغل مناصـب

رفيعة وصار دخْلُه وفيراً - من باب الدنيا - فهذا حينما ينعم بِبحبوحة ومكانَة اجتماعية وبيت مريح ومركبة وزوجة واحترامات من قبل الناس سيقَبلُ يد أبيه التي ضربتْه يوم كان صـغيراً فعلى المدى القصير قد يبدو لك الشر أما على المدى البعيد فيبدو لك الخير المطْلق لِـذلك أي إنْسانٍ على وجه الأرض من آدم إلى يوم القيامة حينما يقفُ بين يدي الله عز وجـل يلْخـص علاقة الله به بِكلمة واحدة هي : الحمد لله ، قال تعالى :

دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَـٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَـٰمٌۚ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٠﴾

(سورة يونس)

أَرأيت إلى هذه الفكْرة ؛ والله أيها الإخوة أكاد أقول : إن تسعة أعشار الأمراض العضال أسبابها نفْسية ؛ ضغْط نفْسي وقلقٌ وخوفٌ وحيرة وحقْد فإن آمنت بِهذه الحقيقة تشْفى من كـل أمراضك النفْسية ولا ترى إلا يد الله تعمل في الخَفاء ولا ترى مع الله أحداً وتقول : الله هـو كل شيء وبِالتعبير الدارج : ما في إلا الله ، واللهُ كبير وتتعامل معـه وحـده وتُخْلـص لـه وتَمحضه ودك وحبك وإِخْلاصك وطاعتَك وتُقَدم له حياتَك وشبابك ومالك وعلْمـك ولِسـانك وقلمك وخبرتك وهذا هو الإيمان قَلكُل واقعٍ حكْمة ولكن هذه الرؤية يصعب أن تُنْقَل بِصورتِها اللفْظية فالإيمان والسلوك في طريق الإيمان ومجاهدة النفْس والهوى ولُـزوم مجـالِس العلْـم وتلاوة القرآن ومعرفة السنّة والاستقامة والعمل الصالح وفي نهاية هذا المطاف سترى أن يـد الله وحدها تعمل في الخفاء وفي النهاية ترى أن يد الله فوق أيديهم قال تعالى :

فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰۚ وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾

(سورة الأنفال)

لذلك لا ألم ولا خَوف ولا قلَق والحكمة أن نضع الشيء المناسب في المكان المناسب في الحجم المناسب وفي الوقت المناسب وبِالقَدر المناسب وبِالأسلوب المناسـب والله هـو وحـده الحكيم ولا حكيم سواه وحكْمة البشَر مستَنْبطةٌ من حكْمة الله ؛ وحينما فتح النبي عليه الصـلاة والسلام مكة ماذا قال أبو سفْيان ؟ قال : ما أَحكمك وما أعقَلَك وما أرحمك وما أوصلَك .

إخْواننا الكرام ، لما يقول الله عز وجل :

يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿٢٦٩﴾

(سورة البقرة)

فَربنا يقول : "خيراً كثيراً "، الخير الكثير لا يحجم رصيدك فيه من المصارِف ولا يبيت فَخْم ولا بِزوجة رائِعة ولا بِدخْلٍ كبير ولا بِصحة جيدة إنما الخير الكثير أن تُؤْتى الحكْمة لأنّك بِالحكمة تسعد وبِالحكمة تُصلح الزوجة السيئة وبِالحمق تُفْسد الصالِح وبالحكمة تَجلب المـال وبِالحمق تُبدد المال وبالحكْمة تكْسب الأصدقاء وبِالحمق تُفَرقُهم : " يؤْتي الْحكْمةَ مـن يشَـاء ومن يؤْتَ الْحكْمةَ فَقَد أُوتي خَيرا كثيرا وما يذكر إِلا أُولُوا الألْبابِ " ، فالله عز وجـل حكـيم ويؤتي الحكمة .

بعضهم قال : الحكمة ليستْ كَسِيةً لا تُكْتَسب ولكنها تؤتى ، وبعضهم قـال : المـؤمن حينما يستقيم على أمر الله ويخْلص له يكافئه بالحكمة ، ووالله أيها الإخوة ، أستَند فيما أقـول لِقصصٍ من أزواجٍ وزوجات ومن إخوة وأخوات ومن شُركاء حمقٌ ما بعده حمق وانْحرافٌ ما بعده انْحراف ؛ إنْسان يدمر نفْسه بِيديه ويخَرب بيتَه بِيديه ويدمر سعادتَه بيديه لِعـدم وجـود الحكمة ؛ كلمة غير مناسبة وهذا الكلام مؤلم ويحمل نتائج قاسية ، قال قائل :

إن القلوب إذا تناثر ودها مثل الزجاجة كسرها لا يجبر

هناك شيء في الأدب يسمى التشْطير وهو أن يأتي شاعر فَيجعل من شَطْر البيت الشطْر الأول ويصوغُ شَطْراً ثانياً وشَطْراً ثالِثاً ويأتي بالشطْر الثاني ليجعله شطْراً رابِعاً :

إن القلوب إذا تناثر ودها مثل الزجاجة كسرها لا يجبر

فَأخذ الشَطر الأول هذا البيت فقال :

إن القلوب إذا تناثر ودهـا عند الأكارم جبرها لا يعسر

قُلوب أرذال الأنام إذا الْتوت مثل الزجاجة كسرها لا يجبر

ثم جعل من الشطر الثاني من البيت السابق سطراً رابعاً .

في بعض الأحيان كلمةٌ تُنْهي شركة وكلمةٌ تُشَرد أسرةٌ وموقفٌ تَخْسر عملك فيه قال تعالى: " يؤْتي الْحكْمةَ من يشَاء ومن يؤْتَ الْحكْمةَ فَقَد أُوتي خَيرا كَثيرا وما يذكر إِلا أُولُوا الأَلْبابِ " .

أحياناً تجد إنساناً يعمل عملاً مرموقاً ، وله مكانة رفيعة ، ودخْل كبير فَيخون صاحب العمل فَينْهي عملَه ويصبح متَشَرداً في الطرقات ، ارتَكَب حماقة كبيرة ، أيها الإخوة أنا أُصدق الله عز وجل : " يؤْتي الْحكْمةَ من يشَاء ومن يؤْتَ الْحكْمةَ فَقَد أُوتي خَيرا كَثيرا وما يذكر إِلا أُولُوا الأَلْبابِ " .

في بيتك قد تُؤتى الحكْمة وتعيش مع زوجة عمراً مديداً تسعد بها وتَسعد بك أما بِالحمق تُطَلقُها وتَخْسرها وتَخْسرك .

أحياناً تجد إنساناً عنده مال يبدده بِأساليب تافهة ثم يبقى بِلا مال وأحياناً يغْضب المرء فَيطَلق زوجتَه ويصبح على أبواب المفْتين فالذي تساهلَ معه منهم يشُك في علْمه والذي تشَدد عليه يشُك في رحمته ، ومن بابٍ إلى باب ومن مفْتٍ إلى مفْت وكان يغْنيك ألا تُطَلق هذه الزوجة وأن تبقى عصمتُها بِيدك أما حينما طلقْتَها أصبحت عصمتُها بِيدها وأنت لا تدري ؛ فالحكْمة أيها الإخوة كما ورد علْم مطَبق والله عز وجلّ قال :

أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَـٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾

(سورة الجاثية)

فقد تُحصلُ علماً كبيراً ولا تكون حكيماً أما الحكْمة أن تستفيد من علْمك وأن تجعل من علْمك علْماً عملياً ؛ إذْ هناك علْم عملي وآخر نظري فأنت حينما تستَفيد من علْمك تكون حكيماً فالحكْمة حقيقةٌ مطَبقَةٌ في حيز الواقع ، والحكمة إصابة الحقّ والحق ما طابق الواقع إذْ الضلال أن تتوهم شيئاً غير واقعي وأن تظن شيئاً غير صحيح والمقياس هو الواقع فالحكْمة أن تكون واقعياً فالإنسان إذا ابتَعد عن الواقع وقع في الوهم وصارتْ أفْكاره وهماً وظناً وشكاً وغلبة ظن أما الحكمة أن تبلغ حد اليقين : " ومن يؤْتَ الْحكْمةَ فَقَد أُوتي خَيرا كَثيراً " اسمع إلى قوله تعالى:

وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَـٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾

(سورة لقمان)

الحكمة كلها أن تشْكر الله لأن الله أنْعم عليك بنعمة الإيجاد وأنْعم عليك بنعمـة الإمـداد وأنْعم عليك بنعمة الهدى والرشاد فالحكْمة أن تشْكر الله والكون مسخر تسخير تعريف ومسخر تسخير تكْريم فإن آمنت وشَكرتَ حققْتَ الهدف من وجودك ، أليس الله بأحكم الحاكمين ، فَحكْمة الحكماء مستَمدةٌ من حكمة الله يعطي الحكمة أو لا يعطيها والدليل أنه إذا أراد الله إنفاذ أمر أخذ من كُل ذي لُب لُبه فهذا أبو لَهب لو ذهب إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول الله صلى الله عليه وسلم أشْهد أن لا إله إلا الله وأشْهد أن محمداً رسول الله لنجا إلى الأبد ، ولما أنزل الله فيه ، قال تعالى

تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ﴿٢﴾ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴿٣﴾ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ﴿٤﴾ فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴿٥﴾

(سورة المسد)

فَطَريق الإرادة لأبي لهبٍ بيد الله عز وجل ، ومن أجل أن تعلم أن كُلّ مخْلوق أمر بيد الله سبحانه ، فهؤلاء السفهاء قال تعالى :

۞ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا۟ عَلَيْهَا ۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٤٢﴾

(سورة البقرة)

كأن الله يخاطب الناس من أهل مكّة ، واليهود ويقول أنتم سفَهاء وسوف تقولون هذا الكلام قال تعالى : " سيقُولُ السفَهاء من الناسِ ما ولاهم عن قبلتهم التي كانُوا عليها قُلْ لِلهِ الْمشْرِقُ والْمغْرِب يهدي من يشَاء إِلَى صراط مستَقيمٍ " .

حسناً ، هؤلاء الذين سموا سفهاء لو فكروا قليلاً ثم سكتوا قلو أنهم سكتوا أبطلوا كـلام الله ، ولكنهم تكلموا وقالوا كما أخبرت به الآية ، من أجل أن تعلم أن الله بيـده كُـل شـيء وناصية كل شيء وإذا أراد الله إنفاذ أمر أخذ من كل ذي لُب لُبه والله عز وجل طليق الإرادة ولا شيء يقفُ أمامه سبحانه ؛ فهذا السفيه الذي وصف بأنه سفيه ولأنه سفيه سيقول كذا وكذا ولو أنه فكر قليلاً وسكت لألغى مصداقية القرآن الكريم ولكن حاشا وكلاّ ، إذاً الحكمة أن كـل شيء بيد الله يؤتي الحكمة من يشاء أو يؤتي الضلال من يشاء ، قال تعالى :

ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَـٰلَهُمْ ﴿١﴾

(سورة محمد)

أعمالُهم لا تُحقق أهدافَها ولا تصل إلى غاياتها ؛ فَحركة الإنسان الكافر عشْوائِية حركتُه كبيرة ولكن عندما يأتيه ملك الموت ليتوفاه ويخرجه من الدنيا بعد أن بدأت تنْتظم حياته ويعلو شأْنُه وبعد ما أخذ يزداد مالُه وقد تَمكن بِعملٍ مرموق ، ومكانة وأصحاب وأعوان يقـول لـه ملك الموت تَفَضل ، فالحكمة أن تأتي أعمالك مطابِقَةً لأهدافك لكن الإنسان أحياناً ينْجِز عملاً كبيراً دون أن يكون له غاية في مرضاة الله ، بل تكون غايته سمعة شخصية ، وعلـواً فـي الأرض ، لذا يقول ربنا عز وجل :

وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَـٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾

(سورة الفرقان)

يقول الله عز وجل في سورة البقرة :

فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٢٥١﴾

(سورة البقرة)

أنا ذكرتُ من قبل أن الله قد يؤتي المال لِمن يحب ولمن لا يحب فقد آتاه لِمن لا يحـب وهو قارون وقد آتاه لِمن يحب وهو سيدنا عثمان ابن عفان رضي الله عنه فهو مـن أغْنـى

أغْنياء الصحابة فقد جهز وحده جيش العسرة وهذا ابن عوف كذلك من أغْنى أغْنياء الصحابة سمع مرةً من السيدة عائِشَة تقول : والله ليدخُلن عبد الرحمن الجنةَ حبواً فقال هذا الصحابي الجليل والله لأدخُلنها خَبباً وماذا أفْعل إذا كنت أُعطي مائة في الصباح فيَوْتيني الله ألْفاً في المساء فالله أعطى المال لِمن يحب ولمن لا يحب ، وأعطى الملك لمن يحب ، وهو سيدنا سليمان ولِمن لا يحب وهو فرعون ولكن العلم والحكمة لا يعطيهما إلا لِمن يحب قال تعالى :

وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٢﴾

(سورة يوسف)

فالإنسان إذا تلقى العلْم الصحيح وتفقه بِكتاب الله وقرأ سنة رسول الله وسيرتَه وقف على الحق وعرف موقعه ولِماذا هو في الدنيا ومن أين أتى ؟ وإلى أين سيذْهب ؟ وما غاية وجوده وماهيتُه ؟ فهذا أوتي الحكمة ، فالمؤمن هدفُه واضح وهو مطْمِئن لأنّه عرف حقيقة الحياة الدنيا وعرف حقيقة الكون وحقيقة الإنسان وجوهره قال تعالى : " فَهزموهم بِإذْنِ الله وقَتَلَ داود جالُوتَ وآتَاه الله الْملْك والْحكْمةَ وعلمه مما يشَاء ولَولا دفْع الله الناس بعضهم بِبعضٍ لَفَسدتْ الأرض ولَكن الله ذُو فَضلٍ علَى الْعالَمين" .

والآية الثانية الشهيرة هي قوله تعالى : " يؤْتي الْحكْمةَ من يشَاء ومن يؤْتَ الْحكْمةَ فَقَد أُوتي خَيرا كَثيرا وما يذكر إِلا أُولُوا الأَلْبابِ " .

يدعو الإنسان ربه فَيقول يا رب سدد قولي ووفقْني وألْهمني الصواب ووالله أيها الإخوة ما من دعاء أرجو أن تدعوا به جميعاً أحب إلي من هذا الدعاء : اللهم ألهمنا الصواب ؛ قد يقف الإنسان أياماً مواقفَ نبِيلَة سليمة ويتكلم الكلمة الصحيحة ويتَحرك الحركة المناسبة ويغْضب في موطن الغَضب ويحلُم في موطن الحلْم ويعطي في موطن العطاء ويمسك عنْدما ينْبغي أن يمسك فهذه المواقف المتَنَوعة إذا كانت متناسبةً مع عللها وأسبابها يشْعر بِراحة ؛ فماذا يقابِل الحكمة ؟ الحمق فالحكمة يتْبعها راحة أما الحمق يتْبعه ندم قال تعالى : " الذين كَفَروا وصدوا عن سبِيل الله أَضل أَعمالَهم " .

أَلَم تسمعوا بِدعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم : " اللهم اجعل تدميرهم في تدبيرهم " ، فبعض الناس يفَكر ويفَكر ويفَكر ويحسب ويجمع ويطْرح ويقْسم ثم يرتَكب حماقَةً تُدمره باختياره لأنه ركن إلى ذاته واطمأن إليها .

لذلك " ومن يؤْتَ الْحكْمةَ فَقَد أُوتي خَيرا كَثيرا " ، فإذا دخل الإنسان المسجد قد لا يجِد مقْعداً ولا يتوقع راحة ولا استضافة ولكن الذي يعطيه الله في هذا المسجِد وفي أي مسجِد آخر ؟ الحكمة تجِد أنك إذا دخَلْت المسجِد تقول : اللهم افْتح لي أبواب رحمتك ؛ تجد أنّك في بيتك

حكيم وتعقد صفْقة معقولة وبالمقابِل تجد من يعقد صفْقة يخْسر بها وتهوي به ويدمر فالإنسان لما يكون مع الله فالله معه والحقيقة أنت أحد شخْصين : " شخْص يلْهمه ربه سبحانه صـلاحه وخيره ، وشخْص يوسوس له شيطان " ، فالشيطان يدلك على الشر وعلى المعصية ويحبـب لك الدنيا ويلْقي بينك وبين الآخرين البغْضاء ويزين لك الحرام ، قد تجـد أشْخاصـاً كثيـرين عندهم زوجات من الدرجة الأولى ومع ذلك يطْمعون بِنساء غير زوجاتهم لأن الشيطان يزين أحدهم هذه المرأة الأجنَبية التي لا تحلّ له ويزهده بِزوجته فهذا حمق ويدمر نفْسـه فالشـيء الطاهر والحلال والنقي الذي لا شائِبة فيه زاهد فيه ويلهث وراء الحرام الذي يسـبب دمـار أُسرة وتَفْرِقة وعاراً كل هذا دليل على عدم وجود الحكمة : " يؤْتي الْحكْمةَ من يشَاء ومن يؤْتَ الْحكْمةَ فَقَد أُوتي خَيرا كثيرا وما يذكر إِلا أُولُوا الأَلْبابِ " .

تجد الإنسان يتسرع بدون تحقق فإذا به يقع في شر عمله وقد يحكم حكْماً سريعاً علـى بعض أعماله فينْدم على ما فعل وقد يكون رده أكثر مما ينْبغي فَيفَجـر الموضـوع ؛ أراد أن يصلح فأفْسد وأن يرمم فَدمر .

فأيها الإخوة الكرام من علامة أنك حكيم أنك لا تنْدم والندم يرافق عدم الحكمـة وعـدم الحكمة تعني أنه مقْطوع عن الحكيم ولا يوجد له اتصال بربه إذْ لو كان هناك اتصال لما كنت غير حكيمٍ فالله هو الحكيم وأي عبد اتصل به يشْتَق من حكْمته ، أحد الصحابة سـرق بعـض مالِه فماذا قال؟ قال : اللهم إن كان الذي أَخَذَه أخذه عن حاجة فَبارِك له فيه وسامحه وإن كان قد أخذه بطراً فاجعلْه آخر ذُنوبِه .

إني أعرِف إنْساناً فَصل موظفاً عنده عن العمل وانْتَقَم منه انْتقاماً شديداً بل أدى به الأمر إلى قتْله من أجل قضية تافهة ؛ غَضب شديد حملَه على ارتكاب جريمة قتل وهـذه الجريمـة أَودت به إلى السجن ثلاثين عاماً أما لو كان حكيماً لَقال : قَدر الله وما شـاء فَعـل والله هـو المعوض يرى كلّ ذلك من حكْمة أرادها الله فَلَعله أكل مالاً حراماً من قبل فالله تعالى عاقَبـه وانْتهى الأمر به إلى السجن ثلاثين عاماً ، فالشيطان هو الذي يدفعه إلى الحركات العشْوائِية ، قال تعالى :

أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَـٰطِينَ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴿٨٣﴾

(سورة مريم)

حركة عشْوائِية وطائِشَة ومؤْذية وهدفُها الإيقاع بين الناس ، ذكرتُ مرةً قصـة فريـدة مذهلة كانت امرأةٌ تعمل بالقضاء وكانت ملمة بالقوانين وكان لها بيتٌ تملكه شركة مع أخيهـا

وكان معها وثيقة بملْكية نصف هذا البيت والنصف الآخر لأخيها فتَوهمت أنه بإمكانها أن تأخذ منه البيت بطَريقَة ذكية جداً وبأُسلوبٍ يحتاج إلى خبرة والقصة طويلة جداً واستطاعت بمكرها أن تجعلَه في الطريق هو وأولاده وزوجتُه ، وأن تملك البيت وحدها ، عنْدها أُصيبتْ بمرضٍ خبيث في أمعائِها وانْتهى بها الأمر إلى الموت العاجل فَكان أخوهـا وأولاده هـم الـوارثين وعادوا إلى البيت واستَحقت لعنة الله والملائِكة والناسِ أجمعين ؛ من الذي دفعهـا إلـى هـذا العمل ؟ الشيطان أخْرجت أخاها الذي أعطاها ثمن نصف البيت تماماً ولكن ما خطر في باله أن يأخذ منها إيصالاً وابن هذا الأخ الكريم هو أحد إخْواننا ؛ آلاف القصص من هذا النوع .

فالإنسان وهو بعيد عن الله تعالى أحمق ويرتَكب حماقةً لا توصف وعملاً طائِشاً فإذا به يتدمر فالخُلاصة إذا كنت مع الله فأنت في ظل الله ورِعايته وحمايته وتَربيته ؛ تجـد شخْصـاً حياتُه متواضعة ولكنّه حكيم وشخْصاً آخر حياته مترفة ولكنه مدمر ألا ترى أشْخاصاً جمعـوا أموالاً طائِلة ثم كُشف أمرهم فإذا هم بالسجن فالقضية هي قضية توفيق من الله عز وجـل: " يؤْتي الْحكْمةَ من يشَاء ومن يؤْتَ الْحكْمةَ فَقَد أُوتي خَيرا كَثيرا وما يذكر إِلا أُولُوا الأَلْبابِ " .

إنْسان خرج من بيته يقول فيما روي :

عن أُم سلَمةَ أن النبي صلى الله عليه وسلم كَان إِذَا خَرج من بيته قَالَ بِسمِ الله رب أَعوذُ بِك من أَن أُزل أَو أُضل أَو أَظْلم أَو أُظْلَم أَو أَجهلَ أَو يجهلَ علي *

(رواه النسائي)

تحدثُ معك أمور تقول بعدها ما انْتَبهت لكن الله ألْهمني وصحوتُ من غفلتي ، الفكـرة الدقيقة التي أريد أن أنبه إليها : أن تقف في الوقْت المناسب وأن تُراجِع الأمر وأن تتريث وأن لا تحكم عشوائياً فَكُن مع الحكيم تغْد حكيماً وكُن مع العليم تغْد عليماً وكُن مع الـرحيم تغْـد رحيماً فَكُلّ إنسان يرتَكب حماقة يكون وقتها غافلاً ، يعني أنه وقْتَ ارتكابِه لها كان مقْطوعـاً عن الله عز وجل : " يؤْتي الْحكْمةَ من يشَاء ومن يؤْتَ الْحكْمةَ فَقَد أُوتي خَيرا كَثيرا وما يذكر إِلا أُولُوا الأَلْبابِ " .

قال تعالى :

وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾

(سورة آل عمران)

الحكمة تُؤْتى تفضلاً من الله الحكيم ، والعلماء قالوا : " الكتاب هو القرآن والحكمة هي سنة النبي عليه الصلاة والسلام " قال تعالى : " ولَقَد آتَينَا لُقْمان الْحكْمةَ أَن اشْكُر لِلَه ومن يشْكُر فَإِنما يشْكُر لِنَفْسه ومن كَفَر فَإِن الله غَني حميد "

أيها الإخوة أُطْلُب من الله عز وجل كُلّ يومٍ أن يلْهمك الحكمة وألا تقع في شر عملك وأن تفْعل الشيء الصواب والحسن والحكمة ضالةُ المؤمن والحقيقة أن الإنسان إذا افْتَقَر إلى الله ألْهمه الحكمة فإذا اعتَد بِرأْيه تخَلى عنه فوقع في الشر بينما أن تستَلْهم الله فيؤتيك الحكمة وبين أن تنْقَطع عن الله فينفرد بك الشيطان ويوسوس لك .

بِربكم هؤلاء المجرمون يوم قتَلوا ضحيتهم أما فكروا في المصير ؟ أربعة ذهبوا إلى صائغ في بعض الأبنية في دمشق وقَيدوه وأخذوا منه ثلاثة عشر كيلوا ذهباً وبعد أسبوع أعدموا في قريتهم جميعاً هل معقول أن يخْسر الإنسان نفْسه من أجل كمية من الذهب تبقى لديه سبعة أيام ؟ لذلك المجرم عَمِي طبعاً صعب أن ترتَكب جريمة لكن هناك أخْطاء تُدمر سعادتَك .

أعرِف شخْصاً اشْترى هذا الصحن وأنا أقول دائِماً كُلما كثرت الصحون على السطوح قلت الصحون على المائِدة وكلما قل ماء الحياء قل ماء السماء وكلما رخُص لحم النساء غلا لحم الضأْن ؛ كان يصلي الفجر والعشاء مع أهله بعدها أصبح يسهر إلى الخامسة صباحاً وبذلك صار صغيراً أمام أهله ؛ أين الحكمة ؟ .

وأعرف رجلاً هوايتُه أن يمشي في الطرق المزدحمة ويمتع عينه بالحسناوات فأُصيب بِمرض ارتخاء الجفون فلا يستَطيع أن يرى إنساناً إلا إذا أمسك جفْنه بِيده أين الحكمة ؟ هل تُصدقون من هو الحكيم ؟ الذي يطيع أمر الله عز وجل ؛

أطع أمرنا نرفع لك حجبنا ... فإنا منَحنا الرضى من أحبنا
ولُذْ بِحمانا واحتمي بِجنابِنا ... لِنَحميك مما فيه أشْرار خلْقنا

وعن ذكْرنا لا يشْغُلنك شاغلٌ وأخْلص لنا تلْقى المسرة والهنا

اسمع قصص الناس ترى العجب ؛ أزواج متَباغضون وأعمال منْحرِفة وخُصومات ففي البيوت مشْكلات لا يعلْمها إلا الله ونُفور وعصبية لأنه مقْطوع عن الحكيم فكلامه قاسٍ وردود فعله عنيفَةٌ جداً فلا هناك حب ولا وِئام ولا تسامح ولا سرور تجد بيتاً يحوي كـلّ شـيء إلا الحب فهو بِذلك خاوٍ من كل شيء ؛ فالإنسان بالحكمة يسعد ومن دون الحكمة يشْقى سمعتُ أن أحد العلماء ألف حول هذه الآية كتاباً من دفته إلى دفته : " يؤْتي الْحكْمةَ من يشَاء ومن يـؤْتَ الْحكْمةَ فَقَد أُوتي خَيرا كثيرا وما يذكر إِلا أُولُوا الأَلْبابِ " .

والله هناك زوجاتٌ بِالحكمة أصيحن أود وأرحم زوجات وهناك زوجات بِالحمق أصيحن أسوأ زوجات كلّ هذا من الزوج ؛ فهذا كلّ يوم يقسو على زوجته ويغلط لها القـول ، وليـل نهار وراء عيوبِها حتى يحط من شأنها ويحطمها وحتى تُجابهه وترد عليه رداً عنيفاً وحتـى يدمر الود الذي بينه وبينها أما المؤمن فيحمد الله على كلّ شيء لن تجد إنساناً له كمال مطلـق أما الحكمة فإنها تجعل النقص كمالاً والحمق يجعل الكمال نُقْصاً فانتبه اتصالُك بـالله يعطيـك الحكمة وذكْرك الله عز وجل يعطيك الحكمة وتلاوة القرآن تعطيك الحكمة والبطولة أن تسـعد في الدنيا والآخرة والسعادة أن تكون مع الحكيم وأنت تحتاج إلى الحكمة كلّ ساعة بـل كـلّ دقيقة وبلا حكمة يشْقى الإنسان ويردى .

أيها الإخوة الكرام بِهذا نكون قد أنْهينا الحديث حول هذا الاسم من الأسـماء الحسـنى المائة والله الموفق .

والحمد لله رب العالمين

الفهرس

الدرس ٠١ - اسم الله : الملك ٢

الدرس ٠٢ - اسم الله : القدوس ١٧

الدرس ٠٣ - اسم الله : السلام ٣٨

الدرس ٠٤ - اسم الله : المؤمن ٥٧

الدرس ٠٥ - اسم الله : المهيمن ٧٤

الدرس ٠٦ - اسم الله : العزيز ٩٢

الدرس ٠٧ - اسم الله : الجبار ١١٠

الدرس ٠٨ - اسم الله : المتكبر ١٢٠

الدرس ٠٩ - اسم الله : الغفار ١٣٢

الدرس ١٠ - اسم الله : القهار ١٥٠

الدرس ١١ - اسم الله : الوهّاب ١٦٥

الدرس ١٢ - اسم الله : الرزّاق ١٨٠

الدرس ١٣ - اسم الله : الفتّاح ١٩٦

الدرس ١٤ - اسم الله : العليم ٢١١

الدرس ١٥ - اسم الله : القابض الباسط ٢٢٧

الدرس ١٦ - اسم الله : المُعزّ المُذِل ٢٤٠

الدرس ١٧ - اسم الله : الخالق ٢٥٠

الدرس ١٨ - اسم الله : البارئ المصور ٢٦٥

الدرس ١٩ - اسم الله : اللطيف ٢٧٨

الدرس ٢٠ - اسم الله : العدل ٢٩٢

الدرس ٢١ - اسم الله : الحليم ٣٠٦

الدرس ٢٢ - اسم الله : الشكور ٣٢١

الدرس ٢٣ - اسم الله : الكريم ٣٣٧

الدرس ٢٤ - اسم الله : الحكيم ٣٥٤

الدرس ٢٥ - اسم الله : الحق ٣٧٣

الدرس ٢٦ - اسم الله : الودود ٣٩١

الدرس ٢٧ - اسم الله : التواب ٤٠٤

الدرس ٢٨ - اسم الله : الهادي ٤٢٠

الدرس ٢٩ - اسم الله : الرحمن الرحيم ٤٣٩

الدرس ٣٠ - اسم الله : الكبير ٤٥٣

الدرس ٣١ - اسم الله : البديع ٤٦٨

الدرس ٣٢ - اسم الله : الصبور ٤٨٠

الدرس ٣٣ - اسم الله : الله ٤٩٧

الدرس ٣٤ - اسم الله : النور ٥١٦

الدرس ٣٥ - اسم الله : الحفيظ ٥٣٠

الدرس ٣٦ - اسم الله : الوالي ٥٤٦

الدرس ٣٧ - اسم الله : المحصي ٥٦٢

الدرس ٣٨ - اسم الله : الخبير ٥٧٢

الدرس ٣٩ - اسم الله : مالك الملك ٥٨٢

الدرس ٤٠ - اسم الله : ذو الجلال والإكرام ٥٩٦

الدرس ٤١ - اسم الله : الضار النافع ٦٠٩

الدرس ٤٢ - اسم الله : الرقيب ٦٢١

الدرس ٤٣ - اسم الله : الخافض الرافع ٦٣٣

الدرس ٤٤ - اسم الله : الحسيب ٦٥١

الدرس ٤٥ - اسم الله : المقيت ٦٦٨

الدرس ٤٦ ـ اسم الله : الجليل ٦٨١
الدرس ٤٧ ـ اسم الله : المجيب ٦٩٢
الدرس ٤٨ ـ اسم الله : الوكيل ٧٠٨
الدرس ٤٩ ـ اسم الله : الواسع ٧٢٠
الدرس ٥٠ ـ اسم الله : الواحد ٧٣٥
الدرس ٥١ ـ اسم الله : الحي القيوم ٧٥٠
الدرس ٥٢ ـ اسم الله : القيوم ٧٦٨
الدرس ٥٣ ـ اسم الله : الأول والآخر ٧٨١
الدرس ٥٤ ـ اسم الله : الظاهر والباطن ٧٩٤
الدرس ٥٥ ـ اسم الله : السميع ٨٠٧
الدرس ٥٦ ـ اسم الله : البصير ٨٢٣
الدرس ٥٧ ـ اسم الله : الرؤوف ٨٣٨
الدرس ٥٨ ـ اسم الله : الغفور ٨٥٢
الدرس ٥٩ ـ اسم الله : المنتقم ٨٦٩

الدرس ٦٠ - اسم الله : العلي ٨٨٤

الدرس ٦١ - اسم الله : الصمد ٨٩٨

الدرس ٦٢ - اسم الله : العظيم ٩٠٩

الدرس ٦٣ - اسم الله : الحكم ٩٢٤

الدرس ٦٤ - اسم الله : الشهيد ٩٤٢

الدرس ٦٥ - اسم الله : الغني والمُغني ٩٥٩

الدرس ٦٦ - اسم الله : العفوّ ٩٧٧

الدرس ٦٧ - اسم الله : الجامع ٩٩٠

الدرس ٦٨ - اسم الله : الواجد ١٠٠٣

الدرس ٦٩ - اسم الله : المبدي المعيد ١٠١٦

الدرس ٧٠ - اسم الله : الحميد ١٠٣١

الدرس ٧١ - اسم الله : البر ١٠٤٧

الدرس ٧٢ - اسم الله : الباعث ١٠٦٢

الدرس ٧٣ - اسم الله : القادر المقتدر ١٠٨٠

الدرس ٧٤ ـ اسم الله : الماجد المجيد ١٠٩٥

الدرس ٧٥ - اسم الله : المحيي المميت ١١١٢

الدرس ٧٦ ـ اسم الله : المقدّم المؤخر ١١٢٩

الدرس ٧٧ ـ اسم الله : المانع ١١٤٥

الدرس ٧٨ ـ اسم الله : المُقسط ١١٦١

الدرس ٧٩ ـ اسم الله : الوالي ١١٧٧

الدرس ٨٠ ـ اسم الله : الباقي ١١٩٠

الدرس ٨١ ـ اسم الله : الرشيد ١٢٠٤

الدرس ٨٢ ـ اسم الله : الوارث ١٢١٩

الدرس ٨٣ ـ اسم الله : القوي المتين ١٢٣٢

الدرس ٨٤ ـ اسم الله : المتين ١٢٤٥

الدرس ٨٥ ـ اسم الله : الستار ١٢٥٩

الدرس ٨٦ ـ اسم الله : الرب ١٢٧٢

الدرس ٨٧ ـ اسم الله : الحافظ ١٢٨٨

الدرس ٨٨ - اسم الله : الأكرم ١٣٠٢

الدرس ٨٩ - اسم الله : المُضل ١٣١٥

الدرس ٩٠ - اسم الله : عالم الغيب والشهادة ١٣٣٣

الدرس ٩١ - اسم الله : المُدبّر ١٣٤٩

الدرس ٩٢ - اسم الله : الشافي ١٣٦١

الدرس ٩٣ - اسم الله : المُسخّر ١٣٧٧

الدرس ٩٤ - اسم الله : المُريد ١٣٩٦

الدرس ٩٥ - اسم الله : المصطفى ١٤١١

الدرس ٩٦ - اسم الله : الديّان ١٤٢

الدرس ٩٧ - اسم الله : العالِم ١٤٤٢

الدرس ٩٨ - اسم الله : المُبين ١٤٥٦

الدرس ٩٩ - اسم الله : مؤتي الحِكمة ١٤٧٥